سورة الفاتحة ٥	سورة البقرة	سورة آل عمران ٨١	سورة النساء ١١٧
سورة المائدة ١٤٥	سورة الأنعام ١٥٠	سورة الأعراف ١٧٠	سورة الأنفال ١٩٠
سورة التوبة ١٥	سورة يونس ١٩٨	سورة هود عليه السلام ٢٠٥	سورة يوسف عليه السلام ٢١٦
سورة الرعد ٢٣٠	سورة إبراهيم عليه السلام ٢٤١	سورة الحجر ٢٤٦	سورة النحل ٢٥٢
سورة الإسراء ٢٥٦	سورة الكهف ٢٧٧	سورة مريم ٢٨٤	سورة طه ٢٩٠
سورة الأنبياء عليهم السلام ٢٩٣	سورة الحج ٣٠٠	سورة المؤمنون ٣٠٥	سورة النور ٣١٣
سورة الفرقان ٣٢٠	سورة الشعراء ٣٢٥	سورة النمل ٣٢٩	سورة القصص ٣٣٦
سورة العنكبوت ٣٤١	سورة الروم ٣٤٧	سورة لقمان ٣٥٢	سورة السجدة ٣٥٥
سورة الأحزاب ٣٥٨	سورة سبأ ٣٦٤	سورة فاطر ٣٦٩	سورة يس ٣٧١
سورة الصافات ٣٧٩	سورة ص ٣٨٤	سورة الزمر ٣٨٨	سورة المؤمن ٣٩٧
سورة فصلت ٤٠٢	سورة الشورى ٤٠٧	سورة الزخرف ٤١١	سورة الدخان ٤١٤
سورة الجاثية ٤١٦	سورة الأحقاف ٤١٨	سورة محمد عليه السلام ٤١٨	سورة الفتح ٤٢١

سورة الحجرات ٤٢٤	سورة ق ٤٢٥	سورة الذاريات ٤٢٧	سورة الطور ٤٢٩
سورة النجم ٤٣٠	سورة القمر ٤٣٣	سورة الرحمن ٤٣٤	سورة الواقعة ٤٣٧
سورة الحديد ٤٤٦	سورة المجادلة ٤٥٠	سورة الحشر ٤٥١	سورة الممتحنة ٤٥٢
سورة الصف ٤٥٣	سورة الجمعة ٤٥٣	سورة المنافقون ٤٥٤	سورة التغابن ٤٥٤
سورة الطلاق ٤٥٥	سورة التحريم ٤٥٦	سورة الملك ٤٥٦	سورة ن ٤٥٧
سورة الحاقة ٤٥٩	سورة المعارج ٤٦٠	سورة نوح عليه السلام ٤٦١	سورة الجن ٤٦٢
سورة المزمل ٤٦٣	سورة المدثر ٤٦٤	سورة القيامة ٤٦٥	سورة الإنسان ٤٦٦
سورة المرسلات ٤٦٨	سورة النبأ ٤٦٩	سورة النازعات ٤٧٠	سورة عبس ٤٧١
سورة التكوير ٤٧٢	سورة الانفطار ٤٧٣	سورة المطففين ٤٧٣	سورة الانشقاق ٤٧٤
سورة البروج ٤٧٥	سورة الطارق ٤٧٥	سورة الأعلى ٤٧٦	سورة الغاشية ٤٧٦
سورة الفجر ٤٧٧	سورة البلد ٤٧٨	سورة الشمس ٤٧٩	سورة الليل ٤٨٠
سورة الضحى ٤٨١	سورة الانشراح ٤٨١	سورة التين ٤٨٢	سورة العلق ٤٨٢

سورة القدر ٤٨٤	سورة البينة ٤٨٤	سورة الزلزال ٤٨٤	سورة العاديات ٤٨٥
سورة القارعة ٤٨٥	سورة التكاثر ٤٨٥	سورة العصر ٤٨٥	سورة الهمزة ٤٨٥
سورة الفيل ٤٨٦	سورة قريش ٤٨٦	سورة ارايت ٤٨٦	سورة الكوثر ٤٨٧
سورة الكافرون ٤٨٧	سورة النصر ٤٨٧	سورة تبت ٤٨٨	سورة الاخلاص ٤٨٨
	سورة الفلق ٤٨٩	سورة الناس ٤٨٩	

الحمد لله الذى هدينا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدينا الله

عثمان

وقف السلطان السعيد الاعظم والخليفة الخاقان الاكرم الافخم
مصدر العدل والاحسان ومصحح احوال الامور بالرشد والعرفان
السلطان بن السلطان السلطان ابو المحاسن والمكارم عثمان
خان بن السلطان مصطفى خان شيد الله اساس دولته
الطاهرة وخلد خلافته الباهرة وانا الداعى
لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش بالحرمين
المحترمين
غفر له

ابراهيم حنيف

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESI
Kısmı : N.O.
Yeni Kayıt No. 118
Eski Kayıt No. 148
Tasnif No. 297.1 = 927

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بحقيقة الالهية • المتوحد بخالصة الوحدانية • الاول دون بداية
ولا اخر الى نهاية • سبق القبل قدمه فلا قبل له • وفات البعد بقاؤه فلا بعد
له • موجد الوجود والعدم • وجاعل النور والظلم • مقدر الكون في العدم
ومثبته في اللوح المحفوظ بالقلم • على العرش استوى • وعلى العلى احتوى
نأى فدنا وقرب القرب كله فلا يرى • يشهد النجوى • ويعلم السر واخفى • وما تعطف
له العقبى • ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء • لم يزل اولا باسمائه
الحسنى • ولا يزال اخرا بصفاته العلى • متوحدا في برهان وحدته • متكبرا في نعوت
جلاله • متعاليا في بهاء جبروته مرتديا بالكبرياء مؤتزرا بالعظمة والبهاء • حيا
لا يموت يقظانا لا ينام قيوما لا يغفل حفيظا لا ينسى شهيدا لا يغيب احدا صمدا
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد او جد ما شاء ايجاده بقدرته اذ شاء كيف شاء
ولم يزل شيئا واضرب عن ايجاد ما لم يشا ايجاده لعزته وكان الله على كل شيء قديرا
علم الكائنات قبل كونها فهي عنده بعد الكون على ما قد كان علمها اذ كان وجود كل
ذي وجود في سابق علمه العلي معلوما وفي مشيئته العالية وقدرته المحيطة مضمنا
مرهوما مشهود الرجيع او صافر الكامنة في معدوم انه اجل ذلك كله منه الى اجاله
ووقدره الى اناته بدا خلق الانسان من الثرى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى
بان خلق لهم من نفس سمة اخرى ثم جعل نسله من نطفة تمنى من ماء مهين فسلها
من قراره معينها بين التراب والطرائف قرارا مكينا في ظلمة الحشا مصونا من الافات
في قماط النسابيا حيث لا يصل اليه لطف الامهات والاباء لما قد كان قدره له وعليه
من الابتلا ولما ضي لحما وعظما ابيض فيه روح الحيوة نبضا وكتب له هنالك ما قدره
فيه مما سبق في علمه العلي وامضى بقلبه في تحكيم خلقته طبقا بعد طبق في ظلمات ثلث

خلقا من بعد خلق الى ان سواه وعلمه التبيين فتبارك الله احسن الخالقين
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الاله الحق المبين • وان محمدا عبده الامين
ورسوله المكين الاتي من عند ربه بالدين القويم يهدي الى الصراط المستقيم
الذي اخذ له الميثاق على الانبياء قبله والمرسلين لتؤمننّ به ولتنصرنّه ولو بعد
حين • هو الذي بشر به عيسى و وجد ذكره في صحف ابراهيم وموسى صلوات الله عليه
وعليهم اجمعين في العالمين • شهادة مقرونة بشهادة اكبر الشاهدين انزل عليه
كتابه الكريم • الذي ضمنه القران العظيم جعله اماما للكتاب المستبين • وهداية لعباده
المتقين • بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا بواضح البرهان وتبيان
وبينات من الهدى والفرقان فرق به بين الحلال والحرام • وصرف به صادق المقال
وضرب فيه محكمات الامثال واخبر بما يكون وبما قد كان ذلك هدى الله يهدي به
من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته **اما بعد** قال الله جل جلاله
نهج سبيل الهداية قاصده اليه واقام اعلام الرشاد دلالة عليه ما وجد الموجودات
للمعتبرين وانزل الكتب للمذكرين وارسل الهداة ائمة المتقين فاتصل بهم الحبل وابان
لهم الصراط المستقيم سلكها اقوام ففازوا وظفروا واعرض عنها اخرون فخابوا وخسروا
الا وان قوما اتاهم كتاب ربهم اليهم فاعرضوا عن تذكيره اياهم والتدبر له صفحا
لقوم ساهون وان عبادا لله فجاءتهم حكمة الله في مصنوعاته في انفسهم وفي سواهم
مما يبصرونه ومما لا يبصرون فلهوا عن النظر فيها والعبرة بها لعنا غافلون الم يسمعوا
جل ذكره يقول وقوله الصدق ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت
يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا والاعراض عن الذكر يورث عدم التذكر وعدم التذكر يورث الطبع على القلوب
والغشاوة على الابصار والوقر في الاذان كذلك قال عز من قائل اقترب للناس حسابهم
وهم في غفلة معرضون ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية
قلوبهم ولما علم جل وعز من اعراضهم وشمول الغفلة على اكثرهم قال وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون فليتق عبد ربه وليقبل على تلاوة كتابه والنظر في عجايب حكمته
بجد من عزمه وفراغ من قلبه قبل ان يزل قدمه فلا ينفع اذ ذاك ندم وانما يقدم هنالك
على ما ههنا قدمه من عمل صالح يثبته او نور يقين يقتبسه وكتاب الله جل جلاله وان كان مباينا
لكلام البشر فانه وله الحمد قد نزله لفهم المذكر وان كان كلاما للملك الجبار ونورا صدر
عن نور الانوار فانه جل ثناؤه قد انار قلوب اهل الايمان بنور الايمان واحياهم بحيوة
العلم وايدهم بروح منه ولولا ذلك ما لمحته بصيرة مستبصر ولا استخرج منه غامضا
عقل متفكر ورفع في ذلك بعضهم فوق بعض درجات ليبلوهم فيما اتاهم وليستبقوا اليه
بالخيرات جعلنا الله واياكم منهم ولا جعل حظنا من صفاتهم وصفهم انه حكيم عليم
بلى ان الانسان خلق من الارض ومن ممتزج ما يرد عليها من علو ومن سفل فتح وفيه قال الله
جل من قائل هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا

انفسكم هو اعلم بمن اتقى وقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا ولكن الله يزكى من يشاء ولما انقسمت الاخرة الى دارين جنة وجهنم قسم الله
جل جلاله العالم بحكمته من فى هذه الدار قسمين شقى وسعيد فريق فى الجنة
وفريق فى السعير وذلك لمشيته فى عباده خص بفضله من شاء واصاب بعدله من شاء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اين يكون الشبه فاعلمنا جل وعز بما تلوناه من كتابه
والمفهوم من على خطابه انه خلقنا من الارض وانشانا من ممتزج ما يرد عليها
ويخرج منها ويكون عنها من امشاج نبات وحيوان فمن الناس من غلبت عليه
فى حين تركيبه وبالضراوة والعادة صفة التراب والارض وجبلتها فجمد لذلك
على صفتها ومحاذاته فكان لذلك بليدا جاهلا متعاجزا لانفاذه فى الامور ومنهم
من غلبت عليه صفة النبات وقواه فكان لذلك الغالب عليه النهامة فى الاكل والشرب
والغباوة فى سبيل الاستجابة فى الفهم وقلة الفطنة ومنهم من غلبت عليه الصفة
البهيمية وجبلتها فكان الغالب عليه سوى ما تقدم ذكره الجهل والتهور وعدم التبل
وشدة شهوة البطن والفرج ثم هو بعد الى ما غلب عليه من الجنس البهيمى يميل
اليه بالجبلة فمن غلب عليه الجنس السبعى مال الى سفك الدماء والغضب والغلبة وحب
الانتقام وهتك الحرم والفسق والاذاية وبالجملة فانه مائل لا محالة الى ما غلب عليه
من اجناس حيوانا ونباتا ما كان ماكولا الى نفسه ثم من غلبت عليه صفة العقل
مالت به الى صفات الفطنة والفحص والتمييز للامور الغائبة وكان لذلك عارفا بفقده
مميزا لظواهر الاشياء متطلعا الى غوامضها ثم من غلبت عليه الصفة الملكية كان لذلك
مؤمنا مسلما مطواعا كثير الحياء قليل الخلاف كثير الاسعاف راغبا فى الحقايق مبتغيا
للانصاف والمحاسن مجانبا للقبايح مباعدا للرذايل عاملا بالعدما يلا الى الفضل
والاحسان وهذا والذى قبله قد امالهم خالقهم برحمته الى جنته العظمى ثم من تركبت فيه
صفات الجماد والنبات والحيوان والعقل والملك وقربت منه من المقاومة فتركبت
اخلاقه على ذلك وتخرجت عليه فعاله فبما فيه من صفة النبات كان بها جهولا قليل
الفطنة وبما فيه من صفة التراب كان ناسيا كثير الغفلة والبلدة وبما فيه من صفة
العقل كان حليما وقورا حسن التدبير جيد الراى فهو لا يقدم على الامور الهائلة
الا من حيث يحسن منه المخرج ويتمكن فيه العذر صيانة النفس يفعل ما هو معيب عند العقل
فى ستر وتحمل ولهذه الاصول كلها الملة ذكرناها وما لم يذكر منها الها فيه اشباه ولوازمها
وراثة من حيث الخلقة هذا من حيث هو انسان ثم قد يدخل الله عز وجل روح الايمان
على من شاء تزكيته من عباده الذين تقدم ذكرهم فيتولاه لذلك فيفقد ذلك الروح
وعناية الله به يحيى بذلك مواته وتنبسط جماده وينشرح قوى نباته فتنقاد باذن
الله تعالى لذلك طباعه ويسلس قياده ويسهل تداركه نفسه ويتيسر له صلاح شانه
ولذلك اغنى ما تقدم ذكره من جبلة الخلقة ترى الكافر ربما كان من شانه فعل المحاسن
والتخلق فى كثير من اموره بخلق المكارم وترى المؤمن ربما تلطخ بالذنوب وظهرت

على

على اركانه انواع من القبايح وربما اصر على ما ليس من خلق الايمان ولا شيم
الاسلام ولهؤلاء وهؤلاء هنا اعمال من دون ذلك هم لها عاملون وجزاؤهم اليه
فيما هنالك صابرون غير ان الله جل وعز قد ارصد لمن شاء من اهل الايمان المغفرة
والرحمة وارصد لاهل الكفر احباط الاعمال والاخذ باسوا ما جنوه ليتم بذلك حكمته
ويظهر منهم غيب علمه فى الخلط بينهم يوم اخذ الميثاق وقضاء القضية وليتم ايضا قوله
الحق هؤلاء للنار ولا ابالى وهؤلاء للجنة ولا ابالى وهو العليم الحكيم **فصل**
ثم قد يكشف الله جل ذكره لبصاير بعض عباده المؤمنين فيرون بها ما غاب عن ابصار
رؤسهم وذلك انهم لما علموا ان سبب الحجب لهم عن ربهم جل ذكره امراج قلوبهم فيما لا يعنى
وصرفها عن الاشتغال بمعرفته والازدياد من العلم واليقين بما لا ينبغى فتحققوا
فى طلبهم وجدوا واجتهدوا فى طلب مرضاة مطلوبهم بكل قلوبهم وجميع جوارحهم
وعزم من هممهم فراوا بنور الايمان وحقيقة الايقان ما ليس بشخص ولا جوهر ولا عرض
ولا ما هو من قبيل ذلك معروفا بفطرهم وليس كالذى عهدوه معلوما بحقايق ذواتهم
ليس كالمعالم سواه من الظواهر والبواطن بدون ذلك ببصايرهم ولا يصوره عقلهم
ولا يكيفه لهم وهم ثم قد يروى ايضا ما ليس كالاجسام المعهودة ولا كالمراى الظاهرة
المعتادة فما كان من هذا ذاته ببصايرهم مراى روحانيه يصورها مصور العقل فى باطن
الذكر باذن باريه فتبصرها البصيرة على ذلك ويعقلها العقل ايمانا بها فما كان ذا
صورة امن بذلك دون تصور وما كان من ذلك مما لا يوصف بصورة وكل ذلك الى المصور
الاعلى وكعالم الارفع وكذلك يزيل الوقر عن استماع قلوبهم فيسمعون بها ما غاب عن اذان
رؤسهم ما ليس بصوت ولا حرف كذلك فى الذوق وكذلك فى الشم كذلك فى الحس وهذه
الحواس الثلاث فى البواطن اغرب وجودا وابطا ظهورا مما تقدم والعقل فاعلم يعرف
التفرقة ما بين ما هو مضاف الى هذه الحواس الباطنة وانها وان بطنت من مدارك الحواس
الظاهرة وكذلك يفتح لهم ابواب الذكر والشعر والفطنة والالهام والتوسم فى مقابلة الذكر
الاول والشعور الاول والصفات الاولى اجمعها وعلى القول بالتحقيق فانما هن صفات
منهن دنى وعلى غطاء على اعلاهن جهل الطبع وبلدة الغفلة وظلمة البعد عن القرب
من نور السموات والارض فاذا تحصلت معالم ما هنالك وفتح لهم باب الشعر شعروا
لتلك المواهب لاجل مجانستها لما يحصل لهم قبل من تلك المعالم فى معالم سواها وفى انفسها
من تفصيلها وتوجيه الى غيرها فاستجروها الى اشباهها والفوها الى اشكالها وبالفطنة
تنبهوا الى خفاياها واسرارها وسرائرها واعلم ان نور ما هنالك يكاد يغشى البصائر ويذهل
العقول لغرابة ما يرد من ذلك عليها الا ان يؤيدها ربها جل ذكره بروح منه لكن لكثرة
مرائى الباطن فيه وقوة شعاع نوره تمتد حواس البصائر فى ثاقب ضيائه من سعة ساحته
واما الالهام فانه امر ينزل الى لوح القلب وهو انباء بما فى الباطن خزائنه وفى اصل الجبلة
اثاره واما التوسم فيحتوى مما تقدم ذكره من الصفات فيظهر للفهم من ثنايا الخطاب
سر المراد وان كان قد توجه به غير تلك الوجهة كما قد يبدو للمتعرض من المتعرض

الموجد وقد ابدا وجهه غيرها وذلك مكنون الخطاب فمن ذلك ما يكون كالالغاز
يعلمه الفطن عن جنب ومنه ما يكون كالمحاجاة يعلمه الماهر الفطن بعد فكر وروية ثم
قد يتبع هذا جدا باختلاف الاعراض وتباين الدواعي كما يختلف الفهوم كذلك وعلو
ولتناقب ضياء ما هنالك وهداية الله جل ذكره من اراده بذلك يتحقق بصر البصر
ويتقب الفهم والله جل ذكره يسمع من يشاء ويفهم عنه من اراد ثم قد ترتفع هذه
الصفات بارتفاع محل حاملها فتعلو به لعلو محل حاملها الى المحادثة والتكلم وقد يكون
ذلك عن صفات الصديقية بما هو اتم واعلى وافخم جدا من ارادة الله بذلك وهي صفة
كادت تفوت جبلة الخلقة اذ هي تعطي التصديق بما امامها من الانباء والنبوة و
المحجوبة وكما ليس للغافل ان يكون متذكرا الا ان ينقله ربه جل وعز الى ذلك وان كان
التكسب لذلك والتعمل فيه ينجع فذلك منه لا يوجد الا باذن من الله كذلك ليس للمؤمن
ان يكون موقنا الا بان يفتح عليه ربه عز وجل ولا للموقن ان يكون صديقا الا بفتح من
الله عليه ونقل ينقله من مقامه الاول الى الثاني كذلك ليس للصديق ان يكون نبيا الا ان
يخصه الله برحمة منه وفضل وقد انقطع ذلك فلا مطمع فيه اليوم انما هو لايمان بفضل
من الله ورحمة ثم الايقان والصديقية والصديقون هم الذين صفوا من اكدارهم فاعلو
في درجاتهم وهذا كله مفهوم من خطاب القران العزيز شاهد ما تقدم من ذكره منه
مثل قوله العلي وما يستوي الاعمى والبصير الجاهل والعالم ولا الظلمات ولا النور الالهة
الباطلة ولا له الحق عز جلاله وتعلى علاؤه وشانه ولا الظل ولا الحرور اي الجنة
والنار وما يستوي الاحياء ولا الاموات الكفار والمؤمنون وعلى دركات هؤلاء
في الكفر ودرجات هؤلاء في الايمان كما تقدم ذكره ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع
من في القبور الى قوله الحق الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا
الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه فذكر جل ذكره الماء ينزل من السماء الى الارض واحدا طاهرا
مطهرا ثم ذكر ما يكون من ذلك الماء على طهارته ووحدته وما ينفصل اليه في الارض
من اجل تنوعها في نفسها من حزنها وسهلها وطيبها وخبيثها ومذاقات مطاعم
واختلاف روايح ثم كذلك حيوانها ونباتها واناسيها باختلاف ذلك كله في انواع
وشؤنه كلها ثم قال جل جلاله بعد ذلك كذلك اي كذلك الهداية فيما كان عن ذلك
والتقى والفهم والديانات والخشية لله عز وجل اي كذلك تختلف اغراضهم
واخلاقهم وخلقهم بتوابع ذلك كله فيهم كما اختلفوا في بقاع الارض ونباتها
وحيوانها وما كان بدؤهم منه ونشئهم وقد تقدم ان الدنيا حذيت من الدار الاخرة
سراؤها وضراؤها فسراؤها من جنبة الفتح وهو منتزع مما هو الجنة وضراؤها
من جنبة القبح وهو تنفس جهنم اعاذنا الله الرحيم الكريم منها برحمته ولكل واحدة
اعني الجنة والنار من الخليقة بنون فلابد ولا محالة ان يخرج الشبه في البنين لكن
مشية الله عز وجل جلاله وتعالى علاؤه وشانه هي العالية وكلمته هي المتممة

بسنته والله غالب على امره يضع ويرفع ويقدم ويؤخر ويعطي ويمنع ويهدي
ويضل وهو العليم الحكيم فلم يكن الله جل جلاله ليجعل كلامه الكريم ظاهرا
كله مفصلا كله للحكمة والحكم التي له في كلامه ولئلا يصل الى فهم رفيع خطابه
الا من صرف همته اليه وعطف بجد من ذاته على التفكر فيه والتدبر له وتابع النظر
واعتبر فينزل كلا من ثوابه حيث انزل نفسه من الجد والاجتهاد في تعرف معاني
خطابه ولما تقدم ذكره ايضا من علمه بخلقه في اخلاقهم وتفاوتهم في هممهم
وعلمه الاكثر منهم لاجل ذلك وتقدمهم في تمييزهم وافكارهم وتعذر النظر على بعضهم
لتفاوتهم في درجات الفهم عنه للغالب عليهم في اصل تركيبهم وتفاضلهم ايضا في درجات
الخصوصية من قبيل الهبات والهدايات اذ منهم الجاهل البهيمي الذي لا يخطر على باله
ولا يجوز في فكره الا ما ادركه حسا وشاهده عيانا ومنهم الفطن الغائص المميز ومنهم
الملهم المحدث ومنهم المتوسط الحال وما لا تحصره العبارات من الوسائط فجعل الباري
جل ذكره من كلامه الظاهر الجلي والنص المرفع في البيان الى اقصى غاياته كالجسمانيات
في الوجود والظواهر وجعل منه ايضا كهيئة المكنون كالروحانيات في موجودات الغيب
ومنه المتوسط بين الظواهر والبواطن اخذ كل بحظه من كلا الطرفين ليصل اهل
القران من معرفة كلام ربهم جل جلاله الى حظوظهم المقسومة لهم كل يغرف له من نهره
ويسقى منه بكاسه قال سبحانه يخاطب رسوله بخطاب المواجهة ذلك نتلوه عليك من الايات
والذكر الحكيم وقال نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق ثم قال عز من قائل لقوم
يؤمنون فالمواجهة بهذا الخطاب هو رسول الله ليبلغ الى امته ما لقنه واوحى اليه وكعبد وارث
للنبي فلذلك ينبغي للعبد الموفق ان يشهد في تلاوته القران ان ربه يخاطبه بالكلام وانه
سبحانه متكلم على لسان هذا العبد بكلام نفسه كما جاء عن الله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه قل فيما وصف محمد رسوله اجعل كلامي على فيك فعلى هذا
ليس للعبد في كلام ربه كلام وانما جعل له حركة اللسان بوصفه ليتيسر الذكر بلسانه
ويظهره به بحكمه له في ذلك فحروف الكتابة حد للعبد ومكان للقراءة والمقرو هو كلام
الله يلقيه على لسان عبده وكما البيت الحرام قبلة للمصلي والوجه في ذلك للمعبود العلي
الكبير وكما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام ناداه ربه منها وكلمه من تلقائها
كذلك القراءة حال للعبد ومكان له وهو في حالة تلك يلقى المقرو من لدن حكيم عليم
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى اخره وهذه هي التلاوة العليا
الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فتطلب هذا واسم بهمتك
صعدا وجاهد نفسك وعدوك على ذلك والله المستعان ولا قوة الا به فانه كما تلقى
الرسول القران من لدن الحليم العليم جل ذكره فقد جعلك وارثا فتطلب ذلك لتلقى
حظك المجعول لك بالوراثة فانك لا ممكن كذلك حجبت عنها ولحكم الوراثة سوى ان
الا ترى الوراثة حكمها للاقرب من الموروث فالاقرب والقرب هنا بالتشبه بالموروث
والانتساب اليه كما قال ابراهيم الخليل صلوات الله عليه فمن تبعني فانه مني ومن عصاني

فانك غفور رحيم الا انه جل جلاله يقول نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق
لقوم يؤمنون انا انزلناه قرانا عربيا لقوم يعقلون فتفهم نفهم وتعلم تعلم
يسر الله لنا ولك بيسر كل عسير في البلوغ الى منال رضوانه انه هو العليم الحكيم البر الكريم

ابتدا بقوله العلي جل وعلا

بسم الله الرحمن الرحيم روت عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا افتتح الصلوة في الليل وحكت قراءته كان يمد بها صوته بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين يقف في راس كل
اية به وروى غير عائشة بمثل ذلك في وصل اية بسم الله الرحمن الرحيم بقوله الحمد لله
رب العالمين وروى ايضا انه كان يفتتح صلاة الفريضة بالحمد لله رب العالمين وكثير
ما روي عنه هذه الرواية وقد امرنا عنه جل وعز ان يسم الله تعالى عند بداءتنا
في امورنا وشروعنا في شؤننا كلها وان نحمده عند فراغنا منها وربما كانت قراءته
اياها اعني بسم الله الرحمن الرحيم ليستعين بها على الفهم عن ربه وليبلغ عنه ذلك
الى امته الطالبين العلم والفهم عنه فان سطر باسم الله هو القران العظيم واما قراءة
العبد بتفكر وتدبر اجتمع له ذكر جميع الاسماء والصفات والبداية والنهاية اذ الاسم
معلوم منه الحلا كله واسم الله جميع الاسماء له شارحه وهو جامعها واسم الرحمن
معبر عن استوائه على العرش العظيم المحيط بجميع الخلايق اجمع رحما وعطفا وملكا
وعلى ما ياتي ذكر بعضه ان شاء الله وقد تقدم من ذلك في كتاب شرح الاسماء ما يغني الفطن
اللبيب ثم اذا قال العبد بعد ذلك الحمد لله رب العالمين عم ذكره هذا كل شيء وهو
العبد الكلي لذلك والله اعلم بما بلغ رسوله بقوله عند ذلك حمدني عبدي اي اذ حمده
اياي قد عم كل شيء موجود ومذكور فله اجر كل حمد العالمين بقول العبد الرحمن الرحيم
يقول الله جل من قائل اثنى على عبدي اي اثنى علي في ربوبيته ورحمانيته بالرحمة والعطف
والوصل والحنان والاحسان والامتنان والحلم والكرم والخلق والرزق والحفظ
والكلاءة هكذا الى جميع ما انا عليه بفعل المربي والكفيل والرحم والرحيم يقول
العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي الرحمن هو الذي على العرش استوى
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن
فمن هذه الاوصاف انه الملك وانه هو الرحيم وهو الرحمن وهو الرب وهو المحسن
والمجمل وهو العظيم ذو العرش المجيد فهو الملك الحق وربما قال العبد مالك يوم
الدين يقول الله جل جلاله فوض الي عبدي لما وصفه بانه مالك يوم الدين عاجلا
واجلا وانه مالك كل شيء شهد له جل جلاله بالتفويض والتفويض هو روح
التوكل واعلاه لذلك وصل بهذا قوله اياك نعبد واياك نستعين فوض
اليه العبد وتوكل عليه في شانه كله وتعبد له وحده مخلصا بخطاب مواجهة يقول
الله جل جلاله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فقوله بسم الله الرحمن
الرحيم جمع القران وقوله الحمد لله رب العالمين الى اخرها شارح له كما ان الكل

كله شارح لسورة ام القران ولهذا سميت بام القران وهذه جملة تفصل
بما ياتي بعد ان شاء الله تعالى فقوي الرجاء لقارئ ام القران ان جميع الحامدين
وجميع المثنين وجميع اجر المجدين والمفوضين والعابدين من الحول والقوة وهم
المتوكلون هذا اذا قراها بعلم ومشاهدة وحال يقين قال عليه السلام اوتيت جوامع
الكلم وقال له الملك عليهما السلام ابشر يا محمد بقرانين اوتيته لم يعطه احد قبلك
فاتحة الكتاب واواخر سورة البقرة لن يقرا بحرف منها الا اعطيته **فصل**
اختلف علماء السلف رضي الله عنهم في الاسم ما هو اهو اسم المسمى ام غير المسمى وكثر
الداخلون في الكلام لذلك وطال الامر وخلف الخلاف في ذلك السلف فنسي المبدأ
او وصل لذلك الاكثر عن القصد وترك المنهج جانبا هذا على اتفاقهم ان المسمى
هو المقصود بالخطاب المطلوب علمه ثم وقع الاختلاف بعد اهو هو ام غيره باي وجه
من وجوه القصد قصد وقد اشبعنا الكلام فيه في غير هذا الموضع بمبلغ الطاقة
وانه من السمو والعلا وان اكثر اسماء المحدثين من السمة والعلامة لعلل الاعلام
والتمييز له من غيره وانه انما يكون المسمى اذا كان مفهوم الاسم حقيقة المسمى
ونحن الان في هذه الغيبة عنه والسجن الذي حبسنا فيه عنه جل جلاله وهذه
الدار موسسة على الايمان بالغيب لما قضى به من المحنة والابتلاء فاقام لنا عز
جلاله غيب حضوره بالاخبار عنه والاعلام به مقام المشاهدة والذكر مقام المذكور
والاسم مقام المسمى كقوله فسبح باسم ربك العظيم واقرب من هذا قوله سبح اسم
ربك الاعلى واقام العلم به والمعرفة مقام الرؤية والخبر مقام المخبر ثم اطلع الالباب
على سر المراد بقوله ادعوني استجب لكم وقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقوله اذكروني
اذكركم وقوله انا مع من طلبني وحيث ما طلبني عبدي وجدني وقوله وهو معكم اينما كنتم
وهذا كثير يخبر في هذا عن وجود له خاص مع عباده المؤمنين زائد على وجوده
العلي بالخلق والامر الذي اعلم به في قوله الحق هو الاول والاخر والظاهر والباطن
ومعهود بتقرر الشرع ووجود الوحي انه اقرب الى العباد من انفسهم وذواتهم
اليهم كذلك شانه وامره في سائر الوجود فاسماؤه جل جلاله من هذه الجهة
هي هو الا ترى انه كان جل جلاله في احدية ازله فلما اوجد الموجودات جميعا هو ايضا هو
ومعها من حيث هو عز جلاله خلقا وامرا ثم ولاية لمن شاء بذلك عبارة عن روح
منه يؤيده به والى يجعله فيه وقد تعرف الينا جل جلاله بما له في الخليقة من خلق وامر
وتسمى بذلك ثم بما له من المؤمنين من الخير بما له في الولي من روح خاص له
وفيه وانه مع كل شيء بما هو لا اله الا هو له المثل الاعلى في السموات والارض هذا وصفه
ووجود حقيقته بما هو من غير ظرفية ولا معية ولا صحبة هو الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كان ضياء الشمس ونور القمر الواقعان على ما
وقعا عليه من الموجودات يقال له شمس وقمر فالله اعلا علا واحق حقيقة وجود
فافهم **فصل** كل ما عبر عنه باسم الالوهية او غيره من الاسماء فهو انه

لاتغاير في الاسماء من حيث هي اسماء انما التغاير في مقتضياتها وفي المفهوم
من ذلك حيث قال الله عز من قائل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعو
فله الاسماء الحسنى **فصل** الاسماء قد سرت ممالكها من العالم سلوك
الارواح في الاجسام وحلت منه محل الامر من الخلق ولزمته لزوم الاعراض
للاجسام فما من موجود دق وجل علا او سفل الا واسماء الله جل ذكره محيطة به
عينا ومعنى ومقتضى اسم الالهية جامع لمعاني سائر الاسماء قسم الله تعالى العالم كله
الى امر وخلق ثم من الاسماء الى الحي والقيوم ايجادا وامساكا والى اسم الرب والرحمن
رحمة ووصلا واسر ممالك الاسماء في مقتضياتها وعلى ذلك تفاوت المقتضيات
لا في انفسها سبحانه والحمد هو الاحد لذاته الواحد الاسماء والصفات **فصل**
جعل الله جل ذكره كلمة بسم الله الرحمن الرحيم كما تقدم من ذكر ذلك في بداية
كتابه العزيز واوائل سورة وعند بدايات كتبنا وكذلك عند بدايات امورنا
كلها كالاكل والشرب والنكاح والزكاة والحركة والسكون والنوم واليقظة
منه الى غير ذلك وكذلك كلمة الحمد لله رب العالمين جعلها في اواخر اعمالنا كلها
وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام قال للاضياف الكرام المكرمين صلوات الله عليهم اجمعين
لما قرب اليهم القرى عجلا حنيذا كلوا بحقه قالوا وما حقه قال لو تسموا الله اذا
بداتم واحمدوه اذا فرغتم قالوا لهذا اتخذك الله خليلا وقال جل جلاله اركبوا
فيها بسم الله مجراها ومرسيها وقال في بدء التنزيل ومفتتح الوحي اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الانسان من علق وقد تقدم الكلام في ذلك على ما سياتي به في موضع
ان شاء الله ثم ما من امر اوجب ان يسمى في بدايته او ندب اليه الا جعل كلمة الحمد لله رب
العالمين في نهايته **فصل** جاء في الصحيح الماثور ان جبريل ورسول الله
صلوات الله وسلامه عليهما كانا قاعدين معا اذ سمع جبريل نقيضا في السماء فنظر
فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط فنزل منه ملك قال وهذا ملك نزل
اليوم الى الارض لم ينزل اليها قط فلما نزل قال يا محمد ابشر بنورين اوتيتهما من كنز تحت
العرش لم يعطه نبي قبلك سورة ام القران وخواتم سورة البقرة لن تقرأ بحرف
منه الا اوتيته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لما استوى
على العرش كتب على نفسه كتابا فيه ان رحمتي سبقت غضبي وفي اخرى غلبت مكان
سبقت وفي اخرى تسبق وتغلب بلفظ المستقبل واما تسبيقه هنا كلمة بسم الله
الرحمن الرحيم فما اراه الا ان الاخر من فعله دليل على اوله والنهاية اية على البداية
وانه وهو اعلم بحكمه وبما نزله هو مفتتح اللوح المحفوظ وما يكون معبرا عنه كتب
ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة المعنى فكان هذا من سبق رحمة الله
على اسماء غضبه اسمه الله جل ذكره جامع لجميع الاسماء وكلها شاهدة معبرة
عنه صمن جل جلاله هذا الاسم العالم كله علوه وسفله بما هو فيه من عجايبه وغرايبه

ثم قسم الله ما يفصل اليه كما تقدم ذكره عالم خلق وعالم امر جعل عالم الخلق
الامر الحاكم على عالم الخلق اذ كان يلي اسم الالوهية في المرتبة العليا **فصل**
قال الله جل من قائل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
فعطف الامر بالتذكر على معنى التدبر والتدبر هو لاي القران والتذكر لاي اللوح
المحفوظ وهو الذي لا ريب فيه اذ نسخته سماء وارض وافلاك وليل ونهار وشمس وقمر
ونجوم كل ذلك في مطالع ومغارب ودنيا واخرة وحيوة وموت وارزاق واعمال
وانا موقتة كل ذلك كتب للقلم الاول العلي بمقادير ذلك كله واجاله وكيف ولم وبم
بجميع توابع ذلك قال الله جل ثناؤه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
ثم ليعبروا بما علموه في هذه الدار الى الدار الاخرة فيتذكروا بذلك العلم بالله والمعرفة
ويؤمنوا بالاخرة وبما فيها هنالك من وجود مرغوب ومرهوب بوعد ما في هذا القران
ووعيد كذلك لا يتم تدبر اي القران للمتدبرين حتى يتعرضوا بنظرهم الصافي وبصائرهم
النافذة الى كل ما خلقه الله جل ذكره قال الله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم **فصل** كما فصل مجمل اللوح
المحفوظ باظهار ما اظهره من الموجودات لوحا بعد لوح وعالما عالما على اختلاف ذلك
كله واتفاقها اذ كان المكتوب هو علمه نص عليه بقوله لكن الله يشهد بما انزل اليك
انزله بعلمه وقال للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب ما هو كائن فكتب فعلمه
متضمن جميع ما اوجده وما لم يوجده بعد مجملا فصله تفصيلا كذلك ايضا
فصل مجمل كتابه الذي هو القران العزيز الذي هو علمه من مكتوب اللوح المحفوظ
يقول الله جل جلاله وتعالى علوه وشانا بل هو قران مجيد في لوح محفوظ ففصل
علمه فيه عن مجمل معلومه في جميع ما اظهره من كلام وانزله من كتاب او ارسله من رسول
او ضربه من مثل او قصه من قصص او امر او نهي او وعد او وعيد وعلى جميع معاني
القران الحكيم وضروب خطابه قال عز من قائل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم
هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله الى اخره فعلم القران لا يتم الا
في الدار الاخرة وعلوم اهل تلك الدار فيه متقاربة على مقدار تفاوتهم في علمه فيما
هنا فاعلم **فصل** كان من حكمة العليم الحكيم عز جلاله لما ان قصر ابصار عباده
عن رؤيته بجلاله شانا عن ادراك في هذه الدار بوهم او تصور في نفس او لحاق بفكر
وضع لهم ادراكا في الوصول الى وحدانيته في ربوبيته والاهيته وارتقاء الى البلوغ الى حقيقة
ربوبيته بان اشهدهم في البدء الاول على وحدانيته وعلى ربوبيته وعبوديتهم تقدير
من عزيز عليم وكان من لطفه جل جلاله وجميل صنعه ان اظهر لعباده من معلوم علمه
وموجود قدرته مقدار ما احتملته عقولهم ليصل اليهم بجبلة جبلهم وبفطرته التي
فطرهم عليها معرفته واشهدهم مشاهدتهم يومئذ فشهدوا بها على انفسهم وله بالحق
ثم اشهدهم الان مشاهدتهم بان اظهر لهم من اسمائه اسم الله وعرفهم به من اجله

وضمنه العالم كله باسره وجعل ذلك مقدارا لما يشاء ايجاده وخلق السموات
والارض وما بينهما بالحق وهو مقتضى اسمائه وما هو المصير اليه في تلك الدار فوقفوا بذلك
على تحقيق ما قررهم عليه وحقيقة ما شهد وابو منذ سبحانه انار الايات واستشهد
بالشواهد فادت البينات واوضحت البراهين فعقلت العقول وعلمت الالباب الحق لا تصال
بالحق الموصل الى الحق المبين فلهذا ابصار بصائر الموقنين تنظر اليه الان من وراء حجب
شفاف لولا رداء الكبرياء منعها من التثبيت واجلال العظمة نفصر بها عن التبيين
وهذه ابنه على اتمام النعمة منه عليهم بالرؤية العلية والقرب المكين في الدار الاخرة

سورة ام القران

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل ثناؤه الحمد لله رب العالمين الى اخر سورة
قرئ الحمد لله بالنصب على المصدر والحمد لله بضم الدال واللام على الاتباع وبكسرهما
ايضا لهما على الاتباع مالك يوم الدين قرأ بذلك الكوفيون مالك يوم الدين بالالف
ونصب الكاف على النداء وقرأ بذلك جماعة وجلة من الائمة ملك يوم الدين بكسر اللام
ونصب الكاف على النداء ايضا ملك يوم الدين بنصب الكاف والميم من يوم جعله
فعلا ملك يوم الدين بفتح اللام والميم من ملك جعله ايضا فعلا اياك بتخفيف
الياء في الحرفين جميعا اياك بفتح الهمزة منهما هياك وهياك في الحرفين ابدل
من الهمزة هاء نستعين بكسر النون وهي لغة اهدنا صراطا مستقيما بغير الف
ولام وقرأه جعفر بن محمد الصادق رحمة الله عليه اهدنا صراط من انعمت عليه غير
المغضوب عليهم ولا الضالين حكى عنه بنصب الراء من غير ثابت البناني بصرنا
الصراط المستقيم ايوب السختياني الضألين بالهمز لئلا يجمع بين ساكنين

فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب رضي الله عنه اني لارجو
ان لا تخرج من المسجد حتى اعلمك سورة ما انزل الله في القران ولا في التورية ولا في
الانجيل مثلها وفي اخرى قال ابي بينا انا اصلي في المسجد اذ دعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامهلت حتى اتممت صلاتي ثم اتيته فقال لم لم تجبني حين ناديتك فقلت
يا رسول الله كنت اصلي فقال الم يقل الله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم الاية قال فقلت يا رسول الله لا اعود فقال لي لاعلمنك سورة
ما انزل في القران ولا في التورية ولا في الانجيل مثلها قال ابي فجعلت ابطئ في المشي
رجاء ان يخبرني بها فلما جئت باب المسجد قلت يا رسول الله السورة التي وعدتني بها
قال لي كيف تقرأ اذا افتتحت الصلوة فقرأت الحمد لله رب العالمين الى اخرها فقال
هذه هي وهي السبع المثاني والقران العظيم الذي اعطيته وفي اخرى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه وهي ام القران ام الكتاب وهي السبع المثاني والقران العظيم الذي
اعطيت وفي اخرى وسبع من المثاني مصداق هذه الرواية قوله عز من قائل ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم وانما قيل لها ام القران لان القران كله
من اوله الى اخره يوم ما فيها وقيل لها ام الكتاب لي اللوح المحفوظ لان اللوح المحفوظ

يؤم بالكتب جملة وتفصيلا ما جاء فيها اذ الحمد معرفا هو المعهود والذي هو لله
عز وجل جامع لكل ثناء وحمد مقولا ومتوهم لله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه
واسم الله جامع بجميع الاسماء والاسماء بما هي مقتضياتها في المقادير والكون قال
الله عز وجل للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب علمي في خلقي اي معلوم على انزله
بعلم ما علموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو وقال ايضا للقلم اكتب قال يا رب وما
اكتب قال اكتب المقادير يقول الله جل ذكره الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام
وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار وقال ايضا للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب قال
اكتب ما هو كائن فكتب في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ كل شيء قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله وفي اخرى ولم يكن شيء معه وكتب في الذكر كل شيء
فكل الكائنات هو المعرف بكل شيء وهو المعنى بقوله الحق وخلق كل شيء فقدره تقديرا فكل
شيء يوم قوله الحق الحمد لله رب العالمين تفصيلا وذكرى واثباتا فصل ام القران
سبعة فصول وسبع ايات مشهور ذلك من عددها وهي ايضا سبعة اسماء خمسة
ظاهرة اسم الله جل ذكره واسم الرب والرحمن الرحيم الملك واسم المفهوم
من صفة الحمد الحميد واسم المستجن بين الصفة والاسم من قوله الحمد لله والرحمن الرحيم
وهو ما اعلنه في قولك اياك نعبد واياك نستعين وهذا هو القران العظيم الذي اعطيه
صلى الله عليه وسلم وقد اشار اليه بقوله عليه السلام وهو القران العظيم الذي اعطيت هذه
السبعة الاسماء ايضا هي السبع المثاني وهي الاول بالمراد وبلغ هي الايات السبع وعدد
اية بسم الله الرحمن الرحيم فيها باية وهذا يؤيد ما تقدم ذكره واسماء الله جل ثناؤه
في القران تزيد على المائة تنبيها في رؤس الاي وفي اثباتها هي القران العظيم حيث جاء
اسم وذكره ذكرا كان او تمجيدا وتعريفا بها وكيف جاءت اسماؤه فهو القران العظيم فافهم
قال الله جل من قائل لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية
الله ثم قال عز من قائل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ثم جعل يتشوق
ذكر اسمائه العظام الى اخر السورة فما معنى قوله جل ذكره ولقد اتيناك سبعا من المثاني
والقران العظيم والقران كله عظيم انه لم يكن مقصود هذا الخطاب ذكر اسمه وصفاته
لكن كلام الله جل وعز وسع ذلك كله وكذلك قال جل من قائل كذلك ارسلناك
في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل
هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ثم قال جل وعز ولو ان قرانا سيرت
به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وحذف ما معناه لكان هذا وما شاء وهو
اعلم بما ينزل فالسبعة الفصول مثاني والسبعة الاسماء مثاني واي القران كلها
مثاني من المثاني قد نص على هذا في قوله عز قوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
ما علمك جل وعز ان ذكره في القران اسماء وصفات تنشئ على انواع الخطاب عليها تقشعر
جلودهم لهذا وتلين لهذا وفي هذا البيان البين لما نحن بسبيل تبيينه من القران

ووفق لقبول الصواب من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بن كعب رضي الله عنه
اخبرني باي اية في القران هي اعظم او قال اخبرني باي اية اعظم في القران قال فقلت
اية الكرسي يا رسول الله قال فضرب بيده على صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر
واشارته صلى الله عليه وسلم الى موضع العلم منه وكناه تعظيما منه لحرمة العلم بما
هو القران العظيم الذي علمه الله وهناه بذلك ومتى تدبرنا اية الكرسي وتطلبنا
المعنى الذي لاجله عظمت لم نجد الا انها وصف لصفة الله جل جلاله ومن بالغ
في البحث الفاها مشتملة على الفصول السبعة التي جمعت الاسماء كلها كما تقدم في شرح
الاسماء فعظمت الاية لعظم قدر ذكر الله جل ذكره وعظم قدر اسمائه وصفاته ولذلك
ايضا عظم قدر سورة الاخلاص ولعظم قدر اسمائه لو انزلت على جبل لخشع وتصدع من خشية الله ولعظم
قدرها افرد لذكرها وصفها وامتن بها على رسوله صلى الله عليه وسلم في مفتتح سورة طه صدر في اولها بحرفين
من الحروف الجامعة للاسماء كثيرة ثم استاق ذكر الاسماء والصفات الى قوله جل قوله
الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ثم انشا جل ذكره حديث موسى صلى الله عليه وسلم بما فيه
من الذكر العظيم على المخاطبة والمشاهدة ثم ذكر جل ذكره الاصطفاء والرسالة
وقص ما استاق فيها باحسن القصص كالمعهود منه الى قوله كذلك نقص عليك
من انباء ما قد سبق ثم قال جل قوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا فذكر القصص وافرد
للذكر ذكرا واضافه اليه وكان اقرب الذكر اليه قوله انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع
كل شيء علما بما وعد جل وعز من اعرض عنه كما اوعد بعد هذا بقوله ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وهذا لا يوصل اليه الا بدءاب الفكر
ومواصلة التذكر وبتنوير كفران مع التدبر لذلك قال عز من قائل وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقد قيل لو قريت ام القران على ميت يحيى ما كان
ذلك تعجب لان الحمد اسم من اسماء الله جل وعز وكذلك سائر الحروف ومصداق
ما قاله هذا القائل رضي الله عنا وعنه في قول الله جل ثناؤه وقد ذكر قول الكفار
لولا انزل عليه اية من ربه الى قوله كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم
الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
متاب ثم قال مخبرا عن عظم ذكر اسمائه وكبر ذكره ولو ان قرانا سيرت به الجبال
او قطعت به الارض او كلم به الموتى وحذف هنا ما معناه لكان هذا او ما هو علم به
مما هو معبر عنه من دعاء الخليقة غيبا وشهادة الى الطاعة برعاية الاسماء ثم قال
بعد هذا بل لله الامر جميعا يقول الله جل قوله وانما الامر كله بمشية الله جل ذكره في انفاذ
المراد وفي الاسماء كلها بجمعها المشية في انفاذ المراد بها ما شاء الله من ذلك كان
وما لم يشا لم يكن ذلك قوله عز وجل افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا بمشية الله جل ذكره في اسمائه ينفذ الامر والحكم وبها يكون الوجود
للجزم وهذا الذكر هو المشار اليه بقوله الحق ولذكر الله اكبر اي ان ذكر الله في الصلوة
اكبر من الصلوة ذلك الذكر اذ ذكره الله واخص قلب العبد نهاه عن الفحشاء

والمنكر بقول الله عز من قائل انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري
اي ليذكرني فيها واذكرك وعلى الحرف الاخر اقم الصلوة للذكرى فخاطب رسوله
صلى الله عليه وسلم بالتعريف ليفشو ذلك في عرفان الوحي ومعلوم كنبوة وفضل
الذكر مشهور حتى لقد فاتت فضائله العقول وقد قال اهل الغلبة من الاشياخ
رضي الله عنا وعنهم ما جاء في فضل ثواب الذكر لا يعلم نسبته ولا يوجد لايمانه الا بسببها
ذلك من اجل بركة حضور المذكور حيث الذكر وفي بعض ما ذكرنا دليل على ما عنه امسكنا
هذا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم فاستفتحوا
الابواب وارتقوا في الاسباب علمنا الله واياكم واجزل حظنا وحظكم من معرفته واحسن
عوننا جميعا على ذكره وشكره وحسن عبادته **فصل** كما وجد جل جلاله العالم كله
عن اسمائه وقسمه قسمين امر وخلق فكذلك انزل القران العزيز على هذه وقسم معناه
الى شهادتين شهادة الوهيته وشهادة رسالته قال الله عز وجل وذكر اشراك الكفار
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون الى قوله هذا ذكر من معي وهذا ذكر من قبلي الى قوله
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون فاخبر جل
ذكره بصدق محمد انه نحو ما ارسل به الرسل وانزل به الكتب شهادة ان لا اله الا الله
والاقرار بالرسالة وكشهادة للرسل والاقتداء به فيما يامرهم به وينهاهم عنه عبر عن
هذه الجملة بقوله عز وجل فاعبدون وقال جل قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله وكذلك ما حكاه عن كتاب نبيه سليمان عليه السلام الى صاحبة سبا انه من سليمان
هذا عنوانه ثم قال وانه اي محكم ما فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا الاقرار بالربوبية
والالهية والاسماء والصفات الا تعلوا علي واتوني مسلمين هذا معبر عن الاذعان
لله عز وجل ثم للرسول المرسل والامر بطاعته والاقتداء به ابتغاء رضوان الله
والعمل بطاعته وكل رسول ارسله الى امة من الامم فما كان قولهم لامهم ما معناه اتقوا
الله ما لكم من اله غيره واتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم الصراط المستقيم عبادة الله وحده وطاعة الرسول ثم ينقسم ما جاء به الرسول
عن الله جل ذكره الى قسمين بشارة ونذارة بجميع انواع الخطاب المعبر عن هذا وهذا
امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وسع ذلك كله اسماء الله جل ثناؤه ثم جميع الاسماء الى
ما ينفصل اليه القران من معنى وخطاب معبر عنه **تنبيه** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله كتب على نفسه كتابا قبل ان يخلق خلقه يجمع بين الفصتين ان رحمتي سبقت
غضبي مصداق هذا قوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو
عقاب اليم نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم كذلك اخبر
عنه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قال في ازل حديثه انا الله لا اله الا انا سبقت
رحمتي غضبي وفي اخرى كان الله كتب على نفسه كتابا يوم استوى على العرش ان رحمتي تسبق
غضبي هكذا بلفظ الاستقبال وجود معنى هذا الكتاب العظيم تسبيقه كلمة بسم الله

الرحمن الرحيم في بداية امورنا كلها وختمه ايّاها بكلمة الحمد لله رب العالمين كذلك
تسبيقه في قرائتنا سورة الحمد لله رب العالمين نصّ على ذلك بقوله الحق كتب ربكم على نفسه
الرحمة وقوله جل قوله ورحمتي وسعت كل شيء وقول الملائكة صلوات الله وسلامه
على جميعهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ومن ذلك ايضا خلقه عباده على فطرة
الاسلام حنفاء الى ان احتالتهم الشياطين عن دينهم بمشية الله واذنه ومن ذلك خلقه
ادم عليه السلام وبنيه على صورة الحق ثم اسكنه الجنة اولا الى ان واقع المحذور ثم خلقه
بنيه لذلك في احسن تقويم ثم يكفر من كفر منهم ويمسخ باطنا الى ما شاء من موجودات المكروه
ثم اذا اماته ثم مسخه ظاهرا وباطنا قال الله جل من قائل ثم رددناه اسفل سافلين
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هكذا وجود مقتضى هذا الكتاب العلي موجود في الوجود
كله وكان ذلك الكتاب عنوانا لملك الحكم والاعذار والامهال وما كان لاجله العفو والمغفرة
والفضل الى غير ذلك من افاعيل الكرم والاحسان وجميل الفعال وفي اخرى فيما انباء
عن ذلك الكتاب العظيم ان رحمتي تغلب غضبي نبيه قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تزال جهنم يجعل فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الرحمن فيها قدمه قال فينزوي
بعضها الى بعض وتقول قط قط قط اي حسبي حسبي ومصداق تاويل ذكره
القدم قوله عز وجل وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فتاويل القدم
هنا ما قد قدمه في قدم الامر قوله ان رحمتي تغلب غضبي اظهر ذلك في هذه الدار
تغليبه اياها بنفحة من رحمته عز جلاله كلما طغت تسعيرها وزمهريرها وجعله
الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها وتكفيره بالحسنة الواحدة عشر سيئات ومن ذلك
ايضا ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جزّا القران ثلثة اجزاء
فجعل قل هو الله احد جزء وفي اخرى فجعل سورة يس جزءا ومصداقه ما قال صلوات
الله وسلامه عليه قوله من القران قول الله جل ثناؤه وارسلنا فيهم رسولا منهم
ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وشاهد هذا في القران كثير جدا
انما هو الله جل ذكره واسماؤه وصفاته ثم الرسول وما جاء به من امر ونهي ثم النظر
والتفكر والتدبر والعبرة من شاهد الى غائب قال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه سورة يس قلب القران ومصداقه ما قال رضي الله عنه فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
وانما يعقل القلوب وتبصر مقصودها اذا عملت عملها الذي اوجدت له من التفكر
والتدبر والتذكر ونحو هذا فيما جاء من هذا البيان المبين ان ذكر اسماء الله وصفاته
والثناء عليه بما هو اهله والتحميد والتمجيد وما اشبه هذا ونحوه في جميع القران هو
الجزء الذي من اجله جعل قل هو الله احد ثلث القران ثم ما كان من ذكر معنى الرسالة
والنبوة وما جاءت به من امر ونهي ووعد ووعيد وبشارة ونذارة وما نحا نحو
هذا فهو جزء ثان ثم ما جاء من تذكير ووعظ وتذكر وتفكر ونظر واعتبار ونصب

الدلائل وجعل الشواهد على ذلك وضرب الامثال لتنبيه الفطن وتوكيد خواطر
العلم واثبات حقايق اليقين وما جرى الى ذلك واجتمع اليه مما هو منه فهو من الجزء
الذي جعل سورة يس منه جزءا ثالثا **فصل** ثم يصعد بالتفصيل الى سبعة
اجزاء سابعها الاعتبار الذي تقدم ذكره وهو مفتاح غلقها بالاضافة الى المتفكرين
والمتدبرين وفي القران العزيز وهو الالهية بصفاتها واسمائها وفي ذلك المعرفة كلها
ثم فصل الوحدانية وفيه العلم كله ثم فصل الربوبية وفي ذلك الوقوف على معرفة
النعم والتذكار بالعهد الاول واثبات الامانة التي اؤتمنوا عليها حين التزام ربقة
العبودية بشروطها والاقرار بالربوبية لوليها والتزام حقيقة التوحيد وتصديق
الرسل ووجوب الاقتداء بهم ونصرهم والتبليغ عنهم ثم فصل النبوة ومعرفة
خاصيتها وفي ذلك معرفة فرقان ما بين النبي والمتنبي ومعرفة خاصية المعجزة
من الكرامة من المعهود الجاري على العوائد وان ذلك من المقدار الغايب ومعرفة
الغايب ما هو به على الاجمال ومعرفة فرقان ما بينه وبين المعهود الحاضر المعتاد
وبين المقدور الغائب وخاصة معرفة هذا كله من الشعودة والتخييل ومعرفة
خاصة الولي والولاية والخلة من الاخوة والخلة العليا من الاصطفاء من موجود
عموم العبودية ثم فصل معرفة التعبد بما جاءت به الرسل عليهم السلام والادعان
للنبي والرسول والايمان بما جاء به من حكمة واعلام بغيب على تحيل ذلك كله وتفصيله
ثم فصل الامانة وكيف تحمل العهد والتزام الميثاق وابرام عقدته والتبري
من نقضها والتعوذ من الخيانة ونكث العهد منها وبها ثم فصل الاعتبار وهو
مفتاح غلقها من حيث العلم وموضع مزيد اليقين منها حتى يصعد الى علم اليقين
ثم الى الرؤية بعين اليقين في حقايق الايمان ثم ستفصل هذه السبعة الفصول الى ثمانية
فصل عدد اسمائه جل ذكره وعددها عدد درجات الجنة عنها انفصل العلم كله واليها
يرجع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من احصاها
دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمائة درجة ما بين الدرجتين كما
بين السماء والارض اعدهن الله للمجاهدين في سبيله وهذه الدرجات المذكورة على
عدد الاسماء المروية وهي في الجنة مما رات العين وسمعت به الاذن ثم بعد من بلغ هذا
الذي طلعوا عليه يتولون منه ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
قال الله سبحانه وله الحمد ولدينا مزيد ولله جل جلاله اسماء محامد يظهرها في تلك الدار
على فخامتها وسعتها وبقائها في اباد اباد دهرها ذلك الذي عبر عنه قوله رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم
عليه بغير حرف من وقول الله جل جلاله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين بضم
الهمزة من اخفي واسكان الياء فيكون الالف على هذا الف المتكلم تقديره ما اخفي
انا لهم من قرة اعين احاط بهذا وهذا وهذه الفصول السبعة للقران شبيهة بالفصول السبعة
للاسماء وقد تقدم ذكرها في شرح الاسماء وهي ايضا شبيهة بالايام الستة سابعها يوم الجمعة

وهو جامعها وموضع مزيدها عنه انفصلت واليه ترجع ثم على نحو ما تقدم
من العبرة في اسم التمهيد وهذه الفصول السبعة وما تفصلت اليه يرجع كلها الى فصلين
فصل الالهية وفصل النبوة ويرجعان معا الى فصل الالهية الاعلى ينتظم الاسفل
فصل ربما تمايزت هذه الفصول السبعة في القران بالنص كما قد يتمايز مثلث الاسما
في العالم بظاهر الوجود وربما رق الخطا كما قد يتشاكل الوجود ويشتبه فتمس
الحاجة الى التامل بحدة البصيرة وربما تداخلت المعاني فخفيت في اثناء تفريق
الخطاب فتنازعت المراد وتقسمت المعاني لذلك فكان للخطاب الوجهان والاكثر وربما
تباعدت المعاني وتباينت لوجود الموجودات سواء وربما تقدم خطاب وقد كان في
سياق الظاهر اولى بالتقديم وربما تاخر خطابا وقد كان التقديم اقرب الى الافهام
على موضوع سياق الظاهر لحكمة بالغة لا توقف على تحقيقها مع بادي الراي فاكثر
لذلك التمييز بين مراد ومراد على ذلك فعليك وفقك الله بالتوقف على هذا بتحقيق
النظر والتضرع الى مالك عظيم الاصطفا جل جلاله في ان يفهمك عنه واياك والعناء
بما يبدو ولا من بعض الوجوه فقد يعرض الفتن في بعض المواطن قبل التثبت والابتهال
في العصمة والضراعة في التوفيق فتودد في البحث والنظر وسله الفتح والالهام الى
الرشاد فذلك من اعظم العون لك على ما انت بسبيله **فصل** ام القران بما هي
جمعت الثلثة المعاني التي تقدم ذكرها تلك الاجزاء مجملة فيها ثم هو مفصل في القران
كله من وقف بحقيقة الفهم عن الله جل ذكره في قوله الحمد لله رب العالمين فعلم ان الحمد
جامع للمدايح كلها والثنا الحسن اجمعه فعل الله حمد وحكمه حمد واسماؤه كلها حمد وصفاته
حمد وهو الحميد المحمود وان اسم الله جامع لمعاني الاسماء كلها وان قوله رب العالمين اسم جامع
لمعاني العبودية والربوبية والوحدانية بتوابع ذلك كله وحقايقه وان العالمين معنى جامع
لكل مذكور من المخلوقين شامل لجميع الموجودات سواه اشرف بفهمه على ان كلمة بسم الله
الرحمن الرحيم ام القران كله وان قوله الحمد لله رب العالمين بعدها ام القران كله بل من فهم
الله جل ذكره علم ان كل واحدة منهما ام الكتاب المبين اذ رحمة الرحمانية عمت موجودات
الدنيا والاخرة ورحمة اسم الرحيم خاصة بالدار الاخرة للمؤمنين واسم الله جل جلاله
جامع لجميع الاسماء كلها وقد كان الله احدا صمدا لم يكن موجود سواه احد ثم اوجد
الموجودات وفطر الارضين والسموات فكان هذا الواحد الاحد الجامع لكل شيء مذكور
معدوم او موجود فكذلك اسم الله جل جلاله جامع لمعاني الاسماء الظاهرة واوجد
الموجودات على مقتضياتها فكلمة بسم الله الرحمن الرحيم ام الكتاب المبين وام كلمة
الحمد لله رب العالمين وام للقران كله وهو المعنى بقوله وهو علم اكتب علمي في خلقي
اسماؤه ومقتضاها موجود خلقه وامره وقوله الحمد لله رب العالمين ام للكتاب
المبين وام للقران الكريم وهو المعنى بقوله وهو علم اكتب ما هو كاين وحمد الحمد لله
رب العالمين قد فاتت موجودات الدنيا والاخرة اذ مدايحه عز وجل لا يبيد وحمده لا ينفد
وانما اخرج الى الوجود علمه في خلقه لا علمه بذاته جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وهو

القران العظيم الذي اعطيه صلى الله عليه وسلم **فصل** جميع ما ذكره في القران العزيز
من اسمائه امره جعلها ايات تتلى كاول سورة الحديد واخر سورة الحشر وسورة الاخلاص
واية الكرسي ونحو هذا وامره جعلها مذكورة متلوة في اثناء الايات وتارة
يختم بها الايات فتكون رؤسا لها وهو الاكثر وفي سوره تثنى بعضها على بعض في الذكر
والتلاوة في كل صلوة وكذلك ذكر الذاكر لله جل ثناؤه يثني الذاكر لله ذكره بعضه
على بعض فيردده تهليلا بعد تهليل وتسبيحا بعد تسبيح قال الله جل وعز يا ايها الذين
امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ووجد اخر هو ان الله
جل من قائل يقول اذكروني اذكركم فهو عز وجل اذا شاء ذكر عبده بان يذكره
فيذكر العبد لان ربه جل وعز ذكره بذلك فذكره هو جل ذكره جزاء لذكره
اياه وهو الاول والاخر والظاهر والباطن **فصل** الحمد لله رب العالمين
قد تقدم ان الحمد جماع المدايح كلها والالف واللام في قوله الحمد لله للتعريف وللعهد
والعهد لتعريف الحمد الذي ينبغي لعز جلاله وعلى شانه والعهد معهود حمده في كتابه
الازلي مثل البدء الاول الدهر دهر حيث لا حامد ولا محمود سواه ثم اظهر عز
وجل خلقه واظهر في ذلك حمده وحمد الحامدين له في الاولى والاخرة فالمفهوم الاول
بلا اول لهذه الحيوة الدنيا والمفهوم الاعظم لا اولية لها متصلة باخرية لا اخرية
لها وقوله رب العالمين جميع ما خلق وذرا وبرا من شيء الذي عبر عنه وخلق كل
شيء فقدره تقديرا المعبر عنه بالجملة المسمى بالعبد الكلي له الحمد في ذلك كله اولا و
اخرا ظاهرا وباطنا **فصل** نحن وان كنا نقول ان الايات ايضا مثاني اذ يثني
بعضها على بعض تلاوة ومعنى كما ان ما بين الدفتين قران عظيم وكما نقول ان القران
كله ذكر قال الله عز وجل ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم وانزلنا اليك
الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وقوله ص والقران ذي الذكر كذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اللوح المحفوظ وكتب في الذكر كل شيء فلذلك نقول ان ذكر اسماء
الله تبارك وتعالى وصفاته هو القران العظيم وان كان القران كله عظيما لكن هذا
هو الاعظم والاعرف في الذكر ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل
اي العبادة اعظم درجة عند الله قال الذاكرين الله كثيرا والذاكرات هكذا رواه
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلت له يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله
قال لو ضرب بسيفه الكفار حتى ينكسر وتخضب دما لكان الذاكر الله كثيرا افضل منه
وروى ابو الدرداء وغيره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بافضل
اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من ان تلقوا عدوكم
فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وروى عبد الله
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على وجه الارض احد يقول لا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الا كفرت عنه خطاياه ولو كانت
مثل زبد البحر وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة ومن حمد الله مائة
بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فارس في سبيل الله او قال غزا مائة غزوة
ومن هلل مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن اعتق مائة رقبة من ولد اسمعيل ومن
كبر مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يات احد في ذلك اليوم بمثل ما اتى به الا من قال
مثل ما قال او زاد على ما قال ومصداق ما قال صلوات الله وسلامه عليه من كتاب الله
جل جلاله اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
قال عز من قائل ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون يعني ما يعملون من ذنوب لا بد
من اثباتها اذ هي مقدورة قبل الكون يقول نغفرها بالذكر فذكر الله جل ذكره اكبر من
الاعمال كلها لانه ذكر اكبر مذكور ولان ذكر العبد مقترن بذكر الله هذا الذكر فكبر
قدر الذكر لله عز وجل لاجل ذلك الى ما لا غاية له يعلم قال الله عز وجل فاذكروني
اذكركم واعمال الشرايع واعمال الجوارح فيما سبيله طاعة الله يقاس بمتاع الدنيا وذكر
الله تعالى لا حد له ابدا يقاس الا بالقرب فقد آن ان يبين لك من هذا ونحوه ان ذكر
اسمائه وصفاته هو الذكر الاكبر وذكره في القران العظيم ربما يزيد هذا المعنى ايضاحا
قول الله جل قوله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها
لعبدي ولعبدي ما سال الى اخر الحديث فذكر جل وعز انه جل ذكره يذكر عبده عند ما حمده
وعند ما اثنى عليه وعند ما مجده وعند ما فوض اليه وعند ما توجه اليه بالعبادة
وطلب المعونة ثم لما وصل اليه بالمواجهة في الخطاب اعطاه سؤاله وقضى ما ربه
فذكره لما ذكره وقضى حوايجه واستجاب دعاءه لما وصل اليه وساله فكفى بهذا
الحديث بيانا وحجة لصحة قول من قال ان معنى قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم انها الاسماء التي في هذه السورة وانها بعض من كل المثاني التي هي الاسماء والصفات
والذكر لله في جميع القران انباه ايای ونفي اخاطبين يذهبان انها اللاعب اللاهي
البطال المتغافل اغفلت حظك ولهوت عن قدرك رب العالمين الرحمن الرحيم ذو الكرسي
العظيم بذكرك وشي كلامه الكريم على تلاوتك وجعل لك حظا من ذكره العلي في حضرته
العليا وقدسه الطاهر وانت على ذلك في سهوك وذهول عملك عن الاقبال وصدق
التوجه وترك الشكر على هذه المنة العظيمة انا لله وانا اليه راجعون وعند الله عز عتب
التخلف وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله ان ربنا لغفور شكور
قوله جل قوله الرحمن اسم ممنوع من سواه تبارك وتعالى خاص له لا يسمى به الا هو ودلائله
في السموات والارض ظاهرة وعلاماته وسواهده في الوجود والقران شايعة خلق الرحمن
جل جلاله مائة رحمة اهبط منها الى الارض واحدة وامسك عنده تسعة وتسعين الى ان يضم
هذه الى ما عنده ويرحم بها عباده المؤمنين وقد امتلأ العالم من هذه الرحمة كما امتلأ الجو
بهوائه والبحر بمائه العالم كله مفتقر بعضه الى بعض متعاطف بعضه على بعض متواصل بعضه
بعضا مستوكله بتسوية الرحمن الرحيم لما استوى على العرش الرحمن الحي القيوم جمعه به

العبد الكلي علوا وسفلا واستوى بتسويته اياه فكله مستوي غير متفاوت و
وقدم واخر ورفع وخفض واعطى ومنع فالعالم كله اعلاه واسفله بين حامل و
محمول بذلك تماسك الملكوت وتماسكت الرحموت ومن نظر الى بدايع الاحكام في جملة
العالم وحسن ترصيف نظامها ووقف على اطراد تصنيف الترتيب فيه وتماسك بعضه
ببعض وتعاطف بعضه على بعض واشرف مع ذلك بعلمه على قوة الضغط وشدة
الزم وشمول هذا القهر علم يقينا ان ذلك لا يكون الا من رحمن العطف والحنان
تعاطفه وما ربطه بتجاذب بعضه لبعض وفاصل ما بين بعضه وبعض وان ذلك لا يكون
الا لاحتياج كله الى كله وانه هو الغني الحميد وسواه المحتاج اليه الفقير وذلك
عن اماره كتاب كتبه جل جلاله على نفسه يوم خلق العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي
وفي اخرى يغلب غضبي وقد تقدم الكلام في الشرعية في غير هذا الكتاب واغنى
عن اعادته واما اسم الرحيم جل ذكره فبالغ من راحم ومقتضى اسم الرحمن جل
ذكره عام في الدنيا والاخرة وشامل للمؤمن والكافر والطايع والعاصي وفي الاخرة
متناول للمؤمن خاصة الا ما استثنى من ذلك بحكم المشية ومقتضى اسم الرحيم خاص
للمؤمنين قال الله جل من قائل وكان بالمؤمنين رحيما ثم هما اعني اسمي الرحمن الرحيم ظاهر
معناها حدا في الاخرة لعباده المؤمنين خاصة قال الله جل من قائل فاذا نفخ في الصور
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فاذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله عز وجل اثنى
علي عبدي اي ثنا ثنا الحسن بقوله الرحيم على قوله الرحمن وهما معا على قوله الحمد لله رب العالمين
بكريم الكفالة وعلى الكلاءة والحفظ والسعة والرحمة **فصل** وكان الله جل جلاله
ولا شيء قبله ولا موجود سواه ولما كتب في الذكر كل شيء ثم اوجد ما هو واكمل ما كتبه فكان
ذلك ثناء لفردانيته ثم استوى على العرش فحمده كل شيء باستوائه على العرش اذ حمى باستوائه
ذلك العبد الكلي واستوى اي كمل وتم كما شاء المتعالي العلي الكبير فهو جل ذكره لا يعزب عنه
من موجودات عبده الكلي والجزي مثقال ذرة في العلو ولا في السفل ولا في المنتهى ولا ما هو
اصغر من ذلك فكان حمده في غاية ذلك ثنى على حمده الاول فكان مقتضى اسم الرحمن شاملا
للجملة ومقتضى اسم الرحيم عاما للمطيعين ثم هو تعالى جامع رحمتيه بهما لعباده المؤمنين في مستقر
الثناء من الدار الاخرة **قوله** تعالى مالك يوم الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله مجدني عبدي المجد لا يكون الا بالملك وكثرة السلطان والتمكن وسعة البسط مع حسن الكفالة
وكرم السيرة مع شدة البطش على الاعداء وعظم الاحسان الى الاولياء وفي اخرى فوض
الي عبدي وقول العبد ملك يوم الدين اقرار منه بالبعث بعد الموت وايمان بالجزاء واليوم
الاخر مع العلم بالجزاء العاجل الى غير ذلك من احكام الدنيا والاخرة فيثني هذا التمجيد
على حسن ذلك الثناء وهما على التمجيد والدين متردد الى معنى الجزاء والطاعة فظاهر
مقتضى اسم مالك في هذا الموضع انه مالك لطاعة المطيعين واماتة الامنين وخلاف
المخالفين وجزائهم من ثواب وعقاب يعطي من يشاء ما شاء من ذلك ويمنع كما ان ظاهر
مقتضى ملك ان له الملك كله يومئذ ولم يزل كذلك لكن ذلك اليوم لا تملك نفس لنفس شيئا

والامر يومئذ لله وقد جعل اليوم من ذلك لمن شاء طاهر من الامر ابتلاء واختبارا كذلك
طاهر التمجيد لاسم الملك كما ان التفويض لظاهر مقتضى اسم المالك لذلك وهو علم بما
ينزل بقول مجدني عبدي فوض الي عبدي **قوله** عز وجل اياك نعبد اياك كلمة مركبة
من اربعة احرف هن حروف المعرفة الهمزة والياء والالف والكاف والهمزة صادرة
من ذات المخاطب الى الكاف التي هي لمواجهة الخطاب والياء والالف سبيل الى ذلك وود عما
لما شاد بها السر من المخاطب بالاخلاص للعبادة على حكم التوحيد المحض والتزام العبودية
والاقرار له بالربوبية الماخوذ عليه من اجلها الميثاق في العهد الاول مع اخلاص التبري
من الحول والقوة لله عز وجل من جميع ما تدعيه النفس او تنسبه الى ذاتها وفي ذلك
تعريض لطلب المعونة لمن اخلص اليه واستعان به ووجده اذ معنى ذلك واياك نستعين
اي نبرئ اليك من الحول والقوة والدعوى في منزلة توجيهها قولا وعملا وامرا من الامور
دون تجد منا لما اوليتناه من نعمتك وما تقدمت به الينا من منتك من اتقان
الصورة وصحة الجوارح وسلامة الحواس وايجادك صفاتنا كلها الموجودة بناد
استغناء منا بها عنك او معاوقة افتقارنا بها اليك ولما اظهر العبد الافتقار
وتبرا اليه من الحول والقوة حسن حاله عنده فاذن له بالسؤال **قوله** جل جلاله اهدنا
الصراط المستقيم الهداية التسديد والارشاد هذا شرح ما يحمل في قوله اياك نعبد واياك
نستعين نسئل فاعطي وله الحمد واغفل عن ذلك قلوب الكافرين واتمام النعمة في الهداية على المهدي
هو الاصابة بالحق المقصود وحلس استعماله منه والخاتمة بذلك على السنن المرتضى وكتيل
الاهدى والصراط المستقيم هو عبادة الله وحده عقدا وعملا يقترن بذلك الايمان
بالله جل ثناؤه والايمان برسله وكتبه وملائكته وجميع ما جاء من عنده من غيب وشهادة
يقترن بذلك العمل والاخلاص لله وحده وصراط الذين انعم عليهم هو هدى الانبياء
والمرسلين والصديقين والصالحين والشهداء الذين استعملهم بمحابه وختم لهم برضوانه
ولان الاعمال انما هي بالنيات فبقدر ما اتسع علم تاليها وعلت معرفته بما حوته سورة
ام الكتاب وشاهد قلبه ذكر الله فيها ومناجاته وعقل سؤاله ومن سال والى من يرغب
وتضرع اعطي سؤله بذلك جاء وعده الحق في قوله ولعبدي ما سال اعلم الله جل ذكره
ان الصلوة هي تلاوة القران على السنن المسنون فيها وام القران تمجيد وتحميد وثناء عليه
وتوحيد له بالالهية وتفويض اليه وتعبد واخلاص له في ذلك ثم دعاء وتصريح اليه
وطلب معونته وهدايته الى الصراط المستقيم صراط الله الذي انعم به على المنعم عليهم
وسؤال في ادامة ذلك وتعوذ من رده ومخالفته وجمع ذلك كله مجملا وفي القران
الحكيم مفصلا والقران كله والتعبد اجمع انما يدور على تبيان العهد الاول عهد الربوبية
المقابل بها للعبودية وعهد النبوة المقارنة للاقتداء والتسليم وحسن الاتباع
لذلك لما قررهم فاقروا واشهدهم على انفسهم فشهدوا وحملهم اصر عهده فتحملوا
قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين
فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون فاذا امن ولم يتول واقر كاقراره الاول فهو من المؤمنين

المسلمين فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال امين فوافق قوله قول الملائكة
غفر له ما تقدم من ذنبه الى اخر الذكر جمعت امين التقصيد بقوله الحمد لله رب العالمين والاستنجاز للوعد الكريم

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل الم ذلك الكتاب انتظام معناه بمعنى
ما تقدم في ام القران على تقدير كقوله انها العبد الراغب في الهداية الى الصراط المستقيم والسائل
من ربه جنس المعونة والعصمة ذلك الكتاب مطلوبك فيه ومقتضى سؤالك فاتبعه
والاقتداء به فدونك وانظر الى السموات كيف رفعهن والى الارض كيف وضعهن والى
الجبال كيف نصبهن والى الهواء في اقطار الاجواء كيف جعله والى الشمس والقمر والنجوم
كيف اجراهن والى الرياح كيف صرفهن في مختلفات مهابهن والى السحاب كيف انشاهن
وكيف يتسابقن الى ما اليه يصيرهن والى الماء كيف خلقه فيهن وكيف من له من السماء الى
الارض فيفصله الى ما اليه شاء كذلك فيما علا كذلك فيما سفل كل له طايع ولامره شيء لم يعده سواه
ولا اطاع الا اياه ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره الم تر ان الله يسجد له من في السموات
والارض والشمس والقمر والجبال والشجر والدواب وان من شيء الا يسبح بحمده لم يتثلم
من العالم قط جانب ولا نازع موجده عن اراده منه منازع بل الجميع له طايع ولامره
خاضع يتسخر بامر ربه لمن لا يطعه ويدعا الى طاعة من لا يرزقه وكذلك ايها العبد
فلتكن انت اذ كنت المعان والمعنى وبهذا كله والمخاطب والمواجه والمفضل على كثير ممن
خلق تفضيلا الا تراه قد جعل الارشاد في مقابلة الاسترشاد والمغفرة في مقابلة
الايمان والمعونة في مقابلة التبري من الحول والقوة فان استشعرت الاخلاص والمعرفة بوعد
غيب علمته الملائكة عليهم السلام فامنت عند فراغ الامام من قراءة السورة فمن وافق
تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ان شاء الله فام القران هي ام الكتاب وهو
اللوح المحفوظ محكما ولن تعد وما هو كائن الى يوم القيمة جملة ما حواه قوله الحمد لله رب
العالمين وتعالت صفات ربنا واسماؤه ان تعد وافي الكتاب وانما عبر عنها في كتاب
غير هذا الذي عبر عنه قوله اكتب على في خلقي الم ثلثة احرف منه مرسومة ظاهرة ور
رؤس وستة توالي دخلت لضرورة النطق بالمرسومة والرؤس ولما كانت الهمزة
انما دخلت لضرورة النطق بالالف لحقت بالتوالي فالتوالي اذن سبعة والمرسومة ثلثة
فهي عشرة وكانت هذه التوالي لحروف المعجمة المرسومة دلالة على تطرقها لتاليفها اذ هي
مجملة تفصلت الى ما تفصلت اليه بحكم التركيب وقد كانت مفردة في حالها ذلك ايات
على حروف الكتاب المبين **فصل** فالهمزة تعطي معناها هاهنا كما افهمته من معنى
وما اعلمته من معلوم وكذلك الالف وكذلك اللام اذ هي اوائل المعاني في كل ما دخلت
عليه كل معتبر على حدته ثم هو معتبر بتركيبه فالالف مع اللام كما افهماه من معنى
واعلما به قال الله عز وجل ذلك الكتاب والكتاب هنا واقع على القران وعلى الكتاب
الذي هو اللوح المحفوظ لحروف المعجم في هذا القران ايات على حروف ما هنالك
ودلالات عليها دل على ذلك قوله جل قوله لا ريب فيه والذي لا ريب فيه هو الكتاب المبين

اذ هو مشاهد للابصار مدرك بالعيان لمن نظر بالنور واستضاء بسراج الايمان
قال الله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين اي آيات اللوح المحفوظ ثم قال جل
قوله والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ثم انشاء يرد ذكر
آيات الكتاب المبين بقوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الى قوله ان في ذلك لآيات
لقوم يعقلون كذلك قال عز من قائل حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
ثم قال جل قوله بعد ذلك كله وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى
ومن حولها كما قال جل قوله في آخر يعني وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ثم قال
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان كذلك قال عز من قائل الر تلك آيات الكتاب
الحكيم فاذا كان ذلك كذلك فهي آيات على سواها ورؤس لما افهمته واعلمت به وهي
جامعة موعبة فالهمزة منبئة عن معنى الهمزة كله حيث وقع واكثر وقوعها للتحقيق
كقوله جل قوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدوني ونحو هذا في اوائل الكلام ولانها
بالهمزة في المرتبة في قوله الر اذ لم يكن المتصل بالرسم والنطق وانما جاء تاليتوصل
بها الى النطق بالالف فتنا ووجودها ها هنا كل همزة توسطت او جاءت تابعة
على حال من الاحوال فدلت بالدلالة الاولى على كل اسم او كلم وحكم اول النطق به همزة
وبالدلالة الثانية على كل همزة جاءت متوسطة او متاخرة وعلى هذا السبيل
تاوله حبر العرب عبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث قال الر انا الله اعلم الم انا
الله في العلم بالحروف لما سئل عن تفسير قوله جل وعز كهيعص قال لو اخبرتكم بتفسيرها
لكفرتموني وفي اخرى لكفرتم اي بتكذيبكم الحق رجع الكلام وكذلك اعتبار كل
حرف راس او تابع على سبيله ولان الهمزة مفتوحة تقدمها في الرسم الف ولام
فهي تدل بذلك زائدا على ما تقدم على كل همزة داخلة على الف ولام التعريف او حسن
كقوله في التعريف الله الرحمن الرحيم وفي الحذف الملئكة الانس الجن العالمون كذلك
كل ما افهماه واعلما به على ما تقدم وهما داخلان على كل اسم وقد حد اهل المعرفة
باللسان الاسم في بعض ما حدوه به فقالوا الاسم ما جاز ان يدخل عليه الالف واللام
ويدلان زائدا على ذلك بتاخرهما او توسطهما وبانفرادهما وباجتماعهما وكذلك
حكم الالف واللام اذا اقترنا فاذا تقدمت اللام الالف فهمتا النفي كقوله
لا اله الا الله لا شريك له ولا مثل له ولا عدل له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة
له ولا ولا هكذا فيتقدم الهمزة اللام فهمتا الالاهية والاستثناء ويتقدم الكلام
اللام في صدر الكلمة على الهمزة فهمتا النفي كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم وهو لا يضل
ولا ينسى ولا يعجزه شيء ولا يفوته شيء لا تلحقه الحوادث ولا تلحقه الدهور ولا يموت ولا يزول
ولا يحول ولا يزال هكذا كذلك للناهية وما تصرفت اليه كقوله جل قوله لا تشرك بالله شيئا
لا تظلم لا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ولا تقف ما ليس لك به علم
ونحو هذا ولذلك متى تقدمت اللام الاسم المضمر جرت له ما اضيف له فيفهمون ذلك
هو الله لا اله الا هو له الملك وله الحمد وله المجد وله العز وله السناء وله الكبرياء وله العظمة

وله العلاء وله وله هكذا ايضا تستوعب جميع معاني الحمد والمدائح كلها ما انطق
وينوي ذلك ويضيفها اليه بلام الجر ويقول هو جل وتعالى انا الله لا اله الا انا لي
الملك ولي الحمد ولي المجد كذلك ويقول في لام الجحد هو الله لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة
ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ولم يكن له نظير
ولم ولم هكذا وكذلك في المتوسطة من حروف الميم يقول الله جل من قائل وانا الله
لا اله الا انا مالك الملوك ملك الايام ذو الملك والملكوت ذو المكانة المكين ذو
المهابة المحيي المميت المعز المذل المدبر المقدم المؤخر المصور المبين المتين المقتدر
المتكبر المتعالي المؤمن المهيمن هكذا بالميم الاولية فاما دلالة الميم المتاخرة الموجودة
في حرف لام وحرف ميم فيقول هو الله لا اله الا هو الحكيم الكريم العليم الحليم العظيم الرحمن الرحيم
السميع العليم السلام ذو الحكم المنتظم والقضاء المتمادي والامر النافذ والتدبير المبرم
هكذا ويدخل في الاعتبار الاحكام والقصص وتداخل القصص ومثلث المعاني بعضها
ببعض ثم يرجع النسق بالخطاب الى اصله وفي ذلك كله الوعد والوعيد والحديث والقصص
والاحكام والامر والنهي والزجر والوعظ والجدل الى غير ذلك من انواع الخطاب فوجه كل
خطاب الى ما يوجه اليه وضم كل قول الى ما غلب عليه فكل حرف منها ينتظم ما وافقه
وكل جملة الى ما هو منها والمعنى ينتظم بالمعنى والحديث يفضي الى مثله والمعاني تجلب المعاني
وعلى حسب المجاورة يقرب الجوار بالمعنى وان تباعد وينتظم المعاني على ما هي عليه وفي
ذلك يندرج الاسماء والصفات وانواع الخطاب بتوابع ذلك وتتم السورة هكذا والله اعلم
في جملة حروف ام الكتاب غير ان تلك الحروف اعم عموما واجمع مائدة واتم وجودا واحق
حقيقة والله واسع عليم فاقض بحاضر على غائب ولما راينا المعاني تندرج في هذا
الكتاب هذا الاندراج مع تمام صور السور في انباء غرائب القصص وفرائض الاحكام واحر حاجته
ان يدفع الاعجاز في حسن ترصيع النظام وهذه الحروف مجتمعة تكيف تلك وهي دو
عليه وهو الان عز وجلا لم يفصل بهذه ما اجمله بتلك ويدبر ما اوجده **فصل**
هذه الحروف المحيطة لانها واسطة بين حروف الكتاب المبين والقرآن الحكيم لما يتكلم
على المعنى بها بما جاء معها وبعدها والمعنى الذي انت له هنا هو التعريف بالباري جل
ذكره والهداية والمطلوب من ذلك فكانما هي عبارة عن معنى الحمد وهو جامع لما هو معبر
عنه وهو ما حواه اللوح المحفوظ من وحي ووجود واضافته الى اسم الله جل ذكره
الى جميع الاسماء شاهد له الذي هو رب العالمين رب كل شيء ومليكه الرحمن الرحيم
ثم الى آخر السورة ثم سؤال الهداية والجواب عليها والوعد بها مضمر ولما كان القرآن
العزيز كله من اوله الى آخره متضمنا الاخبار عن الوجود من الوحي والعالم لم يكن تحقيق
اليقين الا بان يقترن النظر في اللوح المحفوظ بتلاوة القرآن العزيز وفي ذلك اكتساب
اوصاف الصديقين اذا اقترن بذلك العمل **فصل** عز وجل ذلك الكتاب يمكن
ان يكون اشارة الى غائب هو اللوح المحفوظ اي ان هذه الحروف هي الم آيات عليه
كما قال الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ويمكن ان ذلك اشارة الى مفهوم الم

وان ذلك المفهوم هذه الحروف ايات عليه كما تقدم فانه قد جاء ان هذا القران
انزل ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة في سماء الدنيا وذكر العزة كناية
عن عزته على الافهام ولولا تنزيل الله جل وعز اياه الى قلب الرسول ثم الى الناس كما قال
وبالحق انزلناه اى الى بيت العزة وبالحق نزل ثم قال ونزلناه تنزيلا اى اليكم فيمكن
ان يكون هذه الحروف المعجمة من حروف ذلك الكتاب المنزل الى بيت العزة فهى واسطة
بين حروف القلم الاعلى الذى هو اللوح المحفوظ وبين حروف هذه ويمكن ايضا ان يكون
حروف القلم الاعلى بنفسها ثم يفصل الى ما يفصل اليه كما قال الر كتاب احكمت اياته
ثم فصلت من لدن حكيم خبير الى اخر المعنى حيث وقع **قوله** عز وجل لا ريب فيه هدى
للمتقين الريب الشك وقد يكون الكذب وهذا وصف جامع الكتابين معا اللوح المحفوظ
والقران غير ان هذا القران قد ارتاب فيه اهل الكفر ومن لا علم عنده والكتاب
المبين ظاهر نسخته للعيان فلا مرية فيه ولا شك به اهتدى المتقون ثم بالقران
العزيز فانه من نظر في الفرقان طالبا للعلم كان من المؤمنين ومن زاد نظره
وسمت به همته الى النظر في نسخة الكتاب المبين كان من الموقنين ثم ينظر من الكتاب
المبين الى القران العزيز فيزداد ايمانا ثم ينظر منه في الكتاب المبين فيزداد يقينا
الى اليقين حتى تشرف الى معالم الصديقين وعلوم المقربين وينشرح صدره بالنور
ثم يضئ له ما بين يديه وما خلفه قال الله عز من قائل طس تلك ايات القران
وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين فالبشرى هى القران والهدى للكتابين الكتاب
المحفوظ والقران وبخاصة الكتاب المحفوظ قال الله عز وجل او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس واولئك الذين يحقق الله لهم ذلك
النور في يوم الظلمة ويظهر لهم هذا النور الذى اكتسبوه في دار الدنيا قال
الله عز وجل يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم بشراكم اليوم **فصل** اعلم
يقينا ان ما خلق الله في العالم من شئ الا وفي النبا ما ينبئ عنه ويدل عليه ويشير اليه ويشهد
له وان دق بعض الاشارات واستترت بعض الشهادات قال ذلك عام فما في العالم
الا وفي الوحى اصله وما يدل عليه كذلك ما في النبا من ذكر او تذكير او اعلام الا وفي
الوجود شاهد له ومصدق لما انبا به على ذلك من علمه وعمى عنه من عمى قال الله عز وجل
ما فرطنا في الكتاب من شئ وهذا عام في الكتابين فافهم **فصل** قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر وفي
اخرى ان جبريل صلى الله عليه وسلم اقرانى على حرف فلم ازل استزيده حتى انتهى الى
سبعة احرف وفي اخرى ان الله ارسل الى ان اقرا القران على حرف فقلت له انى ارسلت
الى العجوز والاعرابي والامى فخفف على امتى وفي اخرى فقلت اسال الله معافاته ومغفرته
وان امتى لا يطيق ذلك وفي اخرى فرددت عليه ان هون على امتى فرد الى الثانية ان
اقرا على حرفين فرددت ان هون على امتى فرد الثالثة ان اقراه على سبعة احرف
ولك بكل ردة رددتها مسالة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر

لامتي

لامتى واخرت الثالثة ليوم يرغب الى الخلق كلهم حتى ابراهيم وفي اخرى قال
له في الرابعة ان الله يامرك ان تقرا القران على سبعة احرف فايما حرف قرءوا
عليه فقد اصابوا وفي اخرى فايما حرف قرءوا عليه فهو كاف شاف غير ان لا يخلطوا
اية رحمة باية عذاب ولا اية عذاب باية رحمة وقد ذكر في تفسير ما جاء عنه من هذا وما
هذه الحروف وكونها سبعة او ثلثة او واحدة غير ما وجد فمن قائل يقول انها
حروف القرات السبع واستدلوا على ذلك بقولهم فلان يقرا على حرف فلان وفلان
يقرا على حرف ورش وابى عمرو وغيرهما في الصدر الاول وانما زمت وانتزعت
من سواها وسمى غيرها بالاضافة اليها سوادا في العصر الثالث من غير توقيف
عليها من حديث ولا قران سوى العلم بعدالة ناقليها وشهرتهم بالامانة وتلقى
القرات التى سموها شواذا ائمة وصالحون يجب المصير اليهم واقتفاء اثارهم
فدا سندوا ما قراوه منها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قائل يقول انها المعانى
فقال انزل القران على سبعة احرف زجر وامر وجدل ومثل وترغيب وترهيب
وقصص ومعنى الجدل الحجة على المشركين واحتج على صحة قوله بانها معانى بقول الله
عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف اى على الشك دون الصلة وبان حرف
كل شئ اخره وحده وهذا الراى يحتاج الى نظر اذ لو وجهنا قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله امرنى اذ اقرا القران على حرف ثم على حرفين ثم على ثلثة احرف على معنى قوله
اقرءوا القران على الامر فقط دون القصص او على القصص والامر دون المثل والزجر
والترغيب والترهيب وغير ذلك لم يكن قرانا الا في القران هو ما جمع هذه المعانى كلها
وغيرها معها اذ القراءة هو الجمع والقران هو جملة المقرو والمشتمل على ما اشتمل عليه من حروف
ومعان واقسام الخطاب وضروب الاحكام **فصل** قال الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه قال فكان جبريل
صلى الله عليه وسلم اذا جاءه فقراه عليه سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ قام
فقراه كما وعده ربه عز وجل ووصف صلى الله عليه وسلم كيف ياتيه الوحى فقال عليه السلام
احيانا ما ياتينى في مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال
وقال الله جل ذكره وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من
المنذرين الى اخر المعنى فهذا تنزيل كلام الله جل ثناؤه منه عز وجل الى ما شاء الى الروح
القدس الى الروح الامين الى قلب الرسول عليهم جميعهم السلام الى لسان الرسول المبلغ الى الناس
ومن لا يجوز عليه التركيب فكلامه غير مركب ولا مؤلف الا بحكم التنزيل الى ما شاء والكلام
المجسم المركب هو للانسان المجسم من حروف ظاهرة موزونة مصورة صورة ظاهرة بواسطة
رسول مجسم مؤلف بصورة موزونة ظاهرة وكتاب منزل الى الناس قوم على خطابهم وتفاهمهم
بحروف ظاهرة ذوات اشكال وصور ظاهرة لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وقد جاء ان القران انزل جملة ليلة القدر الى بيت العزة
في السماء الدنيا واسم بيت العزة المنزل اليه القران عبارة عن عزة حروفه وما هنا لك

وما غرب حروفه علينا امتنعنا عن النطق بما اقتضى القرآن بحروفه واشكاله بجميع
مقتضيات معانيه وما نزل اليه منها فتبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
ولو شاء الله جل جلاله لختم على قلب الرسول ولشاء ومحى الباطل ومحقه واحق الحق كما تراه انه
عليم قدير لكنه الزم رسله واختصهم بوحيه وولايته ورسالته لانه عليم قدير وقال الله
عز وجل انا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين الى قوله رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين ثم انهم مجاورة قوله رب السموات والارض وما بينهما الى ما قبله موافق لما جاء انه
انزل الى السماء الدنيا جملة وانه كان نزول ذلك تنزيلا من سماء كتنزيل الامر على سبيل سنة
والقرآن كلام الله وامره ليس بمخلوق وما ليس بمخلوق يتنزل مع مخلوق ولا بد ولا محالة بسبب
معنى الخلق ظاهر الظهوره من مخلوق وعن مخلوق ويبقى هو باطنا على ما كان من حيث هو
ليس بمخلوق والفرق بين ما هو هذا الكلام عبارة عنه اوقع القائلين بخلق القرآن فى قبيح
بدعتهم الا له الخلق والامر فتبارك الله رب العالمين وتعالت صفاته العلى عما يظنه الغالطون
علوا كبيرا **فصل** وروى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم
يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكاد ان يصلى
فكذبت اعاجله فلما فرغ لببته بردائه حتى جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الى ما له
يا عمر قلت يا رسول الله سمعت هذا تقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها فقال لى
ارسله فارسلته قال له اقرأ فقرأ التى ليت سمعته يقرؤها فقال هكذا انزلت وقال لى اقرأ
فقرأتها على غير ما اقرأنيها فقال هكذا انزلت قال فداخلنى من الشك ولا اذ كنت فى الجاهلية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر
منه واخبره صلى الله عليه وسلم عن التخفيف الذى سال ربه فى الازدياد من الحروف ولان
قد استقرت عندنا قراءة القرآن على ما استقرت عليه وكانوا بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرؤن بها نحو الفصاحة حتى خاف جميع الصحابة رضى الله عنهم تغيير القرآن عن سواد
ما نزل اليه فجمعه عثمان رضى الله عنه على مصحف واحد ثم كتبه سبع نسخ بعث الى كل مصر
نسخة وعلى ذلك استقرت القراءة اليوم ولا استقرارها على ما استقرت عليه عدم [illegible] ما انكرته
الصحابة رضى الله عن جميعهم الا ما كان من اختلاف الروايات وذلك وجه من اوجه هذه
الحروف المذكورة هى الالسنة المبعوث اليهم من الامم الداخلين فى الاسلام يقرؤن القرآن بحروفهم
والسنتهم كالعرب والفرس والقبط والانباط والروم والحبش وبنى اسرائيل والبربر وما
كان من نحوها ولا تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف عبارة
منه عن تيسير الله على عباده فى تلاوة كتابه وقراءة كلامه العظيم المنزل عليهم منه جل جلاله
الى روح القدس الى الروح الامين الى قلب الرسول عليه السلام الى الاشيا الى العرب الممتن عليهم
بقوله جل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ثم الى الامم سواهم لانه صلى الله عليه وسلم
بعث الى الاحمر والاسود والى الناس كافة ومصداق ما قاله صلى الله عليه وسلم وبلغه الينا
عن ربه عز وجل قوله عز قوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن وقوله جل قوله ولقد يسرنا القرآن
للذكر ومصداق ما جاء به الملك صلوات الله عليه وسلامه جوابا لسؤاله التخفيف عن امته

وقوله

وقوله انى بعثت الى المرأة والاعرابى والضعيف اى الذى لا يقيم حروف كلام نفسه
قوله جل من قائل لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وما
جعل عليكم فى الدين من حرج فكان معنى قوله ذلك لعمر بن الخطاب وصاحبه رضى الله عنهما
ان الله قد يسره اكثر ما تظنون فاقرؤا منه ما تيسر فخذوا تيسير ربكم ودعوا عسر
ما عندكم فيقرؤه من لا يقيم حروفه ولا يكاد يعقله ولا يحسن مخارج حروفه عند
تلاوته فربما ابدل الكاف قافا والطاء ظاء او تاء والباء ميما وتغير اكثر المخارج والله
غفور رحيم وسيدرك امم يكونون على هذا كما قال صلى الله عليه وسلم انا وافد
العرب وصهيب وافد الروم وبلال وافد الحبشة وسلمان وافد فارس قال الله
عز وجل وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث اى مهل فى حال القراءة وتمكث
الى تدارك الناس وبلوغ تتابعهم ودخولهم فى الاسلام ونزلناه تنزيلا اى من لدن
رب العالمين من ليس ككلامه كلام الى كلام المخلوقين وكلام العرب فكما تنزل ما هنالك
الى كلام العرب لهم فليس بمنكر ان ينزل ايضا من كلام العرب الى كلام اخلاط السنة العجم
ولا بد من ذلك والعود به وقد ابرزه الوجود ولا يكلف الله نفسا الا ما اتاها واما
معنى قوله سبعة احرف فانه باب لفتح الكثرة اذ الامم كثيرة والالسنة جم غفير ولكل امة
فى انفسها اختلاف فى لغاتها كالعرب لغة قريش يخالف لغة تميم فى اشياء والحارث
يخالف غيرها فى كثير وكذلك غيرها سميناه منهم والسنة الامم العجمية اشد اختلافا
فصل اية ما تقدم ذكره الماء ينزله الله من السماء واحدا فيصرفه الله جل جلاله فى الارض
الى نباتها وحيوانها على اختلاف ذلك كله وتغايره فى الوانه واشكاله وطعومه ومنافعه
ومضاره واختلاف [illegible] وتذاهبه وامره كله وكثيرا ما استشهد جل جلاله عند
افهام العقول هذه المعانى بالماء ينزل من السماء الى الارض قال الله جل من قائل وما يستوى
الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور الى قوله جل قوله الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها الاخر المعنى بهذا امره يسن به
الخلق نزله تنزيلا بعد تنزيل من علو الى سفل تنوع هذا التنويع كذلك ينزل كلام الله
كلام عباده وقلوبهم والسنتهم فاظهر على ذلك ثوابهم واعمالهم **فصل** عدد ما جاء
فى القرآن العزيز من اشكالها فى اوائل السور اربعة عشر شكلا وعدد السور التى فواتحها
الحروف تسع وعشرون سورة ولما تركبت فى منازلها ومراتبها بلغت ثمانية وسبعين
حرفا بل زادت على ذلك وقد تقدم ذكر التوابع وان فاتحة الم سبعة بلغت بتوابعها
عشرة وعلى ذلك يكون التوابع الى منتهى ما يبلغ اليه وما لم يذكر من حروف المعجم فى القرآن
اربعة عشر وهى على ما هى قد سوت ما ذكرنا منها مكان ما لم يذكر فلو ذكرت كلها لكان القرآن
اشرح والله اعلم ولو نقص من ذكر ما ذكر منها لكان اشد انغلاقا وابعد من الفهم ولكون
كلها تنطق بجميع الحروف الثمانية والعشرين حرفا فلو قصر الله جل ذكره المرأة والاعرابى
والضعيف وعامة العرب على وفاق لغة قريش لاعنتهم ذلك اشد العنت وكذلك لو قصر
جميع الامم الداخلة فى الاسلام من جميع العجم على لغة العرب واقامة مخارج حروفها وجميع

شروط تلاوتها بكان ذلك تكليف ما لا يطاق امتثاله وأما تنزيله من حيث هو مقتضى
موجود في التلاوة مكنون في الشرح الا الى الله تصير الامور **فصل** من الوجه
ان تبين معنى الهداية من تالي ام القران في قوله جل جلاله اهدنا الصراط المستقيم وكذلك
هداية المؤمنين والمتقين في قوله جل قوله هدى للمتقين وبخاصة في حال الضلوع لتوقف
على قدر عظيم الصلوة والذكر وذلك ان العبد المؤمن لما اوصله فيه تبارك وتعالى
وهو القريب المجيب الغفور الشكور الى خطاب المواجهة قوله اياك نعبد واياك نستعين
اباح له جل جلاله السؤال بقول كريم عقيب قوله ولعبدي ما سال اما شاء العبد بخاطبة مواجهة
له بالخطاب وتقربا اليه باخلاص العبادة والتوجه بها وتحقيق العبودية والتزام ذلك بقيها
ابتغاء رضوانه وتبرا اليه من حوله وقوته وعرض في ذلك بطلب المعونة من مالكه جل جلاله
ثم اظهر السؤال وابدى الضراعة اليه بالهداية الى محابه وطلب الاستقامة في طلب مرضاته
وان يلحقه في ذلك بمن انعم عليه بمراعاة عهوده واداء اماناته وتعوذ به من حيانة من
اختان اماناته ونكث عهده ان يحيق به من الضلال لغير القصد الذي هدى اليه من انعم به عليه
والغضب الذي حاق بغيره من اجل ذلك فكان في ذلك من حاله في سبيل الاعتبار شبيها بما اخبر
الله جل وعز جلاله على اوليائه في الجنة اذ يقول لهم جل جلاله ارضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى
وقد بيضت وجوهنا وادخلنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء برحمتك وقد اجرتنا من النار
فيقول لهم عز قوله تريدون شيئا ازيدكم سلوني اعطكم فيسالونه الرضى فيقول رضاي
احلكم داري وانا لكم كرامتي سلوني ازدكم ثم يقول لهم جل جلاله احللت عليكم رضاي فلا اسخط
عليكم ابدا ثم يكشف الحجاب فينظرون اليه فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم جل
جلاله وتعالى علاوه وشانه وفي اخرى فينكشف لهم عن ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بيننا السؤال في الدنيا بالهداية الى منال الرضى في الاخرة كما انتا
العلم به في الدنيا الى رؤيته في الاخرة وهو الحق الاعلى كما انتا التذكر والدعاء الى المحاضرة
والتكليم دون حجاب ولا ترجمان كما انتا العلم بموجودات الدنيا من سماء وارض وافلاك
ونجوم ونبات وانس وجان وجميع ما خلق الله من شيء ثم العلم بملكوت السموات والارض
وما بين ذلك وما علا وما سفل ثم العلم بالحق الذي خلق الله ذلك كله به الى موجودات الجنة
في الدرجات العلى منها ثم الى مشاهدة الحق المبين يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين ثم الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **فصل** التوصل
اليه جل جلاله في الدنيا هو بالعلم واليقين وذلك قد يكون ابتداء من الله جل ذكره تنبيها للعابد
واكراما له لكن المعهود من ذلك بالتذكر وعند عقيب الذكر والفكر والتدبر واستعمال الفكرة
قال الله عز من قائل وما يذكر الا اولوا الالباب وقال عز قوله تذكروا فاذا هم مبصرون
فلما ابصروا وعاينوا ما وصلوا اليه بايمانهم قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب
لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب بربنا الى اخر المعنى والصلوة بحقيقتها جمعت ذلك كله
اعني الفكر والذكر والعلم والبصيرة فيها اتقب لصفاء انوارها من اجل بركة الشهود العلي
وما جملت الضلوع له والذكر والتذكار في هذه الحيوة الدنيا على حكم الغيبة والعلم بما هو

المعبود

المعبود اليه هو الجنة الصغرى والصلوة خاصتها وسرها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المعبود اليه من هذه وهي الجنة انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ومصداق
ذلك من القران دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين وفي التذكر والتفكر وحال وجود العلم وجود الذكر لا محالة التهليل
والتسبيح والتحميد وغير ذلك من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالصلوة
شغلا وقال صلى الله عليه وسلم للاعرابي الذي علمه ما يقول في الصلوة ان هذه الصلوة
لا يصلح فيها ما يكون من كلام الناس انما هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير او كما قال
صلى الله عليه وسلم فالصلوة اذا جنة معجلة فهم في حالها بين تكبير وتهليل وتحميد
وتوحيد له وثناء عليه وهو جل ذكره على حالتهم تلك يذكرهم بذكرهم له ويثني عليهم
بذلك حتى اوصلهم اليه ودنا منهم بحيث يحجبهم عنه بمعنى بل مناجاة منه جل جلاله
لذواتهم بظهر الغيب ويمكن ان يكون انما سميت ايات ام القران والاسماء التي
فيها وفي القران مثاني لاجل تثنية ذكر الله جل ذكره على ذكرهم له قال الله عز وجل ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم اي مما اتيناك واجبناه لك من المجاملة
على حال المثنى وثني الذكر على الذكر وان الذي انبا به رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قول الله جل ثناؤه لعبده اذا قرا ام القران حمدني عبدي اثنى علي عبدي مجدني
عبدي فوض الي عبدي هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال يدل دلالة تحقيق انه عز وجل
بفضله وكرمه كذلك يقول ثنية قرا العبد غيرها من سور القران ثنية ذكره جل ذكره على ذكر
عبده له وكلامه العظيم على معنى تلاوة عبده بما يقتضيه التلاوة من معنى قال الله عز
وجل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وهذه حالة يجدونها من انفسهم في حال التلاوة
لذكرهم الله جل ذكره ولذكر الله لهم بذكرهم له على جميع ما يقتضيه التلاوة من معنى
الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب. **فصل**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يسمع مدا صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر
ولا مدر ولا حجر وفي اخرى ولا شيء الا شهد له يوم القيمة ومد صوته هو ما يصل اليه صوته الاع
يسمع صوته معا فيسمع كلا ايضا ما سمعه الى معا منه فيقول مثل ما قال ثم كذلك
الى عليين ثم كذلك الى ان يمتلي الوجود كله قولا مثل ما قاله شهادة له قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحمد لله يملا الميزان والميزان الاكبر هو عبارة عن كل شيء قال سبحان
الله نصف الميزان قال وسبحان الله والحمد لله تملا ما بين السماء والارض والسماء والارض
عبارة عن الجملة علوا وسفلا قال واذا قال الامام ولا الضالين قالت الملائكة في السماء
امين ويقول الله جل من قائل اذا ذكرني العبد في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في
ملا ذكرته في ملا خير من ملائه واطيب من ملائه وهو جل جلاله هم الذين اصطفى من جملة الخليقة وهو
المكني عنه بكل شيء المسمى العبد الكلي والملا منهم خيرة في هلل العبد او كبر او سبح
او حمد او ذكر الله صدقه كل ما سمعه وسمع كما عنه وهكذا علوا وسفلا وتواصلت

الشهادة فاتصلت الى الشهيد الحق العلى الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله
ليس بينها وبين الله حجاب وكذلك غيرها لكن لا اله الا الله لها خاصة من الله ليست لغيرها
من الذكر والوجود كله مامور بالشهادة للشهود لهم وعليهم اية ذلك في الوجود الماضي
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذن المؤذن فقولوا مثل ما يقول وهذا منصوص
وماخوذ من امر الله جل ذكره للموجود جميعا بذلك وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يسمع صوت المؤذن شئ الا شهد له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصبح
وبدا وجه الصبح سمع سامع بحمد الله وحسن بلاوته ربنا صاحبنا وافضل علينا
عياذا بالله ربنا من النار فالكل يسمع فيقول مثل ما يسمع هكذا الى المنتهى قال الله
عز من قائل ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون تقدير الكلام والله اعلم بما
ينزل ان كتاب الابرار لفي عليين كتاب مرقوم ثم قال وما ادراك ما عليون في درجات
يعلو بعضها بعضا لكل درجة اهل شهادتهم فيما هنالك واعمالهم كتاب مرقوم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم رفعت حتى ظهرت لمستوى يسمع منه صريف الاقلام والحفظة تكتب فيما هنا
والمقربون تكتبون فيما هنالك لذلك وهو علو يشهده المقربون وعجب من هذا الامر بقوله
وما ادريك ما عليون تعظيما لمن شانه انه يسمع المسمعين طبقا بعد طبق في الوجود الى
رجع الصدى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذن المؤذن فقولوا مثل ما يقول يشهده
المقربون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام كذلك
قال ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم فاشار بهذا الخطاب الى
السفل والشهداء يشهدون هذا وهذا غير ان شهداء كتاب الابرار على القرب الشاهدة والشهداء
كتاب الفجار على حد اذا حان حين ادا الشهداء شهادتهم ويل يومئذ للمكذبين فالعالم
كل على هذا كبيت ملي حاجة وملي شهادة وامر الذين يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا
الى قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز الى قوله حكيم حميد ثم تنزل
من الكتاب المبين الى اللوح المحفوظ الى ما هو كتب لكم وتلاوة امين كلمة مركبة من معنى امين
وايمان فقول العبد امين معناه امنت باسمائك واياتك في الكتاب والوجود كله
وشئ فوقك العلي الغائب عنا وعدك الحق في انجازه امين انجز لنا وعدك يا من
لا يخلف الميعاد الهمزة من امين صورة الف وهي للنداء والالف الثانية بمعنى الايمان
وامين لغة في ذلك كما ينادي المنادي بحرف النداء وتركه **تنبيه** فاذا من اداب
الدعاء وحليه السؤال والضراعة الى الملك المالك الامر كله ان يقدم العبد بين يدي دعائه
التوحيد والاعظام والاجلال ثم يحمد الله بمحامده التي هو لها اهل ويثني عليه ويمجده
ويتبرا اليه من حوله وقوته ثم يسال الله الهداية الى ما يرضيه وحسن العون على ذكره
وحسن عبادته وشكره فانه يتحبب الى الله جل ذكره بذلك ثم يسال الله بعد ما شاء العموم قوله
الحق ولعبدي ما سال ومن قدم امر الاخرة على امر الدنيا انظمها الله له في نظام اقتداء بام القرآن
وان المطلوب الاعظم لغة ام القرآن مجملا وبحق ما قال بعضهم لو قرأت ام القرآن على ميت
فحيي ما كان ذلك بعجب لان الحمد اسم من اسماء الله وكذلك سائر الحروف كلها فافهم ومعا

ام القرآن لا يبلغها بالحصر عقل صائب ولا يحويها اللوح المحفوظ سوى علم الله العلي
وقد تقدم معنى هذا ولا يسع العلم المحدث ولا اللوح المحفوظ علم ذات الله جل ثناؤه
وتقدست اسماؤه الا كتبنا بحكم العموم فاطلب العلم وفقنا الله واياك من مالكه
قوله جل من قائل ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
هذا متصل بما في قوله اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة من معنى مفهوم هذا
ان من العباد من لم ينعم الله عليه بنعمة الهداية ولا يفهمه من هذه الجهة وهي النعمة
الدينية ولا باكمال النعمة بها لما ذكر صنفين من المهتدين وصنفين من الضالين
واشار الى صنف متوسط بينهما نجا وذكر المتوسط الى الاشقى بقوله ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تقدير الكلام وهو اعلم بما ينزل
وعلى ابصارهم غشاوة مجعولة عقوبة لهم لما لم ينظروا في ايات الله تعالى والى ملكه ختم
لذلك على قلوبهم وعلى سمعهم ومنعهم الفهم عنه والسمع والطاعة لرسله وكتبه وجعل
على الابصار منهم غشاوة فلا ينظرون ابدا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي
ما قدمت يداه اي من موجب العهد والميثاق الماخوذ عليه في البدء انا جعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا لانهم نظروا
الى الموجودات من ظواهرها لا بحقيقة النظر في بواطنها ونظروا الى الرسل من حيث هم
بشريون ولم ينظروا الى البواطن منهم ونظروا الى ايات الله في الوجود والارض
والسماء من حيث المعهود المعتاد لا من حيث هن ايات يعبر بهن الى ما جعلن ايات عليه
وشواهد لها علمهن منذرات بباس ومبشرات برحمته ومبلغات عنه فلم يصل النور
الى قلوبهم ولا سمعوا النداء باسماعهم ولهم على ذلك عذاب عظيم هذا عذاب الاخرة وعذاب
الدنيا لا يشعرون للتبري منه ولذلك لا ينفعهم في الدنيا بداره ولا في الاخرة شفاعة
ثم ذكر جل جلاله الصنف المتوسط وهم اهل الكتاب والمنافقون بقوله الحق ومن الناس
من يقول امنا بالله وباليوم الاخر بقول الله العالم بهم وما هم بمؤمنين يخادعون الله
والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم هؤلاء هم المنافقون في قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون بفتح الكاف وتشديد الذال هم المنافقون بما كانوا
يكذبون باسكان الكاف وتخفيف الذال هم اليهود بمشاركتهم في الوصف مع المنافقين لان
اليهود لم يكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانوا جاحدين للحق الذي علموا به
في كتابهم قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به الى قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم وصف للمنافقين واهل الكتاب
والمشركين **قوله** عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى هم
اهل الكتاب الذين علموا ما اشتروه من ذلك وما باعوه وباخرة المعنى بذلك المنافقون
قوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل الى اخره بقوله مثل اهل
الكتاب يهود في ردهم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع المرسلين كمثل مستوقد

ناواكانوا على هداية نبوتهم ولما جاء عيسى كفروا به ومثل اليهود والنصارى معا
كالمستوقد النار فلما اضاءت ماحوله وبلغت الى حد الانتفاع بها اطفؤها بردهم
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فاذهب الله نورهم الذى كان لهم والذى كانوا به
نورهم وتركهم فى ظلمات من كفرهم لا يبصرون سبيل هدايتهم صم بكم عمى فهم لا يرجعون
الى هداية فطرتهم ولا الى حيث فقدوا نورهم فيصلحون ما افسدوه **قوله** تعالى
او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق شبه ظلمات كفرهم لما اطفاوا نورهم والرعد
مثل تخوفهم وعبد الله ووعد المؤمنين بما ياتى به القران المشبه بالمطر الذى هو الحياة
وقد احتواه الوعيد والرهب وقد كاد المطر يكون فى حقهم حيا لو امنوا يجعلون
اصابعهم فى اذانهم فرقا من الصواعق عند صوت الرعد حذر الموت وهذا مثل
تخوفهم من التعريض والتصريح بهم فى الوحى والامر بمجانبتهم وذمهم ومخافة اطلاع
الله عليهم كلما اضاء لهم البرق مشوا فيه جعل مدة اضاء البرق لهم كمدة خطرات الهداية
لهم اعنى اليهود والمنافقين كلما خطر لهم خاطر الهدى اتبعوه وكلما صحبتهم العافية من القتل
والسبى والموت الذى بدءه عاشوا به وقد يكون معنى قوله الحق كلما اضاء لهم مشوا فيه اى
عاشوا واذا اظلم عليهم قاموا اى ماتوا شبه مدة بقائهم فى الدنيا الى طول مقامهم فى الاخرة
بخطرة البرق وزواله بزوال الحياة والعافية عنهم وظلمة بعد البرق اشد اظلاما
وكان هذا انذارا منه لهم بما اصابهم من الجلاء عن اوطانهم الى سماوة ومحاق ما اصاب بعضهم
من القتل والسبى وهم بنو النضير الذى عبر عنه قوله عز وجل هو الذى اخرج الذين كفروا
من اهل الكتاب من ديارهم الى قوله ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا
الاية وقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم
الرعب فريقا يقتلون ويأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفى حق المنافقين
مع ما تقدم ذكره شبه انتفاعهم بالايمان والذين يراؤن به انتفاعهم فى هذه الحيوة
الدنيا من حرز اموالهم وقبض الايدى عنهم كما شبه سرعة انقضاء الدنيا عنهم بسرعة انقضاء
خطفة البرق الى حيث ما يصيرون اليه من بقاء الامد فى الاخرة والبرق موضع الرجاء
من العارض المقبل على الاغلب من مجرى العوائد والرعد موضع الوعيد ثم ثنى المثلين
احدهما على الاخر بعد ما وجه الخطاب الى وجهته كما ثنى جل ذكره صفتى المؤمنين فى اول
السورة بعدما وجه الخطاب الى وجهته احداهما على الاخرى لاشتراكهما فى وصف الايمان
والهداية والفلاح ولذلك داخل بينهما ثم قال فى الصنفين المذمومين ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وابصارهم اى بصفاتهم الظاهرة كما ذهب صفاتهم الباطنة ان الله على
كل شىء من الثواب والعقاب فى العاجلة والاجلة قدير **قوله** عز وجل يصف اولياءه
المؤمنين الذين يؤمنون بالغيب الغيب عبارة عن كل ما بطن فلم يظهر وغاب عن الحواس
الظاهرة والباطنة فلم يعلم بالمشاهدة بل ايمانا وتسليما وهو اعنى الغائب فى حق الاكثر
اكثر منه فى حق الاخرين قال الله العليم الخبير ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ومن وقف بعلم على انها غيبا وعنوا

لا يعلمها فهو عالم من هذه الجهة وانما الموت كله والجهل اجمعه عند من جهل وجهل
جهله ومن عرف صورة الجهل فهو عالم عاقل انما الجاهل من جهل صورة الجهل
ومن طلب الحكمة من طريقها الذى جعله الله دركا لها وسبيلا الى معرفتها ادركها
بعون الله تعالى فانما نعدها الاكثرون لاحد وجهين اما لجهلهم بوجودها
وان مطلوبها هو الحكمة مدركة او لزهدهم فيها فنكبوا عنها فلم يرهم الله جل ثناؤه اهلها
اهلا ورفعها عنهم عقوبة بهم لاجل اعراضهم عنها وربما طلبوها من غير طريقها فضلوا
ولم يدركوها من تلك الطريق لم يطلبوها من طريق اخر بل كذبوا بوجودها وانكروا ان
يكون لها صورة خاصة فيحملهم جهلهم على ان يجهلونهم ثم قد يكشف الله جل جلاله
وتعالى علاوه وثناؤه البصائر بعض عبيده فيبصرونها فى غيابات الغيوب ما لا يراه
الغافلون ومن هؤلاء هم المتقون الذين يؤمنون بالغيب فيعلمون لله عز وجل رغبا
ورهبا ذلك لما ادركوا ببواطنهم غيوب الاخرة راوا غيب الحق وشاهدوه علما ويقينا
وهؤلاء هم الموقنون واعلم ان للغيب غيبا كما ان للظاهر غيبا وسرا وخبا
كذلك للغيب بل هو اعرف وصفا فى الغيب فهذا القول منا على سبيل التقريب فى حكم ما
هو مضاف الينا والا فهو علم واحد له ادنى واعلى فافهم ولا تزهدن فى الازدياد
من العلم ولا يقنعن بالوائه وطالب ونابر وقل رب زدنى علما **فصل** قال الله جل
من قائل يعلم السر واخفى ويعلم السر فى السماء ويخرج الخبء فى السموات والارض **فصل**
اصل التقوى فى الوقاية واقل التقوى اتقاء الشرك الاكبر وما جر اليه من المعاصى وما جر
اليه ايضا فى اثناء الطاعات والتقوى باطن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا
واشار الى صدره وربما جاء ذكره متنوعا فى اولى المواضع بان شاء الله تعالى والتقوى
عمل الايمان كما ان الانتهاء عن المعاصى التى ذكرها نقيض التقوى من عمل الاسلام بواسطة
التقوى واذا صح التقوى من العبد فتح له باب الهداية فى باطنه ما يشرح لذلك صدره وطلعت
له شمس اليقين ما تجلت بها فى حقه الظلمات واضاء له باطنه وظاهره وما بين يديه
وما خلفه. واعلم وفقنا الله واياك انه كما لهذه الدنيا شمس يستضاء بها ويعلم بها
الليل والنهار ويتبين بها المبصرات من الاشخاص والاجرام والاماكن وما يقدر
تقديرها فكذلك الباطن له من ايمانه ويقينه شمس تميز بها الصور الباطنة المعبر عنها
بالمعانى كالخير من الشر وكالذكر من الفتنة والاولى من الادنى ويرى بذلك
الراجح التام من الناقص والخبيث من الطيب وعلى درجات ذلك من معارف ودقائقه
واذا بلغت هذه الصفة هذه الدرجة فهى الحكمة يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة
فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب اى الذين يتذكرون الحق الذى اليه
المصير من الحق المخلوقة به السموات والارض ويومئذ يكون هذا الباطن سميعا بصيرا عاقلا
تعقل تلك من هذه وربما يثبت صفة الحكمة فى هذا العبد فذاق بالغيب وشم واحس
مثل دبيب النملة وسماعا وحسا حتى انه ليحس دبيب المكروه الخطوات قبل نزولها
الى لوح قلبه الذى عبر عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك اخفى من دبيب النمل على الصفا

فى الليلة الظلماء وقال الله جل من قائل ومن يؤمن بالله يهد قلبه وقال عز من قائل يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به
ويغفر لكم وعن هذا المعنى بقولنا هذا عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فى درجته
بقوله انه ليغان على قلبى فاستغفر الله ازيد من سبعين مرة وكان هذا موجودا كونه بشرا وانما
طهره الله وشرح صدره وغسل قلبه وملاه من الحكمة والايمان فكان يجد ذلك على
بعده ويشعر له ومن يحقق فى الاقتداء به عليه السلام فهو من ورثته ومن اخوانه بلغ الله بنا
وبكم انه قريب مجيب ثم يجوز عن النور المذكور فى هذه الاية ما يفتح لهم من الشعر والذكر والفطنة
والالهام ثمرة الحادثة بتحقق التقوى فى باطنه ويكون من المتقين يعلم من معالمهم ويهتدى
بهداياتهم كما قال عز من قائل هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله انى لارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم بما اتقى وبالتقوى التى بها كفوا عن المناهى نجوا
من العذاب وبالتقوى التى هى من قبيل العلم والايمان ارتقوا فى درجات الزلف ومنازل الرضوان
وكما لابن ادم ذكرا اول وذكرا على وعقلا اولى ثم اعلى فكذلك فى الشعر والفطنة والعلم
وجميع الصفات وهذا قول محول على وجه التجوز بل كل صفة لها اول هو دنيها الى الفطرة
وهل اعلى هو من قبيل حيوة الايمان التى هى العلية بالاضافة الى الحيوة الجسمية عبر عنها
عنه قوله جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
كذلك التقوى ايضا لها اول واعلى فالاول استعمال طاعة الله ورسوله ثم الاعلى
قال الله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون
واعلمك عز جلاله نصا صريحا ان الاعلى يدرك بالتقوى الادنى فانهم ما عبدوه الا بالتقوى
ثم الحقهم بعد ذلك بعلى التقوى وعلى هذا يأتى ذكر هذه الصفات فى القران العزيز الرؤف
قد يكون القوت وقد يكون العلم والذكر والفطنة والفهم عنه والالهام لمراشده علما وعملا
وهو الرزق الافضل على ما تقدم ذكره قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب كما قالت مريم عليها السلام هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يعلم فهؤلاء بهم على
باب من احد الرزقين الا رزق من حيث لا يحتسب ولا يعتاص عليه معنى من الفهم ولا يغلق
عنه باب من العلم الا جعل الله له من امره ذلك مخرجا فى الاغلب من احواله ومصداق هذا
قول الله جل وعز ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا واخبر جل جلاله ان ذلك من امره انزله
الينا واعظم اليسر ما يفتح الله عز وجل على بواطن المتقين وهو لديهم من فتوحاته والهامه
ثم قال جل قوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا واعظام الاجر للمتقين اعلاؤه
اياهم الى رفيع درجاتهم واصلاح بواطنهم وفتح مغاليق ما ارتج دونهم من معارف عيون
المعرفة وهو نوع عظيم من القبول الاعلى قال الله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين اى القبول
كله واولة ذلك وادناه ان يقول العبد لا اله الا الله مخلصا من قلبه فيتقبل اعماله ويحبط
سيئاته او يدخل بها فى الموازنة فكيف ترى قبول عمل من قالها عالما بها مشاهدا لعلمها
عارفا بما شهد به مستشعرا للتقوى بها فالتقوى علم وعمل وايمان واسلام الاول الكريم

نفحات فتعرضوا لها فى الغيب الذى هو موجود ايما وشهود غيبهم وهو كثير جدا
لا ينحصر ابدا بل لا يعلمه الا عالم الغيب والشهادة جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه
لكنا فى غاية الافتقار الى تحصيل ما امكننا تحصيله من ذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وفى اخرى
بالبعث الاخر وان تؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره وكل من الايمان بالغيب
ثم يتفصل ذلك بواسطة الاستدلال والنظر والفكر والاعتبار وتحصيل البراهين
للايمان بالله عز وجل وكتبه ورسله وباسمائه كلها وصفاته ما علمنا منها وما لم نعلم
ثم مجارى ذلك كله فى العالم ومسالكه فى طرقات الحق المخلوق به السموات والارض وهو مجال
رحب وفضاء فسيح لعنايات بقين وميدان كريم لاعلام المتقين وهو اصل لما يتفرع عنه
وامر حق لما وراءه وايمان عام له ولما يأتى بعده وامام حق لما يؤتم به منه فصل
ثم درجة اخرى منها تترقى اليها ان سمت بهم همم وهى ستة معالم احتوت على معانى احكام
المكونات الذى اطلع الله جل ثناؤه عليها خصوص عباده وكلفهم بعلم علمها وان يعملوا
افكارهم ويصرفوا فطنهم فيها وان يديموا اشتغال قلوبهم بالبحث عنها والتفكر فى معالمها
سابقها المطلوب الاكبر والمعتمد الاعظم وهو كل الكل مبديه ومعيده واوله واخره وظاهره
وباطنه جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه منها تكوينه جل وعز الاشياء كلها لا من شىء
واقراره الاشياء كلها لا على شىء وادخاله الواسع فى الضيق ولم يوسع الضيق
ولا اضيق الواسع ووضعه الصغير على الكبير وايراده الكبير على جزء من ذلك الصغير
وحجابه الانسان عن غيبه موضعه ومشاهدته نفسه واظهاره له عالما اخر فى موضعه ذلك
ولم ينقله عن موضعه ذلك وتفتيته الجسد فى التراب لاعين اهل الدنيا وهو مع ذلك
صحيح نائم عند اخرين وتنويمه الجسد عن الاكل والشرب والنكاح فى موضع وايقاظه اياه
يطعمه ويسقيه فى موضع اخر وعلى حالة اخرى ولم ينقله عن موضعه فدونك وفقك الله
واحسن عونك وهذه المعالم فابحث عنها واشغل نفسك بها وكل ما يرد عليك من غرائب
العالم فى هذا الكتاب فلن تعدوا ما ذكرناه ان شاء الله تعالى فعلك قد سبق ان الله جل
ثناؤه كان ولا شىء معه مذكورا سواه ولا وجود لشىء يغايره فى ازليته التى لا ابتداء لها
احد فى اوليته صمد فى اخريته اول اخر لم يزل ولا يزال على ما لم يزل ثم خلق المخلوقات ونظم
الارض والسموات والعلو والسفل والدنيا والاخرة واوجد الزمان والمكان وغير ذلك فاذن
خلق المخلوقات جميعا لا فى مخلوق واوجد الموجودات والمحدثات لا فى محدث ومعنى ذلك
انه خلق المكان والزمان لا فى مكان ولا فى زمان والخليقة كلها لا فى خليقة بل اثبت
جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه الاشياء كلها لا على شىء فاذا لا حيث للجملة غير مشيئته
ولا حامل لها سوى قدرته ولا علة لمصنوعه غير صنعه اذ لو توهمنا غير هذا لوجب حكم
التسلسل قوله للكائن كن اى على وفق مشيتى فيك واراد لى منك خطابا للذات الكائن يكون
خطابا يتوجه الى ذاته وصورته ومادته وجميع توابع وجوده ليكون الكائن على ما سبق
فى علمه وكما تقدم فى تقديره ومشيته فيه الذلك من وصف المخلوق والتغير والحيلولة

والفقر والانتقال ووجود الاضطرار الى مدبره القائم به والاستسلام الى عظم
موجده فاذا المعلوم ببداية العقول ان جميع ما اوجده هو سواه وما هو سواه فهو
عبد له هو القائم به القيوم عليه بما هو بقاؤه ودوام وجوده وانه هو جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه الان كما لم يزل بما لم يزل ولا يزال كذلك سرمدا وابدا لا الى نهاية كما لم يزل
من غير بداية وهو عز جلاله فيما خلقه بوجود على لا يشبهه وجود ولا يماثله شي ولا يتصور
وهم ولا يكيفه عقل وهو فيه باسماء له وصفات لا يغيب عنه شي ولا يبعد عنه شي
وهو الشهيد القريب لا يعجزه شي ولا يتعذر عليه يشهد المخلوقات اجمعها بما هو خالق و
المرزوق بما هو رازق والمدبر بما هو مدبر وكذلك يشهد المتحرك والمحرك والمتولد
فيه وكذلك الكما والمكن فيه يشهد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الضلال من
الضال الصلال والهداية من المهتدي بما هذه والوحدة من المخلوق بما وحده والكثير
بما كثره وكل موجود بما هو موجود من جميع معاني الوجود كلها يشهدها شهود
حضور وشاهده شهادة علم فقط اذ احكام الحدوث وتوابع احكام
الخلقة لا يجوز عليه ولا تتصل اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اية ذلك الشمس والقمر
هما في علو محلهما والضياء والنور منبسط عنهما على الارض وهو الجو والخليقة
فيما انبسط عن كل واحد منهما من ضياء او نور والله اعلى واجل له المثل الاعلى في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم هو الكبير المتعالي لا يؤوده منه شي ولا يكن عنه شي كما قال الرسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يوارى منك ليل داج ولا سماء ذات ابراج ولا ارض ذات مهاد
ولا ظلمات بعضها فوق بعض تعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وعلمه في اوليته التي لا
ابتداء لها الكون كله من اوله الى اخره بتوابع وجوده كلها بعلم هو صفته وقدرة ومشيئة
هما وصفه لم يقل ذلك وجده على سواء ما قدره واقتدر على ما اوجده احاط بذلك
كله احاطة ناهية كاملة ولو شاء ان يشاء اكثر مما شاء لشاء كما لو شاء ان يقتدر على
اكثر مما اقتدر عليه لاقتدر لا الى نهاية عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولا يعلم احد
سواه كنه قدرته ولا سعة علمه ولا احاطة مشيئته وهي مفاتيح الغيب على الحقيقة
بها اظهر ما اظهر واوجد ما اوجد واضرب عما لم يشا اظهاره وايجاده ولم يحجبه
الخليقة عن نفسها تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلم يمتنع منها ولا من اهلها ان يوجد فيها
بما هو حيث شاء كيف يجوز عليه حكم ملك او يمنعه عناد عبد تعالى عن ذلك القوي العزيز
حقيقة وجوده لا بها الوصول اليه بوجه بل هو الذي حجبها عنه بها او بما شاء من احكام
مشيئته ونعوت تعاليه وشموخ عظمته له المثل الاعلى في السموات والارض وفيما علاهم
العزيز الذي امتنع عما لا يجوز عليه ويستحيل الحكيم الذي احكم الموجودات شاهدة له
دالة عليه قانتة عابدة له معترفة بالقصور عن وجوده العلي على لزوم وحدانيته
اياها وكلتا يديه يمين مباركة وهو على ذلك اكثرته القدوس عما اوجده في الخليقة
كذلك وجوده العلي هو في كل مكان بحيث لا مكان ومع كل شي بحيث لا صحبة ولا حلول
فاذا تمهد هذا واستاد جد فهو اذنا قرب الى كل شي من نفس ذلك الشي الى نفس ذلك
الشي بل اقرب من القرب بقرب لا يصاره بعد فعلى هذا اذا ليس في الوجود سواه وما
عداه فاعراض عارضة وافياء زائلة تتعاقب بمقدار ايجاده اياها واعدامه لها
امساكا وتدبيرا ثبت تارة وتستحيل اخرى والحامل لها والممسك لها قدرته ومشيئته

فصل اية ايجاده جميع الموجودات بعد عدمها وايراده اياها على قدم ابتداء الايجاد
النوم ثم ايراده اياه على يقظة اليقظان وايجاده اليقظة ثم ايراده اياها على نوم النومان
فنقيض النوم في حال اليقظة ونقيض اليقظة في حال النوم لكن النائم واليقظان يختلف
عليهما الاحوال في حالتي اليقظة والمنام وهو جل ثناؤه لا يختلف على ابد قدمه الاحوال ومن
ايات ذلك ايضا الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والنهار يكشط عنه الليل فاذا هم
مبصرون والليل في حال النهار والنهار في حال الليل في حكمه واختزانه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للسوحي يوم بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب هرقل وفي الكتاب
قلت سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فاين اذا النار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين النهار اذا كان الليل ومن ايات ذلك ايضا جعله
الاخرة في باطن الدنيا كذلك جعل الجنة في السموات والارض باطنة في ذلك وظاهرة
سموات وارض ومن ذلك ان قسم الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الموجودات على دارين
خلق احدهما وهي الدنيا عن الاخرة بالمصير اليها وهي الاولى بالايجاد واوردها على الاولى
وهي بالاضافة الى تلك اصغر جزء من اجزائها كذلك خلق جل وعز من امثال الاجناس كل
زوج عن زوجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار اشتكت الى ربها فقالت رب اكل بعضي
بعضا فاذن لي ان اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف قال صلى الله عليه وسلم
فاشد ما يجدون من الحر او من الحرور من جهنم او من سعير فهذه الصغرى تاسست
على هذين النفسين وهما شعبة يسيرة من تلك الكبرى فامتدت بها افنانها وكذلك
ما اشبهها فدلت عليها لكن على المزج وعلى القلة والصغر بالاضافة الى تلك وعلى مضاهاة
الرحمة في هذه اذ جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها في الدار الاخرة مع عدم المزج فيها
وعظم قدرها قد خلت من الرحمة وتعمقت من الرافة والنفسان المذكوران في هذه نزعهما
رحمة الله عز وجل عن تعدي الحد الحدود لهما زائدا الى رحمته الموجودة على سنة المزج ومن ذلك
ما يتصل بما قبله مفهوم قوله جل قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
والمخلوق من صاحبة من الزوجين هو الانثى والمخلوق منه هو الذكر قال الله عز
وجل ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون فخلق جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه ادم عليه السلام من قبضة قبضها من الارض صور من باطنها خلقته
الباطنة ومن ظاهرها خلقته الظاهرة حتى سواه على ذلك فروح ما خلق من هذه الخلقة
هو ما ظهر منها لخلقة حوا من جملة ادم عليهما السلام قال الله جل قوله وتعالى علاؤه
وحده متصلا بما تلوناه ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وكما خلق جل جلاله من كل
زوج زوجه كذلك خلق لكل قرين قرينه ولكل مثل مثاله قال الله عز وجل ومن كل شي

خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وقال تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وكما لكل شخص ظل كذلك لكل حق حقيقة
ولكل عين معنى الا ترى انه جل ذكره اجترى بذكر سجود الظلال عن ذكر سجود اشخاصها
ثم حكم عز جلاله بحكم الحق والحق المسكوت عنه بحكم المنطوق به في قوله عز وجل ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة المعنى الى اخره **فصل** ظلال الاشخاص
يدل عليها النيرات قال الله جل ثناؤه الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء
لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده سجد لك سوادي وخيالي وامن بك فؤادي
كذلك لكل موجود ظاهر وجود باطن يدل عليه وجود النور العلي غيبا بواسطة كلمة
ايته في الظاهر ما ينطبع في الاجسام الصقيلة لان الروح الى النور ما هو والاجسام
المظلمة لا تنعكس فيها الانوار ولا يدل عليها الاضواء وهذه العلة ادرك شعاع
البصر المرئي في الهواء لحلول النور فيه وللطافة الوجود المثالي بتصوره المبصر
في الهواء كما تقدم ذكره من علة النفوذ فيه والذهاب بخلاف الاجسام
فالظلال التي هي ظلال الاشخاص يتبين سجودها لموجدها ويدل على ذلك منها اضواء
النيرات وانقباضها عنها وانبساطها عليها حال انقيادها في تنقلها يمينا وشمالا ووراء
واماما والوجود المثالي يتبين سجوده للعقل بنور الايمان وصحة ادراك البصيرة بنور
الوجود العلي حال التقلب في الكون وحوالة الاحوال الجارية على مثاله الظاهر ثم في حال
التعبد لبارئه بحسن التوجه اليه وهو الذي عبر عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد لك
سوادي وخيالي وامن بك فؤادي قال الله سبحانه وله الحمد ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها وظلالهم فسجود كل من في السموات والارض طوعا هو سجود حمده وسجود
الموصوف بالكره هو سجود مثاله الباطن فسجود ظلال الاشخاص سواء اعني انه صار بغير
علم ما هو مثاله وظله وهذا عام وجوده في الكافر والمؤمن والعاصي والطائع ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وهذا سجود لازم
لكل موجود كلزوم الظلال لاشخاصها وكما لم تعدم الظلال اذا لم يكن عليها دليل من اضواء
النيرات اذ كانت العلة في وجودها وجود الاشخاص التي كانت ظلالا لها لا وجود
الانوار التي ظهرت بها بل هي موجودة وجود لزوم فاذا حضر الدليل عليها ظهرت
واذا غاب بطنت كغيبته فالوجود المثالي اذا اوجب لزوما كلزوم ظاهره واحق حقيقة
من ذلك جدا اذ الدليل عليه لا يوصف بالغيبة ولا يحجبه حجاب وكذلك ايضا لا يموت وانما هو
تغير واستحالة **فصل** هذا المثالي يتزكى بتزكي الظاهر ويتردى بتردي ما عدا الموت
الجسمي قال الله عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها
وقد خاب من دسيها وهذا خاصة للمؤمنين وانما الموت نفس المؤمن بما فيها من روح
الله جل ذكره اصل ذلك قوله جل قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل اني لا اطلع على قلب عبد واجد الغالب عليه ذكري الاكسبهم

الذى

20

الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها الحديث وقال صلى الله
عليه وسلم يقول الله جل من قائل يا ابن ادم مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وظمئت
فلم تسقني وفيه قال يا رب متى كنت جائعا فتطعم او عاريا فتكسى فيقول جل جلاله
اما لو فعلت ذلك لعبدي فعلته بي ومثل هذا الكلام بمعناه في الكتاب الذي يذكر انه لا يتحمل
وهذه اللطيفة المشار اليها بهذا الذكر يوصف مرة بالحدوث وبوجه لا يحسن وصفها
وكلما بان عن الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه وصفاته فمخلوق ومربوب ومن تحققت
عنده وفيه هذه الصفة النفيسة دخل في الولاية ثم هم درجات عند الله جل ذكره والله
بصير بما يعملون فلقد خاب من دسيها ولقد افلح من زكيها وفي وصفها قال بعضهم
تقدس بالنفس النفيسة نفسه • فنفس له عليا ونفس له سفلى •
ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد الشيطان على قافية احدكم ثلث عقد
الحديث والقافية هو ما يقفو المقفو فاذا عقد الشيطان عليها او اصاب منها بعض بغيته
اصبحت نفس المؤمن كسلى خبيثة وبالضد مع استعمال الكيس والاخذ بالوثيقة في مرضات
الله جل وعز **فصل** يقرب معنى ما تقدم ويبين مفهوم قول الله عز وجل كل نفس
ذائقة الموت مع قوله عز قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنازة حال حملها اذا كانت صالحة قالت
قدموني قدموني وان كانت غير ذلك تقول يا ويلها الى اين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء
الا الثقلين الجن والانس وما جاء عنه من ذكر عذاب القبر او نعيمه اخبر جل وعز بقوله الحق
ان كل نفس ذائقة الموت فهي لا بد ذائقة لموتها مفارقتها الجسد التي قرنت اليه زوجيته
وموت النفس وفاة قال الله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
ووفاتها ان يسلب صفاتها كالعلم والعقل والتمييز وهو موتها ثم يرد اليها ذلك لتنعم او تعذب
الا ترى ان من النوم ما يعدم النائم فيه صفاتها حاشا روح الحيوة ومنها ما سعت النفس فيه
الى الرؤيا ومشاهدة الحقائق فتشبهت الحال الاولى بالموت بالجملة واليقظة منها بالبعث وهي
ايضا مشبهة بالوفاة وكونها رائية في منامها ذلك مبصرة عالمة بعث الله تعالى ثم يبعثكم
فيه اي في النوم وجعل ذلك اية من اياته على بعثة الموتى في حال الموت فاذا احياها في حال
موتها اصارها الى حقيقة وجودها وهو المثالي فتنعم او تعذب وتالم وتحزن وتعقل قال الله
جل قوله وتعالى علاؤه وجده ما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي بواطنكم نبدلها من ظواهرها
التي عطلها الموت وننشئكم اي الاجسام في مدة البرزخ فيما لا يعلمون بصيرهم بقدرته في طبقات
البلى واصناف انواع الارض والثرى من معادنها ونباتها ينقلها من خلق الى خلق ويبنيهم في
انواع اتربتها فاذا كان يوم البعث الاخر امر كل شيء اخذ من شيء شيئا ان يرده على طريقة الذي
ذهب كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير كذلك قال عز من قائل ولقد علمتم النشأة
الاولى فلولا تذكرون وقال عز وجل فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم اي نذهب بهم ونأتي باخرين خيرا منهم نخلقهم ثم قال جل قوله وما نحن بمسبوقين
اي اذا ذهبنا بهم بالموت والاهلاك على ان نبدلهم في امثالهم وذكوات بو هنا عبارة

عن سرعة يأتي ذلك دون زمان موجود بل ذلك كوجود الظل عن شخصه وكل وجود موجود
لما وجد له **فصل** لقننا الله الصدق ان الموت الذي هو فراق الباطن ظاهره موتان
كذلك الوفاة وفاتان فوت ادنى وموت اعلى والوفاة كذلك والعبارة عنهما بانهما اثنان
تجوز في عبارة وانما هو بشر من ادنى الى اعلى فالموت الادنى موت الكافر والاعلى حال الشهيد
التي نعلوها نهينا ان نسميها موتا وكذلك الوفاة الدنيا هي ان تسلب النفس صفاتها كما تقدم
ذكره او كما شاء الله والعليا ان يحول كشف الجملة بلطيفها فتوفاها على ذلك كتوفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم عيسى بن مريم وما بين هذين القسمين محال ومنازل تحلها بالتوفي من
من اهله الله كما شاء له من ذلك وكذلك الاسرى على ما تقدم وصفه فعلى ما تقدم ذكره كما ورد
الكتاب والحي ليست حيوة الكافر هنالك بكمال حيوة المؤمن ولا حيوة من ليس شهيد كحيوة الشهيد
بل حياة ما هنالك ان يكون ظاهر الجسم المنتقل عنه من حياته هنا معطلا من الحيوة مقطعا
اعضاؤه وقد صار رمادا وترابا في حكم ظاهر الرؤية وباطنه حي ينعم ويعذب بحسبه الذين
لا يشعرون مسافي بادي الرؤية وظاهر الحال وهو حي اشرف حيوة واكمل من حيوة الجثمان ويعلمو
قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ومن غيب الغيب ان جسم
الشهيد يكون مقطعا ممزقا ماكولا وترابا وعدما وهو في الحقيقة موجود حي سوي عند الله وعند
الملائكة واهل الاخرة وان كان هذا قد بعد على قضايا العقول الاولى فانه يقرب الى العقل
الاعلى الذي تقدم ذكره وهو كذي عدمه الاكثرون الا من ايقظه الله واما الكافرون فصم
بكم عمي في الظلمات اموات غير احياء وكما قد يحسب الكافر حيا وهو ميت عند الله عز وجل وعند الملائكة
عليهم السلام واهل الاخرة فكذلك كثير من المشاهدات التي اخبر بها القرآن العزيز وهي على غير
ما نشاهده منها كاجساد الشهداء واهل الحيوة الدنيوية وقد نص القرآن على كثير منها ربما
نبهنا عليها عندما يأتي ذكرها ان شاء الله تعالى والا فهذا اصل لما هو في معناه وانما يرى هذا
البيان ومشاهد مجالس الحياة التي ليست للكافرين والمنافقين والغافلين وقد
تقدم من تمهيد هذا في صدر الكتاب ما يغني عن الترداد وهي من اوائل عجايب الاخرة
• ماذا يعاين ذو العينين من عجب • يوم الخروج من الدنيا الى الله •
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم
الله من فضله المعنى الى الاخرة مثال ذلك في الحاضر حياتنا هذه الحيوة الدنيا وما يتخللها
من معاني الموت كالجهل والنسيان والذهول والنوم وما شبه ذلك وان الامر يترقى الى
اعلاه ومن ذلك ايضا هذه الاجساد والشاهدة من نبات وحيوان يتغذاه ما يتغذى به فيخلق
الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عن ذلك الغذاء اجساما لو تجمعت في هذا الجسم دون ان يتخللها
اعدام لذهب الجسم بتجمع تلك الاجزاء وتراكمها عن حدوده وذهب عن المقصود به لكن سنة
الله جل جلاله في خليقته ان يعدم من تلك الاجزاء ما شاء ويخلف فيها ما شاء اجزاء غيرها
فهو ابدا يخلق ويعدم هكذا خلقا وامرا وهو الخلاق العليم على الدوام ابدا ويظهر الجسم على
المقدار الذي قد كتبه العلم الاعلى قبل البدء الاول في كتاب المقدار تدبيرا وامرا يخلق قسطا
ويعدم قسطا يرفع قسطا ويخفض قسطا ويحلي ما شاء من خصب ويجد زيادة فيه

او نقصان منه فربما ابقاه على المعهود من حاله مع تجديد الزيادة فيه والنقصان منه كما
قد سبق في كتاب المقدار وفي اللوح المحفوظ فهذا موت باطن واعدام وخلق باطنان وان كان احدنا
لا يكاد يشعر بهذا التمزيق واعدام المذكورين لبطونهما علما وعقلا فكيف مشاهدة
كذلك في كل شيء في السماء والارض والجبال وغير ذلك قال الله عز من قائل وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب وعلى هذا اتقن صنعه جل جلاله واوجد خليقته كذلك قال
عز من قائل صنع الله الذي اتقن كل شيء فافهم وكذلك فاقطع اذا بطون الاعدام
والتمزيق وبطون الايجاد والتجديد بعد الموت وليس الذي يخلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم كما قال على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون هو الخلاق في جميع
الاجسام على الدوام وهو عليم بحيث يصير ما عدم منها وذلك قوله قد علمنا ما تنقص
الارض منهم اي الاجسام منهم ثم قال عز من قائل وعندنا كتاب حفيظ كذلك هو عليم
بما اليه يؤولها ويجعله عاقبتها وهو بكل خلق عليم عبر عن هذا الحق في الوجود بقوله الحق في
النبأ العظيم نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا لتعلم وهو
اعلم بما ينزل واذا شئنا اعدمناهم هذه الحيوة الدنيا بالموت وبدلناهم في حقايقهم وامثالهم
تبديلا هذا هو الحق الذي اليه مصيرنا فاعلم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال للجن ليلة لقيهم وعلمهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فسألوه الزاد لهم فقال صلى الله عليه وسلم
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه اوفر ما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم اي مما ياكلونه
في حياتهم هذه الى الموت من حلال احل لهم ذلك هو الزاد الذي سعوا في هذه الى ان يصلوا
الى الاخرة والمقصود بسؤالهم الرسول صلى الله عليه وسلم وجوابه اياهم التحليل والتحريم وما
يجوز لهم استباحته فعلى مفهوم هذا الخطاب ان الكفار ايضا يجدون كل عظم مسلوبا
من لحمه اوفر ما كان لحما في باطن الحال عنا فاعلمهم صلى الله عليه وسلم بما يحل لهم مما حرم
عليهم قال الله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق والمؤمنون
منهم لا ياكلون مما لم يذكر اسم الله عليه والكافرون منهم ممنوع منهم ما ذكر اسم الله عليه
تحريم كونه وكما يكون العظم مسلوبا من لحمه وهو في باطن ذلك اوفر ما كان لحما فكذلك الجسم
المؤمن والشهيد حي عند اهل الاخرة وان كان عند اهل الدنيا على خلاف ذلك كذلك الكافر
يحيا بعد موته حال موته فيحس الم ما به ويسمع ما يقال له في ما هنالك ويعقل كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم اقام الله جل ذكره رسوله
لاولئك في ذلك الموطن مقام فيأتي القبر والسائلين وكما قال عليه السلام في الجنازة يكون
مصيرها الى خير او الى شر ما قال والفرق بين الحياتين في الاخرة من جنس الفرق بينهما في الدنيا
وعلى ما سيأتي ذكره ان شاء الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما
وقد استشهد عبد الله ابوه رضي الله عنه يوم احد يا جابر الا اخبرك عن ابيك ان الله
احياه واقعده بين يديه وكلمه كفاحا وقال له عبدي تمن علي فقال يا رب احب ان تبعثني
الى الدنيا فاقاتل في سبيلك فاقتل ثانية قال قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون
وقال الله عز وجل في رجل قتل في سبيل الله قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر

ربي وجعلني من المكرمين وايضا فكما يكون الحق حقا عند العالم به المعتقد له ويكون
ذلك الحق بنفسه باطلا عند الجاهل به ذلك بانه ظهر للعالم الموفق به وبطن عن الجاهل
كذلك يكون الجسم ميتا متمزقا ترابا واعظمه نخرة وعدم عند من رآه ونظره كذلك في ظاهر
الحال وقد بطنت حقيقته ويراه اهل الاخرة حيا سويا يأكل ويشرب وينعم وعلى غير ذلك
من سائر احواله اذ قد ظهرت لهم حقيقته على ما هي به وعلى هذا فاقض ايضا على انه موصوف في الاخرة
واحكامها على حقيقة ما جاء به النبأ الحق من عند الله جل ثناؤه وآياته ان يستحرك تحتها
قضاء العقل الادنى الذي به عقل اهل الدنيا في دنياهم ولم يصعد بهم الى ما علا
ذلك الذي تساوى فيه الغافلون فيتخلف ذلك عن قضاء العقل الاعلى الذي اوتيه اولو
الالباب فان نحرمت القيام عليه عقلا ومشاهدة فقف عليه بايمان جزم وتسليم وتصديق
ليكن بذلك ما ليا اذ لم يكن عالما وجانب الانكار وجمله **فصل** واعرف في الغيب ما تقدم
ذكره مفهوم قول الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ان الذين يأكلون اموال اليتامى
ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ومفهوم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يشرب في انية
الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم والله جل ذكره هو الحق المبين ورسوله وكتابه
الحق وما جاء من عند الله لا يخالف الحق ولا انما يباعده وقد قال الله جل قوله ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وحقق ذكر الاكل بذكر البطن وانما
يكون الاكل على المعهود من الاكل في البطن وانما استاق ذكر البيان وزوال الاشكال
فان قيل ان ذلك يكون في المال فقد جاء ذكر المال مجردا بعد هذا وفي قوله جل قوله وسيصلون
سعيرا فاوجب ذلك ان يحمل الخطاب على ظاهره وان وجود ذلك في الحال من كله غيبا عنا
ومن اعجب العجايب ان يجد الطاعم طعاما هكذا او شرابا باردا سائغا وحقيقته عند الله
وعند الملائكة نار لكن هذا لا ينكشف حقيقة طعمه وذوقه ووجود الحسن به الا في حيوة
غير هذه الحيوة وكما ان حيوة الجاهل والكافر لا يوجد بها انواع الحقايق بل جل حق الاخرة
لا يجده ويجده المؤمن الموقن بحيوته فيسهر ليله ويظمأ نهاره ويجتنب لذلك الملاذ
البعيدة ويبيع من الله نفسه وماله واهله ويبكي عينه وينحل جسمه ويسقمه ودنياه له
وجودا ووجدا فاقض بهذا المعهود على ما يرد عليك من حقايق الغيوب تصيب البغتة
ان شاء الله تعالى الا تسمع الى قوله جل قوله وتعالى علاؤه وجده في تحقيق ما نحن بسبيل تبيانه
كلا ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين يخبر عن حالهم اليوم في يوم
الدين يعني حال الموت ثم قال عز من قائل وما هم عنها بغائبين اي اليوم والان وما كان في
معنى العبارة عن الحال فانظر اليهم الان يأكلون ويتمتعون على ارائكهم واسرة ملكهم وليسوا
بغائبين عن الجحيم وقال عز قوله في موضع اخر يستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم
العذاب اي لولا الاجل المضروب لهم لعجلت له قيامتهم وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون
اي بالموت والاهلاك لهم كما تقدم للقرون الماضية والامم المهلكة الخالية ثم قال
عز من قائل معبرا عما نحن بسبيله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين فيها
هي محيطة بهم وهم لا يشعرون لها ولا يجدون حر زفيرها ولا مس لفحها ولا يسمعون زفيرها

الا اعمالا منهم توجب عليهم طولها انما هو القهر من القاهر العزيز عز جلاله هذا الذي هو
موجود فيهم عن الايمان بربهم وجدهم لفح سعيرها وزمهريرها تغدو عليهم جهنم و
تروح بنفسها ولا يشعرون انهم موتى غير احياء وكذلك هم اذا ذكروا لا يذكرون والاشقياء منهم
اذا راوا آية يستسخرون ابطن ذلك عنهم في هذه الدار واظهره في الاخرة كما ابطن
ايمانهم بذلك هنا واظهره منهم في الاخرة سبحان الذي خلق الازواج كلها ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ومن ذلك في الانباء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
زائر المريض في خرفة الجنة حتى يرجع فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وقال صلى الله عليه وسلم
في مجالس الذكر اذا رايتم رياض الجنة فارتعوا فيها ونحو هذا كثير والحق بهذا قوله صلى
الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على ترعة من ترع الجنة وقوائم منبري على حوضي وانه انما راى ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم بما اتاه الله من ضياء النبوة وبصيرة القرب من الله والحيوة للاخرة وكلام
الله عز وجل له من الرسالة الى عباده والتبليغ اليهم بحقايق حق الاخرة بشارة لعباده
ونذارة اعلام لهم بان الاخرة محيطة بالدنيا محتوية فيها مستورة عنا فمن اطلعه الله جل جلاله
على مرأى الاخرة فبلغ عنه كيف يكون للمبلغ اليه ثبتا ولقوله هو وحي يوحى على غير المعنى الذي
به جاء ولا يرى ذلك من ليس في الايمان وتصديقا ويقينا وبروح من عند الله وبتاييد منه
كما لا يرى الكافر ما يراه المؤمن ولا الجاهل ما يراه العالم من حقايق ما يجب الايمان به للموت الذي به
وصفاته اعني الكافر قال الله عز وجل والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات وقال
عز قوله ومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات وانه
لحي الله عز وجل المؤمن بالايمان احياه من موت الكفر بروح الايمان كما قال عز قوله وايدهم
بروح منه ولكل درجة من هذه الحيوة مقام ولكل مقام حال ذلك على قدر الحظ الذي يؤتيه
الله من ذلك الاحياء الذي به يحييه من موت الكفر فيها حال من عبر عنها قوله عز وجل الى ان اطلع
على قلب عبد فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
الحديث وارفع منها مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي
نورا الحديث الى قوله اللهم املاني نورا واجعلني نورا اللهم عظم لي نورا هنالك يبصر
بكله ويسمع بكله ويفهم بكله ومن هذه الحال كان صلى الله عليه وسلم يسمع كلام الجن مدة
وعذاب المعذب في القبر ويقول صلى الله عليه وسلم اترون قبلتي هاهنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم
ولا سجودكم اني لاراكم من وراء ظهري كما اراكم من امامي ومن الصديقين من يمنحه
الله هذه الحال وان لم يبلغه مبلغ النبوة فلا تكن من الممترين في حق هؤلاء بتحقق حقيقة
قوله الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
فاضاف ذلك الى رؤية المخاطب في قربه على ما اراه من ذلك وانما المخاطب خاصة هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخوانه من امته الذين يشوق الى رؤيتهم واولوا الالباب من اتباعهم
فسال البر الرحيم ان يلحقنا بهم وان لا يقصر بنا دونهم واقل الرؤية فيما هذا سبيله
رؤية ابصار الرؤوس قال الله عز وجل يعني الكفار والمكذبين اولم يروا الى الطير

فوقهم صافات ويقبضن فلم يضف اليهم الا رؤية الطيران من الطير حسب ثم تولى
الاخبار لموضع الايمان بقوله جل قوله ما يمسكهن الا الله والرحمن وكذلك قوله عز وجل
اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اذ نصفهم من الرؤية الا بالمقدار
الذي تبلغ اليه ابصارهم ثم نزل جل جلاله الاخبار عن موضع خشية الايمان بقوله ان نشا نخسف بهم
الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ثم جعل ذلك اية لكل عبد منيب اذ لا يرى عبر ذلك
سواهم كقوله وما يتذكر الا من ينيب ولا اولوا الالباب وقد تقدمت في صدر الكتاب
مقدمة تعرف بهذا الفن من العلم فارجع اليها وتدبروا اياك والتكذيب بايات الله فتكون
من الخاسرين قال الله عز من قائل ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه
هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون
فالصبر على طاعة الله والعزم على الثبات في الامر ولزوم اليقين يرفع الى الامانة في علوم المؤمنين
ومعالي الصديقين وقال الله جل وعز يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
والله بما تعملون خبير ومن ذلك مفهوم قوله عز وجل رب العالمين العالمون جمع عالم فاذا
تصور الجميع صورة واحدة فهو العبد الكلي الذي هو جملة المخلوقات المشتملة على كل ما دخل تحت
الكون والحدوث من مكان او زمان او جهة او ناحية وقرب وبعد وقبل وبعد وروح
او جسم ووجود وعدم والخلق كله والامر وما يقدر تقديره ذلك وما سعه وكان منه
فهو اذا انسان كلي كما ان الانسان عالم جزئي فهو من حيث هو له يمين وشمال ووراء وقدام
واعلى واسفل صور ادم صلوات الله وسلامه عليه على صورته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلق الله ادم على صورة الرحمن وفي اخرى على صورته جل جلاله للاسماء والصفات ليس على
معاني الذات وهو ايضا من حيث هو الكلي ليس بمحقق على مخلوق ولا يحيط به مخلوق
ولا محدث فيكون طرفا له وحاملا او معتمدا له ليس فيه ايكيف يمين ولا شمال ولا وراء ولا امام
ولا علو ولا سفل اذ ليس ما عداه منه بل هو من حيث هو هو جملة المخلوقات وكل المحدثات ابتداه
خالقه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه من غير شيء كان وجعله لا على شيء لم يحوجه الى سواه
هو جل ذكره بمده وتجدده وتصرفه جملة وتفصيلا وما كان في ابنائه من افتقار بعضه
الى بعض واخذ بعضه عن بعض وعطف بعضه على بعض فلمعنى الدلالة على صانعه جل ذكره وشهادة
لها عليه بما هو له اهل وعليه بما جعل له واوجد من اجله من معنى الابتلاء والذكرى والعبر
بحكم فاعله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه في مصنوعه بالغة وحجة له عليه قاهرة كذلك
ابتدا جل ذكره الانسان الذي هو العالم الجزئي اولا من سلالة من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين فلما سواه وبلغ منتهاه نفخ فيه من روحه وجعله متبوعا اماما واسجد له
ملائكته وسخر له ما في العلو والسفل ليشكر على مبدعات الشبه علما وفهما خلقه جل جلاله
من الاصول الاربعة المنتزعة من الدار الاخرة واحوجه اليها لانها اصله وهو فرعها فمنها
طعامه وشرابه وطهوره وكفاته وصلاح شانه حيا وميتا جعل له صلاح شانه كله وفوائد
لمن قبل العبرة وسهل له سبيل العلم بموضع مصره فهو شخص القطب ولب اللب ومن الجملة
موضع القلب فعليه مدار الامر والنهي والذكر مفصلا على معاني الديانة التي تقتضي الاسلام

على معاني الامانة التي حملها الانسان وهي التي عجزت عن تحملها السموات والارض والجبال
على شروط الجزاء اذ كان ليس مخلوقا كالعالم الكلي في اصل كونه للابتلاء فكانت الامانة
سبب الامر والنهي وعلة الذكر النازل من السماء على السنة الرسل والانبياء صلوات الله
وسلامه على جميعهم كالعالم الكلي سواء في نزول الامر من اعلى العرش الكريم وشاع في جملة خلقه
وامره سلقاه الملائكة الكرام فينفذونه بامره جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون كالقوى في الجسم الجري والصفات سواء كونا وشرعا ذلك
ليقوم الحجة لله على عباده ويتم مراده في جميع موجوداته اذ كان هذا الانسان عليه الحلقها وسببا
لوجودها قال الله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وقال عز من قائل خلق لكم ما في الارض
جميعا وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه
وهو وان كان بصفاته موصوفا وافعاله اليه مضافة وبها معروفا وهو محكوم بها عليه
وله حكم الجوارح في ذلك حكم الجوارح الا ما استثني من ذلك حكم العلية والبداية في ذلك كله
والنهاية والظاهر والباطن كمبدعه وخالقه وحقيقة الايجاد معلوم بخالقه جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه كالعالم الكلي سواء حيث استاثر مبدعه جل جلاله بحقيقة الايجاد
ثم وكل بعضه الى بعض في ظاهر العلم وبادي الرأي لابتلاء العباد ومشية الله جل ثناؤه
فوق كل مشية وقدرته فوق كل قدرة وعلمه وصفاته واسماؤه وراه بكل شيء محيطة بكل شيء
عنه جل جلاله يكون انواع المشيات والقدر وجميع معاني العباد واسمائهم وصفاتهم وعزائمهم
واختراعه يكون جميع الاستطاعات والمكتسبات منهم وهي على ذلك خلق الله جل ذكره حادثة
على قدرته العليا ومشيته الكبرى لا يسبقه احد من عباده بقول ولا بعمل ولا يفوت على تقديره
حادث علم كل كائن قبل الايجاد على ما هو موجده كما اخرجه من العدم الى الوجود لم يعدمه
ما علمه منه امرا وخلقا لاجل ذلك انقطعت حجج القدرية ولم يقبل اعتلال الجبرية فلان
جزئي التبعيض الموجود به كلي في معنى الفائدة الا تراه سخر له ما في السموات وما في الارض
وان الامر وقع عليه كليا فامر بالايمان بالله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وباسمائه وبالعمل
بطاعته وابتغاء مرضاته منه بدؤه واليه عوده ثم امرنا بالايمان بغيوب باطن العالم من جنة
ونار وملك وجان وجنات وثواب وعقاب في توابع ذلك وما نحا نحوه وكذلك امرنا باعتبار
الملكوت من الارضين والسموات والاملاك والنجوم والنبات وما علا وما سفل وكل ما ظهر وبطن
ليستدل بما راه على ما لا يراه ولنتعرف بذلك صفات الصانع جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
اذ بظاهر العالم يستدل على باطنه وبالمصنوع الكلي يعرف صانعه والعبد المؤمن يشهد بعقله
لله جل ذكره دون واسطة سوى الدليل عليه بالربوبية وصفة الوحدانية كالعالم الكلي
سواء الذي لا يعلم سوى الله خالقه ولا يشاهد سوى مدبره ومبدعه جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه فطر من حكيم عليم لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اعتبار الجملة والنظر في ذلك والعبارة عنه على سبيل الاجمال سبيل القصد في ذلك ان شاء
الله تعالى ان يتوهم صورة انسان قائم يصلي مستسلما لخالقه خاشعا لصانعه قانتا خائفا

من بادئه وجلا من دقته جل ذكره وتعالى علاؤه وجده له من حيث هو تعالى الحدث
كلها قد احتواه الامر واحاط به الخوف وما يعبر عنه به مما ليس متوجها بكل وجهته الى ما
احتوله صورة بادئه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه احسن تصوير ورتب اعضاءه احسن
ترتيب على صورة شخص واحد مركب من اعضاء مختلفة هي عوالم متعاونة على مطلوب واحد
وعرض سواء هو عجب تادبه له منها اعضاؤه كلها جوارح وجوانح متشكلة من ذلك
اشكاله وصورة خلقة خالقه العليم القدير على ذلك فاعلاه منه ما ليس من الحكمة الا ان يعلو
او اسفل منه ما ليس من الحكمة الا ان يسفل ورتبه على ترتيب ليس في الحكمة الا ان يكون على ذلك
الترتيب اوجده بكلمته وشاءه بمشيته وقدره بتقديره وكتبه القلم في اللوح المحفوظ بامره
قدم منه في الايجاد ما شاء تقديمه واخر منه ما شاء باخيره ثم اجرى احكامه فيه وبه على
مشيته واجراه على سنته قانتا لربه بكليته مصليا لفاطره بجملته ساجدا له بحقيقته جملة
وتفصيلا مسبحا حامدا له ذاكرا له بالسن عدد الخلايق كلهم كصلوة العبد الجزئي سواء
لا يشذ منه عضو ولا يتخلف عنه جزء الا وهو قائم معه ساجد معه متوجها عابدا ربه
وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجزئي خلق الله ابن ادم على ثلثمائة وستين
مفصلا فعلى كل سلامى منها صدقة في كل يوم فمن سبح الله عز وجل وهلله وكبره وحمده
وامر بمعروف ونهى عن منكر واماط اذى عن الطريق عدد تلك السلامى مشى يومئذ وقد
زحزح نفسه عن النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويجزي من ذلك كله ركعتان يركعهما العبد من
الضحى فاخبرك ان الصلوة الشرعية تعم اجزاء المصلي جملة وتفصيلا كذلك العبد الكلي وان
من شيء الا يسبح بحمده وقال عز من قائل وخلق كل شيء فقدره تقديرا فهو الذي قد شمل المكان
والزمان واليمين والشمال والوراء والامام والوجود والعدم والكيف والكم والعلو والسفل
والجهات والمقابلات واوصاف الكون والحدث كلها فاذا ما عداه فليس بكائن ولا محدث
وما ليس كذلك فليس به ولا يتصف بوصف من اوصافها وينفصل العبد الكلي الى عوالم هي له
ابعاض واعضاء كما ينفصل الجزئي الى ابعاض له واعضاء ثم ينفصل التفصيل الى ابعاض
وابعاض ابعاض والى احاد يكون عن ذلك والاحاد ايضا الى ابعاضها وابعاض ابعاضها
وكل جزء من تلك الاحاد اجزاء منها على صورها وهيئاتها من امم وعوالم وتلك الاجزاء
الى اجزاء اجزائها والاجزاء واجزاء الاجزاء منها لها صورها واشكالها وهيئاتها كصفات
احاد الامم والعوالم وكابعاض الجزئي الراس والعينين واليدين والذراعين على اختلاف
ذلك كله لها صورها واشكالها حتى يبلغ التفصيل في الجزئي والكلي الى مثال الجواهر في
الجزئي والكلي الى مثال الجواهر في الجزئي التي تركبت عنها ابعاضه واعضاؤه الى جملته فما
كان من تلك الذوات مما يتصف بالعقل كلفت العبادة كونا وشرعا وما لم يكمل بعد منها
الى ذلك كلفت كونا في الظاهر واما باطنا فيما بينها وبين بادئها فهي مكلفة ذلك شرعا وذلك
بحكم الكلمة يظهرها الله جل ذكره منها عند خرق العوائد واظهار معجزات الرسل وكرامات
الاولياء هذا فيما هو ظاهر لاولي العقول واما في فضاء العقول الناهية والالباب الصافية
والايمان الاعلى واليقين الارفع فكل شمله التكليف كونا وشرعا لا مرية في ذلك قال الله

عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اي يوم بعضها
بعضا امم منها لها كامثالنا هكذا قال الله جل من قائل في موجودات الارض ومعلومات
موجودات ما علاها فصح وفعلها اشرح فافهم وان من شيء الا يسبح بحمده طوعا وكرها
فالمؤمن يسبحه جل جلاله طوعا بما هو عامد لذلك فاعل وكرها بما هو غافل عن ذلك
ساه والكافر يسبحه جل جلاله كرها بما هو غير مريد كفعلك نافر عنه منكر له ثم طوعا بما هو
يوم وجهه هو مولاها قد دت له قبل ايجاده وحمل عليها بارادته وكتبه ناصلا عنها ويحاش
عليها جهده ليتنا له ما سبق له من المقدم في ام الكتاب وهو بما لا يعلم ذلك من نفسه مكره عليه
واما تعرف سجودها من ركوعها من تسبيحها من حمدها من صلاتها فرعا له ذكرها متصلا
باولي المذكور بها والله الموفق للصواب وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله** جل
قوله ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين الى قوله الا انهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون هذا تعريف متردد المراد به بين اليهود وبين قوم منافقين
كانوا يسمعون منهم ويطيعونهم وقوله جل قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون بتشديد
الذال المراد به المنافقون وعلى الحرف الاخر بسكون الكاف وتخفيف الذال المراد بذلك اليهود
واذا لقوا الذين آمنوا يعني المنافقين كانوا يظهرون للمؤمنين الايمان بقولهم امنا ظاهرا
من القول واذا خلوا الى شياطينهم اليهود قالوا انا معكم انما نحن مستهزءون ضرب لهم جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه للطائفتين مثلين الاول منهما مثل لليهود شبههم جل جلاله
بمن استوقد نارا يعني ما كانوا فيه من الهداية ولما بلغت ان اضاءت ما حوله مستوقدها اي لما
هدايتهم بعثة بانبا محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه فذهب الله بنورهم كذلك وتركهم في ظلمات
لا يبصرون ويصلح ان يكون مثلا للمنافقين لما جاءهم الرسول والكتاب في بدو امره
كان يجب لهم بذلك ان يكون لهم نور ولما نافقوا في ذلك ذهب الله بنورهم ذلك لرجوعهم
على اعقابهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون هذا اعلام متردد بين الفريقين انا سمعنا هدايتهم
هذا لليهود ثم باخره للمنافقين ثم ضرب جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه مثلا اخر لهم هو
مفهومه للمنافقين ثم باخره لليهود الى قوله قدير **فصل** اشبه العالم القران وكفى ان
العالم ان العالم اشتمل على ما يقال له نور وهدى وضلال وبيان وشفاء وضياء وخير وشر
وضلال وهلاك واكرام واهانة وولاية وبراءة وحب وبغض وامر ونهي وبشارة ونذارة
وحلال وحرام وواجب وفرض ومندوب اليه الى غير ذلك مما يكثر تعداده مما ان بحثت عليه
في اثناء الكتاب العزيز وجد فيه غير الشرك لا هله هناك مذكور عندهم فعله مدحور لهم جزاؤه
وهو في العالم موجود واشبهه ايضا فيما حكاه اهل الكلام على الاصول الشرعية ووجوده
في ذلك حقيقة قالوا دلائل الشرع موجودة فيه على ثلثة اوجه اصل ومعقول اصل واستصحاب
حال فالاصل هو الكتاب والسنة والاجماع فوزان الكتاب من العالم الكلمة وهو المعبر عنه بكن
ومثال السنة مما اخرج الله عليه الوجود كله من ترتيب واسبقية سنته من تاجيل وتعجيل وهو
المعبر عنه بقوله جل جلاله فيكون ومثال الاجماع في الشرع هو اجماع الموجودات واصنافها
قاطبة على شهادة الفطرة لبارئها جل جلاله بالتنزيه والتقديس والتسبيح لله وحده

لا شريك له وكشهادة بالتوحيد والقنوت له ووجدوا ايضا ان السنة ماخوذة من ثلثة
اوجه اقوال وافعال واقرار فوزان الاقوال الكلمة والاذن ووزان الافعال جملة
المفعولات والمصنوعات وما تناوله الكون ووزان الاقرار كل ما كان لله جل وعز ايجادا
وخلقا وما ليس له برضى وهي المعاصي والكفر وتوابع ذلك مما لا يرضاه ولا يحبه ولا يامر به شرعا
ويلحق به كل ما لم يرد له ذكر في الشروع وهذا ما عناه بقوله عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا
عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم الاية الى قوله عفا الله عنها والله غفور حليم واستقرى المعتبرون
الموجودات وما انبنت عليه وتركبت عنه فوجدوها ثلثة اشياء جوهرا وجسما وعرضا ونحو
في الجواهر والاجسام كذلك ووجد اهل الاستقراء للكلام انه تركب عن ثلثة اشياء اسم وفعل وحرف
معنى في الاسماء والافعال وقيل له قران لانه مجموع كلام وقصص واحكام وجدل والكلام
معبر عن ذلك كله ومن ذلك ان الله جل ذكره اجرى المسببات على اسبابها وامور في هذه الدار
على سنن فيها واظهر المصنوعات بالادوات على الاغلب هذا مقدوره الحاضر المشاهد منا وله جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه مقدور سوى هذا وهو ان يجعل مكان السنة الكلية فيظهر المسببات
لغير اسباب والمصنوعات لغير ادوات خرقا لهذه العوائد وتجري الامور كلها على تشتيت وسنن
كلية وهو المقدور الغائب عنا اليوم الا ما قد شاءه من ذلك وقدره كذلك جعل من
العزيز في القران ما هو ظاهر متين ومنه ما هو يحتاج متفهمه الى البحث والنظر ومنه
ما هو غيب كالمكنون محض يعلمه من يشاء من عباده وعلى القول بالاجمال فانا حكام الملكوت
التي اطلع الله عز وجل عليها الصديقين وكلفهم معرفتها ودعاهم الى الايمان بها والى اذ يجيل اولو
الالباب افكارهم وفطنهم فيها وان لا يدعوا اشغال قلوبهم بالنظر فيها والتفكر في سبيل النجاة
عن معالمها نعم الاعتبار منها الى سواها ويجيلوا ابصار بصائرهم في معادها ستة اضرب منها
تكوينه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الاشياء لا من شيء الثاني اقراره جل وعز الاشياء
كلها لا على شيء الثالث ادخاله الواسع في الضيق ولم يوسع الضيق ولا ضيق الواسع
الرابع وضعه الصغير على الكبير وايراده الكبير على جزء ومن ذلك الصغير الخامس
حجابه الانسان عن رؤية موضعه ومشاهدة نفسه واظهاره له عالما اخر في موضعه
ذلك ولم ينقله عن موضعه السادس تفتيته الجسد في التراب الا عين اهل الدنيا وهو
صحيح تام عند اعين اهل الاخرة وتنويمه الجسد عن الاكل والشراب والنكاح في موضع
وايقاظه اياه يطعمه ويسقيه في موضع اخر فهذه ستة معارف هو مطلوبها الاكبر ومعتمدها
الاعظم ولنعلم وفقنا الله واياك ان لكل حق حقيقة ولكل عين معنى كما قد علمنا ان
لكل ظاهر باطنا وانا للباطن متى فصل عن ظاهره لا بد بحامل يقوم له في باطنيته
مقام ظاهره المعارف وليقتصر على هذا القدر من هذا الفن فيما ذكرنا دليل على ما
عنه امسكنا ولعلمنا ان الضرورة تدفع الى اجتلاب ما هو بسبيله في اولى المواضع به
في اختلاف العبارات وتغاير الالفاظ مع اتفاق الحقائق في معانيها وفي اجتلابها
الى مظانها وذكر عند اسبابها بحاله رحب للافهام وعون كثير على تعرف كل خطاب
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم

الايتين هذا خطاب مرجوع معناه الى قوله جل قوله ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى
للمتقين هم الذين نظروا الى موجودات مادة اللوح المحفوظ في السموات والارض والشجر
والجبال والنبات الى غير ذلك من عجايب ايات الله المبينة عنه الشاهدة له بقوله
عز من قائل يا ايها الناس اعبدوا ربكم هو دعاء عام للناس اجمعين الى عبادة
ربهم عز جلاله كما فطر جميع ما اوجده على فطرة الاسلام كذلك امر جميع اهل التقوى
بالعبادة له والطاعة ولا يكون الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
والعمل بطاعة الله والتزام الخضوع له بشروط العبودية الا بمقدمة التقوى لكنه
قال ههنا جل قوله لعلكم تتقون ومعناه وهو اعلم جل جلاله لعلكم تبلغون بعبادتكم
اياه والعمل بطاعته واليقين به ذروة التقوى وتنالون منها المنزلة العليا
وقد تقدم ذكر هذا بقوله عز من قائل وانظروا الى السماء كيف بناها فاظلت والى
الارض كيف مهدها فاستقرت والى الماء كيف انزله من السماء واحدا طاهرا مطهرا
بقدرته فاخرج به نبات كل شيء رزقا لكم موجودات تنبو عن خضوعها لخالقها
وتفصح بقنوتها لبارئها وتشهد لجاعلها جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بصحة
الوحدانية وانه ليس كمثله شيء فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون بما اراكم من عظيم اقتداره
وكريم تدبيره وشمول ملكه السموات والارض وما علا وما سفل انه لا ند له ولا شبيه ولا نظير
قوله عز وجل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا المعنى الى اخره ما تقدم هو من
فصل الربوبية المنتظم في صدر سورة ام القران وهذا خطاب هو من فصل النبوة
منتظم بما في النصف الثاني منها من ذكر النبوة وهم المنعم عليهم وبخاصة في ذكر الرسول
محمد صلوات الله وسلامه عليه والكتاب الذي هو القران يقول عز من قائل وان كان ارتيابكم
هذا انما هو في صحة نبوته والكتاب الذي جاء به فاتوا بسورة من مثله اي من مثل محمد صلى
الله عليه وسلم رجل لم يكتب كتابا ولا خطه بيمينه ولا علم قارئا ولا طالبا لعلم من تقدم
وهذا اعجاز ظاهر وقد شاهد بالضرورة لو كانوا يعلمون وكذلك قال عز من قائل
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اخبر عليم
الخبير بهم عن عجز الكل من المتقدمين والمتاخرين عن الاتيان بسورة من القران العزيز
على هذا الشرط فصل وقال في سورة يونس صلى الله عليه وسلم فاتوا بسورة
مثله اي مثل القران في كريم نظمه وبدايع اعجازه وعجيب رصفه واحكام حكمته في ظهوره
وله ظهر وفي بطونه وله بطن وفي فصيح اشاراته وغرايب تلويحاته وابتناء بعضه
على بعض وحسن حديثه وصدق قيله منتظم ذلك منه في تفريق خطابه وتجميعه مع احبائه
عن الغيوب المحجوبة واعلامه بحياياتها المكنونة وترصيعه على ترتيب العالم غيبه وشهادة
وشهادة الموجود له في جميع ما اخبر به وانباء به هو عن جميع ما جاء في الوجود من مجمل
هذا وتفصيله وقد تقدم من ذكر هذا اشارة في صدر كتاب الارشاد وان الله جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه نظمه على احكام معاقد صنعه معاقده ومعاطفه ودلالة
الصغير منه على دلالة الكبير ومناسبة البعض من هذا وهذا مناسب الكل وجمع جميعه

في جزء من اجزائه **فصل** هو ان يتصف جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالانعام
والاحسان الى عباده وبالقدرة على ارسال رسول كريم ايدات بضروب من الاعجاز
وعلى تنزيل كتاب عظيم معجز للانس والجن منزلا من كلام الخالق عز وجل الى تلاوة
المحدثين وقراءة المخلوقين بواسطة الروح والملك عليهم محفوظا من النسيان والوهم
محفوظا من الاختلاف والتبديل مصدقا لما بين يديه من كتاب ورسول مفصلا من الكتاب
المبين الذي لا ريب فيه كما قال تبارك وتعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا ولا يكون كذلك الا بما فيه من صدق الاخبار عن الغيوب والانباء عن موجودات
الاخرة ووصف الحوادث في العاجل والاجل ولا يكون كذلك الا محفوظا من شوائب النفوس
محروسا من القاء الشيطان معصوما من الوسوسة والكذب والظن المرتاب به والتخييل
كما قال جل قوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون الى اخر السورة
وقال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن
خلفه رصدا وقال ولو تقول علينا بعض الاقاويل المعنى الى اخره حيث وقع وقال تعالى
قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي هذا الى قوله وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى **فصل** سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي
يا رسول الله فقال احيانا ياتيني في مثل صلصلة الجرس وهو اشده علي فيفصم عني وقد
وعيت عنه ما قال ومعنى ذلك ان الملك عليه السلام ياتيه بامر الله تعالى في صوت وحلية
يكون منها بالجملة حال يشغله بذلك عن ما سوى ما جاء به ليفرغ بذلك قلبه لحراده منه وفي ابناء
ذلك يقصد بالتبليغ موضع الانباء من قلبه فيجمع الوحي فيه على ذلك باذن الله عز وجل وفي هذا
من الفقه عن الله جل وعز ان قارئ القران ينبغي له ان يتفرغ لقراءته ويفرغ قلبه وحواسه وجملته
لتلاوة ما يتلوه منه قال صلى الله عليه وسلم واحيانا ياتيني الملك في صورة رجل فكان
يبلغ اليه من ربه ما شاء الله **فصل** وقال في سورة هود عليه السلام ام يقولون افتراه
قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات المعنى الى اخره فهذه خرج خطابها زائدا على اثبات
رسالته ونبوته وان ما جاء به هو من عند الله حق على اثبات العلم السابق والاخبار عن الغيوب
ولما كان سبيل الاعجاز في الموضعين اللذين تقدم ذكرهما على ما مضى ذكره احسن الى ايجاد
الاعجاز بسورة واحدة اذ ذلك موجود في الاية الواحدة فضلا عن جملة سورة ولما كانت
المناوطة هنا الاخبار عن علم الله والانباء عن غيابات الغيوب وزاد الى ذلك التو
باثبات الوحدانية والالهية نقلهم في ذلك الى عشر سور اذ المعهود على الاغلب انه لا ياتي في
هذا القدر المذكور الا وقد نبأ فيه بعلم غيب ودل على توحيد واثبت برهانا من براهين
الالهية هذا الى اعجازه في حسن نظمه ورفيع قدره وجميل ما حده غير ان الاخبار بعلم الغيوب
هو اعجاز مخصوص اذ المعهود انه من اوتي بسطة في الكلام وقوة على تلفيق الخطاب ربما لفق
خطابا ذا رونق يصف فيه من انواع الموجودات ويتحقق في ذلك ويسلك مسلكا يصدق في
فيما هو تفصيل الكتاب المبين وتصديق لما جاء من قبله من كتاب ويتم على ذلك مقدار سورة
ونحوها من قصار المفصل واما الاخبار عن الغيوب والانباء بما لم يكن بعد فلا يستطيع

احد دون ذلك البحر المجهود والسد المسدود فكيف والحصر قد احاط به من كل جهة والعجز
قد اكتنف من رام هذا الشأن عن كل نوع من الاعجاز الموجود في القران العزيز بقول
الصادق الحق العليم بحقيقة كتابه الخبير بما جعل من الطاقة في خليقته قل لئن اجتمعت
الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
قوله عز وجل فان لم تفعلوا اي انه لم يكن لكم استطاعة على الاتيان بمثله على الشرط المشروط
هذا خطاب متوجه الى العرب واليهود الحاضرين يومئذ المجاورين مهبط الوحي بان
يجثوا عن قواهم واستطاعتهم عن الفعل الذي يكون عنه الاتيان بمثل السورة الواحدة
من مثل هذا النبي المبعوث اليهم ثم اعلم العليم بهم الخبير ببواطنهم ومقادير قواهم
انهم لن يفعلوا اي انهم لا يقدرون على ذلك ولا يقاربونه نعم ولا يتوفر بذلك دواعيهم
ولا ينصرف اليه هممهم هذا هو الاعجاز الفصل والتعجيز الحق فصدر دواعيهم وقواهم
عن ان يظنوا بانفسهم قوة على المعارضة ولذلك قد راينا العرب العاربة قد عدلوا
عن معارضته الى المقاتلة وتعرضوا عن ذلك القتل والسبي ورضوا بالخروج عن الاوطان
والجلاء وما سمع لجماعة منهم من طريق يصح نقله انهم تشاوروا على معارضته ولا انهم على
اذ دواعيهم توفرت لها قصدا ولا انهم تحدثوا به تصديقا لقوله الحق ولن تفعلوا
وبوجه اخر من تبيين الاعجاز في قوله من مثله اي من مثل القران المنزل على كلام رب العالمين
الا ما هو قراءة للمخلوقين وتلاوة للمحدثين وبوجه اخر قوله عز وجل من مثله اي المفصل
من محكم اسمائه الحسنى ومعاني حقائق صفاته العلى الى جميع الخطاب بكل وجه والى كل واحد
فهذان الوجهان والذي قبلهما اعلى اعجازا واظهر قهرا لذلك وهو علم قال ولن تفعلوا
فالقران الحكيم اذا معجز بنفسه معجز بانه محفوظ من انصراف الهمم الى معارضته بامر كون
وقدر عزم من الله جل ذكره ذلك لان السماء حرست بالنجوم وحفظت من استراق
الشياطين سماع الوحي بالرجوم وانهم بمعارضة القران التي الشياطين تحرس ايضا بعد نزوله
كما حرس حين النزول وقبله ولم يكن الحفظ شاملا للانس والجن ولذلك ما كذب به
من كذب منهم فقذفوه بالسنتهم ورجموه باقوالهم ونطقوا بانه سحر وشعر وجنون واساطير
الاولين وغير ذلك من انواع اباطيلهم **قوله** عز وجل فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة الوقود ما يلقى في النار الحطب ويرفعها هو اللهب هذا من فصل الوعيد المنفصل
من فصل اسم الجنة بالنذارة التي اقتضاها اسمه المبتلى اخبر الله عز وجل بصدق قبله
ان وقودها الناس والحجارة فذكر اهل التفسير انها حجارة الكبريت وليس بعيد ما ذكروا
فلا ينكر ما ذهبوا اليه رحمة الله على جميعهم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديثه
عن مسراه ليلة اسري به ورايت النار فاذا عذاب الله شديد لا يقوم له الحجارة ولا الحديد
فظاهر هذا انه لم يعن بهذا الخطاب حجارة الكبريت تلك تتوقد بايسر نار والمراد الاعلام
بشدتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها فتلك الشدة من عظيم يبسها وقوة حرها فيها تخرج من الحجارة والحديد
رطوبة يكون عنها لهب وقود فعل هذه بالحطب فيكثر عند ذلك لهبها ويشتد سعرها واعلام

اخر مثل ان موجودات جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها يخلقها الله ويقدر اهلها
خلقا يحتملونه تلك الشدة فهي بدا تشوقدبهم ولا يلبهم قال الله عز وجل فما اصبرهم
على النار اية ذلك ما اوجد الله جل وعز عليه موجودات الدنيا بعدم اجزاءها ويخلف
لها اجزاء امثالها وسيأتي ذكر هذا ان شاء الله فموجودات الاخرة على هذا السبيل باقية
يخلف الله منها المثل المثل هكذا ابدا على حكم الخلود وليس المثل غير المثل فاعلم ذلك غير ان للنار
هنالك غلبة ما بمقادير معلومة على ذلك الامثال والتقدير والخلق لامر ما اريد بهم فسئل
الله العفو الغفور معافاته ومغفرته وذلك الحكم موجود في قوله جل جلاله ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
ذلك قوله عز وجل اعدت للكافرين يخاطب جل جلاله المؤمنين انذارا لهم لئلا يعملوا في ايام
اعمالا تدخلهم اياها ذلك معنى قولهم في دعائهم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
استجارة منهم به ان لا يدخلهم فيها فان اخرجهم منها نعوذ بالله الرحيم من عذابه ما دق منه
وما جل والاعمال التي يدخلها الموحدون من اجلها كثيرة ايضا ومنه اصغر واكبر **قوله** عز
وجل وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله خالدون
ارتبط الايمان بالعمل لابد ولا محالة على ذلك اصفق الكتاب القرآن العزيز وحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم والوجود اجمع اما ما جاء به الوحي فظاهر معلوم واما الوجود
فسيأتي في اول المواضع به ان شاء الله تعالى وعلى العقول بالاجمال في ذلك فالله جل وعز
هو السلام المؤمن الحق فهو الخالق البارئ المصور الرزاق المحسن المجمل الى غير ذلك من اسمائه
لا افعال واعلم ان الايمان في هذه الدار اية لرؤية الله جل وعز ولا يكون ذلك الا في الجنة
وان العمل الصالح اية على مثال موجودات الجنة قال الله عز وجل ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله غرست له شجرة في الجنة ومن قال
الحمد لله فكذلك ومن قال الله اكبر فكذلك ومن قال لا اله الا الله فكذلك ومن صلى اثنتي
عشرة ركعة من غير الفريضة في يوم وليلة بني له قصر في الجنة وهذا كثير لمن تتبعه **قوله**
عز وجل في اهل الجنة كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به
متشابها شبه وجود كل شيء خالفه وكان الخالف مثلا للذاهب والثمرة يجتنيها جانيها
في الجنة ويخلف الله جل وعز مثلها دون زمان كالمستقي بالاناء من النهر فانه يخلف
المأخوذ مكانه مثله لا في زمان اية ذلك ما يخلف الله في هذه الدار من العرض بعد العرض
والاجزاء بعد الاجزاء وقد تقدم ذكر ذلك فتثبت على ذلك الاجسام والاشكال والصور
والهيئات حتى بطن العاقل بل يرتاب اكثر العقلاء غير المدققين في الفكر والنظر في تحقيق
وجود ذلك وبعده ولولا ان الله هو الخلاق العليم ابدا على الدوام في هذه وفي تلك وخص
الدار الاخرة بحكم الخلود لذلك اعقب جل جلاله بقوله الحق وهم فيها خالدون هذا حكم
منه لازم لكل موجود في الاجسام والارضين والسموات والافلاك الى غير ذلك واما الذي
فارقت في ذلك الاخرة في بعض الموجودات كالثمرات واشباهها فالاخرة يخلف فيها المثل

المثل

المثل دون زمان والدنيا على المهل وفي اوقات واناء محدودة فلاجل ذلك تشابهت
الثمرات في حقهم حتى قالوا هذا الذي رزقنا من قبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت
على الجنة فمرت علي منها خصلة عنب وفي اخرى قطف عنب وهويت لاخذه فغاتني ولو اخذته
لاكلتم منه ما بقيت الدنيا وانما ذلك لانه كلما اخذ من ذلك شيء خلفه مثاله على الولاء دون
زمان اية ذلك ما يكون من ثمر كل شجرة تقتطف ثم ياتي بمثلها في عام اخر فقرب بنصب الحق
ان شاء الله تعالى اعقب ذلك قوله الحق ولهم فيها ازواج مطهرة اشار وهو اعلم جل وعز
الى ما قص من ذكر ذلك انه كلما اتى احدهم زوجته في الجنة وجدها عذراء وهذا مما تقدم
ذكره وهم فيها خالدون في مزيد غير منقطع ولا ممتنع جعلنا الله الرحيم برحمته منهم
في يسر وعافية **فصل** الا ترى ان العنب في هذه الدار وغيره من انواع الثمار
والعنقود لما ان كان عن فتح ورحمة كما ينزل له من السماء يخلف منه لمثل كل عام وربما كان يعطي الغرط
اكثر من ذلك فنشأ ذلك في الدار الاخرة الى وجود ذلك دون زمان حتى يقولوا هذا الذي
رزقنا من قبل لعدم الفقد للمأخوذ المجتنى ومشاهدة الخالف مكانه والله على كل شيء قدير
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت في صورة كبش اقرن فيقال يا اهل الجنة هل
تعرفون هذا فيقولون هذا الموت ويقال لاهل النار اتعرفون هذا فيقولون هذا الموت
ثم يضجع فيذبح يراه هؤلاء وهؤلاء ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل
النار خلود فلا موت فهذا الموت قد تمثل في الدار الاخرة وكذلك لا عدم فيها كما ليس فيها موت
وجاء ان الولي اذا اشتهى الطاهر اذا تطير او اي الحيوان اشتهى جاءه ووقع بين يديه طبيخا
او مشويا كما اشتهاه فيأكل منه ما احب ثم يطير ويذهب حيا كما كان قبل فهذه الحال منه
ما هي وحال الثمرة يقطعها جانيها ويخلفها خالفها ما حال الذاهبة منهما وليس فيها الم
اعلام ولا موت وهي دار المزيد لا دار اعلام كما هي دار الحيوان لا دار موت والله ورسوله
حق وما جاء من عنده حق ليت شعري كيف وجه هذا الحق ومن اي سبيل يعرف وما اينه
فيما ههنا اسان اعلم وفقنا الله واياك ان بين الحيوة والموت حالا متوسطة لا يوصف
بموت ولا حيوة وقد يوصف ايضا بحيوة قال الله عز وجل ويتجنبها الاشقى الذي
يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى اي انه لا يحيى حيوة طيبة وقد تقدم انهم
لا موت عندهم وقد مات الموت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين
هم اهلها وهم الذين عنى بقوله ويتجنبها الاشقى ثم قال فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون
بحياتهم موجودة لهم من حيث احساس العذاب والالام في الخزي والهوان ووجود الدائم
والعويل ودعوى الثبور نعوذ بالله العظيم من ذلك وانما وصفوا بعدم الحيوة من حيث
ان حيوتهم تلك لا تنفع ولا تطيب وقد يتأول على هذا قوله عز وجل فلنحيينه حياة طيبة
اي في دار البرزخ وهي على هذا حيوة اهل الجنة في الجنة العليا ولاجل ذلك طابت بهم
ولهم حياتهم في الدنيا وفي حال البرزخ واما اية ذلك في هذه الدار دار البرزخ ممزوجة
من موجودات هذه وموجودات الدار الاخرة فحيوة المؤمن في دار البرزخ ممزوجة من موجودات
هذه وموجودات الدار الاخرة فحيوة المؤمن في دار البرزخ اعلى من هذه الحيوة حياة

الشهيد مع ظهور ظاهرها الذي هو في بادي الرأي ضدها وكذلك كل ما هو في نشوه الى الكمال
ويصعد بذلك الى تمام فهو ميت بما هو لم يبلغ بعد ولم يتم وهو حي بما بلغ من درجة هو فيها
في طريقه ذلك وكالنبات بزره وكالثمر نضجه واينا عه الا ترى ان الزرع ما كان على ساقه
خضرا بعد لم تدرك البزر فهو لم يكمل بعد يتغذى به الانعام والحيوان في الاغلب ومن شانه
النقصان عن الكمال الانساني فاذا ادرك البزر فقد كمل وصار غذاء للانسان والحبوب كلها
والبزور اجمعها كذلك وهي في حال نباتها اظهر في حال النبات وحال النبات اظهر
في صفة الحيوة وقد يوصف الحبوب والبزور وليبسها وعدم النشو فيها بالموت على سبيل
الاستعارة والمجاز وحال باطنها ليس كذلك بل هي يومئذ اعرق في صفة الحيوة منها
قبل ذلك حينئذ صارت غذاء للانسان معدة ان يكونها وتخلق عنها الا ترى انها اذا جعلت في
مستقرها من الارض فاصابها الماء كيف تعود الى الانبات والحيوة الظاهرة كذلك الحيوان
في الجنة كما له ان يكون طعاما للولي فيخلق الله تعالى عنه اجزاء الولي فيكونه ثم يصير بعد رشحا
وعرقا ورشحا اطيب ريحا من المسك فيعود عند ذلك طيبا له ايضا وبهما طلس الى اخر
هذا ماكولات الجنة تطرقها الموت وان قطف ما هو منها بقطف او شوى او طبخ ما هو
يشوى او يطبخ واكل وطعم من غير موت ولا عدم بحضر ذلك كله يخلف الخالف ما تناولها
بغير زمان تحصل ثم يجيء بعد قضاء الوطر كالبزر يكون عن النبات ويكون النبات
عن البزر كحال الشهيد والمؤمن في البرزخ لا موت في ذلك من حيث يوصف الحيوة
هذا واعلم ان الدليل لا يقوم مقام المدلول عليه ولا ما هو اية على المطلوب ليس يبلغ قوة
وجود ما جعل اية عليه فافهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله عز وجل ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يصلح ان يكون ما ههنا للابهام فيكون ما بعدها
مرفوعا وقد ترى كذلك ويصلح ان يكون اسما لما دون بعوضة في الصغر والدقة ويصلح
ان يكون للابهام وجاء الابهام وههنا لاجل الكونين الجنة والنار ليقوى عن من قائل ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا لموجودات الجنة والنار بموجودات ما عندكم بعوضة المعنى واما
ما الثانية فهي اسم لما فوقها من الكبر والعظم ولما كان هذا الخطاب المتقدم قبل هذا
يقتضي بدقيق النظر في اعدام الذوات والهيئات وايجاد امثالها واعيادها في العالم
وابعاضها على التفصيل وتفصيل المفصل صلح قوله ان يكون ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا
المعنى الى اخره مجاورا له ولما كان جل جلاله هو خالق البعوض والعنكبوت والفراش والخناس
كله كما هو جل جلاله خالق السموات والارض والدنيا والاخرة وما بين ذلك كان الحق فالحق
المبين جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لا يستحيي ان يضرب مثلا لمراد خلقه بشرادهم كما يضرب
عز وجل بجبابرة مثلا بجبابرهم الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار وهو من فصل المحنة
والانعام لذلك سرد جل جلاله معناها معنى الى قوله يا بني اسرائيل وينتظم ايضا بقوله
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المعنى الى قوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وبين ذلك
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول انما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما اضاءت
ما حوله جعل هذا الفراش والذباب يتساقط فيها وانا اخذ بحجزكم الى عن النار وانتم تتابعون

فيها اتبع ذلك قوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا واجابهم الله جل جلاله بقوله يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا اي كذلك حكمه في خطابنا عبادنا يقول الحق وسر الذي من اجله ضرب به مثلا ويهدي
السبيل من يشاء ويضل عنه من يشاء كذلك يفعل الله عز وجل في عدة الملئكة خزائن
جهنم عليهم السلام اعلم عز وجل انهم تسعة عشر واخفى عنهم انهم ملائكة رؤساء يتبعهم من جنود
الله جل ثناؤه ما لا يعلمه الا الله ولما امن بعض قريش بكونهم تسعة عشر قال تخافون من
تسعة عشر وانتم الناس كثرة انا اكفيكم التسعة واكفوني انتم العشرة وهو على التحقيق خطاب
معبر عن الملئكة المعذبين عليهم السلام في دار سقر من دار البرزخ وهو الاظهر لما قدر عليه
الخطاب الكريم وربما كان هذا العدد عدد الرؤسا منهم ولهم من الاتباعين ما شاء الله واما
عددهم في سقر الدار الاخرة وما سيعي من محالها نعوذ بالله منها يعلم جنود ربك الا هو قال
الله عز وجل كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي
الا ذكرى للبشر ولم يعلموا انه تبارك وتعالى اذا شاء اخذهم بانفسهم وانفاسهم وربما امسك
عن تجديدها بجددها فانخرم بقاؤهم وهلكوا قوله عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم الى قوله عز وجل فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ان كان الخطاب خاصة ليهود
فيكون هذا تعريفا لهم بانه اماتهم حين صعقوا واحياهم وان كان عاما للجميع فهو اعلام من
لهم بانهم كانوا امواتا بعد ايجاده اياهم يوم قد دهم فافرقوا واشهدهم على انفسهم فشهدوا
اخبار لهم ولغيرهم باقتداره على النشأة الاخرة وسبب على الاستدلال بالنشاة الاولى وهو خطاب
منتظم بما قبله من لدن قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وهو نص
على معنى الربوبية واثبات العبودية والامر بالتعبد لله عز وجل واخبار عن الوحدانية وتبيين
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الى ان ختم الخطاب ايضا بذكر الوحدانية والانعام الى قوله بكل شيء
عليم قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة بالفاء وقرا زيد بن علي
وغيره بالقاف والخلافة تكون على ضربين اعلى وادنى ثم على درجات وسائط بين الطرفين فالعليا
منها من شانها ان يكون الخليفة على حكم مستخلفه وعلى نحو علمه وخلقه اذ هو موهل لان يقتضي
بقضائه ويحكم بحكمه ثم يكون الدنيا منها خلافه مجازا او لتسميتهم اياه باسم الشيء لكونه بمعنى منه
وبسبب وبمعنى اي بقاء المفهوم من قوله عز وجل اني جاعل في الارض خليفة اي محافظ على عهدي
ويعمل بامري ويستشهد بشواهدي فيشهد عندي وبعدها ويا خذ عنها حكمي ويستنير بنيراني ويبدل
على ما ياتي ثم اخره يكون مفهومها الدنيا منها قال الله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض هذه من الخلافة العليا وقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر
كيف تعملون وقال والى ثمود اخاهم صالحا الى قوله جل قوله هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها هذه
هي الخلافة الدنيا المعنى الى اخره حيث وقع وقوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة منكم معناه بقوله جل وعز يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
والذي يذكره بعده الربوبية ولزوم ربقة العبودية ثم اتصل قوله بذكر النشأة وذكر النشأة
وكل ذلك بمعنى تعداد النعم الى قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم

ثم يحييكم ثم اليه ترجعون يقول جل قوله كيف تكفرون بالله وهذا تقرير عجيب من وجود هذا
منهم مع وجود ما يوجب عدمه وفقده كيف تكفرون بالذى خلقكم وسخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض يحفظكم ويكلوكم بالليل والنهار ويرزقكم ويرقوامكم ظاهرا وباطنا يكفرون
به ويعبدون على هذا غيره **فصل** الله واسع عليم فسبحان من يشاء ما شاء ووسع كلامه
العظيم هذا وجوه الخلافة كما وسع كلامه كل ما اراده ومن الخلافة ما هى خلافة الانبياء
ثم خلفائهم ومنها ما هى خلافة المتسلطين والمتغلبين الجابرين عن سبيل الله جل وعز
وهذا الضرب من الخلافة هو اول المفهوم من قوله عز وجل خليفة بالقاف ثم بالتبعية يكون
مفهوم الخلافة العليا كما المفهوم الاول من قوله خليفة بالفاء مسقطا من اسفلها الخلافة
العليا وبحكم التبعية يكون مفهوم السفلى وقد تقدم المعنى الى هذا المعنى كذلك من الملائكة
عليهم السلام ما هم المخلوقون من النور وهم ملائكة الرحمة ومنهم ايضا المخلوقون من نار السموم
قال الله عز وجل والجان خلقناه من قبل من نار السموم وهم القبيل الذين كان منهم المتلبس
ابليس الملعون فى ولايته حتى اخرجه الله عز وجل بينهم ولعنه بكفره وابلسه لفسقه عن امره
فراده من جواره وعزله عن عملهم فكان مفهوم ملائكة الرحمة على جميعهم السلام ما عبر عنه حكم قوله
الحق لقبضة اليمين هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وكان مفهوم القبيل الاخر عليهم السلام
ما عبر عنه حكم قوله لاهل الشمال هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وفى اخرى فى كلتى
الكلمتين ولا ابالى بالمعنى كل الفريقين من كلامه تعالى ذكر الخلافة على هذا النحو وهو ما كان كل واحد
من القبيلين موجودا عنده فقالت العذاب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وهذا
منهم على وجه النكير على الخلافة الذين سبق اليهم علمهم وعلى وجه طلب العلم من ربهم جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه فقد يرد اتريدنا ان تجعل فيها من تخلقه وترزقه وتحببه وتميته وتجازيه
بفعله وتحسن اليه فتحفظه وتكلاه وتمكنه وتملكه وهم يكفرون بك ويكذبون رسلك
ويردون عليك امرك وكتبك ويفسدون فى الارض ويسفكون دماء الامرين بالقسط
لهم من الناس كيف هذا وما وجه الحكمة فى ايجاد هؤلاء كيف يكون وجود مثل هؤلاء منهم
مع وجود ما يوجب ضده ولم يكن بعد ظهر من ابليس ما ظهر من ضلالته وفسقه الا تسمع
جل ذكره لما اعلمهم باسمائهم ثم قال جل وعز الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم
ما تبدون اى فى مستقبل امركم وما كنتم قبل تكتمون يعنى وهو اعلم ما اظهر من شان ابليس
لعنه الله ولذلك كرر قوله واعلم ما تبدون ثم قال وما كنتم تكتمون فجعل جل جلاله ماضيا
بالاضافة الى حال اظهاره اماته واستكباره اسال الله العفو والعافية والمعافاة فى الدنيا
والاخرة ثم هنا محذوف من حال المقال اما هو تمام الكلام تقديره والله اعلم لئن امرتنا ربنا
بامرك فيهم لنهلكنهم بذلك ولئن وليتنا عذابهم لننتقمن منهم حسما عليهم من اجلك وعدة
لهم فيك ثم عطف كلام الاولين من الملائكة عليهم السلام بالواو وقولهم ونحن نسبح بحمدك
ونقدس اى مكان من لم يسبحك منهم ويعبدك عوضا من عبادتهم كما قال اولئك الذين
اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
ثم قال ونقدس لك عبادك المؤمنين اى نلهم ذكرك ونبلغهم وحيك ونلقى اليهم رسالتك

ونشفع لهم عندك وندعو لهم كما قال جل قوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد
ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الى اخر المعنى حيث وقع ذلك من شانهم **تنبيه**
ان من احق الحق الايمان بالله جل ذكره ثم الايمان بملائكته ورسله وكتبه وشهادة لهم
بما شهد هو عز جلاله به لهم وانهم الطائعون لامره العاملون به لا يوجد منهم خلاف
فى مراده ولا يجوز عليهم بهذا اصل عقد المسلمين والقول بعد هذا خروج عن العقد المجمع عليه
وخلاف النص الكتاب العزيز ورد لكلام الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وقد يكون
القول الذى تقدم ذكره ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قولا لجميعهم صلوات الله وسلامه
عليهم زائدا على ما تقدم ذكره قال الله عز وجل والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون
لمن فى الارض فجميعهم الموالى من والى الله والمعادى لمن عادى الله قولا هؤلاء رحمة من شاء
من عباده وولاء هؤلاء عقوبة من شاء من عباده حكمة بالغة **فصل** قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى قول الله جل قوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان عليكم
ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلوة العصر وصلوة الفجر
الحديث وان احدهما صاحب اليمين من العبد والاخر صاحب الشمال منه وقال النبى صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ
ذكرته فى ملأ خير من ملائه واطيب وقال الله جل وعز لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل
لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك وقالها نوح صلى الله عليه
وسلم فهؤلاء الملائكة المخلوقون من النور المقربون صلوات الله عليهم اجمعين كما قال عز
من قائل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فهذا رمى بمعنى التفضيل الى الانبياء
وقد قال عز من قائل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وقال الذين كفروا
اولئك هم شر البرية وهذا خطاب عام فى البرية المؤمنين منهم والكافرين اذ من الانس المؤمن
والكافر ومن الجن المؤمن والكافر وابليس لعنه الله كان من الجن وجاء فى بعض الاخبار وفى
الوحى تفضيل الولى على الملك فالله اعلم فان كان ذلك كذلك وجاء من عند الله ومن عند رسوله
صلى الله عليه وسلم فهو الحق المقطوع به ويكون هذا التفضيل متوجها بين مصطفى
الانس وبين الصنف المخلوق من النار الذين قال الله جل ثناؤه فيهم والجان خلقناه
من قبل من نار السموم هذا ان صح الخبر فى هذا المعنى والا فالسكوت اولى والله اعلم
قوله عز وجل انى اعلم ما لا تعلمون يعنى وهو اعلم بما ينزل ما قد شاء اظهاره من حكم
خصوص التفضيل بالانباء والرسالة والولاية لذلك نظم به وعلم ادم الاسماء كلها المعنى
لما قال هؤلاء ما عندهم وهؤلاء ما عندهم وعبر كل عن العلم الذى علمهم ربهم جل جلاله الذى
اشاروا اليه بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم اجابهم جل جلاله انى اعلم ما لا
تعلمون علمه جل ذكره لا يقدر قدره وماذا ربه علمه على علم عبده لا يتوهمه الوهم ولا يسطره
الفكر الا ان يكون هذا العلم الذى اخبرهم جل جلاله به مما قد اخرج الى الوجود فيمكن للعباد
الاشارة اليه ولو على بعد فهمناه وهو اعلم انه اشارة الى ما جعل الله فى ادم صلى الله عليه وسلم
من الحق واجزل حظه من الفطرة وخصه به من العلم وحباه من الاصطفاء والمعنى الذى

من اجل نبوته بين الملائكة عليهم السلام و باهاهم به ثم على القول بحكم العموم هو اخبار
عن سعة علمه واحاطة خبره سرا و علنا جملة وتفصيلا اعقب ذلك قوله وعلم ادم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيمكن ان يكون
هذا الخطاب والله اعلم للقبيل من الملائكة الذين افهمهم الخلافة السفلى من صنف الخلائق
فباهاهم بادم عليه السلام وعلى جميع الملائكة وهو المصطفى من الخلائق وبما علمه من اسمائها
ومقتضياتها التي هي المخلوقة بها السموات والارض وهو مقتضى السر فيها والعلانية ثم
ابتدأ جل جلاله خطابا اخر بقوله جل قوله واعلم ما تبدون اي ما يأتي منكم من طاعة لي لاثابه
من اطاعني وعقاب من عصاني ورد امري وعلى القول بحكم العموم في جميع الخلق خلقا وامرا وما
كنتم تكتمون يريد وهو اعلم جل وعز ما كتمه ابليس لعنه الله من خلافه اياه وعداوة من
ولاه والتبري ممن اجتباه واصطفاه الذي عبر عنه لئن سلطتني عليه لاهلكنه وقوله
لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا وعلى القول بالاجمال فانه اذا كان الذي
اعلمه به هو اسماء الله فان ذلك عام لمقتضى جميع الوجوه على التفصيل كله في وجود الكونين
خيرا وشرا ضرا ونفعا والعلم بمنبعث ذلك كله وما هو اتيه عليه وما يؤول اليه لذلك
قال عز جلاله للملائكة عليهم السلام لما انباهم باسمائهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون **فصل** كان ذلك من الملائكة عليهم السلام مشهد
علم ومقام تعلم ولم يكونوا علموا ان من اهل الارض انبياء ولا علماء فكشف لهم جل جلاله
عن ذلك العلم يومئذ في عبده ادم عليه السلام بتعلم الاسماء لذلك قالوا عليهم السلام لا علم لنا
الا ما علمتنا ففي قولهم هذا انك انت العليم الحكيم جملة ما عنه سالهم ونفي عليهم علم التفصيل
اي انه لا سبيل لنا الى علم ما لم تعلمنا الا بك تعليما منك وهداية الى الصواب فيه فهم لان كذلك
صلوات الله وسلامه على جميعهم لتعليم الله جل ذكره ادم صلى الله عليه وسلم الاسماء كلها
وعرضه اياها عليهم وذلك من طرح العالم المائل على المتعلم وامره جل جلاله ادم عليه السلام ان
انباهم باسمائهم فانباهم ليثبت فيهم التعليم والتعلم والتجمع على ذلك قال الله جل جلاله
لعبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد الحديث
فهم صلوات الله وسلامه عليهم يتجمعون على ذلك ويتفرقون عليه باذن ربهم جل جلاله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله الامر في السماء سمعت الملائكة له كوقع
سلسلة على صفوان الحديث و فيه حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا للذين دونهم ماذا قال
ربكم قالوا الحق ثم كذلك الى العنان وهو السحاب بين السماء والارض فيسترق الشياطين
من ذلك العلم فيكون عن ذلك ما يقال له الكهانة وفي اخرى ان الملائكة تجلس في العنان
ثم ما يحيا الله به الملائكة عندما يكون من بني ادم عباده ما يكرمهم به من طاعة واجتماع
منهم الى تعلم او ذكر **فصل** وقد تقدم فيما مضى ان اسماء الله عز وجل على ثلثة
معالم اسم يدل على ذات فقط كقوله جل قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وكذلك مذكور
ومعلوم ومعبود واسم الله من ذلك لعدم العلم باشتقاقه واسم يدل على ذات وصفة

لحي وعليم وقدير ومريد ونحو هذا واسم يدل على ذات وفعل كاسم الخالق والرازق
والكافي والحافظ والمقدم والمؤخر ونحو هذا فعلى هذا النحو ينطق الى تعرف اسمائها
ومقتضياتها ويعم ذلك جميع الموجودات فهي اما اسم ينبئ عن ذات الشيء وحقيقته او اسم
ينبئ عن صفة ذلك المسمى او اسم يدل على فعله وعمله وما وجد له ويزيد لك ايضاحا علمك
بان جميع الموجودات بجميعها معرفتك بان لكل عين معنى ولكل حق حقيقة فالعين هي الذات
والمعنى منه وعنه وبه يكون الاسم الدال عليه ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك الحديث فاذا اسماء الموجودات كلها عند الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه معلومة مسماة عنده باسماء ما وجدت له من عمل او علم ودلالة ذات
وحق حقيقة وسعادة او شقاء معلوم عنده اهل الجنة واهل النار باسمائهم واسماء ابائهم
وقبائلهم وبلدانهم ليست كما هي عندنا اذ كان الاسم منها قد يدل على مسماه بما بينه وبما هو
حقيقة وقد تقدم ان المسمى ويدل ايضا على مسماه بما هو لقبا ونبزا ولز وبما يكون تفرقة
بينه وبين غيره من المسمين بل على ما تقدم ذكره من تحقيق ذلك لذلك قال الله عز من قائل
وهو اعلم للملائكة الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون ويوضح هذا قوله عز وجل ثم عرضهم على الملائكة يعني المسمين فقال انبئوني باسماء
هؤلاء فمن الممكن ان يكون المطالبة بالاسماء التي هي لله جل ذكره المقتضية لاسماء المسمين
من الموجودات او يمكن ان يكون باسماء المسميات اذ هي منفصلة من معانيها على ما تقدم ذكره
فيهن من كونها مسماة فيما هنالك بما هي موجودة له وبه وبما يكون مالها ومصيرها
وقرا ابن ابي عبلة من حرف ابي ثم عرضها على الملائكة وفي قراءة عبد الله بن مسعود عرضهن
بالنون وما من اسم لمسمى الا له من اسماء الله جل ذكره ما هو يقتضيه واذا تمهد ان يكون المطالبة
بالانباء باسماء المسمين بها فيمكن ان يكون معنى قوله يا ادم انبئهم باسمائهم اي باسماء انفسهم
فان الكلام العلي يسع كل ذلك كما تقدم ذكره وان اسماء الملائكة عليهم السلام هي على حقائقهم
وحقائق ما اوجد له كرضوان خازن الجنة ومالك خازن النار عليهم السلام
جميع معاني موجودات الجنان منفصلة على معنى اسم الرضوان فكذلك اسم مالك الملك بمقارنة
اسم الغضبان من الملوك والخلافة منه يتفصل اسمه الى جميع معاني موجودات جهنم اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها من اسر ووثاق وغضب وعذاب والم وجهامة وحوب وخزي
ثم الى جميع موجوداتها الى غاية المعلوم منها وقد قيل ان اسم جبريل صلى الله عليه وسلم عبد الله
واسم ميكائيل عليه السلام عبد الرحمن فان كان ذلك يثبت من طريق مقطوع به فقد كان جبريل
عليه السلام رسول الله جل ثناؤه الى المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والرسالة مقتضاها
البشارة والنذارة ومقتضا الوعد والوعيد ثم الثواب والعقاب وكان لذلك صلى الله عليه وسلم
يجيء باهلاك المهلكين وعذاب المعذبين كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء بالثواب والبشارات
بالنجاة والفوز لاخرين ومن اجل ذلك قالت اليهود ذلك عدونا من الملائكة وكان ميكائيل
عليه السلام ياتي بالرحمة والله اعلم **قوله** عز وجل فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انظام
هذا والله اعلم بقوله وعلم ادم الاسماء كلها بين ذلك قوله عز وجل انه هو التواب الرحيم

وفي اسمائه جل وعز الغفار والتواب والحليم والمنان والرحمن والرحيم ونحو هذا
وقد قيل في توبتهما هذه انها قولهما عليهما السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وقيل ان ادم عليه السلام قال لربه جل جلاله رب ارايت ديني هذا الشيء
ابتدعته من قبل نفسي او هو شيء كتبته علي قبل ان تخلقني قال بل هو شيء كتبته عليك قبل
ان اخلقك قال رب فيما كتبته علي قبل ان تخلقني اغفر لي فغفر له وقد جاء ان من اذنب ذنبا
فعلم ان الله كتبه عليه قبل ان خلقه غفر له وان لم يستغفره وقال الله جل من قائل واني لغفار
لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة
ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وقال جل قوله في كتابه الاول الذي عنده العرش انا الله
لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومن مفهوم الاسماء التي هي لله جل ذكره قول النبي صلى الله عليه وسلم
لو لم يذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وفي معنى هذا ايضا انه العفو يحب العفو
والغفور يحب المغفرة والكريم والحليم يحب الكرم والحلم ونحو هذا ويثبت على ذلك تمدح
بذلك واتصف به ليس كذلك فيما عاد الى اسماء الغضب والسخط والانتقام ونحو هذا فلعل هذا
كله وما نحا نحوه مما يلقاه صلى الله عليه وسلم من كلمات ربه عز وجل وقولهما صلى الله عليهما
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين اقرار منهما عليهما السلام واعتراف
والقاء بانفسهما بين يديه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وانه الرب لا رب لهما سواه يغفر الذنب
ويأخذ بها ويقدره عليهما قبل ايجاده اياهما ثم يوقفهما اليه سوقا ويخرجهما على انفسهما بالجناية
عليهما ليكونا بذلك مذنبين مرسين فيستحقا بذلك اللوم ويتوجه عليهما بذلك الحجة ولا يقدر
على ذلك سواه جل جلاله **قوله** عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم معنى اذ
هنا العطف بها يذكر بعد اذا النعمة على ادم عليه السلام وذريته متصلا بقوله جل قوله يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم فنوجد قوله الذي خلقكم الى وصفه بالقدرة
على ذلك وعلى ما جاء بعده الى قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون يريد جل وعز وانتم
تعلمون انه لا ند له وتوجه ايضا قوله الذي خلقكم وما بعده على تعداد النعم وكثيرا ما عرف ذلك
في كتابه من تحسين الصورة واتمام الخلقة وعطفا ايضا بمعنى النبوة على معنى الربوبية ثم كذلك
الى قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم يعدد نعم العظام ومننه الكرام يقول الله عز وجل من ذا
الذي ينفع اليه فيكم من ذا الذي وجب عليه يستبق منه اليكم ولما كان انباء الله ادم بالاسماء وتعليم
اياها وامر الملائكة عليهم السلام بالسجود له من وجود الانباء والرسالة وبما في السجود من معنى
الاقتداء كان قوله واذ وان حيث جاء في هذا الخطاب منتظما بقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا المعنى فهذا وجه اذ في هذه المواضع والعطف بها **فصل** في هذا الخطاب البيان
البين ان ابليس لعنه الله كان قبل من الملائكة الى ان ابلسه الله عز وجل ولعنه لاجل خلافه امره وعصيانه
له لو كان من غيرهم لم يتوجه اليه الخطاب بالسجود ولا كان يكون بتركه السجود عاصيا **فصل**
لا يكون الامر للملائكة عليهم السلام بالسجود لادم عليه السلام الا اقتداء بسجود كان منه لربه
جل جلاله وتقدم الرب جل جلاله للملائكة بالامر بالسجود مطلقا اعتمادا على ما جاء به الامر
كله من عنده من اصناف الانبياء والرسل عليهم السلام والخليقة كلها على قوله الا تعبدوا

الا الله

الا الله والامر بالسجود لادم عليه السلام لا يصح اعتقاده مطلقا البتة دون معنى مستثنى
في باطن الامر يذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء ولما خلقه الله جل ذكره يومئذ بيده ونفخ فيه من روحه
وسواه قابلا ما جعل فيه من عقل بالشرع وما نفخه فيه من الروح بالخضوع والتعبد وما خصه به
من الاصطفاء والاكرام بالسجود له بالمسارعة الى طاعته فان مخلوقا لا يستوي ولا يتم الا بعبادة
خالقه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه والخضوع لربه فامره بالسجود له حين النفخ فيه والنبوة
له وحيا او الهاما او بما شاء من ضروب الوحي فوقع لربه ساجدا متعبدا له فكانت علامة نبوته
عند الملائكة نفخ الروح فيه والسجود لربه وكان الله جل ذكره قد تقدم اليهم بالامر بالسجود
فسجدوا لله اقتداء به وايتماما اية ذلك في الوجود ان احدا من بنيه لا يوجب الله عليه السجود
الا بحضور العقل فيه وجعل علامة ذلك الاحتلام والحيض في الجارية ويسمى ذلك بلوغا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذن الرجل واقام في ارض قفر صلى وراءه امثال الجبال من الملائكة
وان اقام وصلى صلى وراءه ملكاه وقال عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين قالت الملائكة
في السماء امين وهذا كله نص على ايتمامهم بنبيه صلى الله عليه **قوله** عز وجل وقلنا يا ادم اسكن
انت وزوجك الجنة ليس بمصيب قول من قال انهما عليهما السلام كانا في الجنة عريانين لا يحسان ذلك
حتى اكلا من الشجرة قال الجنيد بدت لهما سواتهما لانهما زعم لاكلهما الشجرة ففتحت اعينهما وعرفا
الخير والشر لاجل ذلك وقد قال الله عز وجل يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم
من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما وهذا نص منه جل جلاله على انه انما ظهرت لهما سواتهما
لاجل انتزاع لباسهما عنهما وكتاب الله جل جلاله هو المهيمن على كل كتاب قبله والحجة البالغة
على من خالفه وابين مما تقدم دلالة قوله جل من قائل ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظما فيها ولا تضحى فلو جاز ان يكونا عاريين في الجنة لجاز ان يكونا جائعين ظامئين ضاحيين
وهذا بخلاف الكتاب والله يقص الحق وهو خير الفاصلين بل كانا عليهما السلام فيما ثبت
ما عدا حكم الخلود لولا ان الله كتب على هذه الدار الموت لكانت دار الخلود فلاجل الموت من هذه
انفصلت من دار الخلد فاذا مات احدنا حصل في دار الخلود اما في خير واما في شر نعوذ بالله
من سوء المصير الا تسمع الى قوله عز وجل في الفريقين معا وابتدأ بذكر الاشقياء فاما الذين
شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض ودوام السموات
والارض هو في هذه الدار الدنيا ثم قال وقوله الصدق الا ما شاء ربك الى من قيامهم الى الحكم
يوم البعث والنشور يوم الجمع يوم الفصل والعرض على الله عز وجل والميزان والصراط
ووقوفهم قبل ذلك وفي حال لبثهم تلك الى انفصال الامر وافتراق الجميع الى فريقين فريق
في الجنة وفريق في السعير فاستثنى هذا المذكور من حكم الخلود بعد تسميته باسم الخلود وحكم
وكون السموات والارض والامر على ما هو عليه لا يخرج الجملة من حكم الخلود لولا الموت وهذا
كانت محاجة موسى ادم عليهما السلام وهما بين يدي العليم الحليم في مقعد الصدق قوله انت اخرجت
الناس من الجنة واشقيتهم بخطيئتك والمفهوم من معتقده عليه السلام انهم كانوا يموتون فيها
ويخرجون اليها وينشؤ الامر بهم فيها الى ما شاء لاجل الموت المخرج لهم عنها قال الله عز وجل
ثم اتموا الصيام الى الليل فسمي ليلا من لدن غروب الشمس الى الصبح كما اضاف عيش الصبا

في الصبا الى النهار مع انه اضيف الى الليل في حكم الصلاة فجعل صلاة الصبح جهرا
وانما صلاة النهار عجماء فالعشاء والعيش برزخ بين الليل والنهار مزج الله فيهما
الليل والنهار كذلك البرزخ بين دار الدنيا ودار الاخرة مزج الله فيه يوم الدنيا ويوم
الاخرة والاسم الجامع لهما يوم الدنيا ويوم الاخرة كما الاسم الجامع النهار والليل ويجمع
هذا وهذا اسم اليوم فلاجل هذا متى غربت الشمس حصلنا في الليل واذا طلع الفجر
حصلنا في النهار كذلك الدنيا مع الاخرة واذا مات احدنا حصل في الاخرة والاخرة هي
دار الخلود وليس بعد ذلك الا حكم البعث وما فيه ثم المنقلب منه الى احد المحلين مع
تمحيص بعد تمحيص ثم يتحقق حكم الخلود والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فحكم يوم الدنيا
هو ما دام من هذه الحيوة فاذا مات احدنا فقد حصل في معنى الليل والليل هو مقدمة
النهار من النور وهو اليوم الاخر وتلك دار الخلود اليوم يجمع الليل والنهار فاذا بعثنا
فهو النهار والوقوف يوم الجمع بمنزلة عيش ما بين الفجر وطلوع الشمس انه على التجلي
العلي فلذلك سمي ما بعد الموت باسم الخلود خالدين فيها الا ما شاءه بين بعث وجمع فجميع
ذلك **فصل** ذهب الاكثرون الى انه اسكن جنة الخلد التي وعدها الله المتقين في
الدار الاخرة وذكر اخرون انه نزل في الجنة من السماء في جبل من جبال الهند وذكر اخرون
ان تلك الجنة كانت في ذلك الجبل بالهند معروف عندهم باسمه قالوا ولذلك وجد فيما هنالك
شجر القرنفل والعود والصندل والاصماغ كلها كالمصطكي واللوبان والكندر وانواع
الطيب كالمسك والرامك وغير ذلك من العقاقير والافاويه الطيبة ومنهم من قال لم يكن حسبه
في السماء بل كانت في الارض في ناحية نواحيها وان تلك الناحية هي ناحية تطلع الشمس وان الاربع
الانهار التي هي في هذه انقسمت عن نهر هو في تلك الجنة وهي سيحان وجيحان والنيل والفرات
وكثر اختلافهم في ذلك جدا مع اتفاقهم على انه كان في الجنة وانه اخرج منها بالذنب اصابه
وجاء ايضا انه مكث اربعين سنة في الجنة فخارة يتصلصل حتى نفخ فيه جل جلاله الروح
وكانت الملائكة عليهم السلام تتعجب من خلقه الحديث وجاء انه مكث تلك المدة جسدا ملقى بين
مكة والطائف هذا الاختلاف كله مع اتفاقهم على انه كان في الجنة خلقه وسكناه الى ان الم
به الخطب الجليل قال الله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى قوله وقلنا
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة ولم يقل جل جلاله ادخلا الجنة وقال في اخبار عن اخراجه
اياه منها فازلهما الشيطان عنها ازل وزهق ودحض بمعنى سواء ومنه قولهم الطحلب هو صفا
الزلال الذي يزل عنه اقدام الرجال اي يزهق عنه وعبر ايضا عن حوالة الحال بقوله
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي لما زلا عن الجنة وزهقا عن مقامهما فيها طارت
حلاهما وتكشطت عنهما ملابسهما وفي هذا دليل على انهما كانا لا يبولان ولا يتغوطان اذ لو كان
ذلك لعري منهما لم تعرف قبل الا بحلول العقوبة عليهما وايضا فليست الجنة دار بكا
وفناء وانما ذلك في هذه الدار ولا بقاء لكلها بطل ودكس كيف وهي الدار التي لا تنفس
فيها جهنم بنفيحها كهذه وانما كان وجود الاركاس ولا بقاء لهنا لاجل فيح جهنم عافانا
الله الكريم منها فجاء من مجموع هذا انهما خلقا في الجنة وانه خرجهما منها ذهق وزلل

لحوالة حال حالت عليهما كتنزل من شرف الى ضعة ومن خفض عيش الى شقوة قال الله تعالى
فازلهما الشيطان عنها وفي اخرى فازالهما ولذلك ايات في الوجود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك وكما ان وجود الله واجب لا محالة ولا ريب في
ذلك في كل مكان نحن فيه وعلى كل حال نحن نكون عليها وذلك غيب عنا وهو شاهد صادق
الشهود حاضر كثير الحضور حقيقة حتى ان المكذب بذلك جاحد للحقيقة خارج عن الايمان كذلك
وجود الجنة والنار حق وثبوت ولا ريب في وجود حضور وقرب وان كان وجودهما غيبا
عنا وكذلك وجود الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وجود حق وان كانوا بغيب
عن مشاهدتنا وادنى موجودات الجنة اليسر كله لا ينقصهم مراد ولا يعجزهم مطلوب ولا يتجشمون
قطع مسافة الا ان يكون لهم في ذلك تنعم فتيسر عليهم كل تجشم بتباعد النعيم اثر ذلك
حضور ما يحدثه الله جل ذكره على ايدي رسله من المعجزات ويمنح اولياءه من ضروب الكرامات
وان الدنيا لتنشؤ بما هي عليه الان الى ان يتحقق ذلك عنها وفيها بحلول اليوم الاخر فتكون
الجنة والنار وعلى ذلك دلت الدنيا بسرائها وضرائها وصفاتها كلها وان ذلك يمن تحقق
حضورها اعني الجنة والنار وان كان ذلك عنا فكونه كذلك ليس بموجب له حكم العدم
بل هو الوجود الا رفع قال الله عز وجل في عبد له قتل فيه قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقال في المحتضرين ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
الى قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنت نعيم الى اخر السورة وانما وجود
هذه الدنيا الى جنب وجود الاخرة بمنزلة النوم الى جنب اليقظة وما يرى فيها بمنزلة
الحلم والرؤيا الى جنب المشاهدة والجنة في غيب السموات والارض كما كانت الدنيا يوم خلق الله
ادم عليه السلام في غيب الجنة مع وجود السموات والارض قال الله عز وجل للملائكة عليهم السلام
لما انباهم ادم عليه السلام بما اعلمه الله من الاسماء واظهر لهم المكنون قال الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض ومن الغيب الذي انباهم به فيما اعلمهم به الدنيا وما يكون عليه فان ذلك غيب
بالاضافة الى ما كانت مشاهدا لهم وانما اخرج ادم صلوات الله عليه وسلامه من الجنة خطيئته فسجن
لذلك في الدنيا فتاب الى ربه وتاب ربه عليه وهداه ولما مات صلى الله عليه وسلم خرج من السجن
بموته وهدايته الى ما يرضي ربه عز وجل فالحق اذا في انه قد اعاده الى ما كان عنه اخرجه اذ قد تاب
عما من اجله سجن في هذه واخرج من تلك ويضرب الله الامثال للعباد ويريهم اياته واكثر
القلوب في غفلتها في غيابات ومن جهلها بما اجترمته في ظلمات فهي لا تسمع لبعدها في حال
غيبتها ولا تعرف ما يحدث من الحقائق لبلدتها وربما عرفته فصدت عنه سهوا منها عما طرفته لغفلتها
عنه وجهلها به والله يحكم لا معقب لحكمه وهو الغالب على امره جل جلاله وصف الغيب عليه
مع وجود ظهورها ويوجد حكم الشهود عما هي بسبيله من ظهورها عطلوبها مع وقوفها على
مشاهدتها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب **فصل** الواقع عليه اسم حقيقة
الحق هو الله جل جلاله ويقع على الغير اسم فاعل مجازا وتشبيها بوصف الحق ثم للاعتبار
في استحقاق مجاز هذا الاسم المجازي درجات مزيدة وصف المضطرين المجبرين ثم وصف
ذوي القدرة والقصد والاختيار الى وصف فاعلين الذين وقعوا افعالهم على مواقعه

دضی ما کهم جل جلاله والفاعل الحق جل وتعالى ليس كمفعوله مفعول كما ليس كفعله فعل
ذلك لانه جل جلاله وتعالى علاؤه ليس كمثله شيء فعله جل جلاله ليس بعلاج ولا تكوينه
معمول لا به عن مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه الا ترى ان العلاج والمزاج و
العلل اغيار والاغيار ليس فلذلك صعد مفعوله الى غاية كمال كل مفعول وانما حقيقة فعل
الغير كسب وتوسط هو مكتسب لحظ في ذلك المفعول بواسطة قدرة محدثة هي
خلق الفاعل الاعلى جل وتعالى حكمة بالغة من لدنه جل وعز ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى ولاجل هذه اللطيفة ربما خرج مفعول هذا المكتسب على غير مراده ودنا
ظهر منه القبح والشر اول وهلة ولم يصعد في الكمال الى غاية اذ هو في كل احواله ليس بخارج
عن مشيئة الفاعل الاعلى جل وتعالى ومراده منه وبه **فصل** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خلق ادم بيده وغرس جنة عدن بيده وغرس شجرة طوبى بيده وفي اخرى خلق الله
اربعا بيده العرش وجنة عدن والقلم وادم عليه السلام وقال لكل شيء كن فكان وفي اخرى وكتب
التوراة بيده اعلم وفقنا الله واياك ان كل ما خلقه الله خاصا من لدنه واضافه اليه خطابا
القبض الذي هو خطاب الوحدة فهو اعرق وصفا واحق حقيقة وجودا كاخباره جل جلاله عن خلقه
العالم وعن خلقه ادم عليه السلام فاكان على هذا فالخير اسرع اليه لا محالة ثم ما كان في هذا
الوجود على هذا الوجه من شيء فلعله ما وهو ما عبر عنه قوله الحق خلقت بيدي فانه وان كان
جل جلاله كلتا يديه يمين مباركة وهو المنزه العلي عما سوى الخير اذ هو الذي استاثر بصفات
الكمال وسبحانه وتعالى فانه ربما اخرج في المصنوع معاني الشر و قدر ذلك في المصنوع وعنه منع
سبيل الاكتساب يكون ذلك منه او من غيره من المكتسبين على سبيل الجزاء الموجود بحكم العدل والفضل
والابتداء والابتداء الموجود منه بحكم الحكمة فقف على هذا وتدبره جدا والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم والمقصود من المعتقد في هذا ان المفعول الذي له وبه ومن لدنه لا بواسطة قدرة
محدثة ولا قصد مكتسب فهو خير كله ثم ما اخرج يظهر منه وعنه معاني الشر والمفعول الذي
بواسطة مخلوق وقصد مكتسب ولو كان بتقدير منه جل وعز وارادته منه وعونه له فهو المفعول
الذي قد يكون منه معاني الشر باديا وعلى ما شاءه منه وبه ثم ان كان اوله خيرا فالوسائط يفعل
بما اعطاها الفاعل الحق جل جلاله وتعالى من جعول المجعول مثل وذلك منها **فصل** قال الله
عز وجل فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقال عز قوله فوسوس لهما الشيطان
ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او
تكونا من الخالدين يقرا بفتح اللام وخفضها من ملكين الوسوسة القاء العداوة في النفس وترداد
ذلك ومتابعته عليها هذا اصل ذلك ثم اتسعوا بعد هذا وتجوزوا كالمعهود منهم فقالوا للكلام
الخفي وسواس قال الشاعر • وسوس يدعو مخلصا رب الفلق • وقال الوسواس الصوت الخفي وسو
وذلك لتقارب بين ذلك بطي الكلام سياقها ولما كان العدو لعنه الله لا يبالي العبد ضلالة
وخبالا ارع ما يكون عنده نفسه صفقة اعظم ما يكون خبثا على العبد كما قال الله جل ذكره
انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ولفظ الوسوسة واقع على ما كان من امر بكفر او دخول
بين العبد وربه عز وجل ثم عم بعد اسم الوسوسة فيما كان من امر بصغائر الذنوب وكبائرها

وخاصة مخاطبة النفس لاتصاله بها بواسطة الجاري من حاملها مجرى الدم الكائن في
مواد الخلقة ثم بواسطة القرين الملازم ثم المتصل بالفصل الموسوس قال رسول الله احدنا
يجد الشيء بنفسه يتعاظم ان يتكلم به يود ان يكون حممة ولا يتكلم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوقد وجدتموه الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة ذلك محض الايمان وذلك ان المعهود من العدو
لعنه الله دون انما يكون القاؤه المكروه منه في ادفع الشر وعلى موجود الايمان فيتعاظم العبد
ذلك ويوده ان يكون دون ذلك حممة حياء من العالم الكريم بذلك الرقيب القريب فبعد ان
كان ما يجده العبد من ذلك محض الايمان ولما تاصل عليه العقد من ان كل ما تصور في الاوهام
فهو بخلافه وان كل ما خالف الوجود العلي فلبيس لن يضر الله شيئا وسيجزي الشاكرين **فصل**
كانت وسوسة العدو لعنه الله لادم صلى الله عليه وسلم عند نفسه وما نواه من ذلك دخولا بينه وبين
ربه عز وجل اقام نفسه اللعينة في ذلك مقام الامين الصادق والناصح المشفق على ادم عليه السلام
مع ربه تعالى البرية الود ودلوا ان له ربه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالصدق في ذلك
بقوله يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين **فصل** انطق الله جل
جلاله وتعالى علاؤه بوشانه العدو اللعين المتلبس بما هو مال ادم عليه السلام تصديق ما قاله
ان اكلهما تلك الشجرة كان السبيل بلوغ محل الخلد ونيله الملك الدائم الذي لا يبلى فكان نهيه عز وجل
اياهما عن اكل الشجرة سببا الى ان يكونا ملكين او يكونا من الخالدين في مستقبل الامر فكان فضل الله
عليهما وعلى كثير من ولدهما منطويا في كلامه الذي عبر عنه بخبث نيته وان لم ينوه ولا اراده
بل الله جل ثناؤه وله الحمد جعله لهما عافية لصبرهما ومخرجا من كونهما وبرا انزله عليهما
من عزمهما بان تاب عليهما وهداهما ورفعهما بذلك الى الجنة العليا واحلهما محل الخلد في الملك
الدائم السرمدي الذي لا يبلى هذا له ولذريته المؤمنين وانما حاق سوء العاقبة بالعدو المتلبس
لعنه الله وبمن اتبعه عافانا الله فصدق الله جل ثناؤه عليهم ظنه فاتم الله عليه وعليهم كلمته كما
ايأسه مما نواه في ادم صلى الله عليه وسلم ومن اقتدى بسنته الحسنة **فصل** لما نظر ادم صلى
الله عليه وسلم بعين الغفلة وحرص النفس على انفاذها شهوتها مع الحرص على تعجيل الملك
الدائم والخلود الذي قرره العدو في نفسه نسي عهد ربه واغفل موضع الفهم فيما
طواه العدو لعنه الله عنه في قوله وما وصف به نفسه وظاهر ما اضافه الى ربه جل
وعز سبحانه من اقامته اياه مقام النعم الذي سبح عنها كل شيء مصغيا الى العدو في ظاهر
وسوسته غافلا عن موضع الاعظام والاجلال متدليا الى الخلافة على كره له لمكان ايمانه منازعا
الى الترك معنى وما عليه في انفاذ المقدور قال الله عز وجل معبرا عن وصف هذه الحال وقاسمهما
اني لكما من الناصحين ولم يقل لهم اقسم لهما بل اخرج ذلك على وزن المفاعلة عبارة عن وجود
المراجعة لمقام الكراهية منه والمتابعة لانفاذ المقدور ومناوشة النزوع والنهي لاجل الايمان
الموجود في نفسه وعظمة الله في قلبه **فصل** قوله عز وجل فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
الاية لما اصغيا الى وسوسة العدو لعنه الله والقائه العوراء اليهما من قوله واقدما على ادم
كانت بداية العفو به مما يجانس ذلك ظهور العورة منهما اذ لم تستعيذا من شره وسوء كيده

فكانت الغيبة حينئذ عن الذكر سببا للغيبة اليوم عنه الى دار الدنيا وكان اكلهما من الشجرة
المنهي عن اكلها سببا للماكولات حرام في الدنيا ومباشرتها وكانا برازهما بور في الجنة علامة لتبديد
اللباس **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم وموسى عند ربهما فقال موسى لادم انت ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته اخرجت الناس بخطيئتك من الجنة
فقال له ادم انت موسى رسول الله وكليمه آتاك الله من علم كل شيء وكتب لك التوراة بيده فبكم وجدت
ذلك كتب علي قبل ان اخلق قال باربعين سنة قال افتلومني على شيء كتب علي قبل ان اخلق باربعين
سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى قالها مرتين اي انه حجه بان عمل ما سبق له في علم الله
وكتابته انه لابد عامله وتمت محاجته اياه بانه قد تاب الى ربه عز وجل من ذلك ووجد ايضا بان توبته
ذلك مع ارتباطه بالتوبة كان سببا الى خلوده في المحل الاعلى مع الرفيق الافضل في الملك الدائم
والخلود السرمد والنعيم المقيم وكذلك كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر المحاجة مرتين
فصل امتحن الله آدم بالشجرة كما امتحن ابليس لعنه الله بادم صلى الله عليه وسلم فبلا من عليه
فكان منهما ما سبق لهما في علم الله عز وجل بهما فاما ادم صلى الله عليه وسلم فتاب ربه واناب وتعرف
لدينه واهتدى والحمد لله رب العالمين فغفر له ذنبه وجعل له من امره يسرا ومن كربه فرجا
ومخرجا فجعل لجنة الدنيا وجنة دار الخلود ومحل المقامة والنعيم الدائم السرمد في جوار
الله ورضوانه وجعل ذلك كله باقية في عقبه وقسم له نصيبا في توبة من تبعه وائتم به
في توبته واما ابليس لعنه الله فابى واستكبر وحاج عن هواه وفاخر بنفسه فلعنه الله جل ذكره
وايأسه من رحمته وجعل جنة الدنيا وجنة النار الكبرى في عذاب السعير وبعد عن الله سبحانه
منه وجعلها عز وجل كلمة باقية فيمن تبعه وحمله وزاد من ذريته في فعله **فصل**
قال الله جل من قائل يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما وصية من الله جل جلاله ونصيحة منه لنا جل وعز يقول
لا يفتننكم كما فتن ابويكم نزع عنهما لباس التقوى فكان ذلك منه نزعا للباس الظاهر
اراهما بذلك سوآتهما اي عوراتهما الخلقية ثم عوراتهما الظاهرة فسلط العصمة عنكم
فيقعون لذلك في الذنوب وفي كبارها بعد صغارها وربما ال ذلك بكم الى ان يخرجكم
من الجنة التي اعدت للمتقين كما قال عز من قائل انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
فصل التقوى في الدنيا هي الجنة بدلا من الجنة التي يدخلونها يوم محض وحكم من جنة
الدار كما كانت الجنة دار ادم وزوجه صلى الله عليهما فخرجا عنها بذنبهما وطار عنهما لباسهما
كذلك يخرجكم من التقوى بفتنته ذلك قوله ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون **قوله**
عز وجل قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الى قوله خالدون ونظيرتها في سورة الاعراف وسورة طه جعل جل ذكره لزوم
التقوى عوضا من سكنى الجنة التي اخرجا عنها وسببا الى الرجوع اليها كما جعل الكفر به
والخلاف له عوضا من النار التي اعدها لهم وسببا الى دخولها والخلود فيها لان ذلك هو يوم
الخلود وهذا عهد من الله جل ذكره عهده الى عباده منفصل من العهد الاول مقرون به
بشارة ونذارة عبرة هذان عبدان من جملة عباد الله جل وعز احدهما تاب اليه من ذنبه

واناب واعترف فنجا من عقوبته ثم اخرج من داره لذلك وابعد من جواره والاخر
اصر على معصيته فلعنه وابلسه ثم اخرجه من ملكوته وعزله عن عمالته وحرم عليه
طاعته وحجر عليه عصمته ورحمته ولما اخرجهما قضى عليهما بالتناسل فملأ منهما الارض
وعمر بهما الهواء وضاقت عليهما الدنيا لصغرها فقدرهم اجيالا واخرجهم الى الوجود
قرنا بعد قرن في مدد متراخية وازمان متساوية يقبض بالموت ويبسط بالايجاد الى ان يقضي
فيهم امره ويحصي منهم العدد الذي احصاه وقدره ويبلغ كل الى اجله الذي اجله له ويبلغ
رد من ذلك لديه ثم يحله المحل الذي سبق في علمه ان يحله اذ قد اعدهما قبل ذلك دارا فضلها
على دارين لا يقدر قدرها سواه ولا يبلغ كنه علمها غيره خلقا وامرا فكيف من حله
من القرون الماضية والاحياء الخالية فكم قطع بذلك من رزق ونسل وكم اعد
على ذلك منهم من قول وعمل سبحانه جل جلاله سبحانه وله الحمد كيف ينكر منكر الاعادة
بعد البداية او يكذب مكذب بالدار الاخرة بل كيف يصحو المصدق بهذا من خوف مزعج
او يخلوا من حزن مقلق ما اعجب هذا لله الامر من قبل ومن بعد وما تشاؤن الا ان يشاء
الله ان الله كان عليما حكيما **فصل** قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلوة
طلب المعونة من مالكها لاجل العجز عن القيام بالامر واجب والعجز قد يكون عن عدم القوة
على الفعل كالمقعد عن المشي والاعمى عن الرؤية ونحو ذلك وقد يكون عن عدم الاستطاعة
الشغل بغير المامور به بدلا منه كالشغل بالتجارة عن طلب العلم وعن الطاعة بالمعصية وهذا
يكون من امر الشيطان وعمله ووسوسته من هنا وجب ان يستعان بالله عز وجل على طلب
الوفاق بالصبر على اكراه النفس في صرفها عن مرادها وبالصلوة تعوذا بالله من الشيطان
الرجيم لقرب المصلي من ربه ولان خاصة الصلوة النهي عن الفحشاء والمنكر والامر بما جعلت
الصلوة له ومن اجله ولذلك وصى بها وحذر من فوتها وفيما يذكر من كلام عيسى بن مريم
عليه السلام عبد الله ونبيه صلى الله عليه وسلم يا معشر الحواريين اني قد بطحت لكم الدنيا
على بطنها واجلستكم على ظهرها فلن ينازعكم فيها الا الملوك والشياطين واما الشياطين
فاستعينوا عليهم بالصبر والصلوة واما الملوك فاتركوا لهم دنياهم يتركوا لكم آخرتكم وليوطن
من رام تنفيذ هذا العهد على مقاساة اهوال وخوض غمرات وعبور لجج ووحشة طريق
ووحشة انفراد فعليه بالدعاء والابتهال والعزم على جهاد النفس والتضرع الى القريب
المجيب ولذلك قال عز من قائل وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون **قوله** الصبر يوهن كيد شيطان الطبع وهو الذي يجري من ابن آدم مجرى
وخاصة الصبر تجيء على مخالفة الهوى ومخالفة الشيطان القرين عند مخالفة اسباب ما
يجلب عليه شيطان الفصل حيله ورجله من حال غضب مغتر في حدة او شهوة عارضة او هوى
مطبق قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد غضبه حتى يعرف في وجهه فيحلم عنه من
الاقتداء والتأسي كقوله مرة وقد غضب يرحم الله موسى فقد اوذي باكثر من هذا فصبر
ومرة كان صلى الله عليه وسلم يكظم غيظه كظما ذلك بان شيطان الطبع منه قد صلح
والشيطان القرين كان اسلم فانقطع كيد الفصل عند ذلك وفي مثل هذا قال الله عز وجل

ان كيد الشيطان كان ضعيفا وحد رجدا من كيده مع كفر شيطان الطبع **قوله**
تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا خلق لابينا ادم عليه السلام جميع ما في الجنان واسكنه
اياها ياكل ويشرب ويتبوا منها حيث يشاء ونهاه عز وجل عن الشجرة ان ياكل منها وتاويل
تلك الشجرة في موجودات الدنيا ما تفرعت اليه فروعها الى اربعة الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به ثم ما تفرعت اليه فنا نها من انواع المناهي وضروب الملاهي وذهبت
كل مذهب حتى انقسمت لذلك الدنيا الى ذكر وفتنة فكل ما اذهب اليقين كشف العورة وكل
ما غير العقل واضر بالمروة حال بين القلب وبين ربه وكل ما جر الى مخالطة الناس تفرعت في
حقه هذه الشجرة الى جميع انواع المناهي وقد بلغلغ في ذلك ذهبت في كل مذهب لتبلغ غايتها
حتى تبدل في حقه الذكر فتنة قال الله عز وجل الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار
البوار فمن اعتزل عن الناس وبعد عن الاملاك المتداولة وزهد في فتياتها الدائمة
ضعفت هذه الشجرة في حقه وقل اشتباك فروعها في مسالكه **قوله** عز وجل يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم الى قوله وانهم اليه
راجعون الله عز وجل هو المنان بابتداء الاحسان ولعزته جل وعز لم يوجب للمكلف الوفاء
منه بما له عنده من الخير وحسن المآب الا بعد الوفاء من المكلف بما عهد اليه به وفيه واياي
فارهبون يقول جل من قائل وليرهب من سطوتي واليم عذابي من لم يف بعهدي ولم يحفظ
وصيتي ثم قال وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به الخطاب للسبطين
من يهود قريظة والنضير لقرب جوارهم من موضع نزول القرآن ثم جملة بني اسرائيل في ذلك الزمان
فكفر السبطين به على مفهوم هذا الخطاب موجب عليهم اثم جميع من كفر به من اهل عصرهم
ثم اثم من ياتي بعدهم الى يوم القيمة كما ان كفر اهل عصرهم موجب عليهم اثم من كفر به
ممن ياتي من بعدهم لا ينقص بعضهم منه وزاد بعض شيئا ولذلك حذر الشياطين غير ذلك
هذه العظمة قال الله جل وعز ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم الا ساء ما يزرون **و**قال جل وعز من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس المعنى وكما جعل على ابن ادم الاول كفلا من وزر من قتل فكذلك جعل لابينا
ادم صلى الله عليه وسلم نصيبا من توبة من تاب بعده لانه اول من احيا نفسه بالتوبة فما اعظم
ما وهبه ربه جل وعز بتوبته تلك **قوله** عز وجل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة و
اركعوا مع الراكعين يحتمل ان جل ذكره لبني اسرائيل اقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين
يعني بالراكعين امة محمد صلى الله عليه وسلم كذلك قال عز من قائل لابراهيم واسمعيل صلوات
الله عليهما طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته ويحرج ايضا اذا دل على ذلك الى ان يكون المراد بذلك صلوة الجماعة اي اقيموا الصلوة
واتوا الزكوة وصلوا مع المصلين كما قال عز من قائل لمريم عليها السلام يا مريم اقنتي لربك و
اسجدي فهذا هو الامر بالصلوة على سبيل الحمد ثم قال واركعي مع الراكعين كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد فرغ من تعليم اصحابه صلوة الفريضة في الجماعة فوعظهم ورغبهم ثم ندبهم
الى صلوة النافلة في حال الانفراد اذا فرغ احدكم من صلوته في المسجد فليجعل النفسه

في بيته من صلاته نصيبا فان الله جل جلاله جاعل له في بيته من صلاته خيرا وفي اخرى
نورا وفي اخرى اجعلوا من صلوتكم في بيوتكم ولا تجعلوها قبورا ينزع بهذا صلى الله عليه وسلم
الى المفهوم من القرآن العزيز وكما خص عز وجل على الصدقة سرا وجهرا فكذلك
الصلوة فكثيرا ما جاء ذكرها بالمقارنة حيث جاء السجود والقنوت كان لمن كان قبل
هذه الامة والركوع مما زيد لامة محمد صلى الله عليه وسلم نعمها الله جل ذكره بذلك لابراهيم عليه
السلام قبل ايجادها في قوله وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وربما
كان قد كلف الركوع انبياءه واهل خاصته والله اعلم **قوله** جل وعز واستعينوا
بالصبر والصلوة دلهم على حسن العون وهو الصبر والصلوة **فصل** الصبر في ثلثة مواطن
الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على المصائب وفي الجملة الصبر على الباساء والضراء
وحين الباس والغرض المقصود الاول بذكر الصبر هنا هو الصوم مع استصحاب عزيمة
الصبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم نصف الصبر وباستصحاب تعاهد الصوم يكتسب
الصبر للمعهود ومن كسر سورة الشهوة وتوهين حزب الشيطان منه **فصل** الصلوة
بما هي صلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر والصبر يذكي العزم والجلد ويثبت الاقدام ويشجع
الجبن ويشد الازر ويكسب ضراوة العفاف ويقوي صفة عين اليقين ويفرغ الاعضاء
للعبادة والقلب للذكر والفكر ويوجب الصحة قال الله عز وجل واصبروا ان الله مع
الصابرين وبهاتين الخصلتين توفي بالعهد ويحتمل العسر ويلزم طريق الاستقامة
لذلك قال عز من قائل وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم
اليه راجعون **قوله** جل وعز واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
السوم التزيد على الشيء ومنه اشتق اسم السائمة من النعم انها تسوم الرعي وتزيد
على المرعى هذا خطاب معطوف على قوله واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
العالمين ثم عطف على ما تقدم ذكره قوله واذ فرقنا بكم البحر واذ واذ كذلك الى قوله الذين
اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون
يخاطب في ذلك كله بني اسرائيل ويعرض بهذه الامة بما اصاب اولئك في بيوتهم من البلاء
والامتحان لكثرة عيوبهم على انبيائهم وعن انقيادهم بعد هؤلاء من الوقوع في مثل
ذلك ويودينا بغيرنا ويريبنا في ذلك اية ارشادا وتبصرة **عبرة** قال الله عز وجل
في بني اسرائيل ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤوا بغضب
من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا
بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قيل يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن اذا وعصم الله جل ثناؤه هذه الامة بان لم يجعل فيها اشياء وتوفي رسولهم
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين وعلى الملائكة المقربين وهو
عنهم راض وسائر ما فعلوه هم قد المت به هذه الامة فمن راى بهذه الامة ما حل ببني
اسرائيل من ذلة ومسكنة واسر وقتل وسبي وغير ذلك فلا يرجع ما للامة الا الى مخالفة

كتاب ربه وتبديل حكمه ونبذهم اياه وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون الى غير ذلك وانما
اشرنا الى هذا لئلا يظن بالله جل ذكره ظن السوء بل ظن السوء راجع علينا السوء اعلى
ولو احسنا لاحسن الينا قال الله جل قوله ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم
سيئاتهم الى قوله ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم بل رد الامر منا الى مفهوم قوله منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء
ما يعملون لم يبلغ الله جل ذكره هذا وشبهه ليطلعنا على معايبهم حسب بل لنتذكر متى
راينا تلك العلامات منا وفينا فنتوب اليه ونزدجر فان الله التواب توبة فجيعنا صادقة
وانابة لا مسامحة ورجعة اليه مونة قريبة نوضاه لمنا ونحبها بمنه وكرمه يوم عفوه
عبرة وموعظة قال الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وقوله الصدق وحكمه الحق في بني
اسرائيل وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله فهذه عقوبة منه لهم وجزاء
لاعمال كانت منهم ثم قال ذلك اشارة منه الى ما ذكر من الجزاء لهم والعقاب بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق فبهذا استوجبوا منا الذلة والمسكنة والغضب واللعن
ثم قال ذلك اي من غضبنا عليهم وقال الزمناهم من الذلة والمسكنة والخلود في جهنم
بما عصوا وكانوا يعتدون فذكر انهم عصوا الله والرسول فيما امروا به ونهوا عنه فكان
ذلك منهم عصيانا فلاجل العصيان وعقوبته استجرهم الشيطان من صغار الذنوب الى كبارها
ومن كبارها الى الكفر وقتل الانبياء بغير الحق والى قتل الامرين بالقسط من الناس
ثم قال جل وعز ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي الحدود فليتق العبد ربه وليجتنب
صغائر الاثم وكبيره فان الذنوب يجر الذنوب والعقوبات على ذلك يتشوكما حل بها ولاد فيهم
صغار الذنوب الى كبارها وكبارها الى الاكبر منها ثم الى الكفر وقتل الانبياء فنشات
العقوبات لذلك الى اللعن والغضب من الله وسوء المصير **قوله** جل قوله واذ
واعدنا موسى اربعين ليلة بعدد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فعمد عليهم في امتنانه
نبيه الذي ارسله اليهم صلى الله عليه وسلم اذ يقع اتمام النعمة عليه في نبوته وارساله
ومواعدته اياه واكرامه بتكليمه وتوجيهه وتشريفه عائد عليهم راجع عائدته اليهم
لو يعقلون فكان منهم فيما كان يجب عليهم من شكر النعمة ان اتخذوا العجل بعده الها من دون الله
المنعم عليهم وكان قد اعلم رسوله موسى عليه السلام ان قومه سيكونون عاقبتهم ان يحل عليهم غضبه
نعوذ بالله من ذلك عبر عن ذلك القران بقوله يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور الايمن الى قوله ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى وانباه الله موسى عليه السلام ان قومه قد اضلهم السامري فرجع اليهم غضبان
اسفا اي حزينا مما توقع نزوله بهم من غضب ربهم جل وعز لمعاجلتهم اياه بالخلاف فقال
لهم بئس ما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم اي غضبه بالطغيان عليه في نعمه عليكم فكان
ما قصة من امرهم **قوله** عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم جاء في التفسير
ان هذا الامر هو امر عزم بان يقتلوا انفسهم وانهم قتل بعضهم بعضا فكذا جاء في كتب

اهل الكتاب والله اعلم اكان ذلك ام لا امنا بما انزل الينا وانزل اليهم وسلمنا لما هو الحق
عند ربنا وكتاب الله اعظم فاصل واكبر شاهد والمهيمن على ما جاء قبله من كتاب وربما كان
ذلك عبارة عن التورية الى الله والانحاء على الانفس بوظائف العبادات والتشديد عليها
والتنكيل بالكسر لها ومنعها ما لها حتى ترضى ما عليها يدل على ذلك قوله لتخذي العجل فتاب
عليكم ولو قتلوا انفسكم فهلكوا لم يقل جل قوله فتاب عليكم بل كان يقول فغفر لكم وقد ابى
جل جلاله في حقنا وله الحمد على ذلك فجعل سنة التوبة ذبح النفوس بالكسر لها والمنع
من شهواتها حتى يرجع الى ما يرضى ربها وذلك في الاعتبار موت في حق المذنب من الحال التي
كان عليها من كسب الذنب كما التوبة حيوة في التائب عن موت الذنب وجعل عز وجل من عفوه
مساحه بهم على ذلك ان يكون خروج الدجال لعنه الله فيهم ومنهم وانهم متبعوه وناصروه
كفروا ابدا الى كفرهم كما كفروا به لولا وانهم الممتحنون من اجله المقبولون حقا بحكم الله
جل وعز وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم عيسى بن مريم وكما نصب بركة السلف الخلف
فلذلك يشقى الخلف بشوم السلف نفعنا الله بصالح سلفنا ورزقنا بركة سبيل نبيائهم
لنبيهم صلى الله عليه وسلم وحسن تاديبهم وان يغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وان لا يجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا انه ربنا وربهم وهو الرؤف الرحيم وقراها
قتادة فاقتالوا انفسكم من الاقالة كذلك قولهم انا لله وانا اليه راجعون ارنا الله
جهرة فاخذتهم ولتلك الصاعقة بظلمهم حيث لم يعرفوا انفسهم وتقفوا عند حدودهم
واجترءوا على ربهم عز وجل بسوال لم يكن ينبغي لهم ضعفوا عند ذلك واصابتهم
الحجب والطود والابعاد والغضب بجزيهم وصفهم انه حكيم عليم كذلك قوله في ادخلوا
القرية التي امروا بدخولها والقرية ايلياء مدينة بيت المقدس وقيل لهم ادخلوا الباب
سجدا اي باب المسجد المقدس للصلوة والسجود وعلى حال من ياتي الى الصلوة من الخضوع
لربه والخشوع وقيل لهم قولوا في دخولكم مسجدها على حالكم تلك حطة اي انكم اذا فعلتم
ذلك فقد غفرت لكم ذنوبكم وحطت عنكم خطاياكم فامنوا بذلك واعتقدوه في
قلوبكم ايمانا به جل جلاله يقول الله جل جلاله فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي
قيل لهم الله اعلم بما عوضوا مكان ذلك من قول وعمل جاء من طريق احاد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال دخلوا على استاههم يزحفون وقالوا حبة في شعرة وغيرها
حبة في حنطة والله اعلم اكان ذلك على هذا الوجه ام لا وطريق هذا العلم لا يثبت بطريق
الاحاد غير انه ذكر حالا يكنى عنها بذكر العورة والمشي الذي لا يوصف بالاستقامة
والعرب تقول للكلمة القبيحة العوراء وكل من ابتدع في شرعه بدعة وترك الواجب امتثاله
فجدير ان يحكى عن قوله وفعله بمثل هذا فاصابهم بذلك عتو على نبيهم وتبديل
لكلام ربهم ورب خلقهم لذلك فلذلك السمع والطاعة واعقبهم اللعن وغلظ اليهم
والقسوة وتحريف الوحي وابتياعهم به ثمنا قليلا وكل ما كان من متاع ولو كثر فهو قليل
قال الله جل من قائل افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وقال فيهم وقالوا قلوبنا غلف لعنهم الله

جل من قائل فيهم جزاء لقولهم هذا بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون وقال ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك الآية **فصل** من ضعف الإيمان وقلة البصيرة ان يصلي
العبد ويتطهر ويتصدق ويتهجد ويعبد الله ويقول لا ادري لعلي لا يقبل عملي
ولعلي ممقوت عند ربي بل يتطهر بنية خالصة ويصلي لله مسلم له وجهه على
ثقة ثم يوقن بان الله تبارك وتعالى قد قبل منه فان احس من نفسه حرما وخاف
من عمله نقصا فليتب من ذلك الى ربه وليحسن الظن بالله عز وجل في ذلك كما قال فاعبده
وتوكل عليه فالله احق وعيدا واصدق قيلا وليكن مجاهدا بين نفسه وبين
وعد ربه فليثق من ربه عز وجل بوعده وليكن من نفسه على حذر من وقوع في عجب
او كبر او حسد او زهد في عمل لاجل انه تقصد بطنا او لاجل ما وعده من يكفر
السيئات او اساءت الحسنات فانه لا يدري بما يختم له كما قال عز من قائل والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون فانه ان لم يكن هكذا العبد بحضور العدو
عنده العمل ورماه بالكسل لاجل انه لم يبلغ بزعمه ما هو المرضي عند الله فيكون بذلك
ممن بدل قولا غير الذي قيل له يقول الله عز من قائل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى
غسق الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا ويقول واقم الصلوة طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ويقول هو انني لا ما يرضي ربي في عملي فيكون
بذلك من الذين لا يؤمنون الا قليلا وهي مزلة كبيرة وقع فيها من كان قبلنا وحذرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصراط في الدنيا ايمان بما وعد الله ورسوله وحذرها
من كل العدو والنفس والله المستعان **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من عبد مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يخرج الى الصلوة لا يهمه الا الصلوة
فيصلي الصلوة التي كتب الله عليه الا كانت كفارة لما قبلها وقال صلى الله عليه وسلم اذا
توضأ العبد المؤمن او المسلم فتمضمض الى قوله حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم كان مشيه الى
المسجد وصلاته نافلة له ونحو هذا في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كثير مشهور مصدقه
من القران قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق الى قوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
لعلكم تشكرون وربما كان ذلك في دخولهم باب المسجد وقولهم حطة على هذا المعنى فغيروا
ما قيل لهم وبدلوه وذهبوا به غير سبيله لغلظ قلوبهم وقلة افهامهم واستخفافا منهم
في معاني الوحي ولو تدبروا حقيقة ما خوطبوا به لكان معناه انهم اذا دخلوا المسجد مصلين
ساجدين اي في حال الدخول الى الصلوة والسجود فان في ذلك حطة لخطاياهم يقول الله
جل ذكره وسنزيد المحسنين يعني وهو اعلم هذه الامة بان جعل لحسنها ان يكون مشيهم الى
المسجد وصلاتهم نافلة لهم وكتاب الله هو المهيمن على ما قبله كتاب هذا هو الحق لا مرية فيه
اصدق عليه القران وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم من فضل الله جل ذكره وكريم
معاملته فليحذر العبد مع هذا ان ينظر الى عمله بعين الدعوى ان ذلك له ومنه او يتوهم
النجاة او الامن من عذاب الله عز وجل اذ الخاتمة مجهول عليها ورب ما له ذلك الى سكناه وعمله

فيفضي به ذلك الى العجب وقلة الخشية وذلك يفضي به الى الكبر ولا يدخل الجنة احد
في قلبه مثقال ذرة من كبر ولانه يفضي به الى استحقاق مقت الله اياه وميراث ذلك الطبع
على قلبه وذلك يورث التزين فلا يسمع الواعظ ولا يصغي الى عادل كذلك يطبع الله على
كل قلب متكبر جبار فاستعذ بالله انه هو السميع العليم يا ايها العبد اعبد ربك وتوكل عليه
واحذر مكائد عدوك اللعين والزم قلبك تقوى الله وخشيته لا تفارقك طرفة عين
واغتبط بكرم معاملته وافرح بفضله ورحمته واذكر قوله الحق عز جلاله وانذر به الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع لعلهم يتقون اي كي يتقوا
لا على ولتعلم ان الله عنده مزيد عظيم وعلى درجات عصمنا الله واياك برحمته من مضايد العدو
ومكائده المحذورة ومما تقدم ذكره اورث بني اسرائيل ما ذكره الله عز وجل من تبديلهم قولا
غير الذي قيل لهم كما ان دعوى العبد في العمل الذي وفقنا الله له واعانه عليه اورث العجب ثم ما
تقدم ذكره من موبقات الاعمال وخوف هذا وهذا بعث الخائفين على التصنيف له واوجب
الاخلاص والتحذير من الركون الى الاعمال والامر بالزهد في الثناء بين الناس والمنزلة فيهم
فانه يبعث على الرياء وهو الشرك الاصغر بل سبيل الحق ان يستوي عندك الحمد والذم والجاه والخمول
بل الخمول اخم لقليل واقصد لك في سيرك وبذلك يتيسر عليك ترك الدعوى والعجب والحسد
والكبر والاخلاق المذمومة وقال عيسى صلوات الله وسلامه عليه ولابين لكم بعض الذي
تختلفون فيه فاتقوا الله واطيعون فلم يطيعوه ولا اتقوا الله فبعث الله رسوله محمدا صلى الله
وسلامه عليه فبين ما اختلفوا فيه من الحق باذن ربه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فصل وقال الله عز وجل فيما خاطبنا في كتابه العزيز من معنى الجدال لهم فاذا قيل لهم امنوا بما انزل
الله قالوا نؤمن بما انزل علينا اي من التوراة ثم قال عز من قائل متعجبا من سوء ماخذهم وفساد
ما ذهبوا اليه ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم اي كيف يكون هذا كيف
يصح اعتقاده يؤمنون بما انزل اليهم وفيما انزل اليهم تصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
فكيف يؤمنون به وهم يكفرون به بل كيف يؤمنون برسول من عند الله ويكفرون برسول الله
وانما المرسلون والنبيون صلوات الله وسلامه على جميعهم كلهم بمنزلة رجل واحد فوجب
الايمان بجميعهم سواء ثم جعل يبين تناقضهم ويكسر تفصل الحق شبه اباطيلهم يقولون
انكم تؤمنون بما انزل اليكم فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم
افيما انزل عليكم قتل الانبياء ورد ما جاؤا به وقتل الامرين بالقسط من الناس اهكذا يفعل
من امن بالله وبرسله يكفر بما انزل عليهم ثم قال جل قوله ولقد جاءكم موسى بالبينات وهو
الذي امنتم به بزعمكم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اتخذتموه الها من دون الله بعد
ما تبين لكم بالايات تحقيق الالهية وثبوت الربوبية ايفعل هذا من امن بالله وما انزل عليه ثم قال
جل قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
سمعنا وعصينا اهكذا يفعل من امن بما انزل عليه يسمع ولا يطيع يؤمن ولا يعمل بل يا بني ويرد
على ربه حسدا وانفة ثم ختم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه جدالهم بالكبيرة قوله واشربوا
في قلوبهم العجل بكفرهم اي لما كفروا بعد البينات واعتاضوا العجل الها من رب العالمين اشربوا

فى قلوبهم العجل بكفرهم فاخبر جل ذكره بقطع الرجاء من ايمانهم وباليأس من رجوعهم
اذ قد اشربوا العجل فى قلوبهم فصار ذلك هوى لهم ثم فصل الحق جل جلاله الخطاب وحكم بحكم
الغالب المفلج فى المناظرة بقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين اى لستم
بمؤمنين لو كان لكم ايمان لم يامركم بهذا بل هو الكفر يسمونه ايمانا **فصل** قوله عز
وجل واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة المعنى الى اخره ذكرهم جل جلاله
بسوء ادبهم مع رسولهم صلى الله عليه وسلم وقلة تعزيزهم وتوقيرهم له نعيا عليهم سوء
ردهم عليه وعدده عليهم بقوله اتتخذنا هزوا وقول الرسول عليه السلام لامته هو الحق
لانه الحق ومن عند الحق جل جلاله جاء انما هو بشير ونذير وآمر وناه عن ربه جل
جلاله وبالجملة فانه المبلغ اليهم عنه لو كانوا يعقلون فيعوذ الصادق المصدوق
عليه السلام من سوء ما قذفوه به من ذلك بقوله اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين كلام
الهوى كله جهل وكيف به ان كان فيما هو عن الله جل ذكره وكل ما خالف الحق فهو جهل
ولما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مغانم حنين اتاه رجل كث اللحية مشمر الازار واسع
الجبهة فقال يا محمد اعدل فانك لم تعدل منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى رأى الغضب فى وجهه ثم قال عليه السلام قد اوذى موسى باكثر من هذا فصبر فانظر
وفقك الله ما كان عن فعل ذلك المشوم ان كان اية للخوارج على الامة يسفكون دماءهم
ويستحلون اموالهم ثم كذلك الى يوم القيمة هو العلم للفتنة والمفتونين **فصل**
وعلى ذلك فلو انهم ذبحوا بقرة ما لامتثلوا بذلك امر نبيهم واطاعوا نبيهم صلى الله
عليه وسلم لكنهم طالبتهم معصيتهم تلك بشومها وادركتهم عقوبة الاعتراض وجزاء
سوء الجواب فردوا عليه بعض قوله ولم يسارعوا الى طاعته بقولهم ادع لنا ربك يبين لنا
ما هى وتاويل البقرة السنة والسنة مدة من المدد والمدة قد تسمى امة ايضا قال الله عز
وجل وادكر بعد امة واما البقرة بمعنى السنة فموجود ذلك فى تاويل رويا ملك يوسف عليه السلام
ومن تسمية المدة امة ايضا قول الله عز وجل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
ولما طلبوا من نبيهم بيانا لم تدفع الحاجة اليه وصفها لهم بوصف فيه انذارهم بعذاب واقع
بهم على يدى امة من الامم الى مدة شاءها الله تعالى وظاهر الخطاب بيان المراد منهم امتثاله
فقال عز من قائل انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون معناه
لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فزادوا بذلك عذابا الى عذاب ما وعدتم به
فكان ذلك التاويل لذلك الخطاب فى وصف البقرة واقعا على امة فارس امة لا سن
بين نبى وهو تاويل قوله لا فارض ولا بكر عوان اى سنة تخبر عن قدم ملكهم بين ذلك
اى ليست على هداية شرع فكان ذلك من حكمه فيهم الى مدة شاءها ثم قالوا لمن بعد ذلك
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها فكانوا بذلك طالبين لبيان ما لا حاجة بهم اليه فاجابهم
جل ذكره بما هو وصف للبقرة المامور بذبحها وزيادة فى نعتها لتعذر وجودها فكان
هذا ظاهر الخطاب وباطنه انذار لهم بعذاب واقع بهم على يدى امة من الامم الى مدة
شاءها جل جلاله فقال انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وكان تاويل هذا الوصف

واقعا

واقعا على انه ملك بنى الاصفر ملكهم ملك مجب بعد سهم بايديهم وملكهم اياهم وايضا
فلو ذبحوها على ما حد لهم كان ايسر لوجودها واقرب الى بعض العافية ولشقائهم ردوا
على نبيهم وطلبوا البيان بالتردد ومن ضرورة اضطرتهم الى ذلك فزاد البقرة نعتا
ليتعذر وجودها جدا فقال انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية
فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون فكان ظاهر الخطاب انه وصف
للبقرة المامور بذبحها وباطنه انذار بعذاب واقع على يدى امة ثالثة تغلبهم على امرهم وتحقق
بذلك حزنهم وشقاؤهم فى الدنيا والاخرة وهم العرب امة مسلمة لا دخل فيها من غير الاسلام
وهو تاويل قوله مسلمة لا شية فيها غير مدلة للممالك ولا عاملة بالعلاج لا يرد عليهم
شرع موسى هو من غيرها ثم قال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها اى تدافعتم
الجناية فيها فقلنا اضربوه ببعضها فقلنا اضربوه اى القتيل ببعضها اى ببعض البقرة واحيى
الله القتيل واخبر بقاتله فكان ذلك من حكمه فى عاجل امرهم واخرج بذلك ما كتمه القاتلون
لذلك القتيل **فصل** كان تاويل قتل النفس المحرم قتلها فى الاجل احادا لا اصلا على
ابيهم وقتل اهله واطاس اكثر اعلامه باتباعهم الدجال لعنه الله على الكفر بالله ووقع
الناس فى ذلك الا من عصم الله وتاويل ضرب القتيل ببعض البقرة ضرب عيسى بن مريم صلوات
الله وسلامه عليه ما مات من دين الاسلام ببعض هذه الامة فيحييه الله جل وعز من بعد
الموت كذلك يحيى الله الموتى يوم البعث والنشور ويحيى موتى الاسلام يومئذ ويريكم
اياته باحياء ذلك القتيل بعد موته لعلكم تعقلون انه كما يحيى موتى الابدان كذلك
يحيى موتى الاديان ويعقلون ان حقيقة ما تشتم به من عاجل الحكم اثر على آجله والله
يقول الحق وهو يهدى السبيل عبر عن هذا المعيب الذى كشف الوجود فى حق هذه الامة
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للباسل المنكر عليه يوم حنين انه يخرج من ضئضئ هذا
قوم يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم يحتقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند
صيامهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية الحديث والنبوة والرسالة امر من امر
جل ذكره والرسول مثل الامة واولها واخرها ذلك ما بعد فافهم قال الله عز وجل
فى عيسى صلوات الله عليه وجعلنا مثلا لبنى اسرائيل وربما جاء الماع الى تبيين شانه
فى اولى المواضع بها ان شاء الله تعالى بعونه وتوفيقه ولا قوة الا بالله العلى العظيم
فصل قال الله عز وجل انما انت منذر ولكل قوم هاد اى متقدم كما قال عليه السلام
انا وافد العرب وبلال وافد الحبشة وسلمان وافد فارس وصهيب وافد الروم
فصل قال الله عز وجل يصف بعض بنى اسرائيل ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب
الا امانى وان هم الا يظنون الامى مفعول من الامة مشتق من معنى الامامة اى ان الامى هو
الذى ياتم بامام الذى يقلده والامى ايضا الذى لا يقرأ ولا يكتب قوم امين قال الله
عز وجل فامنوا بالله ورسوله النبى الامى اى الذى لا يقرأ ولا يكتب وعلى ذلك فانه انى
بما هو يقرأ ويكتب وقد يكون الامى الذى يقرأ ويكتب ولا يعلم ما يقرأوه ولا يفقه انما
هو يقلد غيره وامامه ويأتم فى معقوله ومعلومه باتباعه ويعتمد عليهم فى ذلك

الله جل ذكره من كان في قراءته وكتابته هكذا امّيا فقال عزّ قوله ومنهم امّيّون
لا يعلمون الكتاب الا امانيّ يصرفون معاني الكتاب الى اهوائهم وما يوافق شهواتهم
وان هم الا يظنّون اي يخرصون لهم في ذلك الى علم ويقين ولا استظهروا على ما يعتقدونه
فيه بحجّة ولا برهان كذلك قال الذين لا يعلمون لما قيل انّ وعد الله حقّ والساعة لا ريب
قالوا ما ندري ما الساعة ان نظنّ الا ظنّا وما نحن بمستيقنين **فصل** الاماني جمع امنيّة
هو ما يتمنّاه المرء ويودّه واصله انه محبوب للنفس تشتهي بانسياقها الى ذلك وتحادثه
حتى يكون املا يؤمل ويهوى واما في هؤلاء في كتابهم من نحو ما حكاه الله عزّ وجلّ
عنهم قريبا من هذا الخطاب من قولهم لن تمسّنا النار الا اياما معدودة وقالوا لن يدخل
الجنّة الا من كان هودا او نصارى وكاعتقادهم انّ الآخرة خالصة لهم من دون الناس
وشبه هذا من مذاهبهم في اعمالهم انها مشكورة وذنوبهم انها مغفورة قال
الله جلّ وعزّ يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله
يأخذوه يتمنّون هذا ونحوه ويظنّونه ويعملون عليه باهوائهم قال الله عزّ وجلّ
تلك امانيّهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فكلّ من قال قولا ولم يأت عليه بدليل
من كتاب ولا سنّة ولا حكمة مشهورة فقوله متروك ومن يتناول العلم على وجه التعصّب لا لاخذ
من غير الموثوق فهو يحتجّ لهذا ويتعصّب ويخاصم عليه بهواه وكان هؤلاء من يهود يحكي
في معلومهم ومعارفهم سبيل العصبيّة لاسلافهم فما وافق منه ذلك اخذوا به وما خالفه
نبذوه ليست بهمّتهم في صحيح العلم ولا همّتهم في الترقّي الى درجات اليقين ولو بحثوا
عن حقيقة العلم حقّ البحث واجهدوا في ذلك انفسهم واستفرغوا الوسع منهم لادّتهم في
الاسباب وفتحت لهم الى اليقين الابواب فاخذوا العلم صافيا من منبعه الى منتهاه المراد
ولا وجدهم الله جلّ ذكره الى ذلك سبلا سابلة ومناهج يمرّون عليها قويمة واضحة لكنّهم
زاغوا عما امروا به فازاغ الله قلوبهم وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون **فصل** اتبع
ذلك قوله عزّ وجلّ فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا الظاهر المعلوم تأول وهل انّ هذا الكتب المذكور لو كان هو التوراة والانجيل
ويقولون فيه انّه من عند الله لكانوا بذلك ما جحدوا محمّدا وحين لقولهم الحقّ وتبليغهم اياه
الى من سواهم فلمّا ذهبهم الله جلّ ذكره واوعدهم بالويل على كتابهم ذلك الذي كتبت ايديهم
ومما يكشف علينا انّ مكتوبهم ذلك لم يكن كتاب الله جلّ وعزّ وانما كان تأويلا يتأوّلونه
على نحو اهوائهم وتشعّب آرائهم طلب الموافقة لاقوال ائمّتهم ونصرا لتعصّبهم في اباطيلهم
وليرضوا في ذلكم ملوكهم ويبلغوا به في شهواتهم من صرف الوجوه اليهم وبعد الصيت
وبكثرة الاتباع وقد صرّح بذلك منهم في مواضع اخر من كتابه العزيز قوله جلّ قوله وانّ
منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو
من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون هذا الى ما وصفهم به جلّ جلاله من تلبيسهم
الحقّ بالباطل وكتمانهم الحقّ وهم يعلمون انه الحقّ من ربّهم كما يعرفون ابناءهم هذا الى انّ
كتاب الله يتميّز عمّا هو عليه ويعرف بنفس تلاوته اذ كلام الله جلّ وعزّ في كتابه لا يلتبس

جملة

جملته بجملة كلام البشر ولا البعض منه بالبعض لكن كلام الله كلام هذا حقيقته في كلّ
كتاب يتلى على الناس الذي انزل به كائنا ما كان **فصل** قال الله جلّ ذكره وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبيّ الا اذا تمنّى القى الشيطان في امنيّته فينسخ الله ما يلقي
الشيطان المعنى الى آخره ذهب الجمهور من اهل التفسير الى انّ معنى الامنية هنا التلاوة
وانّ معنى قوله القى الشيطان في امنيّته القى في تلاوته واحتجّوا على ذلك بشبه لا يقوم بها
مع التحصيل حجّة ولفظ الامنية دلالته قائمة على معهوده كما تقدّم شواهد ذلك
في القرآن وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة يطول سياق بعضها الكتاب ويوقع
بذلك الاسهاب وفصل الخطاب في ذلك ان شاء الله تعالى وهو الموفّق للصواب انّ هذه
الامنية المعيّنة هنا ليس في نفس التلاوة الا باخرة بل هي في نفس النبيّ صلى الله عليه وسلم
وعلى انّ التلقّي للوحي بتوجيه المتمنّي في الانبياء كالمريد في الاولياء والنبيّ على الاطلاق
كالمراد بالولاية فقد يكون من حال النبيّ في نبوّته التمنّي مثل ان ينزل به النازل لم يوجد
مودودا ماجودا او يرجو من الله الفتح عليه في ذلك لما قد عوّده الله جلّ ذكره من ذلك
وقد يكون بوصف آخر اعرف في حكم التمنّي وهو ان يسأل الله ويرغب اليه ويدعو ويتضرّع
فيتعرّض بذلك لنفحات ربّه عزّ وجلّ وقد يكون هذان الوصفان للمعتبر على قدر منزلته
في سبيل طلابه العلم ثم ذلك قد يكون خاطرا لم يتقدّم منه اليه تعرّض ولا قدح له فيه تفكّر
كالالهام وما قاربه ومن ذلك ايضا ما يكون باستدعاء التفكّر ومعالجة التذكار وطلب
الفتح من الفتّاح العليم جلّ ذكره وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ودّه وامنيّته
اسراع من رسل اليه الاسلام وهدايتهم الى الايمان وكان عليه السلام يحبّ ان يوجّه الى البيت
الحرام وهو يومئذ يصلّي الى البيت المقدس فقال الله عزّ وجلّ يخاطبه في ذلك قد نرى تقلّب
وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وقال يوما وقد ذكر
قول ابراهيم عليه السلام ربّ انّهنّ اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانّه منّي ومن عصاني
فانّك غفور رحيم وقول عيسى عليه السلام ان تعذّبهم فانّهم عبادك وان تغفر لهم
فانّك انت الغفور الرحيم فرفع يديه الى السماء وجعل يقول امّتي يا ربّ امّتي وبكى فاوحى
الله اليه انا سنرضيك في امّتك ولا نسوءك فهذا او شبهه من **فصل** النفس موضع
الامنية والقلب موضع القاء الملك ومتى كان الوحي على ما ذكره الله عزّ وجلّ في قوله عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا
الآية وعلى ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس فهو
اشدّه عليّ فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال بذلك الوحي محفوف بالحراسة البليغة
ثم اذا كان كما قال صلى الله عليه وسلم واحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلّمني ففي هذا المعنى
والله اعلم قد يكون من النبيّ والرسول عليهما السلام نظر بتوهّم او تسبّق مراد مودود من حيث
هو بشر من ذرّيّة آدم عليه السلام مال الى شيء يكون له فيه اجتهاد وودّ تمنّاه لو كان هذا
الوارد عليه على ذلك المختار المودود وعنده كودّه في صرف القبلة الى البيت الحرام وحرصه
على هداية قومه ونحو هذا فيجد الشيطان سبيلا الى الالقاء في ظلّ تحت الامنية فيخرج التلاوة

على ذلك وليستا بهما لكنها لاصقة بهما من حيث لسنا النبي والرسول عليهما السلام وغيره
فيعوذ الله جل وعز بفضله على ما القاه الشيطان اولا باذن الله في سرد التلاوة فينسخ
بعزته ثم يحكم الله اياته اى يثبتها بما هو الوحي الحق عنده ولولا فضل الله عليه وعلى من ارسل
اليه لكان حكمه في ذلك حكم البشر سواء والله عليم حكيم مثال ذلك في الوجود الرجل يكلم
صاحبه مخاطبه بما هما متفاوضان فيه فيخطر على قلب احدهما خاطر يتعلق به في حال التفاوض
فيخرج خطابه على ملحنه ما وقر في نفسه وخطر على قلبه وحصل في امنيته ثم يتدارك
ذلك بالرجوع الى معنى ما كان عليه قبل بان تبدل ما عبر عنه لسانه بغير ما كان مفيضا فيه
بما هو على معنى المفاوضة وذلك شبيه تبدل الغلط هذا سفلى وذلك علوي **فصل**
قال الله عز وجل ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية
قلوبهم اى الذين لا فهم عندهم • اعلم بهذا جل جلاله ان ذلك من حكمه وقضائه الحكمة
مرصدة ليتم كلمته في اضلال من شاء اضلاله كما قال عز قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
يقولون قد كان منه يوم كذا كذا وكذا وقد قال يوم كذا كذا وكذا وقال يوم كذا كذا و
كذا ثم ابدله بكذا وكذا فيجعل ذلك ذريعة الى تجويز الغلط عليه وخلوه من العصمة
في تبليغ الوحي وكلا والذى بعثه بالحق ان كل ذلك الا من عند الله ويعلمه جل جلاله
وتحقيق لنبوته فما تحققت كلمة الاخلاص وبلغت النهاية الا بمحو ما قارنها من معنى
النفي فافهم فهمنا الله واياك وانما هما سبيلان الهداية والفتنة فسبب الهداية علو
ظاهر مشهور كلما زاحم الفتن سفلا دق ورق كذلك سبب الفتنة ومسببها سفلا
ظاهر مشهور فكلما صعد علو بهجته انوار الهداية فيدق ويرق والله غالب على امره **فصل**
قسم الله جل ذكره الدنيا وكتابه العزيز من هذه الجهة الى قسمين ذكر وفتنة قال الله عز وجل
قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وقال جل قوله
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ويضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وقد نص عز وجل على العلة
التى من اجلها جعل هذه الحكمة ههنا بقوله عز وجل ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد اى انهم يتبعون بما تبلونه الفتنة ويتعلقون
بان شبهه ويعدونها النصر ما هم بسبيله من الفتن ثم قال عز قوله وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به اى لعلمهم بابتلاء النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين على رفعة درجاتهم وعلو محالهم فتخبت له قلوبهم لعلمهم بانفسهم وضعفها بقوتهم
هذا امتحان الله عباده المعصومين فكيف بمن هو دونهم ممن لم يضمن له العصمة ثم قال
جل قوله وان الله لهادى الذين امنوا الى صراط مستقيم تانيسا للمؤمنين ووصفا لسر عزة
ايمانهم وحسن اتباعهم الحق حيث سلك وخلا فلما وصفهم سواهم بقوله ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه حتى ياتيهم الساعة بغتة الاية **فصل** النبي صلى الله عليه وسلم بشر
وسنة الله جل ذكره متى ازال عن محلها حكما ما ان يبقى عين ذلك الشىء المزال واذا ادام
العين ان يبقى الحكم واذ كان الله جل وعز قد تولى الرسول والنبي عليهما السلام واتم نعمته
عليهما انهما على ما هما عليه من الرفعة والعصمة بشريين ولا بد لبشريتهما ان طهره الله

جل جلاله خاصيتها في وقت ما وحال ما قال الله جل من قائل قل كل يعمل على شاكلته
ولا بد ايضا للشيطان اللعين الجارى في البشر مجرى الدم ان يقوم مقامه وان دفع
وخفى حكمه وان كان النبي والرسول عليهما السلام من عباد الله الذين ليس له عليهم سلطان
ينفذ عليهم حكمه فلا مجال له ان يبقى له فيهما بدايات لا يتم له كما بقى عليهما بشريين من قبل
ادم عليه السلام ثم لا بد لصدق وعد الله عز وجل بالحفظ لذكره وبالحراسة لعبده
وبلا ياس لعدوه منه ان يتم والله غالب على امره ثم لا بد في جملة القضاء ان يتم حكمته في كل
شىء هو في الدنيا والذكر بعد فقد نزل الى قلب الرسول عليه السلام ولسانه وهما من الدنيا
بما هو بشر وليسا من الدنيا بما هو رسول مضمون عصمته الا ترى الى ذلك في الوجود بعينها
هذه السماء الدنيا بما هي سقف الدنيا ابقى الشيطان في استراق السمع على بعض الغيوب
وبما هو المسترق المسموع من باب الانباء والغيب والقضاء وهو محدث ملائكته عليهم
السلام كان خارجا عن حكم الدنيا فسلط عليهم الشهب وارسلها محرقة لهم وبذلك
على لزوم هذه الحراسة وسطا اعلى بين العلو والسفل موضع سلطة الرسول والنبي عليهما
السلام الوحي وموضع استراق السمع الذى هو سماء الدنيا الزامه الحفظ وكفيا علو
اعنى السموات العلى والكرسي والعرش وكذلك الوحي من لدنه موضع جبريل منه وروح القدس
فلم يجعل للشيطان فيما هنالك مجالا ولا اقطع لهم عماله **شبهة** احذر وفقنا الله
واياك ان يجرمنك توهم مغاير في التدبير او مناقض حكم في المملكة او ما يعبر عنه بهذا
وشبهه ما تسمعه من ذكر حراسة وحفظ وكلاءة من خطف موجود او محذور متوقع
كلا بل هو الله لا اله الا هو الاحد الصمد لم يعجز قدرته قط شىء اراد كونه ولا امتنع
عن مشيئته امر دبره ولا موجود خلقه ولا عاجله قبل وقته ولا تاخر عن اجله هو المحيط
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بكل شىء علما وقدرة ومشيئة قبل كونه ثم اوجده على
وفق ارادته ومشيئته فهو على ما سبق وعلى ذلك فهو الكافل الحافظ قال ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه انما ذلك لانه جل جلاله
قدر سنيه في خلقته على اجالها في سابق علمه ثم دعاها بالمحنة والابتلاء من امره وفصل
بكلماته التامات ما شاء بما شاء والحفظ والحراسة والكلاءة امره والمحفوظ منه والمخوف
من اجله ملكه وامره فهو يحفظ ما شاء جل جلاله بامره من امره اعقل عز نبك امره وامن
بالكلمة فهو جل جلاله الرافع المقسط الخافضة والمقدم والمؤخر والهادي والمضل
والمصرف الحكم كله بالكلمة وحكمه بالكلمة كحكمه بالسنة ذلك كله عليه يسير وهو على كل
شىء قدير قال الله عز وجل ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك
ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته فمن هنا كان الخوض والاختلاف ظاهرا في بعض
الجملة ثم الحكم العدل والقضاء الفصل في ذلك كله على ما شاء بين عاجل واجل وفكر
الجملة فانت لعزة الله جل ذكره مستسلم في قبضة قدرته وحركة ابعاضها كون
في حق واختلافها وفاق في مشيئته ومصيرها الى ما هو كمال للجملة والامساك والحفظ والكلاءة
والمحترس من اجله والممسك بسببه والمتوقع وقوعه كل ذلك امره بيده ملكوت كل شىء

والیه یرجع الامر کله **قوله** جل ذکره وقالوا لن تمسنا النار الا ایاما معدودة
ذکر اهل التفسیر فی ذلک ما شهر عنهم ان الیهود قالوا انما الدنیا سبعة آلاف سنة قالوا وانما
یعذب الناس فی النار مکان کل سنة من سنی هذه الدنیا یوما واحدا هذا قول من رغب عنه
محجوب بما یثبت من ذکر الخلود هذا مع البحث عن هذا المقال هل قالوا هذا ام لا وقیل انهم
قالوا هی الایام التی عبدنا فیها العجل والظاهر من مفهوم هذا الخطاب انهم کانوا یعتقدون
فی انفسهم انهم علی الاسلام والایمان الموجب للجنة والمبعد عن النار والایمان الملحق بالجنة
هو الایمان بالله وملائکته وکتبه ورسله وبالقدر خیره وشره حلوه ومره والعمل الصالح
فکانوا یقولون علی ما هم علیه لن تمسنا النار الا ایاما معدودة ای عدتها فی علم الله تعالی
ومشیته ثم یخرجنا منها شفاعة نبینا علیه السلام کالذی یقوله المسلمون فرد الله عز وجل علیهم
ذلک من قولهم بقوله اتخذتم عند الله عهدا فلن یخلف الله عهده ای انکم تموتون
علی الاسلام والایمان ویختم لکم بذلک فیکونوا لذلک علی حال من تحل له الشفاعة ان کان
ذلک کذلک فلن یخلف الله عهده ام تقولون علی الله ما لا تعلمون وانما ذلک من الغیب فمن این لکم
علمه وها انتم هؤلاء قد کذبتم عیسی ومحمدا صلی الله علیهما وسلم فمن این لکم بالخروج من النار
وانتم الکفار حقا ولذلک اتبع قوله بلی وهو جواب استفهام وهی مع ذلک معبرة عن
ابقاء بعض الحکم ای من مات منکم علی الاسلام موسی وهرون والنبیین بعده وایمانهم
هذا مفهوم بلی فیما هنا ثم ذکر بعد ذلک من کسب فی اسلامه وایمانه ما احاط به من سیئات
وتکذیب لبعض الرسل ورد لبعض الکتب فهذا مطلع تشرف منه علی ما حدث به رسول الله صلی الله
علیه وسلم من حکم الشفاعة فی الاخرة وقول الله جل جلاله اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وفی
قلبه مثقال شعیرة ومثقال برة ومثقال ذرة وادنی فادنی الی آخر ما حدث به صلی الله علیه وسلم
فی هذا المعنی فانا لا نبعد ان تکون لجمیع المرسلین صلوات الله وسلامه علیهم اجمعین شفاعة علی هذا
الحکم فلذلک قالوا لن تمسنا النار الا ایاما معدودة وتقدیره ما احذف من تمام الکلام ویخرجنا
منها نبینا بشفاعته فیما فکان الجواب عن ذلک بقوله بلی ای انه کذلک الحکم فیمن مات علی الاسلام من اهل
الذنوب ولم یشأ الله جل جلاله ان یغفر له وقد وقف بعض القراء علی قوله بلی وهو تقریر لحکم
ما زعموا لکن لیس علی ما ظنوه وانما هو علی حقیقة ما اخبر الله عز وجل به من قوله من کسب
سیئة واحاطت به خطیئاته فاولئک اصحاب النار هم فیها خالدون فهذا طرف لم یسم الله
جل ذکره فیه دجاء ثم قال والذین امنوا وعملوا الصالحات یرید وماتوا علی ذلک فاولئک
اصحاب الجنة هم فیها خالدون وهذا طرف آخر لم یبق منه ایضا خوف علیهم ولا حزن وهو
لیسوا من هؤلاء ولا من هؤلاء لانهم کذبوا عیسی ومحمدا صلی الله علیهما وابقی الله جل
وعز موضع کوسط سکوتا عنه مشارا الیه وهم الذین امنوا بالله وبالرسل لکنهم عملوا بالمعاصی
ثم لم یتوبوا فامر نبیه صلی الله علیه وسلم ان یبین عنه کیف الحکم فیه بقوله الحق یا ایها
الرسول بلغ ما انزل الیک من ربک ولم یفصح بما فی مشیته من المغفرة لمن شاء ان یغفر لهم
ولا باخراج من النار بعد ادخاله ایاهم فیها رحمة منه جل جلاله لعباده لحکمة بالغة لم یزل
لیسوق عباده بطوعه الی رحمته اذ علم جل جلاله ان فی عباده الغفور الذی لا یحیی

ان یوصف بحیوة لانهما کهد فی شهواته وانهماکه فی خلافه وقلة مبالاته بما هو
صائر الیه ولا یستحق ان یوصف بالموت کله اذ قد شهد بشهادة الحق فی اصل معرفته فی
صنعة اهل التوحید فی جملة شانه فنفی ذکره وذکر بالنار جزاء لسیئاته سبق وهذا
الی الخروج منها برحمة الشفاعة فاعمض جهلا منه وجزاؤه علی دینه علی ما بین
ذلک کعوده اولئک لن تمسنا النار الا ایاما معدودات فهم جهله بربه وغفلته وسوء
رایه ولقد بلغنا والله اعلم ان احدهم لیمکث فیها مثل عمره وقد جاء فی بعض ما یؤثر
عن بعض السلف ان رجلا یمکث فیها مقدار الف سنة قال الحسن البصری رحمة الله علیه
لیتنی ذلک الرجل فاجمعت النفوس کلها فی الطمع فی رحمة الله تعالی وکریم ثوابه فمن مصیب فی
طلبه وطمعه ومن مخطی فاما اهل المخافة ففکروا فی الخلود وفرقوا منه جدا فتمنوا
الخروج منها ولو علی بعد وناء طویل اذ لم یروا انفسهم للخروج منها اهلا واما اهل
الغفلة عن انفسهم وعن اعمالهم فاعمضوا علی موضع العقاب ولم یقیدوا قدرة لومهم
عن اصلها بالحزن علیها والخوف منها فی الدنیا **فصل** ثم جعل جل ذکره یعدد
کفرانهم ونقضهم العهود التی کانوا یستوجبون لوفائها الوفاء من الله تعالی بالجنة
فقال ولقد اخذنا میثاق بنی اسرائیل لا تعبدون الا الله وبالوالدین احسانا وذی
القربی والیتامی والمساکین وقولوا للناس حسنا الی قوله ثم تولیتم الا قلیلا منکم وانتم
معرضون مفهوم هذا فبالاعراض بعد الاقبال والتولی بعد القبول یستحق التوبیخ
ویجیء بالعقبات ثم قال ولقد اخذنا میثاقکم لا تسفکون دماءکم ولا تخرجون انفسکم
من دیارکم الی قوله افتؤمنون ببعض الکتاب وتکفرون ببعض فما جزاء من یفعل ذلک منکم
الا خزی فی الحیوة الدنیا ویوم القیمة یردون الی اشد العذاب یقول لهذه اعمال من
یرجو ثواب الله ویحذر عقابه ثم قال جل قوله وما الله بغافل عما تعملون ای فی مستقبلکم
وفی حالکم من الکفر بمحمد صلی الله علیه وسلم وکتمان ما انزل الیکم واتباعکم الدجال لعنه الله
ونصرکم له وکونکم متعبدین له ونحو هذا ثم حکم بحکمة الحق واغرب عما هم الیه صائرون
بقوله اولئک الذین اشتروا الحیوة الدنیا بالاخرة فلا یخفف عنهم العذاب ولا هم
ینصرون ذکر النصرة هنا کنایة عن الشفاعة ای انهم ممن لا ینال الشفاعة ثم راجع
المحتجا علیهم لکسر ما ادعوه وابطال ما ذهبوا الیه فقال ولقد اتینا موسی الکتاب وقفینا
من بعده بالرسل واتینا عیسی بن مریم البینات وایدناه بروح القدس فکذبتم
بعضا وقتلتم بعضا یقول جل جلاله افکلما جاءکم رسول بما لا تهوی انفسکم استکبرتم
ففریقا کذبتم وفریقا تقتلون یقول عز من قائل فعلی هذه الاعمال یطمعون بالخروج
من النار ثم قال عز من قائل وقالوا قلوبنا غلف ای لا نسمع ولا نعقل بل لعنهم ربهم
رباجازهم به کما قالوا سمعنا وعصینا یقول الله جل من قائل طبع الله علیها بکفرهم
فلا یؤمنون الا قلیلا ذلک الایمان منهم لما کذبوا بعض الرسل والکتب کان ایمانهم بما
امنوا به فی حکم القلیل قال الله عز وجل اعمال الشقاوة علی جوارحه وقلبه شد من جزائه
علی سوء اعماله **قوله** عز وجل ولقد انزلنا الیک آیات بینات وما یکفر بها

الا الفاسقون انتظم هذا بما تقدم قبل من الكبر عليهم والرد لقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فرد جل ذكره
عليهم بما بين انهم قد خرجوا من الهداية الى الضلالة وانهم كافرون بما قد كذبوا من رسل
الله وقتلوا منهم وردوا من كتبه ومفهوم المراد بالخطاب انهم على ذلك لا يخرجون من ابناء
وانهم ليسوا ممن يستحق رحمة الله والحلول في جواره لكفرهم وفسقهم عن هدايتهم اتبع
ذلك قوله عز وجل او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون وكان مما
عاهدوا عليه ما يضمنه قول الحق واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الى اخر المعنى فكان هذا منتظما بما تقدم
من الكبر عليهم والنقض لدعواهم من تزكية انفسهم **قوله** تعالى ولما جاءهم رسول من
عند الله مصدق لما معهم هو محمد صلى الله عليه وسلم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب
الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون يعني جل من قائل كانهم اي كانهم لم يرسل اليهم رسول
ولا انزل اليهم كتاب فيعلمون بتحريم السحر والعمل به والنهي عن الكذب على كتاب الله ورسله
ويعلمون من رسولهم وكتابهم انك حق وما جئتهم به حق وهذا ينظر الى المثل المضروب
لهم في صدر السورة قول الحق كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت مثل هذه الحالة
بما عندهم من ضياء النبوة والرسل والكتاب ثم قال فيهم فلما اضاءت ما حوله الذي هو
المستوقد بما ورد عليهم من نبوة محمد صلى الله عليه وعلى النبيين قبله ورسلنا والقرآن
بذلك ضياء ما حول المستوقد وشبه تركهم لما في كتابهم من تصديق له واقتداء بتركه هذا المستوقد
النار واضاعتها اياها حين طفئت بتركهم هدايتهم بكتابهم وتصديق هذا الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم يطفئ لذلك نورهم قديما وحديثا وصاروا لاجل ذلك في ظلمات لا يبصرون
صم عن الداعي بكم عن الشهادة بالحق والقول به عمي عن القصد فهم لاجل ذلك لا يرجعون
عن ضلالتهم ايأس عباد الله المؤمنين من هدايتهم كذلك يكونون حتى يخرج دجالهم اللعين
فيقتلون معه كل مقتلة لا ينجيهم منه شيء الا شجر الغرقد وما الغرقد الذي يختبئ منهم شجر
الغرقد على صغرها وحجمها ونحافة ظلها وهي شجر تبهم على ما هي

اذا لم يكن فيك ظل ولا جنى ... فابعدك الله من شجرات

عبر عن هذا بقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم
لا يرجعون هذا مثل مضروب ليهود ويصلح ان يكون مثلا للمنافقين اتبع قوله عز وجل
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر الى اخر المعنى وصفهم جل جلاله بالرجوع الى اوليتهم مع ال فرعون
وما جرهم الى ذلك من فعل السامري واتباعهم اياه على ذلك ونبذهم الكتاب والسنة
والنبوة فذلك من عمل السحر واتباع سبل الشياطين فان الله جل جلاله لما عزل
اباهم المبلس الملعون عن عمل الملائكة عليهم السلام وابعده عن جواره والعمل بامره
عوضه من ذلك التزيين والتخييل والانجاس وتغيير ظاهر خلق الله عز وجل
كما قال ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق

الله فتركوا بذلك ما كان هداهم الله اليه من الصراط المستقيم الى قوله ولقد علموا لمن اشتراه
يعني السحر ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون تعوضوا من الصراط
المستقيم وجزاء من اهتدى به ما عبر عنه قول الله جل ثناؤه اذهب فمن تبعك منهم لاملان
جهنم منكم اجمعين نعول في مفهوم الخطاب فكيف يزعمون انهم اولياء الله من دون الناس
وان الجنة خالصة لهم دون من سواهم وهم في هذا الشقاق البعيد **فصل** قال الله عز
وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان التلو التابع لما تركوا كتاب الله وهدى
الايمان لما اتبعوا الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين فانهم اتبعوهما
ما ينقصونهما به بزعمهم وراموا سقوط الامرين امر سليمان والملكين عليهم السلام
بزعمهم من كذب عليهما وسحرهم باذن الله به وبرأ الله جل ذكره نبيه سليمان عليه السلام
والملائكة فهاروت وماروت صلوات الله عليهما وسلامه بقول الحق جل قوله وما كفر
سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر اي ينسبون ذلك الى سليمان والملكين
وانما كان سليمان عليه السلام قد ملكه الله ملكا معجزا جعله اية على ملك اهل الجنة لم يؤته احدا
من بعده فكان يسخر الجن ويلزمهم السجون ويأخذ على بعضهم المواثيق والتوبة وترك الاذى
للخلق ويقيل البعض وينفي البعض الى اطراف الارض وجزائر البحور ويلزم البعض
وظائف السخرة ليشغلهم بذلك عن الاضرار ويسوق الله جل وعز نفع ذلك لعباده ثم
كذلك الى ان توفي عليه السلام وقال بعض القائلين كان من حيث يرونه ولا يصلون الى مكانه
ذلك قائما على منسأته مدة من الزمان الى ان بعث الله دابة الارض الى منسأته فعلت
فيها حتى وهت فخر فعلموا بذلك انه ميت فتفرقوا واراحوا انفسهم مما كانوا فيه من العذاب
المهين هذا ونحو هذا ذكره المفسرون الا من عصمه الله منهم والله اعلم بصحة ما قالوا **فصل**
المنسأة العصا وهي عبارة عن اجتماع الامر وقوامه وشواهد هذا كثيرة فمفهوم هذا الذي هو
خطاب الوحي ان الله جل جلاله خلف بعده من قام بامره من بعده عدلا وخلافة له في شأنه
فابقى الله عليهم استمرار ذلك الامر وطاعة الجن واستعبادهم الى ان ولي الامر من شق العصا
وخالف فخر الامر هدما وخرابا جليا لما احدثه المحدثون كسنة الانبياء في امرهم وقوام سننهم
الى ان محو ذلك من اجل خلاف المخالفين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا كان
له اصحاب وحواريون يعملون بعلمه ويهتدون بهديه ثم يخلف من بعدهم خلوف والمراد في خطاب
القرآن وفي سبأ معناه اعلام الله عباده بان الجن لا يعلمون الغيب والذي يمكن كونه من ذلك
انه توفي صلوات الله عليه واستمرت السخرة والعذاب عليهم وخفي عليهم موته حتى دلهم على ذلك
المنسأة قد قطعتها دابة الارض بقول الله عز وجل فلما خر تبين ان يكون المعنى بذلك الامام
القائم الذي كانوا يلتزمون السخرة بعد الوفاة من اجله ويمكن ان يكون خر وهو ميت كما ذكروا
والله عليم حكيم فالاظهر والله اعلم ان ذلك كان لهم علامة جعلها لهم ليتصل حالهم
السخرة اذا شبهت تلك الدار في معالمها فوافقت اسماها واومات في ذلك الى اشباهها
فيما هنالك فخدعتهم بزينتها واحبوها لذلك ورضوا بها عجبا بها وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

المقنطرة ويذهب في الفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وكان ذلك حظهم من المقصود
الحق واما اهل الذكر فشاهدوا فيما هنا اشباه ما هنالك وتعرفوا منها اسما
وصفات للحق المبين فذكروا تلك بهذه وتشوقوا اليها لاجل هذه منازل كتب تهواها
وتالفها ايام كنت على الايام منصرف ۰ واني لاهوى الدار لا تستغرني لها الود الا انها من ديارك ۰
فزهدوا في هذه لو سلك ذهابها وسرعة تقلبها باهلها ولما اعلمهم المنصح الحق
المصد وقد جل ذكره من سعة تلك وعظمها وضيق هذه وصغرها فاحدوا بابصارهم
عند ذلك في النظر الى البون في فضل الدارين فاوقفت اعينهم ولا توهمت اوهامهم شيئا
معاني اسمائه وصفاته في هذه وتيقنوا بذلك ايضا العلم بوجودها وما تاليه هذه
شبه لما هنالك وانما اومات اليه فيمت عليه تدعوهم بذلك الى نفسها وتشوقهم اليها
وتزهدهم في قليل هذه الفاني المبعض الكدر فدا سلها فيها سلوك الارواح في الاجسام
واطها منها محل اللاعراض من الجواهر في جميع موجوداتها في حقهم ومواقع ابصارهم تسبح
بحمد خالقها وبقيت لعظمة موجدها ثم ايدهم جل ذكره على مراشدهم بان ارسلوا
اليهم رسله وانزل عليهم كتبه سهم على مراشدهم وتبعدهم بذلك حقايق مقاصدهم
انباهم في ذلك بما جهلوه واعلمهم من غايات ما هنالك بما لم يعلموه ووعدهم
مع ذلك في تلك بكريم العقبى وضمن لهم حسن العقبى فتشوقوا الى ما هنالك وعشقوها
واثروها وسلوا عن هذه ورفضوها لبعدها عن المحبوب والمحل المطلوب

احن للبرق من تلقاء ارضهم ۰ ولي فؤاد الى الالات حنان ۰
محله كنفس منهم اينما قطنوا ۰ ومنزل الروح فيهم حيث ما كانوا ۰
اني لا بغض اوطاني وقد ظعنوا ۰ عنها الا انما الاحباب اقطان ۰
وما الديار وان حدا لو لوعها ۰ الا سجون اذا ما شط جيران ۰

فاصل الفتنة او الذكر الموجودين بالفريقين هو غرائب الموجود في هذه من تلك
وان كان سها بعدا وزخرفا زهيدا بالاضافة الى ما هنالك وللذوات
حنين الى مبدائها وللنفوس سوق الى اولها ومن هذا قال القائل

وحبب اوطان الرجال اليهم ۰ مارب قضاها الشباب هنالكا ۰
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم ۰ عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا ۰

ذلك لان الله عز جلاله العليم الحكيم لما سبق في علمه بهم مير بينهم في سمته الكريمتين
ووسمهم بالكلمتين الصادقتين فاسلكهم لاجل ذلك السبيلين هداية وضلالة
شقاوة وسعادة فتباينت لذلك الدواعي واختلفت بهم الطرق وتشعبت
بهم المسالك وتعورت المذاهب وكل ميسر لما خلق له الطرق مختلفة وطريق
الحق احد والاستجابة شتى والسالكون طريق الحق افراد فالطرق شتى وطرق الله
مفردة والسالكون طريق الحق افراد لا يعرفون ولا يدرى مقاصدهم فهم على مهل
يمشون قصاد **فصل** انه من الواجب اذا ان يسجن لاجل ذنب كان سبب جعله
فيه التمحيص من ذنبه والاستتابة والاعذار اليه والانذار في ذلك فاستجاب

هذا المسجون لذا عسر وتاب اليه من ذنبه واطاع ربه الذي سجنه وانتظر توبته من ذنبه
المحبوس هنالك من اجل انه سقط عنه محل اجله الى حيث اخرجه منه ومن المعهود والعلم
بحكم الشيء ان ينقل ايضا عند محل الاجل باستيفاء المسجونين ولاحقهم في الدار كرسي
ووجود انقراض هذه الدار التي سجن فيها الى اكثر من هاتين وافضل الدارين واكرم
وجودا كما من الواجب انه من لم يوف بعهده ولا اجاب دعاء ربه ولا شعر بما سجن من اجله
ان يحل عند انقراض هذه دارا هي له اكمى وابعد بعدا وافضى واسفل في عذاب واخزي
ثم على حكم الشيء في الدار الاخرة الى دار هي اكمل والم وحال هي ادهى وامر جدا وقد اخبر
بذلك من الصدق من صفاته والصادق من اسمائه ووعد به واوعد عليه فهو الحق اليقين
الواجب وجوده والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **فصل** ما تقدم ذكره في قوله
تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت الاية
مفهوم هذا الخطاب انه من قدمت يداه خيرا ايمانا بالله ورسوله وطاعة لله يدعي
ووافي على ذلك فتمني الموت خير له لانه يصير الى ما عبر عنه قول الحق وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا **فصل** الموت للعالم المؤمن بالله جل ذكره الموقن بالاخرة
ميزان عدل على اعماله سيئها وحسنها فلينظر العبد جميع اعماله فكل عمل لا يندم عليه
بعد الموت متى يحمله عليه فليستكثر منه وليلزمه وما يخاف ان يندم عليه يوم يندم ويكره
لقاء الله عز وجل عليه فليهرب منه اشد الهرب ولينزع جهده في النزوع عنه ونبذه
وميزان ثان نستعين به على ما هو بسبيله لينظر الى كل عمل اذا عمله يكره ان يطلع الناس عليه
ظاهرا كان او باطنا فليجتنبه والله اعظم اطلاعا واكرم مشاهدة وكل عمل لو اطلع
عليه العلماء بالله وصالحوا عباده فاحبوه منك واحبوك من اجله فالزمه واحذر
ان تظاهر به الا ما امرت باظهاره من ذلك والمؤمنون شهود الله في الارض ميزان ثالث
متى اردت ان تعلم ما لك عند الله فانظر ما لله جل ذكره عندك فان كنت راغبا في التقرب
منه والتزلف اليه فهو اسرع الى ذلك منك كذلك ان رايت اعمال السعادة والزيادة
من الخيرات وتتزايد منها والشر ينتقص منك والاخرة مقبلة اليك باعمالها والتاهب
لها والها وجهك وعملك بها والدنيا مدبرة عن قلبك وهي هينة حقيرة في نفسك وانت
عنها معرض فاحمد الله وحده وسله بالخلاص من نبيك وجد من عزمك اتمام نعمته عليك
وليكن سرورك بما سبق اليك عند الله من ذلك اشد من سرورك بعملك وان كنت ترى
اعلام الشقاوة يتراد في عليك بان ترى خيرك ينقص وشرك يزيد والدنيا عليك مقبلة
وانت معظم لها مغتبط بها قد الهتك وشغلتك عن ربك وقلبك يزداد قسوة فاعلم ان طرق
الخير يغلق عن قلبك وابواب الشر مفتوحة اليك قبلك بابا في طرقها فانظر لنفسك انها العبد
وفر من هذه الحال ولا تبق الا على عمل لا تبالي ان تموت عليه ويختم لك به وليكن حزنك
على انك عند الله عز وجل بمنزلة من لم يرضه لخدمته ولا راه اهلا لتقربه اياك من رحمته
وانه لم يرض لك ان يسر اعمال السعادة على يديك بل انت عنده ممن قد دعليه ان يخرج
فيهم اولئك هم الكافرون حقا ثم قال ولما جاءهم كتاب من عند الله يريد القران مصدقا

لما معهم اى من التورية والانجيل والزبور والكتب المنزلة وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا جاء انهم كانوا يقولون للاوس والخزرج اذ كانوا يقاتلونهم الان
يبعث الله رسولا نقتلكم به قتل عاد وارم وقيل ايضا هو الاشبه بمعنى الخطاب انهم كانوا
يستفتحون عليهم فيدعون الله ويسالونه باسم الرسول النبي وعدنا به ان ينصرنا عليهم
والاستفتاح هو الدعاء نفسه ان يستفتحوا فقد جاءكم الفتح فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين فاعلمهم جل جلاله بجحدهم لرسوله عليه السلام ونقضهم لعهوده التى
التزموها وتوليهم ثم اعلمهم جل جلاله بالانبياء والرسل بعده وبعيسى بن مريم
وبمحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وبانهم كذبوا بعضا وقتلوا بعضا فاستحقوا
بذلك لعنة الله عليهم وباتخاذهم قبل العجل من دون الله جل ذكره الها استحقوا ان يحل عليهم
الغضب من ربهم ثم بردهم ما جاء به عيسى عليه السلام وبعد ذلك ردوا ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم استحقوا ايضا غضب الله عليهم فباؤا بغضب على غضب وللكافرين
عذاب مهين اعلى هذا يخرجون من النار وهم اذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن
بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ثم يحاجهم ثانية الى قوله
بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين اى هو الكفر يسمونه ايمانا وليس ثم وصف جل
جلاله الخطاب الى ذكر ما اعتقدوه من غرور امانيهم واكذوبات ظنونهم محاجا
لهم فى ذلك بقوله ان كانت لكم الدار الاخرة خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين الى قوله والله بصير بما تعملون فاخبر عنهم انه احرص الناس على حيوة نعم وهو احرص
على الحيوة من الذين اشركوا اذ المشركون لم يعلموا ان فيما هنالك عذابا يحذرون ولا ثوابا
يرجى وهم يحرصون على الحيوة فهذه فرقا من عذاب هنالك يخافونه لسوء اعمالهم وقلة
نعيم لعلمهم بان الله عنهم غير راض لعقد تم خلافهم اياه وحديثه يقول عز وجل يود
احدهم لو يعمر الف سنة يقول عز وجل وما ينفعه طول عمره وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون والله بصير بما يعملون اى انهم على ذلك منهم ووقوفهم فى سوء متقلبهم لا يراجعون
ربهم ولا يتوبون اليه **قوله** عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن
الله مصدقا لما بين يديه المعنى الى اخره جاء انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان
الذى ياتيك بالوحى هو جبريل لاتبعناك قالوا لانه ياتى بالعذاب فهو عدونا من الملائكة
فانزل الله جل ذكره قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك المعنى الى اخره والكلام انه
منتظم بحكم المجاورة بما تقدم ذكره من كراهتهم الموت انه جاء ان المؤمنين يدفعون
الى جبريل عليه السلام بعد الموت كما لكافرهم الى يوم القيمة كما يدفع الولدان الى ابراهيم عليه السلام
فهو صلوات الله وسلامه عليه ولى المؤمنين جاءهم من عند ربهم بالهدى والنور وكشفا فى
هذه وهذا موجود فى حرف من قران ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين نزله
روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمؤمنين نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين المعنى الى اخره **قوله** عز وجل قل ان كانت لكم

الدار الاخرة خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال فى
موضع اخر قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس الاية
يجب القطع بحصول هذا الخطاب ان الموت للعبد المؤمن افضل من البقاء فى الدنيا ولما
ان كان المرتجى قد يرجى الزيادة من الخير ويرغب فى التقرب الى الله عز وجل بذلك
جاز له محبة البقاء لاجل هذه البية فليقل اللهم توفنى ما كانت الوفاة خيرا لى
واحينى ما كانت الحيوة خيرا لى وما ذاك الا ان العيش فى دار البرزخ احسن من العيش
فى هذه الدار الا ترى ان ادم صلى الله عليه وسلم لما خلقه الله جل ثناؤه واسكنه الجنة
واباح له ان ياكل منها حيث شاء والى هذا فلم يضمن له العصمة من عدوه ولا من الموت
ولا من الابتلاء بالامر والنهى بل نهاه ان ياكل من شجرة وامره ان لا يقربها فوافق المحذور
بالقدر السابق فاخرجه منها وسجنه فى هذه وقيده عن الكون حيث شاء الا ان يقطع
المسافات ويتجشم المشقات بمزاولة الترحال فى تقريب ابعاد الاسفار فهذه دار سجن
المؤمنين موضوعها ان يكون سجن العاصين سجانها العدو المكايد ابليس لعنه الله
الله واتباعه من الجن والانس اعوانه وما يحملانه يالونهم خبالا واضلالا بما جر الى
ذلك وكان جزاء له المكروهات والمصائب والفجايع وتلك عماله اقطعها اياها خالقه
ومالكه الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشاؤه الى يوم الوقت المعلوم انجعلوا شياعهم
سببا وذريعة الى كل مكروه يكون فى الدارين وفيما بينهما فهذه بالفعل والكسب فيما
هنا كسجن الا لكن الرؤف الرحيم جل جلاله من وراء عباده المؤمنين بحسن تدبيره
لهم يصير لهم كل مكروه يصيبهم فيها كفارة من ذنوبهم وكل عمل له رفعة فى درجاتهم
فمن اعجب العجب عدو محبوب وعاشر كون اليه ونحن مومل محروص عليه ولقد وصى
عباده بابلغ الوصية الا تركنوا الى هذا السجن وان لا يخلدوا اليه الموضع العقوبة
التى بها عاقبهم وان يصغوا الى نداء عدوهم بهوى او يرضوا لانفسهم بالتخلى فى
وان الدواب لتحن الى اوادها وان الابل لتنقطع الى مواطنها **فصل** سبق من حكمة
الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه تحبيب الاوطان والحنين الى محل الكون ومنبعث
الوجود لما اراده فى اتمام كلمته فى البلوى وامراره حكمه بالجزاء لقوم واتمام نعمته بالسعد
لاوليائه اسس هذه التى عاقبهم بالتلبث فيها والحلول فى سجنها على مقتضيات اسمائه الحسنى
وصفاته العلى واوجدها جمعا على معانى موجودات الدار الاخرة ثوابا وعقابا وصير ذلك
فيما ههنا ذكرا وفتنة قال الله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون فاحب كل فريق ما كان عنه وما خلق به
ومنه وحن الى الوطن الذى خرج فحفظ فى محبته ومصيبه لاجل الابتلاء والمحنة
المعارضة لهم فى السبيل المسلوك بهم اليها فاما اهل الفتنة وهم المخطئون لما ما لهم
شهواتها انسوا لها من اجل لمعا نسيرا بها وكيف كان يكون هو العالم عليه السلام وفى
سنة المرسلين الذين فلما خرج ذلك العلم ابتدلوا بذلك على مونة عليهم السلام بل كان
شان ملكه ظاهرا قائما كما تركه حتى حركنا به عن انهدامه لامر وخلاف خلف بعده

على ما سيأتي ذكره ان شاء الله **فصل** ولما كان ذلك اتبعت الشياطين ملك سليمان عليه السلام
انه كان سحرًا ليسوغوه عند الناس وانه اعني السحر معمول به ومن فعل نبي من الانبياء وانسلوا
على السنة اتباعهم وكثير من الغافلين ان ذلك مجموع في خاتمه كان له وزودوا في ذلك
واقوالا غير صالحة والله اعلم بما هو الحق منها غير انها ليست بمتاصلة ولا متصلة بنوع
ظاهر من الحق والتحرج يمنع من استيفاء محاكاة امرهم واستعراض اكثر اقوالهم وفصل القول
في ذلك ان شاء الله عز وجل فهو ليس الحق وهو يهدي السبيل ان سليمان عليه السلام هو نبي الله
ورسوله والرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم معصومون فيما طريقه التبليغ من الله
جل ذكره الى عباده وكثير وليس من الله جل وتعالى في شيء لانه رجس وكفر وفسق وكذلك
ما ذكروه انه لما ذهب عنه خاتمه كما زعموا زهق عنه ملكه وحاله وخلفه على كرسيه شيطان
يحكم بحكمه طول غيبته التي ذكروها قالوا وكان يحلف مع ذلك في اهله ولا ينكر الناس ولا اهله
شيئا من ذلك ومثل هذا لا يصح بل هو الكذب المحض ونساء الانبياء معصومات فيما هذا
سبيله والله جل وتعالى اكرم من ان ينزل نبيه صلى الله عليه وسلم الى هذه النقيصة
وفصل القول في ذلك قال الله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب وقال
وورث سليمان داود ووراثات الانبياء عليهم السلام النبوة والملك والحسن والعلم والحكمة
وما هذا سبيله ووهب الله لداود سليمان عليهما السلام نبيا كما هو وهب هرون لموسى نبيا
ويحيى لزكريا نبيا وقال الله عز وجل ولقد فتنا سليمان واقرب ما يكون المعبر عنه بذكر
الفتنة الذنب وذلك ليس بمنكر الله اعلم بذلك غير انه قد زكاه الزكي الحق جل جلاله بقوله
نعم العبد انه اواب لانه كان يؤوب كلما اذنب وقال هذا نعم اواب والمعهود من الله جل ذكره
ان رحمته اقرب ما يكون من عبد اثر زلة الذنب واعتاب الندم والتوبة كذلك ذكر في
كثير من قصص ذكر الانبياء سواه وسيأتي ذكر هذا مبينا ان شاء الله تعالى وقال والقينا
على كرسيه جسدا ولا يقال في حقيقة حق الخطاب عن الشيطان انه جسد انما يصفه بذلك من
لا يعقل معنى الخطاب ولا وقف منه على سر المراد قال الله عز وجل وذكر انه لم يرسل الى اهل الارض
رسولا الا من البشر لا ملكا وما ارسلنا قبلك الا رجالا لا يوحى اليهم فاسالوا اهل
الذكر ان كنتم لا تعلمون ثم قال جل وتعالى وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا
خالدين فاعلم العليم الحليم الحق جل جلاله ان ما يقال له جسد فانه لا ياكل الطعام وانه
خالد يعني الى يوم الدين والجن الذين هم الشياطين ياكلون الطعام ويشربون وينكحون
ولهم ازواج واولاد وليسوا بخالدين الى يوم الدين غير ابليس لعنه الله وقال جل قوله
والقينا على كرسيه جسدا ولو كان شيطانا لما وصفه الله تعالى بانه القاه ولسن جل
وتعالى عن ذلك ولما كان من لقاء الله عز وجل كان ملكا يحكم من امر الله وسنن نبيه
عليه السلام **فصل** كذلك قالوا ايضا في قول الله عز وجل ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب ثم ذكر من اوبه وسرعة توبته فقال اذ عرض عليه بالعشي الصافنات
الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب الاية قالوا قطع اعناقها
وسوقها وليس كذلك قال الله عز وجل واذكر سليمان داود عليهما السلام وذا الكفل

وعم جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ثم ذكر جماعة من
اخوانهم واباءهم وذرياتهم ومن اجتباه الله وهداه الى قوله اولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق وقد شغله اهل الاحزاب
بالقتال عن صلوة العصر فلم يذكرها نسيانا لها وشغلا عنها بما كان فيه والمسلمون معه
رضي الله عنهم ولما تحاجز القوم بعد مغيب الشمس ذكر عمر رضي الله عنه فقال
والله يا رسول الله ما كدت اصلي العصر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها
بعد شغلونا عن الصلوة الوسطى ملأ الله قبورهم وقال قلوبهم نارا ثم قام صلى الله
عليه وسلم فصلى بهم العصر ثم صلى المغرب وبقي على مجاهدة عدوه الى ان فرغ وانما
فعل ذلك اسوة بسليمان عليه السلام وذلك كما امره ربه عز جلاله اذ عرض الله عليه
خيل الله المعدة لاعدائه فشغله بذلك حتى توارت الشمس بالحجاب نسيانا كالبشر ولما
ذكر قال يلوم نفسه اني احببت حب الخير والخير هنا عبارة عن العمل الصالح قال
الله عز من قائل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير
لعلكم تفلحون وقال يسارعون في الخيرات لكن كل الخيرات فذكر الله اكثر منها لا سيما الصلوة
المفروضة وذكر الله اكثر في الصلوة من الصلوة فقال صلى الله عليه وسلم لما تذكر الصلوة
اني احببت حب الخير اي العمل الصالح عن ذكر ربي تقدير محذوف شغلني ذلك عن ذكر
ربي اي شغلني عما هو افضل فضلا منها ثم قال ردوها على اي ردوا الي ليلها وتفرغ لذلك
الخير ومباشرته بنفسه فمسح بيده اوثبوته على اعرافها واعناقها واعزها ففي هذا من
العمل ان يبدأ العبد بما هو اوجب عليه وبما هو الافضل فالافضل وينفرغ من ذلك الى
فعل سائر الخيرات وتلك الخيل خيل الله وخيل المسلمين وعدة الاسلام ولا ذنب لها فتعاقب
عليه بما كان يكون الذنب عليه لو تعمد فاتها اعني الصلوة ولم يتعمد ذلك بل نسيها فلا ذنب
والحمد لله رب العالمين فقيل الخيل على هذا من العرب وقد روي محمد صلى الله عليه وسلم
وهو يمسح ثبوته وجه فرس وعنقه فقيل له في ذلك فقال اني عوتبت الليلة على الخيل
وهذا منه صلى الله عليه وسلم جرى على ذلك من سنة نبيه عليهما السلام واقتدوا به كما امرونا
الذم فيم فعل لو ترك ما كان عليه من الفعل بالخيل واهانها فقد لها يدل على ذلك قصة يونس
عليه السلام لما لم يتيسر له من عمل كلفه ربه ما رضي ترك عمله وندا الى الفلك المشحون فركبه نادا
على وجهه فحبسه الله جل جلاله وتعالى علاؤه وسناه في بطن الحوت وسماه ابقا ومليما
وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت الى اخر القصة
وانما عزموا ولو العزم ان لا يتركوا عملا لعمل ولا يبطلوا اعمالهم لا سيما اذا كان ذلك العمل
الذي يتعرض به مما هو يدعي انه من فعل الشيطان ونسيان الصلوة من فعل الشيطان افتنه
طاعة ربه لان الشيطان انساه طاعة احرى هذا من عون الشيطان على عمله واعتبر ذلك
باصلاح الصلوة بسجود السهو لترغيم الشيطان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
وقعت لقمة احدكم من يده فليأخذها وليمط عنها ما كان بها من اذى وليسم الله تبارك
وتعالى ثم لياكلها ولا يتركها للشيطان وقال صلى الله عليه وسلم اذا عثرت دابة احدكم به

فليتعلل ببسم الله وقال لا حول ولا قوة الا بالله ولا يمل بعس الشيطان فانه ينتفع بها
فهذه سبل الله عز وجل وسبل انبيائه ورسله صلوات الله وسلامه على جميعهم
قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الى قوله جل قوله وما انزل
على الملكين وقرأ ابن عباس وعبد الرحمن بن ابزار رحمة الله عليهما الملكين بكسر اللام يعني
ملكين من ملوك الدنيا تقدير الاية واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل
على الملكين ببابل هروت وماروت وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع وانهما كانا
وقد شهد الله جل جلاله لهما ان الذي كانا يعلمانه هو ما انزل عليهما وما انزل الله عز وجل
فلا خلاف في صحة هدايته وانه الحق والهدى والخير قل ان هدى الله هو الهدى وما انزل الله
على احد وحيا الا معناه التوحيد وتصحيح النبوة والامر بالطاعة والعبادة له وحده
يقول الله جل من قائل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فعمّ ولم يخصص بشرا من غيره
الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وكان الغالب على ما انزل عليهما ما هو من سبيل علم
الاسماء وخواصها وما يقتضيه وما يكون دواء من سحر وعلى الاقرب فالاقرب من معانيها
وخاصة كل اسم منها في منافعه ومضاره وفي مواقعه ومواضعه من الموجودات ابي لنا من ذلك
فيما انزل علينا الادعية والمعوذات وما هو من سبيل القرآن العظيم ثم ما عبر عنه قوله
جل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله
واسع عليم فهذا ما يقع من معنى ما انزل على الملكين فيما انزل علينا ثم الى ما يكون من التمييز
بين لمة الملك ولمة العدو لعنة الله ثم تمييز الاخلاق المرضية من غيرها كالرضى والشكر
والخوف والرجاء والخشوع والخضوع وجميع اخلاق الايمان والفرق بين هذه الاخلاق
وبين الاخلاق المردية كالرياء والعجب والكبر واخلاق الكفر وما يبعث عليه العدو ثم ما
يكون عليه الولاية والحب والود لله وفي الله وفيما يحبه ويرضاه ثم معرفة ما يحصل ذلك
ذلك به من اعمال واقوال الطيبة واسماء الله جل ذكره وتمييز ذلك من ضده ومواقع هذا
وهذا ومنافعه ومضاره الى غير ذلك مما الله به اعلم ومن نحو هذا كان العلم الذي كان قد
خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة رضي الله عنه من آفات الاعمال وخدايع النفوس
وكان ما اعلن به صلوات الله وسلامه عليه لامته على الاغلب هو ما يكون على سبيل البشارة و
النذارة ففضائل ذلك وجزاء ذلك وما اعطى الله جل ذكره به الملكين عليهما السلام ونعتهما
جاء بين ذلك واذا مرهما في مرتبتهما معا كالحافظين صاحب اليمين وصاحب الشمال وكلاهما
من عند الله جل وعز ومن رسله وملائكته لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وانهم رسل الله من فضله وكذلك ما يكون من التحذير عن العداوة وتحقيق البراءة
في الله ولاجل ذلك كانت الفتنة تسرع الى من كان سبيله اقل ورع وموقع الكفر والمكروه
باليسر الجاد على قدر العلو في الرفعة يكون الوقع في الوقعة فكانا عليهما السلام لاجل ذلك
يقولان للمتعلمين منهما انما نحن فتنة فلا تكفر اي لا تزغ ولا تعد لبعد لك وكان
لامرية في ذلك من امن منهم وابى علم رفيع العلم ونال ذروة شرف ونجا من الفتنة ووصف
الله عز وجل المتعلمين منهم على السبيل المذمومة انهم انما كانوا يتعلمون منهما ما يفرقون به

بين المرء وزوجه ثم تمام منتع ذلك لا محالة مما يضاد ما تقدم ذكره ويصفون الى ذلك
السحر فانه يقرب مما هذا سبيله بالمقابلة التي يعبر بها على التضاد قال الله عز وجل ويتعلمون
ما يضرهم ولا ينفعهم فكان الذي اتبعته الشياطين مما انزل على هذين الملكين عليهما السلام
من الهدى ضلالا لا يوجد من معالم هي كفر وعناد وتعبد لغير الله جل ذكره عبر الله جل ذكره
عن بعض ذلك بقوله جل ذكره ما يفرقون به بين المرء وزوجه وهذا وقبيله هو يضرهم ولا
ينفعهم جميع ذلك قوله جل قوله ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا
يعلمون المعنى لو انهم آمنوا بما انزل اليهم وما انزل من قبلهم واتقوا ولم يلحدوا في اسماء
الله جل وعز ولا الحدوا ايها واستعملوا انفسهم بمقتضى الاسماء على سنة الرسول المرسل اليهم
بذلك لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون بشير وهو علم جل وعز ان ذلك كان يفضي بهم
الى الولاية العليا فيجري ايديهم انواع الكرامات ويظهر لهم من علامات قدرته من تعجيل الالام
واجابة الدعوات وقضاء الحاجات وتفريج الكرب وتيسير العسير وتقريب البعيد الى غير ذلك
مما هذا سبيله ومن امن واتقى يجعل الله له المخرج من امره ويتم له شانه ثم اخذ جل جلاله
في توصية المؤمنين ونصيحتهم باحسن المآخذ واكرم المخاطبة فقال جل قوله يعلمهم مراد
عدوهم فيه يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين يعني
اليهود خاصة ثم غيرهم عامة عذاب اليم كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك و
يصولك وهم يلحدون بذلك في قولهم الى ما يضاد التوقير والتعزير من السب فنهى الله جل ثناؤه
المؤمنين ان يقولوا ذلك لما في ذلك من الايهام ثم اعلمهم عز وجل بمراد عدوهم بقوله
عز قوله وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد اختصكم على العالمين بدين الاسلام
وبرسوله عليه السلام وبالقرآن العظيم وبالآيات والذكر الحكيم قوله جل ثناؤه ما ننسخ
من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها هذا كلام منتظم بما قبله في ذكر ما يتو وبخاصة
ذكر المنزل على الملكين عليهما السلام من علم وهداية ونور وآيات وعلى ما هي عليه الآيات
نيرات ثم جميع الكتب والصحف المنزلة عليه يقول جل قوله ما ننسخ من آية او ننسها وفي
اخرى او ننسأها وفي اخرى ننسها وفي اخرى او ننسك وفي اخرى ما ننسك من آية او ننسخها
وهذا كله بمعنى النسيان وقرأ عبيد بن عمير وابو عمرو بن العلاء ومجاهد وعطاء وغيرهم
من الجملة ما ننسخ من آية او ننسأها من التاخير والمذكورون الذين قرأوا هذه القراءة
بمعنى التاخير ولو ما ننسخ من آية من اللوح المحفوظ او نؤخرها فلم ننسخها الله اي لم
ننزلها عليك نأت بخير منها او مثلها حكى ذلك عنهم القاسم بن سلام رحمه الله وعلى هذا التاويل
فالقرآن كله منسوخ اي منقول من ام الكتاب الى ما هو بالقرآن وليس بالعلم المطلق من هذا الباب
هو ان القرآن منقول من ام الكتاب ام لا اذ كل كائن فهو مكتوب في اللوح المحفوظ وتنزيله على رسوله
صلى الله عليه وسلم كائن وهو ايضا من علم الله جل ثناؤه وقال جل قوله للقلم اكتب علمي
في خلقي وليس المطلوب هذا واما قولهم في قوله عز وجل نأت بخير منها او مثلها مكان الآية
المؤخرة ان كان مرادهم انه يأت بمثلها او خير منها من اللوح المحفوظ فليس يخفى في هذا

من الفائدة لانه انزله نجوما وان كان معنى ذلك انه نزله جل جلاله من غير اللوح المحفوظ
محاذيه لهم فذلك هم المرتفعون عن هذه الكظنة قال الله جل من قائل وكل شيء احصيناه في امام
مبين وقال عز وجل في القران وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم **فصل** النسخ
ازالة الشرع المتقدم بشرع متاخر عنه على وجه لولاه لكان ثابتا هذا حد وجوده وانه
كان قد يقال للنقل نسخ قال الله عز من قائل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون لكنه تاويل
لا وجه له ولا فائدة في هذا المطلب انتظم هذا الخطاب بالمجاورة نسخ بعض ما انزل على الملكين
عليهما السلام تقدير الكلام بما ما ننسخ من الذي انزلناه على الملكين ومن التورية او من
جميع الكتب قبله من اية يوجد حكمها من ذلك اليوم او ننساه يوخر حكمها الى اجلها
كفعله في ايات القتال والانتصار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر انساها ولابد
الاسلام الى ان عز اهله وكثروا واظهره الله عز وجل ثم هو يعيده ذلك الحكم الاول حين
يعود الاسلام غريبا كما بدا ثم يعيد الحكم الثاني وهو الانتصار في اخر الزمان ان شاء الله يقول
الله جل قوله نات بخير منها بخير من المهادنة وهو القتال والانتصار او مثلها من المهادنة
قال الله جل وعز وذكر الجهاد وامر بالنفير الى عدو المسلمين خفافا وثقالا ذلكم خير لكم
ان كنتم تعلمون ثم المهادنة كالمهادنة الا انه جل جلاله يقول نات بلفظ مستقبل مشروط
مقدم ولذلك اعقب جل جلاله القول بالتمدح والتمجيد فقال جل قوله الم تعلموا ان الله على
كل شيء قدير يشير الى النص خاصة ثم ما يتناوله العموم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وهذه اشارة الى وعيد ما اشاره لذنوب يكون التخلي عن بعضهم لاجل ذلك ثم قال جل
قوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير **فصل** واما تاويل القراءة بمعنى
النسيان قال الله جل ذكره بالحق وقوله الحق سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله فاخبر
نصا انه لا ينسى واستثنى معنى ما وجب على من لقن الخطاب البحث عن حقيقة المراد قال
الله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكما يحفظه من الشياطين وشوائب
النفوس كذلك يحفظه جل وعز من النسيان وقد ضمن له جل جلاله جمعه في صدره وقراءته
وهو المقدار الذي تناوله قوله سنقرئك فلا تنسى اي القران الا ما شاء الله هو كنه فانه
جل جلاله قد قرا اي جمع الحكمة في قلبه يوم شرح الملك عليه السلام صدره ثم من لطيف بره به
وتدبيره له ان جعل تلك برزة هياها لينشا الى نهايتها وطرق اليها النسخ والنسيان
الا ترى انه لم يقل جل جلاله ما ننسخ من القران من اية وانما قال ما ننسخ من اية وكلها اية
نات بخير منها اي من القران او مثلها اي من السنة الم تعلم ان الله على كل شيء من الوحي
قدير ويمكن ان يكون ما ننسها حكم الاية كالمجمل ليس من شرطه ان يقترن به بيانه لو قت نزوله
قبل وقت الحاجة الى امتثاله او يرد عليه من القران ما لا يعلم المراد به ما هو فالنسيان يقع على
زوال الذكر وزوال الذكر قد يقع بالذهول والغفلة فانساهم انفسهم اي اغفلهم
واذهلهم عن النظر لها والاخذ بالوثيقة في النجاة لها ويقع زائدا على ذلك على الترك
فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ولان يوجه الخطاب الى معنيين اولى من ان يوجه
الى معنى واحد لا سيما وهما معنيان **قوله** عز قوله نات بخير منها او مثلها وليس

الا الكتاب والسنة والنسخ تناول الكتاب قبله من التورية والانجيل والسنة
كنسخ انما الماء من الماء بقوله اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل ونسخ الوضوء
مما مسته النار ونحو ذلك وما ورد في القران العزيز من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل
قد بين الله جل ذكره ناسخه عند منسوخه كنسخ الصدقة عند مناجات الرسول بالاية التي
عقبها بها وهي لمن نظر بحقيقة النظر من النسا كذلك نسخ ذبح ابراهيم ولده عليهما السلام
متابعا غير مساعد كذلك نسخ الثبوت من واحد لعشرة من الكفار وعشرة لمائة منهم
متتابع وهو من النسا ايضا حكمه وكذلك ما ذكره من امساك اللاتي ياتين بالفاحشة من
النساء في البيوت مما انزله في صدر سورة النور لبس بنسخ ولا ازالة للحكم انما هو بيان
للسبيل التي جعله الله لهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني فكر رلما كان الحكم في مخلوقين
الرجال والنساء والابكار وغير الابكار قد جعل الله لهن سبيلا ثم جعل بين السبيل
ما هو الحديث وعن يجعل الزانية والزاني في السجن حتى يتبين الحكم فيهما بالشهادة او
قد بعد رانقادهما ووجودها فهو مصيب ولو كان منسوخا لم يجز على حال وهكذا
يتخرج كل ما يدعى عليه النسخ من القران بالقران او بالسنة ان كان بالسنة فهو بيان الحكم
القران وان كان المدعى عليه قرانا كان منسا او بيانا لمجمل او هو خطاب قد حال بينه وبين
اوله خطاب غيره او مخصوص عن عمومه او حكم عام لخاص او مستثنى منه ولمداخلة معنى
في معنى وانواع الخطاب كثيرة او اعلام نسخ لما تقدم من الكتاب قبله بحكمه بالغة لمنزل القران
جل جلاله في ذلك وحجة قاهرة فالقران انما هو مهيمن على غيره من الكتب وهو في نفسه
متصادق متعاضد وان كان الكلام في نسخ القران لما انزل على الملكين عليهما السلام فتقديره
ما ننسخ من اية مما انزل عليهما نات بخير منها اي اعظم مثوبة وابعد من الفتنة واقرب الى السلامة
او مثلها فكان ما انزل عليهما الكثرة الى الاثام ما هو كان مثل ذلك في القران العظيم ذكره
الاسماء الحسنى والصفات العلى كقوله جل قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى وقوله جل قوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
الى اخر السورة فالقران ينسخ ما شاء الله جل ذكره من الكتاب قبله وينسخ الله ما يشاء
نسخه من شيء والسنن ينسخ بعضها بعضا على هذا هو كسنن المسنون والاصل الموصل
الا ما كان مما ذكروه نادرا لا ينقطع على وجوده ولا ننكر فقعده والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل **قوله** عز وجل ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وكان مما سالوا
نبيهم عليه السلام ان يريهم الله جهرة او يكلمهم فنهاهم اعني المؤمنين ان يقترحوا عليه بقران
ينزله عليهم في كل ما يامرهم به وينهاهم عنه هذا كلامه وهذا كلامه او وحيه جل جلاله **قوله** عز
وجل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم
من بعد ما تبين لهم الحق هذه نصيحة من الله جل ذكره للمؤمنين واعلام بعلم نصيحة اهل
الكتاب في الله جل ذكره اذ الدين النصيحة لله وللرسول وللكتاب ولائمة العامة ثم قال جل
قوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره هذه مما ادعوا عليها النسخ وانما هي منساة داخلة على
قوله جل قوله حتى ياتي الله بامره ثم صرف جل جلاله الخطاب الى اوله من ذكر ايمانهم وصلاتهم

بالبرهان على صدق ما تمنوه وما اعتمدوا عليه من كاذب ظنونهم بقوله عز وجل وقالوا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى الى قوله تعالى صادقين ثم ذكر تعالى تكذيب
بعضهم بعضا وفي ذلك منهم تكذيب كل فريق لكتابه اذ كان كتاب كل فريق منهم مصدقا لما بين يديه
ولما خلفه بقوله عز قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود
على شيء وهم يتلون الكتاب وفي كل واحد تصديق كتاب صاحبه ثم صرف جل جلاله
الخطاب الى الاخبار عن النصارى بقوله جل قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر
فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ويتوجه هذا
الخطاب ايضا الى قريش لمنعهم الرسول صلى الله عليه وسلم الحج والعمرة وعمارة بيت الحرام
والمؤمنون هم اولياؤه ولهم طهره ابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما و
رفعا قواعده ولهم تبوآه باذن ربهما جل جلاله والمشركون نجس ولكن اكثرهم لا يعلمون
وقوله جل قوله ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين والله اعلم ثم نسخ القرآن القبلة
والتوجه الى بيت المقدس بالتوجه الى البيت الحرام **فصل** شرع الله عز وجل
لموسى صلوات الله وسلامه عليه التوجه الى بيت المقدس في قوله عز قوله فاوحينا
الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا اي مساجد واجعلوا بيوتكم اي التي كتب الله لكم
بالشام قبلة وبشر المؤمنين اي الذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم على القبلة الى
البيت الحرام قال الله جل قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس
طول مكثه بمكة وفي المدينة ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم توجه الى البيت
الحرام وكان يتوجه الى بيت المقدس استصحابا لحال الوحي اليه فبهداهم اقتده ثم ذكر جل جلاله
عظيم قولهم وشنيع افترائهم وشهادة جميع الخليقة بالتوحيد وشهودها فانه له
وان كل الموجودات علوا وسفلا خلق له وعبيد مملوكون وانى يكون لمن خلقه وعبيده ولد
سبحانه وتعالى فيكون ثم صرف ايضا وجه الخطاب الى الاخبار عن الاميين فقال عز قوله
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية يقول عز من قائل كذلك قال الذين من قبلهم
اليهود لما تجمعوا في الكفر تشابهت قلوبهم وتشابه اقتراحهم انما ينفع العلم والعقل مع الآيات
كذلك الى قوله عز وجل قد بينا الآيات لقوم يوقنون والآيات المبينات هو ما اودعه الله
عز وجل العالم كله من الشواهد وملاه من الدلائل على ان لا شريك له ولا ولد كيف وهو
بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولا كفو له كيف يكون له ند وشريك وولد والكل
ملكه وعنده قانت لعظمته مسبح بحمده ثم امره بالتولي والاعراض عنهم مع التبليغ اليهم فقال
عز قوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم وايأسه عز وجل من
رجوعهم عما هم عليه والاستجابة له فقال عز قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم وامره جل وعز بلزوم ما هو عليه من الايمان بما جاءه والهدى والتبليغ عنه بقوله
عز قوله قل ان هدى الله هو الهدى كقوله عز وجل في غير هذا الموضع قل ان الهدى هدى الله ثم
كشف جل جلاله عن وجه الحق ودل على السبيل المؤدي اليه بقوله عز قوله الذين آتيناهم الكتاب

يتلونه حق تلاوته اي قراءته ثم علا باولئك يؤمنون به ثم عطف الكلام معرضا بهم
ومؤذيا لسوءهم بقوله جل قوله ومن يكفر به اي بهذا الكتاب فاولئك هم الخاسرون ثم صرف
وجه الخطاب الى اليهود والنصارى وكفار العرب باتيهم الاقرب كما ذكرهم اولا باتيهم
الاقصى وكما ذكر اليهود والنصارى بنعمته عليهم وتفضيله اياهم يعظهم ويخوفهم بانه
وعقابه فذكرهم عهده الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم وامامته وانه لا ينال عهده الظالمين
من عباده تعريضا لهم بظلمهم وقطعا للرجاء منهم في وصلتهم مع الاقامة منهم على ما هم
عليه ومع ذلك يذكرهم بالاخوة واخوة اسمعيل وابراهيم صلى الله عليهما ومع ذلك يذكرهم
بالاخوة ابتنيا البيت الحرام ويعرض لهم جل جلاله بالرجوع اليه والتوجه نحوه ويشير
عليهم مكان الحد منهم للعرب وانهم وان كانوا معهم بني اخوين فانهم لاب واحد ونسب سواء
وانهما كانا مسلمين مؤمنين عليهما السلام وذكر جل وعز دعاءهما لنسلهما بالاسلام وتعليم
المناسك وبالتوبة وبان يبعث الله اليهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة يقول تعالى فها هو هذا الرسول دعوة ابراهيم واسمعيل ووصية ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب صلى الله على جميعهم وسلم بلزوم هذه الملة السواء والطريقة المثلى
هذا كله بحيث جل جلاله اليهم للدخول في الاسلام والاقتداء بهدى الله والاحتكام بحرمته
وانه من رغب عن ملة ابراهيم منهم او من غيرهم فقد سفه نفسه اذ لا هدى الا هدى الله ولا دين
غير دين الاسلام مقبولا لشهادة شهد بهم جميعهم يوم توصية ابراهيم يعقوب واسحق صلوات
الله وسلامه على جميعهم فاتقوا بذلك واشهد وابانهم مسلمون يعقوب جل جلاله لليهود والنصارى
وكفار العرب وها انتم اولا تخالفون لهم في شهاداتهم واقرارهم في قولهم للعرب كونوا هودا او
نصارى تهتدوا يقول جل من قائل وقوله الحق قل يا محمد بل ملة ابراهيم حنيفا التزاما للعهد الاول
عهد الله وعهد ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط فقال جل قوله قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى قوله ونحن له مسلمون ثم ذكر ان الشهادة والعمل بمقتضاها
هو الهدى كقوله عز قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق
اي في بعد عن الحق واضلال عن الهدى واسخاط لله جل ثناؤه ورسوله والمؤمنين هذه
شهادة الله تبارك وتعالى لدين الاسلام وهو الكبير المتعال ثم قال جل قوله صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة نصب صبغة على الاختصاص للمدح والصبغة هي الخلقة الاولية منه فخلقته
التي خلق عليها هي صبغة عليها جمعت مواد قوى خلقته وعلى حسبها ركبت اركانه واياها
اريد بايجاده ولما كانت اليهود يغمسون ابناءها داخل السبعة الايام من مولد المولود يعتقد
في ذلك تهويده وكانت النصارى تغمس ابناءها في المعمودية داخل السبعة الايام تنصرها
بذلك خاطبهم رب العزة جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالمعهود عندهم يعلمهم في ذلك
بان ليست ملة الاسلام صبغة مخلوق ولا صبغة محدث مربوب لا يملك دفع ضر ولا
تحويله انما هي فطرة الله جل ثناؤه وصبغته التي فطر الناس عليها وجميع الموجودات لا تبديل
لخلق الله ومن احسن من الله صبغة واي ملة على هذا احسن من ملة الاسلام لذلك يسجد
له من في السموات والارض طوعا وكرها ويسجد كل شيء ويسبح له ثم قال عز من قائل ام تقولون

ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل لهم يا محمد من اعلم بهم وبما كانوا عليه انتم اعلم ام الله وهل نزلت التورية والانجيل الا من بعد ما تقدم ذكره ام تكتمون شهادتكم في ذلك ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ولما بلغ من التبليغ الغاية واستوفى في التبيين النهاية قطع الجدال مفلجا وفصل بالحق غالبا بقوله جل قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون انظر والى انفسكم وحذو لها بالاولوية في النجاة من عذاب الله ربكم فلستم بالمسؤلين عن اعمالهم ولا هم بالمسؤلين عن اعمالكم افمن يكون هذه اعماله وبدرجته كي سبيله من زعم ان الدار الآخرة خالصة له من دون الناس **قوله** عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن المعنى الى اخره الابتلاء الاختبار والكلمة كل موجود على التراخي بتمام سنة وادم صلوات الله وسلامه عليه وكذلك ابراهيم وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وكذلك كل ما تبعه ما هو منه ولا يتم معنى وجوده الا بذلك المتابع وكل واحد من المكلفين ايضا كلمة اذ قد كتب له رزقه واجله وعمله فهو لا يتم الا بتمام ذلك منه ثم قد كتب شقيا او سعيدا ومكانه من الجنة او النار وكل ما يصير اليه في دار الخلود وهذا فليس له اخر ينتهي اليه تحصيلا قال الله عز وجل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وعلى هذا فانه يقال ايضا للمامور به والمنهي عنه كلمات وكلمة لواحد ذلك كالصلوة والزكوة ومعرفة الله جل ذكره وكل ما يقع عليه اسم منهي عنه ومامور به اذ ذلك كله مقدر في ام الكتاب ومكتوب في الاولى لا يتم الا بوجوده ولا يتم وجوده الا بوجود جزائه وذلك غير متناهي الوجود دل على صحة هذا قول الله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

فصل وعلى هذا فالكلمات المبتلى ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بهن والله اعلم هي ما ذكره في سورة والنجم اذا هوى من لدن قوله عز وجل ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى الى قوله والمؤتفكة اهوى وما في معنى قوله جل قوله قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى الى قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى جميع ذلك ما وصف الله جل ثناؤه به خليله ابراهيم عليه السلام في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم الى قوله جل قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين كما ان النبي المبتلى محمد صلى الله عليه وسلم وامته ايضا كلمات وهو من ملة ابراهيم عليه السلام من ذلك معنى ما ذكره في سورة التوبة في قوله عز قوله التائبون العابدون الحامدون السائحون الى قوله وبشر المؤمنين كذلك ما ذكره في سورة الاسراء وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى قوله ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا كذلك قوله في سورة المعارج الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون الى قوله اولئك في جنات مكرمون وقوله في صدر سورة المؤمنين اولئك هم الوارثون وكذلك ما جاء من ذكر ذلك في سورة الاحزاب قوله ان المسلمين والمسلمات فمن عني بجمع ذلك فتخلى المكرر من غيره ويحصل الخصال فيجد في ذلك شفا الغليل ان شاء الله ولنضف الى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة ومباني الاسلام الخمس وشعب الايمان بضع وستون شعبة الى ما ينضاف الى ذلك من معالي الاخلاق وكريم الفعال والنصيحة لله وللرسول والمؤمنين خاصة وعامة ولينهض جميع مسالك اعمال البر ومواطن الايمان وقد جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ وابراهيم الذي وفى قال كان عمله اربع كلمات في النهار وجاء عنه ايضا والله اعلم في قوله وابراهيم الذي وفى قال كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وهذه ايماء الى ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي جاء به ابراهيم صلوات الله عليهما وسلامه الا ما خصه الوقت وتوازن الاسباب بين هذا الايماء **قوله** جل من قائل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله عز قوله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم وان تداخلت المذكورات وتكررت الخصال فهي تلك وهي من ابراهيم عليه السلام ولما اتم ابراهيم عليه السلام ما ابتلاه ربه عز وجل كتب له عز وجل براءة من التضييع والتفريط فقال جل قوله وابراهيم الذي وفى وكذلك قال في محمد صلى الله عليه وسلم وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم وان لجدلا له عليه فتول عنهم فما انت بملوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله

فصل اختلف في قوله جل قوله فاتمهن على من يرجع الضمير في اتمهن اعلى الله جل ذكره ام على ابراهيم عليه السلام فقال قوم هو راجع الى الله جل ثناؤه وتقدير الكلام فاتمهن الله وقال الاخرون هو راجع الى ابراهيم عليه السلام والصواب ان الضمير راجع بوجه الى الله جل ثناؤه ومرة الى ابراهيم عليه السلام وسيأتي ورده الى نظائره يعطي رجوعه الى الله سبحانه ومن هو الاول في كل شيء والاخر والظاهر والباطن فهو كفاعل الحق بالاتمام فردا لنائاره وباستماله ابراهيم عليه السلام اخرى وقوله جل قوله وابراهيم الذي وفى يعطي رجوعه الى ابراهيم عليه السلام ولعل تقديم المفعول على الفاعل في هذا الموضع في قوله عز قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات والعادة الجارية تعطي تقديم الفاعل على المفعول بالذكر ليكون ذلك اشارة الى المفعول المجعول في موضع الفاعل هو فاعل ايضا بوجه فالله جل ذكره فاعل باسم المبتلي والمتمم والاول والاخر والظاهر والباطن وابراهيم عليه السلام هو كفاعل بمعنى اسم المبتلى والعامل فيما ابتلي بما يرضي ربه بوجه وبما هو كذلك في ذلك والعازم عليه والله جل ثناؤه والمتمم بالاجابة والمعونة والاذن فهذا وجه لتقديم المفعول ههنا على الفاعل **قوله** تعالى اني جاعلك للناس اماما الامام هو المقتدى به وهو المهدي الهادي قال ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي يقول واجعل ائمة من ذريتي فاجابه الجليل جل جلاله على ذلك وشرط ثم في نفس الذكر وحقيقة العهد ان لا ينال عهده الظالمون منهم وكل من اتقى الله وكان له بما يرضيه علم وعمل كان اماما عند الله ومن كان بعهده من الله فليبشر المتقون وقد اثنى الله عز وجل على عباده فقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى قوله ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما

فصل وخصال الامامة ايضا كلمات في انفسهن من ذلك قوله اني جاعلك للناس اماما فقال ابراهيم عليه السلام ومن ذريتي قال الله لا ينال عهدي الظالمين

فهذا كله تمامها في تمام ذريته وذلك الى انقضاء ايام عيسى بن مريم عليه السلام ومن ذلك ايضا قوله جل قوله يبين معالم امامته عليه السلام واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا بفتح الخاء من مقام ابراهيم مصلى اتماما للكلمات التي جعلها جل جلاله على لسانه في قوله عليه السلام ومن ذريتي وقوله فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم سن انها من الله جل وعز واذن في الناس بالحج ومن قرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فانه امرهم جل جلاله بالائتمام به ومن تلك الكلمات قوله عز من قائل وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود يريد جل وعز هذه الامة والحمد لله رب العالمين ومنهن ايضا قوله عز جلاله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر قوله جل ذكره ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير يقصد جل جلاله حرمة حرمه وجلب رزقه على المؤمنين بل عم ساكنيه برزقه وحمايته وفرق بينهم في الماب تصديقا لكلمته التي القاها على لسانه عليه السلام ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة الى قوله تشكرون ومنهن قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل الى قوله انك انت العزيز الحكيم فهذه كلمات الله جل ذكره القاهن على السنتهما صلى الله عليهما وسلم اتمهن الله بهما قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها السفهاء هنا هم كفار العرب ومن قال بقولهم من اهل الكتاب وغيرهم من الامم والاظهر ان يكون السفهاء اهل الكتاب لنكوبهم عن الرشد بعد العلم ثم باخرهم يلحق من سواهم بهما ومن رغب عن ملة ابراهيم وابتغى غير الاسلام دينا فقد سفه نفسه قوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا عطف بالكاف على ذكر امامة ابراهيم عليه السلام تذكيرا باجابة دعوتهما في ذريتهما قولهما ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك الى اخر المعنى وقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك المعنى ونظم قوله جل قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها بمعنى ما تقدم من قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وذكرهم جل ذكره في ذلك بنعمته عليهم بارساله رسولا اليهم وتوجيههم الى القبلة التي اختارها لهم وصراطه المستقيم الذي هداهم اليه في ازله وانه ما جعل القبلة الى بيت المقدس بعد فرضه التوجه الى البيت الحرام بقوله جل قوله لابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود وقوله واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر المعنى الا ابتلاء منه واختبار البطهر عند التوجه الى الكعبة وجود الخلاف ممن شاء الخلاف منه وضلال لمن اراد ضلاله والبيت الحرام هو اول بيت وضع للناس

فصل

قال الله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اي مساجد واجعلوا بيوتكم قبلة اي بيوتكم بالشام الارض المقدسة التي كتب الله لكم واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وهذا الامر بالبشرى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما كان مع ذلك امر لموسى معناه وبشر المؤمنين بانجاز وعد بما كتبته لهم من الارض المقدسة وبشر المؤمنين بالقبلتين عند تحويل القبلة الى اولها البيت الحرام هذا على الخصوص وعلى العموم وبشر المؤمنين بالقبلتين جعل الله جل ذكره من لدنه علاما مابراهيم عليه السلام

وخصوصية البيت بالقبلة في الاولية ايات بينات منهن مقام ابراهيم عليه السلام وخصوصية البيت بالقبلة في الاولية ايات بينات منهن مقام ابرهيم ومنهن انه من دخله كان امنا ومنهن انه جعله مثابة للناس وامنه لهم لا يزال من اهله ظاهرا ما كان البيت بين اظهرهم يعظمونه ويهدون اليه ويقصدونه فاذا خرب لقي الناس ما يوعدون قوله تعالى وان كانت لكبيرة اي من محنة الا على الذين هدى الله بالاسلام والايمان فانزل السكينة في قلوبهم اولئك ما كان الله ليضيع ايمانهم اي بالوجهات ويؤتيهم اجرهم مرتين بايمانهم بالوجهة الاولى ثم بالآخرة ان الله بالناس لرؤف رحيم الذين امنوا بالقبلتين يهديهم لما يرضيه ثم يشكرهم هدايتهم اتبع ذلك قوله الحق جل جلاله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره من هنا ظن من ظن ان هذا نسخ للقران وانما نسخ هنا بالقران ما في كتاب التوراة قوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا المعنى بل هنا مثبت وله في القران العزيز ان البيت هو اول بيت وضع للناس يعني قبلة فهو اذا من النسيء في حق اهل الكتاب وكان اهل الكتاب يعلمون ذلك قال الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وقال جل قوله الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ثم جعل ذلك من العلم الوكيد معرفته بقوله الحق من ربك فلا تكونن من الممترين لذلك قال عز من قائل ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وصرف وجه الخطاب الى اوله من ذكر القبلة قوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها الى قوله جل قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم اي اهل الكتاب ظلموا في تركهم التبليغ والنصيحة فيما انزل اليهم في الكتابين من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتركهم اتباعه بين ذلك قوله عز وجل وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ثم قال عز من قائل ولاتم نعمتي عليكم عطف بلام كي على نظيرتها في قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الناس هنا هم العرب اي اذا توجهتم نحو بيت ابراهيم ومقصد حجهم لم يكن لهم عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم الذين تحولتم عن قبلتهم فلا تخشوهم واخشون دونهم وانتظم ايضا قوله ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون لما تقدم من قوله في دعوة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام لان اتمام النعمة هنا هو تمام مناسككم فانتظم بذلك معنى الدعاء والاجابة ليحقق عز من قائل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون كذلك اتم نعمتي عليكم باتمام شرايعي وتعليمي اياكم مناسككم ثم عطف جل جلاله بالواو في قوله ولعلكم تهتدون اي الهداية العليا التي هي متضمنة الاختصاص الاكبر والنعمة التامة ولانه المنعم كما قال عز قوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم ثم قال لعلكم تتقون اي تبلغون ذروة التقوى محل الصديقين والشهداء والصالحين ثم اعقب ذلك بقوله جل قوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون اعلمهم جل جلاله بهذا الخطاب جامع طرق الولاية وسنن الاختصاص والاستعمال والقرب وان هؤلاء هم المرادون والمنظور منهم وان من سواهم يعيش في ظلهم

ويحفظ بفضل شفاعتهم لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى واله قال انا
وانهم تسعين الفا او سبع مائة الف وانما يتخلص الى هذه المنزلة بعلى العلم وخالص
الذكر الذي يكون عنه حقيقة الخضوع وعظيم المعرفة بالله جل ثناؤه **قوله** جل ثناؤه
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون معنى ذلك من شاء منكم اقامة الكتاب والسنة
والوفاء بالعهد ليصل الى تمام النعمة عليه والتولي له فليذكرني كثيرا خالصا على المداومة
لذكري واشتغال القلب وليشغل جوارحه بشكري وليتباعد كفري صغيره وكبيره فانه من كان
كذلك ذكرته وذكري له اكبر واشغله دائما بي واعصمه مما اكرهه حتى اكون بتوفيقي اياه وعوني
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث هذا هو المطلوب المبتغى من العباد وهو الذي
وصى جل جلاله بالمحافظة عليه والموافاة به وعليه يستعان بالصبر والصلاة كما وصى بني اسرائيل
بقوله جل قوله واستعينوا بالصبر والصلوة والوفاء بالعهد ليستحقوا بذلك الوفاء منه
ووصى ايضا هذه الامة بذلك فقال جل قوله واستعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين
كذلك ايضا وصى جل جلاله من قبلنا فقال عز قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وهو كثير لمن بحث عنه وهو الدواء الاعظم والوزر الاعظم **فصل**
الذكر فاعلم ايها الطالب رضي الله عنا وعنك رضوان الله الاكبر اصل العبادات كلها وانما
شرعت الشرايع وفرضت الفرائض وخص على النوافل وفرض الجهاد لاقامة الذكر وترتيبه
مراتبه قال الله جل وعز اقم الصلوة لذكري وقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اي لعلكم تعقلون اي لعلكم تظفرون بنهاية البغية وتمام
النعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وانما الجهاد للذكر
لانها ذكر القلب وتوجيهه الى العمل لله جل ذكره مخلصا وكنية من سويت وهو اسم الحقيقة للعبد انه الشيء حقيقة وقال الشاعر

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

ويتبع هذا يفضي الى علم العلم ورفيع الذكر وجمع الكلام فمعنى السويت فمعنى حقيقة
المذكور من حقيقة ذاتي وقراره نفسي والذكر ذكران كما تقدم من الكلام في التقوى والعلم وجميع
معاني العبد فذكر ادنى وهو ذكر العموم من المؤمنين وذكر اعلى وهو خاص للخصوص من عباد الله
ذكره وهو الذكر الكبير ثم جملة الذكر توجد في موطنين ذكر عند الطاعة وذكر عند المعصية
فالاول عنه يكون المحبة ومنه منبعها والثاني يكون عنه الخشية وهي ينبوعها قال الله
جل قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان اي جنة لغلبة هواه وكسر شهوته وجنة لطاعته
ربه وقد جاء الوعد بالجزاء على الذكر مما هو خارج عن المعقولات حتى يحصر المعتقد فيه الى التسليم
لوعد الله جل ذكره وتصديق رسوله عليه السلام ثم ذكر الله جل جلاله اكبر حدا لا غاية
له يحصر ولا نهاية تبلغ يقول الله جل ذكره اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي
واذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملائه واطيب فذكر الله اكبر على كل وجه والله
جل جلاله ذاكر عبده لذكره فاذا ذكره العبد ذكره ايضا بجزاء ما ذكره **فصل**
الذكر بما هو يقتضي حضور المذكور لا بد ولا محالة فاذا كان المذكور من تغيبه البعد ويعدمه
العقد ويمنعه الحجاب ويحده المكان ويقيده المسافات ويجري عليه احكام المحدثين خصوصه

حال الذكر معنى لعينه وحقيقة حق لوجود نفسه يتادى ذلك المعنى منه بما يتادى
عينه مع الحضور وتنبيش تلك الحقيقة بما يتنبش به نفسه وكما تقدم من القول ان لكل
حق حقيقة ولكل عين معنى لذلك كان الجزاء عليه ان يطعم المغتاب لحم المظلوم بالغيبة
الا ترى ان لحم ذلك المظلوم بالغيبة الذي يأكله الظالم هنالك لا يالم به المظلوم لما لم يحضر
العين موضع الغيبة قال الله جل من قائل ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا نصب ميتا على الحال
من الاكل بعد الموت ويجعل له من الكراهة لذلك الماكول اضعاف ما كان يجده في الدنيا لو اكله
جزاء لتلذذه بالغيبة لذلك قال عز من قائل فكرهتموه اي فانكم في تلك الحال اشد كراهة
وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اعلم في الرجل يجد الطنين في اذنه يامره بان يقول
اللهم اذكر بخير من ذكرني ولهذا شواهد تؤيد ما ذكرناه منع من اجلابها خشية التطويل
وانما يلقى الرشاد من وقي العناد وان كان المذكور من لا تمسه البعد ولا يجوز عليه العدم ولا يفقده
ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز غيبته بوجه ولا يتصف
بحولات المحدثين ولا يجري عليه احكام المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى
اذ هو القريب من كل شيء اقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد والعلم والمشية فيه والتدبير
له والقيام عليه والحضور كله من جميع وجوه حضوره ذكر الذاكر له وهذا بعد اعتقاد ثبات
حضور الموجود واستحالة الغيبة والبعد قال الله عز وجل وما تكون في شان وما تتلو منه
من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وكذلك قوله جل قوله ما يكون
من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم والنصوص على هذا المعنى كثيرة
تعلم بالحضور منه والمشاهدة سبحانه وله الحمد خلق الخليقة فلا يلحقها اوصافها ووجد
الاعداد فلا يحصره معاينها فهو في كل مكان ومع كل شيء يوصف لا بعد واعلم جلت وحده ولا
عما لم يزل عليه عنده ولا يكون هكذا غيره **فصل** انفع الاذكار ذكر القلب
ثم انفع اذكار القلب ما اثاره خاص العلم وعلى المعرفة وافضل ذلك واجزله عائدة ما نهى
الذاكر عن الاثام والفواحش ظاهر ذلك وباطنه واعلاه ما بعث على طاعة المذكور
والعمل بما يرضيه وافضل ذلك ما صحبته مداومة المشاهدة ومراقبة الحضور بالتقوى
وذلك هو الذكر في الفكر وهو علمه وهو عينه وحاصله ثم افضل ذكر المشاهدة والحضور
ما لزمه الانس بالمذكور وايثار الشوق والتوق والحب اذا بلغ الذكر هذا المقام حصل صفو
الشكر وانتفى الكفر لا محالة وفي هذا يقول جل جلاله انا جليس من ذكرني وحيث ما طلبني
عبدي وجدني ثم هو بحقيقة صدق قيل جليس من ذكره لجزاء مقامه وعلى قدر احسانه في ذكره
وهذا نص في وجود جلاله عند ذكر الذاكر له لجزاء الذكر وثواب العمل قال الله جل من قائل
ووجد الله عنده فوفاه حسابه **قوله** جل من قائل واستعينوا بالصبر والصلوة
ان الله مع الصابرين والصبر لا يكون الا بالمجاهدة اقتضى ذكر الصبر معنى الجهاد ولفظ الجهاد
ماخوذ من الجهد فوصل العوائد واخذ في الاجتناب عن من باع من الله خبيثا الدنيا وجاهد لله
بنفسه وماله يقول الله جل قوله وهي علم استعينوا على الوفاء بالعهد بالصبر والصلوة ان الله
مع الصابرين ومن يكن الله معه فلن يغلب ولن يهزم ثم اعلم جل ثناؤه بخطاء من اعتقد

في المقتول منهم انه ميت بل اخبر بقوله الصادق وحكم بحكمه الحق انه عنده حي يرزق ووصفهم
بانهم يفرحون ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وبما لهم عند الله من الكرامة
ويستبشرون بانهم وجدوا ربا رحيما مفضلا منعما وبان وعده جل جلاله صدق
وقوله حق وهو نص على حيوة الشهداء وخصهم بالذكر ههنا لمعنى الجهاد ولان درجاتهم
رفيعة جدا هو اعلم جل وعز بصفتها ومبلغها **فصل** ثم نظم قوله ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات بما تقدم من ذكر الصبر وتوطين
انفسهم وتوطينها على البلوى وترك الجزع عند حلول المصائب ومطالبة النفوس
باهوائها وتمنوا طمن الناس جميع جل جلاله ذلك لهم في قوله فاذكروني اذكركم واشكروا
لي ولا تكفرون واخبران الايمان من احسن العون على الصبر وهو الايمان بانه ما اخطأ العبد
واصابه فليس بامر موسف بل لم يزل في علم الله السابق وتقديره المقدر في الكتاب المبين قال
الله جل من قائل ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم كما قال جل قوله ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها فاذا استرجع العبد وقال كما امره الله
تعالى انا لله وانا اليه راجعون فقد امن بالله جل ذكره وبالرجعة اليه واتقن بالمثوبة من عنده
وبما هو قد عرض له ان ينيلها اياه بكرامه وفضله ووفاء عهده واضاف اليه نعمه واقر لها
فاوجب له الصلوة من عنده والرحمة والهدى واوجب لها على نفسه ما للمثوبة سوال علمه و
لما كان لسؤال المعرفة بضاب به وهو معنى منتظم بمعنى قوله عز وجل في فاتحة الكتاب اياك نعبد كما جاء
الحديث **فصل** قال الله عز وجل اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم
المهتدون والصلوة من الله رحمة وكل خير يكون منه جل جلاله فهو رحمة لكن من يحضر عبادته وتحقق
في تحقيق البحث عن الحقيقة وعبر عن المعنى بما يخصه كانا ولم يحط السباق ولو كان جميع ما كان
شواهده وبيناته به يكون العلم واليقين كذلك قال ابن عباس رضي الله عنه معروف بالايات
منعوت بالعلامات فالمعروف واحد والمعرفة واحدة غير ان لها اولا مبتدأ واعلى ولا منتهى لها
عند العارفين به اذ المطلوب بالمعرفة لا نهاية لحده ولا تبلغ كنهه فنهج جل جلاله للعباد
طريق الهداية الى معرفته واوضح سبل البينات بالدلالات عليه بان ابدع المخلوقات كلها والزم
انواع المبدعات باسرها من ضروب التغاير وسمات النقص ودلالات الحدث وضروب
اوصاف الصفات ومعاني اسماء المسميات وحقائق مقتضياتها وبما اظهر من فعله فيها وابدا من اثر
صنعه عليها ما ازال بذلك عن بصائر المستبصرين الاشكال عن بيان انقيادها لجاعلها
وخضوعها للصانع جل جلاله الذي وسمها بالعجز والافتقار على ما قصرها عليه من تسخيرها
بعضها ببعض واحتياج بعضها البعض ليكشف جل جلاله عن وجه الحقيقة بانه صانعها عالم
قادر مريد حي له الاسماء الحسنى والصفات العلى ثم امر جل جلاله عباده باعتبارها جملة وتدبرهم
الى تعرف تفصيلها شهادتها مفصلة والاستدلال بما ظهر من اياته فيها وما بطن منها سبحانه وله الحمد
فصل قال الله جل جلاله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء
وقال عز من قائل ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وقال عز وجل ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ويتفكرون

ويتذكرون ويعلمون ويوقنون وجاء هذا كثيرا في القرآن العزيز مكررا متنوعا
اكثر ذلك بالتكثير للايات وفي ذلك البيان البين اذ الشيء الدال بنفسه قد يحتمل بانتقاص
التدبر وتزداد التفكر دليلا على شيء ما واية على شيء اخر من طريق اخر وعبرة على مطلوب
اخر هكذا فالزم المتقصي في الاعتبار فبذلك امرت وما يتذكر الا من ينيب وفيما اعلمنا
جل جلاله من ذلك بيان شاف ان العلم المستفاد منها على تكرارها وكثير طرقها درجات
للايمان والايقان والتقوى والعلم والعقل عن الله عز وجل والسمع والبصر ونحو هذا
فصل اول درجات الايمان على هذا السبيل هي ان تعرف الله جل جلاله بصفاته
الكاملة ومدحته البالغة واياديه وسيره وبره ولطفه بخلقه وما هو عليه من اسمائه
وصفاته بايمان جزم لا يخالجه شك ولا يعقبه ادنى ريب فالخاصة من اولياء الله جل
ذكره في اعلى هذه المعرفة وعموم المؤمنين في اولها ثم هم منها بين ذلك على درجات
هم درجات عند الله والله بصير بما تعملون كذلك ايضا هم في كل درجة منها على درجاتهم
بعد اجتماعهم في اولها الذي هو التصديق والعزم الذي هو اسم الاسلام ودخولهم في
دين الايمان والشاهد على ادناها الاقرار بالالسن بتوحيد الله تعالى وخلع الانداد دونه
والتصديق برسله وكتبه وفرضه فيه ونهيه كما الشاهد على علاها القيام بحق
الله جل جلاله وايثاره على جميع خلقه وابتغاء معالي الاخلاق ومجانبة ما لا يقرب
منها فمن اراد النظر في السماء ليتحقق ايمانه بموجدها ويتحقق برهانه بجاعلها ومزينها
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فليجمع فؤاده وليحضر قلبه وليجل ذكره فيما
اظهر الله جل وعز في السماء من غريب الصنعة ولطائف الحكمة فانه يرى ما يبهر عقله
ويحير لبه من سقف مرفوع لا كالسقف المعهوده وبناء لا كالابنية المالوفة في
عظم خلقه وسعة بسطه وعلو بنائه وارتفاع سمكه مزين بازين زينة لا ينالها مطالب
الطامعين محفوظ بحراسة الرجوم عن مسترق السمع من الشياطين يحسر النظر للناظرين باحكم
حكمة واجمع صنع واكمل ترتيب معلق في الهواء المرتفع ممسك في لوح الجو ان يقع ما وقعت
قط عين احد من الناظرين اليه على علائق تمسكه ولا دعائم تقله ثم سافر بطرفك في ابعاد
واحد بصرك في اعماقه فانظر هل ترى منه قط جانب واهيا ومنه طرفا وحدث في شيء منه
صدع مكشوف لعقول المعتبرين ما يتعاوده على الدوام من ضروب التدبير محجوبة عن
ذلك قلوب الغافلين فاعجب بهذا كله وقف على كل فصل منه بعقل وفهم ثم اعد النظر
عند انحسار طرفك على بلوغ امره كيف لا يسقط مما هو فيه وتذكر بمن هو عليه مع عظم
جرمه وامتداد سفر الناظرين في عمقه وكيف يستمسك مع هذا في الهواء اللطيف
والمشاهدة تقضي والمعهود يعطي اذ رقته على خفتها لو طرحت فيه لما استقرت حتى تهوي
سفلا فلولا ان صانعا صنع هذا المصنع وحكيما اتقن هذا المبدع وحفيظا يحفظ
وممسكا يمسكه وقادرا اقتدر على ذلك ومريدا اراده ومشيئة دبرته وقوة تعتمده
مبدعا ابدعه بقدرته ومشيئته يمسكه بايده في الهواء لا يهدم من قواعده وانهار من جوانبه
ثم اعتبر وانظر لما استخرم الخلاق العليم فيما بينهما من افلاك مسخرة تحمل الانوار من الشمس والقمر

والنجوم على ترتيب مطرد ونظام غير منخرم كل يجري لما وجد له موجده جل جلاله
الى اجل مؤجل ومقدار من الامر محصل جريا وسطا من غير انبتات في الطلب
المشرع الى عطب يكون عن ذلك الليل والنهار والايلاج والغشيان والضرور والحرور
والربيع والخريف كل مرتب ترتيبا محكما على امر ما فيه المصلحة وقوام الامر واذا استشهدتا
من هذه البينات بالعلم الرصين والامر الحكيم ينبئ بذلك ان هذه الدنيا نبذة من الاخرة
وقليل من هذه الفانية من كثير الاجلة الباقية ثم القمر ينتقل في منازله ويحل كل ليلة
في محل من محاله الى ثمانية وعشرين يوما من الشهر بعدد المنازل ثم لا الشمس ينبغي
لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فسلطان القمر بالليل وسلطان
الشمس بالنهار شاهد عدل لخالق الارض والسماء جل جلاله ربنا وتعالى وانهما ايتان مبينتان
لنور الانوار ومقلب الليل والنهار الحق المبين واما النظر في الارض والاعتبار بها
وبما اتصل بها الى معرفة خالقها والايمان بجاعلها جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
فانك اذا نظرت اليها نظر معتبر وجدتها جسما متكاثفا ممتدا خلا منطابقا ذا طرائق
ملونة بيضا وصفرا وسودا وغبرة ممدودة بالجبال الرواسي كيلا تميد ميد السفينة
باهلها فهي فراش لمن عليها يستوون عليها ويتقلبون فيها ويمشون في مناكبها ويعيشون
مما يخرجه الله عز وجل لهم منها على ظهرها من زرع وثمر ونجم وشجر فاعجب لذلك ففيه اعظم
عجب وتذكر ففيها ابلغ متذكر ثم اعتبر منها الى معرفة خالقها جل جلاله وتعرف من موجوداتها
موجودات الدار الاخرة فما خلق الله السموات والارض وما منها الى العبد من رحمة صلوة منه
ما قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال الله جل وعز وهو الذي يصلي عليكم
وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فبين بما ذكرناه ان الرحمة
عامة وان الصلاة خاصة من رحمته ولم يذكر صلاته الا ذكر الرحمة والرافة او كليهما عند
ذلك وهي والله اعلم ذكر عبده بما يريد منه من طاعة او امر يقربه اليه مثل الذي يذكر عبده
المؤمن لذكره العبد فيذكره هو جل جلاله بمثوبة ذلك وقد يذكره بمصيبة تصيبه بها
وفي ضمن ذكره اياه بذلك ذكره بالصبر والتوفيق بما يرضيه ليطهره من سيئاته ويرفع بذلك
في درجاته وصلاته جل جلاله انه يشفع جل جلاله بنفسه الى نفسه لان يخرج عبده من ضلالة
الى هدى ومن ظلمات الى نور ومما يكرهه الى ما يرضاه هذا كله مما يعبر عنه بانه اخراج من الظلمات
الى النور وصلوة الملئكة عليهم السلام على المؤمنين شفاعة عند ربهم عز وجل قال
الله عز وجل الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم
الى قولهم عليهم السلام وقهم السيئات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصلي فيقعد
في مصلاه يذكر الله الا صليت عليه الملائكة ما لم يحدث ما لم يتكلم يقولون اللهم اغفر
له اللهم ارحمه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخلصوا للميت بالدعاء ما من مسلم يموت
يصلي عليه مائة من المسلمين وفي اخرى اربعون كلهم يشفعون الا شفعوا فيه والله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه ليس فوقه احد ولا وراءه مرمى فهو يشفع جل جلاله بنفسه عند نفسه

ثم قبض جل جلاله لذلك ملئكته يشفعون عنده لمن في الارض ولعباده المؤمنين
تعبدهم جل جلاله بذلك وقبض المؤمن ولعبده بان يشفع لنفسه عند ربه جل جلاله في ان
يجيره من عذابه وان يدخله في رحمته وان يحله رضوانه ويرغب اليه في مطلوباته من دنيا
واخرى اقام ذلك مقام شفاعة الشافعين عنده لسواهم كما بين للمؤمنين بعيد منه
ان يشفع بعضهم لبعض والكل منهم لكلهم ان ربكم لرؤف رحيم قوله عز من قائل ان الصفا
والمروة من شعائر الله تقدم خطابه الكريم جل جلاله في ذكر الاسلام والاستسلام ومعاني
الايمان ثم من ذكر الصلوة والتوجه الى القبلة ثم من ذكر الزكوة وذكر الله جل ثناؤه
والجهاد والصبر وكان وعدهم جل جلاله باتمام نعمته عليهم ومن ذلك ان يريهم مناسكهم
ويعرفهم شرايعهم التي يسرعون منها الى الطلب مرضاته فقال عز من قائل اثر ذلك
ان الصفا والمروة من شعائر الله وعبر عن الصفا والمروة والبدن بشعائر الله
لقرب ذلك من البيت الحرام لما اضاف البيت الى نفسه جل وعز كان ما قرب منه او دنى
الى ذلك شعيرة وشعائر المرء اقرب ثوابه اليه وكما قيل الكعبة بيت الله والحجر يمين الله
في الارض والحادم حمى الله فافهم وما تقدم ذكره فهو منتظم بمعنى الهداية التي ذكرها
في فاتحة الكتاب والصراط المستقيم وذكر المناسك في دعوة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
اتبع ذلك قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب يعني ارجع الخطاب الى ما تقدم ذكره من كفر اهل الكتاب وكتمانهم الحق
من بعد ما عرفوه وعصيانهم الامر بتبليغ ما تقدم اليهم به من ذلك توصية للمؤمنين
وموعظة ان يسلكوا سبيلهم ويتبعوا اثارهم في ذلك فيستحقوا بذلك ما استحقوه من لعن
وغضب وطبع وعدم فهم كتاب ربهم اليهم المعنى الى اخره ثم ذكر عز وجل غيرهم من
الكافرين الذين ختم لهم بذلك وما لهم ثم ذكر جل جلاله توبة من تاب منهم اعني
من هؤلاء وهؤلاء وان توبة من كان كفره بالله عز وجل وبرسله وكتبه الا عمل
بما كان به كافرا ومن كان كفره الباس الحق بالباطل والكتمان بالتبيين لما كتم والجلاء
لما لبسه والاصلاح لما افسده ولما انتهى عز وجل بالاخبار عن هؤلاء وهؤلاء من
الكافرين صرف وجه الخطاب الى عباده المؤمنين مواجها تانيسا لهم واكراما بقوله عز وجل
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وصل خطابه الكريم هذا بمعنى ما جاوزه من قوله
عز قوله فاذكروني اذكركم وبما في الخطاب من التعريف بنفسه والاعلام بالالهية ورحمته
ووحدانيته بمعنى ما في بدء التنزيل من قوله جل قوله اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرا وربك الاكرم المعنى وبما في بدء التاليف في قوله جل قوله الحمد لله رب العالمين
المعنى ايضا وبما في دعوة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من ذكر الاسلام والايمان
والنبوة والمحبة وتعلم المناسك والكتاب والحكمة كما قال جل قوله ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ثم يقول عز قوله فاذكروني اذكركم والذكر قد يكون بمعنى طلب العلم لذكر عبده
بذلك فيوفقه ويستعمله بمقتضاه وطلب العلم على الاعمال واقربها الى الله عز وجل لما في
ذلك من التفكر والتذكر والاعتبار وهو نوع من الذكر في الذكر وهذا هو المعبر عنه

بالقرآن العظيم وذلك لما ذكرهم جل جلاله شهادة التوحيد وانه هو الرحمن الرحيم
ذكر على اثر ذلك الدلائل المؤدية الى العلم بذلك والشهادة المقتضية لليقين
فنظم البرهان المفروض واقام الشهادة للشهود فوضح الدليل واستبان السبيل
قوله جل قوله وتعالى علاؤه وشانه والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
معرفة اسمائه هو العلم اجمع والعلم بوحدانيته هو البرهان الاكبر بشر عباده جل
جلاله اذا هم امنوا به وسلموا اليه انفسهم وشهدوا له شهادة الحق على علم منهم بما
شهدوا به من ذلك انه الرحمن الرحيم فاشبه قوله جل قوله اذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الاية وقوله جل قوله لرسوله واخفض
جناحك للمؤمنين ثم قال وقوله الحق ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون اي يعقلون الغائب بالشاهد وما بطن
بما ظهر والكثير بالقليل **فصل** اعلم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لما اعقب
معنى الشهادة بما سرده بعدها ووصله بها من معالم الدلالات وبينات الايات ان اولى الحجات
بعد شهادة اللسان استسلاما وشهادة الجنان ايقانا النظر والاستدلال والتفكر
في مصنوعاته والنظر في اياته وسننها دينهما الا بالحق وللحق وتذكر بضروب
ما حوته من الاختلاف في الالوان والحجارة والنبات والحيوان معرفة اسمائه وصفاته
ثم اعتبر الى الدار الاخرة فيذكر خير ما هنالك بما هو في هذه من ذلك وشر ما هنالك
بما في هذه **فصل** ثم اعجب كيف لا يخسف هذه الارض بمن عليها على عظم جرمها
وثقل ما تحمله على ظهرها بل هي ساكنة لا تتحرك وهادئة لا تتزعزع منقادة لحمل ما حملته
خاضعة للتسخير فبما سخرت لا جرم انها خاضعة لخالقها وممسكها امسكها قادر عليم
حكيم كريم حي قيوم مدبر يعطي الجزيل ويسديه ويدفع البلاء ويكفيه كالسفينة في
البحر لولا امساكها الضلت ولولا سوقها بالريح لاستقرت وركدت ولولا دفاع
الله جل جلاله عنها لعرقت فاعجب لذلك ثم اعبر عنه الى ما وراءه ثم نظر في قدرة صانعها
جل جلاله وعجيب لطيف فجر عيونها وشقق انهارها واطلع ثمارها وانبت فيها
ضروبا من النبات بالوان ملونات ما بين ابيض ناصع واحمر قان واخضر باقل واصفر
فاقع ثم مازج جل جلاله ما بين هذه الوروس الى غيرها من الوان بديعة الاصباغ العجيبة
الالوان برود العين منها في منظر انيق يمتع الطرف ويسد النفس وقل من الذي احياها
بعد موتها وقلبها من حال همودها بالجدب الى الاهتزاز والابتهاج والاخضرار ثم الى هذه
الازاهير والنواوير ثم الى ثمرات مختلفا الوانها كلا والكريم الجليل الحليم ما احياها
الا الحي الدائم الذي لا يموت محيي الموتى ومميت الاحياء ولا يعيها على ابداء ما اوجدها
الا باعث اهل الارض والسماء بعدما يذيقهم الردى ولا قلبها عن حالها في همودها واقامها
على امرها الا الحي القيوم الفعال لما يشاء قدير مدبر حكيم لطيف الاشياء جل ذكره كيف اخرج بقدرته
المعجزة من عيدان متماثلة ثمارا مختلفة الالوان والطعوم والروائح والمضار والمنافع وهي
نابتة في باع واحد ومسقية من ماء واحد ليري في اعواد تلك الشجر سبب ظاهر من مثال تلك

الثمرات ان في ذلك لعبرة للمعتبرين وايات للمتوسمين ودلالات للمتفكرين على ان الاخرة غيب
في شاهد الدنيا وان الحيوة غيب في مشاهد الموت وان الموت غيب في شاهد الحيوة وعلى ان الغيب
الحق غيب في مشاهد المشاهدات فافهم كما ان النهار غيب في شاهد الليل والليل غيب في شاهد
النهار وكما ان جميع الكائنات غيب في الماء والجنة غيب في شاهد السموات والارض والنار
غيب في شاهد الارض وما تحتها وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
فصل قد كان فيما مضى للاعتبار مصعد يصعد به المتذكر فيوا المعتبر به ارض قدمه
كان ذا اقدمت شاهد الى ارفع درجاته لكنا ذهبنا الى تكثير طرق الاعتبار وتقرير الشواهد
على مسالع الاذكار ليكون ذلك اوسع للافهام واسمع لمجال التذكار **فصل** وجود الصنعة
دال على وجود صانعها لا محالة كما ان وجود الفعل دال على وجود فاعله وهذا القدر
من العلم ان سلم من الالحاد وفي من ضروب الحلاف فهو ايمان والا فهو غير واف عند الله
شيئا ولا كافيه لانه من اثبت الصانع الخالق الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ولم يوحده
ولا اطاعه ولا صدقه فليس شيء ذلك بنافعه ولا بكافيه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم بعد هذا فباستقصاء النظر و
تدابر التفكر والتذكر ومتابعة التفكرون الى التوفيق من الله جل جلاله وحسن المعونة في معالم
الصنعة وعجائب احكام الهيئة وتدبرا وصا معانيها نعرف معاقد التفصيل والتوصيل فيها وم
واستعمال الاستدلال على كل معلم بما هو دليله الخاص به يعد تحصيل صحيح الايمان و
وتصديق الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم يوصل ان شاء الله تعالى الى معرفة
صفات الصانع واسمائه التي ينبغي ان يوصف بها وفيه معرفة ما يستحيل عليه وما يمتنع
ولا يجوز هذا هو ايمان العقل وعلى ذلك قوله جل قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لقوم يعقلون ثم هذا انه ولو نفى واصلح اضافة لما بين يديه وما خلفه
هداية ونورا وهذا ايمان المتقين قال الله جل من قائل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وامنوا برسوله المعنى وقال عز قوله ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات
والارض لايات لقوم يتقون ثم من وراء هذا ايمان اللب وعقله وعلمه وتقواه
وهذا الذي ايده الله بروح منه اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه قال الله
عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ثم
اثنى جل ذكره يصفهم بحسن العبادة ومواصلة الذكر وتعاهد الفكر بقوله تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ثم انبا جل
ذكره عن وصول العلم الى قلوبهم بقوله ربنا اي يقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك
فقنا عذاب النار فخبر جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عن لزوم الخوف انفسهم الى قوله
تعالى وما للظالمين من انصار نعوذ وارضى الله عنا وعنهم من دخول النار وان اخرجوا منها
بعد دخولهم فيها فان ذلك خزي واما الخلود فيها فهو الخزي العظيم ولذلك وصفهم
جل جلاله بالبصائر الباقية والاسماع الواعية وحسن الاستجابة لربهم جل ذكره انهم

يسمعون دعاء ربهم من اختلاف الليل والنهار وجميع ما خلق من شيء بقولهم ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا المعنى وكذلك وصفهم
بالفقه عنه وحسن التلقن عن حكيم صنعه وبديع ما فطره في عالمه بقوله ربنا واتنا ما
وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد وذلك انهم شاهدوا
من معالم الصنعة وشواهد الخلقة وسمعوا من دعاتها انه لا اله الا هو ليس كمثله شيء وكذلك
شاهدوا فيها ارسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعهم وانزاله الكتب والمامور والمنهي عنه
وصدق وعده ووعيده انه سلك جل جلاله ذلك كله في مسالك عوالمه واجراها في مجاري طرقات
مخلوقاته فاتصل لهم خبر الكتاب والرسل بحقيقة ما شاهدوه في الخليقة وحين بلغت شهادتهم
البهائم الى ان الله خالق كل شيء وانه لا اله غيره وانه جل جلاله مرسل الرسل ومنزل الكتب فشهدوا
بالحق وهم يعلمون شفعهم في انفسهم فاستجاب دعاءهم عند ذلك فكما ادخلهم في اول
محال الاسلام بشهادتهم وبتواهم ولا الايمان باخلاص القلب بها ادخلهم جل جلاله في ولايته
بمعرفتها من افعاله وجعلهم من خاصته لما تلقوا سماعها من دعاته واستعملهم بمقتضى
ذلك على سنن رسله وكتبه فافهم بلغ الله بنا وبك وجعلنا واياك وعلمنا من علمه
واستعملنا به واسمعنا عنه فانا لا نعبد على ذلك الا به وحده لا شريك له **فصل**
اذا كان النظر في ابعاض الوجود الكلي فان اول موجود العقل يعلم وجود صانع الصنعة
وفاعل الفعل كما تقدم ولا يشبه الصنعة صانعها في الشاهد الا ترى ان الكتابة لا تشبه كاتبها
والضرب لا يشبه ضاربه وكذلك البناء والحياكة وغير ذلك من ضروب المفعولات بل غاية كمال
المفعول الجزئي ان يكون بعضا للمفعول الكلي وان يشبه فاعله الادنى الاعلى مكتسبه في انه جزئي
فصل ليس من افعال الفاعل الادنى وهو كفاعل لم يحر شيء تشبهه الا ما كان على سبيل
النبوة حسب وهو مفعول الكلي بالاضافة اليه وليس هو كفاعل حقيقة بل بواسطة ما
وحكم سنه عن امر محكم نازل من حكيم عليم افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
وهو اية على مفعول الفاعل الاعلى مفعول الكلي لانه عز وجل خلقه بالحق وللحق اوجله
وله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم **فصل** من المفعولات الجزئيات ما هو مفعول الاعلى
جل وتعالى وهي الارضون والسموات والافلاك والكواكب وما بين ذلك من المخلوقات وما سفل
من سائر العالمين فاذا افردنا النظر كل شيء مقصود من ذلك بالنظر فيه فهو عضو وجزء
للكلي وهي يكثر بها ابعاض يكمل بها وسواها المفعول الكلي فيصير كليا وذلك كمالها ان يكون
معده لان يكمل المفعول باجتماعها وعلى صورته ما هو مفعول كامل الا ترى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها ابو سعيك فمن اين يكون الشبه والكمال مفعول
الفاعل الادنى ما يكون منه على سبيل النسل وهو مفعول له بما هو سخر لاخراج مراد مقدر
للفاعل الاعلى شبيها للفاعل الموجود عنه الفعل على سبيل الوساطة وجعل الله ذلك
حكما لازما في ابعاض المفعول الكلي امم يؤم بعضها بعضا الى اعلاه ومنتهاه الذي هو
الكلي فاذا كمال المفعول الكلي ان يكون على صورة فاعله كما ان كمال المفعول الجزئي ان يكون
بعضا للكلي كالعضو منه والجزء ونحو هذا **فصل** وجود الموجود الجزئي بجزء

له ابعاض الكلي وعاطفة عليه عطفا وه ومعاطفه وما بين ذلك عدا شبهه فيه شبيه
ويتولى له صوره وذا ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وليظهر
في صورة الحق للعقول عيانا وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
وقد تقدم الكلام في ان الدنيا نبذة من الاخرة صورت على صورتها سواء وضاهتها
لكن على المزج والتقليل وان الذي يكون عن الماء الذي ينزل فيكم من جنات وعيون ومقام
كريم شبيه بما ينزل عنه وكذلك الفهم الاخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب
الى احدكم من شسع نعله وكذا وكذا لذلك عز وجل بما نص عليه من الايات الجلية على ما
ذكرناه واقسم على ان ذلك من قبله انه لحق مثل ما انكم تنطقون والنطق موجود منا لا محالة
فما اقسم عليه هو حق الحق لا مرية فيه ولا شك فتبارك الله احسن الخالقين ما احسن ما
اوجد واتقن ما احكم وخلق الانهم فهمنا عنك ثم استعملنا بالذي يرضيك عنا وصلى الله
على محمد **فصل** قد تقدم في رسم اسم الملك عز جلاله وتعالى علاؤه وشانا من شرح
الاسماء اشارة من الطريق الى النظر في السموات وهذا الاسم على اي شيء يقع والظاهر خطاب
الشرع وورد بانها السموات العلى ثم جاء اسمها سموات افلاك جاء بذلك باخره ثم الى الارض
وانها خلقت يوم خلقها صانعها جل جلاله على شكل الكرة فبسطها جل جلاله ومهدها
وفرشها ثم نصب فيها الجبال على وزن اوليها قبل تمهيدها فجاء طلوع النيرين
الشمس والقمر والنجوم على وزن ذلك مسخرات بامر الله جل ذكره وكان امتداد الظل
وقبضه على وزن ذلك وكان ذلك فلكي الليل والنهار وكذلك تقدم فيه ايضا نبذة
يسيرة من الكلام في فلك الرياح وفلك الفيض والغيض والمد والجزر وتقدم ايضا
اعلام بما هي الافلاك المعلومة وانها من لدن فلك المياه الى فلك البروج وكواكبه ثم
الفلك الاعظم وان يتداوره بعد ورا كدوا اثر كلها قال الله جل من قائل وكل في فلك يسبحون
فما عجب لهذا ان يكون بدوران الدوار كلها على افتراق سبيل الا مرتهن وفيهن يتحرك
بحركة واحدة حكمه تصعد الى كل الكل ونهاية النهايات وذلك معلوم في سريان الاغذية
والاجسام وانها منطبع في محالها الى حال ما حلت فيه كذلك ما نحن بسبيل تبيانه كل الامر
محل الامر فيهن في محاله فيكون منه ما يبقى به الامر واذ ثبت فيه المشيئة واحاطته كعلم العلي
الكبير والظاهر ان حركتها بحركته وحكمها بحكمه ثم ينبوع تحركات افلاكها على سبيل مجاوزتها
ويكون حكم متحرك في كل متحرك فيعلى الامر المراد به من موضعه المدود به كل يعمل على شاكلته
قال عز وجل وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون كما قال عز
وجل والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون
القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون فتجلى جل جلاله
بهذا المبدع العجيب جعل جل جلاله ذلك من ايات الوحدانية واذ الواحد الحق عز جلاله اوجد جميع
الموجودات على اختلاف وجودها وهي على ذلك لا تخرج عن حكمه الواحد وامره الجزم **فصل**
يتبين الدورات لنا بطلوع الشمس من المشرق الى المغرب وهو الليل والنهار فما كان فوقها

يتحرك في اليوم والليلة ازيد من دوره وما كان دونها يتحرك في اليوم والليلة اقل من دوره
بتحرك الفلك المستقيم فيستدير هذه الدوائر على دوائر دونها والتي دونها تستدير على ما هو دونها
هكذا وحكم الاعلى ينتظم لاسفل الى ما يكون منها كالدقايق والشعاير ودقايق الشعاير ومقادير
الانفاس واجزائها واجزاء اجزائها وعلى التحصيل الالهي لوقتها وضيقها وكالاجزاء التي تركب
الاجسام عنها يتنزل الامر بتلك الدوائر من مستقر الى مستودع كل محمول ذلك بها وفيها كحمل الجواهر
للاعراض لذلك قال الله عز من قائل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ولاولي الالباب هذا
المعلوم من هذه ايات على ما وراء ذلك مما هو غيب بالاضافة اليه فمما هي عليه ايات ان يكون كل ارض
سماء مع سمائها التي هي سقفها الى السماء السابعة كما هي هذه الارض مع سمائها من دوائر
افلاك وامر وغير ذلك واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل السماء الدنيا على الضعف
من اهل الارض وان اهل السماء الثانية على ضعف اهل السماء الدنيا وضعف اهل الارض كذلك
كل سماء على الضعف مما تحتها مع الارض حتى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء السابعة
على الضعف من اهل السموات كلهن واهل الارض فكذلك ايضا افلاكهن وتداويرهن فامرهن
كله قال الله عز وجل واوحى في كل سماء امرها فالسموات على هذا الاعتبار ايات على الدار الاخرة
التي هي الجنة وكذلك الارضون التي هي من تحت هذه الارض ايات على الاخرة التي هي جهنم اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها فاذا كان يوم القيمة وبدلت الارض غير الارض والسموات كانت اخره
وريدفهن كتناسب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ما الدنيا في الاخرة الا كاصبع
ادخلته في اليم فانظر ثم يرجع منها فاعجب لهذا النبأ العظيم وما افلاك ما هنالك
وما ذلك الامر الدائرة وما دوائره ان هذا هو النبأ العظيم والخطب الجسيم الذي نحن عنه
معرضون ومما هي ايات عليه انها ارض وسبع سموات وقد جاء من طريق يوجب العلم بان الجنة
لها ثمانية ابواب كما ان النار اعاذنا الله الرحيم برحمته منها لها سبعة ابواب وهذه سبع سموات
والارض ثامنة باب لكل واحدة منهن وسبع ارضون هذه الارض منها ما هو جنة كما يسكنها
المؤمنون وعمروها ومنها ما هو نار كما سكنها الكافرون وعمروها الله اعلم بكيفية تلك
الابواب وهيئات ما هنالك ومما هي ايات عليه مفهوم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة لمائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والارض والافلاك السماء التي
تقدم ذكرها بتضاعيفها تستغرق ذلك وهي تنتهي اليه دون تضعيف وانما تكون اخره
اذا جاء وعد الله جل وعز بتبديلهن يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال الله
عز وجل وخلق الله السموات والارض بالحق المعنى الى اخره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انت الحق وقولك الحق ووعدك الحق والجنة حق والحوض حق والصراط حق الى اخره فمنها
وكل ما جاء من موجودات الاخرة مما بينا لك يجب الايمان به ففي موجودات السموات والارض شواهد
ودلائله ففهم لذلك قال الله عز من قائل لايات لقوم يعقلون وانما سمي حقا المحقق وجوده
هنالك بوجه وان ما هنالك يدل عليه ويشير اليه على كل ما يقابله ويجانسه ولتداخل في معانيه
ما هنالك ويشابهه قد يدل المطلوب ما يدل عليه موجود ما بوجه ما ويكون دليلا على موجود
اخر في ما هنالك بوجه ما حتى يستوفي في النظر في الوجود فيما هذا سبيله جملة وربما يطرق

ذلك الى بعض التفضيل والعسر جمع ما هنالك الى ما ههنا يشير العقل الى تدقيق
ما ذكرناه ولا يدرك بتفصيله وانما يكون ذلك اقرب الى التبيين وايسر سبيلا
الى المشاهدة في الدار الاخرة وسعي ايضا جملة الاخرة لا يحيط بها عقل ولا يحصرها
علم لصدق قيله جل جلاله في الدنيا والاخرة ويخلق ما لا تعلمون وفيه في خاصة الاخرة
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون ولولا غيب الاخرة والغفلة
اللازمة لنا عن مثالاتها الدالة عليها الغد كان يكون النظر فيما هذا سبيله ابين في العقل
اذكى والبصيرة اثقب لاتساع تلك الساحات وصفا اضوائها وصدق شواهد ما هنالك
فافهم روى العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان جالسا بالبطحاء في عصبة من اصحابه رضي الله عن جميعهم اذ مرت عليهم سحابة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قالوا نعم هذا السحاب قال عليه السلام
والمزن قالوا والمزن قال صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تدرون بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندري قال صلى
الله عليه وسلم فان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنان واما ثلث وسبعون سنة والسماء
التي فوقها كذلك حتى عدهن صلى الله عليه وسلم سبع سموات كذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم
وفوق السماء السابعة بحر بين اعلاه واسفله كما بين السماء الى السماء وفوق ذلك ثمانية اوعال
بين اظلافهن وركبهن ما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه
ما بين سماء الى سماء والله جل ذكره فوق ذلك وروى الوليد بن ابي ثور عن سماك نحوه رفعه
ايضا فهذه اعلم سموات اما بين الافلاك ثم ما بين اعلاهن سماء الى الرقيع الذي هو سماء
الدنيا وان فيما هنالك اعني كل سماء اوعال وكرسي وعرش منه ينزل الامر الى هذه السموات
السبع الارضين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يمهل حتى اذا كان نصف الليل
نزل الى سماء الدنيا فيقول هل من مستغفر فيغفر له هل من تائب فيتاب عليه الحديث
وهو لا يوصف جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالتنقل ولا التغير وهو المستوي على الكرسي
والعرش الاعلى هو كعظيم بالاضافة الى سواه وينزله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
في حق قوم دون قوم احكم ذلك المنزل على دوائر بحكمة التدوار في المدارج والتقليب
كتقليب الليل والنهار في الزيادة والنقصان وروى الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنهما
قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال النبي صلى
الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها
الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما بينكم
وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال فوق ذلك سماءين ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة
حتى عد صلى الله عليه وسلم سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل
تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين
السماء كما بين السماءين ثم قال صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله
اعلم قال صلى الله عليه وسلم فان تحتها ارضا اخرى مسيرة بينهما خمسمائة سنة حتى عد صلى الله عليه وسلم

سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده
لو انكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرأ صلى الله عليه وسلم هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم فهذه السبع سموات والارضون بين كل سمائين من سموات افلاك او ما يقوم
مقامها افلاك في تنزيل الامر الذي عبر عنه قوله الحق جل ذكره واوحى في كل سماء امرها وما هي الكواكب
السيارة الا دلائل وآيات عليها اشبهها اعضاء بني آدم الرئيسة التي فيها قوامها وعليها مدارها
من ذلك الشمس هي المسخنة لاجزاء ما طلعت عليه وعنها ينبعث الحرارة الاصلية اللازمة للخلق
ومنها تكون النفس الحيوانية باذن الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بما جعل لها من كون طبعها
وسيرها في تلطيف الارض وتصفية الهواء واستخراج الابخرة من اعماق الارض واجتذاب
النبات وتبديل الغيوم والزيادة في نمو النبات من الزرع وانواع الشجر وانضاج الفواكه كلها
بالطبخ المعتدل ثم يبس الزرع وتطييب الحب في حال كونه بذرا في الثرى ليصلح للانبات وكشف
عفونة الارض عن ثمرات الميشا وتنشيف البلاد الى غير ذلك من جل صنع الله عز وجل وحسن
تدبيره لها وبها وتسخيره ملائكة الملكوت عليهم السلام العاملين بامره في ذلك ولعظيم ما جعل الله
من مزاجها فيها وبها قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما صعد بالنظر اليها قال هذا اكبر اي مما دونه
ولذلك القمر جعل الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه من الرطوبة والتسخير لامره ترطيب
ما جففته الشمس وتهيئته للنمو وتيسيره للنضج باذن خالقه ومسيره ولذلك الزهرة
جعل الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لها القوة الحادثة وهي التي تظهر القوة الشهوانية
القابلة للاشياء وهي معينة للشمس في جذبها من الارض بحرارتها وفيما عسى ان لا تبلغه الشمس
من الاماكن الا بها لتستخرج من ادخام الارض وعطارد جعل الله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه له قوة ممازجة تعدلها وتروحها وتميل مع الاغلب في طبعه فهو مائل
مع كل طبيعة وزحل جعل الله عز وجل له قوة ماسكة تعدل اليبوسة في اجزاء ما طبع
عليه وغير مثل الزرع والثمار والحبوب وشبه ذلك وكذلك المشتري جعل الله عز
وجل له قوة جاذبة لجميع الاشياء من النبات والحيوان تعدل الاشياء بوزن وفق و
قسط وكذلك المريخ جعل الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه له قوة مهيجة لجميع
الشهوات والغضب والحقد والطيش والعجلة وكذلك في الاشياء المنسوبة الى الطبيعة
جعل الله جل ذكره وجلاله صلاح هذا العالم باعتدال هذه الكواكب وفساده
بتباينها قال الله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم اي بمواقع فعلها ومواضع التدبير
من الله جل ذكره بها انه قال جل قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره واوحى في كل سماء
امرها وهذه سموات دلالات على السموات العلى وما بين هذه دليل على ما بين تلك كذلك
الانسان سبعة اعضاء رئيسة بواطن تظهر تاثيرها باذن الله جل وعز على ظاهر الجسم
من الانسان الظاهر وهي القلب والكبد والطحال والمعدة والمرارة والدماغ والرئة
والقلب في الانسان بوجه ما بمنزلة الشمس في هذا العالم هو موضع الحرارة الاصلية وعنه
انبعاثها الى جميع الجسم ثم الرئة بمنزلة القمر في العالم مع الشمس يروح عن القلب الحرارة
وتحليلها وتلطيفها في الجسم وتحيلها الى الرطوبة ثم الكبد يعدل الغذاء ويصير

الى القلب صافيا بوزن سوي وقسط مقسط وهي بمنزلة المشتري من هذا العالم
ثم الطحال له قوة ماسكة تمسك ثقل الغذاء ويبسه وتغذيه باذن الله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه وهي في الانسان بمنزلة زحل في العالم ثم المعدة لها قوة شهوانية قابلة
للغذاء جاذبة له شهوة نامية وهي في الانسان بمنزلة الزهرة في العالم ثم المرارة
له قوة نارية مسخنة للمعدة مهيجة لها في الغليان تزيد في شهواتها وتنبعث
منها الشهوة في الجسم وهي المقومة للشهوة النارية وهي في الانسان بمنزلة المريخ
في العالم ثم الدماغ له القوة الفكرية المؤلفة بين الاشياء والممازجة لها وهو موضع
ارتباط الصور وشكل الاشكال وهو في الانسان بمنزلة عطارد في هذا العالم هذا كله
فيما هو صلاح او ما يضاده من جهة الخلقة واما امر الله جل جلاله فهن اعني النيرات
وكذلك هذه الاعضاء في تنفيذ الامر وتحريك الملائكة عليهم السلام فيهن وبهن في الاعمال
الخلقية او الشرعية والصفات الى غير ذلك مما يعلمه الله جل ذكره ولا يعلمه فسبيل ذلك ظاهر فيها
لا تحتاج بالاشارة الى علمه والدلالة على ان ذلك موجود فيها على ذي عقل سليم وان الدماغ
والرئة والطحال والكبد والقلب مواضع العقل والعلم والضحك والسرور والارادة
والفكر والذكر والوهم الى وجود اضداد ذلك كذلك ما شابهها في سمواتها مواضع الصفات
المبثوثة في العالم فالحمد وفقك الله هذا شاهد يعبر الى ما علا ودليل يستدل به فيما هنا
على كل علي درجة وانه كلما صعد النظر كان اقرب الى الصفات القدسية ثم كذلك صاعدا
الى سدرة المنتهى ثم كذلك الى المستوى حضرة جلاله وساحة قدسه آيات ذلك انه كلما ضعف
التنبيه فيما ههنا جعل له من الطهارة والبعد بقدر قربه من تلك الاضافة قال الله عز وجل
في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال الآية وقال
الله عز وجل ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية ويسبحون الليل والنهار لا
يفترون وكما ان بين كل سمائين من هذه دون افلاكا او ما يقوم مقام ذلك في تنزل الامر
وكلما ظهر فيما ههنا اعني دون السماء فهو آية على وجود ما علا لكنه افضل وجودا واقوى
جدا والخم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وكل شيء له يعلم به
آية عليه وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون ان في السموات والارض لآيات
للمؤمنين وربما اشكل على قارئ كتابنا هذا ما يسمعه من قولنا من ذكر قوى وطبيعة واضافة
فعل اليها مما لا يصح الفعل منه ولا الاختيار فليعلم ان ذلك منا على سبيل التجوز لغلبة العادة
الجارية في التخاطب من ذكر الفاعل الاعلى تبارك وتعالى وانما الفعل الحق لمالك امضائه
وعنه مصادره وموارده وله اوله وآخره وظاهره وباطنه فله المورد والمصدر
وهو المعدم والموجد والمقدم والموخر والقائم على كل شيء والوكيل عليه والمحيط من وراء كل محيط وكل
على كل وكيل فانه وان كان الاتساع في مجاري الخطاب جائزا معلوما فان ذلك على الدوام سبب للاظلام
السبيل ومؤيدا للغفلة عن النظر الى حقيقة التحقيق وقد اعضل بذلك الداء في قوم حتى افضى
بهم الى سوء المعتقد للجهل المداومة على ذلك ونسيان الفاعل الاعلى الحق جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه **فصل** في الاعتبار باختلاف الليل والنهار قال الله جل من قائل يولج

الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقوله جل قوله يقلب الله الليل والنهار ان في
ذلك لعبرة لاولي الابصار الايلاج احدهما في الاخر هو تقصير هذا بتطويل هذا وتطويل
هذا بتقصير هذا وتقليبهما والله اعلم هو تلونهما باختلاف القضاء لتباين صور
التدبير وجماع ما يجري فيهما من حكم وامر لقوله الله جل من قائل كل يوم هو في شأن
ووجه اخر وليخارج عما تقدم طلوع الشمس والقمر في يوم وليلة من غير مطلعيهما
بالامس وكذلك في الغد في غير مطلعيهما اليوم كذلك هما في معنى سيرهما الى ان ينتهيا
من حيث ابتدأ ثم الى مثال ذلك فتلك منهما ايتان على ظهور الحق المبين في الدار الاخرة حيث
لا شمس ولا قمر ولا نجوم غير ان ذلك من الحق المبين دون افول ولا غروب انما هو ضياء
ثم نور يقول الله جل من قائل يوذيني ابن ادم بسب الدهر وانا الدهر اقلب ليله ونهاره
فهذا الليل والنهار عن فيض ظهور الحق المبين والدهر هو مدة فعل الله جل ذكره
كما الزمان مدة دوران الفلك فافهم بلغ بنا وبك ولا عدل بنا وبك عن سواء السبيل
روي في هذا الحديث برفع اسم الدهر ونصبه فالرفع تحقيق قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله هو الدهر يسمى جل ذكره ببقائه الدايم ودوامه المتمادي الذي لا اول له ولا اخر
بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن والفتح في اسم الدهر بمعنى التحقيق بحكمه وتنفيذ
قضاياه وحكمته في ذلك البقاء العزيز الرفيع ازلا وابدا حيث لا اول لذلك ولا اخر
وبما اوجد الليل والنهار قلبهما باحكام حكمته في اوليته التي لا اول لها وفي اخريته التي
لا اخر لها واظهر ما يكون ذلك عيانا ومشاهدة في الدار الاخرة جعل الاية على ذلك
خلقه السموات والارض وما بينهما بالحق ثم بينته الى ظهور الحق المبين الله عز وجل في
الدار الاخرة حيث لا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سموات ولا ارضون
سوى ما هو الدار الاخرة باوصافها وبما هي عليه فتحقيقه اذا من سب الفعل سب الفاعل
وبالحقيقة فانه من سب فعلا فانما سب فاعله وهو الله لا اله الا هو ولا يحقه اذا به العباد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يعجبون كيف دفع الله عني هجو قريش يسبون مذمما ويهجون
مذمما وانا محمد واحمد وقد تكلم العلماء بمذاهب العرب وسائر الامم واهل الحساب في الفصول
من السنة واختلافها وحدودها وما هي الافلاك والمنازل والبروج فكثيرون تركنا
اعادتها للاختصار وربما ان ذكر ذلك مفرقا على مواضعه ان شاء الله تعالى فلنقتصر مفهوم
الحق المبين فما هنالك ما ههنا تبصر الحق ونحط بالعلم الصحيح كالمشاهدة ارشدنا
الله واياك فمن دلالتهما اذا تدل على انهما مخلوقان لخالق خلقهما ومجعولان لجاعل جعلهما
على ما هما عليه مما دلا به على انفسهما من النقص والافتقار ودلائل الحدث وقبول
انواع التغاير والتصريف والتسخير انهما بوجه ايتان على الحيوة والموت وقد تقدم
بيانها هذا الاعتبار في رسم اسم الشهيد من كتاب شرح الاسماء فلنقتصر على ما هنالك
وبدلالة ايضا بوجه على الضلالة والهدى بما في احدهما من نور وفي الاخر من ظلام وبذلك يدل
ايضا على الاله الحق جل جلاله وعلى الالهة الباطلة تبيانا لعدمها وبطلانها فانه ما في
الليل من لبس وامتناع الابصار فيه وما يكون عن ذلك من جهل اية على بطلان الباطل

واية ما في النهار من بيان وهداية الى المقصد وبصر وضياء ونور اية على الاله الحق
جل ذكره وبالضد ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل والنهار ايضا
بما فيه من انشراح واتساع ونور وابتغاء فضل اية على الحيوة وبذلك يكونان ايتين على الجنة
وضيائها وسعتها واشراقها وانها دار الحيوان وما عبر عنه قوله جل قوله ان المتقين في جنات
ونهر وما هو قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين والليل بما هو ايضا وليه على دار جهنم
اعاذنا الله الرحيم برحمته منها بما فيه من ظلام وضيق ومعنى الموت الحاصل منه لمن يعني النوم
والكسل وعدم الابصار وعلى الموت بما فيه من سبات والنوم والسكون وما هذا سبيله وهما ايضا
بما فيهما من ايلاج بعضهما في بعض وبما في الليل من ضياء قمر ونجوم وبما في النهار من ضياء
لازم عنها اية على الحيوة في حال الموت في دار البرزخ وكون ذلك في اختلاف ضياء على ما هو
اية على اختلاف في درجات الموت والحيوة لاهل الموت فيما هنالك فاد فعهم درجة في حيوتها
مثلا الليل المقمر جميعه حال كماله ثم كذلك الى اخر درجاتها محاقه وكما ادناهم درجة في ملك الحيوة
عدم بقية القمر مدة الاستسرار فضياء ما بقي من النجوم والسماء اية على حياة الكفار فيما
هنالك كما ان ظلام الانوار واظلام الاجواء بالنهار اية على ظلام قلب الكافر وظلام
قبره وظلام موضع منزله من جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وخلوه ما بين النور وعلى
فقدان نظر الله جل ذكره منه كما ان ظلام الانوار ايضا بالنهار واظلام الاجواء اية على
مداخلة الموت هذه الحيوة من جهل وغباوة وذهول ونسيان وغير ذلك وكل ذلك اية على ما
هو بسبيله فيما هنالك وقد تقدم شاهده فيما سلف كذلك ما كان من ظلم من ظلم فانه على
ظلمات ما في القبر وفي يوم القيمة وظلمات في جهنم اعاذنا الله الرحيم منها برحمته قال رسول الله صلى
عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة كذلك ما كان من عمل بطاعة الله عز وجل فانه على نور في القبر
ويوم القيمة وفي يوم الحشر قال الله عز من قائل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم وانسب الاعمال بنور الصلوة لحضور النور الحق اياها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا صلى احدكم فان الله مواجهه وفي اخرى الرحمن كما حققها تحقيقا في الضياء والصوم
ثم سائر الاعمال بنور يوجد في جزاء الاعمال في الدار الاخرة وبالضد في وجود ظلمات اعمال الكفار
والظلم كما سائر الاعمال التي ينفع العباد من صدقات واطعام طعام وتفريج كرب فانما له في
جزاء ذلك ما يقابله فيما هنالك من اطعام ايضا وكسى وتفريج كربات وكما جاء انه صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا واعرى ما كانوا فلا يكتسي يومئذ الا من كسا لله
ولا يطعم الا من اطعم لله ولا يسقى الا من سقى لله وقوله بينا رجل يمشي في طريق اذ وجد
غصن شوك فاخره وفي اخرى غصن شجرة فقال لاقطعن هذا لئلا يؤذي الناس قال فلقد
رأيته في الجنة يستظل بها وبالجملة فالاعمال كلها نور وكما الوجود كله نور به تبصر البصائر
وتفهم الالباب عن الله عز وجل قال الله عز من قائل الله نور السموات والارض مثل نوره
الى قوله جل قوله والذين كفروا اعمالهم الى قوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج
من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض المعنى الى اخره اعقب جل جلاله ما تقدم من الخطاب
قوله يقلب الله الليل والنهار الاية بجميع ما خلق الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه في

واية ما

والارض حتى يشيرا الى حق ما هنالك فافهم فهمنا الله واياك والشمس والقمر ايتان من ايات
الله جل جلاله قال الله جل ذكره هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم
الحق الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد
يقول الله جل جلاله لاهل الجمع ما ينتظرون لتتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد شيئا
الا اتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت
الطواغيت وقد تقدم مصداقه من القران العزيز وايضا قوله انكم وما تعبدون من دون الله
حطب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة ما وردوها وكل فيها خالدون فاستثنى
الله سبحانه وله الحمد من تلك المعبودات من سبقت لهم منه جل جلاله الحسنى فعلى هذا يكون الشمس والقمر
وجميع المعبودات التي تولوها ما لم يقل وعدلوها في حقهم عن شهادتها البادية جل جلاله وواضع
النعمة بها الى غيره ليها تراوحهم وتباكرهم بالعذاب وما بين ذلك يجدده عليهم على حكم الخلود
فهذا مما يعبر اليه من تقليب الله الليل والنهار في هذه الدار ويكون ذلك منها لهم على مقادير
تعظيمهم لتلك المعبودات وعنايتهم بها وعكوفهم عليها واغراقهم في التصديق بها عن التبتل
المرتبط وتنعم معا في المعبودات في الاخرة وفي دار القرار على ما اقتضته من ذكر وفتنة فما كان
منها من سبيل الفتنة ففي النار وما كان من معانيها في سبيل الذكر ففي الجنة مثلا قوله كالشمس
والقمر هما من حيث تسخيرهما لمنافع العباد وسجودهما لخالقهما وعبادتهما لمجريهما وشهادتهما
لجاعلهما ومدبرهما والتذكير بهما ففي ذلك كله في الجنة ومن حيث هما مزينان للساجدين لهما
ومعظمان للعابدين لهما وقد تقدم فيما مضى من الاعتبار في فهم سجودهما وان ذلك بتفهم
على حالتين لهما وان ذلك مقدر بمقادير كتبهما فهي على ذلك طالعة في حق قوم وساجدة
في حق قوم ومستورة في حق اخرين جارية بوجه وساجدة بوجه تقدير من عزيز عليم فهما ايات
للحالتين ابد الازمنة لهما فيما كان من طاعتهما لخالقهما جل جلاله في جريهما وسجودهما وتذكيرهما
تولى النعمة جل جلاله به بما هو في الجنة ينشئ الله امره بهما فيما هنالك الى امره فيما هنالك الذي عبر عنه
بقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين وبما كان من تزيين الشيطان لها واقترانه بهما وسجود الكفار
لهما وسترهما عقولهم عن الحظ بهما الى مسخرها ومعيدها هما في النار الا تسمع الى قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخبر عن حال استوائها وان الشيطان يقارنها قال وحينئذ تسجر جهنم وقد تقدم
فيما مضى ان الدنيا انبنت على نفح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها سعيرها وزمهريرها
وان نزول الماء برحمته يحيي الارض من بعد موتها ويظهرها فاعليها ويكمل حياتها فهذا لو جود
المشاهد يخبرك بما تقدم من الاعتبار وان الماء اية على دار الحيوة الدنيا وان النفس اية على جهنم
وان هذه الدار انبنت باسرها على معنى داري القرار الجنة والنار وسوف يعيدها خالقها جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه باهرا ثم يميز خبيثها من طيبها فيجعل هذا في الجنة وهذا في النار
انبا بذلك القران العظيم واعرب به الشاهد فاستقر بتوفيق الله وجود الموجودات
علوا وسفلا على هذا ثم اقتضى بموجب الحق وان كل ذكر ففي الجنة وان كل فتنة ففي النار ومن
اياته بها انه يبدو العبادة في الدار الاخرة ويرونه عيانا كما يرون الشمس والقمر وذلك بمقتضى
من اسمائه الحق المبين اي ان هذا الحق الذي خلق السموات والارض وما بينهما تبين عن نفسه

فيما هنالك رايته العقول في هذه الدار بحقايق الايمان فتراه العيون يومئذ على العيان
والشمس والقمر لهما افول وتغير وزوال وهو لا زوال ولا افول ولا تغير وهو الذي
انكره ابراهيم عليه السلام حين نطق لا رب بقوله لا احب الافلين لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين اي ما برى مما تشركون فصعد وجود الشمس والقمر والنيرات
بما فيهما من وجود الحق المخلوق به السموات والارض الى وجود الحق المبين مشاهده فيما
هنالك كما ينزل بها وجود النيرين والتعبد بهما الى ما يكون كلها عذابا للمعذبين فيما
هنالك ومن اياته عز وجل ما شرعه من الشرايع اذ ذاك مما يختلف به الليل والنهار وفي
كل يوم هو من ذلك في شان قال الله جل ثناؤه ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة الى قوله جل قوله واتيناهم بينات من الامر الى قوله جل قوله ثم جعلناك على شريعة
من الامر وقد فرض الله عز وجل عليه الصلاة واكثر التاكيد وبالغ في التوصية بصلاة في
طرفي النهار وقبل طلوع الشمس وقبل غروبها اية على الوفاء بعهده في قوله جل قوله ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان منكم لمن يرى ربه بكرة
وعشيا وفرض جل جلاله الزكوة وحض على الصدقات فقال جل وعز وانفقوا مما رزقناكم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا واعطش ما كانوا
واعرى ما كانوا فلا يكسى يومئذ الا من كسى لله ولا يسقى الا من سقى لله ولا يطعم الا من اطعم لله
عز وجل وقال جل من قائل ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال جل من قائل كلوا واشربوا
هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وقال عز من قائل هل تجزون الا ما كنتم تعملون
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل ادخله الله الجنة على ما كان من عمل وقال فمن كان من اهل
الصلوة دعي من باب الصلوة ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل
الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان وهذا كثير شايع

فصل

ومما يؤكد العبرة لما تقدم ذكره انه جل وعز فرض على عباده خمسين صلوة وبرحمته منه وفضله
عنهم ردها خمسا عملا وابقاها خمسين ثوابا واجرا ووقت الصلوة على مقادير
حلول الشمس فوقت الصبح طلوع الفجر وهو عن ظهور الشمس بموضع من الافق والظهر باستوائها
في كبد السماء والعصر على التوسط بين ذلك وبين غروبها والعشاء الاولى بعد غروبها الى غروب الشفق
والعشاء الاخرة من لدن غروب الشفق الى طلوع الفجر والزكوة بالحول والصوم بظهور هلال
شهر رمضان والافطار منه بظهور هلال شوال والشروع في الصيام من طلوع الفجر الى
غروبها والحج بهلال ذي الحجة وقضاء مناسكه في ايام الحج وهي معلومة بايام شهر ذي
الحجة وهذه كلها في الدار الاخرة مواسم تنعيم وتجديد حبور على الدوام بما يكون من الحق
المبين من ظهور واحكام حكمة هذا الى ما فيها من اية ودلالات وبينات من الامر على الدوام
وقد كشف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كون الجهة الاخرى منها في النار بقوله من كان
يعبد الشمس يتبع الشمس ومن كان يعبد القمر يتبع القمر ومن كان يعبد الطواغيت يتبع الطواغيت
فيتساقطون في النار وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راها غارت الى نار الله
الحامية لولا ما يرعها من رحمة الله الحديث ومن اياته جل ذكره مفهوم قوله الحق

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات فخلقة الليل والنهار دائرة على
اربعة ارباع ظلام وضياء وغبش وعشاء كذلك الفيض والغيض والمد والجزر
كل ذلك على دوائر مقسومة على اربعة ارباع كما تقدم ايات على ما هي الجنة وكذا النار قال
الله جل ثناؤه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فهي كلما امتلأت اشتد
كلبها ويزيد سعيرها كالمعهود من النار كلما زيدت حطبا زادت لهبا اعاذنا الله الرحيم
برحمته منها فهي كذلك حتى يضع الرحمن فيها قدمه الذي قدمه بين يدي تدبيره فانه جل جلاله وتعالى
علاؤه وتناهى حين استوى على العرش ان رحمتي تسبق غضبي وفي اخرى سبقت غضبي وفي اخرى
غلبت غضبي وتغلب غضبي فهي لا تزال تشكو ذلك منها تمتلي وتفور وتنقنق هل من مزيد ولا تزال
الرحمن تبارك وتعالى يجعل فيها قدمه فينزوي بعضها الى بعض ابدا هذا ايضا على دوائر
معلومة هنالك محكمة التداوير كدوائر الليل والنهار والله اعلم بطول مدة تلك الدوائر وقدرها
يقول الله جل قوله كلما خبت زدناهم سعيرا كذلك تبدو على هذا القهر من جهنم اعاذنا الله الرحيم
برحمته منها والقصر لها عن مرادها الى مراده ما يشاء هذه من قصره لنفس جهنم وذلك
ان ياذن لها فيتنفس بحرورها وزمهريرها فلولا رحمة الله لنا لحرمنا من انزال الماء من السماء
فيكون الحاصل بين الحكمين بكر يم لطفه وحسن تدبيره تبريد حر السعير وترطيب يبس الزمهرير
واذا افرطت بلة الميا روح بالصحو وجعل في ذلك الدفء وتنشيف البلات واستقام
امر الدنيا على ذلك من تدبيره ويخرج عن هذين الحكمين بقدرته وفضل رحمته انواع النبات
وضروب الزروع والكسبات ويخلق على ذلك جميع الحيوانات ويظهر الزمان في احسن معادنه
لولا ذلك من لطفه لكانت هذه الدار جهنم الصغرى وهو من اثر كتابه بمصداق المكتوب على نفسه
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ان رحمتي تغلب غضبي وقوله جل قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
ويلحق بذلك في سبيل العبرة توسعة على الكافرين والخاطئين وان الكفر والخطايا والمعاصي
منسوبة لجهنم اعاذنا الله منها وجهنم مخلوقة من غضبه وكونه منسوبة الى الجنة جعلنا
الله الرحمن الرحيم من اهلها والجنة رضوانه وتلك رحمته فهذا التاويل هو الذي عضد قوله
والكتاب في قوله جل قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة فان كان في الدار الاخرة زائدا
على هذا التاويل فالله اعلم امنا به كل من عند ربنا واية على ذلك ايضا الشهود والحضور
المذكور في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فان الله قبل وجهه اذا صلى
وقال في حديث عنبسة رحمه الله فاذا زالت الشمس فصل فان الصلوة حينئذ محضورة مشهودة
وذكر ذلك في اوقات الصلوات كلها وقال الله عز وجل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق
الليل وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا الشهود هنا اية على مزيد نيله اولياءه
في الجنة كما ان مقارنة الشيطان الشمس اية على مزيد نيله اعداءه في النار اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها ومقارنة الشيطان اياها الاوقات بحضرة الكفار لعبادتها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين يسجد لها الكفار وحينئذ تسجر جهنم قالها لوقت
الزوال ومن اياته على ما هنالك مفهوم قوله عز وجل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا
نصفه او انقص منه قليلا هذا للثلث الاول من الليل او زد عليه يعني على النصف

فهو

فهو الثلث الثاني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءت فحمة العشاء فكفوا صبيانكم
وفي اخرى مواشيكم فان للشياطين حينئذ انتشارا ولما استقر الخطاب على الندب
الى قيام الليل لدلوك الشمس كان النهي عن الصلوة في وقت تنشر الشياطين بعرض مضاها
قال الله عز وجل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل فصلوة الفريضة مباح ابقاعها
في ذلك الوقت وقيام الليل مستحب التحير به الى الثلث الاول الحاو وراء ذلك وغسق الليل
خروجه بالجملة عن بقايا ضياء النهار فيجتمع حينئذ اخر الظلام ومن اجل ذلك يكون الفحمة
قال الله عز وجل واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فاخبر عز وجل ايضا
صريحا ان النهار اذا سلخ من الليل اجتمع الظلام وانتشر وهو الغسق ومنه التعوذ
من شر غاسق اذا وقب اي اذا امتلأ ظلاما ثم نوع اخر متصل بهذا يكون الغاسق
القمر اذا وقب لاجل دخوله في الغسق **فصل** هذا المذكور الذي هو الغسق احد ارباع
الدائرة واعلم ان ليس المقصود بالغيره هنا استواء ارباعها وانما المقصود تداول الحكمين
المقدرين اللذين جعلهما الله ايتين على حقايق موجودات الدار الاخرة وكما ليست دائرتا
الغسق مساو يتين لطول الليل وطول النهار جمع الكلام نحو هذه الفحمة انقضاء
الثلث الاول من الليل وهو ذهاب فحمة العشاء وذلك من بركة نزول ربنا جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه الى السماء الدنيا ويتمادى هذا الربع من هذه الدائرة الى ان يخرج وقت
صلوة الفجر كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث النزول فلا يزال كذلك حتى يبزغ الفجر
من صلوة الفجر ثم اول الربع الثاني ولظهورها حاجب الشمس واخره يمكن ارتفاعها في اعلى علوها
قبيل الزوال واول الربع الثالث اول استوائها واخره قبيل غروبها واول الربع الرابع حتى
سوادي بالحجاب واخره انقضاء الفحمة من انقضاء ثلث الليل الاول وكل ربع من
ارباع هذه الدائرة دولتان ذكر وفتنة فالذكر عن كريم اطلاعه جل جلاله وعلى
نزوله والفتنة عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بفحمة العشاء وهو اجتماع الليل و
ظلمته ومقارنة الشيطان طلوع الشمس واستواءها وغروبها وكل امره وخلقه لا اله
الا هو فموضع كريم اطلاعه وتنزله في الدنيا اية على اطلاعه العلي على اهل الجنة وقوله
جل قوله يريدون شيئا ازيدكم وذلك موضع المزيد فيها وهو ايضا اية على وضع قدمه
جل ذكره في جهنم فينزوي بعضها الى بعض ويقول حسبي كما ان موضع الفتنة واجتماع
الظلمة وما عبر عنه بانه اثر الشيطان كاقترانه بالشمس بثلاث مواطن على سعير جهنم
اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وفورانها وامتلائها وجوابها سائلها يقول لها هل من مزيد
كما ان ظهور الشمس والقمر ايتان على تجليه جل وتعالى في الجنة **فصل** لم يلحق الغاسق
الغسق باقبالها في امتناع الصلوة فيها لاجل الفرق الذي في ذلك فان المقارن في
الساعات هي الشمس وهي مزينة عند اهل الكفر وهذا المقارن فيها انما هو ظلام وليس الظلام
بمقصود لعبادته ولا لتعظيم ولا امر عند احد من الامم الضالة وربما سبق الشيطان لعنه الله
الى فهم السامع بادي الراي من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس اذا هي طلعت
قارنها الشيطان واذا غربت واذا استوت وانها تطلع بين قرني الشيطان فوقاه الشيطان

او يخطر على باله فانه قد قنع منا بالوسوسة ان الشيطان ابعده الله قوة على محذور من
ذلك وابدا وان له قدما ووجودا في القبل وكلا ان هو الا كما قال الصادق الحق جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وما كنت متخذ المضلين عضدا وانما معنى الخطاب وسر المراد في ذلك لما شاء خلق السموات
والارض وما بينهما خلق ذلك كله بالحق وقسم ذلك الحق الى معنيين ذكر وفتنة فظاهر
معنى الفتنة من سماء الدنيا الى اسفل وظاهر موضع وجود الذكر من سماء الدنيا الى ما علا
ولما اراده الله جل جلاله من حكمته لما اوجد ادم عليه السلام اوجد له من خلقه عدوا جعل
له الوساطة فيما سبيله الفتنة واقطع له عما له فيما سبيله التزيين والوسوسة وحقيقة شانه
انه لا يملك ضرا ولا نفعا **فصل** قال الله عز وجل ومن اياته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون
والشمس والقمر ويهما بحكم التناوب على الدوام الا ما استثنى من ذلك حكما لا قول
والاستسرار الكائن عن المحاق ولان جعل الليل والنهار ايتين والا كانا يكونان اية واحدة
وفصل الله الليل والنهار باختلافهما واختلاف حكمهما تقريبا للمعتبرين وتبيينا للناظرين
لتعلموا بذلك عدد السنين والحساب كذلك فصل كل شيء تفصيلا وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر
اي كمالا ودواما لا افول فيما هنالك ولا غيبوبة سبحانه وله الحمد وله المثل الاعلى في السموات
والارض له في الدارين وهو العزيز الحكيم احكم الايات وانار النيرات ولظهور هذه
المعرفة في كنه النبوة قال ابراهيم عليه السلام لا احب الافلين وانما نظر في القمر ولو اخبر عنه
بانه نظر فيه كان حال المحاق لتبرا منه اشد البراءة والحق والله اعلم ان هذه الروية
لاهل الجنة منه على الدوام كما كانوا يرون الحق المخلوق به السموات والارض على الدوام فان
هذا الحق يشير الى ذلك فيرونه مشاهدة وحضورا وكما كانوا يرونه في الدنيا بعين العلم
وحال المراقبة المسطور بالنظر والاعتبار وله عز وجل ايضا فضل عظيم ومزيد كبير
سوى ما تقدم ذكره من معنى الروية على مقادير الصلوات ايه ذلك مواجهة العبد في الصلوة
والمعنى الذي عبر عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصلوة حينئذ محضورة مشهودة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم قبل الرحمن وفي اخرى فان الله قبل وجهه اذا صلى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه
اذا صلى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راى نخامة في حائط المسجد ايكم يحب ان يستقبله
اخوه فيبصق في وجهه فقالوا كلنا لا يحب ذلك يا رسول الله قال فان احدكم اذا صلى
فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى كذلك ايضا له عز جلاله فضل عظيم
وامتنان برؤيته على مقادير صلوات الجمعات قال الله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
سلام قولا من رب رحيم فهذه حالهم في الجنة وقال عز من قائل وقد ذكر النار اعاذنا
الله منها يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تزال

لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد فوصف جل جلاله حالها هذه انها على الدوام
ثم قال عز من قائل وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد واحال المخاطبين على ما تقدم وصفه
لها في كتابه العزيز ثم اشار عز وجل الى المحذوف من وصف احوالهم بقوله عز وجل هذا ما
توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب الى قوله جل قوله ولدينا
مزيد فاخبرك جل جلاله بقوله الحق ان ذلك لاهل الخصوص ومزيدهم هنا هو ما يزيدهم على
دائم حالهم التي هي روية الحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كما ترون الشمس والقمر على مقادير
الصلوات ثم على مقادير صلوات الجماعات يراه جل جلاله كل على علمه ومعتقده فيه ومعرفته
اياه واحسانه في طلب مرضاته هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون **فصل** ولبركة
تنزله وكريم حضوره جل جلاله حضور في الجنة وشهود ورؤية هو اعلم بها جل جلاله
لا اله الا هو العلي العظيم غير ان الذي يبلغهم ويحضرهم ويؤتيهم من ذلك ما هو ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانما هي مواسم يتبع بعضها بعضا على تدوار
دوائر محكمة التدوار لذلك قال عز من قائل وهو علم تقدير العزيز العليم اي انها ها هنا
على مقادير ما هنالك ويمدح جل جلاله بالعلم اي بما حباه لاوليائه واعدائه في دار
الخلود لمن شغل نفسه وقلبه بعبادته وداوم على ذكره ادخله جنته بغير حساب وانا له
اجره باكرم ماب واجزل ثواب والى هذا يشير الحق المبثوث في العالم المخلوق به السموات والارض
وما بينهما وبخاصيته هذا الحق المشار اليه الذي هو شهود والحضور الوجود على دوائر محكمة فان
هذا كله يصعد في الدار الاخرة الى مشاهدة الحق المبين جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
قال الله عز وجل يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين هذا ثم اعلم
علما يقينا ان فيما تقدم ذكره تصحيح مع تدقيق النظر وتصحيح الاعتبار بهذا الحق الموجود
به السموات والارض خلقه وشرعا من الايات على ما يوانسهم ويصيبهم به الحق المبين
عجايب تبهر العقول وتقصر عن العبارة بوصفها الالسن كما لا يحاط بالكون في على كثرة مخلوقاته قل
فيما ههنا قال الله عز وجل ويخلق ما لا يعلمون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها **فصل**
في الاعتبار في الفلك قال الله عز من قائل ومن اياته الجواري في البحر كالاعلام ان يشا
يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره وقال ايضا جل من قائل وله الجوار المنشات في البحر
كالاعلام فباي الاء ربكما تكذبان وجعل جل جلاله ذلك من اياته واثاره وجوده
على مقتضى مشيئته وذكر الفلك في القران كثير وانها ايات له وايات علية لاولي الالباب
ولكل صبار شكور ليتحقق الله جل وعز ان في خلق السموات والارض كما قال جل جلاله ان في السموات
والارض لايات للموقنين فبين قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وقوله عز وجل ان في السموات
والارض فرقان بين اذ بالاولى ندب الى النظر بخلق السموات والارض كما قال جل قوله
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات اي في تصويركم وتركيب اعضائكم وجميع مواد خلقكم وتعدد
المفاصل وكيفية تساوق الحكمة في تركيبها ثم الاعتبار من ذلك الى ما غاب كذلك قوله جل قوله
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار كذلك ايضا يتردد الامر في النظر باختلاف الليل
والنهار لم جعلهما هكذا هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا وقد تقدم الى ذلك الماع وكون النظر

في ذلك ولا كيف خلق هذا وهذا ويتفكر الناظر في ذلك وما المراد بذلك وما وجوه
الحكمة في ذلك وعلمها اذ يدلان بذلك وقد مضى من ذلك بينة على بعض المقصود والله
نسئل تمام النعمة وحسن المزيد كذلك قوله جل قوله والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس المراد
المفهوم من ظاهر الخطاب عطف على قوله ان في خلق السموات والارض وتقدير المحذوف
وخلق اختلاف الليل والنهار وخلق الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيكون النظر
اولا في خلقة المنظور فيه كيف ولم ثم ثانيا في المراد به وعلى ما يدل خلقه وتركيبه ثم ما وجد
له على حق هو هنالك اما النظر في خلقها فقد يجب ان نقدم الكلام في الاعتبار بحملها ادركنا
وانها اعني الفلك انما صنعت على هيئة الارض ولما شاء الله ان ينقذ رسوله نوحا عليه السلام
والذين امنوا معه ويعم الارض بالغرق والطوفان اوحى الله تعالى الى رسوله نوح عليه السلام ان اصنع
الفلك باعيننا ووحينا اي كما نعلمك فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين
اثنين المعنى فعوضهم الله جل ذكره مما افقدهم اياه بما يشبهه بقوله جل قوله وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون يعني الابل والخيل والبغال والحمير ومثل الفلك هي الارض التي صنعت على هيئتها
والحيوان كله مخلوق من الارض فهي تجري كما قال جل من قائل في موج كالجبال كالارض كالكرة
على الماء ويرسلها الريح من امره بجريها في البحر وصورها حين العجز مقعدها اضيق من مؤخرها
وقعرها مقعر واعلاها مقوس كشكل الكرة مهد اعلاها وابقي علاجا لم اسفلها كما قعر
في الارض **فصل** سبيل الاعتبار بها ان يعبر من العلم بخلقها ولما قصد به الى ما تقدم
ذكره من قعر وحلقة الارض وانها على الماء والكرة لا ترسب في الماء لثقلها وثقل ما تحمله كالمعهود
من رسوب مثل الثقل في الماء بل اذا الفلك تجريها في لجج البحار بامره بواسطة الريح فرآها
بحر الماء مجرا فتعبر البحار واللجج الطوامس عبرا وتلك اية على وجود حق في الدار الاخرة واما
النجاة والعبور والجري على امانة فلاوليائه واما الاهلاك والاغراق والاخذ
بالمكتسبات لامحالة فلاعدائه لذلك ما امتن جل جلاله بانجائهم وجريها اعني الفلك برحمته
واوعد تعريضا بالاهلاك والايقاع بالغرق واخذهم بما كسبوا تنبيها على ما هنالك
فانهم يضطرهم الى ركوب سفن نار جهنم تجري بهم في بحار الحميم والغساق والغسلين
الى حيث شاء من ذلك بهم ثم يغرقهم فيها باخذهم في ذلك سوء من كسبهم سيئات في دار
الدنيا بقول الله جل من قائل فيغرقكم بما كفرتم كذلك يغرقهم في الاخرة بما كسبوا ايضا كذلك
سوقة اهل الدنيا باطماع الارباح وحب قضاء الحاجات الى ركوبها في البحار فربما انجاهم
بفضله وربما اخذهم بما كسبوا وربما ركبها اخرون غزاة في سبيله وابتغاء مرضاته
من حج وصلة وغير ذلك وربما اغرقهم بها فجعلها لهم شهادة يكرمهم بها فيما هنالك
فانه من قبله في الدنيا بما يعمل به من كفر وهو مؤمن جعل له ذلك القتل شهادة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله فذكرهم وزاد
عليهم في رواية اخرى **فصل** وقد يعبر منها الى النظر في جملة الخلوقات فان الجملة على
ما تقدم ذكره ليست على مخلوق ولا يحيطها مخلوق اذ المفروض النظر للجملة واباها و
اعلم اراد بذكر العلم في بعض المواطن بوجهين النظر بقوله جل من قائل ما خلقكم

ولا بعثكم الا كنفس واحدة ثم قال ان الله سميع بصير اي هو يسمع المسموعات بسمع
واحد ويبصرها ببصر واحد ويقدر عليها بقدرة واحدة كما يعلمها جل جلاله قوله
الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يعني ادخال جميع ما يكون في الليل
والنهار في هذا التقليب ويجري عليه هذا التدبير ثم قال والله بما تعملون خبير يعني والله
جل قوله يعلمكم ويعلم اعمالكم على اختلافها وتباينكم على تباينها وجميع المعلومات على اجالها
واحوالها على اتساع ذلك والحراقة بعلم واحد كعلمه معلوما واحدا ثم حكم بحكم الحق وبعظ
لنفسه ولسواه جل جلاله بقوله عز قوله ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه
الباطل وان الله هو العلي الكبير ثم اتبع ذلك بما ضربه مثلا لمعنى ما تقدم تحقيقا لقوله
الحق عز قوله الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته معنى ذلك الحكم جميع ما
حواه الفلك ولذلك قال جل من قائل ليريكم من اياته اي على دخال الجملة في الحكم الواحد
قد اخبر ان ذلك ايات ولكن هذا مفهوم تناسق الايات المختلفة فليستوعب جملة المخلوقات
كلها علوا وسفلا كشيء واحد وذلك الشيء الذي يشمل المخلوقات كلها لا في مخلوق ولا على
موجود سوى وجوده الحق قد احاط ذلك بجميع الموجودات عينا ومعنى والكائنات والمخلوقات
لا عيانها عن معتمد يعتمد كلية كالسفينة المعهودة اعتمادها على الماء وقد كان الماء موجودا
قبل السفينة اذ ليس الماء من السفينة ولا مما حملته في شيء حتى انك لو توهمت عدم السفينة لم يلزم
لذلك عدم الماء فمحل هذه السفينة اذا على ما قرضنا امر الله جل جلاله فاذا المخلوقات كلها
لم يوجد موجدها جل جلاله في مخلوق ولا على مخلوق فاذا وزان الريح الحامل للسفينة من
سفننا وزان الامر من موجد السفينة المتوهمة ووزان الماء الذي تجري فيه وتجري فيه هذه السفن
وزان ما تمدها به من الحول واحاطها بها من الخوف ولزها من الاقتدار والامر وذلك وزان
ما احاط بهذه من زمان ومكان وتوابع ذلك ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ووزان
خدامها وملاحيها والمسافرين فيها وزان الملائكة عليهم السلام والقوة التي تحملت المخلوقات
ووزان المسافرين المكلفين العباد بتقلبهم من غربتهم الى قرارهم بامره وترقيهم الى
حضورهم وشهودهم ومتاكها وسائسها في اعلاها يامرهم بامره فينفذونه و
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على
ظهره كذلك لو حط الشراع منها هذه وعطل السكان والملاحين للعب بهم الموج
وربما عدا الريح عليها ومال البحر فاهلكها ان في ذلك لايات لكل صبار شكور على ما امره
ونهى عنه وعلى صراطها شكور لنعم الله جل ذكره ان في ذلك لاولي الالباب الذين عبروا
من هذه الى تلك فشاهدوا الغيب من شاهد الامر وقد يصرف الاعتبار بالفلك الى وجه
اخر فتكون السفينة جارية في البحرية على قطع المؤمن ايام الدنيا هي البحر والسفينة بدنه
وهي حاملته والعقل والعلم دليلا مشيران عليه بما فيه هدايته وبلوغه الى وطنه والقوى
خدمتها وامراتها وتدبيره اياه محيطا بها والايمان امتنها والتوفيق دعها والذكر
شراعها والعمل بطاعة الله عز وجل يصلح ما فسد منها والرسول عليه السلام قائد
وسائقها بشارة ونذارة وقد يصرف الاعتبار بالفلك الى ان يكون جارية في البحر

اية على قطع مدة البرزخ لذلك قال جل قوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
وقال جل قوله انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية
يعجب جل جلاله بذلك ويعلم انه قد اوجب البحث عن خفاء المستودع في الخطاب ويثني جل جلاله
بانه العجب العجيب كما قال عز من قال في غير هذا الموضع ان في ذلك لايات فلا يسمعون الا تسمع
جل وعز كيف صرف وجه الخطاب متصلا بما تقدم في سورة الحاقة الى وصف اهوال الاخرة
بقوله جل قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة الى قوله جل قوله فاما من اوتي كتابه بيمينه
الى قوله واما من اوتي كتابه بشماله الى قوله خذوه فغلوه الى قوله فليس له اليوم ههنا حميم
ولا طعام الا من غسلين الى قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
لقوله انه للوحي من لدني لا غير ثم قال جل قوله وانه لتذكرة للمتقين اي هذا القران
وما يتلى عليكم منه وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين من كفر به
اي في الدنيا والاخرة وفيما بينهما ثم قال جل قوله وقوله الحق وانه لحق اليقين وحق اليقين
هنا هو الموت اي هو الكائن الواجب كونه لا محالة بعد الحق كما قال عز قوله في سورة الواقعة
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان اي حال الموت في دار البرزخ وجنة نعيم واما
ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرش له قبره
ويوسع عليه فيه ثم يقال له نم صالحا وفي اخرى نم نومة العروس ثم قال جل قوله واما
ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ثم قال جل قوله ان هذا لهو حق
اليقين اي الحق الواجب كونه حال الموت ثم قال جل وعز في الموطنين فسبح باسم ربك العظيم
لينفعك يومئذ ومنه قوله جل قوله واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من
مثله ما يركبون سيرهم في البحر في السفن وسيرهم في البر على ما خلق لهم من مراكب الانعام والدواب
الراجع عليه والضمير في قوله ذرياتهم هو نوح عليه السلام ومن معه وفي قوله عز قوله واية لهم
هم قريش والعرب وكل من توجه عليه الخطاب بالقران العزيز ليقول جل قوله وهو علم كما حملنا هم
في الفلك المشحون يومئذ قبل ايجادهم حين لم يكونوا شيئا مذكورا الى ان اخرجناهم كل جيل
منهم على نوبته الى الدار الدنيا واستخلفناهم فيها ومتعناهم فيها الى حين كذلك نحملهم
في فلك الدنيا التي هي احسنها الى الاخرة ونحملهم في مدة البرزخ على امثالها كما قال جل قوله
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون فينزلهم على بدلهم المستقر لهم ومرعا لهم كما انزلناهم في دار
الدنيا على نزلهم مرادا زائغهم المعذرة بهذا وما هو في معناه انهم لرسل عليهم السلام الذين
قالوا انا اليكم مرسلون فكذبوهم فكان من شانهم ما قصه الله جل ذكره ثم قال عز قوله يا حسرة
على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون ثم عرض جل جلاله بحال من ذهب منهم
في دار البرزخ بقوله جل قوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
ثم اعلم جل جلاله ببعض حالهم بقوله جل قوله وان كل لما جميع لدينا محضرون والاحضار
عبارة عن العذاب فيما هنالك وسوء الحال كما قال جل قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
وقال ايضا جل وعز ولنحضرنهم حول جهنم جثيا وهو كثير وبالايماء يكتفي الالباء ثم
يسرد جل جلاله عليهم ذكر الايات على صدق ما اتتهم به الرسل صلوات الله عليهم والائمة بقوله جل

قوله واية لهم على ذلك انا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون وهم عدم معدرون في
اصلاب ابائهم ثم صرف جل وعز وجه الخطاب في الظاهر الى الاخبار عن الفلك المشاهد
بقوله جل وعز وخلقنا لهم من مثله ما يركبونه اي مراكب الانعام والدواب المشاهدة ليقول
الله عز من قائل وكما خلقنا لهم الفلك المشاهد ومراكب الانعام بحملهم في هذه كذلك اذا
امتناهم والموت بحر بعيد غوره نخلق لهم من مثل مراكبهم التي هي الاجسام ومن مثل ما
خلقنا منه مراكبهم يعني مثالات لاجسامهم الحاملة لهم في الدنيا وهي المماثلة لهم في الحقيقة
ومراكب الانعام والدواب لا تماثل الفلك والاجسام الا في انها حاملة لما حملته بحسب
وهذه الحاملة الاجسام احق حقيقة واعرق في وصف المثل والمثال وانما انصرف
الخطاب على تصديق قوله الحق انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم واحيا الموتى
يتوجه الخطاب به الى احياء الاجسام يوم البعث والى احياء الموتى حال موتهم وهذا
اولى في هذا الموطن وهنا معنى ايضا فاسائق الايات امره على احياء الحيوة الاخرة بعد الجسم
يوم البعث بقوله جل قوله واية لهم الارض الميتة احييناها ثم اتبعه بقوله جل قوله واية
لهم انا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون انبا جل وعز بما تقدم ذكره عن الاحياء
بعد الموت حال الموت فافهم كذلك قال عز من قائل الله الذي جعل لكم الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون بينهم جل جلاله بركوبهم اياها على الصراط وفي الجنة
ومنها تاكلون توجيه بالخطاب الى انه يخلفهم من البانها ولحومها ولكم فيها منافع
ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ثم قال عز من قائل وعليها وعلى الفلك تحملون اي في
الاخرة وفي هذه مخاطب المؤمنين وقد تقدم ذكر ركوبها قبل فهذا الحمل هو في الاخرة
ثم قال جل من قائل ويريكم اياته على ما بينكم من موجودات حق الاخرة فاي ايات الله تنكرون
فانه قد يصرف الاعتبار من قوله عز وجل وعليها وعلى الفلك تحملون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
الى مراكب الجنة خيلها وابلها وجميع مراكبها مركوبها مسخرة مذللة لهم لا تبول ولا تروث
ولا تتعب الى الزيادة الكريمة وحيث ساروا من بيوتهم في الجنة فاذا رجعوا رجع من شاء منهم
في السفن تجري بهم في انهار كالسلسبيل وكالتسنيم والكافور وطينها المسك الاذفر وحصباؤها
الياقوت وقضبانها فاتها العقبان والزبرجد تجري بهم تلك السفن برياح الرحمة في انهار
الاخاديد لما يشرفون منها على سواحل ممالكهم وكريم منازلهم بعقبها رحمتهم وولدانهم يلقون
فيا هنالك تحية وسلاما فصل اعلم ان كل شيء مسخر لبني ادم في هذه الدار
من كل شملته قال الله جل جلاله وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر
لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سالتموه وقوله جل قوله والسحاب المسخر بين السماء والارض
وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فنواية الله جل ذكره تعلم بذلك عباده
انه في الدار الاخرة يسخر لهم كل شيء سخر لهم ههنا ولم يسخره حتى ان نار جهنم اعاذنا الله
الرحيم برحمته منها يسخرها لهم فلا تعدو عليهم قال الله عز وجل كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر المعنى الى اخره فكان هذا
مصداقا لما انبا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين يشفعون لاخوانهم الذين

في النار يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون ويحجون فيقول اذهبوا
فمن وجدتم ممن عرفتم فاخرجوه منها قال فيذهبون فيعرفونهم بدارات وجوههم وموضع
السجود منهم فيخرجونهم الحديث واما في الجنة فكل شيء مسخر لهم طبايع شمل ذلك قوله
الله جل ثناؤه لهم فيها ما يشاؤن واما اهل النار فبالضد من ذلك سلط عليهم كل شيء
غير مسخر لهم حتى انهم مسلطون على انفسهم بالذم لها والسب واللعن لاجل عظيم الندم والاعتراف
بما كانوا عليه يأكلون ايديهم ندما حتى يعي ويسلطون على انفسهم من كل وجه من النكال نعوذ
بالله العظيم من اهوال اهل النار في النار فهذا من الحق المخلوق به السموات والارض **فصل**
في الاعتبار بالماء ينزله الله جل ثناؤه من السماء قال الله عز وجل ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ثم قال جل من قائل ان الذي
احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير فاثبت لنفسه جل جلاله بموجب الحق والدليل انه
الحي المحيي المميت وانه القادر على كل شيء فانه المنزل الماء من السماء وانه المنشي المريد
لا يكون شيء من ذلك الا بمشيته واذنه في ذلك ما شاء من ذلك كان وما لم يشا لم يكن وانه
الواحد لانه المنزل الماء من السماء اذ لو كان للسماء شيء له دون الارض لما نفع مدعيها كذلك لو كانت
له الارض ولم يكن له السماء لوقع التمانع في توصيل الاصل وتفصيل القضايا وترتيب
الافعال الكائنة عن ذلك ولولا انه لا اله الا الواحد الاحد في السموات والارض لم يتصل
الاحكام ولانحرم النظام ولفسدت السموات والارض ومن فيهن وقال ايضا عز
قوله وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج
بهيج ثم قال وقوله الحق ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان
الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فهذه دلايل على مدلولات اعني باجلا
العلي اباها عن ذكرها **فصل** قد تقدمت اشارة الى التنبيه على الاعتبار بالماء
وانه اية على نزول الامر وان تصريفه فيما يخلقه الله جل جلاله منه انه على تصريف الله جل وعز
الامر وما يكونه عنه في جميع الكائنات وكذلك هو ايضا انه على تصريف الوحي يوحيه الى رسله
صلوات الله وسلامه عليهم وينزل به كتبه تصرف في الهدايات والاضلال على درجات
ذلك ومحاله وكذلك هو ايضا انه على احياء الموتى وبعثهم يوم البعث ونشرهم يوم
النشور وكذلك هو ايضا اية على ان الساعة اتية لا ريب فيها ولا مرية في العلم بها ودل على
ذلك همود الارض وموتها في وقت معلوم يوم نزول الماء واحياؤها به في وقت من الزمان
معلوم منتظر كذلك الساعة لموعد لا يخلفه الله ولما قال الكفار متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
اجابهم رب العزة جل جلاله قل لكم ميعاد يوم لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون
جعل الخليل جل ذكره مقتضيا لذوات اول الاحياء ثم الاماتة ثم الاحياء كذلك اليوم
والليلة وقد تقدمت الى ذلك اشارة وذلك كله دليل حق وشاهد عدل على ان الله جل
جلاله هو الحق المبين من الحق بانه خلق به المخلوقات وبنيته في المعلومات وصورها بصورها
وكما لا يكون فعل الا من فاعل ولا يوجد مصنوع الا من صانع كذلك لا يكون انزال الماء
وتصريف الرياح وتسخير السحاب واماتة الارض ثم احياؤها باخراج ما يخرج منها على الاختلاف

ضروبه وتباين اجناسه وايجاد الموجودات عن ذلك بغير موجد اوجد ذلك وفاعل فعله
وذلك ايضا اية على انه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم المنشي لكل ما شاء ما شاء كان وما
لم يشا لا يكون القادر على كل شيء ومصرفه ومدبره له الاسماء الحسنى والصفات العلى والمثل
الاعلى العلي الكبير لما صرف الماء هذا التصريف ونوع ما صرفه هذا التنويع واقتدر بقدرته
على المقدورات كلها التي خرست الالسن عن وصفها وان املعت وعجزت الفهوم عن الاحاطة
بها ولو اتسعت بل عجزت عن وصول بالعلم وتحقيق بالذهن الى تحصيل حقيقة جزء
من اجزاء ذلك وان حرصت كلا بل رجعت حسيرة عن بلوغ بعض مرادها ونكصت مفجوعة
على اعقابها فبينما هي كذلك قائمة بين الطمع والرجاء سعدت في غيب المشقة والعناء اذ
ناداها العلي الاعلى فخاطبها منها رحم الظنون بقول الحق جل جلاله ويخلق ما لا تعلمون فرجعت
اليه ايمانا وشهدت له ايقانا بالله انت المطلوب في كل وجهة والمقصود بكل طلبة والمراد بكل
معنى امنا بك وبما جاء من عندك اياك نعبد واياك نستعين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا عليك توكلنا واليك انبنا
فافتح لنا وعلمنا من لدنك علما واجعلنا من اولي الالباب وهو ايضا اية على احياء
الله الموتى حال موتهم من ذلك بعض ما توجد اليه قول الحق جل قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا
كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها
فشجرات الدنيا وثمراتها بها احايين معلومة واجال منتظرة وذلك اية على اعتبار وقد تقدم
ذكره من شجر الدنيا الى الاخرة فان شجر الجنة واوراقها تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ابدا
على الولاء وعموم الاحايين فاحايين الدنيا سنون ومدد متراخية واحايين الاخرة
غير منفصلة بل متصلة بحلف المثل المثل ودوام محقق واقرب الى ذلك ما ضربه
الله جل وعز مثلا الكلمة الطيبة شهادة ان لا اله الا الله وكل كلمة طيبة بعد تصحيح العقد
بشهادة الحق يعطي اكلها ابدا على الولاء متى قالها متى شهد بها متى عمل بمقتضاها
متى عرف بما هو كلام طيب شفعناه اتيه اكلها ذلك الحين بل اسرع من حين قوله اياها معا وعلم
بها وهو اسرع الحاسبين وفي احاديث قوله واذا اتاني يمشي اتيته هرولة فانظر وفقنا الله واياك
قربها بالنسبة على قدر قربها بالنتيجة وجودا وسرعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
طيب ولا يقبل الا طيبا وان الرجل ليتصدق بالتمرة من كسب طيب فيقع في كف الرحمن قبل
ان يقع في كف السائل فيربيها له كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى تعود التمرة مثل جبل
احد فتفهم رحمنا الله الرحيم واياك والحق الخطاب انه ينشوها وينميها تربية وتغذية
الى يوم الدين **فصل** وفيما لا يسقط ورقه من شجر يتفاصل في ذلك فمنه ما لا يسقط
ورقه كالنخل وشبهه ومنه ما لا يعرى من ورق ان سقط بعضه خلفه سواه ولكون في شجر
الزيتون والبلوط والبطم وشبهه ومن الشجر ما يؤتي اكله في حين حيوة الارض بالماء ومنه
ما يؤتي اكله حين مماتها ومن النبات ما يكون قبالة واخلاطه من الطعام حين حيوة الارض
وحين موتها كذلك وهذه اية على ان حيوة في حال الموت وموتا في حال الحيوة وفي الشجر والثمر
والعجو كما يؤتي اكله في بطن ومنه ما يؤتي اكله بطنا بعد بطن وشيئا بعد شيء وهذه اية

على ان هذا الحق يشتو كبيره الى ما يؤتى اكله كل حين على العهود دائما على الولاء ومن
وكثير ما يفضل بعضه بعضا وانه قد يكون من التفاضل وانه قد يكون من التفاضل ما لا يسقط
ورق ولا تعدم ورقا وقد يكون ذلك في المفضول ايضا موجود فيما هنالك كحياة فرعون
واله قال الله عز وجل النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال الله جل قوله تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم يعني مادون يوم الدين ثم قال
جل قوله ولهم عذاب اليم يعني يوم القيمة كما قال جل قوله ويوم يقول الساعة ادخلوا آل فرعون
اشد العذاب وصفه جل جلاله باشد العذاب بالاضافة الى عذاب البرزخ وهو ايضا آية
على النبوة والاصطفاء ثم كون ما يخرجه الله جل ذكره بالماء من الارض متفاضلا آية على
الاختصاص والاصطفاء والولاية من الله لعباده ومن شاء منهم بذلك في الدنيا وفي الآخرة
وان ذلك حق بتشبيه الله جل جلاله الارض بقاعها واماكنها وبلادها ومساكنها ومعادنها
ثم نباتها على اختلافه وتفاضله في مضاره ومنافعه وطعومه ورو ايحه ثم حيوانيه
بهيمية ووحشية وانسية ثم في اناسيه مؤمنة وكافرة مخلصة ومنافقة وانهم درجات عند
ربهم كما تفاضلت بقاع الارض وكانت الماكان عنها اما وتفاضل ما نضحت اليه الماء اذ كان
لهم ابا فالتفاضل موجود في الام وما كان عنها بالماء والخلقة قبيحا للمبطلين الذين ذكروا
الخصوصية وكذبوا المرسلين فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن على بشر
من شيء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وما عهد من بيوت الخصوصية والاصطفاء
بين تفاضل الدرجات في الدار الآخرة جزاء وفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا وقال عز من قائل وقد تقدم ذكر الماء بعد ارسال الرياح
وانشائه السحاب واخراجه به من كل الثمرات وجميع انواع النباتات واحيائه به الارض
بعد موتها وخلقه منه الانعام والاناسي ثم قال بعد ذلك ولقد صرفناه بينهم ليذكروا
فابى اكثر الناس الا كفورا فيشير الى الاصطفاء والاختصاص **فصل** ثم يدلك على
حقايق الدرجات من ذلك تدقيق التفضيل في موجودات ما يكون عن الماء والارض في التخصيص
من يكون خصوصيته لفضلة واحدة ولا يستوى الاكثر والاقل وعلى قدر كبر الفضيلة
في نفسها وصغرها وبالضد في الابعاد واللعن بحسب ذلك بما يكون في وجود ذلك
من رذيلة وخسة واذاه وطعم خبث ورايحة وضرر وشر وفرق به على درجات
ذلك واختلافه فمتى يتحقق قول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه حيث
يقول ان لله ثلث مائة شريعة واربع عشرة شريعة لا ياتي الله عبد بواحدة منهن
الا ادخله الجنة او كما قال صلى الله عليه وسلم وانما هو الماء ينزله جل جلاله من سمائه كلامه
ينزله من عنده كلامه تعالى ينزله من لدنه ثم يصرفه تصريفا فيتبين لذلك وتفطن
وفقنا الله واياك لما يرضيه سبحانه جل جلاله ولد الحذاخفي الصنعة في المصنوع وحجب
القدرة بالمقدور ولكن المكنون في الكتاب واغمض كثر العامة بين المحكم والمتشابه
فما من معنى ولا معلم في الجملة الا وفي الجزء نظيره وان خفي لصغره وبطن لخفائه وما الجزء
شيء ولا وجود معنى الا هو حق دال على حمله هو له وجود كامل في الآخرة ذلك لانها في الجملة

مقارن ما في الجزء وان تفاوت ما بينهما لعظمه فبعد على بادي الراي فخفي على ذلك
تمييزه وتعذرت معرفة مقارنته كذلك ما في المتشابه سر الا له في المحكم اصل يدل
عليه ونظير يشير اليه وان خفي موضعه واستترت اشارته وتفصيل هذه الجمل يطول
وشرحها يكثر ومن بلغ هذا القدر لن يعسر عليه ان شاء الله استعراض ذلك ايمانا ثم تعليما
ليجعل الحاضر مرآته والشاهد امامه والغايب موضع عبرته والمقصود بالبيان مطلوبه
وربما خفي المطلوب في الحاضر وظهرت مثالاته في الغايب لظهوره اكثر المكان فيما هنالك
وخفائها ههنا لاجل دقتها فعلى هذا فليجعل الغايب امامه وشاهده وموضع عبرته
ليتصل له معرفة الاشباه والامثال هذا وغايبا وخشية موافقة الابتداء والا
والخوف من ان يضطرب سلوك سبيل الاعتبار حال لخفائها الى عبارة سوهمها من الخطر
ويبطن بالمعنى المعبر عنه من اجل ذلك ما لبس لما قد يغلب على ظن كثير منا من ذي
كاذب لا سيما عند الفطن المجرب فلذلك منع من اساته في ثبتا وذم مقصا به في زمام
وبالله نستعين على ما يرضيه واياه نستجير من مناهيه **فصل** ان قال قايل
الايمان بالغيب معهود كشهادتنا ان الله حق وان الملائكة حق والنبيين حق والساعة
حق ونحو هذا من الشهادة فان ذلك موجود حاضر وان لم هو الان معدوم
وسيكون في المستقبل واما ما ذكره فنوع اخر ينكره المشاهدة ولا يكاد العقل يستقر
على حال الاقرار به فالجواب ان ذلك كذلك لكن ما ذكرته من الغيب فهو اول محال الايمان
بالغيب وهو المنصوص عليه من مطالبة المكلفين بالايمان وكما ان للغيب ظاهرا بالاضافة اليه
كذلك له باطنا وان عقله لا يقضي بان للفعل فاعلا وللصنعة صانعا وان خالق
الارض والسموات وجاعل النور والظلمات احق ان يتبع ويبتغى مرضاته ويطاع امره
لعقل غير صحيح وكذلك التفريق بين العادة وخرقها والمعهود من المعهود من المعجزات وكذلك
الاستدلال بقوى الحيوان والنبات وافاعيل ما يحدث في الارض والسموات على انصاحكم
في طريق العبرة الى وجود الملائكة والجن وغير ذلك من الامور الغائبة وكذلك الاخبار
ببعض الاحوال وحدوث الاحكام عند على الغيا وما يكون اخبارا عنها وفيها ثم ادرج القرآن
العزيز غيوبا هي من وراء ذلك وكشف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي احوال البرزخ والاخرة
احوال الالمحول عليها بجدها واحدها على سبيل الجزاء نعيما وعذابا واكراما واهانة ولا يكون
ذلك مؤثرا الا بحس وعلم ووجد لما نجده من ذلك ولا يكون ذلك الا بحيوة موجودة
انه ذلك النوم والرؤيا واليقظة وما عسى ان يبعث حالته اليقظان حال اليقظة وما
نحن من التفاوت بين الحالتين ولو وقف الايمان على الاعتبار بمجرد المشاهدة لقد مت
صفة الايمان بالغيب الا ترى ان النائم تراه شاهده مضطجعا حاصلا في موضعه لا يبصر ولا يسمع
ولا يعقل ولا يطعم ولا يشرب لا هو في حال من معها ولا يحزن ولا يالم ولا يلذ وهو في
حاله تلك ربما اجتمعت له هذه الاحوال كلها على حال يخالف ما يشاهده نحن منه وكذلك
حال موته مشاهدتنا نحن له انه ميت في حال البلى والهمود وتقطع الاعضاء وامتزاجها
بالتراب وكونها طعما لما شاء الله وهو عند اهل الآخرة على اختلاف ذلك ينعم او يعذب

ويرا ويحزن ويقوم ويقعد ولا يجادل عن نفسه لانا نحن لا نرى هذه الاحوال من الآخرة
في هذه الحيوة اليوم وانما نرى حيوة كحيوة الملائكة عليهم السلام واهل الآخرة ومن تلك
الحيوة اعطى الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والصديقون حظوظا
اراده الله جل ذكره بها فرأوا ذلك ايمانا ومكاشفة وربما شاهدوه انما هما وصفان ثابتان فينا
على الموصوف فيظهر هذا عند خفاء هذا ويخفى هذا عند ظهور هذا وتلك دار حيوة وصفات
تدرك فيها وبها الوصفان معا فانهم وقد اخبر بذلك الصادق الحق جل جلاله الذي تملك
السمع والابصار والافئدة واوصاف الحيوة وكل شيء عنده بمقدار فيعطي من يشاء ما شاء
تفضلا ويمنع من يشاء ما شاء ابتلاء هذه درجة اولى من الغيب امنا بها ثم انظر في هذا الذي على
ذلك الغيب والحث على ذلك المطلوب في ذلك الدال عليه بكونه غيبا في غيب ما لا اضافة الينا وهذا
موجود في كل سبيل فاعلم ذلك واعمل عليه يفتح الله وهو الفتاح العليم الآتي على قول
عز وجل الله نور السموات والارض الى قوله جل وعز يوقد من شجرة مباركة زيتونة ولم
مثل نوره العلي جل ذكره وما وجد فيه وانبسط عليه شجرة الزيتون ثم بسطها ما ذاك
الا ليبعث جل جلاله على التفكر في خلق السموات والارض وما بينهما المنبسط فيه الكون
وايضا فانها دهنا يعالج بعمل ويستخرج بتعب كذلك معاني النبوة والوحي لا ترى
نوره الا بعمل الذكر ويرداد الفكر ثم قال جل قوله ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون
في الامثال وفيما له ضرب امثالا ويستخرج المراد بها كما قال جل قوله في موضع اخر ويضرب
الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون وقال ايضا هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه
شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع اشارة منه جل جلاله الى انه يغذينا بنشأته عنه والى
يغذينا بالبان الانعام ولحومها وعلفنا عنها ونتنعم ثم قال عز من قائل ينبت
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات يعلمنا جل جلاله انه يخلقنا
مما ينبت الارض وانه اخرج من الارض حبا واجرى عيونا وشق انهارا من الماء المنزل
من السماء بعض موجود الجنة فيما علا وانه اخرج من الماء المنزل ما هنالك مشبها
كما انزله عنه بالماء يكون عن الانسان فيخلق عنه انسانا ومن الانعام كذلك ومن الدواب
وجميع ما يتناسل جعل الله جل ذكره ذلك لها اية على وجود الجنة من حيث يتولد الماء الذي
ما عند نبك وعدد في ذلك نعمه علينا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وفي ذلك ايضا تنبيه
على [illegible] س حيا ما هيهنا وزرعه وما تقوم به الدار كذلك الجنة في الآخرة لها
الفلاحون هنا الغارسون هاهنا والمتعاهدون والعامرون لها والقيمون على حراستها
بالنظر منها بتوابع ما يصلحها فكذلك هناك عين ذا الفلاحين فيما هنالك هم
العابدون الله الشاكرون له الحامدون الذاكرون له والغارسون هم الملائكة عليهم السلام
يعملون باذن الله تعالى لمن يعمل بطاعة الله وكما ان ما ينبت من الماء هيهنا منه ما يكون ابتداء خلقا
وانباتا بديا ومنها ما يكون عن غرس واكتساب وعمل فكذلك في الجنة منه ما يكون مخلوقا
مبتدأ ومنه ما هو مخلوق عن اكتساب العباد بالطاعة لله عز وجل والتسبيح والتحميد والذكر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله غرست له نخلة في الجنة ومن قال الحمد لله

فكذلك ومن قال الله اكبر فكذلك ومن قال لا اله الا الله فكذلك وقال من صلى اثنتي
عشرة ركعة في اليوم والليلة من غير الفريضة بنى له قصر في الجنة ومن بنى لله بيتا في الدنيا
او قال مسجدا بنى الله له مثله في الجنة ومصداق ذلك من القرآن العزيز قوله عز وجل
جزاء بما كنتم تعملون كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية وقوله جل
وعز نزلا بما كانوا يعملون وكما ان الذي في الدنيا من ذلك على الاغلب عن اكتساب
العباد بالغراس والسقي والعمارة والتعاهد هو افضل لاجتماع ابتداء الخلقة فيه والاكتساب
وكذلك موجودات الجنة التي يكون منها جزاء الاعمال العباد ارفع في الدرجات وافضل
وجودا لاجتماع الخلقتين فيه جزاء موعودا به وهي ايضا بما لها من باطن كالزيتون يستصبح
به فيكون منه نور يستضاء به كذلك المستخرج من العلم في الوحي وما جاءت به النبوة له نور
في باطن العالم به هو اثقب من نور السراج وافضل عائدة واكرم هداية وكذلك ايضا
للتمور والزرع والاعناب باطن يستخرج منها كما قال جل من قائل ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فالواجب ان كل ظاهر من الموجودات له باطن يستخرج فيه يظهره
الله جل ذكره اذا شاء كالحيوة في الموت والموت في الحيوة والليل في النهار والنهار في الليل
وهي به بما هي وجميع ما بسطه الله جل ذكره من الماء وما خلقه من دابة في السموات والارض
سائرة في سنن خلقها على شرعة هي مفطورة عليها لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها على
ارسال الله تعالى الرسل عليهم السلام وشرعة الشرائع كل قد علم صلوته وتسبيحه وما من دابة
في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم **فصل** في الاعتبار بما بث من دابة
قال الله جل وعز في سورة البقرة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة ولما اذ كان كل دابة خلقها جل جلاله من الماء قارن
بينهما في الذكر وقال عز قوله في غير هذا الموضع ان في السموات والارض لايات للمؤمنين
وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون وقال جل من قائل ومن اياته خلق السموات
والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وقال عز من قائل ومن اياته
خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين فوصف
جل جلاله التدبر بما بث منهما من دابة باليقين اذا احسن العبرة وسلك على سواء قصد النظر
والتذكر كما وصف جل وعز الناظر في الماء وفيما يفصله الينا اذا احسن العبرة ووفقه للنظر
بالعقل عنه **فصل** قال الله عز من قائل وما بث فيهما من دابة يعني السموات والارض فاقتضى
هذا الخطاب انه بث في السموات ايضا دواب نص على انه بثهن في السماء كما نص على بثهن في الارض
والملائكة في السموات على جميعهم صلوات الله وسلامه وهم موصوفون بالطيران
قال الله جل من قائل جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة وهم ايضا عليهم السلام مشاة
قال الله جل وعز قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين المعنى فيمكن ان يكون عنى
بقوله جل قوله وما بث فيهما من دابة الانس والملائكة عليهم السلام وجميع دواب الارض
والجن وغير ذلك وقد جاء ذكر البراق وجاء ايضا ان الملائكة عليهم السلام كانوا

يوم بدر على خيل وكذلك في غزوة حنين قال انس رضي الله عنه لقد رايت الغبار ساطعا
في سكة بني غنم من موكب جبريل عليه السلام وكما في السموات خيل فليس يبعيد وجود غير الخيل
بها من الدواب واذا كان يوم القيمة وبدلت السموات والارض جنانا فهو وجود الدواب
فيما هنالك وما ذلك اليوم او بعضه ببعيد وقد ذكر ذلك الصادق جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه فهو لا محالة حق وما خلق الله عز وجل في الارض نوعا ما هو الخير الاخلق مثله
في السماء التي هي ادنى الينا ثم على التضعيف الى اعلاهن سماء غير ان الذي في الارض من ذكر
نفس وزوجها منها ثم بث منهما ما شاء من النسل قال الله عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم
جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي انزلها جل جلاله في الماء ينزل من السماء
ويا خره من النظر قد يمكن ان يكون معنى انزاله اياها لانها بنا من توحشها منها وتخيرها لنا
ومع هذا فانه اذا كان في الماء كل شيء محتويا فانزلهن من السماء انزلهن واذا ارسل جل جلاله
الرياح باجره وانزل الماء من السماء باذنه الى الارض فخلق عز وجل منه ما شاء من طائر ودابة
وكل شيء حي فكل ذلك موصوف بانه مثبوت في السماء ولذلك قال جل قوله على اثر ذلك وهو على جمعهم
اذا يشاء قدير يجمعها ما يصاعد في الاجواء وما دب في الارض وكذلك قال جل قوله وما انتم
بمعجزين في الارض ولا في السماء وانما كان محتويا كل شيء في السماء بواسطة الماء فحكم جميع الانعام
حكم جميع الجنات التي اخرجها بالماء ينزل من السماء الى الارض لما كان نماء الاجنات ومصالح بارت
لان يكون كذلك كالشبه بالاباء والامهات وربما يحس في الخاطر ما يكون في الارض من موجودات المؤذيات
والحيات والخشاش ولا يوصف بانه من الجنة ولا يكون فيها فالجواب هو في معنى قول الله جل
من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا المعنى الحاجز
فانما كان الزبد في الماء باذى واجه بالارض وبما في الجو من الحر والبرد الموجود عن نفس النار
اعاذنا الله الرحيم برحمته منها فاذا كان يوم القيمة خلص الله جل ذكره الطيب من الخبيث ثم جعل
هذا في الجنة وهذا في الجنة وهذا في النار وهذا كله ايات مبينات عن الوجود العلى اذ العدم
ظلمة وجهل والوجود نور وعلم نص الله على ذلك بقوله الحق عز قوله الله نور السموات والارض
ثم وجود القوى في الجماد والنبات ايات على وجود الملائكة على جميعهم السلام ووجود الجن ثم وجود
العلوم والعقول والاحلام والافكار دون الحيوة على انواعها واتباعها بجميع صفاتها ومعانيها
كلها ايات مبينات عن وجود اسمائه الحسنى وصفاته العلى بعد تحصيل العقد بان ليس كمثله شيء وردت تشمل
النفس معنى قوله الحق له المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز المنيع وصفه عن سوء الحكيم
احكم كل شيء واودع الدلالة عليه وحمله اعباء الشهادة له بما هو اهله فكل شيء في السموات والارض
يسبحه بعلائه وبعظمته عن سفالة نفسه وحقارتها وهو معنى قوله الحق جل قوله وان من شيء الا يسبح
بحمده وهو ايضا عبرة الى ان في النار لاهل النار امطارا يمطرونها وصواعق يصعقون بها
قال الله عز وجل يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فباي الاء ربكما تكذبان
وقال جل قوله انها ترمي بشرر كالقصر كانه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين وقال جل
وعز في المطر يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود [illegible]
دون ذلك ولاكن يكبتهم وفيه ايضا من العبرة الى ان في الجنة ضد ذلك من كل ما نسب

الى الرحمة ويعرف بها لذلك قال جل قوله وهو ايضا اية على ان النبوة من الحق
المخلوق به السموات والارض وما بينهما وان الرسالة حق وفي ذلك وكذلك سنن
الانبياء وشرايع المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين حق من ذلك الحق الذي
تقدم ذكره قال الله جل وعز وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء وهو ايضا عبرة بما فيها من تصاعد الجهلة من نبات الى حيوان الى انس الى
جان الى ولي الى نبي الى ملك هذا ابين بيان واثبته على ان صانعها يصعد اليه
التوحيد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه كما صعد من بعاضها الجمل كلها الا الى الله
ترجع الامور فالكمال اليه علوا والكثرة الى الوحدة صائرة وكذلك كثرة الصفات
في الموصوف بها وتغاير الاسماء للمسمى بها غير موجد ذلك كثرة في الموصوف المسمى انه
ذلك ان احدنا متكثر الجملة من حيث هو جسم مركب من اعداد اجزاء ومن حيث هو جملة
بها ظهرت ذاته فهو واحد ويكون احدنا متكثرا بالصفات والاسماء والكنى والالقاب
والموصوف المسمى واحد من حيث هو هذا فمن يجوز عليه الكثرة فكيف بمن يستحيل عليه وصفها
وهو المبدع المنزه عنها وكذلك الاعتبار في كل امة التفاضل فيها موجود الى ان يصعد بفاضلها
الى التوحد ساواه او يقارب ذلك فهذا دليل على الاصطفاء والاختصاص بالولاية
والنبوة والرسالة زائدا الى ما فيه من الدلالة على الوحدانية الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير **فصل** في الاعتبار بما اظهره الله جل ذكره
في الانسان من نشاته الى انقضاء مدته خلق الله جل جلاله ادم وذريته بعقدته الى
ما شاء في سابق علمه فبثهم اولا في سبع قال الله جل وعز ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وقد تقدم كيف الاعتبار من سبع الدنيا الى السبع
العلى وان بين كل سماءين من الطرائق التي هي مجاري الامر العلي ضعفي ما بين السماءين
الذين تحتها فتلك سبع في سبع ثم خلقه من سبع هواء وماء ونار ثم ريح ثم ارض ثم نبات
ثم هو فيما هو الغذاء كالبان الانعام ولحومها قال الله جل وعز جعل لكم من انفسكم
ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ثم من سلالة من ماء مهين ثم نقله
في الخلقة من السلالة في سبع قال الله عز وجل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الى قوله تعالى ثم انشاناه
خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم هو يتقلب في التدبير من حيث التعبد في سبع قال
الله عز وجل قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى قوله جل قوله اولئك هم
الوارثون ونظيرتها في سورة المعارج ثم بعد ذلك يصير الى سبع موت ثم يحيى ثم يسال
مسا او يفتن ثم يجزى بخير او شر ثم يروح ذلك عليه بكرة وعشية ثم تحي الحيوة الاخرة
حيوة الاجسام ثم يبعث قال الله عز وجل ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم اضرب جل ذكره
عن ذكر ما في حال الموت وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال انكم يوم القيمة تبعثون
بعد ذلك ثم يقضى بعد الى سبع بعث ثم حشر ثم عرض ثم حساب ثم سوال ثم ميزان
ثم اجازة على الصراط ثم دار القرار **فصل** قال الله جل ذكره اولم يتفكروا في انفسهم

وقال جل قوله وفي انفسكم افلا تبصرون وقال تعالى وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات
لقوم يوقنون وقال جل قوله وتعالى علاؤه وشانه ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر سبحانه جل جلاله وله الحمد احسن تقديره واتقن تركيبه وقسم
اجزاءه ورتب اعضاءه واحكم تدبيره فابدع تصويره وصنعه بشرا وشق له سمعا وبصرا
وجعل له يدين ورجلين وظهرا وركبتين وبطنا وجنبين ولسانا وشفتين ثم هداه
النجدين وهذه كلها اعضاء مرتبة لضرب والمنافع لا غناء له عنها ولا حيوة له الا بها وهي
كلها من سمات الافتقار والحدث اذ القديم جل جلاله ليس يفتقر اليها ولا الى شيء غيرها
والمنافع والمضار لا يجوز عليه من حيث هي صفات فقر وعجز كذلك هيا له الالات لحقيق الغذاء
الذي يكون به حيوته وبقاؤه وجعل جل جلاله لغذائه بلطيف حكمته وعلى قدرته
مولج ومسالك ومنافذ ومحابس ومخارج ثم نفخ فيه الروح والزمه الحركة والسكون
وجعل الرحم مسكنه والبطن منزله بحيث يواري عن كل حيلة وخفي عن الظنون مطبقا عليه في
مضايق الامعاء وظلم الاحشاء مغشى الوجه لبيبا فقل كيف خفي على ما هو فيه من ضيق المحل
الذي يولد ذلك المعدد وحرة لعاجله الهلاك قبل الاستقرار فيه انه جعلها جل وعز على الحيوة
في المعبر اذ مدة الكون في البطن برزخ بين الموت الاول وبين وجوده هذه الحيوة بل اوصل
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه اليه في مضايق الاحشاء حظه من الغذاء وحفظه من الافات
وحماه من العاهات بحيث لا يصل اليه رفق الاباء والامهات ليتم جل وعز فيه مراده وينفذ
فيه حكمه وعلمه ثم نقله من ضيق ذلك المحل وضيق ذلك المنزل الى دار المحنة ومحل البلاء
والفتنة ولما افضى اليه بكى فقيل ما الذي عليه بكا والى ارحب مما كان فيه افضى كلاما يكى
حتى يلقاه قبل المبره فيا لذي وتلك اية على وجود الابتلاء الذي اوجد له والمحنة التي
اعدت له ومقدمة معرفة بما هو صائر اليه قبل ينفخ في الصور ويبعث من في القبور

لما يوذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها لاوسع مما كان فيه وارغد

ثم تلطف لما جاع بتدعى الرضاع فم بال في اجاد حلمة الثدي مصا للبا امه فلا غنا
وسكن في جسمه سكنت حرارة جوعه فسكن فقل ليت شعري كيف اهتدى لمص ثدي امه
وهو لا يرى ولا يسمع ولا يعقل ولا يعلم ولا يعي ولا يفهم ومن اين علم ان هناك ما
يغذوه وانه بالمص يستخرجه وبالاساغة لديه يتم غذاؤه وبه يهدا جوعه ولم تجر سابقة من ذلك
قبل فلا تاخذ فقدره هداه الى ماله قدره وهذه اية على تثبيت الله جل وعز الذين امنوا
يوم القيمة في عرصة الحشر اذ لا اختيار لاحد ولا دراية بتدبيره بل الامر كله لله عز وجل يقول
الله جل من قائل يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ويضل الله الظالمين فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه بما فطرهم عليه
من الاسلام واضل الظالمين عن ذلك وفي الاعلان لا اداي في ذلك للعقل واذا كان فالراي
والمكتسب في ذلك وغيره الله جل ذكره كلا ما هنالك بتعيين ولا يعلم بهداه الا
خالقه ومصوره ومربيه ومدبره وحافظه سيحيوته ونموه وبلوغه الى منازل رزقه

والقم

واتمام اجله كما هداه جل جلاله الى الفطرة واضله عن هدايته لبلغه الى اتمام كلمته وتمام
ما سبق له في علمه من شقاوة او سعادة لا لاجل هداية تكون منه ثم هو لا يزال ينتقل في مراتب نشاته
مستقلة كما نعرب الى اجله مرحلة مرحلة حتى يبلغ به مداه وركب فيه العقل وصحة التمييز
وحسن التدبير ومعرفة العلل وعلم مخارج الكلام وما كثير من الامور ثم دفعه في درجات
ذلك حتى امتاز على سائر المخلوق وسخر له اصناف العالم ليتصرف في منافعه ومصالحه
التي بها قوامه وتلك اية الله تعالى انه سخر له ان اهتدى موجودات الاخرة فاعبر وفقنا الله
واياك من مقامك هذا موطئ قدميك وملمح بصرك وموضع مشاهدتك كيف مكن
الخالق الرازق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لجميع اصناف العالم رزقه وسخرها له
فالارض قراره ومسكنه ومما ينبت من النبات والشجر والحيوان معاشه ومعاده ما يغتذي به
ويستخرجه ويتصرف في منافعه من الانعام والحيوان ومن الانهار والعيون شربه وشرابها
ثم اوضح بذلك على ماله ان اهتدى اتمام النعمة عليه بتسخير ما هنالك له كما قال عز من قائل
لهم فيها منافع ومشارب وبالضد انه لم يهتد ثم الارض وما تضمنته متصلة الازمنة ولا
متصلة بالفلك والفلك متصل به فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها والازمنة
من اجل ذلك مختلفة بالحر والبرد الكائنين عن نفس جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها فسبحان الله وله الحمد ما اعجب تقديره واتقن تدبيره وامضى قهره وابطن سر تسخيره
اياها واعجب هذا وهي لعباد الله اعدى عدو وجعل هذين النفسين منها ابدا متعاقبين
متصرفين في اقبالها وادبارها لمصالح العباد والبلاد مع ما تحفظ من رحمته وعدله كما قام
احد النفسين وعدى اذى اعقب عليه عاقبه بواسطة فتح رحمته وتلك اية منه على الحق
الواجب كونه في الدار الاخرة التي عبر عنه قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى
فيها وتقول هل من مزيد ويلقى اهلها امتلات وتقول هل من مزيد حتى يضع الرحمن فيها قدمه
فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط ولولا تعاقب تبديد النفسين وتصرفهما عما هما
وسخرها له ما طلعت ثمرة ولا نبتت شجرة ولفسدت البلاد وهلكت العباد فتحا والحمد لله
وجعل عيشهم فيما كان يكون به هلاكهم والازمنة متصلة بالرياح الهابة في افاق الارض
على حكمته المتقنة في تدبيره الكريم فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها [illegible]
في مصالح العباد والرياح مقسمة على الطبايع الاربع والطبايع عبارة عن حدود جعلها
الله جل ذكره لنشيء الفيحين حال ارتكاضهما في ذينك البحرين فخذ لهذا الذي يكون باردا ويابسا
ولهذا الذي يجيء حارا ويابسا وقد ان يكون الماء المنزل عن فتح رحمته باردا رطبا
علت به رحمته على غضبه بارد رطب اليابس برد الحار ثم فضل خلقه عن ذلك الماء [illegible]
فيما خلقه عنه وعن الارض بواسطة ذينك الفيحين نشا الاباء والامهات والانعام والحيوان
في الابدان وفي اللذات والحلاوات والمرارات والمنافع والمضار وجميع [illegible]
كلها باوزان موزونة وحدود محدودة ولطبيع منها الاوصاف المذمومة فالرياح
اول لهذا التنزيل قال الله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح مبشرات وبشرا بين يدي
رحمته وهي اللواقح ايضا فتلقح الاجواء ماء ويبشر به السحاب على ما في الاجواء [illegible]

منها حارة تلقح الاجسام وتنضج الثمار ومنها باردة تبرد الانفاس وتشد ما حلته
الحرارة ومنها رطبة ترطب ما ايبس الحر والبرد ومنها يابسة تشد ما ترطب فلا تفرط بتنشيفها
للرطوبات الزائدة والرياح متصلة بالرحمة بواسطة المشية العالية قال الله جل قوله
وتعالى علاؤه وجده وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي متصلة بالسحاب
قال الله عز وجل حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به
من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى ومثله كثير والسحاب متصلة بالماء والماء متصل بالفتح
من عنده جل جلاله بالرحمة منه والسحاب مسخر بين السماء والارض يجمع الرياح منها ما تفرق
ويفرق منها ما انطبق وترحها سوقا فتحملها الى البلدان البعيدة وتصرفها باذن
باعثها جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه اليها ومرسلها بحكمة جاعلها ورحمة جاعلها
فترى الودق يخرج من خلالها وبالامطار التي يكون عن الفتح من منزلها حيوة العباد
والبلاد والامطار متصلة بالازمنة التي ان تاخرت عنها هلك العباد واقفرت البلاد
والازمنة ايضا متصلة بالشمس وبحركة الافلاك وبالقمر اذ سلطان الصيف والنهار للشمس
وسلطان القمر لليل والشتاء والشمس والقمر متصلان بدوران الافلاك والفلك متصل بالسماء
من علو ثم ينفتح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها من سفل صنعة عجيبة ظاهرة وحكمة
بليغة زاهرة واية بينة واضحة ودلالة قائمة لائحة خصمت الباب المبطلين ودحضت
حجج المعطلين ورفعت شكوك الجاحدين واثارت بصائر المستبصرين في الله رب العالمين
وفي الحق المخلوق به السموات والارض وبالدار الاخرة جنتها ونارها سعيرها وزمهريرها
ووعدها ووعيدها على تفصيل ذلك كله انه الحق من ربك فلا تكونن من الممترين **فصل**
قد تبين بحمد الله وعونه ان خالق الانسان وما به قوامه في السماء والارض وما بينهما هو الله
رب العالمين وحده لا شريك له وانما به قوام الانسان من ارض وسماء وافلاك وشمس وقمر
وهواء وليل ونهار وما يختلفان به وما يتقلبان به ايات مبينات على اسمائه الحسنى وصفاته
العلى ومما يزيد في ذلك ابقانا ان شاء الله عليك بان الله جل جلاله لم خلق الانسان مضطرا
الى الارض ولا يمكنه الاستقرار الا عليها لتعذر استقراره لم يكن بخلقه مضطرا الى الارض
وهي في ملك غيره يمنعه منها ويدفعه عنها وكذلك خالق الانسان هو خالق النبات والشجر
والحبوب والثمار ولولا ذلك لم يخلق الانسان مهيا للغذاء الذي لا يحيى الا به
وليس في ملكه ما يغذوه وغيره من الحيوان ولولا جعل ذلك لكان غير موفق بالحكمة
وكذلك خالق الانسان خالق الجبال والعيون والانهار والبحار لانه لولا الجبال
لمادت الارض بمن عليها ميد السفينة باهلها فلم يمكن لذلك الاستقرار عليها ولولا الانهار
والعيون والينابيع لمات الحيوان عطشا ولولا البحار لما كان للانهار موضع تنصب اليه
ويجتمع فيه ولو كان ذلك كذلك لغرقت الارض ومن عليها وفسد جميع ما فيها
لو ارتدعت الانهار لاجل انسداد تلقائها فيمنعها من الجري الى مغيضها الغرق لذلك
معروش الارض ولا ضر عبا كبها ولولا ان خالق البحر يمسكه ويردعه عن الارض لفاض
عليها ولاغرق جميع ما فيها ولم يكن لجنس الانسان طريق عليه يسعه ولا ملك يجري

في

فيه لولا ان خالق الكل يكفه ويمسكه ويسخره لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله
فتشكروا النعم وتتذكروا اياديه ومننه وكذلك خالق الانسان والارض وما فيها هو خالق
السماء والافلاك والشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح والازمنة والدنيا والاخرة
لان الارض وما فيها لا تقوم الا بالسماء وما اتصل بها من جميع ما ذكرناه وكثير مما لم يذكره
اكتفاء بما ذكرناه فلو كان خالق السماء غير خالق الارض وما فيها والارض وما فيها لا تقوم
الا بالسماء وما اتصل بها لم يخلق خالق الارض ومن فيها وما اتصل بها من حيوان ونبات
محتاجا لذلك كله الى السماء وما اتصل بها وهي في ملك غيره يمنعه منها ويستبد بها دونه فكانت
الارض تهلك ومن فيها وكل شيء مما تقدم ذكره يهلك على سبيله لانه جل وعلا قد افقر الوجودات
علوها وسفلها بعضها الى بعض واحوج بعضها الى بعض وهو الغني الحميد فوضح بهذا اذا
الى ما تقدم من البرهان الواضح ان خالق الارض وما فيها من بشر ونبات وحيوان وما اتصل
بذلك كله من شمس وقمر ونجوم وسحاب ورياح وازمنة وفتح رحمة وغير ذلك وما غاب وما بطن
وما تقدم وجوده او تاخر وما كان دليلا على شيء او مدلولا عليه فيما علا من ذلك كله وما سفل
مما دق او جل كل معتبر على ما تقدم من الاعتبار مالك ذلك كله ومدبره ومالكه الحق الذي
لا اله الا هو الاحد الصمد رب الدنيا والاخرة الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
ومن تمام العبرة وكما ليس في العالم شيء يقوم بنفسه ويستغني عن غيره وكذلك ليس في الانسان
عضو يقوم بنفسه ويستغني عن غيره من الاعضاء وذلك ان الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
لما خلق الانسان مضطرا الى الغذاء الذي لا يقوم حياته الا به وضمن العالم القيام بما فيه
ومنافعه من الغذاء وغيره فكذلك هيا للانسان الالات وقوى مسخرة لاقتضاء ذلك الغذاء
عند الحاجة اليه واذا اقتضى ذلك اضطر الى التماسه مظانه واحتاج فيه الى نفسه وغيره فاذا
وجده فلم الية على الكفاية له عن المؤنة بل هو مضطر فيه الى مؤنة ما لا يصلح ماكولا الا بها فاذا
حصل له ذلك هيا له الخالق المهيات جل وعلا النفس على استعمال الجارحة بطحنه الذي يتناوله
سفل ثم سفله باحداهما الى فيه فاذا حصل له هنالك توكلت به الالات المهيات لطحنه وتلطيفه
وترقيقه فاذا لطف دفعته الالات الموكلة لدفعه الى المري فاذا حصل فيه دفعه المري الى المعدة
المهياه لقبوله فاذا حصل فيها الصمت عليه تعلق الذي في اسفلها الذي يقال له البواب
سمي ذلك لانقياده مرة وانغلاقه اخرى فلم يخرج منه شيء حتى يتم نضجه وهضمه بالالات والقوى
المهياه لذلك فاذا نضج وصار شبيها بالعصيدة التي يتغيا نفوذها في المسالك انفتح المنفذ
فنفذ ما فيها الى المعى المتصل بها بجل المعدة ثم نفذ منه الى سائر الامعاء المستديرة ثم تجذب الكبد
الغذاء بقوتها وقوى مركبة موصوفة لتوصل الكبد الى الامعاء كثيرة ويندفع الثفل الى الالات المهياة
ليقبل ذلك وامساكه في مجاويف منه وفي المعا المستقيم مدة طويلة حتى يستخرج جميع جوهره
باستقصاء فيجذبه الكبد اليها في اوراد عروق موصولة بها فاحصل في ذلك الصفو في الكبد
طبخته حتى يستحيل دما الا انه دم يتولد معه فضلتان كما يتولد في كل يوم ما ينضج
ويطبخ احدى الفضلتين كدرى الزيت العكر والاخرى كالرغوة وسبق الباري جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه المرارة والطحال لتصفية الدم من تينك الفضلتين فيجعل سبحانه

ولا الجمد للمرارة عمقا يجذب الفضلة الاخرى التي يكون عنها السوداء وبقي في الكبد الدم الا انه
فيه بعد فضلة مائية وطبوبة تخرجه عن حد ما يوافق كون اللحم عنه ليصير في الغائط والمثانة
الى تلك الصورة التي يقال لها اللحم وما كان في الكبد منه صافيا من الاخلاط التي تفسده
تقبلته العروق المتشعبة وتقسمه بمقدار اشعابها بالحصص على مقاديرها ثم ارسلت الى
عروق اخر مرتبة لتقبل ذلك منها عروق متشعبة في النواحي المجاورة اكثر ثم ارسلتم
العروق الى عروق اخر اصغر منها تتشعب في كل ناحية من نواحي الجسم ثم ترسله
ايضا تلك الى اصغر منها واد ق حتى ان منها ما هو في دقة الشعر فلا يزال العروق
المتشعبة في اعضاء الجسم ومفاصله تقسم هذا الدم بالحصص وترسله في نواحي
الجسم حتى يعمر به جميعه فيكون له غذاء وقواما يرسخ في العظام والمحاح ويتصل
بالعصب والبشر والشعر فلا يبقى من الجسم موضع شعرة الا وقد وصلت اليه حصته
من ذلك الدم الذي به نموه وبقاؤه بقدرة خالقه ولطف باريه ومنته وتبقى
من الثفل الذي به تخرج منه جميع ما فيه من الغذاء فتعد الالات الموكلة بدفعه شيئا
شيئا حتى يخرج في غير الهيئة التي دخل فيها في المعدة بقدرة خالقه ولطيف حكمته
وكذلك ما يبقى في الكل من الفضلة المائية طبخته وصيرته بولا ودفعته الى المثانة
واحكمت نضجه ثم ابرزته في الالات المهيأة لابراز البول في وقت الحاجة اليه
تقدير العزيز العليم **فصل** واذا عكست هذا الترتيب بالنظر وعطفت اخره
على اوله وجدت الاخر منه مفتقرا محتاجا الى الاول كما افتقر الاول الى الاخر بشمل
الامعاء جميعه بيان ذلك ان اصناف العالم والمراد بالعالم جميع ما خلق الله جل جلاله
مسخرة للقيام برزق الانسان ومنافعه على ما وضح قبل هذا فاذا عكسنا هذا الترتيب
اخره على اوله كما تقدم لنا من الاعتبار وجدنا عروق الانسان الرقاق التي تاخذ
عن الذي فوقها محتاجة الى التي تحتها لتاخذ عنها ما الزمت ارساله اليها لانها كذلك
سخرت والى القيام بذلك جعلت كما احتاجت الى فوقها لتسلمه اليها ثم كذلك تحتاج
العروق التي تاخذ عن الكبد ما تسلمه اليها لتسلمه الى ما يليها محتاجة الى الكبد لياخذها
عنها كما يحتاج الكبد اليها لتورده عليها ثم كذلك القول في الكبد والمعدة والمري
والفم والاداة التي المنهضمة اليها المهيئة لها كما ان اصناف العالم المسخرة
للقيام برزقه فان الاسفل من ذلك محتاج الى الذي فوقه لياخذ عنه كما احتاج
ما فوق الى ما تحته ليسلمه اليه والذي تحت هذا محتاج اليه لياخذ عنه ما لم ياخذه كما يحتاج
الذي فوقه اليه ليسلم اليه ما امره به وجعل الله تسليمه هكذا فالارض مسخرة لتضم
وانباته والسماء لسقيه والماء لغذوه والريح لتلقيحه وتعديل رطوبته والشمس
لتقويته وتصليبه وكذلك القول في سائر اصناف العالم في تعلق بعضها ببعض
وانتظام بعضها ببعض واتصال بعضها ببعض وافتقار بعضها الى بعض وتعلق
ذلك بالحاجة الى الانسان التي ضمنت القيام برزقه كالقول في هذا سواء فيفهم هذا تجده
ان شاء الله تعالى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **فصل** ثم اعتبر حاجة الانسان بعضهم الى بعض

في غير الغذاء ايضا تجد الجسم محتاجا بعضه الى بعض بيان ذلك القلب محتاج الى البدن
لانه كالحامل له به يبقى وبه يقوم والبدن محتاج الى القلب لانه كالالة به يظهر فعله ويصح
ثم كذلك الجسم يحتاج كله الى كله كل واحد من اعضاء المنافع مفتقر الى الالات التي لها الافعال
العجيبة كالعصب الذي يحركه والمفاصل التي يتهيا له بها القبض والبسط والتقلب في النهوض
والقيام والقعود وكالمعدة والكبد والطحال والمرارة والمثانة والرئة وسائر اعضاء
المنافع والالات ثم جميع اعضاء الالات المنافع محتاجة الى الجسم والجسم محتاج اليها والكل
بعضها الى بعض لاشتراكها في قيام بعضها ببعض فقد تبين والحمد لله رب العالمين بهذا
حاجة الانسان بعضه الى بعض في غير اسباب الغذاء كحاجة الانسان بعضه الى بعض في اسباب
الغذاء وهو في الانعكاس والانعطاف بعضه على بعض في الاحتياج والافتقار كالذي
فوقه ثم الجسم محتاج الى الارض والى السماء والى الهواء الذي لباسه في ظاهره وباطنه و
جميع اصناف العالم كما بينا قبل والارض والسماء والعالم وسائر اصنافه محتاجة الى الانسان
على ما تقدم بعض هذه الاصناف محتاجة بعضها الى بعض وهذا قد تقدم ذكره وقد تبين
بما ذكرناه ووضح بما استدللنا ان العالم كله له بعضها لبعض ليس منه شيء يقوم بنفسه
بل حاجة الافتقار تعمه وتشمله من مقدار الصوابة والبعوضة والخردلة والذرة فما دونها
وما فوقها الى مبلغ حدوده علوا وسفلا واقصى نهاياته من ظاهره وباطنه في كل زمان
وعلى كل حال وفي ذلك ابين بيان ان كل ما لا يقوم بنفسه وهو مضطر الى غيره كيف يقدر
على شيء من ذات نفسه بل وجود الضرورة الى ان لهذا العالم الذي شمل جميعه الافتقار
وعمه الاحتياج وضغطه القهر صانعا لا يشبهه ولا يفتقر الى شيء منه وهو الغني
الحميد رب العالمين وقد كان فيما تقدم من النظر في جملة المخلوقات وانها كرجل قائم بيطي
الى ربه عامدا اليه فان العظمة ما شرف بك اللب على هذه المشاهدة لكنا ذهبنا
لبعض التفصيل ليتبين الدليل ويستقيم السبيل هذا شفاء من الحيرة وزيادة في الايمان
والايقان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **فصل** في العبرة بتصريف الرياح
قال الله جل ثناؤه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا
سقناه الى بلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم
تذكرون الى قوله لعلكم تشكرون وقال الله جل قوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله اصل الرياح اربع
من اربع نواحي ثم بين كل ريحين ريح وهي التي يقال لها النكباء ثم بين كل ريحين ايضا
ريح الى ان يعم محيطها ويشمل مهابها دائرة فلكها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الريح
من روح الرحمن وفي اخرى من نفس الرحمن وامر الله جل جلاله يصاحبها وينصر الله بها
من يشاء ويهلك من يشاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور والعقيم التي تعقم من رحمة الله عز وجل ومنهن مبشرات قال الله جل
من قائل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي تبشر السحاب اي تبعثه بان
الله تعالى ونظره واللواقح ما قد ساد الله جل جلاله ان يخلق بهن في الهواء سحابا وما قد يكون

لقاحها ظاهرا بان يخرج من البحر فيمتلي ماء حكما وغيبا فلا يجري على موضع من الجو
الا خلق الله عنها السحاب واحال عنها الماء في السحاب فلا يزال ينتشر وينبسط والهواء
يماع ويتجمع اليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نشات بحرية ثم تشاءمت فتلك
عين غديقة حدث صلى الله عليه وسلم عن معهد من معاهد رحمة الله عز وجل وعادة اجراها
عز وجل من فتوحاته وتهاويل البحار ابدا لاختراق الرياح عليها وتحركها فيها فيكون
العصف من داخله ومن خارجه وحينئذ ياتي الموج من كل مكان فالروح اول للروح
والروح اول للهواء والهواء بما فيه من الروح والامر بمشية الله جل ذكره اول للموج والموج
اول للماء في الهواء والماء اول لسائر موجودات الدنيا عنه وجود كل حي وكل نبات وشجر
وحيوان وغير ذلك يقول الله جل من قائل وان من شيء الا عندنا خزائنه ثم قال جل قوله
وما ننزله الا بقدر معلوم ثم قال جل وعز وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء
فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين **فصل** ما من ريح الا معها امر من الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه والا وهي مرسلة بامر ما فقد يكون ذلك من الامر المعهود فلا يكون النفوس
تنكره وقد يكون من النادر في البشارة والنذارة لكن الامر له اجل معلوم يظهره الله تعالى
فيه كنزول الماء من السماء والكائن عنه هو لاجال مكتوبة قريبة او بعيدة لان الله لما نزل
الله جل وعز فاولها يظهره الله عنه ان تشرب ذلك الماء وتغتسل به وتروى الارض
بعد يبسها ثم ما يظهره عن ذلك من نبات لامد قريب كما قال جل قوله وتعالى علاؤه
وجده فتصبح الارض مخضرة ثم ما يكون عن ذلك من جنات وثمر وكنز الى اجل ابعد
من ذلك ثم ما علمه جل جلاله عنه من حيوان وانعام واناسي الى اجل هو ابعد من ذلك جدا
ثم ما يكون عن ذلك للحيوان والاناسي من اعمال واثار والى غير ذلك الى اجل ابعد يقول
الله جل من قائل في الماء ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا
فصل قال الله عز وجل ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي بالغيث ثم عطف
جل وعز بالواو في قوله جل قوله وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من
فضله ولعلكم تشكرون فالرياح متصلة بالفتح من عند الله جل وعز من رحمته وهي متصلة
بحبسه وابتلائه وما يكون عن فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها يقول الله جل من قائل
ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقال جل قوله ريح فيها صر اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وقال جل قوله ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار الى قوله جل قوله فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك
يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اي فيما يفسد الاعمال الموجهة الى الله عز وجل
من رياء او عجب او اذى او غير ذلك ولعلكم تتفكرون في منبعث الاعصار والصواعق والعقيم
في الرياح وغيرها من اوانها يعقبها اية على هبوبها في دار البوار كان الريح التي ارسلت
على عاد فاهلكتهم انما ارسل منها على مثل حلقة الخاتم وخرج يومئذ عظمها التسعر
بها جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها فيدخل بعضها في بعض فتمزق لحومهم وتشقق
جلودهم دون مانع يمنعهم منها ولا كن يكنهم ولا ناصر ينصرهم نعوذ بالله العظيم

من عذابه وعقابه كما ان ما ينسب منها الى الرحمة ههنا اية على رياح الرحمة في دار
القرار وجنة الخلد يهب فيها بامر الله ورحمته فتثير المسك وتاتيهم بما يشاؤونه وتاتي
السحاب فيقول لاولياء ما تشاؤون فيمطرهم فيكون عن ذلك امانيهم دون زمان مؤجل
ولا امر مترقب لحلول اية ذلك ما يكون عن الماء ينزله عز وجل من السماء فيكون عنه كل نبات وشجر
وجنات وثمر كل شيء من ولدان وشباب وجواري ورجال ونساء وخيل وانعام الى
غير ذلك من خيرات الدنيا كل ذلك الى اجاله واياته فيتنشو دون زمان ولا اجل مؤجل
وهي ايضا اعني السحاب والرياح اية على ان الله عز وجل يمسك السموات والارض للجملة كذلك
قال عز من قائل والسحاب المسخر بين السماء والارض كما تصبح الارض بعد نزول الماء من السماء
وهي ضاحكة وقد تبين فيها المزيد فعلى تلك النسبة يكون للجنة عقب الجزاء وهبوب رياح
الرحمة فيها وبالضد في جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها في اثار امطار الحميم والغسلين
والغساق وهبوب الرياح العقيم فيها قال الله عز وجل يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في
بطونهم والجلود الى اخر المعنى حيث وقع ومن عجيب اقتدار الله تعالى بالرياح والهواء انه جل
ذكره قد خلق الارض والسموات وقدر فيها اقواتها واوحى في كل سماء امرها بتنفيذ جميع ما شاء من
عن الماء والرياح والهواء في الارض ويخلق ما شاء خلقه ثم يجعل من كينونات هشيما ما شاء و
جناته حطاما ومن حيوانها امواتا ويسلط جل وعز الشمس فتجذب رطوبات ذلك كله فتصعد
ذلك منه باذن الله تبارك وتعالى وتحمله الرياح في اجواء الهواء فتذروه وتنسفه فتعيده الله
هواء كما كان اول مرة فيكون مختزنا ذلك كله في الهواء ثم الى امثالها يرسل الله جل جلاله
الرياح مبشرات الغيث وبشرا بين يدي رحمته فينزل الماء من السماء بمثلها هكذا منذ خلق السموات
والارض الى يوم الانقراض يصعد منها نباتا وحيوانا تحمل النسيم والادواح في منازلها
ويحلها محالها ويمزج معاني الاجسام في الارض والسماء رطوبات ثم اهواء معدات في خزائنه
فاذا كان يوم القيمة واراد ربك جل جلاله اعادة كل شيء كان ليكون كما ولا امر كل شيء اخذ
من شيء ان يرده فيرجع ما ذهب منه اولا على طريقه الذي ذهب منه على اختلاف ذلك وامتزاجه
فيما هو كلمح البصر او هو اقرب كما قال عز من قائل ان الله على كل شيء قدير يقول عز من قائل
لما حوته في الارض من رفات اجسامهم وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا الى قوله
عز قوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء يعني اليوم لو نظرتم بحقيقة النظر
لرايتم ذلك ثم قال جل قوله والذين كفروا بايات الله اي التي تدل وتنبي اليوم عما هو كائن
يومئذ ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم **قوله** عز وجل ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله لما دل جل جلاله على نفسه وبين الهيته واستشهد
على وحدانيته بما نصب على ذلك من المعالم والايات البينات رجع الخطاب الى معنى قوله يا ايها
الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الى قوله جل قوله فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون وهم على ذلك من علمهم بانه لا اله له يجعلونها ويحبونها كحبهم لله جل ذكره
جعلهم لها وحبهم لها شيء لا تحقيق له وانما هو امر ظنوه وحدثوا انفسهم به وزين لهم
الشيطان عملهم ذلك فالزموا قلوبهم ذكره حتى الفوه وعلوا عليه وورث الخلف السلف على ذلك

فضلوا وهم يعلمون اعرب الله جل ذكره عن حالهم هذه بقوله الحق جل جلاله وما
يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون يعلمهم
المستقر في قلوبهم هو انهم ليسوا شركاء ولا انداد ولكنهم يتبعونهم ضلالة وتخرصا كما
زعموا انهم يشفعون ويقربونهم الى الله زلفى كذبا لزعمهم سبحانه وله الحمد زعموا عنه وكذبوا
عليه حال غيبتهم ولما واجههم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالرسول عليه السلام والكتاب
وكذب زعمهم وابطل ظنهم لجوا في باطلهم واصروا على ضلالهم والله خالق كل شيء وهو
الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار **فصل** الضلال كله
عن اصل واحد وانما هو شبه تشبه بها على ما هو منه ضلال الا ترى انه من عصى الله من الموحدين
المستمسكين بالله والرسول والكتاب منقطع الحجة مقرا بالخلاف لربه معترفا بالضلال عن رشده
ليتفضل الله جل ذكره امره المقدور وكلماته الصادقة فهو جل جلاله قهر الذوات واستاقها
غائبة عن مرادها فاسال الله تعالى العفو والعافية والتوبة والعصمة المحيطة وان ياخذ باعنتنا [?]
من معاصيه اليه انه لا حول ولا قوة لعباده الا به ثم تجمل جل جلاله نصف اجتماع علمهم واقرار [?]
الحقيقة عندهم وشدة ندمهم على سوء اختيارهم لاحوالهم تلك عند تبرء الانداد منهم ورجوع
كل حق الى حقيقته يوم القيمة وعند نزول الموت بهم يتحقق علمهم بان القوة لله جميعا وان الله
شديد العذاب هنالك يحل بهم الندامة على ترك الاجابة واهمال الانفس والركون الى غير الحق
في الامر فيتحقق بهم الحسرات وماذاك منافعهم فانتظم قوله جل قوله ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا بما تقدم ذكره من معنى وان بعدهما انتظم الى ما جاوره من الخطاب
قوله عز قوله ان في خلق السموات والارض الى اخر الاية انما فيه التعجب لقوم يعقلون ولاولي
الالباب اي اعجبوا لهؤلاء على عظيم ما اريناهم من الايات واظهرنا لهم من البينات على
ثبوت الوحدانية ومن الشواهد على تحقيق ذلك بما في انفسهم وفي سواهم فاتخذوا من دون
الله اندادا وهم يعلمون انه لا ند له ولا شريك له في خلق السموات والارض ولا في خلق انفسهم
فما اعجب شان هؤلاء وما اعظم افتراهم يحذر جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه المؤمنين
من الركون الى المعاصي والاقامة على الخطايا فان هذا الشان منهم اظهر والحجة الزم اذ علمهم
احضر واقرارهم اظهر واقرب ولاجل حقيقة هذا الاقتدار منه لم يكلف احدا
الا وسعه وقد جعل في وسعه التوبة مما كان والاعتراف بالذنب ومن تكليف ما لا يطاق
ان يقدره جل جلاله على عبده بعمل فلا يكون ذلك العبد وانما موضع التكليف صدق
الاستجابة وصيانة الذوات عن مواطن الهلكات وكف النفوس عن شهواتها والاخذ منها لها
واستشعار ذلك حتى يمحو الله خطاياه واعماله المقدرة عليه بكتوء فيبدلها حسنات
بان يوفقه لمحاربة والعمل عوضا ثم كذلك حتى يكون له ذلك ديدنا وعادة فان الله
جل وعز يمحو ما يشاء ويثبت وقد احصى كل هذا علم الله بعا ولذلك قال وقوله الحق
وعنده ام الكتاب فمن وقع لم يكلفه الا يكون ما قد كان بل انما كلف جل جلاله صدق التوبة
وحقيقتها الندم والعزم من ذاته على ترك العود متى وقع وكذلك ايضا حتى يكون الشيطان مستشعرا
هو الخسير اسع ذلك ما هو في معنى ما تقدم ذكره من التحفظ والتحرز من مواطن الهلكة و

عزيمة الصبر **قوله** جل قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وانتظم ايضا في الدعاء لهم من حال كفرهم اذ هو
كثير الاثم قوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم المعنى
كله الى ذكر الانداد ومتخذيها كما تقدم والتحرز من الشيطان الذي اخرج ادم عليه السلام
من الجنة بعد ان كان فيها وما اصاب بني اسرائيل في سبتهم مع التوصية بالاخذ للنفس بالوثوق
وهو الاستجابة لله والرسول والكتاب والتحذير من التقليد لمن سد الهوى واتبع الهدى كما
يقول جل قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون اي وان كانوا على غير هدى يتبعونهم **قوله** عز وجل ومثل
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون
انتظم هذا المثل المضروب بذلك المثل المضروب في صدر السورة من تشبيههم بالفراش
والدواب التي تقع في نار المستوقد تهافتا في الهلاك جهلا وطيشا شبههم جل جلاله هنا
بالغنم ينعق بها راعيها ولا يعقل من نعقه سوى انها تسمع صوتا لا تفهم وفي غير هذا
الموضع حطهم درجة عن فهم الانعام اذ الانعام قد الهمت نداء راعيها وزجره فهي على
الاغلب تنزجر وترجع وان كان قد وصفها جل جلاله بانها لا تعقل لذلك وصفهم
بالصمم والبكم والعمى وانهم لا يعقلون والفراش لم يلهم ذلك وانما عندها التصميم دون
ازدجار فاخبر جل وعلا عن اولئك الممثل بالفراش انهم لا يرجعون من اعراضهم في
استحقاق اسم الضلال الذي وصفهم به لان الانعام ليست موصوفة بالعقل وهم مع
ذلك ينزجرون ولا ينفعون بصفاتهم **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا الله الى قوله جل قوله غفور رحيم اباح جل جلاله لجميع الناس ان
ياكلوا مما في الارض وضمنه لهم بشريطة العبادة لله والاخلاص له والايمان لقوله عز
قوله واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وجميع الناس في الارض بمنزلة ابيهم ادم صلى
الله عليه وسلم خلقه الله جل جلاله وادخله الجنة وزوجه وقال لهما كلا رغدا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة وموضع النهي لهم على الاجمال هو ان لا يطيعوا الشيطان ويتبعوا
خطواته وخاطب جل وعز المؤمنين بانه كلوا من طيبات ما رزقهم وان يشكروا الله
ربهم فان كان هذا الخطاب لجملة المؤمنين فهو محمول على ان جملتهم خليفة ابيهم ادم صلى الله
عليه وسلم في الارض وبقي عليهم فيما بينهم خصوصية ملك الاملاك واقام الاربعة المنصوص
عليها بالتحريم على جملة المؤمنين مقام تحريم شجرة في الجنة وعلل جل ذكره تحريم لحم
الخنزير بانه رجس ونص على الخمر بانها رجس وكذلك على الانصاب والازلام ونص
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحمر الاهلية بانها رجس فحيث ما كان الرجس فمحرم سوى
ما حازته الاملاك بوجه صحيح فهو محرم على غير المالك لا بطيب نفس مالكه ثم قد فتح
الاضطرار اباحته على وجه ما **قوله** عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا الى قوله فما اصبرهم على النار انتظم ذكر الكتمان ما تقدم من ذكره
جل ذكره في قوله تعالى يا بني اسرائيل الى قوله ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي

ثمنا قليلا واياى فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون
ثم استانف جل جلاله بعد قصص بنى اسرائيل وفى اثناء ذلك يخاطب المؤمنين وامرهم
باوامر ونهى عن مناهى ثم ثنى على ما تقدم من ذكر الكتمان فقال جل قوله ان الذين يكتمون
ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله
ويلعنهم اللاعنون ثم ذكر جل ذكره توبة من كتم ولبس الحق بالباطل فشرط فيها
الاصلاح لما افسده والبيان لما كتمه والاقلاع وترك العودة بمقتضى لفظ التوبة
ثم قال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فجمع بهذا العموم كفر الاعتقاد والترك وكفر
الكتمان وغيره ثم اقام جل جلاله الدلالة على ما اخبر به من تحقيق الوحدانية واثبات
الالهية سوابغ ذلك وقد تقدم فيما مضى ثم ثنى جل جلاله على ذلك ههنا ذكر الكتمان
تعظيما لشانه وتشديدا عنه يعرض فى ذلك كله لعتب المؤمنين بما اصابوا اولئك فى نبوتهم
وكتابهم تاديبا منه لهم فغفرهم وتعليما لسواهم وهو الرؤف الرحيم **فصل** قوله
عز من قائل اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قيل معناه ويلعنهم الملائكة عليهم السلام
والمؤمنون وقيل يلعنهم كل شىء وهو لا وجه اذ كل ما اوجده الله جل ذكره شاهد له
دال عليه لا يعرف الكتمان ولا ما هو من شانه بل جميع الموجودات تشهد عند من استشهدها
ويرشد من استرشدها وتؤدى شهاداتها عند الباب المعتبرين وقلوب المتفكرين قد كشفت
الكتمان واظهرت النصيحة والبيان فمن كتم الحق عن طالبه لعنه كل من ليس من شانه الكتمان
واقل ما فى ذلك انه تباعدت صفته من صفاتها كما بعدت من صفة الحق المبين ويعلمكم
الله والله بكل شىء عليم هذا الى المعهود من ان كل ما رضى الله عنه رضى عنه كل شىء وبالضد
واحوال الناس مختلفة فى اللعن عن الموجودات والفهم عنها اما الكفار فهم عمى بكم صم
اموات غير احياء ان بعثوا من موتهم ذلك بالكينة لهم والنصيحة لا يشعرون ايان يبعثون
واهل الغفلة من عموم المؤمنين كالعمى عن هذا البيان والبكم عن النطق به والصم عن سماع
الا القليل كانوا ينادون من مكان بعيد لكنهم ان بعثوا من نومهم ذلك اوشك ان ينتبهوا
ويشعروا وربما استيقظوا ولم يشعروا الما او قطوا او شعروا وهم على قدر حياتهم فالموجودات
فى حق هؤلاء بكم وهم فى غيبة عن حضرتها ومشاهدتها والعباد من المؤمنين المعتبرين
لهم كالرجل المبصر من وراء غمامة وهم مع ذلك صم عن سماعها لكنهم على ذلك يلقون بعض
بعض معارفها ويلقنون بعض مراداتها بمعانى تسبق الى افهامهم واشارات يومى بها الله
ذواتهم شبيهة بالغرس والتوسم وهم متفاوتون فى فهم اشاراتها وتلقى معارفها
على مقادير افهامهم وصفاء بواطنهم واقبالهم على استرشاد الموجودات يتفاضلون فى حظوظهم
تلك كما يتفاضل المخاطبون للابكم والشديد الخرس لكثرة تانسهم بمذاهبه ومعرفتهم
بمواقع اشارته واما اهل العبرة من الصديقين والاولياء فكالرجل الموصوف بالسمع
والبصر وهى فى بواديها ومواطن حضرتها الكنه كالذى فى بصره حفش وفى سمعه طرش
هذه حالهم المستصحبة لهم وقد يبكى الله جل ذكره لهم من اعلامها وحقائق شهاداتها واوقع
هو احسن تسبيحاتها وليس ذلك عن وعد وعدوا به ولا تحد وتعرض لذلك ثم يرجعون

من انفسهم

من انفسهم الى احوالهم المصاحبة لهم من خفش وطرش وهم على درجات ومقامات
فى حقه ذلك ووفره وكشفه عنهم ومتفاوتون فى صفاء احوالهم على مقادير منازلهم
ومحالهم فى مقاماتهم فى الصديقية والولاية وذلك الحكمة من الله جل جلاله فى
اوليائه ونبيهم على صدق ومحادثة يحدثون بها وتكاليم يكلمون فى سرائرهم ونفث ينفث
فى روعهم واما اهل النبوة المحبورة والوحى الممنوع من سواهم فكالسميع المتكلم
المبصر وهم ايضا على ذلك يتفاوتون قال الله جل جلاله ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض فلقد كلمتهم الكبريا واسمعوا خطابها وناطقهم الخرس وتبينوا تسبيحها
وتشابهم الحق حتى كلم بعضهم العلى الاعلى فكلم الله موسى تكليما وقال جل قوله منهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات وارفعهم درجة فى تكلم جل ثناؤه وتعالى علاؤه وشانه
موسى عليه السلام وبالجملة فلا يعتمدن المعتمد فى تكليم الموجودات على الاصوات وتعرف اللغات
انما هو كلام يلقى سامعه فهمه لانه مراد به حسب ما فهم **قوله** عز وجل اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار لما علموا قدر ما باعوه من دينهم وما
اخذوا باشترائهم عوضا مما باعوه لزم وجود الصفقة فى الشراء والبيع والهدى شرط
بالهدى الذى هداهم الله برسوله عليه السلام وبكتابه وبفرقانه الضلالة وهو كفرهم وكتمانهم
ما ورثوه عن انبيائهم ولبسهم الحق بالباطل فكانوا بذلك مشترين العذاب بالمغفرة
فصل قوله عز وجل فما اصبرهم على النار قد يعبر بلفظ الصبر عن الجراءة حكاية
عن العرب فعلى هذا يكون معنى قوله جل قوله فما اصبرهم على النار ما اجراهم عليها فى الدنيا وهو
معنى قائم بنفسه صادق تاويله وان كان فيه تجنيس وحقيقة وجود الصبر هو بين
امرين مثال ذلك ان يهم العبد بشىء من هواه ليس لله يرضى فيعزم نفسه عليه بالانفاذ
وشهوته تزعجه وعدوه يزينه والفضل من الشياطين نوره وايمانه يابى ذلك عليه و
الله فى قلبه يزجره فيتردد بين هذين فهو يحبس نفسه ويسطها عن الانفاذ فيثبت على
المحمود فى ذلك فهذا معنى الصبر ومنه قيل الصبر انما هو امساك المقتول عن التفلت والفرار
من القتل فحالة الكفار التى ابدلها من مراد هلكه هو الهرب والنجاة هو لعبر عنه بالصبر فاهل
النار واعاذنا الله الرحيم برحمته منها ليس لهم عليها صبر ولو جعل الله لهم عليها صبرا
لكان ذلك بهم رحمة ومعونة لهم على ما هم بسبيله وكان يحمل عنهم صدق الصبر الكثير من
الالم بل قد استوى فى حقهم الجزع والصبر وخرج بهم الامر الى خالص الجزع حتى قالوا سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وانما ذلك والله اعلم ان الله خلقهم خلقا يحملون
عذاب النار الا ترى ان احدا لو جعل فى نار الدنيا على ما هى عليه فى الضعف بالاضافة الى تلك
ما بقى فيها الا ريثما يلجها وسعرا واكلا له واعداما دون زمان واهل النار اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها فى النار قد كتب عليهم البقاء فيها فهى تحللهم ظاهرا وباطنا كما يحلل
زبر الحديد ههنا حتى يكون نارا بل احر من النار فهو ابدا تلتهب عليه الكهف منها فيتوقد كما قال
عز من قائل وقودها الناس والحجارة بمقدار ما تقتضيه النار منه شيئا يخلف الله جل جلاله
منه مثله كما تقدم فى النظر فى اجسام اهل الدنيا ما يحل منها الهواء يخلفه الله جل ذكره

بالغذاء والصور باقية والاجسام دائمة ولا بد من ان يؤبد في النار اعاذنا الله الكريم
برحمته منها بقدرة الله على سنته تلك فيهم عقدا دعد لمحصل عند الله جل وعز مورد
فنحن لذلك نضج جلودهم وصهرهما بطونهم لعظايم ترد عليهم فتجدد ذلك منهم
فقوله عز قوله فما اصبرهم على النار اى في النار يوم القيمة بقاء على حرها وشدة
شانها وهم دائمون على ذلك بمعنى ما تقدم هذا معناه والله اعلم نعوذ بالله العظيم من احوال
اهل النار في النار والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقد يمكن ان يكون المعنى في قوله عز قوله
فما اصبرهم على النار زائدا الى ما تقدم من ذكره التعجب من صبرهم على نار جهنم اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها والتعجب ايضا من قدرة الله جل وعز على احالة هذه الحقايق في
حقه يشير الى ذلك قوله عز وجل ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى بالواجب وجوده الحقيقى
كونه لا محالة كما يقال الله حق والملائكة حق والساعة حق والجنة حق والنار حق الى اخر
الشهادات ما وجد العبد للصبر مكابدة من نفسه فهو التصبر وانما الصبر الحق الا يجد في نفسه
جزعا ولا في طعم مرارة ولا كراهة فيكون الصبر هنا يقرب من معنى الذهول عن حال الغير بما
هو فيه فعلى هذا يكون ما اصبرهم على النار وقد قال الله جل قوله اولئك ما ياكلون في بطونهم
الا النار فما اصبرهم على النار والله جل جلاله الحق يقول وهو يهدى السبيل لذلك اعقب
بقوله الحق ذلك اشارة الى حالهم تلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى بالحق الكائن الموجود
في الدار الاخرة من صبرهم على النار وبقائهم عليها فكما انهم في الدنيا ياكلون النار و
يذهلون عن مذاقها والاحساس بها كذلك في الاخرة لهم صبر عليها يتعجب منه هو بقاء
فيها وابقاء على ذلك قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
البر من امن بالله الى قوله عز قوله والصابرين في الباساء والضراء وحين الباس اولئك
الذين صدقوا واولئك هم المتقون والباساء الشدائد قال الله تعالى فاخذناهم بالباساء
والضراء لعلهم يتضرعون والباس شدة في القتال قال تعالى ستدعون الى قوم اولى
باس شديد وقال باسهم بينهم شديد وحين الباس شدة القتال معنى هذا الخطاب
منتظم بما تقدم من ذكر تحويل القبلة وانكار يهود لذلك يقول جل قوله وهو اعلم ليس البر
ان تولوا وجوهكم ههنا او ههنا انما البر طاعة الله جل جلاله في الاخذ والترك
والايتمار له في جميع ما يامر به وحمل النفوس على ما يكرهه في ذلك وقد يكون مع هذا خطابا
يخاطب جل جلاله المؤمنين يقول جل جلاله قوله ليس البر كل البر الصلوة الى الكعبة دون
بيت المقدس دون اقامة الصلوة على حقيقة الامر فيها والمعنى المراد بها دون اقامة
ما سواها من الطاعات واجتناب المعاصى وانما البر من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة
واتى الزكوة والوفاء بالعهود والصبر في المواطن كلها بشرط الايمان على وجوبه وايتاء
المال على حبه وتوجيهه في وجوهه واقام الصلوة وايتاء الزكوة والوفاء بالعهود
الى غاية ما اشترط ومن وفى على ذلك فهو الصادق المتقى قوله تعالى اولئك ما ياكلون
في بطونهم الا النار ذكر بعض المفسرين في ذلك انه على المال ولهذا نظير قوله تعالى
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ومثله

قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين
ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقوله اولئك الذين كفروا
بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار يعنى في الدنيا عن الايمان
وفي الاخرة العذاب وقوله جل قوله صم بكم عمى وقوله اموات غير احياء وقوله او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات وقوله جل قوله ان
الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين ثم قال جل قوله وما هم عنها بغائبين
يعنى اليوم او الايمان او ما يعبر عنه من معناه وقوله جل قوله يستعجلونك بالعذاب
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعنى اليوم في حالهم هذه وقد تقدم ذكر العذاب المستقبل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر
في بطنه نار جهنم هذا كله حق اخبرنا الله جل جلاله بصدق قيله وعلى كلمه وكريم شاهده
انهم ما ياكلون في بطونهم الا النار وانهم ليسوا بغائبين عن جهنم وانها محيطة بالكافرين و
الذى يشرب في انية الذهب انما يجرجر في بطنه نار جهنم وليس هذا باعجب مما اخبرنا به عن الشهداء
في سبيله بانهم احياء يرزقون فرحين مستبشرين بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وبانهم قد وجدوا
ربا رحيما كريما مكرما ونهانا جل وعز ان نقول فيهم اموات وقد كانت المشاهدة من هولاء
الشهداء عين الذى ورد به الخبر افترى انه يترك صدق قيله جل جلاله لمشاهدة لا تدرك
باطنها وانما المشاهد منهم اعضاء مقطعة وعظام نخرة وهو على الحقيقة ينعم ويفرح وياكل
ويشرب ويلذ ويرى ويعلم ويسمع ويبصر انما يوجد حقيقة ما اخبر الله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم بغير هذه الحيوة كالشهيد انما وجد حيوته تلك بحيوة الاخرة الا ترى
العالم المؤمن الموقن لما اعطى من تلك الحيوة حظا حصل له من العلم والمعرفة لما نريد بيانه ما اسهر
ليله وانحل جسمه ونحشم لاجله صعود العقاب وحال بينه وبين الاهل والوطن والاولاد
وربما قضى عليه وحده فعله ومن انزل حياته هذه بالاضافة الى تلك منزلة ما وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم اراح قلبه وصدق ربه قوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وبهذه العلة لم ينتبه لهذه الحقيقة ولا تيقظنا لها ولا شعرنا بخفيها ذلك منا بموت
مخامر خامر صفاتنا في حياتنا هذه كالحيوة التى نروم العبارة عنها والبيان لها المخامرة
لذلك الموت المشاهد الشديد فما هنالك وربما علم احدنا بها وشعر لها ولكنه في
وجودها كالمسحور والنائم الماخوذ عن الشئ بعد الطعم في الماكولات بخلاف المشاهد منه وهذا
موجود في العالم الصادق في اليقين بحظ يجد موجودات الاخرة ويصدق الوعد والوعيد ايضا
ويلزم قلبه ويعجز جوارحه عن العمل ويكع نفسه عن التقدم الى الاخذ بالاوثق فهو يتلاوم
ويبكى على نفسه ويشكو الى ربه والى اخوانه ويحزن ذلك لانه لم يبلغ الحيوة التى عزم بها
غيره واعطى الجهد من نفسه وحد الجد كله فالحق المعتقد في هذا ان كل ما يجده الطاعم
من هذه المطعومات والمشروبات والاحوال التى تقدم ذكرها ماء باردا ومطعما لذيذا او
شفا به سلوا عن الاخذ منه بالجزم لما خلق الله له من الادراك واحدا عن وجود حقيقة
ما هو حقيقة وان كنا نجده على غير ذلك في حقنا في اليقظة الموت الموجود فينا وانما يضعف

احدنا منها فى الدار الاخرة وانقضت علينا ههنا لينا لكل نصيبه من الكتاب و اول
ما نجد حقائق هذه المطاعم والمشارب وغير ذلك من الحقائق حال الموت وبعده فى دار
البرزخ وهو موجود عن اسمه المصور جل جلاله يصور ما شاء كيف شاء فى ذوق الذائق
ورؤية الرائى وعلم العالم كما نرى ذلك فى هذه الدار اول مرة **قوله** تعالى يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الآية
هذه الاية من الاى المدعى فيها النسخ وليس كذلك وسنة القصاص جارية على ما انزلها
الله جل ذكره فى التوراة والانجيل كما ذكر فى سورة المائدة وكتبنا عليهم فيها ان النفس
بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص
فمن تصدق به فهو كفارة له انزل الله جل ذكره القرآن على هذا الحكم لذلك قال عز من قائل
وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وانما جاءك
القصاص فى هذه الاية المذكورة اولا لان قوما من العرب كانوا اعزة غالبين فكانت سنتهم
ان القبيلة الذليلة اذا قتلت من القبيلة العزيزة عبدا كان حكمهم فى القصاص ان يقتل من قبيلة
الذليلة حر وان قتلت انثى كان المقتول منها ذكرا فانزل الله حكمه بالعدل الا يقتل الا قاتله
الحر بالحر ان قتل عبد بالعبد وكذلك يؤخذ بالعبد قاتله جناية او قودا والانثى قاتلها
ذكرا كان او انثى ثم نص بعد هذا على الرخصة فى اخذ الدية وحض المتقاضى على الاتباع
بالمعروف والغادم على الاداء بالاحسان **قوله** عز وجل ولكم فى القصاص حيوة يا اولى الالباب
احد وجهى الخطاب معناه وهو الاظهر داده لتشديد الزجر واحراز حرمة الدماء بقتل
القاتل من كان والاخر هو الحق وهو الاظهر فى الاخر **قوله** لعلكم تتقون اية القصاص
من الانفس وتلك سنة اولى الالباب فمن كانت ذنوبه بكثرة الضحك تقاص منها بكثرة البكاء
ومن سهر فى البطالة فليسهر فى العبادة والاجتهاد ومن كانت ذنوبه جماحا عليه كثرة الاكل والشرب
والتمتع بذلك فعليه بالصيام ليذهب بجانب على ذلك ومن كانت ذنوبه بكتمان علم فليبين عن الله
عز وجل ذكره وليصلح ما افسد بالباس الحق بالباطل وما صنع من تبليغ الحلم ومن
كانت ذنوبه بنكاح حرام فليلزم نفسه من نكاح الحلال لتقابل كل ضرب من الذنوب بما يناسبه
ويصلح من الطاعات وليستعن على ذلك بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين فبين
هذا المعنى وبه خاطب من كان قبلنا وهو قتل الكفس وذبحها بالعبادة ومنعها عن شهوتها
قوله عز قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين
الى اخر المعنى الخير ههنا هو المال والمكلف هو ان يوصى العبد اذا حضره الموت او خاف ذلك
لوالديه او لاقاربه بان ينفذوا وصيته ويمضوا عهده وارادته بذلك بعد وفاته لذلك
اقرب للراحة وتوصيتهم بالمعروف فى ذلك وبتقوى الله ولزوم الطريقة المثلى لذلك الاب
والاقارب احق بالصلوة عليهم للمعهود من نصيحتهم ورغبتهم فى ادخال السرور عليه
بعد الموت وكذا يوصى والديه وبنيه وذويه بالمعروف فى القول والعمل والصبر على طاعة الله
عز وجل ونحو هذا ويكون هذا مستنطا بقوله جل ذكره واوصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب
يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقوله عز وجل والعصر

ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر
وهو كثير فى القرآن العزيز وبذلك استمسك زكريا عليه السلام لما منع الكلام واوحى الى قومه
حين خرج عليهم ان سبحوا بكرة وعشيا كذلك قال حقا على المتقين وليس فى الاية نسخ لشئ
من القرآن وانما كان المسلمون فى اول الهجرة اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم لغربتهم عن اوطانهم
فاخى بين المهاجرين والانصار وكانوا يتوارثون بذلك حتى تدارك الناس واستحكم الامر
ونزلت اية المواريث ونزل قول الحق عز قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث يعنى اهل
المواريث قد اعطاهم الله من المواريث محالهم وبين الاقارب واولوا الارحام فلا توصوا
الوارث بوصية فيعطونه من المال فوق حقه المفروض له بميراثه النبى اعطاه الله عز وجل
وسنا فمن كانت له وصية يتقرب بها فليوص الى ابويه واقاربه بتنفيذ وصيته وامضاء
عهده من بعده وليامرهم فى ذلك بالمعروف وينهاهم عن المنكر فذلك حق على المتقين **قوله**
تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون الى اخر المعنى اعلم الله
جل ذكره عباده انه كتب الصيام عليهم صياما مجملا لا يدرى من لفظ الصيام ما هو وقدره
الا ما قال الله كما كتب على الذين من قبلكم فتوجه على المسلمين ان تصوموا صياما من كان
قبلهم فكانوا يصومون ويفطرون قبل غروب الشمس كصيام اهل الكتاب اهل الكتاب
منهم فبين الله جل جلاله هذا المجمل بقوله ثم اتموا الصيام الى الليل وكانوا يصومون
فاذا نظروا فرفع احدهم يده عن الطعام او نام لم يرجع اليه الى مثلها فاصر ذلك بهم
او ببعضهم فبين ذلك الله جل جلاله بقوله عز وجل وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وكانوا لا ياتون النساء ولا يجامعون فى ليالى
الصيام وكانوا مع ذلك يتهافتون فيه ويحرجهم ذلك فبين الله جل ذكره ذلك بقوله
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم
كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله
لكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ورد المدينة وجد يهود يصومون يوم
عاشوراء ويصومون صبيانهم وصغارهم فبين الله جل جلاله ذلك المراد بقوله
جل قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وكان ذلك من فعلهم اقتداء بصوم اهل الكتاب
حتى انزل الله جل جلاله هذه الاية فنسخ عنهم بعض احكام صيام اهل الكتاب وليس
القرآن فى هذا كله شئ منسوخ وقال عز قوله فيه اياما معدودات وهذا لفظ مجمل يحتاج الى
بيان فجاء بيانه فى اثناء الاية **قوله** جل قوله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن الى قوله جل قوله
فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال عز قوله فى صدر الخطاب اياما معدودات فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر وهذا خطاب لا يتهيأ امتثاله لجهلنا بعدة الايام كم هى وانما
قال جل قوله اياما معدودات فلما قال شهر رمضان الذى علم انه هو الايام المعدودات وانه
من شهد الشهر فعليه صيامه ومن كان مريضا او على سفر فعليه ان يصوم عدة ما افطر
من ايام اخر غير وفى الخطاب وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين فوجب على المريض

والمسافر عدة ايام اخر وبقي على المطيقين وهم الحامل اذا خافت على ما في بطنها افطرت
واطعمت وان كانت هي مطيقة للصوم وكذلك المرضع اذا خافت على رضيعها افطرت
واطعمت واما الهرمى والزمنى الذين لا ترجى صحتهم فهم يطعمون ولا يكلفون صوما
لعذرهم الدائم بهم وفيه فمن تطوع خيرا من اطعام مسكين او صياما نافلة فهو خير له
اي من ان لا يفعل وان تصوموا حث منه على الصيام التطوع خير لكم ان كنتم تعلمون اعرض
بحسن عائدة الصوم وجميل معنته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ساله عملا يلزمه
عليك بالصوم فانه لا مثل له قال فكان لا يرى في داره دخان نهارا الا اذا نزل به ضيف
يقول الله عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فسهل عليكم الصوم لاجل ذلك فيكونوا
صائمين على يسر منحناكموه كالذين كانوا من قبلكم على العسر الذي كفيناكموه ثم عطف
على الواو في قوله جل قوله ولتكملوا العدة ولتكبروا الله يعرض جل جلاله وهو علم
بما بلغه الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله رمضان الى رمضان كفارة لما بينهما وقوله
عليه السلام ان لله في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار وذكر عددا نسيته قال فاذا كان ليلة
القدر رجع تضعيف ما اعتقه فيما تقدم فاذا كان اخر ليلة من رمضان اعتق فيها بعدد من
اعتقه في جميع ليالي شهر رمضان فقال عز من قائل ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
في شهر رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة وصلوة العصر ودين الاسلام والتصديق
بجميع الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم وعند صلوة العيد والبروز له وتكبيرهم
ذا الكبرياء والعظمة وقد كفرت عنهم خطاياهم وكان من تكبيرهم وبروزهم اليه لهم
عمل من كونهم شاكرين ذلك قوله عز قوله ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
فلا تسال عن ما ينيلهم العفو الشكور **قوله** انتظم ايجاب الصوم وكتبه اياه
على عباده واعلامه اياهم في خطابه هذا بمنته عليهم به بقوله الحق ولاتم نعمتي عليكم
باتمام شرايعكم واكمال مناسككم واتمام دينكم الاسلام الذي تضمنه سوال ابرهيم
واسمعيل صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهما ولعلكم تشكرون اي تبلغوا درجة
الشكر فتعملون في رفعة الدرجات فذكر فيما تقدم دين الاسلام والتوحيد والشهادة
على ذلك والقبلة والصلوة والصبر والجهاد والحج والنظر والاعتبار والحلال
والحرام ونهاهم عن الكفر واتباع خطوات الشيطان والباس الحق بالباطل والكتمان
وذكر البر وشروطه والقصاص وندب الى الدية وحض على الوصية بالمعروف ثم ذكر
الصوم وعظم ذكره واظهر حرمة الشهر الذي فرض فيه الصوم وجعل عاقبته وثوابه
اكمال عدته المغفرة واستقبال العمل على سبيل الشكر واجابة الدعوات وقضاء الحاجات
بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له
ما تقدم من ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم ثلثة لا ترد دعوتهم وذكر الصائم حتى يفطر
قوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعاني
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون نظم جل جلاله ما جاء في ذلك لقرب
حكم الاستجابة من حال الصائم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعني الاشارة

اليه عن الاكمال طلبا للاختصار السوال على ضربين احدهما سوال تعرف وتعلم الجواب
من ذلك بانه قريب ممن دعاه والضرب الاخر ما هو استدعاء بقول الله عز وجل هل من سائل
فيعطى هل من داع فيستجاب له والدعاء للاجابة والسوال للمثوبة والاعطاء لقوله تعالى
دعوت الى الله فالدعاء الى الله عز وجل هو تحبيبه الى عباده وادخالهم في عبادته والعمل
بطاعته لقوله جل وعز ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين
ودعاؤك الى الله هو التضرع واظهار الحاجة والفاقة كما قالوا الدعاء زينة الالسنة
وحلية الادوات واظهار الحاجات الى رب العالمين وللعباد في الدعاء على ثلثة اضرب
بعد اجتماعهم في اصله فدعاء بالاقرار وهو دعاء العامي ودعاء بالابتهال وهو دعاء
الزاهد ودعاء بالاحوال وهو دعاء العارف وهذه المنزلة مشتركة بين الدعاء والاستدعاء
والدعاء ما تقدم ذكره وهو النداء والتضرع واظهار الفاقة والدعاء بالاحوال
وبالافعال هو الاستدعاء لانه انتظار لحالة الاضطرار ولا بد للداعي في الاستدعاء في دعائه
وهو اظهار الاضطرار والافتقار ولا بد من استعمال معنى السوال الذي يجمع له ذلك
ولما كانت حقيقة الدعاء وفائدته اظهار الفاقة والفقر الى الله عز وجل وانما يفتقر
العبد الى الله عز وجل عند رؤيته الحقيقة وضرورة الحاجة اليه فيكون عليه حينئذ
بموضع الاستدعاء نفس العبودية ويكون الدعاء على هذا استدعاء بالحال ومثل هذا
قول الله جل قوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا وانما خفف جل جلاله
عنهم بالضعف والاضطرار الذي كان حالهم علم الله ذلك منهم وهو الذي صنع
الغافلون قبلهم فحاق بهم المكروه قال الله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله جل
قوله اخذناهم بغتة وقوله جل قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا **قوله** تعالى
فليستجيبوا لي معناه بالايمان والعمل بطاعتي لعلهم يرشدون اي يصلحون الان اجتنبهم
واتولاهم بولايتي فالحقهم بمن توليت شانهم وعصمتهم ووليت امرهم فيكونون
يسمعون بي ويبصرون بي وينطقون بي ويبطشون بي ويمشون بي واجعلهم
مواطن محادثتي وتكليمي وهنالك ان دعوني اجبتهم وان سالوني اعطيتهم
وان استنصروني نصرتهم **فصل** اعلم ارشدنا الله واياك وعلمنا من علمه واجزل
حظنا من معرفته ان هذه المنزلة لا مطمع فيها الا بفضل من الله جل جلاله ورحمته
يقصد بها عبده ومن شانهم تفريغ القلب له والنصيحة لله ولرسوله وللمؤمنين خاصة وعامة
الذكر الكثير والذكر في العمل له بمرضاته بوفاق لا خلاف فيه وعلم بالمطلوب رضاه وايمان
ولا يقتصر في الايمان به والعلم دون مشاهدة الحضور منه في كل موطن وعلى كل حال كما قال
عز من قائل وهو معكم اينما كنتم وما يكون في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وانما هو ان ترضيه فاذا فعلت ذلك ارضاك
قال الله عز وجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقرئ ترضى وهو ان يرضيه فيرضيك
كما قال جل قوله اذا تقرب مني عبدي شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه

باغيا وان اتاني بمشي اتيته هرولة وهو ذو الفضل العظيم المنان بالنعم قبل استحقاقها
ثم هو العزيز لا يعطي عبده جزاءه الا بعد اجتهاد العبد فاذا وضح العبد ولم يقدم
في الاجتهاد اعطاه ايضا من العون على قدر ذلك فهو جل جلاله انا رضيته ارضاه
وان اطعته فيما امرك به ونهاك عنه افضل عليك ووهبك ان تسالني فيعطيك وتدعو
فيستجيبك وهو الاول في ذلك كله والاخر والظاهر والباطن **فصل** اذا استعمل
وشهد شهادة للحق بان لا اله الا هو جل ذكره ادخله في الولاية الاولى وحرم على المسلمين دمه
وعرضه وماله الا بالحق وجعل حبا اليه وكان لما للمسلمين واذا امن كعبده كان ربا
للمؤمنين فاذا اطاعه جازاه بطاعته واذا ذكره ذكره بذكره واذا عصاه استعتبه
وانتظره واذا ابتلاه عاده وكان نعمه بالتولي له ومن هنا قال جل وعز ابن ادم مرضت
فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني وعريت فلم تكسني وفي اخرى وكنت
محبوسا فلم تزرني وكنت ضيفا فلم تؤوني وقيل ما انكم لو فعلتموه لعبادي فعلتموه بي ثم
اذا ارتقى بهمته صعد الى مقام الاحسان في اسلامه وايمانه فعبد الله عز وجل بالمشاهدة
كان نعمه بالولاية العليا قال الله جل قوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال جل
من قائل ان الله يحب المحسنين وهو يدخل في السلم كافة ولاحسان جميع ذلك فيزيل سلطان
الشيطان عنه فهو ان هم بسوء تداركه بعصمته وكلاءه بكلايته وباعده عن مواطن الهلكات
وكان نجاته سالما من الافات وفرغه له وشغله به عمن سواه رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب
الله الا ان حزب الله هم المفلحون جعلنا الله الرحيم برحمته منهم ولا جعل حظنا من صفاتهم
وصفهم انه حكيم عليم قال ولو دفع الملمات بثلث خصال الدعاء وصدق النقا ورحمة المبتلى
وكانوا يستدفعون البلاء بالصلوة قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون **قوله** تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم
لباس لهن المعنى الى اخره كل ما كان من تكليم النساء في معنى الجماع وغيره فهو رفث اصل
الصيام ثلثة احوال وكان اول شرع من كان قبلنا وقد تقدم ذكر هذه الثلثة الاحوال
انه نسخت بالقران العزيز والمنسوخ بالقران هو شرع من كان قبلنا وكنا بهم كما قال الله
تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم فكان ذلك نسخا للكتاب المتقدم لا نسخا للقران
الا تسمع الى قوله جل قوله فتاب عليكم يخاطب جملة الامة اي رجع لكم عما الزم من كان قبلكم
كما قال عز قوله في غير هذا الموضع ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فهذا النسخ الذي جاء في القران
لما في كتابهم من ذلك نسخ له لا للقران **قوله** تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها اي مناهيه
اذا قال عز قوله في حدوده فلا تقربوها فهي المناهي ومتى قال عز قوله فلا تعتدوها فهي
حدود الطاعة ومفهوم هذا اجعلوا بينكم وبين حدود المناهي سترا من المباحات واتركوا ما ابيح
من ذلك عليكم الى ما لا تشتبه **قوله** تعالى كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تتقون ما كان من الايات

التي هي افعال وصنايع مما جعلها جل وعز شواهد على ما هي عليه مما يجب له فهي ايات للعلم
والمعرفة به وما كان منها مما هو من قبيل التكليف والموجود منها في سبيل الاوامر والنواهي
فتلك ايات على اصابة العمل بطاعته واستجابة القرب والولاية والدخول في خاصة عبادته
فمن نظر في اياته التي اودعها الصنعة وتفكر في الحكمة افاده الله علما وحكما ومن تولى
مناهيها واجتنب محارمه فهو من المتقين ومن استعمل نفسه لها وشغلها بما يرضيه وحافظ
على ذلك ووفى عليه فقد لبس التقوى واتخذ حليها ودثارها وسربالها **فصل**
لما قال عز من قائل كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون جعل جل جلاله تبيين ذكر
اياته ويبينها ونواهيه واوامره والتوقف على حدوده فقال جل قوله ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام نعلم بذلك ان حكم الحكام لا يحل حراما ولا يحرم
حلالا ثم يسئلونك عن الاهلة زيادتها ونقصانها واستوائها فاجابهم هي مواقيت للناس
والحج كما قال جل قوله في مواضع اخر لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا
الله لعلكم تفلحون وهذا منتظم معناه ما تقدم من قوله جل قوله فالان باشروهن وابتغوا
ما كتب الله لكم وذكر نقلة الحديث ان سبب ذلك مذكور في الحديث قبل كان احدهم
متى خرج في حاجة فلم ينقض له دخل بيته من ظهره ولم يدخله من بابه واعتقد في هذا
النهي ان لا ياتي احد امرا الا من قبل وجهه ومن حيث ما اتاه فتلك سنة الله جل ذكره
في مخلوقاته في الدين والدنيا ثم ذكر القتال في سبيل الله والانفاق وجعل الحد
في رفع الجهاد عدم الفتنة وان يكون الدين لله ذكر جل جلاله هذا ههنا يخاطب بذلك
الرسول واصحابه عليهم الصلوة وقال جل قوله في موضع اخر من كتابه العزيز وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله وهذا خطاب يتوجه الى نفس الامة فيما يستقبل وهذا
كقوله عز قوله حتى تضع الحرب اوزارها وانما يضع الحرب اوزارها للرجل الصالح قبل
خروج الدجال لعنه الله ثم لعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم يومئذ ثم كلمة الحق
على هذه الامة في قوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ثم قال جل قوله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ما على المحسنين
من سبيل بل يصرف بالعدوان الى الظالمين هكذا حتى نظهر الدين الذي هو الاسلام
على الدين كله وتضع الحرب اوزارها **قوله** عز وجل الشهر الحرام بالشهر
الحرام متصل المعنى بقوله يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه لما عاب المشركون على المسلمين
القتال والقتل في الشهر الحرام قال عز من قائل الشهر الحرام الذي قاتلتموهم فيه كانوا
يفتنون المسلمين في الشهر الحرام وبالبلد الحرام وعند البيت الحرام ويقتلونهم ويخرجونهم
ثم قال جل قوله وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ارجع جل جلاله
الخطاب الى ذكر الجهاد ليقوي عز من قائل لا تبخلوا بالانفاق في سبيل الله ولا تجبنوا عن قتال
عدوكم فذلك راي مهلك لفاعله لما فيه من غلبة العدو والاستيلاء منه على من قعد عن
الجهاد والزامه الذلة والصغار وسبي الاهل والاولاد واخذ الاموال والخراج عن الذين

والاوطان وبوجه اخر ان يكون ذلك مخاطبة لمن اذنب ذنبا فاستعظمه فلا يلقي بيده
الى التهلكة بظن انه اذنب فات التوبة وكبر عن ان يدخل في حكم العفو وتلك ضلالة من ضلالة
الشيطان يغر من عاني الذنب ويمنيه بالعفو ويدليه بالغرور فبعد ذلك يعظم ذلك ويقنط
صاحبه ولا يقنط من رحمة الله الا الضالون لست الحدبه وليراجع الغفور الرحيم فانه
عز جلاله لا يتعاظمه ذنب يغفره وان عظم ذلك الذنب وعلى هذا التوجيه يكون معنى
ذلك ترك التوب من احدكم القاء بيده الى التهلكة واحسنوا في توبتكم وانفاقكم وقتالكم
واعمالكم ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله هذا منتظم بذكر الحج وبيانه في فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقرانه العمرة بالحج وامره من لم يسق الهدي ان يحل حتى يهل
يوم التروية ومن ساق الهدي فلا يحل منهما جميعا هذا مع العرفنا و كوصول البيت
والتمكن واما من احصر بعدو او مرض فليفعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
فلد الهدي ووجهه نحو البيت مرسلا وحلق ومن آذاه هوامه او كان مريضا ففعل ما
لا يجوز له فعله مع الصحة ففدية من صيام او صدقة او نسك ومع الامن فمن تمتع
بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي **قوله** تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله
كذكركم اباءكم او اشد ذكرا كانوا يذكرون اباءهم بمناقبهم ومفاخرهم يقول جل قوله
فاذا قضيتم حقه فيما انعم عليكم من اتمام مناسككم فاذكروا الله بانعمه والائه وكريم
اياديه قبلكم وهدايته اياكم من ضلالكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به
وبما ارسل به اليكم رسوله صلى الله عليه وسلم ونصركم به على من بين ظهرانيكم لم يرد عز
جلاله ان يذكروا اباءهم مع ذكره انما معنى ذلك ان يجعلوا ذكر ربهم مكان ذكر ابائهم
وان يمنعوا في ذلك ثم ذم جل جلاله من قصر علمه على الدنيا وجعلها مبلغه ومنتهاه بقوله
جل قوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق **قوله**
عز وجل واذكروا الله في ايام معدودات فمن تعجل في يومين يعني ايام منى ثم قال واتقوا
الله واعلموا انكم اليه تحشرون اي اتقوه في نياتكم وتوجيهها واعمالكم وهيأتها واتقوه
في اوامره ونواهيه لذلك يقع هذا الخطاب قوله عز قوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة
الدنيا الى قوله جل قوله ولبئس المهاد ومن كانت هذه حليته فهو منافق خالص والمسلم
الموفق من صفته في معنى قوله جل قوله ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
ثم اعقب ذلك بقوله الحق والله رؤف بالعباد هذا في مقابلة ما وصف به المنافق بقوله
عز قوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ثم رفع همتهم
صعدا الى منزلة الولاية وعلمهم الاخلاص ودلهم على حملته بقوله يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم كافة اي ظاهرا وباطنا ولا تتبعوا خطوات الشيطان قرئ باسكان
الطاء ورفعها فمعنى الاسكان من الخطوة واحد الخطو اي لا تسلكوا مسالكه
وتتبعوا اثاره ومعنى رفعها الخطا لا تتبعوا اخطاياه ولا فيما يامركم به من فحشاء
ومنكر واثم ظاهر وباطن في عقودكم واعمالكم انه لكم عدو مبين عداوته فان
زللتم فيما امركم به في شيء يكرهه الله الذي شريتم انفسكم له ابتغاء مرضاته فاعلموا ان الله

عزيز حكيم وعيد منه جل جلاله لا يمتنع منه شيء ولا يعجزه فانه حكيم جل جلاله
في ايقاع العقوبة على المصرين والمنافقين والكافرين حكيم في قبول توبة التائبين
وفيما ينيلهم من ثواب اعمالهم وكريم مالهم هل ينظرون يريد المصرين على ذنوبهم
والمنافقين والكافرين من الناس الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام يوم العرض
للحساب والملائكة اي للموت وقضي الامر بالسعادة للمتقين والتائبين والشقاوة
للمنافقين والكافرين **فصل** ذكر الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه اوجب
الواجبات لاجله شرعت الشرائع ونهجت المناهج واتخذت المواسم لترفيع الذكر وليجعل لكل
مقام نوع من الذكر من ذلك قوله عز قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر
الحرام واذكروه كما هداكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند المشعر الحرام لا اله الا الله
وحده لا شريك له اعز جنده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال جل من قائل
ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم اي ان الله قد اوجب
لكم المغفرة في مقامكم ذلك حتى انه ليهب مسيئهم لمحسنهم وينجاوز عن ذنوب الخطاء ويباهي
بهم الملائكة عليهم السلام ويخزي ابليس اللعين اعوذ بالله منه ويحوه مما يريه من كرامة عباده وعظيم
افضاله عليهم ثم قال عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم
او اشد ذكرا على معنى قوله فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم اي اكثروا من ذكره على كل احوالكم وفي كل احيانكم غلب هذا التوجيه لفظ الذكر
والامر به ويتوجه ايضا الى معنى الخبر دل على صحة هذا التوجيه تشبيه الذكر بذكرهم اباءهم قال

ولو انني استغفر الله كلما ذكرتك لم يكتب علي ذنوب

ومن ذلك ان يكون هذا الذكر على الالحاح والعزم دل على هذا قوله عز قوله او اشد
ذكرا يوافق هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعزم المسئلة فانه لا مكره له فيكون
معنى هذا الخطاب ههنا سلوا الله حوائجكم واعزموا في مسائلكم اياه كما يعزمون على
ابائكم او اشد فانه ارحم من ابائكم واعطف عليكم واقدر على قضائها دل على صحة
هذا التوجيه قوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا المعنى الى الاخرة **فصل**
من الذكر ما هو موقت ومنه ما هو دائم فالموقت منه العبادات الموقتة وذلك بالجوارح
كالقراءة في وقتها والصلوة في اوقاتها والصوم والزكوة والحج وسائر الفرائض
الموقتة من اعمال الجوارح وكل نوع من العبادات والطاعات فهو ذكر بالحقيقة اذ لا يصح طاعة
ولا عبادة الا بنية والنية هو الذكر بالقلب وهو ان يعلم ان جل ذكره افترض عليك
هذه الطاعة وندب اليها وانه هو المقصود بها بالطاعة والعبادة والمتوجه بها
اليه وكل فعل يخلو من ذلك فهو باطل قال الله جل ذكره فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون ونهى عن الصلوة حال السكر لاجل هذه العلة ونهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الصلوة حال النوم وحال مدافعة الاخبثين لاجل ذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ومحل النية في القلب قال النبي صلى
الله عليه وسلم وانما لكل امرئ ما نوى واما الذكر الدائم فهو ذكر القلب وحضوره

بطرد النسيان والغفلة وذلك على وجوه فتارة يذكر الله بعظمته وعلائه وكبريائه
فيتولد منه الهيبة والاجلال وتارة يذكره بعظيم قدرته واليم اخذه وشديد بطشه
فيورث ذلك الخوف والحذر وتارة يذكره بوعده فيتولد منه الشوق وتارة
يذكر بان له الملك والخلق والامر والمشية المضية يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيتولد
من ذلك الغبطة والسرور بانه عبد لمن هذا وصفه ونعته فيتولد عن ذلك ايضا الفخر
وتارة يذكره لانه الكافي لمهماته الموجودة وحده لا سواه في جميع المهمات المتكفل بالارزاق
وايصالها الى المفتقرين وذوي الحاجات اليها فيتولد عن ذلك التوكل وتارة يذكره
بما نصب من العبر والعلامات وبما استشهد به من الشواهد واقام من البينات والاثار
من الايات فيتولد عن ذلك زوائد اليقين وتارة زوائد اليقين وتارة يذكر بانه بيده
مفاتيح الامور ومباديها منه ظهرت واليه تعود فيتولد من ذلك فتارة عن نفسه وبقاؤه
بربه ثم اعلم وفقنا الله واياك ان افضل الذكر الذكر في الذكر وهو عند الغفلة
ان يذكر في ذكره انعامه واحسانه وفضله ويلزم نفسه الاعظام له والاجلال ولكن
يطالب نفسه بذكر الحقيقة فقد قالوا حقيقة الذكر العجز عن الذكر وقالوا لم يذكر الله
العبد الا عند الغفلة ولولا الغفلة لم يقدر على الذكر كما قيل لو علم الناس من يذكر
بحقيقة العلم لحف في الحنك شاهد من القران العزيز فصل لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقوله جل قوله فلما تجلى ربه للجبل دكا
ولو تجلى المذكور جل ذكره للقلب بالذكر حال الذكر لانصدع ويذكرك كما يذكرك الجبل
للتجلي وانما ذلك على قدر ارادته ومشيته ومن احسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور
جل ذكره ذلك الخفي عن الاستتار والتمكن في الاشارة من الذكر في الذكر ان يكون القلب
فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل ذكره فيصير القلب بيت الحق ويمتلي منه فيخرج الذكر
من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا
الذاكر فيكون يده التي تبطش بها وان مشى تكون رجله الذي يمشي بها فان سمع كان
سمعه الذي يسمع به فاذا استولى المذكور الحق على الفؤاد فاملكه وعلى الجوارح فصرفها
بما يرضيه وعلى الصفات فصرفها اليه جعله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه محل مناجاته
وموضع تكليمه ومحادثاته من غير اتحاد ولا حلول بل قدره من عزيز عليم فلذلك
يخرج الذكر من غير تكلف ويصحح الاعمال بالطاعات في كل ما يكون منه من تصرف وقد
وصف الله جل ذكره قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا
اي فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر موسى صلى الله عليه وسلم فكادت ان تبدي به من غير قصد
منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها للبوح بذكره تعليلا وصبرا لما ربط الله جل ذكره
على قلبها لتكون من المؤمنين لما اوحى اليها من قبل في شان موسى عليه السلام بانه من المرسلين
قوله تعالى سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته
فان الله شديد العقاب لم يرد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وذكره بذكر السؤال
هنا ما شافهتم وانما اراد جل جلاله سؤال الحال كقوله جل قوله فاسأل به خبيرا ثم قال جل

قوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا المعنى الى اخره فاحاله جل جلاله على سؤال
المخلوقات واسترشاد المبدعات وكما تقول العرب سل الدار وسل الاطلال ونحو هذا سل بني
اسرائيل بما اعلمناك من شانهم وما قصصنا عليك من امرهم كم اتيناهم من اية بينة كقوله
جل قوله ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة الى قوله جل قوله واتيناهم بينات
من الامر ثم قال جل قوله ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته تعريضا بهم حيث بدلوا ما
انعم الله عليهم من كرامة الرسالة والكتاب وتلاوته باراتهم وكتموا وغيروا ولبسوا الحق بالباطل
وتهديد لهذه الامة وتهديب لها تحذيرها اي لا يغترن احدكم بما راه من الضعف والذل
والاكرام وليحذر الذين لا يتقون ان يصيبهم مثل ما اصاب بني اسرائيل من تبديل النعم بالنقم
والاكرام بالاهانة والعز بالذل والعزة بالمهانة ان الله شديد العقاب ثم قال
عز من قائل زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين امنوا كقوله جل قوله
ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقوله جل قوله فاتخذتموهم سخريا حتى
انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون ثم قال عز من قائل والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
اي الذين اتقوا في ايمانهم فوق هؤلاء يوم القيمة يشير جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الى
اوليائه الذين قال فيهم جل قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله وهذه التلاوة من البشرى لهم في الحيوة الدنيا وكما
التقوى درجات اول درجة منها يدخل بها في الاسلام ويستحق بها اسم الايمان وكذلك
ينالون من هذه البشارة حصصهم قسمة على درجاتهم في التقوى والايمان والله يرزق
من يشاء بغير حساب الرزق قد يكون العلم والعبادة وقد يكون القوت هذا في الدنيا
واما في الاخرة فارزاقها بغير حساب والمتقون الذين هم اهل التقوى تحقيقا رزقهم في
الدنيا والاخرة كذلك يرزق المؤمنون الجنة باعمالهم ويدخل المتقون فيها بغير حساب
ثم ذكر جل ذكره كيف كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين
لمن امن واصلح منذرين لمن غوى وابى ان يرجع الى معلوم الهدى والمعلوم من التوحيد والتقوى
قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية رجع
جل جلاله وتعالى علاؤه وتبين معنى الخطاب الى ذكر البلوى والاختبار قوله ولنبلونكم حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص
من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين كما قال جل ثناؤه احسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا
وليعلمن الكاذبين قوله سبحانه وبحمده يسالونك ماذا ينفقون الاية ارجع
معنى الخطاب الى ذكر النفقة قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب قوله تبارك وتعالى كتب عليكم القتال وهو كره
لكم انتظم هذا الخطاب بذكر القتال ارجعه جل جلاله الى اول لنوع لهم معانيه الايات الى قوله
جل قوله ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
ثم ذكر جل ذكره سؤالهم عن الخمر والميسر فاخبرهم بالحقيقة في ذلك وان اثمهما اكبر

من نفعهما والمنافع المشار اليها في الخمر اجتماعهم عليها وتاخيهم فيها ثم قال جل جلاله
قوله وما يكون عوض تلك المنافع من الاثم اكبر من ذلك النفع نص على ذلك جل جلاله
في سورة المائدة قوله يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه يعني الرجس لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون
فاحال لهم جل جلاله منافعها ضررا واين يقع منفعة تاخيهم فيها واجتماعهم
عليها من تقاطعهم بسببها وقتلهم وقتالهم فيها وقد روي بالمثناة بثلاث فقط بدلا من
اكبر قراه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والله يعلم وانتم لا تعلمون وهذا اشارة عن
على المعتدين الظالمين في كتاب الله عز وجل ما علموه وعلوا وجه الحكمة فيما يرد فيه من مامور به
ومنهي عنه اعتقدوه وامنوا به وما لم يعلموه وعلوه ولم يتوضح لهم كيف وجه الحكمة فيه
فليكلوا الى العالم الاعلى والله يعلم وانتم لا تعلمون **قوله** تعالى يسالونك ماذا ينفقون
هذا منسلط بمعنى ما تقدم ذكره في البقرة كقوله جل قوله يسالونك ماذا ينفقون قل ما
انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى سالهم عن النفقة في هذا الموضع
انما هو سوال عن قدرها ما هو كما سالهم في الاية الاولى هو سوال عن من توجه بها والى
من جاء بهم في الاولى انها للوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وكان
سوالهم ها هنا عن النفقة ما هي وما قدرها قال جل قوله قل يا محمد العفو وهو الفاضل
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدقة عن ظهر غنى وابدا بمن تعول فالطيب الحلال
والتوسط في الامور كلها ممدوح كما قال جل قوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما اي انا جعلنا بين الطرفين قواما ثم قال جل قوله كذلك يبين الله
لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة **فصل** ذكر بعض من تقدم رحمة الله
على جميعهم ان هذا منسوخ بالامر بالزكوة قال وكذلك كل نفقة مذكورة في القران وليس هذا
بناسخ ولا منسوخ ايضا انما كان سوالهم عن الانفاق فيما يتطوعون به من التصدق
من ذلك قوله تعالى قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
ثم زاد ذلك حسنا بقوله جل قوله وما تفعلوا من خير فان الله به عليم وليس كذا خطابا لهم
بالزكوة الموجبة المفروضة انما اجابهم جل جلاله عن الانفاق فقال للوالدين والاقربين
واليتامى والمساكين وابن السبيل المعنى كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله نفسك
ثم اباك ثم امك ثم اختك ثم ادناك فادناك فما فضل عن ذلك فقل به هكذا وهكذا وهكذا
ولو كان الامر بالزكوة ناسخا لشان النفقة لكان الامر بالصلوة الفريضة مانعا من صلوة
النافلة والامر بصيام رمضان مانعا بالنسخ من صيام التطوع فلا يكون من الامة صلوة نافلة
ولا صيام من غير نية وكذلك الحج وجميع الرغائب من الخيرات بل هذا واجب عزم وهذا
مرغب فيه مندوب اليه ولكل خطاب معنى مراد به **فصل** موجودات الدنيا كلها لا تخلو
ان يكون افعالا لله جل جلاله انفرد بها وحده لا شريك له كالذي وجده جل جلاله
من المخلوقات وابدعه من المبدعات اجمعها كالسموات والارض والجبال والنجوم والافلاك والسحاب

والرياح والماء ينزله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه من السماء وما ينبته من انواع
النبات ويخلقه عنه من جميع الحيوان وبالجملة فالخلق كله والامر او قد يكون افعالا للعباد
يخلقها الله بوساطتهم يكتسبونها بقدرهم التي اقدرهم الله جل جلاله ففي القسم
الاول الاعتبار والنظر حتى نعود بواسطة الاعتبار اخره وفي القسم الثاني الامر
والنهي ثم هذا القسم الثاني على قسمين احدهما ما يفعله المكلف وهو مامور به او مندوب
اليه ليجزى بفعله وعدله حتى فعله على ما امر به وعدّ كالصلوة والصوم والحج وانواع
البر فرضها ونفلها ومنها ما لا بد للمكلف منه ليتم بها جسمه ويصل بها نسله كالاكل
والشرب والنكاح والاموال والاولاد وما يتبع ذلك او جر اليه فهذا القسم بالاضافة
الى قسميه ديني ودنياوي اخروي فجعل الله جل جلاله يبين لهم ما هو للدار الدنيا والاخرة
وما يتعلق بقوله جل قوله يسالونك عن اليتامى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا
المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك الى قوله تعالى ويبين اياته للناس الى
التبري والتولي لعلهم يتذكرون فيرجعون كما قال عز من قائل واذا رايت الذين يخوضون
في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره الى قوله جل قوله ولكن ذكرى
لعلهم يتقون ويسالونك عن المحيض الى اخر معناه ثم قوله جل قوله ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وهو من معنى الاخرة على ما تقدم من ذكر
الاخوة ويتوجه بهذا النهي الى وجهين احدهما الا تكثروا الايمان في اكثر اموركم فتكون
ذريعة الى الحنث والندم والوجه الاخر لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي لا تحلفوا
بالله الا تصلحوا بين الناس فمن يفعل هذا فهو المتالي على الله الا يفعل الخير وان لا يبروا
وان لا يتقوا فهذا هو الحالف ان يعصي الله والله سميع عليم فراقبوه واستحيوا منه فهو
احق من استحي منه الاذى في المحيض هو الدم ومتى انقطع الدم وجب التطهر منه شرعا فاذا تطهرن
فاتوهن من حيث امركم الله وامره المشار اليه في هذا الخطاب وهو علم بما ينزله في معنى قوله وليس
البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها ولاجل نزاهة
هذا الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الثابت عنه ان الله لا يستحي من الحق
لا تاتوا النساء في اعجازهن وجاء بغير هذا اللفظ وقال جل وعز نساؤكم حرث
لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي كيف شئتم منهن قالوا لكن في صمام واحد وفي قوله ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين تعريض بما تقدم معناه كما قال في قصص قوم لوط انهم
اناس يتطهرون يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم ثم ذكر جل جلاله الايلاء والطلاق
والرجعة والرضاع والانفاق على الازواج والاولاد والعدة والخطبة للنكاح ودفع
عنه حال العدة وارخص جل جلاله في التعريض ومنع من التصريح وذكر جل جلاله الطلاق
قبل المسيس وكيف الحكم فيه وذكر جل جلاله امتاع النساء ووصى بحسن الفعل والاخذ بالفضل
في التعامل كله وخاصة في النكاح لما فيه عهد وميثاق وافضاء النفوس والذوات بعضها
الى بعض وحض على ذلك بقوله جل قوله ولا تنسوا الفضل بينكم وعرض ابو عبيد في تعقيب
ذلك بقوله جل قوله ان الله بما تعملون بصير ثم ارجع جل جلاله الخطاب الى ما هو من الاخرة بقوله

جل قوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين وهذا خطاب
منتظم بخطاب جل جلاله للمؤمنين في قوله يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة
ان الله مع الصابرين بدأ جل ذكره بذكر الصلوة وختم بذكرها اعلاما منه جل جلاله لعظم
قدرها للاعمال التي تكون للاخرة وخاصة منها الصلوة لانه ذكر الصلوة والصبر وهما
اصلان لاعمال الاخرة لذلك يستعان بهما على مكائد اعمال الاخرة والمفضول اولى
من ذلك كله الصلوة كذلك فعل في سورة المؤمنين صدر بذكر الصلوة وختم بذكرها
وفعل مثل ذلك في سورة المعارج **قوله** تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج الاية ذكر بعضهم ان هذه الاية منسوخة
بقوله جل قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا
الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن المعنى الى اخره وليست هذه ناسخة لتلك
بل عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة المطلقة ثلثة قروء وكما عدة
اللائي لا يحضن كبرا واللائي لم يحضن منهن صغرا ثلثة اشهر فليس الغرض في الاية
الاعلام بالعدة لما تقدم من الاعلام وانما ذكر ان الزوج متع المرأة بسكنى سنة ورضي
لها بذلك متعة لها بذلك وقد قال جل قوله في المتعة انها حق على المتقين وعلى المحسنين
فنهى عن اخراجها عن ذلك المسكن الذي متعها به وجعله وصية في ماله ينفذ عنه بعده
فان قال قائل انه لا وصية لوارث قيل له هذا الحكم مستثنى من الوصية بذكر الامتاع والورثة
مكلفون امضاء ذلك عن الميت فان شاء فيحسب من ثلثه الجائز له اخراجه بعد موته ويكلفون
ايضا بان لا يخرجوها فان هي خرجت من ذاتها لم يترتب عليها ولم يلحق الاولياء ولا الورثة
حرج من اجل ذلك ما لم يكن الخروج لريبة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم قال
جل جلاله وعز قوله وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين هذه مطلقة مدخول بها
وقد تقدم ذكر المتعة قبل هذا قوله جل قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين فهذه مطلقة قبل المسيس وهو لا عدة عليها **قوله**
جل قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
ذكر الاكثر من المفسرين ان هؤلاء قوم خرجوا من ديارهم حذرا لطاعون فاماتهم الله
ثم احياهم الحيوة الجسمانية وذكر في بعض كتب النبوات ان نبيا من الانبياء صلى الله وسلامه
على جميعهم قال بينا انا قاعد بين ظهراني قوم من بني اسرائيل اخذتني يد الله فاخرجتني
الى البرية واذا العظام كثيرة في موضع متسع فقال لي تنبأ على هذه العظام النخرة والاجسام
او قال اللحوم البالية فقلت اتنبأ باذن الله او قال ما يكون معناه هذا قال فجعل العظم
يتشوف الى العظم واللحم يكسو العظام الى ان كملت الاجسام ثم قيل لي تنبأ على الارواح وذكر
كلاما لست اذكره قال فاقبلت من الرياح الاربعة وسمعت هدة عظيمة ثم قاموا على
اقدامهم فكانوا كحفل عظيم ثم قال هكذا احيي بني اسرائيل من بعد موتهم في كلام غير هذا
فالله اعلم انهم هؤلاء ام غيرهم والله اعلم اكما قال المفسرون او يحتمل المعنى فيهما وتفرق
على الله يسيرا منا بما هو الحق عند الله عز وجل والاظهر والله اعلم ان هذا خطاب

منتظم

منتظم بقوله الحق ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون
ثم نظم هذا الخطاب واذ كان قد حال بين الخطابين بعض من الخطاب وضروب
من الاحكام كالمعهود من القران العزيز وان هؤلاء قوم خرجوا مخافة الطاعون
فاماتهم الله جل جلاله باجالهم بالطاعون ثم احياهم بعد موتهم حيوة الشهداء
اذ كان موتهم بالطاعون ثم خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حسر وحسر من علم ما انبأ به من ذلك
فقال جل قوله الم تر الى الذين المعنى الى الاخره الا ترى كيف اعقب ذلك قوله وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله سميع عليم اي قاتلوا في سبيل الله كي تنالوا الشهادة فهو العليم بمن يقتل
في سبيله السميع لقول القائلين فيهم انهم اموات وقد نهوا عن ذلك انباء بالحكمة في ذلك
تحقيقا لوعده اياهم بقوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له
اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط لما كان الجهاد عمدته وعدته انفاق الكريمتين النفس
والمال نظمه بذكره مجاورة ومعنى اتبع ذلك ما هو في معناه قوله جل قوله والله يقبض ويبسط
وما توجه من القرض الى معنى الانفاق والقبض والبسط في ذلك معهود كقوله جل قوله الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر والمتوجه منه الى معنى الجهاد والقتال فتقديره والله اعلم قاتلوا
في السبيل والله يقبض يد العدو ويبسط ايديكم عليهم فيقبض بلادهم وارزاقهم
ويدالون عليهم في ذلك فحض جل جلاله في ذلك على الانفاق على وجوهه ولزوم التفويض
لله والتوكل عليه فحجة انه ليس يموت احد الا باجله ولا بعده وعدم حاله عن كره انفاق الا حق
النفوس وعناها بالمال عن قلة الانفاق وعدم القتال الله يقبض في ذلك كله ويبسط
واليه ترجعون اعقب ذلك بما هو في معنى ما تقدم قوله جل قوله الم تر الى الملأ من بني اسرائيل
الملأ من بني اسرائيل كبار الناس اصحاب المشورة والرأي من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله القصة الى اخرها هذا ضرب مثلا في معنى ما تقدم وانتظم معنى هذا
وهذا بمعنى ما في قوله جل قوله وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا
فمن بخل عن الانفاق في سبيل وجبن عن قتال العدو وحلت العدو في داره واخرجه من اهله
وماله وفي امثاله بطاعة الله جل ذكره بالجهاد عن الدنيا والاخرة لهذا وما هو اغرق
وصفا من هذا بقوله جل قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ثم الى اخر السورة **قوله** جل من
قائل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات الى اخر المعنى
نظم جل ذكره ذكر الرسل بما في باطن التلاوة من ذكر الرسالة والرسل والنبيين صلوات
الله وسلامه على جميعهم وبما تقدم من قوله امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط ثم ذكر ان الذين خلفوهم من بعدهم اختلفوا
واقتتلوا واعلم جل جلاله بذلك ان تلك سنته جل جلاله ومن هنا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبيد اصحابه ويحذرهم ان يكون وقوع ذلك قبل ايديهم بقول النبي صلى الله
عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض لقوله جل قوله ولكن اختلفوا
فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد **قوله**
عز من قائل يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة

ولا شفاعة ثم رجع جل جلاله الخطاب الى الامر بالاتفاق والتوصية به لما علم العليم الحكيم
في ذلك من حسن الفائدة وعظيم الكفاية والدفاع به عن حوزة الاسلام ويقع
ذلك في الدنيا والاخرة ثم قال جل قوله والكافرون هم الظالمون لانفسهم لم يجدوا
هناك خلة ولا شفاعة ينفعهم بل كل خلة تعود هنالك في حقهم عداوة وكل شفاعة
اعرابهم ولعنا وطردا عن كل اسعاف ورجاء نعوذ بالله العظيم من سوء العاقبة
قوله جل قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم الى قوله العلي العظيم انتظام هذه
الاية من القران العظيم بما تقدم من قوله جل قوله والكافرون هم الظالمون انه
تبين لظلمهم العظيم لقومهم كيف لا يكونوا ظالمين وقد كفروا بمن هو هكذا وصفه
ونعته وهذه اسماؤه وصفاته وقد تقدم انها اعظم اية في القران قال ابن عباس رضي
الله عنه هي اشبه شيء بالرحمن وانتظم معناها من حيث العلم والمعرفة يعني قوله الى ان
اي ما يفصل عنا من معاني الاسماء ومقتضياتها ثم الى ما يفصل عن الاسماء ومعاني
الصفات من حيث دلالات الافعال ومبدعات الحكمة كقوله جل قوله ان في خلق السموات
والارض الى قوله جل قوله لقوم يعقلون ثم الى ذكر المؤمنين والكافرين والمنافقين
واعمالهم والنبوة والرسالة وما جاءت به من نهي وامر ووعد ووعيد وجزاء
من اطاع وعصى في الاجل والعاجل بتوابع ذلك كله ومعينا لذلك ما هذا سبيله
في القران العظيم اذا ذكر الله جل ثناؤه باسمائه او بصفة من صفاته ملا كل شيء علوه
وسفله هو الحق المبين وقوله الحق والحق من اسمائه والصدق من صفاته والكافرون
هم الظالمون قولوا الشواهد غير ما قالت وشهدوا عليها بغير ما شهدت به واحالوا النعمة
في حقهم لا في حقها الى غير ما فطرت عليه واضافوا النعمة بها الى غيره ولبسها وحرفوا
وجوهها في حقهم عن قيمها **فصل** شهدت الشواهد وافصحت الدلائل ان الله
لا اله الا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم ذو الاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى
كما اعلنت الاسماء وعرفت الصفات انه هو الله وهو الاسم الجامع للاسماء سواه وانه العلي
العظيم سبعة اسما ثبتها ثبات الاسماء هذا دلها على الذات العلي وقد تقدم ان جميع الاسماء
في عموم السبع الصفات التي هي الالهية والحيوة والقدرة والوحدة والعلم والارادة والكلام
وهذه الاية مضمنة جميع ذلك كما تضمنت ام القران جميع ما في القران بوجيزها فلذلك
عظمت هذه الاية وعظم قدرها ولما تجمع فيها من اوصاف نعوت الجلال وصفة العظمة
والكبرياء وانه المحيط بكل شيء والقائم عليه المقتدر على كل شيء عظم التبرك بها فاوجب
لذلك نفور الشياطين مع قراءتها **قوله** تعالى لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
الاية ذكر الاكثر من اهل العلم ان قوله جل قوله لا اكراه في الدين منسوخ حكمه باية القتال
والسيف وليس ذلك كذلك بل حكم هذا محكم في بابه وهذا محكم في بابه وذلك ان حكم القتال
والسيف انما يتناول الظاهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى
يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله ففي حكم قوله جل قوله لا اله الا الله بينا ولموضع الشرك وذلك باطن لا يبلغه بطالب

مخلوق

مخلوق ولذلك وكل صلى الله عليه وسلم حسابهم الى الله جل ذكره الا تسمع الى قوله
تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا علوا صلوات الله وسلامه عليهم
ان ذلك ليوم يبتلى فيه السرائر واجابوا صلوات الله وسلامه على جميعهم بانهم لا يعلمون ذلك فقالوا
صلوات الله وسلامه على جميعهم انك انت علام الغيوب هذا الى ان في قوله فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله الحجة البالغة للمعهود ان الايمان محله القلب كذلك المعهود من معنى الكفر
وانما يكونان ظاهرين لما يصدر عنهما فيكون اسلاما وما يضاده لذلك اعقب الاية بقوله عز
قوله والله سميع لما يصدر عن القلوب عليم بما تكنه القلوب من ضمائرها ولو كان ما قالوه صحيحا او عري
الخطاب عن تحقيق ما عبرنا عنه ايضا لم يكن ايضا نسخ وانما كان يكون انساء والانساء
على التحقيق ليس بنسخ وانما هو مرصد لوقت القتال والانتصار لا يمكن في كل وقت ولا
على كل حال فاذا امكن الامكان وجب الجهاد الظاهر والقتال والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومع الضعف وعدم القدرة ووجدان الوهن والاضطرار يرتفع الوجوب هذا هو الناسخ الصحيح
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله** تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور الى قوله واعلم ان الله عزيز حكيم الامانة والاحياء على ضروب وعلى اقسام
ذلك يكون انقسام الحيوة والموت فمن ذلك حيوة الدين وهي ما عني بقوله الحق الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور كما قال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها فهذه حيوة الدين وموته عبر
عن حال موته بكونه في الظلمات وعن كونه حيا بكونه ماشيا في الناس بنوره يعني يهديهم
فيهتدون ومنها الحيوة الجسمانية وهي على ضروب ومنها الاحياء بمعنى تجديد الحيوة على الدوام
كاملة كما جل وعلا كل شيء وهو موجود على اسمه القيوم ومذكور هذا في قوله جل قوله حكاية عن
جبار ابراهيم صلى الله عليه وسلم الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
ان اتاه الله الملك ومعنى ذلك هنا امضاء المشية بالقدرة فعلى قدر ما اوتي من ذلك يكون وصفه
بالملك ولما كان هذا الملك مما عوده الله جل وعلا من امضاء مشيته فيما ملكه ان يقتل من شاء
قتله ويترك من شاء فلا يقتله وذلك ان الله جل وعز يسر ذلك له حاج ابراهيم صلى الله عليه
في ربه ان قال له انا ربك قال له ابراهيم صلى الله عليه وسلم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي
واميت ومعنى ذلك اني احضر رجلين اقتل احدهما واترك الاخر فاكون بذلك قد
امت المقتول واحييت المتروك وهذا المعنى ايضا موجود في قوله جل قوله انه من قتل نفسا
بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
رجع الكلام وكان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وعلى الانبياء والرسل
مؤيدا بالحجة البالغة فاجابه صلى الله عليه وسلم بان قال له ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب معنى ذلك ان ترك احد الرجلين هو استمرار الحيوة وذلك هو المعهود منه مثلا موصوفا
بالبقاء كالشمس معهود ان يطلعها الله جل ذكره من المشرق وذلك استمرار الوجود منها
ما ادامها الله عز وجل كذلك فان كنت انت تقدر على ما يقدر هو عليه فاطلعها من مغربها
وخالف لنا فيها استمرار وجودها حتى نعرف لنا بذلك عادة اطلاعها من شرقها وهو منك

ضرب الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه للمقتول والمتروك فيل يعني ذكر وانه
اعلم ان كنت يحيي وتميت فكما امت المقتول فان قتله فذلك بمنزلة غيبوبة الشمس وهي
بمنزلة الروح في الجسم فاطلعها يعني نفس المقتول من حيث غربت اي كما قتلت هذا المقتول
فلذلك بهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين اي انه وقف عند هذه العظيمة
ومنع الهداية وجاء ان سنيا ناظر قدريا فقطع القدري تفاحة من شجرة تهاته ثم قال الست
انا الذي قطعت هذه التفاحة فقال السني ان كنت الذي قطعتها فردها مكانها كما كانت
فاسكت وانقطع **فصل** ثم اجمل قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على قرية وهي خاوية على عروشها المعنى الى اخره عطف جل جلاله بحرف العطف وادخل
كاف التشبيه في قوله جل قوله او كالذي والمعنى والله اعلم انه تعجيب من حسن محاجة ابراهيم عليه السلام
وهدايته فانتظم ذكر هذا المذكور بذكر ابراهيم صلى الله عليه وسلم في حسن تنبيه وعلامة
وتقدير الكلام هل رايت كابراهيم في محاجته ودفع هدايته او كالذي مر على قرية وهي خاوية
على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها في تنبيه وحسن تلقيه الهداية والارشاد
وما يحوي معنى هذا ويمكن ايضا ان يكون تعجيبا من الجبار الذي اتاه الله الملك في ضلالته
وحسن انقياده واعراضه عن الحق بعد البيان عجبت اذ اتاه الله الملك ثم حاجج في ربوبيته وادعى
الربوبية من دونه كما قال جل قوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين
الا في اتيناه الملك واقعدناه مقعدا لتمكن من قتل وترك جعل يحاج ابراهيم فيما اتفق
هل رايت هكذا او كالذي مر على قرية وهو بوجه يعطي تغليب المعنى الاخير وهو الاظهر
معلس الوجه الاول وانما رجحه قوله واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى **فصل**
ذكر ان هذا المذكور في هذا القصص المبتلى بهذه المحنة كان نبيا وانه دانيال او ارميا
او غيرهما عليهم السلام فالله اعلم غير انه ممن يخاطب بهذا ويريه الله من اياته امنا بالله عز
وجل وبما جاء من عنده سؤاله ذلك اعني قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها ليس بمعنى
الشك في ان الله تعالى يحيي قرية بعد موتها ويعيدها بعد خرابها ذلك خاطر بعيد من عند
اهل التوسط في الايمان فكيف من اهل السمو وانما هو خاطر يعرض لاهل المكاشفات بالايات
الذي عودهم جل ذكره ان يجريهم على ايديهم قدرته الغالبة وخرق العادات فيها شاهد
تحقيرا منهم لانفسهم وازدراء عليها حتى يكون الله هو المعطي ذلك من لدنه وذلك مشهور
من قولهم اياك ان ترى من ذات نفسك مرقاة حتى يكون الله جل وعز يرقيك اليه بل
شانهم الوقوف عند حدهم والسلوك على سبيل السنة ومشاهدة جري العادة بالمقدور
الحاضر كذلك فعل زكريا عليه السلام لما نادته الملائكة عليهم السلام وهو قائم يصلي في المحراب
ان الله يبشرك بيحيي وبغلام اسمه يحيي جعل المخاطب به جل جلاله الحق رب انى يكون
لي ولد وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر فلزم موضع السنة ومجرى العادة ولم يصعد لذلك
حتى صعده وكذلك فعلت مريم عليها السلام لما بشرت بعيسى صلوات الله وسلامه عليه قالت انى يكون
لي ولد ولم يمسسني بشر وذكر في كتاب النبوات ان الله جل ذكره لما بشر ابراهيم باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب قال رب ليت اسمعيل يكبر بين يديك هذا اعظاما منه للنعمة وتحقيرا للنفس ان تنال

احدهم

احدهم بذلك من الله العلي العظيم **قوله** انى يحيي هذه الله بعد موتها اني بمعنى
الاستبعاد لتحكي كانه قال متى يحيي هذه الله بعد موتها ومن اين يحييها كما قال زكريا عليه السلام
انى يكون لي ولد وامراتي عاقر ومن اين يكون لي ولد وكذلك قول مريم عليها السلام انى يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر ولم اك قال الله جل ذكره فاماته الله مائة عام ثم بعثه اماته اماتة لا حس معها
فيها ثم هنالك قال الله كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فاعلم جل جلاله
انه لبث مائة عام ميتا ولم يكن الله جل ذكره سلط عليه البلى فلم يتغير لذلك جسمه
ولا هيئته فبينما هو متعجب لبعد الامر وطول المكث مع زوال الذكر وسلامته من البلاء
زاده عجبا فقال وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي قد كان عهدك به
اسرع النفاد اليه والتغير وها هو لم يسل ولم يتغير كالمعهود قال الله جل قوله
وانظر الى حمارك اي فقد كان من المعهود ان يكون مما يبقى اطول البقاء من الطعام والشراب
فها هو قد محقه البلاء واستوعبه الفنا ثم عطف على محذوف هو والله اعلم لنبين لك
اعاجيب اياتنا في سؤالك ولنجعلك وما بعدك اية للناس ثم قال قوله وانظر الى العظام
كيف ننشرها نبه جل جلاله كيف يخلق الخلقة الاخرة ينشزها يخلقها خلقا ونظمها
وعلى هذه القراءة فالحمار قد كان بالغ فيه البلى الى ان فني فالعظام من اخر ما بقي من جسمه
فخلقها جل جلاله خلقا اخر وعلى القراءة التي هي ننشزها اي بعد الخلق لها نحركها
بعضا الى بعض واللحم نكسوها وينشز بعضها الى البعض تالفا واجتماعها بالقدرة
الى المواد فيها ثم قال جل قوله فلما تبين له ربه عجيب الابداع قال اعلم ان الله على كل شيء قدير
فصل انه من بلغ ان يريه الله جل جلاله اياته مشاهدة ومخاطبة بمطلبه بواسطة
الملائكة صلوات الله وسلامه على جميعهم لينبغي به عنه العلم بان الله جل جلاله يحيي
موتى الاحيا بعد موتها ولا يبعد عليه معرفة قدرة الله جل جلاله على خلقها اخرا كما خلقها
اولا وانما بين له من ابقاء ما ليس في المعهود بقاؤه بل المعلوم ان يسرع في ادنى مدة فساده
وبلى ما بلي وقد كان معهودا ان يكون او فرحظا من صفة الابقاء بكثير ليجعل له من علم نفسه
وحماره وطعامه وشرابه انه تبارك وتعالى كيف يقصر طول المدد بما شاء ويطول قصارها
بما شاء ويقضي في قصر المدة ما ليس من العادة ان يقضيه في اطول المدد وانه القادر على ان
مدة الدنيا حتى يكون للشا في طريقه خطوة واحدة حتى يكون في القصر كطرفة العين وان يطول
مسافة السير حتى لا يقطع مسافتها ابدا كذلك ان شاء جل جلاله اسكن الكثير في القليل وشحن
الواسع لو حب في الضيق الحرج وان شاء جمع الجملة في ذرة من ذرات العالم وضمن الخليقة
كلها في حبة الخردل وكذلك ان شاء جل وعز اسمع الميت الرميم سر الخطاب وافهمه دقيق
معنى المراد ومنعه الحي الكو بل ان شاء جل جلاله اذ لا يسمع وقع الصواعق ويمنعه
سلق الاصوات المفزعة ويريه حقيقة ما قد كان وبعضه كما هو كائن في المستقبل
كراي العين ويعجزه عن رؤية ما حضره ويمنعه مشاهدة ما هو قدامه ويقبض المبعد
المتناهي حتى يجعله كالبر ويبر السبر حتى لا ينقطع مسافته ابدا هو جل جلاله
القابض الباسط بلك الممتحن بهذه الايات علم ان الله على كل شيء قدير

فصل قال الله جل من قائل اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شئ وان فى ملكوت السموات والارض وفيما خلقه جل وعز مما تقدم ذكره واكثر
حدا فلا تكن من الممترين ولقد اخبر الصادق الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عن
الاموات انهم فى الدار الوسطى من احوالهم وحياتهم وعلمهم وذكرهم على درجات قال
الله جل قوله يسألونك عن الساعة ايان مرسيها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها انما
انت منذر من يخشيها ثم قال جل قوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها
فهؤلاء هم الكفار الاموات فى الدنيا الذين لا علم عندهم فى هذه الحيوة الدنيا وقال
جل قوله فى المكذبين اصحاب الجرم ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
ثم اخبر جل جلاله بمبعث جهلهم هذا من حيث هو فقوله جل قوله كذلك كانوا يؤفكون
اى فى الدنيا كانوا يؤفكون عن الحق فافكوا يوم البعث عن حقيقة ما القوم فى الدار
الوسطى من عذاب وافزاع ورضوض ورضح ونزل من حميم وتصلية جحيم وانواع
العذاب الاليم ثم اخبر جل جلاله عن اهل العلم بقوله وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون اى فى الدنيا فلذلك
لم يعطوا اعنى المكذبين فى الدار الوسطى من الحيوة الا ما الموا بها واحسوا العذاب من الحطم الاما
علوا به ما صار واليه حيث ما فاتهم ثم لما بعثوا الى الدار الاخرة افكوا عن العلم بما القوا
وسد عنهم ذكر ما اصابهم فيما هالك فيقسمون ما لبثوا غير ساعة انهم عند قيامهم بالنشور
للنفخة الثانية يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون اى من الامن للمؤمنين والفزع والحزن للمكذبين ثم قالوا وصدق
المرسلون فيما بلغوه والمؤمنون هم العادون يومئذ بالاضافة الى الكافرين قال الله جل
من قائل يخاطب الكافرين كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
فاسأل العادين اى المؤمنين الذين قالوا لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا
يوم البعث لذلك قال جل قوله لو انكم كنتم تعلمون اى فى الدنيا فعلمتم فى الدنيا الحق وقمتم
عليه علما فى الاخرى وفيما بين ذلك وهم فى ذلك على درجات فقولهم لبثنا يوما او بعض يوم
القائلون بعض يوم اعرق فى الكافرين من القائلين يوما من ذلك قول الله جل ثناؤه
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا ثم قال عز من قائل
نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فكلما كانوا فى الدنيا اشد
كفروا وفى الدار الوسطى اشد عذابا كانوا فى الدار الاخرة ابعد من العلم والذكر واحجب
تا فكا عن حقائقهم فاعجب لهذا كيف افكوا عن فظيع ما القوه من قوله عز وجل واما ان كان
من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وقوله جل قوله النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وعن ذكر ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لما يعروهم هنالك من
تعذيب وصياح يسمعهم كل شئ الا الثقلين ومن رضح وسدخ وحيات تاكل احدهم
فاذا فرغوا منه اعيد وافاخذوا فى اكله هكذا الى يوم القيمة وقول الكنانة تاويلها
اين تذهب بها يسمعها كل شئ الا الثقلين يقول الله تعالى انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر

الى يؤفكون وايدى جل جلاله موضع العبرة فكذلك يؤفكون فى الدار الوسطى ثم فى
الدار الاخرة وذلك والله اعلم لان العلم بما جاءت به الكتب والرسل والايمان والتصديق
بذلك هو الحيوة فى دار الدنيا كما قال جل من قائل او من كان ميتا فاحييناه وبذلك
كانوا اهل العلم والايمان ايضا احياء فى الدار الوسطى وفيما هنالك يتحقق العلم الذى
كان ههنا حيوة بالاضافة الى الاولى التى اكتسبوه فيها الا سمعه جل من قائل فاما
ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ثم هم بعد من ذلك على درجات الله
البر الرحيم الكريم نسأل ان يجعلنا من عليهم انه هو العليم الكريم ثم فى الدار الاخرة بلا حق
صفات الحيوة ومزيد العلم فبهذا وما هو اعلى واكرم فهذا تبين للنبى صلى الله عليه وسلم
المار على القرية فقال عند ذلك اعلم ان الله على كل شئ قدير **قوله** جل وعز واذ قال
ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى **فصل**
لا بد من بعد الايمان مع التبرى من الحول والقوة كذلك فعل امام المعتبرين والملائكة
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين قد تقدم فى المثل الاول الاحياء بمعنى امرار الحيوة وفى
الثانى احياء الجسم بما اراه من حماره من ذلك ثم ما اتبع ذلك من علوم فى مقابلة قوله
انى يحيى هذه الله بعد موتها استبعادا لذلك على سبيل السنة ومعهود العادة وهذا
مثل فى احياء جل جلاله الموتى حال موتهم الذى عبر عنه قول الحق عز قوله انا نحن نحيى
الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وقوله جل قوله وانه يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير
الى قوله جل قوله وان الله يبعث من فى القبور فهذه حيوة الاجسام وتلك حيوة فى حال
الموت وقد تقدم القول فى اثباتها وخفائها يخطر عند ما يمر بها اذ يقضيها وخفائها
عن معهود العقول الا بعد التثبت والاعتصام بهداية الله جل وعز قال ابراهيم عليه السلام
رب ارنى كيف تحيى الموتى ولانه فى ورا الايمان ومعهود العقول طلب لذلك مثلا يطمئن
اليه قلبه فاراه الله جل ذكره فى ذلك مثلا ووقف به على العلم بمطلوبه ثم قال له بعد ما
بين له ما شاء من التبيين واعلم مع هذا ان الله عزيز لا يمتنع عليه ممتنع ولا يعجزه
فى الارض ولا فى السماء فانت حكيم فى فعله كما يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى
الليل فى حكم هذا حال عينه عينه ويعدم حكم هذا حال ظهور عينه ويخرج الحى من الميت ويخرج
الميت من الحى وكل ذلك قد احاط احاطة له وعلمه واحصاه كتابه كذلك يخلق فى حال
الموت حياة ويخلق فى حال الحيوة موتا **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان
اول ما تعدمه بين يدى نظرك فى معانى كتاب ربك عز جلاله على نحو ما تقدم من الايمان والالقاء
بالنفس بين يديه جل وعز والتبرى من الحول والقوة حتى ما ادعيت علما سوى ما علمكه
اسلمت لنفسك ووكلت لصفاتك ثم اعلم علمنا الله العليم الحكيم من علمه واجزل حظنا
من معرفته ان ابراهيم عليه السلام هو الذى قال فيه الله عز وجل ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل
وكنا به عالمين وقال قوله فيه ايضا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين فهو جل ذكره لا يعلم الا من هنالك ولا بد له الا من حيث جله فى معالم قد اراه
اياها من ملكوته وانما تقدمت اليك بهذا لتاخذ لذلك اهبته وما لم تصل الى علمه

وكلته الى المعلم الاعلى عز وجل وتضرعت اليه كما امرك بان تقول رب زدني علما اعلمنا
الله العليم الحكيم من علمه واجزل حظنا وحظك من معرفته انا الله خلق الدنيا نبذة من الاخرة
صغيرا من كبير وقليلا من كثير على المرح واستعجلا رحمة الله عز وجل ولولا ذلك لكا نت
هذه جهنم الصغرى وان النار لما اشتكت الى ربها عز جلاله فاستاذنته في ان يتنفس نفسين
قدرهما عز وجل على ترداد وارث لحكمة التدوار احكم ذلك احكاما وقدره تقديرا
على مطالع بروج ومواقع نجوم واختلاف ليل ونهار فانطلع شمسها من قصدها ونزل
عليها الا فتح لها بابا من جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وقد جل جلاله رحمته في
كريم تدبيره قامعة لنفس جهنم تسحب جل جلاله هذه الرحمة اياها وكلها بها فهي
لا تعود صردا او بردا ولا تهيج سعرا او سموما الا اعقب جل جلاله ذلك منها
تقامع لها منه بها فيقول حينئذ حسبي ويزوي بعضها الى بعض وجعل ذلك حكمة
متصلا في اثناء تداويرها فراقرها بها وقهرا منه قهرها على تعديها الحد
الذي جعله لها بعضها وهو الواحد القهار هنا الى ارادته بالرحمة ومشيته بالرافة في
جعله نزواها وازديادها باوزان معلومة ومقادير مقسمة قدرها على دوائر
محكمة مخطوطة مقسمة كتابا كتبه جل جلاله على نفسه اذ رحمته تسبق غضبه كما وضع فيها
منها ما قدمر جانه ولم الحمد من رحمته عند فورانها بزمهريرها وسعيرها او رد ذلك
عليها بحكمه وقبضها عن انبساطها بحكمه فذاهبها سعص وواردها يزيد تزيدا
الوارد وانهزام الذاهب فيتحقق الوارد ثم يزيد ويفور فيعود عليها به منها فكذلك
الى مثلها هكذا جعل جل جلاله هذا اية على ما هنالك من حق موجود لا محالة اضطرت
عقول المعتبرين الى معرفة وجوده كاضطرادها بواسطة تيسير النظر الى القضاء بوجود
الفعل عن فاعل فعله وله جل جلاله رحمة من لدنه اصحبها تدبيره هذا طهرت لها عامة
اجواء الهواء والرياح في السحاب والارض عليها في الماء بعيح بهذه الرحمة ما بين من
الجنة احد البابين ما تقدم ذكره والباب الثاني فتحه بالرياح اللواقح فيخلق جل جلاله
السحاب وينزل الماء برحمته فيحيي به الارض بعد موتها ويكسر ببرده حر سعيرها ويلين
برطوبته يبوس الزمهرير ويخرج به من نبات كل شيء حي وهذه رحمة لم يجعلها في مواعيد
تدوار الدوائر بل جعلها عز وجل غيثا في تفضله برحمته فتحا يفتح به على عباده عند
حاجتهم الى ذلك وضرورتهم اليه وغياثا يغيثهم به عند شدائدهم ولنقتصر على
هذا القدر من التقدم فهو الذي يحتاج اليه فيما نحن بسبيل تبيينها **فصل**
قوله جل قوله فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
ياتينك سعيا هذا مثل ضربه الله جل جلاله وتعالى علاؤه وتقدست اسماؤه لخليله صلوات الله
وسلامه عليه وعلى جميع انبيائه ورسله وملائكته ثم لمن بلغ بما جعله اية على هذا المطلوب
وهي الطير المعلم والجوارح المكلبة قال الله عز وجل تعلمونهن مما علمكم الله كالبزاة
والكواسر وغيرها من الجوارح القابلة للتدريب والتعليم وربما كان المقصود بهذا
الطير من الدواجن المرباة كالدجاج والحمام والطواويس فانه اوجدها الله

جل جلاله

جل جلاله قابلة للتعليم ومبتغية للاحسان مسرعة الاستجابة وانما يضرب الامثال
بالمعهود الموجود تنبيها على موجود علمه من وراء علم ما ضرب له المثل يقول الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وتقدست اسماؤه وهو اعلم صرهن اليك اي املهن اليك بالاحسان مع التدريب
والتعليم والاستجابة للمراد كما فعلت انا بالذوات اصرتهن الي واخرجتهن في قبضتي
وسعت اليها بالاحسان واخذت عليها الميثاق والعهد وانا اذا ارسلتها انبعثت
واذا دعوتها اقبلت مسرعة وبالمشاهدة تعلم ان استجابة هذه الطوائر لك
بعد التدريب على المراد والتعليم **فصل** واختصاص الذكر باربعة طوائر هو والله
اعلم مثل المضروب به مثلا وهي الخارجة عن الجسم حين الموت برمتها خامسها وهو المثال
الخالف للجسم يبقى بعد الموت الباطن المعرب بالعبد المخلوق منه باطنا خلق الله
الجسم واربعة الروح والنفس والعقل والهوى كالجسم الظاهر الحامل لهذا الباطن مركب
الله جل ذكره من اربعة طوائر خامسها الجسم هو زمامها وحاملها وهي الدم المشابه
في طبعه للهواء كالروح المشتق من الهواء والبلغم المشابه ها كالعقل المشتق من الماء
والسوداء المشابهة للارض كالنفس المشتقة من الارض والصفراء المشابهة فيما طبعت
عليه النار كالهوى المشتق من النار وقال الله جل ذكره كل نفس ذائقة الموت فلا بد لهذا
العبد ان يذوق الموت وموته مفارقته للجسد وانفصال الاربعة عنه كما موت الجسم مفارقة
هذا الباطن اياه ثم انفصال الاربعة عنه ثم يحيي الله عز وجل هذا العبد الباطن
ويجمع اربعته ويركبه في مثال الجسم قال الله عز وجل وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
يومئذ يدعوها عز وجل فيجيبه من اصولها ومواضع احرازه اياها منه الا اراده عز
وجل من عمارة مثال الجسم الذي هو ليس يعتبر له بوجه ما ولا يقول فيه انه هو وقد تقدم من
تحقيق وجود ذلك ما فيه كفاية لمن لقن وهذا لكل عبد مكلف غير انهم درجات في تحقيق هذه
الحيوة ويفاضلها الى يوم القيمة تنادي طوائر الاجسام التي كان موته بفراقها وفراق هذا
الباطن فتاتيه سعيا الى مراده منها وبها من اصولها في العالم من هواء وماء ونار حتى انا
ذلك كله الى الهواء على اصوله التي انتزعها منها ومن تراب قد انشاه كما انشا اربعته فيما
لا يعلمه الا الله يدعوها عز وجل فيجيبه باذنه ويظنون مع ذلك ان لم يلبثوا الا قليلا واحد منها
من الارض وثلاثتها من الاجواء في انواع الموجودات وصرفها بين الناشئين على كناية
البقاء الزام لذلك كل من علمه كما قال جل قوله وننشئكم فيما لا تعلمون **فصل** وهذه
الاربعة الباطنة التي هي مرتبطة بالباطن الجامع لهن كالاربعة المرتبطة بالجسم الظاهر
غير انه يخالف هذه بحسبه على رجل الطب من صفات موجودات ما وجد الجسم وتوابعه منه باذن الله عز
وجل وفي هذا جاء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا عباد الله وقوله صلى الله عليه وسلم
ما خلق الله من داء الا خلق له دواء فاذا وافق الدواء الداء برئ الداء باذن الله وانما
يكون الدواء موافقا للداء بتوفيق الله عز وجل اذا كان العلاج على ما ينبغي وساعد المريض
ومن يخدمه والاشياء المحيطة به من مكان وزمان وهواء وماء وغذاء الى غير ذلك
فانه كان اهل النار اعاذنا الله الرحيم برحمته منها في الدار الاخرة من النار يالكون

ومن النار يشربون وعلى ادراجها يتقلبون فكذلك ساكنو هذه الدار شبهها
بها وكما ان في الوجود من رحمته ما لم يضيم تدوار الذي اثر فيكون بذلك العمر برحمته
اليقين وبانه دون غذاء البيلة بل هو بامتنان وفضل وكذلك حض على التوكل
وصف اولئك بانهم هم اتباع الانبياء والفائزون من امتهم ووجود مطلوبهم لكونه لا محالة
كما وجود فيه بالرحمة لعباده وان كان بغيره علمه لكن بفضل منه واحسان وكما ان الكون
كله قد عمه مقتضيات الاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى وكذلك وجود الكون في
وذكر اسماء الله عز وجل وقول الكلام الطيب وهذان الوجهان معد وما في جهنم اعاذنا الله
الرحيم برحمته منها التميز هابما هو منبعث نفث عنها بعيد ذلك فيها ونبديه على دوائر محكمة دون
رحمة بخلاف ذلك الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا
والاخرة وهو الكريم الغفار واما تخالف الاربعة التي هي صفات الباطن فهي تعالج بالصبر
عن الشهوات ولزوم طاعة الله جل ذكره على سنن الرسول صلوات الله وسلامه على جميعهم
وهذا السابق الى منال رحمة الله عز وجل ومحل رضوانه كذلك اهل الجنة من الجنة هم
ياكلون ومن الجنة يشربون وفي احوالها يتقلبون يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين **قوله** عز
وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
الاية صرف الله جل جلاله الخطاب الى ذكر النفقة التي تقدم ذكرها في سبيل الله كما نظم ذكر
الاحياء والاماتة عما تقدم ذكره من ذلك **فصل** اذا ورد ذكر الانفاق مقرونا بذكر
السبيل فهو الجهاد واذا جاء معرى من ذلك فهو في سبيل طاعة الله عز وجل لذلك نظم جل
جلاله ذكر الانفاق حمله بذكر الانفاق في سبيل الله فقال الله عز قوله الذين ينفقون اموالهم
في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاية ثم قال جل قوله قول معروف
ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى فقول معروف للسائل يوجب مغفرة ربه خير من نفقة
او صدقة لا يقوم خيرها بشرها بما يتبعها صاحبها من من واذى لذلك وهو علم
ختم الاية بقوله الحق عز قوله والله غني حليم غني عن تصدق هذا المال الموذي حليم يعرض
جل جلاله بعصيان عبيده ونقصهم **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم
الاخر هذا منتظم بالمعنى والمجاورة لما تقدم اكد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه على
الامة في التوصية وبالغ في النصيحة لاهل الانفاق الا يبطلوا صدقاتهم بافات يتبعونها
اياها فيما يكون بذلك المرائين والذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ثم ضرب
لذلك جل جلاله مثلا محكما فقال جل قوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل
فتركه صلدا يقول الله جل قوله مثل انفاق المرائي الكذب مثل زراع بذر بذره على صفوان
عليه تراب يسير فلم يجد البذر لعروقه مغاصا فاختطفته الهواء والشمس بعد نباته اذ لم يكن له
من الارض مادة من سقط واصابه مطر وابل فجرف يسير التراب عنه وذهب بالبذر وبقي الصفا
صلدا مثل جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه التراب اليسير الذي يستر الصفا بقول المرائي

وبظاهر

وبظاهر حاله ومثل بالصفا محلا لا ينفذ فيه عروق الزرع ولا ينبت عليه وهو كصفا
قاسي بافات من عمله ما يقوم في ابطاله مقام المطر الوابل في ازالته ذلك التراب والذهاب
بالبذر عن اصوله ثم مثل جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه مثل انفاق المؤمن يريد به وجه
الله والدار الاخرة ويعبر عن احتسابه في ذلك وحسن توجيهه بالعمل بقوله جل قوله وتثبيتا
من انفسهم بجنة بربوة اصابها وابل من اتباع اعماله بعضها بعضا حسنا بعد حسن ومحافظته
على اعماله فاتت على ذلك اكلها ضعفين فان لم يصبها الكثير من ذلك المعبر عنه بالوابل
فالقليل اي من العمل المعبر عنه بقوله جل قوله فطل يكفيها ويعطي على ذلك لطيب ترابها
وثبات شجرها الذهاب عروقها سفلا وبسوق فروعها علوا الذلك يعين المؤمن التقي
في الرجاء شكور في الشدائد صبور لثبات علمه وقوة يقينه وطيب نفسه بطول ما ادبها
في ذات الله سبحانه وصابرها على طاعته كالغارس المنتخب لغرسه ربوة من الارض بدلت عن الجبل
فلت من حرارته وحزونته ويبوسته وارتفعت عن البطنان ومستنقع المياه فهو فيه من
اجحاف السيول بما مرت عليه ومن افراط رطوبات المنافع وعفنها ثم لتربة هذه من ثبات
وغير ذلك من غرائب نباتها المودية لغراسها وشجرها وحسن عمارتها والقيام عليها
ثم اكد ذلك جل جلاله بمثل ثالث جمع فيه المعنيين فابلغ جل جلاله في النصيحة واللطف
في التحذير عن اتباع العمل بما نهى عنه ومثل ذلك جل جلاله باحوالنا التي نجدها
ضرورة من انفسنا لنفهم عنه من اراده بالافهام عنه وقال جل جلاله وقوله الحق
ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل
الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت يقول
الله جل قوله لعباده ايحب احدكم ان يكون كمن اتخذ لنفسه جنة اطاب ترابها وانتخب
بقعتها ونهمه في غراستها بانواع الغروس لما يرجو من المنفعة منه ثم شوقه في خلالها
انهارا تسقيها امنه فعمل ذلك في حال فتوته ونشاط شبيبته ارصادا منه لها زمان
شيخه وكبره حين ضعف قواه وامتناع حيله وعدم تصرفه ولحاق مثل الظهر
بذرية ضعاف لا حافظ لهم سوى هذه الجنة التي اعدها لنفسه ولهم فاتاها من عند
الله جل جلاله ما اهلكها عن اخرها كيف ترون حال هذا فكذلك العامل على ما لا ينبغي
والمسيء عمله ما يفسده ويبطله فيقوم بعمله من ذلك مقام الاعصار مع النار الجنة ذلك
الغارس لاجل ذلك قال السلف رضي الله عنهم المحافظة على العمل مع العمل اشد من العمل
والمحافظة على العمل بعد العمل اشد منها لذلك قال عز من قائل كذلك يبين الله لكم
الايات لعلكم تتفكرون ومن المحافظة على العمل ان يكون الانفاق من طيب المال وخالصه
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون الى قوله تعالى ان الله غني حميد اي غني
عن ذي ينفقون حميد العمل الزكي يراد به وجه الكريم ثم نظم الى ذلك ذكر عيهم
الى ما يبعضهم وينقصهم عند ربهم من التخلق بذميم الاخلاق من البخل والمنع والمن
لا اغناهم الله عز وجل به من فضله ولو شاء لجعلهم الفقراء السائلين بقوله جل

من قائل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا
والله واسع عليم هذه الاية اصل لمعرفة اللقيين واعلام بمنبعث الخاطرين **قوله** تعالى
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا الحكمة هو الصواب في القول
والعمل وعلى التحقيق فالحكمة اصابة الحق بين المتشابها وفعل ما هو الاولى وفضل الكمال مع
وجود الموانع والحكمة انها فهم القران والحكيم هو من اخرج معاني الشيء من مخارج معاني التمييز
وقوم نفسه عن عوجها وداضها من دعوتها وصعوبتها فسلك بالبشر منها مسالك
اليمن وهذا تفسير لما تقدم واصل وجود الحكمة في هذا العالم الدنياوي ومنبعها فعل
الله جل ذكره في فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها في تعاقب نفسيها على ما مضى ايماءه
وتقسيم ذينك النفسين على اربعة اجزاء الد واثرها واراده فتح رحمته عليها ثم كيف مازج
بين ذلك بحكمه واحالها الى ان يكونا رحمة بلطيف تدبيره وعجيب حكمته بما قارن بين المتعاكسات
وزاوج بين المتنافرات وكثر على الوحدة ووحد الكثرة واوجد عن ذلك بحكمته بالغة
انواعا من حيوانات دل بها على ما هنالك وضروبا من موجودات جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها اية على وجودها في الدار الاخرة تحقيقا ولم يخل الشيء المرئي من مكروه ينفر عنه ولم يدع
الكريه الفظيع من مراد فيه ويدعوا اليه لذلك قال عز من قائل وما يذكر الا اولوا الالباب
رفع قدر الحكمة واعلم انه لا ينال عليها الا بالتذكر والتفكر وتكرير الذكر على الفكر والفكر
على الذكر تذكروا فاذا هم يبصرون ثم ارجع جل جلاله على معنى النفقة ذكر الوفاء بها
وما كان من نور بطاعة الله عز وجل فاعقب ذلك بقوله وما للظالمين من انصار اي ما للظالمين
الذين ينفقون اموالهم في سبيل شهواتهم لا على ابتغاء مرضات الله عز وجل ولا بنيات لله كريمة
يثبت عليها انفسهم وكذلك الذين يعقدون على انفسهم عقود النذور ولا يوفون بها
ما لهم لا من الله من انصار **قوله** تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم يقول جل قوله وهو اعلم ان تبدوا الصدقات ايتها بكم وتقتدوا
بفعالكم فنعما هي وهو افضل على هذا الشرط ومتى عريت الصدقة عن ابتغاء فضيلة
الاقتداء كان الاخفاء افضل فكان الاعلان افضل من الاخفاء بشرط الاخلاص والاخفاء
افضل بنص القران والاعلان ابتغاء فضيلة الاقتداء لا يكون الا لاهل العزم والقوة
الموصوفين بالامانة والاخفاء اسلم واقرب الى العافية وعطف بالواو قوله ونكفر عنكم
من سيئاتكم على المعنى الذي في قوله فهو خير لكم وهو الزكاء والتقرب وتقدير الحذف والله
اعلم ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اقرب الى السلامة مع ما نطهركم به ونزكيكم
ثم عطف بقوله جل قوله ونكفر عنكم من سيئاتكم موضع العلانية هو الفريضة وموضع
السر هو النافلة الامارحجة معاني القرب الموجبة للثواب ورضا الله تعالى ورفع الفضيلة
فصل يجتمع للمتصدق عدة معان من اسماء الله تعالى سوى تحقيق عبوديته منها اسم الصدق
لانه صدق بظاهره وباطنه ومنها اسم الكرم والسخاء والسماحة واسم المعطي واسم الهبة
وهو الخير والزكوة والقرب **قوله** تعالى ليس عليك هداهم هذا خطاب راجع معناه
الى المؤمنين الموصوفين بالمن والاذى والبخل والشح والرياء والكفر بالله واليوم الاخر

واهل

واهل الاهمال في النيات عند توجيه الاعمال والعمد اخراج رديء المال وخبيثه دون طيبه
هذا انتظامها بالمجاورة واما المعنى فهو راجع الى كل مذموم من خلق وعمل في دنيا ودين
ثم ارجع جل وعز الخطاب الى ذكر الانفاق بقوله جل قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم
الخير هو ههنا الطيب وتوجيهه على وجهه واراه والله اعلم عنى بذلك ان ليس عنده
ما ينفق الا على نفسه فعوده بهذه النفقة على نفسه اعظم للاجر كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم من له درهم فليعده على نفسه ثم على ولده ثم على اهله ثم على خادمه ثم على قرابته ثم على
جاره ثم فليقل هكذا وهكذا او هكذا ثم قال جل قوله وما تنفقون الا ابتغاء وجه
الله لم يسم الله جل ذكره انفاقا الا ما كان لوجهه الكريم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وما كان
لغير الله او بغير نية حسنة فاسمه التبذير والاسراف ثم ارجع جل جلاله الخطاب الى قوله
جل قوله فلانفسكم بقوله جل قوله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون
ثم ارجع الخطاب الى قوله جل قوله وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله لما بين ان الانفاق هو وجه ما نظم
جل جلاله اتمام الكرم بحيث يكون موقع الانفاق فقال عز من قائل للفقراء الذين احصروا
في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض بتجارة ولا عمل في ابتغاء الرزق يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا فهذه هي الدرجة العليا في المعطي وموقع
الانفاق وجد قوت النفس والعيال كما ان حسن الدرجة وعلياها في حال المعطي حسن التوجه
لله جل ذكره وابتغاء المال وطلاقة الوجه بالبشر والتانيس حين الاعطاء وقول المعروف
مثل ان يقول للمعطي يا اخي هذا حقك انما هو مال الله اعطاكه ولك المن علي باخذه مني
وقبولك له عني فاياه فاحمد دون من سواه فهو وهبك هذا وشبه هذا من المعاني ثم ختم
هذا بقوله عز قوله وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الخير ههنا عبارة عن جميع ما تقدم من
الشروط في المال والمعطى له واحوال المعطي ومقالته ثم اعقب ذلك بقوله جل قوله الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
هذه مبالغة من الله جل قوله عند جابيانها في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة فذكر جل جلاله الجهاد في سبيله واقتصر ههنا على ذكر المنفقين
اموالهم التاركين لحظوظ انفسهم فهي متابعة من وجه رفع الله جل ذكره قدر الانفاق في
سبيله وعلى وجوهه المرضية وجعل المنفقين على ذلك هم الامنون يوم الفزع الاكبر والهول
الاعظم اتاهم اجرهم على ما اتوه من اموالهم وحظوظ انفسهم الامارة بالسوء وامنهم من مقاساة
الاهوال والخوف والحزن وسوء الحساب ذلك لما امنوا السائلين المفتقرين الى ما في ايديهم من
اذى وجهامة وغير ذلك **قوله** تعالى الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس نظم ذكر الربا بذكر الانفاق اذ من الانفاق ما هو قوت للنفس
والعيال وغيرهم فهو خبث لمكتسبه ومنفقه واكله واعلام منه جل جلاله ان حال الاكلة في الدار
الاخرى ودار البرزخ فزعا وجزعا وسوء حيوة حال المتخبط حيوتا وحال القائم عن تلك
الحال فعبر القران العزيز عن حال بواطنهم وسوء حياتهم هنالك من هذه الجهة وعبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن سوء احوالهم في اجسامهم وخزيهم في انفسهم بقوله صلى الله عليه وسلم

رايت قوما بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من ظاهر بطونهم يحطون على سائلة ال
فرعون كلما مروا بال فرعون غدوة وعشية ليعرضوا عليها داسوهم بارجلهم فيردوهم
ثردا هذه صفة اجسامهم وتزايل اعضائهم وحل تركيبهم كقيام المتخبط من المس في
باطن تركيبه وفساد خلقته من باطن هذا شيء عذبوا في قبورهم بما اكتسبوا من ذنوب الربا
ولهم بكل ذنوبهم عقاب يشبه وصفه وصف ذنوبهم قال الله عز وجل سيجزيهم وصفهم انه
حكيم عليم وهل يجزون الا ما كنتم تعملون **فصل** يجب الايمان بوجود الاعمال كلها من طاعة
ومن عصيان ولها وجودا مصورا على صورة جزائه من ثواب وعقاب على قدر رفعته في الا
وسفاله يكون تصويره في الحسن والقبح وذلك الذي يعرض عليه يوم يعرض عليه اعماله يشاهدها
مع ذلك مقيسا على كل عمل اذ ذلك لا يستطيع ان ينكره لانه في حالة حينئذ كانه قائم على ذكر
العمل الا من كان اسس عمله على الكذب في دار الدنيا فهو يتاهب وهم المنافقون والمراوون
باعمالهم قال الله جل ذكره يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقال جل قوله في الكفار
وشهدوا على انفسهم وقد يكون من الكافرين انكار وحلف لعدم علمهم في الدنيا فيخرون
على ذلك قال الله عز وجل ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا **قوله**
عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين كان
للكافرين وما في الجاهلية قبيح نهى عنه الشرع وقبحه مثل بيعهم حبل الحبلة والتمر يسلمون
فيها الى سنتين وثلث وبيعهم الملاقيح والمضامين وبيع الملامسة والمنابذة وكان
احدهم ينكح ابنة قبل ان يولد واحد صداقها فان ولدت امراة او لما بلد انثى فهو
زوجها الى غير ذلك من انواع ضلالتهم واباطيلهم فانزل الله عز وجل تحريم الربا
قالوا وما شان الربوا الا بيع والبيع مثل الربا وكان قد نهى على المؤمنين انواع من الربا
كالمزابنة والمخابرة والمحاقلة ونهى عن المعاومة وعن بيع الثمرة حتى تزهى ومهر البغي وحلوان
الكاهن وبيع الخمر وعن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة متفاضلا وكذلك البر
بالبر والشعير بالشعير الى غير ذلك وكلا ادى الى حب وخداع فانزل الله عز وجل في ذلك
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا
فاذنوا بحرب من الله ورسوله المعنى ثم لا اهل التقوى في المعهود بين الناس بالا يرتبوا
وهو السلف الى اجل بعيد وبيع العينة وما تحيل به المتحيلون من اكل اموال الناس لاجل ضرورة
يضطرهم وشدة تدعوهم ووجوه سواها تقارب الربا وتجاوره جعلوا ذلك
بدلا من السلف والتوسعة والعود بالفضل التي ندبوا اليها وامروا بها سكت الشرع عن
تعيين ذلك ومعناه داخل في النهي جاء النهي والوعيد عاما كل في مقياسه ودرجته
شمل ذلك قوله جل من قائل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم
مؤمنين قال الله تعالى وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم
من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون **قوله** عز وجل واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وعيد منه جل جلاله اولا الى من لم ينته
عن الربا وبالعموم على كل نهي تقدم ذكر بعض العلماء رضي الله عنا وعنهم ان هذه

الاية من اخر ما نزل وان كان ذلك كذلك فكانها خاتمة التنزيل كما ختم بها جميع
ما جاءت به هذه السورة من امره ونهيه وهي حاكمة من هذه الجهة على ما انزل قبلها
وما ياتي بعدها **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
فاكتبوه الى قوله جل قوله وليؤد الذي اوتمن امانته وليتق الله ربه ونظم معنى هذه
الاية بما تقدم من ذكر البيع تمييزه من الربوا فذكر الدين واحكامه بعد ذكر الانفاق
وبخاصة ذكر الربا والوعيد عليه كيف يكون تو...التابث منه اذ الاموال موضع النفاق
والربو يدخل اليها من باب التوسع في انواع التبايع فذكر جل جلاله ذلك نظا بذكر الا
والشهادة ووعظ الكتاب في ذكر الرهن والامانة فيه وفيما اغفل الاشهاد والكتاب وو
الكتاب في عقده واكد جل جلاله التوصية بالتقوى الى قوله والله بما تعملون عليم **قوله**
جل من قائل لله ما في السموات وما في الارض اشبه هذا قوله جل قوله في بدء التاليف
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين وقوله عز وجل وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء جوابه منه جل جلاله لقول العبد مخاطبا
له اياك نعبد واياك نستعين ومفهوم الجواب منه مبايعة من الله لعبده كيف جزاؤه
اياهم على نياتهم الباطنة واعمالهم الظاهرة في عباداتهم اياه وطلب المعونة لذلك وهو
اعلم صدر الخطاب بوصف نفسه وكان وصف الملك اولى في هذا الموضع لمعنى العبادة
وارصاد الجزاء عليها اذ الملك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه
وعطف جل وعز بالواو واستينا فالغرض شرط المبايعة في قوله جل قوله وان تبدوا
ما في انفسكم المعنى **فصل** ذكر ابن عباس رضي الله عنه في قول الله جل وعز ان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انه منسوخ بقوله جل وعز
لا يكلف الله نفسا الا وسعها وتابعه على ذلك عطا وقتادة وقال ابن مسعود رضي الله عنهم وروي
عنه ايضا انه قال لم ينسخ ولكن الله عز وجل اذا جمع الخلايق يقول جل قوله اني اخبركم
بما كتمتم في انفسكم فاما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم واما اهل الشرك والتكذيب فيخبرهم
بما اخفوا من التكذيب والريب قال فذلك قوله جل قوله يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء وروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لسائل سالها عن هذه الاية لست سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبلك فقال عليه السلام هذه مبايعة الله العبد فيما يصيبه من مصيبة او شاكة
من شوكة في نفسه واهله وماله حتى انه ليضع البضاعة في كمه فيفقدها فيفزع لذلك ثم
يصيبها فيوجر على ذلك حتى يخرج المؤمن من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وما ذكره
رضي الله عنه وعنهما من انها لم تنسخ صحيح الظاهر والذي يقوم عليه الحجة ان قوله عز وجل
لا يكلف الله نفسا الا وسعها المعنى انه بيان لمعنى المبايعة المذكورة اذ قوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم الاية مجمل يحتاج الى تفصيل وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تفصيل
لذلك المجمل وقوله تعالى لها ما كسبت اي من خير وحسن وعليها ما اكتسبت اي ما فعلت من سوء
ظاهر بجوارحها ان كان ذلك مما لا يتم الا بعمل الجوارح او باطن بجوانحها ان كان ذلك السوء
قد يتم في الباطن كالكفر والشرك والنفاق فعبر جل جلاله بوزن فعل في قوله جل قوله

الاية

من الخير اذ قد يفضل جل جلاله بان الخير كله خاطره وتردده في الباطن وخارجه
عن الجوارح للعبد مكتوب مدخر ثوابه وان الشر لا يكتب على العبد الا بعد التردد والعقد
عزما عليه ان كان من العقود وان كان مما لا يتم الا بالظهور على الجوارح فبعد ان يظهر
وينفصل وهو قبل ان يظهر ان رجع عنه وتركه لله تعالى كتب له ثواب ذلك حسنة وان تركه
لعارض عرض او لامر لم يكتب عليه سيئة فعلى هذا جاء قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت بين
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه عن ربه جل جلاله من رواية ابي هريرة وغيره
رضي الله عنه يقول الله جل جلاله اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة وان عملها كتبت
له عشر حسنات الى سبع مائة ضعف واذا هم بسيئة فلم تعملها لم اكتبها عليه وان عملها كتبتها سيئة
واحدة واغفر وفي اخرى في السر فانا اغفرها ما لم يعملها الخطرات من المؤمن يكرهها
ولا يملك ايرادها ولا اصدارها فذلك معفو عنه والحمد لله رب العالمين وخطرات
الخير له مكتوبة فتاب الله علينا ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين بل المرجو من فضل الله
عز وجل ان المؤمن في خطرات الشر التي لم يملكها وهو يكرهها رحمة من الله عز وجل في حسنة
سات بها المكراهة اياها وحزنه من اجلها على صحة هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
عن الشيء يجد احدهم في نفسه يود ان يكون حمما ولا يجد فقال صلى الله عليه وسلم او قد وجدتموه
الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة ذلك محض الايمان فموضع حقيقة الرجاء في هذا قوله
صلى الله عليه وسلم ذلك محض الايمان فرفع موجوده العبد من اجل ذلك الكاد له وحزنا
الى خالص الايمان وهو لبه فالثواب عليه من رفع الثواب ولما كان هذا الوجود مما لا يملك
جلبه ولا دفعه او حال ظهوره لم يتعين عليه ثواب يكون المدح لواجده الكاره المتحرز من حيث
مقابله لذمه **قوله** تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير اشبه هذا الخطاب ما ذكره جل جلاله في سورة ام القران قوله جل قوله
اهدنا الصراط المستقيم الى اخرها واثنى على ما ذكره في اثناء السورة لقوله جل قوله
قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى قوله جل قوله فان امنوا بمثل
ما امنتم به فقد اهتدوا او نحوه كذلك اشبه ما فيها من دعاء في ام القران في انه سؤال
وتضرع وانه مضمون الاستجابة كالذي في تلك في قوله في ام القران لعبدي ما سأل
وقوله جل قوله في هذه قد فعلت قد فعلت قد فعلت نعم نعم نعم هي سبعة مجابة
لله الحمد من قبل ومن بعد يقول العبد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا يقول جل
جلاله قد فعلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا
عليه مصداقه في القران العزيز لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما يقول العبد ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قد اعلم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه في مواضع
من كتابه العزيز ان ذلك كان منه في الاولى منها قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم وقوله جل قوله ما جعل عليكم في الدين من حرج وقوله عز وجل وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فهاتان لقوله جل قوله قد فعلت ولما كان سائر الاربعة التي هي العفو

والمغفرة والرحمة والنصر تحرض سائلها للاجابة والحرمان لكنه يفضل جل
جلاله بادخال قارئ هذه الايات في ايجاب الاجابة كما فعل بقارئ ام القران من تفضيح
النعمة وانفاذ الوعد الكريم بالاجابة خاصة في هذين الموضعين ام القران و
اواخر سورة البقرة كما بشر الملك صلوات الله وسلامه على جميعهم في قوله عز وجل ابشر
يا محمد بقرانين اوتيتهما من تحت العرش لم يؤتهما احد قبلك ام القران وخواتيم سورة البقرة
لن تقرا بحرف منها الا اوتيته وكل ما نسب الى ما هو تحت العرش علوا فهو عبارة عن خصوص
الرحمة اذ ما كان على صفة الرحمانية وكل ما سفل كان اقرب الى الابتلاء الا يرى ان اسفل
السافلين هو موضع العذاب الصرف فالجنة تحت العرش والشمس موصوفة بانها تحت
العرش هو موضع سجودها خلافا الموضع طلوعها وغروبها وصفها النبي صلى الله عليه وسلم
على ذلك انها تطلع على قرن شيطان وبين قرني الشيطان وعلى هذا كله قوله الرحمن على العرش
استوى ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيرا وقوله ان رحمتي تغلب غضبي سبقت بسم
الله الرحمن الرحيم فافهم والمن عن ربك جل جلاله فصل الخطاب **فصل** صدق الاعتبار
وصح النظر على صادق الوحي والحمد لله رب العالمين ام القران اشتملت على جميع ما في القران
مجملا كذلك اشتملت سورة البقرة على ما في جميع القران تفصيلا لمجمل ام القران ثم في سائر القران
اتمام التفصيل والتوصيل والتبيين والشرح والله الموفق لاصابة الصواب بمنه وفضله العظيم

سورة ال عمران مدنية كلها فيها من المنسوخ اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل قوله الم قد تقدمت اشارة الى معنى ما جاء من الحروف
المقطعة في اوائل السورة من اجل وانها والله اعلم ايات على حروف ام الكتاب في دلالة
عليها وقد تقدمت الشواهد على ذلك من القران العزيز مقرونة بها **قوله** جل ذكره
الله لا اله الا هو الحي القيوم الالف واللام في اوائل هذه الاسماء لا محالة للتعريف
والعهد عرف عباده جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بانه الله لا اله الا هو الحي
القيوم فكانه قال الم هو الله الا له وجاء من هذا ان الم سرها هذه الجملة كما قال
جل جلاله وتعالى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى والحي القيوم العليم معناها عن وجود
الاسماء كلها على الكمال للدفع والوجود لا على كمال القيومية معبر معناها عن القيام
كله خلقا وامرا وشهادة وغيبا وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اسم
الله الاعظم الحي القيوم وفي اخرى اسم الله الاعظم بين هاتين الايتين قوله جل قوله
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم وهي جملة محكمة
فصلت من مجمل محكم **قوله** عز وجل الم كما تقدم والله اعلم ثم تنسق بعد قوله جل
قوله نزل عليك الكتاب بالحق الى ما يأتي بعد هذا فاعرفه وفقنا الله واياك بما يعرف
اليك فقد فتح لك باب معرفته في تعريفه بنفسه فالكلم الاول جمع معاني ما سواه من الكلام اذ جمعها
شارحة له منبهة عليه ثم الكلمتان بعد جمعا معاني الاسماء كلها الذاتية والفعلية اذ لا يوصف
بحقيقتها سواه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ولا يعرف كمالها الا له ثم اسم المعبر
عن الوحدانية في عزة الربوبية وعظمة الالهية هو الذي لحقيقته قام كل شيء وتمامه

كل كائن علوا وسفلا دنيا وآخرة وبالاخلاص بالتصديق والشهادة بمقتضاه كان
الفوز كله ومن اجل الخيبة من الاقرار بالتحقيق والشهادة له كانت الخيبة الجماء والخسران
الكبير **فصل** والمعرفة هي ان تعرفه بآلائه الكاملة وصفاته العالية واسمائه الحسنى
واي نعمة اكمل واي نعمة هي اعظم من ان جعلك عبدا لرب هو الله لا اله الا هو الحي القيوم ذو
المجد الذي لا يداني والعز الذي لا يطاول اذ جعلك عوضا من ان يكون عبدا لما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ضلال عن القصد بعيد وحرمان من حظ الدنيا والاخرة
شديد واعلم ان المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة والمعروف بهما واحد فمعرفة
الحق هو ما بدا للخليقة من اسمائه وصفاته اثارة في موجوداته ونصوصا ومعاريض في كتبه وعلى
السنة رسله وانبيائه صلواته وسلامه على جميعهم واما معرفة الحقيقة فلا سبيل الى بلوغ كنهها
لامتناع علاء الصمدية وعزة عظمة الربوبية ولانه لا شبيه له فيشبه به ولا مثل له فيقاس عليه
قال الله عز وجل ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ومن عرف لم يعرف صفته الا ما يحبه لاجله الذكر كما
المعرفة من علامات الجنة ومن عرف فمن علامات معرفته ان يرى العارف نفسه في قبضة العزة تجري
لطائف القدرة لذلك كان شأن العارف المحقق السكون تحت جري الاحكام والطمانينة لتصريف
الفعال وعليه **قوله** عز وجل نزل عليك الكتاب بالحق الى قوله جل قوله ان الله عزيز ذو
انتقام معهود انزل على وزن افعل الاتراك من علو الى سفل ونزل على وزن فعل التنزيل
الذي هو التيسير والتعريف الذي هو لتفهيم والقرآن منزل عما هو عليه لانه على كلام الله جل ذكره
الذي ليس كمثله كلام عظيم نزل روح القدس جل جلاله بالحق الى الروح الامين الى قلب الرسول
عليهما السلام الى شأن تلاوة وقراءة قرآنا عربيا بالالسن حديثا صادقا مقطعا على مخارج الحروف
وهو ايضا منزل عما هو كتاب الله العلي الاعلى الذي هو كتب القلم في اللوح المحفوظ قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكتب في الذكر كل شيء فنزل جل جلاله حروف الكتاب الى الحروف المقطعة في اوائل السور
ثم نزل جل جلاله تلك ايضا الى ان جعل ما انزل منه علينا كتابا يكتب بحبر في مجموعة مؤلفة مكتوبا
لنا قال الله جل قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا
عربيا لعلكم تعقلون اي نزلناه من ام الكتاب الى ان جعلناه قرآنا عربيا على السنتكم لتعقلوه
وتفهموا المراد به ومنه لذلك قال عز من قائل وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم اي بعيد عن افهامكم
على ان تدركه عقولكم لولا تنزيلنا اياه والحروف المقطعة في اوائل السور آيات على ام الكتاب
وواسطة بينه وبين ام الكتاب المنزل كذلك كل سورة الى كتاب عزيز عند ربه نزل عليه من ام
الكتاب ومن كلام رب العزة جل ذكره الى الرسول المرسل اليهم بلغتهم ليبين لهم مراد الله
منهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء **فصل** انزل القرآن جملة الى سماء الدنيا
ووضع في بيت العزة ومن هنا انزله نجوما وكان ذلك في الوجود بمنزلة ما يرسل الله
عز وجل الرياح مبشرات ونشرا ثم يوجد في السحاب وبعد ذلك ينزل الى الارض
بقدر ما يشاء وكما انزل جل جلاله الى السماء الدنيا كذلك انزل الى قلب الرسول صلى الله عليه
وسلم ثم بقدر تلاه ترتيلا بالتنزيل والانزال عليه متى نزلت نازلة او سئل عن امر همه قريشا
ان ينزل فيه قرآنا ويكون امرا ما يريد الله عز وجل ان يبينه انزل عليه في ذلك ما هو كشفاء

والرحمة

والرحمة للمؤمنين وكان ذلك في وجود الحق كالفطرة اول شيء خلقه على الاصل كل عام
بقسط معلوم من تلك الفطرة شاهد ذلك وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما
يشقق فيخرج منه يعني يكون ذلك بمثابة الدمع وان منها لما يهبط من خشية الله ثم النبات
من ذلك في درجة ثم الانسان في درجة شاهد ذلك العموم قوله جل قوله وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس اي طوعا شرعا اي انه لا يسجد الا كرها
من دونه من العوالم ويجعل طوعه بالعبادة والسجود لغيره **فصل** لما كانت النبوة
قد فاقت علم الفطرة وعلت على معاليها وجب وجود حكمة الله تعالى ان يتقدم للنبي والرسول
صلى الله عليه وسلم من معنى النبوة حمل الرسالة بما يقوم مقام الفطرة للخليقة فان النبي صلى الله
عليه وسلم ياتي بما ليس في طاقة البشر علمه والاتيان به من حيث هو نبي فقول الله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما ثم بعد تفصيل جل جلاله في حال الابتداء ما اجمله قبل تفصيله بعد
ليبين للناس ما نزل اليهم وقد نص جل جلاله على ذلك للعقول الصائبة وكان قد قبض الرسالة
بقوله جل قوله وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فاجاب عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم
والمراد بالاعلام اياهم ومن شأنه بذلك كذلك اي كذلك فعلنا اي انزلناه جملة واحدة عليه
لنثبت به فؤادك فاذا نزلت النوازل وسألوك ابتداناك بما تثبتنا فحينئذ لان جملته
مستقرة في فؤادك ثم عز وجل ورتلناه ترتيلا اي قطعنا انزاله تقطيعا لاوقات
الحاجة اليه ثم عطف جل جلاله بالواو على معنى ما تقدم فقال جل قوله ولا يأتونك بمثل
الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا فدخلت الواو في قوله جل قوله ورتلناه ترتيلا عطفه على ما في قبله
من معنى كذلك دخلت الواو التي في قوله جل قوله ولا يأتونك عطفا على قوله لنثبت به فؤادك
قوله عز وجل وانزل الفرقان ذكر الاكثر من المفسرين ان الفرقان اسم من اسماء القرآن
وقولهم هذا يصح من جهة ان القرآن فرق ما بين الهدى والضلال والحلال والحرام والمحكم والاحكام
وتسمية الشيء بما يقاربه او يكون منه بسبب صحيح جائز وقصد القول في ذلك ان شاء الله تعالى ان
الفرقان ذا معنى ما قالوه نور في بصر القلب عن روح نزل به الملائكة على الانبياء عليهم السلام
فيه يفرق بين المشتبهات ويميز من اشكال في غيابات غيبها وهو كالضوء في ظاهر الكائنات
المستقيمات فالفرقان بين موجودات المعاني بانوار البصائر والتفريق بين الصور يكون بحواس
الابصار وكما نزل الفرقان وانزله كذلك نزل القرآن وانزله قال الله عز وجل تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا اعلم الله جل وعز انه شخصا واحدا محيطا
لجميع المعلومات جملة وتفصيلا ثم كتب جل ذكره في الذكر كل شيء جملة محيطة بما كان الى يوم
القيامة فكان بذلك محكما ثم فصله بعد بالتنزيل والتبيان فكان فرقانا من اجل ذلك
قال الله عز وجل الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير المعنى الى آخره
وكما انزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم كذلك انزل على الرسل قبله صلوات الله وسلامه
على جميعهم قال الله جل ثناؤه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
وقال ايضا جل قوله ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلهم يهتدون وبما قال الرسول

الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فالفرقان ايضا نور يؤتيه الله اهل العلم
والتقوى يفرقون به بين المشتبهات ويبصرون به صور المعاني بالحقائق يعبرون بها في بواطنهم
بعضا قال الله جل قوله يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا الاية وقال
جل قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به ومن قويت هذه الصفة في باطنه ظهرت على لسانه اولى فصل الخطاب وتميزت صور
معاني الموجودات في باطنه فنظر ابصر الحقايق ومتى نطق عبر عن صور المعاني بالكلام كتويب
قوله عز وجل ان الذين كفروا بايات الله يايه هنا تنزيل الكتاب المبين من حروف الحروف
المقطعة الموسومة في اوائل السور التي هي ايات على تلك وواسطة بينها وبين حروف القران ونزله
ايضا الفرقان من لدن علمه المحيط سبحانه التفصيل وتفصيل التفصيل الى ان جعله جل جلاله
نورا في قلوب عباده وفرقانا في اثناء كتابه يقرأونه بالسنتهم ويميزون به معاني خطابه في
بواطنهم هذا خاص قوله هنا ان الذين كفروا بايات الله وعلى العموم بالكفر بقوله في اياته في السموات
والارض لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام فالفرقان على هذا هو كلام الله جل قوله وقوله
الله وان كان منزلا معربا للاسماع والافهام ذلك قوله عز وجل حتى يسمع كلام الله كذا كلام
الله من قبل وقال الله لا تتخذوا الهين قول الله لا محالة ولا مرية فيه نزل به روح القدس من لدنه
الى الروح الامين الى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم الى لسان الصادق المصدوق وصلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين ثم عنه الى اصحابه الى تابعيهم ينقله خلف عن سلف والمنقول كلام الله و
العلي العليم يتبين لنا بالحروف والاصوات المحمولة في الهواء بتقطيع الالسنة لها في مخارجها من القراء
الناقلين وهو غير حال فيهم لا حفظا وعيانا وعلى ذلك فقد وصفه جل جلاله بما يوصف به
الحال بقوله بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم واما الصفة فلا يجوز عليها الانتقال
ولا الحلول البتة كذلك قال هو ايات بينات وما يجحد باياتنا الا الكافرون فعلى هذا كلامه صفته
العلية فكلامه القران الذي نزل به روح القدس وقراءتنا وان كانت مخلوقة محدثة لانها صفات
لنا موجودة بنا توصف اعني القراءات بانها قران وعلى هذا جاء قوله الحق انا جعلناه قرانا عربيا
وفي الفصل الذي قبل هذا قال انا انزلناه قرانا عربيا من اجل هذه الشبهة حدث الجدال وكثر الخصام
ولم يزل الواجانيين على الركب يخطئ بعضهم بعضا ويكفر بعضهم بعضا وفصل الخطاب في ذلك
الكلام المنزل من ربنا جل جلاله لا يلحقه القول بالخلق البتة ثم هو القران الذي هو قراءة لنا
لا ينطلق القول فيه بالخلق تعززا وتعظيما من ان هذه القراءة منا حاملة ونا قلة لمعظم
مرتفع عن القول بذلك ومن حيث هي قراءة موجدة موجدة لنا عن نفس مقطع بواسطة ان من نوع
للتقطيع على مخارج حلقية وهوائية وشفوية الى غير ذلك فهي مخلوقة والتعزيز والتوقير
اولا ولهذه الشبهة امتنع كثير من السلف ان يصفوه بانه مخلوق او غير مخلوق لنظرهم الى هذا
الفصل من الجملة اولا بارة عملته في الجملة بخاصتها وهذه المسائل انما اشتبهت فاشكلت
من انها تركبت من معان احتملت فيها فكانت في ذلك كخلقة ادم عليه السلام خلقه به جل جلاله من تراب
وماء ثم اعمل فيها حر شمس وبرد الهواء ثم نفخ من روحه فكل عمل منه بخاصته ومن موضع احتماله
بتكوينه من تراب وماء وحر وبرد ولا منفوخ فيه فلا يوصف بموت بحيث فلا يبقى ابدا

كذلك المخلوقات سواه لها وصف من حيث انفرادها موجود بها ووصف من حيث الاشتراك
موجود بها والله يقول الحق وهو يهدي السبيل كذلك متى وصفنا ادم عليه السلام من حيث
هو فالدم اقرب اليه ومتى وصفناه من حيث هو له وصفه محمود كوصف من الاصطفاء والاجتباء
ونحو هذا قوله عز وجل ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء كلام متصل معنى
بعضه اسمه الحي القيوم اذا الحلم من وصف الحيوة والقيومية وبخاصة فيما هنالك لما ذكر من الحكم
والفرقان وتنزيلها وجعل ذلك من اياته تصف جل جلاله بقوله الحق ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء نزاعا الى حفظ في الذكر وانه يحقق نبيه عليه السلام عند ذلك من الحوف
لما تباعد عنه الشياطين وافات النفوس التي تذهل عن الذكر وتذهب بجمعه قال الله جل قوله
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال جل قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وقال جل قوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم
وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون لكن لا يخفى شيء دقا وجل في الارض ولا في السموات على من هو
الله لا اله الا هو الحي القيوم كل ذلك في قبضته وتقليبه من قوله الحق عز قوله هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء على شمول علمه واحاطة قدرته ومشيته الشهادة والغيب فاتصل معنى بها كاتصاله
بها تلاوة ويصورهم في الارحام في ظلمات ثلاث لم يحجه صورة قط الصورة ما كررت شكلا
ولا رددت صورة فقد خلق اول الخلقة في البدء الا ولا يخلق ما يشاء ويختار متشابها وغير متشابه
سبحانه وله الحمد احاط بكل شيء علما ومشية وحكما ما اراد قط ايجاد شيء الا اوجده ولا شاء شيئا
الا احكمه على ما قد شاء لا اله الا هو العزيز الحكيم قوله جل وعز هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الى قوله وما يذكر الا اولوا الالباب ذكر جماعة
من السلف رحمة الله على جميعهم في المحكم والمتشابه غير ما وجه واحد فمنهم من قال المحكمات هن الناسخات
وهن التي فيهن التحليل والتحريم وما امر الله بالايمان به والعمل قال ابن عباس ومجاهد وقتادة
رضي الله عنهم وقال غيرهم هو ما لم ينسخ قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعنه في
هن الثلاث الايات التي في اخر سورة الانعام اولها قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم
تتقون وقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى اخر الثلاث الايات من سورة سبحان وقالوا في
المتشابهات انها المنسوخات روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وما يؤمن به ولا يعمل به والامثال والاقسام
وقال مجاهد رضي الله عنه المتشابه مثل قوله جل قوله وما يضل به الا الفاسقين وقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقويهم والذي معنى هذا ما يهدي به هؤلاء ويضل به
هؤلاء هو متشابهات في حقنا نحن انما هي مشية الله جل جلاله في ذلك والا فيما يهدي به المهتدون
فهو في حقهم غير متشابه بل هو لبيان عندهم اهتدوا به وهو مثل قول ابن عباس والضحاك
وقتادة رضي الله عنهم وقال اخرون هو كذي يشبه بعضه بعضا وبه قال ابو عبيدة وقال محمد
ابن اسحاق هو ما تشابه في التاويل على المتاولين ما اعمضه بعض الاعماض ليتغاضل الناس
في الاستنباط وقال ابن جبير رضي الله عنه نحو هذا هن ايات يشتبهن على المتاولين فيتاولها
كل طائفة على ما يعتقد من فواتح السور هذا ما انتهى وهو يحتمل الوجوه وان كان الحق لا يكون
الا في وجه منها فيهدي الله عز وجل من يشاء وقال غيرهم هو الذي يؤمن به ولا يعمل بما فيه كقوله

جل قوله المر المص ونحو ذلك من فواتح السور هذا ما انتهى الينا من مذاهب اهل التفسير
اختصرنا بعضها لتشابه اقوالهم وتقارب مذاهبهم وقد قسم الله تعالى الحق بين عباده
فاولاهم بالصواب من غير تفصيل خبطا عن حقيقة المراد وقد قال الله جل ذكره وانزلنا
اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم لعلهم يتفكرون وقال جل قوله ان علينا جمعه وقرانه
اي في قلبك اي في صدرك وقرانه اي نجعله قرانا عربيا على لسانك فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه
اي لنا وبالسنة العلماء العاملين والمحكم على ضربين محكم يقارنه التفصيل وهو الذي
نعرفه نحن بالمجمل وهي الحروف المقطعة قال الله جل من قائل الر كتاب احكمت اياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله الى قوله جل قوله وهو على كل شيء قدير
وقال جل قوله حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا وقد تقدم
الكلام ومحكم يقارنه المتشابه وهو قوله جل قوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فقد اخبر جل جلاله ان الايات المحكمات هن ام الكتاب
وهو معنى ما تقدم ذكره اذ المجمل هو ما احتمل فيه الكل وبالتفصيل يبلغ المراد به وهو في
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جل جلاله اول ما خلق القلم ثم اللوح المحفوظ فقال
للقلم اكتب قال لما اكتب يا رب قال اكتب علمي في خلقي هذا الكتاب احتمل فيه كل شيء كائن وعن
كائن وكيف يكون الكائن ومتى ويدوم لم لا يكون وباي سبب يكون وهل يكون بسبب او لا
وكيف يكون الكائن اذا كان وكيف كان يكون ما ليس بكائن لو كان هذا الى ما يعلم الله العليم
الحكيم ولا يعلمه سواه وفي رواية اخرى انه قال جل قوله للقلم اكتب قال ما كتبت يا رب قال اكتب
ما هو كائن فهذا مفصل من الاول وفي اخرى اكتب المقدار فالكتاب الاول الذي قال جل قوله
اكتب علمي في خلقي محكم لا ياتيه الباطل من جهة من الجهات ولا يلحق كنهه الا هو ثم فصل
منه ما عناه بقوله جل قوله اكتب ما هو كائن ثم فصل منهما ما عناه بقوله جل قوله اكتب المقدار
وهو مقادير الكائنات نحوها وكيف يكون وعلى اي وجه يكون ابتداء او بسبب او بلا سبب لم يكون
وبم ونحو هذا فان كانت الكتب الثلاثة في اللوح المحفوظ مفصولة الذوات بعضها من بعض
فذاك والا فهي معلومة مفصلة فاسر جل جلاله في الكتابين الثاني والثالث المحو والاثبات
لمشيئته العالية ولذلك قال جل قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب في هو الكتاب
الاول الذي تقدم الكلام فيه وعن ذلك اشارة النسخ في الكتب المفصلة منه وفي الشرائع المتنوعة
وعن ذلك كان انقضاء المدة في الكائنات ووجود الحوالات وذلك بتدبير محكمة التدوار
بتقدير العزيز العليم ذلك عليه يسير يعلم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه المعلومات فيحكمه
ثم فصلها جل جلاله بعد اذ شاء كيف شاء جملا محكمة مفصلة الذوات تفصيلا بعد تفصيل
فالجملة الاولى انما تفصيل كلها التي تحتها ثم ما تحت كل تفصيل ام لما تحته ولا تزال الجمل محكمة
يصحبها التفصيل والتفصيل يصحب الجمل وكل محكم هكذا الى غير غاية ويدركها الانسان وكذلك
التفصيل يصحبه التدبير والتدبير يصحبه التفصيل كذلك وهو علم جل جلاله قال عز
قوله وكل شيء فصلناه تفصيلا يدبر الامر يفصل الايات واما من قال ان النسخ هو المتشابه فهو
لما يقف عليه ان شاء الله تعالى في النسخ قالوا ثلاثة اضرب احدها ان ينسخ المامور به قبل الاداء

وهو

وهو النسخ على الحقيقة وقد جاء في القران العزيز شيء عال على انتهاء الامر وهو في قوله جل قوله
يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ثم نسخه جل جلاله قبل
ان يمتثل رحمة منه وفضلا بقوله جل قوله ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات واذ لم
تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة الى اخره وعلى هذا الضرب جاء ناسخ القران
العزيز ومنسوخه وهو قليل وجاء من هذا الضرب ايضا متوجها على ابراهيم عليه السلام وهو امره جل
جلاله بذبح ولده ثم نسخه جل جلاله عنه قبل امتثال الفعل والقسم الثاني يسمى نسخا تجوزا
وانما النسخ الحقيقي ما تقدم ذكره ولكنه نسخ لا محالة وهو ما نسخه الله عنا وقد كان اوجبه
على من كان قبلنا في كتابه وامرنا نحن بامر جميلا ثم نسخ ذلك عنا بما شاء كنسخه التوجه الى
بيت المقدس بالتوجه الى بيت الحرام وانما كان مامورا به من كان قبلنا ونزل عليهم في كتابه ثم
قال الرسول صلى الله عليه وسلم في القران العزيز اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فوجب
علينا اتباعهم حتى نسخ جل جلاله ما شاء من ذلك بما شاء في ذلك قال عز من قائل ما ننسخ
من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها ومن ذلك ايضا نسخه جل جلاله وجوب صوم يوم
عاشورا بوجوب شهر رمضان ونحو هذا فكان ذلك نسخا لما تقدم في شرع من كان قبلنا لا نسخا
للقران والقسم الثالث الذي ذكروه ما امر به المسلمون حين الضعف والقلة من الصبر على الانتصار والعفو
للذين لا يرجون ايام الله ونحو هذا قالوا ثم نسخ ذلك عنهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد
والقتال ونحو هذا وهذا ليس بنسخ وانما هو نسي كما قال عز وجل او ننسها فالمنسو هو الامر
بالقتال وقد تقدم الكلام في هذا الا ترى انه بقي رسمه ارصادا للمعنى الذي عناه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وهذا كله كان في حيوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم متوقعا وقد انقطع الوحي ونزل الشرع منازله ولا مبدل لكلمات الله فلو كان النسخ والمنسوخ
هو المتشابه لعدم المتشابه في القران وامن كونه الكتاب من المحكم وهو الذي يقارنه المتشابه والمحكم
هو امام المتشابه وهو مفصول ومفصل من المحكم فالمحكم ام المتشابه وجامع له والمتشابه يؤوله يعود
يا ثم به كذلك قال الله جل قوله منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات والمتشابهات من الكتاب
المحكمات منه امها والمتشابه على ضروب منها ان يكون بمعنى المشكل والمختلط كما قال عز وجل وفي
بعض الموجودات وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه اي ملتف بعضه ببعض مختلط متداخل وهو على غير ذلك
متشابه لا يشبه بعضا كما قال جل قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل كذلك
في الرائحة كذلك في النفع والضر وغير ذلك فهذا الضرب منه يحتاج الى التوقيف والبحث من اين
منبعث الخطاب والى حسن الوجه به حتى يتخلص صحيح التمييز ويبدو امنه سواء المراد وعلى قدر
المتشابه وخفاء المراد به ما هو يحتاج فيه الى ترداد التذكر والتفكر وهذا الضرب كثير الوجود متسع
ومنه قوله جل قوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله فلكونه متشابها ربما جاء ذلك في ذكر الاسماء والصفات
الكاملة العلي النزول وما في الخطاب لما يراد به من التقريب للافهام والتيسير لما جاء به ايضا من الامتحان
او الابتلاء فتقشعر لذلك جلود الذين يخشون ربهم خشية من ربهم عز وجل ان يصفوه بما لا يجوز

عليه فاذا تذكروا عجايب اشتهاها ذلك المتشابه لانت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله تعالى انسا به
وحبا له وفرحا برحمته وتوسعته في ذلك ووصفه جل وعز الكتاب بانه مثاني يثني بعضه على بعض
فيظهر خطابا ما ثم يبطنه وفي حال ابطانه هذا يظهر غيره وهكذا فله بالمجاورة لما بطن قبله
وجه ولما ظهر بعده وجه هذا بالمجاورة وله بالمعنى وجه في ظهور وانتشاره وقد يكون بطانا
قريبا كما يثني الحبل فاتله وهو قليل ومن ذلك المقدم والمؤخر والظاهر والباطن وقد يكون
ظهور الثاني بعيدا من ظهور الاول كما يظهر صانع الديباج في صنعته انواع تدبيجه وبطنها
وانما هذا على سبيل التقريب وليس الخبر كالمعاين وقد يكون المراد بوصفه جل جلاله انه مثاني
يعني الآيات او الكلمات او كل ذلك وهو انه بقراءة العبد يثني على الله عز وجل بكلامه العلي
تلاوة عبده ذاكرا له بما يتلوه من مثاني الكتاب كما قال الله عز من قائل قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول
الله حمدني عبدي الحديث كقول جل قوله في اخر سورة البقرة قد فعلت قد فعلت قد فعلت نعم نعم
وذلك في معنى الذكر وهذا في معنى الذكر والدعاء فانه يستعيد ان تعم رحمته جميع تلاوة الكتاب
كما قال جل قوله فاذكروني اذكركم وكما قال جل قوله انا جليس عبدي ما ذكرني وما تحركت بي شفتاه
قال جل قوله هذا في الذكر وقد حصل الاجماع ان قراءة القرآن افضل الذكر فعلى هذا ونحوه
يكون الكتاب كله مثاني اذ يثني بعضه على بعض ويثني كلامه العلي على معاني تلاوة عبده وهذا الضرب
من المتشابه والذي قبله مفتقر الى معرفة التوصل في الخطاب والتفصيل وحسن التمييز في تفرق
مفترق معاني التنزيل على مقادير حكمة الترتيب وذلك على قدر احوال المخاطبين العبد المعني
الذي سمي الفرقان فان هذا القرآن اشبه ترتيب نظمه تفصيل الماء المنزل من السماء الى الارض لما
يكون عنه من نبات وحيوان وانا سمي غير ذلك قال الله عز وجل وفي الارض قطع متجاورات وجنات
من اعناب الى اخر المعنى فالماء اولا هو المحكم بمنزلة الحروف المقطعة واسماء الله المذكورة في القرآن
ما يفصل اليه مما تقدم ذكره كالذي تفصلت اليه الاسماء في معنى ومراد به فهذا متشابه امه المحكم الذي
فصل وضرب من المتشابه ايضا هو ما يفصل اليه المحكم الاول وهو الحلال والحرام ومتعرفه لمن كان
اذ كان ناهيا في العلم متبحرا في الاصول والفروع عالما بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
عارفا بوضع الادلة من جهة العقل والشرع عالما بطريق الايجاب وطريق المواضعة في اللغة
والشرع عالما باصول الديانات واصول الفقه عالما باحكام الخطاب من العموم والخصوص والامر
والنهي والمفسر والمجمل والنسخ والنص وحقيقة الاجماع عالما بالآثار والاخبار وطرقها
والتمييز بين صحيحها وسقيمها عالما باقوال العلماء من الصحابة والتابعين بعدهم رضي الله عنا
وعنهم اجمعين وما اختلفوا فيه وما اجتمعوا عليه عالما من النحو والعربية ما يفهم به معاني كلام
العرب يجمع مع ذلك فهما فطنا نقادا دينا فعلى هذا مداره بعد توفيق الله له وبذل الاجتهاد منه
فاذا كان العالم هكذا قل هذا المتشابه في حقه ورق وذلك على قدر ارتفاعه في صحيح العلم وحشوه
على ما تقدم من النعوت وبالضد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما
مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس وضرب من المتشابه هو الحروف المقطعة في اوائل السور
من القرآن اشبهت لكونها حروفا الحروف القرآن وحروف ام الكتاب التي هي ام لها كما من المتشابه

من هذه الجهة اذ قد اخبر جل ذكره انها آيات الكتاب المبين وآيات الكتاب الحكيم وآيات
القرآن والكتاب المبين وانها احكمت ثم فصلت الى ما هو القرآن العزيز وقوله تعالى منه آيات
محكمات هن ام الكتاب وقال جل قوله الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير دليل على
انها بمعنى المراد بقوله جل قوله منه آيات محكمات هن ام الكتاب ثم المتشابه هو ما لا يفهم المراد به من لفظه
ثم على ما تقدم ذكره من المتشابه وما ياتي ان شاء الله تعالى فهذا الضرب من المتشابه لا سبيل
لاحد الا بينة والله اعلم ان يعرف العدد الذي عبرت عنه الحروف من ام الكتاب في مجال الافهام دون
التنزيل من حروف الكتاب التي الحروف المقطعة الم والر والمر ونحو ذلك ثم المقدار الذي هو
تنزيلها مما هي عليه حروف القرآن العزيز المجموع ثم التسليم والايمان وادامة ومحكمه الاول
الكتاب الكريم المحفوظ الذي لا يمسه الا المطهرون صلوات الله عليهم اجمعين وانما قلنا مجال
افهامنا نريد القرآن وحروفه بعد اعتقادنا ما تقدم ذكره من انها آيات على ما علاها مشيرة
بوسائطها الى ما دونها في القرآن العزيز وفي حروفه وفي معاني خطابه من محكم فيه ومجمل
وظاهر وعموم وخصوص ومفصل وموصل وامر ونهي وفحوى وخطاب ومعنى خطاب الى ما
وراء ذلك وضرب من المتشابه ياتي في تفصيل ذكر الصفات العلى والاسماء الحسنى وذكر بعض
الافعال وما كان في ذلك من منزل الخطاب وضرب امثال وعبارة عن مكان او زمان او معية
او ما يوهم التشبيه فمحكمه رأي قوله ليس كمثله شيء وقوله جل قوله ولله المثل الاعلى في السموات والارض
وقوله قل هو الله الى اخرها وضرب من المتشابه ياتي في تفصيل ذكر النبوة ووصف الغاية الوحي وما هو
امره ومحكمه قوله جل قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله جل قوله وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقوله جل قوله ان الله لا يامر بالفحشاء الشيطان يعدكم الفقر ويامركم
بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا وضرب من المتشابه مما يقارب بين الملتبس للملك
عليهم ولمة العدو لعنه الله وامر ذلك قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر وقوله عز وجل ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي لذلك قال عز قوله
يعظكم لعلكم تذكرون اي عنه مما يلقي العدو ويريد الا الباس والرين قوله عز وجل
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون اي ميل عن الحق وعدول الى الباطل فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله الى قوله وما يذكر الا اولو الالباب وبالجملة فان تشابه القرآن هو
تصادقه وتعاضده ومشتبهه هو المشكل منه ومتى قال القائل تشابه لي كذا وكذا فهو من اغتبه بين
فهو المتشابه واذا قال تشابه علي كذا وكذا فهو المشتبه الذي هو الاشكال والتحير ذلك لاجل شبه
بعضه ببعض وعند اعمال النظر والتفكر في المتشابه والمشكل يلقي الشيطان وواعظ الله في قلب
المؤمن بزجره وعند وجود الاعتدال وقصد الحق تتبين الآيات وتدل الدلائل مع وجود
الزيغ والميل الى الباطل والهوى يلقي الشيطان ويخفى اشارات المرشدات ويعرض العصمة
عنه فيعمل كل على شاكلته وقد تقدم الماع الى تلقي المتنبي والنبي وانهما بمعنى المريد والمراد
فاما مثل النبي والمتنبي كمثل المريد والزائغ وكل ينادي من محله فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون
ما تشابه منه اي اتباع عزم وعقد دليل قوله ابتغاء الفتنة اي ما يفتن عن الحق الذي على قوله
وعلى التفصيل فالفتنة هنا بيتنا وله ما هو طريق الايمان والعلم بالله والرسالة فيتبعون

بذلك عن صحيح العلم والإيمان وابتغاء تأويله ورؤية ما يؤول إليه معجلا كقول المكذبين متى هذا
الوعد إن كنتم صادقين ومثل هذا القول ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وأما أهل
العلم والإيمان والهداية والتصديق للنبي محمد صلى الله عليه وما أعجزهم سألوه الزيادة من نعمته
وردوا علم ما غيبه إليه وأخلصوا الإيمان لما ذكروا علمه وبما عجزوا عنه وأثنى الله عز
وجل عليهم لصحة سبيلهم وتخفيفهم في طلب العلم ووصفهم بأنهم أولو الألباب
ثم استغاثوا رضي الله عنا وعنهم متعوذين به مما أصاب أولئك في ابتغائهم فيما نزل
إليهم من كتاب ربهم من زيغ وفتنة بقولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب
لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب يقول الله جل ذكره لئن شكرتم لأزيدنكم وما
ينبغي عند مزيد النعمة بمثل الإقرار بالتقصير والإزراء على النفس ورد النعمة إلى الله جل
ذكره والشكر على ذلك **التأويل** على ضربين ضرب منه معلوم من أولت الشيء أخذته من أول
ورددته إليه كتأويل الرؤيا أولها أي صرفها إلى ما أولها من أمر الكتاب الذي ابتدأت منه
ومن ذلك تأويل الأمثال تأولها صرفها إلى ما ضربت له أمثالا ومن أجل ذلك حقت
الأمثال بالمثل به قال الله عز وجل وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون
والضرب الثاني من التأويل مأخوذ من المآل وما يرد منه إلى ما يؤول إليه فما كان من الخطاب في
وصف الأسماء الحسنى والصفات العليا والنبوة وضرب الأمثال فصرفه إلى أوليته أولى
وما كان من خطاب في وصف الحال العاجل والآجل والثواب والعقاب والموت وما بعده
ثم البعث وما بعده بصرف إلى المآل وإليه وفي ذلك الشفاء والرحمة إن شاء الله وفي مثل
هذا قال الله عز وجل ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون
هل ينظرون إلا تأويله يقول الذين إلى آخره فإذا كان بمعنى المآل لكان الوقف على اسم الله
جل ذكره لأنه لا يعلم متى يموت العبد ولا متى يكون الساعة والحساب وانقراض الدنيا وأيام
يوم الآخرة إلا الله إذ المستقبل كله غيب وإذا كان بمعنى رد المعنى إلى أوله فالوقف على قوله
جل قوله والراسخون في العلم وفي حرف أبي وابن مسعود رضي الله عنهما لا يعلم تأويله
إلا الله والراسخون في العلم بزيادة ويقول ولما قد علمنا بما في علم الراسخين في العلم من قصورهم
عن علم كثير والعجز عن بلوغ الكنه منه نظم به يقولون آمنا به كل من عند ربنا أي علمناه
منه وما لم نعلم في كلا الوجهين قد ذكر جل وعز المعنيين معا من الطريقين في قوله
جل قوله حاكيا عنهم ابتهالهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا إلى آخر المعنى وقال جل
قوله في مقالة القائلين متى هذا الوعد وهم يتبعون ما يؤول إليه من جزائه ووقته وكيف
ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد وقد يأتي بعض التفصيل لما لم يكن
العقول أن يهتدي إليه وآنست إليه أكثر القلوب ولولا رحمة الله في التنزيل ببعض الخطاب لما جوزه
الإيمان كذكره عز وجل الاستواء على العرش وإلى السماء بحرف ثم وقوله لو أراد الله أن يتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا وكقوله جل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو
سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا وكقوله أيشركون ما لا يخلق
شيئا وهم يخلقون إلى قوله جل قوله ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين

يبصرون

يبصرون بها محكم هذا وأمثاله قوله ليس كمثله شيء وكذلك جل قوله يخاطب إبليس لعنه الله
جوابا لقوله لأحتنكن ذريته إلا قليلا اذهب فمن تبعك منهم إلى قوله وشاركهم في الأموال
والأولاد وعدهم فمحكم هذا وأمثاله إن الله لا يأمر بالفحشاء وقوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان
إلى آخر المعنى **قوله** عز من قائل والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا الرسوخ
في العلم هو الدخول من ظاهره إلى باطنه وذلك بأن يعتبر بما عقله وأبصره ظاهرا ما لم
يبصره ولا علمه باطنا فيتبصر ببصيرته ما غاب عنه وإنما موقع بصره سماء وأرض
وأفلاك تستدير وشمس وقمر ونجوم وهواء ورياح وسحاب ونبات وحيوان وغير ذلك
من موجودات الدنيا فيعبر من جميع ذلك إلى الخالق ومعرفة الصانع جل جلاله وأسمائه
وصفاته ومعرفة الدار الآخرة ومعرفة الدار الآخرة وموجودها من جنة ونار وموجب
فهذا هو الرسوخ في العلم والولوج من ظاهره إلى باطنه وهم أضداد المعنيين بقوله إن الذين
كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وسبيل المرتضى في طلب التأويل أن يبذل المجتهد جهده في
طلب الحق ويرغب إلى الله جل ذكره في إصابة المطلوب فلما فتح الله جل جلاله وتعالى علوه و
عليه من الحق المبتغى حمد الله تعالى على ذلك وما أعتم عليه منه رد علم تأويله إلى الله عز وجل و
رسوله والراسخين في العلم فذلك أسلم من الفتنة وأجدر أن يعلمه الله ويفتح عليه فطالب
التأويل في الكتاب بحسنه طائع وفعله ذلك طاعة كبرى وقربة إلى الله تعالى وزلفى إذا صحت
النية وسلم المقصد من الزيغ والفتنة وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي
الله عنه اللهم حفظه الكتاب وعلمه التأويل **فصل** قراءة القرآن صنفان مؤمن وكافر
مكذب به فالكافر المكذب لا يجد فيه إلا ما يضله ويزيده خبالا إذ قلبه زيغ عن سبيل القصد قال
الله جل من قائل والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج نبته بإذن ربه
والذي خبث لا يخرج إلا نكدا وفي هذا الصنف قال الله عز وجل وننزل من القرآن ما هو شفاء
والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد وقوله
تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها
وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا المعنى إلى آخره
ثم قراءة المؤمنين ثلاثة أصناف فقارئ القرآن ليقال إنه قارئ أو لينال به ما بأيدي
أهل الدنيا وليستدر به الولاة فذلك حظهم منه أصابهم أم أخطأهم وهؤلاء هم القارئون
والدارسون ليسوا بالتالين وصنف منهم قراءته متبركا مخلصا للتقرب به استرضاء ربه وتكثير
حسناته وما يصلح به معاده فذلك له إن شاء الله تعالى فهذا قارئ الكتاب دارس له تال
وصنف منهم قراءته ابتغاء صحيح العلم وطلبا لكمال اليقين فنظر بقلبه واستفرغ جهده وتابع
المتفكر فيه التذكر وأدام التدبر عارفا بربه جل جلاله عالما بمعاني الخطاب ومواقع الابتلاء
فهذا من الذين قال الله عز وجل فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب وهم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته **فصل**
اعلم وفقنا الله وإياك أن المتفكر في القرآن لا يجد فهم معاني الوحي وحقيقة الإنباء و
يشهد المخاطب لا يظهر له سرائر العلم من غيب القدرة وفي قلبه أحد هذه الخصال بدعة أو إصرار

على ذنب ويكون في قلبه كبرا وزهوا وقد استكن فيه حب الدنيا او يكون غير متحقق بالايمان
او ضعيف اليقين او يكون معتقدا لمقرئ شيخ منهم بتتبع حروفه واختيار ويكون قد اعتمد
على قول مفسر ليس عنده علم الا بظاهر او يكون راجعا الى معقوله قاضيا به مذهب اهل البدعة
في باطن المراد وسر الخطاب اذ هؤلاء كلهم قد حجبوا بما هم عليه موقوفون لان ذلك يتردد
في بواطنهم مرتد هم على مقادير علومهم وغرائز عقولهم وهم مشركون بعقولهم عند اهل
التوحيد الاعلى داخلون في الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النمل على الصفا
وهو نفاق عن خالص التوحيد الاعلى وهو على ذلك مقام لا ينتقل عن حال التوحيد الاول
وان كان مانعا عن الوصول الى اعلاه بل اذا كان العبد مصغيا الى الكلام ملقي السمع
شهيد القلب لمعاني صفات مخاطبه ناظرا الى قدرته تاركا للمعهود من علمه ومعقوله متبريا
من حوله وقوته معظما للمتكلم واقفا في حضوره مفتقرا الى التفهم بحال مستقيم وقلب
سليم وقوة علم وتمكين سمع لفصل الخطاب وشهادة غيب الجواب بدعاء وتضرع وتبكي
وتمكن وانتظار الفتح عليه من عند الفتاح العليم وليستعن على ذلك بان تكون تلاوته
على معاني الكلام وعلى شهادة وصف المتكلم الوعد بالتشويق والوعيد بالتحزين والوعظ
بالتخويف والانذار بالتشديد فهذا القارئ احسن الناس صوتا بالقرآن فقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب فوعظ وانذر احمر وجهه واشتد كلامه كانه منذر جيش
صبحكم ومساكم وفي هؤلاء قال الله عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
اولئك يؤمنون به قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك هم وقود النار الوقود بفتح الواو الحطب ورفعها اللهب لما ذكر التالين
لكتابه المؤمنين باياته في سؤالهم اياه اذ لا يزيغ قلوبهم بعد هدايته اياهم وذكر اقرارهم بانه جامع
الناس ليوم لا ريب فيه وانه لا يخلف الميعاد ذكر جل جلاله الكافرين وقرن بذكره اياهم المعذبين
قال الله جل قوله كداب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا اي ان هؤلاء سلكوا في
دينهم على تكذيب اياتنا ادب من كان قبلهم فاهلكنا اولئك بذنوبهم فهل ينتظر هؤلاء الا مثل
ايام الذين خلوا من قبلهم ثم قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل للذين كفروا ستغلبون
وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد هذا انذار منه جل جلاله للكافرين بما يؤول حالهم وعاقبة
كفرهم وبشارة للمؤمنين بالفتح عليهم والنصرة لهم فقد كان من ذلك ما شاء الله كفتح
جزيرة العرب واهلاك كسرى وكثير من اجناس انواع الكفر وسيكون ان شاء الله هلاك قيصر
واحتياج ممالك الدجال لعنه الله ويأجوج ومأجوج ثم صرف جل جلاله وجه الخطاب الى كفار
قريش بقوله جل قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا يريد جل جلاله في غزوة بدر يرونهم
مثليهم رأي العين من قرأ ترونهم بالتاء منقوطة من فوقها اثنين فمعناه ان الكفار
كانوا يرون المؤمنين مثليهم ومن قرأ بالياء فمعنى ذلك ان الكفار كانوا يرون المسلمين مثلي
انفسهم اعني مثلي الكفار وهذه القراءة احق اذ قد ثبت ان المؤمنين كانوا يومئذ ثلثمائة
وبضعة عشر وكان الكافرون يومئذ يزيدون على الالف وقرأ ابن عباس وغيره يرونهم برفع
الياء وقرأها ابو عبد الرحمن ترونهم برفع التاء قال الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم

فاستجاب

فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين قرئ بفتح الدال وخفضها مردفين
لغيرهم مردفين لسواهم ولو كان رؤيتهم لهم مثلي المؤمنين لم يبلغوا عددا يرهبهم وحقق
جل جلاله الرؤية برؤية العين تعجيبا منه واظهارا للآية وهو تكثير الملائكة عليهم السلام المؤمنين
اذ المعهود في مجرى العادة ان الملائكة عليهم السلام ليسوا بمرئيين اليوم للانس فكانت آية لهم على تاييد
نصرة الله نبيه وعلى اظهاره دينه لو يعقلون فلذلك والله اعلم ما اكد الرؤية برأي العين
لقول الله جل قوله ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم التقى الجمعان من وحي وتنزيل
الملائكة عليهم السلام لنصر المؤمنين والله على كل شيء قدير فهذا خطاب يخبر عن كونه لكم من
آياته على اظهار ما اظهره وان ذلك يومئذ كان خارجا عن معهود كم في مجرى العوائد ثم قال
عز من قائل ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار طريق العبرة في ذلك رؤيتهم المؤمنين يومئذ
على قلة عددهم مثلي عدد انفسهم على كثرتهم لو نظروا بعقولهم علموا ان الملائكة عليهم السلام
من حزب الله عز وجل فلا يكونون ابدا الا مع من اراد الله نصرة قوله جل ذكره زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب نص الله جل ذكره
على ان هذا كله متاع الحياة الدنيا وان ذلك مزين للناس فلن يزهد احد فيه الا بعد اعطاء الجهد
والمبالغة في المجاهدة والمصابرة وعرض جل جلاله ان المحب لمتاع الدنيا يورثه جبنا يجبن
عن القتال ويرغبه في البقاء في الحياة الدنيا وذلك يعمي البصائر ويلهي القلوب عن النظر
في العاقبة ويصد عن التفكر في آيات الله والنظر في كتابه العزيز وملكوت السموات والارض
وفقدان هذا هو ترك الاستعداد لحسن مآب قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير
من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم الى قوله والله بصير بالعباد كيف لا يكون الآخرة خير من الدنيا
وقد نشأت الدنيا الى الآخرة نشأ عظيما لا يقدر العبد قدره الا ايمانا به وتثبيتا لان الآخرة
ان الدنيا لم تكن قبل ان كانت وما فيها عدما ولما اذن الله لجهنم اعلانا الله الرحيم برحمته
منها ان يتنفس نفسها الموجودين فيما ههنا خلقها خالقها جل جلاله على ذلك مع فضل
رحمته فنشأ عدمها الى وجود وكذلك ينشؤ وجودها هذا الى وجود في الآخرة كما نشأت النطفة
الى حين ثم الى الخلق آخر ثم الى الاستواء كذلك ينشؤ الدنيا في الآخرة الى وجود هو اتم واكمل
وافخر قد اخبرنا بذلك الصادق الحق جل جلاله واعربت به الدلائل وشهدت به الشواهد
بذلك وجود حق لا محالة وبوجه آخر ان الله جل ثناؤه خلق كلما ذكره من موجودات الدنيا
وبخاصة ما ذكره جل ذكره في هذه الآية من ذهب وفضة وخيل ونساء وانعام وحرث
خلق الله ذلك كله من تراب هذه ارضها وهو معرض عنها قال الله تعالى يريد ون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة وهي ملعونة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الا ما كان من ذكر الله او اوى اليه وفي الخبر لما اهبط الله آدم عليه السلام قال يا آدم قد لعنت
الارض لعا دتك اياها فلا ينال منها شيئا الا نكدا وموجودات الجنة مخلوقة من ارضها التي
هي فضة او ذهب او مسك او نور واحجارها اللؤلؤ والياقوت والزمرد والزبرجد
لا يشبه مسمى فيه مسمى ههنا الا دلالة وآية على تلك فما خلق من هذه اعني الجنة كانت

خلق من هذه الارض مع ارادة الله عز وجل اياها وحبه لها ونظيره منها ولذلك
يقول جل قوله وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى
افلا يعقلون وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون **فصل** وصف جل
جلاله الشهوات بوصف فيه تحامد وللنفوس اليه التفات لحكمة له جل جلاله في ذلك بالغة
وبلاغة فايقة والغرض الترغيب في شهوات الاخرة المعهود انه متى يوصل بين قرنين
عظم امر المغلوب ورفع قدره والمراد من ذلك مدح الغالب والجهة تفضيل القاهر قال الشاعر

وخليل غانية تركت مجدلا ⁕ تمكو فرايصه كمكاء الاعلم ⁕
بطل كان ثيابه في سرحة ⁕ يحذى نعال السبت ليس بتوأم ⁕
جادت يداي له بمارق طعنة ⁕ ليس الكريم على القنا بمحرم ⁕

فوصفه بالشجاعة والكرم وكمال الخلقة وانه قتله على ذلك اوقع جل جلاله ذكر التزيين على
حب الشهوات ولم يوقعه على الشهوات نفسها لان ذلك ابلغ اذ لو اوقعه على نفس الشهوات المزينة
في الغالب لا لواجدها واثما اوقعه على حبها وذلك اعظم للمحنة واشد للابتلام ولزم بذلك
تزيينها لواجدها وفاقدها فهذا انسخ على ما في يديه وهذا يطلبها وينقطع نفسه عليها حسرات
ليكون التضايق والتزاحم ويقع التقابل ويعظم الفتنة ليكثر الهرج **قوله** عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الى قوله بالاسحار
هذا من الصفة لمن امن بالله ورسوله واليوم الاخر وحل الاصرار فانه مغفور له ان شاء
الله تعالى اذ لا يعقد على ذنب بقلبه وما كتب عليه من ذنب فيما سبق فهو عامل ولا يضره ذلك مع
التوبة منه وحل الاصرار عليه وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله
وكان الله اي في الاول بهم عليما وهذا هو الذي يدرأ بالحسنة فهو بفضل الله تعالى ووعده ايا
من اهل مغفرته ذكر جل جلاله اعمالهم وما هم عليه فذكر عز وجل الصبر ويحتاج اليه في ثلثة
مواطن صبر على طاعة الله عز وجل وصبر على المصائب وصبر عن معصية الله والقنوت الخشوع
وهو العبادة بنفسها وربما كان في مواطن ما طول القيام في الصلوة والمنفقين وقد مضى
ذكرها قبل والاستغفار هو طلب المغفرة والتنصل من الذنب والاقرار به والاعتذار منه
والعزم في طلب العفو وترك الاخذ وليرم برجائه في فضل ربه عز وجل انه يلحقه بمن لم يذنب
ولير غب في سعة رحمته في ان يلحقه بمن تبدل سيئاته حسنات وخص جل ذكره وذكر الاسحار
لهذه الاحوال لبركة التنزل العلي ووصفه ايمانا بذلك واحتسابا واستجابة لدعاء الكريم
قوله من يستغفرني اغفر له من يسالني فاعطيه من يقرض غير عديم ولا ظلوم ثم الصدق
وهو يحتاج اليه في كل مقام ولا يخلو منه حال وهو ملاك الامر وقيامه فالزمه **قوله**
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم فيصلح ان يكون قائما نصبا على الحال وهو تعالى لا يحول الاحوال عليه انما هو وصفه بانه
لم يزل كذلك ويجوز ايضا نعتا للضمير الذي في انه وعلى البدل بتاخير قائما بالقسط
في شهد الله انه لا اله الا هو وشهدت له بذلك الملائكة واولوا العلم وتكرار الشهادة
يمكن ان يكون لعظم الشهادة كما جاءت مكررة في الاذان وكما جاء ذكر الصلاة مكررا

في صدر

في صدر سورة المؤمنين وسورة المعارج اشعارا لتعظيم الصلاة ويمكن ان يكون تكرار
الشهادة اشعارا بتثنية شهادة اخرى تحذف اقها الذي هو ذكر الشهادة الاخيرة
واظهر من الشهادة ما يدل عليها والمشهود به قوله جل من قائل ان الدين عند الله الاسلام
وهو موضع نصب وذكر بعضهم في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام انه بدل من الاول فيكون
التقدير شهد الله ان الدين عند الله الاسلام بدلا لان التوحيد والعدل هو الاسلام والاسلام
هو التوحيد والعدل ويجوز ان يكون بدلا من انه الاول ويكون بدل الاشتمال لان الاسلام يشتمل
على التوحيد والعدل والشرايع والسنن وغير ذلك الثاني يشتمل على الاول ويجوز ان يكون
بدلا من قوله بالقسط في موضع خفض ويكون بدل الشئ من الشئ وهو هو لان القسط هو
العدل والعدل هو الاسلام والاسلام هو العدل واي القولين كان فهو حسن والله اعلم بحقيقة
الحق والصواب **قوله** تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم شهادة الله جل ذكره وهي الشهادة الكبرى وهو اكبر الشاهدين شهد بشهادة
الملائكة واولو العلم من عباده ففضل جل جلاله بان جعل شهادتهم تلو الشهادة وهي منزلة
تنقطع الامال دونها لعلائها وتبطل الاماني دون توهمها سبحانه وله الحمد ما اكرمه فلا تقصرن
نفسك دونها طلبا لغايتها ولا ترض لها بايسرها فان لم يرزق ذلك فالزم الاقتداء وحسن
الاتباع بشهادتك لشهادة الذين شهد الله لهم بالعدالة في شهادتهم فالزم بالشهادة على
الشهادة الصحيحة المستفيضة جائزة بقوله جل من قائل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم هذا اخبار منه عز جلاله اول وجوب الشهادة اجماع
واصفاق على دين الاسلام وانما خرق الاجماع اختلاف في حادث بعد انعقاده واول من خرقه
ابليس لعنه الله بعد ان اجتمعت الخليقة كلها على ذلك فاصفقت ناطقها وصامتها علوها
وسفلها افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها ثم هدى
الله الذين امنوا وهو ادم عليه السلام وذريته قال الله عز وجل كان الناس امة واحدة فاختلفوا
فكان خارق ذلك الاجماع العقل القاصر والهوى المتبع فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ثم هدى الله من اهل الكتاب
حتى طال عليهم الامد فقست قلوبهم فاختلفوا بغيا بينهم ثم بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه
وسلم وعلى جميع الانبياء والرسل قبله الكتاب فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق
باذنه جل جلاله اي لما اختلف فيه من كان قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم واختلاف من اختلف
وهداية من اهتدى باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم سبحانه وله الحمد اتقن كل شئ
صنعا واحكمه هداية وفطرة واقامه على الحق الذي هو اهله فانار به البينات واكثر من
الشواهد والدلالات واخبر عن ذلك بالصدق الذي هو كلامه وشهد بالحق فشهد كل شئ
لشهادته وهو اكبر الشاهدين واصدق القائلين **فصل** الاسلام على ضربين
اسلام لله الواحد القهار لا شريك له فيه ولا تكذيب ولا رد بل خضوعا واذعانا بالعبودية
المحضة والاسلام اقتداء وائتمام بمن اختصه الله الواحد القهار جل جلاله والطاعة له
عز وجل ثم لنا رسله والايمان بما جاء من عند الله والانبياء والاستسلام وتوقيرا

وطاعة محضة فهذا الاسلام الاخير راجع الى الاول لانه ايمان بما ادله الله جل جلاله
وطاعة لمن امر بطاعته واكراما واكبارا لمن اختصه واكرمه وذلك تكليف منه للعقول
ابتداء منه لها وشرع شرعه وعن هذا الاسلام نكص المتلبس الملعون وفاخر بالخلقة
وعند وابى واستكبر فكان بذلك من الكافرين فمن خضع لمن اختصه الله عز وجل واطاع
واطاع الله عز وجل فيه ولم يعل القدر الذي جعله له من ذلك فيه فلم يعل ولم يقصر فقد
اسلم ولحق باسلام الخليقة وبما انعقد عليه الاجماع الاول في السموات والارض ومن
فيهن وفي هذا الاسلام ايضا اختلف الذين اوتوا الكتاب من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم والاختلاف فيه هذا الذي لم يصح لهم الاول وسماهم الله عز وجل
كافرين **فصل** ثم ينشو الاسلام الى ما هو اعلى منه وهو ان يسلم العبد قلبه
وجوارحه وظاهره وباطنه لله جل جلاله على سنن امامه فلا يترك خاطرا يكرهه الله
ان يتمكن في قلبه فيشغله عما يرضاه مالكه عز وجل ويشتغل جوارحه وجوارحه ظاهرا
وباطنا بما يقربه الى الله فهذا هو الاسلام الاعلى والهداية الكبرى ومن لم يبلغه اليه فهو لا يزال
مع خطوات الشيطان فهو يمحو السيئات ويثبت الحسنات الا ما شاء الله قال الله جل عن قائل
فيما هذا معناه يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة اي جملة واحدة ظاهرا وباطنا
ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين الى قوله فان الله عزيز حكيم لذلك اتبع ذكره
الاسلام قوله فان حاجوك في الاسلام بجميع الانبياء والرسل عليهم السلام ثم الاقرار
برسالتك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن الى قوله عز قوله والله بصير بالعباد **قوله**
عز قوله ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة
هذه اعمالهم في الدنيا فاين الاعمال لهم في الاخرة اراه يعني ما قدموه من عمل كقوله انا نحن
نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت ابن ادم
وينقطع عمله الا من ثلث الحديث وما لهم من ناصرين اي من شافعين يخرجونهم من عذاب
النار فاول الاية في الكفار والكفر الاكبر ثم في الاخبار عن الكفر الاصغر الذين اضافوا
الى الغفلة عن ايات الله قتل الذين يامرون الله بالقسط من الناس جميع مقامهم على
اعمال اهل الكفر فهم متى انكروا اهل العمل بطاعة الله والقائمون بالقسط قتلوهم وعذبوهم
والحقوا بهم الاذية يكفرون بايات الله اي باياته على الاسلام كل شيء له واياته في حكمته واياته
الدالة على تصديق رسله صلوات الله عليهم من المعجزات الدلالات على صدقهم وبالجملة
فهاتان الايتان نظيرتان للشهادتين التي تقدمت في اي عيد منع القيام بالقسط وقتل
المقسطين من الناس المظهرين لشهادة التوحيد ومعالم الاسلام وذكر ما يأتي ولا يجال
الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ثم كذلك الى قوله جل قوله وهم لا يظلمون
وقد تقدم الكلام في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات في سورة البقرة فاغنى
عن تكراره **قوله** عز وجل فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن ذكر
اكثر العلماء رضي الله عنهم انها منسوخة باية السيف وكذلك نظائرها من القران العزيز

وقد تقدم

وقد تقدم الكلام بان كل امر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة توجب ذلك الحكم ثم ينتقل
بانتقال ذلك السبب والعلة حكم اخر فليس بنسخ انما النسخ الازالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله
بعد نسخه وقد ذهب من انزل عليه القران صلى الله عليه وسلم فباي قران وباي رسول من عند الله
عز وجل ينسخ وانما سماه ناسخا ومنسوخا من لم يحط علما بما به يسمى نسخا وانما سماه
جل وعز باسم النسي قال الله عز وجل ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وهذا
باب كثير دون حكمه في القران العزيز كقوله جل قوله يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم وقوله جل قوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله
الى اخر المعنى حيث وقع من الكتاب العزيز وانما بعث الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
والاسلام غريب واهله قليل عددهم مستضعفون في الارض فانزل الله من كتابه وامره
عليه وعلى اصحابه ما يحسن بتلك الحال رافة منه بهم ورحمة اذ كان الامر بالانتصار والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر دفعة من ولاة الامر على ذلك الضعف والاختفاء بشان الاسلام
من تكليف ما لا يطاق فلما قوي الاسلام واعز بنصره انزل الله من الخطاب ما يليق بتلك
الحال من الذب عن الاسلام والانتصار لله والدعاء اليه والامر بالقتال والعزم عليه
والترغيب فيه والمطالبة للكافرين والقعود لهم بكل مرصد وهو كثير في القران العزيز
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء وكيف
يتوهم وجود نسخ فيما هذا سبيله ولا بد من الكثرة للاسلام وقد ادركنا ذلك وشاهدناه
ثم نحن نترقب كثرة الاسلام على الظالمين والكافرين فمن الواجب يومئذ ان يرجع
وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكثرة القوة للاسلام والايمان بعد ضعفه
وكثرة بعد قوة ونحو هذا بما هو مصداق لقول الله عز وجل حتى تضع الحرب اوزارها
ولا تضع الحرب اوزارها الا بعد اخذ رومية وقسطنطينية وبالجملة فلا تضع الحرب اوزارها
الا بعد هلاك ياجوج وماجوج بعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الملائكة
والانبياء والمرسلين هذا بيان شاف وامر واضح ان حكم القتال والانتصار غير ناسخ
لحكم المسالمة والمهادنة وانما هي مداولة ولكل دولة امر ما قائم في الكتاب فوجب امتثال كل امر
في وقته وحينه **قوله** تعالى اولم تروا الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي الكتاب المحفوظ
لان الالف واللام هنا للتعريف والعهد وقد تكون هذا لتعريف الجنس دل على هذا التوجيه
قوله جل قوله بعد هذا يدعون الى كتاب الله اي القران والكتب قبله التي ذكر فيها محمد صلى الله
عليه وسلم ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم **قوله** تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الى اخر الايتين ظاهر تلاوة هاتين الايتين اقرار و
ايمان بما تضمنتا وشاهدة على ما جاء فيها من ظاهرها ذكر القدرة وتصريف المشية ومعناها
الدعاء الا ترى الى قوله جل قوله اللهم مالك الملك انه دعاء لا محالة وسؤال بهما يقتضيه
لعطاء المسؤول وهو امر منه جل جلاله لعبده ان يقول من ذلك ما امره به من سؤال وتضرع
ودعاء واستنطاق جل جلاله ذلك في معرض التلاوة فكان تقديره على معنى الدعاء وسؤال
اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل

من تشاء اتيتنا الامة من ملك بما ملكتنا برقاب اعدائنا ونزع الملك من ايديهم واعزنا
بعزة الايمان والاسلام واذل لنا رقابهم وملكنا وحكمنا فيهم واورثنا ذرياتهم و
اموالهم كما تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
بديل هذا على هذا وهذا على هذا من غير علة بطاعة ولا ذنب اذنب هذا سوى اظهار قدرتك
وتصريف مشيتك فاتنا ما نسألك بغير حساب بيدك الخير وانت على كل شيء قدير وقد كان يجوز
على ظاهر الدعاء ان يكون راس الاية الاخيرة راسا للاية الاولى من وصف المشية وراس الاية
الاولى راسا للاية الاخيرة من وصف القدرة لكنه لما صرح في المشية في الاولى ظاهرا وصفها
ختم هذه بوصف القدرة ولما صرح القدرة ظاهرا في الثانية ختم هذه بوصف المشية
وهو تعليم الحكيم **قوله** عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين حرم
الله سبحانه موالاة الكافرين وملاطفتهم وان يتخذوا بطانة من دون المؤمنين واوعد على ذلك
بالبراءة ممن فعله نعوذ بالله من ذلك وارخص في حال التقية ابدا للملاطفة واظهار الموالاة
مع حراسة الباطن والحلق ثم اوعد على خلاف ذلك حدا بقوله جل قوله قل ان تخفوا ما في صدوركم
او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات والارض والله على كل شيء من الخير العاجل والاجل قدير
ونظم ذلك بقوله الحق عز قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء
الى قوله جل قوله ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد اي بالتقدم بالتحذير لهم
واعلامهم بمراده فيهم في ارخاص لهم ظواهرهم دون بواطنهم في حال التقية منهم ولو شاء
الله لاعنتهم **فصل** موالاة الكافرين يخرج عن الدين اذ المرء مع من احب ولا يظهر
ذلك لغافل علم بحاله الا بعد الموت دل على ذلك تعليق الجزاء جل جلاله بيوم تجد كل نفس ما
عملت من خير وشر واو لظهور ذلك في القيامة الا وللي قيامة الموت فليتق عبد ربه ولا
يدخلن ولاية من حاد عن سبيل قلبه الا تسمع يقول عز من قائل ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو
كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليهم الاية ولما اهلك الله قوم شعيب عليه السلام
تولى عنهم اي لم نقف بديارهم بجسمه ولا بقلبه بل معهم الا ما سف لشأنهم وان كان
قد وجد من ذلك ما يجد النصيح المشفق ثم قال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم فكيف اسى على قوم كافرين **الولاية** ثلث منازل وهي واحدة في الحقيقة وان تفصلت
الاولى ولاية الخلقة ومعنى التدبير وهداية الفطرة وتركيب الجبلة قال الله عز وجل
وردوا الى الله مولاهم الحق وقال جل قوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه واذا مسكم الضر فاليه تجارون ولا يجحد الاسم بيننا ولهذه الدرجة لا
يعصر المعنى كيف وقد فرض الله جل جلاله علينا البراءة في موضعها مع انفرادها
ثم ينشو الولاية فيتحقق فيه ويظهر قال الله عز وجل والذين امنوا يخرجهم من الظلمات
الى النور والله ولي المؤمنين تولاهم جل ذكره لصدق شهادتهم وحسن توجههم بنياتهم
اليه وخلوص توحيدهم له بالالهية وتحققهم وتجنبهم اليه وتوليهم اياه دون من سواه
ثم ينشو الولاية بدخولهم في السلم كافة ظاهرا وباطنا بطها الغيب وشهود العبد

وسلامة النفس وصدق النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم
واجتنابهم صغير الاثم وكبيره ظاهره وباطنه واشتغال السر بذكره وطلب معرفته
والقيام على النفس بالمحبة لله جل ذكره واستيفاء الاوقات الموافقة وصدق المراقبة
ثم لا تصح الولاية الا بالبراءة ممن تولى قوما فهو منهم ومتى تولى الله جل ذكره عبدا
احبه على قدر توليه اياه **قوله** عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم سورد جل ذكره ذكر المحبة على ذكر الولاية على ذكر معنى المؤمن
من لدن قوله جل قوله الم الله لا اله الا هو الحي القيوم الى ما بين ذلك من ذكر انزال
الوحي والفرقان وتنزيله وايمان بملكه وكفره وما يؤول عنده عاقبة الفريقين
وشهادة الحق التي شهد بها وذكر جل جلاله الاجماع على معنى ذلك وحرقه والاختلاف
ولقرب معنى الولاية من معنى المحبة نظمها بها وهل اصل النصيحة والدين النصيحة فاذا المحبة الشان
كله على قدر تمكنها من القلوب يسرع بالطاعة الى المحبوب والمحبة واحدة ايضا ينفصل ثلثة
منازل وبين ذلك وسائط ودرجات منها اولها محبة الخلقة وهي فطرة وضرورة وكما تقدم
في وصف الولاية الاولى ومحبة الله المخلوقين هي كتب تقضا الكنه امضى حكم حبه المؤمنين واوقف
حب من علم جل جلاله انه بالكفر يختم له عمله وعند الامتحان يكرم العبد ويهان والله جل ذكره
لم يزل عالما بما يكون وما قد كان نعيرن حكمه هذا اجراه في سنته التي لا تحويل لها ولا تبديل
قال الله جل ذكره في كتابه الا ولان رحمتي سبقت غضبي وقال الله عز وجل والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فحين كفره سخط الله جل وعز ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله واخبر جل وعز بانه جعل لهم حبا يحبون به الانداد
بدلا من حبهم له ثم ينشو المحبة بالايمان ويتزايد بالمعرفة ويتمكن بالولاية واستيفاء الاوقات
بالاشتغال بطاعة الله عز وجل قال الله عز من قائل لا يزال العبد الي بالنوافل حتى احبه
فصل فليتحسن بيننا ولا يكتسب الا بالتحبب والترضي وكثرة الذكر والنظر في النعم وترداد
التوقف والاستيناف على معالم العالم وتكرار التفكر في اثار هذا الصنع المعجب ونصب هذه
الدلائل وادام الشواهد وتعرف ما هي دلائل عليه ولم شواهد وتتبع مجاري اسمائه في موجودات
السموات والارضين وما بين ذلك والبحث عن معاني صفاته الكاملة الحسنى في الموجودات وتفهم
في كتابه الحكيم ووحيه العزيز وتعرف حكمته وصدق كلماته ثم استعمال معاني الاخلاق والتعبد
على معاني الاسماء والصفات على ما يحبه ويرضاه ونحو هذا قال الله عز من قائل ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي ودا يودونه ويودهم في قلوب العالمين كما
جاء ان الله اذا احب عبدا قال يا جبريل اني احب فلانا فاحبه ثم ينادي جبريل عليه السلام
في السماء ان الله تعالى يحب فلانا فاحبوه قال فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض قيل انه
يتنزل جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه حبه في الماء فلا يشرب احد من الماء ولا ياكل من نبات الارض
الا احبه فيحبه اذا كل شيء وبالضد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدمت به جنازة مستريح
ومستراح منه فقيل له في ذلك قال صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يستريح من اذى الدنيا ونصبها
الى رحمة الله عز وجل والكافر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وكما يستريح الموجودات

من البكا فرا عاذنا الله الرحيم برحمته من ذلك تبكي على المؤمن قال الله عز وجل فما بكت عليهم
السماء والارض وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا له في السماء بابان باب يصعد منه عمله
وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه **فصل** حكى بعض اهل العلم بالله احب وحب بمعنى
هواه وانهما لغتان في معنى الحب عندي والله اعلم ان قولهم احب لها نسبة ومعنى ذكره
ان قولك اعزه يعزه واجله يجله كقولك احبه يحبه وقولك احب يحب كقولك المحل يحله
ويحب لله واللام والجيم اصليان في جل كالباء مع الحاء في حب ومعنى يجلله ويجعله
ذا جلالة كما يحببه ويحبه جعلته ذا حب واحببته في حبي ومعناه في هذا الموضع احببته
في حبي وجعلت له حبا يحببني به ولا لفظها والاصلية التي هي الباء وتكرارها مزيد معنى
من الحب لما كان المتكلم فيه هو الحب والاصلية منه وجب ان يكون المزيد من ذلك وفي المعنى
والله اعلم بما قال جل قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله هذا حب موجود بعبر
عنه فاتبعوني وفي اتباعه صلى الله عليه وسلم حب زائد على الحب المعبر عنه الحاصل قبل فكان
اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم حبا في الله انضاف الى حب الله الذي هو الاول والذي به
ومنه خوطبوا وهو ايضا حب على حب لانهم بذلك احبوه جل وعلا واحبوا من احب
واهموا بمن اصطفى وحبهم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بذلك مزيد حب فاظهر جل
جلاله الباء الاصلية اشعارا بذلك فقال جل قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله اي يجعل لكم حبا يحبونه ويحبوني زيادة الى حبكم وحبا يحبون به الحب له وفيه في هذا
معنى تكرار الباء فيما ههنا والله اعلم ولم يخلق الله جل جلاله صورتين لصور واحد
فاعلم ذلك ولما عرض على سليمان صلى الله عليه وسلم حب الخيل وشغله ذلك عن صلوة العصر
فتذكر وصلاها ثم قال عليه السلام اني احببت حب الخير عن ذكر ربي ولم يقل عليه السلام
احببت الخير قال احببت حب الخير وهذا هو الحب اللازم الغالب وحده كما قال عز من قائل
زين للناس حب الشهوات فكان اشد في المحبة والصق للابتلاء فاحب لذلك الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث من كانت معه ومن فقدها حبا غالبا على النفوس الا من عصمه الله وقليل ما هم
فصل الذي يبلغهم الله عز وجل هذه الدرجة من المحبة وهم خصوص الخصوص
وقد قال جل قوله في الذين امنوا انهم يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله وهذا
الخط الذي بينا له باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقدم هو حب من يد مضاف الى الحب الاول
وحب للحب الذي هو لله وفي الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه يقول الله جل قوله
الا لا اطلع على قلب عبدي فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها فهذا هو الحب في الحب والحب للحب عبر عن ذلك حيث قال جل
قوله لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث
واذا تحصل هذا للعبد فهو الحب كله الذي قالوا فيه رضي الله عنهم الحديث تعويض
الصفات اي ان الله جل ذكره يعوضه من صفات نفسه صفات منسوبة اليه جل ثناؤه
في سمعه وبصره وبطشه ومشيه وكلامه وصمته الى غير ذلك وسئل بعضهم عن المحبة

فقال هو دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب وهو معنى ما تقدم من علامات محبة
المحب ربه جل وعلا انه يؤثر رضى ربه على رضاه وطاعته على طاعة نفسه وان يقطع نفسه
وهواه واهله وولده والناس اجمعين في طلب محبة ربه ورضاه وهذا معنى ما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يجد احدكم حلاوة الايمان حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواه وفي اخرى حتى يكون الله ورسوله احب اليه من نفسه وولده واهله
وماله والناس اجمعين وهذه درجة الايثار ولا يكون هذا الا دخل الحب سويدا القلب وهي
محبة القلب فحينئذ يحب الحب كله وما لم يكن الايثار فالحب في الفؤاد وهو تجويف او
خارج القلب ومن علامات محبة الله جل ذكره عبده ان يتولى سياسة اموره وحركات
جوارحه واعماله فيجد احلاقه على السماحة وجوارحه على الموافقة يصرفه عن هواه
ويزجره عن ركوب هلكته على التهديد والزجر فان شاء اتمام نعمته عليه بلغه درجة
الوعظ كما تقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم اذا احب
الله عبدا جعل له واعظا من نفسه فاذا رفعه الى درجة التعويض لم يكن لهذا العبد هم الا في
خدمته ولا رغبة الا في الانس به يشوقهم ويشوقا اليه بحدوهم عزمهم ويبقى والفتور منهم
بعيد لا يميلون الى غرور ولا يترخصون في تاويل ولا ذمن صفاتهم الموافقة لزمهم الخوف لعلمهم
ان رضاه في ان يخاف قال الله عز وجل وخافوني ان كنتم مؤمنين واتقون يا اولي الالباب
وهذا كلام على ضرب من التجوز فيما سبيله التحقيق في العبارة بل الله جل ذكره لما كان المتولي
لسياستهم وكان الخوف من سيماء المعبودية الزمه قلوبهم واحضره احوالهم وهو يتولى
الصالحين وايضا فانه من احب محبوبا خاف فوته فبان فرق ما بين الخوفين هذا خوف
المعاقبة وهذا خوف الفوت وهذا راجع الى الاول • وللمحبة ثلث منازل الاولى محبة العامة
يتولد من معرفة احسان الله تعالى ومشاهده عطفه الثانية منبعثها عن نظر العبد الى
الله وجلاله واحاطة علمه وقهره وقدرته وهو حب الصادقين المتحققين • الثالثة منبعثها
عن نظر العبد الى عظمة الله وجلاله واحاطة علمه وقهره وقدرته معرفة العبد بتقدم
حب الله عز وجل له بلا علة ولذلك احبه بلا علة فهذه المحبة في الله وبالله وهي محبة
الصديقين والعارفين ثم ظاهر المحبة اتباع المحبوب وباطنها ان يكون فتنته بالحبيب
فلا يبقى عليه علة ولا في نفسه بحقيقة حال هذا ميل دائم وقلب هائم بوجود محبة
من المحبوب وايثارا له على من سواه وعلى القول بالتحقيق فما عاش احد الا مع فرح الحب
فاذا يوجد الحب بالقلب ويمكن فيه فبل **قوله** عز وجل قل اطيعوا الله والرسول فان
تولوا هذا محذوف مقدر مستدل عليه بالظاهر بعده قوله فان الله لا يحب الكافرين
الحاصل من هذا الخطاب ان محبة الله عز وجل يستوجبها العبد بالعمل بالطاعة وابتغاء
مرضاة الله عز وجل والاقتداء بالله في معالي الاخلاق ثم برسوله في سننه وبذلك
يسبق وعد الله سبحانه بادخاله في زمرة محبيه والحاقه بالذين اسكن وده في قلوبهم وشغلهم
وفرغهم اليه فكانوا هو هو من حيث هم لا من حيث هو لذلك قيل لهم اولياء الله ومحبون
ونحو هذا **قوله** عز وجل ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران

على العالمين ذرية بعضها من بعض اصطفى من استصفى صفايا الملوك في البلاد اموالا
استخلصوها لانفسهم دون غيرهم وهو مثل اصطنع من الصنيعة واصطفى من الصفوة
واصطحب من الصحبة صفاهم وطهرهم ثم اصطفاهم فصافوه فهم المصطفون من عباده
والمجتبون من اهل ولايته ذرية بعضها من بعض نصب ذرية على المدح والاختصاص فذرية ادم
صلى الله عليه وسلم عامة لما دونها وذرية ابراهيم صلى الله عليه وسلم شاملة لما دونها منها
ال عمران ومنها محمد صلى الله عليه وسلم صلوات الله وسلامه على جميعهم ال عمران قسمان فالاولون ابو موسى صلى الله
عليهما وسلم المنزل عليه التورية قال على هذا من دنا منه بالبنوة والنسب والا فهو عام شامل
ايضا لما دونه وال عمران ايضا هو والد مريم ابنة عمران ام عيسى صلى الله عليه وسلم كان
لعمران الاول موسى وهرون عليهما السلام واخت ذكرها الله سبحانه في القران العزيز وكان
لعمران الاخير هرون ومريم وامراة زكريا اختها قيل انها كانت ابنة عمران وقيل كانت
من غير عمران ويقال كان اسمها حنة وقيل بل كانت حنة ام مريم امراة عمران فلذلك
قال عنا بني اسرائيل لمريم عليها السلام لما جاءت بعيسى صلى الله عليه وسلم تحمله يا اخت هرون
ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا عم الله جل ذكره ال عمران بالذكر وخص
الاخير منهما بالوصف بعد ان جمعهم جل ذكره بذكر الاصطفاء ثم تمدح جل ذكره بانه سميع
عليم لم يزل تبارك وتعالى سميعا عليما لكنه خص بذكر السمع والعلم ما ههنا لاجل
سماعه دعاء امراة عمران واستجابته لها وعلمه بها وبحال الصلاح في نوحيه بذدها اليه فيقبل
منها وكفلها افضل الحاضرين يومئذ زكريا وزوجته التي هي اخت مريم بعد ان اقترعوا
عليها ايهم يكفلها فوقعت علامة القبول لزكريا عليه السلام وقد كان حكم القرعة يقطع
به ويجري عليه احكامهم لان الزمان حينئذ كان زمان نبوة ووحي محمد اذ ما تعطيه
القرعة لا اختيار لاحد الفريقين فيه بل هو حكم من الله عز وجل وقضاء من عنده اذكر
قصة يونس عليه السلام وانه كان من المدحضين بالمساهمة وهو الان عندنا جائز
متى لم يقع بين الفريقين تمانع في جواز ذلك ولا تنازع **فصل** جادت امراة عمران
بما في بطنها عليها السلام لربها عز وجل كما جاد ابراهيم صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بذبح
ابنه فكان اتمام كلمته جل وعز ان نشر عليها من رحمته وانطقها بكرامته وكان
يظهر لها من المعد ور الغائب ما يحفظها به ويرزقها منه بغير كد ولا نكد ويدخل عليها
زكريا محرابها فيجد عندها رزقا لم يعتده ولم يجر على يديه فيستكشفها عن ذلك فتقول هو
من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب الحساب هنا عبارة عن الكد والتعب في طلبه
لذلك قيل في رزق اهل الجنة انه بغير حساب ان الله جل وتعالى يعلم شهوة احدهم فيؤتى به
احسن ما يشتهي وربما الحفهم بدنيا بما لم يعهدوه ولم يجر لهم على بال فيجعل لهم جل
وعز من الغبطة به والسرور والشهوة فيه ما لم يعهدوا امثاله قال الله جل من قائل
هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة فهذا هو المطلوب الاول
بالولد كونه طيبا رضيا غبط زكريا عليه السلام ابويها فيها فحركه ذلك الى سؤال الله عز
وجل الولد فكان اطلاع الله اياه على ذلك سببا للدعاء والدعاء سبب لوجود يحيى

ابن زكريا

ابن زكريا عليهما السلام وقد جاء ذكر سؤال ربه عز وجل الولد على وجوه من الخطاب
متفقة في المعنى كقوله رب اني وهن العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا الى
الى قوله واجعله رب رضيا وقول الله عز وجل وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني
فردا وانت خير الوارثين وقوله في هذه السورة رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
انك سميع الدعاء في كل ذلك يذكر انه يستجيب له دعاءه ومجيء الدعاء مختلفا دليل
على تكراره حتى جاز حين المطلوب وفي هذا من الاشارة من امر الله جل ذكره استعمال
التكرار والالحاح في الدعاء والاكثار من السؤال واذا كان شان الانبياء عليهم السلام
تكراره فكيف بغيرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت
ولم يستجب لي ولذلك والله اعلم سال الاية على كون ما وعده به عز وجل حين بشرته الملائكة
اياه بمطلوبه وقد كان في سواله ربه عز وجل قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث
من ال يعقوب ان يرث منهم الحكمة والنبوة اذ الانبياء عليهم السلام لا يورثون وانما
يورثون العلم والحكمة والهدى والتقوى وقوله واني خفت الموالي من ورائي اولياء
الانبياء والرسل عليهم السلام عباد الله الصالحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر قرابته لبني ابي ليسوا لي باولياء انما ولي الله وصالح المؤمنين وانما خاف عليه السلام ان
يحين حينه ويبقى الانبياء عليهم السلام والقرابات والاتباع بعده لا معلم لهم ولا من
ينوب فيهم مناب النبوة والمعاهدة والاتيان بالوحي وهذا عظيم الرزء لذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابي فذلك يهون عليه وان بني
اسرائيل كانت الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم تسوسهم خلفا بعد سلف
وقال الله عز وجل لم نجعل له من قبل سميا يمكن ان يكون لم يسبقه من يسمى يحيى او
يكن قبله من يسمى بيحيى صدقا يكون بذلك اسمه هو مسماه وهذا اوجه ما وجه اليه
هذا الخطاب والله اعلم وفي الكتاب الذي يذكر انه الانجيل قال عيسى صلوات الله وسلامه
عليه عندما ذكر يحيى عليه السلام اني اقول لكم لم يولد في الانس افضل من يحيى ولكن اصغر من
في الملكوت اشرف منه فكل كتاب وبني منتهاه الى يحيى وان يقبل من هو في منابر الكتاب
القادم فمن كانت له اذن سامعة فليسمع • ومما يوجد اليه اسم يحيى ان الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه هو الذي سماه ولصدق قوله وتحقيق حديثه لا بد لان يحيى في المستقبل
لانه اخبار من الله عز وجل انه يحيى فقد حي في دار الدنيا بالنبوة والحكمة والكتاب الذي
اتاه والتقوى والعفاف المحض ثم حي بالشهادة في الذي سطر فهو عند الله جل ذكره حي
هذا غير مدافع فيه وهذا قد شركه عيسى عليه السلام في النبوة والحكمة والحيوة بالشهادة
وقد بقي وعد الله الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بان يحيى مستقبلا لم يجعل الله
له سميا قبل ذلك الوقت وكيف ما كان من ذلك امنا به كل من عند ربنا **فصل**
جل ذكره مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين اي مصدقا
بعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهم هو كلمة الله جمع له بين البشارة بابنه يحيى والبشارة
بان يخلق عبدا وكلمة له وان هذا المولود مصدقا به وان يكون سيدا اي موطوء العقب

في مقابلة قوله عليه السلام رب لا تذرني فردا ويعود على موروث بركة ذلك ثم توقى
هذا في مقابلة سؤاله عليه السلام الوراثة وخوفه ضياع الاختصاص سئل رسول الله عليه وسلم
ما السودد قال هو العقل ولا ينال شي من الطرا الا بصحة العقل وكان عليه السلام اعني يحيى
ابن عيسى في انه لم يات انسا ونصب وقيل مصدقا على الحال ويكون ايضا نصبه على المدح و
الاختصاص وانما يتم في عليه السلام يا تنا المنتظر منه ورفع الله صلى الله عليه وسلم اليه وهما معا الان
في حال الحيوة عنده قوله تعالى فيما حكاه جل جلاله عن نبيه زكريا عليه السلام رب اني يكون لي
ولد وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر لو كانت البشرى له بالولد بدا يا كبر من بهر بعيسى عليهما السلام
كان يكون اعظم لاستبعاد الولد في حال الفاتر وعقم المراة لكنه كان هو الداعي والسائل
الراغب في الولد وهم اهل العلم بالله جل ذكره واهل التعرف منه فكيف يتوجه هذا من مثله
اراه والله اعلم ان قوله اني يكون لي ولد وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر تعجب منه من عظيم قدر
الله جل جلاله على مراده من جميع الوجوه وسروره بمنزلته لديه اذ بلغت رتبته عليه السلام
عنده جل جلاله ومنزلته منه ان يخرق له العوايد ويظهر له من المقدور الغائب بدعائه
وسؤاله اياه كتعجب ابراهيم عليه السلام صلوات الله وسلامه على جميعهم لما بشر باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب فضحكت وجهها اعظاما لذلك وتعجبا من القدرة القاهرة والامر العلي
منه عز جلاله ثم ضحكت سرورا منها لعظيم المنزلة من الله عز وجل وسني المرتبة التي اهلها
لها وقالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب فابان الله ذلك لها
اهل البيت لشاع العلم فيهم ان اجابتها الملائكة صلوات الله وسلامه على جميعهم باذن الله جل
جلاله وامره اتعجبين من امر الله اي وانت امراة بلغ من علمك بالله عز وجل انك تعجبين من امره
وعظيم قدرته وتصريفه امره على مشيته رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد
حميد لايمانكم وعلمكم مجيد عظيم العطاء كريم الجزاء برفع اولياءه واهل طاعته ثم
جعلها كلمة باقية في عقبهم اخر الدهر قوله عز وجل لزكريا عليه السلام لما قال رب
اني يكون لي ولد وامراتي عاقر كذلك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا الكاف
الاولى في قوله عز وجل كذلك للتشبيه والتسوية بين الحكمين والمشار بقوله كذلك الى ما عند
زكريا عليه السلام من العلم بالله وقدرته على ذلك اذ شاءه كقدرته على سنته الظاهرة
بفعل ما شاء من ذلك بتوسط الاسباب وباطراحها واخراج احكامه على حكم الكلمة معنى ذلك
انهذا وهذا علي هين هذا حكمي وهذا قدري الا ترى ان الاسباب والوسائط لا بد لها
ان يكون عن عدم اسباب ووسائط لحكم الكلمة هو الاصل وحكم السنة فرع له والى حكم
الكلمة تعود الاحكام كلها معنى وايجادا ثم اراه اية على ذلك في الوجود بقوله جل قوله وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا وكذلك قوله لمريم عليها السلام كذلك الاشارة الى علمها بقدر
الله الغائب انه عنده كالحاضر الموجود المعهود وقول الملائكة عليهم السلام لامراة ابراهيم صلوات
الله وسلامه عليه كذلك قال ربك اي هذا هكذا هو عند ربك كالمعهود عندك لشي انه جل
جلاله اذا استاثر بالفعل محض واذا اجراه على سنته بسط كما قال عز من قائل لمحمد صلى
الله عليه وسلم فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته ومن قولهم

حقيقة

حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى على الاشيا بلا علاج وصنعته في مصنوعاتها
بلا امتزاج وعليه كل شي صنعه ولا علية لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلاف وهكذا
فاسلك في نظرك عند تعرفك كلمة كذلك حيث جاء تطلب المشبه بها والمشار اليه وضعف
اليها جملة ما يلي في ذلك المشار اليه فهو خطاب باطن مبني على خطاب ذلك النص
الظاهر فاعلم ذلك قوله عز وجل فيما حكاه عن عبده زكريا عليه السلام رب اجعل لي
اية تعدم انه عليه السلام لم يسال الاية لبعد ذلك عنده ولا لانه لم يقع العلم له بندا الملائكة
عليهم السلام كما ذكر بعض المصنفين بل النبي عليه السلام يبلغهم عزته جل جلاله وتعالى علوه
وشانه واذا اوحى الله عز وجل لنبي من الانبياء عليهم السلام وحيا اعطاه من العلم بما جاء و
اليه ما يكفي في ذلك الوحي على قدر المراد به ولو شانه جل جلاله في المؤمن انه عنه
تفهم ومنه تعلم فكيف به اذا رفع الى منزلة النبوة والرسالة فاسمعه جل جلاله دعا كلام
ملائكته عليهم السلام جهارا وعودة محادثته وتكليمه باطنا سرا الى سر سرة ودعاهم
بان ينفث في روعه مانع وفقنا الله واياك الارتياب وترق صعدا في الاسباب لكن سؤاله
الاية عليه السلام والله ونبيه اعلم ان تعرف اول تكوين الولد وحين استقرار النطفة مقرها
وان يجعل له على ذلك اية فيحدث عند ذلك من الذكر والتسليم والشكر ما يوافق ذلك و
يطابقها يجعل جل جلاله اية ذلك ان يصاب بما منعه الكلام ثلثة ايام سويا اي وهو سوي
الصحة والحال واستثنى له عليه السلام من الكلام كلام الرمز والاشارة والايحاء فلما اصابه عليه
السلام ذلك علم ان النطفة قد علقت وان التكوين قد توجه اليها وامره جل جلاله في تلك
الحال بملازمة الذكر والتسبيح بكرة وعشيا شكرا لله جل ذكره على ما والاه ليكون المزيد في النعمة
حال الخلقة من قبل الشكر عليها وهو كذكر لله تعالى والعمل بطاعته فاخرج الله جل ذكره
المطلق الذي كان يشكر من اجله من مثل ذلك طهارة وطاعة له ولم يجعل حبيا لعصيا
الا ترى انه جل جلاله عقل لسانا عن الكلام الذي هو اشد اعضاء الانسان تقلبا الى المكروه
وحرس عليه التسبيح والذكر له فكانت تلك اية على ان المدلول عليه بها من نحو ذلك فافهم
والله عليم حكيم والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا كان صلى الله عليه وسلم
قتل شهيدا فهو حي بعد وانما يموت في مستقبل الامر ويوم يبعث حيا اشارة الى المعنى بتسمية
يحيى ويوم يبعث حيا يوم البعث الاخير قوله تعالى يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين كرر جل جلاله وتعالى علاوه وشانه ذكر الاصطفا في
شخص واحد ومعنى ذلك والله اعلم ان الاصطفاء الاول هو ما يجعلها ولياته قبل مجي
النبوة والاصطفاء التي حملها محل احكامها وفي ذواتهم ولا تم بفصلها جملة الا
بعد تفصيله بالوحي والانباء وذلك يقوم النبوة في درجتها مقام الفطرة على الاسلام
للمسلمين خاصة ثم لجميع الموجودات عامة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل
يا رسول الله متى كنت نبيا قال عليه السلام وادم بين الروح والجسد واعرف من هذا في
القدم قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين
وعرشه على الماء ومصداق قوله الله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم

من كتاب وحكمة الى اخر المعنى هذا الى ما ذكره من شرح جبريل عليه السلام صدره صبيا
واستخراج قلبه وغسله بماء زمزم وبعد استخراجه منه العلقة السوداء وقال هذا حظ
الشيطان منك وافراغ الايمان والحكمة فيه حتى ملأه وجاء ان الله جل جلاله اوحى الى ارميا
عليه السلام انى قبل ان اخلقك اخترتك وقبل ان اصورك فى الرحم قدستك ومن قبل
ان اخرجك من بطن امك طهرتك ومن قبل ان تبلغ اشدك نبهتك ولامر عظيم اجتبيتك
ثم الاصطفاء الثانى حال وجودها يوم اهلها الكرامة وتكليم الملائكة عليهم السلام
اياها وعلى سنن النبى بين ذلك حتى يكمل جل جلاله النعمة على عبده المراد منه بذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا ثلث مريم ابنة
عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد قوله جل ذكره يا مريم اقنتى
لربك واسجدى واركعى مع الراكعين القنوت هنا هو العبادة نفسها فاشبه وجوهه
هنا هو طول القيام فى الصلوة لمجاورته ذكر السجود وقيل انها لما خوطبت بهذا
قامت لله عز وجل حتى تفطرت قدماها فهذه صلوة الفضيلة ثم قال جل قوله
واركعى مع الراكعين يريد والله اعلم بما اراده المحافظة على صلوة الجماعة كذلك قال
جل قوله لبنى اسرائيل فى الكتاب الذى هو التورية والقران وبحق المراد معهم فى
ذلك واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تجعلوها قبورا قوله جل ذكره
اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا
والاخرة ومن المقربين الى قوله جل قوله ومن الصالحين هذا كلام منتظم بذكر الاصطفاء
الثانى تقريره والله اعلم واصطفاك على نساء العالمين اذ قالت الملائكة الى اخر
المعنى والجملة منتظمة المعنى بذكر الاصطفاء قوله جل قوله ان الله اصطفى ادم
ونوحا ومن اصطفائه اياها ان جعلها تحمل بروح منه وكلمة منه ورحمة منه واية من اياته المسيح
عيسى صلوات الله وسلامه عليه على المعنى الذى قصه جل جلاله فى كتابه المنزل من قوله جل
قوله واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا الى قوله جل قوله ولنجعله
اية للناس ورحمة منا وهذه هى الكلمة التى القاها جل وتعالى الى مريم والله اعلم فاصطفاها
بان اغناها عن البعولة وفرغ قلبها من ذلك لعبادته وقطع جل جلاله عنها الخواطر المشغلات
واقام لها امره العلى وروحه القدس فى حملها بحيث البشر مقام البعل فسميت لذلك العذراء
البتول وجعلها جل جلاله وابنها اية للعالمين على ان الله قادر على ان يخلق من غير ذكر
وانه يفعل مقدوراته على مشيته وعلى انه من اعلام الساعة وذكرها ورحمة منه
انه ينصر به دينه القويم **فصل** سماه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالمسيح
لوصف صدق هو حامله وحقيقة حق موجوده فيه المسيح شبيه والمسح قليل قال الشاعر

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال الا مسحتا او مجلف

يقول لم يدع من المال الا القليل منه او مجلفا اى مقطع مغيرا لانه ما ضيه سائفه
المجلف المقطع المغير صورته منه قيل للشاة المقطوعة الراس واليدين والرجلين جلف وكذلك المسحة فى الشاعر

على وجه ليلى مسحة من ملاحة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو جالس بين اصحابه الا ان يطلع عليكم
من هذه الثنية رجل عليه مسحة ملك فاطلع عليهم جرير بن عبد الله البجلى رحمه الله
يومئذ مسلما وكان تعالى فيه من حسن يوسف هذه الامة فالمسيح مبالغ من هذا مسيح صلى الله
عليه وسلم على سبيل الهداية ومعنى الثوب فى الخصوصية التى شاء الله اصطفاه بها على كل شىء
حتى تكامل عليه من ذلك مما ذكر سبيله الروح والكلمة انه كان يخلق عليه السلام من الطين
كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طائرا باذن الله وكان يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص
باذن الله ويأتى بالايات البينات وكان الاخبار بالغيوب وطبيا وما ايد به من روح
القدس والنطق بالحكمة وتكليم الناس فى المهد هذا الى ما تكامل فيه حين نزول
عليه السلام الذى عبرت عنه نبوة اشعيا عليه السلام بقوله صلى الله عليه وسلم كفوا عن
المرء الذى الروح فى منخريه فانه هو العلى ومصداقه فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا يحل لكافر ان يجد ريح نفسه ان يعيش ومصداق هذا ما جاءنا ايتها الامة قوله
الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ولنجعله اية للناس ورحمة منا اى لنصر دين الله واحيائه
بعد ما نشر مسيح الضلالة لعنه الله وكفره وقصر مدته على الضدين ذلك مسيح على سبيل
الضلالات وبما يجمع فيه من ارواحها الخبيثة واكد وباته العظيمة وافعاله المشبهة على
الاكثرين الا من عصم الله شبهه جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يمر بالقرية فيدعوهم
فيستجيبون له فيامر السماء فتمطر والارض فتخصب فيأتيهم مواشيهم ادر ما كانت قط البانا
واحلفه ضروعا ويأتى القرية فيدعوهم فيعصونه فيامر السماء فتمحل والارض فتجدب
ثم على الضد اعلم وفقنا الله واياك وعصمنا وجميع المسلمين من فتنته ان هذا الفعل
على الحقيقة ليس مفوضا اليه ولا وجوده ذلك الذى يامر به عن امره لكنه امر من الله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه يظهره جل وعز على يديه كما يظهر ما يكون من فعل الساحر من التخييل والاخذ
بالقلوب ومن كائنات خارجة عن معهود الحال وهذا الظاهر على يدى الدجال اللعين حقيقته السحر
ومنتهاه اشار الوحى الى ذلك على ما يأتى بعد ان شاء الله وكل من قدر الله جل ذكره وقضائه
بما اراده الله جل وعلا من فتنته لقوم كما انصب المعجزات المظهرة على يدى الانبياء والرسل
صلوات الله وسلامه على جميعهم من فلق البحر واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونبع الماء
من بين الاصابع وحنين الجذع وكلام الناقة وغير هذا من الايات البينات ليس فعل الرسل
والانبياء صلوات الله وسلامه على جميعهم بل هو فعل الله جل ذكره لما يريد من هداية
قوم اراد هم جل جلاله بذلك والزام حجة لمن اراده بعذابه واهلاكه نسال الله العفو
العفو ومعافاته ومغفرته ومع هذا فانه امر من الله عز وجل وافق به حين خروجه لعنه الله
وكما وافق به خروجه كذلك وافق بظهوره كلامه الذى عبر عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيامر السماء فتمطر والارض فتنبت وبالضد وانما ذلك وظائف وجهها الله جل جلاله على السماء
والارض يومئذ وعبادات فرضها جل جلاله عليهن يكون مبتدئ وظهور الدجال لعنه الله وكتبه يوم اقتضاء
تلك العبادات ايطابق ذلك ما اراده جل ذكره من فتنة قوم وهداية اخرين واغراء القوم وادلال

لاخرين كما يجب علينا صلوة الصبح حين انصداع الفجر الى وقت طلوعها اعنى الشمس
وصلوة الظهر حين نزول الشمس والعصر قبل ان تصفر والعشاء الاولى بغروبها
والعشاء الاخرة بعد غروب اثرها في افق المغرب وكما لا يجوز لنا ان نعتقد ان الشمس
اوجبت علينا هذه العبادات ولا انها فعلت هذه الافاعيل لحلولها هذه المحال او اوقات
اقتضائها منها لذلك لا يجوز لنا ان نعتقد في هذه الافاعيل التي تظهر عند مجيء
الدجال لعنه الله وكينونتها من فعله كذلك ما ظهر من الغيوم التي تكون عن اطلاع
الانواء من النجوم والاثار التي تحدث باذن الله عز وجل عند نهايات وحلول
محالها على احكام ثم انها كائنة عن ظهور ما ظهرت عند ظهوره وحدثت عند
حدوثه بل الواجبات اوجبها رب العالمين على تلك الاوقات وعلى ما حدث عنده كما اوجب
على المكلفين عبادات عند حلول اوقاتها واوجب حلول اوقاتها عند مجيء امره ووجب
امره بكلمته وهو رب كل شيء ومليكه بينا اخر قد يكون ما يأتي به لعنه الله حقيقة سحر مثل
السحر حتى وصل الى حقيقة لم يكن للسحر ان يصعد الى حقيقته وجودها كما كان وجود
المعجزات من حقيقة الحق الى حقيقة لم تكن لحقائق معهودة العوايد ان يبلغ اليه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امر من يوم خلق الله ادم الى ان تقوم الساعة اعظم من
الدجال وكما مسيح عيسى صلوات الله وسلامه عليه على سبيل الهدايات فصعد به ذلك الى
حقيقة يوجدها باذن الله تبارك وتعالى ولم يكن لبشر من قبله ان يبلغها فكذلك الدجال
لعنه الله في مسيحه على سبيل الضلالات يؤيد ذلك ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه خطب الناس يوما فقال عليه السلام انذركم الدجال وكل نبي قد انذر قومه وهو
فيكم ايتها الامة يكون قبل خروجه سنون خمس حتى يهلك كل ذي حافر قال له رجل فما يعيش
به المؤمنون يا رسول الله قال عليه السلام بما يعيش منه الملائكة ثم يخرج وهو اعور واكثر
من يتبعه النساء واليهود والاعراب يرون السماء تمطر والارض تنبت وهي لا تنبت
ووافق هذا ما رواه المغيرة بن شعبة رحمه الله قال كنت اكثر ان اسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الدجال فقال لي عليه السلام وما يصيبك منه انه لا يضرك قلت يا رسول الله
انه يقال انه يجيء بكذا ويجيء بكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اهون على
الله من ذلك ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج بعدي فالله خليفتي على كل
مسلم رجع الكلام الى تمام الحديث قبل رواية بن شعبة يقول للاعراب الم ارسل السماء عليكم
مدرارا واحيي لكم انعامكم شاخصة ذراها خارجة بطونها وخواصرها دارة البانها
ويبعث معه شياطين على صور من مات من الاباء والامهات فيأتي احدهم الى ابنه او اخيه
او ذي رحمه فيقول الست فلان اتبعه فانه ربك يعمر اربعين سنة السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاحتراق الشعفة يرد كل منهل الا المسجدين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير هذه الرواية جنة ونار فناره ماء بارد وجنته
نار وهذا على وجود السحر ولكل شيء نهاية وهذه نهاية السحر لا يعطي ذلك غيره قوله
عز وجل فيما حكاه عن عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم عيسى ولاحل لكم بعض الذي حرم

علي

عليكم هذا مصداق ما حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله جل قوله ولنجعله
اية للناس ورحمة منا فهو صلى الله عليه وسلم نبي رحمة واتمام لما تقدم على تلك خيرهم من نعمة
لمن امن به وصدق وعده ونصره في الله جل جلاله به انبياءه ورسله عليهم السلام
وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم بين جنبيه محمد عليه السلام هو الخاتم وعيسى عليه السلام هو المقفى
والعاقب وكل رسول مقفي لما قبله وعاقب له **فصل** سماه الله جل جلاله
بكلمة اما اضافة الكلمة الى نفسه جل جلاله فيما خصه به من معناها الذي جاد عنها كما شاء
وخلق وولاية والكلمة عليه للخلق ومقدارها وبها حدث المحدث وبتمامها وقعت النهاية
فيه وتمامها السنة وسنة الله تعالى لا تحويل ولا تبديل عن مقصودها من تمام الكلمة
وفي السنة هو كقدر خيره وشره حلوه ومره لذلك قال عز من قائل وتمت كلمات
ربك صدقا وصفا للكلمة وعدلا هذا وصف للسنة وكل نفس منفوسة فهي كلمة قال
الله عز من قائل يوم اخذ الميثاق من ذرية ادم عليه السلام فقبض قبضة بيمينه فقال هؤلاء
للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وقال جل قوله في اهل القبضة الاخرى وكلتا يديه يمين
مباركة هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وقال جل قوله لابليس لعنه الله اذهب
فمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وقال في مصداق ذلك ولو شئنا لاتينا
كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وادم
عليه السلام كلمة قال الله عز وجل له كن هذه كلمة فتكون هذه السنة نسله وما يكون
منهم من عمل ورزق وسعادة او شقاوة الى يوم القيمة في دار القرار وعيسى صلوات الله
وسلامه عليه كلمة قال الله عز وجل كن فكان ثم يكون ايضا في حسه الاخرى بها يتم كلمته
فيه ثم ما يكون منه ولجمع الخليقة بعد الموت ثم بعد البعث والنشور ثم في دار القرار
على بقاء الابد لذلك قال وهو اعلم عز من قائل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر
يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وقوله عز قوله لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي تفضلا فالسنة لكل كائن والكلمات لا تبديل لها ولا تغير لا يجوز عليها النسخ البتة
ولا مبدل لكلمات الله وانما هي الصدق والحق في اتمامها والعدل والقسط فيما هو منهم
لها من سنة سبق كونها بالتقدير انما النسخ في الكتاب والمحو والاثبات فيما احاط به الكتاب
الذي عبر عنه اكتب علمي في خلقي وهذه كلمة عن علمه ومشيئته فما كان من الكائنات على
السبيل لمشيئة يكون المحو والاثبات كما سبق به كتاب القلم قال الله عز وجل يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب وعلمه المحيط هو ام الكتاب في الاثبات كلمات الله جل ذكره من
على الايمان قال الله عز وجل مصدقا بكلمة من الله وقال جل قوله فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وقال جل قوله وصدقت بكلمات ربها وكتبه فخصص تسمية
عبده هذا بكلمة منه ومن الله لما فيه من ايات دلالات عليه عز جلاله ولله المثل الاعلى ولما فيه
من رحمته لعباده المؤمنين واحيائه دين الاسلام بعد موته **فصل** سماه الله جل جلاله
بانه روح منه قد تقدم ان معنى اضافتها اليه اختصاصه اياه خلقا وامرا وولاية ورضى به
وكل ما هو حي فلك الارحام عليه ينفخ فيه الروح او ما هو في معناه وصفنا الله جل ذكره عنها

عنها وجود الموجودات وشهدت لها الشواهد كالقدرة والعلم والارادة والحيوة
والسمع والبصر وغير ذلك والروح فقد نطق القران العزيز بايجاده اياه دلالة على الروح
العلي جل ذكره وتعالى علاؤه وشانه قال الله عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة صفا
وقال جل قوله ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وعبر عن هذا كثير
من الشواهد وفي الاثار انه اكبر خلق الله عز وجل وقوله عز وجل فارسلنا اليها روحنا
ظاهره انه رسول اليها من هذا الخلق الرفيع قدره ذكر انه جبريل صلى الله عليه وسلم فالله اعلم
امنا بما هو الحق من عند الله وعلى ما هو عليه من رفعة القدر فانه امة من الامم يفضل بعضهم
بعضا فهذا المرسل الى مريم عليها السلام مما هو خاص رفيع لذلك اضافه الى نفسه عز وجل
وكذلك الروح المنفوخ به في ادم عليه السلام وان النافخ في مريم عليها السلام فقد نص عليه
انه رسول من عند الله فقد قال فنفخنا فيها من روحنا وقال جل قوله في ادم عليه السلام فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقد جمعهما معا في ذكر الخلقة مع كون الخطاب بائنه وصفا عن
نفس الله جل جلاله وكل ما هو اذا باين عن الله جل ذكره فهو غيره وما كان غيره فهو خلق
له فهو خلق له وعبد وفي قوله جل قوله قل الروح من امر ربي شفاء لمن لقن عن حقيقة
الخطاب وانما تفاضل المخلوقون باختيار الله اياهم وقربهم منه ومشيئته فيهم فاعلم ذلك
قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن
انصار الحق الذي هو في قوله الى الله يشير الى التاجيل وكذلك قال عز من قائل يا ايها
الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال
الحواريون نحن انصار الله كان كلامه صلى الله عليه وسلم هذا من حيث النبوة والاخبار عما هو كائن
فاجابوه بان قالوا نحن انصار الله اي اولياؤه واحزابه وقوله من انصاري الى الله دلت على التاجيل
واسم الله جل جلاله على لقائه او ما يكون من نحو ذلك فقد كان من ذلك ما قد كان ونفي
النصر فعزروه في الدنيا على ما كان وبقي عليهم ما انباهم به من غيب ذلك ليدل على ما ذكرناه قوله
عز قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وكانت الطائفة التي كفرت اليهود ومن كان
سواهم ممن تابعهم على تكذيبه ثم قال جل قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
والذين امنوا معه عليهم السلام فلم يؤيدوا بعد على عدوهم ولا ظهروا عليهم وانما يظهروا عليهم
بتاييد الله اياهم في حد الاخرة ان شاء الله هذه اشارة القران العزيز الى غيب ذلك والله اعلم
قوله عز وجل ومكروا ومكر الله مكرت اليهود عليه بان يقتلوه بزعمهم وليّ الله ذلك
فكره عليهم وهو خير الماكرين كرمه عن اهانتهم وطهره من رجسهم وشبه عليهم امره ليبلغهم
من جزاء عملهم ما نووه وباؤا بغضب من الله وسخط والله عزيز حكيم قوله عز وجل
اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة انتظمت كلمة اذ بقوله ومكروا ومكر الله التقدير ومكر الله
اذ قال يا عيسى المعنى الى اخره وقوله الى يوم القيمة اشارة الى التاجيل ايضا قد تقدم في هذا الاخبار
عن الكفار اجعلك واجعل منا من يليك واتبعك فوق الذين كفروا ويكون في المستقبل من شانك والا
من جيئتك عند يوم القيمة فصل الوفاة ماخوذ معناها من الوفاء ومن التوفية يوفيهم

يوفيهم الله دينهم الحق وقد يكون من الاشراف على الشيء او فيت على كذا بمعنى اشرفت عليه
ووافيتنا زيدا بموضع كذا يفعل كذا اوفى عليه عمرو ويخبر عن ذلك فيقال وافاه بموضع كذا
كانما المراد منه جل جلاله ايجاد الخليفة في الارض بعد ما يخلهم مقدوره المقدر لهم وعليهم فيها
الانباء بما يكون والاعلام بما هو الحقيقة في الدار الاخرة وما يجري الى ذلك من علم ما هو غيب عنهم
لمن توفى فقد وفي اجله ورزقه وعمله وتوفيه وقد وافاه اجله واوفى عليه رسول من عند الله جل
ذكره يزعجه عن هذه الى تلك وبذلك يعلم ما هو الان لا يعلمه مما هو مغيب عنه قال الله عز وجل قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وهو من اوفى عليه يوفي ايفاء وتوفية فهو يتوفاهم يفعل ذلك
دونهم اذ ليس لهم في الموت كسب ولا فيما يكون عن الموت فهو في ملك الموت المحتضر هوان يبدله
صفحته ويريه من ذوي الملائكة على جميعهم السلام واعلام الاخرة ما لم يبدله قبل ولم يره وقد يعضد
جل جلاله الفعل اليه فيقول عز من قائل الله يتوفى الانفس حين موتها ثم قال جل من قائل
والتي لم تمت في منامها اي يريها في منامها ما شاء ان يريها مما يرى النائم فيمسك التي
قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فكان توفيه جل جلاله عيسى بن مريم صلوات
وسلامه عليهما ما اراه في سماواته من عجايب ملكوته وملائكته وغير ذلك من احكام رفعه
اليه جل جلاله وتضاد الرفع الخسف في ذلك ان الرفع هو ان يلحق كثيفه بحقيقته فيصعد علوا
والخسف يلحق حقيقته بكثيفه فلا يطيق الارض حمله فيخسف به ويذهب الى باطنها كما كان
قبل يرسب في الماء والهواء كالمرفوع اذا نشات الروح باحكام الرفعة في حال الحيوة الدنيا
احتمله الماء فمشى عليه وقد يرفع الى ان يحتمله الهواء فيمشي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان عيسى بن مريم يمشي على الماء ولو ازداد يقينا لمشى على الهواء فلو رفعه الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه فهو الان يمشي في الهواء وامشى جل جلاله رسوله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء
في الهواء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والاسراء على ذلك ايضا
قد يجوز في النوم والنائم ينبسط حقيقة على ما شاء الله ان يريه ويشهده اياه وهو مقيم
في موضعه الذي نام فيه والاسراء الاعلى هو ان يقبله بحقيقته وبدنه فلا يعجزه فيهما
بعد ولا صعود وان علاه المرتقى ولا سفل وان غرب الهواء وربما كان من عجايب الله
عز وجل في ذلك ان لا يفقد من مكانه ولا يعدم شخصه في مستقره وهو في ذلك الوجود كما كان
عليه السلام يكون في مصلاه الذي جعله الله فيه وينزل الى الارض بالرسالة من عند ربه عز وجل
او ما يكون من امره وادنى الاسراء ان يجوز دونيا رفيعة وكالنوم المستقل جدا والموت
هو ان ينفصل بين الخفيف فيطير عنه والثقيل منه يثبت في المكان والذي قتلته اليهود وصلبته
وكان شبه عليهم فظنوا انه هو وليس به هذا خبر من الله جل وعز صدق وقول حق ومن اصدق
من الله قيلا وما ذكر ان عيسى صلى الله عليه وسلم وافق بعض اصحابه على ان يجعل عليه شبهه فيقتل
مكانه فخبر الله اعلم بحقيقته ولو كان المقتول احد اصحابه لكان ذلك عدوا اليهود وكان
يكون لهم بذلك بعض الشفاء وفوز ببعض الظفر وكان نعدم صلى الله عليه وسلم ناصحا من ان يلقى شبهه
عليه وقد جاء في الكتاب الذي يذكر انه الانجيل انه قال لاصحابه صلوات الله وسلامه عليه قبل ان رفع
الان اذهب الى الذي بعثني وليس فيكم من يسألني حيث اذهب وهذا يدل من كتابهم انه ذهب

عن اصحابه بغير علم منهم ولاجل ذلك لم يسأل احد منهم حيث يذهب اذ لا يعلم حيث
ذهابه قال صلى الله عليه وسلم وسيفجعكم ذهابي لاني ان لم اذهب لا ياتيكم الفارقليط
وان ذهبت سابعثه اليكم وسيجي في الثالث فيظن النصارى ان قوله هذا عيسى عليه السلام سيجي
في الثالث من يوم قتله كالذي زعموا فتحوا عن ذلك حكاية انهم وجدوا القبر الذي دفن فيه
خاليا منه وذكروا عجوزا زعمت انها راته حين قام من قبره وكلها في هذيانهم كعدو وانما
ذلك على ما جاء به دانيال عليه السلام وقد اراه الله جل جلاله لبختنصر اوه وشانه ايات
واموراها بلا مستغلقة قال وقلت للملك يا سيدي متى ينقضي هذه العجائب فقال لي في زمان
وزمانين ونصف زمان وكان دانيال عليه السلام في شرع موسى صلى الله عليه وسلم فهو الزمان الاول وزمان
زمان شرع عيسى وزمانان شرع محمد صلى الله عليهما ثم نصف زمان هذه كره اقباله بانية فذلك
نصف زمانه قال الله عز وجل قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما
ينذرون رجع الكلام الى كلام عيسى عليه السلام ثم قال فتلبثون يسيرا ولا ترونني وتلبثون
ايضا يسيرا وينظرونني لاني منطلق الى الرب فمجيئه في الثالث هو مجيئه في زمن محمد صلى الله
عليه وسلم كما تقدم وهو ثالث زمان موسى عليه السلام ورابع في العدد اذ هو نصف زمانه لانه آخر
لا اول تقدم له وكما شبه عليهم في قتله كذلك شبه عليهم في مجيئه بعد ثلث وهذا كله يثبت ان
المقتول المطلوب هو الذي شبه عليهم فكما يقع المغتاب في عرض اخيه المؤمن وهو لا يحس
ذلك ولا يشعر به ما لم يبلغ اليه فكذلك هو المقتول المصلوب بهذه المنزلة ولم يحس ذلك عيسى
صلى الله عليه وسلم منهم كما المغتاب من عقوبته في دار البرزخ ان يطعم لحم المظلوم بذلك
ولا يجوز لي عذابا فاظهر الله جل جلاله لمن مقدوره الغائب حقيقة ذلك مخصا ظاهرا
جعل عليه شبهه ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا
ما هم مقترفون وتمت على ذلك كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وذلك ايضا في
الكتاب الذي يذكرانه الانجيل انه عليه السلام احد ثلثة رجال من حوارييه سماهم باسمائهم ثم
صعد بهم في جبل منيف دون اصحابه قالوا وبدت صورته لهم واشرق وجهه كاشراق الشمس
المنيرة وصارت كسوته انصع بياضا من الثلج وتراآى لهم مع موسى والياس عليهم السلام وهما يحدثانه
فقال احد الحواريين لعيسى عليه السلام يا سيدنا ما احسن بنا المكث في هذا المكان وان كان تعقد
نصبنا ههنا ثلث قباب لكل واحد منكم قبة فبينا هم كذلك اذ اظلتهم سحابة بيضاء ونادى
من السحاب صوت هذا عبدي الحبيب الذي ارتضيته فاسمعوا له فلما سمع التلاميذ ذلك جزعوا
وخروا سجدا على وجوههم فتدانى منهم عيسى عليه السلام وقال قوموا ولا تخافوا فعند
قيامهم لم يبصروا الا بعيسى صلى الله عليه وسلم وحده ثم قال لهم عيسى عليه السلام سيأتي النبي
ويجبر الصدع فهذا كتابهم يخبرهم بانه دفع من بينهم وانه لم يبق الا ما شبه عليهم وان
الصوت قد بلغ به اليهم عهدا وجدد لهم ذكرا وامرهم ان يسمعوا وهم لا يعقلونه وتفق
هذا مع ما جاء به القرآن العزيز انه ما قتلوه وما صلبوه وانه رفعه الله عز وجل اليه وانه
شبه عليهم لو كانوا يؤمنون ولما نزلت الاية التي في سورة الانبياء عليهم السلام قوله
جل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الى قوله جل

قوله

قوله وكل فيها خالدون قال ابن الزبعرى انا اخصم محمدا واكثر في ذلك من القال
فلما كان من غد ذلك اليوم فاصبحت قريش الى نواديها عند الكعبة قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يا محمد ليت تزعم ان الله انزل عليك انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم انتم لها واردون فقد عبدت النصارى المسيح بن مريم وعبد غيرهم الملئكة
افتقول ان هؤلاء في جهنم وانزل الله جل ذكره ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون الى قوله جل ذكره وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي
كنتم توعدون وانزل الله جل ذكره في ذلك من ذمهم ولما ضرب ابن مريم مثلا
اذا قومك منه يصدون برفع الصاد من الصد عن سبل الهدى وبخفض الصاد
اي يصيحون ويكثرون الصياح والكلام ما ضربوه لك الا جدلا الى قوله
ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم
ملائكة في الارض يخلفون واخبر جل جلاله الشفاء لما في الصدور ولو نشاء
لجعلنا منا على ما نحن عليه من نسل ادم ملائكة في الارض يخلفون ذلك عليهم يسير هين وهو على كل
شيء قدير **فصل** ذهب الاكثرون من المعتبرين واهل الكلام على الاثار القرآن اشتقاق الحواريين من الحور
من البياض وقالوا انهم كانوا يبيضون الثياب ويقصرونها فسموا من اجل ذلك
بالحواريين والاشبه في استقامة ان يجيء مشتقا من الحور الذي هو الرجوع قال
الله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى ظن ان لن يرجع معادا الينا واما قولهم سميت
الحوارى لبياضها فليس الا انها حارت الى ذلك وقد كان اولها في منبتها ان يتمحض لبابها
بالماء والارض ثم تخرج الله عز وجل عنها نباتها فعادت باستعمالها وتخليصها من قشرها
ونخالتها الى ما كان اصلا لها وسميت الحوراء حوراء لانها حارت اي كانت حية في دار
الدنيا ثم ماتت وحارت راجعة بعد الحياة الى الحيوة الاخرة ثم سمي نساء الجنة بذلك
الاسم اذ كل نساء بها تبع للحارات منهن اعني نساء الدنيا وانما خلقت الجنة والنار
للانس والجن وسائر موجوداتها تبع لما خلقتا من اجله فالجنة خلقت لمؤمنيها كذلك
خلقت النار لكفارها نعوذ بالله منها كذلك الحواريون ماخوذ اسمهم من الحور الذي
هو الرجوع وتسمية الله جل ذكره الاشياء ليست لصناعات الدنيا بل هي لاغلب لما
وجدت له من عمل يؤول الاخرة او شقاوة او سعادة او ما يجري الى ذلك ويتصرف
ذلك من حار يحور حورا اي رجع فاذا نسبته فهو حاري على وزن فعلي وحواري
على وزن فعالي ولما ندب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم اعني المسلمين ليلا في غزوة
الخندق وكانت ليلة شديدة البرد كما وصفها الله جل ذكره فارسلنا عليهم ريحا وجنودا
لم تروها فقال عليه السلام من يأتيني بخبر القوم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير
رضي الله عنه وعن جميعهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير
ذلك لانتدابه مرة ثم رجع فانتدب ثانية ثم رجع فانتدب ثالثة وقال الحواريون
نحن انصار الله ولم يجدوا سبيلا الى نصرته يومئذ لتغلب الكفار والفاسقين ولم
يبلغ وقت نصرتهم بعد وكانت نعمة من الله عليهم برفعه من بينهم وحين حسنة للاخرة

صلى الله عليه وسلم يأتي ابدا مؤيدا بروح القدس كما قال صلى الله عليه وسلم فيه فلا يكلم
الكلام ويجدد يعني نفثة ان يعيش وكما انبأ اشعيا صلى الله عليه وسلم من امره كفوا عن المرء
الذي الروح في منخريه فانه هو كعلى **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم
عند البيت رأيت رجلا آدم كأحسن ما رأيت من ادم الرجال له لمة كأحسن ما انت راء
من اللمم يقطر رأسه ماء او يهراق ماء متوكيا على عواتق رجلين او على منكبي رجلين
فقلت من هذا قيل هذا المسيح بن مريم ورأيت خلفه رجلا جعدا قططا مربوع الجسم اعور
عين اليمنى كان عينه عنبة طافية متكيا على عواتق رجلين او على منكبي رجلين فقلت
من هذا فقيل هذا الدجال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث معه ملكان يشبهان
نبيين من الانبياء فيلقى الرجل فيقول له الست بربكم الست احيي واميت فيقول له الملك
الذي عن يمينه كذبت فلا يسمعه احد فيجيبه الاخر الذي على شماله ويقول صدقت تسمع
الناس وهو انما صدق صاحبه في قوله كذبت وقال في الكتاب الذي يذكر انه الانجيل
سيكون يومئذ حزن لم يكن من ابتداء الدنيا ولا يكون ولولا قصر تلك الايام لم يسلم احد
من الناس ولكن قللت تلك الايام لاجل الصالحين فاشبه هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة
رجع الكلام فمن قال لكم يومئذ المسيح ههنا او هناك فلا تصدقوه فانه سيجيء من يشبه
بالمسيح وبالانبياء ويأتون بآيات عظيمة حتى يشك من يظن به صلاح فقد انذرتكم فان قيل
لكم هو في المفاز فلا تخرجوا اليه فان قيل لكم هو مختف فلا تخرجوا اليه فاذا بن الانسان يخرج مخرج
البرق الذي يندفع من المشرق فيرى في المغرب فحيث ما كان الجسمان فاليه يجتمع العقبان وبعد
انقراض ذلك الحزن تظلم الشمس ويبكي يومئذ جميع جنس الارض وينظرون الى الملك مقبلا
في سحاب السماء في قدرة عظيمة شديدة **فصل** جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيح
الهدى صلى الله عليه وسلم وفي مسيح الضلالة لعنه الله وكثرة قصر مدته ما جاء انه يبعث معه من
الشياطين امثال الاباء والامهات وانه يجيء معه ملكان احدهما عن يمينه والاخر عن شماله
نبيين من الانبياء اما الكتاب الذي يذكر انه الانجيل فانه اشار بل كاد ان يصرح بان احدهما يشبه
بعيسى بن مريم في قوله فمن قال لكم هو المسيح ههنا او هناك فلا تصدقوا فانه سيجيء
من يشبه بالمسيح وبالانبياء ويأتون بآيات عظيمة حتى يشك من يظن به صلاح فان
كان هذا هكذا فان النبي الاخر المشبه به هو محمد صلى الله عليه وسلم لذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمكث اربعين يوما فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا وكيف
بالبينات الا من عصمه الله حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وجاء ايضا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الكهف يبعثون معه فاعتقد ذلك اولوا العلم ممن سلف يدل
على صحة ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم
من الدجال واخر هذه العشر الايات قوله نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا
بربهم الى ما يكون من اختلاف في عدد الاي فيكون معنى قوله عليه السلام من قرأهن عصم
من الدجال القرب تركيه بعثهم وما نحن اليه كشواهد من ذلك الزمان وجاء عنه

انه قال من قرأ اواخر سورة الكهف عصم من الدجال ومن اواخر آياتها ذكر
الخضر وذي القرنين عليهما السلام ومصداق هذا تسميته عز وجل اياه
بذي القرنين يشير الى هذا المعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي
طالب رضي الله عنه وانك لذو قرنيها يعني الامة اي انك خليفة في اولك
وفي نسلك خليفة في اخرها وبهذا اعتقد قوم انه حي وانه يكون منه رجعة فيفعل
وانما يكون في نسله ومنهم يكون الرجل الصالح المهدي المبشر به فهذا وقع اولئك
في هديانهم من قولهم بالرجعة وكان ذو القرنين صلى الله عليه وسلم هو الذي بنى
السد دون ياجوج وماجوج فمنعهم ذلك من الانبساط على الارض وقال عليه السلام لما فرغ
منه هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا والاشارة
في قوله واذا جاء وعد ربي جعله وعدا وانما كان في حقه وعدا لما وعد به من نصر الدين
الاسلام يومئذ والا فاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروجهم هو انذار في حق
هذه الامة ولنبين بوعد في حسبهم **فصل** لعل من سمع ما يكلمنا به يجيبه
هذا بان الخروج عن المعهود فلا يتعسر عليك هذا رحمك الله فانه من الجد ليس الهزل
وما يكلمنا به فلم نعد مراد خطاب القران وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
كان الاكثر في غفلة عما يراد بهم فعليك بالايمان والتسليم ولم يجعلا اعني مسيح
الهدى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ومسيح الضلالة لعنه الله كل واحد منهما الا
آية واعظم دلالتهما على امر الساعة والبعث وما في ما هنالك فافهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذكر عشر آيات قبل قيام الساعة اولها طلوع الشمس من
مغربها وطلوع الشمس من مغربها اشعار من الله جل ذكره بان يوم الدنيا قد تقضى
ويوم القيامة قد اطل ولذلك قال ابراهيم عليه السلام للجبار الذي حاجه في ربه لما قال
انا ربك قال ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت فكان
ذلك علما للدجال في نبوة ابراهيم كما كان السامري علما له في نبوة موسى عليه السلام كما
كان ابن صياد علما له في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فاجاب ابراهيم عليه السلام ذلك الجبار
بقوله عليه السلام ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب لكنه لهذا لا انها
لك الا بان تطلع الشمس من مغربها فبهت الذي كفر لعجزه كما كبر حجته عليه وبقي ابناء
ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه متوجها الى معنى ما تقدم وروى ناس عن عبد الله
المزني قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اول غزاة غزاها غزوة الابواء حتى
اذا كان بالروحاء بعرق الطيبة فصلى ثم قال عليه السلام اتدرون ما اسم هذا الجبل قالوا
الله ورسوله اعلم قال هذا حبت جبل من جبال الجنة اللهم بارك فيه وبارك لاهله فيه وقال
للروحاء هذا عارسح واد من اودية الجنة لقد صلى في هذا المسجد سبعون نبيا ولقد
مر بها موسى عليه السلام عليه عباءة قطوانية على ناقة ورقاء في سبعين الفا من بني
اسرائيل حاجين البيت العتيق ولا تقوم الساعة حتى يمر به عيسى عليه السلام عبد الله
ورسوله حاجا او معتمرا ويجمع الله له ذلك قال كثير فحدثت هذا الحديث

محمد بن كعب القرظي فقال الا اشدك في حديثك قال قلت بلى قال كان
رجل يقرأ التورية والانجيل فحسن اسلامه فسمع هذا الحديث من القوم فقال
الا ارشدكم في هذا الحديث قالوا بلى قال اشهد انه لمكتوب في التورية الذي انزلها
الله على موسى وانه لمكتوب في الانجيل الذي انزله على عيسى بن مريم عبده ورسوله
وانه يمر بالبر حاجا او معتمرا ويجمع الله له ذلك ويجعل حوارية اصحاب الكهف فيمرون
معه حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا من مسند ابي يحيى عبد الله بن ابي ميسرة وفي الكذا
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راه على عواتق رجلين او على منكبي رجلين
فمن لقن الخطاب اعظم دليل انه محمول موذن محله من شاء الله هدايته في الدنيا وشهد له
وذكر في مسيح الضلالة لعنه الله انه متكي على رجلين او على عواتق رجلين وقد مضت
الاشارة في المشبهين بهما فهو على حالة التهمة المحيلة محمول موذن لا يراه على حقيقته
من نقص وعذر وكذب وكفر وعجز الا اولوا اليقين التام والعلم النافع والعصمة
والى هذه الدقيقة الاشارة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه كفر يقراه
كل مؤمن يعني كامل الايمان تام اليقين رصين العلم وقوله عليه السلام يا عباد الله فاثبتوا
حتى ياتيكم امر الله فيكشف لكم عن تخييله وباطله وفي الكتاب الذي يذكر انه الانجيل
قال صلى الله عليه وسلم لولم اقبل عذرا لهم لم يكن قبلهم ذنب ولكن لا عذر لهم اليوم
ولولم اطلع عندهم من العجايب ما لم يطلع غيري لم يكن قبلهم ذنب ولكنهم قد عاينوا وكرهوا
وكرهوا من بعثني لهم ما كتب في كتبهم قال انهم يكرهونني بلا ذنب فاذا اقبلت البرقليط
الذي ابعث اليكم من عند ربي الروح الصادق المنبثق من الرب هو يؤدي الشهادة عني
وانتم تشهدون لانكم معي من اول الامر وانما اقول لكم هذا لئلا يوقعكم الشكاك
ومن نظر في قول الله عز وجل في الثلثة الامثال من لدن قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في
ربه الى اخر المثل المضروب لابراهيم عليه السلام قوله واعلم ان الله عزيز حكيم وانصف في ذلك
قوله جل قوله الم تر الى الملا من بني اسرائل من بعد موسى وفيما بين ذلك وقف على نبا الامثال
مع اعلام الانباء والاخبار **قوله** عز وجل ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر
الحكيم نبه جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه على ما قصه من قصص وعلمه من علم واودعه من
حكمة افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين والايات هنا ما نص عليه وما
عرض به واعرض اليه في القران العزيز والذكر الحكيم هو والله اعلم ما تلاه علينا جل
وعز من اصطفائه ابراهيم وادم ونوحا وال عمران على العالمين وخاصة ما تلا علينا
عز وجل من ذكر مريم وابنها عيسى وزكريا وابنه يحيى عليهم السلام وما هما موهلان له
في المستقبل وهذا كله منتزع من الذكر الحكيم الذي قال جل قوله للقلم اكتب علمي في خلقي
احكمت اياته ثم فصلت الى ما فصلت اليه ما فصله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
ثم على السنة العلماء من امته قال الله عز وجل لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتذكرون
قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم الاية المثل والمثل كالشبه والشبه
والبدل والبدل والعتق والعتق والنيل نفس الشي وهو ما يعتبر عنه بالمثال والاثر والقوة

ونحو

ونحو هذا وكذلك المثال مثال الشي صفاته وما هو منه وبه قرا علي بن ابي طالب
وطلحة بن مصرف رضي الله عنهما مثل الجنة التي وعد المتقون ويروى عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ايضا امثال الجنة وبالجملة فالمثل هو ما يشبه به الشي ليفهم فيضرب
له مثلا من غيره يكون ذلك المضروب به المثل معلوما عند المضروب له المثل فيفهم
ذلك المجهول بالمعلوم فضرب الله جل ثناؤه مثلا للجنة التي هي غيب عنا بما هو عندنا
معهود بانهار من ماء ولبن وعسل وخمر وان فيها من كل الثمرات هذه هي صورة
الدنيا غير انها لا تطيب للمؤمن الا برضوان الله عز وجل ومغفرته فضمن ذلك
المثل فهو خير من جهة ما وتقريب للافهام من اخرى ولما كان ما هنا من موجود انهار
ولبن وعسل وخمر ورضوان وجنات ونعيم اصلها عن موجود الجنة كان مثالا
ومثالا لها اذ الدار الاخرة لهذه الدار الدنيا بالاضافة الى وجودنا كالعافية والالم
والالم وما يعبر عنه وعلى القول التحقيق فان هذه الدار التي هي الدنيا حجاب وحاجز وال
ومثال للدار هي حجاب وحاجز ومثال وال للدار الاخرة وهذه الحيوة حجاب وحاجز دون
الحيوة الوسطى التي هي مثل لتلك الحيوة ومثال لها وال ولولا هذه لكانت تلك وانما الدار
الوسطى اعني دار البرزخ محله بين تلقيها الاولى حتى تقدم الاخرة رجع الكلام ولاجل هذه
المقاربة اشكل على بعضهم فقال المثل الخبر والمثل الشبه والمثال ايضا المماثلة والمثال
الفراش وجمعه مثل وفي الحديث في وصف الجنة يفرش لاحدهم سبعين مثالا على كل مثال
حوراء يفوق الخلق حسنا وجمالا والتمثيل التشبيه والتمثيل ايضا المثلة والمثلة العقوبة
قال الله عز وجل وقد خلت من قبلهم المثلات والمثول القيام ومنه من احب ان يتمثل له
الرجال صفوفا يعني قياما ومنه تماثل فلان من مرضه اذا افاق والماثل اللاطي بالارض ومنه قول الشاعر

منها مستبين وماثل

والامثل الاشبه ومنه الحديث اشد الناس بلاء الامثل فالامثل واماثل القوم اعيانهم
والطريقة المثلى المستقيمة والتمثال الصورة والجمع تماثيل وقد يكون مثل الشي نفسه
قال الله عز وجل فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا اي بما امنتم وقال الله عز وجل
ليس كمثله شي اي ليس كهو شي لانه لا مثل له ولله المثل الاعلى في السموات والارض وقال
قوله فلا تضربوا لله الامثال واما تشبيهه عز وجل عيسى بادم صلوات الله وسلامه عليهما
بحرف التشبيه وما ماثل جل وعز بينهما من اجل ذلك لانه لو كان وافق بينهما في اصل الخلقة
ومعاني صفات لما ذكر بعض المفسرين من اهل التحصيل والنظر في معاني القران انه وجد عيسى
شبيها بادم عليهما السلام في خمس عشرة خصلة اشبهه في التكوين كانا بعد ان لم يكونا وفي
كونهما مخلوقين من العناصر التي ركب الله عليها الدنيا وتساويا في فقدان الاب وفي العبودية وفي
النبوة وفي المحنة وذلك ان عيسى صلى الله عليه وسلم قاسى من اليهود ما قاسى وعانى منهم ما عاناه
وعارضه ابليس لعنه الله ايضا في المفاوز وقاسى ادم صلى الله عليه وسلم من ابليس ما قاساه وكانا
معا ياكلان ويشربان وتساويا في الفقر والحاجة الى الله عز وجل قال الله تعالى يا ايها
الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

ونساءً فنسله بخرجه جل جلاله بعضه من بعض الى ان تقوم الساعة وتساويا في الصورة
وتساويا في التركيب والتاليف وتساويا في الاجزاء والابعاض وتساويا في الرفع
والانزال وذلك ان ادم عليه السلام دفع الى الجنة ثم انزل الى الارض ورفع عيسى عليه السلام
الى السماء وسينزل الى الارض وتساويا في اشراط الساعة وتساويا في الالهام حين قال
ادم صلى الله عليه وسلم لما عطس الحمد لله وقال عيسى عليه السلام لما خرج من بطن امه انى عبد الله
وتساويا في العلم بيانا ذلك وعلم ادم الاسماء كلها وقال جل قوله في عيسى ونعلمه الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل وتساويا في نفخ الروح فيهما وتساويا في الموت كل شيء هالك
الا وجهه كل نفس ذائقة الموت فان قيل فما فائدة الكاف في التشبيه والى هذا كله فانى لا ارى
والله اعلم ان التمثيل المقصود بالاخبار عنه بينهما والتشبيه هو ان هنا كلمة له وهذا كلمة له
خلق جل جلاله ادم من تراب ثم قال له كن كما اراد فيه ومشيئة منه فكان ثم هو يكون اليه قبل
الساعة قال الله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً فنسله بخرجه جل جلاله بعضه من بعض الى ان تقوم الساعة
كذلك خلق الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عيسى صلى الله عليه وسلم حين نفخ الروح في مريم عليها
السلام بكلمة القاها الى مريم ان كن بمشيئة منه وارادة فيه فكان ثم هو يجوز الى ان ينزله
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الى الارض حكما مقسطا واما ما عدا ذلك جل جلاله
كلمة فيه الى ان نعته صلى الله عليه وسلم وهذا هو المقصود والله اعلم بقوله جل قوله خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون وانما توالى الاخبار عن ادم عليه السلام واجترى به عن الاخبار عن عيسى عليه السلام
وما تقدم ذكره من قول المفسرين فهو ايضا حق وصدق ومما يدل على نزوله الى الارض
القران العزيز قوله تعالى وتكلم الناس في المهد وكهلا فقد تقدم بكليمه اياهم في المهد و
عليهم ان يكلمهم كهلا لانه صلى الله عليه وسلم دفع قبل ان يبلغ الكهولة بل كان دفعه في سن
الثلثين ونحوها صلوات الله وسلامه عليه **قوله** سبحانه وله الحمد فمن حاجك فيه من بعد
ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع الى قوله جل قوله فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين انتظم
هذا بما تقدم ذكره مجاورة ومعنى اما المعنى فانتصب ذكره من اثبات عبوديته وخلقه
اياه وانه عبده بمثابة عبده ادم عليهما السلام ثم قال جل قوله الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
والذين مترولى في عيسى صلى الله عليه وسلم هم اليهود كذبوه وردوا امره ثم النصارى غلوا فيه
وقالوا قولا عظيما ليحق الله جل من قائل فمن حاجك فيه في عيسى من بعد ما جاءك
من العلم من بعدما اعلمناك من هذا الحق فباهلهم ثم علمه جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه كيف المباهلة وهو ان يقول في جمع الرجال والنساء والابناء ثم ليقول المنذر
والله ان هذا الذى انزل الله من قصته في عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم الحق وما من
اله الا الله وان الله هو العزيز الحكيم العزيز عن افترائكم العلى عن عظيم كذبكم وجعلكم
الحكيم في حكمه وتنزيله فلعنة الله على الكاذبين فان تولوا عن المباهلة والمباهلة
الابتهال الى الله عز وجل بالدعاء والتضرع في فصل الحكم هنا وسؤال الحاجة فان الله
عليم بالمفسدين وهذه الاية اصل للملاعنة ومصداق لما بينه رسول الله صلى الله عليه

وسلم من ذلك ويمكن ان يكون ذكره صفة العزة في الاية بجعل عباده المؤمنين
المباهلة هو العزيز فلا ينالهم الاحكام الحكيم في حكمته له المثل الاعلى في السموات والارض
فصل ثم امر جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه نبيه صلى الله عليه وسلم بان يصرف
وجه الخطاب الى اهل الكتاب دعا الى الله عز وجل والى اعطاء كل ذى حق حقه من السواء والعدل
في العبودية وافرادكم وحدانية لله وحده لا شريك له وجدلا ومحاجة في الاقتداء بالاول وسلوك
الطريقة المثلى ونصيحة لله جل ذكره ولرسوله عليه السلام ولكتابه في التبليغ الى الاتباع توبيخا
لهم بقوله جل قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم بكتمون الحق ويلبسون بالباطل
ويؤمنون بما انزل الله على رسوله وجه النهار ويكفرون اخره ليرجع بزعمكم من امن عن ايمانه
ويثبت من كفر على كفره وانتم تعلمون ان الهدى هدى الله قل لهم يا محمد ان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم هكذا اكثر جل جلاله عليهم مذاهبهم ونقل التجليل
عليهم وتوبيخهم على ترك الوفاء بالعهد للمعاهد ويوعد على ذلك اشد الوعيد بقوله جل
قوله ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى قوله تعالى اليم ثم صرف جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه وجه الخطاب الى معنى ما تقدم من النبيين والكتمان وتبديل الوحى وانزاله
على غير منازله والكذب على الله عز وجل وكتابه ورسوله وهم يعلمون الحق ثم صرف وجه
الخطاب ايضا الى ما تقدم من معنى المحافظة على دين الاسلام والتمسك بالتوحيد الخالص والتبرى
من ان يكون انزل به سلطانا وممن دام ذلك او دعاء اليه كائنا من كان بقوله جل قوله وما كان
لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله
والمراد الاول بذلك عيسى بن مريم وعزير ثم كل الانبياء والملائكة صلوات الله
وسلامه على جميعهم والعلماء بل الذين امرهم ان يقولوا للاتباع كونوا ربانيين اى
طائعين لله عابدين له عاملين بما يحب ويرضى والتزموا ذلك ذكرا وقولا وعقدا
وعملا حتى يعرفوا به وينسبون اليه اكثر من شىء عرف به واعلموا بذلك وعلموه
وادرسوه ودرسوه الى قوله جل قوله ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون **قوله**
تعالى واذا اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى اخره المعنى الميثاق
ما يستوثق به من شهود على المستوثق منه او يمين والعهد والوصية منه من معنى الميثاق
حكم اللزوم والارتباط والعهود كثيرة والاهم منها عهد الربوبية وبقابلها عهد
العبودية وفي ضمن عهد الربوبية التوحيد عقدا وقولا وعملا ثم ينبسط على
المعرفة باسماء الله تعالى وصفاته ومعرفة ما يجوز عليه وما يستحيل لديه ثم عهد
النبوة وهو منطوى في العهد الاول وفي عهد النبوة معرفة خاصة النبوة والفرق بين الكاذب
والمدعى والنبى والمتنبى والتنبى في النبوة ووصف المحق بالنبوة وقد تقدم ذكره وبيانه
على الانبياء لانه من صفاتها والمقصود بهم في الارسال الى العباد التبليغ عن الله
جل ذكره والنبيين عنه ثم ينبسط هذا العقد على معرفة الشرائع ومناهج الاسلام
كلها قبل المحنة والابتلاء ومعرفة الجزاء العاجل والاجل والمقصود المراد بالمرسل اليهم
احد المعنيين السمع والطاعة وحسن الاقتداء والايمان والاسلام ثم التبليغ

واقامة الحجة والاعذار والانذار لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ثم
عهد العلم والمراد به من العالم التبليغ الى الاتباع والتبيين والرفق بالمتعلمين
والصبر على اقامة ذلك ومقابلتهم من العلم بما يحتمل افهامهم وعلى مقدار منازلهم
واحوالهم فالعهد الاول منتظم للثاني والثالث كما العهد الثاني منتظم للثالث
ولذلك ما جاء خطاب القران العزيز على نحو ذلك حتى ذكر الاعلى ضمنى فيه ذكر ما هو
دونه فقال جل جلاله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وحذف جل جلاله ذكر
اممهم واللام في قوله جل قوله لما لتاكيد الميثاق والميم اسم لما اخذ عليهم الميثاق
من احد وهو الكتاب والحكمة وعطف بحرف ثم على محذوف مقدر تقديره والله اعلم فعلمتموه
والتزمتموه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم والمقصود الاول بذكر الرسول عليه السلام
هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم ثم عامة الرسل عليهم السلام على ازمانهم ونوبهم تدل الاول على
الثاني ويبشر بمن يلي ويصدق الثاني الاول من سبقه والمراد بذكر الرسل عليهم السلام هنا
اممهم فهو جل ثناؤه لما اراد اخذ الميثاق على النبيين احضر معهم الامم وخاطب
الانبياء عليهم السلام وطوى خطاب اممهم في ذكرهم واحضر كلا نفسه وما المراد به وعهد
اليهم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بعهد الربوبية وما كان في جنبه ذلك من العبودية
ثم بعهد النبوة وما تضمنته ثم بعهد العلم وما تضمنه ايضا ثم قال لجميعهم
ااقررتم اي بالعبودية للربوبية والشهادة بالوحدانية والسمع والطاعة والاقتداء
بالنبوة والرسالة واخذتم على ذلك اصري اي ثقل ميثاقي واحتمال الكرم في اقامة
عهودي وتنفيذ ما امرتكم به ولكم ان اطعتم الرضى والجنة وعليكم ان ابيتم العقوبة والعذاب
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين والمراد الاول بالاشهاد
الرسل عليهم السلام والائمة ثم الجميع يشهدون على انفسهم والله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه الاول والاخر والظاهر والباطن ثم قال جل من قائل فمن تولى
بعد ذلك اي بعد الاقرار والاشهاد والشهادة فاولئك هم الفاسقون ثم قال جل
من قائل يخاطب الجميع افغير دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها واليه ترجعون ذكر في غير هذا الموضع عهدا اخر اخذه جل وعز على الجميع
اظهر فيه ذكر الميثاق وذكر عهد الربوبية وابطن فيه عهد الرسالة وما تضمنته ومثانيها
فقال جل قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى ثم حذف جل ذكره ذكر الرسل عليهم السلام والائمة والامم وقد تقدم
فقالوا بلى وهو جواب على تقدير والتقدير معهود ان يكون بعد معرفة تقدمت
للمقر بما قد قرر فيه فالجواب بلى شهدنا اي بما اعلمتنا وبما تقدم لنا قبل ثم اظهر
جل جلاله ما كان ابطن بعد الاظهار فقال ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا
غافلين هنا محذوف تقديره انما فعلنا هذا من تقريركم من اجل ان يقولوا كذا
وكذا ولم يرسل الينا رسولا ولا انزلت علينا كتابا فاستصحبنا الغفلة هذا كان
يكون جوابهم وما يكون في معناه في عهد النبوة والرسالة او يقولوا انما اشرك

اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فهذا كان
يكون قولهم في عهد الربوبية والتوحيد والنبوة ولذلك قال عز وجل انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الى قوله جل قوله رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لذلك قال عز من قائل وكذلك
نفصل الايات ولعلهم يرجعون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وقضى
القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فخلق جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه الخلق يومئذ كما جاء ان الله خلق في الهواء صورا كالهباء ومعنى قضائه
القضية والله اعلم اخذه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه اهل اليمين بيمينه وقوله
جل قوله هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وقوله جل من قائل هؤلاء للنار
وبعمل اهل النار يعملون لمن في القضية الاخرى وما اخذه جل جلاله ميثاق النبيين
فيما ذكره القران العظيم وقال جل قوله في اخذ الميثاق على العلماء واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قوله جل من قائل افغير
دين الله تبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون وقال
وقال عز من قائل الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب المعنى الى اخره قد تقدم الاعتبار بجملة العالم فاغنى عن تكراره
خشية الاطالة لكنه ينبغي لمن نظر في هذه المسئلة ان يعرض ما تقدم ذكره من ذلك
على نظره فذلك فيه احسن العون ان شاء الله تعالى فاما معرفة المؤمن بتسبيح الموجودات
وسجودها وصلاتها هو الايمان بذلك والتصديق بما اخبر الله جل جلاله والتسليم
لرواية العليم بكيفية ذلك الخبير بحقيقة ذلك ثم اعتقاد ما قال السلف رحمة الله
على جميعهم الذين يعولون على اصول الديانات وانهم قالوا رضي الله عنهم انها تشهد
بما هي عليه من افتقار الخلقة ونقص الحدث على انفسها بما هي عليه وتشهد لبارئها
جل جلاله بالمعبودية عليها وكمال الربوبية فيه وخالص الوحدانية فشهادتها على
انفسها بما هي عليه ذلت وخضعت وذلك سجودها وبشهادتها له بما هو له اهل كبرته
وسبحته وتلك فطرتها وبما شهدت به من خالص الوحدانية امنت وبطاعتها له في نفس
وجودها المت وجملة هذا كله هي صلاتها قال الله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه ومن ذلك ان تعلم ان اصل المحنة ومنبعها
على الاغلب هو تكليف حركة عن سكون او سكون عن حركة فحركة النفس على الاغلب الى
الهوى وهو محبوبها وسكونها عن الحق وهو عليها ثقيل فالشرع امرها بالسكون عن الهوى
والتحرك الى الحق فعلى هذا السبيل وفقنا الله واياك لما يرضيه تطلب السجود من النبات والحيوان
والجماد فان الاصل كله واحد والشريعة سواء غير ان من ذلك ما حمد في الجامد واعرب
المعرب عن نفسه وحركة النمو وادم مركبة من حركة وسكون ذا ابتداؤها من سكون والى سكون
انتهاؤها وما بين ذلك حركة وسكون لذلك العطف ستر بعضها على بعض فكانت حركة
على الوسط وكذلك الحركة المستقيمة من حركة وسكون لكن بطن منها السكون وظهرت

الحركة والمنحني والمعوج وما بين ذلك وعلى الاغلب فهي على هذا ساجدة حال كونها
جارية على سيرها وجريها وسيرها عملها وعبادة منها لربها عز جلاله من حيث
هي متوجهة الى ما وجدت له هذا سجود كل ذي حراك من حيث حركته وسكونه سواء
اعتمدها على القصد لعباده بادتها جل جلاله فيما بينها وبينه واما سجود الجمادات والنباتات
وهو جامع لهذه الموجودات كلها فلاعتبار من جنس هذا وذلك انها اجسام مركبة
من اجزاء مجمعة والتفريق والتجميع عرضان متعاقبان واعتبار التجميع حيوة كما اعتبار
التفريق من هذه الجهة عدم والعدم سكون على جهة ما الآ انا نعرف منه في معناه
ولما كان عن الكلمة كن وانجاز بقوله جل قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا انه معهود
اسمه القيوم والقائم ومشيته في ابقاء الموجودات الى اجله لم يكن بين التجميع والتفريق
فصل ولا زمان محسوس ولا ارادته جل جلاله في اظهار الموجود ظهر الوجود بخلافه
اذا اراد ابطال الموجود واظهار الاعدام والعدم ولما بطن التفريق في الموجودات اشبه
الاعدام وجود السكون في الخط المستوي ومعلوم ان حركة السكن عباده وسكون المتحرك
عبادة فعه رحمنا الله الرحيم واياك نفهمك على هذا الاعتبار بتصحيح من نظرك فهو خفي
فيه اشكل عليك او اعزب فهمه فاعلم يقينا ان صنع الله جل وعز حال الى كل مصنوع
حال البقاء كجري الماء الى الصب فاذا شاء صانعه جل جلاله ابقاءه ابطن الاعدام واظهر
الايجاد وبالضد تخلفت على تلك حال العدم قال الله عز وجل في مصداق ما ذكرناه
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء فاخبرك
نصا بابطان العدم حال الايجاد وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجبال فانزل الله عز
وجل عليه ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا وهذا هو سيرها قال الله عز وجل ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة
اعدامها اذا شاء ذلك اظهر الاعدام وابطن الوجود ولها صلوة وتسبيح وعبادة في تنوعه
هو ظاهر هذا يظهره الله جل ذكره لمن شاء من عباده وهو المراد بقوله جل قوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم والله اعلم بما اراده يظهره او يظهر منه ما شاء منه لمن يشاء من خصوص عباده
قال الله عز وجل وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وما يريد الله عز وجل من ذلك لرسله
وانبيائه صلوات الله وسلامه على جميعهم واوليائه اكثر وقد تقدم في بعض ما مضى من الاشارة
ان سبيله في وجود الموجودات ههنا على سبيل الشيء من صغير الى كبير فالجماد جمد على اكثر
صفات الحيوة وانشرح ذلك في النبات ثم في الحيوان ثم في الانسان ثم في المؤمن ثم
في الولي ثم في النبي ثم في الملك وأصل الموجودات الماء والماء عن الهواء والهواء
عن الروح والروح عن الكلمة انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فاعلم ذلك واعرف
ان الاسلام المؤمن اسلم له كل شيء وامن به علوا وسفلا ثم الايمان والاسلام بعد خاص لما قدره
من الشيء فيه بخاص قدرته اليه والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
قوله جل وعز كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق
وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين المعنى الاولى بهذا هم اهل الكتاب هم الذين امنوا

بالكتاب والنبوة في كتبهم ونبوتهم ان هذا الرسول حق فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين كيف يهدي الله من قد لعنه الله وابعده عن هدايته وغضب عليه
واعرض عنه نسأل الله العفو والعافية والمغفرة وكله كيف يهدي الله المعنى بها في
استبعاد في مشية الله ومجرى سنته من امن ثم كفر ثم امن ثم كفر ثم ازدادوا كفرا
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا وفي ثاني حال الخطاب يتوجه الى المنافقين الذين امنوا
ثم كفروا وقد اعقب بذكرهم في مثل هذا الخطاب في موضع اخر من كتابه سياتي ذكره ان شاء
الله كذلك قال في هؤلاء وهؤلاء اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس
اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ومن رحمته عز جلاله لم يحجر
عليهم التلافي ولم يمنعهم التوبة ان يكتسبوها فقال جل قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا
فتوبة يهود واهل الكتاب تبيين ما كتموه والايمان بما كفروا به واصلاح ما افسدوه
وتوبة المنافقين الايمان بما كفروا به وتصديق ما كذبوه من الحق والاخلاص في الايمان
والاقلاع عن المراء وما جر اليها جاهدا وهذا في سورة البقرة وسورة النساء
مفصلا مبينا ومعتمد هذا الوعيد على حال الخاتمة هناك يتحقق الاستبعاد من التوفيق
وسبل الضلال منهم وكل ما جاء من عزم وعيد بانه تعالى لا يغفر ولا يتوب ولا يقبل
توبة تائب فمعتمد ذلك حال الخاتمة الى وراء ذلك وربما يعجل في ذلك بشوم الذنوب في حرج
الاصرار وعدم الانتباه الى التوبة واستصحاب الاعراض عن التذكير فقوله جل قوله لن يقبل
توبتهم معناه لو يوفقوا التوبة يتقبل منهم مالا قوها كانوا في تفعلها كالذي يتخبطه
الشيطان من المس فهو يعمل على غير نية ويؤسس بنيانه على شفا جرف هار ثم ابان الحق وفصل
الحكم واظهر امر الاخرة بقوله جل قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به قوله جل وعز لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم لما ذكر جل ذكره الاسلام وان لا دين
سواه مقبول عنده وتقدم ان الاسلام هو الدخول في السلم كافة لله والرسول صلوات الله
وسلامه عليهم وللكتب وكان كل شيء قد اسلم لله فهو ينفق مما عنده قال الله عز وجل وسخر
لكم ما في السموات وما في الارض وقال جل قوله خلق لكم ما في الارض جميعا منه ذكره جل ذكره
الانفاق فنظمه بما تقدم من ذكره في مفتتح تلاوة التنزيل قوله جل قوله ومما رزقناهم ينفقون
ثم ما اثنى عليه من ذكره في مفتتح تلاوة تمام السورة ثم الى قوله والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار وقوله وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم اي بطيبه وحلاله ومقداره
وحيث يوضع والنية في توجيهه ثم صرف وجه الخطاب الى اهل الكتاب ونظمه بما تقدم
من خطابه اياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولما اراد الله جل وعز خطاب المؤمنين
خصهم بخطابه مواجهة ثم عم فعرض باهل الكتاب اذ لم يستاهلوا مواجهته بان يخاطبهم
فقال جل قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل
ان تنزل التورية ثم حذف جل جلاله عنا موضع انكارهم مفهوم ما تلاه علينا فاحتج
جل جلاله على ذلك من انكارهم قل يا محمد فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين

فمن افترى على الله الكذب من بعد كتابه ورسوله بما لم يأذن به فاولئك هم
الظالمون والمتعرضين يا اهل الكتاب قل يا محمد صدق الله فاتبعوا ايها الذين
امنوا ملة ابراهيم حنيفا قويما قائما على الاسلام ولم يك من المشركين بالله وتعرض
جل وعز بالدعاء به لاهل الكتاب برفع همتهم صعداً الى ان يؤمنوا فيضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وليكونوا امة واحدة على دين واحد يعبدون
ربا واحدا الها واحدا لا اله الا هو ثم بين عز وجل لهم الرعاية الى اول الامر انما كان
عليهم من اصر وغل انما كان بشوم ذنوبهم وعقوبة عتوهم على انبيائهم **قوله** تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين يدعوهم جل جلاله الى استقبال
البيت الحرام وصفه بالبركة لما سيحط عنده من الاوزار ويجاب لديه من الدعوات وقال جل
قوله فيه انه بيت اى مسجد قبلة كما قال واجعلوا بيوتكم اى مساجدكم في الارض المقدسة
قبلة والمساجد بيوت الله في بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه وقال جل قوله
هدى للعالمين من توجه اليه بمقصود كصلوة لله وحده فان الله مواجه لمخاطبه ومناجيه
راض عنه وعن عمله ذلك فيه ايات بينات منها انه بناه ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه
وانه مقامه فيه وموضع قدميه صلى الله عليه في الحجر الصلب خلد الله تلك الاية على الابد ومن
الايات ايضا انه من دخله كان امنا وانه بلد لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط
لقطته الا لمنشد وحرم امن يتخطف الناس من حولهم وهم فيه امنون ومن اياته جعل الله
جل جلاله افئدة الناس تهوى اليه بالزيارة واقامة المناسك لله حوله وعنده يجبى اليه
ثمرات كل شىء رزقا من لدنا كرامة اكرم بها بيته الحرام وبلده المكرم واجابة لخليله
القانت الحنيف صلى الله عليه وسلم جعل الله جل جلاله بيته الحرام امنه لاهل الارض
فاذا اصيب هذا البيت اتى الناس ما يوعدون ومن لم يتظلل بظل الله جل ذكره ولم يتقبل
كرامته ولم يسمع لدعائه وكفر باياته فان الله غنى عن العالمين اعلم جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه ان هذا عندهم معلوم متوارث عرفانه فقال جل قوله قل يا اهل الكتاب
لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون اى شهيد على خلاف اعمالكم عليكم اظهر
ذلك بقول الحق قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم
شهداء الاية فانظر هذه الايات ومعنى ما جئت به بمعنى ما تقدم في سورة البقرة
عند ما امر جل وعز بصرف القبلة الى البيت الحرام وقوله هناك جل قوله ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك المعنى فاعلم جل جلاله بخطابه هذا انهم لا يتبعون
منهم الى يوم القيامة فانتظم هذا بقوله الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم
بعد ايمانكم كافرين الى قوله صراط مستقيم الفريق الذي نهى الله عن طاعته من اهل الكتاب هم
الكفار منهم واليهود قد قالت لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وقال هؤلاء في هؤلاء ليسوا على شىء وقال هؤلاء

في اولئك ليسوا على شىء وهم يتلون الكتاب وفيما بينهم كانوا على هداه لو تبعوا
وبينوا ما عندهم ولم يكتموه فهذه هي الفرقة التي من اطاعهم من المؤمنين كان كافرا
في طاعته اياهم وفيما انتحله من نحلتهم والفرقة الاخرى اذ لفظ الفرقة هو من
الافتراق المؤمنون فانهم اهل كتاب قال الله عز وجل فكيف تكفرون وانتم تتلى
عليكم ايات الله وفيكم رسوله وقال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة اى
على الاسلام يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى قوله جل قوله وما يفعلوا
من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين وقال جل قوله في موضع اخر يا ايها الذين
امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فلم يخص جل جلاله حزبا من شىء
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون
الايات الى قوله جل قوله والى الله ترجع الامور انتظم معنى هذه الاية بما مضى لهم
بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته على حقيقة الهداية وحق تقاته هو كونه
ما استطعتم من حق الله شيئا ان يتقيه حق لكنه قد جعل جل وعز بعضا فوق بعض درجات
في القوة والعلم والصبر وهؤلاء يكلف نفسا الا ما اتاها بعد ما دارك واجل الحق وحقيقة
التقوى على مقدار البشرية هؤلاء لاهل العلية من عباد الذين مدحهم واجتباهم ثم هم
بعد على منازل من المتقوى على مقدار حظوظهم من حقيقة التقوى وما اراهم جل جلاله
من الايات والبصائر من لم يستفرغ جهده وينقض وسعه فقد وقع في المحظور بعد ذلك
وبوجه اخر اذ ان معنى قوله جل قوله اتقوا الله حق تقاته فيما سبيله التنكيل فانها الكفر
والشرك والمعاصي ونحو هذا وقوله جل قوله اتقوا الله ما استطعتم اى في العمل بطاعة الله وتعالى
من فرض تقاته وفي نوافل الخير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
واذا نهيتكم عن شىء فانتهوا الخشية الا رخصة في اتيانها والعمل بطاعة الله ما عدا الفرائض
على قدر الطاعة وقد بين الله جل جلاله ذلك فيما سمعه في الموضعين فقال جل قوله في الموضع
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون لله خالصا وقال جل
قوله في الموضع الاخر اتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم
قوله عز وجل ولا تموتن الا وانتم مسلمون الى قوله كما لكم كيتا فان الذي هم اسلام
واعتقد واوفيقد والو وتحقق على شىء صادقا به مات على ذلك الحال **فصل** في هذه الاية
من الفقه عن الله عز وجل انه من اسلم لله وجهه يجب ودوا واخلاص وصدق وملازمة
صابرا موثرا للطريقة المثلى بصدق في عزمه وحقيقة من ذاته والله كرم من انتحله
عند موته الى ما اسرع منازله بالخير والجود واصدق وعدا واوفى عهدا وانا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس خبرا
المصدق وقال صلى الله عليه وسلم بحقيقة المعنى قوله عليه السلام فيما يبدو للناس فان هذا
لم يصح بينه وبين الله عز وجل اصل وجهته واهل عقد البيعة ولم يسدده
بالايثار والحب للولاية والله والبراءة ممن سواه من الكلام والكفر فافهم فانها منزلة
كيف لا يكون هكذا وهو الكفائل جل جلاله انا عند حسن ظن عبدي بي وهذه عبده

عن عباده الذين هم عباده ليطنوا به جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ما شاؤا فان
عبده مليك على ما لهم ويزيد على علومهم من حسن المثوبة وكريم المآب وعلى ما ذكرنا
جاء وعد الصادق في قوله جل قوله في وعده الصادق فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى اي في العمل بطاعة الله ييسره عليه ولا يجعل له منازعة الى سواها
ثم ييسر له ذلك عند الموت فيختم بالبشرى فيما بعد الموت ييسره الى ما يقتضي ذلك في الصفة
ان الله العفو الغفور معافاة ومغفرة وهو كقائل جل قوله واوفوا بعهدي اوف
بعهدكم ومن اوفى بعهده من الله ومن اصدق من الله قيلا فالحمد لله رب العالمين قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون **قوله** عز من قائل واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الى قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم حذر جل وعز المؤمنين مما اصاب اهل الكتاب في كتابهم من التفرقة
والتحزب وقوله جل قوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم انذرهم بما كان منهم من القتال
والمحاربة وقوله جل قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات
هذا كله تخويف مما اصاب اولئك وانذار منه جل جلاله وعلى هذا فقد كان من ذلك ما شاء الله
نسال الله الغفور الرحيم لنا معشر هذه الامة عصمته ومعافاته ومغفرته قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وفي اخرى
حذو القذة بالقذة فيقطعوا امرهم بينهم كل حزب بما لديهم فرحون ثم قال جل
قوله اولئك لهم عذاب عظيم يريد جل وعز اهل الكتاب ولمن عتا وكفر من غيرهم ثم قال
جل وعز يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اي في ذلك اليوم هو وقوع الوعيد عليهم
بالعذاب العظيم وانما تبيض وجوه المؤمنين وتسود وجوه الكافرين يوم يبشر
هؤلاء بالجنة وهؤلاء بالنار فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اي
يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم اي يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون اهل الكتاب كفروا بعد ايمانهم ومن عتا وكفر من غيرهم كل يذوق من العذاب
على مقدار كفره ومن ضعف جنايته في الاسلام على نفسه لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب
ثم قال جل قوله تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق اي بالقول الحق كونه الواقع ويكون ايضا
معنى ذلك مع ما تقدم انه نتلوها عليه بواسطة الملك بروح القدس الى قلب رسول
صلوات الله وسلامه عليهم كما قال جل قوله بالحق انزلناه وهذا طريق انزاله بالملك
والروح القدس عليهم السلام وبالحق نزل اي بالكائن الواقع كما قال جل من قائل انزله
بعلمه اي بما هو كائن وما الله يريد ظلما للعالمين ومن كتاب الحرث بن اسد قال ابو غالب
كنت بدمشق فجيء بسبعين راسا من رؤوس الحرورية فنصب على درج المسجد فجاء ابو امامة
صاحب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين ثم خرج فقام فخرج عليهم
فجعل يرمق عبرته ساعة فقال ما يصنع ابليس باهل الاسلام ثلث مرات ثم قال كلاب
جهنم ثلث مرات ثم قال شر قتلى قتلت تحت ظل السماء ثلث مرات خير قتلى من قتل
هؤلاء تحت ظل السماء ثلث مرات ثم اقبل علي فقال لي يا ابا غالب اتقرا سورة ال عمران

قال

قال فقلت نعم فقال فاقرا هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات الى اخر الاية ثم قال هؤلاء كانت نفسهم فتنة وزيغا فزيغ
بهم ثم قرا ثم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم قال فقلت اهم هؤلاء قال نعم ثم قال تفرقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين
او اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا السواد الاعظم قال فقال له رجل الاحيى
يا ابا امامة الا ترى الى ما يصنع السواد الاعظم قال عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم وان تطيعوه
تهتدوا قال السمع والطاعة خير من المعصية والفرقة يعصبون لنا ثم يقتلوننا قال ارايت
الذي يحدث اشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم او شيء تقوله عن رايك فقال اني اذا
لجريء ان حدثتك ولم اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة او مرتين حتى قالها سبعة
تنبيه تفرق اهل الكتابين قادح في التوحيد والنبوة والرسالة وتفرق هؤلاء
من هذه الامة من جهة التاويل فهو تفرق قد ونتفرق وان خرج بهم الى الكفر فهو غير مقصود
لهم ولا معتمد منهم **قوله** عز وجل وما الله يريد ظلما للعالمين هو جل وعز لا يتصور
في حقيقته حكمة الظلم اذ لا يصادف ملكا لسواه يظلم فيه ومن سواه فانه فعل ينسب
الى فاعله كما يضاف الكلام الى المتكلم وقد اراد الله جل جلاله وقوع الظلم من عباده
ليحق بواهم به ظالمين فهم يظلم بعضهم بعضا لقوله جل من قائل وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم وقد تبرا جل جلاله وتعالى علاؤه من الظلم وحرمه على نفسه وعلى غيره
فصل العدل ثلثة فصول الاول ما استاثر به جل جلاله من الملك والجبروت والكبرياء
والوحدانية والربوبية والالهية وعزة الصمدانية فهذا الفصل هو وصفه اذ هو هو فهذه وجوده
وليس كمثله شيء ولهذا لا يصل اليه اسم ظلم ولا معناه اذ له الحكم كله والملك كله وليس
المالك لما ان يفعل في ملكه ما شاء وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
فلا يوصف بظلم الثاني من العدل هو ما بينه وبين عباده من الحكم كقوله تعالى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله جل قوله وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه فهذا ايضا ونحوه قد تقدم الى عباده في الظلم بالتحريم له والنهي
عنه والامر باجتنابه واوعدهم جل وعز عليه اشد الوعيد فلا يتصور منه الظلم في فصل
القضية ولا في الحكم منها للعلة المتقدمة لانه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قد تبرا
منه ومن فاعله لذلك يقول الله جل قوله لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد
وفيما رواه ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذر الرب تبارك
وتعالى الى ادم يوم القيمة ثلث معاذير فيقول جل قوله يا ادم لولا اني لعنت الكذابين وابغضت
الكذب والخلف واوعدت عليه لرحمت اليوم ذريتك من شدة ما اعددت لهم من العذاب
ولكن حق القول مني لئن كذبت رسلي وعصي امري لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
ويقول جل قوله يا ادم لا ادخل النار من ذريتك الا من قد علمت في علمي لو رددته الى الدنيا
لعاد الى شر ما كان عليه ولم يرجع ولا تعتب ذلك لانه لم يزل يعلم منهم الظلم قبل ان يوجدهم
على ذلك اوجدهم فقال فيهم هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فكتبهم العلم العلي

في اللوح المحفوظ كما كان علمه فيهم بارزاقهم واجالهم واعمالهم وشقاوتهم وسعاداتهم
ويقول جل من قائل يا ادم قد جعلتك حكما بيني وبين ذريتك فقم عند الميزان فانظر
ما يرفع اليك من اعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم
اني لا ادخل النار الا كل ظالم وقد اعقب ذلك بقوله الحق ولله ما في السموات وما في الارض
والى الله ترجع الامور **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم الايتين اشبه هذا الخطاب ما تقدم من قوله
جل قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين غير ان ظاهر هذا
هو في اهل الكتاب وذلك في جملة الكفار واهل الكتاب كفار ايضا بنص الكتاب
والكفار غير للمؤمنين معناه في قوله جل قوله ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم
وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
هذه كلها ايات على ما يضمرونه وهو من نصايحه جل جلاله **قوله** تعالى ولقد نصركم الله
اذ لم تعدد جل جلاله عليهم فاتقوا الله يريد التقوى لا دفع دل على ذلك قوله جل قوله لعلكم
تشكرون ولا يتحصل الشكر الا بعد مغفرة الذنوب وتكفيرها بالحسنات اذ تقول للمؤمنين
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين ثم قال جل قوله تحقيقا
للعدد المذكور بلى ان تصبروا وتتقوا ثم عطف بالواو عددا اخر على شريطة التزام
التقوى منهم والصبر فقال جل قوله ويأتوكم من فورهم هذا اي من حالكم هذه
من التقوى والصبر والاستعجال يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين اي معلمين
وقد تقدم قوله جل قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة
مردفين بخفض الدال اي مردفين لغيرهم من الملائكة وبفتحها اي مردفين بغيرهم
فاقل الجمع على هذا من اعداد الملائكة تسعة الاف اذ المشار اليهم بقوله جل قوله
مردفين بخفض الدال وفتحها قد يكون غير هولاء اعدادا زائدا عليهم **قوله** عز
وجل ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يمكن ان يكون هذا
المعنى منتظما بوصف الموصوفين بالعداوة والبغضاء الذين تقدم ذكرهم ويمكن
ان يكون راجعا الى كفار قريش اهل احد **قوله** جل من قائل يا ايها الذين امنوا لا
تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة الى قوله جل قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقد
مضى الكلام في قوله اضعافا مضاعفة في سورة البقرة وانه وصف لحالهم في دار
البرزخ وكذلك تقدم من وصفهم اعني اكلة الربوا انهم لا يقومون الا كما يقوم الذي
يتخبطه الشيطان من المس وان هذه حالهم في دار البرزخ يجعلون لال فرعون
يدوسونهم بارجلهم فيتردونهم ترددا فيقومون اثر ذلك عند تلك الحال على ذلك
الوصف وبوجه اخر ان تكون هذه الحال لهم ايضا في دار الدنيا وذلك ان الشيطان
لعنه الله اذا مس بلمم احدا ثم يقوم المصاب عن تلك الحال فهو حينئذ على المعهود
والا غلب من وجوده غير وافر في عقله ولا ذكره واهن القوة ضعيف الحواس الظاهرة
والباطنة واكل الربوا في سبيل دينه والعمل لاخرته والعقل عن ربه وكعلم بما خوله

على ذلك

على ذلك الوصف لا يشعر بما نقصه من دينه ولا يفطن للاهية لمصيره فاشبه
الذي يتخبطه الشيطان من المس قد احاط به حربه وغلب على صفته المه **قوله**
عز وجل واتقوا النار التي اعدت للكافرين اعداء الله جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها للكافرين على ذلك دلت دلائل الوحي الكريم كقوله جل قوله فانذرتكم نارا تلظى
لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وكقوله جل قوله ذلك جزيناهم بما كفروا
وهل نجازي الا الكفور وقوله جل وعز فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
اعدت للكافرين ولذلك ما اشكل على قوم فقالوا بالارجاء واتكلوا على صفة التفضل
واهملوا حكم صفة العدل في حقهم فذهبوا الى اسقاط العمل وقالوا كما لا ينفع مع الكفر
عمل كذلك لا يضر مع الايمان بالله ورسوله ذنب فاسقطوا عن انفسهم وظائف
العبادات وخرجوا عن الدين وانما ارفعهم في ذلك انهم سمعوا قوما يقولون انه
من مات وهو غير تائب من معصية عملها متعمدا لها فهو من اهل النار غير خارج
منها ابدا مع ابليس لعنه الله وفرعون وهامان فهو كهولاء ففرط هولاء وافرط هولاء
وفصل الخطاب وعدل القول في ذلك والله اعلم ان دين الاسلام والجزاء عليه من ثواب
وعقاب محدودين من فضل الله وعدله وهما صفتان له جل وعز من صفاته واسمان
من اسمائه لكل حظ من حكمته ونصيب من عباده من قوله التام جل قوله هولاء للجنة
وبعمل اهل الجنة يعملون وهولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون والعمل معدود والجزاء
مقدر مفروغ منهما وفي اخره هولاء للجنة ولا ابالي وهولاء للنار ولا ابالي اي لا
ابالي بكفر من كفر ولا بايمان من امن وعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يطابق هذا
ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس حتى لا يكون بينه وبين الجنة الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وبالضد قوله جل قوله لا ابالي
اي بكفر من كفر ثم ختم عمره بالايمان ولا بايمان من امن وعمل بطاعته ثم ختم عمره
بالكفر ثم الكفر منه صغير ومنه كبير ولذلك تطرق دخول النار الى بعض اهل شهادة
الحق وعلى ذلك ففي النار عذاب في اقطار منها لا يصلاها الا الاشقى وقد اعدت للكافرين فيها
عذاب في قطر او اقطار منها يطابق لصغره بالاضافة الى ما هنالك لصغير الكفر ليس هو بالقطر
الذي حافته لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى لجاء بلفظ التكثير وقوله جل قوله وهل نجازي
الا الكفور اي انه لا يعذب الا تقيا الذي يؤتي ماله يتزكى لجاء بلفظ التكثير انما يعذب الكفور
وقد يقتضي ان من يكفر ما هو صغير وكبير ولم يكن الله جل ذكره ليذر المؤمنين التي اعدها للكافرين
الا وقد كتب على نفسه ان يدخل منهم فيها من شاء الا ان يغفر له وهم الذين لم يبلغوا ان يوصفوا
بالاتقاء ولا يعذبهم ايضا بعذاب الموصوفين بالاشقى الذي كذب وتولى ولذلك قال عز من قائل
واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون يقول جل من قائل
فلا يكونوا ممن يدخلها وسارعوا الى درجة الاتقاء الى المغفرة **قوله** عز وجل سارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين ثم وصفهم وصفه
بصفات لا تشكل على من نظر بعقل سليم وقال جل قوله في موضع اخر سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة

عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله يريد الايمان الاعلى والاوسط
الارفع ثم يدخل الله الجنة من لم يبلغ هذه العلياء بفضل رحمته **فصل** التقوى منها صغير
ومنها كبير فالانبياء والاولياء من ولد ادم عليهم السلام في اعلاها اعني الحظ الذي اوتيه البشر
منها واهل الشهادة دون عمل في ادناها وكذلك المكفر وفي هذين الطرفين كان
خلطا اياهم اذ قال جل قوله لهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون اي من دون كبير
المنزلين فمن هولاء يدخل النار اعاذنا الله الرحيم برحمته منها من لم يشا الله الغفران
له حتى اذا صفوا وهذبوا وخلص منهم ذلك المعنى الذي قال جل قوله فيه اذهبوا
فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خير فاخرجوه منها ادنى او ادنى ادنى منها من ذلك
وذلك هو الايمان يهن بالايام وتضعيف السيئات لطول عرض الذنوب عليه فيقل معاد
وتذهب قوته في المجاهدة ويالفها فيقل انكاره لاجل كثرة ترددها عليه فيكون منه
في ذلك منزلة سافلة الحديد الى الارض فلا تزال الارض تاكلها وتصدي وتعلوها
الدرن ويطول ذلك حتى يحرقها وينفذ عرضها وتنقص طولها فيبطل ذلك منها ما صنع
له والى هذا المعنى الاشارة بقوله جل قوله وهو اعلم فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير
وانما خير الحديد وغيره مضا ومن عمله وقت ما فيا وجدله ثم قد تجد الصداء فيها وغلب
عليها افة الدرن فلا يبقى ما هو حقيقة الحديد منها على طول بلاها في الارض وقرب كسر
منها ولو ومد لك لها الا شبه باطن لا يتميز العقول الا بالنار فيقل تخليص هذه القطع
من الحديد من درنها الغالب عليها في نار الدنيا ليخرج منها ما هو حقيقة الحديد وان قل
ذلك منها كمثال جعل ولذلك في نار الاخرة ليخلص منهم الطيب من الخبيث وذلك المخلص منهم
والله اعلم هو المعنى بقوله جل قوله مثقال ذرة من ايمان وادنى ادنى من مثقال ذرة نعوذ
بالله العظيم برحمته من عذابه قليله وكثيره ونساله فانه الرحيم ان تتغمدنا برحمته فالايمان
بقوته ومجادته وانكاره وغيرته على الفواحش مثال الحديد لشدته باسه وقوته والارض
وكذا في ابطاله وتعفينه واذهاب حقيقته كالذنوب بعد الذنوب في توهين الايمان وابطال
عمله فيما وجدله وكما قد تذهب الارض الحديد فحمله وتحيله الى نفسها كذلك تذهب كثرة الذنوب
الايمان اهلاكا وابطالا وهذا هو الذي احاطت به خطيئاته فينزع منه بمشية الله جل ذكره
بما هو شبه الايمان عند الموت فلا يخرج من النار ابدا اذ لم يبق فيه ما يخلص واما قوله
عز من قائل في الجنة عرضها السموات والارض فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبره الصادق
عن اسرائه فوجدت ادم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السابعة وذكر الانبياء صلوات الله
وسلامه على جميعهم فيما بين ذلك من السموات على منازلهم قال عليه السلام ووجدت موسى في السماء السادسة
وذكر ايضا صلى الله عليه وسلم انه وجده في قبره فانما يصلي وقال عليه السلام في الشهداء انهم في حواصل
طير خضر يعلق بثمار الجنة وقال الله عز وجل في الشهداء احياء عند ربهم يرزقون فهذه
حينهم اليوم كما قال عز قائل في عموم الموتى فطورهم جل جلاله ثلثة اطوار وذكر جل جلاله احتضار
المحتضرين ومتقلبهم وما اليه ينقلبون فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين

فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين يعني عز وجل الموت كما قال جل من قائل
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين يعني عز وجل الموت كما قال جل من قائل واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين يعني الموت كذلك قال جل ذكره في اخر سورة الحاقة والجنة عرضها كعرض
السموات والارض اعدها الله جل ذكره للمتقين الذين وصفهم بالاحسان الى قوله والله يحب
المحسنين ثم للمتقين الذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم على علم منهم بانه لا يغفر الذنوب الا الله هذه جنة الدار الوسطى التي بعد الاولى
ثم قال عز من قائل اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها اي في الدار الاخرة دار القرار ونعم اجر العاملين ودلت الواو هنا عطفا
بمعنى على معنى وتعظيما الاجر ما هنالك وانه قد بينا انه شاكر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من عبد تصدق بصدقة من كسب طيب والله طيب لا يقبل الا طيبا الا وقعت في يمين الرحمن قبل
ان تقع في كف السائل فيربيها له كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون التمرة مثل جبل احد
كما ينشو البزرة في البزرة في الارض ينزل الله عليها الماء من السماء حتى يكون نخلة فرعها
في السماء واصلها ثابت في الارض وكذلك غيرها من بذور الشجر حتى يستظل تحتها الانس
ووحوش الطير وتاوي اليها طيور السماء وكما ينشي جل وعز الثمرة في الدنيا من صغر الى الكبر
من محاجة الى نضج كذلك الصدقة فيما هنالك حتى تكون الثمرة مثل جبل احد والامر هنا الى
الحجم والوجود الرم ولا يكون القابل عنها المعبر عنه بالارض والمولى المعبر عنه بالماء والهواء
والشمس كالقابل هنالك والمربي المعبر عنه بانه الله الحق المبين اي المبين لهذا الحق المخلوق في
السموات والارض جل ذكره الرحمن الرحيم لا اله الا هو اعقب هذا بقوله الحق هذا بيان للناس
وهدى وموعظة للمتقين بيانا لفضل الاخرة على الدنيا وهدى لمن نظر واعتبر بالشاهد الى
الغائب وموعظة لمن اتقى الله فيما امر به ونهاه عنه ثم ارجع جل جلاله وجه الخطاب الى ذكر
غزوة احد يعزي جل جلاله المسلمين في مصابهم ويعظهم ليحتسبوا ويبشرهم بقوله جل قوله
ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي بما تلوناه عليكم فانكم الاعلون
في الدنيا والاخرة كقوله جل قوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة وبقوله جل قوله والعاقبة
للمتقين ان يمسسكم قرح يعني يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يعني يوم بدر وتلك الايام
نداولها بين الناس بقوله جل من قائل وان كانت لكم العاقبة فان من سنني مداولة الايام بين
الناس لحكمة معهودة لي في ذلك اتبعهم واعوض المؤمنين بدار خير من دارهم واهل خير
من اهليهم فادخل جل جلاله الواو عطفا على هذا المعنى المذكور او ما يجري عبارة عما شاء جل
ذكره في قوله جل قوله وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء يقول جل من قائل لابتليكم
ولاختبركم فانزل كلا حيث انزل نفسه من الايمان والصبر والحلم عما يرضى ولا محص بذلك المؤمنين
ويمحق الكافرين واتخذ من المؤمنين شهداء يشاهدون التي ابتاعوها مني بانفسهم واموالهم
ورضوها عوضا من دار الدنيا صبروا في ذلك لاجلي ورضوا من ذلك بما عندي **فصل**
قال الله جل من قائل ولله ملك السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب
ان الله على كل شيء قدير وقال جل قوله قل من بيده ملكوت كل شيء فلكوت كل شيء هو سر

الصنعة في المصنوع وحفي القدرة في المقدور ومن ذلك مصافات الملائكة على جميعهم
السلام في تدبير الامر في رياح وسحاب وهواء وماء وارض وجميع مواد وتركيب
من نشط ونزع وسير وبشر وتقسيم وانشاء وارسال وامساك وبشارة والقاء
والهام وفرق ووصل وتصوير واحياء واماتة باذن الله عز وجل الى غير ذلك من الافعال
التي جعلها الله عز وجل اليهم ولا يعملون الا باذنه فان مشيئته جل جلاله فوق كل مشيئة
وقدرته على كل قدرة وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله يرجع الامور
فجنة الدار الوسطى هي الحاضرة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب
الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك والنار هذه الدار جنتها جنتها ونارها النار
كالمثال الذي تقدم ذكره قبل والقافية للذوات والاولى ونحو هذا وهي التي هي عرض السموات
والارض وهي ملك السموات والارض وعنها ينفصل معاني ما ههنا من جميع موجوداتها
شقاوتها ونعيمها سرائها وضرائها خيرها وشرها واما جنة الدار الاخرة والله اعلم
فهي التي عبر عنها قول الحق سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض
وتلك اكبر جدا واوسع من السموات والارض اذ كل ما علاه فهو سماء وذلك اذا كشطت
السموات سمائها وبدلت الارض غير الارض والسموات وسعت حقيقة تلك في هذه
فكانت كلها جنانا والسموات والارض اليوم هي الدنيا فقد ابدلهن بغيرهن اكبر واعظم وازيد
في ساحتهن طولا وعرضا كما بين الدنيا والاخرة من الزيادة التي عبر عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما صبع ادخلته في اليم فانظر بم يرجع منها
وقال العليم الخبير وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وما الحيوة الدنيا في الاخرة
الا متاع **فصل** ان الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قد حجب حجابا كثيرا
وهيا نزلا عظيما كرما وعد به عباده المؤمنين واعد لهن كذب رسله وعصى امره عذابا اليما
جمع ذلك كله في دار القرار التي فصل هذه عنها واوجب في سابق حكمته وعلى تدبيره ان
يحيى فرطا ويبقى اليها شهداء يشهدونها من هؤلاء وهؤلاء كل لما اعدله وعرف
به قال الله عز وجل فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل
من حميم وتصلية جحيم وقال ايضا جل من قائل لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون اي
مقدمون اليها قبل البعث من ذلك قوله بعد هذا تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم يعني جل وعز في الحيوة الدنيا فهو وليهم اليوم في الدار الوسطى ولهم
عذاب اليم في الدار الاخرة ثم هكذا سرد خطابه جل وعز في شأن غزوة احد الى قوله ولا
يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا **قوله** عز وجل ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الى قوله فان الله لا يضيع اجر
المؤمنين قد تقدم فيما مضى من صدر الكلام في حيوة الشهداء بمبلغ العلم منا والاشياء
معروف بالقران والحديث ومعاني الموجودات عيانا في ذلك على صدق قيله جل قوله وهو العليم
الخبير اذ هذا الاحياء لا ينكشف معرفته الا في الدرجة الثالثة من العقل بتاييده

عز وجل واشعار بحقيقة المعنى الخفي منه قال الله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون فاخبرك نصا صريحا بصادق قوله عز
وجل ان ذلك لا يوصل اليه الا باشعار من الله عز وجل بحقيقة كذلك قال الله جل
من قائل وهو اعلم في المثل الذي ضربه لخليل ابراهيم عليه السلام في ذلك ان الله عزيز
حكيم عزيز لا يمنع عليه شيء شهادة وغيبا حكيم محكم لصنعه واي احكام اعرف وصفا
من هذا بسط الجسم على معاني الاصول وضم جل جلاله الاصول الى متحد بجملتها فهي
ايجاده متكثر وفي تكثره متحد وهو حال الحيوة هذه ميت بوجه وفي حال موته حي
بوجه واعرف من هذه وصفا العبد لكل ادمي اذا التحم والتزم ان ربك حليم عليم الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ويتمهد هذا ان شاء الله تعالى بالكلام الاول على الكل
وهو ما لزم الموجود من وجوده باطنا وقد مرت قبل الاشارة بخفي موضعه
وغيبا غيبه ذهبنا الان نبينه متى مررنا به في فوت معنى غامض فاظهر تعالى والعبارة
وتدل عليه خلاف السبيل اليه قاصده بلا ابعاد نحوه فاعلم وفقنا الله واياك لما يرضيه ونجانا
عن جميع مناهيه ان هذا الوجود المعنى بالذكر لزوم الموجود لزوم الصلاة اشخاصهم
في الظواهر لجماع الموجودات قال الله عز وجل فظاهر ذلك ويوم تقوم الساعة ادخلوا
ال فرعون اشد العذاب فالا الجبال الا فياؤها وظلالها والا الموجودات الظاهرة
اتباعها كذلك لها الباطنة هذه منها دالات عليها من ذلك قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعقد الشيطان على قافية احدكم ثلث عقد الحديث وهي من ذلك قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه اذا كانوا يأتونه بصدقاتهم اللهم صل على ال فلان امتثالا
لقول الله جل قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ولما جاءه
ابن ابي اوفى بصدقة ابيه قال اللهم صل على ال ابي اوفى اراد صلى الله عليه وسلم انعم
بالصلوة ظاهر الال وباطنه والصلاة على فلان صلوة على اله الملازم له الذي هو
مثاله اذ الباطن في ضمن الظاهر وليست الاتباع كذلك بخص ال ابي اوفى بالذكر لنظر
معاينه ومن تبعه فيها كذلك الصلوة على الميت وغسله هي صلوة وطهر لما صار منه الى
مثاله اذ ليس هو عند الله جل ذكره وعند اهل الاخرة لغير الموجود الظاهر والمعتمد
بالصلوة والدعاء الظاهر عندنا نحن في بادي الراي والروية ويدخل الباطن في ذلك
بالتبعية وليس ذلك كذلك على الحقيقة بل الصلوة والتبرك والدعاء بجملته انما هي
الباطن المزايل والظاهر لنا وان كان حكم ذلك ليس بحكم ظاهر وكذلك الصلوة
والتبريك على الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم وخصوا بالصلوة
لحظيرة الاشخاص التي باينوا بها البشر وهي التي يصحب منهم العالمين ولعمر بعد في الغابرين
وهذا المعنى اعني وجودهم الذي وجدوا عليه حال ظهورهم هذا كان منهم ومن سواهم
في بدء الامر حين الاشهاد والتقرير واخذ المواثيق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
حكاه عن مسراه رايت الانبياء في السموات ولما حضرت الصلوة امتهم فهذا فيمن كان
ثم قبض وقال ايضا عليه السلام رايت ادم عليه السلام في السماء الدنيا واذا عن يمينه اسودة وعن

اسوده فهو اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فهذه جمله بينه
من مضى منهم ومن الروايات بعد لذلك قيل آل امر فلان الى كذا اى رجع اليه وقيل بالوجود و اولى
اخره بالجزاء ومنه تاويل الرؤيا قولهم فقالوا فما اولت ذلك يا رسول الله ومنه الالية
التى هى اليمين والحلف آليت افعلت بمعنى الزمت نفسى الالية وتاليت فعلت وانما يصوغ
التفعل فى الالية لانه من الال وهو معنى باطن فى المؤمن تحقق فيه بصفة الايمان فهو بمعنى
تفعل بما فيه من الال مثالى فى ذلك دخل فى الال والزم نفسه تعظيما له وتحققا بحقيقته
قال الله جل من قائل لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة والال هنا هو لطيفة الله جل ذكره
فى العبد المؤمن كان موجودا فيه بما هو انسان ثم تحقق بالايمان ثم صعد تحققه بالايمان وطاعة
ربه الى غاية عبر عنها بقوله جل قوله كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث
وبقوله جل قوله مرضت فلم تعدنى وجعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى وكنت عريانا
فلم تكسنى اصله والله اعلم من قوله جل قوله ونفخت فيه من روحى ثم ما فى العالم مبنوثا من روح
الامر وبهذه اللطيفة استواء العبد الباطن بتزكى بالطاعة لربه جل ذكره ويتردى بعصيته
قال الله جل من قائل ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب
من دسيها وربما جاء ذكره موعيا حسب الطاقة فى اولى الموضع ان شاء الله عز وجل ومرجع
الكلام قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه حين بلغه ركيك ما عارض به مسيلمة الحنفى القران
العزيز والله ما خرج هذا من ال يريد من نبوة نبى ولا صديقية صديق وقد قيل الال هو الله
جل ذكره ومرجوع مجموع هذا كله من ال واليه اسم الله جل جلاله وتعالى علاوه وشانه قال
الله عز وجل فاذكروا الله لعلكم تفلحون وقال جل قوله فباى الاء ربكما تكذبان فالاؤه جل ذكره
فى مخلوقاته هى التى تبصرها حدقات البصائر فى معالم العالم المشرقة بضياء الوجود العلى الذى
لم يزحمه المكان ولا قامه القبل ولا اعدمه البعد ولم يجر لوجود الموجودات اذ يلحقه سبحانه وله الحمد
لم يزل على ما هو ولا يزال على ما كان دون بداية ولا نهاية وذلك المعنى بقولنا الاول فى الوجود ذات
عبد وملك له جل وعز اسلك جل جلاله وتعالى علاوه وشانه ذلك مسالك اسمائه وجاها
مجارى مقتضيات معانى معالى صفاته فى مصنوعاته فالموجودات كلها عرض كالاعراض لا يبقى وكذلك
الوجود لها كالحامل القائم بها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره وقال جل قوله وسخر
لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون الله نور السموات
والارض مثل نوره المعنى ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون والله بكل شىء عليم
لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم الم تر ان الله يسبح له من فى السموات
ومن فى الارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فكل مسبح فى العالم وقانت وساجد
ومصل للاله العلى هو خاضع عابر سبيل الاعتبار وطريق البحث عن هذا المطلوب العلى هو من
لدن قوله جل قوله هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم الى
قوله جل قوله فباى الاء ربك تتمارى وبمعنى البحث والطلب فى قوله فاذكروا الاء الله وقوله
تعالى فباى الاء ربكما تكذبان مع الوقوف على نسق الاى والتدبر لما ذكرناه فيها وفيهم قوله تعالى
الاوارتياد التزيد من هذه الوجوه المجتلبة فى هذه المسئلة ولا حول ولا قوة الا بالله

العلى العظيم ليس كمثله شىء فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد وقعت
الفتنة بهذه اللطيفة المخلوقة المحدثة المعمرة المملوكة قوما فى القول بالحلول والقول
بذلك كفر صراح كيف تشبه الخليقة الحقيقة بل كيف يمثل العبد المربوب بربه الخالق العلى
الكبير وهو القائل جل قوله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير بمثال الموجودات فاعلم يقينا ليس
لعبرة الموجود لذلك نهينا ان نقول للشهداء اموات وامرنا ان نعتقد فيهم انهم احياء
عند ربهم يرزقون فمن شعر لمعنى سهل عليه الماتى كذلك قال جل من قائل لقد انزلنا ايات
مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والله جل ذكره يقول الحق وهو يهدى السبيل
هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم وما يكون فى شان وما تتلوا منه
من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين وقال
جل قوله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم فان
الله قبل وجهه اذا صلى وفى اخرى فان الرحمن مواجهه **فصل** كل موجود مثالى الوجود
ظاهر او باطن وان فسدت ظواهرها اعنى ما جاز عليه الفناء منها فان مثالاتها باقية
وليست كظلال الاشخاص تعدم بعدم ما كانت ظلالها ولا يعدم الله جل جلاله شيئا
خلقه من حيث هو ومن حيث حكمه العلى وكتابه المبين وانما عدم المعدومات بفقد ايجاد
ما هو بالاضافة الى من سواه وعلى ما يجوز من تقديره فى ذلك ومشيئته بالايجاد
فى المرئى والراى بل نعتقد بتوا بعد يوم البعث بان يظهر ما ابطن من ذلك ثم يميز خبيثه
من طيبه فيجعل هذا ناحية وهذا ناحية قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب
حفيظ قد وسع ما يوجد من ذلك وما يعدمه وما يؤول اليه ويصرف فيه واعاده
واللون والاين فى ذلك كله والكيف والمتى وكل شىء عنده بمقدار وانما يتحقق
هذا البقاء وبقاء وجودا واخلافا فى الدار الاخرة قال الله عز وجل ووصف الجنة
فيهما من كل فاكهة زوجان وقال جل قوله واتوا به متشابها وقال جل قوله كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وهذا تنبيه على هذا المشار اليه
المسمى بالوجود المثالى وذلك ان الحكم فى الاخرة كلما اخذ منها شىء قام مثاله مقامه
فكان زهود ونذمان محسوس كالمعقب فى الاجسام للاجزاء المعدومة الذاهبة وبذلك لا تمتاز
لهم بعضه من بعض بل تتشابه وتتشاكل وهذا الحكم فى نفس كل ثمرة متى قطعت قام مثالها
مقامها فقد مسها المقطوع فى الطعم والشبه والوجودية ذلك ما تشابه على الاكل ثم كل شجرة
تاتى بطعمها من عام الى عام يجوز ذلك فى الجنة دون زمان فافهم ما بيناه لئلا تظن ظان ان
طعام اهل الجنة لون واحد سواه متشابه لذلك قال عز من قائل ولهم فيها من كل الثمرات
قوله جل من قائل يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
اخبر الله تعالى عن حال عباده الشهداء عنده انهم احياء يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله
لما باعوا حياتهم الدنيا وتعاقبها عوضهم الله جل ذكره بحيوة هى اشرف حدا واكرم ماوى
واطيب رزقا واسنى قد اسقط الله جل جلاله وتعالى علاوه وشانه عنهم اصار الكلف

وحال بينهم وبين العدو يفرحون بما اتاهم الله من فضله وبما وجدوه ربا رحيما
ودودا كريما وفيا غفورا يشكر القليل ويحبو الجزيل يعفو عن الجرايم ويتجاوز عن العظايم
ويستبشرون باخوانهم الذين خلفوهم في دار البلايا من بعدهم بما اعلمهم العليم
الخبير بان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يضيع لهم عملا ولا يخشون منه ظلما ولا هضما
ثم خص اخوانهم بالذكر والبشارة اهل احد الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة ذات الرقاع وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى بعد ثلاثة لا يخرجن معي الا من شهد
احدا فخرجوا باوصابهم وجراحاتهم لا كثير منهم مشاة تعتقب البعير الاثنان والثلثة
والاربعة فنقبت اقدامهم لذلك واشتد عليهم التخرج حتى شدوا ارجلهم بالخرق فسميت
غزوة الرقاع من ذلك وشكر الله جل ذكره منهم واعلم الشهداء بما لهم عنده من حسن المثوبة
وكريم النزل فاستبشروا لذلك وفرحوا به وقالوا بلغوا عنا اخواننا انا قد لقينا ربنا
ورضي عنا ورضينا عنه وقالوا من يبلغهم عنا فقال الله جل ذكره انا ابلغهم عنكم
فانزل الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه هذه الايات بشارة للغابرين واعلاما
بال الماضين **قوله** عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب جعل الله الجليل جل جلاله وعظم ذكره اختلاف الليل والنهار لطلب العلم والتذكر
والشكر لحاجة عباده سخرهما جل وتعالى وليتفضل عليهما وظايف العبادات التي كلفهم
الله تبارك وتعالى الاتيان بها وبالضد وليعلم جل وعز عدد السنين والحساب قال
عز وجل تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو
الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وقال جل من قائل وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا
من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا اي بهما وفيهما وهو المعنى
الاول وهنا فضل جل جلاله على ذلك الاعمال والارزاق والاجال وقطع المقامات
في طرق الدنيا والاخرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اصبح الحمد لله الذي جعل
النهار خلفة من الليل فطريق الشكر لله فيهما ظاهر ان شاء الله وهو العمل بطاعة الله واجتناب
مناهيه والتنفل لله عز وجل بنوافل الخيرات واما طريق التذكر وتطلاب العلم بخلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار فذلك من اعظم الطاعات لمن نظر بعد داء الفوايد
واحياؤه فيها قد تقدم في تفسير قوله جل قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الى قوله لقوم يعقلون من الكلام
ما فيه تطريق للمبتدي وتذكار للمنتهي والله نسال المزيد في النعم وتوفير القسم **قوله**
جل قوله فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض
اي الانبياء والمرسلين المؤمنين ومن الصديقين وهؤلاء من هؤلاء كما قال جل قوله
ان الله اصطفى ادم ونوحا وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض وقال جل قوله
ذرية من حملنا مع نوح ودل على قدر التخصيص بذكر المؤمنين والنبيين والرسل
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ان نصب ذرية على المدح سالت ام سلمة رسول الله صلى

الله عليه وسلم وكانت اول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة قالت يا رسول الله لا اسمع
الله ذكر النساء في الهجرة فقال الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى المعنى الى اخره

سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم قول الله جل ذكره يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء الى قوله جل قوله
رقيبا امر الله تبارك وتعالى عباده ان يتقوه في اجتناب مناهيه والعمل بما يرضيه يعرف
جل جلاله اليهم بانه خلقهم وفي ضمن ذكره انه خلقهم هو الذي يرزقهم ويقوم
عليهم ويميتهم ثم يحييهم ثم يجازيهم باعمالها خيرها وشرها ووصف عز وجل لهم نفسه
الوحدانية فهو الواحد خلق واحدا صوره احسن تصوير ثم خلق من ذلك المخلوق زوجا واحدا يشبهه
اشبهه كافله وعايله ولها هو المخلوق منه وهذا مقوم عليه معول مفصول مكفول او
واعلم بهذا الخطاب ان الكثرة عن الوحدة انفصلت واليها ترجع وان الاول هو الفاضل
والمؤخر هو المفضول فيجمع ذرية ادم عليه السلام وحده وغير ادم من الانواع والكثرة
فانها ترجع الى الجنس وان الاجناس فوق ذلك تكون انواعا يجمعها جنس واحد يجمعها الذلك قال
عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور فاولا اوجد الله
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه من شيء فهو النور اوجد عز وجل عن نوره العلي النزيه
الرفيع ثم اوجد له ضدا وهو الظلام اوجده جل ذكره عن معنى متوهم اوجده جل وعز
ارصادا للمحنة التي قدرها ويبتلي بها عبادا يبقيها في علمه بها حكمة بالغة له في اتمام كلمته الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهذا المعنى المتوهم لا وجود له في الحقيقة وان كان
الله جل ذكره قد اثاره في انشاء الخليقة وهو ما عبر عليه حرف النفي من قوله لا اله الا الله
وحده لا شريك له وهو ايضا ما عبر عنه مالج عنه نفسه وتعالى عنه وهو محيل الوجود معبر
عن عدمه معرب عن استحالة وجوده في اكثر انواع الالحاد كقوله جل قوله قل لو كان معه الهة
كما يقولون اذا لابتغوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله
الواحد القهار لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا هذا فاشبه هذا مما قد شهدت به
الشواهد واصفق جميع الوجود على الاجماع باستحالة وجوده ووجود عدمه فخلق جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه من خالص النور ما شاء واوجد عن ذلك الظلام ما شاء من مزوجهما
ما قد نطق به كتابه ووسعه علمه فهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد خلق واحدا واوجد عن ذلك الواحد
واحدا اوجد عنهما الكثرة العليم الحكيم **فصل** وفي هذا الخطاب ايماء وتحريض للخلق
بل بالايجاب باعتبار خلقه جملة المخلوقات فمن حيث هو فاعلها وصانعها وخالقها دل
بذلك على وجوده العلي جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه كما دلت الكتابة على كاتب والبناء
على بان والفعل على فاعل ثم دل بذلك على ان المفعول المجزي لا يشبه فاعله كما لا يشبه البناء
بانيه ولا الكتابة كاتبها ولا الخياطة خائطها ولا الضرب ضاربه اذ هي انواع لا تمام فيها
شيء انها مفعولات فقد اعطت غير ذلك لا ان دلالتها على وجود الفاعل لكن الناظر يحتاج ان
يضيف اليها نظرا اخر ولما صعدت المفعولات الى الاجناس دلت بحياتها على ان فاعلها حي

جلاله حي ليس كمثله شيء ولعلمها على ان فاعلها عالم وبارادتها وقدرها ونحو هذا كل صفة
ومعنى على ما كانت عنه ومن هو موجود له ومنه وهو الحق وجل عن الحق قال الله عز وجل
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته
مسلما مؤمنا كالعالم الكلي سواء وكل مكفول ومعمول غير تام وكل ما في العالم كذلك فهو فقير الى
خالقه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه مفتقر آخر عن اوله هو جاعله وخالقه ومصوره
هو القائم عليه كما قال تعالى وله الحمد **فصل** اذا كان النظر عن ابعاض الموجود الكلي فان
اول موجود العقل من العلم وجود صانع الصنعة كما تقدم ولا تشبه الصنعة صانعها بل غاية
كمال المفعول ان يحوي بعضا الكلي وان يشبه فاعله الادنى انه جرى بل ليس من فعال الفاعل
الجزئي شيء يشبهه الا ما كان منه على سبيل النبوة والمثل وهو فعل مسخر له واضطر اليه وهو مفعول
بلا اضطرار اليه فاذا المفعول لا يشبه فاعله الا اذا كمل ثم لا يشبهه من كل الجهات وفاعل الحق هو
الفاعل الاعلى جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بامر نازل من عنده وحكم جزم ليتم بذلك
كلمته ويظهر امره وخلقه افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وهو آية على مفعول
الفاعل الاعلى جل جلاله مفعوله الكلي ولله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
خلقه بالحق واوجده للحق وكما نفصل اليه المفعول الكلي فابعاض واجزاء يكمل بها الكلي وكل
الجزئيات ان تكون عدة لان كل المفعول الكلي باجتماعها او على صورة ما هو مفعول كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تربت يمينك ومن ابن يكون الشبه جعل جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ما تقدم
ذكره دلالة كلية على التوحيد الاعلى والاسلام الارفع واليقين الاتم ثم ما جعله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه من اجزاء هذا الكلي وابعاضه واجزاء اجزائه مما يؤم بعضها بعضا
منها اليها من منتهاه الاسفل الى منتهاه الاعلى جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ايضا ذلك
دلالة على النبوة والرسالة والاختصاص والاصطفاء فاذا كمال المفعول الكلي ان يكون على صورة
فاعله كما الجزئي كالذي يحوي بعضا الكلي كالعضو والجزء من الكل **فصل** الموجود الجزئي
مسخر له ابعاض الكلي عاطفة عليه اعضاؤه ومعاطفه وما بين ذلك هو عدا له بنشئه منشئه
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وما وله اليه صورة وذاتا فما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وليظهر في صورة الحق المفعول عيانا والارض آيات للموقنين وفي انفسكم
افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون فكما انا ننطق حقا لا مرية في ذلك فكذلك ما نحن بسبيل تبيانه لا مرية فيه فافهم فقد تبين
مما تقدم ذكره ان الدنيا نبذة من الاخرة صورت على صورتها سراءها وضراءها لكن على الكم
والتقليل وان الذي يكون عن الماء ينزل من السماء الى الارض من حبات وعيون وزروع ومقام
كريم شبيه وكذلك في النعيم الاخر ما يكون من سموم حرور وزمهرير بتواهج ذلك كله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك والمنتهى اليه والله
ورسوله اعلم الى فيح جهنم بنفسها اعاذنا الله المأذون لها فيهما وقد تقدم ذكر هذا فتبارك
الله احسن الخالقين ما احسن ما اوجد واتقن ما خلق واحكم اللهم يا ذا الجلال والاكرام
فهمنا عنك ثم استعملنا بالذي يرضيك عنا **فصل** المفهوم مما تقدم ذكره انه

جل جلاله الطاهر الطيب القدوس السلام المؤمن المهيمن له المثل الاعلى في السموات والارض وهو
العزيز الحكيم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ثم لم يزل على ذلك ولا يزال اوجد جل جلاله
وتعالى علاؤه وتعالى علاؤه وشانه مخلوقاته جميعا فما اوجد من اجله حق محض له المحامد كلها
اوصافا وخلق كما قال عز من قائل واصطنعتك لنفسي ولتصنع على عيني واني جاعل في
الارض خليفة وما اوجد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لا لاجله فهو خلق له ومقدور
ليس لاجله ولا متوليا اياه فلذلك لزمه البعد وانضافت اليه المذام على قدر ما الزم من هذا
الوصف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه فافهم والعن فانه
من لم يستدل على المعرفة بربه لصنعه لنفسه فلم يعرف الله الا بالاسم لا بحقيقة المعنى
الذي دعا اليه وهو معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرفكم بالله اعرفكم بنفسه
قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم واعبدوا ربكم وتسميته اياهم بالناس وسماهم
واحدهم بانسان والجنس منهم ناس ما معنى ذلك الذي دعاه اليه ان يكون مسلما مؤمنا
عالما حكيما برا رحيما عفوا غفورا كريما سخيا شكورا هكذا ثم على نحو التعبد بهذه الاسماء
واما المعرفة التي تحصلت قبل هذا ففي قوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك وفي قوله جل قوله لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم اي على علم الفطرة وصورة فان كان مؤمنا مسلما
صادقا برا وصولا سخيا كريما الى غير ذلك فهو وان كان كاذبا كفورا بما يتبع ذلك من
اسماء وصفات فذلك الذي رده اسفل سافلين وان كان على المحمود هو ما دعاه اليه و
والاه ونسبه اليه وكان معه وكما تقدم اعلم وفقنا الله واياك ان الناظر في كتاب الله
عز وجل ربما اضطر عند تفهم المراد من سر اتيان الخطاب الى ان لا يعتمد على ترتيب
الله كله ولا يركن الى اعراب اسم ضرورة نجدها عند مطالعة التحقيق في مبادئ الاسماء
ورؤوس معان تتلقف الفهم عن اشارات مبادئ الخطاب وقد تقدمت الى هذا المعنى اشارة فيما مضى
وذلك عن انا رده حال عبر عنها قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فعنى به
هذه الحال تتلقف الوحي وبين الحال التي عبر عنها بقوله جل قوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه
حال بداية امتزاج فيها ما ظهر منه للفهم بما لم يظهر بعد وربما بدت لذلك جملة وخفيت
اوائله وقد تقدمت الى نحو هذا اشارة وان كان التوجه فيما هذا سبيله غير المتوجه
اليه بما عرضت اليه فلنقصر اختلف السلف رحمهم الله عليهم في المعنى الذي اوقع هذا الاسم
على هذا الجنس من اجله فقال منهم قائلون انه من النسيان وتمثلوا في ذلك بقول بعضهم

سميت انسانا لانك ناسي

وعولوا في اثبات ذلك على قوله جل قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
واستمرت لهم الشواهد من معهود النسيان ووجوده في الانسان انسيا تراه ونسيانا ذهولا
وزوال ذكر الشيء بعينه وقال آخرون هو ماخوذ من الحركة يقال من ذلك ناس ينوس
نوسا اذا تحرك والفاعل منه ناس ونواس على التكثير واستمرت لهم ايضا بذلك
الشواهد بالوجود والخبر بان الانسان لابد متحرك اما ظاهرا واما باطنا او بكليته

ما دام حيًا ويتوجه حجته في ذلك الى قوله جل قوله والعصر ان الانسان لفي خسر فاخبر ان
الانسان بما هو في حركة ما قولًا وفعلًا وبما هو انسان مكلف هو في خسر ما لم يكن ذلك منه
عن ايمان بالله ورسوله واقتدا وهذا هو المستثنى بقوله عز وجل قوله الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ومن ذلك ما ذكروا ان الخضر وصى موسى عليهما السلام
يا موسى اعمل خيرا فانك لابد عامل شرا وهذان الوجهان معًا وان كانا موجودين في
الانسان فانه لايتم وصفه الا بالوجه الثالث وهو بان يكون ماخوذًا من الانس ومن الناس
سمي الانس وعلى ما تقدم من اعتقاد المقادة قال الله تبارك وتعالى يا معشر الجن
والانس وشواهد هذا في مفهوم الخطاب كثيرة جدًا فتارة تبدو ممتزجة بمعنى التوبيخ
او التقرير وتارة باستدعاء وتلطف ونصيحة ممتزجة بمعاني ما تقدم ذكره من النسيان والغفلة
وغير ذلك كقوله يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من
السماء والارض يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
الى اخر المعنى حيث جاء كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسويك
فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك فهو اعني الانسان انس يا انس بربه انس سواه لابد
ولا محالة فطرة الانس على نحو ما تقدم عددها كثيرة تذكيرا باوليته منبهة على خصوصية الاتصال
الى قرب محل كيف خلقه من تراب ممتزج بالماء والتراب من الارض الموصوفة بالتمهيد والاطمانان
والخضوع والماء الذي سماه وجعله طهورا وبركة ورحمة وكان عرشه على الماء والماء على الهواء
عن الروح والروح عن الروح وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقه يوم خلقه جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه بيده ونفخ فيه من روحه واسكنه في جواره واستخلفه في الارض وفوقه
في الملا الاعلى وما هي بعد فيما هنالك وانى فيه وعاد فيه ولما اخطا عفا عنه وتاب عليه
واعد له كرامة ذكره بها قبل ايجاده اياه وهذه معاريض منه جل ذكره ليذكره باتصال
خلقه بمحل خالقه ورازقه ومصوره لا اله الا هو العزيز الحكيم ثم عن هذه الثلثة الاقوال
يتحقق علوم علية بشواهد عليها سوية منها خفية ومنها جلية على معاملات القلوب
وحب المحبوب وجهاد العدو ومكايده بالجوارح والجوارح ومعرفة اللمتين والاتصال بالتعليم
ومحادثة وتكليم والطاف واكرام وبعد وحجب بنال الغفور الرحيم معافاته ورحمته
فصل قال الله عز وجل وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقال جل قوله في موضع
اخر هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم اي كل جنس في بطون امهاته نص تبارك وتعالى
على ان كل زوج من كل جنس هو سكنه وبه انسه لانه منه خلقه وعنه وجده وفصله والخلق
الموجود عن اوله هو مخلوق بجالعقر وفصله عن اوله الذي هو زوجه هذا على العموم
في كل الخليقة وقد مضى من ذكر هذا ما يغني عن ترداده فالاول الذي هو الروح الثانية
المنتزع منه يحب ما انتزع عنه وفصل منه لانه بعضه ومحبته لبعضه على التحقيق محبة لنفسه
هذا مثال المحبة الوالدين ولدها واما محبة الزوج المنتزع عن اوله فمحبته لما هو عنه موجود
هذا اوله فمحبته من قبيل محبة الوطن في ظنه مثال هذا محبة الولد ابويه عنه عبر

المثل

ولله المثل الاعلى محبة الخالق المخلوق ثم محبة العلى الاعلى لعبده الولي شاهده قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من رجل ضلت راحلته بارض فلاة
عليها طعامه وشرابه الى قوله انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح وقوله عليه
السلام لله افرح ارحم بعبده من والدة حلت بولدها في ارض في ليل مظلم فارادت
ان يضجعه فاهوت بيدها الى الارض ينظر ان كان بها عقرب او حية اصابتها دونه فالله اشد
بعبده من هذه المراة بولدها ومصداق ذلك قول الله جل ذكره وهو ارحم الراحمين وزهدا
يتعرف في الوحدانية فهو الفرد الحق اولًا واخرًا لا يزدوج الى شيء ولا كمثله شيء ثم عبر لنا
محبة العبد ربه ومحبة المولى لولية العلى الاعلى قال الله عز وجل والذين امنوا اشد حبا لله
قوله عز وجل واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام بنصب الميم وخفضها فمن
فعل تقديره واتقوا الارحام ان تقطعوها وانما يجوز قطعها بالكفر في الارض والكفر
بالله عز وجل ولزوم المعاصي جهارًا فلا يجوز للمؤمن الموالاة على ذلك واما بالخفض للارحام
فتقديره واتقوا الله الذي به وبالارحام والوعيد هنا على قطع الارحام والتحذير من ذلك
تعريض بالياس من شفاعة المؤمنين يوم كشفه عند جواز الصراط الخاصين اخوانهم الموحدين
يوم يحملون اوزارهم على ظهورهم والصراط احد من الموسى وادق من الشعرة وقبله
وبعده على صفته جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ضحاضح النيران وما يبلغ الركب و
الفخذين والحقوين والحنك بين الارجل وشوك الشوك السعدان فلا واقي من عذاب
الله عز وجل سواه واهل الجنة قد صفوا على ممرهم قد نجاهم الله بمفازتهم فيعرف احدهم
المؤمن فيقول الا تعرفني انت الذي وهبتك يوم كذا وكذا وضوء ويقول الاخر الست تعرفني
يوم كذا وكذا اذ نفعتك في كذا ويقول الاخر اذكر يوم كذا وكذا اذ نصرتك وتعرفون المتقين
فتعرفونهم فيقول احدهم لمخاطبه سالتك بالله وبالرحم الا ما شفعت في اليوم فيشفع
فيشفع فذكرهم رب العزة جل جلاله تساؤلهم بعضهم بعضًا بالله وبالارحام بالنصب توصية
من الله جل ذكره لعباده وصل الارحام وتوقير اهل التقوى ورؤية الحق لهم واتخاذ الايادي
عندهم وتقديم المعروف اليهم عدة لذلك اليوم والخفض اعلام منه جل جلاله انهم يتساءلون
بالله وبالارحام يومئذ فيكون ما تقدم ذكره تعريضًا اعقب ذلك قوله جل قوله ان الله كان
عليكم رقيبا هو الرقيب في الدنيا والشهيد الحكم في الاخرة اي ان الله كان عليكم في الدنيا
رقيبًا من احسن منكم لاوليائه او اساء فصل التقوى من الوقاية وهو ما تقي به
نفسك وما هو منك ولك وهو على ضربين تقوى يتقى بصالح الاعمال النار وقادها وتقوى
يتقى بها الله جل ذكره واصله الحذر والخوف قال الله عز وجل واتقوا النار التي اعدت
للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال جل قوله واتقون يا اولي الالباب
وامر جل جلاله بالتقوى وابتدأ فيها واعاد وهي وصية في الاولين وعهدته الى الاخرين
قال الله عز وجل ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وهي قاعدة صفات المؤمنين واعلى نعوت المؤمنين والاولياء الموفقين وبها تصح
المقامات وترفع الدرجات وتتحقق الصفات وقد جعلها الله مبتدأ نعوتهم فبدأ بها جل وعلا

في مفتتح التنزيل فقال جل قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين من وصفهم
مجانبة المحرمات ومفارقة الشهوات المشبهات ومباعدة الاصرار على السيئات وهو يثبت
الله عز وجل في قلوب اوليائه يحثهم جل وعز بذلك على الارتقاء في الدرجات وللتقوى في
اول مقام وفي اعلى مقام وفي اول كل نفس وفي اخر كل نفس حتى انهم اذا هم احدهم بسوء
او هم قاربهم لاحظ في الشاهد المشهود او شهد في البيان في كوجود المطلوب نا حيته
التقوى بنبا التقدير قائلة اياك ثم اياك وتلك عظة الله في قلب كل مؤمن هو درجة عند الله كما قال قائلهم

ما ان ذكرتك الا خالطت فكري • هم لخشيته وهو سر عند ذكراكا •
حتى كان رقيبا منك يهتف بي • اياك ويحك والتذكار اياكا •

واول التقوى تقوى الشرك والكفر بالله عز وجل ظاهرا وباطنا وذلك اول الهداية فاذا
اتقى عامة المناهي صار بذلك من اهل الولاية ثم اذا اتقى هواه صار امره غاية ونهاية وآفة
التقوى الغفلة وسببها الميل الى الدنيا والركون اليها وذلك سوء الغفلة عن التقوى غيره
قد تقدم توهم الجملة وشبهها بالسفينة بموجه وبرجل قائم يصلي بوجه عابد لربه فانت
مراقب لربه فانت ان اردت العبادة العظمى ورفيع التقوى والقنوت التام فانزل نفسك
مفردا مع ربك حتى كانك لا ينظر الا اليك ولا يرى قبله سواك وانه لكذلك اذ قد تحقق
العلم بانه لا يشغله شيء عن شيء وانت الجزء المشبه بذلك الكل قد احاط بك علمه وقدرته
وتدبيره وحفظه وامره في ظاهرك وباطنك واولك واخرك بحولك وقوتك في
حركتك وسكونك ولجميع امرك فانزل نفسك مع ربك منزلة المتوهم الكلي لكل
غيره ولا ترى بعملها الغير فهاهنا لك معدوم انما هو نفسه وربه فكذلك انت مع
ربك مفردا فانك لا يملك لك سواه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا
فانكل عليه واعبده وحده كما خلقك وحده وافرده بعبادتك كما افردك بشانك
وراقبه وحده وخفه وحده وعظمه وحده فهو اقرب اليك منك اليك كما تقدم في ايماء
الكل مع خالقه العلي العظيم فمتى صليت فاستشعر هذا ومتى نويت نية او توجهت او
او ذكرته فتوهم المذكور وقد احاط بك احاطة بالكل حتى كانه ليس بحضرتك مخلوق
سواك بل توهم انك لا بمكان محيط بك ولا زمان ولا كيف ولا تابع من توابع المخلوقات
سواه ربك كالكل سواء واستشعر من الاذكار اظهرها عظمة ومن القران العزيز
اعظم كاية الكرسي وقل هو الله احد وما كان في معنى ذلك واستغن بالله يغنك عن سواه
واستعن بالله يعنك والله اسرع اليك منك اليك وايقن واستشعر ما ستله
اياه وتضرع اليه وقل لا قوة الا بالله العلي العظيم **قوله** عز وجل وآتوا اليتامى اموالهم
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب الى قوله جل قوله انه كان حوبا كبيرا قد كتب الله جل ذكره
ارزاق عباده كما فرغ من اجالهم واعمالهم وما لهم فمن اخذ حراما رضي به حرم من الحلال
بقدر ذلك واعلم ان الكسب ليس هو الرزق انما الرزق ما اكل العبد ولبس من ماله وقدمه
لاخرته وعلى التحقيق والمقول بالخصوص فهو الغذاء فاذا اكل الاكلة من الحرام امتنع
اكل الحلال يوجد هذا بالمشاهدة ومن تجاوز العقوبات الى الكفر فقد جاء النهي عن ذكره

فاخ

في اخر الاية في قوله جل قوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ومعنى الى هاهنا ينقسم الى وجهين
احدهما ان يكون بمعنى مع فهذا هو في المنهي عنه والمعنى الاخر ما تقدم ذكره اي لا
تاكلوا اموال اليتامى لتسقوا بها اموالكم ترجون بذلك ان تكون زيادة في اموالكم انه كان حوبا
كبيرا ثم جمع ذلك بقول الحق جل قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا **فصل**
نهى الله جل ذكره الاوصياء عن اكل اموال اليتامى ظلما والظلم هو الاسراف ومعنى ذلك ان تاكلوها
مع اموالهم وان تقووا بها اموالهم وندب جل وعز الغني منهم ان يستعفف ويحتسب بطره له
ويخشه واباح للفقير ان ياكل من مال يتيمه بالمعروف ومعروفه على مقدار الغناء المنفق فيه
وانا غناه مادون ذلك منه فليقتصر عليه فانه منهي عن الاسراف ونهاهم ايضا جل جلاله
ان ينكحوا يتامى النساء الا ان يقسطوا لهن بحيث يرغبون في نكاحهن لمالهن ولجمالهن او لحسبهن
فليجزلوا لهن في المهر والا فليعدلوا عنهن بالنكاح الى غيرهن وكذلك ان انكحوهم بناتهم فعلى
ما تقدم قال الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى قوله جل قوله والمستضعفين من الولدان
وان تقوموا لليتامى بالقسط الاية **قوله** جل قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل
حظ الانثيين امر الله تعالى المؤمنين وصية من لدنه ان تعدلوا بين ابنائهم وان تعطوا ذكرانهم
واناثهم للذكر مثل حظ الانثيين ثم فسر جل جلاله على هذا مقاسم المواريث ثم ختمها بقوله جل قوله
وصية من الله والله عليم حكيم تلك حدود الله ثم اوعد على تعديها اشد الوعيد ووعد على
طاعته في هذه خاصة وفي غيرها عامة اجزل **قوله** جل قوله واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ثم جيء ايجاب الاربعة الشهود في الدنيا انه حق متوجه على اثنين
والمعهود حق وجب فكان ايجاب اربعة شهود اثنان لكل واحد منهما عدلا في الحكم مع ما في ذلك
من رحمة الله تعالى لعباده وستره عليهم والمراد بالتثنية هنا والله اعلم البكر والثيب من النساء كما
المراد بقوله جل قوله واللذان ياتيانها منكم ايضا البكر والثيب من الرجال لا اختلاف والحكم فيهما وقد
يستشهد بهذا على ان اللفظ المطلق اذا ورد بلفظ الجمع لم يدخل فيه النساء الا بدليل اخر **تنبيه**
كيف ندخل في امثال الزيادة في البيوت السجن والتغيب وهو النفي والتعزيب المذكور حصصهم
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم جلد مائة وتغريب عام ولا يتوجه التغريب بصحة معنى الا بمعنى
السجن والا فالتغريب على ظاهره اطلاق على الزنا واظهار للفاحشة وعون على انتشارها
وافشائها وفي طول السجن وطول البكاء ايصال النعا والغربة عن مكان الفسق انتظار الحدوث
السلو عما تورطوا فيه حكمة فان ذلك موجود حكمه على الاغلب وهذا الامر لذلك قال بعضهم

وكل محب احدث النأي عنده • سلو فواد غير حبك ما يسلو •

وقال غيره

سالت المحبين الذين تحملوا . تباريح هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم ما يذهب الحب بعدما . تبوأ ما بين الجوانح والصدر
فقالوا شفاء الحب حب يزيله . لاخر او ناي طويل على هجر
او اليأس حتى تذهب النفس بعدما . رجت طمعا واليأس عون على الصبر

كذلك كل هم غلب على النفس من حب دنيا او غيرها واستولى على القلب فالشفاء من ذكره انشـ

الله لوحدنا بالعكوف على طلب العلم النافع واستنباط غامض العلم من ظاهر الحكمة والتعويض من الاشتغال بالدنيا او مما كان اشتغل به المضطر لزومه بوظائف العبادات من العلم والعمل فافهم قال الله عز وجل فامسكوهن في البيوت يعني السجون حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يريد يشرع فيهن اوامر يامر به في شانهن او يتبين لاحداهن حقه فيتيسر الله لها زوجا فيكون اجلب للسلو وقال الله جل قوله في الرجال فآذوهما اي سبا وتوبيخا ومع هذا فالامساك في البيوت دليل على ذلك تسوية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء في وقال بعض المتقدمين انها منسوخة بما جاء في صدر سورة النور من ذكر الحدود وليس في ذلك بنسخ وانما هو بيان المجمل قوله جل قوله او يجعل الله لهن سبيلا والسبيل مجمل لا يعلم ما هو حتى نزلت سورة النور فكان ذلك انجازا منه جل ذكره لموعود وعده المستقبل من ذلك الحكم يومئذ من قوله حتى وتفصيلا لمجمل لفظه وليس هذه سبيل النسخ. **فصل** قد يعبر عن الزنا والتوبيخ بالرجم ومنه القذف قذف المحصنات وغيرهن يقال القذف بالحجر وحذف بالعصا ويقال اذلق بالقول فيه كما يقال اذلق بالحجارة والله عز وجل يقول و يقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب فيجيء القول عاريا من العلم رجما وكثير ما جاء هذا من عبادتهم فلما نزلت سورة النور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم فجاء ايضا لفظ الرجم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرعا على الشاء مجملا يحتمل ان يراد الاذية والسب ويحتمل القتل بالحجارة كما جاءت لفظة العذاب مجملة في قول الله جل قوله ويدرأ عنها العذاب فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنته فرجم ماعزا بالحجارة ورجم اليهوديين والعامرية وامر انيسا ان يغدو على امراة الرجل الذي خاصم عنه عسيفه فان اعترفت رجمها فكان ذلك تبيينا بالسنة لمجمل ما جاء به القرآن واعلاما بالقضاء منه ارجاء الله تعالى هذا الحكم اليها وليس بنسخ بل هو كشف وانما هو تبيين المشكل وتفسير المجمل وهو سبيل الرجم والحد ما هما والمدة والسبيل ما هو **فصل** ومن حكمة الله جل ذكره ان علق العقوبة في هذا الباب برؤية لا يتهيأ في الاغلب وبعد شهود تعذر احضارهم على ضيق الوقت وتعذر او تحمل لا يوجد الى المخرج من طلبه الا سبيل شبهة فيدرأ بها الحد واكثر العلماء لا يرجم به من غير حمل او اقرار وندب المتورط الى التبين والتوبة الى الله تعالى قال الله جل قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم ولكرم المؤمنين لديه جل نفسه تعالى ذكره عند قذف المؤمنين بسوء وفاحشة وجعل من الآيات باربعة شهداء على تصديق ما زعم من ذلك على الرؤية العين حصولها كاذبا وحكم عليه بعقوبة القذف وان لا يقبل منهم شهادة ابدا الا ان يتبين توبتهم من ذلك ووصى في ذلك واكثر التوصية جدا بترك العورة وقال لهم في ذلك جل قوله لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم تعظيما لاسم المؤمن وتشديدا لمن جاء بغير البينة البالغة المبلغ الحدود فيه ثم قال عز من قائل لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون وكان من حكمة الله جل ثناؤه في احكام هذا النهي والابلاغ في التوبيخ والتوصية ان انزل هذه

الآيات وشرع هذه الاحكام في هذه القضية في افك مفتري وقول زور محض فوسع ذلك كله قول الحق فاذ لم ياتوا بالشهادة فاولئك عند الله هم الكاذبون ثم جعل جل جلاله ذلك سنة باقية وحكما ولازما لما بعدها وهو العلي الحكيم ما اكرم خطبنا واصدق صفاته واجل شانه وارحمه واراف بالعباد سبحانه وله الحمد. **فصل** الزنا ماخوذ من زنا السهم يزنو ويزني وذلك بان يضطرب وتر القوس في اعلى فوق السهم فيضطرب السهم ويخرج بذلك عن مقصده الذي سدد اليه وفوق نحوه فيقال لسهم زان وقد مضى تفسيره وهادف وهو الذي يقع في الهدف المجعول عليه الغرض وصادف وهو الذي يمر على يمين الغرض او شماله وغابر وهو الذي يمر على راس الغرض وهو ايضا الذي يرمى به على غير غرض وغائر وهو الذي يمر على راس الغرض ذاهبا وهو ايضا الذي يرمى به على غير غرض وغال وهو الصاعد علوا في الهواء والغلوة رميته بالسهم في الهواء يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم وصائب وهو الذي يصيب الغرض ومقرطس ايضا فالزاني خارج عن مقصوده الذي وجه اليه وجهته من خالص السلم كالمشرك خارج عن سبيل الهداية التي فطر الله عليها الخليقة فالزنا اذن منه صغير هو هذا المحدث في حال الاسلام وكبير وهو الشرك بالله جل وعز والكفر به كذلك جعل جل ثناؤه كفو الزاني زانيا ومشركه وكفو الزانية زان او مشرك لخروجهم عن الغرض الذي سددوا اليه بقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين يريد الزنا ونكاح المشركين ولما تقدم ذكره من معنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولما كان الزنا خروجا عن الغرض المقصود به كان المراد به خروج باطن الزاني الى باطن الزانية اعني قلبيهما لان ذلك منهما محل الايمان وهو صغير وكبير الصغير منه النظر وكبيره فعل الفرج وحقيقة ما عبر عنه قول الله جل ذكره في المباح وقد نظر معاشرة الزوجين والتوصية بالمناصفة والاخذ بالفضل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله جل قوله وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فالميثاق هو ما اجتمعا عليه بكلمة الله وامانته وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والافضاء خروج الباطن الى الباطن حين انتهاء الوقاع وعبر عن هذا بعض القائلين في قوله

كأن فؤادي ليس يشفي غليله • سوى ان ترى الروحين يمتزجان •

وقال الآخر

كانما نحن روح في جسم مركب •

ولان الله جل جلاله برأ الذوات واخذ عليها الميثاق وقررها فاقرت ثم اوجدها على هذه الاشكال التي هي الفطرة ثم سددها الى الايمان به وبما عنده فعندت هذه وصدفت عن سبيل ما سددت اليه اعني البواطن الزواني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معبرا عن حقيقة هذه الحال يا امة محمد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا يا امة محمد لا احد اغير من الله ان يزني عبده او يزني امته يعظهم صلى الله عليه وسلم في ايمانهم ويعلمهم ان المنجي لهم من عذاب الله جل ذكره مع ايمانهم العمل بطاعة الله عز وجل واجتناب مناهيه وكما احب الله جل ذكر الذاكرين له على المشاهدة والحضور حال الذكر واثنى عليهم وجعل الدعاء هو العبادة لاجل ذلك القرب

من المناجاة وتكليم المكافحة واعلم باجابة المضطر واغاثة اللهفان بخلوص الرجوع
عندما يعرض من تلك الاحوال من الشوائب في توجيهها بحقيقة التوجه الى الله جل ذكره فيجب
ذلك بكون الذم على خروجه عن المقصد الذي خلق له وسد نحوه الى سواه بمحظور لم يجعله
ولم ياذن له فيه بل نهاه عنه واوعد عليه ولانه خلق جل جلاله ليبيث بعضهم من بعض وقد
ذلك ورضيه منهم اباح ذلك لهم لكن بكلمته وسنة رسوله وبميثاق ياخذه بعضهم على بعض
في تعيين الصدقة وتملك يمين اقام جل جلاله ذلك فيما بينهم في هذه مقام الذكاة
للذكيات وتسمية عند الماكولات والتطهير للصلوات وتقديم النيات بالاخلاص حين
توجه المعاملات ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من
ولما هو اعني الزناء عليه من القبح والظلم والبعد عن رضاه وعن الصفات الحسنى اغلظ عليه جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه في العقوبة التي لا يشبهها عقوبة الشرك الذي هو الذنب الاكبر
كما يفعل الرجل الحليم يؤدب ابنه على ما لا يؤدب عبده من الاخذ بمحاسن الاخلاق والاخذ
الى نوافل البر وانواع الصالحات ويشد عليه الادب ويبالغ في تحذيره وتهديده
في ذلك تشديد العبادة وعلامة منه يكبره من اثره وفاحشته او سعنا في هذا البيان القول
تبيينا للموعظة لعظمها من خطبها وقربها من حطة النفوس ومجالسة الانس فانه قد تميل
النفوس مع يسير الغفلة لما فيها اباح الله لها من سببها والزوم الفتنة وعموم البلوى بها
وتزيين العدو اياها وانها اسهى مصايده والنفوس اسرع شيء الى اجابته والى هذا فان
الله هو الستار الحكيم جل جلاله على تصديق ذلك واكتفى بتعيين عدول باقرار من المتورط
وهو غريب الوجود واوعد مع ذلك باشارة من الشرع وانما ما نعطيه المشاهدة منه بالستر
والامر بمعاجلة التوبة وان ذلك ولا من ابذال الوجه بالاقرار والاستهداف بالنفس والفرار
الى الله جل ذكره ومقابلة ذلك السوء بصالح العمل واولى بذلك وهو اعلم قال جل قوله ولولا فضل
الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم حذف هنا والله اعلم لعاجل الكاذب بالعقوبة لكنه
ابقاه منتظرا به وقال ايضا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم حذف
هنا وهو اعلم معنى هذا فجعل الحد بعلامات هي اقرب واظهر ولعاجلكم بالعقوبة حين
المواقعة او ما يكون في معنى هذا القول جل قوله افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم
الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون الى اخر المعنى **قوله** الله جل وعز انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما
حكيما التوبة هي الرجعة من العبد الى ما كان عليه من اصل ايمانه وتوابع اسلامه بلواحقه وشروطه
كلها وكل من عمل سوءا فبجهالة عمله اذ لم يراقب الرقيب الاعلى جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
ولم يخف مقتها ولم يوقر مشاهدته وكل من تاب قبل الموت واناب الى الله عز وجل قبل
الفوت فمن قريب تاب انما البعيد من التوبة من الذي فاته او انها بما قطع به من قبولها من
بالموت وحضور اعلام الخبر الاخرة وقد حصل الاجماع بما اوجبته الشواهد الواردة
بالشرع ان ظهور اعلام الاخرة علامة لرد التوبة من موحد ملي او كافر شقي قال الله عز من قائل
فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم

لما راوا

لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقال جل قوله يوم يرون الملائكة
لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا اي ممنوع قبول التوبة والرجعة الى الدنيا
بالاقالة من الموت لاستدراك ما فات سرد على ذلك التوصية بالنساء يمسكن بغير المعروف
ليورثن او يعضلن عن النكاح فيعلقن او يؤذين حتى يفتدين وحرم ذلك منهن على الكره
الا لمن ياتين بفاحشة مبينة وسياتي ذكر هذا فيما بعد ان شاء الله عز وجل عند ذكر الحكمين
قوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة
ومقتا وساء سبيلا الى قوله وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا
رحيما قوله هنا في الموضعين الا ما قد سلف على اي وجه يخرج لا سيما قوله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ان وجهنا ذلك الى ما قد سلف منهم في الجاهلية وانهم
كانوا لا ينكحوهن وما بلغنا ذلك من وجه يصح ان ذلك كان شايعا عندهم وكثيرا ما
لاي معنى ان كان ذلك قد سلف منهم فالنهي يتناوله كما يتناول غيره من المنهيات
كالشرك بالله والزنا وشرب الخمر وغير ذلك ولا يصح في خطابه ان يقال ولا تشركوا
بالله شيئا الا ما قد سلف ولا تقربوا الزنا ولا تاكلوا الربا الا ما قد سلف وكذلك قوله
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يريد جل وعز قد سلف من نكاح الاختين بعقد
او ملك يمين فحرمها وينكح الاخرى ويكون ما قاله عثمان بن رضي الله عنه احلتهما اية فتوقف
فيها وقال غيره ما احب ان اجيزهما فتورع من جمعهما بوطء ان كان قد وطئ احداها فلتحرم
الاخرى وان حرم الاولى وعلى القول بالتحقيق فليس من نكح امراة وطلقها او ماتت فنكح اختها
بجامع بينهما فانما معهود الجمع بينهما وبين غيرهما ان يكونا معا في عصمته كما نهى عن الخليطين
فقال ولا تنبذوا التمر والبسر جميعا ولا الزبيب والتمر جميعا ولا يجمعوا بينهما فمن احب فلينبذ
هذا ناحية وهذا ناحية فلم يجعل الجمع الا فيما كانا موجودين معا فجاء على هذا قوله الا ما قد سلف
لا موضع له من المعنى يحسن توجيهه اليه كالاول وقال في هذا ان الله كان غفورا رحيما
والمعهود من هذا ان ذكر المغفرة لا ياتي الا بعد اتيان ذنب ولم يجعل في النكاح ذنبا فيما
والله اعلم **تنبيه** انتظام قوله جل قوله على مفهوم سر الخطاب والله اعلم الا ما قد سلف
بقوله الحق انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم فتقديره فاولئك يتوب الله عليهم الا ما قد سلف من قوله جل قوله في سورة ال عمران
ثم ينتظم به قوله جل قوله وكان الله عليما حكيما كذلك انتظام قوله الا ما قد سلف الثاني
بقوله وهو اعلم وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الان الا ما قد سلف ثم ينتظم ذلك بقوله جل قوله ولا الذين يموتون وهم كفار قطعا على قوله
جل قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات واشار اليه بقوله الا ما قد سلف في سورة ال عمران
قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الى قوله جل قوله الا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون فمعناه الا ما قد سلف من حكمي ومشيئتي فمن كان

هذه شأنه فاني لا اتوب عليه وان تاب لا اقبل توبته كقوله جل قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون فهم لا يرشدون الى التوبة
ومتى عرضوا بها لم يتب الله عليهم ومن تاب من حيث هو ولم يتب الله عليه لم يتم له توبة
اذ الله جل ذكره هو الاول في كل شيء والآخر والظاهر فيه والباطن فيضلون عن التوبة
ولذلك قال جل قوله اولئك هم الضالون لان الله لم يتب عليهم فلم يتحصل لهم توبة ولا تحققت
الا ترى ان نواصي العباد هو الآخذ بها فمن العباد من يموت على بعد من التوبة لا يراها ولا يقرب
بها ولا يهم ومنهم من يمر به على قرب منها فيصرفها عن جنبه بما اشتهاها فيحال بينه وبينها
ومنهم من يمر به عليها فربما اجها واخذ منها شيئا واسلى عنها فضلت التوبة عنه فهذا وجه
توبة من يتوب فلا تقبل توبته وقد جاء الوعد الصادق منه جل وعز ان التوبة مقبولة لكن
على من شاء الا تسمعه يقول جل قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم فاخبرك نصا صريحا انه يقبل توبة عباده المخصوصين اضافهم الى
المحبة منهم واثرتهم عنده وبقي الآخرون على حال الوقف فبين الحكم فيهم في هذه الآيات من آل
عمران **فصل** ومرجوع قوله ايضا جل قوله الا ما قد سلف اي ما قد سلف من مشيئته بهم
وتقدم من حكمه فيهم كقوله جل قوله هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل اهل
النار يعملون وقوله جل قوله هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي مثال ذلك رجل عاش
مؤمنا ومات مؤمنا ورجل عاش كافرا ومات مؤمنا فهذان قد شملهما قوله جل قوله هؤلاء
للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون كما شملهما قوله جل قوله هؤلاء للجنة ولا ابالي اي لا ابالي في ذنوب ما
يكون منهم ورجل عاش كافرا ومات كافرا ورجل عاش مؤمنا ومات كافرا فهذان شملهما
قوله هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون كما شملهما قوله جل قوله هؤلاء للنار ولا ابالي
بايمان من آمن ولم يمت على ايمانه ولا بعمل كافر وان بلغ به ما بلغ ما عسى ان يبلغه حبطت اعمالهم
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال الله عز وجل في شأن الفريقين ان
الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بربهم
لا يشركون الى قوله جل قوله بل قلوبهم في غمرة من هذا يريد الفريق الخامس ثم قال جل قوله
ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون فهذا معنى ما توجه قوله الحق جل قوله الا ما قد سلف من
من رد هؤلاء وقبول هؤلاء فتقدير كلا وله منها على ما انتظم عليه معناه ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا وتقديره في موضعه على معناه
انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم
الا ما قد سلف ان الله كان عليما حكيما عليما بما يكون مال امرهم اليه حكيما في حكمه وانفاذ مشيئته
على علمه السابق الازلي وتقدير الثاني حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم الى قوله جل قوله وان تجمعوا
بين الاختين والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم وتقديره في موضعه على سياق معناه وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن اي الا ما
قد سلف اي من حكمه فيهم ومشيئته منهم ان الله كان غفورا رحيما ولا الذين يموتون وهم
كفار عطفا على قوله جل قوله وليست التوبة اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما **فصل**

حضور

حضور الموت يكون على معنيين بمعنى المقاربة كالمرض او الخوف منه كما قال عز من قائل
كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين وقد يكون الحضور
بمعنى مشاهدة اعلام الآخرة وهذه حالة تشغل عن الوصية وما سواها وقد يكون القرب المراد
هنا ما جاء من قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة اونكلوا فيه تداركوا ذلك بالتوبة والاستغفار
وقد جاء في هؤلاء ان ملك اليمين يقول لصاحب الشمال صلى الله عليهما وعلى جميع الملائكة المقربين
والانبياء والمرسلين متى كان من صاحبهما مكروه انظره عشا ثم الى ثلث وقد جاءت تسع
ساعات وذلك وقت رفع الصحف فمثل هؤلاء هم الذين يتوبون من قريب قد عهدوه ملكاه منه
ذلك فكانت توبة الله عليه ايضا معهوده فيقع على ذلك قوله فاولئك يتوب الله عليهم
الا ما قد سلف اي من ظلمهم بالاهمال لانفسهم والتفريط في ترك توبتهم ثم حكم الله من وراء
ذلك معهود **قوله** عز وجل كتاب الله عليكم نصب على الاغراء وهو امر عزم بالتزام احكام
القرآن وامتثال اوامره واجتناب نواهيه وتطلب معانيه وتعلم انواع خطابه وقد تقدم ذكر ذوق
من جمع متفرقة في اثناء الخطاب من توصيل وتفصيل ولذلك وهو علم عقب بقوله جل قوله
كتاب الله عليكم اغراء ليفهم عنه اتبع ذكره واحل لكم ما وراء ذلكم فنص جل جلاله على المحرمات
واطلق التحليل على ما سواهن ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن
فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما
حكيما الى قوله جل قوله محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فذكر جل ذكره كيف ينبغي
النكاح فيمن احل من الحرائر والاماء وشرط العفاف والتعفف في المنكحات والناكحين ثم ذكر
جل ذكره حد الامة اذا احصنت فانه نصف حد المحصنة الحرة وقد كان تقدم ان حد الحرة
جلد مائة والرجم للمحصنة ولما لم يتبعض الرجم كان حدها نصف المائة جلدة **فصل** هذا نص
على تحليل نكاح المتعة في القرآن العزيز اباحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حال الضرورة مرتين
في غزوة خيبر وفي غزوة عام الفتح ثم نهى عنه حال السعة وابقى خطه في القرآن ارشادا لنا
فليس الذي ينسخ انما هو بمثابة الامر بالصبر على اذى المشركين والكف عنهم في حال الضعف ثم امر
بالقتال والاخبار منهم الى مثل ذلك فافهم **قوله** عز وجل وان تصبروا خير لكم عن نكاح المتعة
حال السعة والله غفور رحيم لمن فعل ذلك وربما قصد ذلك من ذكر المغفرة والرحمة على حال
الضرورة بقوله جل ذكره ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت
ايمانكم من فتياتكم المؤمنات فامر جل جلاله ان ينكح المؤمن المؤمنة من الاماء نكاحا تاما او نكاح
متعة بقوله فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات
ولا متخذات اخدان واخبر جل جلاله ان الاحصان يقع بنكاح المتعة كما يقع بالنكاح المعهود
ثم قال جل قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم اي عن نكاح المتعة لمن خشي
العنت منكم وان تصبروا عن ذلك خير لكم اي ما لم تخافوا المخوف كله من مواقعة حدود الزنا
كان نكاح الجاهلية على اربعة اضرب منها هذا النكاح الذي اقره الاسلام ثم احكم على كلمة
الله وسنة رسوله فعلى هذا يقع قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء ونهيه في قوله
وان تجمعوا بين الاختين ثم استثنى من ذلك قوله الا ما قد سلف اي من نكاحهم الفاسد

كنكاح المتحابين وهم المتعاشقون ذو والاخدان وكنكاحهم الذي هو الزنا كيف ما امكن
وعلى اي وجه وجدوه ومن ذلك المتخذات الرايات على ابوابهن من جاء دخل فقوله الا ما
قد سلف من النكاح المتقدم الذي هو الزنا كذوات الاخدان والمسافحين والمسافحات وهو
اراقة الماء حيث لا طلب تعفف ولا احصان مرتبط بكلمة الله وسنة رسوله بقوله والله اعلم
بما نزل الا ما قد سلف في ذلك فلا احرمه انه كان فاحشة وساء سبيلا يعني النكاح وهو ايضا
ممقوت نكاح الرجل امرأة ابيه وكذلك قوله في النهي عن الجمع بين الاختين الا ما قد سلف يعني
من نكاحهم ذلك فانه لا احرمه لـ وان الاسلام قد هدمه ان الله كان غفورا الذنوبكم تلك بالاسلام
ولكتوبة رحيما بكم في هدايته اياكم وادخالكم في رحمته فلا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النكاح
الصحيح الا ما قد سلف لكم في جاهليتكم من سائر النكاح الذي لغير رشدة فذلك ليس بنكاح
شرعي فينا ولم عرف نكاح الشرع بل كان الفاحشة والمقت وساء ذلك سبيلا كما قال ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا • وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن المتعة فقال
والله لقد ضلت على عهد امام المتقين فقيل له اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح
هي المتعة كما قال الله جل ذكره قيل له هل لها من عدة قال نعم عدتها حيضة فقيل له هل
يتوارثان قال لا • وروى الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم في عمرته تزين نساء اهل
مكة قال فشكا ذلك اليه اصحابه فقال عليه السلام تمتعوا منهن واجعلوا الاجل بينكم وبينهن
ثلاثا فما احب رجلا منكم يتمكن بامرأة ثلثا الا ولاها الدبر انما امرهم ان يجعلوا الاجل
بينهم وبينهن الى ثلث لان الاجل الذي جعلت لقريش في المكث في مكة ثلثة ايام والا فقد
قال جل من قائل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة وذكر ابن جريج عن عطاء
انه قال سمعت ابن عباس يقول يرحم الله عمر ما كانت المتعة الا رحمة من الله رحم بها امة محمد صلى
الله عليه وسلم ولولا نهيه عنها ما احتاج الى الزنا الا شقي قال عطاء وهي التي في سورة النساء
واحل لكم ما وراء ذلكم وان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به
منهن الى كذا من الاجل على كذا وكذا من صداق وهنا انتهى قول عطاء فاتوهن اجورهن فريضة
اي شيئا معلوما ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة اي من زاد اكثر من المتفق عليه من اجل وصداق
مما تراضى به الزوجان مباح لها وابى ابن عباس ان يتبدل عن فتياه بتحليلها ولقد قال بعض الشعراء في ذلك

اقول وقد طال الثواء بنا • يا صاح هل لك في فتيا ابن عباس •
في ناعم تبله خود منعمه • تكون مثواك حتى رجعة الناس •

ثم اكثر العلماء في تحريمها واجتنابها والتشديد فيها والقول بانها منسوخة غير فصيح لبد على ذلك
اثبات خطها في المصحف وانما هو حكم وصد لحالها على ما تقدم اتبع ذلك قوله عز وجل يريد الله
ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم اخبر الله جل ذكره انه مما بينه لنا وهدانا
اليه من سنن من كان قبلنا وان من سننهم نكاح المتعة وانها توبة تاب الله بها على هذه الامة
ورحمة رحمها بها كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه ختم الاية بقوله والله عليم حكيم ثم قال جل قوله و
الحق والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما والميل العظيم
هو الزنا يريد الله ان يخفف عنكم بالرخصة في ذلك وخلق الانسان ضعيفا الا ترى الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم لما شكا اليه اصحابه تزين نساء اهل مكة كيف امرهم بالتمتع منهن لعلمه صلى الله
عليه وسلم بضعف الانسان وعظم خطر الزنا وغلبة النفس وتزيين الشيطان ومكايده الشهوات
وهو العنت لذلك قال جل قوله وهو اعلم يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان
ضعيفا هذا هو الحق لكن الله غالب على امره وما اراد كونه فهو كاين لا محالة ثم بعد
هذا ايضا تفسير لقول الله جل قوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم
ويتوب عليكم الاية ثم ما بعدها الى اخر السورة يعد العادة ما يوفي الملة شريعة او يزيد على
ذلك من فريضة وفضيلة من مامور به ومنهي عنه ومكروه ومندوب اليه **قوله** عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
ولا تقتلوا انفسكم ذكر في هذه الاية انها منسوخة وما نعلم ان الله جل ثناؤه اباح لنا
قبل هذه الاية ولا بعدها اكل اموالنا بالباطل ولا حرم علينا التجارة على التراضي منا
وترك سلوك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ولا نعلم انه اباح لنا ان نقتل انفسنا
ولم يذكر الذي نسبها الى انها منسوخة ما الذي نسخها وما اراه حملها على ذلك الا دعوى الا
بقوله الا ان تكون تجارة والله اعلم فان بعض المنتسبين الى العلم قد عد في الناسخ والمنسوخ
الاستثناء والمستثنى منه وهو قول مرغوب عنه يدل على اغفال قائله وقلة خبره بانواع
الخطاب حرم الله جل ثناؤه على عباده اكل اموالهم بالباطل بين ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وحرم ايضا ان يقتل احدهم نفسه
او يقتل بعضهم بعضا اوعد على ذلك اشد الوعيد واعلم ان هذا من كبائر الذنوب عطف
عليه من قوله جل قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم من سيئاتكم وندخلكم مدخلا
كريما ومن كبائر ما نهى عنه الرياء وتعرف كبائر الذنوب من صغائرها من طريقين احدهما
مقابلة بعضها ببعض كالشرك مثلا هو اكبر من القتل والزنا اكبر من النظرة بالعين ومن
هذا التقسيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن
يا رسول الله قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين والسحر والفرار يوم الزحف وقذف
المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر في غير هذه الرواية الربا واكل مال اليتيم ظلما وغير ذلك
قال ابن عباس رضي الله عنه هي اقرب الى السبعين منها الى السبع واللمم انما هو العمل بالمعصية
مع الاصرار في النفس وترك الندم والاصرار عليها والاغتباط بها وانتظار مثلها
وتمني ذلك وهذا هو الاظهر فهذا النوع من الاصرار هو اكبر من العمل لانه عمل الجوارح
وفعل المعصية من غير اصرار عليها قبل او بعد هو احد وجهي اللمم وهو مغفور ان شاء الله
عز وجل وقد يكون اللمم مقدمات المعصية دون كمالها وهذا هو الطريق الاولى وهو مقابلة
بعض المعاصي ببعض فالنظرة لا محالة اصغر من الزناء وان كان اسم المعصية والزناء يشملهما
لكن النظر مع الاصرار اكبر من مواقعة الذنب لعقبه الندم والاستغفار ومن ذلك قول ابن عباس
رضي الله عنه ما صغيرة بصغيرة مع اصرار ولا كبيرة بكبيرة مع استغفار فمن اصبح تائبا
من كبائره متبريا من صغائره متبريا من بدايات ذنوب لم نصبها من بقايا عواقبه
وسوء صنيعه ثم مستغفرا من جميع ذلك مستعيذا بالله من شرور نفسه فهو لكتابه ان شاء

الله تعالى ومن اجتنب الكبائر مع اقامة الفرائض غفرت له صغائره متى عرضت من الاعراض
ولكل مؤمن ذنب يعتاده الفتنة بعد الفتنة لكن المؤمن مفتن تواب والله بفضله
وكرمه يحب التوابين ويحب المتطهرين وهم الذين يصلحون ويتولون تائبين من صغائر
ذنوبهم وكبائرها والذين يقيمون الفرائض ويسارعون في الخيرات وان كانت لهم
ذنوب ياتونها من غير تعمد لها ولا عمل عليها **فصل** انتظم قوله ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه من حيث المعنى بما تقدم من صدر السورة الى قوله جل قوله والمحصنات
من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم فان كل ما ذكر جل ذكره من اول السورة
الى ههنا هي الكبائر اولها التقوى والتوصية بالنساء واليتامى واموالهم والوصايا والوعيد
عليها وذكر الزنا وتحريم ذوي المحارم الى قوله والمحصنات من النساء ثم ذكر المتعة وعاد
الى التوصية بالاموال ان يوكل بالباطل او غير وجه من الوجوه التي تحل بها وقتل الانفس ثم
الوعيد على ذلك **قوله** جل قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الاية سئلت ام
سلمة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما
لنا نصف الميراث فنزلت ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا
وللنساء نصيب مما اكتسبن فانزل الله جل ذكره ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
الى قوله جل قوله اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وفي اخرى سال النساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقلن يا رسول الله ذهب الرجال بفضل الجهاد فقال جهاد احداكن مهنتها في بيتها او مهنة
احداكن في بيتها تبلغ به فضل الجهاد وفي اخرى جهاد احداكن حسن التبعل **قوله** عز
وجل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم انتظم
هذا الخطاب بما تقدم من امر النساء بترك ازواجهن ومجانبة الخروج عليهم وعد بعض
من عني بتعداد فضائل الرجال على النساء التي نظن بها انها هي التي عناها بقوله جل
قوله بما فضل الله به بعضكم على بعض فزادت على العشرين بهذا وان كان على ما ذكروه و
الله من ذلك والفضل بعد بيد الله يؤتيه من يشاء وبالضرورة نعلم ان للقائم حقا على المقوم
عليه وللعائل فضلا على المعول عليه فان الرازق افضل من المرزوق وقوله جل قوله فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ يريد عابدات لربهن حافظات لغيبة ازواجهن بما امر
الله به من الستر والعفاف وحسن الصحبة في حضورهم وجميل العشرة في مرافقتهم والشكر
لقبولهم اياها ومجانبة جحود النعمة وكفر ما سبق منهم اليها قال الله عز وجل يخاطب ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها
اجرها مرتين ثم قال جل قوله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع
واضربوهن النشوز الارتفاع فوق القدر وارتفاعهن ههنا ما يرونه من الفضل
على الازواج والحلول منهم في حال العصمة حيث لم يحللهن الله عز وجل وتلك فاحشة كبيرة
منهن وخوف النشوز ههنا مباشرة اسباب ذلك ومقاربة الحال وحيث ذكر الله جل ذكره
الفاحشة معرفة بالالف واللام فهو الزنا كقوله جل قوله واللاتي ياتين الفاحشة
من نسائكم اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون يريد جل ذكره عمل قوم لوط ومتى ذكرها

جل ذكره

جل ذكره بغير الالف واللام فظاهر ذلك غير الزنا وان قرن اليها عز وجل صفة
النبيين كقوله جل قوله يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة وهي ههنا ان
يغلب الخوف عليهن ويدخل في ايجاب اخراجهن خوف الاقتحام عليهن كقوله جل قوله
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة يريد وهو
اعلم نشوزا وعصيانا لازواجهن وميثاقهن لهم في غير المعروف فامر الله جل
ذكره الازواج بهجر الزوجات والاعراض عنهن في مقابلة مشاقتهن لهم والارتفاع الى
غير منازلهن كما امرهم بوعظهن وتذكيرهم بالله سبحانه بما اخذ عليهن من العهد للازواج
في مقابلة ترك العقوبات لهن والتعبد له وهم القوامون عليهن دنيا ودينا **قوله**
عز وجل وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله بقوله جل قوله وهو اعلم متى
خيف من فراق الزوجين مشقة عليهما اتباع انفسهما بعضهما بعضا او احدهما الاخر ومفارقة
ليخشى الضياع عليهم او بعضها او ما يجري من نحو هذا فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
ان يريدا اي الزوجين اصلاحا فقد وعدهما الله عز وجل ان يوفق بينهما وليس ذلك
عن ارادة الحكمين اعني الوفاق وحسن العشرة كما زعم بعض من تكلم في هذا الشان فلينظر
الحكمان في امر الزوجين توسطا بينهما وربما الامر هما الى الحكم للاية الاخرى **قوله** جل
قوله واذا امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا صلحا والصلح
خير يريد جل خلاله الزوجين وعلى قراءة من قرأ ان يصلحا يريد الحكمين والفائدة
في بعث الحكمين الاصلاح بين الزوجين والتقريب والتوسط والوعظ والتذكير بالله
عز وجل وبما اخذ الله عليهما من ميثاق وعهد وليعرفا الظالم بينهما من المظلوم فيأخذا
على يد الظالم لا ان يفرقا بينهما على كراهة منهما او من الزوج كما قال بعض القائلين
فان ظهر لهما ان الزوج هو المتعدي فليفرقا بينهما فان ابى الزوج فقد سماهما الله عز وجل
حكمين والظالم احق من حمل عليه وكذلك اذا ابت المرأة الا مضيا في نشوزهن وعصيانهن
فليحكما عليها بالفراق قال الله عز وجل الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم هذا خطاب
لجملة الحكام الا ان يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به **فصل** قال الله جل
قوله وتعالى علاؤه وشانه للحكام فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما
فيما افتدت به وقال جل قوله وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير كما قال جل قوله ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما ولم يسغ لجل قوله قولا في امرأة ناشز بامر الزوج ان يصالحها على نشوزها
وقد ورد الخبر المثبت بما صالحت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها اياه على ان
يحبسها فتكون من ازواجه فتهب ليلتها فلما قبل ذلك من صلحها وهبتها عائشة رضي الله
عنها ولم يات مثل هذا في نشوز المرأة ان تصالح على ما يسقط الميثاق وتنقص الدرجة
التي جعلها الله في اصل المناكحة ولا على ان تكون هي المترفعة على الزوج القائمة عليه وقد سمى
الله عز وجل ذلك من النساء فاحشة بل امر الازواج والحكام بوعظهن وهجرهن اذ
ذلك منهن تعد لحدود الله والله لا يامر بالفحشاء **قوله** عز وجل واعبدوا الله

ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى قوله ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا سرد
جل جلاله هذه الاية على ما تقدم من حكمه في شقاق الزوجين ونشوزهما فانجب الاحث الكدى
احسانا وامرنا بتيان كل ذي حق حقه وقرن هذا جل جلاله بالامر بعبادة الله ثم بالاحسان بالوالدين
ثم بذي القربى والجار الجنب حق غير مجهول ولا مضيع والصاحب بالجنب الزوج وابن السبيل ثم ملك
اليمين يعتمد كلا بما يكون احسانا في جانبه ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا هذه موعظة
وعظ الله بها المؤمنين عامة ثم الزوجين خاصة يعلمهم فيها انه لا يحب المتكبر المتعدى
قدره المزكى نفسه ولما ذكر جل جلاله البخل والاختيال وتعدى الحدود ذكر اهل الكتابين
والمنافقين الذين اعتدوا وشاقوا الله ورسوله فقال جل قوله الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل فتعدى بخلهم على الناس الى ان يبخلوا على انفسهم كما تعدى بخل انفسهم الى
ان يامروا الناس بالبخل ظهر ذلك في كتمانهم ما انزل الله عليهم من النور والهدى وقولهم
لاخوانهم ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا وقولهم امنوا بالذي انزل
على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
وقول المنافقين لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ونحو هذا من اقاويلهم
ومذاهبهم وقد اخا الله جل وعز بينهم لتشابه قلوبهم في قوله جل قوله الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب المعنى الى اخره **قوله** عز وجل ومن يكن الشيطان
له قرينا فساء قرينا القرين هو ما قرب اليه من صالح وفاسد جزاء لعمله الصالح وايمانه
او لفسقه وكفرانه قال الله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين المعنى
الى اخره وقال جل قوله في الحزب الصالح ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الى قوله جل قوله نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة وكل امرئ له اما قرين صالح يسدده واما قرين فاسد يغويه ويضله ايه ذلك
امثالهم من القرنا في الظاهر فاذا مات قرن به في دار البرزخ وبعد البعث قال الله
عز وجل تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم
وقال جل قوله وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس فقرين كل قدرة ومنزلة من دينه ومذهبه
الكافر قرينه شيطان كافر والفاسق الملي قرينه مثله وقرين النبي ملك وجني مؤمن
لذلك سهلت على النبي سبل الخيرات وعلى اي حال فقرينه من الجن فان كان مؤمنا فهو الى
الاستشاطة والعجلة وثوران الغضب ما هو والقرين من الملائكة هو الى الحلم والتثبت
والرفق وحسن السيرة والرحمة ما هو فالقوي هو من ملك نفسه عند الغضب والشهوة والقرناء
انما يلعنون بعد الموت وفي الدار الاخرة واما يجد بعضهم بعضا قال الله عز وجل
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين الى قوله جل قوله ادخلوا الجنة انتم وازواجكم
تحبرون وهو كثير ثم لهذه الجملة ما انفهم منها قوله جل قوله ومن يكن الشيطان له
قرينا فساء قرينا لانه يدعو الى الكفر والشرك والتكذيب وارتكاب الجرائم وفعل الكبائر
ملة وشرعا من العلم بالقرناء انهم حين يتوجه حكما بحلفه الى النطفة يقيض الله لها

حفظة يحفظونها بامر الله من امر الله حتى اذا وضعت تخلت عنها حفظة الارحام
وقيض الله لها معقبات من بين يدي المولود ومن خلفه يحفظونه من امر الله يتعاقبون
عليه بالليل والنهار حتى اذا بلغ السعي وجرى عليه قلم التحصيل في الاعمال فاذا كان ظالما
صحبه منه ملائكته وعلى قدر اساءته في الظلم يكون ذلك منهم فاذا اراد الله به سوءا
ازال الحفظة لغيرهم فلا مرد لقضاء الله فيه وما لهم من دونه من وال واما النبي
فتنافس الملائكة عليهم السلام فيه فيتعاقبون له ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
وعن يمينه وشماله يكتبون الفرائض فان كان من اهل نوافل الخير وكثرة الذكر
وكل له ايضا ملائكة فضل على الكتبة الاولى يكتبون له نوافله واذكاره ولا يغير الله
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كما تكونون عندي
تكونون في اهليكم لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم قال الله تعالى انا مع من
ذكرني وحيث ما طلبني وجدني وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
المعنى **قوله** عز وجل وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم
الله وكان الله بهم عليما انتظمت هذه الاية بما قبلها من ذكر البخل والكتمان والكفر والنفاق
والشقاق والانفاق قوله جل قوله ماذا كلمة معهودها ان يقال عند النصيحة والحض
على امتثال الامر لا كلفة فيه ولا كبير تجشم على فاعله تحذر بذلك الفعل حظا وغنما او هو
من الاعلى ترهيب ووعظ وتقدير وبنا للامر يشوب ذلك رحمة ومن الاسفل استعطاف
واسترحام وقوله جل وعز وكان الله بهم عليما اي بما يكون منهم كما جاء جلاله
يقول اعبدني ولا تشرك بي شيئا اغفر لك على ما كان منك وجملة هذا الخطاب رجاء فور
يغفر اذ تبرق انوار النجاح على اسارير وجهه ويريح منه روح الايمان رائحة الظفر
الظفر بالمنى الا تسمعه جل وتعالى سرد عليه خطابه الكريم ان الله لا يظلم مثقال ذرة
اي من ايمانهم ونياتهم وانفاقهم واعمالهم وان يجوز المثقال ذرة الذي تفضل
وزن السيات حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهو الجنة ورضوان اكبر
الوزن موطنان والله اعلم بما وراء ذلك منهما وزن الاعمال بالكفر فالمؤمنون يثقل
موازينهم في هذا الوزن فاولئك هم المفلحون والكافرون يخف موازينهم فاولئك الذين
خسروا انفسهم في جهنم خالدون خسروا انفسهم واهليهم ومنازلهم من الجنة
وربما كان معنى قوله جل قوله في الذين كفروا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ثم الثاني
وزن الاعمال حسنها بسيئها فمن رجح ميزانه بحسناته فقد فاز ومن قام ميزانه عدلا
فذلك يجوز الصراط على ما هو به اذ ليس له عمل يحله ويوقف في اصحاب الاعراف ان لم يعف
الله عنه ويزده من فضله ومن رجحت سيئاته حمل على ظهره ثقل ما زاد منها وزاده على
حسناته فالكافر يحمل اوزاره كلها اذ لم تكن له حسنة تجزى والموحدون من ذلك
على درجات الى موضع العدم من الوزن قال الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين ثم من هنا
ينتظم ما تقدم قوله الكريم فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء

شهيدا والشهيد هناك الشفيع والشهيد الذي هو امام شفيع شهيد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتم شهداء الله في الارض قالها ثلثا من شهدتم له بخير وجبت له
الجنة ومن شهدتم له بشر وجبت له النار ويقول الله جل ثناؤه شفعت الملائكة
وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضع الامانة والرحم على جنبتي الصراط ونصف المؤمنون على طريق اهل النار فيلقى
الرجل الرجل فيقول يا فلان الا تعرفني الست الذي نصرتك يوم كذا وكذا ويقول الاخر الست
الذي وهبتك كذا وكذا وضوءا وغيره يتعرفون الى المتقين فتعرفوهم فيقول احدهم للمؤمن
سالتك بالله والرحم الا شفعت في عند ربك فيشفعون قال الله عز وجل واتقوا الله
الذي تساءلون به والارحام وهذا منتظم المعنى بقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو تعريض باهل الكتاب والمنافقين الذين تقدم
ذكرهم بقول الله جل قوله فكيف لهم اذا كان يومئذ وكان الامر على ما اعلمنا له بمن يرجون
ليشفع لهم ان يشهد لهم من امامهم يومئذ ولم يتبعوا موسى وعيسى وكذبوا بما جئت به فكيف
كقوله جل قوله في موضع غير هذا فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون معناه فما هو كسبهم الذي يجدونه يومئذ تحريف كتابهم وكتمان الحق الذي
جاء فيه والصد عن سبيل الله وقتل الانبياء **فصل** الذي يعتور على كثرة الاعلام والمفهوم
من تعريف الوحي ان لجهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها مجازا هو الصراط ولذلك طرفا دون
الصراط من كلي العبرين منها سواحل ايه ذلك سواحل الجود بردها وندا ها ثم بلدو وهو
وطس ثم خضخاض ثم ضحضاح هكذا من كل عبري البحر ويحسب ذلك الوجود فيما هنا كم من فيضها
وغيضها وفورانها ودمها وشهيقها وزفيرها فليعتبر بها من اجل ذلك سواحل
يقتضي موجود مقتضاها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه ابي طالب وجدته في غمرات من النار
فاخرجته الى ضحضاح يبلغ كعبيه وقال صلى الله عليه وسلم فمنهم من تاخذه النار الى كعبيه ومنهم الى انصاف
ساقيه والى ركبتيه ومنهم الى فخذيه ومنهم الى حقويه وانما نصبهم هذا في سواحلها على
قدر خفة ظهورهم من اوزارهم بكون خفتهم عليها ثم يتولى ذلك بهم الى الطيران في الهواء على
مراكب النجب وغيرها وكالبرق وكرجع الطرف ومنهم من لم يردها ولا يسمع حسيسها ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت
انفسهم خالدون جعلنا الله الرحيم برحمته منهم **فصل** قال الله عز وجل في الاشقياء
فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا وهم الذين قيل لهم ليتبع كل امة ما كانت تعبد فيكون ذلك فيخرج
منها عنق ثم عنق ثم عنق ايضا فالثلثة هم الذين كانوا في الدنيا اشد عتيا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتكون الارض كلها جمرة واحدة يعني والله اعلم تلك السواحل انهم
يومئذ عليها سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض
فقال عليه السلام هم في الظلمة دون الجسر وفي اخرى على الصراط يا عائشة فربما سمي ذلك منها
صراطا اذ هو مما ينجي الله جل ثناؤه من هول المتقين بمفازتهم كما ينجيهم على المجاز والله اعلم

ما مقدار

ما مقدار ذلك وما مقتضاه وهذا كله عليه يسير فانه القادر على ان يجعل اضيق الاماكن
تسع كل شيء ويجعل اوسعها اضيق من خرت الابرة وانما الفائدة في اخباره وحديثه
فهو كما اخبر به وحدثه قال عليه السلام فيطا احدكم الجمرة فيقول حس فيقول ربك وانه وذلك
في مبتدأ هذه الارض اي انك ستري ما ينيك هذا فيخوض الخلائق في تلك السواحل خوضا
وهم الذين عجزت اعمالهم عن نجاتهم طيرانا وخطفا كالبرق وكرجع الطرف وخطو
الفرس الجواد وعلى تفاوتهم في سرعة نجاتهم منها والذين يخوضون تلك الارض ايضا
على درجاتهم من قلة الاوزار وكثرتها بالاثقال على ظهورهم والحسك والشكات
كشوك السعدان وغيرها والعثار والعوارض بين ارجلهم والكلاليب والخطاطيف على جنباتهم
وهي لما تابت عنها في الحيوة الدنيا عوارض المعاصي والذنوب ومنال الشهوات المردية
والضراوات السوء فتحبسهم عن نجاتهم بطاعة الله الا ساعة ما يزرون ثم كذلك حتى
يصلون الى الصراط عن متن جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وهو دحض مزلة احد
من السيف وادق من الشعر اخذ من شفيرها الى شفيرها اي على قدر حظوظهم من النجاة ودرجاتهم
فيها والمتقون يومئذ ناجون بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وقوفا على جنبتي الصراط وعو
الرسل عليهم السلام والمتقين يومئذ اللهم سلم سلم وهناك ايضا يتساءلون بالله وبالارحام
فينجو من الصراط من شاء الله نجاته برحمته ثم بعمله ثم بالشفاعة وكل ذلك من رحمته ويقع في النار
من شاء منه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فناج مخدوش مما ياخذه الكلاليب والخطاطيف
والحسك والشكات ومكردس في نار جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها فاذا خلص المؤمنون
من النار الهم الرؤوف الرحيم الغفور الشكور جل جلاله وتعالى علاؤه وشان المؤمنين الى شفاعتهم
فاعطفهم عليهم بالرحم التي كانت بينهم ولا رحم يومئذ الا الايمان بالله والرسل عليهم السلام
والعمل بطاعة الله عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ما انتم باشد
منا شدة لي في استيفاء الحق من المؤمنين لله جل ثناؤه يومئذ في اخوانهم المؤمنين الذين هم
في النار يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا وتلك شهادة
منهم لهم وشفاعة الى ربهم فيهم فيقول لهم جل ذكره اذهبوا فمن عرفتم فيها فاخرجوه منها
وحرم الله جل وعز على النار ان تاكل مواضع السجود منهم فيعرفونهم بذلك فيخرجونهم
منها ثم يحد لهم حد المعرفة الملائكة على جميعهم السلام في قلوبهم فيذهبون فيخرجونهم ثم
كذلك حدا بعد حد حتى ان المؤمنين ليتساءلون اهل النار ما سلككم في سقر قال الله جل
ثناؤه كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين في جنات هذا وصفهم في محالهم من الجنة
ثم وصفهم في محالهم في اخراجهم اخوانهم من النار بقوله ما سلككم في سقر وقراها
ابن الزبير وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ايها المرء ما سلكك في سقر هذا سؤالهم قوما منهم
لم تكن تقدمت منهم بهم معرفة فيجيبونهم بما كانوا عليه ولا يكتمون الله حديثا وانما يكون
الكذب منهم والكتمان ممن يوجد منهم ذلك قبل وقوع العذاب بهم فيقول احدهم لم نك من
المصلين حتى اتانا اليقين ويقول الاخر كنت كذا ويقول المكذب كنت اكذب بيوم الدين فيخرجون
اخوانهم المؤمنين ويتركون المكذبين ليقضي الله جل ثناؤه فما تنفعهم شفاعة الشافعين

قال الله جل ثناؤه في مقامهم هذا ونحوه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اى شفيع
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يعني حال اخراج الموحدين وترك المكذبين يود الذين
كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض اى لو كانوا في الارض ارضا وفي التراب ترابا لا
يبعثون ولا يخلقون من قبل ذلك وفي هذا من قوله وماجاء مثل هذا في سورة النبا يقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا اشارة الى سرور ممروح به لمن عمل الله جل ثناؤه بطاعته بكريم لقائه وحسن
مآبه نسال الله الرحيم الكريم الا الاه هو ان يسعدنا بلقائه ويبارك لنا في حظنا منه انه ذو الجلال
والاكرام قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
الاية على بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر
فاخذت منا وحضرت الصلوة فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون
ونحن نعبد ما تعبدون فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
حتى تعلموا ما تقولون قال ابن عباس رضي الله عنه فحرمت الخمر في اوقات الصلوة فكان احدهم يمسك
عنها فاذا دخل العشاء الاخرة شربها فلا يصبح الا وقد صحا من سكرها وعلم ما يقولون في صلوة
الفجر ثم انزل الله تحريمها قطعا في سورة المائدة حدث عتبان بن مالك رحمه الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قصده في نفر من اصحابه ولما جاء منزله ناداه فخرج اليه يجر رداءه وازاره فقال
اعجلنا الرجل فقال عتبان يا رسول الله الرجل يجامع اهله ثم يكسل ماذا عليه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اقحطت فاغسل ما اصاب المراة منك ثم صل مصداق هذا من القران العزيز
قوله عز وجل او لامستم النساء فلم تجدوا ماء وعدم وجدان الماء يتردد الى معنيين احدهما
عدم الماء الذي يتطهر به والاخر عدم ماء المني وظهوره كما قال صلى الله عليه وسلم وقد سالته
عن المراة ترى ما يرى الرجل في المنام فقال لتغتسل اذا رات الماء ولما اتصل من الامر بالتيمم وكان
شيئا في حكم السفر وهو مطلوب عدم الماء المتطهر به وقف الامر على الاغتسال مع وجود الماء
والتيمم مع عدم ما يتطهر به وقد روي في معنى حديث عتبان عن جماعة من الصحابة رضي الله
عنهم وروت عائشة وابو هريرة ايجاب الغسل لالتقاء الختانين والله عليم حكيم قوله
تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا تقدير الكلام ولا تقربوا الصلاة جنبا حتى
تغتسلوا ودخل الاستثناء تنبيها على حكم المسافر اذ السفر مظان الاعواز ثم بين بقوله جل
قوله وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا وفي ذكر الملامسة على بناء المفاعلة البيان البين انه المبتغى به الشهوة اذ بناء
المفاعلة لا يكون الا منهما فكان المفهوم من الخطاب ابتغاء الشهوة خاصة واجتزى بذكر الملاقاة عن
تفصيل الملامسة وكان ذلك احسن اختصارا واقرب للفقه عنه وكان قوله فامسحوا بوجوهكم وايديكم
دليلا على ان المسحة الواحدة مجزية كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان يكفيك ان يقع
ضربة لوجهك واخرى ليديك وفي اخرى ضربة للوجه واخرى للذراعين وقوله ان الله كان عفوا
عن كل حق قبلكم غفورا الخطايا كم يطهركم بالماء والصعيد ويذهب عنكم بذلك الرجس كما قال جل
قوله في سورة المائدة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
لعلكم تشكرون كما قال صلى الله عليه وسلم اذا توضأ العبد المؤمن كفرت عنه جميع خطاياه

ثم كان

ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة فاتمام نعمته عليه هو ان يكون شاكرا وان يكون
طهوره بالماء غاسلا لذنوبه كلها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال ربه ذلك فيقول
رب اغسلني بالماء والبرد والماء البارد ثم يكون بعد ذلك من الشاكرين بعمل في اعلى
الدرجات رزقنا الله ذلك برحمته قوله عز من قائل يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا
بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت طمس الوجوه هو ان يذهب باسماعها وابصارها ونطقها كما قال جل قوله
صم بكم عمي فاذا كانت الوجوه عديمة الحواس اشبهت الادبار فهذا مسخ باطن ثم
قال تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت الذين قال فيهم فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم
كونوا قردة خاسئين اى مبعدين فهذا هو المسخ التام الذي عم الظاهر منهم والباطن
وقد اصابهم المسخ الاول الذي هو عدم حواس الوجه الا تسمع الى قوله جل قوله وكان امر
الله مفعولا فهم الصم البكم العمي اشبهت الوجوه منهم الادبار ومسخوا المسخ وهو
حقيقة اللعن وهؤلاء هم الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم والذين حقت عليهم كلمة
العذاب نعوذ بالله من ذلك ولعنوا اللعن الباطن ولم يبق الا المسخ الظاهر واراه والله اعلم
كائنا لهم في دار البرزخ لقوله الحق او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا
نعوذ بالله من لعنه وبعده ومن جميع ما يوجب ذلك واللعن انما بعذاب في اصل ذلك وفي معناه
ان الانسان كما تقدم مؤهل للتقريب والانس ان هو اطاع واستمر لما امر به ومتى لم يفعل ما
اريد به من ذلك ولم يرفع به راسا وولى ما تولى وشغل بشغل لا ينفك وامل لا يدرك وحرص
لا ينال ولانه لم يكذب ولا يصدق غير السبيل بغى لمن اضله وانه متى ذكر تذكر ومتى نبه تنبه
وان اعقب ذلك النسيان وخلفت الغفلة انتباهه فاذا تولى وزن انتباهه بغفلته وذكره
بنسيانه فقرب على قدر ذلك ولا يظلمون فتيلا ثم هو اذا امر فلم ياتمر وزجر فلم ينزجر
منع السمع الباطن والبصر والبيان وكان من طمس الوجه على خطر قال الله عز وجل بعد قوله
صم بكم عمي فهم لا يرجعون وهذا وصفهم ثم قال جل قوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم يعني الظاهرة وهو المسخ التام والفقر المجحف كما قد طمس جل جلاله انوار الوجوه
وردها على ادبارها عبرة نبه الله جل ثناؤه الذين امنوا وذكرهم باهل الكتاب توقيرا
لهم واكراما منه لهم يؤدبهم بغيرهم ويريهم عقوباته في سواهم فليعتبر اهل الابصار
وليزدجر اولو النهى الا تسمع جل وعز يقول يا اهل الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها المعنى الى الاخرة ونحن اهل الكتاب وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل
بالنعل وانه من يعرض عن ذكر ربه نسلكه عذابا صعدا ومن نسي اياته ورده العيش
الضنك واعمى قلبه واصم سمعه وابكم لسانه عن فهم كتابه عقوبة لاعراضه عن تفهم كتابه
ولقد خشينا ان قد لحقنا ما تواعدهم به من طمس الوجوه وردها على ادبارها ايات
ذلك في الوجوه جمة ودلائله كثيرة الا تسمع الى قوله جل وعز فيهم عقوبة لاعراضهم
عن كتابه بهم واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ثم قال جل قوله

تعرضنا ان ربك يا محمد سريع العقاب اى انذرامتك بانه وانه لغفور رحيم فبشرهم
عنى كما قال جل قوله فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه الاية اثره
جل ذكره انما نقص علينا انباهم وبحتلبنا خطاياهم وبعلمنا بمعاتبهم يفكهنا بذلك
كلا وجلاله والحق الذى فطر به ارضه وسماه وانزل به كتابه ان هو الا كلام من حليم
كريم لمن اطاع الله واهتدى وانذار من عليم حكيم لمن راى واثر على الحظ الهوينا وضيع
الحزم وركن الى الدنيا ايثارا لها واخذ عزيز قدير لمن ابى واعتدى واثر الحيوة الدنيا
على الاخرى واتبع النفس والهوى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ركبنا سننهم
وقفونا اثارهم عميت منا القلوب وصمت وبكمت فاصغينا الى الدنيا اثنا لها
على الاخرة اظهرنا الايمان على السنتنا والكفر على جميع اعمالنا وما اظهرناه من عمل
صالح وابديناه من مكارم الاخلاق وحسن فعال وجميل سيره وطلب علم فانما ذكرمنا
على قدر حظوظ العاجلة به وما يكابدهه سبيل ذلك لا على حسبانه الله عز وجل ولا مقصود
بوجه العادات استمررنا عليها وضرورة القناها فذهب لذلك الفهم وعمى الناظر
وعشيت البصائر وقست القلوب وتراكمت الذنوب على الذنوب وتحقق فينا قوله
جل قوله فيهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون فهذا طمس موجود فينا لا ينكر
كما كان فيهم طمس الوجود برده على ادبارهم جهلا وعمى فاتينا الذين امنوا
منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون نعوذ بالله العظيم من اخذه واليم بطشه ونسئل
لنا معشر الامة توبة صادقة وانابة خالصة ورجعة قوية انه على ذلك قدير قوله
تعالى وكان امر الله مفعولا خاصة هذا الخطاب هنا من هذا المعنى انه من لعنه فمحا المسخ
الباطن ولم يبدد الى التوبة فانه بعد الموت يحول ظاهره الى ما مسخ اليه باطنه فيعذب فيه
الى يوم القيمة او يتداركه عفوه ورحمته وكذلك الكافر فى الاخرة قال الله جل من قائل
سنسمه على الخرطوم عبر بذلك جل جلاله عن تحويل صورته الى ما شاء تحويلها اليه والخرطوم
ليس من صفات الانسان انما يوصف به الخنزير والفيل والفارة ونحو هذا سبحان الله ولله
الحمد حلقة اولا على صورة الحق صورة باطنا فاحسن تصويره فى احسن تقويم مدح الله جل
جلاله بذلك فى قوله البليغ باحكم الحاكمين ثم رده بعد الى اسفل سافلين صورة ومحلا
ومالا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انتظم
بما تقدم من كفر المشركين والمنافقين واهل الكتاب فوضح من ظاهر هذا الخطاب البيان
البين انه جل جلاله حجر المغفرة على الكافر وحرم رحمته بالعفو على من اشرك به فان الشرك
غير مغفور بنص هذا الخطاب وقد وعد بوعده الحق انه يغفر ما دون الشرك لمن يشا
ممن لا يشرك به سابق وقال بعض من تقدم رحمه الله على جميعهم ان الله لا يغفر ما دون الشرك الا
بالتوبة وهذا ما لا يعطيه ظاهر الخطاب الذى تلاه علينا ربنا جل جلاله من كتابه العزيز فان
الشرك ايضا يغفره الله بالتوبة فلو كان ما دون الشرك من الذنوب لا يغفره الا بالتوبة
لكان اخباره جل جلاله بان يغفر ولا يغفر متساوى المعنى وفى اجماع العرب ومن تعرب
من العجم على امتناع تساويهما ادل دليل على اغفال من قال ذلك غير ان من المصرين على الذنوب

وهم يعلمون انها ذنوب اسوا حالا من المصرين عليها وهم يجهلون انها ذنوب لكن بعموم
الخطاب يشمل الطائفتين معا فالتفرقة بينهما تعريض جراة والاصرار على الذنوب
من غير رجوع عنها الى التوبة منزلة بين منزلتين ما دونها كفر ولا رجا معه فى عفو
لا مغفره وما فوقها توبة وتقوى لا خوف معهما من خلف وعد ولا نقض عهد ففى منزلة
المصرين اشكال لكونها فى موضع الشبهة وفارقت منزلة الكافر والمشرك فى الحاق الرجمة بهم
دون مرتبة منزلة المؤمن المصر والحمد لله رب العالمين قال عز وجل فى الكافرين اولئك
يئسوا من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم وان كان الاصرار اثما فانه لم يلحق بالاثم العظيم
والضلال البعيد قال الله عز وجل ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما وقد ضل
ضلالا بعيدا وقال جل قوله وكانوا يصرون على الحنث العظيم لا عهد لمصر بمغفرة
ولا خوف على تائب من الرحمة ولا رجاء لكافر ولا لمشرك قوله جل قوله الم تر الى الذين
يزكون انفسهم تعجب نبيه صلى الله عليه وسلم ثم من تبعه من العلماء من ضعف عقول هؤلاء وقلة
علومهم لتزكيتهم انفسهم وذلك ان تزكية النفس وجودها ابداع العجب والعجب
عن الكبر والكبر يوجب المقت من الله ومقت الذين امنوا بل الله يزكى من يشاء ثم قال جل
قوله ولا يظلمون فتيلا يريد الذين يزكيهم الله وهو لا يزكى جل جلاله الا من صلحت حاله عنده
فلا يظلمهم ما هو مقدار الفتيل بل لولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من احد ابدا
وقد يتوجه قوله هذا ولا يظلمون فتيلا يريد هؤلاء المكذبين والكافرين من عمل منهم خيرا
اطعم به وعوفى ولا يظلمون فتيلا من ذلك فان كان التزكية من الله عز وجل فهو يختبر البواطن
ويعلم الظواهر وما تؤول اليه عواقب الامور فهو الواهب ذلك والمثيب عليه فكيف يصح
لمخلوق تزكية نفسه لذلك قال عز من قائل انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما
مبينا الزكاء النماء وهو الرفعة فلان ينمى الحديث اى يرفعه فهو من خطاب القران على هذا ان الزكاء
ليس الا ما كان من معنى القرب من الله عز وجل والتقرب منه لذلك قال عز من قائل انظر كيف
يفترون على الله الكذب الاية فلذا لا ينبغى لاحد ان يزكى نفسه ولا ان يزكى احدا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحسب المرء ان يقول فى اخيه حسبته كذا وكذا احسبه ولا ازكى على الله
احدا اى خشية ان يفترى على الله الكذب وكفى بافترائه عليه اثما مبينا قوله تعالى
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد جل ذكره يهود يؤمنون بالجبت والطاغوت
صنمان بعينهما وقالوا الجبت السحر وقالوا هو الساحر بلسان الحبشة وربما كان مشتقا من جاب يجوب
جوبا وهو القطع اى يقطع الحق بالباطل الى اهوائهم كما قال عز من قائل وثمود الذين جابوا
الصخر بالواد اى قطعوا الصخر واجروا فيها الاودية الى مقاصدهم فكل ما تعدى الحق
فقطعه فهو جبت والطاغوت ماخوذ من الطغيان والطغوان لغة فيه فالواو كما فيه
زائدة للمبالغة كما قالوا ملكوت وجبروت ورهبوت ورغبوت وكل ما خالف الحق فقد طغا
وواقع الطغيان ولا اخلاف للحق اعظم من اتخاذ الالهة من دون الله ذلك هو الضلال
البعيد وكل ما عبد من دون الله وكل فعل فعل مخالفا لامر الله عز وجل فهو طاغوت انتهى
معنى قوله فيما حكى عنهم هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا يعنى قوله جل قول النبى عليه السلام

انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا اخرجهم عن التوحيد
بقوله جل قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون يعني يهود للذين كفروا هؤلاء
اهدى من الذين آمنوا سبيلا وذلك ان قريشا استفتوهم في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انتم اهل دين ونبوة فما تقولون في دين محمد وديننا ايهما خير فقالوا لهم دينكم افضل
من دين محمد وانتم اهدى من الذين آمنوا سبيلا فجعلهم بذلك مؤمنين بالجبت والطاغوت
اولئك الذين لعنهم الله لما كتموا ما عندهم من صحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والهدى الذى
انزل الله عز وجل في التورية لعنهم اى ابعدهم عن فهم كتابه وتصديق رسوله فلم ينفعهم
ابصارهم ولا اسماعهم ولا افئدتهم لما لعنهم الله كما فعل بغيرهم الذين قال فيهم جل قوله
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن **قوله** جل قوله ام لهم نصيب من الملك الى آخر المعنى ام حرف ظاهره
الاستفهام قالوا وقد يكون بمعنى الف الاستفهام بعينها يقول من ذلك اعندي طعام ام عند
ماء افي الدار زيد كما يقول ام عندك وحكى بعض اهل العلم بالمثنا انها لغة تميمية فيجعلونها
في مبتدا الكلام فيقولون ام نحن خيار الناس ام نحن نطعم الطعام ام نحن نضرب الهام فعلى
هذا تقرب معانيها الى ليس كالمعهود منهم في قولهم السنا خيار الناس السنا كذا وعلى هذا
يكون تقدير الكلام اليهم نصيب من الملك ومن قال انه خطاب تقدمه محذوف مقدر فما هو
بمقصر عن الحقيقة ولا بماخوذ عن انسياق الى الغاية تقديره لما كان اللوح المحفوظ جمع كل شيء
كتبا فانزل على بني اسرائيل التورية وعلى غيرها الانجيل وعلى سواهم الزبور ثم الفرقان قال
فيهم انهم اوتوا نصيبا من الكتاب فاذا الكتاب المعنى ههنا هو اللوح المحفوظ او من اوتي منه
نصيبه كذلك في علمه واجله واثره وشقاوته وسعادته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
فبايديهم فضل الله يؤتيه من يشاء او ما يكون في معنى هذا من الكلام ثم عطف على المحذوف قوله
جل قوله ام لهم نصيب من الملك لو كان ذلك ما اتوا الناس من فضلهم ولا مما بايديهم بغير اثم
اظهره الله جل جلاله معنى ما حذف بقوله ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا
آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وبنو اسرائيل من آل ابراهيم وكذلك العرب
وفحوى هذا الخطاب انا اشتهم الفضل على العرب في ذلك فنؤتيهم ايضا الكتاب والحكمة والملك
وقوله جل قوله فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه الضمير الذى في به مردود على الكتاب او الوحي
وفحوى هذا ايضا انه كما كان في بني اسرائيل من آمن به ومنهم من صد عنه كذلك يكون في العرب جمع
ذلك قوله اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فاعلم بهذا ان
من ذريته محسن وظالم لنفسه مبين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان
قبلكم الحديث **قوله** جل من قائل وكفى بجهنم سعيرا اسم جهنم اعاذنا الله الرحيم
برحمته منها ينبئ عن رؤس معانيها فجيمها وميمها ينبئ انه عن ... فيها من معنى المزيد المعبر عنه
قوله جل قوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقوله جل قوله ويخلق ما لا تعلمون ثم هاؤها
وميمها ينبئ عن زمهريرها ونونها ينبئ عن نارها وحميمها وهاؤها وميمها مجموع ذلك
عبر عن الجهامة التي وجدت له فهو اسمها الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث

عن مسراه قال ورأيت مالكا خازن النار وذكر من جهامته وانه اذ لقيه لم يبتسم اليه ولا هش
له بغير السلام عليه قال فقلت لجبريل من هذا قال هذا مالك خازن النار لو ضحك الى احد ضحك
اليك قال الله عز وجل غلاظ شداد فكلمة كفى يعبر بها عن نهاية الابلاغ في معنى ما اخبر بها
عنه كقوله جل قوله وكفى بالله وكيلا وكفى بالله حسيبا والسعير نوع من العذاب معتمده
تعذيب النفس وحقيقته شدة تحريك الصفات الباطنة بالام العذاب المستعر وقصدها بوجود
العذاب نعوذ بالله من ذلك سعر النار شدة اضطرابها وسرعة استعمال لهبها فلهذا جعل
ذلك فصنف وشهوق عن التهابها ما جعل لها وعظيم لهابها وتداخل وجودها في ماخذها
لذلك يكون وصف المستعر الصفات جور في عزيمته وثباته وتبلد في خلده كثير الحركة قليل السكون
عديم الصبر فقيد الرضى شديد القلق حرج الصدر كثير الغضب يغضب لغير مغضب وبالي
بغير المبالات تكون نفسه فرقا وقلقا وسعرا فاذا اقترن بذلك عذاب السعير فاظنك وجوه
الاخرة ينشو عن هذه الى ما لا يبلغه وهم متوهم والسعير بما هو يلهي عن كل شيء سواه وهو
عذاب الشياطين مما اعد الله لهم فيما هنالك ولان قرآن كل انسي شيطان كان له قرينا
في دار الدنيا سوى عذاب السعير للانس فما اصاب الشياطين غيره من انواع عذاب جهنم اصاب قرناءهم
الانس وعذاب جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها يعمهم قال الله عز وجل في الشياطين
واعتدنا لهم عذاب السعير وقال جل قوله في العموم بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا القوا منها مكانا ضيقا
مقرنين اى جن بانس وانس بجن وقال جل قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين وكما كان قرينا في الدنيا كذلك هو قرينه في الاخرة الا تسمع جل من
قائل يقول حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين لعنه الله
جل من قائل لكل قرين منهم ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون كذلك قال
لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقد تقدم من ذكر اقترانهم قبل هذا ما يغني عن التطويل **فصل**
يضاعف العذاب على ائمة الضلال بما اضلوا غيرهم وضلوهم في انفسهم كما قال جل قوله
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وقال جل قوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب وعلى الاتباع الذى عبر عنه قوله الحق
لكل ضعف ولكن لا تعلمون فهو والله اعلم لاجل اقترانهم بأقرانهم الذين اضلوهم من شياطين
فيصيب هذا عذاب هذا وهذا عذاب هذا ويقول بعضهم لبعض فما لكم علينا من فضل فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون **قوله** تعالى ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب الصلى قد يكون العرض على النار وهو
عذاب النار الوسطى قال الله عز وجل فنزل من حميم وتصلية جحيم تقول العرب صلى فلان
عصاه اذا اوردها على النار ليثقفها ومنه الصلى والاصطلاء ويكون المباشرة لها بامر
من ذلك اصل النار بهذا اى باشرها فاذا القى فيها تقول اصل النار واصليته انا اصليه
قال الله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اصلوها اليوم بما كنتم
تكفرون النضج هو الطبخ اعاذنا الله الرحيم برحمته من عذابه وهو نوع من العذاب

وحال من احوالهم والشي والاحراق حالان ايضًا من احوالهم نعوذ بالله من احوال اهل النار
في الدنيا والاخرة والصهر للجلود ولما في الاجواف والبطون كل ذلك احوال تحول عليهم
يمطرون الحميم ليس كالمعهود في الدنيا انما هو صبب يصب عليهم فيقع الجلود كشطا لها
عنهم ويصل ذلك الى ما في اجوافهم من حشوة فيقع في دبرهم ثم يسجرون في النار على حالهم تلك
اي يوقدون فيها فاذا انتهى بهم ذلك عادوا الى ما كانوا عليه ثم يذوقون عذابا غيره هكذا
ابدا ولا عبرة باعتراض من اعترض على معنى الغيرية في قوله جل قوله بدلناهم جلودا غيرها فان
الجلود مخلوقة من اجسامهم وذلك مشاهد بالوجود فانا نرى متى اصاب بعض الجسد خدش
او شج او جرح موضع منه اخلف الشجل وعن من نفس الجسد جلدا متصلا به هو غير ذلك
الجلد المسلوخ وعلى ذلك فانه جلد لذلك العضو فهو للذاهب عوض وهو خالفه من نفس الجسد
الذي كان الذاهب جلدا له وهو منسوب اليه ولم نر جلدا احرقته النار حلفه جلدا اخر مكانه شبيه
الاول في بشره ولا نوره فتلك هي آية على انه يبدلهم جلودا هي في مرأى وهيئة في التي كانت
قبل وهو الله لا اله الا هو المصور لا يعجزه صور تصويرها في الحسن والقبح فهذا وجه اخر
في تأويل قوله تعالى جلودا غيرها ومن اصدق من الله حديثا وهذا من مقدوره الغائب كايجاد
عن ذات الميت ذاتا ينقل اليها الحيوة شيء هذه الحقيقة من تلك الذات ليست هي الذات
المشتقة منها ولا هي غيرها وتطلب ذلك في سائر الموجودات ينصب ان شاء الله اعقب ذلك بقوله
تعالى ان الله كان عزيزا حكيما العزيز في انتقامه الحكيم الذي احكم صوره جزائه على صورة
اعمالهم فلم يعذب غير المسيء ولا اوقع ثوابه على سوء المحسن وذلك قوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى وهذا من مقدوره الغائب كايجاده مثالا للميت يكون ذاتا له يكون ذلك المثال
هو الحي بسوق هذه الحقيقة من حق تلك الذات التي تطيب بالموت ليست هذه المشتقة منها
ولا يصح الاعتقاد ولا القول بانها غيرها بل هي موجودة منها وعنها **قوله** عز وجل ان
الذين امنوا وعملوا الصلحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها
ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا وقد تقدم القول في غير هذا الكتاب ان الجنة اسمها
ماخوذ من المعنى الذي اجتز فيها هو لها بمنزلة الروح لحامله عبر عنه بقول الحق فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتكم عليه واما الظل الظليل فهو ظل الله جل ذكره واحد
وجوهه انه موجد الكفاية والوقاية والرفع والاكرام **تنبيه** ذكر جل جلاله الجنة
وانها دار كنايه عن ملكها وخلودها وازواجها ثم عطف جل جلاله بالواو على ذلك في
قوله وندخلهم ظلا ظليلا وقد وصفها جل جلاله قبل فيما وصف بانهم فيما هنالك
في ظل ممدود وماء مسكوب الى غير ذلك من وصف الحق وقال ايضا جل قوله متكئين فيها
على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها واذا كانت كما قال
جل قوله وقوله الحق ووعده الصدق لا شمس فيها تؤذي بحرها ولا ما يضادها من البرد
والزمهرير كالمعهود في الدنيا فان معهود نفع الظلال في هذه دفع اذاة حر الشمس والبرد
وحجب عن سموم هبوب الرياح بصرورها وحرورها وعصوفها وقصوفها واذا

فيما هنالك لا اذاة موجودة لشمس ولا برد ولا لرياح انما هو الرضوان والرحمة
يجولان بهم ومعهم كل متجول ويتقلبون فيها كل منقلب فما وجه الحكمة في اتخاذ الظلال
هنالك وما الذي يدافع بها وما الذي يصيب احدهم متى برز عما هو ظل له الى ما ليس هنالك
بظل **توجيه** والله اعلم معهود ما ههنا الاستجارة بالحر من البرد وبالبرد
من الحر وبالاكنان من اذاة الرياح بالجبال والبيوت وبظلال لما خلق لها دفاعا
للاذاية من النقيضين وما يتبعهما وما يحول عنهما ووقاية وطلبا للدفاع والكفاية
ونحو ذلك واما في الجنة التي هي دار الحيوان ومحل النعيم المقيم فانما هو الاكرام والنعيم
ليس فيما هنالك موجود يتوقى ولا يدافع بما يقابله ويضاده كما ليس في جهنم اعاذنا
الله برحمته منها موجود يتوقى به عظيم ما سلط عليهم ولا شيء يدافع به ما هم بصدده
وقد يفهم حال اهل الجنة فيما نحن بسبيل تبيينه بان يفهم تعذيب اهل جهنم وكما
جاء في وصف احوالهم قال الله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل
ذي ثلث شعب اي يتفرع الى ثلثة احوال الله اعلم بما يتفرع اليه كل حال احد الشعب انه
ظل لا ظليل اي انه لا يدفع مكروها ولا يوقي محذورا والثاني لا يغني من اللهب اي انه ليس
بكنين فيستكن به من لهب او حريق او غير ذلك الثالث ان ذلك الظل من دخان النار فاشبه
الظل بوجها في عدم نوره واشبه موجودات جهنم في ظلمته واحده بالانفاس اهانة وتعذيبا
كما قال جل قوله وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ثم اخذ جل وعز في وصفها اعني النار
بقول جل قوله انها ترمي بشرر كالقصر وجاء من وصفها انها فيما ليس بكن ولا واق شيئا
يرمي بذلك الشرر وهي صواعق فتصيبهم دون حائل ولا دافع فظلال اهل الجنة اذا على
مفهوم هذا الاكرام والتنعيم يوجدهم جل جلاله الظل اكراما ما ينعمهم به ويوجدهم
في البروز عن الظل اكراما ما ينعمهم به يعرفون ذلك من هذا وهذا من ذلك كما يعرف
اهل الدنيا فرق ما بين الشمس في البروز اليها وبين الظلال باختلاف منافعهم
في ذلك ومضادهم وانما هو فيما هنالك الرضوان والرحمة ثم الاكرام والتنعيم **فصل**
اما في الدنيا فمنافع الظلال والتبرز عنها مفهومه معلومه وقد جعل الله جل جلاله
ظلالا لما هنا آية على ظلال ما هنالك فقال جل قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الى قوله جل قوله
والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا ثم ذكر جل ذكره الوافيات بقوله
جل قوله وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم ثم عبر بالذكر جل ذكره
الى حال الدار الاخرة ليرفع همم العباد صعدا فقال جل قوله كذلك اي كما في هذه فعلنا
يتم الله نعمته عليكم بدخول الجنة لعلكم تسلمون هذا من الاسلام بخفض اللام ورفع التاء
وفيه محذوف وتقديره يبين لكم اياته لعلكم تسلمون من كلامه اي عليكم تسلمون فتنعمون
اذ هي دار سلام ومثابة وما هو عدم دفاعا ووقاية وظله تبارك وتعالى في البرزخ دفاع
عذاب ما هنالك وفسحه وظلال احبابه كما قال جل قوله فروح وريحان وجنة نعيم
وظله في عرصة القيامة دفاعه وحفظه وتامينه وتاييده وظل الغمام يومئذ

وظله في الجنة ما تقدم ذكره من الاكرام والرضوان والتنعيم والرحمة وتوجيه
اخر ان الله عز وجل مما سخر لنا في هذه الدنيا السماء والارض والشمس والقمر والنجوم
والليل والنهار والانهار وكلها دخل تحت قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
منه فهو كله مسخر لابن ادم في الدنيا وبخاصة للمؤمنين فان ذلك كله قد زاد في التسخير له
بالهداية والارشاد وتعليم العلم والاخبار له بما جعل له ومن جعله وما المراد منه وبتهاية
وعيده وجميع ذلك بالضد للكافر في الدنيا من حيث الاضلال والفتنة والتعمية والتلبيس
ومن يضلل الله فما له من هاد ثم هو في عرصة القيامة كما ذكرناه مشهد للمؤمن بقبوله
منه وهدايته به ويشع له ويشكر له ما فرط منه فيه وهو للكافر شاهد عليه متبري منه معذب
له نعوذ بالله من ذلك نعود سخره له في الدنيا وعدوانا في حقد وعداوة يلعنهم الله ويلعنهم
اللاعنون ثم هو في دار القرار على ما تقدم ذكره على سنن الحق فافهم وتوجيه اخر
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون ربكم عيانا وترون ربكم كما ترون الشمس صحوا
ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رويتهما ولا تضارون وهذه
روية على الدوام كما ان الشمس يخلفها القمر ليلة البدر منه والقمر تخلفه الشمس من غير ليلة
البدر لكن ذلك واحد لا يأتي معه واما ذكر الشمس والقمر لما علم من افول الشمس وافول القمر
فجمع بينهما اذ الروية على الدوام لا يتحصل الا بمجموعهما وما هنالك لا افول ولا سفل
المثل الاعلى في السموات والارض السموات كناية عن الاخرة والارض كناية عن الدنيا هذه
زيادة على ما لمن المثل الاعلى في السموات والارض فافهم وقال الله سبحانه وله الحمد وخلق السموات
والارض بالحق ثم قال جل قوله وقوله الحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ان نرجع
الى ما تقدم ذكره فراجع الناظر من مبتدا الكلام في هذا المعنى يفهم المراد ان شاء الله تعالى
وهو المستعان وقال وقوله الحق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق كقوله جل قوله ولتجزى كل
نفس بما كسبت وقال وقوله الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين فانه جل جلاله وتعالى
علاوه وشانه ان عقلت معنى الخطاب ووقفت على سر المراد انه هو الحق المبين لهذا الحق
المخلوق بالسموات والارض فعلى هذا ان هذا الحق المذكور يشوبه التحقيق والتبيين
لدار الاخرة ان الله جل جلاله وتعالى علاوه وشانه يكون المرئي يومئذ على الدوام
دون افول كالمرئي اليوم الشمس والقمر ولما كانت الشمس والقمر قد جعل الله جل جلاله لهما
بامره من المنافع ما قد تقدم الكلام على بعضه في موجودات هذه الدار وليس فيما هنالك شمس
ولا قمر ولا نجوم ولا كوكب بل هو جل جلاله وتعالى علاوه وشانه يومئذ المرئي
والحق الذي نشا اليه حق ما هنا فموجودات ما هنالك وامر ما هنالك موجود كله عن الحق
المبين لا بوسائط ما ههنا بل على القرب والكشف فكما نوع الاستظلال بظلال ما خلقه
وميز بينه وبين المبرز عنه فرحمته منه هو دفاع ضر هذا بنفع هذا وكفاية ما جعل في
هذا من ضرره او نفعه بما يقابله من هذا من نفع او ضر يلطفهم بره ويعلمهم بحسن تدبيره
لبذلهم من اياته بما يذيقهم من باسه بهذا او بما يدفع عنهم برحمته بهذا على موجودات
دار القرار وكل ذلك من رحمته وكريم بره كذلك فاعلم بنوع جل جلاله بنعيمه اياهم

برضوانه واكرامه كيف لا وهو القائل جل قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون **قوله** تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها الى قوله جل قوله سميعا
بصيرا الامانة كل ما او تمنت عليه مما توجب عليك اداءها بحكم احكام الدنيا والامانة الكبرى
هي ما قررك عليه من الاقرار له بالربوبية وعلى نفسك بالعبودية والتزام التوحيد والايمان به
وبرسله وكتبه واشهدك بذلك على نفسك ثم اوجدتها وتبهك بشواهده واياته واكد ذلك
بارسال الرسل وانزال الكتب فهذه امانة عندك لتوديها اليه يوم رجوعك اليه كما اشهدك
اياها واشهدها عليك ثم ما ائتمنك عليه من مقتضى اوامره ونواهيه على جميع تفصيل ذلك ان تؤديها
اليه في جملة اعمالك فيما هنالك ثم ما استودعته وائتمنت عليه ان تودي ذلك الى من استودعكم وائتمنك
من طلاقة يوم الاداء وطيب النفس وامن السرب كاليوم الذي استودعها عندك واما معنى قول
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله وتخونوا اماناتكم والرسول وتخونوا اماناتكم
وانتم تعلمون فالامانات كلها في هذا الذكر وهو علم ما جعله في قلوب عباده من زواجر عن اتيان
معاصيه وترغيب في نزاع الى العمل بطاعته وتلك عظة الله في قلب كل مؤمن وقد بين القران
العزيز هذه الامانات ما هي وبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم وان حملها قوله جل قوله والذين
امنوا وعملوا الصالحات وان ظلهم الذي يظلهم فيه على القول بالاجمال ما عبر عنه قول الحق جل قوله
اولئك لهم الامن وهم المهتدون وقول الحق الله ولي الذين امنوا والله ولي المؤمنين وان ظله
الظليل في الدنيا الهداية والولاية والارشاد الى ما يرضيه والعون منه والاستعمال له وفي عرصة
يوم القيمة ظل الغمام من حر هجير جهنم اذا قربت ومن وهج الشمس يومئذ اذ هي دنت من الخلائق
وان ظله في دار القرار ما عبر عنه اسم الرضوان وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر فيه سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله يعني عند انقطاع الدنيا واهلها وظلال
ما خلق الله عز وجل فيها وان ذلك هو في دار البرزخ وعرصة القيامة ودار القرار في الجنة
والعبارة الاخرى ظل الله هنالك هو دفع المكروه على الكمال وكانوا في الدنيا قد صدقوا
وامنوا بالجنة والنار فوقاهم الله عذاب النار واتاهم الجنة بنعيمها ولما امنوا بموجودات تلك
واخذوا علم ذلك مما هنا في هذه الدار اعطاهم الله موجودات ما هنالك وزادهم على علمهم
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبالضد في الكافرين وكانوا
في الدنيا يتحولون من حر الشمس الى الظل لبرده ومن برد الزمهرير الى حر الشمس فلما
ادخلهم الجنة لم يكن فيها شمس ولا زمهرير انما هو ظل الله وكنفه ووقايته وتنعيمه
واكرامه كما كانوا في الدنيا في ظل بما نهم به وعليهم له وكان معهم يذكرهم له كما قال عز
من قائل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وبعدا ولئك عن الله عز وجل لبعدهم
عنه بعدم الايمان والعمل له بما يرضيه فلم يجئ معهم فلا ظل له عليهم يومئذ جزاء وفاقا
في الكافرين وجزاء حسابا في المؤمنين لما كذبوا بالجنة وبالنار ولم يروهما باياتهما الجنة
كانت تغدو عليهما وتروح تعدوا بهم وتعلي بهم في ذواتهم منعوا هذه وادخلوا هذه
وبوعدت عنهم حبه المحبوب من حب الله هو المحبوب لا اكبر معه وهو في جواره وظل الجوار
معلوم ومعهوده الاكرام وحسن الدفاع اعقب ذلك قوله الحق واذا حكمتم بين الناس

ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ثم القول الذى تقدم وهو ما عبر عنه قول الحق الذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار فهو مصداق لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وهو قوله
عز وجل واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل فكل السبعة الاصناف من الايمان والعمل
الصالح لكنه اكد فى الحكم بالعدل لما فى ذلك من الاثر لهم يومئذ عبر عن ذلك قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم المقسطون على منابر من نور فى ظل العرش وتحت ظل العرش فهم لا يفزعون
ولا يفزعون اجل ذلك قول الله جل ذكره الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن لما امن الناس من ظلمهم وهم مهتدون الى اليوم بايمانهم وعملهم الصالح اعقب
قول الحق ان الله نعما يعظكم به ابلغ فى الموعظة ذكر جهنم فابلغ فى الوصف وذكر الجنات فابلغ
وذكر ظلها الظليل وجواره الكريم فشفى وبالغ فى التشويق والترغيب ان جاز قوله يعظكم
وامر باداء الامانات الى اهلها فعم المامور كله على وجوه لا ايمان لمن لا امانة له ولا عمل
مقبول لمن لا ايمان له ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة والوعظ يكون ترغيبا وترهيبا واصله
فى الترهيب لكنه لما كان الوعظ تحذيرا من فوت المحبوب المطلوب كان ترغيبا فوعظهم الله جل
وعز ان يفوتهم ما تقدم ذكره من المحبوب والفوز العظيم ورهبهم جل ذكره بذكر ما يضاد
الايمان والعمل الصالح فتكون المجازاة من قبيل ذلك وذكرهم جل ذكره بذكر الظلم انه ظلمات
يوم القيمة وفى الدار الدنيا والدار الاخرة فى الظلمات السفلى حيث لا نور ولا امن فصل
حكم العدل فى الحكم بين الناس من صلة الرحم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما
او مظلوما قيل هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تاخذون على يده فيكفه ذلك عن الظلم فذلك نصره ذكرهم جل ذكره بالعدل بين الناس
المبنى على الضبط وباداء الامانة حقوق الامانة والرحم حتى لا يضيعها يكون مع ذلك
من كلا ليس فيه خطاطيف وحسك وشابكات وعثار لذلك قال جل قوله ان الله نعما يعظكم
به بين ذلك فى الاية التى بعدها فى قوله جل قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم الى قوله جل قوله ذلك خير واحسن تاويلا فكان وجه الخطاب
فى الاية الاولى الى الحكام وفى الثانية الاتباع والمتحاكمين ان لا يخرجوا عن احكام المسلمين
اتبع ما هو فى معناه قول الحق الم تر الى المؤمنين الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يزعمون
انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت الى قوله جل
قوله ضلالا بعيدا الى قوله صدودا كما قال جل قوله ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا
ميلا عظيما ثم كذلك الى قوله جل قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين الى اخر الاية هؤلاء هم المنافقون اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
صدوا عنه وانوا يقول عز من قائل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم وهم على حالهم
من تبريهم من الله جل ذكره ومنك ومن المؤمنين الى من يركنون بمن يستغيثون فى كشف ما بهم
ثم جاؤك يحلفون بالله حرفتهم للعطف على حالهم تلك فى بواطنهم وهى حال لنا دمين لزا حين
على انفسهم باللوم لشدة الندم بقول الله جل من قائل اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم اشارة

الى ما فيها من الندم مع الاباء عن الاقلاع واللجاج فيما تصدره بقول عز وجل فاعرض
عنهم وقل لهم قولا يخون فى انفسهم قولا بليغا هذه حالة المصارنة اذا دهته عواقب سوء
اعماله فلا يجد الى من يرجع الا الى الله جل ذكره فيجد فى قلبه سنة التقريع والتقريع والوعظ
والتوبيخ له والتوقيف على قبح صنيعه ويستشعر الاعراض عنه وعن الاجابة وفقد الاستنجاد
من حالته تلك فاذا فيضه الله للعزم على التوبة فحسن ان يستجاب له ثم بين جل جلاله كيف المأتى
لهذا الشان بقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
لوجدوا الله توابا رحيما هنا ما يصال الولاية والحذر من الوقوع فى محظور اذ ذاك
يجد الله توابا انما الهرب كله الى الله ورسوله والكتاب والاولياء والله العوض من كل
معقود جل جلاله كذلك قال ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين والى ربه يفزع اللهفان
ذاك اقرب ماخذا واسهل لكما من الخروج من الاوطان وقتل النفس لو كلفوا ذلك فالهرب
الى الله والرسول والكتاب خير واشد تثبيتا واكرم عائدة واجزل فائدة واقرب
الى الهداية لسواء الصراط وبما الحق بالاولياء كما جاء انه ليقوى فى الثالثة من الهرب
والرابعة عبد كما عمل ما شئت فقد غفرت لك على هذا اشارة الله بقوله ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين المعنى الى اخر الاية ثم اخذ جل جلاله
فى ذكر الجهاد والحض عليه والتنفير عن المنافقين واهل الكتاب واعمالهم وعن قبول
كلامهم ويامر بالاعراض عنهم والاغلاظ فى القول لهم وندم اهل الكتاب الذين
نكلوا عن القتال بما كتب عليهم ويقال لهم فى ذلك عمر الدنيا ويزهد فى البقاء فيها
ولا بقاء هذا كله من ذكر اهل الكتاب والمنافقين تاديب لنا لغيرنا لعلمه المحيط بما هو كائن
فينا ومنا **قوله** عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك اشبهت قلوبهم قلوب الكفار قبلهم فتشابهت قولهم لانبيائهم فكانوا اذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بانبيائهم كما قالوا ولئن انا تطيرنا بكم لئن لم
تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام قل لهم كل من عند الله فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا والفقه هو معرفة مخارج الامر والنوازل الحوادث من حيث ظهرت
واصولها التى انبعث ولو فقه هؤلاء لعلموا ان الجنة هى بفضل الله ورحمته وان الرحمة
منبعها عن سوء اعمالهم جزاء من الله عز وجل لذنبهم لعلهم يذكرون ثم فصل بقول الحق جل
جلاله قل يا محمد او يا ايها العبد ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
اى من شوم ذنوبك وجزاء معاصيك كقوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير اتبع ذلك قول الحق وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا كما قال
جل قوله ان عليك الا البلاغ بين ذلك قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما
ارسلناك عليهم حفيظا اتبع ذلك قوله عز من قائل افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وعلى القول بالتحقيق فان الله جل جلاله لا يعطى منه نديا الا ما
هو الخير والاحسن وانما يتطرق المكروه والسوء من قبل انفسنا وباعمالنا ومن قبل

الى ما فيها

الغير اعتبر ذلك بفعله بآدم عليه السلام كيف صوره احسن صورة وخلقه احسن خلقه
وعلمه وفوقه في الملأ الأعلى واسكنه جنته وبوأه منها ما شاء بعد ان زوجه وبلغه ما لم
يأمل ثم انظر بماذا اخرجه عن مسكنه واذ عجه عن قراره وكذلك خلقه المولود في طبقات خلقه
ثم كيف يخرجه الى اي لطف واي تيسير وتسبقه له والاحشاء في ذاته ومعاشه ودينه ثم انظر
ما الذي يباعده عنه بعد الاعذار والانذار فالحق اليقين اذا انه ما اصابنا من حسنة فمن
الله وما اصابنا من سيئة فمن انفسنا وسوء اعمالنا والحمد لله هذا قال عز من قائل فما
لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ذلك سبيلا وله الحمد على سبيل التفقه في كتابه العزيز
وان بالتدبير يزداد التفكر ويثوب بعضه من بعض بمجوز التفقه فيه والفهم عنه فانتظم
هذا بما قبله وبما يجوز في بابه في القران العزيز ليحقق تدبر القول اي قابلت بعضه الى بعض
وناظرت بين فصوله ومعانيه قال الله عز وجل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
وقال جل قوله افلا يتدبروا القول يعني يتعرفونه بصدق وابتنا بعضه على بعض ومطابقة
بعضه بعضا فهو واحد من لدن واحد واحد لو كان من عند غيره لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
فهذا يدلك ان شاء الله عز وجل ان القران كله نزله منزله جل جلاله ليعلم وليفهم لكن
ليس ذلك الا للعالمين الا ترى ان مخاطبهم تدبرت الامور وتطلبت مباديها وما لها وتقديم
ما هو اولى بالتقديم منها وتاخير ما هو اولى بالتاخير وكيف ومتى واين كذلك تدبر القول
على هذا النحو **فصل** لما كان العالم كله اوله واخره علوه وسفله ظاهره وباطنه محكما
متقنا متسقا متسق الاختلاف وربما كان مختلف الاتفاق راجعا بجملته الى الاتفاق
مفصلا وموصلا مصورا احسن تصوير مقدرا احسن تقدير قد اعطى منه صانعه جل جلاله الحكيم
ما هو اولى بالعلو وكسفله منه ما هو اولى بالسفل واظهر ما هو اولى بالاظهار وابطن ما هو اولى
بالابطان ذلك لان فاعله واحد حكيم وجاعله احد صمد ومدبره رحمن وكذلك كان كتابه الحكيم
متفقا متشابها شاهدا بعضه بعضا قد نزهه منزله جل جلاله عن الاختلاف وباعد عنه منزلة
التناقض هو الحق وقوله الحق وفعله الحق وحكمه الحق لا اله الا هو العلي الكبير وكما يعرف الانسان
كلام المتكلم قد تقدمت به معرفته وان كان بكلمة من وراء حجاب فكذلك يتعرف كلام ربك
في القران وغيره من الكتب اذا كنت قد عرفت من اسمائه وشواهدها ذات عالمه علوه وسفله
قوله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى
اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم هذا كلام منتظم بما قبله من ذكر المنافقين والمتناجين
منهم بالاثم والعدوان ويحزن الذين امنوا وقد يرد بوجه الى ما تقدم من قوله عز قوله فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا
والاول اوجه **فصل** ذكر اهل النقل ان هذه الاية نزلت في ايلاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ازواجه وقول القائلين طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه واكثروا وافشوا ذلك
فاستاذن عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اطلقت نساءك فقال لا وهذا وان كان
فيه شوب من معنى الاية ولذا ناطته بقول الله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا
به بجده غير محيط بمعنى ما قد صدر به الخطاب اولا والله اعلم ان يكون قوله امر من الامن

مصروفا

مصروفا الى قولهم هذا من شان الايلاء وقوله عز وجل او الخوف المراد به تناجيهم بما
يروموه تتغلغل قلوب المؤمنين وتحزنها وقوله ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه و
والى اولي الامر اي الامراء وقواد الجيوش والعالمين باخبار عدو المسلمين وبباطنه رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي الامراء والخبير المناجي به منهم اي من امر الجيوش وخاصة
الرسول ولم يقل جل ذكره ولا اخبرهم بذلك اي الامراء والخاصة لما عسى ان يجوز في ذلك من
افشاء سر معتد لنكاية عدو او لامر يريده الله عز وجل ورسوله والمؤمنون وقد عديت
هذه الاية الى الفتيا في النوازل وليس بمعطي ظاهر الخطاب هذا لقوله واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به اللهم الا باخره واستعمال التاويل وتحرير قياس وقد درج على ذلك الجمع الكثير
والجم الغفير وعسى ان لفقههم ذلك على كثرتهم شوبا من الصواب والله اعلم بل انما يتميز ذلك
بغير هذا من دلائل الشرع **فصل** ان كان هذا هكذا فاهل الامر هنا هم اهل الفقه و
الورع في دين الله عز وجل في قسم الامن قديما كان الامن هؤلاء هم خلفاء الله عز وجل في الارض
وخلفاء الرسل عليهم السلام في الامم وان كان الولاة من غيرهم فالرجوع اليهم بظاهر
الحكم طاعة لله والرسول لقوله عليه السلام اسمع واطع ولو لعبد مجدع الاطراف وفي اخرى ولو
حبشي كان راسه زبيبة وفي اخرى اسمع واطع وان اخذ مالك وضرب ظهرك ولا تنزع
يدا من طاعة واما اولو الاحلام الذين هم اولياء الله وخلفاؤه في ارضه فالتسليم والطاعة
واجب لهم ظاهرا وباطنا قال الله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولان العلماء ورثة الانبياء عليهم السلام فطاعتهم
في السر والعلانية واجب قال الله عز وجل الذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة وامرهم
شورى بينهم ثم قال جل من قائل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا
قليلا انتظم هذا بما قبله من ذم النجوى ونهي المؤمنين عنها لانها من الشيطان انما النجوى
من الشيطان ليحزن الذين امنوا ليتقوا الله جل قوله للمؤمنين ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في تنبيهه لكم وتثبيته اياكم لاتبعتم الشيطان الا قليلا المستثنى هاهنا من وجهين احدهما
لا تبعتم الشيطان انما المؤمنون الا القليل منكم ممن لم يجعل الله عز وجل عليه سلطانا كما قال
جل من قائل وقليل من عبادي الشكور والثاني ان يكون استثناء من جملة عمل المؤمنين فلولا فضل
الله على المؤمن ورحمته لاتبع الشيطان في خطواته وامره له بالفحشاء والمنكر حتى
ربما لم يبق له من الايمان الا القليل وربما كان ذلك القليل النطق بالتوحيد قد وهنه
المعاصي وغمرته الخطايا كما قال جل من قائل فلا يؤمنون الا قليلا وقد سمى جل جلاله
ذكر المنافقين وايمانهم قليلا في قوله يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقليل
هؤلاء وكثيرهم قليل غير متقبل وقد قيل انه استثناء من قوله جل قوله لعلمه الذين يستنبطونه
منهم اي انهم لو ردوه الى اولي الامر منهم والى العلماء لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا القليل
منهم فالا القليل من العلم المستنبط اذ لا يحيط المخلوق بالعلم ولا كل العلماء يعلمون كل
العلم فاستثنى هذا القدر لصدق قيله وكمال اخباره عن الحق الذي هو اهله وحقيقة الاستثناء
هو استخراج باطن المعنى من ظاهر القول **قوله** عز وجل من يشفع شفاعة حسنة

يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل والاية الكفل المثل هنا
قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين
من رحمته اي مثلين واجرين اجر الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجر الايمان بما انزل
من قبل والكفل الحظ والنصيب على المعهود من التضعيف والتقليل لما كان من عز و
جل ذكره ان يعطي هذه الامة على الحسنة عشرا الى سبعين الى سبع مائة الى ان يوحي
جل جلاله بغير حساب ذكر جل جلاله النصيب في جنب الحسنة اذ النصيب يكون كثيرا
ويكون قليلا كما قال جل قوله مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا وقد ضمن جل جلاله
المضاعفة فهو اذا هنا في موضع الكثير ولما كان الكفل المثل جعله في جنب السيئة
كما قال جل من قائل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها **فصل** شاهد ما ذكرنا
حديث الاجارة وانه يعطي الاجراء كلهم قيراطا قيراطا يعطي الاجيرين منهم قيراطين
قيراطين ولما اعطوا قيراطا قيراطا واعطي هؤلاء قيراطين قيراطين قالوا
ما لنا اكثر عملا واقل عطاء قال لهم ذلك فضلي اوتيه ما اشاء قال الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا
تمشون به ويغفر لكم ثم قال جل من قائل لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل
الله فان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فما اعطاه الاولين
هو كفل ما عملوه اي مثله والله اعلم بمقداره بالاضافة الى العمل في القلة والكثرة وما
اعطاه المتاخرين نصيب الى ضعف ما اعطاه اولئك كما قال جل قوله ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وذكر
هذا عن سبيل الوعد والبشارة بالتضعيف المذكور وجاء في الكتاب الذي يذكر انه الانجيل
وذكر مثل المستاجر والمستاجرين على نحو ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
العتمة الاولى من النهار والساعة السادسة والعتمة التاسعة وهي التي عبر عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعصر وان المستاجرين فيها هم هؤلاء اعني هذه الامة وزاد فيها
هنالك اعني الكتاب الذي يذكر انه الانجيل مستاجرين في العتمة الحادية عشرة وهي والله
اعلم وقت نزوله صلى الله عليه وسلم وهم العاملون معه يومئذ فلما انقضى النهار قال لصاحب
الكرم لوكيله ادع الاعوان واعطهم اجرهم وابدأ بالآخرين حتى ينتهي الى الاولين
فبدأ بالذين دخلوا في العتمة الاحد عشرة واعطى كل واحد منهم درهما فاقبل الاولون
وهم يرجون الزيادة فاعطاهم اجرهم الى اخر المعنى قال صلوات الله وسلامه عليه ما
هو متفق مع اخيه محمد صلوات الله وسلامه عليهما قال محمد ان امته يعطون قيراطين قيراطين ومن
قبلهم من اهل الكتاب يعطون قيراطا ثم جاء خبر عيسى عليه السلام درهما درهما وكلامه هذا
على الذي في العتمة الحادي عشر وانه جل ذكره سوى بينهم وبين صدر هذه الامة الصحابة
والتابعين الى ان يأتي هو ومن يكون معه من الصالحين فظن اولو هذه الامة انهم يستحقون
الزيادة لما بدأ بالآخرين وهم الذين يجيئون معه فاعطاهم درهما فظن الاولون بطول
مقامهم انه يزيدهم على الآخرين فكان ما اجابهم والله ذو الفضل العظيم **قوله**

عزوجل

عز وجل وكان الله على كل شيء مقيتا هو من القوت يقيت كل عبد بقدر عمله وقدر
هو من الحظ ذكر ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل فيه بمعنى مقتدر ومقدر
والاوجه انه ماخوذ من القوت او القوت ماخوذ منه فيشمله اسم المقدر وهو الذي قدر
الارزاق والعطايا والمنع في الدارين وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى
اثما ان يضيع من يقيته وفي اخرى من يقوت والمفهوم من معنى هذا الاسم في رأس هذه
الاية انه يزن ما يشاء لمن يشاء كما يشاء بوزن يجعل في القلوب يومئذ الرضى به وفي العقول
تعديله كما جعل جل جلاله موازين الدنيا ومكاييلها وهو من معنى اسم المقدر **قوله**
تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها هي تحية السلام والله اعلم وانتهى
السلام الى البركة فقد قيل في بعض الروايات انه يريد الى المغفرة فيقول الراد وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته وقيل التحية هنا بمعنى الهدية والله اعلم في قبل
هدية مطلق مهديها الجزاء عليها فليرد مثلها او افضل منها قوله جل قوله ان الله كان
على كل شيء حسيبا اي مكافيا اذا كان الحسب ساكنة السين كان بمعنى القدر هذا على حسب هذا
اي على قدره واذا حركت السين كان المعنى المراد به الشرف وقد يجيء على ذلك بمعنى القدر
تقول ليكن فعلك على حسب احسانك ويريد التحية في مقابلة السلام والسلام من الله جل
جلاله على عبده ومن العباد بعضهم الى بعض والتحية من العباد الى الله يقول العباد في صلاتهم
التحيات لله اي الملك لله والينا الحسن وكل اسم من اسمائه تحية لذلك جمعها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله التحيات لله ثم قال الصلوات لله والطيبات اي الكلمات الطيبات الزاكيات
المباركة لله وقوله وكان الله على كل شيء حسيبا اي مكافيا كلما ذكره العبد باسمائه
وصفاته ومدائحه وطيب القول وزكيه ومباركه ذكره الله مما هو باكله العبودية
كقوله حين يقرأ الحمد لله رب العالمين الى اخره حمدني عبدي اثنى علي عبدي مجدني عبدي
فوض الي عبدي الحديث كذلك اذا قال لا اله الا الله والله اكبر يقول الله جل ذكره صدق عبدي
لا اله الا انا وانا اكبر ثم كذلك الى اخر الذكر فهو يكافي بذلك عبده كما ذكر في قوله اذكروني
اذكركم ثم يجازيه على ذكره بثواب كما جعله ثوابا لذلك العمل والذكر والحب والله اعلم ما
يذكره به لاجل ذكر العبد اياه والا فانه هو ما قد قدره ثوابا له من اجل ذلك العمل والقول
بهذا قوله لا اله الا هو من افضل ما يجزيه جل ثناؤه **قوله** جل ثناؤه الله لا اله الا هو
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله لما ذكر جل جلاله الكافرين والمنافقين
واهل الكتابين وذكر جل جلاله المؤمنين وعلمهم من سنن من كان قبلهم وقدم من ذلك
كله صدرا ذكر يوم الجمع وانه لا ريب فيه وانه الصادق في حديثه الحاكم بين عباده بآية من القرآن
العظيم قوله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا **قوله**
تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الى قوله جل قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما حرم الله تبارك وتعالى قتل النفس المؤمنة الا بالحق وهو ان يكفر بالله بعد ايمانه او يزني
بعد احصانه او يقتل نفسا بغير نفس وقتلها على اربعة اوجه قتل خطأ والخطأ حال لا يقال
فيها له ان يفعل ولا يفعل وعلى ذلك متى وقع ففيه اداء دية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة

الا ان يصدقوا بالدية هذا اذا كان مؤمنا من قوم مؤمنين فاذا كان المقتول مؤمنا
من قوم بيننا وبينهم ميثاق فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله ايضا فان كان
مؤمنا من قوم كافرين لا عهد لهم ولا ميثاق بيننا وبينهم ميثاق فتحرير رقبة مؤمنة ودية
مسلمة الى اهله ايضا فان كان مؤمنا من قوم كافرين لا عهد لهم ولا ميثاق بيننا وبينهم
فتحرير رقبة مؤمنة لا غير والوجه الثاني قد تقدم ذكره وهو القتل بالحق كمن بعد ايمان او زنا
بعد احصان او قتل نفس بغير نفس والوجه الثالث ان يقتلها القاتل لغرض من عرض
الدنيا وقد جاء هذا في الاية التي تعدها يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
الاية فهي من اكبر الكبائر بعد الشرك بالله والوجه الرابع ان يقتلها لانها مؤمنة متعمدا كما
كما قال عز من قائل وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد فهذا ظاهر قوله جل وعز
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما وهذا الخلد في النار لا محالة وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وربما يبلغ القاتل في قتل المؤمن هذه المنزلة
فيرد الى المنزلة التي دونها وهو ان يقتلها لغضب وعرض ما من اعراض الدنيا منافسة
على شيء او لمعنى ما يغير ما هو مؤمن يقاربه ويسميه بها لمقاربتها فربما كان من جزائه ان لا يوفق
الى توبة فيتعرض الى سوء الخاتمة الى قوله عز من قائل وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا نفى له عن
الوصف بالايمان ومنع من اطلاق الاسم عليه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل هذا
الامر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين
يشرب وهو مؤمن ولم يبق الاسم الا لقاتل الخطا حسب فرجع الحكم الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فاشبه قول الله جل ثناؤه ولو شاء الله ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات فمنهم من امن ومنهم من كفر نعوذ بالله من ذلك الشقاء
قوله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
ان يفتنكم الذين كفروا انتظم هذا بقوله جل قوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
فتبينوا بالعطف عليه وروت عائشة رضي الله عنها انها قالت فرض الله عز وجل الصلوة
ركعتين ركعتين فزيد في صلوة الحضر واقرت صلوة السفر وروي ايضا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال وضع الله عن المسافر الصيام وشطر الصلوة وهذا رواه عمرو بن امية
الضمري وهو حديث احاد على صحته وظاهر ما روي عن عائشة رضي الله عنها انه حديث احاد
وقد استدلت الائمة بدلائل غير هذا وهو القصر في السفر والاتمام في الحضر وما عدا ذلك
فهو خبر وسيلة العلم ولا يثبت الا بما نقل نقل تواتر وقال عز من قائل فاوحى الى عبده ما
اوحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض علي خمسين صلاة لكل صلاة ركعتين فتمت بذلك
مائة ركعة عدد اسماء الله عز وجل سبحانه فقد جاء الحديث انه سبحانه قال هي خمس وهي خمسون
لا يبدل القول لدي فخمس صلوات نوبرها على عدد ما تقدم ذكره ثم نزل جبريل صلى الله عليه وسلم
ثم صلى فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر الصلوات فاكمل الصلوة الحضرية واقر
صلوة السفر على ما كانت عليه فصلوة السفر معلومة من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكذلك صلوة الحضر واجمع العلماء رضي الله عنهم ان السفر الذي هو الحج والعمرة
والهجرة وكلما هو قربة الى الله عز وجل يقصر فيه الصلوة ولم يكن دخل في خطاب الحكم
القصر في السفر سفر التجارة وجميع المباحات فانزل الله جل ذكره واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة فرفع جل وعز الجناح عنهم بهذا الخطاب وهو
كلام قائم بنفسه غير محتاج الى غيره ثم حذف جل وعز كلاما عطفه على هذا الظاهر
تقديره ولا ان تقصروا من القصر ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وما كان نعمى الكلام
مما يعبر به عن مراده جل ذكره ثم علمه كيف يقيم بهم الصلوة حال الخوف اذا كان فيهم
فروي انه صلى بهم ركعتين ثم روي انه صلى بهم ركعة بطائفة وركعة بطائفة ويتم
هؤلاء وهؤلاء لانفسهم صلاتهم وروي غير هذا وجاء ان صلوة الخوف على قدر الخوف
فلا من فاذا امنوا بعض الامن صلوا ركعتين وان خافوا فعلى قدر الخوف حتى قالوا
سجدتين قائما فان لم يقدر على سجدتين فسجدة يومي بها فان لم يقدر فتكبيرة يكبرها
حيث كان وجهه وان الصلوة هي لذكر الله عز وجل فيومي بها ويفعل في ذلك على قدر
استطاعته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعي الى طعام فليجب فان كان مفطرا اكل والا
فليصل وان كانت هذه صلوة لغوية فالضرورة تنزل الصلوة الشرعية الى حكمها
والله اعلم ثم قال عز وجل فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على
المؤمنين كتابا موقوتا قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما اراك الله الحق هنا عبارة عن الروح من امر الله والملك النازل به وعزما
هو منزل منه وبه والى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ينزل الملائكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال جل قوله نزله روح القدس من ربك
بالحق وقوله جل قوله لتحكم بين الناس بما اراك الله اختلف العلماء المتقدمون والفقهاء
رضي الله عنهم في معنى قوله بما اراك الله وتجاذبوا في معناها فقال القائلون بالقياس
انها معبرة عن اباحة القياس وقال خصماؤهم من القائلين بالظاهر بل هي محضة
وقالوا معناها بما انزل الله اليك وذكر في كتابه وفصل الخطاب في ذلك والله اعلم
بما اراد ان الوحي الذي بلغنا اليه صلى الله عليه وسلم ثلثة الله اعلم بما وراء ذلك منها القران
وهو كلام الله ينزل به الملك على قلب الرسول صلوات الله وسلامه عليهما الذي ليس للرسول
تغييره عما هو عليه ولا تبديل عبارة بعبارة قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع
الا ما يوحى الي والوجه الثاني احاديثه صلى الله عليه وسلم وتوصلها الينا من وجهين احدهما
ان ينزل به النازل فربما نزل الملك عليه السلام بالحكم فيها والشفاء منها او يحكم هو فيها بامر من حكمه
قد جعلها الله عز وجل في صدره وملا بها قلبه في اول امره كما قال عليه السلام فنزل جبريل
فشرح صدري من مكان كذا ثم شق قلبي فغسله ثم جاء بطست مملو حكمة وايمانا
فافرغ في قلبي ثم بارك له في ذلك وانشاه فيه انشاء حتى بلغ به منتهاه قال الله عز وجل
وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وهذا
النوع من الوحي مباح للرسول عليه السلام التعبير عنه بعبارته وبما يلقي اليه الملك عليه السلام

من عبادة ثم العلماء ورثة الانبياء عليهم السلام درسوا القران والسنة واتاهم الله
علماً يتقوا الله عز وجل فيما اثنى عليهم يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
الاية وقال جل قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون وقال
جل قوله وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون فلولا ان الله
جل ذكره قد جعل في قلوبهم علماً وحلماً لم يكن للتفكر اثارة وهو اشارة الى علماء الامم
في مقابلة ما عبر عنه القران العزيز من قوله كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم
قال جل قوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا وليس كل نازلة يكون في القران نصها ولا في ظاهر
الحديث لذلك قال جل قوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فقد تقدم ما هو الاستنباط وقد جامع هذا في القران العزيز والحديث نصوص تزجر
ظواهرها عن القول بالقياس واغاذك تشديد عن الاغراق فيه وتركيب قياس على قياس
وتسلسل ذلك ويكون ايضاً زجراً عن ترك النصوص والظواهر والعدول عن ذلك الى
القياس والقول بالراي دون ضرورة تلجي الى ذلك لا سيما من قل علمه وضعفت رويته
ولم يكن له ثقافة في هذا الشان كما قد جا نصوص وظواهر حظا مجملة وعمومات تحض على القول
بالراي والقياس الصحيح المنصور بالبرهان ثم قال جل قوله ولا تكن للخائنين خصيما نزلت
في طعمة بن ابيرق وكان قد سرق درعا وجعله في دار يهودي وقال سرقتم في دار اليهودي
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عذر عنه لوجدان الدرع في دار اليهودي **قوله** جل قوله
وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما هذا الكلام
منتظم على فهمي والله اعلم بقوله جل قوله ام لهم نصيب من الملك الى قوله جل قوله ام يحسدون
الناس على ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما
فنظم هذا بقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين
خصيما ثم عطف جل جلاله على موضع قوله ام لهم نصيب من الملك وقوله ام يحسدون الناس على
ما اتاهم الله من فضله فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وانزل الله عليك
الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ومحمد جل جلاله موضع البشارة بالملك لانه والعرب
من ال ابراهيم كالمعهود من خطاب القران في ذلك وفي هذا الخطاب ان الوحي ثلثة انواع والكتاب هو
القران والحكمة هي السنة وحديثه الماثور عنه والثالث ما سبق اليه من عهد النبوة التي اقامها في النبي
مقام كفطرة الاسلام للمسلم وعلمك ما لم تكن تعلم يعني وهو اعلم جل جلاله ما ملأ به قلبه وشرح
له صدره من الايمان والحكمة في بدو شانه وما اوحى اليه بعد بالروح من امره كما قال جل قوله
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا فهذا والله اعلم تاويل قوله جل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما في بدء الامر قيل له يا رسول الله متى كنت نبيا قال وادم بين الروح
والجسد وقال الله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله جل قوله فاشهدوا
وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون المعنى الذي

بهذا اهل الكتاب ثم كل من ابى وتولى فهو ايضا معني به ومعناه حيث جاء تاويل قوله
وكان فضل الله عليك عظيما والكتاب كلام الله جل جلاله انزل اليه بالحق من لدنه ودراية
صلوات الله وسلامه عليه ما فيه هو الحكمة العليا المتصلة بالروح من امره ولذلك بيّنها
الله عز وجل على لسانه شهد له بذلك العليم الخبير في قوله جل قوله وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى وقال جل قوله وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ثم قال
جل ذكره ولعلكم تتفكرون فارانا وله الحمد السبيل الواضحة ان في مسالك الفكر الصائب
ضياء الحكمة وانوار المعرفة بقوله عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ثم قال جل قوله ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
فاخبر جل جلاله بصدق قيله انه جعل من امره من الروح نورا في قلوب عباده يهدي به من يشاء
منهم لاصابة الصواب ومنهاج الحق المبتغى وتلك هي الوراثة التي اورثها جل جلاله
عباده المؤمنين واولياءه الصديقين من تركة انبيائه ورسله وهذا منبعث الحكمة وحقيقة
منتهاها الى علي منبعها في المؤمنين ثم في الصديقين ثم في الانبياء والمرسلين وقد
اخبر الله جل جلاله ان منبعث اعلاها هو الروح من امره المنزل على رسله فهو احكم الحاكمين
وهو الحكيم العليم **قوله** تعالى فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه يعني وهو اعلم الكتاب
وخص ضمير الكتاب بمقصود الايمان به او الصد عنه لتضمنه الحكمة فان من امن بالكتاب امن
بالحكمة وكذلك الحكمة مع الكتاب ومعرفة الايات في الوجود من الحكمة والحكم بالعقول والنقول
من الحكمة وقد يعبر بالحكم عن الحكمة اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وقال جل
قوله ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة فلفظ الحكم يتردد بين معنى حكم الحكام
الذين هم الخلائف للرسل والانبياء عليهم السلام وبين الحكمة ومعنى الحكمة يتضمن الوجهين
معا وخاصة الحكمة معرفة الحق والعمل بمقتضاه على سنن المرتضى ولقد اتينا لقمن الحكمة
ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد فهذه جملة معبرة
عن جملة الحكمة علما والعمل بها ثم جعل جل جلاله يخبر عن اصابته في القول وفصل الحق قولا
وعلما الى قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير فالحكمة اذا هي معرفة حقايق الموجودات كيف وجدت
ولم اوجدت وما المراد بها والى ما تؤول ومعرفة صانعها وجاعلها فيها ثم العمل بما يوجب الحكمة
فهو الحق المبتغى والسنن المرتضى هذه عبارة عن الحكمة في تعرف الموجودات ومعرفة حقايق الموجودات
يرجع الى اربعة اركان احدها معرفة بداياتها ثم معرفة نهاياتها ثم الوقوف على ظواهرها ثم معرفة
بواطنها بالكيف ان كان المنظور فيه من الكيفيات ومعرفة لم اوجده موجده وهل هو من قبيل اليمين
فيوالي او من ذوات الشمال فيعادى ويتبرى منه ان كان من المتكلفين وباطن العبد المنقاد
للحكمة منير مضيء فهو شمس الباطن بنورها تميز صورة بواطن الموجودات خيرها وشرها
نفعها وضرها وهذا النور منبعث من حقيقة القلب المعمور بنور الايمان وهو عين شمسها
لا افول لهذه الشمس الا في حجاب الغفلة ولا فنود لها في عين البصيرة منبسط على افاق
القران بل الحكمة بنور الايمان اشد اضاءة واثقب نورا من نور الشمس في الظاهر وكما
ان الشمس الظاهرة تستنير بها الابصار فيميز بها المرئيات فكذلك الحكمة بنور الايمان

في الباطن واكد مطلوب الحكمة معرفة العبد ربه هذا بالرجعة والنية واما من حيث
تنا وشرف الطلب فاكد ما عليه طلبه معرفة نفسه حتى يعرفها على معرفتها ظاهره وباطنه فمن هنالك
فعرف ربه جل جلاله ومن لم يعرف ربه الا بمخلوقاته او بانشائها فلم يعرفه الا معرفة اسما وصفات
انما يتحصل حقيقة المعرفة بما صنعه لنفسه خاصة وهذا فصل من الحكمة بعيد غوره جدا
وهو مع ذلك قريب متناول شريف نهايته فافهم فالحكمة فاعلم هي الحق المخلوق به السموات والارض
وهو ما اقتضته اسماؤه الحسنى وصفاته الكاملة العليا فاكحل عينك بكحل السهر والزم نفسك
دأب التذكر وترداد التفكر واضرع الى مالك عصم الاصابة جل وعز واوعد بالسكانة والافتقار
اليه عيناه ان يوتيك نورا تمشي به في الظلمات وفرقانا تعرف به المشتبهات ولعله بفضله العظيم
يطوي لك المراحل ويرفعك الى شرف المحال فيجمع لك المرائي بعالي الدرجات سبحانه وله الحمد لا يقدر
على ذلك سواه واعلم ان من خاصة الحكمة انها لا تجهل شيا وانما نورها مع بواعث حظ الامر
وربما سبق نورها واسبط ضياؤها على خلي من الذكر وعسه من بواعث الخاطر فكان الهاما
فافهم وليعلم طالب الحكمة ان العبد قد جمع الله فيه العالم كله وقد تقدم ذكر هذا فيه الجوهر
المركب منه الجسم الظاهر الملازم له العرض فله منه طول وعرض وعمق ولون وطعم
ورائحة واشتغال مكان وجوهر باطن هو النفس والروح والعقل وسمي هذا جوهرا
من حيث هو اصل ولهذه العلة سمي الجوهر الذي ركب منه الاجسام وكذلك العرض عرضان
عرض باطن وهو مقول على صفات العبد مثل الحلم والعلم والقدرة والارادة والفطنة
والعجز والكيس ونحو هذا وعرض ظاهر يعتري الجسم من لون والم ولذة وغير ذلك
وسائر الاعراض فالعقل الذي زكاه الايمان هو العقل على الحقيقة والعقل المكتسب استكمال المعقولات
سهم له في ذلك قول الخضر عليه السلام ما علمي وعلمك في علم الله الا كنقرة هذا العصفور من هذا
البحر فالعلم مع المعلومات كذلك تكمل له وتتميم فقد يجب ان يقال في هذا العقل المكتسب بكثرة
المعقولات من هذه الجهة واما العقل الاول المذكور الذي زكاه الايمان ونوره اليقين
فهو شمس الباطن به تبصر البصيرة مطلوبها وهي الحكمة وفيه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الرجل ليصلي الصلوة فما يكتب له منها الا نصفها والا ثلثها حتى بلغ عشرها وقوله
عليه السلام في المصلي انه اذا صلى فانما يناجي ربه فلينظر بما يناجيه وقوله صلى الله عليه وسلم
اذا صلى احدكم فان الله قبل وجهه اذا صلى وقول الله جل ثناؤه انا مع عبدي ما ذكرني
وما تحركت بي شفتاه واذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير من ملائه واطيب فانما ذلك كله بقدر ما عقل فافهم **فصل** الجاهل
من جهل صورة الجهل ومن عرف صورة الجهل فقد عقل عقلا ما ومن جهل صور الحكمة
جهل نفسه ومن جهل نفسه كان لغيرها اجهل ولذلك افرط بالاكثرين الجهل الى النظر والى
الحكمة على زعمهم حال الجهلهم فجعلوا الحكمة هو العلم بالاشياء الاولية الابدية الدائمة
عندهم فطلبوها في الموجودات وقاربوا في الاشياء بمقاربة المطبوعات فنوعوا الانواع
الانواع التي هي اواخر الكون وتمامه ثم ردوها الى الاجناس التي تعلوها ثم الى اجناس
الاجناس حتى انتهوا بزعمهم الى الاول المخترع من قدرة الباري سبحانه بلا متوسط

وهو الروح

وهو الروح المنفوخ منه في ادم عليه السلام وحدوه حدا وجهلوه علما فقالوا هذا يعطي الاشياء
اسماءها وحدودها فقالوا فيه ثم ما هو لان حد الحق عندهم ما هو وحد الباطل عندهم
ما ليس هو وقد يحد وبه ايضا بان حده وصف الشي بغير ما هو وهو كثير عندهم فيتعبد المتعبد
منهم ما لم يبلغ علمه الى ما هنا ثم من هنا سقط عنهم اصل التكليف لانه بزعمه قد بلغ الى
ان تعلم انه ما هو الا هو الحق هذا هو الضلال البعيد نسال الله الغفور الرحيم معافاته
ومغفرته ولهذا نال فرعون ومن تقدم من المتاهلين ولما جاءه رسول رب العالمين موسى
وهرون صلوات الله عليهما وسلامه فقالا له يا رسول رب العالمين قال لهما وما رب العالمين اني
رب العالمين حق وانا حق ايضا فعرفه موسى عليه السلام باخص تعريف مما تقدم بان قال صلوات
الله وسلامه عليه رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وكان موسى عليه السلام عرفه بالحق
والى به واخبر بالحكمة وجهلها فرعون لجهله بجهله فاجابه فرعون بان ترك مخاطبته لانه
عنده ليس اهل المخاطبة وذلك لجهله به فقال فرعون لمن حوله الا تستمعون تعجب من حضره من
موسى عن جهله هو فارد فه موسى عليه السلام تعريفا اخص بهم مما تقدم ذكره لعله ان يفهم عنه بقوله
عليه السلام ربكم ورب اباءكم الاولين فتحقق جهل فرعون الجهل بنفسه وتقوى عنده ضلاله وفتنته
بانه هو الحق الذي يقال له ما هو فقال لمن حوله لا تخاطب موسى ولا تواجهه لجهله بان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون اذ لا يعرف هذه الحقيقة التي عنده من جهله بنفسه فدين لهما الذي
يقال له ما هو ولما كان هذا المعنى الذي هو اول الموجودات في كل شي موجود وهو المعنى الذي
يخاطب المحقق وشهد عند اولي الالباب بما هو عليه من الحدث والعبودية والافتقار الى البارئ
جل ذكره بما هو عليه من العلاء والغنى وحقيقة الربوبية وسمات الجلال ونعوت التعالي وسبح
الله وحمده وحدوه ايضا في الموجودات وجدا لا هداية بل جهلا وعمى عنه معبد والاله
ذلك بجميع الموجودات ودانوا لها بالخضوع والعبادة فكفروا الخالق جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه الشهود له فيها وبها ومنها بالحق ومنهم من اشرك به فكان ضلالهم
من حيث هداية المهتدين تقدير من عزيز عليم فما من احد عبد غير الله هداية او ضلالا
خطا او اصابة قال الله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان
يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقال جل قوله وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن
لا يغني من الحق شيا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى سبحانه وله الحمد المحمود بكل
لسان المعبود بكل وجهة وبكل معنى ما اشبههم بالفراش في ضياء النار تتهافت فيها
هلاكا كما اهتدى بها مستوقدها ومن استضاء بها لقضاء حاجته كذلك هلك هؤلاء
بما اهتدى به المعتبرون المؤمنون والحمد لله رب العالمين **فصل** من الاحكام في طلب
الحكمة ان يترقى بالنظر في الموجودات اعدادها وظواهرها وصنعتها الصانع فيها جل
جلاله الى من هي له وفي هذا الفصل معرفة الصانع والصنعة في درجات المعرفة به ثم الى
كيف هي ثم الى لم اوجدها موجدها جل ذكره فهجم بك حينئذ العلم الى سر شريف تبصر منه مستوى
الخليقة فيه الحق بكماله ان كنت ممن ترى فان كنت ترى فترى بما له غاية مما لا غاية له
وبما له ضد ما ليس له ضد في ذاته بل احد ولا منفصل عنه بضاده هو السلام المؤمن وبرى

بما الخارج من ذاته بل قصر على وجود نفسه او قارب ذلك ما ليس بخارج من ذاته شيء
بل هو وجود حي وجوده العلي وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العلي الكبير
لذلك قال جل قوله للقلم اكتب علمي في خلقي وقال جل قوله وهو على كل شيء قدير
ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون لانه لا غاية له لا يشذ شيء عن وجوده العلي
هو كل الكل كل موجود وكل ذي وجود ليس هو قائما بذاته تجده خارجا من ذاته وهو
مفتقر الى سواه والمستغني عن سواه ليس الا هو وما سواه مفتقر اليه وعبد له فهكذا فلتسلك
في طلبك الحكمة فانه من الواجبات توجه الفكر نحو المعلوم وتوجه الوهم نحو المحسوس
والعقل به تعقل ما يعلم وبحقيقة الايمان رؤية المطلوب يهديهم ربهم بايمانهم فهو
فيما هنالك والهادي اليه والمطلوب العلي وحده لولا الله ما عرف الله **فصل** قد جعل
الله لكل شيء قدرا كما ان البيوت من ابوابها دخلها ومن اباها من غير ذلك عسر عليه مطلبه
ولا ينال احد شيئا الا من حيث جعله الله دركا له ولو رام طالبه بمن في السموات وفي
الارض بل هو لا يزيد الا ضلالا وبعدا عن مطلبه فمن طلب الحكمة من طريق مطلبها ادركها
في يسر وعافية وانما اخطأ اكثر من طلبها لانه طلبها من غير طريقها وبغير سبب الذي
جعله الله عز وجل دركا لها فلما لم ندركها بما تقدم ذكره فلم يطلبها بعد من طريقها
بل كذب بصورتها وجحد في جهله على ان يجهل جهله ويجهل صورة الحكمة لكن كمثل
من قال الله جل ثناؤه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يبدو لك المكنون ان
شاء الله عز وجل ولا قوة الا بالله العلي العظيم **فصل** لولا ان المتقدمين في طلب
الحكمة تطلبوها في مكنون معاني الاسماء والصفات في العالم مع التسليم والايمان ليبين لهم
المطلب لكنهم ضربوا بمنه ويسره يتعرفون الموجودات على ما هي عليه واخذوا في التسافر
والتنقل في العالم يتلمسونه حتى صوروا معمور الدنيا مدائنها وانهارها وبحارها وجزائرها
الممالك والسير والاخلاق والصور وقسموا الدنيا اقاليم ونسبوا كل اقليم منها الى كوكب
وجدوا من ذلك ظاهرا من الامر فلو انهم سلكوا مع ذلك معالم الاسماء والصفات لتبصر
لهم الامر وظهر لهم الحق بنور النبوة بتجلي حق اليقين فان العقل لا يرضى لما حوله الا بالايمان
ولا يعبر من حاضر من حاضر الى غائب فيصيب الا باعلام النبوة ولا يستحق احد منهم
الايمان الا بذلك **فصل** قال الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فكرم الحكمة
على ثلاثة انحاء كرم من جهة النفس والذات وهو العمل بما يرضي الله جل ذكره في طاعته
واجتناب مناهيه عقدا وعملا وقولا وسمتا وطريقة الثاني كرم من جهة الآباء باتصال
ذلك في السلف كيوسف عليه السلام الثالث كرم من جهة الحكمة خاصة وهو معرفة الموجودات
ونعرف ما هو الحكمة فيها على ما تقدم ذكره والنظر اليها بالبصيرة الكمالية على منهاج
ومسالك الاسماء ومعاني الصفات العلى واستشعار الحق الذي به احكم الله السموات والارض
وما بينهما والقصد القصد تبلغوا ان شاء الله ارشدنا الله واياكم ثم لتعلم ايدك الله
ان ذلك مجموع في اسم واحد له في وجود الموجودات اربعة اركان فاياه فاقصد وعلى الله
في طلبك فاعتمد فليس سواه نافعا ولا معينا يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة

فقد اوتي

فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب **فصل** ثم اسم الحكمة متناول فهم القرآن
والتفقه فيه من حيث انه نا وشرح فيه فهم الذكر الحكيم والايات المحكمات كتاب احكمت اياته
فهو الحكيم لما هو كلام الله وهو المحكم من انه مجموع قرآنا عربيا على ما هو به او وصفنا وتفصيلا
وتوصيله الى غير ذلك ثم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يشمله اسم الحكمة ومعناها
قال الله عز وجل واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة ولان حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبين الكتاب فهو حكمة واذا كان فهمه من احاد الامة حكمة فبان
يكون تبيينه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى واحرى بقوله عز وجل وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويسمى ايضا خادم الموسوم طبيعة حكيما وعلمه وعمله حكمة وعلم
بذلك هو معرفة الادواء والادوية ومظانها في موجودات الارض والاحجار والنبات
والمياه والاهوية ومقابلة الداء بما يصلح به من الدواء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فاذا وافق الدواء الداء برأ باذن الله ويسمى ايضا طبيبا
كما يسمى العالم بحكمة الله عز وجل في الشرع فقيها واسم الطبيب قريب العلم بحظ ما من العمل لكن
اسم رفيق اولى به كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت رفيق انما الطبيب الله وانما سموا
طبيعة حكمة الله جل جلاله في هذا العلم عن فيح جهنم بتنفيسها اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها مع فيح هو برحمته بالماء ينزله من السماء يحيي به الارض بعد موتها نفخة نفسي جهنم سعيرها
وزمهريرها فيحكم الله اياته في ذلك بان يؤلف بين المتباغضات ويقرب بين المتباعدات
ويؤلف بين المتنافرات وهي الامشاج انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه بامره
بالهرب من جهنم وطلب الجنة لذلك اعقب قوله الحق جل قوله انا هديناه السبيل اما شاكرا
واما كفورا المعنى الى اخره ولفيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ثلث شعب حر
وبرد ويبس فالحر للنار منها واليبس والبرد للزمهرير فينزل الماء من السماء برحمته وهو
رطب وله البرد لكنه يميل الى الحر والى البرد زائدا الى ما هو عليه منه مع البرد والماخوذ
عن الهواء بقدرة الله تعالى اعاده اياه فتسلط الحر بواسطة الشمس على هذه الجملة
وببرد الماء يحمى بعير ويلين برطوبته من يبسه ويبس الزمهرير فيرفع الى الهواء منه وسط
ذلك وهو الحار الرطب فيخلق الله عز وجل عن ذلك خلقه قال الله جل من قائل وجعلنا
من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون له بان يحيي الموتى من موتهم كما يحيي الارض بعد
موتها ويخلق الله كل شيء بدأ وعودا فخلق الله جل ذكره هذه الاربعة الاصول من موجود
الاخرة واخرجها الى هذه الدار ولما زاوج بينها جعل جل جلاله لكل شعبة منها عملا بما زاجها
من وصف ومعنى وبانفرادها وما انفردت به من كل منفرد من وصف ومعنى وكثر
المخلوقات جدا فتنوعت على ذلك واتسعت في صفاتها واوصافها فخلق الله جل جلاله
خلقه عن ذلك وامال الامزجة الى كل ميل ثم مازج ما مال مع ما استقام كذلك الى غير
نهاية يبلغها الانسان بالحصر وخلق الله على ذلك خلقه وعلى التقليل من هذا والتكثير
من غيره ثم كذلك يخلق الله على ذلك خلقه هذا ابدا كما لا يعجزه صورة يصورها
كذلك لا يعجزه تاليف ولا تركيب يؤلفه ويركبه والله واسع عليم حتى لقد قال

قائلهم العمر قصير والصناعة طويلة والوقت ضيق والتجربة خطر والقضاء عسر

فصل قال الله عز وجل ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال جل من قائل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقال جل قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الى غير حيث جاء وقال ايضا جل من قائل ولله ملك السموات والارض والى الله المصير فملك السموات والارض هو ما دل عليه بالفتح والفتح المذكورين وهو جل قوله والى الله المصير بين ذلك ويظهر جنة ونار كما دل عليهما فيما ههنا بايات ذلك ودلائله واعقب ذلك بقول الحق جل قوله الم تر ان الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله هذا وجد اياته على الملك المذكور فى الاية ثم قال جل من قائل وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء وهذه ايات على الوعيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار اشتكت الى ربها الحديث وقال جل قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال جل قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ثم عظمه جل ذكره بقول الحق وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهذان النفسان مقسمتان على مواقع النجوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشمس ما يرتفع من قصمة الا فتح لها باب من جهنم وهذا عام فى منازل الفلك فالنجوم ارتفاعها ونزولها وفى كل ارتفاعها كل يوم فى الجو الى كبد السماء وقال جل قوله فيها اذا كانت فى محلها قبل الزوال حينئذ تسجر جهنم فقسم الله جل جلاله ذينك النفسين على مطالع الشمس ومغاربها حرورا وصرودا كل ذلك بحكمة منه وعدل واثر محكمة الدوائر تقدير من عزيز عليم يقول الله عز وجل افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون به فتنسبون العمل الى الكواكب وسنبين ذلك فى اولى المواضع به ان شاء الله تعالى حدوا المعلوم طبيعة بحدود قالوا الطبيعة اسم مشترك يقال على الخلق وعلى كل مطبوع بطبيعة ومخصوص بها قالوا وقد يقع على الاخلاط والكيموسات الاربعة وهذا قول خاص من قولهم على الخلق لو خلصوا المعنى على الحد فانهم حدوا الطبيعة بزعمهم فقالوا الطبيعة اسم مشترك على الخلق وعلى كل مطبوع وتدوير القول فى الحد غير سائغ كتدوير البرهان فى البرهان وذلك غير جائز فى البرهان قالوا ويقع على العناصر الاربعة التى هى النار والماء والهواء والارض وهذا ايماء من الحق على السنتهم على ما يكون من ذينك النفسين فى الاصل المخلوق منها الخلق لو شعروا المنبعث ذلك قالوا ويقال ايضا على الفلك وعلى القوة الفلكية التى رتبها الباري جل جلاله فى الطبيعة وقدرها على تاثير الكون والفساد والدنو والزيادة والاضمحلال والحركة والسكون فهذا شعور منهم بالحق المنبعث عنه واذ ذلك واصل الى هذه الدار بدوائر محكمة الدوار لو علموا ما شعروا له ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرصون ويظنون كشف عن ذلك القران بقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وسنبينه ان شاء الله وقالوا الطبيعة خاصة حركة عن سكون وسكون عن حركة وهذا وصف الفلك وقال اخرون منهم حد الطبيعة

قوة فلكية يجرى فى الابدان بتوسط الفلك بين النفس والاجزاء وهى هذا الحديث بعينه من معنى قول الله جل ذكره فلا اقسم بمواقع النجوم ولو شعروا بحقيقة المعنى لم يتشتتوا الان وهذا كله ادهان فى الحق وذهاب عن حقيقة المعنى المطلوب ولسان النبوة اعرب واوضح الوجى اجمع وافصح واجل واقرب ماخذا وقالوا ايضا الطبيعة جوهر حكيم بصناعة الاشياء المتقن فان كان مرادهم بقولهم جوهر حكيم بصناعة الاشياء هو الله الذى لا اله الا هو الحق وقع الخطا منهم فى تسميته بطبيعة وجوهر والا فهو بعيد عن الصواب اذ ليست الطبيعة التى حدوها من اثباتها وحدها ما يوصف بالحيوة والعلم والقدرة والارادة فيوصف بحكمة وصنع وفعل وصناعة وحدوها ايضا بان قالوا هى حرارة غريزية مقومة للابدان دافعة عنها الفساد على نحو قوتها وهى له مصلحة من الغذاء وغيره وهذا قول خاص على بعض الفعول فى الخلق وهو شر محض اكبر من كفر الذين نسوا ما يفتح الله للناس على عباده من الانواء وهو منبعث من مذهب القائلين بالدهر تخرصا وتصلفا وحدها ايضا بعضهم بان قال الطبيعة قوة فى الاجسام القابلة للغذاء تحفظ صحتها وتبرئها اذا مرضت ويعنى بها العناية التى لا حكم فيها ولا ابرام فى الحكمة منها وهو جوهر خفى مستور عن الحواس وهذه اقوال اكثرها كفر والقول بها والاعتقاد لها ضلال وفيما ثبت بالقران وحديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه من تكفير من اضاف فعل الله عز وجل وتدبيره الى غيره اكرم معتقد لاسيما والعلم مستقر بانها اقوال صادرة عن مذاهب غير صائبة للحق ولا معتمدة على معتقد مرضى وقد نهى السلف عن التوسع الى ما دون هذه العبارات مع العلم بحسن معتقد ووثوق اصلهم فكيف بهؤلاء على ما هم عليه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل تعاطوا القول فى تدبير فضل الله جل ذكره ولم يفهم عن سبيل المرضى زيغ بهم عن حقيقة المعتقد وهم لا يعرفون فيما تدبير الله عز وجل وفعل ملائكته وسنن شريعته فى تكوين خليقته طبيعة فجاء ملموم طبيعة يسمى حكيما لانه يخدم حكمة الله تعالى ويعلمها ويسمى طبيبا من حيث يعلم وجه اللغة وعرف الاشعار قال

فان تسالونى بالنساء فاننى *** عليم بادواء النساء طبيب
اذا شاب راس المرء وقل ماله *** فليس له فى ودهن نصيب

والاولى ان يسمى بما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم رفيق هذا اسمه الشرعى وانما الطبيب الحق هو الله لا اله الا هو الذى لا يخفى له عليل يطبه وليس له من شرط الرفيق الا المعالجة والاخذ العليل بالاولى من الادوية والاغذية على ما يدعو اليه الضرورة ويتلطف فى ذلك عسى ان يبلغ بحسن علاجه دفع ما قدر اذن الله عز وجل فى دفعه وابراء ما قد تقدم تقديره بابرائه اسندفاعا لا ذاته ما اذن الله تعالى لجهنم ان يتنفس به من نفسها المذكورين للاحرار كما لو الى تاليف الادوية الى السهولة وطيب الرائحة وتفرقوا فى ذلك الى حال الا ان الرسل ويقلون من الاغذية ويحتمون بها الى الاغذية حسب الاستطاعة اذ الدواء من قبيل كان اصلا ولذلك تكرهه النفوس ونافرة باول وهلها والاستمداد والاستفاض واخراج الدم على ذلك معالجة لما اكثرته الابدان من عقابيل ذينك النفسين ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث

فصل هذا المشار اليه بانه عالم الطبيعة وهو دار كدينا

اقطعه رب العالمين جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عدوه ابليس اللعين المتعبد
لعنه الله انظره فيه الى يوم الدين فكان الذى من شانه ان ينسب الى جهنم فى هذه الدار
منسوبا ايضا الى ابليس لعنه الله نسبة تامة اما اعمال الحرام والمكروه لله جل ذكره كلها
فتزيينه ورضاه بها وحمله على ذلك بالغرور ونحو ذلك وما كان من موجوداتها
الكريهة من احجار ونبات وحيوان وظلام وظلم وخلق قبيح وانواع الموذيات
ومصائب تصيب من علل واسقام من فقد محبوب فنسب اليه ايضا بوجه ما لانه آفة
الى ما هو عنه منبعثها كذلك جعلها الطبيب الحق الاعلى والحكيم الحق العليم ادوية
من ادواء الاسقام ثم كره الادوية للنفوس على الاغلب فى ذلك لان ابليس لعنه الله مخلوق
من نار السموم واليها يعود وفيها سعيه وبها كدحه واجتهاده وجده فصل
ليست ادواء الابدان والمصائب كلها بنا فعة الا للمؤمن ولا الا الله فى مخلوقاته وآياته
الا للمؤمن واما الكافر فبعد ملعون عن هذا كله الا ما كان فيما سبيله الى الكون قال الله عز وجل
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم قوله عز وجل لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة
او معروف او اصلاح بين الناس رجع جل جلاله الكلام الى ذكر اهل الكتاب والمنافقين
وباخره يعم المؤمنين كان اهل الكتاب والمنافقون يرجفون بالمدينة يتناجون بذلك
وينتقصون الرسول والمؤمنين فانزل الله جل ذكره فى ذلك عدة آيات منها قوله
جل قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة وقال
جل ذكره الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه فكان هذا ما بينا بهم
فاعلم الله عز وجل باستصحابهم ذلك بما فى نجواهم من الخطأ ومفهومه يعلم ان كثيرا
من مناجاة المؤمنين بعضهم بعضا لا خير فيها الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين
الناس لذلك وهم اعلم اعقب الخطأ بقوله ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما دل على صرف معناها الى المؤمنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى
فصل قال الله عز وجل والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات الى آخر السورة وكل شىء فعلا كان او قولا او ما كان لمحصل كله من موجودات
فان كان كله شيئة فكفى به شرا وان كان لغوا فهو خسارة عمر وابطال عمل الكرام الكاتبين
توجهوا بقلوبهم ووجوههم ظاهرا وباطنا الى ربهم عز جلاله واعرضوا عن الدنيا
وطلبوا رضاه فى كل قول يكون منهم او عمل فربحوا على ذلك الارباح الوافرة فى الدنيا
والآخرة وهم المعنيون بقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الى قوله اولئك يسارعون
فى الخيرات وهم لها سابقون وقوله ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير قوله
جل ذكره ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله كل معبود دون
الله عز وجل فهو انثى بالمعنى اذ هو مكفول معول مقوم عليه وبخاصة ما سموها اسمية الانثى
كمناة واللات والعزى وامثالها وذكرانها على اعتقادهم كود وسواع ويغوث ويعوق

ونسرا

ونسرا سموها المعان بعالوا بها ولمعان اراد وهامن ابا طيلهم والموات وما لا روح
له اعرق فى هذا النقص والانوثة كذلك قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا وقال الله جل من قائل اموات غير احياء وما يشعرون
والمريد مبالغ من مارد وهو الذى لا نفع عنده ولا خير فيه يقال من ذلك وملح مرداء اى لا نبت
فيها والمرداء القفر الاملح الذى لا مرعى فيه ولا ظل ولا شجر المارد هو العاتى الطاغى والمفروض
هو المعلوم المقطع والنصيب الذى اتخذه من العباد قد اوجده الله سبحانه وله الحمد فيهم واقطعه
اياه منهم منبعث ذلك هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وقوله جل قوله لاملان جهنم
منك اى منك وممن يكون منك من ذريتك وممن تبعك منهم يعنى من ذرية ادم عليه السلام
وذرية ابليس لذلك نصيبا مفروضا اى مقطوعا مرسوما به ظن ظنه فيهم وزعامة زعمها
عليهم من نفسه الخبيثة بقدر الله تعالى وبقى علمه ليتم كلمة الله واحكام حكمته فى بقاء
مشيئته قال الله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين
وقال ولاضلنهم اى عن هدايتهم التى هى الاسلام والايمان ولامنينهم بمنيتهم الغرور
يعدهم الحسنى بالفجور وحسن عقبى سيئ الاعمال ثم قال لعنه الله ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام
اى يسمون ويقطعون اذان الانعام يعنى يسمونها لآلهتهم على سنن اباطيلهم من بحيرة وسائبة
ووصيلة وحام ونحو هذا ثم قال لعنه الله ولامرنهم فليغيرن خلق الله تغيير الخلق على وجوه
منها القطع والشق والوشم والوسم على وجوههم والجدع وغير ذلك والوجه الاخر تغيير الهدى
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الاسلام فابواه يهودانه او ينصرانه
او يمجسانه كما ينتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحس فيها من جدعاء فصل ومما يسبق الى نفس التامل قول
الله عز وجل فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
ذلك الدين القيم ونظره فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله كل مولود يولد على الفطرة فابواه
يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما ينتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحس فيها من جدعاء وقوله
عليه السلام فيما حكاه عن ربنا عز وجل انى خلقت عبادى كلهم حنفاء فاتتهم الشياطين فاختالتهم
عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بى ما لم انزل به سلطانا فظن بالحديث تعارضا مع القرآن
او ما نحو من سبيل هذا فاعلم وفقك الله للرشاد ان حقيقة الفطرة فى الصانع غير مبدلة
فكذلك فى جميع الخليقة وانما هو الكفر اكتساب للعباد يكفرون به اسلامهم ويضلون بذلك
عن هدايتهم يغطى الكفر تلك الحقيقة ويذهلهم عنها دليل ذلك وجودها ثابتا حين وقوع
البلاء وحلول الحالة التى عبر عنها قوله جل قوله واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه
واذا مسكم الضر فاليه تجأرون واذا انحسرت عنهم حالة الضرورة ووجدوا العافية
اعرضوا عن ذلك ورجعوا الى المعتاد فيهم وعليهم قال الله عز وجل واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه
كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون والشواهد على هذا كثيرة قوله عز وجل وعد الله
حقا ومن اصدق من الله حديثا هو الحق وقوله الحق ووعده الحق والله اعلم وفقنا الله واياك
انه من لم يجعل وعد الله سبحانه وله الحمد كله حقا واجبا كوجوب كون النهار بعد الليل والليل

بعد النهار وكوجوب ظهور الحركة من المتحرك بواسطة القدرة وكتسويد الكاغد
عن جري القلم عليه بالمداد بيد الكاتب وكتصوير النعل عن مشية المصور وكوجود النهاية
عن الابتهاء فمن لم يكن عقده هكذا لم يوف ايمانه حقه وهذا هو اليقين بكل ما تقدم
ذكره وجوده على المعهود من جريانه ومن الجائز الممكن لجريها ان ينقطع ذلك المعهود
فلا يجيء بل هو مما يجب الا بما ذنبه وليس من الجائز ولا الممكن خلف وعد يعده ولا
وجود خبر منه على خلاف مخبره سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا فاعلم ذلك واعمل عليه فان
الشيطان العنه الله قد يقنع من العبد بالغفلة عن مشاهدة الحقايق ونسبة القطع عليها
والعمل بها وان كان معلومها محتربا في جد قلبه وربما استجره من هذا المقام الى حال الجهل
به والعمل على غفلته عنها والجهل بها كما فعل في اصل الايمان الذي تقدم ذكره الى الراسخ
في الجبلة المغروز في سنخ الفطرة حتى اجتالهم عنها وازاحهم عن حقيقتها كذلك كان اولئك
من قبل فتبينوا رحمكم الله ان الله كان بما تعملون خبيرا **قوله** سبحانه ليس بامانيكم ولا
اماني اهل الكتاب الى قوله نقيرا الاماني جمع امنية والاسم المني وهو حديث النفس بما يعجبها
لها وتستحسن عندها فان كان ذلك من تحدثها بدنيا او معصية وهاجر الى ذلك فهو من الشيطان
وما كان من ذلك من تمني طاعة الله وابتغاء مرضاته ورضوانه او ماجر الى ذلك فهو مكتوب
في صالح عمل العبد ويجزى به العبد فان النزول عن هذه المعلية سهل على النفس بواسطة تزيين
الشيطان فهو من عمالته التي اقطعها فالحديث ذو شجون والتعين سريع بالقرب فيما هنالك
مرافق النفس باعتياده استسرارها لذلك والله اعلم لما ذكر جل جلاله ما يعد الشيطان به
من غروره وبمنيهم من اباطيله وانه يروج عليهم الضلال في معرض الهداية كقولهم
نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لولا يكلمنا الله
او تاتينا اية نحو هذا من امانيهم وغرورهم خاطب جل جلاله المؤمنين بقوله جل قوله وهو اعلم
ليس لانكم اسلمتم لله وامنتم امنتم وسلمتم انما تحوزون الامن والسلامة اذا احسنتم في الامر
ووافيتم على ذلك وسوف يجزون لكم من شيطان مطالبا ومن الله جل ذكره تمحيص وبلوى فمن
يعمل على ذلك سوءا يجز به ومن يعمل من الصالحات صالحا من ذكر او انثى على ايمان واخلاص
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا كل شيء مذموم له او عليه كما كل شيء يصيبه بعضا
وقدر وانتظم هذه الاية بالتي قبلها فيما هو معنى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
المعنى الى اخره ثم قال عز من قائل ليس باماتيكم ولا اماني اهل الكتاب كامانيهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ونحو هذا وكانما اهل القوة من هذه الامة
الذين نبذوا خشية الله من قلوبهم وافردوها بالرجاء فهم يتمنون على الدرجات باعمال الغافلين
فخصم جل ذكره هذا المتعلق وكشف عن هذا المزلة بقوله ليس باماتيكم اي في العفو والمغفرة
ومنال الفضل لا حتى يكونوا كما قال والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون
من يعمل سوءا يجز به وان كان مؤمنا مصليا صائما فلا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا غير
ان الله تبارك وتعالى وعد المؤمنين تكفير ذلك بالمرض والحزن والمصائب والادواء حتى الشوكة
يشاكها اليد على الله جل ذكره ولا ذنب عليه وحسنا وافوم مضاعف ان شاء الله **قوله**

عزوجل

عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم
خليلا سرد هذا الخطاب على ما تقدم ذكره من اتباع سبل المؤمنين ومخالفة سبل الشياطين
والبراءة من ولايتهم والاخلاص لله عز وجل ارتباط عتبها مادحا للموصوفين بهذا الوصف مبنيا
عليهم بذلك اذ ملة ابراهيم عليه السلام هو الدين القيم وهو الصراط المستقيم ومنتحلوه هم العصبة
وهو دين الملائكة والرسل عليهم السلام لا يقبل الله دينا غيره فاذا احسن في توجهه الى ربه
عز وجل فهو يعمل في خير معتمل اذ احسن حمد الله وشكر وان اساء تاب اليه واستغفر
يعبد الله خالصا مخلصا كانه يراه براقبه على علم منه بانه بمراى منه مقتديا بالرسول وسنته
متبعا للخليل في ملته حنيفا مسلما فهذا اكرم الناس وجهة واقربهم مقصدا عسى يوافي
على ذلك فتتم نعمته عليه ثم عرض جل ذكره بوعد كريم وعطف بالوا وعلى ذكر المقام الذي
تقدم وصفه بقوله عز وجل واتخذ الله ابراهيم خليلا لما كان من معهود فضله العظيم
انه يلحق التابع المتبوع ويدخل المؤتم مدخل امامه كما قال صلى الله عليه وسلم فمن تبعني فانه مني
وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وفيما علمناه من الدعاء
في الصلوة على الطفل اللهم الحقه باولاد المؤمنين في كفالة ابيهم ابراهيم ورأى صلى الله عليه وسلم
الولدان ليلة اسري به وابراهيم صلى الله عليه وسلم معهم يحسرهم **فصل** قوله عليه السلام في دعائه
فمن تبعني فانه مني اي من تبعني على الولاية العليا ومن عصاني اي نزل الى ما دونها كما يعصي الموحد
ذنبه عاصيا ولا يكفر بذلك ويرجو لمغفرة الله ورحمته كذلك قال الله جل قوله ومن عصاني فانك
غفور رحيم والخليل فعيل من الخلة والخلة والخلال المحبة ونقيض الخلة العداوة كما نقيض المحبة
البغض قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولما كان نقيض الخلة العداوة
والخلة اذ هي نهاية الولاية واصل الخلة تخلل الشيء وبيع المقصى والميل عن سواه اليه والتحنف
اقرب الى هذا الوصف من ذلك وانما حقيقة التحنف الميل عن الحق المقصى والميل اليه عن سواه وقيل
للطريق يكون في الجبل خلال الذي سالكه يتخلل الحزن الى السهل في مرتقاه وقيل للطريق بين الدور والشجر
خلال من اجل ذلك وللخلال ايضا ما يخلل به الاسنان وخلل الشيء وخلاله هو ما بين بعضه وبعض كخلل
الستر والشجر والنبات قال الله عز وجل وذكر الماء ينزل من السماء فترى الودق يخرج من خلاله والخلل
ايضا والخل المتخلل الجسم قال الشاعر ان جسمي بعد خالي لخل والخليل
الشديد الفاقة وحالة الخلة بفتح الخاء فالخليل اذ هو الذي قد تخلل في مرضات الله عز وجل بين هوى
نفسه وعوايق عوارض الدنيا ومحنها فيتحمل لذلك مرارة الصبر ووحشة الغربة واختلال الجسم
وخلة الحال وشدة الفاقة اذ عرضت فهذا هو السلم الذي حل في اعلى ذروة الاسلام فاثابه
الله عليه بان يحلل محبته له موضع الروح منه ثم افاض من ذلك على جوارحه فلا يعمل ولا يترك ولا
يذكر ولا يصمت فقد اتخذه الله خليلا بذلك اثنى الله عز وجل على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بقوله
ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم
ومن وصف الخلة ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز جلاله حيث يقول لا اطلع
على قلب عبدي فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سالني لاعطينه ولئن دعاني لاجيبنه الحديث وقد تقدم

الكلام في المحبة وان السبيل اليها حسن الاتباع للرسول عليه السلام وصحة الاقتداء به وعلى قدر الانقطاع لاتباع ملة ابراهيم عليه السلام يعطى العبد من الخلة كما على قدر الاقتداء بمحمد عليه السلام يعطى منتهى ذلك من المحبة والمحبة اعلى الخلة الا تسمع الى قول ابراهيم عليه السلام في اليوم المشهود للمستشفعين به لست بذاكم اذهبوا الى ابني محمد انما كنت خليلا من وراء وراء وانما صعد الى اعلى الخلة واهل الخلة بالاضافة الى منازل المتبعين اهل العليين ومن استعمل اعتمد كما قال بعض القائلين سبحان من قد خصهم واجتباهم فاختار منهم من احب خليلا فلهم هم درجات عند الله انما الذين عرفوا منها اليهم الكافرون قال الله جل ثناؤه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال قل اطيعوا الله والرسول ثم حقق هنا ما دل عليه المظهر في الاية التي قبلها فقوله جل قوله يحببكم الله وما يكون في معناه ثم قال جل قوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين **قوله** عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض دل بها هذا الخطاب بعد ما تقدم على تعريض بمعنى الخلة وانه لا يصعد الى اعلاها ويحل ذروتها الا بتصحيح التبعية لابراهيم صلى الله عليه وسلم ولا يكون ذلك كذلك الا بان يتفرغ الى النظر والاعتبار بملكوت السموات والارض كي يتعلم اليقين **فصل** من شروط الخلة والمحبة البحث عن معرفة الخليل الاعلى وتعلم معاني اسماء الحبيب كي تقريب في بهج النفس بذا لحد والاستراحة الى تصفح افعاله وتطلب مجاري حكمته في مضائه وكوجود لديك على ما نحن بسبيل بيانه فلما ترى محبا صادقا الا لهجا بذكر محبوبه شغوفا باسمه كثير التكرر على معانيه يقف بالاطلال ويستوقف وتقدم على الديار ويشجى بشاهدة الاثار ويستكشف الاخبار ويبكي معاهد الوصال كما قال الشاعر

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها ... وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

وقال اخر

اطوف ببابكم في كل وقت ... كان ببابكم جعل الطواف

تراه يبكي الشكوى ويشكو لصد ملازما للاكتئاب قاطعا للاسباب راحته في العكوف ببابه وتتبع اثاره وتكشف اخباره كما قال اخر

واني لاهوى الدار لا يستفزني ... لها الود الا انها من ديارك

لا يفارق شجوه ولا يمكنه سلوه هكذا الى ان يجد عذوبة القرب ويتروح بروح الوصل ثم اعلم رحمنا الله واياك ان هذا مقام قلما تثبت الاقدام الا برحمة من الله تعد وان العدو لا غيره الحدو وعين نفسه وتفتح خوف تسرع اليه اذا الفوح به موجود والعين بدرك تلك الحال قريبة وربما نظر الى نفسه في بعض خطراته ناسيا او ساهيا فجوزي ان يبتلى بهجر وفي المال بصد والعين تسرع اعيانا الى الحسن ومن المعهود انه ما قرت عين بحال الا حدقت اليه عيون العدى فاعتبر من ذلك الى شان ابينا ادم صلى الله عليه وسلم حين اسكنه ربه جل ذكره الجنة وما آل اليه امره لولا رحمة ربه والحب المعهود في هذه الدار على ما هنالك قال بعضهم

فلو ان واش باليمامة داره ... وداري باعلى حضرموت اهتدى ليا

وما ذا لهم لا اصلح الله بالهم ... من الروح في تصديم ليلى حباليا

وبهذا المقام اذا برأسها التزام الذل والتواضع ومعرفة الكدر واستشعار التضاؤل والنظر في حال القوم ينبئك بحقيقة ما نحن بسبيل التوصية به كقول بعضهم

تذلل لها واخضع على القرب والنوى ... فما عاشق من لا يذل ويخضع

وقال اخر

واهنتني فاهنت نفسي عامدا ... ما من يهون عليك ممن يكرم

وهذا كثير فيما بينهم شايع وحمله الحب هنا اية على ذلك الحب المحمود والذين امنوا اشد حبا لله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقل ما ذكر الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه مرغبا الا عقبه بوعيد وقد اعقب ههنا بقوله جل قوله وكان الله بكل شيء محيطا ووصف الاحاطة دليل على التهديد محط بالغ هذا المقام وجد قابل هذا الامر الدعاء وكثرة الابتهال والتباوس والتمكن والمبالغة في التواضع وملازمة الكتم وان لا يرى احدا لا اعتقد الرفعة له عليه بل يعتقد ان غيره هو الناجي دونه وهو الهالك الا ان يرحمه الله ربه ويعمل على يقين لصحة تعبد لله عز وجل ويتوكل عليه وليحذر النكوص بعد الاقدام والنقص بعد التمام فعلى قدر العلو في الرفعة يكون الوحية في الوقعة **قوله** جل من قائل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط الاية هو ما يعطيه الميزان والمكيال وحكم الحق ويعبر عنه بالعدل وهو ما يامر به كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤثره العقل الصائب بارشاد الشرع اليه وهو ايضا الموجود في حكمة الله تعالى وصنعته في مصنوعاته في السموات والارض وما بين ذلك وفيما علا وسفل في حكمه عباده من تقديم او تاخير او رفع او خفض بسطا وقبض وما وصف به نفسه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه من الصفات العلى وتسمى به من الاسماء الحسنى وما له من المثل الاعلى كذلك فيما خلق ورزق وفطر وذرأ وبرأ هو كقائم بالقسط في شهادته لنفسه وشهادة لعباده وعليهم ولذلك حض على ذكره عباده على القيام بالقسط على انفسهم وعلى ذوي ولا باعد والاقارب وكذلك عليهم ايضا ان يقوموا لله جل ثناؤه بالشهادة له بما شهد لنفسه وشهدوا على انفسهم بما شهد جل جلاله به عليهم ولهم ثم للملائكة وانبيائه ورسله واوليائه والمؤمنين وجميع عباده عليهم ان يقولوا بالشهادة لهم وعليهم **قوله** جل من قائل يا ايها الذين امنوا بالله ورسله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل الى قوله جل قوله بعيدا المطلوب من جميع المكلفين الايمان بالله جل ذكره بما هو عليه من نعوت النعت وصفات الجلال ثم باحكامه وافعاله وقدره كله بما جاء من عنده ثم بالملائكة والانبياء والرسل دون تفرقة بين ذلك ولا توقيف ايمان لبعض دون بعض والله جل ذكره لا اله الا هو الواحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والملائكة على جميعهم صلوات الله وسلامه كلهم كملك واحد من حيث الايمان بهم وكذلك الانبياء والرسل على جميعهم السلام الايمان بجميعهم كالايمان برجل واحد منهم الا ما خص الله عز وجل به بعضهم من بعض من الفضل والتقديم والتاخير وعلى تخصيص ارسالها رسولا رسولا الى امة امة وعموم في ذلك وكذلك الايمان عاما بظاهر ذلك وباطنه واتباع جميعهم الا ما استثنى من ذلك حكم النسخ **قوله** جل وعز ان الذين امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الى قوله جل قوله سبيلا هؤلاء والله اعلم

يهود امنوا بموسى عليه السلام كفروا باتخاذهم العجل الها من دون الله عز وجل وبقولهم
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ثم امنوا بان تاب عليهم ثم كفروا بعيسى صلى الله عليه
وسلم لما جاءهم مصدقا لما معهم ازدادوا كفرا الى كفرهم قال الله عز وجل لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا **فصل** قال الله عز وجل في اليهود باؤا بغضب من الله
وقال جل من قائل في المنافقين انهم ملعونون والملعون مبعد عن الرحمة والتوبة من الرحمة
وكذلك المغضوب عليه لا يقبل منه احسانا ولا يتقبل قربانه ولا توبته وفي مثل هذا تقدم
القول في سورة آل عمران من لدن قوله عز قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون الى قوله وما لهم من ناصرين هذه الاية مترددة بين جملة اليهود والمنافقين
لا يوفقون للتوبة ولا يقبل منهم احسان الا احاد من هؤلاء وهؤلاء وبخاصة جملة
يهود الذين حقت عليهم حقيقة الغضب فلا بقاهم المقول فيهم لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا ولقرب فعل المنافقين من فعل يهود عقب ذكرهم بقوله جل قوله
وبشر المنافقين بان لهم عذابا اليما لتوليهم اياهم وكفرهم بعد ايمانهم وهاتان خصلتان
يكسبان الغضب واللعن قال الله في يهود ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت
لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون **قوله** عز وجل فالله يحكم
بينهم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولن حرف يدل على مراد
الاستقبال بالمخبر عنه بقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة ثم قال جل قوله ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا يعني يوم القيمة كلمة تامة لا مثنوية فيها نعم ولا يجعل
للمؤمنين ولا للكافرين على جملة المؤمنين سبيلا يعني ظهورا كاملا بنا صلوات الله عليهم
قوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان ينزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى
اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة تشابهت قلوب الذين كفروا واهل الكتاب والمشركين
في سؤالهم الانبياء هم قال المشركون لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله
او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه يعني وقال الله جل من قائل
وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم **قوله** جل وعز فبما نقضهم ميثاقهم الى اخر المعنى الباء ههنا
هي باء السبب جارة للمتسبب له وهو المعنى المبين في قوله ما وهي اسم ما نقصوه من ميثاقهم
وحذف جل جلاله العائد على ما وقد اظهره جل ذكره في سورة المائدة فكان تقدير الكلام فبما
نقضوا به ميثاقهم لعناهم اي بالوجوه او الذنوب او كل فعل نقضوا به الميثاق وعاقبناهم
من العقوبات بما يقابل ما نقضوا به كما قال فكلا اخذنا بذنبه وكقوله سنجزيهم وصفهم
هل يجزون الا ما كانوا يعملون والواو التي في قوله وكفرهم بايات الله عاطفة على معنى
النقض تقدير الكلام فبنقضهم ميثاقهم الماخوذ عليهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء
بغير حق وقولهم قلوبنا غلف وبكفرهم وقولهم على مريم وقولهم انا قتلنا المسيح الى قوله

يعني

عزيزا حكيما وفيه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته يحتمل ان يكون مرجوع
الضمير في موته على عيسى صلوات الله وسلامه عليه ويحتمل ان يكون رجوعه على كل واحد من
اهل الكتاب وفي قراءة ابي ليؤمنن به قبل موتهم بالهاء والميم ثم اعاد جل جلاله ذكر
ظلمهم لبعد ما بين الخطابين فقال جل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم الى قوله جل قوله اليما والواو التي في قوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
عطف جل جلاله عذاب الاخرة المعد لهم في المال على عذاب وعقوبات التي اصابتهم
جزاء مقابلا لما نقضوا به ميثاقهم وهو وعظ وعظ به هذه الامة وتحذير حذرهم
ان يسلكوا سبيلهم في نقض الميثاق والظلم نعوذ بالله العظيم من سخطه وغضبه وعذابه
ومما يوجب ذلك **فقهه** جل قوله لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك الى قوله اجرا عظيما لما ذكر الله جل جلاله اهل لعنته من اهل الكتاب
وسبهم بالمشركين الذين لا يعلمون استدرك اهل الرسوخ في العلم منهم والمؤمنين من هذه
الامة ونصب المقيمين الصلوة على تقدير اعادة الخافض وقيل انتصب على المدح الاول
اوجه فتقدير الكلام يؤمنون بما انزل اليك وبما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة
وهؤلاء هم المذكورون في اول سورة البقرة وهم ذرية الانبياء عليهم السلام واخوان رسول الله
وهم اتقياء المفرقون من امته وهم الاشياخ والقادة الذين اشتاق صلى الله عليه وسلم الى
رؤيتهم فقال عليه السلام وددت اني رايت اخواني قالوا اولسنا اخوانك يا رسول الله
قال لهم انتم اصحابي واخواني الذين لم ياتوا بعد انا فرطهم على الحوض والايمان بوجود هذا
الصنف في المؤمنين وبجلالة احوالهم ورفيع مكانتهم عند الله جل ذكره يتلو الايمان
بالانبياء والرسل عليهم السلام في الوجوب واعلم ذلك واستكثر منه فانه الحق من ربك ثم عطف
قوله جل قوله والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر على قوله جل قوله لكن الراسخون
في العلم منهم والمؤمنون اي من امتك وقرا ابن غزوان والمقيمون الصلوة **فقهه** جل ذكره
لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون لما ذكر الله جل جلاله انه
اوحى الى نبيه عليه السلام كما اوحى الى جميع المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين انتدب
بحرف لكن شهادته العليا له بذلك من جحد من جحد الحق وعند عنه وقوله جل قوله انزله
بعلمه وهو علم ما انبانا من علم الغيب بما كان وما هو كائن ووجه انه انزله بعلمه
منبئا عن نعوت الالهية وحقايق الوحدانية واسمائه الحسنى وصفاته الكاملة العلى
ومخبرا عن اياته وشواهده وبيناته ووجه انه انزله بعلمه اي بامره ونهيه وما هو
المبلغ الى معرفة جلاله وحلمه والمؤدي الى رضوانه ومحبته وما ينجي من غضبه وسخطه
وعذابه ووجه انزله بعلمه الذي صحبه اياه حال انزاله من روح وامر وملائكة
وحفظ حقه به حتى اوصله الى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم الى ان جعله قرآنا عربيا
على لسانه ثم ما هو حافظه الى يوم القيمة كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون قال الله عز وجل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الى اخر الشيء وهذه سبل موصلة الى الحضرة

مقتضيات قوله جل قوله انزله بعلمه **قوله** عز وجل ان الذين كفروا وظلموا لم يكن
الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا الظلم في الكفر
كثير والمقصود الاول منه بالخطاب هو الصد عن سبيل المرتضى كما ذنوب العبد في الاسلام
شديدة وهي التي لا يتركها الله فكذلك الصد عن سبيل الله والفتنة في الدين للعسر
على موجب هذه الاية شديدة قال الله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله قد ضلوا ضلالا بعيدا بعدوا عن المقصد وعسر عليهم الرجوع لذلك لهم نوعان
من العذاب عذاب لكفرهم وعذاب لصدهم عن سبيل الله قال الله عز من قائل الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ونعم ان الله
جل ذكره بسعة رحمته وعد التائبين منهم بالمغفرة والقبول مع وجود التوبة منهم
وانتهوا عليهم ماما ها قال الله جل من قائل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق وقريب من هذه الاية قوله جل
من قائل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا بفتح الفاء والتاء ثم جاهدوا
وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم سبقت رحمته غضبه هذا حكمه على سنن
الفضل انه ذو الفضل العظيم وذلك حكمه على سنن العدل وكل الى مشيته راجع
وما الى في الكتاب العزيز وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم هذا سبيله والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل **قوله** سبحانه وله الحمد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
ولا تقولوا على الله الا الحق الى اخر المعنى الغلو الارتفاع والاستعلاء وعلوهم
في دينهم ان قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله تعالى الله جل ذكره
عن قبيح افترائهم علوا كبيرا وقالت الطائفتان معا نحن ابناء الله واحباؤه وقالت
النصارى في المسيح بن مريم صلى الله عليه وسلم باتخاذ اللاهوت بالناسوت واكثرت في ذلك
من انواع الاباطيل لاختلاف مذاهبها في كيفية ذلك بقدر قصور عقولها وبصائرها
العمية وقالت في مريم وابنها عليهما السلام قولا عظيما وبهتانا مبينا وقالتا معا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قتلت الطائفتان انبياءهم والاخرين بالقسط
من الناس واشتبهت قلوب الطائفتين قلوب الكفار قبلهما يضاهئون قول الذين كفروا من قبل
قاتلهم الله انى يؤفكون **فصل** الخالق والابوة لا يجتمعان لموصوف بهما ابدا اذ الخالق
ليس باب ولا مخلوق ليس له بابن وكل من تصف بانه اب فليس بخالق بل ان الخالق جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه يصطفي مما يخلق ما يشاء فيجتبي ويصطنع ويقرب ويتخذ ويختار
منهم اولياء واخلاء واحباء واصفياء وانبياء ورسلا وكلهم له عبيد ارقاء لا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا هو الاول والاخر والظاهر والباطن لا كفو له ولا مثل
ولا شبه ولا عدل له ليس بمورث ولا فقير سبحانه وله الحمد كله فالابوة والبنوة فيما هنالك
عدم محض ومحال وباطل بقول الله جل من قائل ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا
لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وقال جل قوله انما المسيح
عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه **قوله** عز وجل يا ايها الناس

قد جاءكم

قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا الى اخر المعنى البرهان ما صدق قول
المتحدي وهو هنا ما اظهره الله جل ذكره على يدي رسوله صلى الله عليه وسلم من الايات الدالات
على صدقه وما انزل في كتابه من الاعجاز الشاهد على انه من عند الله ووصفه بانه نور وكونه نورا
لانه يهدي به الى الصراط المستقيم ويكون ايمانا للعامل به نورا بعد الموت لذلك قال عز
من قائل فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به اي بالله ثم بالكتاب فسيدخلهم ربهم
في رحمة منه وفضل اي في الاخرة وبعد الموت ويهديهم اليه صراطا مستقيما في هذه الحيوة
الدنيا **قوله** عز من قائل يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له
ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد الى اخر السورة الكلالة هو كل
عدم النسب تكلله من اعلاه فقد الابوين ومن اسفل منه عدم الابناء وهذه اية كلالة وورثتها
اخوة شقائق او لاب واية الكلالة المذكورة في صدر السورة وورثتها اخوة لام فلذلك ما تكلمت

سورة المائدة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الى قوله
جل قوله ان الله يحكم ما يريد العقود هنا هو ما انعقدت عليه النيات وتوجهت به الارادات قال
عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وبما كسبت قلوبكم
امر الله جل ذكره ان يتقيد بالجوارح ما عقدت عليه الجوارح من خير وتوبة لله عز وجل من ذنب
هذه جملة جامعة لما حوته ثم قال جل قوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم واختلف
العلماء في اسم الانعام واسم البهيمة على ما يقع منها اسم البهيمة وذكر جل ذكره الانعام
لانها اكثر ما يؤكل وهي المقصود هنا على الاغلب ثم استثنى عز وجل ما حظره علينا اما لذاته
او لمعنى عارض فيه بقوله جل قوله الا ما يتلى عليكم ثم استثنى جل ذكره من المباح بمفهوم الخطاب
حالا يكون الاكل والصائد بقوله جل قوله غير محلي الصيد وانتم حرم اسم الصيد متناول
وحش الارض وطير السماء وحيتان الماء ويجمع ذلك كله اسم البهيمة وقد استثنى جل ذكره الخنزير
من بهيمة الانعام بقوله جل قوله الا ما يتلى عليكم وكان هذا ما وعدنا به يتلوه علينا في هذه جملة
فسرها جل ذكره بمفهوم الخطاب جميع ما في القران العزيز وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم من حظر
واباحة فما ابيح من بهيمة الانعام ثم اتصف جل ذكره بما هو اهله من صفة العزة والحكمة
في قوله جل قوله ان الله يحكم ما يريد **قوله** عز من قائل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر
الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا امين البيت الحرام الى قوله جل قوله شديد العقاب
من ادلة شيء على انه يعلم الكائنات قبل الكون انه لم ينه جل وعز قط عن شيء الا كان مفعولا
ذلك لان امر الشرع المقابل له بالنهي منفصل من الامر الذي هو الكون وقد قال جل قوله وكان امر الله
مفعولا نهى جل ذكره ابانا ادم صلى الله عليه وسلم عن اكل الشجرة فواقع بذلك وكذلك الجملة من بنيه
لكنه يعصم من شاء بفضله ويخذل من شاء بعدله وكل شيء فعلوه في الزبر اي في صحف الكاتبين
وكل صغير وكبير مستطر اي في ام الكتاب علم جل ذكره واجرى في تقديره انه سيأتي بعد نزول القران
من يستحل شعائره وينتهك حرماته ويستبيح حرمه ويعطل مناسكه ويؤذي قاصديه وحجاج
بيته الحرام ويريق دماءهم ثم عطف جل ذكره اخر الخطاب قوله جل قوله واذا حللتم فاصطادوا

على اوله قوله غير محلي الصيد وانتم حرم قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
اعلام منه جل ذكره لعباده المؤمنين باتمام كلمة الحسنى عليهم وذلك لما اعز الله جل ذكره
الاسلام بالنصر والفتح وكثرة المؤمنين حج رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فيما لا يحصيهم
عادّ ولا يحويهم كتاب انزل الله جل ذكره عليه اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا الى اخر المعنى سميت تلك الحجة حجة الكمال وحجة البلاغ وحجة الاسلام فاما
الكمال فلقوله جل قوله اليوم اكملت لكم دينكم اى دعائم الاسلام الخمسة بتوابعها واما التمام
فلانه جل ذكره اتم كلمته الحسنى عليهم منها ما في قوله جل قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون وكان ذلك يومئذ وكان ايضا استجابة
منه لدعاء ابراهيم واسمعيل عليهما السلام في قولهما ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا وقولهما عليهما السلام ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وكذلك اخرهما موعدة بالاستجابة
والامتنان عليهما بما يكون من ذريتهما محمد والرسل صلوات الله وسلامه عليهم في قوله جل قوله
لهما وامره اياهما ان يطهرا بيته للطائفين والعاكفين والركع السجود وقوله جل قوله
لابراهيم صلى الله عليه وسلم واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج
عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام
فكان اتمام ذلك منه جل وعلا في ذلك اليوم وفيما بعده وكل ذلك كان عن كلماته التي قبل في
ذلك عبارة عبر بها واعلام ووعد وعد به وامتنان منه كقوله جل وعز قوله وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا وذلك كله مجموع في قوله
جل قوله مخاطبا رسوله موسى عليه السلام ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
والذين هم باياتنا يؤمنون الى قوله جل قوله اولئك هم المفلحون وكان ذلك يوم الجمعة وهو يوم
عرفة وهو يوم الحج الاكبر يوم اتمام كلماته على عباده واكمال نعمته وهو المزيد ان شاء الله بسعة
رحمته وكرم عفوه **قوله** تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله الاية
الجوارح الكواسب جرح كسب وهي هنا عبارة عن الكلاب والكوادق والبزاة وكل من علم
فتعلم والمعنى هنا بالتعليم لهن هي الطواعية حال الاصطياد كالارسال والاستيلاء وهو
الزجر والامساك للصيد على مثليه فاذا بلغ الجوارح ذلك كان ما قبلته الصيد بعد التعيين
له والتسمية عليه حلالا اكله مباحا متناوله اذا فات الذكاة ومتى قدر المرسل على ذكاة
الصيد فتركه عمدا حتى مات عند الجوارح فلا يؤكل قال الله عز وجل فكلوا مما امسكن عليكم
واذكروا اسم الله عليه اى على الارسال وعلى الاكل او كليهما واتقوا الله اى في احكام الصيد كلها
خاصة فانها عينت ثم في سواها عامة قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء
من الصيد تناله ايديكم ورماحكم الاية **قوله** جل ذكره يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين قرئ بفتح اللام
عطفا على غسل الوجه والايدي وبكسرها عطفا على مسح الرؤس وهذا مصداق ما جاء به حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامر بالمسح على الخفين وان كنتم مرضى او على سفر اى فلم يقدروا على مس

الماء

الماء او تعذر عليكم وجود الماء اما لعدم له واما لعدم من يناوله او لتعذر الوصول اليه
او جاء احد منكم من الغائط عبارة عن الحدث او لمستم النساء فظاهر هذا انه عطف على
ذكر المرض والسفر والحدث اذ قد تقدم في صدر الاية ذكر الجنابة وان حكمها الغسل ثم قال جل
ذكره فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكذلك نظيرها
في سورة النساء فاستاق ذكر الملامسة على ذكر الاحداث بعد ما صدر جل جلاله ذكر
الجنابة والغسل منها **فصل** الملامسة مفاعلة يقال في ذلك لمس يلمس لمسا واللمس يكون باليد ويكون
بالبشرة وقد استاقها جل ذكره في سياق الاحداث وهو اعلم بما اراد والجماع قد انفرد باسم
وقد سال عتبان بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يجامع اهله ثم
يكسل ماذا عليه قال يغسل منه ما اصاب المراة ويتوضا ويصلي وافرد الله جل ذكره الجنابة
بذكر الغسل ولو كانت الملامسة بمعنى الجنابة لم يكن لتكرارها معنى وقد تقدم ذكرها في صدر
الاية ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلمي يوم اقر عنده بالزنا لعلك لمستها لعلك
قبلتها كل ذلك يقول له لا والله يا رسول الله وهو عربي حين سمى له الجماع باسمه الخاص صح لا يكنى
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء من الماء وهو على ظاهر القران ثم بعد وقع الاختلاف
بعد الوفاة حتى قالت عائشة رضي الله عنها اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل
ورويته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والقول بما حدثت به هو نسخ القران بالسنة وفي اجازة
هذا نظر وانما السنة مبينة للقران لا ناسخة له وقد درج على العمل بما روته عائشة رضي الله
عنها افاضل الامة ورواه ايضا ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قعد بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل انزل او لم ينزل ولا نعلم الجنابة الا
بنزول الماء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت كل شعرة جنابة الحدث واكثر الصحابة رضي الله
عنهم على الامر بالاول ثم حدث هذا والله اعلم امنا بالله وسلمنا له **قوله** عز قوله
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا النقابة اعلام بالخبر وهو
هنا مبلغ الوحي وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والتحريض عليه والارشاد اليه والهداية
ونحو هذا مع البحث عما يخالف ذلك والتعاهد له قال الله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن
هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص اى بحثوا في البلاد رسلا يبحثون عما يخبهم
مما هم فيه والنقباء تبلغون عن رسل الله صلوات الله وسلامه على جميعهم رسالته الى حيث لا تبلغه
الرسل من الاقطار وبعث الله جل ذكره من اصحاب موسى وعيسى صلوات الله وسلامه على
جميعهم النقباء وقال الله جل ذكره للنقباء اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
وامنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار المعنى الى اخره فوفى بالميثاق من وفى ونقض من نقض ما حذر
الله جل ذكره فقص من نبأ الا كان مفعولا وافعا بمن اراده بذلك قال الله جل ذكره فبما نقضهم
ميثاقهم اى فبالذي نقضوا به ميثاقهم لعناهم اى من جنس ذنوبهم ووصفا عما لهم كان عذابا
بنا لهم وقال في اخذ ميثاق امة عيسى عليه السلام ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا
حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة يعني بين اليهود والنصارى

كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله هذا خاص لليهود والله اعلم ويسعون في الارض فسادا
والله لا يحب المفسدين كان ما تقدم ذكره مبيعة بني اسرائيل اليهود والنصارى انبياءهم وقال
جل قوله في المسلمين ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث
فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما هذا ميثاق الاسلام والمسلمين
ثم ميثاق الفطرة قال الله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
الى قوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم ميثاق العلم قال الله جل ذكره واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال جل قوله الم يؤخذ عليهم
ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه **قوله** تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الى قوله يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبل السلام هي سبيل الله جل ذكره لقوله جل قوله صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض وهي ما شرعه من شرايع ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه اي يرفعهم
الى الولاية العظمى والاختصاص الاكبر عبر بلفظ الظلمات عن نوعين منها فاولها
ظلمات الكفر يخرجهم منها الى نور الاسلام ثم ظلمات العادات والشهوات يخرجهم منها
الى نور الايمان والطهارة والاحياء بروح الايمان وقلما عبر عز وجل باخراجهم من الظلمات
الى النور الا عن الدرجة العليا لعمومها في نوعها الظلم الاولى والاخرى كقوله جل قوله
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فالكتاب هو الذي به هو الكتاب يهدي الى سبل السلام وبما هو
النور يهدي الى الاختصاص وعلى الولاية وبما هو مبين هو نور مبين لاهل كل مقام ما
ياتون وما يذرون فافهم **قوله** جل وعز حكاية عن ابني ادم عليه السلام لئن بسطت
الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين هذا مصداق
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا
يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار لقي تبوء باثمي لو اني قتلتك وباثمك ان قتلتني فتكون انت
من اصحاب النار يجمع عليك فيها عذاب كل من قتل الناس جميعا ظالما لهم قال الله عز وجل وذلك
جزاء الظالمين وكان هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس تقتل ظلما الا
كان على ابن ادم الاول كفل منها فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين منتظم معناه
بمعنى قوله جل قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما وقد تقدم بعض والله اعلم انه يجمع عليه عذاب كل من قتل نفسا قتلت
بعدها ظلما الى يوم القيامة ثم بعد هذا على هذا التاويل يكون قاتل المؤمن لغرض من
الدنيا عمدا يجمع عليه عذاب من قتل الناس جميعا في منزلته ما دون الخلود ويكون خارج
الاسلام على غير هذا في هذا القاتل الله اعلم امنا بما هو الحق عند الله عز وجل **فصل**
قال الله عز وجل فكانما قتل الناس جميعا فكانما احيا الناس جميعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها فخص رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتول
ظلما وجاء القران العزيز بلفظ العموم ثم اتبعه بلفظ التوكيد في قوله جل قوله فكانما قتل

الناس

الناس جميعا جميع المقتولين ظلما ويمكن ان يكون تعدد العقاب لاجل عقاب من لو قتل لجنس
كله ومعنى ذلك ان ادم عليه السلام كان واحدا من الجنس فكان عند الناس باجمعهم فكان
هذا القاتل اذا اجترى على قتل نفس واحدة ظلما بعد الاعلام والانذار اخذ بقتل اكبر
الناس واعمها كما قال عز وجل في اثابة المؤمنين وليجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فكما
يرفع هؤلاء الى ثواب احسن اعمالهم كذلك يجعل جل جلاله عذاب هؤلاء على اكبر درجات وان
كان قد قال في عاملي السيئات ولا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ولا يجزى
الا مثلها وهم لا يظلمون فان المعلوم في الشرع ان احكام الدماء مغلظة جدا وقد اخذ فيها
بالخطاء والنسيان وما لم يتعمد فعله فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان تقع السماء على الارض
اهون على الله من قتل نفس مؤمنة ظلما وقد سوى جل ذكره بين القتل والطابع بقوله جل قوله فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا هذا الى اجتلابه جل وعز لفظ العموم
واتبعه بلفظ التوكيد ويمكن ان يجري المراعاة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كون سبب القتل
ظلما وهو المبين عن الله عز وجل فالله عالم امنا بالذي هو الحق والصدق عند الله والله اعلم وحكم
قوله جل قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الوسيلة والله اعلم
معنى القربة والحظوة والتمكين والجاه والكشود مع نفع لسواه من شفاعة وقضاء حاجة
والقرب بقول الله فلان يسل بين الملك ورعيته والرسل يسل بين الله جل ذكره وبين العباد
فاذا كان يوم القيمة يسل بين العباد وبين الله عز وجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسل يوم القيمة
بين العباد اجمعين وبينه بهم ليريحهم من هول الموقف في فتح باب الشفاعة وفتح باب الجنة قال النبي
صلى الله عليه وسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو يريد الوسيلة العامة وهي العليا لذلك قال عليه السلام تدرون لم ذلكم قالوا الله
ورسوله اعلم قال يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فذكر عليه السلام شفاعة العامة
لاهل الموقف وانه يدخل الجنة تحت لواء ادم وولده حتى ابراهيم صلى الله عليه وسلم والى غير ذلك
مما خصه الله عز وجل به من الحظوة والتمكين لديه ثم هذه الاية تدل على ان الله جل جلاله
يعطيها ايضا من يشاء من عباده واوليائه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الانبياء ثم
العلماء ثم الشهداء وقال عليه السلام يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي مثل ربيعة ومضر يقول
الله جل ثناؤه شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين
قوله جل من قائل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين
هادوا والربانيون والاحبار الى اخر الاية معنى كون التوراة هدى ونور فهو انها كان يهتدي بها
في ظلمات الجهل ويستبان بها سبيل مرضاة الله عز وجل من مواقع غضبه وسخطه وجميع ما يكرهه
وكذلك جميع الكتب فكونها هدى هو بما يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وحكم الهداية
الاولى والنور من وراء ذلك ثم قال عز من قائل يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
والربانيون والاحبار جميع الانبياء مسلمون والمراد بهم هاهنا من لدن موسى الى محمد صلوات الله وسلامه
على جميعهم والاحبار على الاغلب علماء الاحكام والربانيون هم العلماء بالله وبايام الله واحكامه
العاملون بطاعة الرب جل جلاله الذين فرغوا انفسهم للعلم والعمل لله حتى عرفوا به ونسبوا

الذين هم اهل التعمق والورع قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وقال عز وجل وكاين من نبي قتل معه
ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب
الصابرين فاستاق ذكرهم في معرض المدح ووعرض بالائتمام بهم **قوله** عز وجل
وانزلنا اليك الكتاب اي القران بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه الحق المذكور
هنا والله اعلم هو ما حقه به حين الانزال من الحفظ واحتوشه به من الرصد وما جعله
عز وجل عليه من الاعجاز واراده به من حكمة وفرقان ونور وهداية وبيان حلال وحرام
ومواعظ واحكام ووصف للصفات العلى واعلام بالاسماء الحسنى الى غير ذلك من كلامه
والكتاب هنا هو جمع كتب التوراة والانجيل والزبور وجميع الصحف المنزلة من عنده جل ذكره
قال الله تعالى ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان يريد جل جلاله
الكتب وافرد الضمير في قوله جل قوله يريد الجنس والمهيمن الشديد والرقيب والمخبر كما قال الشاعر

تهيمن بالاخبار في كل موطن ... وانت بما تاتيه غير خبير

كما قال الله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفوا عن كثير وقد يكون المهيمن بمعنى القاضي كما قال فيه بعضهم

بمهيمن قاض على ما قبله ... من سنة محدودة وكتاب

وقد يكون بمعنى الشاهد والعلاء قال الشاعر

وهو الشاهد المهيمن والفاعل ... ما شاء قدرة واعتلاء

وقد يكون بمعنى الامين والمؤتمن قال الشاعر

ولست مهيمنا ما دمت حيا ... على اموال الايتام الايامى

واسم الله جل ثناؤه وتعالى علاؤه وشانه جامع لهذه الوجوه وما هو منها هو العلي الاعلى
المتصف بحقيقة ذلك وكماله الارفع دون غاية ولا نهاية وعلى هذا فهو المؤمن العلي
المهيمن على كل مؤمن والكريم العلي المهيمن على كل كريم والرحيم العلي المهيمن على كل
رحيم وكذلك في جميع الاسماء **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم
عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاية تم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه كلمته
هذه فيمن ارتد من العرب اثر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهض الله ابا بكر والمهاجرين
والانصار رضي الله عنهم فكانوا على ما وصفهم الله من اللين للمؤمنين بالرحمة
لهم والعزة والغلظة للكافرين فجاهدوا في الله مجاهدة حميدة ثم اذا فسد اهل الزمان
ونسوا كثيرا مما ذكروا به خفي لذلك المعروف وفشا المنكر وكثر ذلك حتى اذا قام علم
الارتداد عن الدين اوقارب ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فاذا جاء الله بذلك رايت الناس يدخلون في دين الله
افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا **قوله** تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون انتظم هذا بما تقدم ذكره من البراءة والولاية
وبين الله جل ذكره مظان الولاية بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا بما وصف

جل وصف هؤلاء المؤمنين وهم المؤمنون الحق الذين هم الاولياء فوقع همم المتاخرين
المستنبطين الى ولاية الله وولاية رسوله والاذكياء اذا لم يدركوهم بالاعمال فبالولاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت وقال عليه السلام في المنافقين والذين كانوا
يتولوا الكافرين ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ويعلم ايضا
انه من يتولى الله ورسوله والذين امنوا ان يهديهم من اجل ذلك كما انه يمنع الهداية من تولى
اهل الكفر والعناد والحمد لله رب العالمين وهو ايضا مستظم بالمجاورة والمعنى بولاية هؤلاء
المذكورين المنتظر مجيئهم ان شاء الله ربنا اغفر لنا الذين سبقونا بالايمان واخواننا الذين
لم ياتوا بعد ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم **قوله** عز وجل
قل هل انبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت هذا خطاب مردود على معنى قوله يا اهل الكتاب هل تنقمون
منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون يقول الله جل
قوله بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وهم النصارى وغضب عليه وهم اليهود ومن لعنه
الله فقد غضب عليه كما انه من غضب عليه فقد لعنه غير ان الفرق بين المغضوب عليهم وبين الملعونين
ان اللعن الفصل من صفات فعل فربما اعقب بمشيئته العالية جلت مشيئته فيهم باتيانهم وتوبتهم
وادخال في رحمته وفضله والمغضوب عليهم انفصل من صفات ذات فخسر لذلك باتيهم
لتوبة وتعذر ذلك عليهم قال الله جل قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين الى قوله جل
قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وقال جل قوله وجعل
منهم القردة والخنازير فقد كان هذا في اهل الكتاب اولئك شر مكانا واضل عن
سواء السبيل يعني ممن امن بالله وبما انزل اليهم من كتاب في من ارسل من رسول واعتقد
فيمن لم يفعل ذلك منكم انهم فاسقون وجاء قوله جل ذكره شر وفيه معنى المفاضلة
اذ العرب تقول ذلك فيمن لا شر فيه قطعا قال الله عز وجل الله خير اما تشركون وفي
هذا الحرف على خمسة عشر وجها كلها مقروء بها عبد الطاغوت على وزن فعل قرأ
بذلك جماعة وقرأ الاعمش وعبد الطاغوت بفتح العين وضم الباء وخفض
التاء من الطاغوت وقرأ ابن واقد وعُبُدَ الطاغوت برفع العين والباء وفتح
الدال وكسر التاء من الطاغوت وقرأ الاعمش ايضا وعُبد الطاغوت بضم العين
وبفتح الباء وشدها وفتح الدال وكسر التاء من الطاغوت وقرأ ابن واقد وعبد
الطاغوت بضم العين ونصب الباء بعدها وكسر ونصب الدال وكسر التاء من الطاغوت
وقرأ ابن عباس وعابد والطاغوت على وزن فاعلوا وكسر التاء من الطاغوت
على الاضافة وعبد الطاغوت بفتح العين والدال واسكان الباء وكسر التاء وعُبدت
الطاغوت بضم العين وكسر الباء على وزن فعلت ورفع التاء من الطاغوت وعُبُد
الطاغوت على وزن فعل بضم العين وفتح الباء والدال وكسر التاء وعابد الطاغوت
على وزن فاعل وكسر التاء وعبد الطاغوت بفتح العين والدال وسكون الباء ونصب

التاء وفي هذه الآية دليل على ان المعاريض لها حقيقة توجب تباعة وحكمها
على المعرض وذلك في قوله جل قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك الى قوله جل
قوله اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل والذي فضح عليه التاويل في قوله
جل قوله وعبد الطاغوت انخطا هذه الآية معلق من هذه الجهة بقوله جل قوله يا
ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء ولما ذكر جل جلاله الكفار ذكر في مقابلتهم عبادة الطاغوت
وهم شركاء اليهود فيما ذكره قبل هذا تقدير الكلام هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت وقوله جل قوله
اولئك شر مكانا يريد والله اعلم الكفار عبد الطاغوت هم شر من يهود ويمكن ان يكون
مرجوع الخطاب كله الى موضع المفاضلة من قوله جل قوله هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله وكل عبادة لغير الله فهي طاغوت فاعول من الطغيان وقد عبدت النصارى عيسى
ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه وهم المتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وعبدت
اليهود العجل ويعبدون مستقبلا الدجال لعنه الله وقد عبد اكثرهم الاوثان قوله
عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن
اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك منهم قسيسين ورهبانا وقرأ سلمان
رضي الله عنه ذلك بان منهم صديقين ورهبانا وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
سلمان رضي الله عنه دع القسيسين في الصوامع والخرابات بذكر انها نزلت في رجال بعث
بهم النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا القرآن بكوا فان كان ذلك كذلك فليست
مقصودة على اولئك دون من سواهم من المهتدين فهي بشارة من الله جل ذكره لهم وانه سيأتي
بهم في آخر الزمان ان شاء الله وهم في جملة من شملهم قوله جل قوله فسوف يأتي الله بقوم
يحبهم ويحبونه فان قوله جل قوله ذلك بان منهم صديقين ورهبانا فوصفهم جل وصفه
بالايمان الارفع والخشية والرهبانية من بعث اتباع عيسى عليه السلام والصديقية من نعت
المهتدين سواهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوا القسطنطينية سبعون الفا من بني
اسحق الحديث وقال فيهم جل قوله الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ولتجدن اقربهم مودة
عند الله النصارى فدل ذلك على دخولهم في دين الاسلام واتباعهم المسلمين قوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل لكم ولا تعتدوا الى آخر الآية بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ناسا من اصحابه رضي الله عن جميعهم قال احدهم والله لا آكل اللحم وقال
الآخر والله لا انكح النساء وقال الآخر والله لا انام الليل وقال الآخر والله لا آكل نهارا
فنزلت هذه الآية وسمى جل ذكره ذلك اعتداء كما سمى الاسراف اعتداء وخطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يومئذ فقال ما بال اقوام يقول احدهم والله لا انكح النساء ويقول
الآخر كذا اما انا فآكل اللحم وانكح النساء واصوم وافطر وانام واقوم فمن رغب عن سنتي
فليس مني ثم قال جل ذكره كذلك يبين الله لكم آياته اي في حدوده ان تعتدوها وعلاماته على
ما تحبه وترضاه لعلكم تهتدون بها فلا تقصروا عن حدوده ولا تعتدوها لعلكم تبلغوا

مقام الشكر فانما يجوز ذلك اذا كانت اعمالكم على سبيل السنة وقوام الاقتداء ثم قال
عز من قائل فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا هذا خطابا راجع الى قوله يسألونك ماذا
احل لهم قل احل لكم الطيبات قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الخمر ما خامر العقل وخامره اياها تغطيته له
يقال من ذلك خمرانا ك بمعنى غطه ومنه خمار المرأة وكل ما اسكر فهو حرام وسكرها سد على العقل
موضع اتصاله بمنبعثه من القلب وهو نور باطن به يوجد المميز وبه يكون الايمان والهداية
وهو شمس الباطن وضياؤه ولكونه مخامرا للعقل ومسكرا حرمه الله تعالى وهي ايضا رجس
والرجس عمل الشيطان والرجس يستقذر نجس في صفاته انه حرام لانه من خطوات الشيطان وعمله
ولانه رجس ونجس حرم استعماله مع سواه وان غلبت عليه صفات سواه فازالت اسكاره ومخامرته
العقل فهو ميتة وقع منه في شئ صيره نجسا ومتى اصاب الثوب منه شئ وجب غسله ودل مما تشملها
من هذه الصفات انه ما شغل عن ذكر الله وعن الصلوة وما اوقع العداوة والبغضاء واكل اموال الناس
بالباطل فهو حرام فعله وكسبه ومن الحكمة فيما هو من سببها انها لما كانت رجسا من عمل الشيطان
لم يحل لمسلم ان يعتصرها ليتخمر عنده ثم يخللها فانها قد كانت نجسة برهة من الدهر فليس ذلك
من سنن المتقين فان المقطوع به نجاستها حال اسكارها وكونها مرضية مظنون فكم من مصل الاول
لم وكم من تائب لا توبة له يقول الله جل من قائل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم واولئك هم الضالون ولو تخمرت من حيث لا يشعر ثم خللت وتخللت دل ان ذلك اقرب
الى اصلاحها فصل استاق جل جلاله تحريمها والنهي عنها والوعيد فيها في سياق
النصيحة لرأفته ورحمته بعباده بقوله جل قوله يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه النصب ما كانوا يذبحون عليه ذبائحهم ويهلون في ذكرها
بها لطواغيتهم والميسر شئ كانوا يجتمعون له كانوا يجعلون له امينا يضرب لهم بالقداح
في كثير من امورهم واسفارهم احدها ان لهم فيه افعل وعلامته ذلك والآخر لا يفعل
والثالث غفل فاذا خرج له افعل قضى به في امضاء سفر واطعام طعام او غير ذلك واذا
خرج فيه الذي علامته لا يفعل قضى به في الترك وان خرج الغفل لم يقض شيئا واعاد الازلام
واصله انه قمار وكانت الجاهلية تقسم اقساما فربما قسموه ثمانية وعشرين قسما كل
من ذلك جزء من اجزائه وربما قسموه على عشرة اجزاء وكانت قداحا لا ريش لها
وكانت لهم في ذلك احكام على قدم ضلالتهم وبدعهم ثم استعمل اسم الميسر حتى سموا كل قمار
ميسرا والنرد شير والشطرنج وما اشبه ذلك كله قمار وهو ميسر وكل ذلك رجس من عمل
الشيطان يشغل عن ذكر الله وعن الصلوة ويوقع العداوة والبغضاء واكل المال بالباطل
وهو فحشاء لانه من عمل الشيطان قال الله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء
ثم اكد جل جلاله النهي وبالغ في التحذير من ذلك قوله جل قوله واطيعوا الله واطيعوا
الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على الرسول الا البلاغ المبين قوله عز
وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا جاء انها نزلت بتحريم الخمر قال اصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما حال اخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم قال فنزلت هذه الاية لقوله الله
جل قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الخمر قبل ان تحرم
يقال طعمت بمعنى اكلت وذقت وطعمت بمعنى شربت اذا ما اتقوا العودة بعد التحريم
كقوله جل قوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد
الاية وقال جل قوله في حكم الصيد ومن عاد فينتقم الله منه **فصل** هذا
وان كان كذلك فالاحكام تنزل على اسبابها ويصح اعتقاد ذلك منه صحت رواية اثر و
لها ويثبت التوقيف من الله جل ذكره او من الرسول عليه السلام بان ذلك مقصود وهو
المراد بذلك والا فللقران الحكيم حسن صورة وبدايع تاليف فغناه والله اعلم ورسوله
ان معنى التنزيل كله في هذه السورة واكثره ايضا على ثلثة فصول احدها الوفاء
بالعقود وهو مشتمل على كل ما انعقدت عليه النيات وتوجهت به الارادات وما اكتسبته
البواطن من تحقيق ايمان وعمل ونية على حكم العموم في ذلك كله من محلله ومحرمه ومباحه و
الثاني انه ابتنى على تحليل الطيبات من مطعوم ومشروب وملبوس ومنكوح و
احكام ذلك في مجاري الكتاب في انواع الموجودات من مايع وجامد وحيوان اهلي او بري
او بحري واختلاف احوال مكتسبه لاختلاف التحليل والتحريم من اجل ذلك الثالث
انه ابتنى على النهي عن استحلال شعائر الله عز وجل والشهر الحرام والهدي والقلائد وامين
البيت الحرام وعن ان يجازى المسيء باعتدائه حدود الله جل ذكره باعتداء اخر لحدود الله
ومع ذلك تكفير السيئات والزجر عن كتمان ما انزل الله من كتاب وشرعة كافعل
اهل الكتاب وقصص ما جاء فيها من ذكرهم زاجرا عن اتباعهم في غلوهم في دينهم وعتوهم
على انبيائهم وافترائهم على الله جل ذكره ورسله عليهم السلام وموالاتهم الاباعد
من الكفرة والفجرة والفسقة والاخذ في ذلك كله بالامر الاعدل والجري على الطريقة المثلى
يقول الله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا قبل التحريم لهم
اذا ما اتقوا في ترك العودة الى ما نهوا عنه وفي الوفاء بعقودهم فامنوا بما انزل في ذلك
من كتاب وسنة وعملوا الصالحات من ذلك كله ثم اتقوا في تناول الطيبات مما احل لهم من
مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم في حكم ما ملكت ايمانهم من انعام وحيوان على اختلاف
ذلك كله وباختلاف احكامه على اختلاف احوالهم اتقوا في شرايعه وشعائره ومناسكه
وعباده وحرمه ومحارمه وفيما انزل اليهم من ربهم وفيما يدينون به واحسنوا في اعمالهم
بطاعتهم ربهم وفي الانتهاء عما نهاهم عنه والله يحب المحسنين **قوله** عز وجل يا ايها الذين
امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم الاية الابتلاء هو الاختبار يبتلي
الله جل ذكره العباد ليستخرج منهم ما قد سبق به علمه فيهم قبل ان يوجدهم فاذا وقع منهم ذلك
المعلوم كونا كان علمه بانه قد حدث كونا بعد ان لم يكن فيجازي العبد بما نواه به فافهم وفي هذا
الحرف ابن شهاب الزهري ليعلم الله من يخافه بالغيب برفع الياء وكسر اللام اي يوم الجزاء كقوله
جل قوله ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز
الحميد **فصل** نوع الله جل ذكره الصيد نوعين فما نيل منه بحبالة او حيط او

في ملك

في ملك مقتنص حيا فهو مما اخذ باليد فلا بد من ذكاته وما غلب متناوله فلم يبلغه الا برمح
او سهم او حجر او معراض او جارح فمات بذلك فتلك ذكاته ما خرق المعراض فخرج بذلك
عن ان يكون وقيذا او انفرد به الجارح المرسل عليه ليتوجد ذكر اسم الله عليه باحكام ذلك
كله وتفاصيله وعلى ما جاء فيه من تحريم او تحليل ومعهود الكتب في الصحاح وكفلوا
لذلك قال جل ذكره ليعلم الله من يخافه بالغيب هذا على القول بانها نزلت في المؤمنين
عامة واما على انها نزلت في المحرمين منهم فالابتلاء لهم هو بصيد الحرم يدل على ذلك قوله
جل قوله بشيء من الصيد وهو بعض له وهو ما يحرم منه في مكان الحرم ولانه قال
جل قوله وهو على تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فلا تغلبه شهوته على اصطياده
لانه ثم نص على ذلك في الاية التي بعدها بقوله جل قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم مخصص جل جلاله الاولى بحكم الاصطياد وهذه بحكم القتل له ومن قتله منكم
متعمدا فجعل جل وعز الجزاء على قاتله نكالا له ثم قال جل قوله ومن عاد فينتقم الله منه والله
عزيز ذو انتقام كما قال جل قوله في الاولى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بعد ذلك فله
عذاب اليم وقد قال قوم انه لا يجزى عنه الجزاء الذي هو الهدي في العود لقول الله جل قوله
ومن عاد فينتقم الله منه قاله ابن عباس رضي الله والحسن وابن جبير ومجاهد والنخعي وقتادة
وهو الكتابة عن ابن عباس رضي الله عنه وعن جميعهم وتوصيل هذا الخطاب المعبر عن حكم الاصطياد
كله في هذه السورة من حيث التحريم بقوله جل قوله غير محلي الصيد وانتم حرم ومن حيث
التحليل بقوله جل قوله واذا حللتم فاصطادوا واكله مرجوع قوله يا ايها الذين امنوا لا
تحرموا طيبات ما احل الله لكم الى قوله قل احل لكم الطيبات المعنى الى اخره واتصال
هذا كله بقوله جل قوله يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وكله راجع الى قوله
جل قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا **قوله**
عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم صيد البحر ما صيد حيا وطعامه هو
ما اطعمه فالقاه ميتا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحاب ابي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنهم حين وجدوا البحر قد لفظ حوتا عظيما مثل الضرب يسمى حمل البحر اكل
منه الجيش وادهن نحو عشر يوما فاستفتوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انما
هي طعمة اطعمكموها الله فصيد البحر حلال للمحرمين وطعامه متاعا لهم وللسيارة يعني
غيرهم ممن لم يلتزم حكم الاحرام من المتنافرين وغيرهم وحرم عليهم صيد البر ما
داموا حرما كما قال عز وجل واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم فتلا
ذكره عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وشمل الخنزير اسم البهيمة وكذلك سائر ما صيد
من حيوان بري وهوائي وبحري ثم ما تلاه جل جلاله علينا من احكام ذلك في اثناء سورة
فهو مما وعد جل جلاله بان يتلوه علينا ويستثنى حكمه من حكم المحلل بقوله جل قوله احلت
لكم بهيمة الانعام ولما اباح جل ذكره الصيد على الاجمال وخطره على المحرم خاصة واحل له
صيد البحر تمدح جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه نصرته وقال ان الله يحكم ما يريد **قوله**

عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد
القيام هنا يعني القوام كقوله جل قوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم امنة السماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد
والجبال امنة الارض فاذا ذهبت الجبال اتى الارض ما توعد والبيت الحرام امنة الناس
فاذا ذهب البيت اتى الناس ما توعدون والشهر الحرام والهدي والقلائد مما يتبع البيت الحرام
ويحصه وقوله جل قوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء
عليم اخبر جل جلاله انه انما جعل هذه الشعائر والبيت ولما اختصه لذكره واضافه الى نفسه
من بيت وامكنة وازمنة ليعلم جل وعز بذلك ويتوقف على معرفة اسمائه وصفاته يقتضي ذكره
كما اعلم واخبر وعرف بافعاله ومسالك اسمائه ومعاني صفاته وبكتبه ورسله وانبيائه
ووحيه كذلك فعل فيما تقدم ذكره ثم وصل ذلك بقوله جل قوله للعباد اعلموا ان الله شديد
العقاب لمن كفر به وكذب رسله وخالف امره وان الله غفور رحيم لمن امن به وبكتبه
ورسله وعمل بمرضاته وبخاصة في الوفاء بالعقود والطاعة في الوقوف على الحدود ثم قال
جل قوله ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد منه وتهديد
ثم اتبع ذلك قوله الحق قل لا يستوي الخبيث والطيب من القول والعمل والعقود والنيات
والماكل والمشارب والاموال والمكتسبات فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون وعظ
وعظ به جل وعز اولياءه واولي الالباب من عباده لما واجههم بالخطاب اكرمهم بحسن المقال
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم نصيحة منه
جل جلاله وموعظة لرافته بالمؤمنين كما قال عز من قائل وكان بالمؤمنين رحيما انه كان
عز من قائل عفا الله عنها والله غفور حليم انتظم هذا والله اعلم بما ينزل بقوله في صدر سورة
يسالونك ماذا احل لهم فاكمل لهم الجواب بقوله قل احل لكم الطيبات ثم نهاهم عن السؤال رافة بهم
فبذلك يسالون المعهود عنه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا الاية هذا خطاب كان في اول الاسلام حين غربته وقلة اهله
وان اجل جلاله حكم لا انتصار بالقتل والقتال الى ان استقل الاسلام على سيقانه وكثر
ناصروه وكثرت جموعه انزل عز وجل ايات الانتصار والقتل والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وابقاء خطها مثبتا في كتابه الى مثلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا
وسيعود غريبا كما بدا ولو جود بعض هذا مشاهدة وهذا من رافته بعباده ورحمته قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا حين الوصية
اثنان ذوا عدل منكم يعني في الحضر والسفر او اخران من المؤمنين او اخران من غيركم
اي من المشركين والكافرين ان انتم ضربتم في الارض يعني في السفر خاصة فاصابتكم
مصيبة الموت تحبسونهما يعني الشاهدين من المشركين واهل الكتاب ان وقعت الريبة في الذي
ائتمنوا عليه يحلفان من بعد صلوة اهل الكتاب فيقسمان بالله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى
ولا نكتم شهادة الله بمثل شهادتهما فاكثر فان عثر على انهما استحقا اثما يعني حنثا بكذب
فاخران اي منكم من المؤمنين يقومان مقامهما اي في الحلف على ما وقعت الريبة فيه من الذين

ويوقف

ويوقف الاوليان الذين استحق عليهما الريبة فيقسمان بالله لشهادتنا احق
من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي يعثر عليهم بخيانة يعني اهل الكتاب فاتقوا الله
واسمعوا هذه السنة والحكم فيما كان في مثل هذا وهو المسلم يموت بين قوم مشركين او قوم
من اهل الكتاب ليس بينهم مسلمان يقومان بها الشهادة ووصى فيما تركه لبعض من حضره
من اولئك فوقعت الريبة انهم اختانوا امانتهم وقد فقد العدلان من المؤمنين
فيما هنالك يحلف الشاهدان منهما ويحلفان ان الذي شهدا به هو الحق فان عثر على انهما
حنثا في يمينهما وقف رجلان من المدعين الحق فحلفا على دعواهما ثم وقف الاوليان
المستحق عليهم فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين
يقول الله جل ذكره ذلك اي هذا الحكم ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها في اول شهادتنا
او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اختلف المفسرون رضي الله عنهم في هذه الاية
فقالت فرقة هي منسوخة بقوله جل قوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله عز وجل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم والمخاطبون بهاتين الايتين هم المؤمنون وهاتان الايتان
نزلتا قبل نزول سورة المائدة فكيف يكون القبل ناسخا للبعد قالت عائشة رضي الله عنها
سورة المائدة من اخر ما نزل فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام
فحرموه والصحيح انها ليست بمنسوخة بل هي محكمة فيمن جاوز الكفار في الاقطار التي تقاربهم
فتدعو الضرورة الى مصاحبتهم ومخالطتهم في المتاجرة وغيرهما مما يلزم احوال المجاورة
وهي اذ وقعت ايضا في قبضة المسلمين وحضرت جماعتهم فالواجب ان يحكم فيها بهذا الحكم الذي جعله الله
عز وجل قوله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء معناه
اي هل يوفقك ربك على هذا هل يفعل ذلك ليس من الاستطاعة المعهودة عندنا كقولك لا استطيع
كذا انما هو التطوع والاستجابة وقرئت هل تستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء معناه
هل لك عنده من الجاه والحظوة هذا فصل قال الله عز وجل اذ قال الحواريون يا عيسى ابن
مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء الحواريون موصوفون بالعلم محمودون
بالاستجابة كقوله جل قوله واذا وحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون
وقوله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكقوله ربنا امنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وليس ما قاله الله جل قوله هاهنا وحكاه عنهم من
ما تقدم من حسن الاستجابة والتوقير لرسلهم رضي الله عن جميعهم وهو الحق وقوله الحق وظاهر قوله
هنا هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اما ان يكون منهم جهلا بالله جل ذكره و
منهم بمنزلة الرسول عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه ولذلك رد عليه السلام على هؤلاء القائلين
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين وكذلك قولهم له عليه السلام نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا
ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين هذا كله غير معروف منهم ولا معهود من
سيرتهم عن ابن جبير قرا ونعلم ان قد صدقتنا بالياء مضمومة وفتح اللام قال جل قوله
لموسى عليه السلام يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون اراه والله اعلم بمراده في ذلك انه ينبغي اتباع

للحواريين باسم الحواريين فادخل جل ذكره الاتباع في ذكر المتبوعين كذلك قد يدخل المرسل
اليهم في ذكر المرسلين كما قال لموسى عليه السلام يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء والظلم والعمل السوء ليس من وصف المرسلين صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين والحواريون رضي الله عنهم المنزهون عما يخالف التعزير
والتوقير للرسل وحسن الاجابة **فصل** سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم مائدة
من السماء قال تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك كان ذلك اعلى انزال المائدة عليهم
من السماء دليل ذلك قول الله جل جلاله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين قوله الحق هذا يعني بما تقدم ذكره من ادخال الاتباع المرسل في ذكر
المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وادخال اتباع الحواريين في ذكر الحواريين
قوله فمن يكفر بعد منكم المعنى والحواريون رضي الله عنهم ليسوا موصوفين بكفر و
لا سمعنا عنهم برده ولا كفر والحمد لله رب العالمين فانزلها عليهم لا بد ولا محالة لوعد
الله عز وجل عيسى رسوله عليه السلام بها وكان من دعائه عليه السلام تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا
فهذا يعطي ان انزالها عليهم كان على طريق الاعتبار وان ذلك على التكرار والله اعلم بعقد ذكره
قوله واخرنا اخرهم هو مجيئه المجيئة الثانية في مستقبل الامر فعلى نزول دعائه عليه السلام سوف
ينزلها عليهم في ايامه المستقبلة ان شاء الله ويكون معنى ذلك الخيرات المنزلة من السماء
والبركات المجعولة في الارض يومئذ وما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من بسط النعم
وشمول الخير يومئذ وهذا كائن لا محالة فهل يكون مع ذلك انزال المائدة من السماء او لا
قال والله اعلم والارض كلها يومئذ مائدة وقوله صلوات الله عليه واية منك قد يكون ما يكون
عليه نزول المائدة انه ما يكون من ذلك في الجنة المستقبلة وقد جعل الله جل جلاله في الذين
قالوا انا نصارى والذين زعموا انهم اتبعوا وتبعوا بهم كقسيسهم ورهبانهم ان جبل
قلوب الاتباع على الحرص في سوق الاقوات اليهم والرغبة في الساهة لهم في ذات ايديهم
زائدا على او قاف قد اعدت لادبارهم واموال منتسبي الى كنائسهم فهذا من تنزيل المائدة
نزلها من كونها نازلة عليهم من السماء الا ان جعل جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ذلك الانزال
عن قلوب عباده وايديهم وجعل ذلك اعني ما هو اليوم في حق الاتباع من جلب الاقوات وسياقتها
الى المتاهم وتوفيرها واعي منهم على ذلك اية على ما مضى من حكم الله في انزالها وما يكون منه
في المستقبل من شانه **قوله** جل ذكره واذ قال الله يا عيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله المعنى الى اخر هذا التقرير منتظم بقوله جل قوله وهو اعلم يوم يجمع
الله الرسل فيقول ماذا اجبتم بفتح الهمزة والجيم وقوله جل ذكره يوم يجمع الله الرسل منتظم
بقوله جل قوله فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وذلك مجيء عيسى صلى الله عليه وسلم يكون بعد
طلوع الشمس من مغربها كما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايات اولهن طلوع الشمس
من مغربها ثم الدجال ثم نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم الحديث وقال الله عز وجل لعيسى
ابن مريم اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق

الذين كفروا الى يوم القيمة يقول وهو اعلم كما يكون هذا الى يوم القيمة وهو يوم الجمع من
ايام الله هو وقيام الساعة هو في ذلك اليوم وانما هو ذلك في ساعة من يومها ذلك فيجمع الله
جل وعز الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين يومئذ ويمكن ان يكون الرسل المجموع يومئذ
نقباؤه ورسله الى الافاق وهذا هو الاظهر وجمع الرسل عليهم السلام على العموم يوم البعث
الاخر وفيه يقول جل قوله لرسوله وعبده عيسى صلى الله عليه وسلم وعلى جميع المرسلين يا عيسى بن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس واذ واذ واذ الى قوله جل قوله ونكون
عليها من الشاهدين الى قوله من العالمين يذكره جل ذكره بالنعم قبله وقيل من ارسل اليهم
به وهذا خطاب لا ياتي ابدا الا لاستدعاء اجابة ممن ارسله اليهم وتكليف لهم وانما كان يكون
سوق الخطاب وصيغته لو كان بعد قيام الساعة وفي مشهد الجمع الاكبر انعمت عليك اعطيتك
وجعلت لك الكذا والكذا ليبين كذلك لفظ التقدير باقتران كلمة التذكير به وبوجوب
الحب اقتضاء حقوق له جل جلاله وتباعا ونحو هذا فان اعترض معترض بقوله
جل قوله يوم يجمع الله الرسل فقد تقدم الرد عليه بانه يوم القيمة والساعة تقوم في وقت
من ذلك اليوم ونزول عيسى عليه السلام وما يكون في ذلك اية على ما يكون في البعث الاكبر
ولذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال وان تؤمن بالبعث الاخر
وعلى حال فان الله جل جلاله غير متعذر عليه جمعهم كيف شاء وهم الان عنده وقد جمعهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء ليلة اسري به فامهم حتى الرهط الثلثة عيسى وابرهيم
وموسى ويحيى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كذلك قال جل قوله يا عيسى بن مريم انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله تقرير وتوبيخ منه لمن في الارض يومئذ من الذين
علوا في امره وقالوا فيه باهوائهم وما لم ينزل الله به سلطانا وما ليس لهم به علم فيبرئ الله
جل ذكره عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام عند ذكره ما قذف به من افتراهم عليه بقوله سبحانك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق فاستشهد عليه السلام بالعليم الخبير جل وعز فقال ان كنت
قلته فقد علمته **فصل** يتخرج تسبيحه ربه عز وجل عليه السلام على وجهين احدهما لما ذكر
وانه دعا الى نفسه وهذه عظيمة قذفوه بها فسبح الله جل ذكره لكونه نبيا رسولا روح الله
وكلمته كما سبح الله عز جلاله نفسه عند ذكر المؤمن بافك وبهتان فقال جل قوله ولولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ويمكن ان يكون تسبيحه ربه عز
جلاله صلوات الله وسلامه عليه تنزيها له واحدا لاجلاله واعظاما لقدره وذهبه من على
شانه ان يكون له او معه في الامكان او في الوجود الله سواه سبحه وله الحمد لا اله الا هو العلي
الكبير **قوله** عز وجل فيما حكاه عنه تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم سري وجهري
وظاهري وباطني وما يجيء منه نفسي لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ولا اعلم ما في نفسك كقوله
جل قوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وكقوله جل قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وقوله جل قوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن **قوله** تعالى فيما حكاه عن عبده
ورسوله عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وقرأها طلحة ان تعذبهم فعبادك والمعنى
انهم اي اذا لك تعذبهم بحق ملكك فتفعل ما تشاء ويمكن ان يكون معنى قوله عليه السلام

ان تعذبهم اى بالقتل والكشف والخزى والغلبة وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
فهذا وما تقدم ذكره يدل على ان التقرير يكون عند نزوله صلى الله عليه وسلم ولا يقتل منهم
يومئذ الا الاسلام والتوبة والقتل والانتقام منهم وصفه بالعزة بانه لا يغفر
لمن اشرك به وصفه بالحكمة فيكون ذلك تقريرا للحاضرين يومئذ ثم يقيد دون في
القيمة لتوبيخ من كان بين دفعه صلى الله عليه وسلم وبين نزوله الى الارض الاسم عليه السلام
لهم ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت
فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم اى مدة الغيبة وانت على كل شىء شهيد يريد عليه
السلام من هو عندك بالرفع او بالشهادة او توفاه الموت ومن هو فى دار الدنيا لم يخرج
منها بعد ان تعذبهم الان بالسيف والاسر والجلاء وفى الاخرة بالنار فانهم عبادك اى
ملكك تفعل بهم ما تشاء وان تغفر لهم اى تتوب عليهم وتدخلهم بذلك فى الاسلام
وفى هذا اشارة الى الترحم والشفاعة لهم ولو كان ذلك يوم الحساب الاحول لم يعرض بالترحم لهم
ولا ذكر مغفرة وانما خاطب رب العزة جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عن عباده من اهل الدار
الاخرة فلذلك يقول جل قوله بلفظ الماضى ولفظ المستقبل كذلك قول ابراهيم صلى
الله عليه وسلم رب انهن اضللن كثيرا من الناس يعنى الاصنام فمن تبعنى فانه منى اى من تبعنى
على الولاية العليا وابتغاء الخلة فانه منى ومن عصانى اى من قصر عن ذلك بذنوب نفسه
فانك غفور رحيم وهو اعلم بالله جل ثناؤه من ان يشفع لمن عصاه العصيان الاعظم
بان تخذ الها من دونه فتعبد الاصنام فذلك هذا كله على ان تقرير عيسى عليه السلام المذكور فى هذا
الموضع هو فى هذه الحيوة الدنيا توبيخا لمن عصانا بعده وافترى عليه الكذب اذ هم كذبوا على
الله عز وجل صلوات الله وسلامه على جميعهم لا يتعرضون للشفاعة فيمن كفر بالله وكذب
بالحق لما جاءه وكذب على رسله وكتبه وهذا قول الله جل ثناؤه الفاصل بالحق والذين
كفروا بايات الله ولقائه اولئك يئسوا من رحمتى واولئك لهم عذاب اليم وجاء قوله عز وجل هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم الى اخر السورة ظاهره ليوم الجزاء كذلك الكتاب العزيز ظاهره وباطنه

سورة الانعام مكية عشرون ومئة وستون ايات ونزلت هذه السورة ليلا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذى خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور الحمد جماع المدائح كلها والثناء الحسن اجمعه وهو واسع الصفات
ثم عبر جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عن قدرته الكاملة وعلمه المحيط ومشيته
النافذة وتدبيره المحكم والتوحيد العلى الى سائر ذلك مما هى الاسماء الحسنى والصفات
الكاملة العلى معبرة عنه مقتضية له وهو ايضا تعريض بالاعلام بضلال اهل الاديان وكل
من عبد الها غيره ملكا كان او انسانا او جانا او حيوانا معنى كان او جسما اذ لا يخلو
ان يكون ذلك فى السموات او فى الارض ثم عرض جل وعز بتبطل الثنوية المجوس والمانية
وغيرهم الذين اعبدوا وعبدوا النور واعتقدوا ان فاعل العالم مدبره اصلان
قديمان احدهما نور والاخر ظلام قالوا فالنور خير بطبعه والظلام شرير بطبيعته الى غير ها
من ضلالهم قوله عز وجل هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى

عنده

عنده ذكرهم جل ذكره بالعودة بعد البداة اذ خلقهم من طين واوجب فى حكمته
عز ذكره ان يعيدهم الى ما منه بداهم ثم بعد ذلك يحييهم عودا بعد بدء كما قال جل
ذكره منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى ومثله كثير قوله
تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده لما ذكر جل ذكره اوليتهم وعرض باخريتهم
وما بين ذلك سرد على ذلك ذكر الاجال اختلف فيما هو المراد بقوله جل قوله ثم قضى اجلا
واجل مسمى عنده فمن قائل يقول قضى اجلا يعنى الدنيا واجل مسمى عنده يعنى اليوم
الاخر ومن قائل يقول الاجل المسمى هو اخر مدة الدنيا الذى حده يوم القيمة فهو مسمى
بهذا التحديد واجل عنده وهو مدة الاخرة الذى ليس هو عندنا نحن معلوما وهو
فى علم غيبه معلوم وقال ان فى الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره ثم قضى اجلا
مسمى واجل عنده وكتاب الله اكبر شهادة واقوم قيلا يقول الله عز وجل وما
يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير اى انه على تعالى وت ما بين
الاجال من نقص اجل المحنة او زيادة فيه بحكمته على اختلاف فى ذلك وتنويعه قد ذكر
ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير وقال عز وجل لكل اجل كتاب يمحوا الله ما يشاء
ويثبت وعنده ام الكتاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينسا الله فى
عمره ويزيد فى رزقه فليصل رحمه وفى اخرى فليبدا بره وقال صلى الله عليه وسلم ما منكم
من احد وما من نفس منفوسة الا وقد كتب مكانها من الجنة والنار فاذا مات احدكم
اتاه ملكان فيقولان له ما علمك بهذا الرجل محمد الى قوله عليه السلام فيقولان له هذا مقعدك
من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة ويقولان للكافر هذا مقعدك من الجنة ابدلك الله
مقعدا من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا لذلك جعل جل ذكره فى الناس
سبيل الضلالة وسبيل الهداية قال الله عز وجل وهديناه النجدين وقال فاما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى والموجود من هذا مملوء مصمت لمن نظر بقلبه وهدى لو شرح لذلك
القران وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فيما حكاه عن رسله منهم نوح وغيره
على جميعهم السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال هود عليه السلام ويا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم فذكرا انهم ان عتوا
وعصوا اهلكهم وقطع بذلك دابرهم واستاصل شافتهم كما فعل بكثير وان هم امنوا
واتقوا وعده ووعيده الحق وقوله الصدق ان يمتعهم متاعا حسنا الى اجل مسمى
وان يرسل السماء عليهم مدرارا ويمددهم باموال وبنين ويجعل لهم جنات ويجعل لهم
انهارا وهذا كله يعدم ان عتوا وكفروا يقطع عنهم المطر من السماء والنبات من الارض ويمنعهم
الارزاق ويهلكهم ويمنع منهم التناسل كما فعل بكثير كقوله فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت
به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم الى غير ذلك مما يعلم انه يخلق ما يشاء ويختار ولو كان
كما زعم بعضهم لكان امره اشبه بحال المضطر كيف يكون هذا وبطن تدبيره هذا وهو
الواسع العليم خلق كل شىء وقدره على ما شاء تقديرا وعلمه ومشيته وسع من التعريف

وتنويع التدبير دون نهاية ولا غاية فالاجل المسمى هو الذى اليه المنتهى فى الاعمار والا
والارزاق كهيام ذى عيشة للدنيا فكوت من يموت من غير عارض عارض يعرض له من قبل الحوادث
او ابسبا يقتضى مقدرة لاحال قد قضاها فهو المقدر وكل شىء عنده بمقدار هذا هو
الاجل المعنى بقوله جل قوله فاذا جاء اجلهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون والاجل
الذى هو دونه الذى قال فيه قضى اجلا هو ما قد قدره لحلول اسبابا وحوادث تقدها وفى
يتصور المعنى بقوله جل قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فى هذا فرع
الحذو وفيه يوجد ما برالوالدين وصلة الرحم والايمان والعمل بطاعة الله عز وجل بالله
الله ولرسوله الا ترى انهم متى استجابوا الله يغشهم ويدلهم فى اعمارهم حتى يتوفاهم على احكام
ويوتهم المقدرة لهم من حلول منايام ومتى عتوا عما نهوا عند ربما اهلكهم هلاكا واحكما
بجميع اجالهم بذلك كموت نفس واحدة وكل موجود له اجلان ان اخطاه الاول بتقدير متعدد
لم يغلب الاجل المسمى ثم قال عز من قائل ثم انتم تمترون الى فى البعث بعد الموت هلا تؤمنون
بما يحييكم من الموت فى كل طرفة وكل نفس وادمن ذلك ويحييكم بذلك مكان الاماتة انه
يحييكم بعد موتكم فكما ينصرم الاحال دون الاجل المسمى كذلك ينصرم اجل عمر الدنيا وكما
ينصرم عمر كدنيا كذلك ينصرم امر الموت بالبعث منه **فصل** اذا تمهد ما ذكرناه فالاجل
المسمى لكل محدث واحد ينتهى اليه الا لامة من العوارض دونه وما دونه اجال كثيرة وعلى
التحقيق فعلى عدد الانفاس واد فمن ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اذا شاء ان يقيمه اقامه واذا شاء ان يزيغه ازاغه وعلى كل
موجود محدث حافظ يحفظه من العوارض التى ربما قضيت الاجال بحدوثها حتى ياتى
اجله المقدر لسببه وعارضه المحتوم عليه حلول الاجل فيه فيتخلى الحفظة عنه لانه قد
قضى الاجل فذلك الاجل ايضا على ما هو عليه هو مسمى قد سمى له لم يكن له ان يتقدمه
ولا ان يتاخره عنه لكن له حكم سبق وتباعة ترجى وسبق كالذى يقتل مظلوما فعلى
قاتله القصاص وللمظلوم بذلك عافية يرجوها عند الحكم العدل جل ذكره كالذى يقتل
فى سبيل يبذله ربه جل ذكره حيوة لاجل حيوته التى باعها فيه فيرزقه عيشا عنده وحيوة
ورزقا جزاء لعيشه ورزقه وما تركه له ولو لم يكن محتوما بسبب قاطع به عن اجله المسمى
الذى قطع به دونه ومات عنه لم يكن له هنالك عوض ابدا به انما مات باجله المسمى الذى لا اجل له
سواه قال الله عز وجل قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الذى يكون عن حكم
الادنى فانكم لا تمنعون الى الاجل المسمى الا قليلا اعقب هذا كله بقوله الحق الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لهم وارسلنا السماء عليهم مدرارا
وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين فانباك
نصا صريحا باجال المحتومة وارزاق المنقطعة باتباع ذلك ولو لحقه فعلى هذا انتهى
التدبير الحق حتى ان الدنيا لتعود اخرة فى حق قوم لاجل عنهم بها وعلمها والاخرة تعود دنيا
فى حق اخرين لغفلة مستولية لحكمة بالغة وامر عزم **قوله** تعالى وهو الله فى السموات
وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون اصفق الاجماع على ان المكان محصور محاط

والمحيط وحاصره هو الله خالقه وان التمكن ضعف عن حقيقة القدرة ونقص عن الكمال
وكذلك القول فى الزمان وما يتبع ذلك وكذلك المواجهة والمحاذاة والتلقاء والفوق
والتحت والقبل والبعد والله لا يحجبه شىء بل هو قريب من كل شىء بالوصف وهو
القدرة والادراك والاشياء مبعدة باوصافها وهى البعد والحجب والبعد والا
والحجب حكم مشيئته والحدود والاقطار حجب بريته والفنا والتلقاء مكان لسواه
والنواحى والجهات مكان للمحدثات والنهار والليل مسكن للمصرفات والفضاء مكان للمخلوق
والتوسعة والهواء مكان للعالمين والاحكام والاقدار واقعة على خلقه والحجب والاكاد
متصلة بمخلوقه والى هذا فهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم
ما تكسبون وهو معكم اينما كنتم غير متصل بالخلق ولا مفارق وغير مماس للكون ولا مباعد
بل منفرد بنفسه متحد بوصفه سبحانه وله الحمد كان فى ازل الازل بلا شىء ووصفه وصفاته وهو الان على ما
لم يزل عليه وخلق كل شىء فقدره تقديرا وكل وصف لموصوف فى الحديث فهو شىء واية
على وصف هو فى القديم موجود حقيقة ذلك فى الحضرة الرحمانية ومعارف العبدانية
فى معالم الجبروت والملكوت لدى سبحات الكبرياء والعظمة ونزاهة القدس والجلال
فهو جل ذكره وتعالى علاؤه وجلت عبارته فى السموات وفى الارض ومع جميع خليقته عبارة
حق عن وجود حقيقة فهو كذلك من حيث هو على كل علاء وكبرياء وجود لا من حيث هو
فاما المعلوم من المشايخ رضى الله عن جميعهم فيعرفوا التجريد العبارات للعوام فكل ما اتى
من هذا ولوه مخافة الايهام ونفوا عنه الاتباع خشية الاشكال اذ ذلك اعنى توهم
بما لا يجوز عليه معدوم عند العقول الصائبة ونواظر البصائر الصائبة كيف تشبه الخليقة
الحقيقة بل كيف تماثل القدرة المعدوم رجل القديم الاول من ان يكون فى حضرة الجلالة صفة
حديثة كما استحال ان يكون للحديثة الصفات القديمة ليس كذاته ذات ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة ولا كحضرته حضرة الا موافقة باللفظ سبحانه وتعالى علاؤه وجل عن ان يخلقه عبده
او يمانعه ملكه تعالى عن ذلك علوا كبيرا اتبع ذلك بما هو فى معناه قوله تعالى وما ياتيهم من اية
من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فتعرف الايات واستشهد البينات ثم اعتبر من محدث
الى قديم ومن وصف محدث دنيا وعالى وصف قدس جلالى فهو لو عبر لنا بما هو من حيث هو
فخرج الخطاب عن ان يكون معقولا لنا العدم معرفتنا بما هنالك ولم يكن الكلام عربيا ولا مبينا
فكل عبارة تجىء باية فى السموات او فى الارض او هو على حال توهم حدثا او حلولا او
تعبير فانما ذلك كله عبارة عما هو عليه بما هو على ما لم يزل بما لم يزل فيما لم يزل وانما هى
الايات تبروا البينات تشهد والحق يبين والوجود يدل وينبئ على الموجود فافهم **قوله**
جل ذكره ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين وصفهم عز جلاله بانكار المشاهدة وانما يكون ذلك عن الطبع الكائن عن عقوبة
الاعراض كما قال جل قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسى ما قدمت يداه
انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا
اذا ابدا فلوجود الطبع على القلوب عميت منهم البصائر وصمت الاذان وبكمت الالسن

فهم يشاهدون الآيات ويعاينون البينات فيمرون عليها وهم عنها غافلون وربما
التفتوا إليها من خلال إعراضهم ويذكروها من غيابات حجب غفلاتهم فيتمثل لهم في صورة
الفتنة فلهوا بها وانسوا بمشاهدتها دون ذكر شهيدها جل ذكره فاتخذوها هزوا
ولعبا ولهوا عن خفية حق أدينهم وربما تأولوها على ما ليست به وتقولوها ما لم يقل
في شهادتها لخالقها عز وجل وربما اتخذوا بها إلى أنها من المعهود المتعارف كما قال جل
قوله في بعضهم وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقال أيضا جل
قوله في آخرين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا
بل نحن قوم مسحورون فحينئذ يردهم في طغيانهم يعمهون ويخرجهم لتهم يترددون حتى
يأخذهم على أقبح ما كانوا به عاملين نسأل الله العفو الغفور معافاته ومغفرته وقالوا
لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون إلى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون
أخبر جل ثناؤه أنه لا ينزل الملائكة من السماء إلا بالحق أي بقضاء الأمر من موت أو قيام
الساعة ومجيء الله جل ذكره للعرض الأكبر وما يكون من معنى الانقراض لهذه الدار وكشف الدار
الآخرة ليقضي الله جل ذكره يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون أي
الملائكة حجرا محجورا أي منعا ممنوعا وسدا مسدودا ونحو هذا يعني أن لا اتكال
ثم قال عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون لكانوا
كلما رأوا آية يستسخرون أو يحيدون بها إلى المعارف من مجرى العوائد جعل كل آية في السموات
والأرض لها وجرى المعهود المتعارف في ذلك ليستأنس بها الغافلون وليجد لتأويلهم
مخارج المبطلون وللإلحاد بها مذهب الجاحدون وجعل لها أيضا وجها أبطنه عنهم إلى مخرج
النذارة والبشارة والإعلام بحقائق الدار الآخرة وشهادة الوجود الحق فمن نظر كل
آية في السموات والأرض بحملها على معهودها وما جرت به عوائدها في سنتها لم تحدث له ذكرا
ولا وجد لها علما ولا اكتسب في ذلك منها خشية ولا وجدها بعد هذا أصل لهذا الباب فهو جل
ذكره لو أنزل من الملائكة رسلا مكان البشر لجعل ظواهرهم بشرا لا لتلبس على دين به
وبواطنهم كالمعهود المتعارف من الملائكة فيحال الباب الإيمان بالغيب على تابعيه كذلك لما قضى
وقدر أن يتخذ من البشر رسلا جعل ظواهرهم بشرية وبواطنهم ملكية فمن اقتصر بعلمه
ونظره على ظواهرهم عدم الإيمان بهم وبما جاؤا به إذ ظواهرهم غير دالة على صدقهم
بما هم بشر ومن تجاوز بعلمه ظواهرهم إلى بواطنهم كان ذلك أدل شيء على صدقهم ولم يمتنع
اليقين بما هم عليه من نبوتهم وصدق ما جاؤا به على مقاماتهم كذلك القرآن العزيز فيه آيات
بينات للعلم بما هي عليه آيات وأخر متشابها ظواهرها بخلاف بواطنها فمن اقتصر في
تفهم معاني القرآن على ظواهر أكثره من المتشابهات دون التوغل في التذكر بها والتفكر
في معانيها والرسوخ إلى بواطنها لم يصل إلى رفيع العلم ومنع درجة اليقين وأعلى رتبة أن
يكون دارسا وقارئا وكذلك من طلب العلم في أكثر المبينات بالرسوخ إلى بواطن بطنها
فقد افتتن هذا بتقصيره كما ضل هذا بتعديه والإيمان بالله عز وجل وبملائكته وكتبه ورسله
وباليوم الآخر وما هو فيما هنالك وبآيات الله عز وجل في السموات والأرض من ملكه وملكوته وما

خلق الله

خلق الله من شيء ظن تمني الوصول إليه والحظوة عنده والحلول لديه وهو جل جلاله وتعالى علاؤه
وشأنه قد كتب على نفسه أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء فوجب في منبعث الابتلاء وبدء القصة
أن يجعل على الهداية حجابا والضلالة شبهة لئلا يصل إلى العلي من علمه والرفيع من درجاته
إلا من بذل جهده في ذاته عز وجل واستفرغ وسعه في طلب مرضاته وأخلص له في طلبه قال الله جل
ثناؤه وذكر عيسى صلوات الله وسلامه عليه إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل
أي أنعم عليه بالنبوة والرسالة والكتاب الذي علمه والحكمة التي آتاه والروح الذي جعله فيه منه وكلمته
التي كونه عنها ثم قال جل قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون والأنبياء والرسل
صلوات الله وسلامه عليهم آيات على ما قاله في هذه الآية شواهد صدق وبخاصة منهم عيسى بن مريم
صلى الله عليهما وسلم وعلى جميع النبيين والملائكة المقربين قال الله عز وجل ولنجعله آية للناس
فافهم وفقنا الله وإياك فقد جمع لك فصل العلم في أطراف الكلام قوله عز وجل قل لمن ما في
السموات والأرض قل لله هنا محذوف لبيانه دلائله وصدق شهادته معناه والله أعلم أفتتخذون
من دونه أولياء لا يملكون شيئا ولا ينفعون وما يكون هذا عبارة عنه ثم استأنف الكلام فقال
جل قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة أي لمن آمن به وبرسله وأطاع وقد يكون قوله كتب
ربكم على نفسه الرحمة على العموم لولا رحمته في الدنيا التي شملت الكل في الدنيا ما عاش فيها
الكافر ولا العاصي ليجمعنكم إلى يوم القيامة اللام للإيجاب التي في الكتب لإيجاب ذلك على نفسه
والنون فيه للتأكيد والتحقيق ثم استأنف من الكلام ما أنبأت عنه الفطرة وقامت عليه
الشواهد فأزاحت عنه الشكوك فقال لا ريب فيه يعني يوم القيامة ثم استأنف أيضا جل
وعز كلاما قبله ما دل عليه قوله ليجمعنكم فصل الذين خسروا أنفسهم أي في يوم القيامة فهم
لا يؤمنون يعني اليوم وهذا في هذا المعنى كقوله جل قوله وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر
وهم في غفلة اليوم وهذا تقرير منه جل وعز لهم على ضلالتهم وفيه تعريض بما هو الحق
المبين لا نظير له ولا مثل له ولا عدل له ولا إله معه ولا شريك ولا ولد فلم يدعوا معه
إلها سواه ولم ينسبوا إليه ما نزه عنه علو جده وأبرأه منه طهارة قدسه كذلك جاز
بما هو في معناه قوله الحق وله ما سكن في الليل والنهار يعني ما اشتمل عليه الليل والنهار وهو السميع العليم
أي وإن كان لا يشتمل عليه الليل والنهار فهو غير غائب عن كل ما سكن في الليل والنهار وتقلب بل
هو الشهيد الحاضر القريب العتيد الرقيب لا أقرب منه ولا أعظم تحقيقا من حضوره ليس كمعبوداتهم سواه
لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنهم شيئا ما لهم من شرك في السموات ولا في الأرض ودل على صدق
هذا التأويل ما أعقبه من قوله الحق جل قوله قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض
وهو يطعم ولا يطعم أي هو يرزق ولا يرزق وقرأها ابن عباس ومجاهد والأعمش وأبو حيوة
وعمرو بن عبيد ولا يطعم بفتح الياء ينبئ عن غناه جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه
قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم أي من أمته ثم قال جل قوله ولا تكونن من المشركين حذره
جل وعز عن موافقة الشرك وإن كان على الإسلام قائما كما قال جل قوله لئن أشركت ليحبطن
عملك ولتكونن من الخاسرين وقال أيضا جل قوله في الأنبياء والرسل عليهم السلام وغيرهم ولو
أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون وقد يحمل على أنه خطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته

والاول ابلغ في التخويف واقرب لارادة التحذير اذ هو وسائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام
لا يامنون على انفسهم ان يسلبوه فكيف بمن سواهم ومن هذا المقام كان يقول صلى الله عليه
وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وفي اخرى على طاعتك لعلمه عليه السلام ان قلوب
العباد بين اصبعين من اصابع الله عز وجل فمن شاء اقام ومن شاء ازاغ اذ من المعلوم ان فطرة
الاسلام قد يدخل عليها الشرك كما دخل على المشركين قال الله عز وجل ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون قوله عز وجل قل اي شيء
اكبر شهادة امر جل وعز رسوله عليه السلام ان يحتج قوله قل الله شهيد بيني وبينكم
يعني هو شهيد ثم عطف جل وعز بالوحي ومعنى الوحي على معنى الشهادة فقال واوحي الي هذا
القران لانذركم به ومن بلغ اي ومن بلغه القران وقد يكون الواو عاطفة معنى ما بطن
من ذكر الشهادة على ما ظهر منه وهو الله شهيد بيني وبينكم وبعضكم من المؤمنين منكم
شهداء له في الارض ثم قال واوحي الي هذا القران لانذركم به بشهادة الله بيني وبينكم
ومن بلغ شهادة المؤمنين لله بما بلغهم من الوحي وشهادة المبلغ اليهم كما قال وانتم شهداء
ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون قال فاشهدوا وانا معكم
من الشاهدين قوله تعالى ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا اشهد كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا اشهد على جور اشهد غيري شهد جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بشهادة
الحق لنفسه بحق قوله قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون ثم ذكر جل وعز علم اهل
الكتاب بالقران فانهم يعرفون انه من عند الله وان صرف القبلة الى البيت الحرام كانوا يعرفون ذلك
كما يعرفون ابناءهم فكتموا شهادتهم لذلك خسروا انفسهم في الاخرة فلم يؤمنوا في الدنيا
ليحق لهم ما سبق لهم عند الله عز وجل في خسران انفسهم واهليهم اتبع ذلك قوله جل
ومن اظلم ممن الاية ثم قال عز من قائل ويوم نحشرهم جميعا اهل الكتاب والذين
اشركوا والذين عدلوا بالله ثم خص اهل الشرك بالمسالة بقوله اين شركاؤكم
الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم اي معذرتهم وافكهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين ثم قال عز من قائل وهم ينهون عنه وينئون عنه يمكن ان يكون عنى به المشركين
فان قوما منهم كابي طالب وغيره كانوا يغضبون له ويحبونه وينهون المشركين غيرهم عن
اذيته ومع هذا فهم يبعدون عنه فلا يؤمنون به ولا يتبعونه ويمكن ان يكون المراد
به اهل الكتاب كانوا ينهون الناس عن اتباعه والايمان بما جاء به من الوحي ويبعدون على ذلك
بان يبعدوه كقول طائفة منهم امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا
اخره طمعا منهم بالالتباس في تشكيكهم وتفريق الاتباع يقولون لهم امنوا بالذي انزل على
الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون يقولون عسى من امن به يرجع و
يؤمنوا الا لمن تبع دينكم وطائفة منهم يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون هذا من عند
الله فان اوتيتم هذا فخذوه اي ان امركم بمثل هذا فائتمروا وان لم يامركم بمثل هذا فاحذروا
على دينكم هذا وشبهه من نهيهم عن اتباع الرسل والكتاب قال الله عز من قائل ولو ترى
اذ وقفوا على النار هؤلاء هم المشركون دل على هذا قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا

وما نحن بمبعوثين ثم قال جل قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا وهؤلاء هم اهل الكتاب والله اعلم ثم قال عز من قائل قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك المراد بهذا والله اعلم اهل الكتاب فانهم
وان اظهروا خلافه فان قلوبهم تصدقه دل على صدق هذا التاويل وصفه اياهم
بالجحد في قوله ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وعلى قراءة من قرا بالتخفيف لا يكذبونك
وتخفيف الذال فعام للكافرين اجمعين واهل الكتاب هم المقصودون بها مع احتمال
عمومها اي انهم لا يجدونك كاذبا في انفسهم ولا فيما ياتي به ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون يجحدون بايات الله الدالة على صدق رسوله ونبوته وان القران هو من عند
الله ام يعرفون ذلك كما يعرفون ابناءهم قوله عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون
والموتى يبعثهم الله كلام راجع معناه الى ما قبله من سؤالهم اياه ان ياتيهم باية وما دل
عليهم من ذكرها والذين يسمعون هم احياء الايمان ثم قال جل قوله والموتى يريد موتى الكفر يبعثهم
الله في حال الموت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا دل على صدق
هذا التاويل اتباعه اياه كقوله ثم اليه يرجعون اي بالبعث الاخر قال الله عز وجل لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقالوا لولا نزل
عليه اية من ربه الى قوله يجعله على صراط مستقيم يقول الله جل ذكره ان الله لا يعجزه شيء
في الارض ولا في السماء ولو شاء الله لانزلها لكنه الزم ذلك حكما مضت عليه سنته في عباده
وهو ما اخذ به الاولين قبلهم الذين سالوا انبياءهم عليهم السلام الايات ثم لم يؤمنوا بها فاخذهم
العذاب وهم ظالمون فهذا معنى قوله جل قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون حقيقة حكمه
ما سالوه ولم يرسل بها نظرا لهم وابقاء عليهم كما قال عز من قائل وما منعنا ان نرسل
بالايات الا ان كذب بها الاولون وحذف هنا ذكر الجزاء اي فنحن نبقيهم وكان فيما معنى ذلك ثم قال
جل قوله واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ثم حذف ايضا ذكر عقوبته اياهم اعتمادا
على ما تقدم من ذكر ذلك في غير هذا الموضع فوصف جل وصفه اكثرهم بالجهل وعدم العلم لما
جهلوا ان الاية المشروطة اذا لم تقترن بمجيئها الايمان بها فجزاء سائلها العذاب ومعاجلة
العقوبة اتبع ذلك ما هو في معناه قوله جل قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء يقول جل من قائل في ايات الارض والسماء وفيما
لديكم من المعهود منها لكم غنى عما سالتموه فما من دابة تدب في الارض ولا طائر يطير في السماء
الا امم امثالكم اي امم يؤم بعضهم بعضا في التفاضل في كثير والمعاملات والمنافع واللغات
والخلق والخلق والشرود والتناسل الى غير ذلك مما جبلت عليه حتى يصعد التفصيل والتخصيص
بها الى خاص منها مختص بما هو امام بالاضافة الى ما هو مؤتم به فقد كانت هذه ايات بينات
على اثبات الوحدانية وفرقان النبوة وبراهين صحة الرسالة شواهد صادقات وكفية مغنية
عن الحق الذي دعوتكم اليه مفصحات كذلك لو اتصل نظرهم الى نبات الارض كل على سنة قد سنت له
جبل عليها في خلقه وشكله ومنافعه ومضاره وطعومه ورائحته كلها كذلك الا بر والجماد
من الاحجار وقطع الارض والجبال الى غير ذلك كذلك قال وهو اعلم ما فرطنا في الكتاب

من شئ ولفظ الكتاب مترددة في الاعلام بين ان يكون المراد بها اللوح المحفوظ فهو
الذي عم كل مذكور ونص كل كائن الى يوم القيمة ويمكن ان يكون المراد بذكر الكتاب هنا القرآن
وهو ايضا قد عم بالذكر الموجودات كلها نصا عليها وتعريضا بها وفي هذه الاية على هذا
التاويل بين جل ذكره انه ما فرط فيه من شئ وكل دابة في الارض دبت او درجت
وكل طائر في السماء فهي امم امثالكم لكل امة منها الفها وشكلها وصورها وسيرها ومنزها
التي لا تعدوها في مناكح ومعاملة بينها معهودة عندها فطرها عليها فاطرها جل جلاله وهداها
اليه كما قال اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال جل قوله الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير
صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه لذلك قال عز من قائل ثم الى ربهم يحشرون كما حصل جل وعز
افعالهم وخلقهم وارزاقهم فكذلك اليه يحشرهم **فصل** ذكر جل ذكره الجناحين هنا والله
اعلم والعلم مستغرق فان كل طائر انما يطير بجناحيه فتح باب من الغيب لما استاق جل ذكره ذكر
ما دب من دواب الارض وما طار في الهواء ارشادا منه للمعتبرين من عباده بما يرونه ليحصل لهم
علم العبرة بما شاهدوه على الغيب بصحة قدرة خالقها ولطيف حكمة مسكها حال طيرانها وتسويته
لهم سنن النبوة في اسنان كل صنف منها سنة صنفه فلا تعدو ذلك ولا تخالفه وكان ذلك ايضا
اعلاما بان طيور النعيم ودواب الجنة خيلها وركابها ومراكبها ليس من شرطها ان يكون طائرة
باجنحة بل يكون طائرة وان لم يكن لها اجنحة وقد جاء ان المتقين بتحية الله جل وعز على
الصراط بمقادير قال فمن اصحهم كالبرق وعن الاخر كالريح وكرجع الطرف وحضر الفرس
الحديث **فصل** كما خلق الله عز وجل من شئ رفيع او وضيع كبير او حسيس بدىء منه اعادته
يوم البعث كما قال الصادق الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ثم الى ربهم يحشرون وكما قال
كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ذلك لتقاص الجماء من القرناء والضعيف
من القوي وسائر العود لم خدش العود ثم لا بد ان يميز الخبيث من الطيب فيركم الخبيث بعضه
على بعض فيجعله من جهنم ثم يجعل الطيب في الجنة ذلك ليعذب المكذبين الذين كذبوا بايات
وعصوا امره وعتوا على رسله بما كذبوا به وكفروا ربهم وبما عهدوه في الدنيا من ضرائها
وسرائها فلم يستدلوا بموجودات ذلك من سموم هنا وحميم وحرور سعير وصرود زمهرير
فنقصوا بموجودات ذلك فيما ههنا على ما هي الدار الاخرة وليتنعم اهل الجنة بما عهدوه في الدنيا
من خيراتها فشكروه عليها ومن مكروهاتها فصبروا له عليها وطلبوا معرفة من هذه وهذه حتى
وصلوا اليه ايمانا وايقانا فيكفيهم المكروه وينيلهم المحبوب ويزيدهم من فضله زيادة الى ما في الدار
الاخرة على عظم قدرها وتفاوت نسبة ما بينها لكنه يجمع هذه الى تلك كما تقدم **فصل**
الخبيث من كل ما دب من الارض او درج او طار في الهواء هو ما منع الماعون وسلط ضره
والطيب هو ما بذل الماعون وبذل نفعه ومن الموجودات ما منع الماعون ولم يصل ضره الى مخلوق
كما ان منها ما اتى الماعون واوصل شره الى الغير وحكم ما هذه سبيله لم تزل الى الدارين منزلة
هو الى الله جل ذكره وهو اعلم بما هو الطيب من ذلك والخبيث كما قال جل قوله ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض الاية غير انا نعلم ما علمنا جل جلاله ان نصيب الرحمة منه
اوفر واغلب لا محالة لذلك ايضا في النبات والجماد الطيب والخبيث يأتي الله جل ذكره

بالدنيا

بالدنيا جميعا فيقضي قضاءه ويحكم حكمه في عباده ثم يميز خبيثها الى النار وطيبها
الى الجنة لذلك قال عز من قائل ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون والذين
كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات الاية وانما ذكر جل ذكره بعث المكلفين وخصهم
بالذكر في ذلك للمعهود منه عز جلاله انما يكلف من حقه ايسره ويترك اكثره رحمة منه
بالعباد ورافة فذكر جل جلاله رجاعهم بعد اليه فكذب اكثرهم وكفروا فاستوجبوا
لديه ما اوعد عليه واعلم به وكيف كان يكون تكذيبهم بما قد تقدم وما اضمحل و
يبس وما رطب وما برد وما سخن بجواهر ذلك واعراضه وتوابعه واوائل ذلك
واواخره من اول وجود الدنيا الى انقراضها وهي جملة متعذر فهمها على اكثر الاوهام
ويغيب عنها في كثير من احوال الايمان بها قال الله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
جميعا منه فاخبرك جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه نصا صريحا انه خلق كل شئ لعباده ومن
اجلهم وجعل كل ذلك الاوايات على مراده من الغائب الاتي واخبر انه قدر العود بعد البدء
وصرح جل ذكره بذكر اعادة العبد لحق الجلي البين انه كما يصح بعد ان بدأه كذلك يعيد
ما خلقه له ومن اجله ايات على الدار الاخرة التي انترعت منها ثم جعل هذه اية على تلك
وعبرة من هذه الى تلك ثم جعل مصيرهم اليها **فصل** اعلم ان الحساب كله في المكلفين
هو مرتب من لدن عالم الجماد الى الثقلين الجن والانس غير ان الفرق بين ما هو مكلف
وبين ما ليس بمكلف وجود الجزاء والتعذيب والالام للمكلف بما هو فيه وما ليس بمكلف
فلا يجد الما بما هو فيه وبالضد في الطيب خلا ان القرين الخبيث منع القرب والجوار ونال
الحرب الطيب دونه وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من الموذيات فواسق وكفرها
واحل قتلها في الحل والحرم وفي الصلوة الى غير ذلك مما ينكشف بالاستقراء وتتبع كل
العلم من اشارات الشرع وشواهد الوجود **قوله** عز وجل والذين كفروا باياتنا صم
وبكم في الظلمات عبر بكونهم في الظلمات عن عماهم عن الهدى وكونهم في اليوم الاخر في ظلمات اعمالهم
ولم يقل انهم عمي كما قال جل قوله في سورة البقرة انما ذلك لمعنى زائد على العمى فما ههنا
وذلك انهم على عماهم لا نور يحتوشهم من ايمان ولا ضياء يضئ لهم من عمل صالح ولا من نور
فهم على ذلك كالعمي في الليل المظلم والظلام البهيم وضد هذا هو الذي عبر عنه صلى الله
عليه وسلم ونص عليه بقوله اللهم اجعل لي نورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في لحمي ونورا
في مخي ونورا في دمي ونورا في مخي ونورا في عظامي ونورا في شعري ونورا في بشري واملأ
قلبي نورا واملأ صدري نورا واجعل لي نورا من امامي ونورا من ورائي ونورا من فوقي ونورا
من تحتي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي اللهم اعظم لي نورا واجعل لي نورا فالذين
كفروا بايات الله وكفروا به في ابعد البعد عن هذه الانوار لذلك قال عز من قائل
والذين كفروا باياتنا صم وبكم في الظلمات فهم لو كانوا مبصرين لم يغنهم ابصارهم
ولو كانوا يسمعون لم يغنهم اسماعهم شيئا كما قال عز من قائل ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون

بها اولئك كالانعام بل هم اضل فانما ذلك من حقيقة وصفهم بما وصفه
لعدم النور الذي نعوم لاهلية مقام وصفه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه مثل
كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري ثم شرح ذلك
ان شاء الله تعالى احاطت بالاولئك ظلمات كفرهم واحدقت بذواتهم دياجي جهلهم فهو
لذلك وصم فلم يجيبوا الداعي ولا يسمعوا المنادي **فصل** جعل جل ذكره اياته في السموات
والارض شواهد على توحيده ودلالات مبينات لصدق رسله عليهم السلام والعلاما
بالحق الموجود في الدار الاخرة الذي يضمنه وعده الحق ووعيده كما جعلها ايات على وجود
اسمائه الحسنى وصفاته الكاملة العلى من عظيم قدرته واحاط علمه ومضى مشيته هدى بها
والهام من سبق عليه بهدايته واضل من سبق عليه بضلاله هذا بفضله وهذا بعدله ثم قال جل قوله
والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
اذ كل ما في السموات والارض مفطور على الاسلام مجبول على الدين القويم من استرشدها رشد
ومن اهتدى بها هدى ويجعل له نورا يمشي به في الظلمات وفرقانا يفرق به بين المشتبهات فيريه الاشياء او
وجوده التي اقبالها الى اكتهالها الى منتهاه ويبصره مواقع احكام الله عز وجل وعلمه في خليقته حتى
كانه لقوة نفسه مشاهد لعقله مبادي الصنع على تاسيس التقدير الذي بقي في الازل قائم بالنية على تفصيل
وتوصيله الى تمام وتركه جملة الخليقة شخصا قائما بين يدي مالكه جل وعز قانتا له متعبدا له
محسنا قد احاطت به مسكة المقدار وتخلله الامر وجرى فيه الروح حاكم به زجبان الارواح في
الاجسام ويريان الحياة لوبه في جملته واعضائه واجزائه واجزاء اجزائه الى منتهى التحصيل
تسبيحا وتحميدا وتهليلا وتكبيرا وصلوة وشهادة وخشوعا وايقانا مما عنده وصو...
وحمد الفاطر فانتا الله على ذلك **فصل** انما ضعف الاكثر من الانام عن مشاهدة ذلك منها
غيبتهم في اسقاعقلاتهم ولنامهم عن التيقظ لرؤيتها واصمهم عن سماع شهادتها عندما يريدوها
من استرشادها اتخاذهم بها الى المعهود من ظواهرها وحملهم معاني خطابها عند دائها
دائها على التعارف في بادي الراى مما يلعوه من ابائهم ووراء خواصهم فهو لذلك حظا
مما ذكروا به لم يتصفحوا الوجود بعزم ولا تدبروا الوحي بقوة ولا طلبوا المعونة من مالكهما
جل جلاله ايقظنا الله عز وجل من سنة الغفلة وعصمنا من غياهب الفتنة لذلك قال عز
من قائل وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون المعنى الى اخره ثم اتبع ما تقدم ذكره قوله جل من قائل قل ارايتم ان اتاكم عذاب
الله او اتتكم الساعة المعنى هذا منتظم بقوله جل قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه والحوا
بعده الى قوله والذين كفروا باياتنا جعل جل جلاله يريهم اياته بعد هذا بقوله جل قوله وما
نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ولقد ارسلنا الى امم من قبلك الى قوله ارايتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم من اله غير الله وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات
ثم هم يصدفون اي عن النظر اليها والهداية بها الى العلل بطلب انزال الايات سلوها فعل من
لا يعقل ولا يعلم قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة الى قوله قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك جعل جل ذكره من اياته على صدق ما جاء به

كونه ليس عنده خزائن الله وهو على ذلك يثير الماء من بين اصابعه ويدعو المطر الجود ويشير
الى السحاب بالسماء يمنة ويسرة فينجاب انجابة لاشارته بيده هكذا وهكذا ويجعل به قليل الطعام
كثيرا الى غير ذلك من اياته من هذه الجهة ويكون من البشر وليس بملك وهو على ذلك عليه هدى
الملك سمتا ووقارا وخيرا وعبادة وتقوى وخشية لربه واستجابة له والملائكة تنزل عليه على
جميعهم سلام الله ورحمته بالذكر والوحي والنصر والولاية والصحبة وبانه لا يعلم الغيب وهو بذلك
يخبر بالغيوب وينذر المنذرين ويبشر المبشرين وينزل عليهم الخبر من السماء ويخبر عما يكون وما كان
ويتلو كلام الله عز وجل وكتابه الحكيم ينزل عليه من لدن رب العالمين الى الروح القدس الى الروح
الامين الى قلبه المقدس المطهر الى لسانه الصادق قرانا عربيا اعجز الثقلين وبهر العرب والعجم فكان
بعرية من اوصاف الملائكة عليهم السلام وعلم الغيب وخزائن الله مع وجود ما يوجد منه عنده من ذلك
ادل دليل واعرب شاهد شهد بالحق على علم حقوق ذلك بقوله الحق ان اتبع الا ما يوحى الي لذلك قال
عز من قائل قل هل يستوي الاعمى والبصير البصير هو المعنى بهذا النعت ههنا والاعمى هو سواه من لم يبصر
ولا رسوله واعرفهم في المعنى من كذب وعتا نورا لا يبقى نعت البصير في كل من امن واهتدى هم
درجات عند الله جنس ذلك بقوله الحق افلا تتفكرون يريد فيما تقدم ونحوه **قوله** عز
من قائل وكذلك فتنا بعضهم ببعض التنبيه وذلك اشارة الى مشار اليه موضعه الكافرين ذلك
لنعوت وهو علم كما فتناهم بذلك كذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا عند
عز وجل المهتدين كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه يقول الله جل من قائل اليس الله باعلم بالشاكرين
كما قال جل قوله في اعلى من هذا الله اعلم حيث يجعل رسالاته **قوله** عز وجل واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انتظم هذا بما اتصل به من ذكر المهتدين
والنهي عن ان يطردهم من مجلسه عن ان يبعدهم وامره لربان لا تعد وعيناه الى سواهم من اهل الثروة
والمراكب والملابس **تنبيه** قال الله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
اي مبشرين الذين امنوا ومنذرين الذين كفروا وقال جل قوله بعد هذا وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع كقوله جل قوله انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة لعلهم يتقون اي لتقوى الا رفع وقال بعد هذا واذا
جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا
بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم انذار لمن اتقى كي يتقي لتقوى كله وبشرى
للمؤمنين ثم للناس في انتظم هذا الخطاب اوله باخره وما بينهما ثم قال جل قوله وكذلك اي
كما نصرف لهم الايات ونبينها لهم كذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين اي سبيلهم
فيما هم صائرون اليه وعطف بالواو في قوله جل قوله ولتستبين على محذوف تقديره وكذلك نفصل
الايات بشارة ونذارة ولتستبين سبيل المجرمين كذلك اعقب بقوله بعد التبيين قل اني نهيت
ان اعبد الذين يدعون من دون الله الى قوله قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم الى قوله
يقص الحق وهو خير الفاصلين يقص الحق من القصص يقضي الحق من الحكم والقضاء
بالحق قوله وهو خير الفاصلين يدل على ان وجه الخطاب قراءة من قرا يقضي الحق من القضاء
وقوة الخطاب فيما قبل يعطي توجهه الى القصص **قوله** عز وجل وعنده مفاتح

الغيب لا يعلمها الا هو الى قوله مبين مفاتح الغيب وهو اعلم بما هي صفاته العلى علمه المحيط بكل
شئ جملة وتفصيلا وقدرته المخرجة للكائنات من العدم الى الوجود وكلامه العلى لقوله جل قوله
للكائن كن فيكون وارادته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هو يقدم ويؤخر ويرفع ويضع
ويفعل ما يشاء كيف شاء ومتى شاء وهذه لا يعلم كنهها سواه وعلى الحق بالتحقيق فانه ليس عنده غيب وانما
وجود الغيب بالاضافة الى سواه وبانضياف بعض العلوم الى بعض اتبع ذلك ذكر الموجودات الغائبة
عن اكثر الاعين فقال جل قوله ويعلم ما في البر والبحر وما يسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقد يكون على حكم تنزيل الخطاب بان يتوجه المعنى
الى خزائن الغيب ما اخزنه في خزائنه اي له ما في السموات والارض كالماء ينزله من السماء من خزائنه
ثم الماء خزانة لجميع النباتات والحيوانات والنبات خزانة للحيوانات والارزاق الى غير ذلك كما كانت الرياح
خزانة للماء قال الله عز وجل وجعلنا من الماء كل شئ حي وان من شئ الا عندنا خزائنه وما
ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له
بخازنين وهذه خزائن قد اعلم بها وقال جل قوله في تلك لا يعلمها الا هو والوجه الاول اولى والله اعلم
والعرب تقول للخزانة التي يختزن فيها مفتح بغير الف ويجمعها مفاتح ويقولون لما يفتح به
الغلق مفتاح بالالف ويجمعونه مفاتيح بالياء **قوله** عز وجل وهو القاهر فوق عباده
ويرسل عليكم حفظة الاية معهود فعل صفة القهر فيما سبيله الغلبة للنفوس وصفات الباطن
كما معهود فعل القدرة في ايجاد الاجسام وذوات المقادير والله عز وجل يحفظ خلقه من ان
يصيبهم من امره ما قد سبق في علمه وتقديره من امراقه ان يصرفه عنهم ثم هؤلاء الحفظة يتعاقبون
في الموجودات على رتبة حفظة الاعمال حفظة بالليل وحفظة بالنهار قال الله عز وجل قل من
يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار ويجتمعون في صلوة الصبح وصلوة العصر الحديث وقد عم ذكر الصنفين معا في قوله جل قوله
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فهذا اخبار
منه عز وجل عن احاطة العلم والتحصيل ثم قال جل قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله وكل ما احاط بالمخلوق من منافع وضار فهو من امر الله فهو يقصر
عنه بامره ما قد قدر انه لا يصيبه من امره الا ان تبع الى قوله جل قوله قل من يكلؤكم بالليل
والنهار من الرحمن جواب هذا مضمر وهو الرحمن ولهذا ما اشتاق الاسم في هذا الموضع
ثم قال جل قوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم الهة تمنعهم من دوننا المعنى الى اخره
اتبع هذا ما هو في معناه قوله جل قوله ويرسل عليكم حفظة ظاهر الخطاب انهم يحفظونه من
الموت مالم يات اجله فاذا حضر اجله المسمى توفته رسل الله وهم لا يفرطون في امر الله لا يفرط
الحافظ ولا المحفوظ من اجله بل يقهر الحافظ والمحفوظ والذي من اجله ولو كان الحفظ
ذلك قوله جل قوله وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير وهذا الخطاب انه حفظ
من كل ضار ونافع ومر وحلو قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الا له الحكيم
اي فيما سنا وله الحفظ وما لم يتناوله وهو اسرع الحاسبين فهو جل ذكره يحاسب الجميع محاسبة
الواحد منهم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وجل اخر هو اسرع الحاسبين يحري

الحسنة

بالحسنة ثوابها ونورها وبالسيئة اثمها وظلمتها في القلب ذلك في غير زمان ويعفو
اتبع ذلك ما هو في معناه قوله جل قوله ثم انتم تشركون اخبر جل ذكره انه فيمحي العوارض
والاسباب بالدعاء والصدقة وصلاح الاعمال كما ياخذ عز وجل بعوارض واسباب هي الذنوب
والمعاصي او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ولما كان من سنته جل ذكره ان يمحي بعوارض
واسباب وربما اخذ بها فاهلك كان ذلك لبعضهم فتنة قال الله عز وجل قل الله ينجيكم
منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون اي بالاسباب العارضة التي انجى واهلك لولا الريح وكذا
الكذا وانما هي عوارض واسباب قد قدرها الله تعالى للاحيا والاخذ عن معصية وطاعة
او بما شاء من ذلك لما شاء **قوله** عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم الصواعق والقذف والقحط يكون معه الجوع وغير ذلك من عذاب يرسل من قبل
السماء او من تحت ارجلكم الخسف والجذب او ما يحوش من عذاب يخرجه من الارض فهما نا
وان كانا مما يحذر باستصحاب الحال بهما فهما ايضا مستقبلتان لوجل لهيوجه الخطاب
اليه انتظامه بقوله عز من قائل قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم قل ارايتم
ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون ثم بعد لم يزل عز وجل
يوجه الخطاب الى وصف القدرة والمشية ويعرض بالعقوبة وشدة الاخذ وربما وجه ظاهر
الخطاب الى الاخذ والبطش بالجزاء وعرض بوصف القدرة وهذا كله في مقابلة سؤالهم اية
على نبوته وصدق ما يقوله رجع الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في امتي قذف ومسخ
وقال عليه السلم من اشراط الساعة كذا وكذا وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة
العرب ثم قال جل قوله او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض وها تا نوجدتا في الامة
منذ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو سيف الله جل وعز لم يغمده الى هلم جرا نسئل
الله العفو الغفور معافاته ومغفرته اتبع هذا قوله جل من قائل انظر كيف نصرف الايات
لعلهم يفقهون اي منبعث الجزاء من حيث هو فاذا الفقه معرفة حقيقته المصدوق المتميز
عنه الكفر وع ثم قال جل قوله وكذب به قومك وهو الحق يريد جل وعز وعن النبا والقران
لكل نبا مستقر يريد اجله ووقته ومحله وسوف تعلمون انذار منه عز وجل بما هو كائن
من ذلك **قوله** تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره المعنى الى اخره ايات الله يكون المراد بذكرها ههنا الوحي والتنزيل
الذي هو القران والحكمة وقد يكون المراد بها اياته في مخلوقاته كقوله جل قوله ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار الاية وكقوله جل قوله ان الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه المعنى الى قوله جل قوله
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الى قوله الحمد لله رب العالمين المعنى الى اخره حيث
جاء في الوجود والوحي والعالم والخوض يراد كلام خارج عن سنن الهدى والصواب
مشوب فيه الحق بالباطل مرادهم بذلك نقص الرسول عليه السلام وما ارسل به واخذ اعراض
المؤمنين بالجدل المذموم في ايات الرسل ان ينسبوها الى الباطل كما قال جل قوله

وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق كما قالوا فيه سحر وجنون وكهانة واساطير
الاولين والجدال المذموم في الايات التي جعلها الله في السموات والارض وهو
ان يصرف ان يكون ايات يخوف بها عباده من معارف من الحق الكائن بعد الموت يوم
القيمة من دار القرار الى ان يجحدوا بها الى معارف من الحق الحاضر معهودة كاشئة عن
كائنات متعارفة فان ذلك يورث لتأنس بها وعدم الخوف عندها فيعدلون بها عن
حقيقة ما اوجدت له الى ما يبطل الانتفاع بها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغيمت
السماء اصفر لونه ودخل وخرج فاذا امطرت سري عنه فقيل له في ذلك فقال عليه السلام
وما يدريني لعله كما قال قوم هود عليه السلام هذا عارض ممطرنا وكان نزول هذه الاية
يعني قوله جل قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا والايتين بعده لم يظهر ظهور علو
وغلبة فلما اظهر الله الاسلام وجاء بالفتح والنصر نزل ايات القتل والقتال
واخرجهم هذه وما هو في معناها الى حال ذلك وفيه اتبع هذا قوله جل قوله وذر الذين
اتخذوا دينهم لعبا ولهوا هم اهل الكتابين ثم قال جل قوله وذكر به ان تبسل نفس بما
كسبت ان وما بعدها بتاويل المصدر ومعنى الابسال الارتهان والمنع والخذلان
والاسلام من الهلكة فلانا فانا اسلمه فالابسال كلمة معناها مركب من معاني هذه الكلمات
اسد باسل بمعنى منيع لا يقرب فمن منع الجنة والرحمة فقد ارتهن بعمله ومنع ومن لم ينصر
فقد خذل ومن خذل فقد اسلم الى المكروه والعذاب اتبع هذا قوله جل من قائل قل اندعوا من
دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا المعنى الى اخره ليقول الله جل قوله وهو على قل لهم يا اهل
الكتاب اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا كالمشركين بالله الكافرين به وكالذين يجعلون
انتم ركبتم اهواءكم فكتمتم ما تحفظتم من كتاب الله عندكم فاستعملتكم الشياطين
بالهوى كما فعلت باولئك فصرتم من اجل ذلك حيارى في الارض هذا في اهل الكتاب خاصة
فلا انتم علمتم بكتابكم الماخوذ عليكم الميثاق فيه ولا اتبعتم ما جاءكم من الهدى والقران
ولا رضيتم الشرك والكفر سالتبين ضلالته فتحيرتم كالذي استهوته الشياطين في الارض
حيران يضل في مهامه الارض ومتالفها له اصحاب يدعونه الى الهدى محمد واصحابه صلى الله
عليه وعليهم وسلم يدعونهم الى الهدى فيقول احدهم لداعيه الى الهدى ائتنا انت فادخل فيما نحن
فيه واترك ما انت عليه من هدى اتيتك قل يا محمد ان هدى الله هو الهدى وامرنا نحن وانتم معشر
المكلفين لنسلم لرب العالمين وقال وامرنا لنسلم لرب العالمين ولم يقل ان نسلم وانما ذلك والله
اعلم لما في سياق الخطاب من معنى الهداية والدعاية فيمكن ان يكون تقدير الكلام ان دعاية الله او هدايته
الله لنسلم لرب العالمين هو الهدى ويكون على تقدير محذوف فيكون تقدير الكلام قل ان هدى
الله هو الهدى به هدانا لنسلم وبه اهتدينا او ما يكون من معنى هذا ولما في الخطاب من معنى الامر عطف
عليه بقوله جل قوله وان اقيموا الصلوة واتقوه فعطف جل جلاله على ما في الخطاب من معنى الارادة والتناول
العزم والوجوب الجملتين ثم استمر على قوله الحق علامات شانه وتعريفا بقدره وهو الذي خلق
السموات والارض بالحق الى قوله وهو الحكيم الخبير وفي ذكره هذا كله وما ذكره مسعث واشارة الى
النظر في الملكوت وانه سبيل الايمان والاسلام والعلم الموصل المحيط وما جاوزه في الغيب وشهادته

وهو العلم الذي به تشرف عالمه على مطالع الدنيا والاخرة اعقب ذلك بقوله الحق واذ قال ابراهيم
لابيه ازر ذكروا ان ازر كان اسما لابي ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانما كان اسمه تارح وربما كان
ذلك لقبا والله اعلم فان كان ذلك كذلك فهو في المعاونة والمظاهرة لقومه على
اتخاذ الاصنام الهة من دون الله تعالى وجل ذكره وعلى ذلك قراها الاعمش ازرا تتخذ
اصناما الهة بكسر الهمزة وسكون الزاي والتنوين والنصب وقرئ ايضا اعضدا تعتضد
من دون الله وقال ان اسم ابي ابراهيم لم يكن ازر وكان اسمه تارح وقرا ابي ازر اتخذت بالتاء
بلفظ الفعل الماضي وقرا غيره ءازرا تتخذ اصناما الهة من دون بهمزتين مفتوحتين
ساكنة الزاي على شبه الاستفهام وكذلك قرا الحسن وابو عياض وقتادة يوم ينفخ في
الصور بضم كضاد وفتح الواو على الجمع اي صور الناس وقرا ملكوت السموات والارض بالتاء
بثلاث نقط وقال هو بالسريانية ملكوثا وقرا ابو السماك ملكوت باسكان اللام فقوله جل قوله
واذ قال ابراهيم لابيه ازر الاية منتظم بمعنى ما تقدم من ذكر الهداية والضلالة وليعلم
بعد ما بين من علمه الله من علم وهداه اليه هداية وفطرة وبين من اشرك بالله سواه اعقب
ذلك قوله جل قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين عطف
بالواو في قوله وكذلك نري وشبه بالكاف واشارة الى ما تقدم ذكره من هداية وعلم فطره وصدق
وعلم الاسماء في قصة ادم عليه السلام وغيره من المهتدين وقال نري ولم يقل جل قوله ارينا وقد تقدم
عمل ابراهيم عليه السلام وعلمه والله اعلم ان مخرج علم هذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم نحن
الاخرون السابقون وان حسن التقدير وترتيب الكلام كانت البداة من الاخرين كالجزاء سواء
خلافا للايجاد الموجود من ادم عليه السلام الى ما بعده ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده الملكوت
هو فعل الملائكة عليهم السلام بامر الله عز وجل في جميع الموجودات من تدبير لجميع التقدير من تدبير
امرها وازالته واصلاحه وانشاء وخلق وتبليغ وتبعيد وانباء بعضهم بعضا وجميع
ما هو لامر المسخر به السموات والارض من خلق وقوى وتحديد خلقه واخلاق الى وراء ذلك لا الى بعد من
الابارة ولا خروج لهم عما امروا وحكمه فهذا هو يسمى الملكوت ماخوذ من الملك والملك عطف بالواو
وادخل لام كي في قوله وليكون من الموقنين تقديرا الكلام والله اعلم نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض ليؤمن بالغيب ويزداد ايمانا الى ايمانه وليكون من الموقنين اعلم ان رؤية الملكوت
يشرف على مطالع الدنيا والاخرة فيشاهد الاخرة من الدنيا وذلك هو اليقين وفي ذلك ايضا
اليقين بعلوم الغيب من رؤية الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه والملائكة ولذلك هو علم
استاق ذكر الكواكب في القمر والشمس كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس
وكما ترون القمر واتصل ذلك بما في قوله واذ قال ابراهيم لابيه ازر من وعظه اياه وقوله اتتخذ
اصناما الهة كما قال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا كقوله ائفكا الهة دون الله
تريدون فما ظنكم برب العالمين وهذا كلام من علم يقينا ان جميع الموجودات مفتقرة الى موجدها جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه في جميع ايجادها ووجودها وانها في منزلة الطوامع المتعبد بها
لا تملك له ضرا ولا نفعا ولا يغني عنه شيئا ثم استاق ذكر الكواكب في جعل البراءة منها على الاقول
وذلك اعتمادا منه على الرؤية مع ما في ذلك من تعليم طرائق النظر وسنن التفكر وكيف الاعتبار

فانه صعود كل مسعود فيه معتبرا لي ماهو هذا اية عليه ودليل اليه وكانت روية النيرات
الكواكب والقمر والشمس ايات على روية لما لها من نوره وتبعها من امره الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المعنى الى اخره واما تبروه عليه السلام من الكواكب لا
افولها فيما بقي اليقين وحي وتعريف بان الحق المبين لا افول له اذ الافول فقد وعدم وجود
مع ما في ذلك من تنقل وتغير وقطع منه فانه ليس كالحجاب فانه يحجب عنه خليقته ويحجب
عنها بها وبما شاء وكيف شاء لا اله الا هو العلي الكبير واما الاشارة الى انه يكون [illegible]
فان امر تسخير الشمس والقمر والنجوم والسموات والارض والجبال واوجد الموجودات على
انواعها الامر حق وحكم عن مراد العبث لا يجوز في حكمته وافعال اللعب يستحيل على نعوت
معاليه واوصاف كبريائه وقد وصف ماهو فاعله ووعد كما هو جاعله في تقويض هذا
البناء وتبديل الارض والسماء وتزيال الشمس والقمر وجميع الكواكب وتسيير الجبال
وان شيئا سواه لا يملك نفعا ولا ضرا وانه انما يملكه هو وحده لا سواه وان الامر
من الدنيا الى ماهو مستقبل موسس على حكم السير من صغر الى كبر كما تقدم الايجاد
من مبدا الامر الى هلم جرا فعظم الامر وجل الخطر وتحقق الايمان والوجود فقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كاصبع ادخله في اليم فانظر بم يخرج منها
ومفهوم قوله ان الذي يخرج به الاصبع من اليم هو ماهو وعلى قلبه فهو من ماء اليم فانه
اذا متنزع عن الاخرة يسير من كثير وصغير من كثير كالماء الخارج من البحر من الاصبع وان
هذا المثل المذكور منه صلى الله عليه وسلم للتقريب كمثل الخضر لموسى عليهما السلام في قوله وقد نقر
عصفور من حرف السفينة في البحر نقرة او نقرتين في موضع مجمع البحرين وهو اكبر ما
على وجه الارض ما علمي يا موسى وعلمك في علم الله عز وجل الا كنقرة هذا العصفور
من هذا البحر وعلم الخضر وموسى عليهما السلام كان من علم الله فكذلك موجود الدنيا هو
من موجود الاخرة سهل على ابراهيم صلى الله عليه وسلم الكل في العبرة من دليل الى ماهو مدلول
عليه ومن اشارة الى ماهو مشار اليه اذ معرفها والمشار اليها والمشهود لها بانه خالقها
ومسخرها هو الله الحي القيوم القادر العالم المريد المدبر الحكيم وانهن بما هن مقدرات
مدبرات لا يستغني عن مدبر قادر مصرف كذلك قال عز من قائل هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا الى قوله ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات **قوله** تعالى وحاجه
قومه محاجتهم اياه ان اضا قواما قد جعل الله جل ذكره لهن من امره في طلوعهن وغروبهن
وحلولهن في محالهن من افلاكهن مع اختلاف الاوقات والشهود والازمان وما قد خف
بذلك الامر من ملائكته على جميعهم السلام ليفيد ذلك الامر عنه باذنه يقولون الا ترى ما تصنع
الشمس من امر كذا وكذا والقمر ورب عدوا منافع ومضار جعلها الله من امره كما تقدم
فكان ذلك لهم هداية وفي حقهم فتنة وعمى عن روية الفاعل المسخر المدبر جل وتعالى فكيف
هو صلوات الله وسلامه عليه بما هو عنده من علم الله عز وجل وتدبيره بها الكفايات كلها
فقال اتحاجوني في الله وقد هدان وحوجوه بما يزعمون انه كان عنهن في حال
طلوعهن وغروبهن ومقابلتهن على سطوها او وجدوها حقيقها الله عز وجل

هو الاول

هو الاول فيها والاخر والظاهر والباطن كذلك قال قوم هود عليه السلام ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء وقال ابراهيم عليه السلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي
كل شيء علما افلا تتذكرون ولو تذكروا وابصروا ان كل الا قليل الى تظنون بها عنها وعندها
هي من امر الله جل وتعالى وقد وقت لكل مفعول ظهورا وشرع لمخرجيه ومظهريه من الملائكة
المدبرات عليهم السلام ان يظهروا تلك الكائنات باذن الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه و
عند طلوع الشمس والقمر واي الكواكب كان وغروبها او توسطها السماء ومقابلتها لسواها
وعلى نسب معلومة محدودة عند حدها جل ذكره لمدبرات الامر من الملائكة عليهم السلام كما قد
امرنا نحن بامتثال فعل الصلوات في اوقات مطالع الفجر الكائن عن ظهور ضوء الشمس قبل
طلوعها واستوائها وجنوحها الى الغروب وغروبها عند غروب الشفق الكائن عن بقايا
ضيائها بعد غروبها وجعل جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ذلك على حد ومعلومة
في كل صلوة اولها واوسطها واخرها كل ذلك بحدود جريان الشمس وظهورها
الظلام وزواله ولا ليس في ذلك ان صلاتنا هي للشمس ولا ان عبادتنا للكواكب ولذلك جعل
حد الصيام طلوع الفجر والفطر غروب الشمس وقال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لروية الهلال
وافطروا لرويته وجعل وقت اداء الزكوة حول الحول وهو كون الشمس في موضع بدئها
من اول فافهم ولذلك تلك الافاعيل التي يضيفونها الى الكواكب انما هي افعال الملائكة
عليهم السلام بامر الله جل وتعالى لتوقيت موقت عند ما يظنونهم من مطالع ومغارب ومقارنة
فكيف اخاف ما اشركتم من كواكب سماوية والهة ارضية وهي لا تملك شيئا ولا تعلم ولا تخافون
انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن من كان مطيعا للحي
القيوم الملك الحق المبين ام من كان لا قدرة له ولا حيوة ولا علم ولا ارادة ولا حقيقة
فحكم الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بحكمه الحق وقضائه الفصل وهو احكم الحاكمين
بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي بشرك كثيرا اولئك لهم الامن وهم اي في
الخلود في العذاب في جهنم وسوء المصير ولم يلبسوا ايمانهم بظلم صغير ولا كبير اولئك
لهم الامن كله وهم مهتدون الهداية كلها ثم بعد هذا كله الله جل ذكره حكم وقضاء
في عباده المؤمنين الظالمين انفسهم بذنوب اصابوها وهو موضع الشبهة من علم في حقها
غير انه من حكم الله عز وجل في كثير من عباده المؤمنين الذين لم يلبسوا ايمانهم بشرك و
لا شك انه يكفر عنهم سيئاتهم بامراضهم واوصابهم ومصائبهم وبالشدائد يصيبهم
واللاواء صغيرة لك وكبيره ولا يظلمن ذلك كله مثقال ذرة ولما نزلت ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وقد جزع
لظاهرها يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب الست تصيبك اللاواء الست [illegible]
الحديث ثم استمر جل ذكره على ذكر الانبياء والرسل من الاولين والاخرين صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين وعلى جميع الملائكة المقربين وعم وخص واحال على ما ابراهيم فاعله فذكر
معهم اباهم وابناءهم واخوانهم ومن اجتباه وهداه ومن اتاه النبوة والحكم وهذا كله
مدرك الانبياء بملكوت السموات والارض فمنهم العموم بالاضافة الى العلية منهم وهم الاخوان والاتباع

والاباء والابناء كعموم المؤمنين في الجملة ومنهم من اتم عليه النعمة ومن بلغ به درجة النبوة
فافهم وهذا هو الطريق فالزمه وهم الذين هدى الله فبهداهم اقتده وسله التوفيق والتسديد
والصدق والاخلاص **فصل** ذكر الذين تعاطوا معرفة اجرام الكواكب وابعاد الافلاك
فزعموا ان الشمس هي اكبر من الارض بمائة وبما بين ضعفا ومنهم من زاد على ذلك الى ثلثمائة ضعف
وكذلك قالوا في القمر وسائر الكواكب بالزيادة على الارض وفاصلوا بين ذلك فان كان المعنى منهم
بوضع المصنف طريق الشمس في ملكها من مشرقها الى مغربها ثم بصعدها في اعلى مسالكها
في ذلك ومنازلها الى ادنى ذلك في المشارق والمغارب عرضا قاربوا وظن بهم ذلك وان كان
غير مدرك لبشر من غير توقيف نبوة ولا اعلام بوحي من عند الله وان كان المعنى بذلك قرص
الشمس والمشاهد منها سبطل ذلك وانما اوقعهم في هذا التهافت ما راوه من امر الله المجعول فيها و
وذلك ان الله جل ذكره جعلها شخصا محاطا به محصورا له مقدم ومؤخر وجنبات رفعه الله
عز وجل في لوح الجو واجراه في الفلك الرابع الذي هو اول افلاكه فلك القمر ودع عنك ما دون
ذلك من فلك الرياح وفلكي الليل والنهار وفلك المنشا وهي جسم نير شعاعه عم ضياؤه
ما حولها فكان ذلك سبب شعاعها واضطراد الابصار الى دونها دون تضامها الى احد
لانضاد رحال الرؤية لعلوها في الاجواء واشراق ما جعله الله عز وجل في ضيائها
سناها جعلها الله جل جلاله اية من اياته وعلم موجودات في الدار الوسطى والدار الاخرة
ولله المثل الاعلى في السموات والارض وهو اعلى واجل واقدر على ما هو اكبر وابين بيانا واحق
حقيقة واكرم ظهورا وبها من المقصود انه ليس يطلع على الارض كلها طلعة واحدة بل هي
طالعة في حق قوم وضاحية في حق غيرهم ومستوية عند غيرهم اية ذلك في طلوع الفجر وعند
غروبها وان حال الغبشين دائر لا يتعجل عن وقته ولا يتاخر تقدير من عزيز عليم ثم قد ينكشف
منها جزء فيشاهده قوم ولا يشاهده اخرون ويتم كسوفها في قطر ولا يتم في غير ذلك القطر
ولو كان ما ذكروه من عظم جرمها وتضعيف ذلك على جرم الارض على ما زعموه لكانت
الارض في ضمنها كالنقطة والمعهود المتعارف ان ظلال الاشخاص تعظم مع القرب وتصغر
على البعد وفي مثل بعد ما بين الارض وبينها يوجد ذلك وذلك كله دليل على قصورها ونقصها
عن العظم الذي وصفوها به اما انهما من الاء الله جل ذكره ومن اياته فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حديث ابن المسفق وقد ساله عن الرؤية قال يا رسول الله بم يبصر يومئذ قال مثل بصرك
ساعتك هذه وذكر كلاما فيه انه ساله فقال يا رسول الله كيف وهو شخص واحد يراه اهل الارض
كلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريك مثل ذلك من الاء الله الشمس والقمر هما شخص واحد
وترونهما ويريانكم ولعمر الاهك لهو اقدر على ذلك منهما وهذا نص منه على ما عجزت عنه من الظهور
على جميع الاقطار زائدا الى ما في ذلك من الاخبار عن نقصها وعن الكمال الذي هو لا بصار
ويقال لجميع الملائكة عليهم السلام ملك قال الله عز وجل والملك على ارجائها وجاء ربك والملك صفا صفا
يعني جميع الملائكة عليهم السلام فهو اذا تنكير اسم الجميع وتفخيم لفعولهم وتعظيم ووصف له بالالتئام
وحسن التماسك وبديع الترتيب لانهم عليهم السلام انما يعملون بامر الله عز وجل ومشيئته فاحكام
في مفعولهم هو موجود عن احكامه وواقع على وفق مشيئته وقد جعل الله عز وجل لكل موجود

وجود من الملائكة عليهم السلام ما يطابقه بكون فعله في وجود ذلك الشيء ايجادا له
واعداما وانشاء او ما يجري في سبيل تنفيذ الله جل ذكره من ذلك فالملكوت اذا ماخوذ من
جمع ملك وبنصا الى ذلك انه وصف لفعولهم بالاحكام والابداع وحسن التماسك كما تقدم
والعرب تقول ملكت العجين املكه اذا اجدت عجنه وبذلك يكون تماسكه وجبروت من رهبه
ورهب ورغبوت من رغبه ورغب فكذلك ملكوت من ملكه وملك واقرب سبيل من التقرب
فيما اعلم والله اعلم معرفة الاسماء بمسالك طرقها في العالم وعلى القول بالعموم وكشف
المعنى فمعرفة الحق المخلوق به السموات والارض وكل شيء وكل ذلك موجود في علم الاسماء والصفات
ومن ذلك تدقيق النظر في تعرف جميع مواد المخلوقات وتعرف دقايق الشيء فيها من جواهر
واعراض واجسام وخلق وامر وبالجملة فما كان تتميما للكلمات من سنة المتممة لذلك ثم على
ظاهر ذلك المفعول واجتماعه يعبر عنه بلفظة الملك وقد يعبر بالملك عما يقول الله دار
الدنيا الى ما هي الاخرة من سموات وارضين ومعنى الدار الاخرة وهو قوله جل وتعالى ولله ملك
السموات والارض وقوله وله الملك يوم ينفخ في الصور وقد يعبر بقوله الملك على ما هو سلطانه
في مملكته وقدرته في مقدوراته وجبروته وكبريائه واما من حيث الموجود المخلوق فهو جد
المخلوقات من الارضين والسموات وما فيهن وما بينهن الى ما علا والى ما سفل ثم ما يكون عن ذلك
وما يؤول اليه من وجود وله جل جلاله الامر من قبل ومن بعد ويعرف ذلك من قوله جل ثناؤه
تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الى قوله واعتدنا لهم عذاب السعير وبين في ذلك
ما فطر الخلق عليه من شرعه الواضح المنهج وسنته التي لا امت فيها ولا عوج في الاولى والاخرة
وفيما بين ذلك وسيأتي شرح ذلك ان شاء الله عز وجل في موضعه **فصل** قال الله جل
قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الحق وهو العلي الكبير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله الامر في السماء سمعت الملائكة
له كوقع سلسلة على صفوان فتضع الملائكة اجنحتها خضعانا للامر ويسجدون حتى اذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي اعلمهم يعني حملة العرش من ذلك الحكم ما هو
الحق ثم يسال الذين يلونهم ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويجيبونهم ثم كذلك يسبح ملائكة كل
سماء سماء ويبلغ التسبيح مبلغ الامر والتنفيذ وتتدبر الدوائر كل دائرة على التي هي
دونها والتي دونها تتدبر على دوائر دونها وحكم الاعلى ينتظم الاسفل في مفرد مجمل
ومن جامع لما تحته مفرد ايضا يعمل بخصه هكذا الى ما يكون منها لما هي في مضافها كالدقايق
ودقايق الدقايق المفصلة عن التحصيل الالاهي وكالجواهر التي تركب عنها الاجسام كلها
والامر في تلك الجواهر محمول على حمل الجواهر الاعراض والملائكة عليهم السلام يسبحون بحمد ربهم على ملكوت
بامره اية ذلك ما يخرجه الله جل جلاله من امره من فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها الى
ما هنا وما ينفحه من رحمته بالماء عن امره يتدبر به الدوائر فيكون الحاصل من ذلك ما يخلقه الله
عز وجل من نبات وحيوان وحرور وزمهرير واختلاف اهوية وعوارض وما يكون
بين ذلك من انشاء جنات وزروع وايجاد موجودات فمن دافع وجاذب وماسك وهاضم
ونازع وناشط ومغذ وهاضم الى غير ذلك من مصور ومقدر وحافظ ومرسل ومبلغ

كتبه وطلبه يطلبون المحفوظ بما قدر له من امره وحفظه يحفظونه من امر لم يقدر حكم
الله وامره وقضاؤه وقدره الاسنا مكنون والشي شاهد والصنع مخفي والمصنوع
قائم بين مقبل ومدبر وممسك وفي هذا تبيانا لما في هنالك وايه عليه والملئكة عليهم السلام
ينزلون بالامر ويعرج به سيكي فينزل لكل امر بسماء الى ما تحته ويعرج ما هو من البحث الى ما علاه
ويستدير بحكمه فلاك على كل بدواده وصوره وحركته وامره الذي جعل على ما هو
والى ادق دوائر من ذي العرش العظيم جل ذكره وتعالى علاؤه وجل الى حيث شاء انتهى
ثم من النهاية اليه جل جلاله ونعم الامر مشيته ما شاء عمومه وشمله على انواع تصريفه
وتضاعيف تفصيله وافراد ملكوته المجعول لدرجة وعمومه وتغاير ملائكة المدبرين للامر
المراد به منه واحاطة ملك الملك للحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بملكوت كل شي خلقه
وامره واليه يرجع الامر كله حتى يشمل المراد الامر والتنفيذ بالتدبير كليا شمول الغذاء
جملة الجسم شفاعة في اتمام ما جعل اليهم وتسبيحا لله جل ذكره وعملا بامره وتنفيذ
المشية ولا يشفعون الا لمن ارتضاه ولا يعملون الا بامره وله عباد منهم قد دعهم من العمل
بامره في الخلق الى الصلاة له والتعبد والذكر بانواعه فمنهم المفرد بنوع من ذلك ومنهم
الجامع لما فرق في سواه الاعلى ينتظم لاسفل قال النبي صلى الله عليه وسلم اني ادري ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون اطت الارض وفي اخرى السماء مكان الارض وحق لها ان تئط ما من
موضع شبر الا وعليه جبهة ملك يسبح الله ويقدسه ويعبده فقد تبين وفقنا الله واياك
انه في الخليقة اكثر اضعافا من ذواتها وهذا الى ما في الخلق من جاذب ودافع
وماسك وناشط ومقسم وكما تقدم باضعاف ذلك ثم في الامر من مدبر وقابض وباسط
ومقدم ومؤخر ونافع وخافض وحافظ واخذ الى غير ذلك من تصاريف الامر كما تقدم
ايضا ان الملائكة عليهم السلام الموكلين اكثر اضعافا من المعاني اذ لكل معنى دافع وقابض و
وماسك وتبين ايضا من غير هذا با وفي قضية العقل ان الموات لا يفعل شيا ولا يوصف بقدرة
على فعله بل يكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فكيف باختراع وابداع وبذلك ثبت لنا ان
للعالم صانعا صنعه هو غيره ومدبرا دبره سواه حي قادر عالم مريد له الاسماء الحسنى والصفات
الكاملة العلى اذ للحي منا لا يوجد نفسه ولا غيره ولا يدبر فكيف يحال الموات وما لا يوصف بحيوة
ولا قدرة لولا ان الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه اوجد له فاعلين كما شاء منهم اثر ذلك
ايجاده الحركة الاطبيعة للحيوان والعقل المنبوه الى القصد وجعل ذلك كسبيا واستطاعيا
للمحرك الفاعل واضفنا اليه وربما اثاب عليه وعذب فما ذلك من الحيوان المهمي الى الانسان الذي
يفعله باختياره وتدبيره الى المؤمن الذي يخرج افعاله على رضى مالكه وطاعة خالقه وامره
الى الملائكة عليهم السلام ارضيتهم وهوائيتهم الى سماويتهم الى ما فوق ذلك الى الحملة وهم اربعة
وسيكونون ثمانية كذلك كل شيء دقا وجلا فافهم فهمنا الله واياك قال الله عز وجل مخبرا
عن بعضها او ما انا اليه والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا والسابقات
سبقا فالمدبرات امرا والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا قل

من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه فسيقولون الله فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء واليه ترجعون فاخبرك نصا صريحا ان لكل شيء ملكوتا فالملكوت اذا هو
تحيين الملائكة عليهم السلام والملائكة وتدبيرهم وفعلهم على ما شاء ربهم لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون اثر ذلك فيما ههنا حواس الانسان وجوارحه لتحمل صفات الهي من سمع
وبصر وحركة وعلم وكل ذلك عن ذات الحامل لها المدبر المريد بها ما شاء وفيما هناك
احق حقيقة وكرم وجودا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لذلك والله
اعلم جاز في اخباره عن الخلق والانشاء واكثر لا فعالا دخل النون للجميع كقوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ليكون
الله جل من قائل للمراد كن ويلحق للملائكة عليهم السلام تنفيذ ونحو ذلك مع افهام المراد من
ذلك بتم كونه وهذا في خطاب البسيط فاذا قبض جل ذكره الخطا واضافه الى نفسه تعالى
والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ونحو هذا وهذا كثير قوله عز وجل فلما جن عليه الليل راى كوكبا معناه فلما اظلم عليه الليل
وليس حقيقته ماخوذة من التغطية وان كان يفهم ذلك منه فباخره ولو كان ذلك كذلك
لقال جل قوله فلما جنه الليل وان كان مسموعا في كلامهم جنه الليل وجن عليه الليل فان للقران العزيز
فضل تحقيق ليس لسواه من الكلام ومنه الجنين قيل له ذلك لانه في ظلمات ثلث اظلمت عليه
وان كان مغطى بالرحم والمشيمة فمفهوم الاول وفي هذا يبين لك ان كونه في الظلمات يسمى
جنينا وبذلك تمدح تبارك وتعالى في قوله يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات
ثلث اخبر بذلك جل وتعالى عن اقتداره وانه بصير بما في الظلمات بصير بالخفيات كما قال جل وعلا
سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار وكقوله يعلم ما في
البر والبحر الاية وسمي الجان جانا لانهم خلقوا من نار السموم ومن مارج من نار وهم اسم
لجميع ملائكة العذاب صلوات الله وسلامه على جميعهم وابليس لعنه الله كان منهم الى ان حل به
الابلاس والطرد فعزل عن عمالته واهبط عن جواره والمارج المختلط وهو اختلاط
النور بالظلام وخلق الله عز وجل النار من ذلك المارج وقيل انه مخلوق من مختلط الانار
بدخانها الخارج عنها ويقال امر الكم ماردج اي مظلم غير مستقر على حال قال الله عز وجل
والجان خلقناه من قبل من نار السموم يعني قبل ادم عليه السلام وذلك ان الله جل ذكره لما اوجد النور
اوجد له ضدا وهو الظلام واما نوره العلي الذي هو نوره فلا ضد له لانما اوجد جل وعلا
الضد المحدث فطرد النور الظلام الى الشهادة واوجد تبارك وتعالى بينهما برزخا في موضع
التقائهما واختلاطهما كالبرزخ بين البحرين وكعشي بين الليل والنهار والخفيف بين السهل
والجبل فذلك البرزخ بينهما هي النار اوجد جل وتعالى منها حجبا فيما هنالك وانهارا
جارية وما شاء ده لم يكن ظلمة لما فيها من النور ولا كان نورا لما فيه من الظلمة وخلق جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه من خالص النور ملائكة الرحمة صلوات الله وسلامه ورحمته و
بركاته على جميعهم هم خزنة جهنم اعاذنا الله برحمته منها وملائكة العذاب فمنهم فتانو القبر
واصحاب عذابه وما نحو هذا والجان اسم واقع على هذا الصنف كما اسم الجن واقع

على ابليس لعنه الله وعلى ذريته لانه خلق من النار التي هي اقرب الى الظلام قال الله عز
وجل فيه كان من الجن ففسق عن امر ربه ومفهوم هذا انه كان مهتديا ففسق اي خرج
عن هدايته وتاخره عنهم من هذا انه كان من الظلام فرجع الى اصله باغوائه اياه وازالته عصمته
عنه ووصف الظلام وفعل الكفر والتغطية وعبر عن خلقه بالطرف الواحد منه وهو الظلام
لما ذكره في معرض الذم كما عبر عن خلق الانسان حين اراد ذمه انه من التراب وحين اراد علاه
باصله واضرب جل ذكره عن ذكر الماء الذي هو موضع المدحة كما اضرب جل ذكره في ذكر ابليس
لعنه الله عن ذكر النار لما فيها من ضياء ونفع فلما كان من قبيل الظلام كان كافرا
ففسق لذلك عن امر ربه بمشية الله جل وعز في ازالة عصمته عنه وظلمه لانه كان من النار
كان عدوا وكان رجوعه الى اصلها وعملها وذلك اضلال الله جل ذكره له كما انه لما في النار
من شوب النار كان طائعا لربه جل ثناؤه برهة من الدهر وكان من جملة الملائكة فتوجه
اليه الخطاب مع من توجه اليهم الملائكة وكان ايضا من نسله مؤمنون وكافرون وطائعون لله
جل ذكره ولما كان الملائكة عليهم السلام الذين هم الجان خلقهم جل ذكره من نار السموم وكانت
كلمة الله عز وجهه قد سبقت لهم بالهداية كانوا لها خزانا وسدنة وملائكة غضابا لله شدادا
في ذاته لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن اثاره ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد سئل من اكرم الناس يا رسول الله قال خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
في الدين وقال في اخرى الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا
ونحو هذا من اشارات الوحي كثير هذه عبارة ظاهرة تقف عليها العقلاء وسل الله عز وجل
الجزيل من علمه وفضله فصل هذا هو الملأ الاعلى قال الله عز وجل قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون
ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون ثم اعقب ذلك بقول الحق جل قوله اذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا الى اخره ثم ان الله جل ذكره كان قد سبق في قضاء حكمته اذ اهبط ادم عليه السلام
وابليس لعنه الله الى الارض فانسلا فكان منهما المؤمنون والكافرون فنسل جل ذكره نسل ادم عليه السلام
انسا ونسل ابليس لعنه الله جنا واما الملائكة عليهم السلام لم يجر عليهم خطيئة الذين هم من قبيل النور
وقبيل النور على جميعهم السلام فلم يجئ من بعدهم على طريق النسل بل كانوا مما خلق الله عز وجل
كالكلام الطيب التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد ونحو هذا مما كان من هذا الصفو
والذكر والتسبيح ونحو هذا من العبادات ومنهم المخلوق من الماء اذ هو ايضا من قبيل النور فلما كان
منهم مخلوقا من هذا القبيل فهم الفعلة والقوة والميسرون للذكر والعبادة على ما وكلوا به هذا الى
النبات والجماد والتراب على ما تقدم ذكره من جاذب وماسك ودافع وناشط ومقسم ومصور
ومغذ ومنشر ومنشئ مع التسبيح والتحميد والتمجيد الفعلة والمفعول معا ولكن لا يفقهون
تسبيحهم وهذه المذكورات من جاذب وماسك وغيرهم من الفعلة سمتها الاوائل القوى وحق
ذلك وجدا بالنظر ولم يكن لهم نور دينهم يستضيئون به وان كانوا ارادوا بقولهم قوى الملائكة
وكان ذلك عندهم معهودا في لسانهم وعرفهم يعبرون بقوى عن ملائكة فهو الصواب ان شاء
الله تعالى وان كانوا ارادوا ما ذهب اليه اتباعهم فهو الخطأ الصرف وهم يعرفون ان تلك القوى
موات ولا يصفونها بحيوة وقد تقدمت اشارة الى ابطال ذلك وكذلك قد تقدم في شرح

اسم الحنان جل ذكره تفسير قولهم ما هو الحق المبين وان اصل ذلك في جبلة العالم من ممتزج
نفسي جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها مع رحمته بالماء فكان لذلك معنى الحق محدودا في موجود
الجماد والنبات والحيوان فلما اهبط الله جل وعز ادم عليه السلام وزوجه الى الارض حين لم يكن ذلك
ما جن وبان عنه ما بان فهو الجن الممتزج بعضه في اصل الخلقة ومنه الذي يجري من ابن ادم مجرى
ومن النبات والجماد والغذاء ومواد الخلقة ثم يتبع النظر ويخرق بحرا قاعظيما ولا يتم
معتاص عن الوهم ان يضمه الى زمام العقل وان كان قضاء الايمان يتسلط عليه والحمد لله رب
العالمين قوله عز وجل فيما حكاه لنا عن ابراهيم عليه السلام لما راى الكوكب ثم القمر
ثم الشمس هذا ربي هذا ربي هذا اكبر دليل بين ان المناظر على طلب الحق في اثناء ترداد النظر
الذكر ان يحمل مفروضه ما يعرض في نفسه ونفس خصمه وربما وصفه وسماه باسم المطلق الا
على سبيل التسليم للخصم والتحري حتى يتبين الصواب ولا يكون ذلك كفرا ودلائل هذا
كثيرة منها ان الله جل جلاله مدح ابرهيم عليه السلام بما وصفه عنه من ذلك وايضا قوله عز
وجل قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وقوله ان كان للرحمن
ولد ثم قال فانا اول العابدين على التنزيه بالتعظيم عما يصفه الجاهلون فصل جعل
جل ذكره العلة في التولي عن الكوكب والقمر والشمس الافول وقال عليه السلام لا احب الافلين
ولم يراع الانتقال فيها والكون في الامكنة والتسيار وظهور المنظور فيه في مقابلته وتحيز وكونه
اذا جسم الى غير ذلك من صفات المحدثات فاضرب عن هذا واستظهر بالافول فلما افل تبرأ منه
وهو امام المتفكرين وقائد المعتبرين صلى الله عليه وسلم ولم يخبر الله جل ثناؤه بذلك واتى
في معرض الثناء عليه والمدح له الا وقد صح ذلك منه وهذا ينظر بالقبول الى قوله عز وجل
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن
ان كنتم اياه تعبدون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
وكما ترون الشمس صحوا ليس دونها حجاب تنبيه لا معنى لكاف التشبيه ههنا في قوله عليه
السلام كما ترون الا العبارة عن دوام تجليه وعلى ظهوره وحكم الظهور والتجلي معلوم منه عز
الكبرياء لله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم والافول معناه عدم وغيبة و جل
والله تعالى عن ذلك فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا كما ترون
القمر الحديث ورؤيتنا القمر والشمس على الدوام ما خلا الافول الذي تبرأ منه ابرهيم عليه السلام
من اعتقاده كونهما ربا من اجله وقال لا احب الافلين وقال عز وجل وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة وهذا خطاب مطلق لا تقييد فيه قال جل ثناؤه واشرقت الارض بنور ربها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث لقيط بن عامر عنه وقد ساله ابن المنتفق ووصف
الموقف والحشر قال ويحلص الشمس والقمر ويحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحدا قال
قلت يا رسول الله ثم بم نبصر يومئذ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك في يوم اشرقت
به الارض وواجهته الجبال مصداقه واشرقت الارض بنور ربها قال تنظر اليه
عيانا وينظر اليكم يعني في الموقف قال قلت يا رسول الله كيف وهو شخص واحد ونحن ملء
الارض ونظر اليه وينظر الينا قال انبئك بمثل ذلك في الاء الله عز وجل الشمس والقمر اية مصغرة

اسم

يترونه في عشا واحد ويربنا نكم وترونها مع ما جاء في حديث الزيادة فوصفا دون رؤية
الله جل ذكره ما هو على الدوام دون غيبه وفي الرؤية ما هو في عشا ووقت دون اخر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فذكر ايضا
انه عن الرؤية ما يكون في موضع من الجنة قد اكرمه الله منه بذلك ومنه حديث الزيادة وانه يستزيدون
الى ميعادهم في ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها
بفضل اعمالهم ثم تزورون ربهم في مقدار يوم الجمعة من ايام الدنيا فيرون ربهم ويبرز لهم عرشه
ويتجلى لهم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر الحديث
في اخره انهم يقولون لاهليهم اذا رجعوا اليهم انا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحقنا
ان تنقلب بمثل ما انقلبنا برؤية معاذ بن جبل رضي الله عنه وعنه **فصل** الا فهو تحكم لان تقدم
عدم ويحل وغير جائز ذلك عليه في صفات العلى والحجب فعله ومقدوره في مشيته فهو
اذا شاء جل ذكره وتعالى علاؤه وحجبهم عنه وان شاء اراهم نفسه بوعده الكريم
وفضله العظيم فلذلك جاز ان يوصف بالاغيب في تجليه وظهوره فيما يوصف بانه مكان
فهو غني عن كل شيء بكل معنى وعلى كل وجه وعلى ذلك فهو الله في السموات وفي الارض
ثم استوى على العرش وهو الموصوف المعلوم بانه معكم اينما كنتم وانه ما يكون من نجوى ثلثة الا هو
رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم
بما عملوا يوم القيمة وهو الذي لا يحصره العدد وهو اقرب الى القلب من وريده والى الروح
من حياتها والى البصر من نظره والى اللسان من ريقه وهو وصف لا بتقريب لا بتوارد واما
وصفه جل وتعالى بمكان وترتيب زمان او ذكر عدد وما نحو هذا فهو يزول منه جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه نوصفه الذي هو وصف له من حيث هو له بما شاء من مفعوله على ما
من حكمه لولا وصف التنزل والاستواء بما فهم عنه معنى من معانيه في خليقته فافهم بقرب عليك البعيد
والله يفعل ما يريد لا بعد وعليه فعله وله بما نعم في حكمه عبده وبه تعرف المعاني لابها يعرف
واليه يتحاكم الالباب لا اليها يتحاكم فاعقل خطاب ربك واعبده كما امرك وتوكل عليه فهو
فوق كل شيء ومحيط بكل شيء ليس محيطا به شيء الرحمن اسمه والاستواء نعته وفعله والعرش
خلقه منفصل من صفاته ولا يخلو منه مكان وعلى ذلك فليس يضطر الى مكان اذ المكان لا يجوز
عليه ولا تسعه الامكنة لما كان هذا خطابا بانبئ معنه جل جلاله وعن مفعوله كان لذلك الخطاب
ذا وجهين والانباء داعرين فهو جا الخطاب نعرف المعقول وخرج الانباء بمعهود العبد
واما وصفه هو من حيث هو وصف له فليست العبادات له بمدركة ولا معتورات الخليقة لوصفه
العلى متناولة ليس بمفتقر الى حامل يحمله ولا حيطة تجمعه ولا خلق يوحده والملائكة حملة العرش
بمعنى انهم منقادون للامر النازل عليهم من اعلاه والعرش محل الاستواء به وعلى ذلك فهو الحامل
للعرش العظيم بقدرته وجامع للعرش حافظ له ويحفظ الحفظة بلطيف صنعه هو من حيث
ما احب لمن احب من المحلى بمعاني اسمائه وصفاته يخفى لطفه ولطيف قدرته وهو ممكن الكون
وهو على العرش باخبار نفسه فالعرش حد خلقه الاعلى وهو غير محدود بعرشه والعرش محتاج الى مكان

والرب جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه غير محتاج اليه كما كان بسيط العرش في توسعه المحيط
لا يسعه غير مشيته ولا يظهر الا في انوار صفته ولا يرى الا بنوره ان شاء وسعا دون شيء وان
لم يسعه كل شيء اذ اراد عرفه كل شيء وان لم يرد لم يعرفه شيء اذا احتجب عنه كل شيء وان لم
يحتجب لم يوجد لشيء الا الاحكام والاقدار واقعة على خلقه والحدود والاقطار حجب بينه وبين
والمكان والزمان والعلو والسفل ومعاني الخليقة كلها متصلة بمخلوقاته سبحانه وله الحمد جاز
المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام فالاوهام لا تتصوره والافكار لا تكيفه ولا
تصفه الالسن ولا يبلغ وصفه العبارات ليس كمثله شيء وهو العلي الكبير **فصل** فاما القول على ما
ورد من ذكر الرؤية على الدوام الذي عبر عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر وكما ترون الشمس صحوا ليس دونها حجاب فقد تبرأ امام المعتبرين وقال لنا انه لم يرى
ما بين السموات والارض من التعبد للآفلين ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع المهتدين
لمثل رؤية الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بافول فقد تبرأ منه امامه ومهد بذلك ربه
فالمعتمد عليهما انهما رؤية على الدوام لا افول يعتقبها ولا زوال يغرو بها خلا مشيته في الحجب
والاحتجاب لمشيته فيما هو على ذلك في هذه الدار ايته وهو الحق الذي به خلق السموات
والارض وما بينهما وقد ذكره بغير ما عبارة في الكتاب العزيز واعلنه للمتوسمين واظهره
لقلوب المتفكرين وهو اثاره في مصنوعاته ومجاري مقتضيات اسمائه وصفاته العلى في
جميع موجوداته وما فطرها عليه من معاني الاسلام والايمان ويستشهد بها على معالم ما في الدار
الاخرة من وجود وهذا الحق المذكور دائم الوجود غير ممتنع عن البصائر المؤمنين بنور محجوب
عن قلوب الغافلين محرم علمه والايمان به على الضالين والكافرين والكاذبين ولحكمة
لعطائه جل ذكره ينبغي هذا الحق المذكور في موجودات الدار الاخرة ان شاء الله تعالى
فكما اراه المتبصرين رؤية العلم دون افول لحق ذلك الحق المذكور بل حكمة متى نظروا اليه
ببصائرهم ترونه كما ترون الشمس بابصارهم صحوا والقمر ليلة البدر دون تضار ونضام كذلك
ترون ما هاهنا بين ايدينا فيها هنا لك دون افول ولا غيبوبة قال الله عز من قائل يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين وربما كان ذلك من الرؤية والتلذذ بها
والتنبيه لها على مقدار التنبه لرؤية ما هاهنا في ذلك وجزاء له وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ادنى اهل الجنة لمن ينظر الى ملكه وجنانه مسيرة الف سنة وان اعلاهم منزلة لمن ينظر
الى الله بكرة وعشية وانما ذلك وهو علم على قدر حضور المشاهدة ودوام حال المراقبة ورؤية
الايمان كما ان له ثواب رؤية لاوقات الصلوات وقد نص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فان الله
قبل وجهه اذا صلى وقال عز من قائل ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ثم له ثواب
رؤية لاوقات صلوات الجمعات وقد نص عليها صلى الله عليه وسلم بذكر الزيادة وقال عليه السلام في يوم الجمعة ساعة
لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يذكر الله فيها شيئا من امور الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه ما لم يسأل
اثما او قطيعة وتلك اية عليها حال صلوة الجمعة والقيام لها حمل الله جل جلاله هذه كلها امارة واية على كرم
الرؤية فيما هناك واكرامه بها وهي اوقات الصلوة وحالها فافهم قال جبريل صلوات الله وسلامه عليه في ذلك مقدار
انصرافهم من صلوة الجمعة فالله اعلم بما وراء ذلك من موجودات الدار الاخرة فيها هذا سبيل والله يقول الحق وهو يهدي

السبيل قوله عزوجل حكاية عن ابراهيم عليه السلام انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا
الوجه عبارة عن اقبال الباطن من العبد بالايمان والاخلاص والنية ثم ينبسط معناه على ظاهره
فوجه الجسم الى الكعبة البيت الحرام ووجه القلب بالايمان والاخلاص لله جل ذكره وفطر السموات
والارض قد تقدم ذكرها حنيفا معناه هنا الاستقامة تقول العرب للرجل المائل عوجا الى الجهة
الاخرى حنيفا والحنف الميل ولما ان كان ميلها الى الجهة الاخرى كان ذلك منها ميلا الى استقامة
الخلقة لذلك سمى الله تعالى ابراهيم حنيفا لانه تحنف اى مال عن شتى الاديان الى الدين القيم
دين الاسلام بل لانه استقام عليه من لدن فطرته الاولى لا انه مال عن سواه اليه ويؤيد هذا ما عليه
بان الاصل الاسلام المفطور عليه الخليقة سوا ان الممدوح هو من استقام على منهاجه واستن بسنته
لا من مال عنه ولا يقال لمن استقام على الامر الاول واستمسك بالعروة الوثقى انما يقال فى مذموم ذلك
مال عن الامام سواه كما يقال ضل وكفر وكذب هذه عبارات عبر عنها عمن ضل عن هدايته
وغطى ظاهرها وكذب فطرته وجحد خلقته فما ذكره اهل اللغة غير صحيح التاويل ولا مصيب المنتزع
منه وما اخذ ذلك الا من الاسماء الغريبة التى تممها الشرع على ما تقدم ذكره او ما نحا نحوه فالحنيف
اذا هو الذى امال هواه وحده وكبره وشربه كلها ثم امال نهاه الى الايمان والاسلام فاتى الله بقلب
سليم وبقى بقا اخوى فالحنيف اذا هو من ملك فى اعتباره مسالك الحق المخلوق به السموات والارض فوقف بذكره
على الصراط المستقيم وعرف المعبودات ولاى معنى عبدت واطلع فى ذلك على حيث ضل به الضالون وتنطع
من اهل المستطعين فى اتباع اباطيلها وايقن بحقيقة اليقين وصحيح العلم المقصى الحق ما هو المطلوب
العلى الاعلى من هو يعرف ما بين الهداية والضلالة والحق والباطل فعبد المعبود الحق الذى لا اله الا هو رب
الارباب واله الالهة بوجهة خالصة ونية صادقة دون ما سواه ففى ذلك تحنفا منه لمعبوده الحق الذى
هو محق الحق ومبين الحق وكان ميله تحنفا وعبادة واستقامة بحقيقة من ذاته لمن تعبد وتبرا
صحيحا ممن تبرا منه فعلى هذا يتصور الميل انه الاقامة على الحق والثبوت على الاستقامة وانه نفس
المتحنف وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه قد وقف على المعبودات وخواصها التى جعلها الله عز وجل
لها وعلم ما خلق الله جل ذكره لها وجعلها لنبلوهم ايهم احسن عملا وان تلك سنة الله جل جلاله
وتعالى علاوه وشانه فى بريته ليتم كلماته فعلم ذلك ولزومه سواء السبيل فى سلوكه وحقيقة الوجهة فى تحقيق
حنيفا والفطرة ايضا هى الاطلاع والبدء يقال من ذلك فطر ناب البعير اذا نبت والنفاطير نبور
تطلع فى وجه الغلام اول قباله وافطر الصائم وفطر ايضا وبال اللبن الحليب بانه الفطر قال
الله جل جلاله خلق السموات والارض وفطرها بالاشكال اى سبقه اليها وافطرها بنى صورها وبناها
ايضا فابتناها على مثال الاشكال وسبق اليهن خشيته ومخافته ومعرفته واجرى كل منهن
مجرى الارواح فى الاجسام فعلى الاشكال ابتنت ولمعرفتها به سبحت واياه حمدت وله كبرت وهللت وله جلاله
واعظمته قنتت وفى بعض الاثار ان الله جل جلاله لما فرغ من خلقه وما خلقه الا بالحق لحظه
فرجف من فواعليه ثم لحظه لحظة اخرى فكادان يرون من مكانه ثم لحظه لحظة ثالثة فكان
يهمد من خوفه وانما فعل جل وتعالى ذلك ليعرفه نفسه ويظهر ربوبيته فصفى الخلق ربوبيته يومئذ
معرفة لا ينبغى له ان ينكرها ابدا وذل المخلوق له يومئذ ذلا لا ينبغى له ان يعز بعده ابدا وحل من
الخوف يومئذ خوف لا يخرج امنه بعدها ابدا وانزل به الهلكة يومئذ اقرارا لا ينبغى له ان يستنكف

منها بعدها ابدا ثم صارت تلك المعرفة وراثة فيما يخرج من النسل بعد ذلك الى يوم القيامة قوله
تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الظلم هنا هو الشرك على ذلك جاء مساق الاية
ولذلك ارجع اخر الخطاب الى ولد الذى معناه الهداية الى الاسلام واعتقاد الوحدانية
لله جل ذكره اللذين على حقيقتهما فطر السموات والارض وما بينهما هدى الى ذكر
ملائكته وانبياء ورسله واوليائه وذكر ابراهيم على جميعهم السلام وانه قد هداه الى
ملكوت السموات والارض ثم قال الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اذ قد ذكر الظلم هو
ما كان عليه من حاج ابراهيم فى ربه والضمير فى قوله فى ذريته راجع الى ابراهيم عليه السلام
وقيل هو راجع الى نوح عليه السلام وكلا القولين صواب ولكل منهما وجه المقتضى به واخبر جل
ذكره عن اصطفاه وهداه واجتباه من انبيائه ورسله واوليائه صلوات الله وسلامه عليهم جميعهم
انهم لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون حاشى لهم من ذلك هذا على جلالة اخطارهم
ورفعة اعمالهم فوزان هذا ان شاء الله تعالى انه من امن بالله والرسل ثم او فعل ذلك مع تسبيح
فى شانه ان الذنوب مغفورة وعد من الله صادق وله الامن وعد حق وقول صدق كما حبطت
اعمال اولئك بالشرك ولو كانوا انبياء كذلك يغفر ذنوب هذا حتما ثم يكون من الامنين
ان شاء الله تعالى فصل قال الله جل من قائل ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ولو شاء لقال بشرك
مكان قوله بظلم لكنه كذا انزله والله اعلم بما ينزل وقال فى موضع نحو هذا ونهى عن ان يسخر
بعضهم ببعض وعن ان ذيتنا بزوا بالالقاب ثم اعقب ذلك بقوله الحق بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون قال والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون
وقال فى ادم عليه السلام وزوجه حوا بعد مواقعتها الخطيئة ربنا ظلمنا انفسنا الاية الى غير
هذا من تسميتهم ما سوى الشرك بالله من الذنوب ظلما وفى قول الله جل جلاله ان الشرك لظلم
عظيم الكفاية فى اثبات ان الظلم منه كبير هو الشرك ومنه صغير هو غير الشرك ثم يكون صغيره
ايضا وكبره على قدر الذنوب وقد جاء بعد ذلك والله اعلم ما يجب الا بما نحن ذكر الموازنة
فى الاخرة وان قوما يخرجون من النار بعد ما يجعلون فيها الذنوب اصابوها فكان ظاهر ذكر
الظلم فى هذه الاية يعطى الامر كله ولان كان من الظلم ما هو شرك كانما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما اخبرهم النذارة ردهم بذلك الى البشارة بقوله عليه السلام ليس الامر كما ظننتم انما قال
لقمان لابنه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم فصل لما كان الايمان فى القلب وكان
فى الظاهر رتب الظلم فيما طريقه الايمان وفيما طريقه الاسلام على ذلك فكان الظلم فى الاول
هو الشرك والكفر والتكذيب واقل الارتياب وتزلزل العقل لعدم اليقين وقلة العلم
بالله تعالى ووجود الاعراض عن النظر فى اياته والظلم فى التفرع هو الفسق ومواقعة الذنوب
والاصرار عليها ولاجل هذا يكون موجود الجزاء يوم القيامة اذ يقول الله جل قوله اخرجوا
من النار من قال لا اله الا الله هذا اسلام وفى قلبه مثقال ذرة من الايمان الى قوله ادنى ادنى
ادنى من مثقال ذرة من خير او من ايمان فالصنف الاول الاسلام يعرفهم المؤمنون باثار
وجوههم ولا منعهما من النار لبركة الحجى وبجوارح ايضا منهم عملوا بها خيرا سلت من النار كما قال

فمنهم من تاخذ النار الى قدميه ومنهم من ياخذه النار الى انصاف ساقيه والى حقويه الحديث
هذا في الشفاعة الاولى ثم الثانية على القرب من ذلك ثم الثالثة تعرفهم الملائكة
بما ابقى الله جل جلاله من القلوب بحرمة الايمان كما ابقى من الوجوه بحرمة السجود فيما كان
منهم هداية مما جاءهم فيما هنالك بامن مما لقول الحق اولئك لهم الامن وهم مهتدون
وتصديقا لقوله الصدق ان الله لا يظلم مثقال ذرة و وقعت الشفاعة الرابعة التي
هي لله جل جلاله وتعالى علاؤه وجده على محض الفضل فانهم يخرجون كنارا قد امتحشوا
و انت عليهم نار جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ومن خزيه وعذابه ولو كان فيهم
لا اله الا الله على عقد من القلب ولو على ضعف من العقد لم يسلك النار على احتياج الا
منهم والقلوب ولو على ضعف في الدنيا فاقدين للهداية فلذلك اتت النار على جملتهم وكانوا
قد اصابه الله جل ذكره بهم كلمة الحق قولا فيلاقاهم برحمته وفضله العظيم واما المهتدون
الهداية كلها لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **فصل** جل قوله وما قدروا الله حق قدره اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شيء المعنى الى اخره وما قدروه حق قدره ما عرفوه حق معرفته
ولا عظموه كما ينبغي لهم ام تعلموا ان من اسمائه جل ذكره الباعث والمرسل والمنذر والمبتلى
والممتحن والمنزل فان من شهادة الحق المخلوق به السموات والارض البعث للجزاء بثواب في
عقاب في ذلك لا يكون الا بالرسل والكتب والحكمة التي بعثهم بها وكذلك بعد البعث الصراط
والميزان والحوض والشفاعة وغير ذلك من معاني النبوة والرسالة كما قال في غير هذا
الموضع بعد قوله قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وما قدروا الله حق قدره
والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه يخبر عن عظيم قدرته
وجليل ملكه ودلائل التوحيد سوى ما اختصت به ايات الوحدانية من الدلائل في الوحي
والوجود وفيه قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى قوله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا
اباؤكم قل الله فاستاق هذا كله في معرض الاخبار عن انزاله وعن النبوة وقوله وعلمتم
ما لم تعلموا يعني كل معلوم في الدنيا وهو اخبار عن وجود النبوة المسوقة في العالم ثم وصل
بذلك قوله انتم ولا اباؤكم فهذا من معلوم الكتاب والنبوة كما قال جل قوله لقد من الله
على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
الاية وهذا معلوم المؤمنين ثم فوق هذا ما علمه اخوانه الانبياء عليهم السلام الذي تقدم ذكرهم
في قوله ومن ابائهم وابنائهم واخوانهم وذرياتهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم
وهذا ما خصهم به من سائر المؤمنين من الهام وفطنة وشعور ومحادثة وبعث في روع وما
عبر عنه قوله جل قوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث وعقب ذلك قوله
جل قوله قل الله اظهر فردانيته في تعليم هؤلاء كما هو الذي تولاهم فردا دون كسب منهم
في ذلك ولا عمل ثم قال جل قوله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون سمى جل ذكره ما هم فيه
خوضا لما كان المعلم والخالق الاول لما يقولون من شيء باطلهم هو الله جل ذكره ثم
كان المؤمنين الملهم لهم الشيطان لعنه الله فوجهوا قولهم ذلك بيانا لكفرانهم وضلالتهم فكان
خوضا لذلك والخوض الاخذ بالكلام حقا وباطلا والذهاب في ذلك كل مذهب وهذا كان

انزلناه

انزلناه مبارك يعني القران مصدق الذي بين يديه يعني من كتاب ورسول والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به
اي بالقران يعني الايمان الارفع وهم على صلاتهم يحافظون هذا اشارة الى اخوان محمد
صلى الله عليه وسلم كما قال لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله والمقيمين الصلوة وقال وبشر
المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون اخبر جل قوله ان الايمان يزداد بالصلوة وبصالح الاعمال فهو عن الايمان يتردد
به ومنه واليه حتى يتكامل العبد على ذلك ويكون من الموقنين **قوله** تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بدل ايات الله وغيرها وكتمها و قال ما انزل الله على بشر من شيء او قال
اوحي الي ولم يوح اليه شيء هذا هو المتنبي دجال وكذاب ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هذا
كبعض من فسق عن امر ربه فدعا الى نفسه كفرعون ومن تشبه به ممن تاله تحكم جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه ثم قال ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت المحتضر وربما الفاسق المعلن
والملائكة باسطوا ايديهم اي بالضرب وهم يخبرون جل ذكره عن عنفهم اخرجوا انفسكم اي يقولون
اخرجوا انفسكم عبارة عن شدة ما يجده المحتضر منهم دونما يسر في نفعهم ولا ية وه
يحمل عنهم شيئا من اوجاعهم فان الكافر ربما ظهر الحسن عليه حال موته وباطنه على اشد حال كلف
هو اخراج نفسه الخبيثة بازعاج من الملائكة وضرب وتشديد عليه في ذلك نعوذ بالله من ذلك
بما كنتم تقولون على الله غير الحق من وصفهم اياه بانه لا يعيدهم بعد موتهم وغير ذلك من ضلالهم من قولهم
ما انزل الله على بشر من شيء وسانزل مثل ما انزل الله وافترائهم على الله الكذب وكنتم عن اياته تستكبرون
تعالى ايات الدالة على النبوة بخصوص هنا ثم بعموم عن ايات الدالة على الوحدانية وعلى الحق المخلوق به
السموات والارض وبعد هذا جعل جل ذكره يسرد ايات الدلالات على ما هو عليه من الوحدانية والقدرة
والعلم والارادة وعلى ما هو عليه من الاسماء الحسنى والصفات العلى وعلى النبوة والرسالة وعلى
موجودات الجنة يعلم بهذا كله ما اوضح ههنا فنعلم ذلك من ايات نتلوها عليك ربك جل
جلاله الى قوله لايات لقوم يؤمنون **قوله** تعالى وجعلوا لله شركاء الجن نصب الجن على
البدل من شركاء ليقوي جل وتعالى على ما نصبنا لهم من الدلائل واستشهدنا لهم من الشواهد وبينا
لهم من البينات جعلوا لله شركاء الجن وهو خلقهم فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه ام كيف يستقيم
هذا هل يكون الدال مدلولا عليه ويكون المخلوق ولدا وخرقوا له بنين وبنات بغير علم **قوله**
تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو قد مضى في شرح الاسماء من الكلام في الرؤية
ما يغني عن تكراره هنا وبالجملة فانه تبارك وتعالى انما يدرك بنوره وبلطفه منه والابصار بما هي
لا تدركه انما يوصل هو اليها من نور جماله جل جلاله لطفا يوصلها من الرؤية له والنظر اليه الى القدر
الذي شاءه هو جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه والراؤون على درجات في الرؤية كما كانوا في العلم
والايمان درجات **قوله** عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته انتظم هذا
بما معنى من لدن قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها الى قوله جل قوله وما
يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون الى قوله جل قوله ولو اننا انزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله الى قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا الى قوله ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون

بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون عطف بعد قوله افغير الله ابتغي حكما وهو
الذي انزل اليكم مفصلا قوله الحق وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا نسبته بما فيها من قضاء
وقدر وخلق وامر لا مبدل لكلماته ومن كلماته الماضية فيما ههنا قوله هؤلاء للجنة وبعمل اهل
الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون بما يقتضيه من عوارض واسباب وما يجري
بالعبد من مقادير صالحين وغير ذلك من جن وانس وانما ذلك ليتم كلماته بسنته قوله جل
وعز فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين من نظر في ايات الله جل ذكره في الوجود من العرش
والعالم ووقف بعلمه على ان احدا لا يجوز له منا لشيء من الاشياء دق او جل كان ذلك تنفسا
في هوا او اعتقادا على ارض او تمتعا بحيوان او غير ذلك الا باذن مالكه وذكر اسم الله عليه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب نفس منه وجميع الخليقة كلها قاطبة
ملك لله جل اسمه ولله المثل الاعلى وهو لم يحل لاحد ان ينال منه منالا الا بعد ذكر اسم الله عليه
واقل ما في ذلك علمنا وله وانه يعرف انه ملك لله وهو المنعم به وحلال لا شريك له وانه مطالب
بالشكر عليه والا فهو حرام على من تعمد ترك التسمية عليه ومن اعتقد انه ليس ملك لله فهو كافر
ثم سرد جل ذكره على ذلك قوله وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الا ما اضطررتم اليه قوله تعالى وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم الاية كقوله وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ولما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مرسلا الى الناس كافة كان خطاب القران متوجها الى جميعهم على افتراق مذاهبهم
وتشتت ارائهم ونحلهم فتارة يخص واخرى يعم وتارة ينص وتارة يعرض الا تسمع الى قوله
جل قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الاية وقوله هذان خصمان اختصموا في
ربهم الى اخر المعنى فرض في هذه بضلال الثنوية فصل الحق جل قوله الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد تقدم ذكر هذا الى قوله
فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون فعم بهذا الخطاب الجميع من المكذبين ثم الى قوله وقالوا لولا
انزل عليه ملك لما انكروا الخصوصية انكروا النبوة جملة حتى ان ذلك يحملهم في انكار الخصوصية
ان لا ينتفعوا من جميع الحيوان بلحم ولا جلد ولا شعر ولا وبر ولا تسخير ولا تصرف من
الاصناف ولا تقتلوا منها موذيا ومنهم من رخص في ذلك لحال الضرورة على مقدار اختلافهم
ومن اولئك من انكار الخصوصية وتكذيب النبوة الى مشركي العرب فمنهم من اقر بنبوة ابراهيم وادم
عليهما السلام ومنهم من انكرها الانكار كله وقالوا ان الله موصوف بالقدرة على ان ينزل على العباد
ملائكة يرشدونهم الى مراده منهم وعلى انهم لا يعرفون الملائكة فقالوا الله قادر على ان يجعل
في قلوب المرسل اليهم مراده منهم ويجعل في نفوسهم قبول شكر المنعم واداء حق الفاضل
ونحو هذا من انواع اباطيلهم قال الله جل قوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لاهلكنا من يريد
الرؤية صفحة الملك ولم ينظروا عينا ولو جعلناه اي النبي ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون ثم كذلك الى قوله وجعل الظلمات والنور اي اذ لم لنور وما فيه والظلام وما فيه
خالقهما واحد الى قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير
ردا على الثنوية والمنانية في قولهم ان فاعل الخير غير فاعل الشر كذلك الى قوله جل قوله و

انما يستجيب الذين يسمعون والموتى الى قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
بؤم فاضلها مفضولها وعامها خاصها حتى ينتهي ذلك الى افضلها وفيه ايضا اثبات
للبعث بعد الاماتة بقوله الى ربهم يحشرون يستخلفهم فيها قرنا بعد قرن وامة بعد امة يميتهم
ثم يحييهم ثم يحشرهم اليه ردا منه جل وتعالى على الثنوية والمجوس والمتفلسفة من اهل
التوحيد ومن غيرهم من الكفار الامم في قولهم ان الله جل جلاله لا يعيد الاجسام وانما يعيد
الارواح والنفوس بعد موتها قالوا فمن كان صالحا وحافظا على العهد من شكر المنعم واداء
حقوق الفاضلين الى غير ذلك من حدود حدوها ومناهج شرعوها الحقه بقرار النور
وذلك عندهم بان يرفعه الى عالم فوق عالمه من الموجودات قالوا وان قصر عن ذلك نقله الى منزلة دون منزلته
ههنا ويعنون بالمعاد ما يكون من بقاء الانفس بعد الموت ويكون بعد موته في ظلمات ثم اسفل به
فيجعل في موجودات خسيسة وجود باطنه في هذه الحيوة ولم يدركوا بالعقول القاصرة نقوض
البناء وتبديل الارضين والسموات وظهور الدار الاخرة عيانا وطي هذه الدار وذهاب دولتها
كما حجبت عقولهم عن حقيقة البعث الاخر والجزاء الاجل وتبوء الفريقين كلتي الدارين الجنة والنار
بما فيهما بل لم يدركوا الحق في دار البرزخ من عذاب في القبر او نعيم وما لكون ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم الى اخر السورة قال الله عز وجل والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات
المراد بذلك الثنوية والمجوس ثم المشركون ثم الغافلون نعوذ بالله من حالهم في الدنيا والاخرة
ثم كذلك الى قوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن واصلح المعنى الى اخره هذا
رد عليهم من انكارهم النبوة والرسالة وما جاء في ذلك من عند الله تعالى واثبات لما انكروه من ذلك وكذبوا
به الى قوله جل وتعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو الى قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين
رد على بعض المنتسبين الى التوحيد منهم في قولهم ان كل ما حدث او تغير او ظهر او روي او ثبت
او اضمحل او سقط او زاد او نقص فليس في ذلك بالادم ان يكون عن علم به ولا اذن فيه قالوا وان
اكثر ما ينسب اليه مما يبرد او يسخن او يبس او يندى او يحبس ان يطلق الى غير ذلك من العوارض
وغير العوارض قالوا فهي منافات است عليه ما شرعته النفس في هذا العالم لتنشئة الموجودات
في سبلها الى اتمام ما يسرته النفس له والنفس عندهم واحدة من خمسة سموها الاهيات فاعجب لنا
لنا فيكم عن الحق وصدوفهم عنه بعد وصولهم اليه وكان مثلهم في ذلك مثل من طلب مطلوبا
فما وجده شغل بغيره عنه وشبه عليه فتعلق بسواه وترك الحقيقة جانبا ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين قال الله
جل قوله قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين الى قوله
قل ارايتم اذ اخذ الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين الى قوله قل ارايتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وربما عارض معارض بقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم مجيبا لمن يوم قال له يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال تردون موردا واحدا
وتصدرون مصادر شتى وفي اخرى تهلكون معهم وتحشرون على نياتكم فاعلم ان هؤلاء قد
ابغضا بكونهم معهم وقد قال لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فكان من العدل

ان اصابهم العذاب يلحقهم معهم ثم يكونون على ساسهم وآلامهم قوله تعالى اولئك
الذين هداهم الله فبهداهم اقتده لما ذكر الملكوت والناظرين فيه وذكر المهتدين الهادين
من الانبياء والرسل والاخوان والاولياء عليهم السلام قال اولئك الذين آتيناهم الكتاب
والحكم والنبوة وان يكفر بها هؤلاء يعني العرب في كفار الامم وغيرهم فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين يعني من تقدم ذكرهم ثم اقام المنار ونهج السبيل فقال جل قوله اولئك الذين هدى
الله فبهداهم اقتده ثم قال جل قوله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر
من شيء ضلالة وزيغ هاعن امامهم المعين وسفههم الرجيم من انكاره خصوصية الله
لادم صلوات الله وسلامه عليه وآبائه عن السجود والاتباع له والايتمام به والاقرار بفضله
ثم جعلها كلمة باقية في ذريته وتابعيه فهم على اثره يهرعون ثم ذكر احوالهم عند
المعاينة واجالهم على معرفة عاقبتهم بقوله جل قوله ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت
ثم كذلك نصرف الايات على توحيدنا ونبين الدلالات على النبوة الجارية في ملك الموجودات
وتصرف نفسه بما هو اهله ونذكر اضاليل المشركين وتعسف المبطلين فيما احدثوه
بما يلقي اليهم من ضلال الامم قبلهم وما اخذ الشيطان بهم كل ماخذ قوله عز وجل وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم يعني من الانس وان اطعتموهم انكم لمشركون من محاجتهم اياهم
انهم كانوا يقولون لهم يأكلون ذبائحكم ولا يأكلون ذبائح الله وكذبوا لعنهم الله ذبائح الله هي
ما امر به ورضيه وسمي اسم الله جل ذكره وهو الطاهر المطهر به طابت الموجودات وبه طهرت من
ارجاسها فكلما خرجت نفس من حيوان اذن الله في ذكاته واكله بذكر اسم الله عليه كان فيما عزه
الله عن الخبيث ويجعله في الجنة وما خرجت نفسه على ما اهل به لغير الله كانت له حقيقة في
النار يعذب بها من جنى ذلك عليه وحقيقته في الطيبات وما خرجت من نفس مات حتف انفها
لم يكن من الفواسق فرحمة الله اسبق وحزبه اغلب كذلك نفس كل مكلف خرجت بشهادة
ان لا اله الا الله فهي في الجنة ما لم يعقها عائق من ظلمها نفسها وعاقبتها الى الجنة ان شاء الله تعالى
تتوفاهم الملائكة طيبين ويقولون لهم طبتم فادخلوها خالدين وان خرجت بغير ذكر اسم الله
على عمد منها كانت في النار وانما يظهر ذلك في الشهادة لكبر منزلتها الذين هم لذلك احياء عند
ربهم يرزقون والمؤمنون نالوا من هذه الحيوة حظوظهم والحيوة ايضا في درجاتهم
ويذكر اسم الله يحيى المؤمنون في الحيوة الدنيا قال الله عز وجل او من كان ميتا يعني بالكفر
والجهل والغفلة فاحييناه اي بقول لا اله الا الله وجعلنا له نورا اي نعمل الصالحات يمشي به في
الناس كمن مثله في الظلمات بالكفر ليس بخارج منها فظاهر هذا ان العبد يكون ميتا بالكفر والجهل
كما تقدم فيحييه الله بالايمان والعلم ويجعل له نورا في قلبه وبصره وفي حواسه يمشي به في
الناس يعلم ويبصر ويذوق ويشم ويحس يقوى هذا كمن مثله في الظلمات الكفر والجهل والعصيان
ليس يمن الله عليه بذلك وفيه ايضا من محاورة ذكر الذبائح او من كان ميتا الموت المكتوب
على كل نفس بغير ذكاة مطهرة فاحييناه بذكر اسم الله وذكره عليه كما يحيى المؤمن والشهيد
عند الله بذلك كمن مثله في الظلمات اي المعالي الذي تقدم ذكره في صدر الكتاب وهو باطن
هذا الظاهر الذي يحيي الاولاد والمال والعبد ونحو هذا ثم قال جل قوله كذلك زين للكافرين

ما كانوا يعملون **فصل** انبياء الله ورسله واولياؤه والمؤمنون يستخرجون بذكر
اسم الله عز وجل على انفسهم وذبائحهم ومآكلهم وملابسهم ومناكحهم ومراكبهم واموالهم
وذرياتهم وازواجهم من يد ابليس الملعون ما اقتطعه لنفسه وظن انه كثير من الحقيقة في قوله
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله اي بوسمها لالهتهم وعزلها عن ان يكون يراد
اسم الله عليه فيسلم المؤمنون ذلك بذكر اسم الله عليه من جميع وجوهه فيكون لهم في الدنيا ولهم في
الدار الاخرة خالصة قال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ثم قال جل قوله كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون قوله
عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء اذا انشرح الصدر للاسلام دخل النور وهو نور العبودية واذا دخل النور في القلب
انشرح للايمان بالغيوب واتسع لها فكان من ذلك النور ضياء يبصر به البصيرة كما يبصر البصر بنور الشمس في
الدنيا واذا خلا القلب من ذلك النور حرج فضاق متسعه عن الايمان والاسلام فلم يبصر ما غاب عنه كمن
سمع الكذا فلم يجب لسانه بما هو فيه من بعد وما احتاج من ظلمات فيه اراد ان يهتدي الى استعمال معالم
الاخرة ومعرفة الله جل ذكره والايمان بذلك عسر عليه الطلب وضاق عليه المذهب وكان في ذلك كمن يروم الصعود
الى السماء والرجس النجاسة والخبث موجودان عن اعمال الشياطين وذلك لازم للذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون صراط ربك ان يعبد الله
وحده ويكفر بما دونه وان يؤمن برسله وانبيائه وكتبه ويأتمر لهم ويطاع فيما يأمرون به كل واحد في وقته
ونوبته وهو الذي جاء به القران العزيز وهو دين المسلمين والحمد لله رب العالمين قوله عز وجل
ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس هذه مطالبة منه جل جلاله لهم بما اضلوا
عباده عن هداية فطرتهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا قال النار مثويكم خالدين فيها ا ثم كلمته جل وتعالى التي عبر عنها بقوله اذهب فمن تبعك
منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين الآيات الله استثنى جل وتعالى من الخلود ما شاء ان ربك فعال
لما يريد ولا يكون ذلك ما لم يكن المعهود والمتعارف في اجازة اشكال الواسع الرحب في الضيق الحرج
فادخال الكبير المتناهي في الكبر والعظم في الصغير الذي لا يتبين الان من صغره ودقته
لم يضق الواسع ولا وسع الضيق ولا عظم الصغير ولا اصغر الكبير ولا حقره ويكون معه هو دون ذلك
كالمعهود لان في ضد ذلك وجود ذلك معلق بمشية الله جل ذكره فاذا شاء جل وعز ذلك اجراه الله كيف شاء
قوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون المشبه به والمنار اليه هو ما تقدم
ذكره ممن استكبار الجن من تولي الانس واشار الى ذلك بقوله وكذلك والمعنى الاعمال الصالحة بولاية
الايمان يورث الولاية الى ولاية الله العلي الكبير وبالضد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال وقيضنا
لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم كما قال ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون المعنى وقال تعالى لقد ذرأنا

من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم فذلك ولاية الحربين في الدنيا والآخرة
فما بين ذلك قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي اختلف
الناس هل من الجن رسل من عند الله اليهم ام لا اذ فيهم المهتدون كما فيهم الضالون فقال فريق
من العلماء ان لهم رسلا من انفسهم واحتج بتلك الآية وما يشبهها وليس السديد من قال هذا المقال
ولا قصد لاشتراك الدليل وتردده بين الصنفين الجن والانس اما رسول من الجن الى الانس فلم يكن
قط ذلك لامرين احدهما انه لو كان ارسل من الجن رسولا الى الانس لم يحصل التبليغ الذي هو الفهم
لانهم ليسوا بمرئيين لنا وذلك شرط في المرسل المبلغ قال الله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وقال لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الوجه الآخر
فانهم ليسوا بائمة انما الائمة هم الانس وبذلك اخبر الله جل ذكره اباهم ابليس اللعين فابى وقال
ارايتك هذا الذي كرمت علي المعنى وقال في شانه اخر بعضهم لا نسان الى بعض وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وهذا من الضالين من الجن اكد واشد
لوراثته ودنوها عن ابيهم لعنته عليه غير ان منهم منذرين يتلقون من الرسل ويبلغون الى قومهم
منذرين كما حكى الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عنهم قوله عز وجل وجعلوا لله
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا المعنى راجع بوجه الى قوله وهو الذي انشا جنات معروشات
وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا المعنى فجعلوا يقولون هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا
ويتصل به فيما يستقبل قوله جل وتعالى ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين
الآية فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم يقول عز من قائل
هذه ثمانية ازواج ذكرانها واناثها من حرمها او من حرم ما حرمتم منها نبؤني بعلم اي بكتاب
من عند الله وسنة رسوله من عند الله بل اتبعتم اهواءكم بغير علم ولا هدى من الله ومن اضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ثم قال وقوله الحق قل لا اجد فيما اوحي الي وهو علم التعليم
الا ما انزل من عند الله وما انتزع بالاستنباط تاويلا بفهم او قياسا على صحة ثم قال وقوله
الحق الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس وفسقا فنص جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه على تحريم كل رجس حيث كان الرجس فهو حرام ثم قال او فسقا
اهل لغير الله به اي ذكر غير اسم الله عليه بعد التحليل بذلك فهو فسق اي خروج عن امر
الله وهذا كله حرام الا المضطر ليس بباغ على احد ولا يبتغي بذلك تحليل ما حرم الله ولا يتعدى
ما امر به ان يتقي هو مضطر وليس بذلك وما اخذ من ذلك اكثر من حاجته وبلاغه ويلحق بهذا من
خرج باغيا على احد الى سفر فاصاب في خروجه ذلك ما يبلغه الى الاضطرار فليس له ان ياكل لانه عاص
الا ان يجدد توبة من نيته تلك ولا يعتد جمع فيه الاعتدال واكل ما لا يحل له اكله اتبع هذا قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم ولو انهم امنوا بالله ورسوله لوسع
اليهم قوله ونضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فكان قوله جل وعز قل لا اجد فيما
اوحي الي تتميما لما قد قبله واخبارا عما وجده رسوله عليه السلام فيما حرم على طاعم يطعمه ثم قال
جل قوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي ذو رحمة في الدنيا وسعت الكافر والمؤمن
كذلك رحمته الرحمانية حكمها في الدنيا ان تسع المؤمنين والكافرين لينال كل حظه المقدر

في ام الكتاب فاذا جاء وعد الآخرة او اخذه بالاهلاك من شاء من اعدائه فلا يرد باسه
عن القوم المجرمين كذلك يقول الملائكة عليهم السلام ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاذا
كان يوم القيامة قصر رحمته على عباده المؤمنين وغضب على اعدائه الكافرين نعوذ بالله من غضبه
وعذابه قوله جل وعز سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء الآية نظيرتها في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وفي سورة يس واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين
ذكر بعض من فسر هذا المعنى انهم لو قالوا بالحقيقة من انفسهم لكان ذلك ايمانا منهم لكنهم قالوها
على سبيل التهزي والتحض بالمخاطبين لهم وربما كان ذلك كما زعموا ولهم جهة من الخطا قوله
كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا والاوجه في مفهوم هذا الخطاب انهم كانوا
يعرفون ان الله خالقهم وخالق السموات والارض وما فيها ودنوها عن ابائهم
والمهتدين من قبلهم لانه معلوم الفطرة ومعهود ما جبلت عليه منهم الخلقة قال الله عز وجل
وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وقال ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله لكنهم افكوا عن هذه الحقيقة بضلالتهم وحجبوا عن معهودها بغفلتهم فكانوا على ذلك
في ظلمات ضلالتهم يترددون وفي طغيانهم يعمهون فاذا لزمهم ضيق الاضطرار رجعوا الى الحق
وضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله فتبدو هذه المعرفة الاولى وقد اظهروها ولم يظهروها
بايمان مكين في قلوبهم وشهادة على انفسهم وعلمها خارج من بواطنهم على ظواهرهم وبهذا
وعلى معهود هذا كان يحتويهم نور الايمان ويثبت في قلوبهم واعمالهم حقائق الاسلام ولكنهم
امنوا بالله ورسله فكانوا يقولون ذلك عن حقيقة محجوبة ومعرفة غائبة يتعلق لا علم فيها و
غير بصيرة لها وشهادة غير مشاهدة قد غمرتهم غفلتهم وبعدوا بذلك عن حقيقتهم فهم
لذلك متى تكلموا بالحق نطقوا به لا يعلمونه ولا يبصرونه كالذي يصدر عن النوم وصبا الهذيان وصاحب
الجهل غير محمود في اصابته لذلك قال عز من قائل لما اذ قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا
وما يهلكنا الا الدهر ومرادهم بالدهر اختلاف الليل والنهار وتعاقب الازمان اجابهم جل ذكره
بالحق الذي هو اهله بقوله وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون والمراد هنا بالدهر هو الله جل ذكره
وهو اسم من اسمائه لذلك قال لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعنون بمعبوديهم هنا الملائكة عليهم السلام
فاجابهم جل ذكره ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون فعبر جل ذكره عن حالهم هذه لما قالوا الحق فان مشيئة
الله تعالى غالبة فيهم بانهم يخرصون ولم يحمد اصابتهم في مقالتهم ذلك لعدم وقوفهم على العلم
وصدور المقال عن غير يقين فابطل قولهم بالحق واحبطه لعدم العلم واليقين كما يحبط بالشرك
والكفر والعمل على غير سنة فافهم ولما كانوا مع ذلك غير عالمين ولا متبعين لمن علم ولا قائمين
اثار من ايقن وكذبوا بافعالهم قولهم كان نجوابهم قوله كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا
كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولانهما اجابوا بردهم من قولهم هذا
انما صدر عن معرفة مغرورة غطت عليها ظلمات الكفر والجحد لم يوصلوها الى ايمان صحيح ولا وصلوها بتصديق
رسول وقران قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام قل لهم يا محمد وهل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن

وان انتم الا تخرصون والظن لا يغني من الحق شيئا انما يغني العلم واليقين واتباع من يعلم ويوقن
وعلى هذا المفهوم يقول الله جل ذكره وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون
الا الظن وان هم الا يخرصون اي انهم ليسوا عندهم على الحقيقة شركاء لله تعالى اذ لم يخلقوا سماء
ولا ارضا ولم ينزلوا المطر من السماء ولا يخلقون ولا يرزقون انما ذلك منهم لما عبر عنه قول
الله جل وعز ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى **فصل** اطلنا المقال في هذا القول
اذ هو كثير ما من اجله قست قلوب اهل الايمان الموجود عن الغفلة وعدم المراقبة والذكر
ثم يتشوش ذلك وينمو بالاشتغال واهمال القلوب في اودية التخليط ثم ينمو ذلك بمحبة
الدنيا والاماني لها ربها ومع ذلك يغلظ حجاب الغفلة ويكثف الستر الحائل بين القلوب
ومنبعث نور الايمان اليها بالمدد ومتى على ذلك تخلف الذكر الخفي والعلم والجهل
والمراقبة بالاهمال والجد بالفتور فلا يزال لذلك نور الايمان يتقلص والظلمة على القلوب
تتزايد والخشية تنقص والقسوة تستفيض حتى تعلو الران القلوب فيتمكن ثم يخلف ذكر
الفسق والفجور ويتمادى ضد ظلمات ذلك الى بقايا الايمان فيذهب بحقايقه الى الاسلام
فيمحو رسومه فيكون الكلام تزيينا والاعمال بين عوايد ونحو شهادة بالايمان والاحكام
حظ على الناس ولم يتعاهد الاسلام والايمان بالتجديد والتحقيق ويعلم ان يتوجه البنيات
واعمال الجوارح في الطاعات وتعاهد القلوب بالتخويف وتستشعر الخشية ولزوم الخشوع
والاكار نما عنى بقوله الحق المراد للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ذكر الصحابة
رضي الله عنهم انه ما كان بين نزول هذه الاية وبين اسلامهم الا اربع سنين واستبطاهم
الله عن الصعود في درجات الايمان مع انه كان في قلوبهم طريا غضا فكيف بمن ولد ونشأ في الفترة
ومرت عليه وعلى اسلافه قرون بعد حدثه اليون من السنين لا يته هكذا مات الايمان والعلم وذهب
السر والخشية وآض الامر الى ما نشاهده الان فالله المستعان ولا قوة الا بالله العلي العظيم **قوله**
جل وعز قل فلله الحجة البالغة ولو شاء انتظم هذا الخطاب بما تقدم من قولهم لو شاء الله
ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء وبانه حيث كان يقول جل ثناؤه فلله الحجة البالغة
ولو شاء لهداكم اجمعين بحجة البالغة في ذلك يفعل ما يشاء بحق الملك يهدي من يشاء ويضل
من يشاء ويرحم من يشاء واليه يرجع الامر كله ولو انه نعم الكافر وعذب المؤمن لجاز هذا
ورضيه لكان الحق حيث كان فهو الله لا اله الا هو وكيف كان حكمه فهو العدل وهو المحمود
بكل وجه وبكل معنى هو الامام الحاكم ان كل مقصد به تعرف المعارف لانها يعرف وبحكمه يعلم الا
ويحسن المقال الا بالاحكام والمقاصد يعلم احكام مقاصده كما كانت بركات انه كان
وانما يمضي بحجة العباد بشرط ارتباطهم الى طاعته وانما يحسن مقاصدهم واعمالهم واقوالهم
واقوالهم اذا رضي ذلك منهم فان كان ذلك منهم كذلك افلحوا وافلحوا **قوله** تعالى قل هلم
شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا ادرج جل وعز الخطاب بالمحاجة لهم في
كفرهم وجعلهم مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا انهم لتحريمه على ذلك كله واحلوا
فطالبهم جل ذكره بان يشهد الذين يشهدون لهم بان الله حرم ما حرموه واحل ما احلوه

ولا شاهد فيما ههنا سوى الكتاب والنبوة ثم قال جل ذكره فان شهدوا فلا تشهد معهم
فان شهادتهم زور وكذب وبهتان ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا والذين لا يؤمنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون به سواه امرهم بالعدل والاحسان ونهاه عن الفحشاء والمنكر والبغي
كالمعهود منه وترك اتباع اهواء المكذبين والكافرين والعادلين بالله جل ذكره سواه وفي هذا
من الفقه ان احد الخصمين متى رضي شهادة خصمه او قول غيره يشهد له رضي به وقال بغير الحق
فليس على الراضي لزوم الحكم بقوله ولا شهادته وفي هذا الضرب من الفقه نظر وانما طالبهم
بمن يشهد لهم على تحريم ما احله فهذا لا يجدونه ولا يقبل منهم الا من كتاب من عند الله ونور
من رسول الله فقال الله جل قوله للنبي عليه السلام وقوله ذلك متوجه اليه سواه فان شهدوا فلا تشهد معهم
للقطع على ما يدينون به ليس من عند الله وانما يكون شهادتهم شهادة لمدعيهم ولا يجيز شهادة
خصم ولا ضنين وقد يتجه هذا منهم ليس كذلك قول الخصم لخصمه المدعي عليه الحق قد رضيت بك
شاهدا على حق عندك فيقول له خصمه لا حق لك عندي **قوله** تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى اخر المعنى امره جل ذكره ان يتلو عليهم ما حرم عليهم ربهم
لا ما حرم عليهم اولياؤهم من الشياطين والشركاء واساق بعضها على صيغة النهي وبعضها على صيغة
الامر وبعضها على صيغة الخبر اعلاما منه جل وتعالى ان المامور به هو منهي عنه وان المنهي عنه مامور
بتركه وان الخبر قد ياتي بمعنى الامر والنهي وفيه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وهو صراط
الاسلام ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فصراط الاسلام والهدى صراط واحد وسبل الضلالة
كثيرة وهي سبل الشياطين فمن نكب عن الصراط الذي هو صراط الاسلام وهدى الله اخذ في السبل
ومن اخذ فيها تفرقت به عن سبيل المستقيم وذكر الله جل وتعالى التوصية بالايمان والكتاب بقوله الحق
ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن يريد وهو اعلم ان موسى عليه السلام قد كان احسن في هذا لو
فانها وان كانت من الكتاب يعني التوراة والانجيل والقرآن فانها تعلم بالعقل ولما كان العقل لا يحرم
شيئا ولا يحله الا باذن الله ذلك يحكم الوحي في الكتاب الذي كره الله اعلم وصف موسى عليه السلام بانه احسن
فانه تم ذلك عليه بان نزله في التوراة كما فعل ذلك في القرآن وكان ذلك من الحكمة التي اتاه
والعلم الذي يجري بهما من احسن في ايمانه واسلامه حيث يقول جل قوله ولما بلغ اشده واستوى
اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وقال مثل ذلك في يوسف عليه السلام ثم قال وتفصيلا
لكل شيء اراد تفصيله من كبير وصغير وعلم علي وغني بهذا وهو اعلم ما ذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان موسى كتب الله له التوراة بيده وكان فيها تفصيل كل شيء وسياتي شرح ذلك في موضعه
ان شاء الله **قوله** تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة يعني والله اعلم بالموت او ياتي
ربك اي تفصيل القضاء يوم القيامة او ياتي بعض آيات ربك يريد طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال
ونحو هذا يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا يعني التوبة والعمل الصالح **فصل** اختلفت الروايات في اي هذه الايات قبل وهي عشر
واكثر الروايات على ان اولها طلوع الشمس من مغربها بن حنبل قال فاذا طلعت من مغربها امن الناس كلهم
اجمعون وذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فان كان ذلك
كذلك وقد جاء ان نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعد اخر ايام الدجال لعنه الله وانه اذا قتله واظهر الله

اسرع الناس الى الاسلام فان كان طلوع الشمس من مغربها قبل ذلك وكما ذكر من الحكم في
من لم يؤمن او توبة من لم يتب قبله فاين هذا من هذا ادى والله اعلم ان هذه الايات لا يبقى عندهن
ايمان عبد ثم يستبصر بعدها ولا توبة من لم يدخر صالحا في ايمانه من عمله والمراد بتلك الايات التخصيص
فلا يبقى عليها الا كل مستبصر او عالم موقن متفرغ لشانه مقبل على ربه وغيرهم لا يفتنون كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ينتظرون الا مرضا او مقعدا او هرما مفيدا او فقرا منسيا او
الدجال فالدجال شر غائب ينتظر والساعة فالساعة ادهى وامر فذكر القواطع ما هي وانه لا ينجي
منها الا الجد المستمر واما قبل هذه الايات فالناس فترا وسعهم الله مهله ورحمته بان يقوم ويذهب
بقوم امة بعد امة وجيلا بعد جيل تابع ومبتدع **فصل** طلوع الشمس من مغربها اعلام بان يوم
الدنيا قد انقرض وانسلخ وان اليوم الاخر قد ظهر وابتدا وتلك هي اية على ذلك وكذلك تبدو
الايات وتخرق العادات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخذه ما
صنع اهله بعده وحتى تكلم عذبة سوطه ولا تقوم الساعة حتى تكلم الناس السباع وقال صلى الله عليه وسلم
بينا رجل يرعى غنما اذ اتى الذئب فاخذ شاة منها فتبعه الراعي فانتزعها منه فقال لها من يوم السبع
يوم لا راعي لها غيري الحديث وهذا الاعلام منه صلى الله عليه وسلم بان ذلك ينفصح يومئذ وبان
ما حكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قد كان وبعض قبل حديثه ذلك من اشراط الساعة ما هو
كائن فلما اعظم ذلك على بعض جلسائه يوم حديثهم به قال امنت بهذا انا وابو بكر وعمر فشهد
لهم بالصديقية وجميع ما ياتي به الدجال لعنه الله من العظائم الخارقة للعادات من اجل ذلك لان
يوم الدنيا المطبوع على ما جبل عليه من معهود العوائد قد انقرض وان يوم الاخرة بما فيه
قد ابتدا لذلك قال ابراهيم عليه السلام للجبار الذي حاجه في ربه اذ سأله من ربك قال ربي الذي يحيي
ويميت قال انا احيي واميت واشبه تحديه ذلك بما يتحدى به الدجال لعنه الله ويصدق في ذلك
دعاه للعلة التي تقدم ذكرها فاجابه ابراهيم عليه السلام بقوله ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب ولم ياذن الله في ذلك بعد فاطلعها ات وتفعل ذلك وذلك الجبار من قبيل الدجال لعنه الله
لانه كان دجالا في سبيل الربوبية ومنهم الدجالون في سبيل النبوة كما كان السامري في ايام
موسى عليه السلام علما من اعلامها وابن صياد والعنسي ومسيلمة من اعلامه فكذلك الجبابرة وانما هي
معالم يظهر ويخفى وايات تبدو وتحتجب يفعل الله الى ان ياتي وعد الله وكان ابراهيم عليه السلام
في محاجة ذلك الجبار عن ربه جل وتعالى اية على الولي الحنيف الذي يحاج الملعون الدجال في المستقبل
فطلوع الشمس اذا هي ولها لا محالة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله** تعالى ان الذين
فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله رجع الخطاب جل ذكره الى معنى قوله ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله والمراد بهم اهل الكتاب ثم باخره كل من اخذ في غير سبيل الله تعالى والشيع
والفرق والشيع الاتباع فهم اتباع الضلالة واشياع الشياطين وقد قرئت فارقوا دينهم ولما فارقوا
دينهم تفرقوا في سبل الضلالات **قوله** تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقرئ هذا
الحرف فله عشر امثالها ومعناهما على بادي الراي سواء وبين ذلك فرقان فقوله عشر امثالها اي
كل واحد منها على الحسنة التي جاء بها وقوله عشر امثالها وهي قراءة الجماعة على اضافة العشر الى امثالها
فان امثال الحسنة هي عشرتها فعلى هذا فله مائة حسنة وقد يكون من العاملين من يكون امثاله حسنة تسعون

وتسع مائة قال الله عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل
في كل سنبلة وهي امثال لهذه الحبة لانهن خرجن منها فمثل امثالها اذا سبع مائة ومن كان حسنته
سبع مائة كانت امثالها سبعة الاف حتى يكون ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم قد يجري على الحسنة الف
الف حسنة وكم قد راينا من حبة انبتت اكثر من سبع سنابل والله يضاعف لمن يشاء وختم الله جل
وتعالى الخطاب بقوله والله واسع عليم غني او صله جل ذكره الى ان يعطيه بمقتضى اسميه فذلك المؤيد
الاعلى وذلك الذي يعطي بغير حساب ثم قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فينعم المؤمن
في الجنة بعشر امثال حسنته ويعذب الكافر في جهنم لانه كذب بها بمثل سيئته ولا حكم على الله سبحانه
وله الحمد سبقت رحمته غضبه **قوله** تعالى قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين نصب دينا على المدح امره جل ذكره ان يحدث بنعمة ربه وانزل عليه من ذلك
قرانا نقروه على امته ليحدث بذلك من امته من انعم الله عليه وهو من تمام الايمان معرفة الايمان
وان يعرف لها شهادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما كان يظهر الله على يديه من المعجزات بكونه
من خرق العادات اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله ثم قال له قل ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين هذه
صورة توجيه الاعمال الى الله جل ذكره وعلى هذا ينعقد النيات قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولها عند ما يتوجه الى الصلوة واكثر ما جاء ذلك عنه في الليل ودعا كان يقول وانا من
المسلمين وينبغي ان يفرد لكل عمل ذكر يشابهه وان جميع ذلك في توجيه كل عمل فهو حسن كما تقدم
في هذه الاية لما ذكر ملة ابراهيم وانها صراط الله المستقيم وانه هو الدين القيم لا شريك فيه
ولا عوج بين ما هو الدين القيم بان يقول العبد عند الشروع في الاعمال ان صلاتي ونسكي ومحياي
ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ويستشعر بانه بذلك امر وانه من المسلمين لهذه ملة
ابراهيم عليه السلام قال فيها من تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم **قوله** تعالى
وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم لتقوموا اعلم
انظروا كيف في الدنيا بعضكم فوق بعض درجات فلم ينكرون المفاضلة منكم في الجاه عنده
والحظوة لديه ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ادخل لام التوكيد على معنى المغفرة والرحمة
ولم يدخلها على معنى العقاب وهذا من قوله ان رحمتي سبقت غضبي جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه

سورة الاعراف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى المص قد تقدم الكلام في الحروف المقطعة
من اوائل السورة والله اعلم بما ينزل على ما تقدم من النظر وايضا الصاد بالمر دلالة على انه ع
جل ذكره بالنصيحة والصدق وارتفع كتاب انزل اليك على البدل من المص كانه قال المص هو كتاب
انزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه اي مما في الحروف من استغلاق
اذ هي مفصولة من ام الكتاب فيما يعلم تاويلها الا الله ويعلم هو صلى الله عليه وسلم ما علمه ربه عز وجل
من ذلك فرعا كان هذا الخطاب له على هذا التاويل الا ليبين ان فعله يكفيه معرفتها وهذا هو الاظهر لقوله
فلا يكن في صدرك حرج منه والكناية في قوله منه راجعة على الكتاب المنزل وهي الحروف الشاذة له
والا فاي حرج يجد الرسول عليه السلام في نفسه من القران المنزل اليه شرفه به وكرمه على العالمين

ثم باخره نفهم منه فلا يكن في صدرك حرج من خلال ما خالفت وتكذيب من كذبك انما انت مبلغ
ونذير قوله عز وجل اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما
تذكرون اتصل معنى هذه النصيحة للرسول عليه السلام ثم لجميع العباد بعد ما تقدم من نصيحته في قوله
فلا يكن في صدرك حرج منه وقرا الجحدري هذا الحرف ابتغوا ما انزل اليكم من ربكم بالغين معجمة
مع تقديم الباء فيكون معنى ذلك ابتغوا فيما انزل اليكم من ربكم الهداية اليه والايمان به فضل
الراسخين في العلم وقد تقدم وصفهم وشرح بما تلوناه في اول هذه الكتاب وتما تقدم لنا ان الحروف المقطعة
كتاب منزل من عند الله في هذا الكتاب الذي هو القران العزيز وليس الا ان هنا منفصل كما صرح بما
تقدم انها من الكتاب المبين وليس الا انها ايات عليه فاتصل الحبل والحمد لله رب العالمين من الكتاب
المبين الى ما فصل عنه من الحروف المقطعة الى فصل عنها من القران المبين قال الله جل ذكره وانه في
ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقرا هذا الحرف مجاهد ولا تبتغوا من دونه وحمل الخطاب بالياء
الرسول والمومنين الى الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله والى الذين
يتبعون من دونه اولياء قليلا ما تذكرون عدم التذكار يورث الغفلة وهي تورث القسوة
والقلوب القاسية بعيدة من الله محجوبة عن فهم كتابه غير موفقة للاصابة ومن تذكر ابصر ومن ابصر
اهتدى ومن اهتدى افلح ونجا ومفاتح التوفيق الدعا قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها
باسنا بياتا او هم قائلون دل على سبيل من سبل التذكار والبيات هو بالليل بيت القوم اذا اخذهم
ليلا والقيل بالنهار ودلنا وهنا على الصرف اخذه اياهم مرة كذا ومرة كذا وحكم في ذلك
الايامنة العباد على حال ولا في وقت دون وقت ثم سبق على ذلك قوله فما كان دعواهم اذ جاءهم
باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين تلك سنة الله جل جلاله في عباده المنذرين عند ما تنبهم و
اخذهم اياهم بالعذاب ومن قامت قيامته عرفهم ذنوبهم فلا يخرجوا من الدنيا حتى يشهدوا
على انفسهم انهم كانوا ظالمين قوله جل وعز ولنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين
ليقول للذين ارسل اليهم ماذا اجبتم المرسلين ويقال لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اما
ذا كنتم تعملون ويقال للرسل عليهم السلام ماذا اجبتم هل بلغتم اممكم ما ارسلتم به قوله عز
وجل والوزن يومئذ الحق هنا ما يعطيه الموازين من حسن وسيء وثقل وخفة وهو القسط كما قال
عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة الى قوله حاسبين ويمكن ان يكون المراد بذكر
الحق الشهادة بان الوزن يومئذ وجوده حق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انت الحق
وقولك الحق والجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق الى اخر الشهادة قوله
جل ذكره ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم الخلق قبل التصوير ودل
بما سبق على اول الخطاب بجرفيتم على ان المخبر عنه هو ادم عليه السلام وكان اخبارا عن خلقه من بعده
من بنيه وتصويرهم اذ كان اولا لهم وقد كان جل جلاله خلق الخلق قبل ان يوجدهم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء الحديث
وهذا اولى التاويلين في الخلق وهذا كما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التصوير
يوم خلق ادم تصوير كل ذي وجود على نوبته وهو المعبر عنه بالتسوية وعلى الكلام الاول
فالتصوير اولا اي حال وجود الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الخلق وقضى القضية

واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء والتسوية اخر هذا الخلق مع التصوير وهو هنا
الايجاد الذي هو الحيوة الدنيا ثم الخلق الاخر والتصوير معه انتم واكمل جدا والسجود والله
اعلم سجود السامة قال الله جل قوله اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ظاهر قوله سويته اي تسويته اياه
هو اكماله اياه والهامه رشده قال الله عز وجل ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها
ثم قال ونفخت فيه من روحي وهذه عبارة عن اعماله وكمال العبد بما هو عبد الخضوع
يخالفه فلما سواه وزاده بان نفخ فيه من روحه الهمه السجود اليه وقد كان تقدم جل ذكره
الى الملائكة عليهم السلام بالسجود له وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصلي
لكم وقال عليه السلام من صلى منكم لغيره فليقصر فان من ورائه الضعيف والسقيم
والكبير وذا الحاجة ومن صلى لنفسه فليصل ما شاء فالامام يصلي لمن وراءه والما
يصلي لصلوة امامه يقوم لقيامه ويسجد لسجوده ويجلس لجلوسه وادم صلوات الله وسلامه
عليه لما سواه ربه ونفخ فيه من روحه والهمه عبادته وسجوده اليه والسجود لربه تعبدا له سجد
الملائكة كلهم اجمعون بسجوده لله رب العالمين كما امرهم الله وكيف يامر الله جل ذكره
بالفحشاء انما يامر بالعدل والاحسان كما تقدم قبل هذا والعدل والاحسان هو سجود لله
العلي الكبير لا الى غيره وهذا الخطاب اعني قوله اسجدوا لادم وذكر السجود له هو من متشابه
القران العزيز الذي محكمه وامه ان الله لا يامر بالفحشاء والمنكر فانه انما امر بالعدل
والاحسان ولا فاحشة ولا منكرا اعظم من سجود عبد لغير ربه وخالقه قال الله عز
وجل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم
مسلمون فصل كان ابليس لعنه الله من الملائكة عليهم السلام كما تقدم قبل هذا ولذلك
توجه الخطاب اليه واستحق الذم بترك السجود ولما استكبر عن امتثال الامر خرج من ملكوت السماء
واهبط الى الارض وعزل بذلك من ان يكون من الملائكة الذين يتلقون الملكوت ويجدون بما يسكنه
ولعنه اي بعده من ان يفعل بامره وبطاعته وبان يشفع عنده لمن ارتضى فهو ابدا يعمل بغير طاعة
ربه فعمل الملائكة عليهم السلام في تنفيذ امر الله وجميع مواد الخلقة في كل شيء مخلوق هو في تكوين
الكائنات والقائهم الامر وتقديره وتنفيذه باذن ربهم في مسالك اكوان العالم علوا وسفلا فيما
يكون ذلك في امر كون فقط وما يكون من امر شرع وكون معا والفعل منسوب الى فاعله وخلقه
الموجود منه فهم على الامرين واحدها يعملون بامره وجعل عمالة ابليس لعنه الله التزيين والامر بالمنكر
والنهي عن المعروف وسلبه الاكثر مما اقدر عليه الملائكة من تاثير الفعل في الكائنات كالتصوير
وجمع مواد الخلقة الى غير ذلك مما يعبر عنه قوله فيكون الا فيما عوضه منه من سبيل الاضلال
وفعل المنكر من سحر وتزيين وما هو بسبيله فصل في سورة ص فسجد الملائكة
كلهم اجمعون الى قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقال في سورة الحجر ما لك الا تسجد اذ امرتك
انا الذي منعتك من ذلك دل على هذا التوجيه قول ابليس لعنه الله رب بما اغويتني وقوله فبما اغويتني
وتوجه اخر يكون معناه الا فعلت كذا فترتب على ذلك من معنى هلا ما لك الا يكون مع الساجدين وكان من حكم
هلا بمجاورة الفعل الماضي يقال من ذلك الا فعلت كما يقال هلا فعلت كما يقول القائل في حال المعتبة لمحاب

مالك ما هذا ما بي من كذا الا فعلت كذا و هلا فعلت يكون بذلك كذا فيكون معنى قوله مالك
الا تكون مع الساجدين مالك الا سجدت فتكون مع الساجدين من الملائكة والمهتدين من ذريته
وجاء ههنا ذكر السجود بلفظ المستقبل في قوله ما منعك الا تسجد وما منعك الا تكون مع الساجدين
لكن معنى الخطاب مركب من معنيين احدهما ما تقدم ذكره من تعجيبه وانفراده الكبير عز جلاله بالقدرة
ومضاء المشية التي خضع لها وخشع بقوله رب بما اغويتني والمعنى الاخر هو تانيبه و توقيفه على مخالفة
الامر وتهديده عبر عن هذا المعنى قوله في صريح ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت
من العالين واستاق اسم العزة في قوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين اذ العزيز يفعل ما يشاء وينفذ
فيمن يشاء هدايته وفيمن يشاء اضلاله ويكون له مع ذلك الحجة البالغة وهو الحميد المحمود مع انه لو شاء
لهداكم اجمعين فكان هذا من ذكر العزة ايماء الى ما توجه اليه الخطاب من تعجيب ابليس لعنه الله دون وحده
العزيز العلي بالعزة والقهر ومضاء المشية العالية وهكذا يبطن اذا ظهر ويظهر اذا بطن
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه **فصل** قال الله عز وجل وعلم ادم الاسماء كلها يريد و هو
اعلم اسماء الله عز وجل واسماء الموجودات واسماء الملائكة الموكلين باتخاذها و تدبيرها على ما تقتضيه
تلك الاسماء في الموجودات اذ لاسمائه اثار في كل ما خلق وفي خلقه دلائل على كل ما تسمى به واتصف
ولكل مخلوقاته ملائكة موكلون به فخاص وعام واسماء ملائكته على كل موجود وجدت له الوجودات
وحدثت له ثم عرضهم على الملائكة يعني والله اعلم الموجودات التي هي مقتضى اسمائه فقال للملائكة انبئوني
باسماء هؤلاء الى قوله ادم عليه السلام يا ادم انبئهم باسمائهم يعني وهو اعلم الملائكة باسمائهم اي باسماء
انفسهم فانبا كلا باسم يقتضي له وكل اليه من الموجودات وكان ابليس لعنه الله يومئذ مع الملائكة عليهم السلام
على مصافها لما وجد له يومئذ فانباه فيمن انبا باسمه الذي هو اول اسماء ابليس وما يكون في عهده
المستقبل فلما انبا الملائكة باسمائهم قال الله عز وجل الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون اي في مستقبلاتكم وما كنتم تكتمون اي ما يحيق بقلوبكم **قوله** عز وجل في
بالتحرز من فتنة الشيطان انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم بقوله جل قوله فراعوا كيده بالغيب
لا من حيث ترونه وقوله يراكم مع التحذير كيده يريد الكفار من الجن وجاء بمفرد في اللفظ اذ المراد
الجنس وذكر قبيله لاشتراك مؤمنيهم معهم في الغيب عنا لانهم من قبيل واحد وخلقة واحدة
وان تصرفت بهم المشية الغالبة فتفرقت بهم السبل في الهداية والضلالة والطاعة والمعصية
وحسن الاستجابة **قوله** خلق الله ادم عليه السلام من ماء وتراب طاهر من طاهر وخلق ابليس لعنه الله
من قبل من نار السموم ثم ذريته من مارج النار غيبا من غيب ولما كانت النار لا يظهر الا فيما تعلق
به من الظواهر كان ما خلق منها لا يظهر الا فيما علق به من الظواهر ذاته وعمله ولما كانت النار
تحل كلما علقت به من الظواهر الى النارية خلقا وخلقا كالحدث كان ما خلق منها يحيل الى ما
من الظواهر ديانة وضلالة كانواع الجنون وما يكون عن لمم ابليس ويحيل ما علق به الى ضلالته
لتصير عاقبته الى النار التي خلق منها فانما الله عز وجل انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد شرع لنا الوضوء مما مسته النار وانما كان ذلك منه عن ربه جل جلاله اعلاما
منه جل ذكره برجس الشيطان المخلوق منها وايماء الى موجود خبثه ولعنته اياه واستنكافا
من نفخه ونفثه وهمزه ولما ثبت ذلك الشرع خفف جل جلاله عن عباده ليعلم اهل اللعن

بما جعل فيها من طاعته له وانه خلقها عن صفة من صفاته وجعل خلقها ايها كلها وطيوف عبادة
عباده اليه فانه خلق منها الملائكة عليهم السلام الذين ينتقم بهم من اعدائهم الذين جعلهم سدنة
لمواطن انواع عذابه وهم عباده لطاعته لامره قانتون له يسبحون الليل والنهار لا يفترون وزبانية
اذا شاء جعلها رحمة كفعله بها في الدنيا حيث جعل من نفسه بطهيرها وزمهريرها حاجة
الدنيا بواسطة فيخرج رحمته غلبت في ذلك رحمته على غضبه و قد تاب على كثير من عباده الذين ظلمهم
عنها بواسطة اللعين وهم ذريته فاقوامه جل ذكره على انه لا وضوء مما مست النار وجعل هذه
الغائبات مع القطع على وجودها دلائل على تحقيق العلم بايجاده غيبا كلفنا الايمان بوجوده وما
الى ما وراءه على ما هو عليه من جلال الغيب ذلك من ايات الله لعلكم تذكرون **قوله** عز وجل
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون وكما جعل شياطين وكانوا اهم اولياء للذين
لا يؤمنون منا وسماهم لذلك شياطين بقوله شياطين الانس والجن كذلك جعل مؤمنيهم اولياء المؤمنين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله شيطان وفي اخرى الا ومعه القرين قالوا و انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فهو لا يامرني الا بخير فالذي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس بشيطان انما هو قرين والكافر قرينه كافر لا يامره الا بكفر وشر فهو
شيطانه ثم فهو من هذا الخطاب من كلا الطرفين ان المؤمنين اولياءهم من الجن مؤمنون وانهم
مسلمون لاسلام من قرنوا به واسلام القرين كاسلام قرينه فاسلام صغير واسلام كبير ولذلك تجد
المسلم من المسلمين لا يكاد ينادغه نزغه الى الكفر ولا الى الشرك بالله وتجد الاخر من المسلمين لا ينزع
عنده الى قتل النفس ولا الى شرب الخمر ولا الى الزنا هكذا حتى يخلص المؤمن على درجاتهم حتى يكون كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لا يامرني الا بخير ثم مع هذا فلم يمنع المسلم منا باسلامه من شيطان
فضل وما ردكا فريوسوس اليه ويلقي الى النفس بواسطة ما في الخلقة من قبيله ومن كيد يكيد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا عرض لي وانا في الصلوة وفي يده شعلة من نار الحديث
فصل من مفهوم ما جاء به الوحي الكريم ان ابليس لعنه الله كان من الملائكة عليهم السلام و
لا محالة اذ كان من الملائكة انه كانت له عمالة يعمل فيها وانما عزله منها فيه عز وجل لما لعنه وقال له
اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج فخروجه وهبوطه من السماء او من الملكوت الذي كان يعمل فيها و
اي ابعده من قربه والعمل بطاعته فالمعلوم بالوجود والفهم انه عوض من هدايته ضلالة ومن طاعته
معصية ومن ايمانه كفرا ومن عمله في الملكوت ما يقابله في الطرف الاخر ايضا وهو يجري على ضروب وجميع
انواع الاتراع ان السحر وهم قلت اعنافيما تسلبا الظواهر وتقليب البواطن من بغض الى حب
ومن حب الى بغض وحقيقة ذلك تغطية على حقائق وتخيل على ظواهر وقد كان قبل عمله في تحقيق
ايجاد كالملائكة عليهم السلام وهذا يوجب ان يكون ما ياتي به الرجال لعنه الله حيلولة وسحرا لكنه في غاية
نهاية ذلك لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فناره جنة وجنته نار وقال فيه ايضا يرون السماء
تمطر وهي لا تمطر ويرون الارض تنبت وهي لا تنبت وكذلك من واجب الوجود ان ما ياتي
عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حقيقة وجود وهذا اشهر وابين من ان يختلف عليه شاهد
في البشر فيما تقارب ابليس وشياطينه **فصل** قال الله جل ذكره وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن نص على انهم اعني من كان من ولد ابليس لعنه الله رجال ونساء

مفهوم ايضا وجودهن من الوحي الكريم فالظاهر من مفهوم ذلك انه لما اهبط مما هنالك
خلق الله له زوجة منه كما فعل بادم صلى الله عليه وسلم ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء وكذلك
فالظاهر من مفهوم ذلك وان كانوا رجالا ونساء فليسوا على كمال صورة بني ادم كما ليسوا على صور
البهائم والانعام والحشرات اعني نسل ابليس لعنه الله بل هم على صور قاصرة عن صورة بني
ادم وان خلوا فظهروا لمن ظهروا له على صورة حسنة فانهم قد محوا ذلك فليس في
العالمين اعني ما هو دون الانسان احسن حلا من صورة الانسان الا ما صور على صورة
ادم فانه حسنت صورته احسن تصوير وهو العالم الكلي وغيرها من الصور وان كانت
صورة حق فليست كهي واذ كانت الفضائل ليست في الهيئات والصور والفضائل فقد خص الله
بها من يشاء وقد يكون الكافرون احسن الناس صورة وترى بعض المؤمنين على غير ذلك قال الله عز وجل
اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها اهبطا منها جميعا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
فالظاهر مما تلاه علينا ان ابليس لعنه الله اهبط من الجنة واخرج من حيث اخرج ادم عليه السلام
واخرج وان كان اخرج ابليس لعنه الله قبل خروج ادم صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يكون ابليس لعنه
الله اهبط من ملكوت السماء الى ملكوت الارض اعني الى غيب الدنيا فانه قد تقدم انه عزل من الملكوت
وانما ثم من ذلك البطل والحل لكن ذلك وجود ما لا يكن جحده ولا ابطاله وقد اوجده
عليه وبواسطته واما ادم عليه السلام فانه من باطن الدنيا الى ظاهر الارض فمنزل الجن
في هذه الدار في غيب منه دون غيب البرزخ غائبا عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الجان يسمعها كل شيء الا الثقلين ومنزلنا نحن منها ظاهر لغيبهم فيه لذلك كانوا لنا بمنزلة
من يرانا ولا نراه وهم وان كانوا في غيب عن منزلنا ومنزلنا مكشوف لديهم لا يستطيعون
التعلق بالظواهر الا باذن من مالك الاعيان جل ذكره غيب ذلك عنهم بغيب يعرفونه فلا
يفضون لذلك غلقا ولا يحلون وكاء ولا يكشفون اناء ولا يذهبون بمتاع ظاهر وهم
على ذلك قد اعطوا قوى وقدرا واعمالا وصناعات اخبر بذلك الصادق جل
جلاله في قوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن
امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
هذا له ما ذكر الا ان الجن كانت تعمل له وتبني له الصروح الممردة وتشيد له الملك البحر ولما علم
السلام بمجيء صاحبة سبا اليه قال يا ايها الملؤا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت
من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين واخبر الله جل جلاله لنا بذلك
عنه في معرض ملك سليمن عليه السلام على ظاهر التصديق له والرضى به قال الذي عنده علم من الكتاب انا
اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فكان ذلك والاظهر ان هذا من الحق والا فقد تقدم قول
العفريت وانما اجرينا ذكر هذا تنبيها على قهر قدرة الله جل ذكره وقد اخبر عن جليل افعالهم
وعظيم ما اعطاهم من القدرة وجود المصانع وغير ذلك ومنعهم من ان يفتحوا اغلاقا
او يحلوا اوكاء او يذهبوا بمتاع هذه حالهم في غيب ظاهرنا وفي ملكوت منزلنا ومن هذه
الحقايق يفتح الله على من يشاء من المؤمنين بشرطهم من رضيهم مما لا اصل لك صحة الايمان
وقوة اليقين والطهارة من الذنوب وان ضد الطهارة من الذنب اخرج ادم صلى الله عليه وسلم

من الجنة التي هي معدن البشر كله وموضعه وسيقيمن بشرهم عليها في الدنيا ثم يبشر بعد
الموت الى ما هو ارفع جدا وامكن والله عليم حليم **فصل** المعلوم الذي يجب للايمان
والله اعلم ان الشاك والمنكر لقدرة الله الغائبة وما يكون عليه شواهد ايات محكمات
لا ينقل عن اصل التوحيد فان حاله تلك لا يكسب مقام التوحيد علما كما انه بتصحيح حال
التوحيد يدرك مشاهدة ذلك قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا **فصل** الموجودات المحدثات مالها
منها ظاهر فله باطن وظهر الظواهر ما خلق من ظاهر الموجودات الظواهر وليس من شرط
ما بطن من الموجودات ان يكون له ظاهر فظاهر ما خلق من ظاهر الموجودات وان كان له
ظاهر بالاضافة الى باطنه وقد تقدم ان كل ما خلق من الاصول الظاهرة خلقا ظاهرا
كادم عليه السلام وما تحته من العوالم من جماد ونبات وحيوان والعالم الكلي فالجن اذ ليس لهم
ظاهر وصلوا به الى البروز الى احكام الظاهر حاشا التعلق بما يعلقوا به من ذلك فيظهروا
فيه وانما برز لظهور الشاهد ما خلق من التراب والماء والهواء والنار فاجتمعت فيه
الظواهر والبواطن عليه عطفا العلوي واياه حد السفلي وهو من الجملة بمنزلة القلب
ومن القلب بمنزلة اللب جماع فنفسه واطاع ربه فلما تقدم ذكره لم يتم صوغ الحق
في الجن وخالق الكل جل وتعالى هو الله الاول والاخر والظاهر والباطن ليس كمثله شيء
احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد **فصل** قد تقدم ذكر اخراج ابليس
لعنه الله واخراج ادم صلى الله عليه وسلم من حيث اخرجا وان مكنهم في دنيا باطنة هذه
وعالم غيب عنا وانهم ليسوا على كمال صورة الحق الذي هو العالم الكلي وانهم منا ثبات الا يمحوا
التحول اليها هم منها في حقيقة حق قائم لكن محوهم البخل والكذب والتصور على ما ليس
هم على حقيقة منه واذ ذلك من قبيل السحر الذي استعملوه من قبلهم ظهر وعنهم انتشر
فصل قال الله جل من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وذكر
الانعام وقال سبحانه الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
وقال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وهذا خطاب عام في موجودات الدنيا والاخرة
وهذه الدنيا لها ظاهر وهي لادم عليه السلام وما تبعه وما حوله ولها باطن وهي دنيا الجن
وما تبعهم وما خلق لهم فيها وهي التي اخرجا اليها وقد قال الله عز وجل اهبطوا منها
جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فاذا لهم دواب وانعام ومتاع
دنيا خصوا بها دوننا ودونهم اشتركوا فيها من بواطن ما هو لنا وظواهره قال الله عز وجل
وجل واجلب عليهم بخيلك وشاركهم في الاموال والاولاد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
شيء يوضع لابن ادم الا سبق الشيطان اليه بيده فاسم الله يحرمه عليه وقال ان الشيطان ياكل من طعام
من لا يذكر اسم الله عليه وقال للمؤمنين وقد سالوا الزاد في السفر وما يبلغهم الى اهليهم
كل عظم ذكر اسم الله عليه يجدونه اوفر ما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم **فصل** قال الله
عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الى اخره وضرب الله
مثلا لدنيا الكافر ودنيا المؤمن بالبحار وما يوجد فيها من لحم طري وحلية وعيون

عليها الى مقاصد بعيدة وقريبة ومنافع لتوحد وضرب مثلا لدينا المؤمن بالانهار
وهي اقل فائدة وادنى عائدة ستي الانتفاع بعذوبتها وذلك مثل لحلاوة طاعة الله
بالتوحيد وعذوبته ولمرارة الشرك والبعد عن الله وفيما يخرج منها من لحم طري ودلك
في البحر الاجاج اكثر واعم والخم واوجد جدا والحلي المستخرج منه هو المعهود الاكثر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وحال الكفر لابليس لعنه
الله عنده رايته فهو معدنه ومنبعه ولاجل ذلك كان اليسر اكثر عندهم في الامور
لا تراهم يجيدون العظم وفرما كالحا والبعي علفا لدوابهم وذكر مؤمنوهم في ذلك بالتبعية
وحكم الخلقة: ومن الممكن اذ يكون مصانعهم في بواطن ما هو ظاهر لنا ومناظرهم ولحومهم
الخم وان الله جل ذكره قد خص بعضهم بفضل على بعض وجعل لهم منها اكنانا وسترا
بعضهم من بعض كما سترنا نحن بها بعضا من بعض لان ذلك كله وما تبعه من المتاع
والفرار من الممكن ايضا والله اعلم بحكمته ان يكون مؤمنوهم في الاخرة في سواحل الجنة
كما كانوا في الدنيا في سواحل ما ههنا وفي افياء ظلالها ومعادنها وحقايق حقها
وان المؤمنين يومئذ يرونهم من حيث لا يرون هم المؤمنين لان ظواهر المؤمنين يومئذ
وبواطنهم تحمل الى اعلى وجودها او يكون غير ذلك والله اعلم وان كافريهم في اشد طبق
جهنم واكبر حرها قال الله عز وجل واعتدنا لهم عذاب السعير **قوله** تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ارجع الخطاب الى المعنى الذي تقدم ذكره في اول السورة
في قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء وما تقدم ذكره ايضا
من تحريمهم السائبة وجعلهم البحيرة والوصيلة بغير هدى من الله وجعلهم لشركائهم
نصيبا مما رزقهم الله افتراء عليه وكانوا مع ذلك يتحرجون من ان يطوف احدهم بالبيت
الحرام عريانا الا ان يطوف بثياب من قريش وكانوا يسمون الحمس لتشددهم في دينهم فربما طاف الرجل
من العرب والمراة عريانين فانزل الله جل ذكره قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق اي من حرم هذا من شرع هذا ثم قال جل قوله قل هي يا محمد للذين امنوا في الحيوة الدنيا
وهي لهم في الاخرة خالصة حيث لا يشركهم فيها الكافرون والمنافقون ثم انشا بذكر ما
حرمه هو جل ذكره بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون **قوله** تعالى
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته الذين افتروا على الله الكذب هم الذين شرعوا للناس
ما لم ياذن به الله فضلوا بذلك واضلوا والذين كذبوا بايات الله هم الاتباع والمتبوعون وانتظم
بمعنى ما تقدم ذكره بالمجاورة والمعنى اولئك الذين ينالهم نصيبهم من الكتاب يطوون نارهم
وياكلون ارزاقهم ويعمرون في اجالهم كما سبق لهم الى قوله ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم
من الجن والانس في النار يعني كل كافر من اولياء من الجن فيكون معه في درج البرزخ والحشر ويدخل
مدخل في جهنم فيلحق عذاب السعير ولا ينفي عذاب النار هذا وهذا وعذاب جهنم نعوذ بالله
من ذلك ويتضاعف لكل واحد منهما عذابه بعذاب قرينه لذلك قال وهو علم لكل ضعف ولكن
لا يعلمون واما الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب فوق العذاب يضاعف لهم

الضعفا

الضعفا على مقادير ضلالهم واضلالهم ولافترائهم وصدهم عن السبيل **قوله** تعالى
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها المستكبرون عن الايات هنا هم المكذبون بالرسالة
والنبوة وبما جاءت به الاية ان الذين كفروا بالله ورسله ويكون التكذيب والاستكبار
حالين لهم لا تفتح لهم ابواب السماء لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط لما كفروا بعد ما امنوا
بايات الله في السموات والارض وتعاموا عنها وشهدوا بشهادتها لله لم تستبشر بهم الملائكة
عليهم السلام واهل السموات والارض واغلقت ابواب السماء دونهم بعد الموت ولما لم يعملوا الصالحات
ولم يصدقوا بالاخرة لم يدخلوا الجنة ولا كان لهم فيها حظ قال الله عز وجل حتى يلج الجمل في سم
الخياط والجمل على كبره وعظمه وسم الخياط على ضيقه ودقته لم يوسع سم الخياط ولا صغر
الجمل وقد قرا ابن عباس وعكرمة هذا الحرف بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة
الغليظ تبارك الله رب العالمين على ذلك يكون مقدورا عليه محالا وجوده في العرف مجرى
وذلك معلق بالمشية العالية ومقدور العلي الكبير لذلك يقول لهم الخزنة عليهم السلام في
بعض محاوراتهم اياهم ذلك يريدون مكثهم في النار اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك
به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يذكر
الا من ينيب ليس كذلك على الرؤية ظهور المقدور الحاضر قوله لن تراني ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني وكون الجبل مستقر مكانه معهود مشاهد يحصل العلم بعدم
الرؤية واليقين بمثالها والحمد لله رب العالمين كما حصل الناس من خروجهم من النار **قوله**
تعالى ونادى اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم
ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين لو تكلم الكافر بعد الكون
لا خبر لا بد ولا محالة فانه قد وجد ما وعده ربه حقا من العذاب في سوء المصير وشعر
هو بنفسه اذ لو قدمات على ما هو عليه لوجد جزاء عمله حاضرا كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم باصحاب القليب ثم اتبع ذلك قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن
سبيل الله نشا الذي في قلب المؤمن من العلم بما بين الحالتين والبون بما بين المنزلتين في الاخرة
الى اذان المؤذن بين الفريقين نعلم في الجميع بان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله
يعني ما جاءت به الرسل عليهم السلام وهم بالاخرة كافرون ثم قال جل ذكره وبينهما حجاب يعني بين اهل
الجنة والنار وهذا الحجاب معلوم عن اثاره الوجود المفهوم اول افتراقهما هو من موضع واحد ثم لا يزال
الفراق بطول والتبعد يتاكد ابدا وكذلك الميت اقرب ما يكون حال موته من اهله ثم لا يزال يتخلص
يبلى وذكره يفنى واثره ينقطع حتى يبعد كل البعد كذلك قال عز من قائل يصف حال المنافقين
في عرصة المحشر فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة المعنى **قوله** تعالى وعلى الاعراف رجال
يعرفون كلا بسيماهم قيل الاعراف موضع مشرف بين الجنة والنار ودرجة تسمى الموقف والموضع بمعنى اهله
والله اعلم والاقرب انهم قوم قد عجزت حسناتهم عن ان تدخلهم الجنة ولم تبلغ بهم سيئاتهم ان تدخلهم
النار وكانوا مع ذلك يعرفون في الدنيا ويعرفون كشهرة الرؤسا واشباههم فتقفوا المحلفهم بموضع
مفترق الجمع فيرهم زمر اهل الجنة ذات اليمين وزمر اهل النار ذات الشمال نعوذ بالله من سوء
المصير بعرف الاولون منهم الاولين من اهل النار ويعرف الاخرون الاخرين بسيماهم فيما هو لاء

سواد الوجوه وزرق العيون قد غشيها الغبرة وارهقها القترة ومن سيماهم قوم على الهم
فعل بصورهم عن صورة الحق الى صورة الخنازير والقردة وانواع الحيات التي كانت طباعهم
اليها ومن سيماهم كتب شمالهم وسيما المؤمنين بياض الوجوه واستبشارها وضحكهم وكتبهم
بايمانهم مكرمون ووجوه اصحاب الاعراف الى الجنة لما كانوا في الدنيا قلوبهم ووجوههم الى الاكرام و
ينادون اهل الجنة بالسلام والترحيب والتبشير اصحاب الجنة على طريقهم لم يدخلوها
واصحاب الاعراف يطمعون في رحمة الله جل ذكره ثم يصرف ابصارهم الى اصحاب النار فيرون سوء
مصيرهم فيتفسون ثم يبتهلون الى ربهم يقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
ونادى اصحاب الاعراف منهم رجالا كانوا في الدنيا رؤساء متبوعين فينادونهم ما اغنى
عنكم جمعكم في الدنيا وما كنتم تستكبرون فيجيبهم اولئك ينفون عنهم موقفهم ذلك ويعيرونهم
باجتنابهم عن اخوانهم هنالك بجواب حذفه والله اعلم فانتم فما اغنى عنكم دينكم الا كما
كنتم تعبدون فيجيبهم اصحاب الاعراف بجواب هو محذوف اطوى هذا وهذه وما بعده وله معنى
الجواب والله اعلم انا ما طمعنا في رحمة ربنا وما يكون من الكلام معناه هذا فيقولون لهم عن
اصحاب الاعراف حذف ايضا معناه وهو علم والله لا ينالكم الله برحمة ابدا فيغضب الله رب العالمين
جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه فيلحق جل قوله اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا
الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون **قوله** تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش الى قوله كذلك نفصل الايات لقوم يشكرون اعلم جل جلاله بحقيقة الحق
الذي به في عالمه وخلق به السموات والارض وما بين ذلك في الستة الايام من الدهر التي اولها السبت
والاحد الى الخميس قال الله عز وجل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين يعني وهو اعلم
السبت والاحد خلق البرية يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وقيل هذا وفي هذين اليومين خلق
السماء دخانا مرتفعا في الهواء ثم بارك في الارض وقدر فيها اقواتها في الاربعة الايام الباقية
وقيل هذا وفي الاربعة الايام قضى السموات سبعا فصلهن بعضهن من بعض واغطش ليل كل سماء الا
وزينها بالنجوم وحرسها بالرجوم واخرج ضحاها واوحى في كل سماء امرها في اربعة ايام سواء
للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فعطف بحرف ثم على قوله في يومين اي ان قضاء السموات
وتفصيلهن كان بعد اليومين اللذين خلق الله فيهما السماء دخانا والارض والجبال بين ذلك في موضع
اخر من كتابه في قوله اانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها
ثم قال والارض بعد ذلك دحاها الى اخر المعنى بقوله والارض بعد ذلك دحيها وليس شيء الذي يقول
ذلك الا ما ذكره من اتمام امر السماء فهذه الستة الايام التي خلق الله فيهن السموات والارض بنص القران
ثم تبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد
وخلق الشجر يوم الاثنين وفي اخرى الشجر والماء وخلق الظلمة يوم الثلثا وخلق النور يوم
الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق السماء اولا ثم الارض وانما اخبر هنا عن خلقه الاخر
ولذلك لم يعرج على ذكر السماء الا عن جنب لما كان الغرض في سورة وكنا عن الاخبار عن السماء
اعلم بتقديم خلق السماء فقال اانتم اشد خلقا ام السماء بناها الى اخر المعنى الى قوله والارض بعد ذلك
دحاها والسماء هي الاولى في الستة الايام ثم قال عز من قائل ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار

يطلبه

يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
وقال في موضع اخر هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج
في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون
بصير وقال في موضع اخر ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه وقال في موضع اخر وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون
يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون الى اخر المعنى حيث
وقع بمعنى فيه انه جل وعز فعل فعلا ما على العرش سماه استواء لانه قصد الى التسوية والاستواء الى الاتمام
والاكمال والعدل ونحو هذا فسوى كل موجود على وجوده الذي شاءه به وله بالاستواء العلي على الكرسي
العظيم دل على هذا التوجيه قوله جل من قائل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى
الى السماء فسواهن سبع سموات اي فصلهن واكملهن فاوحى في كل سماء امرها بحكمه وسلطانه و
تدبيره عدل فسمى الفعل الذي هو قصد الى المقصود باسم مشتق من اسم المقصود لما قصد الى تسوية
السماء سمى القصد استواء وذلك المعهود في لغة العرب التي نزل القران بها تقول العرب تكوي زيد
اذا قصد الكي واستقا اذا استعمل القي وقال الله جل من قائل فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم اي اقصدوا من تيممت الشيء قصدته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
التيمم ضربة للوجه واخرى للذراعين فسمى الفعل الذي هو بدل من الوضوء تيمما واجرى
المسلمون اسم التيمم على الفعل الذي هو بدل من البدل كذلك كلمة الاستواء واقعة على الفعل الذي هو
الاكمال والاتمام والتسوية وهذا كثير معلوم متعارف في كلامهم وفي المعهود من عباداتهم و
الكمال قال الله عز وجل في اربعة ايام سواء للسائلين اي كاملة تامة وقال اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته واكملته واتممته وقال ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما ثم بعد هذا تكون المعنى من
قوله استوى سبحانه من بجانبه جل ذكره كما قال في وصف نفسه جل جلاله بخبره وتعالى وتبارك ونحو
هذا اذ ليس من فعله شيء الا وهو دال على كماله وعظمته وجلاله ونعوت تعاليه **فصل**
قال الله جل ذكره ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وقال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
وقال وعلم ادم الاسماء كلها فاستواء الانسان كمال عقله وتوفر صفاته والمستوى منه هو القوي
له العبد وموضع استوائه من حيث هو عقد الدماغ ثم ينزل منه الامر الى القلب ثم عن القلب تنبعث
الدعاوي والاغراض والارادات بالافعال الى الجوارح الظاهرة من طاعة او عصيان فكان القلب
اولى بان يضاف الافعال اليه اذ هو المصدر لها كما الانسان يضاف اليه افعاله وان كان في الحقيقة
مسوقا اليها ومحمولا عليها اذ كان بارادته ومشيئته لينتم امر الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه
والمستوى على العرش ليتم كلماته صدقا وعدلا وليدبر امره السابق في الازل قبل الايجاد حيث
بالجملة كما في جسم الانسان بالمستوى فيه وعليه فكان لذلك كما كان في جسمه معلوما له محسوسا
ظاهرا وباطنا لا يخطر له خاطر في باطنه ولا يحدث في جسمه حادث مع التيقظ ووجود الصحة
والراحة والروح والعقل الثابت الا الية لهذه العبارة ليس من جنس الجسم ولا وصف وصفه بل هو شيء
لا يعرف جملة الانسان ولا يقف على كنهه ولا يحيط من علمه الا بما شاء الله جل ذكره اما الملك كل شيء

فالله الحي القيوم لا اله الا هو اجل وجودا واكرم استواء وانزه وصفا وصفه عز وجل
عند استوائه على العرش بانه يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
وبانه مع كل كائن بما هو وانه اقرب الى كل شيء من ذاته بما هو سبحانه وله الحمد لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قال الله عز وجل اولم يتفكروا في انفسهم
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق سبحانه وتعالى علوا كبيرا له المثل الاعلى في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم فيما صنع كيف اتقن مصنوعه العليم بكل شيء واعلم وان هذا
منبعث وصفه الحق بانه يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى
من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينشق هذا بعد بتحقيق الولاية وانما يكون عن معنى
من نفخة الروح في العبد لتحقيق معنى قوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن دعاني لاجيبنه ولئن سألني لاعطينه وانما ذلك
بحقيقة القرب الكائن عن حقيقة التقرب ثم الى قوله الحق يا ابن ادم مرضت فلم تعدني وجعت
فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني الحديث وكما هو اقرب الى العبد من وريده من حيث الخلقة فهو
اذا اقرب اليه بالولاية وجودا ومعنى وحكما وعيانا فهو الذي لا يخلو منه مكان ولا كائن
وليس في مكان فافهم واتقن فانه من فهم هذا المعنى على ما هو قرب عليه البعيد ويسر عليه العسير والله
ولي التوفيق وقد ذاد المحسنين تصريحا في قوله جل قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وقوله واذا سألك
عبادي عني فاني قريب **قوله** تعالى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا اغشي النهار الليل اذا
يظهر امر الله فيهن لدن طلوع الفجر من اول الفجر الاول وهو البياض المعترض في السماء على الافق
الشمس كما يظهر انسلاخ النهار عن الليل من لدن غروب الشمس الى مغيب الشفق ثم الى ذهاب البياض
الثاني بعده وما عدا هذين فهو فحمة العشاء وهو الخفي فغشيان النهار اياه حكم باطن قال
الله عز وجل واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون وقوله في سورة الرعد وهو الذي مد
الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار
فقوله مد الارض وجعل فيها رواسي منتظم بقوله يغشي الليل النهار لما نصب عز وجل فيها الجبال على
الكرة بعد مده الارض جعل غسق الليل دائرا مع اعلى قمم الجبال ثم اول الليل انسلاخ النهار من البسيط
واخره نشيرا اياه ثم قوله وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين على وجود موجودات
الجنة وان كانت الدنيا بالاضافة الى الاخرة ليلا والاخرة نهارا كان نغشي فيها النهار الليل
ههنا ونطلابه اياه حثيثا ابدا وكان ذلك اية على طلب الاخرة للدنيا تطلابا حثيثا كما قال جل
من قائل ولا الليل سابق النهار راى النهار بعد ذلك فيغشاه لم يعهد لاتمام الاجل المسمى كما تشعل
الاخرة بالدنيا الاخرة مطلبها وهذه لا يفوتها حتى ياتي امر الله ان الله لا يخلف الميعاد واية ذلك
ان النهار دعا هو دوله للنور وموضعه في هذه الدار ولا الليل على ضد ذلك والطلب على منهما و
النهار الذي هو عبارة في طريق التاويل عن النور والنور في الوجود يطرد الظلام وليس الظلام بطارد
للنور لكنه خالفه لم وقف على تمييز الفرق بين ذلك ثم قال وقوله الحق والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره الامر هنا عبارة عما يقتضيه عز جلاله من مراد اذا قضى الله الامر في السماء سمعت
الملائكة له كوقع سلسلة على صفوان الحديث وقد تقدم ذكر هذا وتقدم ان الله جل جلاله في ذلك

الامر

الامر كله بالتقدير العلي والزمه في الكتاب المبين قال الله جل من قائل واوحى في كل سماء امرها
اي الامر الذي هو الخاص بها الثابت المعلوم لها من خاص وعام على ابتناء وكيانا الذي سبقت به مشيته
واوحى ذلك فيها جملة في اول خلقه لهن وتسويته اياهن ثم عن ذلك في قواتها فيخرجه
بعد على احاله وترتيب على امر الله واناته فكان ذلك الوحي لهن بمنزلة الفطرة لجميع الخليقة
قال الله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون وقال ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه بل ربكم رب السموات والارض الذي
فطرهن فكان معنى خطابه هذا قومه لما اضافوا الاقاويل الى الكواكب ثم نسبوا اليها
اصنامهم وبحثوها على ارصادها واضافوا ما يصيبهم من رخاء وشدة الى الاوثان واعتقدوا
ذلك فيها وتوهموا عندها قصدا الى مسبب ضلالهم فلما ابطل تعلقهم بها ودحض حججهم
لها قال صلى الله عليه وسلم بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من
الشاهدين كما قال عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا كما قال يوسف
عليه السلام فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين
والامر الذي اوحى في كل سماء وكل امر وكل موجود هو مرسل منه لما كان من كائن عنها وفيها
وكل ما اطيع به من عمل فهو سلام والامر النازل من لدنه جل جلاله فيما هذا سبيله امر كوني
لا بد كائن وهو الذي قال الله عز وجل وكان امر الله قدرا مقدورا وكان امر الله مفعولا
والامر الذي ارسل به رسله امر شرع جمعه وامر وجد له ما يقابله وهو العصيان فلذلك تطرق اليه
الكلام ليس كذلك امر التكوين اتبع ذلك قوله جل من قائل الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
الجزء منه من مخلوقاته تجري كلا واحد من الاجناس بجمع بها بين الكلمتين كلا اوجده من شيء
علوا وسفلا دنيا واخرة ثم تبارك جل ذكره وتسمى بالمبارك سبحانه وله الحمد ما اتقن
ما صنع واحكم ما خلق واحسن ما دبر فتبارك الله رب العالمين فجمع كل مذكور من رب ومربوب
قديما او محدثا وما كان وما يكون ابدا وازلا **قوله** تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
الى قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين امر جل ذكره ان يكون الدعاء تضرعا وخفية في حال
ذلك من الداعي تعظيم عنايا ذلك عند الله وخفية من اخفاء الصوت وقد مدح جل ذكره
زكريا عليه السلام بذلك فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وذلك لا يكون من الداعي الا لاجل البر
والصدق لتعلقه القلب على ذلك افرغ وانه ليس من الاعمال التي يرجى بها الا قبول الله عز وجل
فكان تركه الاعلان اولى والمخاطبة في حال الدعاء لله جل ذكره حقه اقرب الى
الخطا والاعتداء في الدعاء هو في المحافل وعلى حال الجهر به اذ لم يدع الى ذلك حاجة
وقد يكون لاجل مخافة السمعة وقد يكون معنى الاعتداء الاذلال فانه لا يتم على عامل
بالاحسان حتى تباعد الادلال والتعدي لطوره وقد يكون الاعتداء في الدعاء ان يسأل ربه
عز وجل ما ليس يسوغ له مثل ان يسأل ان يجعله نبيا او رسولا فهو هذا قد سد ذلك وقد نهى
عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ما لم يسأل اثما او قطيعة فاذا تم الدعاء على نعوته
واوصافه فقد قال ادعوني استجب لكم واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع
اذا دعان فليستجيبوا لي اي ليعملوا بطاعتي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون الى مولاهم

يسالونه فيجيبهم يومئذ بوتيه هذا التاويل قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ومن الدعاء
ماهو قد وافق اجل المرغوب فيه ومنه ما هو على المهل ومنه ما لم ياذن الله في اتمامه وتحقيقه لحكمة
بخلافه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ثلثا واعطاه اثنتين ومنعه الثالثة
وكم من ملك في السموات لا يغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى عنوان الدعاء
اذا صحت نيته وقويت خشيته فهو ايضا بين ثلث بين ان يقضى حاجته معجلا او مؤجلا
وبين ان يصرف عنه من السوء مكان نوائب عاجلة واجلة وبين ان يدخر له ذلك قوله عز
وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته الى اخر المعنى هذا منتظم بقوله ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض الى قوله ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار الى قوله الا له الخلق والامر ثم عطف
على ما تقدم قوله وهو الذي يرسل الرياح ناظما على المجاورة والمعنى بقوله الا له الخلق والامر فاعلم
بامره في الرياح ثم في الماء ثم في خلقه ما علق من الماء وذلك على الذي يملك حوائج العالمين ويسمع دعاء
المتضرعين ونداء المضطرين ويعلم السر واخفى بقوله ادعوا ربكم وقد يكون انتظام قوله وهو
الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته بمعنى الدعاء تعريضا بالمجاب المعجل منه وبالمجاب المؤجل كما
في الرياح ثم في السحاب اذا شاء ثم في الماء فتتم حوائج قوم فيسقون ويستقون وتنتفع الارض وتطيب
الهواء ثم يا خره عنه الى حين ثم باخره يخلق ما يعبر عن ذلك اليه ومنها ايضا المؤجل كما ينزل الماء
فيخلق عنه المعجل من مخلوقاته ومؤجلها من نبات وانعام واناسي فلا ييأس سائل الله جل
ذكره فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ثم قال كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ذا يالماء ينزل من السماء
فينبت الاجسام في الارض ويأتي بارواحها من الاجواء ومن حيث احييناها بامرنا احكمناها
وفصلناه لعلكم تذكرون فحاضر ذلك اية غائبة وقد تقدم في سورة البقرة من الاعتبار بانزال
الله الماء حسب الاستطاعة ما يكون فيه طريق للمبتدى وتذكير للمنتهي والله ولي التوفيق بقول الحق وهو
يهدي السبيل اتبع ذلك قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وقرا
ابو جعفر الا نكدا بفتح الكاف وقرا طلحة بن مصرف الا نكدا باسكان الكاف ووجه الاعتبار وجهة
اخرى لذلك قال عز من قائل كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون وطريق ذلك ان يعرض الذكر والتفكر
والعلم والقران ونحو هذا بدل الماء ويعرض بدل الرياح والسحاب المذكور في طريق الماء اسبابا
يطابق وجودها وجود ما عرض بالنظر اليه كشرح الصدر بالايمان وتنوير القلب واحيائه
بالعلم والروح منه جل ذكره وتطهير الجوارح بترح المناهي ولزوم التوبة من صغائر وكبائر ونقض
مكان الارض القلب والجوارح ثم الفهم ولزوم التفهم والمثابرة على التعلم وغير ذلك من الاعمال
والصفات ويعرض حال العبد مكان البلد فهذا هو البلد الطيب الذي ينزل عليه الامر ويحله العلم فيخرج
نباته باذن ربه اي اعماله على مراد ربه وابتغاء مرضاته وعلى الذم بهذه الصفات هو البلد الذي خبث
ولا يخرج له نبات كالسباخ واجادب البقاع والجبال الجرد وغيرها فحتى اخرج عملا اخركه نكدا
يشركه به او يرائي او يعجب بمن او يوذي وان كان علما انجال فيه الى فسق وزيغ وان كان اعطاء
قرنه بمن واذى وان كان تقربا قرنه باذلال ونحو هذا قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه
الى اخر القصص كله ارجع بذلك الخطاب الى ما تقدم في صدر السورة قوله جل قوله اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء الى قوله وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون

اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك وفي قراءة ابي وعبد الله وقد تركوك
ان يعبدوك والهتك وقرا ابن عباس والاهتك بكسر الالف ونصب اللام قال ابن عباس كان يعبد
ولا يعبد وعلى قراءة الجماعة من فتح الالف وكسر اللام قيل ان فرعون كان يعبد ثورا اشرعبرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا اليهود او قال المشركين من جزيرة العرب وقال لا يجتمع في جزيرة
العرب دينان وقال انا بريء من كل مسلم مع مشرك لا تتراءى ناراهما وان كان قد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا عدوى فقال لا يورد ممرض على مصح وقال فر من المجذوم فرارك من الاسد
ولئن كان فرعون عابد ثور فلقد عبد بنو اسرائيل العجل نعوذ بالله العظيم من الضلالة
بعد الهدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق من حيث بدا ثم وبنو اسرائيل وان كانوا مسلمين
فقد عداهم الحق والحديث يوما الا تراهم فيما يستقبلون يعبدون الدجال لعنه الله كما عبد اهل مصر
فرعون ولهما ورثة احكام هذه منها كما البحران حيث يلتقيان موجود بينهما البرزخ وليس
بعذب ولا باجاج وكذلك غيره من الموجودات قوله عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم وذكر في سورة النمل العصا واليد البيضا وقال انهن في
تسع ايات الى فرعون وقومه وهذه ثمان ايات فقيل ان التاسعة هي الطمس قيل والطمس على اموالهم
وهذا قول مرغوب عنه لبعده عن المعنى لان الطمس انما كان بعد اهلاكهم هذا ان كان الطمس كما زعم
هذا القائل ان جعلها حجارة وابلغها في الارض والاولى ان الطمس هو ان يمنعهم الله انفاقها
في سبيل ولا يوفقهم للايمان ولا تؤثر لذلك قالا عليهما السلام في دعائهما واشدد على قلوبهم
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وادعوا والله اعلم بما ارادا بها الرجز وقد ذكر بقوله ولما
وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك الى قوله جل قوله اذا هم ينكثون فكانوا قبل الرجز كلما اتاهم باية ضحكوا منها فصل ذكر
في الكتاب الذي يذكر انه التورية ان فرعون لما ابى عليهما واستكبر هو وجنوده امر هرون عليه السلام
فرفع العصا الى السماء فانزل الله عليهم بردا لم يدع لهم زرعا الا افسده وموضع المؤمنين يعني
بني اسرائيل في الصحو والعافية ثم دعواه ان يرسل معهما بني اسرائيل ليعبدوا ربهم في المفاوز فاتى
عليهم فانذرهم بموت بكور ابنائهم فلما اصبحوا سمع في كل منزل بكاء وعويل او قال الصراخ والعويل
ثم دعواه اخرى ليرسل معهما بني اسرائيل ليعبدوا ربهم في المفاوز فابى عليهم في ذلك فامر هرون
عليه السلام برفع العصا الى السماء فاصبحوا قد تقطعوا ومسهم من ذلك عذاب فانتعابوا بربهم
ورغبوا ان يكشف عنهم العذاب فلما كشف عنهم العذاب مكثوا العهد وقد عبر عن ذلك القران
الكريم وعلى ما في الكتاب الذي يذكر انه التوراة فالرجز ثلاث ايات والله اعلم انما بايات
وصدقنا كتبه ورسله ولعل العصا واليد البيضاء لما كانتا ايتين على رسالة الى فرعون
وملائه وقال لها في تسع ايات فيمكن ان يكونا في جملة التسع ويمكن ان يجمع حرف في معنى الى فنحن على صدق
ربنا وكتبه ورسله من الشاهدين قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها الاية المستضعفون هم بنو اسرائيل والارض المباركة فيها هي ارض الشام وهي المقدسة
التي كتب الله لهم عمروها ما شاء الله حتى اخرجهم منها حيث شاء ذلك والكلمة الحسنى التي اتمها عليهم
هي قوله جل قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين

ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وكان فرعون
وقومه يحذرون ذلك لعلمهم ان بني اسرائيل يفسدون ملكهم وكانوا يحذرون ذلك منهم فاتم الله كلمته
الحسنى عليهم ثم دمر مصانع فرعون ومنازله كما ذكر واشبه ذلك من صنع الله لهم صنعه بهذه الامة
لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مكة ودخل الناس في دين الاسلام افواجا
فحج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حجة الوداع اذ الحق الله الحج بدعائم الاسلام انزل الله
عليه يوم عرفة في يوم الجمعة اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا فبكى عمر رضي الله عنه وقال لما تم شيء الا بدا نقصه وباخر نقص هذه الامة الى
نحو الاربعة وعشرين عاما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير بمعسكر المسلمين في بعض
غزواته اذا مروا بقوم قد حللوا نخلة من النخلات بانماط وهم عليها عاكفون فصاحوا به
من كل جانب يا رسول الله اجعل لنا ذات انماط كما لهم ذات انماط فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلتموها والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ثم شكا نبيه صلى الله عليه وسلم من الفتنة
والقتال كما كان في اولئك يحكي الله جل من قائل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى قوله
ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا
بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال عليه السلام انا فرطكم على الحوض فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال الى قوله انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين على
اعقابهم منذ فارقتهم اشبه ذلك قوله جل من قائل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا
على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني العرب ومن كان دين بدينهم فقالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة الى قوله بلاء من ربكم عظيم ثم جعل يسير جل ذكره خلافهم وعتوهم
وفعلهم في نبوتهم الى قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وما ذكر هذا منهم وامثاله
لتعدد معاتبهم لكي نحذر على انفسنا مثل ذلك وما نهي عن مثله عنه ولا قص علينا قصص الغير فانا
الا اصابنا من ذلك ما شاء في المنافي والمبتلي وهذه الامة من فضل الله جل وعز لهم
عزروا نبيهم ووقروه ولم يواجهوه بمخالفة انما كان فيما كان منهم بعد وفاته صلى الله عليه
وسلم ثم هذا امر ما بعده نسال الله عز وجل الثبات في الامر والعزيمة على الرشد ونضرع اليه
في العفو والعافية **قوله** تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني لما كلم الله جل ذكره موسى صلى الله عليه وسلم الفى
في قلبه محبة رؤيته من كلامه هذا فساله اياها وكان رؤيته اياها مستحالا منه لثواب المواعدة ولم يكن
عنده علم بتخصيص الرؤية بالتاخر الى لقاء الاخرة وموعدة فيها قال له لن تراني ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فبعد ان منعه في ظاهر الكلام استدرك جل وعز من جواز الرؤية
بفضله ما قد سبق في سابق علمه وعلق جواز الرؤية بجواز استقرار الجبل واستقراره هو المعنى
وانما يحدث منه غير ذلك بخرق العادة فكان لذلك جواز الرؤية حاصلا ولما لم يستقر الجبل على حاله
لم تكن الرؤية على حال لموسى عليه السلام ايضا من استصحاب حال الصحة منه ولما خر صعقا كما تدكدك الجبل
جاز لعلنا ان يذوق انه راه في حال صعقه ذلك وكان مجاز الخطاب في قوله فان استقر مكانه فسوف تراني

الى اخر المعنى وهذه من اياته في الارض نبه عليها بقوله او لم يسيروا في الارض فيكون لهم قلوب
يفقهون بها ومن لم يسر في الارض فليكن له دين منعه كما قال عز من قائل وكم اهلكنا قبلهم من
قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص ثم قال ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال في الارض آيات للموقنين وهي فهذه منها دل على الشيء
ما تلاه علينا الى خاتمة السورة قوله جل ذكره فقص نبا نوح عليه السلام وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون من سنة الله جل ذكره في ارسال الرسل الى عباده
ان جعل في ذلك لعباده احد ثلاثة اوجه الله اعلم بما سوى ذلك ليعفو ادبهم ويصدقوا رسله
فيثابون ثوابا للمؤمنين قال الله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله في حق
هؤلاء يكون الرسل مبشرين ومنذرين وهادين ورحمة وغياثا والوجه الثاني ان يكذب منهم
من سبقت عليه الكلمة بذلك فيعاقبهم بذنوبهم وفي حق هؤلاء يكونون منذرين وعذابا
قال الله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون والثالث ان يكذبوا
ويردوا ما جاءتهم به رسلهم ويستوجبون الاهلاك فيتقدم اليهم بالاعذار وياخذهم بالباساء
والضراء لعلهم يتذكرون فيتوبون فاذا جاءهم الكتاب تضرعوا واستغاثوا ربهم وتابوا الى
ربهم فاستغاثوه فيكشف عنهم قال الله عز وجل فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فاما قوم كذبوا الرسل واستمروا في عتوهم ولزمهم عنادهم
حتى يروا العذاب ويحق بهم الاهلاك من ربهم فبعيد منهم الا قال الله عز وجل سنة الله التي
قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون وما جاء ان الله عز وجل قال قوم يونس بعد ما نزل
بهم العذاب على ما حكاه اهل التفسير في القرآن والوجود قد اصفق على خلاف ما قالوه والله اعلم
ولعل الذي كان حل بهؤلاء كان الباس الاول الذي اشترط الا هلاك واعلام العذاب وهو الحق كما
في غيرهم واخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون وقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون قال الله عز وجل فلولا كانت قرية آمنت الى حين اخذهم
بالباساء والضراء فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا وهذا استثناء من محدود ومقدر
تقديره فلم يكن ذلك وما يكون معنى المرسل اليهم تبليغ الرسل ومقامه بين ظاهرهم ويردعهم ويبلغهم
آخرية اليهم الى ظهور العذاب ومعاينته مقام عمر العبد الى معاينته اسباب الاخرة بحضور الموت ومقام
طول مدة ايام الدنيا لجميع العباد الى معاينة طلوع الشمس من مغربها او ما كان الله جل ذكره
لياتيهم بالباساء والضراء ولتقدم لهم السيئة قبل الحسنة وما ذاك مستنه في قضائها ولا في معاتبة
عباده الا تسمع الى قول صالح عليه السلام لقومه يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة
هنا الايمان والتصديق والسيئة الخلاف المعهود في امم الانبياء بعدهم فاذا كان ذلك اعتادهم
الله ربهم بالتبيانات المصائب والخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات
يكفر عنهم بذلك ويخفف من اوزارهم لتقدمهم الحسنة فقيل منعوا على ذلك الى حين واما
من قنع الكفر والتكذيب وابتلي بالمصائب والباساء فقليل رجوعه بعيدا وبته فاذا هو
لم يرجع وجاءه العذاب فسد مسدود وحجر محجور دون الاقالة ثم على ذلك لا بد ولا محالة

وجود التلاوة والاقرار منهم حيث لا ينفعهم كذلك المحتضر الكفار لا بد من التنعم والرجوع
ولا قبول قال الله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون كما قال جل قوله حتى اذا جاء
احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا يقول الله جل قوله كلا انها كلمة هو قائلها
اى لا بد من قولها ولا ينفعه قوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون اعلم جل جلاله ان كل
ثمرة تنقص ومصيبة تنزل بقوم ومكروه يحل بهم فان ذلك لتكذيبهم باياته او غفلتهم
عنها او لذنوب هم مقيمون عليها وان الفرج من ذلك بالتقوى والايمان والعمل بطاعته
فصل هذا قول الله جل ذكره وقوله الحق وقد جاء ايضا اعظم الناس بلاء الانبياء
ثم الامثل فالامثل وقال جل قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
المعنى الى اخره حيث وقد كشفه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد راى اثر
وما وقعت عينه الا على اهبة وقرظ فبكى فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بكائه
فقال نظرت الى خزائنك وذكرت فارس والروم وما اوسع الله لهم فقال اما ترضى ان تكون
لهم الدنيا ولنا الاخرة ونحو هذا كثير فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا حق وهذا حكمة منه
جارى على الذنوب والكفر ورد الرسل غيرهما باولئك على المقدار الذى شاءه واذا كان الحكيم
على وضع الدنيا على ما وضعها عليه فان الدنيا جنة الكافر فليتم مراده فيها كما قال جل
قوله وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومتى كان الحكم من
جهة النظر من عنده ولا اخذ لاولياء بالتخفيف على المؤمن من اثقال الدنيا واوزارها لذنوب
توجب ترك التوسعة عليه فيها والله عليم حكيم قوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وهم نائمون الى قوله جل قوله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وانما جاد كرم
ان باسه لا يامنه مؤمن عاقل عن ربه نهارا دون ليل ولا ليلا دون نهار ولا ساعة دون
ساعة انما يامنه الغافلون المكذبون اولئك هم الخاسرون اعقب ذلك قوله اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم نبه اهل الغفلة
والعافية الى التذكر والاتعاظ بسواهم فما من احد الا وهو فى موروث عمن كان قبله قد اخذ
اولئك بذنوبهم وخلف هؤلاء فى مواضعهم افامن هؤلاء ايضا ان ياخذهم الله بذنوبهم وهذا
من المكر المخوف به قبل هذا انما اورث هؤلاء واستخلفهم فى تركة اولئك اختبارا لهم لينظر كيف
يعملون فمن خالف امره واستخف صغاير ذنوبه جره ذلك الى كبارها فكبارها الى الغفلة والا
وعقوبة الاعراض بالطبع والوقود والعمى وعن ذلك يكون التكذيب والكفر لذلك قال عز من
قائل تلك القرى نقص من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل
لما اعرضوا طبع الله على قلوبهم ثم قال جل قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد يريد العهد الاول
عهد الاقرار وقوله جل قوله وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم لانكم
اقررتم له بالربوبية وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين فذلك يومئذ الذى شهدكم اياه
فشهدتم فى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا
قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين المعنى قوله عز وجل وقال الملأ من قوم فرعون

اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك وفى قراءة ابى وعبد الله وقد تركوا ان
يعبدوك والهتك وقرا ابن عباس والاهتك بكسر الالف ونصب اللام قال ابن عباس انما يعبد ولا يعبد
وعلى قراءة الجماعة من فتح الالف وكسر اللام قيل ان فرعون كان يعبد ثورا سترا
عبرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا اليهود او قال المشركين من جزيرة
العرب وقال لا يبقين فى جزيرة العرب دينان وقال انا برئ من كل مسلم مع مشرك لا تراءى نارهما
وان كان قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى فقال لا يوردن ممرض على مصح وقال فر
من المجذوم فرارك من الاسد ولئن كان فرعون عابد ثور سترا لقد عبد بنو اسرائيل العجل
نعوذ بالله العظيم من الضلالة بعد الهدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد لتركبن سنن من كان
قبلكم وبنو اسرائيل وان كانوا بمصر سلفين فقد اعداهم الجوار والخبيثة يوما الا تراهم
فيما يستقبلون يعبدون الدجال لعنه الله كما عبد اهل مصر فرعون للمجاورة الحكمة هذه
منها كما البحران حيث يلتقيا موجود بينهما البرزخ ولا يبغيان ولا ملح اجاج وكذلك غيره
من الموجودات قوله عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان والقمل والضفادع والدم
وذكر فى سورة النمل والعصا واليد البيضاء وقال فى تسع ايات الى فرعون وقومه
وهذه ثمان ايات فقيل ان التاسعة هى الطمس فى قوله واطمس على اموالهم وهذا قول بعيد
عند البعض عن المعنى لان المطموس اموالهم كان بعد هلاكهم هذا ان كان الطمس كما زعم هذا القائل
ان جعلها حجارة وابلغها فى الارض والاولى ان الطمس هو ان يمنعهم الله انما فيها فى سبيل الله
ولا يوفقهم لايمان ولا توبة لذلك قال عليهما السلام فى دعائهما واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم والله اعلم بما اراد انها الرجز وقد ذكر بقوله ولما وقع عليهم
الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله
جل قوله اذا هم ينكثون وكانوا قبل الرجز كلما اتاهم باية ضحكوا منها فصل ذكر فى الكتاب
الذى يذكرونه التوراة ان فرعون لما ابى عليهما واستكبر هو وجنوده امر هرون عليه السلام برفع
العصا الى السماء فانزل الله عليهم بردا لم يدع لهم زرعا الا افسده وموضع المؤمنين يعنى بنى
اسرائيل فى الضحى واحياها ثم دعواه ان يرسل معهما بنى اسرائيل ليعبدوا ربهم فى المفاوز
فابى عليهم فانذرهم بموت بكور ابنائهم فلما اصبحوا سمع فى كل منزل بكاء وعويل وقال
صراخ وعويل ثم دعواه اخرى ليرسل معهما بنى اسرائيل ليعبدوا ربهم فى المفاوز فابى عليهم
فى ذلك فامر هرون عليه السلام برفع العصا الى السماء فاصبحوا قد نقطوا ومسهم من ذلك عذاب فاستغاثوا
به ودعوا ان الرجز الى اخرها قال الله عز وجل فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من اية الا
هى اكبر من اختها ثم قال جل قوله واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك
بما عهد عندك المعنى الى اخره وعلى ما جاء فى الكتاب الذى يذكرونه التوراة فالرجز ثلاث ايات والله
اعلم امنا بايات ربنا فصدقنا كتبه ورسله ولعل العصا واليد البيضاء لما كانتا اليتى لهما على تسلطهما
الى فرعون وملائه وقال لهما فى تسع ايات الى فرعون فيمكن ان يكون فى جملة التسع ويمكن ان يكون فى معنى
الى فنحن على صدق ربنا وكتبه ورسله من الشاهدين قوله عز وجل واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا الاية المستضعفين هم

هم بنو اسرائيل والارض المباركة فيها هي ارض الشام وهي المقدسة التي كتب الله لهم عمروها ما شاء الله ثم
اخرجهم منها حين شاء ذلك والكلمة الحسنى التي اتمها الله عليهم هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم ما كانوا يحذرون كان فرعون وقومه يحذرون في العلم ان بني اسرائيل يفسد ملكهم وكانوا يحذرون
ذلك منهم فاتم الله كلمته الحسنى عليهم ثم دمر مصانع فرعون ومنازله كما ذكر واشبه ذلك من صنع الله لهم صنعه لهذه
الامة لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين مكة ودخل الناس في دين الله افواجا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالناس حجة الوداع اذ الحق الله الحج بدعائم الاسلام انزل الله عليه يوم عرفة في يوم الجمعة اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فبكى عمر رضي الله عنه وقال لم يتم شيء الا بدا نقصه وتم
نقص هذه الامة الى نحو الاربعة وعشرين عاما وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير بمعسكر المسلمين في بعض
غزواته اذ امروا بقوم قد حلوا نخلة من النخلات بانماط وهم عليها عاكفون فصاحوا به من كل جانب يا رسول
الله اجعل لنا ذات انماط كما لهم ذات انماط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلتموها والذي
نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه
ثم كان بعده صلى الله عليه وسلم من الفتنة والقتال كما كان في اولئك يقول الله جل من قائل تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الى قوله ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقال عليه
السلام انا فرطكم على الحوض فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال الى قوله
انك لا تدري ما احدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم اتبع ذلك
قوله جل قوله وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني
العرب ومن كان يدين بدينهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى قوله بلاء
من ربكم عظيم ثم جعل يسرد جل ذكره خلافهم وعتوهم وفعلهم في بيوتهم الى قوله واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وما ذكر هذا منهم وامثاله لتعداد معايبهم لكن ليحذر على انفسنا مثل ذلك
وما نهي عنه ولا قص علينا الغير الا قصصا الا اصابنا من ذلك ما شاء فنسال اللقا والمبتلى في هذه و
الامة من فضل الله جل وعز انهم عزروا انبياءهم ووقروه ولم يواجهوه بمخالفة انما كان ما كان منهم بعد وفاته
صلى الله عليه وسلم ثم هذا ارى ما بعده نسال الله عز وجل التثبت في الامر والعزيمة على الرشد ونضرع اليه في العفو
والعافية **قوله** تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني لما كلم الله جل ذكره نبيه موسى صلى الله عليه وسلم الفى في قلبه محبة
رؤيته من طلاوة هذا فساله اياها وكان رؤيته اياها استعجالا منه لثواب المواعدة ولم يكن عنده
علم بتخصيص الرؤية بالتاخر الى اللقاء الاخرة ومواعدته فيها قال له لن تراني ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني فبعد ان منعه في ظاهر الكلام استدرك جل وعز من جواز الرؤية تفضله
ما قد سبق في سابق علمه وعلق جواز الرؤية بجواز استقرار الجبل واستقراره هو المعهود والذي يكون
منه غير ذلك بخرق العادة فكان لذلك جواز الرؤية حاصلا ولما لم يستقر الجبل على حال لم يكن الرؤية
على حال موسى عليه السلام ايضا من اصحاب حال الصعقة ولما خر صعقا كما تدكدك الجبل جاز لقائل ان
يقول انه راه في حال صعقه ذلك وكان مجاز الخطاب في قوله فان استقر مكانه فسوف تراني

على حالك

على حالك تلك وحال الحيوة وهو خطاب جاء على صفة الوعد وكان وعد الله مفعولا
ورؤيته جل ذكره حال الموت والنوم والصعق معلوم جوازها لذلك والله اعلم قال النبي
صلى الله عليه وسلم لما اراه ربه من العظمة تبت اليك اي من ان اسالك الا بان يكون على شرط الرؤية
وانا اول المؤمنين يعني والله اعلم لما حدث في امته من هذا المعنى اذ الرسول لامته واول لهم
فانهم قالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فامره جل ذكره ان يختار من قومه سبعين
رجلا لميقات واعده اليه وكان ذلك جانب الطور الايمن ورفع الجبل فوقهم حتى كان
من فوقهم كانه ظلة عليهم فصعقوا ساعتهم تلك وان كان ذلك منهم سوالا تعسفا
لذلك قال عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ولم يذكر موتا في صعقة موسى عليه السلام وذكره
في صعقة السبعين رجلا من قومه فلعل ذلك بون بين الرسول والمرسل اليهم كما انه
تفاضلت الرؤية منهم ومنازل الرؤية تتفاضل كتفاضل العلم به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الدجال لعنه الله وحذر منه يعلمون ان احدا منكم لن يرى ربه حتى يموت **عبرة** ويمكن ان
يكون معنى قوله عليه السلام تبت اليك من ان اسالك ما لم تجعل ومعنى قوله وانا من المؤمنين
اي بان جعلت ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه ذكر ان الله فضل موسى بالكلام ومحمد بالرؤية
ومن الممكن ان يجهل موسى عليه السلام قد سبق الله اليه ان ذلك كائن لغيره وطمع من جهة
الله ان يكون هو فلما كان سؤاله الرؤية في علتهم كان مدسوسا ذلك في سائرهم الا من عصمه
الله عز وجل اذ تعلقوا بعبادة رب موسى جهارا فاتخذوا العجل الها من دون الله وقالوا
لرسولهم لما اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقال امرهم ان يتخذوا
الدجال لعنه الله ربا والها من دون الله انما الايمان التصديق بالغيب ولا لم ينف على ذلك
جملة وعلى ذلك وقعت المبالغة ولم يصل الايمان بالغيب ما يراه المؤمن واوتي له من عاجل
بشرى يباح له اذ ذاك في غالب الحال من غير تطاول النسيه **قوله** تعالى وكتبنا له في الالواح
من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها كما قال
جل وصفه في القران ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال وكل شيء فصلناه تفصيلا ومعنى قوله عز
وجل فخذها بقوة اي بعزم وجزم على قدر ما يكشف الله للعبد من علم الغيب الذي اليه المصير
يكلف لذلك من عزم التعبد واليقين به لذلك وهو علم قال جل قوله وامر قومك ياخذوا
باحسنها كما قال في هذه الاية فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ساريكم
دار الفاسقين يريد والله اعلم دار الشام التي كتب الله لهم وقد قيل ان دار الفاسقين
هي مصر فان كان ذلك هو المراد فهو وعد وعدهم بها كما قال واورثناها بني اسرائيل
يريد ممالك فرعون كلها **قوله** تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض
بغير الحق الى قوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون انها جل ذكره مما يبعد الكفار عن فهم
كتابه والتفقه في معانيه خطاياهم وما يعمي البصائر عن النظر في ملكوت السموات والارض
وهو التكبر في الارض والعمل بغير طاعة الله عز وجل والاعراض عن سماع المواعظ وترك
الاخذ باحسن ما يسمعون وترك الاقتداء بالرسل عليهم السلام وهذا كله يكسب التكذيب
والغفلة لذلك قال عز من قائل ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين

والعبد ما لم يكذب بايات الله ولقاء ربه في سعة من امره وان كان في عداد الصالحين
كان من تبعتهم وساقتهم وان كان من عليتهم في الدرجات العلى وادنى ما يكسبه
الغفلة الوقر في اذن القلب عن شهادة البينات وعدم التعكي اليها فلا يراها
بقلبه لا يسمعها باذنه ولا يشعر اليها بوهمه بل يدركها بحواسه الظاهرة على عينها حجبت
له وان كان مصدقا بها في اصل ايمانه ولعله ان يصدق ببصيرة وجود اعيانه فيما جعلت له
فلا يرى ويصبح يسمع فؤاده عشا يسمع بها ويدرك شهاداتها فلا يسمع فالغفلة حجاب
عن معرفة الحقايق وعلة للغيبة عن شاهدتها في سواد حصونها واعلم ان سوادتها
قد عمت عموم الهوى وانوارها قد اشرقت اشراق الضياء ولكن لا يشعر من اياته بعض
فصل قال الله عز وجل وقوله الحق ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ومن ابين
التبيين في فصول القران واعظمه عناء في اقتناء الموعظة وتوليد اليقين والخوف اهلاك الله
الامم الماضية واخذه اياهم بذنوبهم بقوله عز وجل فكلا اخذنا بذنبه وقال وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال فينبغي لمن اراد ولوج
الفهم عن ربه عز وجل في هذا القران ان يمثل نفسه عند قصص امة امة كالحاضر لمشاهد
لذلك الرسول وانه من جملة المرسل اليهم المبلغ اليهم عن ربهم كرسالة فيسارع الى القبول بما
جاء به الرسول ويحذر لاستجابة الله بقومه ويعتقد انه لو كان يكون في حوزته وصحابته
المؤمنين له الناصرين له الموقرين المعزرين له ويدعو الى الله عز وجل من يتبع رده من ذمه ملجأ
به وكذب به وسرد عنه ثم يحمد على النعمة ويساله الشكر عليها ثم اذا انفصل عن قصص هذه الامة
الى قصص امة امة ورسول رسول هكذا ثم ترجع الى نفسه فيفتشها عن ذنوبها ولينبئك ربه
منها فانه ما من احد الا وفيه الكثير مما كان في اولئك الا من عصمه الله وانما صغرت بتقديم الايمان
وبالدخول في الاسلام وعلى ذلك فالوعيد عليها قائم بالاهلاك وكتوبه موجود بوجودها ثابت
بما قال عز من قائل وقد ذكر ما اصاب به قوم لوط عليه السلام فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها
حجارة من سجيل الاية ثم قال عز من قائل وما هي من الظالمين ببعيد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تكون العاصي حتى يكون خسف وقذف وقال الله تعالى اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون اي كما فعلنا باولئك
ثم لنرجع على قصص اتباع الرسل وما اصابهم ايضا في نبواتهم وذكر خلافهم وعتوهم على
انبيائهم وقلة تعزيرهم وتوقيرهم اياهم فان ذلك بما اصابهم من اجل صغار ذنوبهم واصرارهم
على دقائقها بوقعهم ذلك الى كبارها وكبارها الى الاجتراء على الانبياء وقلة التوقير لهم
ورفعهم ذلك الى تكذيب بعضهم ثم قتل بعضهم فاستوجبوا بذلك اللعن والغضب على الغضب قال
الله جل من قائل ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الى قوله وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فليتق العبد دقة
وليحذر صغار ذنوبه بالتوبة النصوح قبل ان ترفعه كثرة التلبس بها والانس الى كبارها
وكبارها الى الطبع والاعراض عنه واللعن والغضب عليه نسال الله معافاته ومغفرته وما هو
الا ان يقع من عين الله ومحبته الى مقته ثم بعده عياذا به من ذلك **قوله** تعالى واتخذ قوم موسى

من بعدهم

من بعدهم من حليهم عجلا جسدا له خوار المعنى الى اخره ذكر في شرح بعض الكتب المنزلة
والله اعلم ان بني اسرائيل لما امروا بالخروج مع موسى من ارض مصر استعاروا من حلي نساء القبط وانما
كان اذن لهم فرعون في خروج يرجعون منه فاخفى بنو اسرائيل مرادهم بخروجهم ذلك واستعاروا
حلي القبطيات اللاتي يشهدهم ذلك وعطف الله قلوب القبطيات في ذلك فاكثروا من ذلك الحلي
والمتاع ولما اتبعهم فرعون بجنوده كما قص الله جل ذكره من شانه من اغراق فرعون ومن كان
معه وانجاء المؤمنين مع موسى صلى الله عليه وسلم ثم حلوا بعض محلاتهم وسار موسى عليه السلام لمواعدة ربه
عز وجل ثم استخلف هرون عليهما السلام ووصى بهم فقال لهم السامري انكم استعرتم حلي القبطيات غصبا
ولا يحل لكم الاستمتاع به وحملهم على ان يقذف كل انسان ما حصل عنده من ذلك الحلي في نار قد استوقدها
فالقى فيها ما القاه وهي القبضة التي قبضها من اثر الرسول عليه السلام وخلق الله عز وجل من ذلك الحلي
عجلا جسدا له خوار يعني له روح وجسم حي فقال لهم هذا الهكم واله موسى قال انما نسي موسى الهه فهو يطلبه
فلا يجده فاستهوى منهم من استهوى ونصحهم هرون عليه السلام بقوله يا قوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري وكثر اللغط وارتفعت الاصوات في العسكرين المهتدين والذين
ضلوا به ولما ورد موسى عليه السلام على ربه عز وجل قال له وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم
اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى يمكن ان يكون معنى قوله ما اعجلك عن قومك لم تركتهم
ويمكن ان يكون معنى قول موسى هم اولاء على اثري اي على هدايتي وسمتي ويمكن ان يكون معنى ذلك انه
استتبعهم الى المواعدة فعجل هو سبقا الى ربه عز وجل وهم على اثره لاحقون به قال الله عز وجل
فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا اي حزينا
والاسف الحزن على الفائت فحزن هو على ما فاته من هدايتهم قال لهم بئسما خلفتموني من بعدي
فخاطب الجماعة ومن كان استعمله على ذلك اعجلتم امر ربكم يريد ما قدم اليه يصيبهم بما يغضبه عليهم
وذلك قوله ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي وما ذكر شيئا الا كان من ذلك ما شاء والقى الالواح
واخذ براس اخيه يجره اليه وقال له ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني تقدير الكلام ما منعك من ان تتبعني
اذ رايتهم ضلوا ويمكن ان يكون معناه ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني الا امر ربك بهم ويكون
على حال الغضب والاسف ما منعك الا تتبعني اذ رايتهم ضلوا الا ارادة منك في ضلالهم افعصيت
امري وقال لقومه اعجلتم امر ربكم قال الله عز وجل ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
وذلة في الحيوة الدنيا ثم قال والذين تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم
وقال عليه السلام للسامري ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وكذلك يريد الملك عليه السلام وقرا الحسن وقتادة وحفص عن عاصم
فقبصت قبصة بالصاد غير معجمة وهو القبص باطراف الاصابع والقبض معجمة الاخذ بجميع الكف
ورووا ايضا عن الحسن وروي عن ابن عباس فقبضت قبضة من اثر الفرس وكذلك هي في قراءة
عبد الله بن مسعود قال السامري وكذلك سولت لي نفسي خبر عن توجيه نيته وانها كانت لا من وحي
فؤاده الله جل ذكره ما نوى لي كما قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه انهم كانوا
يتركون بعلمهم من الملكين عليهما السلام والعمل بما علموه سبيل الهداية التي كانا يعلمان الناس عليها
السلم وياخذون سبيل الضلالة وانما كان ذلك عن تحري طلبهم سهم وتوجيههم لها ما وجههما

اليه ولو وجد هداية المهداية وخير لوجد ذلك لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعمال
بالنيات وانما لامرئ ما نوى **قوله** تعالى ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا
الاية كلمة تقولها العرب تعبر بها عن صريع الندم وفقدان المعذرة ووقوع الحقوق واراه والله
اعلم ان في ذلك تقديما وتاخيرا مجازه ان شاء الله تعالى ولما رأوا انهم قد ضلوا وسقط في
ايديهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين **قوله** تعالى ولما سكت
عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون كثيرا ما جا
عن السلف ان لتلك الالواح رضاضا فالله اعلم ووصف الله جل وعز عن موسى عليه السلام
بانه القى الالواح في حال غضبه على اخيه وهو مدو ولم يذكر كسرا قال ولما سكت عن موسى الغضب
اخذ الالواح وسمى ما اخذ الواحا فظاهر الخطاب انها لم تكسر وانها لا رضاض الا ان يكون سمى
ما تكسر منها باسم اولها وقال جل قوله وفي نسختها هدى ورحمة وان النسخة هي المكتوب فيها من غيرها
ورقا كانت او الواحا وقال في الكتاب الاول وكتبنا له في الالواح ولم يقل نسخنا الا ان يكون
عبر مرة بالنسخ ومرة بالكتب لان التوراة منتسخة من ام الكتاب كغيرها من الكتب والله اعلم
قال عز من قائل وفي نسختها هدى ونور للذين هم لربهم يرهبون وقال في الاول وكتبنا له
في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب الله التوراة بيده الظاهر من اختلافهم في العبارات وتغييرهم في بيوتهم اذ نسختها ما
وجدوه في الالواح غير ما هو كتاب الله بيده حرا لما عرى من ايمانهم وبدلوه قال الله عز وجل
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ان الانسان يحمل الاسفار
ولا يعلم ما فيها كيف بالحمار فهم لقلة فهمهم عن الكتاب وعدم تفهمهم منهم لما فيه مثال الحمار
يحمل اسفارا او زاد الحمار على جهل الانسان الجاهل انه لا يعلم اهي اسفار ام لا وهم لم
يتحفظوا بكتاب كتبه الله لهم بيده جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وفي نسخته ولم يفقهوها
وان فهموا عنها اعني المذمومين منهم فازيلت ايضا من بينهم والذي بقي منها عندهم هو
قد بدلوا بعضه وحرفوا بعضه وكتموا الحق وهم يعلمون فباؤوا بغضب على غضب قال الله جل
قوله وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون فكانت التوراة التي هي النسخة هدى لهم
ورحمة لمن رهب ربه وخاف مقامه كما قال الله في القرآن هدى وشفاء للذين امنوا وكان في
ذلك بشارة لمن ياتي بعدهم والله اعلم من اهل الربانية الذين ترهبوا لربهم على السبيل القويم
وهم المعروض عليهم مع من قبلهم العمل بالتوراة مع ما انزل اليهم في الانجيل ثم بشارة لهذه
الامة الذين هم لربهم يرهبون فان الكتب الثلثة مع كل كتاب وصحيفة نزلت واجب علينا الايمان
والاهتداء به وابتغاء رحمة الله عز وجل الا ما نسخ منها فافهم **فصل** قال الله عز وجل
فيما تلاه علينا من قصصه عن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما اخذت الصعقة اصحابه في جانب الطور
الايمن قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يريد وهو اعلم سؤال
الرؤية وانهم لا يؤمنون الا بوجودها ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء صلوات الله
وسلامه عليه الامر لي وليه انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين معنى خير الغافرين
انه لا يعير الذنب من المذنب فيعاود الذنب فيتوب اليه فيتوب عليه ويعود عليه بمغفرة ويجعل مكان

كل سيئة

كل سيئة حسنة وربما كثر اعتيادا المذنب الذنب وكثر عوده عليه بالتوبة والمغفرة والجود
عليه بالجنات بلا من سيئاته زائدة من عنده حتى ربما قال له عبدي اعمل ما شئت وقد
غفرت لك **فصل** ربما ظن ظان لم يمعن النظر ولا يحقق المعنى المراد بالخطاب ان موسى عليه السلام
خاطب ربه عز وجل على غير وجه حقيقة العبد وطلب الازدياد من العلم في قوله رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي فان اللايق برسول الله ونجيه ان هذا منه على وجه الحمد وان قوله
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا على وجه التعلم والازدياد من العلم قالت عائشة رضي
الله عنها يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون فكان منها سوالا عن طلب العلم فاجابها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله نعم اذا كثر الخبث وكان مطلب موسى عليه السلام في سواله معنى ما قال
الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ويفهم معنى قوله ولا تزر وازرة
وزر اخرى فان ذلك في التوراة فيما كتب له بيده جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قال
الله عز وجل ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى فكان استفهام موسى
عليه السلام فيما اجتنب ذلك جل جلاله وهو يعيب ذلك منه بل في معرض المدح له وانما كان الاعراض
عن قومه لظلمهم قال الله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وكذلك ما قد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديث الاسراء حين مر به فلما جئنا السماء ... الى قوله فلما تجاوز
موسى بكى فقيل ما يبكيك فقال يزعم بنو اسرائيل اني اكرم الخلق على الله وهذا غلام بعث الله
بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي وهذا ليس على ما يلبس الشيطان لعنه الله الى المنكر
بل هو على سبيل الاغتباط لمحمد صلى الله عليه وسلم والفرح منه لصدق الله وعده ورسله وقد كان يتقدم الى
والى غيره من الرسل والانبياء صلوات الله وسلامه على جميعهم في شانه ما عبر عنه بقوله ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فكان بكاؤه ذلك فرحا به وبحسن حال امته على الامم بعده
وجزاء لمقوله لاجل عتوهم عليه وعلى من بعده من الانبياء عليهم السلام وانهم كذبوا فريقا منهم وقتلوا
فريقا فتاسف لذلك على بني اسرائيل وبكى خوفا وجزعا عليهم فان الانبياء والرسل من شانهم الحرص
على هداية الناس واستنقاذهم من اتباع للملعون ابليس كما قال الله جل قوله حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم فكذلك موسى وغيره من الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم وفي الحديث ما يبرز
الوسوسة في هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم ففرض على ربي خمسين صلاة فجئت حتى مررت على موسى
الحديث فافهم فهمنا الله واياك **قوله** تعالى فيما حكى من قوله ودعائه لامته واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك يعني وهو اعلم تبنا اليك واهتدينا اليك وفي
ضمن هذا انك قد هديتنا اليك وتبت علينا وفضلتنا على العالمين فتمم علينا نعمتك التي بها
هدا وما يكون في معناه وقرا ابو حيوة انا هدنا اليك بكسر الهاء اي ملنا اليك وهو معنى حسن وفي معظم
معناه الهداية والميل عن ضلالة الامم على زمانهم وهو الحنيف الموصوف به الامام المكرم ابراهيم
وعلى جميع الانبياء والرسل حفظنا ووفقنا الله واياك من هذه الزلات واياك ان تفارق التعزير
والتوقير في الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم عند الله عظيم وهذا وشبهه من المتشابه
في الكتاب الذي امر فيه بتعزيرهم وتوقيرهم **قوله** تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي

وسعت كل شيء الى قوله جل قوله اولئك هم المفلحون وقرأها الحسن وعمرو بن فائد اصيب به
من اساء بالسين غير معجمة مع فتح الهمزة من الاساءة فقوله اشاء توجيه الى معنى الاعراض عنهم لظلمهم
اي ان هذا كان مني في الازل سبق به علمي وقدري ونزل به قضائي وهو جواب لقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام
معترفا بمعنى الاولية ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وتوجيه الخطاب على قراءة
من قرأ اساء من الاساءة اشارة الى ظلمهم في طلبهم الرؤية وجعلهم اياها شرطا في وجود الايمان
منهم وانذار امته بما يصيبهم به في المستقبل ثم اتبع ذلك قوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها
للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم فاستاق جل جلاله الصفة هذه الامة وقرأ ابن مسعود مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل مصدقا لما بين يديه من كتاب ربه ورسله يأمرهم بالمعروف وقرأ
طلحة ويذهب عنهم اصرهم رحمته وسعت من في السموات ومن في الارض وكل شيء وعذابه خاص
يصيب به من يشاء وقد تقدم الكلام في كتاب شرح الاسماء على رحمته الموجودة في خلقه فانه عز اسمه الرحمن
ورحمته الموجودة لاوليائه عز اسمه الرحيم **قوله** تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون الحق ههنا هو ما انزل في الكتاب فاخبر جل ذكره في الكتاب عن قوم موسى عليه السلام انهم ليسوا
بمؤمنين جميعا بل منهم امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي عن الحكم بالحق عن الاهتداء فانه يمكن
ان يخرج الخطاب على معنى الاشتمال على الذم والمدح وهو الاوجه على ان يكون معنى قوله يعدلون
يجوزون كما قال جل قوله بل هم قوم يعدلون كما قال منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء
ما يعملون اي هم بالكتاب يهدون وبه يعدلون عن الحق يجوزون بالتاويل الباطل وهو الاظهر
قوله ليس بمصيب من روى ان موسى عليه السلام قال عندما اخبره ربه عز وجل بقوله ورحمتي وسعت
كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الى اخر الوصف الذي استاق في صفة هذه الامة فزعم هذا القائل ان موسى عليه السلام
قال عند ذلك يا رب جعلت وفادتي الى غيري فقال الله جل ذكره ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه
يعدلون قال فسكت موسى ورضي ومثل هذا لا يصح عن المصطفين الاخيار الذين اخلصهم الله
بخالصة ذكرى الدار هو وامثاله عليهم السلام البراء من هذا واشباهه وانما الانبياء والرسل
صلوات الله وسلامه على جميعهم كرجل واحد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين
وهم اشد تحققا في الجنس وكرم هديا هم الاول الاول ولهم يبشر باخرهم واخرهم مصدق
اولهم ويبشر لمن بعده الا ابراهيم عليه السلام في عرصة القيمة كيف يتدافعون الشفاعة بعضهم
الى بعض او الى الاخر وانما هو جل ذكره الرئيس المواجهة الكريم المخاطبة الحكيم العليم استاق ذنوب
من مضى لا لتعييرهم بل ليؤدبنا ويحذرنا مما اصابهم في سوءتهم ولما كانت المواجهة لهذه
الامة بالخطاب عدل عنهم بذكر الاخذ وشدة البطش واخذ جل ذكره ببعض الحق وحكم بالفضل
والتبليغ على ذلك قائم والفضل منه والاكرام مواج وهو الحليم الكريم ذو الفضل العظيم
قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته الى قوله
جل قوله لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم **فصل** فمن لزم الطريقة المثلى في هذا الشأن
ان شاء الله تعالى اذ يتلقى قصصه بالتصديق المحض والايمان والمبالغة في الهرب عما نهيتم

والامعان في الابعاد عن مواطن هلكاتهم والمسارعة الى سلوك سبيل نجاتهم وابتغاء مرضاته
بغاية الطاقة ومنتهى الجهد وان نستشعر في نفوسنا ان جميع مذامهم قد ادركتنا ها الامكان
من قتل الانبياء وتكذيبهم على انه من امات سنة نبي فقد قتله ومن عصى رسولا من بعده عنادا
جهارا فقد كذبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى انه لو كان فيهم من اتى امه واخته جهارا لكان فيكم ذلك ولقد تجلى
فينا ايتها الامة جميع ما اهلك به من كان قبلنا من الامم من العظمة وترك التوبة
والاعراض عن الذكر والجبروت وغلظة السطوة والمباهاة وبذلك اهلك
الله عادا وبتطفيف المكيال والميزان والصد عن سبيل وابتغائها العوج بعقودنا
على كل صراط للاسلام بالتغيير والتبديل والايعاد على ذلك والتهديد والتشديد
حتى لقد امحى رسم الاسلام فلم يبق الا اسمه وطفئت انوار الايمان فلم يبق منها الا خواص
يجيء ثم يذهب كالبرق وبذلك اهلك الله قوم شعيب عليه السلام ثم العلو في الارض وجعل الناس
شيعا يستضعف طائفة منهم فعل فرعون ببني اسرائيل ثم ركوب الفحش علانية
وسرا كالجهر وبذلك اهلك قوم لوط عليه السلام وغيرهم ولم يكن منهم فصل
ذنب الا وفينا ظهوره ولا سيره عوجا الا ومنا ابتداؤها والينا انتهاؤها والنظر
في عيوب من مضى على ما نحن عليه حمق وبله بحصلل لكن انعاظ وازدجار وقد قال الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء
الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتيكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا
منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون كما قال ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى قوله واولئك من الصالحين ثم استأنف الخطاب
مواجهة لنا بقوله وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين **قوله** جل وعز
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم
سنزيد المحسنين القرية هي ايلة والباب الذي امروا بالدخول فيه هو باب المسجد امروا
ان يدخلوه سجدا اي في حال من يسجد طهارة وتوبة ونية في صلوة فاذا فعلوا ذلك
فليقولوا هذه حطة اي مغفرة من الله لذنوبنا ثم قال وسنزيد المحسنين يعني والله اعلم
محسني هذه الامة فانه وعدها بان احدهم اذا توضأ الوضوء الذي امره الله ثم قال اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وبانه اذا توضأ
فغسل وجهه خرجت خطايا وجهه حتى يخرج من اسفل عينيه فاذا غسل ذراعيه خرجت
كل خطيئة بطشتها يداه حتى يخرج من تحت اظفاره ثم كذلك في الراس والرجلين
قال ثم كانت مشيته الى المسجد وصلاته نافلة له ومصداق هذا من الكتاب العزيز قوله يا ايها
الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق الى قوله وما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون فقد تحصل
الحطة بحمد الله مما تلاه علينا جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه وزاد من فضله محسني

هذه الامة ان يبلغ بهم درجة الشاكرين كذا امروهم ان يقولوا هذه حطة من الله بحط خطايانا
وجاء في بعض كتب النبوات قال ان هؤلاء القوم تركوا ما اكرمت عليه اباءهم
وابتغوا الكرامة من غير وجهها اما احبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا
يتعبدونهم من دوني ويحكمون فيهم بغير كتابي حتى اجهلوهم امري وانسوهم ذكري
وغروهم مني فبطروا نعمتي وامنوا مكري وبدلوا كتابي ونسوا ذكري وضيعوا امري
بعد كلام كثير قال وعزتي وجلالي لاعطلنها من كتبي وقدسي ولاخلين محال السهل
انسي ولا وحشي مساجدها من عمارة الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيري ويتهجدون
فيه ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين ويتفقهون فيها لغير العلم ويتعلمون لغير العمل
في كلام طويل **فصل** انبأنا الله جل ذكره بما تلاه علينا بقوله يغفر لكم خطاياكم
ان الخطايا انما كانت تغفر لهم ببعض اعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت
على خواتم سورة البقرة من كنز تحت العرش وقال الملك عليه السلام لن تقرأ بحرف منها
الا اوتيته واعطيته وفيها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فيقول الله جل
جلاله لقاريها قد فعلت وفي اخرى نعم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي
الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وكان من الواجب على الايمان والتصديق بما في
الكتاب وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيما بشر به من غفران الذنب عند الوضوء
وترك المؤاخذة بالخطايا مع الصدق واجتناب التغافل فكذلك كان يجب
عليهم الايمان بمثل ذلك في حط خطاياهم عنهم بكونهم قاصدين لبيت الله للصلوة بالخشوع
الوجهة يعتقدون ذلك بقلوبهم ويقولونه بالسنتهم فلما اتخذوا لهوا ولعبا وصلوا
لقضاء اوطارهم وتعبدوا لغير الله تعالى ذلك ساءت الايمان بالبشارة من قلوبهم
على اعمالهم ولم يبلغ لدخلها ومصاحبة الغفلة لها اذ سروا فكانوا يقرؤون كتاب الله
ولا يقفون عليه بالعلم وربما علوه على ظهر قلوبهم عن جنب دون تحقق فكانوا بذلك مبتلين
لما فرض الله عليهم وامروا به من الايمان قولا غير الذي قيل لهم الا انهم قصروا عن تحقق
البشارة لغلبة خوف من يرتد عليهم او لانهم عملوا في ذلك ولو عفوا الا ذلال وكانوا يقولون
ان كانوا وقفوا عليها بالعلم ويتلونها في الكتاب بقلوب غافلة ونيات عابثة غير متحققة بالتنعم
لا الله وربما تمنوا على الله في حالتهم تلك كقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وامثال هذا وهذا هو البنية في الضلالة واما الابرار فهم بمعزل
عن هذا ان شاء الله يؤمنون بما انزل اليهم وما انزل من قبلهم ويستمعون القول فيتبعون
احسنه ويستبشرون بفضل من الله ورحمة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ومنهم الذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون للخوف المتمكن من قلوبهم لا يرون احدا احق منهم
بالعذاب انهم يغفر الله لهم ويرحم هذا منهم بعد تصديق الله جل ذكره في وعده ووعيده والايمان
بما جاء من عنده وجعلهم التهمة في حسناتهم وتحصيل الامن من خلف وعدا وهضمهم حق بل
انا له الموعود مع الزيادة بالفضل **قوله** عز وجل واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم
الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب يريد يعهم سوء العذاب على المداومة بالتزداد

والمعاودة

والمعاودة على ذلك بالمكروه سميت في اللغة اي كررت الكلام فيها وعاودته
واذ تأذن او جب ذلك على نفسه وقضاه والله اعلم **قوله** عز وجل واذ اخذ
ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا
قد تقدم الكلام في هذه الاية مع نظيرتها في سورة ال عمران وان هذه نص على عهد الربوبية
وتلك نص على عهد النبوة والرسالة والتبليغ والايمان بذلك والنصر وابطن في تلك
ذكر الربوبية كما ابطن في هذه ذكر النبوة وان كان قد اشار اليها والى معناها في قوله ان
يقولوا انا كنا عن هذا غافلين الى اخر المعنى كما اشار في تلك الى ذكر الربوبية في قوله افغير
دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل امنا بالله
وما انزل علينا الى اخر المعنى **قوله** عز وجل واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى اخر المعنى اختلف الناس في من المعني بهذا
فقال قوم هو بلعام بن باعوراء وقيل باعم وقال اخرون هو اليوسع عابد من بني اسرائيل
قيل كانت له ثلاث دعوات استعملهن على ما ذكروه في امرأته والله اعلم وقال قوم هو امية بن ابي
الصلت وقال قوم نزلت في راهب بن صيفي وقال قوم نزلت في اليهود والنصارى وكل من اتاه
الله من اياته وعلمه وكتابه فانسلخ بذلك فهو المعني بهذا ثم اختلفوا في القصص عن هؤلاء
المذكورين وانا اذكر طرفا من قصة امية بن ابي الصلت لقربه طريقه وتارك قصص ما قص في
شانه ولئلا لبعد الطريق الى الوقوف على صحته او سقمه كان ابتداء امره انه قرأ في الكتب وعلم
ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت وظن انه هو ذلك الرسول لانه كان فيما ذكر فقد
بينة من الامر واظهر له اشياء تقارب فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم شرق لذلك
حسدا وانفة ومر في بعض اسفاره على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا
ما قتل اقرباءه فلما مات اتت اخته الفارعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألها عن موت اخيها
فقالت بينا هو راقد اذ اتاه اثنان فقعد احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند
رجليه للذي عند رأسه وعى قال الاخر قال وزكى قال الا فقلت اريد بك خير فصرف عنه فلما
افاق قال

كل عيش وان تطاول يوما ... صائر مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ... شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني شعر اخيك فانشدته قصيدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ... فلا شيء اعلى منك جدا وامجد
مليك على عرش السماء مهيمن ... لعزته تعنو الوجوه وتسجد
عليه حجاب النور والنور حوله ... وانهار نور حوله تتوقد
فلا بصر يسمو اليه بطرفه ... ودون حجاب النور خلق مؤيد
ملائكة اقدامهم تحت ارضه ... واعناقهم فوق السموات صعد
قيام على الاقدام عانون تحته ... فرائصهم من شدة الخوف ترعد
وسبط صفوف ينظرون وراءه ... يصيخون بالاسماع للوحي ركد

أمناه روح القدس جبريل منهم   وميكائيل والروح القوي المسدد

وهي قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها وانشدته قصيدة الأخرى

يوقف الناس للحساب جميعا   فشقي معذب وسعيد

ثم انشدته قصيدة التي تقول فيها

عند ذي العرش يعرضون عليه   يعلم الجهر والسرار والخفيا

يوم ياتي الرحمن وهو رحيم   انه كان وعده ماتيا

يوم اتيه مثل ما قال فردا   ثم لابد راشدا وغويا

او سعيدا سعادة كنت ارجو   او مهانا بما اكتسبت شقيا

او اواخذ بما اجترمت فاني   سوف القى من العذاب فريا

رب ان تعف فالمعافاة ظني   او تعاقب فلم تعاقب بريا

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امن بلسانه وكفر بقلبه **قوله** عز وجل ولو شئنا لرفعناه بها يعني الآيات التي اعطاه ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه اخلد يعني ركن ورضي ولما لم يرفعه الى محل الابرار واسفل به الى محل الفجار ذلك لئلا يؤمن مكره احد ولا ييأس من رحمته احد ثم مثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث هذا كقوله جل قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون كما ان الكلب لا يوحدها او جد له حمل عليه وترك عليه من سبقت عليه الكلمة راجع الى ضلالته مكذب بايات ربه ولو دفع الى اعلى درجات العلم واليقين ليس للعلم واليقين وظهور الآيات عمل ولا حظ من النفع والدفع بل الله وحده لا شريك له لذلك اتبع هذا قوله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون **قوله** عز وجل ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل الذرء من الله تعالى ولقد ذرانا لجهنم او ما يكون معناه انه ذرأهم في محالهم من جهنم كما ذرأهم في محالهم من الارض لكنه قال جل قوله ذرانا لجهنم والوجه الاولى واولى والى الآخر مصيرهم فاعلم جل ذكره ان سواه لا يقع عنه ولا دفع لضره ولا يملك هداية ولا اضلالا هذه اعين خلقت للابصار واذان يسمع بها وقلوب يفقه بها منعها ذلك حتى اخبر ان الانعام اهدى سبيلا منهم فكذلك الآيات والبينات والعلم واليقين انما يبين بها ويسمع بها ويعلم بالعلم الله خالق كل شيء ثم اعلم ان الغفلة اضل ذلك ولو ايقظهم كما ايقظ الذي ضرب به المثل لاغفلهم واضلهم قال الله عز وجل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ثم قال وقوله الحق ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون **قوله** عز وجل ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها الآية انث الحسنى لانها جماعة الاسماء الحسنى تانيث الحسن كما الكبرى تانيث الاكبر والالحاد في الاسماء هي الزيادة على ما اذن فيه او النقصان عما امر به مع ميل في ذلك الى غير المعنى فالمشبهة وصفوه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بما لم ياذن فيه والمعطلة سلبوه جل وتعالى حقهم ما اتصف به وسبيل الحق في ذلك واضحة امر بين امرين فيهم لا تشبيه ولا تعطيل مع تقديم التنزيه والايمان بانه جل وعز له المثل الاعلى سبحانه ولا احد لقد اعظم النعمة على اهل التوحيد واجزل

المنة

المنة على من منحه التحقيق حيث دلهم على نفسه فاصطفاهم لمعرفته ولم يجعلهم خاضعين لصنم ولا عابدين لذي شكل ولا لون سبحانه وله الحمد من فاز الذي شفع لهم في القدم من اختار لهم هذا في الازل لا اله الا الله الحمد لله رب العالمين ان هذا لهو الفضل المبين **فصل** الدعاء قد يكون بحرف النداء وبغير حرف النداء انما يختلف حرف النداء بمد الصوت لمن لجل تطويل التنفس وذلك يكون لمعنيين احدهما ارادة الاسماع والثاني التضرع واظهار خضوع النفس للمدعو المنادى واكثر ما جاء دعاء الملائكة صلوات الله على جميعهم باسقاط حرف النداء اذ المدعو المنادى حاضر شهيد فاستوى في حقه جل وتعالى من اسر القول ومن جهر به كذلك حكى عنهم عز جلاله رب اني وهن العظم مني رب اني يكون لي ولد رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا رب انى مسني الضر ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا وقد اثنى الله جل ذكره على زكريا عليه السلام من اجل اخفاء دعائه في قوله اذ نادى ربه نداء خفيا وامر بذلك في قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال صلى الله عليه وسلم وقد سمع جهر اصحابه بالدعاء اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انه سميع قريب وفي خبر هو اقرب الى احدكم من رجله ومن عنق راحلته ومن ادخل حرف النداء فلمعنى التضرع او ابداء النصيحة كقوله جل وعز وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكقول ابراهيم عليه السلام يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني يا ابت لا تعبد الشيطان يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة والامر المعهود في الدعاء الى الله عز وجل وسؤاله الخفية واسقاط حرف النداء الا ان يدخل على الداعي عارض مزعج ودعاء المخلوق اكثره بحرف النداء لا سيما اذا كان المدعو على بعد لكن لك من هو اقرب اليك من نفسك واقرب الى نفسك من حياتها واقرب الى كل موجود من ذاته فاحسن سبل الدعاء اليه ان يكون على سبيل المناجاة والافتقار والرغبة والرهبة مع الايمان بوعده ومشاهدة فليستبشر الاجابة من محيط به قريب رقيب عليه رحيم به سميع كريم لا يتعاظمه ذنب يغفره ولا عطاء يمنحه استنجازا لوعده الكريم **فصل** قد تقدم الكلام في شرح الاسماء على مبلغ الجهد وحسب الطاقة وبهذا والله اعلم خطاب منتظم المعنى بما بدأ به السورة من قوله كتاب انزل اليك الى قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وهذه ثلث كلمات عليهن دار معنى ما جاء بعدهن فلا يخلو الخطاب بعد هذا من ان يكون في معنى الامر بالاتباع ووصف ما انزل والدلالة على الله جل ذكره والتحذير من اتخاذ اولياء من دونه ووصف ذلك وما يتبعه والتذكير وما اتصل به وهو مفصل محكم الى قوله جل قوله المص كتاب انزل اليك حتى انتهى الخطاب الى معظم الذكر والعلم من ذكر الاسماء الحسنى وهو يشير الى الصفات العلى والصفات تعرف بالموصوف والاسماء تدل عليها والافعال واعلم وفقك الله ان لكل علم مبدأ يبتدى به طالبه واشياء يبتنى عليه يحتاج ان يتقنه حتى يعتدل الكرسي ويثبت له بنيانه ثم حينئذ يتصرف في انحاء فنونه ومناهجه واحق واولى هذا العلم التفكر في مخلوقات الله جل ذكره وطلب معرفته بذلك فهو علم اشما وانما ضل الاكثرون عن المقصد لما ركنوا الى طلب العلم الهوينا وركبوا الى الراحة وسلكوا في ذهابهم الى ذلك بنيات الطريق وتنعوا على الاداء ولذلك

وتركوا المنهج جانبا ولما لم يطلبوا المعارف من اصلها ولا اتوها من ابوابها ومباديها تحيروا
وضلوا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا قوله يكتسب اليوم على النفس
بعي غير عالم حتى يموت ثم يدخل الجنة ان شاء الله تعالى فلا يحيا وذاوك رجحنا منها **قوله** عز
جلاله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقد قال مثل هذا في قوم موسى عليه السلام
واستاق ذكر هذه الامة في قوله جل قوله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون
ويؤتون الزكوة الى قوله جل قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك
السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله
وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فجاء من ظاهر هذا الخطاب الكريم انه لا هداية لاحد من البشر
كائن من كان الا باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قبل هذا يرسل الله جل جلاله
النبي الى قوم خاصة او امة معهودة عنده كما قال صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه
خاصة وبعثت الى الناس كافة وفي اخرى بعثت الى الاحمر والاسود وجاء هذا الخطاب موافقا
في العموم قوله وممن خلقنا امة فيحتمل ان يكون المراد بهم الجن وقد ذكرهم في القران في مواضع
وايمانهم بالقران وبمن جاء به واهتداءهم قبل هذا الكتاب وان فيهم المهتدي ومنهم الضال ويمكن ان
يكون الحق به قوما في اطراف الارض حيث اظلم الكفر وعم الضلال فانه كما يوجد في اقطار النبوة
ومواضع الهداة والهدى كفار ومنافقون كذلك لا يبعد ان يكون في موضع الضلال والكفر هداة
يهدون بالحق يعدلون به في حكمهم ويعدلون به ايضا عن الحق كما يهتدي بالكتاب والنبوة ولعدمها
الضلالة والكفر وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد **فصل**
وقد تقدم ان المعهود المتقرر الهداية بالكتب والنبوة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان
النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة والى الاسود والاحمر فمن المعلوم انه جل جلاله
لم يعم بالنبوة والانبياء العالم كله الا في الوقت كياجوج وماجوج وامثالهم فانه قد جاء في كتاب النبوات
ان الانبياء قد بلغهم وانباهم بما يكون منهم في خروجهم ثم بما يكون في هلاكهم وخوطبوا به للذكر
وبالجملة فان الانبياء والنبوة فيما هنالك وما قاربهم وفي اكثر الاقطار المحيطة بالمعمور
عن بث قليل وقد يرجع لزومها فيما ههنا وشيا عنها عموم النسيان وحلول الغفلة والا
العسوة على القلوب فكيف باولئك وذكر الله جل ذكره قوله وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون منتظمة بالمجاورة بقوله جل قوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه
بها والظاهر ان الحق المعني في قوله وممن خلقنا امة هو الحق المبثوث في العالم والذي دلت
عليه دلائل المصنوعات وشهدت به ضروب الآيات والبينات المفصلة من معاني الاسماء وانه
متصل من نبوة ادم عليه السلام من علمه بالاسماء بالائمة الراشدين من بعده الى ان نجم قرن الضلالة
وظهر الكفر حتى طبق الارض الا ما شاء الله منها فان الله لا يخلي الارض من قائم له بحجته
وعاملين له بما يرضيه من طاعته عبر عن هذه الحال المذكورة **قوله** جل قوله كان
الناس امة واحدة اي على الاسلام والايمان وحذف ذكر الاختلاف فقال فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق وهذا حق مؤكد للحق المحصل بالنظر والاختلاف

الواقع

الواقع من اجل اختلاف الاراء يبينه الكتاب والنبوة كما قال جل قوله ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه ولما طبق الكفر الارض وعمها ظلامه الا ما شاء الله بعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب كنوح وهود وصالح وشعيب ثم موسى صلوات الله
وسلامه على جميعهم الى ان بعث ابراهيم عليه السلام حين ضل النظار والمتفكرون فعلمهم كيف
النظر واراهم ترتيب الاعتبار ومنبعه والى من هو المنتهى فقرب باليقين وعلا بالعلم
المكين واطلع على ملكوت السموات والارض واتخذه الله لذلك خليلا فنبت قوم على
نبوته واتصل لهم ذلك بنبوة ادم عليه السلام وهم قوم من البراهمة وانكروا ما سوى هذا من النبوات
فضلوا لذلك وامة اخرى اخذت ماخذ النظر والاعتبار وكودت على الفكر والفكر على الذكر
وان كانت لم تاتمر بالاسماء ولا شعرت بها ولسعة رحمة الله بها وعموم ما الهمها في العالم من حكم
تخرج من حكمة موجودة فيها وبها ثم كذلك الى ان تهوي رسمها المبادئ ويقطعوا زمنا فيما بينهم
كالمعهود من الامم الهادية وكيف باولئك من ضلال وحيرة وربما كان في اثناء هذه الفترات
وفي اعصار وجود هذه الامم افراد بقيا واحاد بانواع من الحق متمسكة والمعهود من سنة الله جل ذكره
من خصوصية من شاء من عباده وربما ارسل اليهم رسلا ونبا منهم انبياء وربما حيث الاشكال وتعارفت
الامم الزكية واتصل الحق بالحق وربما ظهرت لهم ذرية تقطرهم من اقطار الارض وان غلب عليهم في اخرى
وربما غطى عليهم اهل الضلال وظهر عليهم ظلام الكفر فربما ايضا ادبلوا منهم هكذا وهم على ذلك
مرة يغيبوا بامر الله فيهم وبهم ومرة يفقهم حتى اظهر دينه بالاسلام وبنبيه محمد عليه السلام ثم لا يبعد
ان يكون مثل ذلك بحيث لا ينتهي علمنا من معمور الارض وقد تطلع كشوف الزهر وربما جنبي
منه الثمر والله غالب على امره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب
ثم اجمع السلف على ذلك من اخذ الجزية منهم وما ذاك الا لتباعدهم واصلهم في نكاح القرابات
المحرمات بالقران والحديث وكذلك في التوراة والانجيل انكاح ادم صلى الله عليه وسلم ذكر بطن
من انثى بطن اخر وانثى بطن من ذكر بطن اخر وذلك لضيق المتسع يومئذ ثم نسخ الله عز وجل
ذلك وذكروا عن المجوس انه انبياء ثم قد سمعوهم فان كان ذلك كما قالوا فانا نؤمن بما انزل الله
من كتاب وبمن ارسل من رسول **فصل** من وصف بعض من تقدم ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك انهم دلوا بعض ملوك اليونانيين على التناسخ ليعلم بامر تزايد في مملكته وبيده على خفاء
من ذلك الامر فدلوه على التناسخ عصره يجمع له علمهم ما سبب به وقالوا انه لا يسكن في البلدان
العامرة وانما يكون في الغواصي المقفرة ويكون من فقراء عصره قالوا ويكون رسلات الكبر
عليه من لانت سجيته وظهرت قناعته وصدقت لهجته وكان رجوعه الى الحق احب اليه من ان يطول
بالباطل فان من استولى عليه هذا الوصف سر وبذ وصله بدهم عليه ولتقدموا الاحجا
في المسئلة عنه ليعلي استقطاره ومنشاه وسيرته فانك تجده زاهدا في التعلم راغبا في
الصدق مؤثرا للخلق بعيدا من الحيلة غير حظي من الملوك ينسبونه الى نجاوزحنه ولخروجه عن
علية اهل طبقته متاملا فيه الخوف وتجافيه الغفلة اذا تكلم في الامر توهمت انه عالم باصوله ولم يعرف
ما يرى في اليه واذا سئل عما يصدع عنه ذكر انه يلقي على لسانه وفي خاطره في اليقظة وبين النوم
واليقظة ما لم يدبر فيه واذا سالته عن شيء رايته كانه يقتضي الجواب من غيره ولا يفكر فيه

تفكير الفساد عليه والمنبسط له فاذا وجدوه فيجمع له اعاجيب يظهر علامات ويدعو
الى ما تقرر من وصفه قالوا فلما وجدوه وجدوا معه نفرا يسيرا من الزهاد قد قعدوا
عن الاكتساب ومشايخ زمنا اقعدهم الجهد وهو بينهم في منزل شعب وحول المنزل جماعة
من هولاء قد سعفهم جواره واقعدهم عن الحظوظ التي وصل اليها غيرهم وسالوهم
عن وقت خلوة فقالوا اما له شي يشغله عنكم فدخلوا عليه فوجدوه محتبيا بين جماعة قد غضوا
ابصارهم من هيبته فلما راوه النفر المرسلون اليه سبقتهم العبرة وعمرتهم الهيبة فسلموا عليه
فرد عليهم السلام ردا ضعيفا وهو كالناعس المتحير ثم زاد نعاسه حتى كادت حبوته تنحل فلما تبين
لمن حوله ما يغشاه غضوا ابصارهم ووقفوا وقوف المصلي ثم قال يوسل المخاطبين ثم كلمهم
بحاجتهم وذكروا ان امراة حاكمت زوجها الى بعضهم في تلك الامة فاصبحنا مشغولا بالنفل
بعد الصلوة فانتظرته مع زوجها حتى فرغ وقال يا جاهلة بمقدار ما جنته على نفسها عرفي
بذنبك واعلمي زوجك بجنايتك عليه فان السكون الذي وقعك في ليلة كذا وزوجك قائم
في الهيكل يدعو لك بدوام البقاء والسلامة قد احبلك لما استترت عن اعين البشر لم تبق عين
ترعيك ولم تعلمي ان في ملكوت السماء منها ما لا يحصى عدده وانت فيهم كالمكشوفة بين المبصرين
وستلدين بعد شهرين خلقا مسوما ثم قال للزوج عقدت بنكاح هذه المراة على غير استقامة
فحصدت منها اكثر مما زرعته فولدت شخصا انسانا له يدان ويدان في صدره صغيرتان وذكروا
ان رجلا واتاه فقال له يا نور الالباب اني دفنت مالا في موضع من منزلي ونسيت مكانه
فقام معه وجاء الى منزله فاتاه ثم قال يا ايها الممتحن لي والشاك في انه لا بد ان يتلف
منك ما تركته من المال في هذا الاسبوع ثم لا استخرجه لك بعدها فان حقا على من لعب
بنعم الله ان يسلبه اياها فذهب المال فصل وذكروا ان شدة في بعض هذه الامم وجدنا
احتيج فيها الى اخراج رجل من افاضلهم قالوا وكان طاهر السيما ما احسن التمكن من علوم
النفس فرجع وقد انحرجراحا قال بعض اصحابه فدخلت عليه وانا اتوهم انه لا يميز وقته
في تمييزه صحيحا وكان يمضي ساعة فيكون في منزلة المشتعل في نومه ثم يفتح عينيه فيتكلم
ببعض دعته الضعف ويشخص الى جهة السماء فقلت ما الذي ترى فقال ارى خلاص النفس
من الجسد واجد راحة لم اجدها في المحيى فقلت زدني في شرحك ان اطقت ذلك فقال اراني
كاني ولدت وعلى كتفي شي ثقيل فكان يكبر بزيادة سني حتى اذا كان في هذا الوقت وجدت له
خفا شديدا وصرت اتامل الاشياء بما هو افضل من عين الجسد وانا ارى عمودا متصلا
بالاثير من نوره ونفوس اهل الزيغ لا يقطعه ويتحامى نوره الى ما حوله كما يفعل الخفاش
ثم قال طوبى لذوي الامانة والصدق فانهم في امر ثم زفر فقلت له ما لك فقال
قد اشرفت على الفرج من الجسد الا ان قوة في قلبي حبيسة عنه تجذبني الى الحيوة وانتم
تعينونها بطلب الراحة الي النقاء في هذا الموضع وانا بينكم كرجل مطلق بين مصدفين
تريدون مقامه معهم في حبسهم وقد ترى لهم الخلاص منه ثم عاد الى دعا الصحف فما زال
يتلوه حتى يثقل لسانا وخفي كلامه بالضعف وقضى نحبه فهولاء انبياء وافاضل
من اتباعهم وقد فرقوا ما بين الشريعة والسنة وذكروا الصلوة وركوعها وسجودها

وقيامها

وقيامها والصيام ومنبعثه والصدقة والمكرمة والذبايح والحدود في الزنا والسرقة
والزهد في الدنيا والاخلاص وحذروا من الزنا والخيانة واكل الحرام وذكروا التقى
والايمان وحسن السيرة والمواريث والنكاح والغسل وانه واجب وبر الوالدين والفرق
ما بين للوالد على الولد وبين ما للولد على الوالد والدين والاعياد فما قصوا واكثروا وكان
كلامهم على ذلك كله فلا باس الا قليلا من كثير وربما كان تصديقا لقول الحق وبعد لوث عن
وجهته فصل ومن نوادر حكمهم من غلب عقله هواه انتفع من عمره فارواح
قلوبها الا نسا اذا اتقيت ربك وحذرت الطريق المؤدية الى الشر لم يقع في الشر لاملم
القضاء فيما جنيت شر يدفع خير من خير لا ينفع لا شي اشد من ترك الشهوة تحريك
الساكن ايسر من تسكين المتحرك من لزم الوفاء لزمه لربه من قل وفاؤه كثر اعداؤه احسن
ان احببت ان تحسن اليه بالهمم العالية والقرايح الزاكية تصل القلوب الى نسيم العقل الروحاني
وترقى في ملكوت الضياء والقدرة الخفية عن الابصار المحيطة بالافق وترقى في رياض الالباب
المصفاة من الادناس وبالافكار تصفو الدور الاخلاق المحيطة باقطار الهياكل الجسمانية
فعند الصفو ومفارقة الكدر يعيش الارواح التي لا يصل اليها انحلال ولا اضمحلال
فحينئذ يلحق العنصر بالعنصر ويتحد الصفو بالصفو ويرسب الكدر الى الكدر فيعاين القلوب
حقايق الغيوب وتنظف النفس الى ما لحقت به من العالم المعلوم بحل الفكار وبات الاشكال
واتفاق الاهواء كيف يركن القلوب الى علم الغيوب وقد حجب عنا صوب المصيب بل كيف تخلص
الصفو من الكدر بغير تهذيب من الفكر كيف يلحق الافكار غوامض الاسرار وهي في حجب الاكدار
تناهت الاهواء الى معادنها وفوتت الهمم في بواطنها وعادت الافكار الى عناصرها
ورجعت مستكنات الفطن الى مستكناتها وعاليات الاذهان الى مظانها واماكنها
وانجذاب الاشكال الى الاشكال باللطيف تاثير الهواء فيها فاستكنت مشرفة على هياكلها بين
اوطان عناصرها بصحة فتلوح شواهد الاسرار تلح الضمائر في بحار الافكار وتصل نسيم
الهواء الواصل الى عوارض العقول والابصار وغوامض الالباب والاذهان فيقبل النفوس
ويتواصل اللحاق بمضمرات الغيوب ويتصل بالمطلوب الاعلى الذي فيه بقاء النفوس في ظل
السحاب المحسوس كيف الاتحاد بخفيات الاضداد والعلم بشواهد الانوار المحجبة عن العقول
والابصار الشاهدة لخفيات الاضمار حتى تعلقت الارواح بالارواح وامتزجت الاجناس
بالاجناس وخلصت في سرح الاوهام والحس في معصل العقل وبان من كدر الغذا وتميزت من
مواطن الحجاب المحجبة الالباب فنالها نعمة ما اتمها واعمها واهناها واسلمها ومن مقطعات
حكمهم الحكمة حيوة النفوس وزراعة الخير في القلوب ومثمر الحظ وحاصد الغبطة و
السرور لا تمحو نورها ولا يكبو ازنادها الحكمة خلة العقل وميزان العدل ولسان الايمان
وعين البيان وروضة الادب ومراح الهموم عن الانس وامن الخائفين وانس المستوحشين
ومتجر الراغبين وحظ الدنيا والاخرة وسلامة العاجل والاجل كل شي يتهيا فيه حيلة الا
القضاء ليس شي اقرب الى تغير النعم من الاقامة على الظلم فصل في نفي التشبيه والتمثيل الكون
الحفية هي فلا يدرك بحاسة العيان والاسماع والالمس والفكر والنكول عنه بين والعجز عن ادراكه

واضح كيف يدرك بالحس غير محسوس ام كيف يبلغ الفكر ما لا يعرف امره ولا الطريق اليه
حتى لا ابصار عن ادراك الغيوب ورجعت الافكار عن الوصول وانقطعت المعارف دون
التناهي من عجز عن علم نفسه فهو اعجز عن علم غيره ومن ضاق سعيه عن سعة الفضاء وقصر
عن بلوغ المدا وعن معرفة الانتهاء حقايق حسه يوجب احكام الصنعة ويلزم القصور عن ادراك
ذلك بالعقول والابصار وانما نرتقي الله وحده لا تحقيقا ونعلمه بتفكر الانظار وربما
وقع الفكر على معدوم والفكر على مفهوم حقايق الاشياء تظهر عند الوصول اليها وتتعلق
بالارواح بها فاذا تناهت اليها وقفت عندها واتحدت معها فبلغت ودخلت في
جملتها **جواب** انما يكون عند مباينة اللطيف الكثيف وتبين الغايب واتفاق الموجود
مع الموجود لا اتحاد انما هو للارواح لا للاجسام فاذا تباينا انفصلا واذا تفرقا يتلفا فلحق
اللطيف باللطيف ورجع الكثيف الى الكثيف ما لنا متناهية الى حد يقف عنده وافكارنا
في سعة بحر عن ادراكها وتعجز عن الاحاطة بها لطفت عن الحس وكثفت عن الدخول في غلطها
فالعقول متناهية اليها والافكار واقفة دونها والخواطر متعلقة معترفة بالتقصير عنها
شاهدة بحقايقها ممتنعة عن العلم بها من عرف الدنيا لم يفرح لرخاء ولم يحزن على بلاء
اجهد بدنك اليوم لراحته غدا فقصد اكبير طيب الكسب وتقدير الانفاق وكتب بعضهم
الى ملك زمانه وقد مات ابنه ان الله تبارك وتعالى جعل الدنيا دار بلوى والاخرة دار عقبى
فما اخذ ما باحدهما يعطي ويبتلي اذا ابتلى ليجزي الذنوب العاصي بذهب الحجج الواضحة عقلو
في ستر من انتم فان كنتم لا تعقلون فاحذروا الدنيا فان كنتم لا تحسنون ان تحذروا الدنيا
فاجعلوها شوكا وانظروا اين تضعون اقدامكم واحذروا الحلال تشتهوا فان القلوب المعلقة
بالشهوات محجوبة عن الله عز وجل من اراد ان يقوى على طلب الحكمة فليكف عن غلبة
النساء نفسه لا ضر اضر من الجهل ولا شر اسر من النساء من كانت الدنيا عنه سائرة فلو سلك
ان اعضاءه فانية ومهجته عن الدنيا راحلة من حسن خلقه غفر ذنبه واقلت عثرته ومن ساء خلقه
عوقب في حيوته ولم يصفح عن ذلته بعد مماته الدنيا وان رمقت حصلوه من يحط بحر بالمرا
التعلم ما دامت به الحيوة وقال بعضهم ما احب الى النفس علمت كلما وعدت به فقيل له لم
ايها الحكيم فقال لانها لو علمت لطارت فلم ينتفع بها ما عنده من فضيلة العلم الاعلى
باني لست بعالم الا انكار على القضاء ادوح وقلة الاستيناس الى الناس حزم اذا هرب
الحكيم من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه ليس ينبغي للرجل ان يشغل قلبه فيما ذهب منه
لكنه ينبغي ان يعتني بما بقي عليه وانما اجتلبنا بعض حكمهم وكلامهم وبعض الاشارة الحسية منهم
وان كان الاكثر منهم لهم اراء في طريق المعرفة غير ناهية وعقود غير مبلغة الى الحق وفهم بالدنيا
الاخرة غير مصيب ولم يكن الغرض في اجتلاب اقاويلهم التصويب لكثيرها ولا تبيين جملتها
بل لم يحمل الهداية الا لهداة المهتدين ولا تصور الحكمة صورة ماثلة ولا لاحت السبيل
البلغة الا للائمة المتقين في الاولين والاخرين لكن الغرض يوجب قوله الحق وممن خلقنا امة
يهدون بالحق اي الحق المبثوث في العالم المنفصل من مقتضى اسماء الله عز وجل مع هداية
من انباء مبلغ اليهم وبالحق يعدلون عن الحق والله اعلم بمراده وحكمه **قوله** عز وجل

اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين خاطب جل ذكره الرسول عليه السلام
والمرسل اليهم واعلم بذلك انهم كانوا يحكمون الحكم بصحة نبوة نبيهم وتصديق رسالته
وانه نذير وبشير بالتفكر والنظر ثم قال عز وجل اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اخبر الصادق الحق جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه ان الفكر في النبوة والنبي بنظر خاص بهما وان التفكر والملكوت وما خلق الله من شيء
يحتاج الى نظر اخر وان الفكر يجري فيما دق وجل فيرتفع حتى يملأ الافاق ويبلغ العرش العظيم
وينزل اسفلا الى اسفل السافلين دل على هذا نص الاية ويجاورتها ايضا لقوله وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا وبانتظامها بقوله جل قوله ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها ودل بذلك ان تعلم الاسماء يدرك علم براهين النيرات وهو المنتظم لمعرفة المكون
وجمعت هذه الاية مطالب العلوم كلها على العموم الاقصى واعلمت بمناهج الفوز الاكبر
والفلاح الاعلى وذلك ان الوجود كله في العالم والوحي انما يدور على التعريف بالله عز وجل
باسمائه وصفاته والاعلام بموجودات الاخرة والاستشهاد على ذلك بالشواهد واقامة
البراهين واستشهاد البينات والايات على ذلك وكذلك التعريف بعدله واحكامه وكلماته
وسنته المتممة لكلماته ثم التعريف بمعالم الرسالة والنبوة وتبيين ذلك وشواهده ودلائله
وتبيان ما انبيائه به من رسل وما جاؤوا من الكتب والايات ومناهج القصد والتوجه الى الله
عز وجل والشوق اليه ورجائه وخوفه والحذر منه الى غير ذلك من دلالات الوجود
من العالم والوحي ومعرفة علم الاسماء هو مدار طالب ذلك وفيه اساس كل من تحقق علم
التوحيد ومعرفة اسماء الموحد وصفاته ومعرفة مسالك احكامه بالعدل في بريته
وقسمه بالقسط في خليقته وكيف هو يحيي ويميت وهو في حال الاماتة يحيي وفي
حال الاحياء يميت وكيف يمسك السموات والارض ان تزولا وما بين ذلك وما علا وما سفل
والحالة باسرها جملة وتفصيلا وهو في حال الامساك يزيل وفي حال الازالة يمسك فلا كل
وجود ودثر كل وجود ملكوتا **فصل** اعلم ان للاسماء سلطانا قاهرا على الجن
ليس كل ذلك للانس وانا معشر المؤمنين وان كنا لا نستحل حلالا الا بها ولا نشرع
في عمل ولا نختمه الا بالتبرك والتعوذ بها ولا نستعيذ من مكروه ولا نحذر من محذور
ولا نتوصل لمرغوب ولا نذهب الى الله عز وجل ولا نعبد ولا نحرك ولا نسكن الا بها
وكذلك لا ننام ولا نستيقظ ولا نتقرب بقربان ولا ننسك بنسيكة ولا نحل ذبيحة
ولا نطعم ولا نشرب ولا نموت ولا نحيا الا بها استشعارا للذكر بها وهذا كله اعني عمل
الاسماء فيما تقدم ذكره في حقنا غيب لانه بعيد وجزاؤه والجزاء في هذه العاجلة غيب ليس
كذلك الجن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سالوه الزاد لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه
يجدونه اوفر ما كان لحما وكل بعرة علف لدوابكم وكما حرم الله جل وتعالى على كافريهم استباحة
كل عظم ذكر اسم الله عليه كذلك حرم على مؤمنيهم استباحة كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وكل
كل بعرة علف لدوابهم باب فتح الى معالم غيوب الجن دوات غائبة منبعث ذلك كله عن اسماء
الله عز وجل فاسماؤه اذا اجل شيء نفعا واعوده عائدة وهي موجودات الله جل ذكره الظاهر في هذه

الدار ويتحقق ذلك بوجود مقتضياتها فلذلك وهو علم عقب بهذه الآية التي ذكر فيها
الاسماء الاترى كيف اتبعها قوله والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا
يعلمون ثم اتبع ذلك قوله جل وعز اولم يتفكروا وذكر الثلاثة الاصناف من التذكر الذي
ينبغي للمؤمن العاقل ان يعمل فكره الا فيها او في احدها ثم اتبع ذلك قوله جل قوله ومن يضلل الله
فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون فمن ضيع عمره جهلا وغفلة وستفد ايامه جرحا
وبطالة ولاه ما تولى وتركه وما رضي لنفسه **قوله** عز وجل يسألونك عن الساعة ايان
مرسيها الاية لم يكل علمها الى ملك ولا الى غيره ثقلت في السموات والارض يمكن ان يكون
ثقلها زائدا الى ذلك من اجل شدة ما يجيء به فثقل من اجل ذكرها في السموات والارض
قل انما علمها عند الله استاثر باديها وبالعلم متى يكون وقد قيل معنى الكلام ثقلت في السموات
والارض فيكون قوله في السموات والارض مجازا لاجل نقصان اهل والكلام على حقيقته
لا طريق للمجاز اليه كما تقلب على اهل السموات والارض كذلك يقلب فيهن البيت تبدل بغيرهن
كما قال عز من قائل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة الى ان تطلع الشمس فرقا من الساعة وجاء ان ما من حجر ولا مدر
الا وله بكاء ونياح حتى تقوم الساعة والكلام على ظاهره **قوله** تعالى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها وصف جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه عظيم اقتداره على ابتداء
الخلقة ثم على انشائه ثانيا والاتيان بالانقراض اللذين يكون الاعادة عند وجودهما ثم اعلمنا
عز وجل ان الواحد يكون عنه الكثرة بقوله جل قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
ليسكن اليها كما قال جل من قائل ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ثم قال وجعل
بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات فوجه الخطاب الى ذكر القدرة ثم الى ذكر الوحدانية
وان الكثرة عن الوحدة موجودة لان الذات انما تكون سكنها الى ما هو عنها وهي عنه ثم عدل
بالخطاب الى مثل فيه اعلام كيف وجد عن الهداية الضلالة وكيف خلق الذكر الفتنة
فقال جل قوله فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به اي على الهداية والذكر والاسلام لله فلما اثقلت
اي كثر النسل وانتشر اشركوا لمجاز ذلك ان ادم عليه السلام كان قد وحد الله واحدا فردا
خلق له من نفسه زوجا هي حواء فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فلما قارنت الى ثقلت وكان ذلك مثلا
ضربه لبني ادم قبل ان يكثروا وكانت الهداية فيهم اكثر ومع الكثرة وفشو الذرية كان الاثم والخلاف
والضلال وعبر بالخفة عن الهداية وبالثقل عن الخلاف فكان النسل اول زمان ادم عليه السلام
والائمة الراشدين بعده في تاويل حملها في اوله في حال الخفة عليها فلما اثقلت بكثرة النسل
وانتشاره وقد كانا اعني ادم وحواء دعوا الله ربهما في اصلاح ذريتهما فكان الاجابة موجودة
ومن الهداية المعبر عنها بخفة الحمل فعند الكثرة والانتشار المعبر عنه بثقل الحمل فكان ذلك
باسنجا وتعالى عما يشركون فاتى بلفظ الجمع وليس بمصيب في قوله من قال ان المراد بظاهر هذا
اللفظ هو ادم وحواء عليهما السلام ولو كانا قد اشركا بالله كما قال جعلا له شركاء فيما آتاهما حاش لله
لكان في ذلك الهلاك الاكبر ولم يكن يذكر الذنب الكائن في الجنة عند هذا المذكور الاعظم
كما قال عز من قائل ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون وانما كان الاشراك في الذرية لما كثرت

لحلم

الجملة وانقلب دعوا الله وفي قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ادل دليل على اغفال لهذا القائل اذ لو كان على ظاهرها قال له تعالى فتعالى الله عما يشركان
ايشركان ما لا يخلق شيئا وهم يخلقان وقد ذكروا على ذلك حكاية منع الحج من اسمائها
وذلك مما اتبعه الشياطين شان ادم عليه السلام وهذا من متشابه الكتاب الذي عامة ما جاء من
التعزيز لهم والحق فيه على انه من حذف ببصيرته ونبذ ما تحت نبذه من اقوال ومذاهب لا دليل
عليها ابصر الحق ابلج منيرا فاهتدى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله** تعالى
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم المعنى الى اخره معناه عباد مربوبون مخلوقون
ضعفاء لا يملكون ضرا ولا نفعا ثم قال جل قوله فادعوهم اي دعاءة العبد للارباب فليستجيبوا
لكم بذلك ان كنتم صادقين في وصفهم لهم انهم ارباب شركاء وقراه سعيد بن جبير ان الذين
بكسر النون وتخفيفها لالتقاء الساكنين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بالنصب فيهما
يقول ما الذين تدعون من دون الله لعباد امثالكم يريد انتم اكمل منهم واتم وجودا وخلقة ان هي
الا حجارة واصنام وخشب لذلك قال عز من قائل الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها وقراها
ابو جعفر برفع الطاء ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها **قوله** تعالى قل ادعوا
شركاءكم ثم كيدون هذا من معجزات الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم كذلك قال نوح
وهود عليهما السلام يتحدون الملوك السلاطين والعتاة الكفرة الجبارين ومع ذلك فلا يصلون
اليهم **قوله** تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين هذا نص من
جل ذكره على تولية الصالحين من عباده فليبشروا انفسهم وقرئت ان ولي الله الذي نزل
الكتاب بياء مشددة وخفض الهاء من الاسم على الاضافة يعني جبريل هذا الخطاب وجميع
ما جاء في القرآن من معناه راجع الى قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
اولياء ولم يذكروا الحق لم بالوسع والكتاب ذكرى فيقع بالذكر من شاء ويتجنبه الاشقى
قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقراها
ابن جبير طيف وقرئت طيف وقراها ابن الزبير تاملوا مكان قوله تذكروا فاذا هم مبصرون
وفي قراءة ابي ان الذين اتقوا اذا طاف بهم من الشيطان طائف تاملوا هذا تعليم من الله جل ذكره
العبد كيف يكون عند ما يلقي الشيطان اليه الفتنة بتذكر قوله جل قوله الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم وقوله جل قوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر الاية قل امر ربي بالقسط
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين وقوله قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى اخر الثلاث ايات وقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه وبالوالدين احسانا الى قوله جل قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة وقوله جل قوله ان الله
يامر بالعدل والاحسان الاية اي عند ما يطوف طائف العدو فاذا تذكر العبد ابصر ذلك الطائف
يعلم من اي الجنس هو فان كان مما هو لله جل ذكره فهو من الملك وان كان من امر الفحشاء والمنكر
والبغي وما يكون من المذموم فهو من الشيطان فاذا ميز ما بين الجنسين وتحقق حقيقة ما يلقى
اليه فقد ابصر فعليه ان كان من الشيطان ان يقصر ويرجع مستغفرا متعوذا وان كان من الملك فليعزم

على ما فيه حظه وما قد تبين له فيه رشده لذلك قال واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
اى يزيدونهم من الاغراء والاغواء فيقتنا دونهم بمقاداتهم وقرأ الجحدري يمادونهم بضم
الياء وبالالف وهم على ضروب يجمعها ضربان عالم بما هو فيه لا يقصر بل يمضي على اغماض
عن جهالته واعراض عما ذكر به ومزين له فدخل في درك التزيين له بسوء عمله وذلك عقوبة
له من اجل اعراضه عما ذكر به فهذا مما قال جل قوله فيه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون وقيضنا لهم قرناء
فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في امم ذلك الذي قد فارقه الملك
بالتوفيق والتذكير وصم قلبه عن عظة الله جل ذكره فيه وقارنه الشيطان ولية الخذلان
والتزيين وهولاء غير ما هو فيه حجب عنه الرشد وغلب عليه الغي فهذا هو الميت لا يحيى الا عند
الموت والنائم لا يوقظه الا ملائكة الموت يقول اذ ذاك لقرينه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين نعوذ بالله من الخذلان وسوء القرين اتبع ذلك واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون وهو مما انتظم بقوله هذا بصائر للناس من ربكم وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون ارجع معنى الخطاب الى قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم المعنى قوله تعالى واذا قرئ
القرآن فاستمعوا له وانصتوا وهو مما انتظم بقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقوله والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة في قراءة ابي مسكوا بالكتاب معنى هذه القراءة والله اعلم
والذين قاربوا بالكتاب وسددوا نظرا الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا
واعلموا وخير اعمالكم الصلوة وقوله قاربوا وسددوا ويسروا ولا تعسروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وفي قراءة عبد الله ان الذين تمسكوا
بالكتاب وتركوا ما فيه انا لا نضيع اجر المصلحين وهذا بمعنى قراءة الجماعة في قوله فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون اعلم جل ذكره ان بحسن الاستماع يتحصيل العلم والتذكار وبالانصات
يتفرغ القلب لما يتوجه اليه ويتوصل الكلام الى السمع ويلج المعنى الى الباطن لعلكم ترحمون
لعلكم ويذكركم ويتمكم باحسن ما تصنعون فكما كان الاعراض سببا للطبع على القلب
وذريعة الى فقد التوفيق كذلك يكون حسن الاستماع وصدق الارادة ووجود الحرص سببا
للفتح والتوفيق وهذا كله من ابتغاء ما انزل الينا واتباعه ثم قال وقوله الحق واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة اى رغبة ورهبة فهذا ما يجوز فيه الذكر ثم قال جل قوله وقوله الحق
ودون الجهر من القول بالغدو والاصال وهذا منه اعلام كيف يكون الذكر وهو ذكر السر وذكر
في النفس والذكر الذي دون الجهر من القول هو ذكر باللسان مع القلب رغبة ورهبة بالغدو
والاصال ثم قال جل قوله ولا تكن من الغافلين فيها نحو ذلك من الاوقات يريد والذكر
وقد قرأها ابو مجلز بالغدو والايصال لدوده على ذلك ولا تكن من الغافلين وانه
اتبع ذلك قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته بالليل والنهار كما قال
جل قوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يرفع
هممهم صعدا الى ذكر الملائكة صلوات الله وسلامه على جميعهم طوبى لمن شغله ذكر مولاه عن سواه

سورة الانفال مدنية فيها من المنسوخ ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ابن عباس رضي الله عنه قال قلت لعثمان رضي الله عنه
ما حملكم الى ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم
تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول فقال عثمان رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد فكان
اذا نزل عليه الشيء دعا بعض من يكتب له فيقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا قال
فكانت الانفال من اول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من اواخر القرآن نزولا فكانت قصتها شبيهة
بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت
بينهما ولم اكتب بينهما بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول قوله جل ذكره
يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مؤمنين لفظ الانفال ماخوذ من النافلة ويجوز ان يكون هذا اسما على المغانم
وقع عليها عرفيا اذ كانت محرمة على من كان قبلنا فاحلها الله عز وجل لهذه الامة خاصة
فسميت لذلك انفالا لانهم نفلوها الى اجورهم ولما جمعت الغنائم يوم بدر احضر رجل من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها سيفا وقال نفلنيه يا رسول الله فقال رده من حيث
اخذته ففعل فقام مرة اخرى فسأله اياه حتى قام في الثالثة فقال نفلنيه يا رسول الله اجعلني كمن
لا غناء له فقال رده من حيث اخذته فانزل الله جل ثناؤه يسألونك عن الانفال الاية
وروى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا او اسر اسيرا فله كذا
فكان منهم من طلب الغنائم ومنهم من حف برسول الله صلى الله عليه وسلم كي لا يظفر المشركون بغرة
وكان منهم من لا يشغل الا بالقتل والقتال فتنازعوا في المغانم فقال قوم نحن غنمناها
وقد نفلناها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء نحن احق بها لانا اقمنا معه وحفظناه
وحرسناه من العدو فنزلت يسألونك عن الانفال وقد سمى الله عز وجل اصناف
الاموال باسمائها فسمى ما اخذ من المشركين في حال الحرب انفالا وغنائم وسمى ما صالح المسلمين
مما لم يؤخذ في حرب كالخراج والجزية فيئا وسمى ما خرج من اموال المسلمين واجبا عليهم زكوة
وما ندبوه من بذل وبغي ثوابه الى الله صدقة ثم قد سمى ما يحيى به اهل الغنا فيئا ونفلا
وقد ذكر العلماء في كتبهم قسمة الغنائم كيف هي والخمس وخمس الخمس وحيث يجعل باختلاف
بينهم في ذلك وربما اتى بيانه في المواضع بان شاء الله تعالى قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية لفظ انما حاصرة قالوا هي لتحقيق المتصل وتحقيق المنفصل
وهو الظاهر فيها فلا يبعد عن ذلك الا بدليل يخرجها عنه بقول الله جل قوله انما الهكم الله
الذي لا اله الا هو انما الله اله واحد سبحانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما
لكل امرئ ما نوى انما الولاء لمن اعتق هذا وشبهه من حصرها معنى ما اجتلبت من اجله ثم قد تاتي
على غير ذلك فلا تكون حاصرة بل محترزا عما اجتلبت من اجله ولا تحصره كقولهم انما الكريم يوسف
انما الشجاع عنترة هذا موجود في لسان العرب متعارف في كلامهم فقول الله جل ذكره في هذه الايات
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو من هذا النوع الاخر بدلالة قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث وقوله ومن شهد شهادتنا

وذبح ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فله ما لنا وعليه ما علينا **فصل** دخلت لفظة انما ههنا
لحصر الفضيلة وهو لاء هم افضل المؤمنين ايمانا وحالا واعلان وجوب الايمان بوجوهم
والاعتراف بفضلهم هي درجة بعد درجة وجوب الايمان بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين • قال الله جل ذكره وذكر اهل الكتاب وما احدثوه في نبوتهم وما
نقضوا من ميثاق ونكثوا من عهد وما كذبوا من نبي وقتلوا منهم ثم قال قوله
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون اي من امتك يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك والمقيمين الصلوة فعطف الايمان بالمقيمين الصلوة على الايمان بالانبياء
والرسل وجعل المؤمنين الراسخين في العلم هم المؤمنون بالانبياء والرسل اليهم
وهم المشار اليهم بالخطاب والموجهون بالبشارات والمعنيون بالالزام وهم رؤساء المحشر
والمشاؤون في طلب الشفاعة الى الله جل ثناؤه الى الله جل ثناؤه ومفزع العباد بوسائل
الرسل رسولا رسولا في الاراحة من الموقف من عظيم ما اصاب العبيد يومئذ واستفتاح
باب الجنة وهم في الدنيا في امساك غضب الله جل ذكره عن الامم كالجبال الرواسي للارض
ومنهم الصديقون في الدنيا ايما امنت بالرسل والانبياء عليهم السلام والشهداء هم
وهم شهداء الله على عباده وخاصته من خلقه ومنهم الاوتاد وهم اخوان الرسل صلوات
الله وسلامه على جميعهم وهم الذين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رؤيتهم في
هذه الامة منهم سبعون الفا لا حساب عليهم مع كل الف سبعون الفا وسبع مائة الف مع كل
الف مائة الف جاء ذكرهم في صدر الخطاب مرددا من ذلك قوله عز وجل اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وقوله جل قوله هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة و
اولوا العلم قائما بالقسط فجعل جل جلاله شهادتهم تلو الشهادة العلية وقوله
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لقوم يعقلون ولقوم
يذكرون ولقوم يعلمون ويتفكرون وهو كثير وكقوله عز قوله ولكل امة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر
المحسنين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي الصلوة ومما
رزقناهم ينفقون وقوله جل قوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها الى قوله جل
قوله ومما رزقناهم ينفقون وبالجملة فكل خطاب في القران العزيز احرز المدح ووصف الحق
فهم المعنيون به اذ كل صفة محمودة في الايمان فهي منهم ولهم فالحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى الحقنا الله باوليائه وجعلنا الله في اعداد اصفيائه ولا جعل حظنا من صفاتهم
وصفهم ولا من اللحاق بهم ذكرهم بمنه وفضله ورحمته بطرفنا الى ذكرهم واجتلبنا
بعض وصفهم لعلنا ان نحيا او يحدث لنا ذكرا ودلنا ربنا جل ذكره بما تلاه علينا من وصفهم
ان الايمان لا غاية له يبلغ ولا نهاية ينتهى اليها اذ صفة هؤلاء المنعم عليهم صفة تمام وحالهم
حال كمال بالاضافة الى من دونهم وعلى ذلك فانه وصفهم جل وصفه بانه اذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا **فوقه** عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي بالقضاء والقدر

واعلمنا

واعلمنا الله جل ذكره بذكره الحق هنا ان كل حركة للعبد هي بنية وتوجه الى اي وجهة كانت
وتعمل فانها مضافة الى فاعلها معرفة بمحلها وكلما كان منه من علم ومعرفة او عمل ضروري
فهو بالحق اي بالقضاء السابق والقدر المقدر ولما كان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه الى بدر ليلقى عير قريش دون معسكرهم حتى نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المدينة لا يخرجن معنا الا من كان ظهره حاضرا فخرج لذلك في اقل عددهم فحسن
على ذلك ان يقال كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اي بما قدره الله تعالى ان يخرجك
ليستفزك واصحابك فتلقوا فهو الحق المقدر ومن الله جل ذكره وهو حضور الجيش دون
العير فوافاهم الله بالخير والفتح في البدر في الامرين معا في اخراجه اياهم يريدون العير
وفي لقائهم الشوكة والسلاح وهم كارهون لذلك اختلفوا في دخول الكاف ههنا وما هو
بها في قوله جل قوله كما اخرجك فذكر ابن عباس رضي الله عنه انها بمعنى على بقول الذي
اخرجك ربك من بيتك بالحق وذكر عن الفراء انه قال معناها امض لامر الله في الغنائم
كما مضيت على مخرجك من بيتك بالحق وقال الكسائي معنى الكلام يجادلونك في الحق كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وهم كارهون ومعنى الحق هنا هو لقاء الجيش دون لقاء العير لانه
هو المقدر والمقضي في الكتاب السابق وجدالهم له هو انهم لما ايقنوا بلقاء الجيش كرهوا ذلك
وقالوا اخرجنا للغنيمة ولم تعرفنا بقتال فنستعد له وادى والله اعلم انه خطاب منتظم
بما قبله من تعداد النعم والمعطوف عليه المنتظم به مضمر حاضر وبحضوره لم يذكر وهو
سؤالهم اياه الانفال وجدال بعضهم مع بعض فيما تقدم فانزل الله عز وجل في الخبر
يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فما كان لله جل ذكره فهو للمؤمنين
وما كان منها للرسول عليه السلام كان له ان يخص فيه ويعم ويحبس منها لعونه وعياله وما
ينوبه وكان ذلك عوضا من صدقات المسلمين وزكاتهم تنزيها وصانهم بالتقوى وبصرهم معالم
الايمان واعلمهم بذروته والمضمر هنا هو ذكر الحال من النصر والنعمة تشبيها باخراجه اياهم
من بيته على غير ارادة القتال بل لارادة العير فكان القتال والنصر على الاعداء و
الظفر باعلى المطلوب والقتل والاسر فكانوا من ذلك في حالهم كانما يساقون الى الموت
وهم ينظرون وكان في علم الله عز وجل انهم يساقون الى النصر والفتح وهم لا يشعرون
الموت عندهم كان اللقاء لقتالهم وذلتهم باضافتهم يومئذ الى عدوهم ونظرهم الى
الموت هو نظرهم الى الجيش الذين كانوا يظنون ان الموت ياتيهم من قبله كما قال جل قوله ولقد
كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون يريد القتال وآلة السلاح
وهذه اثبات الموت القريبة ثم قال وقوله الحق ويريد الله ان يحق الحق بكلماته الحق هنا
هو النصر واعلاء الاسلام وادحاض الشرك والباطل بكلماته عبر عن توحيده بالتدبير
في اخراجهم على طمعهم في غير ذات الشوكة فكانت الشوكة وكان الفتح وعلى امداده اياهم
بالملائكة عليهم السلام وعن معنى قوله وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم بقوله ويريد
الله ان يحق الحق بكلماته وفي هذا اشارة لهم خاصة ولنا معشر هذه الامة عامة انه قد اراد
ذلك وما اراده فهو كائن لا محالة ان شاء الله تعالى وقد كان من تحقيقه ذلك قبل ابتدائه

ثم لا بد من فره وهي الان ثم لا بد من عوده وهو المبدئ المعيد واذ ذكر لم يكن
لعمل عامل ولا تدبير مدبر سواه لاستحقاق الكلمات في ذلك ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ليحق الحق دين الاسلام ويبطل الباطل **قوله** تعالى اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اعلم جل ذكره ان النصر على الاعداء والكفاية والدفاع يستفتح
بالدعاء والتضرع اليه والاستغاثة انه جل ذكره علق وجود نصره وتحقيق
الحق بكلماته بقوله جل قوله اذ تستغيثون ربكم واعقب الاستغاثة باجابته الكريمة
فبالدعاء والاستغاثة اليه والتضرع والتحقق في ذلك والقاء المقاليد اليه والعمل
الصالح وابتغاء مرضاته يمحو الله ما يشاء في الكتاب ويثبت وعنده ام الكتاب الذي كتب فيه
علمه بما يكون الى يوم القيمة قال الله عز وجل وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
ثم قال جل قوله وقوله الحق ذلك اي من نصري لكم وحكمي لمن خاف منكم مقامي وخاف وعيد
واستفتحوا اي فاذا استفتحوا كان ذلك وخاب كل جبار عنيد اي كل من تجبر عن عبادي وطغى
وقرئ هذا الحرف واستفتحوا ردهم جل وعلا على موضع دواء الداء والحمد لله رب العالمين
وهذه وصية اياهم كقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا
ان الله مع الصابرين **قوله** جل من قائل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملائكة مردفين الفتح في الدال يعني انهم مردفون بغيرهم والكسر بانهم مردفون
غيرهم وقد تقدم الكلام في سورة ال عمران في معنى هذه الاية فاغنى عن الترداد غير
ان النصر مع التقوى والصبر وبقدر ما يتشعر العبد من الصبر يتنزل عليه من العون وبقدر
ما ينزع الى التوحيد والتبري من الحول والقوة يكون ظل الله جل وعلا عليه
وولايته له قال الله جل من قائل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم
بحضور الملائكة على جميعهم السلام لنصرهم في ذلك بغير زمان **قوله** جل وعز
اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به الى قوله جل قوله وان
للكافرين عذاب النار اذ يغشيكم النعاس مردود المعنى الى معنى قوله اذ تستغيثون ربكم
وهذا مردود ان الى قوله جل قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعدد نعمه عليهم وينبههم على مواطن نظره لهم وينزل عليكم من
السماء ماء ليطهركم به الاية القى عليهم النعاس تلك الليلة ليفرغ قلوبهم من هيبتهم ومن الفكر في
عددهم وانزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم به لصلاتهم وليذهب سراه ذلك الوادي وليمن
دهشهم وبطهورهم ليشجع جبنهم ويثبت اقدامهم ذا الجبن والمراد من العدو هو رجز الشيطان قال
الله جل ذكره في المنهزمين يوم احد رحمة الله على جميعهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وليربط على قلوبكم اي بالنصر وبالقطع عنها وذهب
عنهم رجز الشيطان هذه الخصال كلها من بركة الطهور والماء اذ هو فتح ورحمة اذ يوحي
ربك الى الملائكة اني معكم رجع معنى الخطاب بتعداد منته الى اوله وفي هذا كان الجاوه

لاولياء

الى اوليائه الملائكة عليهم السلام حين استشعروا الصبر والعزيمة على تثبيت الاقدام وكصدق
فاضربوا فوق الاعناق يريد جل وتعالى الرؤوس والرقاب كما قال جل قوله فضرب الرقاب واضربوا
منهم كل بنان يريد وهو على الاعضاء وفي لغة العرب الاعضاء تسمى بالبنان ومعنى ذلك
اضربوا منهم ما امكنكم كما قال جل قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم من مكان
او حيث امكنكم وهذه بشارة منه جل ذكره لهم بوهن اعدائهم قد امكنكم منهم
فافعلوا بهم ذلك واحده البنان بنانة وهي الاصابع ومعناها هاهنا جميع الاعضاء
واشتقاق البنان من قولهم ابن فلان بالمكان اذا قام به والبنان به يعتمل على كل ما يكون
للاقامة والحيوة وعلى هذا من اشتقاق ومعنى هي جميع الاعضاء **فصل** ذكر الصادق الحق
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه انه ممدهم بالف من الملائكة مردفين وقال جل جلاله الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من
فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فالملائكة المذكورون بالعدد تسعة
الاف مردفون ومنزلون ومسومون وكانت ولاية اهل الاسلام فالظاهر في الاعتبارات
مشاهد الاسلام على مثال ذلك ولغزوة بدر فضل السابق وجاء الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ترون من شهد منكم بدرا من المسلمين قال
من افضلنا قال فانا معشر الملائكة كذلك نرى من شهدها من اهل السماء منا وكل المشاهد
في الغزوات يكون من المسلمين بعدها فكذلك لا يخلو مشهد من الملائكة عليهم السلام وان كنا
نحن لا نراها وانما كانت غزوة بدر كذلك عندنا باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنها ومشاهد النصر للملائكة منها ضرب وطعن قال جل قوله فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان الا ترى انه جعل عليه ضرب الملائكة لاولئك شقاقهم لله تعالى ولرسوله
فقال جل قوله ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب فعلق شدة عقابه على المشاقة لله ورسوله بلفظ المستقبل وعلل ذلك بالمشاقة ووجوب
ان يحصل العلم باستصحاب صحيح اعتبار ما ذكرنا لوجود مشاقتهم لله ورسوله وانما يرجى ذلك
من جنس يغلب عليه الصبر والتقوى **فصل** ومن تتميم الاعتبارات للشياطين ايضا حضور المشاهد
اولئك بتزيين لهم وتحريض وعون دل على ذلك قوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه الى قوله
والله شديد العقاب ولا صبر للشياطين مع حضور الملائكة عليهم السلام كما ليس للظلام ثبوت مع حضور النور
فصل وكما يمد الله جل وعز المؤمنين باوليائهم من الملائكة يمد الشياطين اولياءهم الشاقين
لله ورسوله وفي الجن من قد امن بالله فكذلك مؤمنو الجن يمدون اولياءهم من المؤمنين من الانس
لم ار لا نص على هذا موضع المنزلة والثبات للاقامة التي فيهم من هذه الجهة وانما اختصروا مني
اجلهم في كانوا مؤمنين صابرين محتسبين يقاتلون الكفار ليكون كلمة الله العليا وكلمة الذين
كفروا السفلى ولم يحضرهم ضجر ولا اختلاف ولا مكروه فالملائكة عليهم السلام ومؤمنو الجن
لا بد من حضورهم والله ناصرهم واذا احضرت الملائكة ذهبت الشياطين خاسئة فان وقع
المسلمين خلاف فنصرهم في مشية الله عز وجل فانه ايضا قد يكون الاحقاق والهزيمة عليهم حين

لهم والملائكة في هذا المشهد يقبضون ايديهم عن القتال والنصرة لانهم هم الذين لا يشفعون الا لمن ارتضى ولا يفعلون الا ما يؤمرون وان غلب المسلمون هل يخلف مؤمنو الجن الا بامر الله علم

فصل قال الله عز وجل سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقال جل من قائل في قصة احد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فاضاف الله القاء الرعب في قلوب الكفار والى الشيطان ما القى في قلوب المؤمنين هكذا يكون الادب في الاخبار عن الله جل ذكره وله المثل الاعلى في السموات والارض **قوله** عز من قائل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار المعنى الى اخره الزحف مضى الجملة الى الحملة للقتال دفعة واحدة ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة التحرف للقتال التقلب من قرن الى قرن فربما اقبل على واحد وولى ظهره اخر وقد قال قوم ان هذا الوعيد متوجه الى من فر يومئذ يعني يوم بدر قال لان الملائكة يومئذ ممدة للمؤمنين فالفرار يوم بدر كان من التكاثر وخصوص ان قوله يومئذ المراد به يوم الزحف الى العدو والحرج والوعيد باق على من ولى العدو دبره اذا كان عددا بعددين فالفرار حرام على ذلك والفرار ايضا حرام على عدد اكثر من العددين بل الصبر للمسلمين اذا جاوز العدد وضعف عدد المسلمين ان لا يساجروهم الحرب اذا غلب الظن بضعفهم عن المقاومة فالرأي على ذلك في المحاجزة لا في المناجزة فان غلب الظن في لقيانهم رجاء الغلبة والا فلا يبرزوا العدو ليظفروا بالمؤمنين وبالجملة فالمناجزة على اكثر من العددين نافلة وان رجعوا اليهم فظهرت لهم كماين ومكايد لم يشعروا لها فالتحيز الى فئة المسلمين مباح لهم والبلد فئة المسلمين والامام فئة المسلمين والجيش الاعظم وجماعة المسلمين فئتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل غزوة موتة وقد انحاز خالد بن الوليد بالمسلمين ناحية بعد معاركة وقتل كابن ابي الحقوم علما وردوا المدينة خرج النساء والصبيان يقولون لهم هؤلاء الفرار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هم الكرارون ان شاء الله انا فئة المسلمين ومعنى قوله جل قوله فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير هو والله اعلم من ولى العدو دبره يريد بذلك ابتغاء الفتنة واجرأ الهزيمة على المسلمين كما قال فيهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ولكل عمل نية ولكل نية حسبه والله يعلم ما في انفسكم فاحذروه **قوله** تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى عطف عز وجل بالفاء في قوله فلم تقتلوهم فتبين من ذلك ان انتظامه والله اعلم وهو بقوله جل قوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا الاية يعني والله اعلم اعدوا لهم قوة من انفسكم وشدة باس واظهروا لربكم نية صدقا وحسبة وصبرا في سبيله غضبا له ونصيحة للاسلام فعند ذلك يستحقون النصر من الله والفتح والامداد بالجنود من لدنه ثم عطف على هذا المعنى المحذوف المقدر قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم اقام ذلك كالاية والدلالة على وجود الفتح عقيب الصبر والحسبة والحق حركاتهم وقتالهم الكافرين ورمي رسوله عليه السلام الحصباء من كفه في وجوه المشركين بفعله لانه هو المتوحد المتفرد وحده ذلك بانه هو مخزي المشركين وقاتل المقتولين ومتمم فعل الفاعلين ومجدد

قوى القادرين هو الاول في ذلك والاخر والظاهر والباطن انما عليهم ما حملهم وعليه ما يضمن ومن وفي بعهده من الله انما للعبد من فعله ما اوجده الله له في الحركة والمضاف اليه السبب وانما صورة الفعل التي هي كماله وتمامه فهو له ولما كان التمام والكمال والبداية والنهاية والظاهر والباطن هما صورة العمل لازما لكل وهم الظن شخصه الزم جل ذكره المكلف ثواب فعله وعقابه بما تولى وما احترم وهذا هو كتوحيد الاعلى توحيد الصديقين والذين هم شهداء الله عز وجل في عباده قال الله عز من قائل والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم وهو موجود عن اسمه الاول والاخر والظاهر والباطن ولهذا التوحيد وعلمه شواهد كثيرة اما من القران العزيز فقوله جل قوله والله خلقكم وما تعملون وقوله عز وجل ان الحكم الا لله الا له الحكم وقوله جل قوله ولا يشرك في حكمه احدا ومن الاذكار قولك لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير والذكر كله ماخوذ من هذا الفن من علم هذا التوحيد ولذلك وهو علم رفع الذكر الى اعلى نهاية حتى فات العقول دركه ونهاية السير من عمل ويخرج على مقتضاها فهو من وراء الاسباب والاواسط واعلم يقينا انه من نظر بنور هذا التوحيد موجودات الدنيا والاخرة تطلعت اليه وقد رفعت سجف الحجاب واسبال الاسباب قشعا عن وجوهها برفع الاواسط التي تنقلب لانها لاجل الكبرى والاختبارات وقد يري عليها من نور التوحيد كضياء الشمس المنيرة فاستفرغ الاجمع بمرور فهو الاسباب وادعم فانه كريم وبما اسع ذلك قوله وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فعطف بالواو بمحذوف مقدر معناه هو اعلم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى لنظر لك واظهار الدين واستجابة لدعائك وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ثم صرف الخطاب مواجهة للمؤمنين بقوله عز وجل ذلكم من نصرنا لكم او يكون في معناه ثم عطف على المحذوف بوعد فالجزم وهو شيمة في المستقبل ان شاء الله عز وجل **قوله** عز من قائل وان الله موهن كيد الكافرين ثم قال جل قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وبدا المؤمنين ثم خاطب الكافرين ومن عمل بما ليس من شيم الايمان واعمال الاسلام بقوله جل قوله وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد يريد المؤمنين المعاقبين من اجل ذنوبهم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين اهل الايمان الصريح والعمل الصحيح الفتح على الكفار منتظم المعنى بقوله جل قوله وان الله موهن كيد الكافرين وان الله مع المؤمنين بالنصر لهم ابتداء وتحقيق المعنى ما جاء به وهو منتظم بمعنى قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا هذا بالمعنى واما بالمجاورة فعلى نسقها **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون المعنى الى اخره الى قوله جل قوله وهم معرضون فقوله جل قوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون تحذير من احوال المنافقين وفعلهم وملابسة الاعمال التي توجب النفاق وهو منتظم المعنى بالمشار اليهم في قوله جل قوله وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين فقوله فيهم يقولون سمعنا وهم لا يسمعون كقوله امنا وهم لا يؤمنون وقد يقول الكفار سمعنا ظنا منهم بانهم قد سمعوا وهم في دعواهم السماع كاذبون قال الله جل من قائل واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ثم قال عز من قائل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فاخبر جل ذكره بانهم صم بكم وانما ونفى الاخبار عن بواطنهم فهم لا يسمعون الهدى ولا ينطقون به

لما اعرضوا عن الذكر بعد اذ جاءهم اعموا عنه وصموا وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ثم قال
عز من قائل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم كما اسمع المؤمنين واما هؤلاء فلو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون وقد ضرب الله مثلا لهذا الصنف بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث نعوذ بالله
من عقوبة الاعراض بعد البيان **قوله** جل قوله يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم الى قوله لعلكم تشكرون اذا وان كانت ظرفا للزمان المستقبل فانها قد تكون
معنى الحين واقتضاء الامر بقوله جل قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم معناه الامر بالاسراع
والتحذير من التسويف لذلك جل قوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ان اخرتم الاستجابة
فعلى ذلك يرومونها وقد حيل بين قلوبكم وبينها والمرء هنا هو العبد الباطن والقلب صفة له
وقد يعبر عنه بانه التقوى والهدى او الايمان او العقل والعلم او العمل وحقيقة الشيء الطوى منه
هو قلبه ثم قال وقوله الحق وانه تحشرون اي ما تكونون عليه من ذلك فانظروا على ما يكون الحال
وعيد منه وتهديد لمن اخر التوبة وسوف بالاوبة ثم قال جل قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات يعني جل قوله
كما اقتدر على ان يجعل في ضعفكم قوة وفي قلتكم كثرة وفي خوفكم امنا واواكم ونصركم ورزقكم
من الطيبات هذا لانكم اطعتموه واسرعتم الى الاستجابة له ولرسوله فكذلك هو القادر على
ان يجعل مكان كثرتكم قلة مع الخلاف ومع امنكم خوفا ويغير ما بكم من نعمة ليغيركم ما بانفسكم
حذر جل وعز مما قد علم انه واقع والله المستعان **قوله** جل وعز وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ويكون الدين كله لله المعنى الى اخره يقول جل قوله وهو اعلم قاتلوهم حتى تضع الحرب اوزارها
كما قال جل قوله فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى
تضع الحرب اوزارها وذلك لا يكون الا مع نزول عيسى بن مريم عليه السلام ويكون الدين كله لله
يومئذ ويكون المعنى قاتلوا هؤلاء حتى يدخلوا في الاسلام فلا يكون منهم فتنة وهي كذا في نظائره
هذه في سورة البقرة سلمة بن نفيل قال اتانا انا جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال
يا رسول الله ان الخيل قد سمنت ووضع السلاح وزعم قوم ان لا قتال وان قد وضعت الحرب اوزارها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوا الان جاء القتال وانه لا يزال من امتي امة تقاتل في سبيل الله
لا يضرهم من خالفهم يقاتلون على الحق ويرفع الله لهم قلوب اقوام ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة
ولا تضع الحرب اوزارها حتى يخرج ياجوج وماجوج **قوله** عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء
فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى والمساكين وابن السبيل اختلف الناس في قسم الخمس وخمس الخمس
لمن هو فقال ابن عباس رضي الله عنه وقد سال نجدة الحروري عن سهم ذي القربى لمن يراه فقال هو لنا
اهل البيت قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا وقد كان عمر عرض علينا ايا رايناه دون حقنا
فابينا ان نقبله وكان الذي عرض علينا ان ينكح منه ايمنا ويخدم منه عائلنا ويقضي عن غارمنا
فابينا ان نقبله الا ان يسلمه الينا وابى ذلك فتركناه عليه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن
الوليد كتابا فيه وقسم ابيك الخمس كله لك وانما سهم ابيك منه كسهم رجل من المسلمين وفيه
حق الله وحق الرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فما اكثر خصماء ابيك
يوم القيامة فكيف ينجو من كثر خصماؤه واظهارك المعازف والمزمار بدعة في الاسلام

ولقد هممت

ولقد هممت ان ارسل اليك من يجز جمتك جمة السوء وسئل الحسن بن محمد عن قول الله
عز وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه فقال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والاخرة
ثم قال قائل اجتمع رأي العلماء بعد اختلافهم ان هؤلاء السهمين يعني اللذين هما لله وللرسول
في الخيل والعدة والسلاح وقال اخرون سهم ذي القربى لقرابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاكثر
والله اعلم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس
مردود عليكم يعني والله اعلم بما اراد رسوله عليه السلام في الكراع والسلاح والعدة ويعطى منه
من فيه غناء ومنفعة لاهل الاسلام من اهل الحرب في الفقه والعلم والقران ويعطى منهم سهم
لاهل البيت ولذي القربى الغني منهم والفقير والصغير والكبير والذكر والانثى سواء لان
الله جل ثناؤه جعل لهم ذلك وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ولم يفضل في الحديث انه
فضل بعضهم على بعض ثم سهم ثالث لليتامى ورابع للمساكين وخامس لابن السبيل وذكر الله جل ثناؤه
نفسه في اول الخطاب افتتاحا للكلام وابتداء له به هو زين الدنيا والاخرة ونور السموات والارض
وكما تقول العرب قد اعتقك الله واعتقتك وذكر ابو عبد الرحمن في هذا انه ابتدأ الكلام
لان الاشياء كلها لله عز وجل قال ولعله انما استفتح الكلام بذكر نفسه في الفيء والخمس لانهما اشرف
الكسب ولم ينسب الصدقة الى نفسه لانها اوساخ الناس والله اعلم وقد قيل يؤخذ من الغنيمة شيء
فيجعل للكعبة وهو السهم الذي لله جل ذكره وهو وجه حسن صواب وعلى هذا فلتبنى منه مساجد وتصلح
منه قناطر المسلمين وجسورهم ومواضع منافعهم وائمة المسلمين قد اختلفوا فيما هو للرسول
عليه السلام وان فضل عليهم من سهم الله جل ثناؤه فهو ايضا منه هذا في خمس الخمس والاربعة الاخماس
يقسمها الامام فيمن حضر من المسلمين البالغين **قوله** عز وجل اذ انتم بالعدوة الدنيا
وهم بالعدوة القصوى الى قوله جل قوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ذكر
الله جل ثناؤه موافاة الجيشين بدرا بوفاق منه جل ثناؤه يقول الله جل قوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد اذ فعل الكل لا يخرج على الاغلب على وفق ما يريد وفعل الله جل
ثناؤه موجود على وفق ما شاءه ليقضي الله امرا كان مفعولا من نصرة رسوله عليه
السلام والمؤمنين واظهاره الاسلام يومئذ وكبت الكفار وقمع العدو ولكن على ذلك اية
في رؤية المؤمنين اياهم على اقل من عددهم ورئي الكافرين المؤمنين على مثال ذلك قبل الزحف
والمشاهدة فلما تشبثوا القتال بدت للكفار في حوزة المسلمين جموع اذعرتهم والقي الرعب
في قلوبهم وثبت المؤمنين وكانت الهزيمة والقتل وعلى هذا كان يوم التقى الجمعان والله على
كل شيء قدير يري القليل كثيرا والكثير قليلا وينصر الضعيف ويخذل القوي يفعل ما يشاء ثم
قال عز من قائل ليحيى من حي عن بينة اي بالايمان والتصديق لله والرسول والهدى والعمل
بالطاعة ويهلك من هلك عن بينة بالكفر والتكذيب والجحد للايات والبينة قد تقدم
ما هي وان الله سميع لقول من قال عليم بعمل العاملين اخالص هو ام غير ذلك وهذه
اشارة الى نفاق المنافقين وتكذيب يهود اتبع ذلك قوله جل من قائل يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الفلاح هنا يعني الظفر
بالعدو وثم الظفر بثواب الله عز وجل والبقاء الدائم في جواره في كل خطاب لله جل ثناؤه

في هذا المعنى ضمان النصر مع الثبات والظفر وذكر الله جل ثناؤه والحسنة لابد ولا محالة
ثم قال جل قوله يحذر من ضل اولئك في قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطراً ورياء الناس ثم ذكر جل ذكره حضور الشيطان معهم وضمانه لهم الجوار
والنصر ثم حضره كوعد وخلفه كوعد كالمعهود منه قوله عز وجل اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم اعلم جل ذكره ههنا بما رد في قوله ان الله سميع
عليم من ذكر المنافقين واليهود ثم قال جل قوله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز اي منيع
مانع حكيم في شاكله ثم ذكر جل ذكره كيف يتوفى الكفار الملائكة عليهم السلام حال الموت
يضربون وجوههم وادبارهم ثم عطف بالواو على هذه الحال حالا هي بعد الموت ثم بعد البعث
قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ان الله عزيز حكيم لا يخلوا ان يكون
الامر مقبلاً او مدبراً فان كان مقبلاً كما كان الاسلام يومئذ فالجنوح للسلم بعد ان يكون البداءة
منهم في ذلك احسن ليفرغ منهم الى سواهم وينتقص على ذلك كثرة مطالبتهم ولابد للاجل المضروب
من حلول فاذا جاء ذلك الاجل بلغ الله الامل واذا كان الامر في نقصان فالجنوح ايضا للسلم
بعد ان يكون البداية منهم في ذلك احسن استظهاراً للفرج وليتمكن في تلك المدة من اخذ العدة
قوله عز من قائل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكون منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون شرط جل
ذكره الصبر والعصمة عن الله جل ذكره وهو معنى قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وتمام معنى الثقة بوعد الله
ان النصر مع الصبر والثبات مع المحبة والعمل بطاعة الله والاكثار من ذكره وعزم
الايمان ان الله مع المؤمنين الذين وصفهم الله في كتابه العزيز بقوله انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله الى اخره وان من كان الله معه فلا يغلب ولا يهزم اتبع ذلك
بقوله عز قوله الان خفف الله عنكم فاعلم ان هذا الحكم منسوخ اعني ايجاب الثبوت على واحد
وابى الوعد اذ الوعد خبر والخبر لا يتطرق النسخ وانى القضية الاولى ثابتة بالحظ وحكم
التخصيص في الزمان بقوله جل قوله الان فاعلمنا بذلك ان هذا الوعد والايجاب لزمان ياتي بعد
ان شاء الله وابى الان حكم الثبوت من واحد الى اثنين والوعد حاضر معه ان حضر العبد الصبر
والتقوى ختم ذلك بقوله جل قوله ان الله مع الصابرين قوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة هذا كقوله جل من
قائل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما
منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب اوزارها اتبع الله قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم اي فداء الاسارى عذاب عظيم اي لسعادتهم كقوله انا فتحنا لك فتحاً مبينا الى
قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم
سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما قوله جل وعز ان الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله الى اخر السورة هذا حكم الله عز وجل بان لا تصح ولاية الذين

الا لمن

الا لمن امن ولم يهاجر قبل ان استنصرونا في الدين الذي اجتمعوا معنا فيه وجب علينا
نصرتهم الا ان يكون المستنصر عليهم قوم بيننا وبينهم ميثاق ثم قال جل قوله الا تفعلوه
تكن فتنة في الارض وفساد كبير يريد وهو اعلم الا تفعلوا ما امرتكم به وبخاصة في الله اعلم
فهو راجع على معنى القتال والتحريض عليه وترك الاسر وان يعوض منه القتل والاغلاظ
حتى يتحصل الاثخان ثم ما امر به من الموالاة في الدين والنصرة والمناصحة وحفظ الميثاق
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خفر قوم بالعهد الا سلط عليهم عدوهم وقال عليه السلام
من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان ليس وراء ذلك من الايمان الا حبة خردل وقال صلى الله عليه وسلم من كانت له ولد او
ابنة فخطبها اليه كفو فليزوجها الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير يشير الى ما يكون
الحال معها مع العضل لها على الاغلب ولو فشا ذلك اعني العضل لكانت الفتنة في هذه الجهة
والفساد الكبير لذلكم في ترك اوامره وارتكاب نواهيه فالمراد بقوله عز وجل الا تفعلوه
تكن فتنة في الارض وفساد كبير جميع ما امرنا وحضنا عليه وكذلك النصيحة ثم قال جل قوله
الحق بعد هذا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب يحتمل ان يكون معنى قوله جل
قوله في كتاب الله اي انه كذلك في اللوح المحفوظ كذلك انزلناه عليكم فاستلوه كذلك
قال جل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب من المؤمنين والمهاجرين
ثم قال جل قوله كان ذلك في الكتاب مسطوراً كما قال جل قوله ان هذا لفي الصحف الاولى
صحف ابراهيم وموسى والقران متصل بالكتاب قبله وكلها منفصلة من الكتاب المبين كما قال
جل قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض بكل مرفق وبر
ونصيحة وهبة والنكاح وصلة وغير ذلك

سورة براءة مدنية فيها من المنسوخ سبع ايات

قوله عز من قائل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فظاهروا عليه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبرا اليهم
من عهدهم واجلهم اربعة اشهر يسيحون في الارض امنين انتظارا للتوبة منهم واعلمهم
ان الله مخزي الكافرين وانهم يتقلبون في قبضته ولا يعجزونه ثم اذان منه اي اعلام الى جميع
المشركين عامة بالبراءة والتبري منهم بقول الله عز وجل قل لهم يا محمد فان تبتم فهو خير لكم
اي يدخلكم في ولايته ورحمته وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الصابرين الذين
كفروا بعذاب اليم الاسر والقتل في الدنيا وفي الاخرة عذاب النار ثم قال عز من قائل الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احداً فاستثنى هؤلاء
من الناس ثم قال عز من قائل فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم فكان نزول هذه السورة في ذي الحجة من عام تسع من الهجرة وكان امير الحاج يومئذ ابو بكر
الصديق رضي الله عنه فاتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بها يقرؤها على الناس
وينادي الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان واتمام هذه الامة

المجموع لهؤلاء في اكمال خمسين يوما من يوم الحج الاكبر وهو اخر شهر المحرم ثم قال جل قوله وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ثم قال جل قوله كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله يقول جل ذكره لاي ايمان واسلام لاي قرابة
وولاية يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ثم استثنى من جملة المشركين وهي الجملة
التي اذن بالتبري منهم قبل قريشا ومن كان في عهدهم وهم الذين عاهدوا عند المسجد
الحرام وفي هذا اعلام بان اسلام سائر العرب كان عنوة فانزلها منزلة المعاهد وفي هذا الخطاب
اشارة الى يهود خيبر فهم ايضا عند المسجد الحرام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمه ثم قال جل قوله
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ثم اعلم بما كانوا عليه بقوله جل قوله كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا
فيكم الا ولا ذمة الال القرابة وقيل الال الله عز وجل فكان معنى الكلام لا يرقبوا فيكم
قرابتكم منهم ولا يرقبون من عاهدوا به وتوثقوا بذمامه وحرمته وهو الله تعالى ثم اظهر
هنا ما ابطنه من ذكر يهود بقوله جل قوله يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون
اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة عهدا عاهدوه به ثم قال جل قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
فاخوانكم في الدين ثم قال ونفصل الايات في كل طائفة من الكافرين وفي كل وجه لقوم يعلمون
ثم قال وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان
لهم من الايمان ولا ايمان لهم من اليمين لعلهم ينتهون وصفهم بانهم ائمة الكفر لانهم كانوا
اهل كتاب فنالهم المشركون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعما جاء به فيحسبونهم بما يصدهم عن
السبيل انهم ساء ما كانوا يعملون فهم لا ايمان لهم لاجل هذا ولا ايمان لهم لما يعلم الله عز وجل
منهم من نقضهم العهد متى امكنهم ومن اضرارهم بالمؤمنين متى ظهروا عليهم ثم اظهر وصفهم ثم
وقد كان ابطنه بقوله عز قوله الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم
اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الى قوله
ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم **قوله** صدر هذه السورة منتظم باخر سورة الانفال
لما ختم سورة الانفال بذكر الولاية ومن يوالي ومن احق بذلك وفصل ذلك ابتدأ هنا
بالبراءة ممن يستحق التبري منه ولذلك اشكلت على الائمة من الصحابة رضي الله عنهم
فلم يفصلوا بينهما بسطر بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله قيل الكلام يقال على وجهين احدهما معنى يعبر به وهو
في النفس كما قال القائل ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا
وقال بعضهم في كلام له انما المرء باصغريه لسانه وجنانه فحقيقة الكلام فينا هو صوت مؤد
لمعان قائمة في النفس بصورها وفي مقطعة مركبة اشكالا والمسموع هو ما في النفس بواسطة
الصوت المؤدي به الى السامع والسامع هو المؤدى اليه والسماع هو صدور المسموع بواسطة
المسمع الى سمع السامع والحروف وضعت للمعنى ولم يوضع المعنى للحروف وموضع الحروف وانما
هو في الفم واللهاة ومنفذ الخيشوم والاسنان والشفتين والله تبارك وتعالى متكلم
وهو غني عن الالات المتعالي عن الافتقار الى الادوات فهو المتكلم بالحقيقة ولا يجوز ان يشار بكلامه

الى الة ولا يوصف بجارحة وكذلك لا يجوز ان يقال تكلم كلاما وبعضا اذ الفوت بالكل
والبعض والكثير عنه منفي والكلام صفة ليس هو الموصوف ولا غيره بوجه اذ الغير لا يكون
الا لشيئين مختلفين او مؤتلفين كما لا يجوز ان يقال كان الكلام بعد ان لم يكن لان
هذه صفة المخلوق والمخلوقون لم يكونوا ثم كانوا فلم يستبن لاجل ذلك لهم صفة كلام
ولا علم في القدم فعجزوا عنه لعدمهم والعجز والاستبانة يجري عليهم ولهم لا على علمه
وكلامه وكان الله جل ثناؤه ولم يزل امرا والامر كلامه ولا يكون الامر امرا من غير كلام
ولا يكون المتكلم متكلما من غير كلام ولا عالم من غير علم ولا خالقا من غير خلق والخلق
صفة ذات في الحقيقة وصفة فعل في اللغة وصفات الفعل يرجع الى صفات الذات وكلام الله
جل وعز لا يدركه بالكيف البشر وانما يدرك امره ونهيه بالمثالات والامثال والحروف وبذلك
استبان لهم كلامه كما تقدم وصفه وبالحروف والمثال والاسماء يكتبونه ويقرؤنه ويحفظونه
ويتعلمونه فيجري التغاير على الحروف والمثال والاسماء وبها يستدل على كلامه وامره ونهيه فقوله
جل قوله حتى يسمع كلام الله يريد منه جل ذكره عن حقيقة ما هو كلامه الذي هو صفة ذاته الى ما هو
مبلغ له ووصف وعبارة عنه وقد مضى التعارف بتحقيق قولهم متى حكى احدهم حديث زيد
وقول عمرو وقالوا هذا كلام زيد وقول عمرو وربما طلبوا التحقيق فيقولون هذا نص كلام زيد
وهذا حكاية قول عمرو اذ المعلوم ان صفة زيد لا ينتقل عنه الى سواه فصفة الله اعلى واجل
فعلى ما تقدم من البيان كلام الله هو الذي نتلوه بقراءتنا ونكتبه في مصاحفنا وهو المسموع
في تلاوتنا بنص القران ودليل العقل وهذا معترك امثال اهل السنة مع المعتزلة و
القائلين بخلق القران في فهم المعنى فصل الخطاب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله**
جل وعز ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة هذه خاصة في وصف المنافقين واخوانهم من يهود ثم اتبع ذلك
بخاصة من وصف اهل المسجد الحرام بقوله جل قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين
على انفسهم بالكفر الى قوله اولئك هم الفائزون الى قوله اجر عظيم لما بلغ الامة وحل الاجل
المعلوم في علم المقدر بحكمته المعبر عنه بقوله الحق وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي
للطائفين والعاكفين والركع السجود فحان بحلول توبتهم اجلهم المسمى قال وقوله الحق ما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر ومضمر ومحذوف مع وجود نعت
لهم قواعده وظهر من اجلهم اتبع ذلك قوله جل قوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ثم اتبع ذلك بوصف متردد بين
الفريقين اهل مكة ومنافقي اهل المدينة واخوانهم من يهود فقال يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان الى قوله جل قوله والله لا يهدي
القوم الفاسقين ثم جمل تعدد نعمه عليهم بقوله جل قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الى قوله عليم حكيم ثم ارجع الخطاب الى المؤمنين
يامرهم بجهاد عدوهم من هؤلاء وهؤلاء يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله هؤلاء هم المشركون وكفار الامم

لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب الى اخر القصة هؤلاء هم اهل الكتاب مع
اشراكه منهم في الوصف بانهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله **قوله** عز وجل
يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله وعظ من الله جل ذكره عباده المؤمنين ان يتلبسوا بشيء من هذه
الصفة القبيحة التي وصف بها اهل الكتاب والمراد بالعظة هؤلاء لكنه اكرمهم عن المواجهة
بهذه الرذيلة ومفهوم هذا ان من قرأ كتاب الله وتعلم العلم ليصرف به وجوه الناس اليه
فهو ملحق بهذا الوصف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يجد رائحة الجنة وان
ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ثم قال جل قوله والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وحذف ههنا منكم يقول لرسوله عليه السلام فبشرهم بعذاب
اليم يعني الصنفين معا قرأ الشيء ويصف الثاني فكانت الاولى تعريضا لهذه
الامة **فصل** ذكر بعض الناس ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز وذهب الى ذلك جماعة
والذي يتحقق من مجموع ما جاء به الامر ان في المال حقوقا الله جل ذكره زكاته بعضها ومن
حقوقه سوى الزكوة ايتاء ذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفكاك
الاسير والانفاق في سبيل الله وعون المفرج دينا واما اداء الزكوة من المال فواجب على
صاحبه من جهة الحاجة ويبدأ بها ثم ينفق ما فضل منه في منافعه ثم ان فضل شيء فالعود بالفضل
في وجوه حق عليه واما كنزه تدفنه وقطع حقوق الافضال منه على ذوي الحاجات العامة للمسلمين
وهو الانفاق في سبيل الله والخاصة منها هي ما يختص به من اصناف ذوي الحاجات فوعيد
ذلك متوجه على فاعله وفي قوله جل قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ادل دليل وابين برهان على الحق عند عليه هنا ليست الزكوة
ولو كان ما قالوه كما زعموا لكان الكلام والذين يكنزون الذهب والفضة ولا يزكونها
فبشرهم المعنى **قوله** تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق
السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم المعنى المضمر لكنه قوله فلا تظلموا
فيهن انفسكم عائد على الاثني عشر شهرا وعلى الخصوص على الاربعة الاشهر الحرم اي تحروا
لحاجاتهم في حروبهم وقضاء اوطارهم ودعاهم ذلك منهم ليوفقوا بالاشهر الحرم استقلالها
في السنة اشهرا اما من الاشهر الشمسية لسوتها فكانوا يحسبونها على زمن الشتاء ويبوعون
شتاء السنة لحروبهم والخروج في اسفارهم فكانوا يضلون بذلك عن الاشهر الحرم بفعلهم
ذلك اشهرا حرما ويحرمون منها ما احل الله ذلك الدين القيم دين الاسلام اسلمت له السموات
السبع والارض فكل شيء اسلم له وعلى ذلك فطر كل شيء وخلق جل جلاله يوم خلق السموات
والارض في سماء الدنيا اثني عشر برجا لكل برج من السنة شهر يقطع القمر البروج كلها
في شهر الا موضع التقلب وهو موضع الزيادة الشمسية على السنة القمرية قال الله عز وجل
يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وقال ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل
شيء فصلناه تفصيلا وقد تقدم الكلام في المنازل والدوائر من الافلاك فاغنى ذلك
عن التردد ثم قال جل قوله وقاتلوا المشركين كافة في الاشهر الحرم وغيرها وانما

حرم عليهم القتال ولاء في الشهر الحرام لما كتب عليهم في طول مدة ما بين ابراهيم واسمعيل وبين
نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم من التخليط والردة التي ارتدوا فيها لما جاء الله عز
وجل بالاسلام والخير صار فيهم الى الاولى وهي حقيقة ملة ابراهيم عليه السلام ومن فضل اعمال
العباد الجهاد في سبيل الله والاشهر الحرم اولى بذلك الفضل ومعنى قوله جل قوله فلا تظلموا فيهن
انفسكم يريد كما فعلوا ولئك من ظلمهم بالحج والردة الى ما كانت عليه الجاهلية الاولى التي
ارسل اليهم ابراهيم عليه السلام وعلى هذا فللاشهر الحرم فضل مراعاة كشهر رمضان فان الكافر
لا يرخص في شيء منها في غيرها من الاشهر وخاصة لزيادة حرمته كذلك الاشهر قال جل قوله
واعلموا ان الله مع المتقين اي ارتقبوا النصر على عدوهم وانتظروا الفتح من الله على التقوى
في الجهاد معنى التهديد اي انكم ان تلزموا التقوى ديل عليكم عدوكم ثم جعل جل جلاله تدبر
صفات المنافقين ولواذهم عن الطاعة لله جل ذكره والرسول وصفا بعد وصف ويحذر منهم
وينهى عن توليهم ويخبر عن بواطنهم ويصف المؤمنين بصفاتهم ويسمهم بسماتهم وفي اثناء
ذلك يامر رسوله صلى الله عليه وسلم بامره وينوه اهل النفاق ويزجرهم ويعرض بهم الى اخر السورة
قوله جل من قائل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله جل قوله وذلك
هو الفوز العظيم هذه بيعة الله جل ذكره لكل مؤمن ومؤمنة والجهاد جهادان اكبر وهو جهاد النفس
دون شهواتها وقمعها في ذات الله عز وجل عن هواها وجهاد اصغر وهو جهاد العدو والظاهر جمع الله الجهادين
في قوله جل قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين فمن باع من الله جل ثناؤه
نفسه وماله فلا رجوع له عن امضاء بيعه والا كانت ردة على قدرها والفرار عن العدو الباطن يجري
في النفس اشد من الفرار يوم الزحف ولا شراء الا للتقيين اتبع ذلك قول الحق التائبون العابدون
الحامدون السائحون قيل هم الصائمون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله ثم اتبع ذلك التحذير من الاستغفار للمشركين الا للبراءة منهم والتحرز عنهم
لانهم حرب لله جل ذكره فانتظم ذلك قوله كله بما تقدم في سورة الانفال من ولاية وبراءة ومن تعريض
باوصاف المنافقين الى غير ذلك من معانٍ ما تقدم ثم ذكر الثلاثة المخلفين في غزوة تبوك وتوبته
عليهم ومن رحمته وجميل توليه جل ذكره انه استفتح قصتهم بذكر توبتهم واعرض عن ذكر الذي
كان منهم من بعد ولا بد انه بهم رءوف رحيم ثم اكبر التوصية للمؤمنين بلزوم الصدق قولا وفعلا
وعقدا ورغب في الجهاد احسن ترغيب وعظ فيه ورفع ثواب العمل فيه الى ارفع غاية ثم وصى جل جلاله
على الكافرين واخذ الاهبة لقتالهم واعطاء الجهد في جهادهم ثم ارجع الخطاب الى ذم المنافقين
بوصف اظلام قلوبهم وحرج صدورهم فقال جل قوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم
زادته هذه ايمانا يقول الله جل ذكره فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون اي بفضل الله
ونعمته عليهم بجزيل ما اتاهم من فضله وما يجدونه من حلاوة الايمان في قلوبهم واما الذين في
قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ثم عدد على المؤمنين نعمته
برسوله صلى الله عليه وسلم وبانه منهم رءوفا بهم عطوفا عليهم حريصا على هدايتهم ثم واجه بالخطاب رسوله
صلوات الله وسلامه عليه بقوله جل قوله فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم فادل عليها وجعلها له دعوة الا انها امنة من المحذور وقد قيل لانها امنة

من الرزق وهي ان شاء الله عامة البركة كما جاءت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** جل وعز الر تلك ايات الكتاب الحكيم علم جل
ذكره ان الر تلك ايات الكتاب الحكيم يريد وهو اعلم اللوح المحفوظ كما قال جل قوله حم والكتاب
المبين الى قوله جل قوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقد تقدم من هذا في صدر الكتاب
مردد ا ما يغني عن اعادته الى ان يفتح الله من رحمته وروى معقل بن يسار المزني رحمة الله عليه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه
والطواسين من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش
واعطيت المفصل نافلة وهذا موافق لما قدمناه والحمد لله رب العالمين في قوله جل ذكره
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه اذ ذكر اشارة الى اللوح المحفوظ وان الم واسطة بين حروفه وحروف
هذا الكتاب وفي رواية اخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت مكان التوراة السبع الطول
واعطيت مكان الانجيل المبين واعطيت مكان الزبور المثاني واعطيت فاتحة الكتاب
وخواتم سورة البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطاني المفصل نافلة وفي اخرى
بالمفصل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام
وانزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا تقران في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان **قوله** عز
وجل اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم لان العجب يكون على اوجه منها الابعاد لوجود الشي والانكار لكونه من ذلك قوله
عز وجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع
بعيد وقوله جل قوله حكاية عن رسوله عليه السلام او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا هذا ساحر كذاب وقد يأتي لاعظام كون الشي
كيف كان هذا مع وجود اضداده كقول الكافر اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب
ذلك لجهلهم بالحقيقة يقول الله جل ثناؤه بل عجبت ويسخرون اي انك لتعجب منهم كيف
يجحدون ما جئتهم به مع وجوبه وكيف يكذبونه مع تحققه وهم يسخرون بك ان جئتهم بما لا يبلغه
عقولهم وصحيح ذلك عجب حق كيف انكروا ما هو في نظرهم كيف كذبوا بما هم يصدقونه بالسنتهم
واحوال اضطرارهم وقد قرئ بل عجبت ويسخرون وذلك موجود على معنى التعجب في قوله جل
قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فاني يؤفكون فمعنى التعجب هو
في قوله فاني يؤفكون اي من اين يصرفون كيف يقلبون عن حقائق الحق وهم يعلمون لكنهم لا يعقلون
كما قال جل قوله قل الحمد لله كما هدانا بل اكثرهم لا يعقلون وقد يأتي التعجب بمعنى الحب لشي ولطف
موقعه من نفس المعجب به كقولهم اعجبني كلامك واعجبني ما جئت به ومن هذا النوع من التعجب
يكون معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعجب للشاب ليست له صبوة مع شي في معنى ما تقدم
في قوله بل عجبت ويسخرون ثم قال عز وجل وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم هذا
خطاب معبر عن الرحب وحسن الماب ومعنى قدم صدق التقدم يقال لفلان تقدم في الصلاح
والقول لمعدم معقول ابدا في التقدم في الامور كما اليد معقولة في النعمة فمعنى ذلك ان شاء الله

وهو اعلم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم حتى بلغ من انكارهم وابعادهم هذا الامر ان قالوا ان هذا الا سحر مبين
ويقرأ ان هذا لساحر هذا من فضل النبوة والرسالة ثم سرد عليهم من فضل الالهية والربوبية
بمعنى الوحدانية والاعلام بالاعادة بعد البداة والحكم لعمالهم في الحكم عاجلا وآجلا بين الفريقين
في الدارين والتنبيه على العبرة بمن موجودات الدنيا الى موجودات الاخرة وسبل حكمته في ذلك
بقوله جل قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون الى قوله جل قوله بما كانوا
يكفرون لما كان اسمه جل جلاله هو المفطور على معرفته كل شي ولزم الوله النفوس والالسنة
اللهج بذكره ذلك لانه الاول والاخر والظاهر والباطن بحقيقة هذه الاركان وهو الذي لا احد
منه حقيقة ولا اكرم وجودا حضورا وشهادة وقربا وعلى مقدار وجود المعارف يكون وجود
اضدادها ووجد جل جلاله لهذا السقط من المخلوق لكريم هذا الظهور نوما عنه وغفلة
عن تذكره وغيبة عن مشاهدته ثم انشا ذلك في قول البعض حتى غلظ الحجاب واعضل
الداء ولانهم جبلوا على الفقر وخلقوا للرق طلبوا منافعهم التي دفعتهم لها ضرورة
الفاقة ولاختلافهم في اولية الاصطفاء ومقتضى المشية فيهم اختلفوا في تطلابهم ذلك
وعند من يطلبونها وكيف يتلون ذلك وعند تطلبهم اياها نسبوها الى من ليس لها
وسالوها من لا يملكها واستنصروا واستدفعوا مضارهم بمن ليس اليه دفعها لان
واسباب الاسباب عند ما دار وجل ذكره قد جعلها طرقا لمقاديره وخزائن لا نعمه وطلبوا
بحوايجهم وتوسلوا الى موجدها جل وعلى بمن لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ثم قصرت عقولهم
عليها فلا نوالها واشركوا بها لما لم يرتقوا في الاسباب الى منشيها ولا عبروا من الموجودات
الى موجدها فاعلاهم عند انفسهم مرتبة اضلهم عن هدايته واعدهم فيما حاول دليلا
مطلوبه فعبدوا الشيطان والقمر والنجوم والنار والملائكة والجن والكواكب منهم ومنهم
من يشفع الى بعض هؤلاء المذكورين بالشجر والحجارة والخشب المنحوتة الى غير ذلك من ضلالهم
نعوذ بالله من الضلال عن الهدى الا تسمع الى قول قائد المعتبرين وامام المتقين خليل
الرحمن صلوات الله وسلامه عليه كيف قررهم على ضلالهم فقطع سعيهم وسفههم للاصغر ثم للاكبر
منه ثم للاكبر منهما في كل ذلك برهم صلى الله عليه وسلم استحالة ما ظنوه عندها ولما فرغ من ذلك
قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما جعل
جل وعز هذه الفطرة في النفوس ليرجع اليها عند جودها عن سواء قصدها وبثها
في السموات والارض واوجدها في جميع الموجودات لما ثم لعقول بها في مهامه كسوهم ويستنير
بنورها في الظلمات ويتمسك بمعادنها في مضايق المشكلات حال تطوافها في استفادة اذكارها
وترجع الى حقيقتها في مجاهل جبالاتها والله عليم حكيم والرب جل ذكره هو المنعم برب
نعمه على المنعم عليه وهو المالك بوجه ايضا فقال الله جل قوله ولا نبيهم عن نومهم ويرشدهم
الى الحق عن ضلالهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يدبر الامر ومن له السموات والارض وهو خالقهن وموجدهن وممسكهن ومقيمهن

وهو المدبر للامر كله فيهن وفي سواهن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه
فمن ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومن ذا الذي يملك دونه دفعا ونفعا وموتا وحيوة
او نشورا يعلمهم عز وجل بما في فطرهم ليرجعوا عن ضلالهم الى هدايتهم قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون فامرهم جل وتعالى ان يذكروا ما
نسوه مما سبق علمه في حد قلوبهم ثم قال جل قوله قل من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله قل لهم يا محمد افلا تتقون ثم قال عز من قائل قل من بيده ملكوت كل شيء
وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل لهم يا محمد فانى يسحرون كيف
يذهلون عن هذه الحقايق ويؤفكون عن حاصل هذا العلم ثم قال عز من قائل ذلكم الله
ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اي الى من هو مستقر علمه في بواطنكم مركب عنه ظواهركم
ثم قال جل قوله متوعدا لمن كفر به ومبشرا لمن اطاعه ومعلما لهم بانه يبدأ الخلق ثم يعيده
لفصل القضاء وعدل الحكم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط لما امن المؤمنون
بالدار الاخرة وعبروا من موجودات هذه الدار الى موجودات تلك فعبروا من كوائنها الى مكونها
ومن نور هذه الى مستورها ومن حق ما هنا الى ما تحقق ذلك في موجودات ما هنالك عن
الحق المبين بخلع الاواسط وطرح الاسباب كان ادخالهم اياهم الجنة واعطاؤه اياهم جميعا
ما هنالك على قسط جزاء وفاقا ولما ان كان الكافرون به عبدوا عن هذا الحق ونكصوا
عن الاقرار به ابعدهم عن جواره وادخلهم جهنم التي كانوا يغدون في انفسها ويروحون
وهم مع ذلك بوجودها لا يؤمنون ويتقلبون في فيحها ويترددون وهم بحقيقتها لا
يشعرون بل هم اذا اخبروا عنها هم بها كافرون لذلك قال عز من قائل والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون **قوله** عز وجل وهو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق
يفصل الايات لقوم يعلمون اصطلاحا جعل تعالى الضياء للشمس والنور للقمر والضياء هنا للحر واليبس
كما النور للرطوبة والبرد اقام الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بهذين النوعين
مزاج الدنيا والقمر يبرد ويرطب باذن الله ومشيته ما تيبسه الشمس وتحمى حرها وقد جعل
الله جل وعز وله الحمد في فصل الشتاء للشمس دولة يصلح الله عز وجل بها زيادة الماء
والبرد وقال جل قوله في القمر وقدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وقال جل قوله
في هذه وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ثم قال عز من قائل ما خلق الله ذلك
الا بالحق يقول جل من قائل دلالات وايات على وجود ما هنالك وليتم بذلك امره بذلك
لا ليعبث بشيء من ذلك **فصل** الحق اسم واقع على معارف كثيرة فالحق هو الله جل ذكره وهو
الحق المبين اي المبين لهذا الحق المبثوث فيما خلقه فالحق اسماؤه والحق صفاته والحق امره ونهيه
والعمل بمقتضى ذلك والحق حكمه وعدله وفضله والحق الموت وما بعده والحق البعث بعد الموت
والحق الحشر والنشر والحق لقاء الله والحق الحساب والصراط والميزان والحوض والشفاعة فبالجملة
فالحق خلقه والحق امره وفعله وقدره الى اخر الشهادات واحاطة هذه المذكورات من اوصاف
الحق وما لم يذكر منها بالوجود كله علوا وسفلا كاحاطة الحيوة بالحي واسلاكم بانواعه

ومختلف معانيه كلها في الموجودات كسلوك الارواح في الاجساد وقسمه في مسالك وجودها
نقسم الاغذية في المغذيات بل هو اكرم مسلكا واعم وجودا وتمثل في اعتبارك بزرة من البزور
اي بزرة كانت ونخص منها بزرة الخردلة مثلا انبتها الله تعالى في صغرها ودقتها وقدرت
بالمشاهدة على حرارتها ولونها وشكلها وصورتها وطعمها ورايحتها ومعانيها كلها وجميع
اوصافها التي استوجبت لاجلها وقوع اسم الخردلة فينشيها الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
حتى يبلغها الى ان تكون شجرة قائمة لها عروق وللعروق عروق الى اقصى ذلك ولها اصل يجتمع
اليها ما يصعد من اسفلها وينقسم منها الى اعلاها ولذلك الاصل فروع وللفروع
فروع وللفروع افنان وللافنان وورق وزهر لا يسع ذلك كله الا من الحق المتعلق
بوجوده ان الله جل ذكره قد اسلك في تلك الشجرة طعم البزرة وريحها وحرارتها ونفعها
وضرها وجميع معانيها التي اوجدها الظاهرة وقسم باطنها الباطنة فيها ليظهر ذلك كله
هذا الحق الذي يخفى بسبيل تبيينها وكذلك يحق على العقل اذ يقطع والايمان اذ يصدق
بما اراه الله جل ذكره حال نظره الى البزرة فيقضي ان تلك الشجرة بعروقها وعروق
عروقها الى اقصاها وما علا منها بافنانها وافنان افنانها الى اعلاها وزهرها
بانقسام ما حصل في البزرة من كل معنى هو لها فيتوهم بذلك ان الشجرة متوهمة في تلك
البزرة وعلى هذا يعلم ان الاخرة من الدنيا ثم يرجع بصره عودا بعد بدء فيعلم ان الدنيا
من الاخرة ثم يرجع البصر كرة ثانية فيعرف بكل وجوده في الدنيا موجودا في الاخرة
فان الدنيا هي مفصولة من الاخرة وهذه هي كشاهدة لها وعلى هذا فالشجرة التي خرجت
في هذا المثل هي الاخرة وان الدنيا هي البزرة بما انحصر فيها وما انقسمت اليه واول
ما خلق الله جل وعز الدنيا لم يسبق البزور وانما خلق الشجر والنبات ثم عن ذلك
اوجد البزر عن الشجر كذلك الدنيا منتزعة من الاخرة ثم تعلم بذلك ان معاني اسماء
الموجد جل ذكره ونعوت صفاته العلى وموجودات الدنيا والاخرة واياتهما منهما جارية
في المخلوقات كجريان الماء بما احتمله من اوصاف تلك البزرة في انشاء تلك الشجرة اذ ذلك
لما انشاءها منشئها جل وعز وبه غذاءها وبه اكملها وهو الاول فيها والاخر والظاهر
والباطن ثم توهم كما انت في حال اعتبارك هذا ان معاني الاسماء والصفات العلى
مقتضياتها التي قامت بجملة العالم كله قد اجرى الله عز وجل فيها الحق جريان الماء في الشجر
ثم انه قد بقي عليك ان تفصل بوهمك موجودات الاخرة وتميزها من موجودات الدنيا وتعرف
بذلك بما ههنا معلومها ما هنالك بمعلوم ما ههنا فان الله جل ثناؤه قبض هذه عن تلك
وبسط تلك عن اوصاف هذه لكن بعد ان ميز خيرها من شرها ولذيذها من كريهها
وطيبها من خبيثها فجعل هذا في دار النعيم وجعل هذا في دار الجحيم نسال الله الرحيم برحمته
ونعوذ به من عذابه وغضبه ليتقوا الله عز من قائل وقد وصف الماء ولقد صرفناه بينهم
ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا هذا في النبات وما تحته من عالم الجماد وفي الحيواني الطاهر
ثم في الانسان اوضح واشرح وفيه بدا ما هو اتى على المعنى بقوله الحق خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر الى قوله جل قوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها

وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم المعنى الى اخره فا فهم وما يعظ
فانه الحق فهمنا الله واياك عنه واسماه الله جل جلاله وتعالى علاؤه وتناؤه
بما هو الله حضر فشهد ما غاب ولا يغيب عنه غايب حضر ما نأى وما دنى وقرب فسمع
السر واخفى فهو لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اكبر من ذلك ولا
ادنى جميع الاسماء له شاهدة ولمعنيها مفسرة ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء هو
اول ما اظهر من اسمائه فتفصل على معرفة جميع مخلوقاته واجرى مقتضياتها في جميع ما فطر
جريان الماء في العود الناضر واسكن في جميع ما اوجد سلوك الارواح في الاجسام واحكم
في كل ما اوجد حقوق الحيوة في الاحياء فهو الذي لا يرى ولا يرى فكل شيء منه ملاء يضبق جميع
العالم والخصوص اليه جميع عز شانه اذ جميع الاسماء يجمعها اسم الالهية وجميع الاسماء تجمعت في
الصفات والصفات يجمعها اسم الالهية ونضمن ذلك كله تعريفا هذا الاسم العظيم الذي
لم تسعه ارض ولا سماء ولا كرسي ولا عرش وسعته المشية ولزمت الاسماء مراتبها
وسلكت في جملة العالم مسالكها واعلم ان اسم الالهية غير متكثرة ولا منقسم فهو
الله وهو الرحمن وهو الرحيم هكذا الى جميع ما يسمى به هو هو فكثرت الاسماء للافهام
والمسمى بها واحد والمطلق معرفة بها وبسواها واحد احد صمد ليس كمثله شيء وهو حامل
الكل تدبيرا وقياما عليه ومنه الكل خلقا وامرا واليه يرجع الكل بكل وجه وبكل معنى الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين شاهد ما ذكرناه في الايات في اخر سورة الحشر وتردد
في القران العزيز فقرب على من يليه وبنى وجوده على طالبيه يقول الله جل قوله ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر الا تسمعه يقول جل من قائل هو الاول والاخر والظاهر والباطن
وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الى اخر
الايات هذا واتيك النص المرفوع في البيان الى غاياته فتسمع وتقرب وتسرع كي تنادى من مكان
قريب ولما استوى على العرش المحيط احسنت الجملة به لانه الحي القيوم واشاع في الجملة روح الامر
وقد تقدم الى هذا المعنى سير بذوي الالباب وانتهى الى المطلوب الاعلى روى ابن عباس
رضي الله عنه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله بسم الله
الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله وما بينه وبين اسم الله الاكبر وقال الاسم الاكبر
الا كما بين سواد العينين وبياضها من القرب في قوله الحمد لله رب العالمين شفاء لمن استشفى
اذ قد حصر الحمد كله فيه هو رب العالمين ثم انه قال ومن رب العالمين قال الرحمن الرحيم ثم كان
قائلا فالمن الرحمن الرحيم قال ملك يوم الدين الجزاء في الدنيا والاخرة ولم تعبد الكل وفي كل
شيء وفي شرح قوله الرحمن الرحيم علم عظيم لمن بحث ونظر وردد الفكر والتفكر يستفتح عليه في
معرفة الجزئيات وانفسها الكليات وقيام الحي القيوم بالمخلوقات ولا سبيل الى ذلك الا من نبذ الشواغل
ورفض الشهوات ونزع واطاع الله جل ذكره واتقاه **فصل** قد تقدم ذكر جملة من دفع الحجب
والتسلق الى استبان سبيل الاعتبار وان مال الوقوف على معرفة الاسماء والبحث عن سلوكها مسالكها
من العالم توقف على تفصيل جل ما انبانا به في كتابه العزيز وان ذلك له بطح فيه الابلغ و
التفوق وتقديم صحيح الايمان واطراح الحوة والقوة ونبذ الحرص على الشيء بل ملاذنه الحول

والتواضع والازدراء على النفس اذ هو نوع من العلم لا تسومه النفوس من ذاتها ولا شعره
ولا هي قوة الا بهداية وتوفيق واشعار والهام الى ما هو الصواب فانى للنفس مطمع في
منال منزلة او حرص في مدح من اجل ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض
والله على كل شيء قدير ثم ما بعد هذا بالمحاورة **فصل** ربما ردمنا شيئا من ترك التفصيل
تدريبا للنفس واستصحابا للتذكر واستدامة للتفكر وانما حملنا على اتيانه في كتاب ودرمه
في دوام توقعا لحال الكبرة على قوتها التي هي ام النشأة ومعالجة الاشتغال الذي هو معدن
تعطيل العقل وعذاب الروح واعتناما لصحة الجسم قبل سقم اذ بذلك يسقم الذهن وتضعف صفات
الباطن قال الله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يدبر الامر الى قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا المعنى
الى اخره هنا وفي سائر القران كقوله جل قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقوله جل قوله
ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر وما حكاه عن خليله عليه السلام قائد المعتبرين وامام المتقين
صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين فانه تبرأ من الكوكب والقمر والشمس
لاجل الافول الدال انه توجه بوجه ظاهر او باطن لمن لا افول له ولا فقد يعتروه وقال الله جل
وعز ووصف الجنة واهلها لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقال جل قوله اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت وقال جل قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر
ويقول الله جل من قائل ليتبع كل امة ما كانت تعبد قال فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان
يعبد القمر القمر وقال الله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عند ربكم ليل ولا نهار وصلوات الله وسلامه عليه انما عبد
ما الليل والنهار دالة عليه وقال الله جل من قائل ووصف الجنة واهلها لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها اياما وان
يوم الجمعة للزيارة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ندعوه يوم القيمة يوم المزيد وساق
الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وفيه فهذا يومهم الذي اختلفوا
هدانا الله اليه واليهود والنصارى لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد واخبر بصدق قيله
ان المهتدين من اليهود والنصارى يومين يختصون بهما كما نختص نحن بيوم الجمعة وانه يبدل الكون
السبت والاحد ولا سعد ايضا ان باقي ايام الجمعة اغير اهل الكتاب من مهتكي الامم قال الله عز من
قائل والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر فخلق الله هذه الدنيا سماها وارضها
وما فيهن وما بينهن بالحق وقد تقدم الكلام في قوله الحق المخلوق به السموات والارض به كلم عقول
عباده وبه ظهر للبصائر وبه استشهد والى التعرف وعدنا بالنظر في ايات السموات والارض
ومن اجله خلق التذكر والتدبر واوجب النظر والاعتبار وهو باطن الحق المخلوق به موجودات
الدار الاخرة وظاهره هو الذي في الاخرة بالاضافة الى اهل الاخرة وهذا الحق قد حجبه

بالوسائط والاسباب وظواهر المخلوقات حجب الصنعة في المصنوع واخفى القدرة في
المقدور وذلك لعلة الابتلاء بالايمان بالغيب فاما في الجنة فهو الحق المبين لا افول له ولا فقد
تروية كما يرون الشمس صحوا لا سحاب دونها وكما يرون القمر ليلة البدر وقد ظهر من هذا الحق
المخلوق به العالم امره في الشمس والقمر والنجوم كما بطنه في تسبيح الخلائق اياه وتعبدها له و
خشوعها وخشيتها وبكائها ومعرفتها الرب بها ذاتها وذكرها الى غير ذلك مما قد تقدم صدر
من ذكره في مواضع دفعت الى التعريف به ثم ما بطنه وفتح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها
في الماء والرياح المبشرات الملحقات الى غير ذلك وان كان قد ظهر فيما هنا سبيله للعيان واما غدت
العقول عن معرفة ما هاهنا بالغفلة فاستولت من اجل ذلك عليها البلادة حتى اعمت الابصار و
البصائر واصمت الاسماع وذهبت بالحيوة وجلبت الموت لوصف الكثرين من اجل ذلك كما قال
قوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون **فصل** جعل الله
جل ذكره ملكوت هذه الدار في تعاقب نفس جهنم وفتح رحمته بالماء الى غير ذلك من رياح وسحاب
وهواء وتراب وشمس وقمر ونجوم وكل ملائكته عليهم السلام يعملون في ذلك بامره واذنه
وعونه لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون في جميع ثمار الدنيا وزروعها ونباتها وحبوبها ومنافعها
ومضارها وسقامها وبلائها وسقامها وصحتها وجميع شؤونها من جهة الامر فيما جعل في هذا
الحق المبثوث ما اظهر منه كالشمس والقمر والنجوم وما تقدم ذكره وما ابطن منه فاذا اذن الله جل
وعز بالانقراض لهذه والاذالة لتلك حل الحق الظاهر فيما هنالك وذلك هو الحق المبين لهذا
الحق الظاهر والباطن فكان ملكوت ما هنالك عن ذا الحق القريب المشهور المحل وقد كان قبل
في هذه الدار محجوبا بالاوساط والاسباب والغفلة والمصرف عنه لتتم كلمته في قوله جل قوله و
هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وقد كان اهل هذه الدار في غربة وغيبة وحجب وفي هذه الحال قال
انا في الغربة ابكي ما بكت عين غريب • لم اكن يوم خروجي من بلادي بمصيب •
عجبا لي ولتركي وطنا فيه حبيبي وهذه الدار مطبوعة مجبولة عن جز رحمة بجزء وعدا ما مع
ما تقدم ذكره من حال الغيبة والبعد والحجب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انبا عليه السلام
عن مسراه لما هبطنا السماء الدنيا اذا برهج ودخان واصوات فقلت ما هذا يا جبرئيل قال هذه
الشياطين يحرقون على قلوب بني ادم او قال يعشون بني ادم لئلا يتفكروا في ملكوت السموات
لولا ذلك لرأوا الاعاجيب وان كان ولله الحمد قد غلبت رحمته على غضبه اولا ذلك لكان
الامر اشد واقطع **فصل** يقول الله جل من قائل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق فلذلك الحق المتصل
بالحق المبين جل جلاله ضياء ونورا فالضياء هو في مدة ما هو النهار عليه هنا اية والنور هو في
مدة ما هو الليل فيما هاهنا عليه اية فهو جل وعلا يولج الضياء في النور ويولج النور في الضياء
فيكون عن ذلك ما هو زيادة النهار وقصر الليل وزيادة الليل وقصر النهار عليه اية ويغشي
النور الضياء ويسلخ الضياء عن النور فيكون عن ذلك فيما هنالك ما هو وجود النهار والليل
والاصباح والامساء ويكشفنا عليه اية على الهدى وعلى الاله الحق جل وعلا وعلى الحيوة بعد الموت
وعلى وجود الجنة وهذا كله قد مضى وقد نحلت الجنة واما الليل فقد كان فيما هاهنا اية

على الهة باطلة وعلى الكفر وعلى الجهل وعلى الموت وعلى وجود جهنم وهذا كله موجود
في النار فليس فيما هنالك ليل ولا نهار وانما هو الضياء والنور يولج جل وتعالى هذا في هذا
وهذا في هذا دون فقد ولا افول ويكون عن ذلك فيما هنالك ما هي الاربعة فصول الصيف
والخريف والشتاء والربيع عليه اية قال الله عز وجل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب
انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما ثم قال عليه السلام وما بين القوم وما بين ان ينظروا
الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن والكبير من اسمائه والكبرياء من صفاته سبحانه
وله الحمد ومفهوم ما تقدم ذكره فيما هاهنا وفيما هنالك تعلم في تلك الدار الايام والشهور
والسنين والحساب وانقضاء الاماد وتعاقب الدهور التي فيما هنالك تنوب مناب الازمنة فليس
فيما هنالك زمان لعدم الشمس والقمر والنجوم وانما هو الدهر والزمان ممدود ودوران الكواكب
والدهر مدة فعل الله سبحانه وله الحمد واما الرؤية العلية فانه تبارك وتعالى لا يبدو للعباد
بفعل واحد من بين اياته ذلك اختلاف الليل والنهار وكون الشمس اليوم في مطلع ومغرب لا يكون
فيه غدا وما يكون فيه الغد لا يكون فيه بعده وكذلك القمر والنجوم وكذلك من ايات هذا
تقليبه الليل والنهار ونحو قول نوح عليه السلام لقومه ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لقاء وهو وقار
عبارة عن تقليب الرؤية ثم قال وقد خلقكم اطوارا جاء ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما رأى
البيت قال رب ما هذا قال جل قوله وقارا يا ابراهيم قال رب زدني وقارا لما قلبه من سواد
الشعر الى البياض ومن حد الضياء الى ما يعبر عنه بالكبر عبر عن ذلك بالوقار ثم قال الم تر
كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا اي على نحو هذا
من التقليب فافهم فهمنا الله واياك بمنه ورحمته مصداق ما تقدم ذكره في قوله جل قوله
ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون ثم شرح جل ذكره على ذلك قوله ان في اختلاف
الليل والنهار لايات لقوم يتقون اي انه لا يحضر ذلك ولا يشهد تلك المشاهدة الا المتقون
ثم سرد على ذلك قول الحق ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها
والذين هم عن اياتنا غافلون الى قوله جل قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين **فصل**
قال الله جل من قائل الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في
زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري فهذا هو الحق المذكور فيما تقدم فظاهره فيما هاهنا الشمس
والقمر والنيرات وهي الممثل بالمشكاة فيها مصباح والزجاجة في هذا هو الهواء في الجو يوقد
من شجرة مباركة زيتونة وهذا نص على الاقرب على الحق المخلوق به الشمس والارض فهو على التحقيق
لا مطلع من مشرق فيشرق ولا يغرب في مغرب فيغيب وهذا الحق هو الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه
نار ونار هذا المرتب الفكر فبالتكرار وترداد الفكر يهدي به الله كما يهدي جل وتعالى بمصباح
الموجودات المصباح ونيرات الكواكب والشمس والقمر وعلى التحقيق فانه قال جل من قائل الله نور السموات
والارض مثل نوره ثم نزل جل وعز بالخطاب الى الاضواء الظاهرة ثم قال جل قوله توقد
من شجرة ولا توقد الا شجار الظاهرة والباطنة الا من نوره العلي وعلى التدريج نور على نور

الى ان ينتهي اليه جل ذكره فهو الذي هو المسبح عن الافول غربا و بالطلوع شرقا و الى هذا نزع
ابرهيم عليه السلام بقوله صلى الله عليه وسلم لا احب الافلين ويضرب الله الامثال للناس والله بكل
شئ عليم ثم جعل جل و عز سياق ذكر الباطن بقوله الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض
والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه واشار منه عز جلاله الى ان كلا مطبوع على ما هو عليه
وجوده الان ثم قال والله عليم بما يفعلون اشارة الى الحضور العلم ثم قال جل قوله ولله
ملك السموات والارض والى الله المصير افراد من جميع الخليقة له بالملك وبدئها له بالخلق
وشهادتها على نفسها بالعقل وله بالغني وبالعود بعد البدء ثم قال جل قوله الم تر ان الله يزجي
سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها
من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ثم قال جل قوله يقلب
الله الليل والنهار ثم قال جل قوله ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار ثم قال جل قوله والله
خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق
الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير فعدد جل و تعالى تسبيح الخلايق وصلاتهم وان له الملك
والمرجع وفعله في ارساله الرياح وخلقه السحاب وتسييرها وانزاله الماء والبرد واصابته بها من يشاء
وتقليبه الليل والنهار وخلقه من الماء كل شئ حي وكل ذلك انما هو قدرته ومشيته وعلمه في الموجودات
من الحق الذي به خلق السموات والارض ومقتضى اسمائه وان ذلك نوره وان كان باطنا كما ان نوره
نور الشمس والقمر والنيرات والنار وان هذا كله الظاهر منه والباطن يوقد من الحق المبين الذي
كني عنه بالشجرة المباركة ليست تطلع من مشرق ولا مغرب ولا تغرب في الغرب فيدن اليه فاذا تمهد هذا
الحق المشوث في العالم خلق الخلق والارض وهو المتصل بالحق المبين ومنه تقتبس انواره و...
ضيائه يوقد نيرانه وذلك ظاهر الاخرة وهذا ظاهر الدنيا فاطلب الوفاق والمشابهة هنالك
واستدل عليه بما ههنا فانما هنا على تلك ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم
عن اياتنا غافلون ارجع جل وعلا الخطاب الى معنى قوله ان في اختلاف الليل والنهار دلالة
على لقاء الحق بانقضاء الاجال وطلوع النيرات ولذلك ذكر جل ذكره اللقاء واوعد على التكذيب به
وعلى عدم الرجاء في لقائه كيف يتصور التكذيب بلقاء الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وما
زال المؤمنون في لقاء الحق المتصل به ايمانا به وتصديقا ومشاهدة بل كيف لا يرجى لقاؤه وما
يعرف العباد لهم رزقا ولا دفعا ولا نفعا الا من لدن الحق المشوث في العالم والا فكيف كان
الحال يكون لو لم تكن الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا السماء ولا الارض ولا الرياح ولا الماء
ولا الحر ولا البرد ولا نبي ولا رسول ولا عمل بطاعة ولا ملجأ يلجأون اليه ولا ملاذ يلوذون به
وكيف لا يرجى لقاؤه والخير كله منه واليه والشر ليس اليه بل كيف يختار العباد الحيوة الدنيا
على الاخرة وقد ظهر الفضل العظيم بين الدارين والبون الكبير في احكام المنزلتين والغبطة العليا
في احدى المحلين اذ لم يعتدوا بالاستعداد للقاء والتوقي بالزاد للمال الكريم ثوابه مع ذلك
ما هو في معناه قوله جل قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم اي في النظر
في اياته والعبرة من الدنيا الى الاخرة ويهديهم في الاخرة عند المحنة في المحشر وتهديهم

في البرزخ بالثبات وقول الحق والصدق بالايمان والعمل الصالح وكذلك يعبرون من المصنوع
الى الصانع ومن الدليل الى المدلول عليه ومن الايات الى ما هي ايات عليها ومن الدنيا الى الاخرة
ومن الكفر الى الايمان ومن المعاصي الى التوبة النصوح قوله تعالى تجري من تحتهم الانهار
كناية عن الملك الكبير الذي اعده لهم فيها هنالك دعواهم فيها سبحانك اللهم اي ان هذا جل
كلامهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ثم يكون هجيراهم وهو تسبيح
العجب التسبيح لغريب ما يرونه وعظيم ما يرد عليهم من تلك الدار من بعد البون بين مسمياتها
في دار الدنيا وبين ما الفوها هنا وما يحاورهم من عجيب موجودات لم ترها اعينهم
ولا خطرت على بال احدهم ولا تحديث بها نفوسهم فاتت امانيهم واربت على علومهم فليس لهم
هجير الا قولهم سبحانك اللهم وتحيتهم الملائكة سلام عليكم ويحيي بعضهم بعضا سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار فلذلك بان الله جل ذكره تحيتهم بذلك قال الله سبحانه وله الحمد سلام قولا من رب
رحيم فكان سلامهم في الدنيا السلام عليكم تذكيرا باسم الله جل ذكره الذي هو السلام وهي
من الحق المبثوث في العالم وبخاصة بين المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من اسماء
الله فافشوه بينكم وقول الله جل جلاله ابين بيانا واوضح برهانا قال عز من قائل يا ايها
الذين امنوا اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ثم نبه على
هذا من مكنون العلم ورفيعه بقوله جل قوله كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون
اي تعقلون عنه ما اعده لهم فيما هنالك مما هذا اية عليه كما قال جل قوله يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم
تذكرون اي تذكرون ما هنا وانما في الجنة فهي بشارة بالسلامة من العذاب والموت والنجاة من
غضب الله ومن جميع المكروهات كلها وهو ايضا تجديد لذكر من هو قريب منهم الراضي عنهم الرحيم
الرؤف واخر دعواهم ما هو معنى الحمد لله رب العالمين وقال في غير هذا الموضع وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور اكثر ورود الحمد منهم على حال فرحهم بربهم
الصادق الوعد الذي لا يخلف وعده ولا يبخس ما يوجب من اكرام وتنعيم وقضى بينهم بالحق
وقيل الحمد لله رب العالمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث
النبيين مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل خلق الجنة وانما ذلك لانهم يسبحون
مع الانفاس تسبيحهم له بالحمد لله رب العالمين قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم الى قوله جل قوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض الاية ارجع
الخطاب الى معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع والى ذم الذين لا يرجون لقاء الله الذين قال
فيهم جل قوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا
غافلون فانتظم المعنى وما لا يعلم الله فهو ليس بموجود وهو المحال الذي يحيل وجوده افيكون ما ليس
بكائن ابدا لا بديا ويستحيل وجوده شريكا له في ملكه او ولدا او صاحبة او ندا او كفوا
او شبها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اتبع ذلك قوله جل قوله وما كان الناس الا امة واحدة
اي على التوحيد جل ذكره والديانة بدين الاسلام فاختلفوا هكذا كان ادم عليه السلام وبنوه
الائمة من بعده عليهم السلام على الصراط المستقيم والدين القيم حتى طال الامد وخلف الخلف

منهم كسلف شبه لمن بعدهم الاراء فاختلفوا بعد العلم بان الله هو خالقهم ورازقهم
ومالكهم وانه خالق السموات والارض ورب العرش العظيم وانه منزل الماء من السماء يحيي
به الارض بعد موتها لا يشك في ذلك احد ومع تقرر هذا العلم ونحوه عندهم تفرقوا
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه فهدى الله الذين امنوا من الامم الخالية والكفرون السالفة اختلفوا فيه
من الحق باذنه ثم لم يزل الاختلاف فيعقب الابتداء وتبدل الحق من الباطل الى زمان
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهدى الله الذين امنوا من امته لما اختلفوا فيه من الحق ممن
قبلهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهذا خطاب مستقبل متوجه والله اعلم
الى اخواننا الانبياء في هذه الامة الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وددت اني
رايت اخواني قالوا او لسنا باخوانك قال انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وهم سبعون
الفا وسبع مائة الف مع كل الف سبعون وسبع مائة الف ذلك قوله فهدى الله الذين امنوا
لما اختلفوا فيه من الحق وهم ورثة الانبياء عليهم السلام ثم قال عز من قائل ولولا كلمة
سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون والكلمة التي سبقت من ربك جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه هو توقيت اجالهم واستيفاء ارزاقهم وايامهم واعمالهم الى قيام الساعة
وانهم سيفترقون فريق في الجنة وفريق في السعير وتخرج اعمالهم على ذلك كما قال اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب **قوله** جل وعلا انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط
به نبات الارض الى قوله لقوم يتفكرون مثل الله جل ذكره الدنيا كلها من اولها الى اخرها بسنة
واحدة منها فيستبين للمتفكرين النظر وقرب للمعتبرين المعتبر انزل من السماء ماء هاواخرج به الارض
نباتها كله وعرض بقوله جل قوله مما ياكل الناس والانعام خلقهم من نبات الارض ومن الانعام
وبعضهم من بعض على سبيل التناسل والاسترزاق كالرضاعة والكمال والاعضاء والهيئات
فاذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اي على اخذ فوائدها
من زروعها وثمارها اتاها من الله عز وجل ما غلبهم عليها وقطع بها دونهم كذلك الدنيا اخذها
احسن ما كانت واطيب دار عيشهم جميع امرهم لا من حيث الدنيا ولا من حيث الدين وقد قيل
ان الساعة تقوم يوم الجمعة في اول ساعة منها او في ما يقارب ذلك وفي اخر زمن الربيع عند
استقبال من الصيف والارض قد اخذت زينتها والاشجار قد اظلت والزمان في اقباله
وفي مثل ذلك من الزمان خلقها وبذلك ترجع الحكمة في حكمه هذا اخرها على اولها وقد جاء
ان الله خلق الدنيا على اكمل هيئاتها كما تقدم وقد اينعت ثمارها واورقت اشجارها و
نباتها وانما فصلها يومئذ من الجنة فحكمها ان يكون على تمامها كما خلق ادم عليه السلام كهيئته
يوم توفاه كاملا مستوي ذراعا في السماء كما يدخله الجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وكما خلق كل نفس منفوسة على الفضل وعلى الاكمل
كذلك خلق الزمان مقبلا والشمس في برج الحمل وما يقارب ذلك يدل على ما ذكرناه قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم في خطبته المشهورة التي قام بها في الناس الغد من يوم النحر في حجة الوداع حجة
الكلام فقال وهو على ناقته استنصت الناس فحمد الله واثنى عليه وخطبهم خطبة مودع قال فيها

ان الله حرم اموالكم ودماءكم واعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا
الا فليبلغ الشاهد الغائب فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا ثم قال عليه السلام ايها الناس ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وكانت حجته تلك في زمن الربيع ذلك على
انه رجع منها وبقي بالمدينة شهر المحرم كله وصدرا من ربيع الاول واخذ عليه السلام في التوجه الى غزوة
تبوك وقد دخل زمان الصيف ولذلك قال كعب بن مالك رحمه الله في قصة التخلف وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استقبل سفرا بعيدا وعدوا كثيرا وذلك حين طابت الظلال وبردت
المياه وقال الله جل ذكره يحكي قول المنافقين في هذه الغزوة وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فوضح بهذا كله ان الحج زمن الربيع وان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان ايجاد ذلك كان والارض في زينتها والشمس في
برج الحمل وهو شرفها واذا كان ذلك كذلك فالقمر يومئذ في الميزان اذ هي قبالة الحمل فكانت الشمس
في شرفها والقمر في كماله والارض قد اخذت زينتها والليل والنهار في حال استوائهما عند انتقال
الشمس من الجنوبية وصعودها في الشمالية وفي قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق الله السموات والارض وجه اخر به يتم ما تقدم ذكره وهو النبأ العظيم وذلك انه خلق السموات
والارض وما بينهما بالحق وعلى الدين القيم واستدارت بذلك وابر كذلك الى ان خلق الله ادم عليه السلام
على الدين القيم وخلقه على ذلك الائمة من بنيه على جميعهم السلام ثم اختلفوا كما قال الله جل قوله وما كان
الناس الا امة واحدة فاختلفوا الخلف في ذلك الاختلاف امم كفار ومشركون عبدوا الشمس
والقمر والكواكب والاوثان والطواغيت وغير ذلك ولما كان يومئذ اكمل الله الاسلام واظهر فيه
فيه الحق والزمان قد استدار كهيئته الاولى خلقة وشرعة واستدار عن قوم ضالين الى عباد
مهتدين انزل الله عز وجل ذلك اليوم قوله الحق جل قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا والحمد لله رب العالمين نسال الله البر الرحيم اتمام نعمته وسبوغ منته
الى يوم الدين انه ارحم الراحمين وخير القادرين **قوله** جل ذكره للذين احسنوا الحسنى وزيادة
الحسنى حسن المآت وهي الجنة والزيادة فيها النظر الى وجه الله الكريم ويوم المزيد في دار الاخرة يوم
الجمعة وهو يوم الزيادة كعليا والحسنى ايضا الحسنة قال الله جل قوله واما من امن وعمل
صالحا فله جزاء الحسنى اي جزاء العمل الصالح والزيادة ايضا يكون ما يكتبه الله جل ذكره بالحسنة بعشر
امثالها الى سبعين الى سبع مائة الى اكثر من ذلك الى قوله جل قوله بغير حساب والزيادة من الله جل
ذكره غير محصور في العلم لانها من فضله العظيم وهو يعطي ويزيد ويهب ويزيد ابدا قال الله جل وعز
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والسيئات جزاء سيئة
بمثلها والحسنات والسيئات لها وزنها واما ما يقابلها من نعيم الجنة وعذاب النار فتفسير لو فوق علم
انما علمه الى الله جل جلاله **قوله** جل وعز وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق
الذي بين يديه يريد جل وعز التوراة والانجيل والزبور والصحف كلها وتفصيل الكتاب اي الكتاب
المبين المحفوظ ونصوص في بعض التفصيل في ذلك ان شاء الله هو علمك بان القرون الخالية والامم
المضلة قد تقدم في الكتاب الذي هو اللوح المحفوظ انه سيكون منهم كذا فيرسل اليهم رسولا
كذا فيكون منهم المهتدية والمضلة فيكون من عقابهم وثوابهم كذا وكذا وكذلك كل شيء وله

وارض وكوكب وعمل ورزق وحركة وسكون وخلق وامر من موم في ام الكتاب الذي هو
اللوح المحفوظ مثبت في زمام وقد ذكر القران ذلك بذكر خصوص وعموم وعلى الاشتراك بآي الذكر
على كثير من ذلك **قوله** تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله اما القران العزيز
فعلى قلوب المكذبين اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقر وعلى ابصارهم غشاوة واما تاويله يعني
للعاجل والاجل فلم يكن ياتيهم تعداد نزول هذه السورة بمكة ما ذم في الكتاب من عقاب او ثواب
على كل عمل ومتى يكون وكيف واين وما مقداره ومن محل **قوله** تعالى وما يكون في شان
وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون المعنى الى اخر الاية
معنى للحفظ الى معنى قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها الاية اذ هو الله جل جلاله استوى على العرش وهو في كل مكان
ومع كل شيء من حيث هو جل ذكره هذا من حيث الخلقة والعلم والتدبير تقدير بينه ذلك
في المؤمن ثم في الولي لتدبير في النبي والرسول وبلا زمته ذكره والعمل بطاعته حتى يكون سمعا او بصرا
وهو اوصاف الحق المخلوق بين السموات والارض المتصل بالحق المبين وهو لوجه العبد اذ كان وهو
الذي دمع في كفه قبل ان يقع في كف السائل وهو الذي مع عبده اذا ذكره وما تحركت به شفتاه
ذلك بما هو الله جل ذكره لا اله الا هو الرحمن الرحيم عرف فلا عين ولا يرى وقرب القرب كله
فكل شيء منه ملاء وهو العلي الاعلى وعلى العرش استوى انتهى هذا ما هو في معناه قوله جل قوله
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم من وقع لطائره في قبضة اليمين
فقال في هذه للجنة وبعمل اهل الجنة يعمل لقد عظم حظه وفاز يومئذ فوزا عظيما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشقي من شقي في بطن امه وكان ما ياتي من بعد من علم وايمان وعمل فهو تبع
لعلم الله جل وعز ومشية الشقاء يومئذ فاز الفائزون وخسر الاخسرون ثم قال جل قوله
يعزيه في ضلالهم وتكذيبهم وعظيم فتنتهم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع
العليم هو الذي لا يدركه اذى المفترين ولا يضره ضلال الضالين كما لا ينفعه طاعة المطيعين
هو السميع لمقالتهم العليم بجميع اعمالهم ثم قال جل من قائل الا ان لله من في السموات ومن في
الارض وقد تقدم قوله جل قوله الا ان لله ما في السموات والارض ثم اتبع قل ارايتم ما انزل
الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون وقال جل
قوله هنا الا ان لله من في السموات ومن في الارض والمراد منها نفي الشفعاء والشركاء
والانداد المتخذة من دونه من يوصف بالعقل كالملائكة وعيسى بن مريم عليه السلام والكواكب
نفي للاصنام والاوثان والمعبودات من الكثيرات والنيرات ثم قال جل قوله وقوله الحق
وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون انما
كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهو خرصهم وظن كاذب اذ الشفوع عنه
لم ياذن في ذلك ولا وعدهم به ثم قال جل من قائل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا الليل بصفه وظلامه ووحشته والسكون فيه والنوم اية على الموت
بعد الحيوة والنهار بضيائه والانتشار فيه واليقظة والانبساط وانزاع النهض

وانكشاف المبصرات اية على الحيوة وجواز الاحياء بعد الموت والليل ايضا بما هو
اية على الاله الباطل والنهار بما هو اية على الاله الحق والليل ايضا بما هو اية على الضلال
والكفر والجهل والنهار بما هو ايضا اية على الهدى والايمان والعلم وقد مضى في
تفسير اية البقرة مستقصى حسب الاستطاعة لذلك قال عز من قائل ان في ذلك لايات لقوم
يسمعون وكان مساق صفة السمع اولى من حيث انه استجلب الشاهد على ابطاله بعدم
ذكر الليل الذي هو عليه اية في قوله جل قوله وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والسمع هو
المتصرف في الظلام دون البصر هذه العلة كانت صلوة الليل جهرا **قوله** عز وجل وقال
فرعون ائتوني بكل ساحر عليم الى قوله جل قوله فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر وفي حرف ابي
عمرو وابن كثير السحر على الاستفهام على سبيل التقرير وقراءة الجماعة هي موافقة لما في
سورة طه قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والق ما في يمينك تلقف
ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى ومعنى قوله لا يفلح ان عمله
لا حقيقة له فلا يفلح بخصمه في دنيا ولا اخرة حظا قال موسى عليه السلام ان الله لا يصلح عمل المفسدين
ولا يفلح الساحرون ومحذوف فهذا وانا قد افلحت بما جئت وهذا من التحدي بالايات الاخبار
عن المقدور الغائب قبل وقوعه **قوله** تعالى ويحق الله الحق بكلماته اذا احق الله الحق
بكلماته لم يجر ذلك القضاء على سنة معهودة بل هو ان يقول له كن فكذلك قال الله جل ذكره
ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته
ان من المعهود جرى الامور وقضاءها على اسبابها معهودة فاقضاؤها على سبب غير معهود
في غير تيسير وبغير سبب معلوم فهو من المقدور الغائب وذلك هو المقضي بكلمة الله فافهم
قوله جل قوله وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين الايمان
اولا ثم العمل بالفروض فذلك الاسلام ثم التوكل وهو من عمل الاسلام بمشاركة الايمان فيه فالعلم
بان فعل الله لا يفعله سوى الله وان ما سوى الله عبيد مملوكون لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا
ولا حيوة ولا نشورا واما حظ الاسلام فيه فترك التصرف في اكثر الاسباب لاجل العلم الذي
وقر على القلب **فصل** من التوكل ما هو فرض ومنه ما هو فضيلة ومنه ما هو مباح ومنه
ما هو مكروه ومنه ايضا ما هو حرام اما ما هو فريضة فهو اذا تقدم الايمان والعمل والتوكل
على الله عز وجل في الوفاء بجهده بمنال الثواب في نيته قال الله عز وجل واليه يرجع الامر
كله فاعبده وتوكل عليه واما ما هو منه فضيلة فالتوكل على الله جل ذكره في ترك الاسباب
لا سيما الاسباب التي توصف بعض البعد عن منال المطلوب وكلما بعد السبب عن منال المطلوب
في الاغلب دخل الشيء فيه في حيز المكروه واما ما هو حرام فهو منه حرام فهو ان ترك العمل
الذي امره الله به اتكالا على ما سبق له في الازل فالترك للعمل بما امره الله به من طاعته
هو من علامات شقاوة السابق له في الازل اذ كل ميسر فيما سبق له **قوله** تعالى واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة يعني بيوتهم التي كتب الله لهم في الارض
المقدسة وهو بيت المقدس وغيره من بيوت الله فيها ثم قال عز من قائل وبشر المؤمنين
هذا مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما

والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما وقوله من صلى ركعتين مقبلا عليهما بوجهه غفر
الله له ما تقدم من ذنبه والاظهر في معنى هذه الاية ان قوله وبشر المؤمنين خطاب منه
الخاطب به محمد صلى الله عليه وسلم ليبشر المؤمنين من امته بما بلغ اليها عز جلاله في قوله اذا
توضأ العبد المؤمن فمضمض خرجت الخطايا من فيه ثم اذا استنشق خرجت الخطايا من انفه
ثم اذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى يخرج من اشفار عينيه وذكر مثل ذلك في اليدين
والرأس والقدمين ثم يخرج نقيا من الذنوب وكان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة وفي اخرى
قال عند تمام الوضوء ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له فتحت له ابواب الجنة يدخل
من ايها شاء فهذا من معنى وبشر المؤمنين كما وعد جل جلاله وفي اخر الاية من قوله واذ قلنا
ادخلوا هذه القرية الى قوله جل قوله وسنزيد المحسنين فهذه زيادة ان ربنا لغفور شكور
والحمد لله رب العالمين قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم هذا دعاء على فرعون وقومه بان لا يؤمنوا وبان يموتوا كفارا وقال
نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد جاء نوح عليه السلام انه يعتذر يوم
القيمة لاهل المحشر في ترك الاقدام على الشفاعة لاهل الجمع بدعوته على قومه وبدعائهم ثم ذكر
فكيف هذا وقد جاء المدح من الله عز وجل لنوح وموسى وهرون في دعائهم ذلك وهو الذي
لا ينطق عن الهوى كيف لا وانما اساق جل جلاله ذكر ذلك عن نوح وموسى وهرون
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في معرض المدح لهم وكرضى بما فعلوه من ذلك وقد قال موسى
لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ففي هذا ان عدوهم فرعون
واتباعه يهلكهم الله وهم عدو له وللمؤمنين وقوله جل قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض الى قوله جل قوله ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال
لهما انتما ومن اتبعكما الغالبون ثم اذن لهما في الدعاء عليهم لا الشفاعة فيما اذن الله جل ذكره
في فعله وقال لغيرهم قائل واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا المعنى فقص عنده ورسوله عليه السلام فيما قدره
ان يتمه فصل انه لا يؤهل للشفاعة في عباد الله في الاخرة الا من دعا لهم ونصحهم
في الدنيا ومن دعا عليهم منع ذلك لا سيما الشفاعة العليا ولا يستحق درجة الوسيلة العظمى الا
من وسع بين الله وبين عباده في الدنيا واصلح بينهم وعدل فيهم ونصح ودعا لهم دل على ذلك
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللعانون لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة ورجم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماعزا ثم لم يصل عليه وابقى ذلك في امته سنة فلا يصلي الامام على من قتل
في حد من حدود الله اية على هذا المعنى وتنبيها على حكمة الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في ماعز لقد تاب توبة لو قسمت على اهل المدينة لكفتهم وفي اخرى انه لينغمس في
انهار الجنة ومع هذا فقد ترك الشفاعة في الدنيا والصلوة عليه لاجل انه قتل في حد
من حدود الله والى هذا ففي قول الله جل ثناؤه لموسى وهرون عليهما السلام قد اجيبت
دعوتكما فاستقيما على سبيل اولي العزم من الرسل ولا تستعجلا بالعذاب على احد ولا تتبعان

سبيل الذين لا يعلمون وقرأها الضحاك دعواتكما بالجمع وابو عبد الرحمن قرأ بذلك وفيه
تعريض بالتوصية لهما بما تقدم قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم
فرعون وجنوده بغيا وعدوا ابصر العين وكبر ومنقلبه حتى اذا ادركه الغرق قال امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين يقول الله جل من قائل الان وقد عصيت
قبل كقوله اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون اي الان امنتم به حين لا ينفعكم
الايمان عند وقوع العذاب بكم وقد كنتم حال المهل والفسحة بالعذاب تستعجلون او يكون قوله لما
لم يستطع اظهار الاسم فيقول امنت انه لا اله الا الله بل قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به
بنو اسرائيل وذلك يدل على ضغن وعداوة عنده مستحكمة لفؤاده فكان لعدم المحبة ووجود
الضغن لا يحتمل ذكره وحال الضرورة لم يترك الكبر فذلك الذي منع لسانه من التفوه
بذكره جل ذكره فاستمر على العادة من مقتضى حالته المعهودة فمعنى قول الله جل
ثناؤه والان اي في حالك هذا لا يحتمل ذكري ولا يفوه باسمي وقد عصيت قبل اي قبل
انك اضفت الى حالتك تلك هذه كما يقول القائل كيدا وانت في الحديد وقد عصيت قبل
وكنت من المفسدين فلو كنت قبل على غير ذلك لاحتمل ذلك منك وخرجت كلمتك هذه على معهود
ايمانك وصحيح وذلك لكنه قالها على حاله وعلى ما كان عليه من رؤية العذاب ومن سنة الله
جل ذكره في عباده انهم متى راوا العذاب لا تقبل توبتهم اذ قد ردوا عليه جرمهم واعرضوا عن
تذكيره اياهم وكذبوا رسله اليهم فحكمه ان يطبع على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
فيؤمنوا فلا ينفعهم اذ ذاك ايمانهم واكثر الامم سوى فرعون انما دعواهم التلاوم وكقولهم
يا ويلنا انا كنا ظالمين ونحو هذا من القول ولما قصد فرعون الى الكلمة وتكلم بها على علاتها منه
لم ينفعها له وقد كادت ان تنفعه لولا ما سبق لاظهر ذلك قول جبريل صلوات الله وسلامه عليه
جاء عنه والله اعلم انه قال لو رايتني وانا احدحم البحر واملأ به فاه خشية ان تدركه رحمة
الله فسبحان الله والحمد لله ما اوفاه بعهده ما فعل ذلك جبريل صلى الله عليه وسلم الا بامر ربه جل
جلاله واحرمه رحمته الا بعد له وبما سبق له في علمه انه عامله بقوله جل ثناؤه فاليوم ننجيك
ببدنك لو كانت شهادته تلك في وقتها وعلى حقيقتها من صفة المعرفة وحسن النية وصحيح
الهوية من قرارة نفسه لانجاته من عذابه ولما كانت في غير وقتها وعلى علاتها نجاه ببدنه فقط
ليجعله لنا اية على ان الشهادة بهذه الكلمة المباركة في غاية التعلق عنده فانظر اليها كانت شهادة
ميتة نجاه بها ميتا ولو كانت حية لنجاه حيا لا جعلنا الله عن اياته من الغافلين لذلك وهو اعلم
قال وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اي اياتنا في فضيلة شهادة ان لا اله الا الله على
الخصوص والعموم على كل اية قوله تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم
من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم بغيا بينهم ينبغي ان يستشعر العبد خشية الله جل ذكره
مع العلم اكثر من المحافظة على ذلك مع الخلق من بعض العلم فانه ما هلك من كان قبلنا الا من بعد
العلم وعندنا هي الامور سدوا بقصها رجوعا الى اولها قوله عز وجل وان كنت
في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك لم يوهل صلى الله عليه وسلم لشكه
تقدح في اصل الايمان بما انزل اليه وانما ياتي الوحي الى النبي والرسول عليه السلام مفروغا منه لما

بيقينه معه ويقين كل امرئ على قدر منزلته وشكره هو على ذلك رفيق وهو ارفع قدرا
في تثبيت العلم من يقين احدنا وانما يسمى شكا لنزوله عن درجة يقينه هو والا فهو العلم وانما
يخاطب كل امرئ على درجته وقوله جل قوله فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لم يرد اليهود
والنصارى انما اراد الانبياء والرسل عليهم السلام من عند الله ليس تروا به ثمنا قليلا وبانهم
يلوون السنتهم بالكتاب ليحسبوه من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله
الكذب وهم يعلمون ويقوى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا
امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وانما امره جل جلاله ان يسال الرسل والانبياء قبله بان
ينظر لما بلغوه قومهم وما امروهم به عن ربهم عز وجل ولذلك قال جل قوله واسال من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقال جل قوله قل يا محمد هاتوا برهانكم
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي الى قوله جل قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
لا اله الا انا فاعبدون هذا معنى الاية ومعنى ما جاؤا به لذلك ختم الاية بقوله الحق لقد جاءك الحق من ربك
فلا تكونن من الممترين **قوله** عز وجل ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم
كل اية حتى يروا العذاب الاليم سبق لهم من الله جل ذكره ان يكونوا ممن قال فيهم هؤلاء للنار
وبعمل اهل النار يعملون نعوذ بالله من شر ما سبق لم يكن منه ايمان ابدا حتى يعاين العذاب فحينئذ
يؤمن ثم لا ينفعه ايمانه ولو انه امن فيما قبل ذلك لم يرتد بعد ايمانه فان ذلك من مقتضى قوله
وبعمل اهل النار يعملون كما قال عز من قائل ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون **قوله** تعالى
فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها قال لولا بمعنى هلا وقيل ايضا انها بمعنى لم وقراها الى
فهلا كانت نفعل وهو اعلم علينا وقيل فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها اي حين ينفعها
ايمانها وانما هي ثلثة احيان وقت مجيء الرسل فالمسارعة اليه هي السبق وهم السابقون والحين
الثاني هو حين يؤخذون بالباساء والضراء كما قال عز من قائل وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء ففي هذا الاجل الثاني ان امنوا نفعهم ايمانهم وقلما تو
احد على ذلك لان عقوبة الاعراض قد حاقت بهم وهو طبع يقول جل قوله فلو كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها وهنا محذوف يعتمد عليه الاستثناء في قوله جل قوله الا قوم يونس اي فلم يكن تلك
القرية الا قوم يونس فانهم امنوا بعد الاعراض والتكذيب حين نالتهم الباساء والضراء فنفعهم
عند ذلك الايمان وكثير ما يمنعون التوبة بعد الاعراض والتكذيب يقول فلم يكن من يوفق للتوبة
الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الهلاك في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين
واما الايمان حين نزول العذاب ومعاينة اعلام الاخرة فالحين المجحود دون القبول والمردود
دون العتبى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك
الكافرون وقد ذكر اهل التفسير ايمان هؤلاء وتضرعهم وكيف تداركهم الله ويمكن ان يكون
الحق فيما قالوه ما خلا ما ذكروه من ان ذلك عند المعاينة للعذاب المهلك وهذا فليس بعلم الخطا
ولا الوجود الذي هو سنن سنة الله في عباده **قوله** عز وجل قل انظروا ماذا في السموات
والارض اي من اية وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون كل ما في الارض والسماء

من جماد ونبات وحيوان وانس وجان ورياح وسحاب وماء وافلاك ونجوم وليل
ونهار وخلق وامر يشهد بفطرته ويعرب عما جعل عليه اية لكنها امرتان لا تؤدي شهادتها
الا عند من امن بها وعند من استشهدها ولا تكلم الا من جاورها وقدم الايمان قبل
نظره فيها وتصديقها عن ربها قبل تكليمه اياها لذلك وهو اعلم قال جل قوله وما تغني
الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون وكذلك لو ساروا في الارض واستمعوا لسان الديار
فيها فيرون الديار العافية والمساكن الخالية اثار القرون الخالية والامم الماضية كيف
اهلكوا دونها واخرجوا منها لبعث انفسهم واعلنتهم بما الى اليه امرهم ولو وفقوا بالفهم
السليم على الحقيقة بقول الله جل ثناؤه اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء
اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون لذلك وهو اعلم اعقب ما تقدم
بقوله جل قوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل يا محمد لهؤلاء وانتظروا
ان ينزل بكم مثل ما نزل بهم اني معكم من المنتظرين كل مثلين فان كل واحد منهما يحل به ما حل
بصاحبه ويجوز عليه ما جاز عليه من حيث تماثلا تقاربا وتباعدا ثم ننجي رسلنا والذين امنوا
هذا هو وعد الله الحق وانما استحق الصالح اذ ينال في بعض المواطن ما نال الطالح من اجل كونه
مع اهل الفسق ومقامه في محلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورد ممرض على مصح
وقال فر من المجذوم فرارك من الاسد وقال الله جل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون موردا واحدا ويصدرون
مصادر شتى وفي اخرى يحشرون على نياتهم وتمام هذه الكلمة قوله تعالى كذلك حقا
علينا ننجي المؤمنين اي في احكام المعية لذلك وهو اعلم ادخل كاف التشبيه والتشبيه هو
حكم الاخرة ولما بينه قال كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين وموجود الدنيا ايات على موجود الاخرة

سورة هود عليه السلام مكية وفيها من المنسوخ اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** جل قوله الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت
من لدن حكيم خبير لفظة لدن تدل على خاص من الخاصة والعلم الذي هو العلم الخاص قال الله عز
وجل فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا يريد وهو علم النبوة وعلمناه من لدنا
علما فوصف من العلم الذي اتاه فاذا هو خارج عن طاقة البشر والمعهود من علم النبوة وقال
في اهل مكة اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا وانما ذلك عن كلمة
الله جل ذكره في ذلك تصديقا لدعوة ابراهيم عليه السلام في قوله فاجعل افئدة من الناس
تهوي اليهم اي يجلب الارزاق والحج وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون مصداقا
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج يهدم ما كان قبله **قوله** عز وجل الا تعبدوا
الا الله انني لكم منه نذير وبشير الى قوله وهو على كل شيء قدير هذا القران العزيز يمين الفصول
وهي سبعة فصول اولها اسم الالهية واخرها مقتضى اسم شديد العقاب واليم الاخذ وغيره
هذا واسم الالهية يجمع الجميع ثم يفصل السبعة الفصول الى مائة وقد مضى ذكر هذا
وانها على عدد اسماء الله جل ذكره التسعة والتسعين تمام المائة اسمه المزيد وهو ما
يعلم ثناه وجاء ان الجنة مائة اقليم وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة

درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والارض اعدهن للمجاهدين في سبيله **فصل**
الذي تقوم عليه ما جاء من فحوى القرآن العزيز من مفهوم هذه الحروف المعجمة في اوائل
السور انها عن كتاب وكتب منزلة عن حروف ام الكتاب وفيه هذه واسطة بين حروف
هذا القرآن وبين ام الكتاب في اية عليها اخبر بذلك القرآن العزيز نصا وتعريضا فانه كما انزل
الله عز وجل هذه الكتب التي هي التورية والانجيل والزبور والقرآن الى الارض فلا
ينبغي ايضا ان ينكر ان الله جل ذكره انزل ايضا كتبا الى حيث شاء من العلو بحسب
الحكمة له في ذلك مع ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب على نفسه
كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي سنة انزل الله منها ايتين ختم بهما سورة البقرة
وجاء عنه ايضا انه قال له الملك عليهما السلام ان الله نزل عليك قرآنا من كنز تحت العرش
والحديث الذي يذكر فيه ان ملكا نزل عليه من السماء لم ينزل قط قبل ذلك اليوم فقال ابشر
يا محمد بايات انزلت عليك من تحت العرش لن يقرأ بواحدة منهن الا اوتيتها ام الكتاب
وخواتم سورة البقرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جل وعز يوم استوى على العرش
كتب على نفسه كتابا هو عنده على العرش فيه ان رحمتي سبقت غضبي وقال الله جل قوله واذا
جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا
بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم فاخبر بصدقه جل جلاله انه كتب على نفسه
الرحمة وجاء ان هذا القرآن انزل ليلة القدر الى بيت العزة في السماء الدنيا فربما كانت
حروفه فيما هنالك هذه الحروف ثم نزلت عن ذلك تنزيلا تنزيلا الى حروفنا هذه والله
اعلم اذ ليس من الواجب في الوجود ان يكون ذلك القرآن فيما هنالك بلسان العرب فبهذا
البلاغ ونحوه تفرد عند من لقن الخطاب ان الله جل ذكره كتبا سوى هذا الكتاب وسمى
ام الكتاب وام الكتاب ام هذه الكتب كلها اي امامها عنه فصلت ومنه نزلت لكل
كتاب حرف فاستوت كلها في انها منبئة عن المراد بها وان ما هو اقرب من ام الكتاب هو اعلى
في العلو واسمى في صفة الاحكام كما قال عز من قائل وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وكل
كتاب مفصل مما فوقه مفصل منه ما دونه كما قال عز من قائل حم تنزيل من الرحمن الرحيم هذا
في وصف الحروف المعجمة ثم قال جل قوله كتاب فصلت اياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون
فقوله جل قوله الر كتاب احكمت اياته اي اثبتت فهذا اقرب مما فصل اليه وهو الا تعبدوا
الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا
الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى
قوله قدير فقول القائل امنت بالله وبما انزل من كتاب منا والايمان بكل كتاب انزل ونزل
علوا او الى اهل الارض كما ان قول القائل امنت بالله وبما ارسل من رسول منا والايمان
بكل رسول ورسالة من الجن والانس والملائكة ويأتي على ذلك بحكم العموم شهادة العبد بانه
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولكن بلبث العلم يرتقي في درجات اليقين ان شاء الله وبه
تتم الصالحات وتنال البركات واستظهر على ما تقدم ذكره بمفهوم قوله جل من قائل الر
تلك ايات الكتاب الحكيم والكتاب جمع ثم قال جل قوله والذي انزل اليك من ربك الحق

ولكن

ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وانه من نفس الكتاب المبين قول الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها الى قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قال الله جل قوله للقلم
اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة وهذا موجود الكتاب المكتوب بذلك
قال جل قوله لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الى اخر المعنى حيث وقع **فصل**
وكذلك الوحي وحيان وحي يوحى الى الرسول عليه السلام بان ينزل الملك عليهم بالامر ووحي من عند
الله جل ذكره الى سر قلب الرسول صلى الله عليه وسلم يوحي اليه به ما شاء قال الله عز وجل ينزل
الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقال
جل قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشاء انه علي حكيم ثم قال جل قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فهذا روح ينزله جل جلاله على قلبه
يفهم النبي صلى الله عليه وسلم الوحي ولكنا به وبه يلقى الاشياء وخطاب الملك عن الله جل ذكره
ثم قد يهب الله جل ذكره من ذلك ما يشاء ايضا بخصوص من عباده سوى النبي صلى الله عليه وسلم فيجعل في
قلبه روحا به يكون من الايمان على اليقين ثم به يفهم الخطاب ثم سر المراد ويلقن ايات الكتاب كل
في منزلته على حفظ رسول الله جل ذكره في عباده في التبليغ عنه ومعرفة مجمل تفصيل الامر
والنهي وتفصيله لولا ذلك لم يعقد منزلة النبي من ليس بنبي فكان لا يصح له بايمان ولا علم
ثم كذلك في سبيل المعرفة الالهية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم **فصل** لما كان العلماء
ورثة الانبياء والرسل عليهم السلام في موضع الوصل بين العامة من المؤمنين والمسلمين وبين
الانبياء والرسل عليهم السلام وان الايمان يجب بوجودهم ولزوم اتباعهم في منزلة هي تلو منزلة
وجود الايمان بالنبيين والمرسلين فانهم القادة والسادة **فصل** لما اعترضنا ذكر القادة
وعجبنا التنبيه عليهم ثم ترجع بنا الكلام الى ما كنا فيه وبما يؤيد على تعريف ما كنا بسبيله في القرآن
قوله عز وجل حم عسق • كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الى قوله جل قوله الغفور
الرحيم الى قوله جل قوله وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها
وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه وقرئ هذا الحرف كذلك يوحى اليك بفتح الحاء على بناء مفعول لم يسم فاعله
ليكون قوله جل قوله الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض الى قوله جل قوله الغفور الرحيم
من مفهوم ما اوحي اليه والى الذين من قبله ويؤيد هذا قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا الى اخر المعنى
قوله عز وجل الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه اي يصرون ويخفون ما في صدورهم من بغض
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقامة على كفرهم فيستخفوا من الله جل ذكره بذلك يظهرون له الود
والايمان وبواطنهم على ما يعلمه الله من نفاقهم وخلافهم وانه عليم بذات الصدور كما قال جل
قوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون **قوله** جل قوله وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين اعلم جل ذكره
ان كل دابة في الارض على الله رزقها ضمانا منه وهو العلي الوفي وكما هو رازقها هو خالقها

ومدبرها وهو العالم بها في مستودعاتها ومستقراتها في البطون والاصلاب واسبابا
اكوانها وسبل مسالكها في خزائن الارض والسموات وجميع موادخلها ومال امورها
اخبر جل ذكره في هذا الخطاب عن علمه وقدرته واحاطته ووحدانيته الى غير ذلك من صفاته
كما اعلم جل وتعالى بما يفصل الينا الكتاب المبين من القران العزيز اتبع ذلك بذكره ووصفه
بما هو اهله وهذا من فضل الالهية وصفاتها وهو القران العظيم واخبر جل ذكره في اية
الانعام بقوله جل قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم زائد
على ما في اخباره عن هذه عن سبيل مسالك اسمه المرسل والمباعث ومدارج التفضل
بالتخصيص ومضاء مشيته والاعادة بعد البداية قوله تعالى وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا قد تقدم تفسير ستة الايام
والله سبحانه المزيد اسمه تلك هذه الستة الايام الزمانية والتي الجامع لها يوم الجمعة كني عنه
باستوائه على العرش فهذه الايام ههنا من الزمان والخلق هي ايات على ذلك في الدهر
هذا في اختلاف الليل والنهار فيما ههنا واما فيما دون سماء الدنيا وهو موضع جريان
الامر فايات ذلك هي الكواكب السيارة السبعة الشمس والقمر والزهرة وعطارد وهو الكاتب وزحل
والمشتري والمريخ قال الله عز وجل والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقال جل قوله فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس لكل واحد من هذه الكواكب يوم من هذه الايام فهذه من عالم الامر
ايات على تلك الايام في الدهر وذكر عدة الايام ههنا تعريضا بحلول الاجال وقطع الامداد
وجعل ذلك علما واية على انقراض عمر الدنيا وحلول اليوم الاخر كحلول الغد بعد اليوم والشهر
بعد انصرام الشهر والسنة بعد انصرام السنة واما التي ذكر في سورة الملك في قوله جل قوله تبارك
الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحيوة فهذا بما تقدم ذكره من
الاعلام لقطع الامداد وحلول الاجال ثم قال وقوله الحق الذي خلق سبع سموات طباقا
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت الى اخر معنى فهو من باب تعليم العلم كما قال جل قوله في اخر سورة
النساء الطلاق خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا تعريض جل ذكره
بالاعادة بعد البداية والاحياء بعد الاماتة ونص على التكليف بالامر والنهي جاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اين كان ربنا يا رسول الله قبل ان يخلق خلقه قال في عماء ما تحته
هواء وما فوقه هواء واعلم صلوات الله وسلامه عليه بحديثه هذا ان العماء للعرش بمنزلة الماء
ويابن من مفهوم هذا ان الله تعالى خلق الماء من الهواء كذلك فتق بالهواء فيما شاء مما هو العرش
رتق الماء ثم اوجد في ذلك الفتق ما شاء من خلقه اية ذلك في الشاهد خلقه الماء في الهواء
بواسطة الرياح المرسلة بامره الدالة على الروح منه فصل جل في الكتاب الذي يذكر انه
التورية في السفر الاول منه قال ان الله خلق السماء والارض وكانت الارض خربة خاوية والظلمة
تعلو على الهواء وروح الله تهب على الماء فقال الله عز وجل سيكون النور واعجب الله النور
وميزه من الظلمة وسمى النور نهارا والظلمة ليلا وصار النهار والليل يوما واحدا وقال
الله عز وجل سيكون السد وسط الماء لينعزل بعض الماء من بعض فخلق الله السد وعزل الماء

التي كانت تحت السد من التي كانت فوق وسمى السماء حجابا وصار الليل والنهار يوما ثانيا
ثم قال الله جل من قائل يجتمع المياه التي تحت السماء في موضع واحد ليظهر الارض فكان ذلك
وسمى الارض ترابا وجمع الماء بحارا واستحسن الله امره وقال تنبت الارض عشبا اخضر
ياتي ببذر يعني كل واحد على قدره وشجرة مثمرة ياتي بثمرها على جنسها يكون غرسها منها
في الارض وكان ذلك وانبتت الارض عشبا اخضر كل واحد على جنسها وانبتت شجرا بثمارها
على قدر اجناسها فاعجب الله ذلك وكمل النهار بالليل يوم ثالث وقال الله عز وجل
سيكون السراج في السماء لتحرك النهار من الليل ويكونوا علما يهتدى بها الى الازمنة و
الايام والسنين ولينير في الحجاب ويضيء على الارض فكان ذلك وخلق الله سراجين عظيمين
جعل اعظمهما سراج النهار والاصغر سراج الليل مع النجوم واثبتها في الحجاب ليضيء على الارض
من سنها النور من الظلمة واستحسن الله ذلك وكمل بالنهار والليل اليوم الرابع ثم قال
جل يخلق في الماء الحيتان بانفسها والطيور التي في الهواء فخلق الله دواب الحوت وكل نفس متبدلة
من المياه واجناسها واعجب الله ذلك وبارك عليها وقال اظهروا واكثروا واحشوا ماء
البحر وقال للطيور اكثروا على الارض فكمل بالنهار والليل يوم خامس ثم قال عز وجل يخلق
من الارض انفس حية في جنسها وبهائم وحشائش وسباع الارض على انواعها فتم ذلك وخلق
الله سباع الارض على انواع شتى وحشائش الارض على اجناسها واستحسن الله امره وقال اخلق
لنا انسانا على شبهنا ومثالنا ليشرف على حيتان البحر وطيور الهواء وجميع دواب الارض
وحشائشها فخلق الله انسانا على صورته ومثاله ذكرا وانثى وبارك الله عليهما وقال اكثروا
ملأ الارض واحشواها واملكا حيتان البحر وطيور الهواء وكلما يتحرك من ذوي الانفس
على الارض وقال الله عز وجل لهما قد احللت لكما ما انبتت الارض من بقولها وعشبها وذرو
وكل شجرة مثمرة في اجناسها لتاكلا منها وتقتاتانها ويقتات معكما منها كل ذي نفس من بهائم
الارض وطيور الهواء وكل ما يتحرك من الثرى ممن فيه روح ويصلح طعاما فكان ذلك فاكمل
الله سبحانه وله الحمد جميع قوله وكان اجمع صالحا جدا وكمل بالنهار والليل يوم سادس و
استكمل الله عز وجل خلق السموات والارض وجمع زينتها واتم الله عز وجل في اليوم
السادس ما كان خلق وامسكه لانه فيه كان وامسك فيه عما قد كان خلق وبارك
الله على اليوم السابع وقدسه لانه فيه كان امسك عما قد كان خلق في اليوم الذي خلق
الله السبت السماء والارض وجميع شجر الارض قبل ان تنبت الارض وقبل ان تنمي
بعشبها ولم يكن امطر الله الى الارض ولا كان بها ادمي يعمرها ولكنها كانت تسقيها عين
يخرج منها فصور انسانا من حما الطين وانفخ في وجهه نفس الحيوة فصار انسانا نفسا حية
تنبيه في هذا الحديث قوله اخلق لي انسانا على شبهنا ومثالنا والقران هو المصدق
لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه والله يقول الحق وقوله الحق ليس كمثله شيء وقال جل قوله ولم يكن
له كفوا احد وفيه ايضا وبارك الله على اليوم السابع وامسك لانه كان امسك عما قد خلق
يعنون بذلك يوم السبت وهو يومهم الذي كتبه الله لهم وسر له جل وعلا عليه ليس بفضل فضله يوم الجمعة
فانه اليوم السابع على الحقيقة واول ابتداء الخلق في معتقدهم هو يوم الاحد لذلك كان عندهم

يوم السبت الى يوم الجمعة وانما اول الابد يوم السبت فيه خلق التربة وهي جملة الارضين كما فيه خلق
جملة السموات دخانا ثم استوى الى السماء وهي دخان والى الارض وهي تربة فقال لهما
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات وفصل الارض
بعضها من بعض في اليوم الثاني يوم الاحد وفيه خلق الجبال ونصبها على الارض وسائر
ما ذكرناه في هذا الحديث فترتيب الموافقة غير مدافع لما هو عندنا والله اعلم **قوله**
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين هذا منتظم بما قبله من ذكر خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يقول لهم يشاهدون اختلاف الليل والنهار وخلق الاجال وقطع مدد الاماد
وتداور دوائر الافلاك عودا بعد بدء فلا يهتدون الى معرفة احيائنا اياهم بعد الموت
كما احييناهم في هذه بعد ان كانوا امواتا قبل هذا فلا نظروا فيها وفيما يمر عليهم
من اختلاف الليل والنهار والشهور والسنين سبحانه وله الحمد خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوى على العرش كل ذلك منطوية الاسلام لله جل ذكره في الاذعان له والقنوت اليه والايمان
بالرسل والانبياء والاسلام لله في الطاعة لهم فيما بلغوه عنه لينظر عباده في طاعة السموات
والارض وما بين ذلك وينوب ذلك على امر جل جلاله فيقتفون اثارها ويحذون حذوهم
وفطرتهم شرعتها في فطرتها هذه الاية في اول هذه السورة المقصود الاول بها العمل وقد تقدم
ان الاية التي في اخر سورة النساء الفصل المقصود الاول بها العلم فلزم وجوب العلم والعمل
في بدو الامر معا على سنن الفطرة اسمع ذلك قوله جل ثناؤه ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين قال هذا اعظاما لقولهم وتعجبا من
صرفهم وتافيكهم وبعدهم عن الصواب فلا يرون ان الله يخلق الماء من الهواء ثم يطيره
الى الهواء ثم يعيده الى الماء اذا شاء افلا يرون الارض يكون ممحلة مجدبة فينزل
الله الماء من السماء فيشاهدونها عن ذلك مربعة مخضرة ثم يعرونها ممحلة ثم ينزل الله
عليها الماء من السماء فيعيدها الى حياتها وخضرتها هكذا فهم مع هذه النباتات
اذا قلت لهم انكم مبعوثون من بعد الموت كذبوا وكفروا بما علموه من الحق وقرأ عيسى بن عمر
ولئن قلت بضم التاء **قوله** عز وجل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
ليقولن ما يحبسه الامة الاجل والسنون قال الله عز وجل وادكر بعد امة اي بعد سنين
ليقولن ما يحبسه كقولهم ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين هذا كله تعجب من جهلهم
وعتوهم وعماهم كيف يكذبون بما قد احاط بهم او لا يرون ان نفس جهنم بما فيها من سعير
وزمهرير يختلفان عليهم واحر ومساء وبكورا وظهيرة في ذلك يتقلبون ومع ذلك نفخ
من رحمة يعيشون افلا يعقلون **قوله** عز وجل ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات يعني على ما يزعمون وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله
جل قوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا قال عز من قائل فان لم يستجيبوا لكم اى لم يعاونكم اياهم الى التحدي
والمظاهرة على الاتيان بمثله فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم

مسلمون جعل هنا علة الاعجاز ما فيه من الاخبار عن الغيوب كذكره القصص المتقدمة
والانباء الماضية واهلاك القرون والاحزاب في ذوي الممالك والاجناد وكاخباره عما يكون
الى يوم القيمة وما هو كائن بعد ذلك على لسان رجل لم يقرأ الكتب ولا عرف بدراسة العلم ولا باختلاف
ومجالستهم وفي علمهم بانه انما هو يعلم الله الشاهد له بالنبوة والاقرار بانه رسول من رب العالمين
اليهم وفي ذلك معرفة التوحيد والاقرار لله بانه لا اله الا هو وكشهادة بها تتم معا
هو الاسلام فلذلك قال فهل انتم مسلمون **قوله** تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اي نوف اليهم اعمالهم اي الاعمال التي تشبه البر من اطعام
طعام وقول حسن واحسان المخلوق مجازونهم في ارزاق وعوافي ونحو ذلك ولا يبخسون
من اعمالهم شيئا وفي هذا من زيادة التبيين ان الله جل وعز اذا جازى الكافر على اعماله المشبهة اعمال
البر ولم يبخسه منها شيئا فكيف باعمال المؤمن فالجد الجد وقال جل قوله في موضع اخر من كتابه العزيز
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها اي من الدنيا وما له
في الاخرة من نصيب ثم بين في سورة سبحان في قوله جل قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا ثم اعقب ذلك بقوله كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك معطي هؤلاء ما نشاء وهؤلاء ما نشاء ولا يمنع كلا ما يليق به لتقديره هذا
هو حكمه في عدله الاول الذي استاثر به في حكم اسم الالهية ثم تبين بفحوى هذا الخطاب على حكم العدل
الثاني بمقتضى اسم المجازي والمبتلي مع اسم الرحمن الرحيم ان العبد وارادته احد الدارين عليها
يجري بهذا العبد الحكم في رزق واجل فيحمله بذلك من عدوه او من حزبه وما بين ذلك الا بنيته
وارادته ثم تنقلب حركاته الى الطاعة او الى المعصية بانقلاب نيته من ايمان وكفر او طاعة
او عصيان لذلك وهو اعلم اعقب بقوله الحق جل قوله وما كان عطاء ربك محظورا اتبع ذلك
قوله جل قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها اي في الاخرة
وباطل ما كانوا يعملون وعيد شديد لمريد الدنيا **قوله** افمن كان على بينة من ربه
محمد صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه قبل جبريل وقبل القران اي من ربه بالقران والوحي
والنبوة شاهد هذا قوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وكونه على بينة
من ربه معرفته بما خلق الله السموات والارض من حق ثم من بعد هذا يصعد الى درجة من المعرفة
رفيعة الذروة علية المنتهى سهلة المرتقى لمن لم يعرفه باثاره واسمائه فلم يعرفه الا بالاسماء والصفات
وانما يعرف هذه المعرفة من اختصه لنفسه فمن بلغها فليسأل الله عز وجل التولي انه قريب مجيب وتحمل
ان يكون مرجعا على العبد وهو الاسم الذي في قوله افمن قال اولئك يؤمنون به من اتصل
علم الفطرة بهداية الشرعة وشاهد الكتاب ببينات الوجود كان من اهل التحقيق ان شاء الله
وكشيئين متقاربين بعد احدهما يقتضي الى الاخر وان اختلفت على السالكين اليهما البداية ومدح
الله جل ذكره سالكي السبيلين بقوله جل قوله اولئك يؤمنون به ومن يكفر به اي بالقران ثم بالرسل
من الاحزاب يعني من سائر الامم فالنار موعده فلا تك في مرية منه يمكن ان يكون المراد القران
كما قال جل وان كنت في شك مما انزلنا اليك ويمكن ان يكون المراد الامر كله الايمان بالله

والوحي وبانه من لم يجب وكفره فالنار موعده ومن آمن وعمل صالحا فالجنة موعده اتبع ذلك قوله الحق فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك **قوله** تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا انتظم هذا بما قبله من قوله جل قوله ام يقولون افتراه فاتوا بعشر سور مثله مفتريات اولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله سبيله عز وجل دين الاسلام على ذلك ابتنى السموات ودحا الارضين وادار الدوائر واجرى الشمس والقمر والنجوم وعلى ذلك اوقع اختلاف الليل والنهار والساعات والاحايين والشهور والسنين اجرى ذلك في كل ما تصف بالخلق واحاط به الامر مجرى الماء في العود واسلكه من الجملة مسلك الروح في الجسد فافهم وسبيله عز وجل هو الحق وقد تقدم ذكره والعبادات كلها الى الاسلام يومي واليه ينتهي وهو الصراط المستقيم والصراط السوي ونعوجها ان يلحدوا في الربوبية والتوحيد والالاء كلها وفي الهداية والنبوة وفيما جاءت به **قوله** جل ثناؤه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله الاية وفي قوله جل قوله ولقد لتعطف في القصص الى نوح على رسالة محمد صلوات الله وسلامه عليهما نحو ما تقدم في صدر هذه السورة من ذكره لشانه كقوله الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير الى قوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين الى قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا هكذا الى قوله افلا تذكرون ثم جعل جل جلاله سرد قصصا على قصص منذرا من عصاه بعذابه ومبشرا من اطاعه وقبل امره وصدق رسوله بثوابه فيقول جل من قائل والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى والى مدين اخاهم شعيبا ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه وتعريكا نبأ عن رسله من رسل اليهم بالتكذيب والمخالفة فعبر عز وجل باهلاكه اياهم ويوجب بذلك النداء عليهم بالابعاد واللعن في الدنيا والاخرة كما قال جل قوله ويلعنهم اللاعنون كذلك قال جل ذكره ثم ارسلنا رسلنا تترى كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون كل ذلك اخبار منه عز وجل عن حقيقة وحدانيته وبراهين انبيائه وصدق رسله وانجازه وعده من امن به واطاعه وانفاذ وعيده على من كفره وكذب رسله **قوله** تساوت دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم الى الله عز وجل فيما هو التوحيد وطاعة من ارسل اليهم واتفق تكذيب المكذبين كذلك فكانت الدعوة واحدة في الاصل وان اختلفت الفروع التي تفرعت اليها وعلى ذلك كان تكذيب المكذبين في الاصل الذي استحقوا به دخول النار وحرمان الرضوان وان اختلفت فروع ضلالاتهم قال الله جل من قائل كذلك ما ارسلنا قبلك من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به كما اختلفت صلواتهم لتفرقهم في مختلف سبل ضلالاتهم قال الله جل قوله وكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وكان نوح صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين والمرسلين اول رسول الى اهل الارض وكان مثلا لهم وقومه مثلا للامم سواهم الا من عصمه الله الا ترى ان رؤساء المحشر وسادات الامم يوم القيمة

حين

حين يمشون في تطلب من يشفع لهم اولا من يأتون نوحا عليه السلام فيقولون انت اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فطلبوا منه ان يشفع لهم بانه كان اول بان سماه الله عبدا شكورا تذكيرا منه اياه بمنزلته عنده الله جل ذكره واهلك قومه بالماء لما تكبروا وطغوا في الظلم قال الله عز وجل وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى وانجاه الله ومن معه في الفلك والفلك في التاويل نجاة والماء وان اضر فعاقبته الى خير وبركة فكان ذلك للذين امنوا المنجين من ضرهم قال الله عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ثم قال جل قوله فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى فكل من كفر بالرسل وبنوح خاصة ففي تاويل هذا المثل بمثابة الزبد الطافي على الماء اذهبهم الله عز وجل بعذابه وكان المؤمنون بمنزلة ما ينفع الناس من الماء اسبته في الارض على ذلك حال المؤمنين والكافرين بعد وقال جل قوله ونزلنا من السماء ماء مباركا وقال عز من قائل فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية يريد جل وعز وهو اعلم على انا ننجي من امن ونهلك من كفر وهو ايضا اية على احكام الاخرة من نجاه من امن بالله ورسله وهلاك من كفر وقال الله عز وجل وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة وهي اية على ما تقدم من ذكر خلافهم وما اهلكوا به من ذنوبهم قال الله عز وجل انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية لما طغوا على الله ورسله طغا الماء عليهم فاهلكوا وامتن على المؤمنين ان نجاهم من عذابه في الفلك قال الله عز وجل لنجعلها لكم تذكرة يريد الجارية التي هي الفلك وفيها ايضا موعظة لمن سلك سبيلهم من الكفرة لو نفعت الموعظة وتذكر لمن امن واتقى **قوله** تعالى قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كان صلى الله عليه وسلم بحيث وضعه الله من الخلق العظيم حلما وعلما ونبلا وامانة وصدقا ونحو هذا فكانوا يوهلونه لمراتبهم ويرجونه لامورهم ولما اتم الله عز وجل عليه نعمته بالنبوة والرسالة وقام فيهم بالتبليغ والنذارة وقالوا له يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا الاية المعنى الى اخره وفي هذا من العبرة ان الصدق والامانة والحلم والعلم والاخلاق الحسنة اصل للنال الدنيا والاخرة **عبرة** قال الله عز وجل واية لهم يعني العرب وكفار الامم انا حملنا ذريتهم يعني نوحا ومن كان معه في الفلك المشحون فكانت اية منه على اقتداره وعلى اخراج الاخرين على سواء مما سبق به العلم المحيط والمشية الغالبة وكما حملهم في الفلك يومئذ حين لم يكونوا بل كانوا بوصف العدم او على الاضافة الى معلوم من سواه جل ذكره فاولى دون واحرى بالجواز حملهم على امنا لهم طول مدة البرزخ وكما نجا نوحا صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين في ظهور من الهلاك بالطوفان ومن جميع ما حاق باهل الكفر واعداء الله ورسوله من سبال وضرب مقامع وخزي وعذاب هون قد اصبحوا فيما هنالك قال الله جل قوله في وصف حال النجاة اياهم وهي تجري بهم في موج كالجبال وقال جل قوله انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية ثم ذكر جل ذكره موضع العبرة مذكرا بها فقال جل قوله لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فكذلك ينجيهم الله عز وجل من عذاب البرزخ ومن اشد العذاب الهون الاكبر بعد البعث من طوفان جهنم ونجاة النيران تطير بهم اعمالهم ومراكبهم حين

اكتسبوها في الدنيا من اوصاف اعمالهم وتعبر بهم الى مواطن النجاة لذلك الا نشاة
بقوله جل قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اية ذلك انه حملهم عز جلاله في الدنيا على
مراكب خلقها لهم في البحر وفي البر وفي الارض كما قال عز من قائل وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم فاستمع لكلام ربنا جل ذكره وتفطن
فان كل رحمة اظهرها في دار الدنيا وكل نعمة اسداها فما هي سوى المؤمنين وهي خالصة لهم
يوم القيمة من دون الناس بل هو هنالك بهم ارحم وعليهم اعطف وانما انزل جل وعلا الى
الارض رحمة واحدة وعم بها جميع الاجناس في الارض والجن والانس وقد اخبر انه يقتضها
الى تسع وتسعين رحمة خباها عنده يرحمهم بها وعلى هذا فدونك واستقر كل رحمة له وكل نعمة
من بها من حمله اياهم في برا وبحرا وبيوت جعلها لهم سكنا او ثياب جعلها لباسا او سترا
او دفاعا لباس او حر او برد او طعام او شراب او روح او راحة ونعمة نفعا ودفع
فهي لهم خالصة يوم القيمة كذلك كثيرا ما عدد انواع رحمته بذكر نعمه ليدعوا الى الاستجابة
له وليحبب الينا لقاءه وليكسبنا منا المعهود من محبة المنعم وهي كلها اشارات الى وعد له بها
صادق في الدار الاخرة فتارة تخص وتارة تعم فليمثل هذا وما هو اعرق من هنا واعظم
نفعا قال الله جل من قائل لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فاحال بهذا الخطاب على ما
وراء ذلك من تذكرة ووعي **فصل** سمى الله جل جلاله ما ينقل اليه الحيوة من العبد مرة
بالمثل ومرة سماه بانه زوج فقال جل قوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي نبدلكم
من حياتكم الدنيا الى امثال تكون لظواهركم يكون في الدار الوسطى ظواهر لبواطنكم وقال
جل من قائل فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون واسكت جل ذكره واجتزا بما ظهر
عن ما اضمر من تبديل امثالهم بعد الموت وهو كثير في القران العزيز لمن يطلبه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما نسمة المؤمن طائر ابيض وقال عليه السلام في الشهداء انهم في حواصل طير
خضر تعلق بثمار ولا تعتمدن وفقك الله في فهم قوله عليه السلام طائرا انه ذو منقار وجناح
لا بد منه وترى انما هو مثال النجم الذي خرج عن سطوره ولعل قوله جل قوله وتعالى
جده وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فعبر بالجناحين ليطابق
لتحصل الاجنة عن طائر الدنيا الذي يطير في السماء من هذا الحيوان من تلك الطوائر
وقد تقدم مثل هذا فيما قبل مقرونا بالاستشهاد عليه من ان الاموات احياء لوجه حيوة
هي اشرف من هذه واكرم للمؤمنين وحيوة الكافرين فيها هنالك للاكبر لا يعقلون معها
احساس العذاب ووجود الخزي وذلة الهون قال الله جل قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله وقد يقع هذا الاسم على القرين الذي قارنه المضل له في الدنيا
والمؤمن له حقيقة في السماء كما للكافر حقيقة في السفل قال الله جل من قائل كلا ان
كتاب الفجار لفي سجين وقال جل قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال جل قوله يشهده
المقربون وقال عز من قائل سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون فما من شيء كائن ما كان من نبات وجماد وحيوان الا وقد خلق الله عز
وجل له زوجا هو له مثال باطن هذا الشاهد له ظاهر قال الله عز وجل والارض

مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج كريم فاحد الزوجين هو الشاهد
وزوج باطنه والكريم من الازواج ما كان محمودا والذميم ما كان رجسا منكبا في الوجود
عن ظاهره سنن الفطرة هذا ومثل هذا اتبع جل جلاله ذلك بقوله الحق جل قوله تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب فالتبصرة اثبات الوحدانية من ذلك وصفات الالهية ودلائل براهين
النبوة واليقين بوجود الدار الاخرة وما جرى الى ذلك والذكرى توجد ان كل زوج
محمود هو في الجنة وكل زوج مذموم هو في النار انه ذلك اعمال المكلفين حسنها للجنة
وسيئها للنار فعلى هذا فانه لا يسقط عن ذلك عمل ولا قول ولا يكون ظاهر لباطن
ولا باطن لظاهر كانها ما كان الا لاحد الجنبتين وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك وهو معنى قوله جل قوله واليه المصير وقال
جل قوله اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين كذلك كل ما نشأ من صغر ثم يصعد او ينمو ثم يضمحل ثم يزيد ثم ينقص
او يبسط او يقبض كل في كتاب حفيظ ثم تميز مما هنالك وتسلك بكل مسلك رجع الكلام
واما اهلاك عاد بالريح فانهم لما طغوا في ضلالهم وادعوا القوة والجولة زعامتهم
واستمروا في الرعونة بعث الله عز وجل عليهم الصرصر العاتية تصرعهم اهلاكا قال الله
عز وجل فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية واما ثمود فانهم لما عقروا
الناقة رغت بعد رعى فصيلها فاهلكهم الله بالصيحة طغت عليهم لطغيانهم في الارض واما
قوم لوط عليه السلام فانهم قلبوا العلية سفلا فاسفلهم لذلك واما اهل مدين واصحاب الايكة
فطغوا في الارض واخافوا السبيل وافسدوا وبخسوا المكيال والميزان فاهلكوا بالصيحة
وعذاب يوم الظلة وفرعون وقومه لاستكبارهم وعلوهم فيها وطغيانهم قال الله عز وجل اذهب
الى فرعون انه طغى وقال جل قوله ان فرعون علا في الارض طغى الله تعالى عليهم ماء البحر
فاغرقهم فيه قال الله جل من قائل فكلا اخذنا بذنبه وهم وللذين بعدهم قال الله جل
قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار فالوعيد اذا قائم على من سواهم وانما
ادبنا الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بغيرنا اكراما ومن لم يتب فاولئك هم
الظالمون قال الله عز وجل وما هي من الظالمين ببعيد وقد انذر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخسف وقذف **قوله** تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد
القائم من القرى ما هو منها اهل والحصيد ما هلك اهله فلم يعمر بعد كديار عاد وثمود وارض
مدين ومداين قوم لوط ونحوها لتقوى الله جل قوله فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من
دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاكا كما قال الله جل قوله
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ثم اتبع ذلك كله ما هو علم ما تقدم
ومواضع العبرة اليه والذكرى قوله جل قوله ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة وكما هو
لمن خاف عذاب الاخرة فهو ايضا اية على نجاة من اطاع واستجاب واجابة ايضا اية على
منال ما يرجى من ثواب الله عز وجل ولقائه يقول جل من قائل ذلك يوم مجموع له الناس وذلك
يوم مشهود **قوله** تعالى والى مدين اخاهم شعيبا الى قوله بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

يقول وهو اعلم لا تنقصوا المكيال والميزان ولا تفسدوا في الارض ولا تصدوا
عن سبيل الله وتبغونها عوجاً فانكم متى انتهيتم عن ذلك وعملتم بطاعة ربكم تاب عليكم
وعاد عليكم بحسن عوائده ورضيكم وكان معكم لا حجابكم ان دعوتموه اجابكم وان تمنو
اعطاكم وان استنصرتموه نصركم وكان لكم منه ملجأ يلجأون اليه ومنجى من محاذير
يحذرونها يكني عن هذا ومثل هذا بقوله بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين اي خير لكم
مما تجلبونه بخداعكم وكنزكم وقطعكم السبيل وصدكم عن سبيل الله لذلك وهو اعلم عقب
ذلك بقوله ان كنتم مؤمنين ويقال بقيت الشئ بعيني رقبته وحرسته يقول حفظه خير لكم
لذلك قال ان كنتم مؤمنين بقرب الله ومراقبته وحراسته وكلائته وحفظه ثم قال وما انا
عليكم بحفيظ وقد يكون معنى قوله بقية الله خير لكم جنة الله بما قد كتب لها من البقاء والدوام
لذلك قال وهو اعلم ان كنتم مؤمنين فما كان جواب قومه الا ان قالوا ردا للنصح يا شعيب
اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت
الحليم الرشيد كان صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والملائكة
المقربين على الخلق العظيم الذي انتخبهم الله عز وجل عليه من الحكم والرشد والعقل والاناة
فكان عندهم معروفا بذلك ولما جاءهم بنصيحة ربهم اياهم وبلغهم رسالاته اخذوا
يستهزؤن به ويسخرون لبعد كبون من كونه على ما هو به مما جهلوه من حرمه كما كانوا
يرجونه لمن مراتبهم وسداته اما كن ابا طيلهم يقولون هذا الحلم والرشاد اللذان كنا
نعتقده فيك ونصفك به اصلاتك هي امرتك بهذا وكان عليه السلام معربا عما يريده مؤيدا
بالحجة والبرهان وقد قيل انه خطيب الانبياء عليهم السلام اي هو افصحهم لسانا واعربهم بيانا
عما يريده واقوام على المحاجة والله اعلم فاجابهم صلى الله عليه وسلم بما يقابل ذلك منهم في لين
ورفق فعل الناصح الشفيق بقوله يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا
حسنا الاولى مقابلة لردهم عليه نصحه بالامر لهم بالايمان ومجانبة الكفر والثانية مقابلة
لهم في ردهم عليه الدلالة الى ربهم وسلوك سبيل طاعته وابتغاء مرضاته وفيهما سوء الحلم
والرشد والرزق الحسن هذا هو الوحي وعلم النبوة ومما يتبع ذلك ثم جعل يذكرهم بما اصاب
غيرهم السالكين سبيلهم المكذبين رسل ربهم اليهم بقوله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد كانوا
اقرب مجاورة اليهم من سواهم واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله وقال الله عز وجل وهو اصدق القائلين ان الله يحب التوابين
ويحب المتطهرين فاجابوه عليه السلام بما تشاكل عنادهم وقلة فقههم عن الله عز وجل ورسوله
بقوله يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما
انت علينا بعزيز اي يقولون لم يكلفك احد ان تامرنا بما تامرنا به ولا ان تنهانا فلا تتعرض
الى شئ من هذا رجمناك فاجابهم صلى الله عليه وسلم برفق في غير عنف فقال عليه السلام يا قوم
ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا لم تعتقدوه آمرا ولا ناهيا ولا امرا
ولا ناصرا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه

عذاب يخزيه ومن هو كاذب في مقالته قولهم له وما انت علينا بعزيز وارتقبوا اني معكم
رقيب فانذرهم العذاب ولم يبق لهم الا حلول اجله يقول الله جل من قائل ولما جاء امرنا
نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة الى قوله كان
لم يغنوا فيها يقول كانهم لم يكن لهم في ديارهم ظهور ولا بقاء الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
وما قال جل من قائل في قوم او موضع الا بعدا الكذا الا جعله حصيدا مبعدا غير اهل حتى
الدهر **فصل** اجمع رسل الله صلوات الله وسلامه على جميعهم على ضمان المغفرة والكرم
من ربنا عز وجل لمن امن وعمل صالحا ووصفه بالقرب وسرعة الاستجابة والود والحب
لعباده كما اجمعوا على الدعاء اليه وانه لا اله غيره ولا رب سواه ولا يملك النفع والضر
الا هو وهو الحق وما جاؤا به حق لان الحق المبين ارسلهم وضمنهم هذا من وعده في دار
الدنيا ولدار الاخرة خير واكثر تفضيلا الا ترى ان التوبة والعمل الصالح هو لقاؤه
على الغيب ههنا فلقاؤه في الاخرة هو اكثر الثواب واكرم المنال والحجة بفضله البر
الرحيم على كل ما اوجبه اذ ذلك فضل مبتدئ العمل بطاعته من صلوة وزكوة وذكر وتلاوة
وقران وبين اعمال العباد في دنياهم الى المعهود المعلوم فان العباد ما رأوا الخير قط الا
من عنده ولا رأوا شرا ولا ضرا الا من قبل سواه **قوله** عز وجل يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود كما جمعهم جل ذكره في قبضة الكريمتين ثم ذراهم في الارض ليبتليهم
نصيبهم الذي قدر لهم في الكتاب الا وكذلك يعيدهم الى الجمع ولم يستحقوا الامن التكوين في
يمينه الكريمتين وقد تدنسوا بالخطايا والكفر وتلفعوا باللعن والابعاد فلا بد اذن
من جمعهم في صعيد واحد اولهم واخرهم وجنهم وانسهم لا ريب في ذلك يقول جل
من قائل وما نؤخره الا لاجل معدود وكقوله جل قوله ولولا كلمة سبقت من ربك
لقضي بينهم فاذا جاء الاجل الموقت بالكلمة التامة انفذ حكمه بقول الله عز وجل يوم ياتي
لا تكلم نفس الا باذنه لا اختيار يومئذ لاحد بنفسه ولا امر يجده من نفسه انما الامر كله
يومئذ لله والامر اليوم لله عز وجل لكن بوسائط واسباب حجب بها عز وجل القدرة
فهي اعني الاسباب فلا واسطة نظن بها الظن وليست بنافعة ولا دافعة والمتفرد بالحكم
هو الله الذي لا اله الا هو وهذا الامر في ذلك اليوم اظهر جدا قسم الله عز وجل
المكلفين الى شقي وسعيد اذ دار الاخرة مقسمة على دارين جنة ونار كما قسم موجودات
الدنيا الى محمود والى مذموم فنشأت محمودات الدنيا الى دار السعادة وكون اهبتها الكبرى في الخلق
كما بدلت صفة المذمومات فيها الى درك الاشقياء والله تعالى لا يوجد شيئا فيبطله البتة ان ابطل
عينا ابقى حكما وان ابطل عينا وعنده الكتاب الحفيظ **قوله** جل قوله وتعالى جده
فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك الى قوله جل قوله عطاء غير مجذوذ واكثر علماء السلف رحمة الله على جميعهم
في معنى هذا الاستثناء مع اجتماعهم معتقدا بالخلود والمفهوم من قول الله العلي الاعلى
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم فعسرت المعرفة بهذا
الاستثناء جدا والله ولي التوفيق فمن قائل يقول ان معنى ما ههنا معنى من كان في

خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا من شاء ربك ممن يخرج بالشفاعة وبما بقي
في قلبه من ايمان وخير واحتج بان ما بمعنى من موجود كقوله جل قوله والسماء وما
بنيها والارض وما طحيها ونفس وما سويها وما خلق الذكر والانثى ونحو هذا ومن
قايل يقول هي بمعنى الذي فيكون الاستثناء من المدة معنى ذلك الا الذي شاء ربك الا
ان لا يخلدوا فيها وهم الذين دخلوا النار ثم اخرجوا منها بالشفاعة فيكون الاستثناء متناولا
ما سكونهم في النار بعد خروجهم وبالحقيقة فانه استثناء في خاص شقاوة دون شقاوة
ولا ينطلق على من يخرج من النار بهم الشقاوة دون استثناء قالوا ويحتمل ان يكون
المستثنى هي المدة التي كانوا فيها وقوفا في عرصة المحشر قبل دخولهم الجنة او النار فيكون
الاستثناء مقدار مكثنا ولهم من الحساب قالوا ويحتمل ان يكون الاستثناء وقع على
لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها الا ما شاء ربك من مداولة انواع عذاب بانواع عذاب
لم يذكر مما شاء ربك ان يصيبهم بها قالوا ويدل على ذلك قوله في اهل الجنة عطاء غير مجذوذ
فيكون الشهيق والزفير منهم مجذوذة بغيره من انواع العذاب ويكون وصف الخلود ما
ما دامت السموات والارض ثم يشاء عذابا غير ذلك كذلك قال جل قوله في اهل الشقاوة
وقد قال جل قوله وما هم منها بمخرجين ومعلوم انهم ينقلون من نعيم الى نعيم فكذلك اهل
الشقاوة عذابهم غير منقطع وانما هو التبدل من عذاب الى عذاب قالوا فيمكن ان يكون
الاستثناء واقعا من هؤلاء وهؤلاء على هذا الوجه الموجود نسال الله رحمته ونعوذ
به من عذابه ومن قائل يقول ان الا في الاستثناء يكون بمعنى الواو كما يقول الرجل والله
لا رايت عني خيرا الا ان رايت مني غير ذلك وعزيمته لا ترى غير ذلك ولا يشاؤه
ومن قائل يقول معنى قوله ما شاء ربك معنى قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله وقد
علم الله جل جلاله انهم يدخلونه حتما والاستثناء على هذا لم يوجب خيارا اذ عزيمة المشية
قد كانت تقدمت بانهم يدخلونه قال وهذا الاستثناء مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يحل لقطتها الا المنشد والمعنى ولا المنشد انتهى ما بلغنا فيه من تفسير المتقدمين رحمة
الله على جميعهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والذي ذهب اليه ايضا بعضهم ان السموات
يومئذ هي سماء الجنة وهو العرش والارض المذكورة هي ارضها الا ما شاء ربك هو مدة
ما لم يدخلوها وهو ما قبل يوم البعث ثم الى حين دخولهم دار القرار والله اعلم **فصل**
الخطاب والله اعلم بعلمه وحكمته ان الاستثناء هو من الخلود مدة دوام السموات والارض قال
الله جل من قائل قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم والسموات
والارض يومئذ غير موجودة فكيف يستثنى من دوام ما ليس بموجود الا ان يكون معنى الكلام خالدين
فيها ما دامت السموات والارض منذ خلقنا الى ان بدلت الارض بغير الارض والسموات وتبديلهن
انما يكون والناس في الحشر قياما لرب العالمين ويتوجه ذلك في حكم العدل انهم لما لم ينظروا
الى ملكوت السماء والارض نظر طالب تعلم ما جعلت له وطلبتها ذاتها لخالقها جل وعز
تشهد واعليها عالم يشهد به على انفسها وفوقها ما لم يعقل على ربها وعلى نفسها انه
الله العزيز الحكيم عليهم العذاب طوله وفيها منذ خلقها الى ان قوض بناءها وبدل

ارضها وسماءها بغير ما هي عليه قال الله عز وجل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا
مثلها وهم لا يظلمون هذا في مقابلة قوله ما دامت السموات والارض ولما كان كفرهم هو كفر
بالله العلي العظيم الدائم الباقي دائما ابدا منتهى الى البقاء فكان المراد من تابيدهم
عذابهم من اجل كفرهم بالله واسمائه وصفاته وهو المشار اليه بقوله جل قوله وهم لا يظلمون
مستثنى من المراد في عذابهم الذي مدته ما دامت السموات والارض ويكون ما على اصلها ويجوز
ايضا على ذلك ان يكون ما بمعنى الذي ثم كذلك اهل السعادة لما شهدوا السموات والارض بما
شهدت به لربها عز وجل وبما شهدت به على انفسها وشهدت لها وعليها ربها جل جلاله وتعالى علوه
وشانه فصدقوها بذلك وصدقتهم هي استوجبوا بوعد ربهم عز جلاله ان يخلدوا في
الجنة ما دامت السموات والارض مضاعفا ولما كان ايمانهم ايمانا بالله عز وجل واعمالهم موجهة
الى الله الدائم الباقي استوجبوا بفضل ربهم البقاء الدائم والخلود السرمد فيمكن ان يكون
المستثنى في مشية الله تعالى ذكره ابدا على مدة دوام السموات والارض منذ خلقت الى يوم القيمة
ويمكن ايضا ان يكون قوله جل قوله عطاء غير مجذوذ بدلا من ما وهي في موضع نصب لانها
مفعول لشاء فيكون المعنى الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ثم ينقلون الى خلود اخر ما دامت السموات
والارض الى حيث لا يبلغه العدد ولا ينتهي اليه الحصر عطاء غير مجذوذ هكذا ابد الاباد لانهم امنوا
بالله الدائم الباقي وباسمائه وصفاته ويكون معنى الاستثناء قوله الا ما شاء ربك من تطويل
وتقصير لمدة دوام السموات والارض وهو على ما يشاء من ذلك قدير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الدجال لعنه الله يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة ويوم كايامكم وقال يكون في اخر الزمان اليوم
كالسنة واليوم كالشهر واليوم كالجمعة واليوم كالساعة واليوم كاحتراق السعفة وكضرمة النار
فهذا ما قد شاء ربنا عز جلاله فيطول لما شاء الله حتى لا ينقطع ابد الاباد ويقصر ما شاء الله الى
ما يتوهم كل ذلك عليه يسير عز اسمه قال في اهل النار ان ربك فعال لما يريد وفي اهل الجنة عطاء
غير مجذوذ وفي الكتاب الذي كتبه على نفسه يوم استوى على العرش ان رحمتي تسبق غضبي
وفي اخرى تغلب وقد علق فتح ابواب السماء للارواح المكذبين وادخالهم الجنة بغاية كونها تحيل
في مجرى العوايد فالله اعلم هو يقول الحق وهو يهدي السبيل وكل شيء شاءه عليه يسير عز غيره وما
استاثر جل وتعالى ذكره من القصة لا يعظم بعضها لكنها مدخرة من ذلك قوله جل قوله ان ربك
فعال لما يريد ويقول عز وجل لمن هو اخر اهل الجنة دخولا وهو اخر اهل النار خروجا منها
وقد راى ان الجنة ضاقت عليه لملئها باهلها فيقول يا رب كيف وقد اخذ الناس حدايقهم ونزلوا
منازلهم فيقول اترضيك ان يكون لك مثل الدنيا فيقول اتسخر بي وانت رب العزة فيقول الى لا اسخر
بك ولكني على ما اشاء قدير وان لك الدنيا وعشرة امثالها ويقول جل قوله شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين ولكن وعزتي وجلالي وارتفاعي في علو مكاني
لاخرجن منها من قال لا اله الا الله ومن جاء في مقام فيدخل بين المساكن في النار فيخرج منها كما
يحصى عددهم الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا ومع كل الف مع
الف سبعون الفا وسبع مائة الف وثلث حثيات من حثيات ربي فالسبعون الفا يدخلونها بغير
وهم اهل القادة رضي الله عنهم مع كل الف منهم سبعون الفا وهؤلاء هم اتباعهم ثم ادخل على هؤلاء

سبع مائة الف مع كل الف سبع مائة الف و او قد يكون بمعنى الواو ففي الحديث والله اعلم
يدخل الجنة من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا و سبع مائة الف مع كل الف سبع مائة الف و سبعون
فتح باب الكثرة و الكثرات حثيات لا يحصرها بعدد الا الله عز وجل لما حدث رسول الله صلى
الله عليه وسلم بهذا الحديث في بعض الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحثيات بالكف يجمع
يحثو بيديه جميعا وكانه يحصل ناحية يشير بيديه قال ابو بكر في الثانية او في الثالثة كفانا
يا رسول الله قال عمر رضي الله عنهما دع رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف و يبشر بفضل الله علينا
قال ابو بكر حثية من حثيات ربنا تكفينا فكان ابو بكر عرض الى ان الله واسع كريم وسع كل شيء
وبحثية واحدة يسع كل شيء ففهم انكر انا خارج بعد اخراج واراد عمر لنا انس بكثرة الحثيات
وكان ابو بكر اعلم الرجلين و يفطن الى ان فيض جوده جل جلاله و تعالى علاوه وشانه و سبوغ رحمته
هي كلمة من كلماته تامة نهايات كيف تصاعد من سبعين الفا الى سبع مائة الف الى اضعاف فيها و الى اضعاف
اضعاف فيها الى ما لا يتطرق اليه التحصيل و لا يحصره الا علمه المحيط وسعة جوده قال الله عز من قائل
قبل ان يخلق السموات والارض وعرشه على الماء واخذ اهل اليمين بيمينه و اهل الشمال بشماله و كلتا
يديه يمين مبا ذكر الحديث **فصل** اعلم و فقنا الله واياك ان علماء المتقين تتفاوت
علومهم على مقادير درجاتهم وتفاوت محالهم اعلاها علما بلا ضعفا اي من ليس بملك
ولا رسول علوم الصديقين و شهداء العلماء وهو ايمانهم بالغيب ثم علم الموقنين وفي
الدرجة الثانية دونه قال الله عز وجل الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون وقد تقدم في صدر الكتاب ان علم الغيب
على درجات فالعلم بالله جل جلاله وجوده و وحدانيته والاهيته والعلم باسمائه وصفاته
بدلائل ذلك وبراهينه وشواهده من الموجودات والكتاب ثم العلم بالكتاب والرسول والنبوة
وبما جاءت به وما نحو هذا وما جرا اليه ثم العمل بالعلم والعلم بالاخرة وانها موجودة على
ابعد الغايات وانهى النهايات على الحق بالاجمال والقطع بعلم لا ريب فيه ثم ما بين هذه المنزلة والمنزلة
التي ادركها بتفصيل ما امها من علوم الافاق وبحار معارف لا تعبرها الا ذكر المريد الا صبيح الايمان
مع طمانينة النفس وعقل العقل الايمان وانشراح الصدر لعظايم ترد خارجة عن المعهود
فهذه و شبهه من علوم الموقنين ثم اعلم علمك الله العليم من علمه واجزل حظك من معرفته ان العلم الذي
يخص الصديقين واحد الى ما تقدم ذكره وهو علم واحد وله علم الفطرة وهو علم عموم المؤمنين
والمعرفة واحدة فلا يحسبها مختلفة اعني معرفة الصديقين ومعرفة العوام في اوهلان
الخالق واحد والمطلق واحد والفطرة واحدة انما هو الله جل جلاله لهم رتبة رجالا فانتبهوا ولو
من قرا العلم على العلماء وتبعهم منهم رجع الى ربه فقراه عليه انفتح منه حقيقه حتى يسمع باذن قلبه
ونعته محققه ذاته منه ونقع به وبلغ منه حيث لم يحتسب فاعمل رحمك الله بما علم يعلمك الله ما لم تعلم
والمقام الذي حله الصديقون هو معرفته وحده في ازله قبل ان يظهر خلقه فلما اظهر خلقه عن قوة
فلا ... ل عن كريم محلهم ورفيع ما بوؤا المشاهد وها بالله وشاهدوه بها فشهدوا له بانه شهيد
لنفسه وشهد والها وعليها فهم الشهداء الاول وهم القادة منها للشهداء سواهم وهم السابقون
الى ذروة المحل الاعلى من الفهم والعلم قال الله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون

والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم ولما حلوا هذا المحل واقيموا هذا المقام وصدقوا فيه
انفجرت لهم ينابيع العلوم في قلوبهم من ذلك المفجر ميا عذبة صفيتا كافورا و زنجبيلا وسلسبيلا
يسلسل ذواتهم من رفيع المشرب كل يسقي بكاسه ويعرفه من منهله فالعلم الذي يشار اليه ها هنا
هو العلم الذي لا يجوز عليه اعتراض الشك ولا ينبغي عنده التنازع ولا يختلف فيه الا الجاهلون به
وهو مما يلزم الايمان به كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العلم ما هو كهيئة المكنون الحديث
وقال ولا ينبغي عنده تنازع ولما كان عليهم من قبيل انباء الالهام والاسعاد والمحادثة والتكليم
لم ينبغ التنازع عنده ولا فيه من ادب معيا حسن الاتباع فهما وفهموا منه اعتقدوه رحمك الله على
ذلك وما لم تبلغه افهامهم لم يعترضوا عليه بتكذيب كل وهو العلم الذي لا يحتاج الى دليل على ذلك
لصحته عند من عرفه ولا يعرفه الا اهل الايمان بالله وهو العلم لا يستخرج بالحجاج سوى اذ الحكم
خارج عن معظم الاستطاعة بل اكثره عن نفحات البر الكريم جل جلاله وتعالى علاوه وشانه
وفتوحات من الفتاح العليم وعلومهم هذه مبنية على قواعد الايمان العلى وهو ان الله هو
الاحد الصمد والاسماء الحسنى والصفات العلى على سواء التوحيد الاعلى وقواعدهم التي اسسوا
عليها اساطين بنيانهم هي ان الله عز وجل لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء فان شاء الامور لديه تستقبلها
ان شاء ردها فكانها لم تكن وان شاء امضاها فكانها لم تزل وان شاء ان يصعد صعد ولا يخلو
منه السفل وان شاء نزل فلا يخلو منه العلو من غير تكييف لصعوده ولا نزوله سوى الايمان بانه نزولا
وصعودا وانه في كل مكان ومع كل موجود دون مكان ولا معية صحبة ولا حركة في
انتقال بل هي صفات له وصفات يوصف بها اتصف بها في وجوده الازلي ما ههنا مما يعقل عن ذلك
ماخوذ عما هنالك وتلك منزهة عن اوصاف المخلوقين ونعوت المحدثين وهو الذي لا يتعذر عليه
ان يتصف بما شاء وله المثل الاعلى بكل وجه وبكل معنى ان شاء تكلم ولا يزداد بالكلام قدره وان
شاء لم يتكلم ولا ينقصه بترك الكلام قوة لا يعتوره حدث السكوت والكلام ان شاء اسمع
الخلق كلاما بلا الهام وان شاء قوى ابصار العباد على رؤيته كما ان شاء ان يضعفها اضعفها عنه
وان شاء قصر الدنيا كلها حتى يكون للماشي فيها طريقه خطوة واحدة وطول قصر الذراع حتى لا ينقطع
مسافته ابدا وان شاء اسكن الكثير في القليل وان شاء سجل الواسع في الضيق وان شاء جمع جميع خلقه
في خردلة واسمع الميت الرميم الذي لا يسمعه الحي الذكي وحجب اذن الحي الذكي عن سماع الرعد العاصف
في وقت يسمع فيه وطء النمل على رؤس الشواهق وقد تقدم ذكر هذه قواعد اكثر في صدر الكتاب من علومهم
ومن اذكارهم لا اله الا الله ولا قوة الا بالله ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن الحمد لله لا ياتي بالخير الا هو
لا يذهب بالسوء الا الله لا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع ومن امامهم في القران والله خلقكم وما تعملون
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ان الله انزل من السماء ماء وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وكل ايات القبض فهي دعائم
علومهم وعنها حقايق معارفهم مع اعتقادهم جميع خطا البسط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي
سبعون الفا بلا حساب عليهم وجوههم كالقمر ليلة البدر لا يدخل اولهم حتى يدخل اخرهم فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم
قال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فتوحيدهم في الاعمال هو حقيقة التوكل
فهو فعل القلب وعمله كما ان حقيقة التوحيد فيه واعتقاده هو علمه والتوحيد ينقص بنقصان التوكل

ان التوحيد عبارة عن معان ثلثة وهو علمك انه لا يفعل فعلا الا الله عز وجل ونفي التهمة عنه وعملك على
هو ضاهر كيف كل فاذا انقطع العمل بذلك نقص التوحيد واما توحيدهم في رؤية الاشياء فهو انهم
لا يرون الداء والشفاء في الاطعمة ولا في الاشربة ولا يرون الشبع والري في المآكل ولا في المشارب
وانما يرون الشفاء فيما احل الله وفي العمل بطاعته والداء كله في ما حرم والعمل بمعصيته ولا يرون
الموت الا الكفر ولا الحيوة الا الايمان بالله والعمل بطاعته ولا مرض الا الشك ولا دنس الا
دنس المعاصي ومن توحيدهم رضي الله عنهم ان ليس للاشياء فعل بانفسها قطعا وانما الافعال التي
يشاهد منها ارادة الله بها وفيها استوى عندهم وجود الموجودات في استمرارها على معهودها
ومعارضها وفي اخراجها عن سبيلها بخرق العوائد فيها فاذا لا فاعل ولا ضار ولا نافع الا
الله عز وجل بها وفيها ولذلك ما استقر لهم التوحيد على ان الله جل ذكره ان شاء ان يحرق بالذي
به يبرد وان شاء ان يبرد بالذي به يحرق وان شاء اسقم بالذي شاء ان يبري به وان شاء اشبع
بالذي شاء ان يجوع وان شاء جوع بالذي شاء ان يشبع به ليس عندهم في الاشياء معان يفعل
بذاتها بل الفاعل الحق بها هو الله وحده لا شريك له فمن يسره الله للتوحيد علما ويسر للعمل بمقتضاه
فهو صديق من حيث انه كثر منه الصدق والتصديق في علمه وعمله ومن حيث انه لما ان يشرف منه
على معالم النبوة فيصدق بها ظاهرا وباطنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يصدق
حتى يكتب عند الله صديقا والصدق شامل في القول والعمل وهو اذا بلغ هذا تيسر له علم ما انجلت
من اجله المعاني والله يقول الحق وهو يهدي السبيل لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع
ذا الجد منك الجد **فصل** ليس في الوجود كله الا الله ويحقق ذلك قول الحق الله نور السموات والارض
الى اخر المعنى وقوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها
وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم
ويعلم ما تكسبون فهم ما نحن بسبيله فليسئل الله جل ذكره ان يجعل له هذا العلم حالا ووصفا وصفة
فقد يود ما لم يتحقق حاله في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **فصل** قال الله عز
من قائل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة المعنى وقد
تقدم الكلام على هذا ثم قال جل من قائل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وقد تقدم الاعلام بما انتظم به هذا الخطاب
الى قوله جل قوله جل قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون الى قوله ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم يعني تواضعوا الخبت المطمئن من الارض الى قوله جل قوله
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون يعني مثل
الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم وهم الذين على بينة من ربهم ويتلوهم
شاهد من الله كتابه ومعاني وحيه ومثل المفترين على الله الكذب ويصدون عن السبيل و
يبغونها عوجا وهم بالاخرة هم كافرون يعني مثل هذين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ولم يقل
كالاعمى الاصم والبصير السميع لانه قد وجد الله عز وجل في عباده من هو اعمى وهو سميع ووجد
ايضا من هو بصير ولا يسمع فالاعمى مثال الذي يقرأ القران ويشهد بالشهادتين ولم يره

الايات ولا استشهد لله عز وجل بالشواهد وكثيرا ما يجعل لهذا في باطنه نور من بصيرة باطنه
فيمشي به في الناس وسبيل هذا ان يتخذ عبدا من عباد الله عالما يقتدي به ويقلده يقوم له
مقام العصا للاعمى يتحسس بها ويقتدي فاذا كان بهذا الاعمى قائد مبصر فهو ممن وفقه
الله للاقتداء بالرسول عليه السلام فان قاري القران والحديث ما لم يتبصر البينات وينظر في الموجودات
ويتدبر ايات ربه فهو بمنزلة الاعمى فان اقتدى برسوله عليه السلام واتخذه اماما كان كالاعمى اتخذ
قائدا مبصرا نبيلا وان اقتدى بمن سواه من علماء الامة كان كالاعمى اتخذ عصا قائده الى
مقصده وفي ذلك للعميان مساغ فاذا كان قد قصرت به همته عن غاية التي اهلها مثله ومثل
المبصر السميع كمثل المعتمد على نظره المقتصر على معقوله الباحث بجنانه في الموجودات فغاية هذا
ان تشكك بين المحسوسات الجزئية بجسارة وتستقري المعقولات الكلية بفهم ذاته بزعامته فتتخلص
من ذلك علما نقف به على طبائع الجسمانيات وما قرب منها ولبعده عن السمع وغيبته عن الكمال كان
كالذي لا يسمع النداء لانه عديم السمع فهو من اجل ذلك يحسن الظن بنفسه من حيث انه قد
رأى في نظره مقاديره ما ادركه نفسه ولم يكن له سمع يوصل اليه تحقيق معاني ما راه ولا يميز
ما احسه فتاه في مهامه طرقاته وهو لا يشعر وغمه في مجاهل جهالاته وهو لا يفطن
وبصره واعتماده على عقله وركونه الى حسه يظن انه قد بلغ على اليه كل علة ومعلول وهذا
طريق ينقطع بالسالك فيه دون البلاغ ولا يصل فيه لكنه الى المطلوب الا على ما يصل اليه
بان يعي فهم مراده منه فيمتثله ويعلم ما يكرهه فيجتنبه والا كان تبعا لنفسه امرا ناهيا على نحو
ما يهواه فهذا يمشي بين المعاني والمستمعين غافلا ساهيا او كالمتهوك الحائر لا يسمع
الداعي فيجيب المنادي فيمضي وقع بصره على الحاذي واحسن بحضن لمنادي لم يسمع ما يقوله ولا
ما منه يريده وهذا متى ركن الى السمع وانس بالمستمع حتى يتعلم اشارته ويفهم بذلك
مراداته دخل في المفلحين وشمله اسم الناجين وعمه عام الخطاب وحصل من جملة الاتباع
والا بقي ساهيا في مهامه سفاره عديم الوصول بافكاره واذكاره يظن انه قد وصل
وهو قد ضل من حيث انه يدرك بتدقيق النظر في التفكر والتظهر وقد صد عن الوصول
الى العلي الكبير ابى ذلك في الوجود وجود الممنوع السمع عن متكلم وليس معنى الكلام سوى العبارة
عن الوجود العلي وذكر العلي الاعلى بمجاده واذكاره **قوله** تعالى والسميع والبصير مثل السميع
هنا هو حامل القران المتبع الوحي السامع من المبلغ عن الله عز وجل ومثال البصير هنا
هو الناقد في الفكر المجاهد بمعاني الكتاب في الوحي المستشهد بشواهد المحكمة بايات الله وبيناته
في الناظر في مسالك معاني اسمائه وصفاته في العالم المشاهد للدار الاخرة من دار الدنيا الناظر
لموجودات الاخرة بموجودات الدنيا حتى كانه منها يرى عين ذلك النير الباطن الظاهر
الخفيت في طرقات اسفار الافكار الهادي في المشكلات القائم مقام النور في ظلمات المسالك
على الصراط المستقيم هل يستوون هذان واللذان تقدم وصفهما مثلا افلا تذكرون
قوله تعالى فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء يعني العرب في كفار الامم مما يعبدون الا كما يعبد
اباؤهم من قبل اي انهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ولا انزل به كتابا يقول
الله عز من قائل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص اي نصيبهم المكتوب في الكتاب من ارزاقهم

واجالهم واثارهم وفي الاخرة غير منقوص من ذلك شئ وعيد منه اليهم شديد **قوله**
وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم ان لتاكيد الخبر كما يقال ان زيدا لقائم وما هنا صلة
في هذا على قراءة من قرأ بتخفيف الميم فانها قرئت بالتثقيل في ميم لما والتخفيف فما لعله كان
اللام والميم بمعنى لم كقولك لم يقم زيد ولما يقم زيد فقوله جل قوله وان كلا لما كلام تام
بنفسه لما تقدم من العلم وتقرر في النفوس من معناه ويقال لهذا الخطاب الموجز والايجاز
يحتاج ان يقدر له محذوف شئ لشاعرفه ومحذوفه حاضر في نفس المخاطب مفهوم باول وهلة ولذلك
جاز اطلاقه في كلام العرب مجيزا ولا من اخره وهو كثير في خطاباتهم شايع مع ايجازه يقوم على ذلك
مقام الكلام المرسل في تادية المراد به كقولهم ان كنت تفضلت فمثلك لم يزل محسنا فيما توقع
فكان قد اشتهد باهذا في الجمع فلمن ما مضى من العيش وكان لم وما بقي منه وكان قد جميعا كانما
لم يقف باغادر فلم لم وهو كثير رفيع في خطاباتهم ومحاوراتهم ولتثبيت هذا من الجزاء كلام كثير
هو لاجل لا يكون الا بعد لحاق الاخرين بالاولين وازدياد ذلك بعيدهم وحصرهم بين يدي العرض
والجزاء في عرصة القيمة وجزمه في الكلام للزومه وحصوله لحصول الشيئين موجوده وكان ذلك اظهر
لجزالة التحذير وابين لشدة الوعيد والجزء من الكلام هو تداركوا او تلاحقوا ونحوه
في معنى ذلك فجاء الكلام على قراءة من قرأ بالتخفيف وان كلا لما تداركوا بعد وعلى قراءة
التثقيل لما لحقوا ونحو هذا ويتصل في اجل قوله ليوفينهم ربك اعمالهم بما قبله بان تقدير
اذن وما يكون في معناها في الكلام وان كلا لما يلحق اخرهم باولهم ولما يلحقوا اذا ليوفينهم
ربك اعمالهم ونظيرتها في سورة يس في اجل قوله وان كلا لما جميع لدينا محضرون
قرئت ايضا بالتخفيف والتثقيل وفي موضعها ان شاء الله تعالى **قوله** تعالى فاستقم
كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير الاستقامة التي لزوم الايمان بالجنان والتحلي
بحلية الاسلام ظاهرا والاستقامة لشغل النبوة في اللزوم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوله في دعائه اللهم اني اسئلك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد فهذه الاستقامة
هي التزام التوحيد عقدا وقولا وعملا كما تقدم في التوحيد الاعلى **قوله** عز وجل
واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين
وهو مصدق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما طرفا النهار الصبح
والعصر وزلفا الليل المغرب والعشاء والصبح ايضا من زلف الليل والزلف والقرب فهي
معدودة من صلوة الليل للجهر فيها معدودة من صلوة النهار لطلوع الفجر اتبع ذلك قوله
جل قوله ذلك ذكرى للذاكرين الذاكر ذكر اللسان مع موافقة القلب قال الله عز من قائل اذكروني
اذكركم والذكرى تانيث الذكر كالحسنى تانيث الحسن والذكر حال الذاكر يكون عند ذكر الله تعالى
والذاكر بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
فان الله يقول اقم الصلوة لذكري ثم قد يتوجه على هذا ان يكون الذكرى اسما لذكر الله العبد
برحمته ثم عرفت للعهد في معلوم الانبياء والنبوة فاذا ذكر الله عبده بان يصلي صلى كذلك اذا ذكره
بان يطيعه بقوله وعمله اطاعه بذلك فذكر الله العبد هو الذكرى مع موفق وهو الاكبر في الذكر
والعمل كله يقال من ذلك ذكرى وذكر كذلك جاءت التلاوة بقول الله جل من قائل ذلك

اي الصلوة

اي الصلوة لمواقيتها ذكرى من الله للذاكرين وليست للغافلين هو الاول في الذكر وغيره
والظاهر والباطن ومن ذكر الله عز وجل عبده لاجل الذكر ما انبانا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم في تلاوة العبد القرآن فهو جل جلاله يذكر عبده لما ذكره وذكره اياه لاجل ذكره
له بطاعته في الاعمال يكون منه ما يذكره به بما اعده له من جزاء عاجل على ذلك واجل وذكره
لاجل الصلوة هو نزله في الجنة ولقاؤه ورؤيته اذ الصلوة لقاء باطن اذ المصلي يناجي
ربه وهو مواجهه ثم قال عز من قائل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اصبر على ادائها
في مواقيتها بطهورها وخشوعها وجميع ما جعلت له ومن اجله تكن من المحسنين وفي مفهوم
هذا يحبك الله ويتولاك بولايته كما قال جل قوله ان الله يحب المحسنين وان الله لمع المحسنين
كذلك قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ويكون زائدا على ذلك واصبر على اذى من
اذاك كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم اي بالدعاء عليهم بالاهلاك
فيكون منتظما بقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك **قوله** تعالى
فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية اي من ورثة النبوة والرسالة ينهون عن الفساد
في الارض ثم قال عز من قائل الا قليلا ممن انجينا منهم اي لم يكن منا ولئك منهم الا قليلا
ممن انجينا منهم اولئك قليلا ممن انجى لانهم انجوا فيمن اتبعهم واهتدى بهدايتهم
وقبل نصايحهم من ذرياتهم واهليهم واباءهم واخوانهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل الجنة من امتي بغير حساب سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا وسبع مائة الف مع كل
الف سبع مائة الف فواحد من سبعين في خبر القليل واعرف منه في وصف القلة واحد من
سبع مائة وقد يجوز الاستثناء من المهلكين فيقدر بعد قوله فلولا حرف انه يقدر فلولا
انه كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض ثم يقدر مقدارا اخر وهو لله
هلكنا تلك القرون كما اهلكنا من ذكرنا من المهلكين الا قليلا ممن انجينا منهم فاستثنى المنجين
من المهلكين كنوح ومن انجاه معه في الفلك واصحاب هود وصالح وغيرهم صلوات الله وسلامه
على جميعهم ثم قال واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه والمعنى فالذين ظلموا هم المهلكون من سلاف
المنجين ومعاصريهم لحق واتبع الذين ظلموا ما اترفوا ولذة فيه وكانوا بغيا اولئك مجرمين
فاهلكناهم لذلك فهل ينتظر هؤلاء الا مثل ما حل بمن قبلهم بين ذلك بقوله جل قوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون والاصلاح هو العمل بالطاعة والنهي عن المنكر
فمتى كانت بقية في القرون ينهون ينكرون المنكر ولو بالقلوب وبيا وهون لسماعها ورؤيتها
وقاهم الله عذابها بايمانهم ودعائهم **فصل** حكي عن الخليل بن احمد رحمة الله عليه انه قال
كل لولا في القرآن معناها هلا الا التي في الصافات قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في
بطنه الى يوم يبعثون وقد تقدم الكلام فيها على الوجهين وقالوا ايضا ان حرف لولا جيء
عبارة عن امتناع الشئ لوجود غيره او لوجود الشئ لامتناع غيره فامرها اذا ركب من ايجاب
ومنع واتصلت بها لا للترجيح الى احد الجنبين ليفهم خفاء ما اجتنبت من اجله فتقدير قضيتها
قبل دخول لا فلو كان من القرون اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض لانجيناهم بذلك
ثم جاءت لا فارجعتها الى امتناع وجود اولئك ثم جاء الا فاستثنيت بعض القرون

كلها في وجود اولئك السادة ومن تبعهم ممن اهلك ثم عادت بتاويل هلاء على المنجين
فاستثنى منهم البقية الصالحة الذين هم ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم
ممن انجينا منهم كما قال جل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ونحو
هذا ومن تحقق النظر في كل فلولا جاءت في القران العزيز وحدها على ما تقدم
ذكره من تركيب المعنى قوله عز وجل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فؤادك يعني ما قص عليه من لدن قصص نوح عليه السلام الى اخر الامم وجاءك في هذه الحق
يعني سورة الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين فصل لم شرط الله جل ذكره الذكرى والموعظة
الا للمؤمنين اما سواهم فانهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون اموات غير احياء قال ابو بكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لقد اسرع اليك الشيب فقال شيبتني هود والواقعة
والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت هذا وهو المغفور له ذنبه ما تقدم وما
تأخر فما بالنا نحن لا نخاف ولا نخشى امنا ما خشي هود ونحن المغرقون في بحار الذنوب المترعون
ملاء بكر الايام قد امنا كل داهية ونسينا كل واعظ السنا خلفا وهم لنا سلف ورثنا عنهم ارضهم
وعمرنا بعدهم مساكنهم اولم نهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون نسكن ديارهم ونأكل تراثهم ويقص علينا
ربنا عز وجل نبأهم وكيف كان شأنهم ولم اهلكهم فما يزيد قلوبنا عند ذلك الا قسوة
واعمالنا الا جفوة نقرأ القران لا بحا وذهنا جرنا ونشاهد ايات الله في السموات والارض
فكأنما المراد بذلك غيرنا وكأين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها غافلون
وما يؤمن اكثرنا بالله الا ونحن مشركون افامنا ان يأتينا غاشية من عذاب الله او تأتينا
الساعة بغتة ونحن لا نشعر فكر يا اخي في نفسك نصيحة من عقلك هل تجد شيئا مما عيب به من كان قبلنا
ليس فينا شائعا ذائعا وهل من كل ما قص الله عز وجل علينا في كتابه من ذنوب الامم التي اهلكوا
بها الا هي اعمالنا ومن بعض سيئاتنا الاستعلاء والعتو وجعل لنا سبعا وتطفيف المكيال والميزان
وقطع السبل وشدة البطش بحكم الباطل وترك الامر بالمعروف وارتكاب المناهي والمناكر البادية
والفواحش الظاهرة الى غير ذلك مما يطول ذكره من عيوب وذنوب ادنى منها اهلكت الامم
قبلنا ونحن الا امنين لا نراع ولا نخشى قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون الم يكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب قد اظلنا الموت وفاجأنا الفوت ولات عذر
لمفرط ولا حجة لغفول انا امرؤ لم يرغب في ثواب الله ويخشى عقابه الحق اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا لا يرجع الغافلون الا للانعام الاعلى
قد دعانا الى ما عنده وحذرنا عن ما نحن فيه فاتقوا الله لعلكم تفلحون اتبع ذلك قوله جل و

وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون وعيد
وتهديد صيغة هذا الخطاب صيغة الامر والمراد به التهديد والوعيد وشاع هذا بعد التبليغ
والاعذار والانذار فاذا انصام المرسل اليه جاز للرسول والمبلغ ان يقول بعد بذل الجهد اعمل
على مكانتك وانتظر ما ينتظر بك مما انذرتك به فانتظم هذا المعنى قوله وجاءك في هذه
الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وما امن بالقران من استحل محارمه وما امن من لا يأمن
جاره بوائقه قوله عز وجل ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله هذا كقوله جل
قوله ولله ملك السموات والارض والى الله المصير لكن الملك احتوى على الظاهر من ذلك والباطن
والغيب هو ما غاب عن الحواس ليس الغيب الا بالاضافة الى المخاطبين واما المخاطب جل جلاله
لا غيب عنده واعرق في الغيب مما تقدم ذكره ما فات العقول ذكره كقوله جل قوله ويخلق
ما لا تعلمون وكقوله جل قوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ونحو هذا
ومن هذا الغيب هو ما نؤول اليه السموات والارض يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وهي الاخرة وهي غيب شاهدها الدنيا وان كانت الاخرة غيبا شاهدها الدنيا ففي شاهد غيبها
الذي هو ما عبر عنه قوله جل قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقوله ويخلق ما لا تعلمون
ومن هذا الغيب ما يقتضيه كل يوم وحين من ايجاد ما لم يوجد وتغيير وتبديل وامر غائب
لهذين الغيبين قال الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض وقوله يعلم السر
واخفى ما لم يبد والى القلوب قبل ان يقدح فيها من خزائن غيب علام الغيوب والغيب مخبوء
في الشاهد والاخرة مخبوءة في شاهد الدنيا وما يحدثه من موجودات الاخرة مما لم يعلمه نفس
ولم يسمع به اذن غيب في شاهد الاخرة واليه يرجع الامر كله في الشاهد والغائب مما قد كان ذرء
هو لم يكن ثم قال عز من قائل فاعبده وتوكل عليه ثواب العبادة غيب في شاهد لذلك قال جل
قوله فاعبده وتوكل عليه تصديقا بوعده وثقة بضمانه وايمانا بقدرته على المقدور والغائب
كالايمان بالمقدور الظاهر وما ربك بغافل عما تعملون قرئت بالتاء والياء فالياء للكفار
والعصاة نذارة ووعيد والتاء للمؤمنين والذين يعملون الصالحات بشارة ووعد والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سورة يوسف عليه السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين
اشارة الى الحروف في قوله الر واعلام بانها ايات الكتاب المبين في اللوح المحفوظ كتابا
مبينا لانه بين مكتوب موجودات العالم علوه وسفله وما هو كائن الى يوم القيمة جعل العالم
مقدارا لما هو كائن عبرة عما سبق في علمه بوجه ثم نزل تلك الحروف لما ان انزلها قرانا
عربيا على الرسول عليه السلام ليبين للعرب المبعوث اليهم المفصحين به اولا ثم جعلهم ائمة
يقتدى بهم في التبليغ الى سواهم قال الله عز وجل لانذركم به ومن بلغ وقال في نحوهم ائمة
وانه لذكر لك ولقومك وقال جل قوله لعامة العرب لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
افلا تعقلون كما قال جل قوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
وقال جل قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم المعنى الى اخره قوله عز من قائل
نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين

المخاطب بهذا هو الرسول صلوات الله وسلامه عليه ثم جميع امته من بعده ولم يكن غفلته
عليه السلام غفلة اهمال العقل ولا ترك التفكر والتذكر حتى يكون بذلك لا يعتقد شيئا كما زعم
من زعم ومن شرح الله صدره صغيرا وبارك عليه ثم شرح صدره كبيرا ورفع ذكره في السموات
وفي الارض في كل ذلك يملأه حكمة وايمانا واسلاما ونورا لا ينبغي ان يعتقد فيه هذا ولا ما
يقاربه وكثير من عباده لم يبلغ هذه المنزلة ولا دونها من هذه الدرجة ولا بواء هذه
المرتبة ببعد هذا الوصف عنه الا ما شاء الله فكيف صلوات الله عليه وسلامه وانما الغفلة المعنية
بهذا الوصف في غفلته عما جاء به القرآن من قصص واحكام واعلام باسماء الله جل جلاله
وصفاته فكان غافلا عن تحقق اكثر ذلك وان قرا واوحي عليه السلام من هذا كله فيما القي
اليه وملئ به صدره وقلبه من اوائل معاني الانباء ما يبلغ به في تحقيق درجات ادنيه من اهل
علم الفطرة المؤمن فعن تصور حقيقة المراد بذلك وما يجري نحو هذا يمكن ان يوصف مثله
بالغفلة حتى جاءه القرآن العزيز من عند الله عز وجل بمزيده وبركته وتبيانه
جل من قائل ليقوي بعد ايجائه اليه الكثير من القرآن العظيم • حم عسق كذلك يوحي
اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم الى قوله جل قوله وكذلك اوحينا اليك
قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها ثم استمر جل وتعالى على تفصيل ما اوحى اليه من
امر ونهي ووعظ وزجر وانباء واعلام بما شاء ثم قال جل قوله وكذلك اوحينا اليك
روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان يريد العلم العلي بالكتاب والايمان العلي
الذي اعطاه اياه وخصه بمكانته منه فكيف يكون تارك التدبر والتفكر او يوصف
بالضلال المعلوم عندنا المسمى فينا بضلال من شرح الله صدره وبالغ في غسله واخرج
حظ الشيطان منه وعنه يكون الغفلة الاولى والضلال المعهود اللذان وصفهما بهما هذا
بل المعتمد في هذا انه كانت غفلته عن تصور العلم بحقيقة منزلته التي بلغها بالقرآن و
الانباء ومعرفة توصيل الوحي اليه والى الانبياء قبله عليهم السلام عبرة هذه فطرة الله
عز وجل في قلوب عباده يؤمن العبد ويتعلم العلم ويفكر ويتذكر ويبلغ من معرفة الله جل ذكره ومعرفة
النبوة والرسالة وموجودات الدنيا والاخرة ولو بلغ من ذلك ارفع الدرجات لم يستقر على الفطرة بحيث
في ذاته انه كالملهم والمعلم بهداية الله عز وجل وتوفيقه فيموت هذا العبد وما بلغ من علم فطرته مبلغا
يقول هذا منتهاه ثم النبي والرسول يجعل الله جل وعز في فطرة زائدا الى فطرته في السموات والارض
وفي المؤمنين علم الفطرة بالانبياء والنبوة والحكمة بتدبير فعله الى ارفع درجاته ثم هو لو بقي عمر
الدنيا وما بلغ من علم فطرته ما فطره الله على علم مبلغا يقول هذا منتهاه ان ربك عليم حكيم بل على
بالحقيقة في معنى قوله جل قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه كما قال وما كنت
بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولهذا **فصل** اليهم في قوله بما
اوحينا اليك ليست بزائدة كما زعم قوم بل هي اسم لما اوحي اليه هو الروح والملك عليه السلام والله
او ما يقوم مقام المسيح بالحق المذكور في قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل قل نزله روح القدس من ربك
ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون ونحو
هذا كثير فكانه قال نحن نقص عليك احسن القصص بالذي اوحينا اليك هذا القرآن ثم قال ط

قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين وفي الكلام يتوجه وصف الغفلة عن كيفية انزال القرآن
والوحي عليه وعلى من سواه من الانبياء والمرسلين **فصل** قال الله تعالى ان الذين يتلون
كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور
الى قوله جل قوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى اخر المعنى انها القاري
كتاب ربك انك وارثه فيما تلاه رب العالمين جل جلاله وتعالى علاوه وشانه على نبيه
صلى الله عليه وسلم فابتدئ في قراءتك واحضر ذهنك معنى ما تتلوه فاليك الخير مع
احضار نيتك في ان تكون انت كاتبه على ربك والتالي لكتابه عليه ويكون هو القاري التالي
فاستمع لما يوحى وامط عن باطنك هواه وغفلته فاتباع الهوى يبعد المطلوب وبالغفلة
الخسران والخيبة وهما نعلاك فاخلعهما ايها الوارث الغافل عن حظه واطو البعد فانك
بالواد المقدس وطهر وجهك الكريم لوجهه ويديك الى المرفقين لاشارة الاستسلام وخرج
الاحترام بجوهر القرب وامسح برأسك رجاء بركة الفهم وقدميك لوطي البساط والوقوف
عليهما بين يديك ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما وقدم الفهم
امام التلاوة ودرسك التعليم قبل التفهم فانه جل من قائل يقول لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا
جمعه وقرآنه فاذا قراناه فاتبع قرآنه اي اتبع ما يفهمك هذا في حقك انها الوارث فاذا تعلمت
ذلك فان عليه جل وعز بيانها ولا تورث العجلة فالبر بابي بتقنا اليتيم عند الشروع اليه لنبي بالعجلة
انما بالتؤدة والاحكام ربك جل جلاله وتعالى علاوه وشانه تتلوا على قلبك وهو عنه معرض عما
تتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم هو نقص عليك احسن القصص وانت تذهب عنه كل مذهب
ثم ملت الهوى ورضيت الغفلة خدنا والجهل حلفا فاعرضت عنك شواهد بشهاداتها
وطوت عن قلبك المعالم عليها والبينات ببيانها واظلمت في حقك انوار الافات في ظلمة الجهالات
قوله عز وجل حاكيا عن نبيه يوسف عليه السلام يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لي ساجدين الى قوله جل قوله ان ربك عليم حكيم الحسن وابو جعفر وابو حيوة قراؤها
باحد عشر وتسعة عشر حيث وقع بمكان العين كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ الرؤية فلا ولى من حظهم
والثانية هو حظ راي ابويه في تاويل الشمس والقمر والاحد عشر جماعة اخوة يوسف على جميعهم السلام والكواكب
والشمس والقمر جعلها الله تعالى للهداية ووجدان النور والضياء في العالم كذلك الانبياء عليهم
السلام وجودهم في الهداية بهم للاقتداء بافعالهم واقوالهم وشهود الايمان واليقين بذلك
ثم قال رايتهم لي ساجدين فهذا حظه عليه السلام من ذلك اذ الهداة والمقتدى بهم لا يخضعون
الا لمن هو اهدى منهم واولى بالاقتداء به منهم وتاويل وجود سجودهم له اقرارهم بسبقه وفضل
درجته عليهم **فصل** قال يعقوب عليه السلام وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث فلا تقول
بالواو على مضمر وانما تقدم من قوله يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
ان الشيطان للانسان عدو مبين والمضمر المحذوف ما في ذكره والله اعلم وذلك ان الله عز وجل
يصطفي من خلقه ما يشاء وهم المؤمنون ويصطفي من المؤمنين ورثة الكتاب ويجتبي من هؤلاء
الموقنين ومن الموقنين المصدقين ومن المصدقين النبيين المرسلين عليهم السلام ويجتبي
من رسله من يشاء والمجتبون من الرسل عليهم السلام كثير الكل من لدن ادم الى محمد صلى الله عليهما

وعلى جميع من سواهم من النبيين والمرسلين ذرية وآباء واخوات ورسل وانبياء كمحمود
هو وادم وادريس ونوح وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى ومحمد صلوات
الله وسلامه على جميعهم قال الله عز وجل ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران
على العالمين ذرية بعضها من بعض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت يوسف واذا هو قد اعطي
شطر الحسن وقد تقدم الاعتبار بمواقيت خروجهم من عشا الدهر وان يوسف عليه السلام بموضع
طلوع الفجر من يوم الدهر فعطف يعقوب عليه السلام بالجواب وعلى هذا المعنى دل ربك والله اعلم
ان الله يبلغه هذه الدرجة بسجود الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا وان مثل يعقوب عليه السلام لا يفضل
الا المجتبى من المجتبين **قوله** عز وجل حاكيا عن نبيه يعقوب تاولد قال يا يوسف عليه السلام يا بني
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الى اخر التاويل ضرب الله عليهما السلام عن تاويل
رؤياه وقد بذل النصيحة مع علمه بان المقدور لا ينجي منه الحذر وكان فيما اوحى الى ابراهيم عليه السلام
في عهد عهده الله عز وجل اليه ساورث ذريتك هذه الارض ونصرة ايالك من نهر مصر الى نهر الفرات
النهر الاعظم فرجاء ان يكون قد اقترب ذلك من وعد الله عز وجل وخشي ان يكون ما وعد به
يوسف عليهما السلام في رؤياه من الاثرة والتقدير الذي دل عليه سجود الشمس والقمر والكواكب له كما
بشر ابراهيم عليه السلام فيما اعلمه ان نسلك مستغرب في غير بلاده ويملكون ويذلون فيه اربع مائة سنة
وانت تلحق باباءك في عافية وشيوخة صالحة ويتصرف ذريتك هاهنا في الدرجة الرابعة فقال يا بني
لا تقصص رؤياك على اخوتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من راى منكم رؤيا يسوؤه فليتفل عن يساره
ثلثا وليتعوذ بالله من شر ما راه وليقم فليصل فانها لا يضره ان شاء الله ولا يخبر بها احدا وقال
عليه السلام اذا راى احدكم رؤيا شر فلا يخبر بها الا بعد ان تطلع الشمس ولا يقصها الا لمن يحب في اخرى
ولا يقصها على امراه والرؤيا لاول عابر وقال عليه السلام الرؤيا على رجل طائر ما لم يعبر فاذا عبر
وقعت والرؤيا المقصود بها هو الرائي والمرئي له بآخره هي الغابر وكانت رؤيا يوسف عليه
السلام ظاهره فيما يسره وباطنه يسوؤه فيها بشارة بما يؤول اليه شانه من الرفعة والاجتباء
وقصه على ابيه فحذره عليهما السلام من شرها وبشره بخيرها اما ظهور شرها فيها وخيرها
فلان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله وامر الله عز وجل يجمع البلاء والعافية وكثرة وقضا
ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحي فظاهر الشان ان يوسف عليه السلام التفت اليه من شان الرؤيا
بشارتها وجميع ذلك عز وجل من اجتبائه اياه فكان اجتباه اياه في الله جل ذكره والفراقه وتماد
منه ذلك لاجل ذلك **فصل** الذي يلقي الى النبي صلى الله عليه وسلم بلقاه تاما في حقه معزو عامنه
اذا كلم في الامر راه مخاطبه كانه قد تقدمت له المعرفة باصول ذلك المسئول عنه عن ايضاح ذلك
المخبر عنه وعن منبعه من الحكمة علوا وجدته قاهرا به عالما له كانه عنه كان منشاؤه وفيه
مسقط راسه فاذا سالته عن شيء من ذلك الفصل منه ذكر انه ملقى على لسانه وقلبه مع يقين
رفيع موجود به وهذا الحق ياتيه في اليقظة وفي النوم وبين حال النومان واليقظان
وربما سئل في الاغلب عن شيء ابتدا مروعي كانه يتقضى الجواب من غير غايب عن ابصار
الحاضرين فاذا كان ذلك المسؤل عنه لدنيا اسرع في الجواب محكما اذ هو مما فطر عليه في خلقه
الكتبوة واذا كان مما هو خارج عنه يقضى الجواب من قريب غير بعيد فاذ وجه على ما عهده حرز

والا صمت عنه لا يطلبه من نفسه ولا يقتضيه من جانبه تفكر ولا روية لذلك والله اعلم قال له
ابوه صلوات الله وسلامه عليهما وكذلك يجتبيك ربك فعطف بالجواب وادخل كاف
التشبيه عليها اشارة الى ما استقر في قلب يوسف عليه السلام بما اعلم به في رؤياه من جملة الانذار
الذي اصيب به والقى الى يعقوب عليه السلام من ذلك مجملا ولذلك حزنه ونفوس الانبياء عليهم السلام
مثل الدلالانبياء ليست ببناقر ذلك الا تسمع الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر رؤياه في غزوة
احد فقال رايت سيفي قد انقطع ثم هززته فعاد احسن ما كان ورايت بقرا تنحر والله
والله خير فرنا ولها على حقيقتها فالقى اليها المحذور واجمل الخير فيما اريه وقيل له والله خير
بهذه احوالهم وبما هو اكرم وافخم لذلك عطف يعقوب عليه السلام بجوابه على ما تقدم نحو ما تقدم
ذكره كما شاءه عز وجل من ذلك ثم قال ويعلمك من تاويل الاحاديث اعلم وفقنا الله واياك
وعلمنا من علمه انه من بلغ الى بعض من مقتضى ما جعل الله الشمس والقمر والنجوم وبعض ما
سخرت له من امر بلغ الى ان يعلم من حيث قال ابراهيم عليه السلام لما نظر نظرة في النجوم قال اني سقيم
فاما اذا اصبحا سقم صدق بالله عز وجل قوله بما راه من امر الله عز وجل في النجوم وانه كان
الذي رواه فيما هنالك هي المحنة التي امتحن بها من القائه في النار فان ذلك كان قريبا من وقت
رؤيته ما راه في النجوم لكن لا بد له من حقيقة صادقة من ذلك وذو علو ولا كذب فيه سبيل
سوء وقد انفصح ذلك فتعاطاه ترقى في ذلك من ذلك الكتاب ضره اقرب من نفعه لا مورد الوصول حقيقتها
ممنوع ودرك بعضها متعذر لاجل ارصادها لو صحت فقد قدمت وانقلبت لذلك الهيبة بجملتها
الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وركوب في كره هذه السبيل شغل عما نحن بصدده كما طلبه
يوجب الجنبة ويصد عن الاولى ثم قال عليه السلام ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب هم الاحد عشر اخوه
الذين هم بنو يعقوب عليه السلام كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق اتمام النعمة على الانسان
بما هو بين هو ان يعطى الايمان ثم تمام النعمة على المؤمن هو ان يستعمله الله عز وجل بطاعته وبعلمه
العلم واليقين ثم تمام النعمة على الموقن ان يرفع الى مقام الصديقية والتزام التوحيد الا على علما
وقولا وعملا وذنوب هؤلاء في مقامهم هي نزول احدهم عن مصافه الى ما هو تحته لهذا
قالوا ذنوب المقربين حسنات اصحاب اليمين فقوله ويتم نعمته عليك اي بالنبوة والرسالة ثم شرط
في كلامه بقوله كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق فاتمام النعمة على النبي والرسول ايضا
هو ان يرفع الى العمود عمود النبوة وكرسالة من الاجتباء والاصطفاء وتاول ذلك يعقوب عليه السلام
من سجود الكواكب والشمس والقمر كما تقدم وان اذعان الهداة انما يكون لمن هو ارفع مرتبة منها وعلى
مكانه وقد تقدم ولو كانت الرؤيا لسواهم اليوم لم يكن للمناقل اذنا ولها على النبوة خلافا
لاولئك لانهم من اهل بيت وقعت منهم الانبياء والرسل الا ترى يعقوب كما اتمها على ابويك
من قبل ابراهيم واسحق لهذا كان تاويل الرؤيا على طبقات الناس ومراتبهم وازمانهم ثم يعقوب عن من
قائل ان ربك عليم حكيم تتميم لما تقدم ذكره والله اعلم حيث يجعل رسالاته اليوم بالله اعلم بالشاكرين
قوله عز وجل لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين في حرف ابي عبرة للسائلين يريد وهو اعلم
لطالبي العلم والباحثين عنه فكان فيهم وفيما عداهم من امورهم ايات مبلغا عن علم الله عز
وجل وتقدمه بالتقدير في الموجودات قبل وجودها واستاقر المقدورات الى حقيقة ما قدره

في الازل لا تعدوها ولا تقصر دونها وعلى لطفه في ذلك وجبره وجليل حكمته وكريم
رحمته بمن شاء ذلك به وعلى انه لا ييأس من رحمته الكافر ولا يأمن مكره التقي الطائع لي
عن ذلك مما يبدو في تصفحها اعني النبوة من اولها الى اخرها ولما ان جاء من بني اسرائيل الا
عذاب الذي انذر الله جل ثناؤه به خليله ابراهيم عليه السلام حركة بني يعقوب عليه السلام الى ما قصه الله
عز وجل علينا في كتابه **قوله** جل ثناؤه اذ قالوا ليوسف واخوه ابن يامين اخ ليوسف
من ابيه وامه حالة يوسف عليه السلام احب الى ابينا منا ونحن عصبة العصبة من الرجال العشرة
ولا يقال فيما دون العشرة عصبة لكن رهط الى سبعة ولا يقال للثلثة رهط لكن نفر والجماعة
يقال لكل جملة من خيل او رجل واذا كانوا منقطعين بعضهم من بعض يقال عصب وعصابة
اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اي
تتوبون من ذنبه الذي ارتكبتموه من اجله وتكونوا صالحين بالتوبة الى الله عز وجل فكان
ما قصه الله عز وجل من قصصهم الى قوله بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون قد سبق العلم الى يعقوب عليه السلام من ذكر رؤياه وتاويلها انه سيتم الله عز وجل نعمته
عليه وسلفه به وانه يظفر الله عز وجل عليهم بتاويل سجودهم له وربما خشي من ذلك ان يدركه
الاغتراب المعهود الى ابراهيم عليه السلام في بنيه هؤلاء وعليكم والاذلال المذكور فقال بل
ذلك او بعضه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وفي مصحف انس بن مالك رضي الله عنه
وابي صالح فصبرا جميلا بالنصب على المصدر وهي قراءة عيسى بن عمر وغيره ولم يصدقهم فيما زعموا
من اكل الذئب وهلاكه وما جاؤا على قميصه من دم كذب لما تقدم له من علم ذلك واما يوسف عليه السلام
فانهم لما جعلوه في الجب اوحى الله جل ثناؤه اليه وهم لا يشعرون لتنبئنهم بامرهم هذا **قوله**
جل وعز وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام ومن عجب
العجائب موجود هذا الوارد جاء عن دلو ماء فوجد نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلما كان اسعد
وجهته تلك وحينه ذلك لكن لم يشعر **قوله** تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة
وكانوا فيه من الزاهدين ذلك بانهم لم يعرفوا قدر ما فقدوا انفسهم من بركة كونه فيهم ونظر
الله جل وعز لهم من اجله والذين حملوه لم يعرفوا حقيقة ما احتملوه معهم الى رحالهم وهذا
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار رضي الله عنهم اما ترضون ان يذهب الناس
بالشاء والبعير ويذهبون برسول الله الى رحالكم فوالله للذي احرزتم خير من الذي احرزوه
قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث يعني الرؤيا المتقدم
في نفسه كيف عليه السلام ما لهم عند الرؤيا وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله عز وجل وله
ما اري ابراهيم عليه السلام من تغريبهم الى تلك الارض وكان ظلم اخوته اياه من نيته وخرج
الى الارض يخل لهم وجه ابيهم كما زعموا من اسباب ذلك لذلك قال جل قوله وهم اعلم والله غالب على
امره يعني والله اعلم اتفاق هذا بهذا يعني وفاقا لكل للتقدير السابق والمثبت في اللوح
المحفوظ ثم قال جل قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قد سبق الاخر على الاول وانما صح
الاول الموافق على الاخر **قوله** جل ذكره ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما يريد الاشد
الاول الذي هو البلوغ زاده الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الى ما علمه من تاويل

الاحاديث العلم والحكمة ووعد مثل ذلك جميع المحسنين وهذا كقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به
قوله عز من قائل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون هذه الاية متصلة بما قبلها معنى ومجاورة
فظاهر واما المعنى فانه لما اخبر جل وتعالى انه اتاه الحكم والعلم عند بلوغه اراد جل ذكره
ان يرينا من بركة ما اتاه ان رد ذات الجمال والمنصب والحسب والثروة واتفق هذا مع التصل
الخلوة وبعض هذا يذهل اكبر الاكابر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله شاب نشأ في طاعة الله وامام عادل ورجل دعته امرأة
ذات حسب وجمال وفي اخرى ذات منصب فقال اني اخاف الله يقول الله عز وجل ولقد
همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اختلف الناس في البرهان ما كان وذكروا
اشياء لا يتصل بتصحيح ولا بعضها شاهد وارده والله اعلم انه اراه من امره الظاهر
ومن مقدوره الغائب ما صرفه عن همه ذلك وعصمه ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم
من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء ثم اشار الى اختصاصه بذلك وعصمته اياه بقوله جل
قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين من اخلص لله والطاعة
عصمه من هناته وكان له عتابا في شدائده فعلى من قرأ المخلصين بفتح اللام يريد ما اراده به
في الازل وحباه من نعمته في القدم وهذا كله من ايته التي ذكرها في سنانه وشانهم ثم قال
جل قوله واستبقا الباب فر عليه السلام من موضع حضره فيه سبيلا الى ربه معتصما به
وقص الله جل ذكره ذلك علينا من شانه ليرينا كيف يكون الهرب اليه من المعصية ومدحه على
ذلك ونشر عنه جميل الذكر وكريم الاحدوثة لايثاره الله عز وجل على نفسه وبطلبه حزب الله
على حزب الشيطان قال وقدت قميصه من دبر وشهد له الشاهد بالبراءة من اجل ذلك وتلك
اية الله على الحكم بالدلالة والامارة عند عدم الشهود وهو حكم صحيح وقد حكاه الله تبارك
واستاق في معرض المدح منصوبا للحكم به **قوله** تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
يمكن ان يكون هذا من البرهان الذي اراه الله عز وجل فازدجر من اجله فينتظم بمعنى قوله
لولا ان راى برهان ربه راى مرأى ما يعصمه قائلا يوسف اعرض عن هذا قوله لها انك كنت
من الخاطئين ولو كان القائل لها غيره وفي وقت الحكم لم يخلص ذلك منهما للماضي اي انك
كنت من الخاطئين في مراودتك اياي وقولك لزوجك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
الا ان يسجن او عذاب اليم وقولك للنسوة ما قلت وسجنك اياي **قوله** عز وجل
وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في
ضلال مبين الى اخر القصة ذكر ان سيدها كان قليل الغيرة وانما ذلك لان القوم كانوا
كفارا فلم يكن لهم رعة وان كان الزنا عندهم شيئا فانهم كانوا يتسامحون فيه وبلغنا
انه غير عليها وقيل ان اخاها كان انتهى اليها بما كان منها قبل رؤيته قد القميص وانه هو الذي
قال يوسف عليه السلام يوسف اعرض عن هذا ثم قال واستغفري لذنبك انك كنت من
الخاطئين وذلك بعيد عنهم وقد تقدم في ذلك ما هو اولى والله اعلم ولما قالت النساء

في المدينة ما قالوا احضريهن واعتدت لهن طعامًا ومتكأً وهو عبارة عن شرب
الخمر وقرأ ابن عباس ومجاهد وابو حيوة رضي الله عنهم واعتدت لهم متكا وهو
الاترج ويجمع القراءتان في قراءة الجماعة وانها اعتدت لهن متكا واترجا وغير ذلك
من فواكه يقطعن بالسكاكين فدفعت لكل واحدة منهن سكينا وامرته بالخروج عليهن
قيل بعد ان زينته والله اعلم والمراد بالاية اظهار كرامته عند الله وبراءته من الذنب
وكان وجهه الكريم صلوات الله وسلامه عليه على عظيم براعة جماله تبدو عليه مخايل
الصدق وتلوح في اساريره لوائح الخير والعفاف ويشاهد في هيئته وحركاته
الوقار والسكينة وان كان عليه السلام اعطى شطر الحسن فلم يكن ذلك الحسن والجمال على الغالب
جالبا فتنة شهوة لمن ابصره الا ترى الى جمال الشمس والقمر وحسنهما لا يتخيل لرائيهما بوقتهما
شهوة ولا يكاد يخطر ذلك على باله فمن ذلك السبيل كان حسنه وجماله بحكمة بالغة على صورته
وهيئته تلك في سر الوجود ولما فجاء النسوة قطعن ايديهن اكبارا لجماله وعجبا من شانه
وهن بين جماله ولوائح كرامات الله البادية عليه كما قال بعضهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما هو الا ان تاتيه علمت ان وجهه ليس بوجه كذاب فاكبرنه عما ذكر عنه ورمي به وقلن
حاش لله وفي قراءة ابن مسعود حاش الله يقلن ما كان مثل هذا ليفعل سوءا ما هذا بشرا
انه لو كان بشرا لسبق من حسنه الله لرائيه الفتنة بل انما حسن هذا من حسن الملائكة ليخرج في حسنهم
فتنة ولا يعترض لرائيهم اليهم حديث شهوة ان هذا الا ملك كريم فقامت عندهن هيئته وطلعته
وبراعة حسنه مع ما سبق الى قلوبهن من عظيم شانه مقام المعجزة المعبرة عن كذب الكاذبين على
المتنبئة بصدقه وانما ارادت هي ان تعذر فيه بما سبق من قولهن انا لنراها في ضلال مبين
ليبين ضلالها عن هدايته ولا صيانة عن بابه وانما ضللوها لهمها بها وشدة ولوعها وخروجها
عن المعهود منها في شانه بين ذلك من قولهن قد شغفها حبا اي قد خالط حبه شغاف قلبها و
وخفي عليها الموت لكثرة ما اتبعته نفسها قالت لهن فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن فانما احضرتهن ليستعذرنها
عليه وتعذرنها فيه جاء بيان ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من انهن كن يسهلن
عليه ويرغبنه في وصالها قوله لعائشة وحفصة رضي الله عنهما انكن لانتن صواحب
يوسف ولم تكونا طلبتا الامامة لانفسهما بل لابتغاء مرضاة عائشة فافهم
فاخذت كل واحدة منهن تسهل عليه الامر وتعذله في تخلفه وتقلن له في ذلك فهنالك
استغاث يوسف عليه السلام بربه عز جلاله قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وقرأ
عثمان بن عفان رضي الله عنه وجماعة رب السجن بفتح السين على المصدر والحبس
وبكسرها وهو السجن الفعل وهذا يوم من اشد ما مر عليه لانه استغاثت عليه بنفسها
وبغيرها من انس وجن وضاقت مذاهبه واستغاث عند ذلك بالقريب المجيب عز جلاله
فاستجاب له حسن ذلك بالثبات والعصمة وبعد ذلك نصرف كيدهن عنه وكان من لطفه
لذلك سبحانه قضاؤه سبحانه بقوله عز من قائل ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات
ليسجننه الايات التي راوها هي ما شاهدوها على جماله وحسنه من شواهد البراءة

من الريبة والمنزاهة عن الفحشاء حتى اكبرنه وقلن حاش لله اي في ان يكون هذا
يفعل سوءا او يقارفه هذا الذي عليه وقار الملائكة وسمتهم لا سمت بشر ولا طينة
ادمي وكان السجن ليوسف عليه السلام عصمة والله فيه من اجل حكمة وعليه نعمة غيبه
لحسنه وجماله عن اعين الناس وحجبه عن الفتن وكان ذلك له ولامثاله بمثابة
التخلي عن الناس والتوحش منهم والهرب عن الاهل والوطن والمال حتى يستقيم امره
ويحين وقته قوله عز وجل ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني اراني
اعصر خمرا وقال عبد الله والضحاك اني اعصر عنبا وقال الاخر اني اراني احمل
فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين هذا من ايات الله عز
وجل الظاهرة على سجنه وهيئته كان القوم كما ذكر ان المعهود ان المحسنين لهم سبق
الحمد فما كان يسبق على حسنه وجماله الى قلوب الرائين له الا الاعظام والاجلال ذكر فيما
ذكر عنه انه كان في اهل السجن مصلحا يطعم الجائع ويؤنس الخائف ويصلح بين المتباغضين
ويعلم جاهلهم ويعظهم ولما راى الفتيان من اصلاح شانه قصا عليه ما راياه
وقالا له نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين فنص الله جل ذكره على لسان الفتيين مصداق
ما تقدم ذكره من ايات الله الظاهرة عليه الفائضة عليه من بركة باطنه وصدق شانه المتصل بالله
الذي فيه من قريب رحيم فهو لا يراه احد الا اكبره واعظمه ولما قال له الفتيان ذلك الكلام توجه
اليه فرض التبليغ عن ربه عز جلاله وقد وجد له موضعا فاضرب عن التعبير لهما في حال ذلك
شرعهما اليه واستماعهما له فاخذ عليه السلام في تبليغ علم النبوة بقوله لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي الى قوله ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون كذلك قال عليه السلام لمن لزمه التبليغ اليه اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير كهيئة الطير الى قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين ثم طفق عليه السلام يخبرهم عن الله جل جلاله وتعالى علاؤه وتنزيهه ووحدانيته
والهيته ونفي الاصنام وما خالف التوحيد وكل ما كانوا يعبدونه من دون الله بقوله يا صاحبي
السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله هو يضل وهو يهدي امر الا تعبدوا الا
اياه ذلك الدين القيم عبادة الله وحده دون من سواه هو الدين القيم وسلوك ذلك هو الصراط
المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون فكان في هذه الجملة تبليغ الرسالة وانباتها وراثته عن ابائه
متقدمين في ذلك يجب الايمان بهم ثم التبليغ عن الله جل جلاله ما هو اهله فلما فرغ صلوات الله وسلامه
عليه وعلى ابائه الطاهرين من تبليغ ما امر به اخذ في تاويل الرؤيا بقوله يا صاحبي السجن اما احدكما
فيسقي ربه خمرا واما الاخر الى قوله تستفتيان وقرأها عكرمة فيسقي ربه خمرا لان العنب ملانت
من مائه الذي يكون خمرا فقال الراوي انه يعصره والعصر هو استخراج من اوعيته التي حبوب العنب
فاول رؤياه انه لا يشربها كما يفعل بابا الماء والخمر واللبن يشرب ما فيه بان يتفرغ ما في الاناء
في جوفه فيروى عن ذلك كما كان الماري العنب على القراءة الاخرى وان حب العنب هو مخزن مائه فراى هذا
الرائي انه يعصره وكان من فتيان الملك فتاويل رؤياه انه يكون بيده تحرز خبر الملك ومكانته

واما الاخر فكان يرى انه يحمل خبزا على راسه والطير ياكله وخبز الطير اللحم ولا يكون حاملا للخبز
على راسه الا ويكون قائما ولا يكون قائما على رجليه والطير ياكل لحم راسه الا ان يكون محبوسا
ولا يكون كذلك الا ان يكون مصلوبا فقال واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه وهذا تمام ما
ذكره انه يعطي النبي عليه السلام الوحي جملة تاما معزوعا منه بيقينه ونوره دون فكره فيه
ولا تردد في شانه ولذلك حتم الجواب بقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان الا ترى ان هذا
ليس من طاقة البشر القطع بصدقها وصدق تاويلها وانما حد المعبر المجيد ان يقول ان
صدقت الرؤيا فتاويلها كذا وكذا والله اعلم انما القطع بصدقها وصدق تاويلها انه
كائن لا بد فيجوز لا ينبغي ذلك الا له ولامثاله في منزلته قوله تعالى وقال للذي ظن
انه ناج منهما اذكرني عند ربك هذا الظن على العلم لو لم يكن على ذلك لم يكن لقوله قضي الا
معنى ومثله لا ينطق عن الهوى قال له اذكرني عند ربك يريد الملك مقام الانبياء والصديقين
على جميعهم السلام التوحيد الاعلى فحين بذلوا عنه اخذوا بذلك وعوقبوا من اجله الا ان يعفو
الكريم جل ذكره بفضله يقول الله جل وعز فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن
بضع سنين كذلك يعقوب عليه السلام لما قال لبنيه اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله
الذئب وانتم عنه غافلون ولم يكن سبق في التقدير على يوسف عليه السلام ان يكون للذئب
طعاما ابتلي بان جاء بنوه يذكرون ان الذئب اكله يقول الله جل ثناؤه وجاؤا اباهم
عشاء يبكون وقرأ الحسن وجاؤا اباهم عُشاء بضم العين لقولهم عشوا من البكاء وجاؤا
على قميصه بدم كذب والمظنة عليه السلام انه حين ارسله توكل على الله كفعله بجماعتهم
يوم قال لهم عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وبنى الكلام عليه ان شاء الله تعالى فسبحان
من يجعل حكمته نعمة بوجه ونقمة بوجه وعقابا بوجه وثوابا بوجه انه لو كيع
عليم قوله جل قوله وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر يابسات الى اخر قصة الملأ كبار القوم وعلماؤهم واشرافهم
قالوا اضغاث احلام الاضغاث الاخلاط الضغث ملء اليد من حشيش خلط نبات او غيره
وهي ما يراه النائم في نومه من شغله اذ يعالجه في نهاره او يطالبه فيكون ما يراه قد اختلط
بحديث النفس وصعد الى موضع الرؤية اخره اخلاطا فيتصور ما يراه على غير الصورة
التي هي من الحق مع ما يشوبها من حديث النفس فيبعد عن الحقيقة المراد بها قالوا وما
نحن بتاويل الاحلام بعالمين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله
والحلم من الشيطان فقال القوم الرؤيا لها الى الخلق نسب تعلم بسببها الحق والاحلام
قد ضلت مراتبها عن الحق فلا علم لنا بها ولما تركبت في حقهم الرؤيا هذه من شارة
ونذارة وراوا فيها سنابل خضرا وسنابل يابسات ظنوا القصر علومهم انها اضغاثا وراوا
فيها البقرات تاكل امثالها وليست البقرات اكلة اللحم قالوا انها احلام فقال صلوات
وسلامه عليه يزرعون سبع سنين دابا في مقابلة سبع البقرات السمان ثم قال عليه السلام
فما حصدتم في السبع السنين الخصبة فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون فكان هذا
الرائي منه امر من الله امره ان يبلغه اليهم وجعله في الرؤيا حظا من امر الله فخرج

قوله فذروه على صيغة الامر اذ هو تحصين وعدة للشداد السبع سنين بعدهن ثم قال
ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون هذا القسم ليس من الرؤيا في شيء
ولكنه ماخوذ من عدد السبع الخصبة والسبع الجدبة ولما كان بتمام الخصبة اتيان الجدبة
وجب في ضمان حكم الله عز وجل بتمام السبع الجدبة ابتداء خصب اخر كذلك الوجود وقال الله
عز وجل ان مع العسر يسرا ثم ثنى تاكيدا وذكر العسر كذا الراجع على المذكور ثم قال ان مع العسر يسرا
فعلى هذا التاويل يتوجه قوله ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون في تاويل من
الرؤيا ولما جعل الله له من الحظ في الرؤيا طلب الولاية وحذر ان لا يقوم غيره مقامه الا ان يظن
بامثاله طلب عرض الدنيا ثم اذا خدم الملك للنبوة تمت بذلك النعمة وهي من تاويل ابيه رؤياه
حيث قال ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب بقوله عز من قائل فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
واتيناهم ملكا عظيما والسبع السنبلات الخضر من زرع السنين الخصبة كما السنبلات السبع اليابسات
هن ما اخترن منهن عدة للسبع الجدبة وقوله وفيه يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والجلجلان
والنخل دهنا وقد يكون من العصر وهو الملجا وهو المنجا من شدة السبع الشداد قوله عز
وجل وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن وسال الملك النسوة فقال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه
من سوء بيبينهن الله عز وجل على اعظامهن اياه اول يوم فجاهرن فاكبرنه بالتبرئ حين
واقرت امراة العزيز على نفسها بانها هي التي راودته عن نفسه فصدقته بكليته وهذا من ايات الله عز وجل
على نبوته وكرامته لمن له تاملا اي الباحثين عن لطيف صنع الله عز وجل للنبوة والانبياء
وكرامة من اراد بذلك صلى الله عليه وسلم وعلى اياته الطاهرين الطيبين وسلم عبرة انظر
وفقك الله ما بين كفاية التوكل والتفويض الى الله عز وجل وما بين التطبش والتكسب حيث قال للذي
ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك ثم لما جاءه من غير تعرض منه لذلك ولا تكسب نبيه في طلب
البراءة مما قذف به ظلما احدث الله سبحانه امراة العزيز وقلبها وجعلها تقر على نفسها بما كانت قبل بجاحتها
وتبرؤها منه وشهد النساء له بما قد كان جعل الله في قلوبهن يومئذ من الاكبار له عن دنس الريبة والتلوث
بالمعصية لا لمعنى يستفدنه بذلك من دنيا ولا براءة توبة بتزحيتها عند الله وهذا خارج عن
الفوائد المعهودة ثم قال صلى الله عليه وسلم ذلك اي من ردي الرسول واحتباسي عن الانطلاق
ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب وليعلموا ان الله لا يهدي كيد الخائنين اعلم صلى الله عليه وسلم
ان النسوة اللاتي تلبسن بالخيانة ورضين بها وكذبن عليه اولا لم يهد الله كيدهن ولا يهدي كيد الخائنين
بل جعلهن يشهدن له شهادتين الاولى والاخرى وهذا داخل في الاعجاز وهو من الايات للسائلين
وهذا ايضا انباء منه عليه السلام تعليم من الله جل ذكره ذلك تصديقا له بان هذا الحكم علم في مجازاة الخائنين
فان الخائن لا عاقبة لفعله وان ظهر له اولا ما هو حسب وظن به لاجل المكر والفتنة كما قال عز من
قائل ولا يفلح الساحر حيث اتى وان ظهر له اولا ما هو كالتخييل والاخذ بالنفوس ثم تظهر الحقيقة
بعد وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلف منفقة للسلعة مذهبة للربح فهكذا فليعتقد في الخيانات
كلها وفي عمل الخائنين ثم قال عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي
غفور رحيم لما اقرت امراة العزيز على نفسها وشهد النسوة بما عندهن من علمه قرنهن ايضا بما

الله منه وقيل انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب غمزه جبريل عليه السلام قال
ولا يوم هممت بها هممت وجاء ولا حين هممت بما هممت فقال وما ابرئ نفسي ان
النفس الاية ولا يبعد هذا ان كان من طريق يصح وقريب لامثاله موجود فيما هنا وهو الخاطر
من الخير في قلب المؤمن الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عظة الله في قلب كل مؤمن
ففي وجود الحق صحة ذلك عند وجود النبوة له خطاب الملك عليه السلام ومثل هذا ما ذكر
عن سليمان عليه السلام لما قال لاطوفن الليلة على مائة امرأة كل واحدة منهن يلد رجلا يقاتل
في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فنسي فلم يلد منهن الا واحدة ولدت شق انسان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لولدت كل واحدة منهن
رجلا يقاتلون في سبيل الله كلهم اجمعون فاقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب ذلك
ايمانا بقول الملك ان شاء الله ووجود ذلك عنه وان خاطر النبي عليه السلام شاء فيه الخير ما هو الملك
قوله عز وجل وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه القى الله في قلب الملك اكباره
وحبه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فهذه
كلها ايات للسائلين وسئل ما هي ايات عليه وفي قوله حفيظ عليم وفي هذا من الفقه
انه لا يجوز لاحد ان يتولى ولاية الا ان يكون حفيظا في عمله محافظا عليه عليما بما يأتي
في ذلك وما يذر ولا يجوز لموليه ان يوليه الا ان يكون كذلك والا وقع كل واحد منهما
في محذور وما نهي عنه وكان من الغنا في ذلك اضعاف ما ينبغي اصلاحه قوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء وقرئت حين نشاء بالنون وهو اعلم
بالتقدير الاولي ذلك وان الوجود يقتضي سوء التقدير قوله وكذلك اشارة لما تقدم
من اعلامه باياته وبيناته ما جعلت له ايات واعلامه ايضا بلطفه له ليسعفه بمقدوره ثم ما
تقدم ذكره من احسانه وانعامه عليه وعلى ابويه واخوته في القدر السابق في الازل ثم قال
وقوله الحق نصيب برحمتنا من نشاء ابتداء ولا نضيع اجر المحسنين وفي مفهوم هذا ما هو صلة
لاثابة المحسنين وعقوبة المجرمين في احكام الدنيا والاخرة جزاء ليتم كلمته في قوله القلم كتب
ما هو كائن الى يوم القيمة قوله عز وجل حاكيا عن نبيه يعقوب عليه السلام لما راوده بنوه على
ان يدفع اليهم اخاهم من امه ليحملوه الى يوسف صلى الله على جميعهم انه قال لهم هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل وهنا محذوف مقدر معناه فلم يحفظوه ولم يرعوه فالله خير حافظا
وهو ارحم الراحمين وكانوا قد قالوا له من قبل يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون
فهذا القول والذي قبله ماخوذ من الامانة لم يكن طلبهم ان يصدقهم بل كان طلبهم ان يأتمنهم
عليه ولما اتوه وقد فعلوا ما فعلوا في شان يوسف عليه السلام واعتذروا اليه بالكذب قالوا
وما انت بمؤمن لنا على سواه بعد هذا ولو صدقناك لتفريطنا فيه اليوم كما قال
من جعلها عمدة في الاحتجاج على ان الايمان هو التصديق وان كان ذلك يتوجه على
التصديق فان الاظهر فيه الامر بما احاط به من الدليل انه من الامن والامانة والايمان
هو كذلك في الامن بوا بالتصديق الله عز وجل وتصديق الرسل وايمانهم على ما اخبروا
به فنفهم ذلك فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظن يخطئ ويصيب وقال عليه السلام

الظن اكذب الحديث وقال الله عز وجل وان الظن لا يغني من الحق شيئا فاخبر
ان الظن قد يصيب وان الظن كذب فالعرب تسمي ما هو العلم بالشيء ظنا كما قال عز وجل
وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه وقال جل قوله في كذب الظن ان تتبعون الا الظن
وان هم الا يظنون وان هم الا يخرصون نفي قد يصعد هذا الى ان يخطئ مرة ويصيب اخرى وهذا
هو ظن من ظنا بما هو ظن فانه قد يقوى في عموم المؤمنين كالمتصلحا بهم بتقوى الله تعالى
فيكون الاصابة في ظنهم اكثر من الخطا لانه في مثل العبس من نور ليس هو بقديم منه
ولا هو بكامله واما الذين اتم الله نعمته عليهم فانهم على الاغلب يحقق ظنونهم باليقين
وقد كان عمر رضي الله عنه من هؤلاء في ابناء هذه الامة من يعطي هذا لذلك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله وقال احذروا فراسة المؤمن وكان يعقوب
عليه السلام ظن اولا ببنيه فاصاب في قوله عليه السلام بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وا
في الثانية لما قالوا يا ابانا ان ابنك سرق الى قوله وانا لصادقون قال عليه السلام بل سولت
لكم انفسكم امرا فصبر جميل وهذه اخفى من تلك فان العشرة البنين عليهم السلام لم يكذبوا
في هذه المرة وانما مكر بهم يوسف واخوه الاصغر ابن يامين عليهما السلام فاصاب ظنه
عليه السلام من الصدق ولم يوقع خطاه قوله تعالى وقال يا بني لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه
توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون خشي يعقوب عليه السلام عليهم ان يعاينوا فامرهم بالتفرق
على الابواب ليدخلوا في المعهود وعامة الناس يتقوا الله عز من قائل ونا دخلوا من حيث
امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الطيرة ونهى عنها ثم قال وما منا وحذف من الكلام شيئا ثم قال ولكن
الله يذهبه بالتوكل وقال واذا تطيرت فلا ترجع ثم قال الله عز وجل وانه لذو علم لما
علمناه والعلم الذي اصابه اليه هو العلم اللدني محل التوحيد الاعلى والعمل به ولكن اكثر الناس
لا يعلمون يعني ذلك العلم وقد حذره يعقوب عليه السلام بقوله ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون وفي هذا من الفقه ان الاخذ بالحذر وان كان لا يغني عن القدر رفاته
لا يذهب التوكل اذ كان الاخذ به ذاكر الله عز وجل وحده وان الحكم كله له دون من سواه ولا احد
بالسنة مباح لهذا فاذا فارق القسم الاول الموجود عن حكم الكلمة حرم كنا وخرج
ان يكون اخذا بالسنة فصل يقال لها العين والنفس اصابته فلانا عين ونفس بمنزلة سواء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق وقال عليه السلام اكثر هلاك امتي من العين وقال العين
تدخل الرجل القبر والجمل القدر وتكرار ذكرها في الشرع كبير العين من الانس والنفس من الجن
ولما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة حنين قال قائل من المسلمين لن نهزم اليوم
من قلة وكانت الهزيمة لولا دفاع الله عز وجل اياها قال الله عز وجل ويوم حنين
اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
وهذه الامة في النفوس كامنة لذلك ذكرها يعقوب عليه السلام واما هو فوطنه من حيث علم
وعلمه من رفيع العلم لرفعة منزلته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منا الا من

المفروض على العبد ان يزيل الخلقة وانما المراد منه الحد وبعث على المجاهدة وطلب المعالي من العلوم
والاعمال تويبا الحقها الله عز وجل بالعدة فيتذكر بالعصمة وعلى قدر الانكار للاذى
والتزام ما هو اولى ما يكون ذلك فاعلم **فصل** النفس تطلع من مطالعها المعهودة في
والعين نور الشيء اقوى بها اسراعا الى هذه الآفة وهذا على ما تقدم ذكره مثال تتصل بها للعاين
والمعيون وهذه النفس الشاردة اليها عدة وهي التي لشرع عن اعتقاد وجودها المعنى واثبتها المعنى
وموضع عملها موطنان العجب والحسد وقد تقدم ذكر موضع العجب من القرآن في ذكره عز وجل جنتين
والحسد مذكور للتعوذ منه في سورة الفلق فاذا ابصرت نفس العاين شيئا فاعجبها واراد الله انفاذ
ما قد شاءه على المقدار المكتوب له وعليها اخرج عنها باذن الله جل ذكره شيء يقوم مقام العدوى على
مثال لنفسه متصلا بمثال المعيون فكان عن ذلك ما شاء الله عز وجل وكان من وجه هذا الغرض
العيون واسمه الواحد والاحد جل جلاله ربنا وتعالى علاؤه وشانه والله اعلم والتحرز من ذلك
ان يذكر المعجب بالشيء الخالق جل ذكره ويشغل قلبه بذكر الصانع لهذا المعجب وليقل تبارك الله احسن
الخالقين ويدعو الله عز وجل بالبركة في ذلك المرئي واما الحسد فنفس الحاسد احد في العدو
ظاهرا او باطنا وكما الظاهرة على الاغلب عدوان فكذلك الباطنة عدو ونفسه اسرع الى
المعيون من الماء الى صببه لقد كثيرا ما يصحبه ونفسه من الحسد اذ الحسد من قبل العدو
والعين يكون من موضوع الحب والعجب بهذا المرئي والتعوذ بالقرآن والكلام الطيب المعتبر
عن التوحيد لا دفع دواؤه باذن الله تعالى وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يغني
عن الاطالة بذكره وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوضوء منه واظنه من عين المعجب بالمعيون
وذلك بان يؤمر العاين فيغسل بالماء داخل ازاره او رفاغه وما هنالك ويغسل رجليه قبل
ذراعيه ويمسح براسه قبل وجهه واذا غسل ذلك غسله الى داخل من خارج اليد وكذلك
الرجل يوخذ مياهه منه ويقدم اشمله وذلك والله اعلم لان مثاله مستقبلا مقدما امام ما هو
مثاله فيكون الوضوء على هذه الهيئة كفعل النبي صلى الله عليه وسلم في تحويل الرداء عند الاستسقاء
وكالرجوع من المصلى يوم العيد على طريق غير الطريق الذي يمضي عليه ثم هذا يتطرق الى
تعريف السحرة والتحرز منه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقاربها لا عدوى ولا طيرة
ولا غول ولا هام ولا صفر وقوله حق لكن بعضه في التكثير اكد من بعض وبعضه الزم
في الوجود من بعض وبعضها يلزم اهل العلم انكارها واحسانا اعتقادها وقد يترخص
لمن دونهم للزوم وجودها وبعضها حرام العمل بها واللوم حولها لجميع المكلفين وبعضها
كانت تكذيبا فيما سلف وكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة ذلك **قوله** عز
وجل ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون
الى قوله والله اعلم بما يصفون اعلم اخاه بما كتمه غيره من اخوته قال الله عز وجل كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك يريد مصر دينه طاعته وموضع حكمه كان عليه السلام قد استوفى
ذلك فلا تبتئس بما ترى مني او منهم في شانك ومدح الله جل ذكره في بديع تلطفه في افعال
يوسف عليه السلام الى اخذ اخيه في دين الملك دونه بقدرته تعالى ومشيئته شاءها وكان لو سرق سارق ما
صواع الملك وحكم هو فيه بحكمهم لم يكن ليوسف عليه السلام اخذه انما كان ياخذه الملك دونه لولا ان الله

جل ذكره جعل ذلك لتمكينه من الملك وملكته واهل طاعته حتى اخذه لنفسه لانه بالزعم سرق
صواع الملك قال الله عز وجل نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم مدح الله جل
ذكره الملك ليوسف عليه السلام وهو المعرض عن الدنيا يريدون عرض الدنيا والله يريد
الآخرة وذلك لان الانبياء عليهم السلام رفيع الدرجات بظهور حكمه ويقيم دينه القيم والدين
والملك اخوان حتى افترقا فهما عدوان متباغضان ولما راى اخوة يوسف عليه السلام انهم قد غلبوا
بحكمهم وان القول قد وقع عليهم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ذكر مجاهد رحمه الله عليها
وعليان عمته اختا ابيه كانت قد كادت على يعقوب في يوسف عليهما السلام ليحبه فابى عنها فجرى منه
قلادة كانت لاسحق عليه السلام كانوا يعظمونها وجعلوا احد من سرقها ان يسترق فاحتجب
بذلك على يعقوب عليه السلام واحتبست يوسف عليه السلام فيها قال فهذه هي السرقة التي ذكروها
فالله اعلم اكان ذلك امر لا ولما سمع منهم يوسف عليه السلام ذلك اسرها في نفسه ولم يبدها
لهم وعلم بذلك ثباتهم على العداوة الاولى وكذبهم عليه فقال انتم شر مكانا يمكن ان يتوجه
قوله هذا الى ما تقدم ذكره ويمكن ان يتوجه الى سرقتهم اياه عن ابيه حين باعوه بقوله انتم
شر مكانا بسرقتكم اياي ليعقوب هذا عند نفسه ثم قال والله اعلم بما تصفون ولو كان ما قال مجاهد
رحمه الله صحيحا لم يكلها الى الله عز وجل **قوله** عز وجل يا ايها العزيز ان له ابا شيخا
كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين فهذا من الفقه انه مما ينبغي ان يكون المدح لكم
المرغوب اليه بطلب الحاجة قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون
في هذا من الفقه ان يصلح ان يتوصل بالمعاريض الى الحق اذا لم يكن من ذلك بد وقد ذكره الله
جل ذكره في معرض المدح **قوله** جل وعز حكاية عن نبيه يوسف عليه السلام اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين كان ابراهيم عليه السلام قد نزل
ارض كنعان بن حام بن نوح عليه السلام فلم يكن لهم ليخرجوا منها الى غيرها الا بامر من عنده فامرهم
يوسف عليه السلام بالرحلة منها الى ارض مصر وذلك امر من الله جل ذكره واعطاهم قميصه على
ما امرهم به عن الله عز وجل وان اباه يعود به بصيرا اذا القي على وجهه ففعلوا بذلك انه امر الله
جل ذكره ولما فصلت العير من مصر متوجهة الى ارض كنعان وجد يعقوب ريح يوسف عليهما
السلام على القميص وهذه الصفة من حبوة الايمان نابت في حقه الحواس الظاهرة سمعا وبصرا
وشما وذوقا ولمسا كذلك قال اسمعيل صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين وقد زاره ابراهيم
عليه السلام الى المنزل فلم يجده ووجد امراة اسمعيل فقال لها اين هو قالت هو في القنص فقال لها
ما حالكم فجاوبته بجواب لم يرضه منها فقال لها عليه السلام اذا جاء اسمعيل فقولي له يبدل
عتبة بابه ولما جاء اسمعيل عليه السلام ودخل المنزل قال لاهله اني اجد رايحه فمن جاءكم
اليوم قالت جاءني شيخ كذا وقصت عليه القصة وهذا امر مشهور عند المنعم عليهم متعارف
وذلك عن حواس حبوة الايمان ولما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون كان عليه السلام قد علم ما علمه الله عز وجل انه غير مضيع كوكب
دون ان يبلغه درجة اتمام النعمة عليه في تمام اكمالنا وبدر رؤيا يوسف عليه السلام وهذه كلها
من ايات الله عز وجل في قصصهم لمن اعتبر بها وجعلها معبرا الى الهداية وتفصيل معلومات

كثيره والى ذكر قوله عز وجل يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وقد كانوا
قالوا ليوسف عليه السلام لما قررهم على فعلهم الذي وعده الله عز وجل به فيما اوحى اليه
في رؤياه حين جعلهم اياه في غيابات الجب وقوله لتنبئنهم بامرهم هذا فقال لهم هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف الى قوله تالله لقد آثرك الله
علينا يعني قدمك وفضلك علينا وان كنا لخاطئين فجاء من هذا اذ لا اقرار بالخطيئة مع ندمهم
على فعلها توبة لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ربي اني ظلمت نفسي فاغفر لي كذلك
قال ادم وموسى ونوح على جميعهم السلام فقال يعقوب عليه السلام سوف استغفر لكم ربي واخرهم
عليه السلام الى السحر والله اعلم ذكر انه جمعهم فجعل يدعو لهم ويؤمنون على دعائه عليه السلام
حتى اعلمه جل ثناؤه انه قد غفر لهم وجعلهم انبياء واستغفر لهم يوسف عليه السلام عندما سالوه
المغفرة وحين اقرارهم بالذنب وقد توقف في ذلك وعد الله اياه من وحيه الذي اوحى اليه
حال القائهم اياه في الجب وكان الدنيا المرتكب منهم في جنبته وهو المظلوم به فوضع عنهم
حقه عندهم وحسن ذلك وكان نظلوما يعقوب عليه السلام في خطاياهم في يوسف ونعم
ما جنوه عليه من الحزن والاسف وطول البكاء واعظم المطلوب ان يبلغ بهم الغاية التي بلغوها
من جعلهم انبياء من ائمة المتقين وقد كان على ذلك من داود ويلد ويا يوسف عليه السلام ولذلك
قال ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب وعلى قدر الحاجة الشوق لها والتاهب قوله عز وجل
ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ولم يقل ذلك في اخويه ومن هذا يفهم ان السلام على الاحبة
والخاصة مباح المعانقة فيها وتقبيل المناكب والمصافحة وذلك على منازلهم وقال بشرهم
ونهنيهم بالسلامة والرغبة ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وهذا يمكن ان يكون عند تلقيه
اياهم قبل ان يدخلوا المدينة اوى اليه ابويه وقال لجماعتهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين
ولما دخلوا عليه مجلسه رفع ابويه على العرش ثم يذكر عليه السلام رؤياه التي اراه الله عز وجل اياها
وكيف عبرها له ابوه وكيف نزغ الشيطان بينه وبين اخوته وغربته واستعبادهم اياه وتصيرهم له
تلك الاباعر وكيف لطف الله جل جلاله في حراسته دينه عليه في ظلمات الكفر وملك العبودية وكيف
لطف له بالحفظ والكفاية وحسن الدفاع ثم كيف جمع عليه شمله واقر بالظفر عينه فخر لله جل
ذكره ساجدا شكرا لما اولاه فخروا له سجدا ايتماما بسجوده شاكرين لله عز وجل حامدين له
ثم لما رفع له السجود قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن
اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف
لما يشاء يعني لما قد وعد اباه ابراهيم صلوات الله وسلامه على جميعهم انه هو العليم الحكيم
ثم جعل يدعو ربه في الخاتمة واتمام النعمة بقوله عليه السلام رب قد اتيتني من الملك والحكمة التي
اظهر له في تاويل سجود الشمس والقمر والكواكب في رؤياه ثم التفضيل على اخوته وحنانه
على من سواه وعلمتني من تاويل الاحاديث فهمتني الوحي وتاويل الرؤيا ونحو هذا فاطر السموات
والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين فاراده باسم
الفاطر ان يتوفاه مسلما على ما فطر السموات والارض عليه وفطره قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وفي اخر على الاسلام وانه من يقيم حياته

فيما تقدم حتى توليه عز وجل اياه فناداه من قرب الولاية بقوله كما فطرتني على الاسلام
الذي فطرت عليه السموات والارض توفني مسلما وكما توليتني في الدنيا تولني في الاخرة والحقني
بالصالحين وقد تقدم ذكر سجود ادم عليه السلام لربه عز وجل لما سواه خلقا ظاهرا ثم
لما نفخ فيه من روحه سواه باطنا فجعل ذلك عن نفسه من هو وانه عبد لربه والهمه السجود
اليه فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس كانت اماما من الله جل ثناؤه لكرمه بها قوله
عز وجل فيما حكاه عنهم قال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد
احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
هذا يدل على ما تقدم ذكره ويؤيده بعلمه واستنباطه تاويل الرؤيا علما مجملا فذكر اباه ببعض
الجملة واعرض عن ذكر بعض محل المحنتين بعد ذلك نعم ربه عز وجل ويحدث
بها ولما ان كان الغرض ذلك لم يحدث بما اصابه من ضر ووصب ونحو ذلك وهكذا يكون الشكر
والثناء ثم ختم بقوله عليه السلام ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم كان الذي شاء
ربنا جل ثناؤه انما انفذه بلطفه في اسبابه والمقدورات الى مقاديرها بعلمه وحكمته
لا اله الا هو يقول الله جل ثناؤه لرسوله عليه السلام ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون هذا مثل قوله في صدر السورة نحن نقص عليك احسن القصص
بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين اي عن العلم نقصصهم صرف هذا
الخطاب الى ذكر العرب وتحقيق توبيخه ورسالته ثم قال عز من قائل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
هذه السورة مكية ولا مرية يومئذ في ان اكثر الناس ليس بمؤمنين ولم يكن عز جلاله ليعلمه ذلك
بهم لاجله ويحزن له لانه كان يحزن لتاخرهم وبهته خلافهم وانما معناه والله اعلم وان دخلوا
في الايمان وكان منهم ما انت حريص عليه فان اكثرهم في حال ايمانهم يؤمنون بل الغفلة بصحبهم
والخلاف ياتي على اكثرهم الا من اتم الله نعمته عليه دل على هذا قوله جل قوله وما يؤمن
اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقول من قال انها نزلت في مشركي العرب كانوا يلبون بالحج فيقولون
في ذلك لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك فهذا انه صحيح
فلا تنقض على وليك بالوجود بعطى هذا والمشاهدة على علما ثم قال جل قوله افامنوا
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ثم قال عز من قائل
وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى اي لم ترسل اليهم ملائكة ولا سكان الارض
بل كانت لهم ذرية والازواج يجوعون ويشبعون وعلى ذلك اهلكنا من كذبهم ورد عليهم مرجعهم
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ثم دعاهم جل ذكره الى الاخرة
بقوله جل قوله ولدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون قوله تعالى حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا بتشديد الذال من كذبوا جاءهم نصرنا ويمكن ايضا ان يكون
حتى اذا استيأس الرسل وظن المرسل اليهم يعني الكفار انهم قد كذبوا اي ظنوا
ذلك ظنا يقوم لهم مقام اليقين جاءهم الهلاك واخذهم العذاب فكان ذلك نصر الرسل والانبياء
لهم فينجي من يشاء اي من الاتباع ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين فصل الظاهر المعلوم
من رحمة الانبياء والرسل عليهم السلام وبرهم ورافتهم لا سيما بالاباء والقرابات انه كان

ينبغي بل كان يجب على يوسف عليه السلام اعلام ابيه يعقوب عليهما السلام وادخال السرور عليه
والتبرك الى الحرص ويميله الى الحزن مع عدم تعذر ذلك عليه وتمكنه من الامر في ارض مصر
من ارسال الوصايا والاشخاص الى ابيه الشديد الحزن البكاء العظيم المصاب بعرفه بحاله
حيث هو وما الذي جرى له عليه بالقدر والى ما آل اليه شانه وقد قيل انه بلغ من الحزن
وعظم الوجد وجد سبعين ثكلى وهما يومئذ خير من على وجه الارض فكان يكون له في ذلك
عزاء ومن عظيم حزنه وكثرة بكائه مسلى وهم القدوة للامم بعدهم والائمة الادلاء على
القصد الى الله سبحانه الجواب ليس شان الانبياء عليهم السلام فيما بينهم كسواهم بل شانهم انتظار الاذن
من الله عز وجل ولا يتقدمون ولا يتاخرون الا باذن من الله سبحانه فما اذن لهم فعلوه
وانتهوا اليه وما لم يؤذن لهم به وكلوه اليه جل وعز وهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في
الاعلام بشانه الى ابيه ليستوفي هو وابوه عليهما السلام بالحزن اليه والشوق الى لقاء كل واحد
منهما صاحبه ذخرا زائدا الى عمله ودرجة لم ينلها بنبوته وبحكم الله ذكره في ذلك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لاصحابه في الهجرة من مكة الى المدينة وبقي هو ينتظر ان يؤذن له
ثم استاذنه ابو بكر رضي الله عنه بان يهاجر بنفسه فيمن هاجر الى المدينة فقال عليه السلام انا
انتظر الاذن في الهجرة فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال الصحبة فبقي ابو بكر اربعة اشهر
يعلف بها فيبين له ينتظر ان يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهاجر معه حتى نزل عليه الاذن من ربه
عز وجل فهاجر وعلى هذا يتخرج تاخر اعلام يوسف عليه السلام اباه وهذا شان الانبياء
عليهم السلام مع ربهم وسيدهم واحوالهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله عز
وجل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب العبرة هي ان يشاهد المتفكر بعلمه وقلبه ما يقف
عليه بلبه فان كان هذا المعلوم مما هو من الدنيا فليمعن فمرة الاكياس الى الاخرة وليعبر
من موجود اما فكر فيه ومشاهد ما نظر اليه الى غيب ما جعل هذا اية له ودلالة عليه فقد تقدم
من العلم بالاخرة ما تقدم فليقايس الاشباه باشباهها وموجودات كل دار بامثالها فيما تحيل
وكذلك كل معتبر اليه لذلك شرط في العبرة ذوي الالباب ثم قال جل قوله ما كان حديثا يفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه يعني التورية والانجيل والزبور والصحف المنزلة قبل وتفصيل كل شيء
الذي هو الخلق كل شيء هو ام الكتاب بهذا تفصيل ما كان في معناه او يتعلق به او جاوزه من ام
الكتاب في كل شيء وقد احكم الله اياته في الكتاب المبين ثم فصله بالوحي ايجادا وبالكتاب اعلاما
وقصصا وهدى الى الاعتبار ورحمة لقوم يؤمنون عبرة سبيل الاعتبار في هذا والله اعلم
كما عبر يعقوب عليه السلام في رؤيا ابنه من رؤيته الشمس والقمر الى التفصيل والى الملك والاجتباء
ومن رؤيته الكواكب مع الشمس والقمر الى ان يعلم تاويل الاحاديث ومن سجود الاخوة بعد
معرفة العبرة اليهم الى حدوث العداوة منهم له بما جعل الله عز وجل في الكواكب من امر
وامره مشتمل على الضر والنفع وكما عبر يوسف عليه السلام في رؤيا الملك من سبع البقرات السمان
الى السبع السنين الخصبة ومن العجاف الى السبع الشداد ومن السنابل الخضر الى نعم وخضرة
العيش ومن السنابل اليابسات الى المجدبة منهن فاعتبرانت وفقك الله من وجود عدد
اخوة اياه واخراجهم له عن ارضه الى ارض مصر الى ذلك من تصديقهما انسى ج الرهم

عليه السلام وان الذي جرى على اسباطهم من استعباد القبطيين اياهم واذلالهم وشدائد
ما نالهم هناك لما انها عقوبة لجميعهم لاستعبادهم يوسف عليه السلام وكذلك جميع
ما احزنوا من اجله الحزن منهم يعقوب عليه السلام فان قلت فما بال نسل يوسف عليه السلام قد
اصابهم ما اصاب نسل جميعهم من الهون والاعسار والاستعباد والجواب ان الامر من الله عز
وجل اذا جاء عم البري والجاني كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترد ورودا
واحدا وتصدرون مصادر شتى وقال الله جل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة كما كان العطف عليهم وغياثهم مراعاة لصلاح ابائهم وميراثا الصدق الاول فيهم
عليهم فقد جاء ان شوم الاب يلحق ابنا من ولده وان بركة الاب تصيب تسعا من الولد
كذلك كان ظلم القبطيين لهم واستعبادهم اياهم وتسخيرهم سببا ليورثهم الله جل ذكره
ارضهم وديارهم واموالهم قال الله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك اي كذلك فعلنا بمن اهلكنا قبلهم ونفعله بمن نهلكه
بعدهم ثم قال جل قوله واورثناها بني اسرائيل يقول الله جل قوله وتلك الايام نداولها
بين الناس كذلك فاعتبر من تيسيره الاسباب من حفظ يوسف عليه السلام وحفظ اياه
في ايمانه واسلامه ودينه وتمكينه من ملك مصر ليهيء له ما يريده من تعريف نفسه وجوار
الى عشيرته والى تعليمه ما علمه من النبوة وتاويل الاحاديث وما اتاه من فضله واطلعه
الذي علمه اياه الى ان الله غالب على امره بتيسير اسباب الكائنات لكون ما يريد كونه كذلك
الى ما حواه الكتاب المبين لكل كائن الى يوم القيمة كما قال جل قوله وتفصيل كل شيء ثم الى ما اقتضى
الكائنات من مقتضى اسمائه ومعاني صفاته **فصل** جاء في الكتاب الذي يذكر انه التوراة
ان الله جل ذكره اوحى الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم واخرجه خارجا ثم قال انظر الى السماء والنجوم
ان كنت تقوى هكذا يكون نسلك وقال له جل قوله انا خلصتك من نار النمانيين لاورثك هذه الارض
وتملكها وقال ان نسلك سيغرب في غير بلاده وتملكون ويذلون فيه اربع مائة سنة ولكن ساحكم
على الامة التي تستعبدهم وبعد هذا يخرجون بخير واسع وانت تلحق باباءك في عافية وسحوحة
صالحة ويتصل في ذريتهم ههنا في الدرجة الرابعة وقال ايضا يوم اضجع ابنه للذبح وفداه الله
جل ذكره منه بكبش فاوحى الله عز وجل اليه اذ فعلت هذا ولم تحن على ولدك المولود وحيدك
سابارك عليك واكثر نسلك حتى تكون نجوم السماء وكرمل اجواف البحر وسيملك نسلك
ابواب اعدائهم وسنبارك بنسلك الى جميع اجناس الارض اذ وقعت عند امري فكان ايضا مما لطف
الله عز وجل لنبيه يوسف عليه السلام وما حرك اخوته الى جحده وعداوته وتبعه وتغريبه
عن وطنه ليكون لهم كالفرط الى ارض مصر للتعريف الذي انباه به ابراهيم عليه السلام وهذا من
تفصيل كل شيء وولد لابراهيم اسمعيل واسحق ثم ولد لاسحق يعقوب والعيص وكان
اسحق عليه السلام قد بارك على العيص بعدما كان قد عمي اعني اسحق فبارك عليه المكين كادتها
عليه امرأته ام العيص واسحق يظن ان الذي بارك عليه هو يعقوب فولد ليعقوب يوسف واخوته
اثني عشر ولدا كانت الاسباط عن هؤلاء بنوا اسرائيل وولد العيص البنون والبنات وكان
صاحب صيد وقنص وذكور وطهور فكان عنه الاصفر وما ولد وقيصر وما ولد وروم

وما ولد ويونان وما ولد و فارس وما ولد ثم كان من بني اسرائيل من الصلاح والنبوة
والحكمة والكتاب ما قص الله علينا وكان من بعض خلفهم من خلاف وعتو وامتحان
وعقوبات ما عدد ما الله علينا قال الله عز من قائل وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا والعلو الكبير الذي عناه وهو اعلم علوهم
بالدجال لعنه الله فان الدجال يدعو الى نفسه ويدعي الربوبية واتباعه على دينه
لاموية في ذلك ثم تكون يومئذ من عقوبتهم ما قص علينا وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه وفي اخرى حتى لو كان فيهم من اتى امه جهارا لكان فيكم من يفعل ذلك فما من
فعل فعلوه الا فعلناه نحن من قتال وقتل واخراج البعض من الاوطان واختلاف
في الدين من بعد العلم الى غير ذلك مما يكثر تعداده لو نصف جميع ما عيب عليهم لالفي فعلنا
ذلك خلا ما كان من قبل الانبياء والرسل فان من رحمة الله جل ذكره انه لم يبعث فينا
نبي يامرنا وينهانا وقد كان فينا من ادعى النبوة والربوبية تصديقا لما انذر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما من اتى امه جهارا فالجهار هو النكاح والاشهار فذلك قد يكون من
بعض من يكون نادرا في امة فارس فاذلك كان من فعلهم وعنه كان اسلامهم وتوبتهم
وما من امة تابت عن سنة وخرجت عنه باسلامها الا عادت الى ذلك الفعل اخلافها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم وعدتم من حيث بدأتم ثلاثا وهذا
والله اعلم انذار منه للامم الثلاثة العرب والروم وفارس فانه مبعوث الى جميعهم والحبش
وسائر اجناس الامم تبع لهؤلاء في الخطاب فانهم يعودون من حيث بدأوا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى
وحتى تصطرف اليات نساء دوس حول ذي الخلصة وقد قيل ان ظهور الدجال لعنه الله
يعود ملك بني ساسان وعلى القول بالاجمال فلو تصفح فعل الروم وفارس تخلفهم عن هدايتهم
الان وعلمنا في تخلفهم ما علمناه من تخلفنا لوجد فيهم انهم سلكوا مسالك من قبلهم
كما ضلال المهلكين وغير المهلكين الذين سبقوهم من الله عز وجل الامهال تبعوا سنن من
كان قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وفي ذلك يقول الله جل من قائل كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به وقال تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم
يوقنون ان كل الا كذب الرسل نوع اخر من العبرة وهو ان ينظر في تغريبه عليه السلام عن ابيه واهله
ووطنه فيعبر منه الى غربة المؤمن عن قراره فوزه وموضع مسقط راسه واولية خلقته وهو
الجنة ابجار فيها هو البر الرحيم معدن النعمة والراحة والامن ثم حسد اخوته كحسد ابليس لعنه الله
لادم صلى الله عليه وسلم ثم تغربه من بعده لذلك قال بعضهم • الا في الغربة ابكي ما بكت
عين غريب • لم اكن يوم خروجي من بلادي بمصيب • عجبا لي ولتركي وطنا فيه حبيبي
فغرب عليه السلام الى الاستعباد وعرض به للفتن وضروب المحن والسجن الى غير ذلك مما ابتلي
به وذلك في التمثيل كتغريب ابنيه ادم عليه السلام وتغريب جميعنا من اجله فصعد جميع ما
اصابهم وعاقبة ذلك وبوقف عاقبة التغريب الاول وعاقبته فبذلك امرت وانظر في الد

ومثل حال العالم ساكن الدنيا المغرب اليها فانه فيها كالنائم وما يلاقيه من محنها
ومتلذاتها وضرائها وسرائها كله فيها كالرؤيا والاحلام وان الرؤيا في موضع
الصدق فالذكر في هذه والاحلام فيها كالباطل والمنسوب من مراى النائم الى الشيطان
والاضغاث منها كموجودات دار الدنيا ومما فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا عبر اذا من رؤياه الى موضع تمام اجل غربته وحلول
وقت اللقاء باهله وابيه وتوهم سجودهم حين اللقاء شكر الله عز وجل ومثله سجود
المؤمنين لله يوم لقائهم له في صورته التي اعرفهم بها في هذه الدار ثم انظر في تفاوت
العباد والمؤمنين في لقاء ربهم اما المذنبون العصاة فرجاؤهم العفو عن ذنوبهم والمغفرة
لخطاياهم واما الاولياء واهل المحبة الطاهرة من الذنوب فلهم الاجلال والاكرام
قال الله عز وجل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه يعني عانقه وضمه اليه الدوام
وشما وسمعنا من اشتيا في الغربة وقال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون
تفطن وفقك الله وبلغ بنا وبك رفيع الدرجات وكذلك يقول الله لنا ولهم في
الدنيا والاخرة يوم اللقاء يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون في ما ترون
من فظيع الاحوال وطول المقام الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة انتم
وازواجكم تحبرون كما قال يوسف عليه السلام ادخلوا مصر ان شاء الله امنين واوى اليه
ابويه ورفعهما على العرش وجعل حظ نبيا لها وقال جل قوله في الاخرين انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون ثم قال الا عباد الله المخلصين المعنى كله حيث
وقع كذلك فعل عند لقاء ابيه وجميعهم واوى اليه ابويه كيف يظن وجد ابنه ومحبته وشديد
شوقه لعظيم وده وطول حزنه من بعده واصحاب الذنوب لم يلحقوا المنزلة العليا اقصى
امانيهم العفو عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اشتد شوق الابرار الى لقائي
واني الى لقائهم اشد شوقا وقال اذا احب عبدي لقائي احببت لقاءه واذا كره عبدي
لقائي كرهت لقاءه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من رجل ضلت
له ناقة بارض فلاة عليها زاده ومزاده طلبها فلم يجدها فلما ايس منها قال ارجع فانام تحت
تلك الشجرة حتى اموت فبينما هو نائم اذا بها قائمة على راسه فقام باخذ بخطامها وهو يقول
اللهم انت عبدي وانا ربك اخطأ من شدة الفرح فالله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه شكر
هذا الخطا على لسان رسوله عليه السلام الى التمثيل بالرجل ضلت له ناقته والناقة في التاويل
هو العبد ضل له مثلا ضربه الله ولا يضل الله شيئا وتاويل الارض الفقر هو دار الدنيا
بما احاط بالعبد من مهالك من شياطين الجن والانس وفتن وهوى واسقام وسراء
وضراء ونفس امارة بالسوء الا ما رحم الله وشهوة غالبة وتاويل ياسه منه ما عبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه بقوله الهوى والشهوة ويغلبان العقل والعلم والبيان وتاويل
نومه ما عبر عنه بقوله انا عاملون وانتظروا انا منتظرون وكل اجل عنده له كتاب وكل اجل بكتاب
فهو ينتظر بالرشاد وهم في عمايا هذه الارض المهلكة حتى ياتوه وهو الاتي بهم عز
وجل فاذا اتاه التائب فهو اسائل به وربه يفرح به وهو لا يشعر الا ترى الى اشارة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في آخر المثل لي ما نحن بتبديل من التاويل بقوله انت عبدك وانا ربك وكانت
رسوله عليه السلام بلطف سعيتك ان شاء الله الا ترى ان مكرهم على يوسف عليه السلام كشبيه
مكر العدو اللعين بآدم صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه عن قرار العفو والانس والقرب الى الدنيا
دار الغربة والوحشة والاذاية والفتن كخروج يوسف عليه السلام الى ارض الكفرة عبدا
وتعريضه للفتن وسجنه فيما هنالك وقال النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن كذلك
آدم لما واقع الخطيئة هنالك سجن ههنا كذلك فانظر الى مكرهم في مجيئهم اباهم عشاء
يبكون قد غالوا القميص بدم كذبا وجواب النبي الصديق صلوات الله وسلامه عليه بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل اي على ما الاقيه وهو من البعد ومعلوم ما قد سبقه اليه ربه عز وجل
من علمه من تاويل الرؤيا ثم قال عليه السلام والله المستعان على ما تصفون الا ترى الى بيعهم
اياه بالثمن البخس بدراهم معدودة اشارة الى قلتها ولم يشعروا بما باعوه وفقدوه
من نبي الله وصديقه ورسوله والى جهل الذي اشتراه من مصر بما صار اليه ما اشبه هذا الغرة
يبيع احدنا نفسه بدنيا قليل نفعها وشيك زوالها زهيد متاعها يبقى وتذهب تبعاتها
لا سيما حال صحبها بصرها ما اشبه جهل البايع منا بالبايع منهم والمشتري بالمشتري منهم
ثم مكن له في الارض يتبوأ منها حيث يشاء كما فعل بآدم عليه السلام ويكثر من ذريته ثم قال
نصيب برحمتنا من نشاء ولا يكون التمكين في الارض رحمة الا للمتقين ثم قال ولا نضيع
اجر المحسنين اي الذي لم يمكن لهم فيها فصبروا واحسنوا ثم قال ولاجر الآخرة خير للذين
آمنوا اي من التمكين في الارض لذلك وهو علم قال وكانوا يتقون خاطب من الآخرة فكان
تقواهم كالبضاعة وقال جل قوله في ذكر التمكين الاول وكذلك اشارة الى ما كان من تاويل ذكر
الرؤيا من التمكين اشارة الى ذلك بقوله كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق وقال
الله عز وجل فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فقد كان في بني
اسرائيل من آل ابراهيم من سخرت له الجبال والطير يسبحن معه بالعشي والاشراق وكان فيهم من
سخرت له الريح والجن والانس والطير اولي الملك بالمعجزة وقد كان في آل ابراهيم من جاب
الارض وسلكها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبنى السد دون ياجوج وماجوج وبنى باب
دونه وهي معجزة ثم قال جل قوله ولنعلمه من تاويل الاحاديث وقد تقدم قوله تعالى وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك بالفتح وهيت لك بالرفع بمعنى هيئت لك
فهذا امثال الفتن المرصدة لابن آدم في غربة دار الدنيا جمعت لهذا في امراة ملكه هي راس
الفتن وقد وصفهن الله تعالى بان كيدهن عظيم ووصف كيد الشيطان بان كيده ضعيف فقال معاذ الله
انه ربي احسن مثواي وهذا اشارة خفية الى ان المراد هو ربه الكبير الاكبر لذلك قال انه لا يفلح الظالمون
ثم قال عز من قائل ولقد همت به وهم بها موضع العبرة في هذا ان الصديقين قد يوقع فيهم
الشيطان وسوسة وفتنة وهما وحديثا ويعصم الله الرحيم من سبقت له الكلمة بالعصمة
لحق الله عز وجل كذلك اشارة الى ما عند المختار محمد صلى الله عليه وسلم ثم للتالين القرآن حق
تلاوته والكاف للتشبيه بذلك المعلوم المعهود وجوده اي كفعلنا بالمخلصين من عبادنا
من العصمة بالمقدور الغائب لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين من لطف

وسترها على اوليائها وقدهم بها على ما ذكره من قوله الحق فقدت قميصه جيدا وهو
فاد عنها من دبر فجعل الله ذلك علامة على براءته من السوء ولو شاء لجعله من قبل وعلمه
جل ذكره بالبراءة والفرار عنها على الكتابة اتم عليه بذلك النعمة ثم بوشر فمن يرجح التبليغ
منه اليهم عن الله عز وجل على البراءة بالبرهان كما فعل بطلعته الكريمة صلى الله
عليه وسلم في حق النبوة حتى براءة ونزهته وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم كذلك من عود نفسه المجاهدة وجود حالكف عن المشتهيات فان الله يفيض له
من العصمة من حيث يدري ولا يدري ثم الهم الفتيين ليعصرا وهما عليه وسترها على المحسنين
في قوله انا نراك من المحسنين وقول الذي نجا منهما ايها الصديق افتنا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الرؤيا عاجل بشرى المؤمن وما يفضي على السنة الاهسين او غيرهم في دار
الدنيا فهو كالرؤيا في جانب تاويل حقيقة الآخرة ولعل يوسف عليه السلام فقه عن ربه عز وجل
وذلك هو المعهود منه في زلته حين قال للذي نجا من الفتيين اذكرني عند ربك فلذلك لما
جاءه الرسول من عند الملك يامره بالخروج من السجن ارجأ الامر حتى يستبرئ لله عز وجل
ولنفسه وقد اراه كيف اطل عليه ستره وجعل العلامة المحكوم بها على ما نبرته بها ثم اذكر النبوة
الكبير الذي مكنه في الارض يتبوأ منها حيث يشاء وقد تقدم وجاء اخوة يوسف بشأنه سبعة
هذه الغربة المكنونة عليه بغير سرا ولياء الله عن ربهم وعن دار قرارهم فالمطلق في هذه الغربة الاعمال
والحمل عليه بطهر الغيب قال الله عز وجل ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله
ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم نظم بهذا النص قوله عز من قائل لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ثم قوله عليه السلام ايتوني باخ لكم من ابيكم بنبههم عليه السلام
فانامتهم الغفلة فقد كان لهم في طلبته اخاهم من ابيهم مبحث لو شعروا وفي جعله بضاعتهم
بضاعتهم في رحالهم بقوله عليه السلام لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها
اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون عن جهلهم الى العلم كما قال الله جل من قائل في
الكافرين صم بكم عمي فهم لا يرجعون الظاهر من شان يعقوب عليه السلام انه شعر لبعض المعنى
لكنه لما كان الدليل عليه من غير وحي الذي هو المعهود في شان الانبياء على جميعهم السلام
لم يقف به ولا عدل اليه لكنه اعطى المعنى من ظاهر فعله قسطه قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقد اتهمهم على يوسف عليه السلام فلم يكن ليامنهم مرة
اخرى على اخيه حتى اخذ موثقهم اي ايمانهم وايتمن المرسل اليه فاعطى حظ التفطن
للمعنى واخذ المواثيق وتوكل على الله عز وجل وفوض اليه علم بواطنهم واما قول يعقوب
عليه السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة حذرا من العين كما كان
فيهم المحبوب تحركت الشفقة على جميعهم كما قال القائل

وحدثت ليلى بالعراق مريضة   ومن ذا الذي يغني وانت صديق
شفى الله مرضى بالعراق فانني   على كل ما شالك بالعراق شفيق

ما اخبر الله جل ذكره بهذا كله الا تنبيها للفطن من ذكر الوسن قد جاء ان الله جل جلاله
اذا عفى لمذنب ذنبا ما غفر لكل من عمل بذلك الذنب ذنوبه وجاء ايضا انه لعفا يوم القيمة
لكل من اسمه محمد ثم قال عليه السلام وما اغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ما خلق الله من مخلوق الا وبالحق خلقه والا وقد اعطاه من الحق
الخلق قسط واظهر منه حظا لانه مفعول بقدرته ومقتضى اسم واسما من اسمائه ومعلق
صفة الا وجده فمن رجا ذلك الموجود في هذا المصنوع اوجده من نفس المصنوع بالحكم والعدل
والمشية فقد اهتدى بالحق وهدى به وفي مثل هذا المعنى جاء قوله وممن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون اى عدلوا به غيره فافهم قال الله عز وجل ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها الحاجة
ان يضيف الى كل مخلوق حقه من الحق المخلوق به ولا يسلبه قسطه الذى جعل الله فيه وبذلك
السنة التي لله جل وعز في مخلوقاته وابنا فيها قال الله عز وجل وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون بقوى عز من قائل في
يعقوب عليه السلام وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وكما يجب على المؤمن العاقل
عن الله عز وجل الجمع بين الايمان بالقدر والاخذ بالحذر مع علمه انه لا يصيبه الا ما شاء الله ان يصيبه
فكذلك عليه ان يجمع بين ان الله عز وجل هو المتوحد بالحكم لا شريك له وبين العلم بما جعل
الله عز وجل في الاشياء من نفع وضر وان ذلك لا يكون منها الا بمشية منه فيها وبها فافهم
فقد قرب لك المأى وعلمت ما لم تعلم الا بالله العلي المولى وانما جعل السقاية في رحل اخيه ثم امر مؤذن
يؤذن فيهم ايتها العير انكم لسارقون فالمعهود من الابتلاء بالانبياء عليهم السلام ثم الامثل
فالامثل ويبتلى بهم بقول الله عز من قائل لرسوله صلى الله عليه وسلم انى بعثتك لابتليك
وابتلى بك وانزل عليك كتابا لا يمحوه الماء الحديث ولله جل ذكره في ابتلاء الانبياء عليهم السلام
حكمة ظاهرة هى من صفو الحكم الا ترى ان الله جل ذكره اول ما اوجد ادم عليه السلام امر الملائكة
عليهم السلام بالسجود له ابتلاء منه لجميعهم فهدى الله من شاء واضل الغوى الرجيم لعنه الله وهي
ايضا عقوبة عاقبهم الله عز وجل بها بما فعلوه بيوسف واخيه وابيهم حال جهلهم لذلك قال
يوسف عليه السلام في نفسه عند قولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل انتم شر مكانا اى من جهلكم
كان يعاملهم ويدومهم ويكلمهم من موضع الابتلاء بالغربة عن الحق المبين وهم في غفلة
كالناس الا ما شاء الله عز وجل قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه
انا نريك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون انما
جاز له الاخذ بهذه المعاريض لان الله بواه موضع حكم الماب فكان يحكم وعن حكم الحق
وبلسانه ينطق كان يقول ولا تزر وازرة وزر اخرى ولم يجد عند نفسه متاعا عند ابن يامين
على الوجه المذموم فياخذه من اجل ذلك بحكم الشرع وانما حكم هذا فيه بحكم التقريب المتقدم
وانه سيكون ظالما ان اتبع على الوجه الذى قدره الله تعالى من الابتلاء له وبه وان اخاه ابن يامين
يكون واردا بعد الفارط وعند ذلك يجوز الادراك في الجملة فكان يحكم بحكم الله بوحى من الله عز
وجل ليس ذلك دل على ذلك سياق الله جل ذكره لذلك في معرض المدح بحكم وقد علم

هذا من حكمه وقوله وما قبله وما بعده من الابتلاء كله عبرة لاولى الالباب فلا تستغربن
هذا انه الحق من ربك والله اعلم بحكمه وعلمه ولما استيأسوا منه خلصوا نجيا يعنى تخلصوا من
الناس وانفردوا يتناجون قال كبيرهم قيل انه القائل منهم في اول مرة لا تقتلوا يوسف
والقوه في غيابة الجب المعنى الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما
فرطتم في يوسف وندمهم من لقاء ابيه بذنب بعد ذنب وهذا ذنب لم يكن اليه ولا اليهم
فانهم قد غلبوا عليه وقد استثناه لهم حين الميثاق وابوهم عليه السلام بقوله الا ان يحاط
بكم ولكن ذلك منه استحياء وندم كذلك ينبغى ان يكون المؤمن من الجانى على نفسه في لوجاء
الوعد بالامن والمغفرة ان يكون مندما مستحيا حتى ياذن لى ابى في الوصول اليه ما انا عليه
او يحكم الله لى اى يفتح لى بما ارضى به ابى او بما يقوم عنه عذرى ولما وصلوا الى ابيهم فاخبروه
بما كان قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فاسند على يعقوب عليه السلام الوجد لقرب طمعه
واحقاق ظنه اياه بالقرب من الفرج من عند الله فقال عليه السلام عند ذلك عسى الله
ان ياتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم اى اعرض عن تكليمهم وربما كان يعنى
ولاهم ظهره مدبرا عنهم وقال يا اسفى على يوسف وقد مضى الكلام في ان يعقوب
عليه السلام لم يكن حزنه على يوسف لانه ولده فقط بل الذى يجب ان يظن به انه حزن عليه
لاجل النبوة والرسالة والحظ الذى لله عز وجل فيه وهكذا يكون المؤمن لا يزال
حزينا كئيبا حتى يلقى ربه عز وجل ومن اجل ذلك عاب الله عز وجل الفرح بالدنيا
قال الله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الاية ثم قال عليه السلام
يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تياسوا من روح الله انه لا ييأس
من روح الله الا القوم الكافرون هذا مما يؤيد ان يعقوب عليه السلام كان عنده
علم من وحى او من تاويل الرؤيا ومنها لقوله عليه السلام انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون كذلك من اتاه من عند الله جل ذكره وعد من علم او خبر او بشرى من كونه الوعد
ووقوع المخبر فهو كافر والقنوط من كثير ذنوب الموحدين والياس من وصف الكافرين
كان ابراهيم عليه السلام للملائكة على جميعهم سلام الله ورحمته وبركاته وقد قالوا
له بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
وقال الله عز وجل لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس
الكفار من اصحاب القبور ولما قال لهم يوسف عليه السلام هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون هكذا يقرر اصحاب الذنوب على ذنوبهم فقررهم الله تعالى
في الدنيا يقظة في قلوبهم لاجل ايمانهم فان رجعوا وتابوا قبلهم وان تمادوا وعلم الله منهم
كما فعلوا ولذلك عبر عن ذلك منهم قولهم عليهم السلام ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها
يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون والله اكرم الكرماء
واحلم الحلماء وارحم الرحماء ورافة يوسف عليه السلام وعطفه ورحمته وعفوه وصفاته
المحمودة من فيض بعض صفات الله جل ذكره قال لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
ثم قال عليه السلام وهو ارحم الراحمين اى هو ارحم منى فهو اسرع الى العفو عنكم والمغفرة

لكم فليبرح المؤمن هذا العفو من ربه واكرم من هذا وليرغب الى الله عز وجل فانه هو
كريم العفو حسن الاجابة ولما قوله عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات
بصيرا هذا اعلام الله جل ذكره عبده بانه قد اشتاق الى لقائه فيشوقه الى لقائه فيحب الله
عند ذلك لقاءه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت نبي من الانبياء حتى يخير وقد
يفعل بعض ذلك ببعض عباده ليسوا بانبياء ولا مرسلين جعلنا الله الرحيم منهم برحمته
ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون والله اعلم لولا ان
تفندون لاخبرتكم كالعليل المعافى يجد ريح الروح وريح المحتضرين كما قال الله جل من
قائل ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
وروح في اخرى وقوله عليه السلام لولا ان تفندون دليل على الامتناع من الاخبار عن كيف
وبه كذلك المحتضر ممنوع من ذلك بما شغل بنفسه ولا مر فيه فلا يخبر لمكان الايمان بالغيب
الا ما شاء الله من ذلك فاجابهم من كان بحضرته من حفدته فان بنيه كان بعضهم بحضرة بعضهم
قد فصل عنهم عن مصر تالله انك لفي ضلالك القديم هؤلاء في الاعتبار بمنزلة
المكذبين بكرامات الاولياء من الموحدين اولي الفضلة فالمكذبين بالاخرة ومقدماتها
واشراطها واعلامها وذلك ان مقدمات ظهور الامر قبل حلوله في الاعتبار كوجود ضياء
الصبح عن الشمس ولما تطلع الشمس بعد ووجود ضياء المصباح وما ايد والمصباح وكذلك
ظهور نور القمر والنيران قبل طلوعها فكذلك الملائكة عليهم السلام واعلام الاخرة
ظهور للمغارب على الاغلب ولما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد يعقوب عليه السلام بصيرا
كذلك المبصر عن الله جل ذكره بالرحمة والرضوان كالاعمى ارتد بصيرا وكالسقيم عاد صحيحا
وهذا اعلى جاره واكرم وجدا وسرورا حينئذ يقول في نعماه الم اقل لكم في هذا ثم يعقوب
ما معناه الحمد لله رب العالمين هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كذلك قال عليه السلام
الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ما ذكر الله جل جلاله لهذا كله الا وكله بات على موجود
يقابلها فعليك وفقنا الله واياك سداد التذكر واعمال الاعتبار فان ما قص علينا جل
ذكره قصصه وانزل كتبه بالحق لمجرد التانيس وحديث قل هو الحق وقوله الحق وبالحق انزلناه مبشرا
ونذيرا فاعلم وفقنا الله واياك على ذلك فلما خروا عليهم السلام لسجوده سجدا لله جل
ذكره شكرا على ما انعم به على جميعهم من تالف القلوب بعد العداوة وجمع الشمل بعد الفرقة والسيئة و
بالمغفرة والتوبة بجميعهم في اكتساب الذنوب والعمل بها واشادها والحق بدرجة اتمام
النعمة ولا لحقا في الولاية الكبرى فانهم الاحباء الاولياء العنية عنهم بعينه ورأى
يوسف عليه السلام ذلك وشاهده فذكر رؤياه وما اوحى اليه به عز وجل في الجب من جعلهم
اباه فيه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وكان ذلك يوم جاءوا متجسسين عليه فعرف
اخته اذ قال لهم عليه السلام هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون وكان
منه هذا الانباء حال التقرير والتوبيخ ووعد عليه السلام ان ينبئهم بذلك على حال الشكر
والتعريف بنعم الله عز وجل والدعاء اليه والتبليغ عنه فقال عليه السلام يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ومعنى الحق هنا وجودها بالفعل ذكرا باه عليه السلام و

احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
وظهر من خطابه هذا وثناء الله تعالى اباه عنه في معرض التصويب والمدح لان الحضر حسن
للاستيطان من البدو وافتقرن بذلك تعلم العلم وحال الذكر فاذا تعذر في الحضر طلب
العلم وخيف علو الفتن على الذكر فالفرار عنها الى التفرد والخلوة فرض لازم لمن يقوى عليه
وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ثم ذكر عليه السلام امورا
جرت بها المقادير دون ذلك وعظائم اعترضت على حال الوصول بعد في بادي الراي
مثال المرغوب فيهن فقال عليه السلام ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ولما انتهى
القصص الحق رجع جل وعز الخطاب الى المواجهة بقوله جل قوله ذلك من انباء الغيب نوحيه
اليك اجتمع هنا من الغيب انه لم يكن حاضرها وقد اسما فيها جل ذكره وعرض بانها ايات
على علامات موجودات الاخرة وتدبيره الامر وتفصيله الايات وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم
وهم يمكرون الى قوله جل قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقد تقدم ذكرها
واشهادا له على النبوة وان الامر كله يرجع اليه سلغ بمن يشاء ولا بته الكبرا وتقصر بمن يشاء
عن ذلك الى ما هو دونه ويجعلهم في ذلك درجات كذلك يضل من يشاء ويسمع من يشاء وما
انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير ثم قال عز من قائل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
انا ومن اتبعني وسبحان الله ظهر بهذا الخطاب الوجوب على من جعله بصيرة من الله وبينة منه
الدعاء الى الله عز وجل والتبيين عنه سبح الله عز وجل نفسه هنا تنزيها له عن ان يقدر احد على
جلب نفع او دفع ضر سواه فنقصر عن الاستجابة للداعي او يشرد الى سواها الا به
لا اله الا هو ويكون ايضا معنى قوله وسبحان الله تذكيرا بالعمل له بطاعته كما قال جل قوله
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ونحو يؤيد ما
تقدم ذكره بعد هذا وما انا من المشركين ويكون قوله جل قوله وسبحان الله ردا
الى ما في قوله من معنى وهو قوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسالهم عليه
من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
قرئت بخفض كخفضها والوقف والرفع على الابتداء والخبر تقديره والارض يمرون عليها
وهم عنها معرضون فيكون الضمير الذي في قوله عنها راجعا الى الارض معنى تسبيح الله جل
ذكره نفسه في هذا كله موجود متمم الوجود حتى سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن
بحمده تسبيحه هو نفسه وحمده نفسه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ان كل شيء يرونه بابصارهم
او يرونه او يسمعونه باذانهم ويعقلونه بقلوبهم ويمرون عليه بذواتهم يسبح الله جل وعز
ويحمده وهم عن ذلك كله معرضون لا يقفون على اية ولا يفقهون اشارة ولا يعقلون حقيقة
ثم قال عز من قائل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم قد تقدم هذا فيما مضى وانه اعلام
بان سنته جل ذكره انه يرسل الى البشر فمن اهتدى فلنفسه هداه ومن ابى وعتا فسيروا
في الارض فانظروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم قال وقوله الحق
ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون لم يتقدم فيما مضى ذكر هذا الا في قوله

عند ذكر ما مكنه في الارض ثم نبه على تفصيل الاخرة وما قبل ذلك وبعده فقصص الا
انبيا قد وجه هذا الظاهر الى ما بطن في معنى الخطاب والقصص كلها من ذكر الاغتراب
والغيبة وما في ذلك من بلوى ومحنة وذكر وفتنة ثم ذكر اللقاء وما نص فيه من الايواء
والاكرام للمحسنين الطاهرين من كذنوب في من السلام مع الاعراض عن الجفاء بر والاكرام عن
المذنبين المغفور لهم بقوله جل قوله ولدار الاخرة خير بكل وجه وبكل معنى وعلى الخصوص
ههنا والاخبار عن اللقاء بعد الغيبة والغربة بقدير المعنى وللقاء الاخرة خير للذين
اتقوا لذلك بين لقاء ولقاء كما بين الخالق والمخلوق فافهم لذلك قال جل قوله وهو
اعلم افلا تعقلون وقال جل قوله في غير هذا الموضع وذكر موجودات الدنيا فقال جل قوله فما
اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون ومن
زينة الدنيا التقدم على الاقران والجاه عند الملوك والمضاء في الامر فما عند الله من ذلك
خير وابقى وما عند الله من موجودات الاخرة خير وابقى افلا تعقلون اما قوله جل قوله افلا يعقلون
اتر هذا الاعلام فتقريع للحق كيف لم يقف على هذا بالعلم ثم لم يثبته باليقين الم تعلم
ان هذا الامر بدا صغيرا ثم هو ينشأ من صغر الى كبر هذا معلوم عنه ذوي الالباب معهود
في قضايا العقول ومن هنا قال قائلهم يصف بعضهم

قد استقام على المنهاج يسلكه	ولم يزغ حائدا عنه ولا عدلا
فجسمه يعمر الدنيا بظاهره	وقلبه في اعالي الملك قد نزلا
وابصر الامر يجري في مسالكه	من اول النشئ حتى تم واكملا
وناطقته البرايا وهي صامتة	وميز الضد والازواج والعللا
اتاه ذو العرش والافضال حكمته	حين الاشد الى ان وافق الاجلا
فحص بحبوة لا انقطاع لها	والموت في طبقات الناس قد شملا
فاظهرت سيرة العليا بصورتها	الحسنى ومن قبل كانت انظللا

فصل ومن الاعتبار قد تقدم وفقنا الله واياك الاعتبار بالبزرة كبزرة الخردلة
وبزرة التين او ما دق من البزور وعظم من شجرها وان كلما يفرق في الشجرة او يجتمع من
معانيها وصفاتها في الثمرة والشجرة مجموعة في البزرة على دقتها فاذا ازدرعت فتنبت
احدث سفلا وعلوا وتفرعت الى ذلك وذهبت مذاهبها وانما اجتمع ما يوق فيها من مكنون
ما يجتمع في تلك البذرة فالبزرة هي الدنيا على هذه العبرة والشجرة وما تفرعت اليه علوا
وسفلا وما حملته من زهر وورق وافنان وثمر واصلها الى غير ذلك من اوصافها
ومعانيها كلها في الاخرة والشجرة انما احدها تنشأ من صغر الى كبر والسبح في الوجود اولا
ثم كان البزر عن الشجرة ونوع اخر من الاعتبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء واخذ اهل اليمين بيمينه الحديث
ولما قررهم واقروا واشهدهم على انفسهم بميثاق العبودية للربوبية والنبوة فشهدوا
بها ثم في خزائن السموات والارض ثم اوجد كلا على نوبته وحينه الذي سبق به علمه فلو ان العقل
الذي شهد به لله ولرسوله يومئذ لاحدهم اليوم الذي خلقه ربه نطفة في ظهر ابيه فقيل

لنطفة

لنطفة انك لو قد برزت من هذا الوعاء لوقعت في وعاء ارحب من وعائك
هذا وسيتوجه اليك التكوين على طرق كذا وكذا لبعد على العقل ذلك ولم يكد ان يسمع
بقلبه ذلك الا ان يصحبه ايمان جزم ثم لو قيل للنطفة ساعة نزولها في الرحم انك ستعودين
هذه نطفة سيالة بيضاء مختلطة الاجزاء تتداخل اقطارك بعضها في بعض وستكونين
علقة حمراء ويلزم كل جزء منك مكانه وتصيرين على غير ما انت عليه الآن ثم لو قيل لها وهي
علقة ستكونين خلقة اخرى مضغة ملوزة الاجزاء وتصورين على صورة ظاهرة
او على صورة كذا باطنا ويخلق لك ذراعان ويدان وكفان وقدمان وساقان
وفخذان ووركان واضلاع وفقارات ومخ وعظام وسيخلق عينان وسمعان
وراس ودماغ ومفاصل ولحم وعصب وعضل ورباطات باشكال ذلك كله ومنافع
وموافقة لبعد على العقل تصور ذلك جدا وبعد منه قبوله الا ان يؤيد بايمان جزم مقصود
وانه يعلم علم ذلك ولا خبر خبره ثم لو قيل للمضغة انه سوف يركب فيك الروح وتكونين
حية بنفس وروح وعقل ويوصف صفات الحي من قدرة وقوة وعلم وارادة وحلم وعفو
وشهوة وهوى الى جميع الصفات المحمودة واضدادها المذمومة لتاه العقل في تلك
المعالم وتحير ولم يهتد الا ايمانا وتسليما كذلك لو قيل للجنين انك يا هذا انك لو خرجت من محلك
هذا او وقعت من وعائك لصرت الى ارض فيحاء ممهدة والى سماء فوقك مزينة بالنجوم
والى شمس وقمر وكواكب تطلع وتغرب والى رياح وسحاب وامطار ينزلها الله عز وجل من سمائه
فيخرج عن ذلك حبا وانهارا وفيها بحار ونبات كل شيء وانت تنفتح عيناك واذناك و
خلقا من بعد خلق الحال ستواتك فتتعلم ما لم يخطر لك ببال وربما كنت ممن يحتذ الحرف
ويمضي الامضاء ويغلب الاعداء الى غير ذلك من وجود الانسان وما اعطى فيما ههنا لنكص عقله على عقبيه
ولقال القائل ذلك قد كنت قبل هذا تخبرني ثم اغلب الممكن على ما هو عندي مجبل فاما الان
فاقصر عني فان هذا مني في ابعد البعد وانا لذلك في اشد الانكار ثم من يسبل المخبر له ان يقول له
كيف وجدت خبري لك في درجات بقلبك اصدقتك فيما انباتك به ام كذبتك ولا بد من نعم فيقول
له الم تر ان الاولى كانت اقرب الى تصورك اياها وقبولك لها من الثانية ثم الثانية اقرب
من الثالثة والثالثة اقرب الى الثانية منها الى الرابعة وان الرابعة اقرب الى الثالثة منها الى
الخامسة قال له بلى قال له فما بالك وميزك قد تميز وعقلك قد عقل واشتد اركانك حتى
عن النهوض قدما الى معرفة حقيقتك وما يؤول اليه شانك اعتمد في هذه على صدق الذي حدثتك
ونصحي الذي قد جربته فان الذي اوجدك نطفة لا من شيء مذكور نقلك في طبقات
خلقتك نقلة بعد نقلة هو القادر على ما مضى لك وما بين يديك فقدم الايمان
وغلب العقل واستعن على المكذب منك بصدق آياتك في جميع ما انباتك فانه كائن وان
الخالق عليه قادر فصدق هذا المولود ما انباه به واعلم ثم لما بلغ هذا المولود الاشد الا
الاول جاءه ذلك المنبي فقال له انك يا هذا لو انك اخرجت من هذه الدار التي
كنت وصفتها لك فبعض صفاتها لو وقعت الى دار اخرى اوسع من هذه جدا
وارحب نسبة ما بين هذه التي انت فيها وبين التي هي بين يديك كنسبة ما بين الوعاء

الذي كنت فيه اليوم الذي اخبرتك انك تخرج منه الى هذه وكما تراه ههنا او تسمعه
او تعقل من موجودات فهي هنا لنا فضل جداً نسبة ما بينها كنسبة ما بين الدارين بل اكبر
واحسن واتقن وابقى فمنهم من امن ومنهم من كفر ليس ان هذا هو البيان البين والكون
النير وان العقل يستحق ان يوصف بالعدم وبالحيرة وعدم الميز وباللجاج وبالجحد للتحقيق
وقد قال المنشئ الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه سارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض واين تقع بالنسبة الارض من السموات والارض وقال جل
قوله في موضع اخر سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت
للذين امنوا بالله ورسله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة كل درجة
منها كما بين السماء والارض اعدت للمجاهدين في سبيل الله وما وصفه الله جل ذكره ورسوله عليه السلام
منهن سوى اربع جنات ثم قال جل قوله ومن دونهما جنتان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان
من ذهب انيتهما وما فيهما وجاء النبا عن جنة من لؤلؤ وجاء النبا ايضاً عن جنة
من نور وباقي الجنات هي مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لذلك قال جل
قوله افلا يعقلون وليها وجارها الله لا اله الا هو رب العالمين وخدامها الملائكة
عليهم السلام ونورها نور الحق المبين بما الحق المخلوق به السموات والارض الى فلك بلغ الله بنا وبكم

سورة الرعد مكية وقال قتادة مدنية فيها من المنسوخ ايتان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المر قال اكثر المفسرين
انا الله ارى انا الله اعلم وارى والله اعلم ان الهمزة لما فهمت على جميع وجوهها حيث
وقعت والالف لما فهمت والواو والميم كذلك على انفراد ذلك وتركيبه وعلى نحو ما تقدم
من النظر في صدر الكتاب وهي حروف متوسطة بين القران وبين حروف في هذه ايات على الكتاب
المبين اي اللوح المحفوظ ايات الكتاب غير الكتاب كما الكتابة غير المكتوب والقراءة غير المقروء
ايات الكتاب حروفه الدالة على مكتوبه فيمكن ان يكون هذه الحروف المعجم او ما يكون من الحروف
واسطة بين هذه وتلك ويكون مع هذه معبرة عن اسماء الله سبحانه وقد ذكر نحو ذلك
عن ابن عباس رضي الله عنه وعن هذه الحقيقة وجدنا اسماء الله عز وجل معبرة عن
جميع الموجودات هنا في دار الدنيا وفي الدار الاخرة ذلك اوضح واظهر حيث اذ
من لا نهاية له ولا بداية لا يبعد عن وجود كل شيء دق او جل قدم او حدث والمعبر
عن وجوده اسماؤه فاليه يرجع الامر كله وجاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سال اليهود ممتحنا لهم ما اول طعام الجنة فقالوا ثلث لم ن وفسرها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ثور وحوت ياكل من زيادة كبدها سبعون الفا ولهذا الحديث
والله اعلم قال مجاهد لما سئل عن هذه الحروف المعجمة في اوائل السور والمعنى بقول الله
جل ذكره تلك ايات الكتاب المبين هي التورية قال والكتاب وام المبين هو التوراة
والانجيل وقد تقدم الكلام في ذلك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله عز
وجل والذي انزل اليك من ربك الحق يعني الوحي والقران هو الذي اليه ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون والكتاب الحكيم والمبين هو الذي لا ريب فيه هو الكتاب المحفوظ الذي

جميع الموجودات نسخته وانما اشكل على الاكثرين ان الوحي والقران وسائر الكتب
قدوم كل ذلك الكتاب المحفوظ زائداً الا ما زمنه من سائر الوجود اجمع في عبد لوحي
او اعلم بمعلوم لم يخرج عن موجود اللوح المحفوظ فلنم عرف العهد والعرف به تحجل
لاجل ذلك من غير ارتياب ولا شك وكيف يجوز وجود ارتياب في مشاهد حاضر لم يشعر
للمعنى ولا يفطن قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الى قوله جل
قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون هذا كله اعلام منه جل ذكره ببعض ما هو مثبت في
اللوح المحفوظ من موجوداته وهو معنى قوله جل قوله المر وبعضه فجعل جل ذكره يرد مكتوب
الكتاب المعبر عنه وهو اعلم بما ينزل بالحروف المفردة المعبرة عن اسمائه بقوله جل قوله
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فذكر جل ذكره الاسم الاعظم الذي جميع الاسماء منه
له وانه الرافع السموات وكما رفعهن فكذلك وضعهن ولذلك خلقهن وما بينهن ورفعهن
على غير عمد مرتبة فهي اذا قدرته فهو الله الخالق الرافع الواضع مدبر الامر فهو المستوي
وهو المدبر وهو المريد يفصل الايات وسخر الشمس والقمر وما في السموات وما في الارض
فهو المسخر جعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فهو
الجاعل كل يجري لاجل مسمى والليل والنهار كل يجري لاجل مسمى ذلك اية على انقراض يوم
الدنيا ووجود يوم الاخرة وهو عاقبه وخالقه عبرة قال الله عز وجل وجعلنا
الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة ليعني ربنا ليل ولا نهار
انما هو الدهر ضياء ونور مبصر كله ابدا وقال وقوله الحق وجعلنا الليل والنهار ايتين
ايتان على ماذا فيما هنالك يوم الدنيا ليل ويوم الاخرة نهار وفيه يتجلى الحق المبين وانما يكون
موجود ما هو النهار اية عليه في الجنة في جوار الله جل جلاله وموجود ما هو الليل اية عليه في جهنم
اعاذنا الله الرحيم برحمته منها لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل في الظلمات كما في
نعوذ بالله منها انه يتجلى الحق المبين في الجنة تجلي الشمس في الدنيا قوله عز وجل ونفصل الايات
لعلكم بلقاء ربكم توقنون لما كانت الجملة التي ذمتها ام الكتاب محتوية على جميع المعلومات
والمذكورات كان تفصيلها بالفصل والذكر على سنن الحكمة والتذكير لنا بذلك من اعظم
المنن علينا لذلك قال عز من قائل نفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون كل موقت مؤجل
فهو اية على اتيان الغاية واليوم الاخر وبخاصة الليل والنهار فان في انقضاء النهار اتيان الليل
وبانقضاء الليل اتيان النهار وكل موجودات الخليقة فلها كتاب وكل كتاب مؤجل باجل مسمى
فاذا كلها في الدنيا مؤذن بانقراضها وباتيان الاخرة وبخاصة في العبرة والنهار فاجعل
معلومات ما فيه لعلم بلقاء الله جل ذكره لما فيه من وجود شمس لذلك قال جل قوله لعلكم بلقاء
ربكم توقنون وقد تقدم الكلام في قوله جل قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات لقوم يعلمون فصل
سبيل العبرة بجريان الشمس والقمر والنجوم واختلاف الليل والنهار وانقضاء الاجال وتمام
الاوقات وتعاقبها والايام والشهور والاعوام قد تقدم منا اشارة الى المطلوب الاعلى ثم قال
وقوله الحق وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا معناه الارض على الماء تحملها قدرته

ثم ارسى الجبال فوقها لايمد بما عليها نصها على المقدار المراد بها وجعل فيها وزن مقدار
الشمس والقمر والنجوم تسير بمقدار وارتفاع وانحطاط يكون عنها الليل والنهار ظاهرا
وباطنا وتدبير الامر المراد منها به كذلك ما فوق ذلك الى العرش العظيم على كل مقدار ما شاءه
منه ربه ثم قال جل قوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين رجع الاخبار عن هذه الارض
وانباته فيها من كل الثمرات وقوله زوجين اثنين معنى ذلك والله اعلم ان كلما ينوب مناب غيره فهو
لذلك لغير زوج كالذكر والانثى والليل والنهار والشتات والايام وكل ما يخلف بعضه بعضا
ليس الاضداد فانها ليست بازواج لاضدادها سبحانه تبارك وتعالى هذا وما يقع عليه معناه زوجا
كقوله جل قوله اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم وقوله جل قوله والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
وقوله جل قوله وخلقناكم ازواجا وقال ههنا من كل زوجين اثنين المعنى والله اعلم الظاهر
والباطن وهو المثال الخالف له واكثر ظهور هذا في الدار الاخرة لا يخلو من ذلك الدار
غير الاخلفها مثلها مكانها ولا يبقى كل منها حتى على مراد الرحمن الا خلف مثاله ثم يفرغ اولى
من شانه ومراده فيعود كما كان على حالته الاولى قال الله عز وجل فيها من كل فاكهة زوجان
ثم قال وقوله الحق يغشي الليل النهار ارجع الخطاب على اول من قوله جل قوله وسخر الشمس والقمر
المفعول في فيما ههنا هو الليل وهو المغشي وغشاوة هو كنهار ذلك على ذلك قوله جل قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ثم قال جل قوله ان في ذلك لايات
لقوم يتفكرون قد تقدم الكلام في سورة يونس عليه السلام انه اية المطلق الاعلى زائدا على ما هي ايات
قدرته وعلمه وارادته ومضاء مشيته وعلى حوته واسمائه الحسنى **قوله** عز وجل وفي الارض
قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل يعتمد هذه الايات للاعلام بالمشية مع تحصيل الاستدلال بها على القدرة
والصفات والاسماء كما ان المعتمد بالاستدلال التي لقوم يعقلون حيث وقع الاعتبار البعيد
وانما هو ان ينظر العين وتسمع الاذن ويعلم القلب ويعقله اي يرمه علما ثم يعبر من ذلك
الى معبره وموضع شبهه ومن الاعتبار قريب وبعيد والموصوف المضاف الى ما هو كالعقل
هو الابعد وبعده اسم الاعتبار فمثال ذلك فيما ههنا ما تقدم ذكره ان الله جل ذكره الواحد
الاحد ينزل من السماء ماء واحدا طاهرا مطهرا يوجد عنه كل شيء حي ونبات وحيوان وغير
ذلك فهو واحد توجد عنه الكثرة وفي تلك الكثرة الطاهر والطيب والخبيث والرديء
ثم لله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وفيه انه انزل من السماء ماء فاخرج
من كل الجنات من نخيل واعناب وزروع واجرى منه انهارا وسلك منه ينابيع في الارض
وفجر فيها عيونا بحكم حصول الهمام وهذه ايات وتنبيه لعقل العقلاء انه انزل من حيث هو ظاهر
للباطن هي جنات وانهار وعيون وحيوان وولدان ونساء وخيل وانعام وكل ما ههنا من
محمود فهو فيما هنالك اكرم وجودا وافضل اذ المشيئة التي ليس من المعهود ابقاؤه من الشبه كما نزول الماء
المنزل من السماء الى ما هو جنات فيها كذلك نزول ما نزل منه وهو السماء الى ما هي الجنات في الكون الاخر
وهي من الدار الاخرة وهذا الى ما في ذلك من الاعتبار القريب من الاعلام بالاعادة بعد البداية

والحور بعد الموت الى غير ذلك اتبع ذلك تعجيبا من كفرانهم فجعلهم المعتبر الاقرب وتكذيبهم
الايات البينات على ظهورها قوله جل قوله وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق
جديد لما بين جل جلاله الايات واقام الشواهد مفصحات بالحق والعدل على الاعتبار القريب
والبعيد اعقب ذلك بالتعجب من جهلهم الموجود عن غفلتهم ثم قال جل قوله اولئك الذين
كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم اخبر الله الجليل جل ذكره بصدق اخباره
عن الكفار ان الاغلال في اعناقهم الان كما قال جل قوله في غير هذا الموضع انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان اي الايدي منهم الى الاعناق فهم مقمحون المقمح رافع الراس
وهو الان وصفهم بالكبر والغرض ضد ما يكون في الاخرة ناكسو رؤوسهم عند ربهم واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون في الدار الاخرة بمعنى سياق الكلام واعتبر تظفر وتطلب اليقين وحقيقة
العقل والايمان بما انزل اليك ربك فانه خلق كذا وجعل كذا وفعل كذا وجعل ذلك على معالم ايات
قريبة وان تعجب فعجب قولهم كذا ثم قال جل قوله ويستعجلونك بالسيئة ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب بقوله
جل قوله وبجهلهم وافراط غفلتهم وما اورثهم الاعراض عن ذكري وآياتي يستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة افلم يسيروا في الارض فينظروا الى نقمات المكذبين امثالهم او اعتبروا بها نفعهم لكن
هذا عقوبة الاعراض وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم قال عز
من قائل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب لمن اراده عز وجل بذلك
المغفرة مغفرتان صغرى وكبرى فالصغرى معناها الامهال وترك الاخذ بالذنوب الى اجل له
يات بعد والمغفرة الكبرى نعم الدنيا والاخرة وهذا الحكم الذي تقدم سبقت من هؤلاء وهؤلاء **قوله**
تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قيل لولا بمعنى هلا بما اتصلت به والمتصل
قوله لولا انزل عليه اية من ربه لو كان ذلك كذلك لدخل المعنى اختلاف فان اصل المعنى اخبار
عن ابائهم ونفورهم عن الحق وقد تقدم الكلام في تبيان صريح المراد قبل هذا فاغنى
عن اعادته ولو كان معناها ههنا هلا لكان بمعنى الطلب لكان في ظاهرها اباء او تبيان
بمعنى جزاء لوجودها اجتلبت من اجل انها تاتي ابدا بمعنى الطلب مقترن بالمعنى القبلي
لاجل عدم وجود ما كان العقاب والطلب لاجله كما يقال لم فعلت كذا هلا فعلت كذا هلا
منك كذا فكان يكون منك كذا ونحوه وحقيقته والله اعلم ان يكون على بابها لولا
لامتناع وجود شيء لاجل وجود غيره وحرف لا المتصل بها لنفي ما وجب لاجل امتناع
ما امتنع من اجلها تقدير الكلام لولا انزل عليه اية من ربه لامنا به فلم ينزل عليه اية من ربه
فلا يؤمن كانوا في ذلك مكذبين كاذبين او صادقين قال الله جل من قائل انما انت
منذر اي ليس لك ان تهديهم ولا لهم ان يهتدوا ولكل قوم هاد اي نبي مرسل يدعوهم
الى الهدى ويبصرهم سبيل الرشاد ثم يهدي اليه من يشاء ويضل من يشاء اتبع ذلك قوله
عز من قائل الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده
بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو
مستخف بالليل وسارب بالنهار هذا كله منتظم بما في صدر السورة من تعريف العباد نفسه
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه من قوله جل قوله الله الذي رفع السموات قوله

جل قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وفي ذلك امر جل وعز بالنظر والاعتبار
وان المطلوب في ذلك المعتبر اليه هو معرفة الله جل ذكره واليقين بالاخرة وتعرف موجودا
من موجودات هذه الدار والتعريف بموضع المنة والنعمة في ذلك والسادب هو السابق
نهاراً والسارب سير الليل ومنه الاياب الذى هو الرجوع اصله الرجوع ليلا **قوله**
عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار الحديث وهذا اخبار منه عليه السلام عن الكتبة الكرام
على جميعهم السلام ورحمته وبركاته قال الله عز وجل وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون وقال جل قوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وكما يتعاقب فينا الملائكة الكتبة كذلك
يتعاقبون فينا الملائكة الحفظة على جميعهم سلام الله ورحمته وبركاته يحفظونه من امر الله الذى
لم يات اجله لان يصيبه فاذا جاء امر الله قضى بالحق والله غالب على امره وامر الله عز وجل عام
شمل السراء والضراء والرحمة والعذاب ذلك قوله جل قوله واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد
له وما لهم من دونه من وال هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم **قوله**
عز وجل هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا اى خوفا من العذاب الصواعق والخسف والقلب والريح
العقيم وغير ذلك وطمعا في الغيث والحياء والرحمة وينشئ السحاب الثقال اى في الهواء بعد تفرقه
هذا تعريض منه جل ذكره بان كل الجملة لا شىء يكون من الجملة بل بقدرته ومشيته ومنه ايضا جل ذكره
الى الاعتبار بذلك وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وهو خطاب
منتظم بمعنى ما ابتداء السورة **قوله** تعالى ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته تقدير
الكلام والله اعلم ويسبح الملائكة بحمده من خيفته فان التسبيح والحمد قد يكونان عن التعجب من
قدرة الله جل ذكره وخفى لطفه ومضاء مشيته وقد يكون ذلك شكرا لجزيل نعمه وتعاظم
منته وقد يكون ذلك عن خوف مزعج فيبعث ذلك على العمل بطاعته اعتصاما به من عذابه
ووصف الرعد بالتسبيح والحمد وخص جل ذكره من الوصف ذكر الخوف اذ هو غير مكلف لكن
الشكر لازم له وصفا وحالا ووصف جل ذكره الملائكة عليهم السلام بالخوف المعهود بانهم
مكلفون والخوف قد شمل المكلفين وغيرهم ظاهرا او باطنا دون ظاهر قال الله عز وجل
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء فيقوم ذلك منها مقام
البكاء من خشية ثم قال جل قوله وان منها لما يهبط من خشية الله وما من شىء علوا وسفلا
الا يسبح لله عز وجل ويحمده رهبة من شانه وفرقا من سلطانه وشكرا لا نعمه لكنها امور
يغلب بعضها بعضا في موجودات واحيانا كونا الا ما كان من الثقلين فذلك فيهم شرعا
فمنهم المسرع السابق والمقتصد البطئ الغافل عن حظه ومنهم الظالم لنفسه فالله المستعان
ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانه من اهل المعرفة بالله جل ذكره من يسبحه ويحمده عجبا من جليل
اقتداره واحاطة علمه ومضاء مشيته وحسن ابداعه واتقان صنعه وحشية من سطوته وخوفا
من عذابه فيجمع جميع ذلك الحقنا الله الرحيم برحمته بهم ولا جعل حظنا من صفاتهم وصفهم
انه عليم قدير اتبع ذلك قوله جل قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء من عباده اى يجعل ذلك
اية منه على عذاب اعدائه في الاخرة من سماع زفيرها وشهيقها ورميها اياهم بشرر كالقصر

يريد هذه العبرة **قوله** جل قوله فيصيب بها من يشاء من عباده يريد وهو
اعلم وهم لا يعتبرون ولا يؤمنون بل يجادلون في الله اى في اياته ويلحدون بها الى المنهو
المتعارف فيجى ذلك سببا لسلوهم ولزوم الغفلة اياهم وهو شديد المحال يمكر بهم
وهو خير الماكرين اى بتزيين ضلالهم والتردد في غمرة طغيانهم ليأخذهم على اوفر
ما جنوه واكمل ما اتوه **قوله** عز وجل له دعوة الحق هى قول لا اله الا الله وهى ايضا دعوة
جل ذكره العباد الى الايمان به والعمل بطاعته والله يدعو الى دار السلام قل ما يعبأ بكم ربى
لولا دعاؤكم هى ايضا دعوة الرسل عليهم السلام والاولياء العباد اليه وما لكم لا تؤمنون بالله
والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم من قبل ان كنتم مؤمنين وهى ايضا دعوة
الله عز وجل العبد من نفس العبد اليه وهذه الدعوة متصلة بالله لانها من الله نحو هو من الله
عز وجل عبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها عظة الله في قلب كل مؤمن وعلى اتصال الذكر
من الذاكر بالمذكور يقول الله جل قوله انا جليس من ذكرنى وحيث ما طلبنى وجدنى وقال عز من
قائل في الذكر منه ذكرت قلوبهم وقراره نفوسهم انى لا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب
عليه ذكرى الا كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى
وهذا مقتضى قول الحق اذا تقرب عبدى منى شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب الى ذراعا تقربت منه
باعا وان اتانى يمشى اتيته هرولة هذا الى مفهوم ما جاء من ذلك القرب في الولاية وعلى الضد
من ذلك في الاخرين جاء قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء الا كباسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه وما هو ببالغه هذا مثل ضربه جل جلاله لانقطاع الوصلة بين الكافرين وبين
فجعل اتصال الكفين بالماء كاتصال المؤمن دعاءه بايمانه به واسلامه اذا لم يكن ايمان واسلام
وعمل صالح كانكان الباسط كفيه الى الماء ما لم يوصل كفيه الى فيه فليس الماء ببالغه ولا شافيه من عطشه
ولا مبرد غلته لذلك قال عز من قائل وما دعاء الكافرين الا في ضلال اعقب جل ذكره ذلك
بقوله الحق ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال انتظام
هذه الاية بالتى تقدمتها والمعنى انه ليس شىء كائن ما كان مؤمن او كافر حيوان او نبات بخارج
عن التعبد لله جل وعز والقنوت لعظمته والخضوع وذكر جل ذكره ظلالهم لما ذكر حرف
من هى واقعة على من يعقل فذكر جل ذكره الظلال دلالة على ان من لا يعقل داخل في التعبد
وذكر جل ذكره الغدو والعشى لسجود الظلال ليبين جل ذكره ما في النظر ويعلم كيف
التطلب لذلك منها وذلك ان التفيؤ هو بالاصال وامتدادها بالتكور اعنى الظلال
وفيها بالاصال هو رجوعها الى الامتداد بواسطة التنقل وهى طالعة في ذلك لمعنيها
ومتعبدها كما قال جل قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا يريد به الظل
بكرة وهو قبل طلوع الشمس ثم جعل الشمس دليلا على ذلك الظل ولولاها لم يتميز بانه ظل او غيره
ثم قبضه جل ذكره اليه قبضا يسيرا يعنى قليلا قليلا حتى تقف الظلال على مقاديرها ثم يفيئها
اى يرجعها الى الامتداد بواسطة التنقل وكما جعل الشمس دليلا على ظلال الاشخاص الظاهرة كذلك
جعل نور الوجود العلى دليلا للعقول والايمان على مثالات الموجودات في الباطن فعلا وعبادة
قوله تعالى قل من رب السموات امر نبيه عليه السلام ان يسالهم عن رب السموات والارض في ضمن الخطاب

فان اجابوك و قالوا الله والا فقل انت الله ولا بد لهم من ذلك وهو قولهم ثم امرهم ان يجيبهم
على تحقيق ما اقربه بان يقول لهم افاتخذتم من دونه اولياء ليقو فعبدتم للعبيد وتوكلتم
على العجزة ثم عمهم بهذا واي ولي يكون للمخلوق دون الله دية ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
وقع القول عليهم واسكتهم الحجة البالغة ثم جعل ندمهم منزلة من رضي بها بقوله قل يا محمد
هل يستوي الاعمى والبصير بقوله جل قوله هل يستوي العالم والجاهل ويتوجه ذلك على الالهة الباطلة
والاله الحق جل جلاله فوصفها بالعمى وخزله وصفها بالنقايص التي هي لها اهل واحال
على المعهود المتعارف منها وما لسابقه في غير هذا الموضع كقوله جل قوله الهم ارجل يمشون بها
ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون وقوله جل قوله
اموات غير احياء الى غير ذلك من نقايصها ثم انتصف هو جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
بانه البصير الحق وجرى ذكر سائر الاسماء والصفات المعهود من كماله العلي والمعهود من
رفيع درجاته ثم قال وقوله الحق ام هل يستوي الظلمات والنور الكفر والايمان والتاويل
الا على مع العلم بما تقدم ان الظلمات هو من صفات الهة باطلة والنور هو من صفة الاله
الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ثم قال وقوله الحق ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه
الخلق عليهم وترادف دلائل بناقضهم وعظم التوبيخ واسكتهم بحجج الحقايق وهذا
رد على الثنوية والجهمية والمجوس ابعدهم الله والقدرية من اهل الغفلة ولكل طايفة
منهم ارادات باطيلهم وظنون تليق بحها لانهم سبحانه له الحمد ومجد وجوده العلي لا نهاية
له ومملا نهاية له مقدورة بعد كبداية لانهاية له محال ان يكون صفته متناهية وهو لا نهاية
له وقالت الثنوية ابعدهم الله ان فاعل العالم اصلان قديما احدهما نور والاخر ظلام قالوا
والنور هو كذا وجد الخير والظلام هو اوجد الشر قالوا الشر نهاية الخير والخير نهاية
الشر والمجسمة لها اراء في الالهية التي اثبتوها زعموا وضلالات والقدرية لم يتركها الا ترهم
الا كفرا اولئك ولا تركها عن التمسك بسبيلهم الا محض التوحيد فهم مجوس هذه الامة كذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله جل قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد الله خالق كل شيء وهو
الواحد القهار حكم بحكم ظاهر بعلاء الحجة المفلح للخصم نبين البرهان قرر الاصل المتفق عليه
ولا ثم بنى جل ذكره الحجاج على ذلك بان بين خلافهم للاصل الحق وضرب لذلك جل ذكره مثلين
بالاعمى والبصير والظلمات والنور ثم ضرب جل ذكره مثلا مبينا في المرمى صعب المسلك
بعيد المتناول لغموضه وبعد غوره وتعذر العبرة به لانه مثل جميع امثاله متداخلة بعضها
في بعض يقول الله جل وعز وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله
السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنه ان هذا القران لم يبق شيء
بعد فمن اثر عليه سواه فلا اشفاه الله ولا ارعاه وعلم القران اشرف العلوم هو الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله
الله جل ذكره يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا يعني الفهم والاسباب
في القران وقيل في قوله جل قوله ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق اي
احرمهم فهم كتابي واعلم ان مثل علم القران مثل الاسد لا يمكن من علمه احدا وقال الحسن البصري

رضي الله عنه علم القران ذكر لا يعلمه الا الذكور من الرجال ومثل علم القران مثل العروس
يريد البيت خاليا ومن اغمض علوم القران علم الامثال منه والاكثرون غافلون عنها
لشغلهم بالامثال واعمالهم المثلات وهي مواضع العبرة والمثل بلا ممثل به كالفرس
بلا لجام والناقة دون زمام فاعلم ذلك قوله عز وجل انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله
المعنى الى اخره لما كان المتكلم فيه فضل الالهية واثباتها وانا وضرب المثل لها جميع الفصول الاربعة
التي سميت اليها فصول القران على الاجمال ومعنى العموم وذلك ان ذكر اسم الربوبية في قوله جل قوله
قل من رب السموات والارض ثم قال جل قوله قل الله فهذا اسم الالهية ثم قال جل قوله الله خالق
كل شيء وهو الواحد القهار فهذا اسم الوحدانية واسم الخالق واسم القهار ومخالفه
بقوله جل قوله قل من رب السموات والارض قل الله هو نبي عليه السلام فهذا فصل النبوة وفصل
الوحدانية وفصل الالهية ثم في باب الخطاب معنى التزام العهد والوعد والوعيد فاول
ذلك قوله جل قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها انزله واحدا في ذاته طيبا
طاهرا مطهرا وجاء شيئا المثل على اثبات الوحدانية ووجود الموجودات جميعا على قدرته
المحيطة وعلمه العلي ومشيئته النفاذ وانه الحي القيوم الملك اذ ما اتخذوهم اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا فانتظم هذا المعنى بما عبر عنه من الخطاب بقوله جل قوله قل الله خالق
كل شيء وهو الواحد القهار وقوله جل قوله قل من رب السموات والارض قل الله ليقو عز وجل
انظروا الى الماء واحدا ينزله الله عز وجل من السماء يوجد عنه الكثرة من حيوان وانعام على اختلاف
انواع ذلك وتباين اجناسه كذلك الله جل ذكره الواحد الاحد اوجد كل شيء ثم ضرب جل ذكره مثلا
للعلة التي لاجلها وجد الباطل في مفعولات الحق المبين عز جلاله بقوله جل قوله فسالت اودية بقدرها
ليقو جل قوله نزل هذا الماء الواحد الطاهر الطيب على الارض جبالها واكامها وسهولها ودوابها
فسالت منابعه على ما انت عليه فمثل الارض مثل بني ادم المخلوق منها ومثل منابع الماء السائلة
على وجهها الوحي والقران وما دار حوله مثال السنة الرواة له والناقلين الى القلوب في مثال الاودية
مثال القلوب في القرون المتداولة اجتمعت المياه في الاودية كاجتماع القران والوحي في القلوب
من الامم المتداولة ادت اليها السنة الرواة كما ادت المنابع الى الاودية الماء ومثال قسوة القلوب
وعمى الجاهلين وزيغ الزايغين عنه مثل ما سلك عليه الماء في الاهواء والاجواء والمحنة الروح
في ممتزج الفتح والفتح من الارض والسماء فسالت الاودية بقدرها على قدر سعتها وكثرة
طرق المياه اليها وسعتها في انفسها كالقلوب وعلى قدر جمعها ووعيها وفهمها لما وعته يكون
سعيها ومثال الزبد المجتمع على المياه في الاودية الكاين عن امتزاج الماء بالارض والهواء
وعما في وجود ذلك من فتح نفس جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها مثال الموجود عن الاهواء
والبدع وخطا التاويل وافات النقلة الرواة ثم قال جل قوله ومما يوقدون عليه في النار
ابتغاء حلية الذهب والفضة او متاع الحديد والنحاس وفلز المعادن كلها كمثل غيرها من العلوم
ينتفع بها كما ينتفع ببعض العلوم ولها زبد لكونها عن الارض كما للعلوم الوحي وغيرها من العلوم
خطاء وضلال عن القصد لمجاوزتها الاهواء وافات النفوس وما ملكت عليه ولما الموقه

من ابن حدث الباطل في الاعمال والشرك فيما يقابل التوحيد وتكذيب الرسل فيما يقابل الايمان
والتصديق بعد نزول ذلك من السماء وفطرة الله المخلوقات على احدية الدين القيم واخذ الميثاق
والعهد على الاقرار بالربوبية والنبوة وذلك بمجاورة الحق القلوب على ما تقدم باهوائها
وآفات النفوس الكائنين عن الارض ونباتها الكائن عن نفح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها مع الكثرة وبعدها عن الوحدة كما قال عز من قائل هو الذي خلقكم من نفس واحدة
يعني آدم عليه السلام وجعل منها زوجها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به يعني لما كانوا انما
مرت من الوحدة مرت بحمل الاسلام فلما اثقلت اي كثرت الغاشية واتسع النسل وفشا
وذرئت الذرية على وجه الارض كالكلأ من الارض من نباتها وحما يكون عن فيح جهنم اعاذنا الله الكريم
برحمته منا وقوله جل قوله دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين عبارة
عن مراد الابوين الاسلام والصلاح فلما آتاهما صالحا هو ما التقى عليها وعلى الذرية من علم الفطرة
ثم هداية الرسل على جميعهم السلام ومعنى الوحي جعلا له شركاء فيما آتاهما المراد بهذه الذرية
نسل الابوين ولما وضعا القصة على الزوجين ذكر الجملة بلفظ التثنية لانها عنهما كانت فعبر
جل ذكره بالاصل عن الفرع الدليل على صحة هذا التأويل قوله جل قوله فتعالى الله عما
يشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وقد يكون المراد بقوله جل قوله هنا في ضرب المثل بنفس واحدة
الماء وخلق منها زوجها الارض فهي تنبت نباتها على ما هو عليه لا يظهر العصيان فيه ثم تظهر في الحيوان
وهو في الانسان اظهر بل هو الكفر والتكذيب والعناد وهو موضع الكثرة عنهما فكذلك الله جل
ذكره الواحد الاحد اوجد عن وحدته كل شيء عما اوجد عن الماء الواحد كل شيء حي ونبات ونماء
وشاهد خلق الله جل ذكره وما يكون عنها الشيء في الوجود الا على اصل يرجع اليه سوى تصريف القدرة
ومضاء المشية البقاء واحاطة العلم وادانه ذلك في الموجودات على مراتبها في مسالكها المقدرة لها
في تقديم الاول وتعليم التالي وهذا اوجد مجموعه في تفسير هذا المثل يستعان بمعرفتها على طلب فوائد
القرآن والوحي **قوله** عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الآية قال المفسرون
قل أفاتخذتم من دونه اولياء في العبادة يعني الاصنام لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي
الاعمى والبصير لا يستوي المؤمن والكافر ام هل تستوي الظلمات والنور الكفر والايمان ام جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم حتى قالوا هذا من خلق الله وهذا من خلق الاصنام
وهل كان هذا قط قال الله عز وجل قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار خلقه للعناد فهذه
قال ابن عباس رضي الله عنه انزل من السماء ماء قال هذا مثل ضربه الله عز وجل للحق والباطل بقوله جل قوله
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها يعني احتملته القلوب باهوائها فاحتمل السيل زبدا رابيا
يعني احتمل الهوى باطلا كثيرا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول ومن جواهر الارض
الذهب والفضة والصفر والشبه الذي يلبس ويتخذ منه الاواني له خبث مثل زبد الماء فكما لا
ينتفع بالزبد والخبث كذلك لا ينتفع بالباطل وكما ينتفع بالحلي والماء الصافي تحت الزبد
كذلك ينتفع بالحق فاما الزبد فيذهب جفاء اي يذهب كما جاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
قال مقاتل بن سليمان انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا
على الماء ومما يوقدون عليه في النار الذهب والفضة والرصاص والحديد والصفر والشبه خبث

مثل الزبد للماء لا ينتفع به فمثل الاودية كمثل القلوب ومثل السيل مثل الاهواء ومثل
الحلي الذي يبقى في الكير والماء الصافي الذي يبقى في الارض مثل الحق ومثل الخبث يبقيه الكير
مثل الباطل فكما لا ينتفع الزبد والخبث اهلهما في الدنيا كذلك لا ينفع الباطل
اهله في الآخرة وكما ينفع الماء الصافي وما يبقى من الجواهر اهلها في الدنيا كذلك ينفع الحق اهله
في الآخرة **فصل** ثم اتفقا هذه ثلاثة امثال في مثل واحد فهو جل قوله انزل من السماء ماء
فسالت اودية بقدرها الصغير قدر والكبير كذلك على قدره شبه جل ذكره نزول القرآن بالماء ينزل
من السماء وشبه جل ذكره القلوب بالاودية والانهار فذو العلم على قدر علمه وذو الجهل على قدر جهله
فهذا مثله ثم شبه جل جلاله وساوس الشيطان وخيالات النفس والخطرات الفاسدة بالزبد يعلو الماء
فما يقع في النفوس من لمة الشيطان فمن ذاتها لا من ذات الحق بقوله جل قوله كما يذهب الزبد باطلا ويبقى
صفو الماء كذلك يذهب خيالات النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو فهذا مثل ثان والمثل
الثالث قوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية له خبث مثل زبد الماء فكما يذهب خبث الجواهر ويبقى
خلاصتها كذلك يذهب الجهل والوهم ويبقى العلم والفهم فهذا المثل الثالث **مثل** قال
غيره في الشك واليقين فيقال في الشك ما قيل في الخبث والزبد ويقال في الجوهر ما قيل في الحق وقال
في العلم واليقين مثل ما قيل في الجواهر والماء الصافي وقال في قوله جل قوله فاحتمل السيل زبدا
رابيا اي قد يعلو الباطل الحق ويغلبه في بعض الاحوال والاحيان ولكن الله جل ذكره سيمحقه ويبطله
ويذهب جفاء ويجعل العاقبة لاهل الحق واهله قدا قد تجفا لامن قول العرب جفات الريح اذا ذهبت
واجفل الظليم في عدوه اذا اسرع فهو جفيل **مثل** قال غيره في هذه الآية مثلان مثل
الله عز وجل بها ثلاثة اشياء القرآن والعلم والنبي عليه السلام فاما مثل القرآن العزيز فان الله
عز وجل مثل نزول جبريل عليه السلام بالقرآن بنزول الملائكة بالمطر ومثل ايضا جل ذكره
القرآن بالمطر فقال جل قوله انزل من السماء ماء يعني انزل الله عز وجل الملائكة من السماء بالماء
كذلك انزل جبريل عليه السلام بالقرآن فسالت اودية بقدرها اي كل واحد بقدر سعته
جل ذكره الاودية بالقلوب فانتفع واتعظ كل قلب بقدر عقله والمعرفة به وبقدر فكره والاستدلال
والاحتياج الى نفعه مع الحسنة في استماعه فكما ان كل واد زادت سعته زاد الماء فيه كذلك
كل قلب زادت فكرته وعقله ومعرفته وخشيته وحسبته زاد فيه الانتفاع بالقرآن ومواعظه
فاحتمل السيل زبدا رابيا معناه ان السيل يعلوه الزبد كذلك القرآن فيه آيات متشابهات ظاهرها
خلاف باطنها كما ان الزبد على السيل ظاهره خلاف باطنه كذلك ظاهر آيات بعض القرآن
خلاف ما هو باطنها وهن المتشابهات ومثل المتشابه مثل السيل يعلوه الزبد وكان الماء كامن
تحت الزبد وان علاه الزبد ظاهر كذلك باطن القرآن المتشابه نافع وان كان ظاهره
خلافه فكالزبد وكما ان من اكتفى بالزبد الظاهر على الماء لا يصل اليه من نفع الماء شيء ويبقى
العطش فيه فيهلك فكذلك من اتبع الاكثر من ظاهر القرآن لا يصل اليه نفعه ومواعظه
ويبقى الضلالة فيه فيهلك ربما وفيه وكما ان من اعتبر بالزبد الظاهر ولم يعتبر بالماء
الباطن تحت الزبد لم يصل الى نفع الماء كذلك من اعتبر بظاهر القرآن ومتشابهه لم يصل
الى نفع القرآن اذ الزبد حائل بين الماء وطالبه كذلك المتشابه حائل بين القرآن وطالب نفعه

وانما ضرب الله المثل على هذا الاعتبار ليعلم العبا ان القران يدل على الامتحان والاعتبا بباطنها وقوله جل قوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله هي الجواهر معناه على هذا ان القران اثر انزله كالجواهر اخرجت من الارض فكما ان الذهب والفضة كائنان في الجواهر والخبث والنخالة حائلا بينهما وبين طالبها كذلك دلائل بعض آي القران واحكامه باطنه وظاهره حائل بينه وبين طالب فوائده واذا دخله الفكر المسدد استخرج الحجج والمنافع وكما ان الناظر الجاهل بالجواهر ينظر اليها ولا يعرف قدرها ولا يبذل فيها ما يقاومها من الثمن كذلك الناظر الجاهل بالقران ينظر الى ظاهر بعض اي القران فلا يعرف قدر المطلوب منها ولا يرغب في مرغوبها ولا ينفعه ذلك منها ولا يبذل فيها من نفسه من البحث والطلب ما يكفي في ذلك وكما ان الذهب والفضة لا يخرجان من الجواهر الا بالا[illegible] الشديد كذلك لا يستنبط علم بعض آي القران الا بنظر ثاقب وفكرة لطيفة واما مثل النبي عليه السلام فان الله جل ذكره شبه ارساله النبي بالمطر ينزله من السماء فكما انزل الله المطر من السماء بالملائكة عليهم السلام كذلك ارسل الله جل وعز محمدا بارساله جبريل عليهما السلام اليه بالوحي فكما ان الارض ميتة اذا منع الله جل وعز المطر منها ثم اذا امطرت صارت حية باذن الله فكذلك اهل الارض اموات في الديانة حال فقدان الرسل عليهم السلام فاذا ارسلوا اليهم صاروا احياء وكما هم لا يصلون الى نفعها الا بالغيث فكذلك لا يصلون الى نفع انفسهم في الديانة والتقرب اليه الا بالرسل واما قوله جل قوله فسالت اودية بقدرها اي بقدر سعتها شبه جل ذكره الوادي بالناس يعني ما ينفع به وبمواعظ كل الناس بقدر همتهم والنظر الى دلائله وكما ان الماء يزيد في الوادي في السعة كذلك نفع النبي صلى الله عليه وسلم واما قوله تعالى فاحتمل السيل زبدا رابيا معناه ان السيل ظاهره زبد غير نافع وباطنه ماء نافع كذلك النبي صلى الله عليه وسلم ظاهره صورة انسان وذلك غير دال على صدقه ونبوته وكما ان الماء النافع تحت الزبد وان كان ظاهره غير ماء كذلك احتجاجه ودلائله تشهد على صدقه وان كانت صورته الظاهرة لا تدل وانما ضرب الله عز وجل هذا المثل ليعلم ان ظاهر صورة الرسل عليهم السلام لا يدل على صدقهم وقوله تعالى ومما يوقدون عليه في النار لانه شبه جل ذكره الجواهر بالنبي صلى الله عليه وسلم وشبه الاحجار بالخلق ومعناه ان الانبياء عليهم السلام بين الخلق كالجواهر بين الاحجار فكما ان الذهب والفضة كائنان في الاحجار والخبث والنخالة حائلان بينهما وبين طالبهما لان ظاهرها غير ذهب وفضة كذلك دلائل النبي صلى الله عليه وسلم باطنه في احواله وصورته حائلة بينها وبين طالبها فاذا ادخلت الجواهر في النار استخرج الذهب والفضة كذلك اذا اعتبر بدلائله عرف بها صدقه ونبوته وكما ان الناظر الجاهل بالجواهر اذا اعتبر بظاهرها لم يشترها بثمن كذلك الناظر الجاهل بامر النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتبره بصورته وجدها لا تدل على حقيقة نبوته فيمتنع من تصديقه والاقرار بما جاء به كذلك يضرب الله الحق والباطل الاعتبار بصورة النبي وبظاهره والاعتبار بباطنه واحواله ودلائله كما ان الماء بار ينفعه في الارض كذلك دلائل محمد عليه السلام تابعة لمن اعتبر بها لانها توجب صدقه واتباعه كذلك يضرب الله الامثال وانما مثل العلم في هذه الاية فان الله جل ذكره شبه المطر النازل من السماء بالعلم الذي يعلمه الله عز وجل عباده فكما ان المطر لا ينزل من السماء الا بامر الله كذلك العلم لا يحدث

الا بوحي من السماء فكما ان المطر صلاح الارض كذلك العلم صلاح الخلائق وكما ان الزرع لا ينبت بفقد المطر كذلك الخيرات لا توجد مع فقد العلم وكما ان المطر لا يطلب الا من السماء كذلك العلم لا يكون الا من قبل الخالق جل ذكره وكما ان المطر يحكم الله عز وجل نباتا في الارض كذلك العلم ايضا في بواطن الحيوان والبشر وكما ان في نزول المطر افزاعا من الرعد والصواعق كذلك للعلم افزاع من الوعد والوعيد وكما ان المطر بعضه انفع من بعض كذلك العلوم بعضها انفع من بعض وكما ان المطر اذا كان في غير اوانه لم ينفع كذلك العلم اذا طلب من غير اهله على غير وجهه لم ينفع واما قوله عز وجل فسالت اودية بقدرها يعني والله اعلم فاحتمل كل انسان بقدر همته وعنايته وكما ان جري الماء في الوادي لا ينفع اذا لم يبق الماء فيه كذلك العلم اذا جرى على لسان العالم لا ينفعه اذا لم يعمل به وقوله جل ثناؤه فاحتمل السيل زبدا رابيا معناه ان الزبد يعلو الماء فيحول بينه وبين وارده كذلك شهوات النفوس تحول بين العلم وطالبه وكما انه من اكتفى بالزبد والكدر ولم يبحث عن الماء لا يصل اليه نفع الماء كذلك من اكتفى بظاهر ما يسمع من العلوم ولا يبحث عن حقايقها لا يحصل من نفع العلم شيء وانما ضرب الله عز وجل هذا المثل على هذا الاعتبار ليعلم الناس كيفية طلب العلم وقوله جل قوله ومما يوقدون عليه في النار الاية معناه والله اعلم ان العلم والحكمة يطلبان عند اهلهما كما ان الذهب والفضة يطلبان في جواهرها شبه جل ذكره العلم بالفضة والذهب وشبه العلماء بالجواهر فكما ان في الذهب والفضة تفاوتا بعضها اطيب من بعض كذلك العلماء بعضهم اكثر علما واصفى وكما ان في اخراج الذهب والفضة من الاحجار مشقة كذلك العلم والحكمة في طلبهما تعب ومشقة وكما ان الجواهر يستخرج المنافع منها بامتحانها واحراقها كذلك يستخرج العلم بكثرة السؤال ومداومة الفكرة وترداد التدبر فكما ان الذهب والفضة افضل من سائر الجواهر كذلك علم التفسير والدين والشريعة افضل من سائر العلوم كذلك يضرب الله الامثال الحق والباطل يعني والله اعلم الاحتجاج والدلائل والقصص والاخبار فاما الزبد فيذهب جفاء يعني والله اعلم ان طلب الاحاديث والاقاصيص يترك ويتطلب احكامها لان نفعها اعم واكثر وكما ان الماء باق وزبده ذاهب كذلك علم الدلائل والمعرفة باق وطلب الاقاصيص ذاهب كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم يعني والله اعلم فيما ندبهم اليه من طلب العلوم والذين لم يستجيبوا له ما في دعائهم اليه

فصل هذا بيان وتذكير من ربنا عز جلاله وتعالى علاؤه وشانه وموعظة رب جل ذكره كتابه العزيز للمتذكرين وضرب الامثال للمعتبرين وقسم الله جل جلاله الحق المطلوب فيما بينهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو الكتاب الحكيم قد جعله منزله العظيم جل ذكره متشابها مثاني يشبه بعضهم بعضا تلاوة ويعني وهي معنيا واياته معنى وقراءة المر يقول عز من قائل المرجع بهما تفرق واحكم بما ما فصل فقال جل ذكره تلك آيات الكتاب ثم سمى جل ذكره عليه والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي بانه من عند رب العالمين احكامه وتفصيله وتوصيله ثم حصل جل ذكره بشر موجودات الكتاب المبين بقوله جل قوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم

بلقاء ربكم توقنون بقوله جل ذكره لعلكم اذا ادبتم انقضاء الاجال وتمام الامداد كليل
ونهار وغير ذلك وتشاهدون طلوع الشمس والقمر والنجوم توقنون لذلك بانقراض
الاعمار ويوم الدنيا وبلقاء ربكم ترونه كما ترون الشمس صحوا والقمر فيه كما لم ثم اخذ جل ذكره
يصف انعمه وقدرته ومشيته وعلمه في مقدوراته بقوله جل قوله وهو الذي مد الارض وجعل
فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون فيعلمون الاخرة من الدنيا وموجودات ما هنالك استدلالا بموجودات
ما ههنا ويعرفون ربهم بما يرونه بحكم الغيب في مقدوراته باسمائه وصفاته والائه وافعاله
واحكامه واثاره فيوحدونه بالالهية ويفردونه بالمثل الاعلى ثم استمر جل ذكره على ذلك
بقوله وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فنص جل ذكره نص صدق قيله وله
الحمد على انه يفعل دقيق المفعولات كما يفعل كثيرها وجليلها من مذاقات والوان
وطعوم وروائح واشكال الى غير ذلك من منافع ذلك كله ومضاره وعلى تضاد
ذلك وتنويعه ثم قال جل ذكره ان في ذلك لايات لقوم يعقلون موجودات الاخرة من هذه
والتوحيد قال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفصيلا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا
افلا يعقلون ولا يتفكرون فهم لا يؤمنون الى قوله جل قوله ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه اية من ربه نظم هذا بما تقدم ذكره من التعجب من كفرهم وعماهم عن رؤية الايات
البينات في النور المبين او لم ينظروا الى مثلاته ووقائعه ممن كذب الرسل صلوات الله وسلامه
على جميعهم وصد عن كتبهم ولبينا ذلك لما ضرب عن ذكرها اعتمادا على التذكير بها قبل هذا
في قوله جل قوله وقد خلت من قبلهم المثلات ثم قال جل قوله انما انت منذر كما قال جل وعز
انما عليك البلاغ ثم ثنى جل ذكره المعنى وارجع القول الى ذكره في صدر السورة فقال جل قوله
الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد الى قوله جل قوله ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال فاتصل المعنى بالمعنى الذي تقدم وبنى القول
على القول ثم اخذ جل ذكره في الاحتجاج عليهم بما في ما تقدم ذكره من الحق المتضمن وقررهم
على المتفق على صحته في عرفان القلوب فانتظم بالمعنى الذي تقدم فقال جل قوله لنبيه صلوات الله
وسلامه عليه قل الله وهو قولهم كما قال جل وتعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
وانزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ليقولن الله ثم وقفهم على سائر قصصهم بقوله جل
قوله افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير
ام هل تستوي الظلمات والنور نص فيه وجه الخطاب الى سواهم من اهل ملل الكفر وكان يخاطب به وحده
نبيه صلى الله عليه وسلم العرب ومتخذي الاصنام والتماثيل الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ظنونا كاذبة وآمالا خائبة يقول جل ذكره وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
اي ليسوا عندهم شركاء له في ملكه ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وخرصهم هذا
عن تقدم معرفة سقطت معرفتها في حقهم وبقيت فتنتها فيها وذلك المعروف هو الحق خالق
السموات والارض لم يبق بايديهم من معرفته الا الخرص والحدس نصب الشيطان لعنه الله لهم صنما

واتخذوا

واتخذوا له التماثيل وعبدوه على المشاهدة بزعمهم الاباطيل كذب الزعم ثم درس المبدأ
في ذلك في اخلافهم حجة اعتمدوا عليها والحقوها بمنزلة الشركاء حتى قالوا اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب الى قوله ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق
فكان هؤلاء في اولهم حال وراثتهم عن ابائهم ابراهيم واسمعيل صلوات الله وسلامه عليهما
يهدون بالحق ثم عدلوا به عنه فتوجه اليهم من خطابه قوله الحق جل قوله على لسان رسوله صلى
الله عليه وسلم افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا الى قوله ام هل تستوي
الظلمات والنور **قوله** تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم عدل بخطاب
رسوله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء اكراما له لتبعدهم عن الحق وعدولهم عنه بزعامة العالم واقامة
الحجاج عليه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل
ويحسبون انهم مهتدون زعموا بالعلم فكانوا ابعد شيء عنه وهم الثنوية القائلون بان فاعل العالم
اصلان قديمان احدهما نور والاخر ظلام قالوا فالنور خير بطبعه وجعلوه مطبوعا والظلام
شرير بطبعه قالوا فالنور لا يفعل الا الخير والظلام لا يفعل الا الشر وصرحوا بان النور هو الله
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وان الظلام هو الشيطان وقسموا موجودات العالم الى ما هو عن نور
والى ما هو عن ظلام كما يقسم الحق الموجودات في العالم الى ما هو ذكر والى ما هو فتنة والى ما هو المحبوب
والمكروه والسراء والضراء ونحو هذا طائفة من اهل القبلة هم القدرية ومن طوائف الضالة
الذين توجه اليهم قوله ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم المثلثة وهم النصارى
والمخمسة وهم الذين قالوا بخمسة قدم قالوا هي الهيولى والمادة والصورة والعدم والباري
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قالوا فكل هؤلاء يعمل في العالم بخاصيته والباري سبحانه
وتعالى عما يقولون علوا كبيرا يصلح ما وصل اليه وما لم يصل اليه بقي كان على ما كان عليه تعالى وتعالى
عما يقولون علوا كبيرا فيقول الله جل ذكره قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار الغالب
على امره وهو على كل شيء قدير وضرب جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لذلك مثلا فقال
جل قوله انزل من السماء ماء اي واحدا طيبا طاهرا مطهرا لخلق عنه الخلق الكبير الجم الغفير
فذلك اية جل ذكره على انه الله الواحد الاحد الطيب المطيب الطاهر المطهر القدوس السلام المهيمن
المؤمن خلق كل شيء لم يخرج شيء عن ان يكون خلقا مقدورا للقدرة مرادا للارادة معلوما
للعلم من مثقال ذرة ولا ادنى من ذلك ولا اكبر الا هو خالقه ومصرفه ومدبره ثم قال في قوله
الحق فسالت اودية بقدرها انزل جل ذكره الماء من السماء الى الارض جبالها وحزنها وكما
وسهولها فجرت مناعب المياه الى مسالكها فاحتمل زبدا لاجل مباشرة الكائنات عنه وهو الامر
النازل من ذي العرش جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بلقنه وهو الحق الى حملة العرش عليهم
السلام فيتعدون به سماء الى موضع قوله جل قوله وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه ثم يخلقه في السحاب ثم في الجو والهواء وينزله الى الارض وهو امره
جل ذكره وقد باشر الموجودات وما باشره هو الحق وفي اجزاء الهواء وفي الرياح وفي
الارض فيح جهنم سعيرها وزمهريرها اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وفي رحمته كما قال
جل ذكره وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

وما يمسك فلا مرسل له من بعده فاحتمل السيل لذلك زبدا ولم يظهر في الاغلب زبد الما
في مسالكه ومشاغبه على الارض حلا حر الماء وبرده كما لم يظهر للتعيين في الاجواء
ومسالك الكواكب في مجاري الافلاك زبد خلا التمييز بين سموم الحر والبرد وانما يظهر الله
جل ذكره زبده في النبات والحيوان المخلوق عنه بواسطة الحق المخلوق به السموات والارض مظهر
اذ ذاك في النبات السهي والكريه والحلو والمر والمتوسط والعذب في النعما المعدي والضا
والنافع باذنه والطيب في الخبيث من النبات والحيوان والطاهر والرجس النجس واللين والخشن
والماكل والمشاكات والمكروه والمحبوب من ذلك كل حيوانه وشانه والجبال الارض ومعادنها
وانواع اتربتها وامره جل ذكره امر انما هو الحق كلما مازج حقا كان في ذبينك النوعين
من الحق بنوع اخر فيه من شبه ذبينك النوعين الحق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين يكون
الشبه فكلما بعد عن المبدا بعد عن الطهارة والطيب وعلى نحو مشيته جل ذكره في خلقه
واذنه في مصنوعاته فافهم فذلك قوله فسالت اودية بقدرها على هذا التاويل الاودية التي
الاودية والمشاعب والمسالك التي تسلك عليها المياه الى موضع مستقرها الذي هو النهر الاعظم
فهنالك يظهر الله جل ذكره على الاغلب زبد الماء رابيا عليه مرتفعا فوقه كذلك كونه في هذه
الدار في الاغلب الباطل يعلو الحق لكن العاقبة للمتقين فهذا وجه ويوجد اخر النهر الاعظم في التمثيل
هو موضع المحشر والماء هو الناس لانهم خلقوا منه ومن الارض مصيرهم جل ذكره في اعمالهم
الى المستقر وهو كدار الاخرة كل قد عمل على شاكلته واعماله معبرة عن نياته فاذا بلغوا الى
مستقرهم امتاز الله جل ذكره الخبيث من الطيب كما يميز زبد الماء من الماء الذي احتمله في مسالكه
من الارض فالباطل من اعمالهم يبطلها الله ويهلكها والطيب منها يبقيها لنفعهم بها فهو
قوله جل وعز فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب
الله الحق والباطل دل على هذا التاويل قوله تعالى للذين استجابوا لربهم الحسنى المعنى الى الاخرة
وفيه ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله قد تقدم كلام في الامر منزل
من عند الله وكيف ينقلب جفاء من الحق الى الحق باذن مدبره جل وعز انه ذلك الغذاء
من اي شي والطعام يدخله احدنا جوفه فيصير في الشعر شعرا وفي البشر بشرا وفي العظم
عظما وفي الدم دما الى غير ذلك من موجود الاكل والشارب ثم يخرج متغيرا عن غير
الوصف والمعنى الذي ادخله البدن عليه والخالق جل ذكره واحد والصانع متفرد
بصنعه وتدبيره بقوله تبارك وتعالى ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية ومتاع زبد
مثله ان الامر في السماء وفي الارض واحد الزبد موجود في كلها لكن هذا يبرز في الامتحان بالنار
وذلك يبرز في الامتحان بالماء وهو في التمثيل والنار في التمثيل بمنزلة المحنة كما قال ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن الى قوله جل قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فالمحنة
بالنعمة والخير بطر والمحنة بالمحنة والمكروه كله سخط وعدم رضى بالمريد واما الزبد فيذهب
جفاء زبد الماء بالهواء والشمس وزبد الارض بالنار كذلك يضرب الله الامثال التي امثال
المومنين والكافرين كما قال عز من قائل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل

اعمالهم

اعمالهم اي ابطلها ومحقها هلاكا والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد
وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم بايمانهم ثم قال جل قوله ذلك بان الذين كفروا
اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم
ثم في ضمن هذا يدخل معنى الرسالة والنبوة والعلم والحق الى غير ذلك فرحم الله سلفنا
ورضي عنا وعنهم وجزاهم عنا خير ما جزى به سلفنا عن خلفهم الذين وطوا لنا معابر النظر
فقفونا اثارهم وسلكوا سبيل الحق فاهتدينا بفضل هدايتهم والحمد لله رب العالمين
قوله عز وجل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولو الالباب
اخبر جل ذكره ان الذكرى انما هي لاولي الالباب واللب صفة في العقل يوصف به اذا تم انما
وفكر بعقل سليم ونظر صائب فاستخرج بواطن المعاني وخفاياها وعبر بمفهوم الشواهد
الى غيوبها وصابر كنفسه على مكروهها ولم يرض بالتعادنه في العلم دون التحقيق فيه والعمل به صعد
الى ذروتها ثم جمل جل ذكره سوق صفاتهم بقوله الحق جل قوله الذين يوفون بعهد الله ولا
ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل اذ في ذلك ان يصل الايمان بين
في الله واسمائه وصفاته وافعاله كلها وملائكته اجمعين صلوات الله وسلامه عليهم ورسله
عليهم السلام وكتبه لا نفرق بين احد منهم وبامره ونهيه ووعده ووعيده ثم قال جل
ذكره ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب هو ان يعدد ذنوب العبد ولا يتجاوز
وله مغفرة فسئل الله العفو بجميل عفوه وحسن تجاوزه فانه من نوقش الحساب هلك
ثم ذكره طائفة اخرى دونهم فقال جل قوله والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم الى قوله جل
قوله اولئك لهم عقبى الدار كما قال جل قوله والعاقبة للمتقين يبشرهم جل ذكره بان العاقبة
لهم في الاخرة لما قاسوه في هذه الدار من امتحان يعلو الباطل الحق في كثير من الاحوال هذه
وعقبى الدار فيما هنالك الحظوة والجاه لدى العلي الاعلى ودخول الجنة هم وازواجهم
وذرياتهم يجمع بعضهم الى بعض برفع الادنى الى الاعلى قوله جل قوله ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب بين جل ذكره في هذه
ما اشكل في نظيرتها التي في صدر السورة ولما انسق جل ذكره ذكر ايات الكتاب المبين في الوجوه
في صدر السورة ختم ذلك بالتعجب من طلبهم انه على صدق ما انباهم به لم لما نص بقوله الحق
على انه الواحد القهار خالق كل شي رب كل مذكور والهه لا اله سواه ضرب لتحقيق ذلك
مثلا اخذ فيه جل ذكره باطراف الكلام المشتملة على حقائق الحق المطلوب وذكر جل ذكره اولي الالباب
الذين امتحنهم الله بالفكرة والنظر اليه كالمشاهدة عجب ايضا جل ذكره من طلبهم انه على صدق
ما جاءهم به وقد احاطت بهم الايات حتى اغشتهم انوارها واصمتهم ضوضاء الشواهد بان
شبهاتها فاجابهم بقوله جل قوله ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب هداهم جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه السبيل لو اهتدوا وفتح لهم الباب لو دخلوه عرفهم بالمنيبين اليه
بقوله جل قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب الانابة
وصف لمعنى من معاني المحبة ومن احب شيئا اكثر من ذكره وسكن اليه ولا محبوب كهو جل
ذكره والمحب طائع لمحبوبه طالب لما يرضيه لذلك وصل بذلك قوله الذين امنوا وعملوا

الصالحات طوبى لهم وحسن ماب هو المرجع وقرى وحسن ماب بالنصب للنور على معنى
يا طوبى لهم يا حسن ماب قيل ان طوبى الفرح وقرة العين وقيل الجنة بعينها وذكر ان
اسمها بلغة الهند وقيل هي شجرة في الجنة اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل
دار لامته منها غصن سيسوق لهم لباس وطعام وجميع ما شهوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وقال عليه السلام في الجنة شجرة لو ان
ساحرا ثم تادر باصلها ما بلغ موضعه الذي بدا منها حتى يموت هو ما قلعلها هذه والله اعلم
قوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا
اليك كاف كذلك للتشبيه وذلك مشار اليه مقصود بالاخبار عنه لعله الى بعض الوجوه في
المثل الذي تقدم من اثبات الالهية والوحدانية والنبوة وذكر معنى العلم فان العلم بالرسالة
وما جاءت به من ذلك مشبه به واشار اليه بقوله جل قوله كذلك ارسلناك في امة قد خلت
من قبلها امم وحذف جل ذكره قد ارسلنا اليهم فمنهم من امن فاتيناه اجره في الدنيا والاخرة
ومنهم من كفر وصد عنه فاهلكناهم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك هو القران وهم يريد
الامة التي ارسل اليهم يكفرون بالرحمن ليس يقول جل وعز قل انت يا محمد هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب والاوجه والله اعلم ان ينتظم قوله كذلك ارسلناك فيهم بمعنى قوله
قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب وقوله جل قوله انما انت منذر ولكل
قوم هاد فينتظم ذكر الهداية بمثلها فيما تقدم وذكر الرسالة بذكر الهداة من الرسل قبله
صلوات الله وسلامه على جميعهم **فصل** عجب الله من كفرهم بالرحمن عز جلاله وتعالى
علاؤه وشانه وفي ضرب من الجدل كما قال جل قوله واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا
يقولون اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي يذكرون
الرحمن جل جلاله بما يستحيل في نعوت جلاله كما قال جل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من
دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ومن التعجب بكفرهم
بالرحمن جل ذكره انه من حيث هو الرحمن ذو الرحمة الواسعة من لدنه جمع نعم النفع والدفع
فجمع الكلاية والكفاية والحفظ والحراسة والتربية والحماية كلها ومعاني الخلقة والالات
والاجال والامر كله والوجود اجمعه ومن اعجب العجب الكفر بما هو منه هذا وما هو اعجب واكبر
من ايجاد انفسهم وانفاسهم واغذيتهم والقيام عليهم لسانهم كله وبما هو المستوي على الكرسي
حيوة وعلما ومعرفة وخشية له وخوفا ورهبة منه ان ذلك خلقه جل وعز ادم عليه السلام
من صلصال كالفخار سواه بذلك خلقه ثم لما نفخ فيه من روحه سواه بذلك حيوة وصفات
واسماء فكان بذلك لا يعزب عنه علم شيء من جملة نفسه قريبا وعلما وحسا ووجودا فكذلك
الجملة باستواء الرحمن على العرش وله المثل الاعلى في السموات والارض قال الله عز وجل وفي
انفسكم افلا تبصرون وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون فكيف لا يعظم
التعجب من كفر من كفر به اتبع ذلك قوله الحق قل هو ربي اي قل يا محمد ويا ايها التالي هو ربي
لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب فاذا تاب هذا العبد الى ربه الرحمن عز جلاله اختصه
واجتباه واستخلصه وانتجبه وتولاه فوصل له مقتضى اسمه الرحيم بمقتضى اسم الرحمن

في الدنيا

في الدنيا والاخرة قال الله عز من قائل لموسى واصطنعتك لنفسي فاذا كان ذلك كذلك
قال الله جل ذكره للنفس المطمئنة يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي اي في الدنيا وادخلي جنتي اي في الاخرة وبعد الموت ثم ترت نسبهم الله عز وجل
بقوله يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون ونحو هذا وتارة يعبر
عن هذا التقريب والتخصيص بقوله جل قوله اني لا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب عليه ذكري
الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها الحديث وتارة
يعبر عن ذلك بقوله ابن ادم مرضت فلم تزرني وجعت فلم تطعمني وعريت فلم
تكسني الى قوله تعالى اما انك لو فعلت ذلك لوجدت ذلك عندي واعلم وفقك الله ان هذا النعت
ليس بمجاز حلول بل هو ما عبر عنه قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم
الا تراه اذا وصفه بطاعته والرضى عنه اضافه اليه ونسبه اليه بالولاية والحماية والتقريب واذا
وصفه من حيث نسبه الى اصله واضافه الى محتده كذلك مولى القوم ينصرهم وينصرونه ويفهم
وبحال الفوته وهو منهم في عداد ذلك فاذا انتمى اليهم يعرف بهم ثم اذا رجع الى نفسه
لم يدع اليهم ولا اتصف بانه من محتدهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ادعى الى غير ابيه وانتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا ولما تقارب الانتماء اشتد الوعيد فافهم لذلك
وهو اعلم اتبع ذلك قوله الحق ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
يقول جل قوله يسالونك ان ياتيهم باية ولو ان قرانا الاية الراجع عليه ضمير قوله عز
وجل به هو القران وقوله جل قوله قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب بعد ذكر
اسم الرحمن عز وجل قد تقدم انه القران العظيم ومتى حمل هذا الذكر العظيم قلنا وغلب عليه
فقليل له ان يسير له الجبال او تقطع له الارض او يكلم به الموتى كذلك قال عز من قائل لو
انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو الى اخر السورة فانشا رجل ذكره
الى الثلث الايات التي في اخر السورة وقد جاء من طريق تقطع بصحته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صعد احدا هو وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم اجمعين فرجف بهم الجبل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسكن فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وجاء ان ابراهيم ابن ادهم رحمه الله عليه
كان قاعدا على جبل من الجبال مع بعض اصحابه رحمة الله عليهم يكلمهم في مثل هذا وقال
ان من عباد الله عز وجل من لو قال للجبل تحرك لتحرك فرجف بهم الجبل فقال له اسكن
فانما هو شيء ذكرت به اصحابي فسكن وقد سخرت الجبال لداود عليه السلام يسبحن بالعشي
والاشراق وقد انكشفت قصة ابراهيم بن ادهم بشواهد القران فاقل درجتها ان يكون في
حد الامكان اتبع ذلك قوله جل قوله بل لله الامر جميعا بل للاضراب وذلك في المقدر المحذوف
من الخطاب تقديره لكان هذا القران او ما نحو هذا وكان في معناه وقيل ان تقدير المحذوف
ما امنوا به ويؤيد هذا التاويل قوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فاضرب جل

ذكره بحرف بل عن المعنى الذى تضمنه حرف لو وهو امتناع وجود تسيير الجبال وتقطيع
الارض وتكليم الموتى به ما لم يشا الله ذلك ونفى وجوب وجود ذلك كله مع وجود المشية من
الله جل ذكره اتبع ذلك ما هو فى معناها قوله جل ذكره افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشا
الله لهدى الناس جميعا قيل هو بمعنى العلم اى ييأس بعلم وقيل هى لغة النخع وقال بعض اهل اللغة
معناه افلم يعلم الذين امنوا علما يئسون معه ان يكون غير ما علموه وفصل الخطاب فى ذلك والله
اعلم ان معناه افلم ييأس الذين امنوا فى ايمان من لم يشا الله الايمان منه افلم يعلم الذين
امنوا ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا ويقال لهذا النوع من الخطاب المؤخر وقد تقدم ذكره
فى سورة هود عليه السلام وقال بعض العلماء للقران ظهر وبطن فظهره جليه وبطنه خفيه
ومطلعه ما خرج منه اكتفاء بما اوجز فيه منه فمذكوره يدل على معنى والمحذوف منه يدل على
معنى وهو كثير فى القران لمن عنى به وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت من الحكمة
مثل ما اوتيت من القران والحكمة قد يكون القران ومعرفة تاويله وهو ارفع الحكمة قال
الله عز وجل يوتى الحكمة من يشا ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو
الالباب ثم قال عز من قائل بل لله الامر جميعا اى فى الهداية والضلالة وقراها ابن عباس
رضى الله عنه افلم يتبين الذين امنوا من البيان وقال ان الكاتب كتبها وهو ناعس وكذلك قرا
عكرمة ايضا وعلى القراءة الاولى هو الجمهور الاعظم **قوله** عز وجل افمن هو قائم على
كل نفس بما كسبت هذا خطاب راجع معناه الى قوله وهم يكفرون بالرحمن ومعنى التعجب من ذلك
وهو من الموخر المحذوف اخره يقول عز من قائل افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت يجهل شانه
كقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا او نكفر به ويرد امره ويجعل له الانداد والاولاد
ويتخذ من دونه الاولياء والشركاء دل على هذا التوجيه قوله جل قوله وجعلوا لله شركاء
الجن فعطف جل ذكره بالواو ذكر شركهم على ذكر الجهل اتبع ذلك قوله جل ذكره قل سموهم
وهذا ايضا محذوف المعنى وهو مطلع يفضى منه على حقايق لو سطرت من قران عظيم وكتاب
حكيم لكانت مصحفا كالقران او ما يقاربه اذ هو كلام الله جل ذكره يعبر عن اسماء الله وصفاته الى
ما ينفصل من اوصافه وافعاله ومصانع مخبرة عن قدرته شواهد لوحدانيته معبرة عن الالهية
والربوبية والرحمانية ناطقة بتسبيحه وتحميده قائمة بامره على سنن فطرته قانتة له خاضعة
لعظمته صابرة اليه صاغرة لكبريائه عانية لقيوميته وعظيم سلطانه فقيرة الى ما لديه ليس لها
من ذواتها غناء ولا غنى بها الى ذلك اختصاصه المختصين من اوليائه وانبيائه من صفوته
وارسال الرسل من ملائكته وعباده وانزاله الكتب وايحائه وحيه على مراتبه وكيف
شاء بمشيته الى ما شاء من عباده يتبع ذلك الامر والنهى والوعد والوعيد والنذارة
والبشارة وصدق الكلمات واتمامها على سبل سننه واظهار المعجزات على القدرة الغائبة على
وفق كلمته يتبع ذلك ايجاد النعماء وظهور الالاء فى الارض وفى السماء ومرور ايامه
بالنقمات والمثلات فى اعدائه والنصر وحسن العقبى فى الدارين لاوليائه الى غير ذلك
من اظهار مقدوراته واظهار مشيته على وفق ما سبق من ذلك فى علمه الحق وتقديره الازلى
لا زلى تقوم جل جلاله قل لهم يا محمد سموهم والخطاب لمحمد صلوات الله وسلامه عليه

خطاب لمن بعده من علماء امته يقول جل قوله هل خلقوا السموات والارض وما بينهما
فهم الخالقون هل بايديهم خزائن السموات والارض يقسمونها فى المرزوقين فهم الرزاقون
هل يحيون هل يميتون فهم المحيون المميتون هل بايديهم ملكوت كل شىء فهم المالكون
هكذا الى اخر الاسماء والافعال والتدبير على التقدير الاول فلا بد لهم من قول الايجاب
على ذلك الشرك يكون مع الله عز وجل ما لا يخلق ولا يرزق ولا يملك وهم يخلقون وقد يملكون
افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون ثم قال عز من قائل ام تنبئونه بما لا يعلم فى الارض ما لا
يعلم الله عز وجل فليس بكائن ولا يجوز كونه على حال لا بد الابدين كذلك قال جل قوله فى غير
هذا الموضع ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون يقول
عز وجل ام بظاهر من القول على هذا تسميتهم الالهة باسماء لا توجد حقايقها فى ذواتها كاللات
والعزى ويغوث ويعوق وليس عندهم من اله ولا عز ولا غياث ولا منع فهو ظاهر
من القول ليس كاسماء الله سبحانه التى يوجد حقايقها لديه وفى علو وجوده ظاهره
وباطنه ملات حقايقها السموات والارض وقامت عليها الدنيا والاخرة وما علا وما سفل
وما هو كائن وما ليس بكائن ابدا لذلك يعلو باهلها عليين فى اباد الاخرة فى اباد الاخرة
فى علائه وتسفل باهل سافلين فى تكوين وتحديد لهؤلاء وهؤلاء يقول عز وجل ام بظاهر
من القول تدينون انفسكم لما لا حقيقة له ولا معنى صحيح صادق يرجع اليه رضيتم لهذا
لانفسكم تعبدون لاسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ثم
قال عز من قائل بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل اى الصراط المستقيم سبيل الاسلام
صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ومن يضلل الله فما له من هاد اخبر جل ذكره فى هذه
عن وحدانيته ورجوع الامر كله اليه وعجب من عظم اقتداره على صرفه اياهم عن عوائد فطرتهم
المستكنة فى ذواتهم بانفسهم عنها بمعنى منه الى مراده بهم ومنهم سبحانه وله الحمد **قوله**
جل وعز والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك الذين اتيناهم الكتاب يفرحون
على محمد عليه السلام امنوا بالكتاب الذى انزل اليهم ثم امنوا بهذا القران قالوا هم عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار كان هؤلاء يوم انزلت هذه السورة على دين ابائهم فى خيبر والمدينة
وكان انزالها بمكة والذى يعم هؤلاء وهؤلاء هم الذين اتاهم الله كتابه واورثهم
اياه وفهمهم وحيه فاطلعهم بذلك على كثير مما انزل على رسوله صلى الله عليه وسلم فهم
الذين يفرحون بما اتاهم الله من فضله دل على هذا التوجيه قوله جل قوله ومن الاحزاب
من ينكر بعضه ولو عنى بذلك احزاب الكفر لقال من ينكره وانما انكر بعضه قوم من فرق
الاسلام وهم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وان من فرق المسلمين لمن ينكر ما لم يبلغ
علمه منه وذلك اكثره اتبع ذلك قوله عز من قائل قل انما امرت ان اعبد الله اى على ما علمت من وحيه
وكتابه وما لم اعلم كما قال المرضيون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
ولا اشرك به اليه ادعوا واليه ماب رجع جل ذكره وجه الخطاب على المشركين **قوله** عز وجل
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية كما قال جل قوله وما ارسلنا من قبلك

الا رجالا يوحي اليهم من اهل القرى ومثله كثيرا علم بان هذه سنته جل ذكره انه لا يرسل
الى البشر الا بشيرا كما قال جل وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا الحكمة بالغة له جل ذكره في ذلك قال عز وجل وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة وعظ جل وتعالى بذلك عباده انه ارسل الرسل عليهم السلام وجعل لهم
الازواج والذرية ولا بد من غني ومن فقير ومن بلاء ومن عافية ومن هداية في ذريتهم
واممهم ومن ضلالة فلا يشغلهم الازواج والذرية ولا الفقر ولا الغنى عن طاعة
ربهم ولا ركنوا الى ذلك دونه ولا لتفتوا الى الاولاد على المعهود من الحرص على الاهل
والولد في الدين والدنيا بل صبروا على ما ارسلوا اليه وقصدوا الى ما وجدوا له
وهذا سبيلهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعهم فبهداهم اقتده والله المستعان ولا قوة الا به
وحده رجع الكلام الى اوله بقوله جل من قائل وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
هذا منتظم بما تقدم من سؤالهم الرسول ان ياتيهم باية وذلك لا يكون الا باذن من الله
جل ذكره ثم قال جل قوله لكل اجل كتاب جاء من هذا ان رسولا لا يكلف على قوله الحق
الايتان باية شرطية بل تتابع على ما اوحي اليه وفي اثناء يبدو اياته ومعنى قوله جل قوله
لكل اجل كتاب قد تقدم ان كل كتاب له اجل فالمعتقد الحق ان الله عز وجل قال للقلم اكتب
علمي في خلقي هذا الكتاب هو المحيط بما في الكتابين من دونه الذي اخذهما قال له جل
قوله اكتب ما هو كائن والاخر اكتب المقدار فذلك الكتاب الاول هو ام لهذين في ما نحن
قوله جل قوله يمحوا الله ما يشاء ويثبت على هذا اي يثبت بما في الكتاب الاول الذي هو مكتوب
علمه المحيط في الخليقة اجمعها وقد يتوجه ايضا انه يمحو من الكتب الثلثة ما يشاء وكيف شاء
وعنده ام الكتاب عنده العلم الذي هو صفة ذاته وهو ام الكتاب على الحقيقة دل على صحة
هذا التوجيه قوله جل قوله ما يشاء فالمحو والاثبات من مشيئته وهي ام لكل محو واثبات والله
يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله** عز وجل اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها اختلف في معنى هذا وفصل الخطاب فيه والله اعلم ان المراد بذلك ما نقص
الله عز وجل من اطراف ارضهم كارض عاد وثمود ومدين والمؤتفكات وغيرهم ولم
يكن الكهلاء يومئذ موجودين كما ذكروا انهم الكهلاء والاظهر تغلب الاسلام على بلدين
البلاد وهذه السورة مكية انما نظيره من سورة الانبياء عليهم السلام اولم يروا انا ناتي الارض
ننقصها من اطرافها افهم الغالبون لصارة عن حال الاسلام يومئذ في اقباله وثباته
فكانت الارض تنقص من اطرافها باخذ المسلمين اياها يقول الله جل قوله فهلا اقاموا
ذلك اية لهم على غلبة الاسلام من بعد ما دل على هذا التوجيه قوله جل قوله افهم الغالبون
وكان فحوى الخطاب من ذلك انذارا انما هو كائن اليوم فانه سيحون المقبل مدبرا وكان
هو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا ثم
عرض جل ذكره الى المسلمين بقوله جل قوله والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب
بمعنى قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير **قوله** تعالى
وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا المكر فعل في اختفاء يراد به السوء والاذاءة

فجزاء الله جل ذكره اياهم على ذلك هو المكر منه وهو ان يذرهم في طغيانهم يعمهون
فيما زينه لهم الشيطان لعنه الله لا يتداركهم منه بتوبة ولا ندم سمى الله جل ذكره هذا الفعل من
بهم وشبهه مكرا كما سمى الله القصد والفعل باسم المراد بذلك الفعل كذلك سمى القصد
منه الى تسوية السموات السبع سموات استواء وسمى الفعل المقصود به تسوية الجملة خلقا وامرا
استواء كذلك سمى الجزاء على المكر منهم مكرا منه وهو تركه اياهم في غمة ضلالهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا وهم الاخسرون اعمالا ولا يشعرون عبر عن ذلك تعريضا به بقوله
جل قوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار تهديد ووعيد وعقبى
الدار خير الدار الاخرة وذلك هو عقبى دار الدنيا والجنة عاقبتها والعاقبة اذا
اطلق لفظها فهو الخير قوله جل قوله والعاقبة للتقوى الا تسمع الى قوله اولئك لهم
عقبى الدار ثم قال جل قوله جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم
وذرياتهم **قوله** تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب لما كذبوا رسالته وشكوا فيها ما طلبوا منه الايات على
صدق ما جاءهم به وقد كان القران كافيهم لو عقلوا عنه وعلموا ما خرج وتحدوا بسبيل
الاعجاز فيه قال الله جل ثناؤه لنبيه عليه السلام قل لهم يا محمد كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
ومن عنده علم الكتاب يكون المراد بقوله جل قوله الكتاب التوراة والانجيل والزبور ويمكن
ان يكون المراد بذلك القران فيكون معناه على هذا والله اعلم بحقيق رسالته قال الله
عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وهذا خطاب
راجع الى معنى ما اجتلب من اجله الحروف المقطعة في اول السورة ثم ما وصله في صدر السورة
من ذكر خلق وامر وهذا اولى بنص الخطاب وحقيقة المراد والله اعلم وعلماء امته وهم شهداء
الله ولرسوله وروى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن عنده علم الكتاب
اي من عند الله عز وجل علمه وقرأه مجاهد والضحاك وابن جبير والحسن وابن ابي عبلة
والكلبي وابن عباس رضي الله عنهم ومن عنده علم الكتاب بضم العين وكسر اللام وفتح الميم وهاتان
القراءتان منتظمتان بمعنى قوله عز وجل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فان كان ذلك
كذلك فالخطاب متضمن معنى واحدا وهي شهادة الله وحده وهو اكبر الشاهدين
والقراءة الاولى متضمنة معنيين وهو اولى وقد قيل لابن جبير سعيد رضي الله عنه الذي عنده
علم الكتاب هو ابن سلام فقال كيف يكون ابن سلام والسورة مكية وانما اسلم ابن سلام بالمدينة

سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل كتاب انزلناه اليك يريد جل وعز
وهو اعلم القران ليخرج الناس من الظلمات الى النور اي من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذن
ربهم كقوله وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الى صراط العزيز الحميد صراطه جل ذكره
هو الاسلام وهو الحق المخلوق به السموات والارض وهو شجرة اصلها الالهية وافنانها معاني
الاسماء والصفات التي تفصلت اليها معاني الاسلام هو الاستسلام وحمل ثمرها المطلوب
التوحيد وثمرتها التقوى والمعرفة وجناها ما تفرعت اليه مقتضيات الاسماء والكون

درجات اول درجة منه قول لا اله الا الله والايمان بها والعمل وهو موضع قوله جل قوله
ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم فما استصحب العبد ذلك فهو على نور
وخير من ربه لكنه بعد لم يصل بل هو في ظلة غفلته ثم هو مكلف بعد هذا ان يترقى في درجات
الايمان قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسله فامرهم جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه ان يؤمنوا ليزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم فلاهل الايمان ظلمة
هي الغفلة فاذا تذكروا ابصروا واذا ابصروا امنوا واذا امنوا سارعوا ومن فكر وجد
ومن سارع سورع اليه فكان وصوله على قدر اسراعه وسباقه وذلك يسرع بهم الى
الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وذكر جل ذكره السموات
والارض لتنبيها وجود الخلق فيهن واتصال ذلك بفطرة الاشياء التي فطرهن عليها وهو
صراط الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واعلى هذا الصراط
هو النور المبين واعلم وفقنا الله واياك ان التدبر في الكتاب هو الطريق الى ذلك
قال الله عز من قائل وانزلنا اليكم نورا مبينا وقال جل قوله قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور
باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم فادنى الاسلام نور واعلاه نور مبين وويل للكافرين
من عذاب شديد الى قوله عوجا هو الدين القيم والعوج فيه على قدر الخلاف عنه اولئك
في ضلال عن الدين القيم والصراط المستقيم بعيد اخبر الله سبحانه ان محبة الدنيا لان حب
الدنيا من اعظم الذنوب وهو تفضيلها على الاخرة وتقديمها في محبة القلوب عليها والرضى
بها والاطمينان عليها فليسمع من له اذن سامعة **قوله** عز وجل وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قومه انتظم هذا بقوله الحق كتاب انزلناه اليك كما انتظم بها قوله ولقد ارسلنا
موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور المعنى كذلك ارسلنا الى موسى كما ارسلناك
لتبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء المراد بالرسول والرسالة التبليغ فيسر الله
جل ذكره ذلك ليتبين الذي جاوا به الى الامم فاذا تبين لهم فاعرضوا عنها استحقوا الهلاك
قال الله عز وجل واما ثمود فهديناهم اي بينا لهم بالتبليغ اليهم فاستحبوا العمى على
الهدى الاية ثم اتبع ذلك ما هو في معناه قوله جل قوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج
قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله وهي وقائع نعمه ونقمه هذه ايام الله عند عباده
من هذه الجهة ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي ان في ذلك لله جل ذكره ايات على عذاب
الاخرة ونعيمها لكل صبار على بلائه شكور على نعمائه **فصل** قال الله جل جلاله لموسى
عليه السلام اخرج قومك من الظلمات الى النور وقد كانوا قبل اهل الايمان وورثة
النبوة عن ابائهم الكرام ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وبنيه على جميعهم صلوات
الله وسلامه فاذا ظلمتهم بذلك عن الغفلة فاخرجهم الله عز وجل به الى الولاية ووراثة
النبوة والحكمة والكتاب اما النبوة والكتاب فهما هما والحكمة هي الوقوف بالعلم اليقين
على معرفة الحق المخلوق به السموات والارض فانه من تدبر ما جاءت به الرسل من وحي
وكتاب فتح الله له في ذلك الهاما ووحيا الى سره ومن عرف الحق المخلوق به السموات والارض

الذكور

المذكور اورثه الله عز وجل الحكمة في قلبه وانما يجزى العبد من حيث طلبه
ويسرع اليه في اتيانه اليه من حيث اسرع اليه وهذا الحق هو علم من حيث هو عن مقتضيات
اسماء الله وصفاته اسلكها جل ذكره في العالم يسالكها علوا وسفلا واجراها مجاريها ظاهرا
وبطنا وهو نور من انوار الصفات والاسماء متصلة بالمسمى الموصوف كما اتصلت المعقولات
بها ودلت عليها دلالتها على المسمى بها والموصوف وهو صراط الله من حيث هو مسلك عباده
اليه بالعلم ثم بالعمل وهو شرايع ومناهج بمعنى ما تقدم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين
يدي الرحمن للوحا فيه ثلث مائة وخمس عشرة شريعة يقول الرحمن عز جلاله وعز ثناؤه لا ياتيني عبد من
عبادي لا يشرك بي شيا بواحدة منهن الا ادخلته الجنة وقال ايضا عليه السلام يوما وقد كثر عليه المسائل
ايها الناس ان لكل سبيل مطية وثيقة ومحجة واضحة وان اوثق الناس مطية واحسنهم
دلالة ومعرفة بالمحجة الواضحة افضلهم عقلا وكم من عاقل عقل عن الله جل ذكره امره
وهو حقير عند الناس حقير المنظر ينجو غدا وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عند الناس يهلك
غدا عند الله واستاق جل ذكره اسم الحميد في قوله الى العزيز الحميد لما في الاسماء من معانيها الرحمة
والحنان والمغفرة والعفو والكرم والفضل ولما فيها من اسماء العدل والابتلاء والامتحان
فهو العزيز المنيع لا ينال احد ما عنده الا بفضله ولا ينجو من عدله الا بعفوه ومغفرته وهو
المجازي على طاعته ومعصيته وهو الحميد على كل حال **قوله** عز وجل الله الذي له ما في
السموات وما في الارض يعلم جل وعز بهذا الخطاب الحق الذي به خلق السموات والارض من معاني
اسماء وصفات وشواهد على موجودات الاخرة ودلايل على غيبات الغيب من فهم عن الله
جل ذكره حكمته في مصنوعاتها وما خلقها به تميزت له الدنيا من الاخرة فليوثر بعد ايهما
شاء اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون محبتها على الاخرة هو الضلال البعيد بنص قول الله جل ذكره والذين كذبوا باياتنا
صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم **قوله** تعالى
واذ قال موسى لقومه هذا بعد بدا ايام الله كذلك قوله جل قوله واذ تاذن ربك ليبعثن
عليهم الى يوم القيمة واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم **قوله** تعالى جاءتهم رسلهم
بالبينات فردوا ايديهم في افواههم معناه والله اعلم اسكتوا افواه الرسل عليهم السلام عن
التبليغ الى اممهم بالايدي منهم امنا بالضرب والاخافة وبسط الايدي اليهم والالسن بالسوء
وما الله به اعلم وقد يكون معنى قوله ردوا بمعنى التردد منهم والتكرار بايديهم الى الافواه
وقد اوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعوه عن التبليغ عن ربه عز وجل فكان
يعرض نفسه على القبائل في الموسم فيقول من يجيرني من ينصرني حتى اودي رسالة ربي
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اوذيت في الله وما يوذى احد واخفت في الله وما
يخاف احد ونحو هذا جاء عن من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين **قوله**
تعالى انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب الشك من دواتهم
في حقيقة ما يخبرونهم به من الله واحد لا شريك له ومريب من الادنيا في صحة صدقهم
في ادائهم الرسالة اليهم والتبليغ عن الله جل ذكره قالت الرسل صلوات الله وسلامه

عليهم افي الله شك فاطر السموات والارض رد وهم صلوات الله وسلامه عليهم الى اسم
الالوهية على معرفته والى الفطرة التي فطرهم والسموات والارض عليها **قوله**
تعالى يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ليست كلمة من هاهنا زائدة ولا معنى لها كما زعم قوم
ولا هي للتبعيض كما زعم الغير بل هي لاستغراق الجنس كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله الاسلام
يهدم ما كان قبله وهي بمثابتها في قوله عز من قائل وما من اله الا الله الا ترى عفا الله
عنا وعنهم يجوز القول بالتبعيض في هذا وانها زائدة لا معنى لها اليس قول القائل
ما من اله الا الله ابلغ واحق حقيقة في التوحيد من قول القائل ما اله الا الله بما
جاءت ههنا من لاستغراق الجنس من الالهية الباطلة المتخذة من دون الله سبحانه
وله الحمد ويجوز ان يقدر ههنا محذوف فيكون تقدير الكلام يدعوكم ليغفر لكم ويطهركم
من ذنوبكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
هذا تنبيه لهم على خصوصية الله من يشاء من عباده ومنه عليهم بالنبوة والرسالة ومن استغرقه
معرفة وايمانا في آيات الله ووقف علما ويقينا ان الله جل ذكره لو اطاعه الخلائق اجمعون
في سبيل الايمان به والاستسلام له والعمل بجميع ما يرضيه من العلم واليقين لذهب بهم ولاتى
باخرين بقوم يجهلون ويعلمون ويؤمنون ويكفرون ويطيعون ويعصون ويتخذ منهم
اولياء وانبياء ويصطفي منهم الرسل والاولياء ويجعل منهم الاباعد والاعداء قال الله جل
ذكره وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء ثم قالوا وما كان لنا
ان ياتيكم بسلطان الا باذن الله اي انا لا نقدر على ذلك الا باذن الله في ذلك فيفعل
ذلك بقدرته ومشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون فقولهم هذا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
يدل على انهم على حرصهم على هداية اممهم لا يالون زيهم الايات بل يتوكلون على الله في
ذلك حتى ياتيهم الله بالفتح من عنده وبالفرج من لدنه ويمكن ان يكون معنى قولهم ايتونا
بسلطان مبين اي بما يخبرونا بتصديقكم او يجعل في قلوبنا تصديق ما يزعمونه فقال
هذا امر ضالة والسلطان الحجة وهو كقهر والغلبة **قوله** تعالى وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا رسل الله عز وجل الى عباده نعمة منه
عليهم يتوجه عليهم واجب شكرها فان كذبوهم واخرجوهم من بينهم فقد بدلوا نعمة
الله كفرا وكذلك شهداؤه واولياؤه ودلائله في سماواته وارضه منه تعالى وعنها
ونباهم اوكذبوا فقد بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار وهو العذاب في الدنيا
والاخرة يقول جل من قائل فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
فقد صدقهم الله وعده ونصر حزبه فاهلك اعداءه واسكنهم الارض من بعدهم والحمد
لله رب العالمين يقول الله جل من قائل ذلك اي من وعدي لمن خاف مقامي اي من راقبني
وخاف وعيد واستفتحوا اي من امم المرسلين واتباعهم وهي بفتح التاء على الخبر عنهم
ويخفضها على الامر لهم بالدعاء والاستفتاح على الذين كفروا ثم قال عز من قائل
وخاب كل جبار عنيد اي هلكوا الخائبوا من خير الدنيا والاخرة يقول جل ذكره من ورائه
جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت

هذا والله اعلم عبارة عن تقلب الحال بهم الى مدة الزمهرير الدائرة عليهم من بعد مدة
السعير نعوذ بالله من حال اهل النار في النار يسقون الصديد والمهل يكون من عصارة
ويسلط عليهم شدة العطش وصيرورة الهيام حتى اذا جاء احدهم ليتجرعه منع
عن ذلك ان يسيغه كراهة لو عسرا يلقونه عند ذلك لبذ ويقوا العذاب به من كل وجه
فاذا صاروا الى الجو فيهم حل بهم من اجله عذاب اشد من العطش ولا يزيل العطش عنهم
وقد اصابهم من الموت لو مضى عليهم به ويأتيهم الموت من كل مكان من اجسامهم وكلما جاوزهم
من تلك الدار وما هم بميتين يهب عليهم الريح الصرصر والعاصف من الريح العقيم
التي تعقمت عن الرحمة فيمزق لحومهم وجلودهم ويشق اجسامها ويجد الاجساد في حال الاعظم
فيربوا على ذلك وينقطع الاعضاء منهم وتسيل قيحا وربما ذكر ان للدود في اجسامهم دويا
كدوي الوحوش نافرة في عاماتها ويجري من ذلك من دموعهم الانهار ففي ذلك شقاؤهم في هذه
المدة اعني مدة دائرة الزمهرير لا يكنهم من جليدها ولا دياجيها ولا يجيرهم من عذابها بيت
ولا جبل ولكن وقد عدد الله جل ذكره نعمة الكن والسكن الى البيوت بقوله جل قوله والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الى قوله جل قوله والله جعل لكم
مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم
باسكم وليس لاهل جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها من عذاب الله من واق لا يرحمهم
راحم ولا تنفعهم شفاعة الشافعين يلعنهم كل شيء ويلعن بعضهم بعضا ويلعنون انفسهم
يقول الله جل من قائل ومن ورائه عذاب غليظ يعني عذاب السعير تدور عليهم دائرته لبوثهم
فيها القطران وهواهم لهب النيران وامطارهم حميم وظلالهم يحموم ونسيمهم السموم وتقلبهم
في العذاب الاليم قال الله جل ذكره لابثين فيها احقابا يعني طول مدة السعير لا يذوقون فيها
بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا والغساق هو ما يخرج عنهم هكذا ابدا يدور عليهم دائرة
العذاب الله اعلم بسعة تلك الدوائر عن ابن قال وقوله الحق لابثين فيها احقابا لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا وهي دائرة السعير كما تقدم ما وجوده فيما ههنا بالايام وبالشهور وهو
فيما هنالك بالاحقاب نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره ومما يوجبه ويقرب منه انه خير معاد
فصل الوراء حقيقة الخلف كما الامام حقيقة المواجهة وجاء في القرآن العزيز الوراء
كقوله جل قوله وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وقوله جل قوله فبشرناها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب قال المفسرون في هذه الوجوه انها بمعنى الامام قالوا والوراء قد يكون بمعنى
الامام واحتجوا بما تقدم ذكره وبامثاله وقالوا كل ما لم يات بعد وهو منتظم فهو وراء
وهذا معنى من معاني القرآن يحتاج تحديق البصيرة اليه ليكشف مستوره وسفع عناية الكشف عن
حقيقته فيقول والله اعلم ان الوراء هو ما خلفته وصرفت وجهك عنه والامام ضده
وهو ما وجهت وجهك اليك فكلما صرفت وجهك عنه والامام ضده وهو ما وجهت وجهك
اليه فكلما صرفت وجهك عنه وليته ظهرك فهو وراء لم تره بعد بعين ولا علمه بعلم اذ
الوراء موضع للجهل وعدم الادراك يقول شعيب عليه السلام ارهطي اعز عليكم من الله و
اتخذتموه وراءكم ظهريا اي جعلتموه منكم بموضع الجهل به والغفلة عنه مع ما

للخشية والمراقبة قال الله عز وجل يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها فطمس الوجوه على هذا هو ان
يضيعوا سماع الهدى ورؤيته من القول به والعمل وهكذا هو الكافر وكان لاهل الكتاب هذا
فلذلك تهددهم بان يسلبهم ثم انفذ ذلك عليهم ووصف جل ذكره المؤمنين بالايمان
بالغيب والخشية لله بالغيب والمراقبة له والهداية وقال ابراهيم عليه السلام اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا ونصبه الفطرة على الاسلام هي التوجه الى الله عز وجل
والقصد بالوجهة والنية والصلوة خاصة ذلك وعمدته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يلتفت فان الله قبل وجهه اذا صلى ومن توجه الى الله تعالى وعمل
محتسبا عليه اجره في الاخرة مؤمنا بوعده فيها اليها يحج واياها يقصد وبين يديه يتوهم
الجنة والنار على ما نسأل الله ونعوذ به من هذه كان ذلك منه براى عين فهذا لست الاخرة
منه بودا واما الكافر بالله فالدار الاخرة وراءها في السموات والارض وراءه لانه
جاهل بها عامل للدنيا التي ينظر اليها بمشاهدته لها يجمع وعليها يعكف ظاهرا وباطنا
لان وجهه اليها والاخرة منه بظهر ووراء فهو خارج عن الدنيا ووجهه اليها قد سخطها
ورضي بها فهو مدفوع الى الاخرة ووجهه الى هذه والاخرة وراءه فهو يمشي اليها
وراء وراء يعمل للدنيا وينظر اليها وهو يخرج عنها الى الاخرة دفعا يبني ما لا
يسكن ويجمع ما لا ياكل ففي مثل هذا يحسن الخطا وهو كالمثل المضروب بحاله عبر عنه بهذه
اللفظة واما قوله وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا فلجهل اصحاب السفينة برأي
الملك في ذلك واما قوله جل قوله ومن وراء اسحق يعقوب فلاجل المعهود من كون الولد
الذي يأتي بعد غيبنا ومن انه ابدا بعدا بيهم وخلفا له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا
ركوعكم وسجودكم فاني اراكم من وراي كما اراكم من امامي فهذا هو الوراء والامام على
معهودهما لذلك وهو اعلم قال جل قوله في الكافر ومن ورائه جهنم بقياس اشدهما من عذاب
الزمهرير ومن ورائه عذاب غليظ يريد عذاب السعير لانه مشغول عما هو فيه وانه لا يتوقع
بالرائي ما امامه كما كان في الدنيا سواء عليه باليأس من الراحة بما هو فيه قوله تعالى
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا
على شيء هذا مثل ضربه لاعمال وجهت الى غيره سبحانه وهو رب السموات والارض وما بينهما
ومالك الدنيا والاخرة وبيده الجزاء الاجل والعاجل فاذا وردوا قيل لهم اطلبوا ثواب اعمالكم
ممن وجهتم له اعمالكم فلم يتصل لهم بثواب اعمالهم شبه تفرقها كتفرق بعضهم كتفرق الرماد في اليوم
العاصف والله هو الولي الحميد في الدنيا والاخرة فهو الموفق لطاعته والمثيب عليها
فيما هنالك اذ قال وهو اعلم ذلك هو الضلال البعيد يريد جل ذكره من وجه عمله لغير
الله فقد ضل عن المقصد وبعد عن الاتصال بالثواب في الدنيا والاخرة هذا هو المثل
والممثل به وبقيت التذكرة حبط عمل الكافر في الدنيا معا قبل عليها وهو مع ذلك يخرج
عنها ويترك ما جمعه للوارث وما بناه للخراب وما ولد للفناء ويحقق في الابطال الحقيقة
ما وصفه جل ذكره كما ثبت عمل المؤمن الحقيقة وجوده فيما هنالك وانه كان مصير العمل

الى حقيقته بما على مهل ولذلك لا يتغير من لا عقل له وكل ما هو آت فكأن قد تبع ذلك ما
هو في معناه قوله جل قوله الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق فقد تقدم الكلام
وذكر هذا بمعنى المثل الذي تقدم لقوله جل قوله الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق
ومن هذا الحق اثبات الالهية والوحدانية والنبوة والرسالة وما جاءت به فعلى ذلك فليعمل
العاملون والا ضلت اعمالهم عنه فلم يقدروا على شيء منها والضلال عن الحق هو الضلال البعيد ثم توعد
المخطئ الى الكفرة بقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد كما فعل بمن كان قبلكم وما ذلك على
الله بعزيز وهو من فعله كوعيد والوعد المتصل بما جاءت به الرسالة قوله تعالى الم تر كيف
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة المثلين الى اخرها قيل الشجرة الطيبة هي النخلة
والكلمة الطيبة هي ذكر الله تعالى كقول العبد لا اله الا الله والحمد لله وسبحان والله اكبر ونحو
هذا وكلمة لا اله الا الله هي العمدة في الشهادة والذكر والكلمة الطيبة هي الثابتة في قلب
المؤمن صعدت الى السماء يعني الى الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمة لا اله الا الله ليس
بينها وبين الله حجاب والنخلة ثابتة في الارض راسخة في الثرى صاعدة الى السماء حملها طيب
وقلبها طيب رأسها في اعلاها صاعدا الى السماء كالاشياء صاعدة الى العلو كالمؤمن في توجهه
الى ربه بلغت النخلة جذعها المقدر لها وانتهت حيث انتهى بها نمو نباتها لونها ورفعت
جوانبها علوا لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واليد تنمي وتحمد كذلك المؤمن لربه عمله
وفيه امله وشبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤمن وقال لاصحابه اكرموا عمتكم النخلة انها
خلقت من فضلة طينة آدم وقال عليه السلام الا ترونها لا تحمل حتى تلقح ويقال انها تشاكل المؤمن
في كثرة المنافع والاشباه منها ان كل شجرة اذا قطعت تشعبت الغصون حولها والنخلة اذا قطع
رأسها ذهبت اصلا وسائرها ايضا في الالقاح ولها عروق وساق وغصون فمثل عروقها
من المؤمن المعرفة وساقها النطق ولها صفات ثمانية هي لها غصون من حيث هي شجرة لكل غصن
منها ثمرة فغصن منها لسانه وثمرته من المؤمن صدق المقالات وغصن منها عينه وثمرته منه
النظر بالاعتبار وغصن منها اذنه وثمرته استماع العظات وغصن منها يداه وثمرته الزكوات
والصدقات وغصن منها رجلاه وثمرته الجمعة والجماعات وغصن منها قلبه وثمرته ترك الهوى
والشهوات وغصن منها بطنه وثمرته اكل الحلال والطيبات وغصن منها فرجه وثمرته ترك
الذنب والخبيثات وصدق الصادق صلى الله عليه وسلم لا شيء من الشجر اشبه بالمؤمن من النخلة فللنخلة
من حيث تطلع الى ان ترطب عشرة احوال وعشرة اسماء فاول حمل النخلة الطلع وذلك اول ما يبدو
فاذا انشق فهو الضحك والاغريض فاذا صلب فهو البلح فاذا عظم فهو البسر فاذا
لانت فهي البسرة فاذا احمرت فهي الزهو فاذا بلغ الارطاب نصفها فهي مجزعة فاذا بلغ ثلثيها
فهي حلقانة فاذا عمها الارطاب فهي منسبتة ولا يتم ارطابها ما لم تحل بهذه الاحوال كلها كذلك المؤمن
له عشرة احوال كلها كذلك المؤمن له عشرة احوال من حين يتوب الى ان يصل الى الله عز وجل فاول
احوال المؤمن التوبة ثم الاصلاح ثم الاجتهاد ثم الخوف ثم الرجاء ثم الارادة ثم المحبة ثم الرضى
ثم المعرفة ثم يصل الى الله عز وجل وانما يصل الى ربه اذا صلحت احواله والذين امنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم في الصالحين كما ان الرطبة اذا صارت منسبتة تمت احوالها وصلحت للاكل

فصل قال الله عز وجل ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون ولو كان التذكر
المطلوب منا هو تشبيه الكلمة الطيبة بالنخلة او بغيرها من الشجر لم يكن تذكارا ولا اعتبار بكل ما
يكون عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ان من الشجر شجرة لا تسقط ورقها مثلها
مثل المؤمن خبروني ما هي ثم قال لهم عليه السلام انها النخلة فكان ذلك منه عليه السلام كالعالم يمتحن
اصحابا عن ما عندهم من فهم وعلم اما الكلمة الطيبة فهي كلمة لا اله الا الله ثم بالتبعية غيرها
من الاذكار كما تقدم تؤتي اكلها كل حين متى قالها متى على المؤمن بمقتضاها من ذكر او صلوة
او صيام او صدقة او غير ذلك من اعمال الطاعة انبتت اكلها فذلك قوله جل قوله كل حين باذن ربها
اي كل حين قالها وعمل بها ويأتي ايضا اكلها كل حين على الولاء لان المؤمن يقولها مصدقا
بها قلبه فيكتب عند الله مؤمنا له عنده ما للمؤمنين وعليه ما عليهم في الدنيا والاخرة فمثل هذه
الشجرة هو الحق المخلوق بين السموات والارض من البرزخ جمعا لاسماء الله وصفاته ثم ما ينفصل
من موجودات الاخرة وموجودات البرزخ وما بعد البعث في عرصة القيمة من حشر ونشر وسؤال
وعذاب ونعيم ووجود حوض وصراط وميزان وشفاعة وجميع ما تقدم ذكره في شرح اسم
الشهيد الى منتهى الشهادات وعلى حكم العموم في محكم قول الحق ويخلق ما لا تعلمون اسلك ذلك كله في
عالم ما لكم حتى عاد العالم كله لمن اعتبر به الى رفيع الذكر الى قيمين ذكر يذكر بهذا كله وعلم
يذكره وفتنه فهذه هي الشجرة المباركة الطيبة التي رسا اصلها بالفطرة وظهرت افنانها بالشريعة
وتبتت حقايقها في قلوب بالايمان وعلت عاليها في السماء بالعمل بالطاعة بالحق فاتصلت بالحق
المبين جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لذلك قال جل قوله وهو اعلم ويضرب الله الامثال للناس
لعلهم يتفكرون **فصل** قال الله جل قوله كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء
اصلها ثابت في الارض اذ كان منبعها من لدنه جل جلاله اسمائه وصفاته ثم الى ما تفصل
اليه من الايات واثاره ومقدوراته وكان ذلك كقوله جل قوله في الشجرة المباركة الزيتونة لا شرقية ولا
غربية انها ليست ثابتة في الارض ولا هي منسوبة الى شرق ولا غرب ولا الى جنوب ولا الى شمال فافهم
وسيأتي ذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى فالشجرة الطيبة اذا هي شجرة الحق المتفرعة الى ما تفرعت
اليه ومثلها من الاحياء المؤمن المعبر عنه بقوله الحق لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ادم على صورة الرحمن ومثل المؤمن من الشجر النخلة على ما تقدم
هذا في الدنيا ثم جميع شجر الجنة في الدار الاخرة تؤتي اكلها كل حين باذن ربها على الولاء دائما
فالمثل المضروب بالكلمة الطيبة وشبهها من موجودات الشجرة النخلة وموضع العبرة الحق المخلوق
به السموات والارض وما بينهما وموضع التذكرة المطلق الاعلى ذلك هو الله الحق المبين اي المبين
لهذا الحق الموجود ههنا بما يصلها هذا الحق لاتصاله بالاسماء والصفات جل جلاله **فصل** قال
الله عز وجل ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار ذكر ان الشجرة
الخبيثة هي الحنظلة او العلقم وقيل غير هذا وكل شجرة خبيثة فهي مثل لما ماثلها من شجر جهنم
اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وذلك كله مثل للكافر كل انسان منهم بخلقه وعمله وحسه وكل ذات
مما عملوا وشرح ذلك يطول به الكتاب وقال عز من قائل اجتثت من فوق الارض وليس كذلك فيما
تقدم من نصف الشجرة الطيبة وانها ليست بصاعدة الى السماء كذلك الكافر لا يسع له ولا عمل

السماء

السماء والارض فوصف الذم اخلد الى الارض واتبع هواه وقوله جل قوله وجعلنا الليل و
النهار ايتين فمحونا اية الليل كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل
سافلين وكقوله اني خلقت عبادي كلهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم الحديث
دل على هذا ان الهداية سبقت الضلالة وان الذكر وجد قبل الفتنة ما لها من قرار اي الكلمة الطيبة
في قلب الكافر اي وجود ما فيه من علم الفطرة كقولهم حين سئلوا من خلق السموات والارض الله
من رب السموات السبع ورب العرش العظيم الله ومثل هذا يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة كثبات النخلة في الارض وثبات شجرة الحق الموجود بالعالم ولا ثبوت
عنها كما افك الكافر عن حقيقتها او وجودها كلها بالحق المبين لهذا الحق في الدنيا والاخرة
فصل من كان في خلقه وسيره الى ربه كما وصف جل ذكره في شجرة علم وشهادة ومراتبه
وصعوده الى ربه فليست الاخرة من هذا ببوار انما هي بالبوار من الكافر والغافل الجاهل
التارك الاخرة وذكر الله منه نظر هذا حقيقة المعنى وحقيقة اللغة من حيث خلقها **فصل**
العبادات مع جاهليتها وخلفهم فيها المسلمون فاستمروا على اثارهم وعند التحصيل تبدو احقائق
المعاني كذلك يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون بصفات النخلة وصفات شجرة الحق صفات
المؤمن فيجدون ذلك ويصعدون في درجات الوصول الى الله عز وجل كما ترقت النخلة بعملها
الى الوصول لان تصلح للاكل وكما ترقت شجرة الحق الى موجودات الاخرة ومعانيها الى الاسماء
والصفات ثم الى الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لكن الشجرة خبث طعمها وريحها وكثر
ضررها واجتثت من فوق الارض اصلها ليبقى فرعها الى الهواء وليس لها قرار لم يعبث بها الريح
والفقر هكذا وهكذا الكافر لا يصعد له الى الله عز وجل كلم ولا يعرج اليه منه عمل ويضرب الله
الامثال للناس لعلهم يتذكرون اتبع هذا ما هو في معناه قوله عز وجل يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت نظم جل ذكره تثبيته المؤمن في الدنيا والاخرة بما في شجرة الحق من ثبات
الذي عبر عنه قوله جل قوله اصلها ثابت وفرعها في السماء وبما في شجرة الحنظل من الاجتثاث
وسوى كلمة الاخلاص والحق في المؤمن وبروز ذكرها والشهادة بها من قلب الكافر بالثبات فيه
بما افك له من علمها وعمل بها يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة بالكلمة الطيبة
في الدنيا وفي القبر وفي عرصة الحشر يوم رؤية الله جل ذكره الذي اشار اليه بقوله يوم
يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ويضل الله الظالمين في المواطن كلها
ثم قال جل قوله ويفعل الله ما يشاء لما كان من الظالمين من يكون قد شهد شهادة الحق واسرف
على نفسه وضيع التوبة وفرط في الاستعداد كان في المشيئة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء **قوله** عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار
البوار والمراد بهذا الخطاب قريش واهل الكتاب في رسل الله جل ذكره وكتبه نعم وما نصب من
الدلائل واقام من شواهد نعم لا تحصى ولا يبلغ شكرها ومن كذب بها واعرض عنها فقد بدل
نعمة الله كفرا وكما احل ائمة الكفر قومهم واتباعهم بذلك دار البوار فكذلك يحل علماء المؤمنين
واعلام المسلمين واتباعهم قرار الفوز وهذا مفهوم الخطاب **قوله** عز وجل الله الذي
خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك

لتجرى في البحر بامره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم
من كل ما سالتموه وجه الخطاب في هذا كله الى تعداد النعم ومعناه الدلالة على موجودات الاخرة
في الدارين معا فما اخرجه بالماء من الارض دلالة على ثمرات الجنة ورزقها وكذلك تسخير الفلك
بامره يجرى في البحر وكذلك الانهار على انهارها والشمس والقمر دلالة على رؤية الله العلى
الاعلى وتسخير الليل والنهار بمعانيه دلالات على الدنيا والاخرة والجنة والنار
والالة الحق المبين واما دلالات ذلك على موجودات جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها
فما هنالك سماء لهم تظلهم ويرحمون منها ولا ارض لهم يكون قرارا لهم وانهارهم الغسلين
والحميم والغساق تجرى بهم الفلك في بحار حميمها وغساقها ثم يعرفون في انتاجها قال الله
عز وجل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون اي يوقدون وهم عند ربهم محجوبون هذا المراد في الخطاب
من التذكير بعظيم الاقتدار ومضاء المشية واحاطة العلم وتدبير الامر وذكر الملك والملكوت
فانتظم هذا المعنى من معنى الخطاب بما في صدر السورة من قوله الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض
وويل للكافرين من عذاب شديد المعنى الى اخره قوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب
اجعل هذا البلد امنا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة ولم يحرمها الناس فحرمها الله
جل ذكره وكان التبليغ عنه من ذلك على لسان خليله ثم على لسان رسوله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام تبرا عليه السلام لله تبارك وتعالى من الحول والقوة واعتصم
من شر نفسه ان يكله اليها رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى
فانك غفور رحيم هذا الاستثناء يعنى تواب هنا رحيم فيتوب عليهم ثم يغفرلهم ومثله
ومثل عيسى عليه السلام لا يستغفر لمن كفر بالله ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد يريد اسمعيل
عليه السلام ربنا ليقيموا الصلاة والمراد بذلك هذه الامة كما قال طهر بيتى للطائفين و
العاكفين والركع السجود واجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم
يشكرون قال الله عز وجل اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ رزقا من لدنا اغفرلى
ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب قيل المعنى بهذا الدعاء هو ادم وحوا عليهما السلام
وارى والله اعلم ان هذا من استغفاره لابويه قبل ان ينهى عن ذلك قال الله عز وجل ما كان للنبى
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ
منه وقرا عاصم الجحدرى وعمرو بن عبيد ربنا اغفرلى ولولدى بغير الف يعنى ابنيه وهى
قراءة عالية وقراءة الجماعة بالالف قوله عز وجل انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار
مهطعين الاهطاع الاسراع والقصد الى الشئ دون الالتفات الى غيره مقنعى رؤسهم
الاقناع لغة في الرفع والمراد هنا على التنكيس للرؤس والرفع لها قوله عز من قائل
لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء فهم في اسراعهم ذلك وقصدهم ناظرين الى الارض لا يرفعون
ولا يرتد اليهم طرفهم فاذا رفعوا رؤسهم الى السماء ذهلوا واميلوا رعبا فارتفعت افئدتهم
الى الحلاقيم يكظمون كما يكظم البعير جرته قال الله عز وجل وبلغت القلوب الحناجر وقال كاظمين

ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع امنع الرجل يديه في الدعاء رفعهما ما دالهما
تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال قال الله جل قوله هذا جوابا لقولهم ربنا اخرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل معنى ذلك كقولهم ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع
بعيد وقولهم وما نحن بمبعوثين يذكر بما عبر عنه قول الحق واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت ونحو هذا اتبع ذلك قوله جل قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين
لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال لتفهموا هذا فما ازدجرتم ولا اتعظتم بهم وضربنا لكم
الامثال يعنى الحق والباطل فلم يفهموا ولم يعقلوا ما المراد وقد مكروا مكرهم اى كفرهم بالله
وشركهم به وتكذيبهم لرسله وكتبه وعند الله مكرهم يريد جل ذكره جزاء ذلك وان كان مكرهم
لعظمه لتزول منه الجبال بكسر اللام الاولى ونصب الثانية يكون ان يكون معنى ذكره وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا ويمكن ان يكون المراد بذلك وان كان مكرهم ومرادهم ازالة الرسول عليه السلام عن مكانته والقران
والوحى والايمان والمؤمنين فان الله جل ذكره الذى قد شاء امضاءه كى هو اعظم من الجبال
لثبوته ثباتها وقد وعده وعد الحق ان يظهره على الدين كله من الجبال والارض والسموات ذلك
ذلك مخلوق بالحق الذى جاء به الرسول والقران لذلك قال وهو اعلم ولا تحسبن الله مخلف
وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله
الواحد القهار اى انما يتبين عزه وانتقامه من الظالمين يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار البروز الظهور برزوا من اجداثهم ومن غيابات بلاهم واتصف هنا جل
وعز بالوحدانية لكون امره عنا واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب فظهرت الوحدانية في ذلك لبعد ذلك
الامر عن التردد وكل امره واحد هو الواحد بكل وجه وبكل معنى لكن لا حوال تظهر معانيهما
له ولا حوال الاخر يظهر عزها القهار فقهر الكارهين للبعث في دار الدنيا المكذبين بقوله عز
من قائل وكل اتوه داخرين وقرئ وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بفتح اللام الاولى ورفع
الثانية معنى ذلك وهو اعلم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال لكن الله ينصر دينه وامرهم لا يخفى
عليه وهذه قرءت القراءة من الوجه الاول والله اعلم بعلم ان مكرهم سيبلغ من عظمه
وشومه ان تزول منه الجبال اى في اخر الزمان عند خروج الدجال لعنه الله وقصد مدينته ونحله
بدماره والجبال هم المؤمنون والصالحون لذلك وهو اعلم اعقبه بقوله الحق ولا تحسبن الله
مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام والى هذا الاشارة بقوله الحق حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ولا يكون امر اعظم من ذلك وهو موضع
العدو وظن الذين بعد عنهم بالجبال قد كذبوا وعند ذلك يكون الفرج ومع العسر يسر
ومن صبر الى الخاتمة فهو المحا ان شاء الله ولولا قصر تلك الايام ولم يسلم احد من كيد
لكن قللت تلك الايام لاجل الصالحين وسمى من شبه بالمسيح وبالانبياء ويأتى بايات
عظيمة حتى يشك من يظن به صلاح ذكر في الكتاب الذى يذكر انه الانجيل سيكون يومئذ
حزن لم يكن من ابتداء الدنيا مثله ولا يكون فاشبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
مامن يوم خلق الله فيه ادم الى ان تقوم الساعة امر اعظم من الدجال ثم قال بعد كلام وبعد

انقراض ذلك الحزن يظلم الشمس ويضمحل نور القمر وتتساقط النجوم وتتحرك قوة السموات
وتبكي يومئذ جميع اجناس الارض وينظر الى الملك مقبلا في سحاب السماء في قدرة عظيمة
شديدة قاسية قوله عز وجل عقيب ذكر مكرهم وانه لا يزول منه الجبال يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وقد جاء ان الدجال لعنه الله يأتي القرية فيدعوها فتستجيب له فيأمر
السماء فتمطر والارض فتنبت ويأتي القرية فيدعوها فتأبى عليه فيأمر السماء فتقحط
والارض فتمحل وتتبعه نار ولا يمتنع ان تسير الجبال وتزول فهذا تبديل للمعهود
من السماء والارض الذي عبر عنه قوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون وقول نوح وهود وغيرهما
من الرسل عليهم السلام لقومهم استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا المعنى
الى اخره فهذا تبديل ما يجب للايمان بانه من اشراط التبديل على الكمال فتبدل السموات احيانا والارض
ادراكا بجهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ويوم ترى المجرمين مقرنين في الاصفاد سرابيلهم
قطران وتغشى وجوههم النار وقرأ ابن عباس وابن جبير من قطران وكذلك قرأها الاعمش
والزهري بكسر القاف واسكان الطاء وتنوين الراء وهمزة بعدها اي انتهى حره ويكون
ايضا معنى قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال زائدا الى ما تقدم من ذكر عتو الاباء الاعلى
للخلق وقد عاد اهل الاوثان الى عبادتها واهل الضلالات الى ضلالاتهم وعادوا من حيث بدأوا
ولم يبق على الارض من يقول الله الله فيقيم الله جل ذكره الساعة وتمور السماء مورا وتسير الجبال
سيرا الى غير ذلك من اهوالها **قوله** تعالى وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد
سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب عذاب الله
الكافرين بعذاب جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها لما كذبوا بها في الدنيا وكانت تعد وترجى
عليهم بسموم قبحها من سعير وزمهرير فلو ينظروا ولم يفقهوه بل تعاموا وتغافلوا فلو اخذت سنة
باب الجنة كادوا التبصر وحرموا الجنة فكانت عليهم وتروح بفضلها ينزل الله الماء من السماء رحمة
وينبت لهم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات جنات معروشات وغير
معروشات الى غير ذلك من نعم الله عليهم من ظلالها واكنانها ولبوسها وفيهما من دواح ويكون
فلم يؤمنوا ولم يتذكروا **قوله** عز وجل ليجزي الله كل نفس ما كسبت الى اخر السورة عقب هذا
كله قوله هذا بلاغ للناس ولينذروا به اي بما اصاب من كان قبلهم وليعلموا انما هو اله واحد
اي بما في القران من الاعجاز وبما في الشجرة الطيبة من دلائل الوحدانية والالهية والربوبية ومقتضيات
الاسماء والصفات في الوجود من الوحي والعالم ودلائل النبوة والرسالة وما جاءت به وما انفصلت
اليه معاني الاسماء وتفرعت به الشجرة الطيبة من حق متصل بالحق المبين جل جلاله وليذكر اولوا
الالباب اي ليعبروا من ذلك كله الى المطلوب الاعلى فيعبروا من مقتضيات الاسماء والصفات اليها ثم من الاسماء
والصفات الى المسمى الموصوف ومن الشجرة الطيبة الى الوصول العلى والقران شفاء اما ان يكون تنبيها للمستيقظ
او تذكيرا للمنتهي ولئلا يتلونه حق تلاوته ويؤمنون به ومن سواهم فقراء ودارس ووالله واسع عليم

سورة الحجر مكية فيها من المنسوخ اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل الر تلك ايات الكتاب وقران مبين اشار

بقوله تلك الى حروف الر فاخبر انها دلالات على الكتاب اي اللوح المحفوظ والقران المبين
الا ترى انك لا تدرك ما تعرفناه بالحروف نطقا وكتبا وكذلك حروف الكتاب المبين يكون
هذه الحروف المقطعة دلالات عليها كما هذه المكتوبة دلالات على معرفة كلامه **قوله**
عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين لا بد لهم من ذلك ولا ريب في كونه منهم اول
ذلك حين المعاينة لدلالات الاهلاك او معاينة اعلام الاخرة والملائكة حين الموت قال
الله عز وجل حتى اذا حضر احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت يقول
الله عز وجل كلا انها كلمة هو قائلها انه على الوحدانية اكدوا بذمهم فاذا اسمع النداء في
عرصة الحشر **قوله** عز وجل يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وقع في
نفوس اهل المشهد الطمع فيها يقولون نحن عباد الله فيقول جل قوله الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين
فينكس الكفار رؤوسهم ويبقى المؤمنون والمسلمون هنالك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
يقول عز من قائل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل اي عن النظر لانفسهم بالتاهب
والاستعداد للقاء الله جل ذكره فسوف تعلمون وعيد شديد **قوله** تعالى وما اهلكنا من قرية الا
ولها كتاب معلوم هنا محذوف مقدر عطف عليه بالواو وتقديره والله اعلم وما اهلكنا من قرية الا لها اجلها
ولها كتاب معلوم يعني والله اعلم الاجل الذي احرمت عنه هذه الواو مشيرة الى الاجل الاخر وقد
قرأ ابن ابي عبلة الا لها كتاب معلوم بغير واو وتقديره وما اهلكنا من قرية الا لاجلها ما تسبق
من امة اجلها فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وتوفر القراءة بالواو والعطف عليها
قراءة الجماعة معلنة بما في مقتضى قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل
مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله المعنى الى اخره **فصل** اعلم وفقنا الله واياك ان لكل موجود
كائنا من كان اجلا مسمى هو المنتهى اليه ثم دونه اجال سواه محدودة لاسباب مقدرة لا تتعدى
الموجود واجله المقدر المحدود له وكل موجود فقد كتب فيما سبق له اجله واثره ورزقه
وعمله وشقي ام سعيد على مفهوم ما تقدم ذكره من اجل محدود لسبب معلوم واجل مسمى منتهى اليه
قد سبق في التقدير يجيء سبب لحين الاجل كما قد سبق باي الاجلين يكون القضاء فمن اجل
الاسباب كثرت الاجال دون الاجل المسمى وانتهى القضاء وامضى الحكم الى المشية العلية في
اعتراض الاسباب ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم هذا على سبيل السنة ثم قال
واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال وهذا الحكم الكلمة الذي
ينتظم الاسفل فهلاك من اهلك لاجل تكذيب الرسل وعقوباتهم على وجوهها كلها
وكذلك امهاتهم واباؤهم الى ما وراء ذلك من ثواب وعقاب من سبيل السنة وتكذيبهم
وعتوهم مقدور وذلك لهم وعليهم بحكم الكلمة ورجوع حكم السنة الى حكم الكلمة كما تقدم
بين ذلك لمن تدبره ووقف عليه قوله جل قوله هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فهذا
كله كلمة غير ان عملهم يوما يجازيهم على ما سبقت به الكلمة من سنن السنة وكان يجازيهم
والعمل بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه ثم لما اوجدهم تمم كلمته بالسنة واليه يرجع الامر كله
ويؤيدك على الوقوف على هذا وفقك الله بان تستعرض معارف الانبياء عليهم السلام واهل
العلم بالله تذكر قصة موسى مع الخضر صلوات الله وسلامه عليهما حين ساله موسى ان يعلمه مما علم

الله فشرط عليه ان لا يسأله عن شيء حتى يحدث له به ذكرا فجعل صحبته له بشرط ترك السؤال وترك اياه بعد فقد الشرط وكذلك الابتلاء وقال شعيب لموسى عليهما السلام اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فجعل المفروض الثماني حجج وتمام العشر نافلة قال له موسى ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل ففرض اجلين اتماما بحكم الله جل ذكره في خليقته احدهما فرض والاخر نفل فاشبه ذلك الاجلين اللذين ضربهما الله لخليقته اولهما المرتبط بالاسباب والثاني بحكم الكلية وسبيل الفضل وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله بر الوالدين يزيد في العمر وفي اخرى في الرزق وقوله جل قوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا اي لاجل الذي اليه المنتهى فان احترم به دونه مقتل ظلما او علة قاتلة في الاغلب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء خمس سوى القتل في سبيل الله فذكر المطعون والحرق وصاحب الهدم الحديث كان شهيدا وفي قول الله جل ذكره ابين بيان لما نحن بسبيله يقول عز من قائل اينما تكونوا يدرككم الموت اي على اسبابه واياته وقوله جل قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا اي ان سلمتم بالفرار والتحصن بالحذر من الموت لا تمتعون بالعيش الا قليلا **قوله** عز وجل وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون اخرجوا هذا الكلام على طريق التهزي ثم قالوا له ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين حرف النفي اذا لزم حرف لو حسن الاستقبال بعده ويجوز بعده شيئا في الفعل الماضي قال الله عز وجل ما ننزل الملائكة الا بالحق اي بالعذاب وبوجوب الموت وتبليغ وحي من الله عز وجل الى عبد من عباده او برحمة يرحم الله بها من شاء وهو هنا العذاب والموت لقوله جل قوله وما كانوا اذا منظرين ثم قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ظاهر الخطاب ان الذكر هنا هو القران فهو قد حفظه من كذب الكاذبين وزيادة المبطلين وبعضهم منه وهو ايضا محفوظ حال نزوله وبعد ذلك من الشياطين انهم عن السمع لمعزولون وان كان المراد هنا بالذكر العلم الحاصل عن التذكر والتفكر والنظر فهو ايضا محفوظ عن سوى المطهرين لا ينالونه الغافلون ولا يهتدي اليه المعرضون ولا المكذبون به كما قال عز من قائل لا يمسه الا المطهرون هذا بعض الاوجه وقد يكون الذكر النبي عليه السلام فالله ايضا حافظه من الجنون الذي رموه به والكذب الذي نسبوه له وسحر الساحرين وكما كان حفظا للوحي فهو حفظ للملقى عليه ثم قال عز من قائل كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به ثم هنا محذوف تقديره فاذا هم لم يؤمنوا به فقد خلت سنتنا في الاولين وعيد منه عز وجل لهم يعني والله اعلم عادا وثمود والقرون الماضية المهلكة كما قال في غير هذا الموضع كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ثم ايأس من الايمان من لم يشأ الايمان منه بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم **قوله** عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا الى قوله من نار السموم انتظم هذا كله بما هو رد عليهم في سؤالهم اية على صدقه فيما جاء به بقوله فقد كان لهم فيما شاهدوه

من خلق السموات والارض وجريان الافلاك وتسخير الشمس والقمر والنجوم وتقسيمها على ما قسمت عليه من بروج ودراري ثم منازل الشمس والقمر وتدبير الله في ذلك وحفظ السماء من استراق الشياطين الا تدخل في السموات ما ليس منها وتلبس الوحي بالكذب واتيان الله الماء من السماء واحدا موحدا الى الارض ففصله الى ما فصله اليه من جماد ونبات وحيوان وانسان الى غير ذلك من مخلوقاته موزون كل ذلك باوزان مقسطة ومقادير معدلة لكل جنس من الحيوان والنبات والجمادات في نفسه يوحد بعضها بعضا في اشكالها والوانها وادابها وطعومها وخلقها وخلقها ومنافعها ومضارها سنن قد سنت وشرع شرعت لكل جنس منها يتفاصل كل جنس في نفسه فالمفضول مقصور على درجته والفاضل قد فضله سواه الى فاضل منها بين فضله وفي هذا كله ما يدل على التوحيد والربوبية والنبوة وكثيرة المشروعة للعباد والرسالة وما جاءت به وفضل بعض الانعام على بعض وفضل الناس المؤمن منهم والكافر والطايع والعاصي بقوله جل ذكره وجعلنا لكم فيها معايش اشارة الى موجود الجنة ومن لستم له برازقين سخرها لنا الى انقاذ مرادنا وحمل اثقالنا واكلنا منها وشربنا وحمل عنا ارزاقها **قوله** تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه خزائن كل شيء علمه جل ذكره وتعالى علاؤه وجده وكان من اوله الماء وجعله رتق ثم شق عنه الروح ثم شق عن الروح الهواء ثم خلق عن الهواء الماء فرتق منه ما شاء الى حيث انتهى ثم فتق بالهواء ما رتق بالماء وابقى حكم الماء في عين الهواء كما كان قبل معنى الماء في حكم الهواء ثم جعل الهواء والماء خزانة لمخلوقاته وارزاقها لقوله عز من قائل وما ننزله الا بقدر معلوم فلذلك كان ما اوجد عنه باوزان مقسطة واقسام من اوصافها معدلة في طعومها وروايحها واشكالها ومضارها ومنافعها ثم جعل يذكر بعض المختزن وهو من الخزائن فقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه يشير الى انه خلقه منه ثم قال وما انتم له بخازنين يوجد جل وتعالى بالاختزان والخزاين بقوله ولله خزائن السموات والارض بقوله جل قوله الم يكن لهم في هذا كله اية تدلهم على ما جاء به الرسول من توحيد الله جل ذكره والنبوة وما جاءت به ثم قال عز من قائل انا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون انتظم هذا الكلام بما تقدم من الاختزان والخزائن بمعنى غامض وذلك لما ارسل الرياح لواقح فخلق الماء في الهواء وانزله الى الارض بواسطة الملائكة عليهم السلام الموكلين بالرياح والمياه علوا ابتنت في الارض نبات كل شيء وخلق منه كل شيء حي فما من نبات او حيوان او جماد من ورقة او ثمرة او جزء من اجزاء ذلك الا وعليه ملائكة فمنهم جاذب ودافع وممرك وماسك ومغذي وقاسم ومدبر الى غير ذلك من الافاعيل والافاعلين فاذا تم خلقه وما شاء اتمامه وبلغ مراده فيه فجاء حينه واجله اهلكه ان كان نباتا او حيوانا او جمادا او غير ذلك واماته من ذلك ما قدر عليه الموت وابقى ملائكته ذلك الموجود لما شاء فاذا ما اجرى وخلق بعده ما خلق خلق معه ملائكته كما تقدم ثم يعدم ما اعدم ويبقي ملائكته هكذا فما يعلم جنود ربك الا هو والملائكة عليهم السلام مع ما تقدم ذكره يقبض كل ذي وجود

كما يقبض ملك الموت ارواح بني ادم والحيوان ويبقى بعدهم القابضون لوجود الموت ذات
يبقون بعد فيصير ما قبضوه ذلك قوله وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون كذلك
الى ان يعم بالموت كل حي ويبقى هو جل جلاله **قوله** عز وجل فيما حكاه عن ابليس لعنه الله
رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وفي
موضع اخر من كتابه قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ما في قوله رب بما اسم
معناه رب بالذي اغويتني يعني من قدرتك على ذلك وعلمك اي ما منك في ومضي مشيتك
في ذلك بذلك ارغب اليك واسالك ان تجعل لي اغواهم ويكون معنى كلامه رب بالذي
اغويتني به لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا الوجه يظهر على تاويل قوله
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهذا الوجه يظهر على تاويل قوله
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وفي قوله لئن اخرتني الى يوم القيمة
لاحتنكن ذريته الا قليلا وعلى هذا فهي زعامة لعنه الله وعلى ظاهر قوله في سورة الاعراف
وسورة الحجر سوا سنه ورغبة الى ربه لينفذ مراده في ذرية ادم بقوله بما اغويتني واضللتني بذلك
استعين انفاذ ما جعلته لي واستعملتني فيه من اغواء من سبقت مشيتك له بذلك و
التزيين اليه كما بذلك اغويتني واضللتني وزينت لي مخالفتك يقول الله جل ذكره هذا
صراط علي مستقيم استقامة الصراط ان لا يكون لله شريك في ملكه ولا وزير ولا ظهير في
تدبيره ولا مناقض في قضيته ولا راد لامره ولما سال النظر وفهم ان الله جل وعز
هو الذي دين لم يخالفه وعصيانه ذكره من قول الله جل وعز في قوله ما منعك الا تكون
مع الساجدين قدره على قدرته وشاء له بقدرته على ذلك وعلى تدبيره الامر كله ان يجعل على
يده اغواء من سبق علمه بذلك اذ هو الموحد فيعبده امن يسلك به سبيل الضلال قال الله
عند ذلك هذا صراط علي مستقيم اي هذا ليس شريك في ملكي ولا معقب على امري انا قدرت
للخير والشر والايمان والكفر والطاعة والعصيان واكون ذلك ولا امر به وانهى عنه
ولا ارضاه ولا احبه وانا الذي امر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وانهى عن
الفحشاء والمنكر والبغي ولا امر بذلك والعالم بالشر وبالكفر ليس بشرير ولا بكافر
انما يكون ذلك فاعله هذا صراط مستقيم ولما في ذلك من انه لا يرضاه ولا يحبه ويكرهه
حسن علي وقرا قتاده وابن سيرين وقيس بن عباد ومجاهد وعمرو بن ميمون وجماعة غير
هولاء جله هذا صراط علي مستقيم بكسر اللام ورفع الياء وتشديدها اي رفيع على كما ينبغي
لبرهان وحدانيته وعز جلاله وعلا الالهية تنزه جل جلاله بعلائه عن القبائح
والرذائل والاعمال الفاسدة والدعاء اليها لخلق خلقا يدعو اليها ويزينها فيتخذ
وشرعا لميتهم كما انه في خليقته ويكمل امره في بريته وينفذ مراده في اعدائه واوليائه
قوله جل قوله هولاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وهولاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون سبحانه وله الحمد **فصل** قال الله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا
وزيناها للناظرين البروج القصور قال الله عز وجل ولو كنتم في بروج مشيدة
اي مبنية بالشيد وهو الجص بروجا اي قصورا وحصونا وزيناها الضمير راجع

الى السماء وباخره الى البروج وكذلك الهاء في حفظناها **قوله** عز وجل ولقد
خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون يعني معفنا منتنا واذا كان كذلك فهو الطين
الذي سن به سنن الخليقة ثم قال واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين الدليل على ان سجود
الملائكة كان سجودا بتمام سجوده هو الله جل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم
السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فابيت فلي النار وسجود القران كله يرجع الى اصلين امر وائتمام بالملائكة
والانبياء عليهم السلام وبموجودات السموات والارض **قوله** تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
لفظ العموم في ذكر الملائكة عليهم السلام ثم التوكيد بعد التوكيد دليل على ان جميع الملائكة
المخلوقين من نور ومن نار الذين يقال لهم الجن سجدوا الا ابليس كما ذكر من تخصيص بعض
الملائكة دون بعض في قوله انما كان الامر متوجها الى من حضر من الملائكة والدليل
يعضد غير ما قال وليس يجوز لله جمعهم في الامر وامتثاله والحضور والاعلام ولكن هو عام
بل كل ملك يخلقه الله الى يوم القيمة داخل في ذلك التكليف ومتوجه اليه ذلك الامر والجامع
من اسماء الله جل جلاله وهو شرع وارد من لدنه دون متوسط فلذلك ما اجمع كل
مراد بذلك الامر وقد وكد العمومية وكد فانى ابن الذهب بعد هذا **قوله** تعالى الا ابليس
ابى ان يكون مع الساجدين كما قال في موضع اخر الا ابليس لم يكن من الساجدين اي بسجود
ادم يومئذ ولا في المستقبل الساجدين بسجود ادم عليه السلام يومئذ كالطائع للرسول
المصدق لا الى من عند الله جل ذكره المعرفة المعز له استوجب بذلك البقاء في جواره
وكونه عنده مقربا ووليا قال الله عز وجل ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وله يسجدون كان لهم ذلك بالجزاء الطاعة ربهم والائتمار لامره في السجود
لادم عليه السلام جلا قال لابليس لعنه الله لما ابى وقتا لم يجعله مع الساجدين معهم يومئذ
ولا في المستقبل بل طرده ولعنه قال الله عز وجل الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين
مالك كلمة يخاطب بها المتعاجز عن حظه الابي من رشده التارك لسعادته الراضي بشقاوته
يقول القائل يا هذا مالك لا تصلي مالك لا تعمل على حظك وهو ضرب من التانيب قال
الله عز وجل ما لكم كيف تحكمون مال هولاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وهو كثير وقوله
ان لا تكون مع الساجدين كلمة مقطوعة مما قبلها بوجه متصلة بالمعنى من الكلمتين في حرف
تقديره ابيت عن ان تسجد او لم تسجد مالك لم تطع امرا ظاهرا هذا في غير هذه السورة **فصل**
يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين ثم اتبع ذلك بقوله
الا تكون مع الساجدين والعادة على الاغلب ان تكون ما ياتي بعد مالك بلفظ الماضي كقوله
ما لك انهمت مالك الا صليت فاذا جاء بعد لفظ الفعل الماضي بفعل يكون بيانا له وتماما
صرفوه الى المستقبل كقولهم مالك الا قمت تصلي مالك الا قصدت فلانا فتحظى عنده فقد
تبين ان ما بين قوله مالك الا وبين قوله يكون حرف تقديره وهو على سجدت او اطعت
او ما يكون في معنى هذا فيكون تقدير الجملة على هذا مالك الا سجدت فتكون عندي من الحاظين

في المستقبل ومع الساجدين طائعاً وليلما قرباً كم سجد الارض من الملائكة وقريب
من هذا قوله في سورة الاعراف وهو قوله الا ابليس لم يكن من الساجدين يعني الملائكة وكان
يحطي وبعوداً الفود كلم سوحا يضا ولم يكن من الساجدين اي مذكوراً بذلك في الازل
لنكون منهم يومئذ وفي المستقبل قال يا ابليس ما منعك اي ان تسجد جازاه على كفره
وكبره وترك طاعته ان لعنه وعزله عن القرب واهبطه من الحضرة القدسية وسلط عليه الملائكة
عليهم السلام وجعله رجيماً فهو الرجيم والملعون الى يوم الدين ولما وقع الخطيئة ولعنه وطرده
خشي ان يكون كما لعنوا بعده ان سأله النظرة الى يوم الدين فان الملائكة عليهم السلام لا يموتون الى
يوم الوقت المعلوم فسأل النظرة قال انك من المنظرين لحكمة بالغة في ذلك من تمام كلماته
قوله هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون الحديث **قوله** عز وجل ونبئهم عن ضيف ابراهيم
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال انا منكم وجلون حسبهم اضيافاً على مجرى عادته مع الضيفان
فقرب اليهم قراهم عجلاً حنيذاً فلما رأى ايديهم لا تصل اليه كلا واوجس منهم خيفة فامنوا روعته
على جميعهم صلوات الله وسلامه عجلوا له البشرى عن ربهم جل وتعالى لاجل فزعه لاجلهم كذلك
قال الله عز وجل لما رأى موسى في سحر السحرة ما رأى واوجس منهم خيفة يقول الله عز وجل قلنا
لا تخف انك انت الاعلى فبشره بالغلبة والظفر كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
ادع خالد بن الوليد بحي من العرب قد كان لهم تقدم عهد وشبهة وكانوا يقولون صبانا صبانا واحسبهم
ان يقولوا غير ذلك فعمل فسبى وغنم وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني ابرأ
اليك مما صنع خالد وبعث بما لفودي ذلك كله حتى الكلب وافضل على ذلك فضلة فقال او
لاجل روعتكم قوله عليه السلام ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون بعد ذلك عليه ما بشروا
به من الولد على كبره على سبيل المعهود من انه كذلك قالت امرأته وصكت وجهها االد وانا
عجوز عقيم فاخرج قوله فبم تبشرون مخرج الابتغاء والا فقد كانت البشرى منهم تعدت قالوا بشرناك
بالحق اي هذا من عند الله كما قال عز وجل في غير هذا كذلك قال ربك فلا تكن من القانطين
اي بكلمة الله يكون هذا او هذا الحق الكائن مقتضاً على سبق الكلمة خارجاً عن سبيل السنة
الطاهر الظاهر من قول الملائكة عليهم السلام انه من بين ان يفتح الله في الامر بما شاء من لطف
من سبيل السنة وان بعد العلم به وتعذر توهم في نفوسنا ما يكون من حكم الكلمة فانه من القانطين
لذلك اجاب عليه السلام بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي عن معرفة قدرته على امضاء
مشيئته بما شاء وكيف وانتظار ذلك منه ولما سكن عن ابراهيم الروع ونفرغ من اقتضاء البشرى
قال لهم ما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين فعم ثم استثنى آل لوط
لكونهم بالمدينة معهم مختلصين لهم على حكم الجوار في القرية ثم استثنى من آل لوط المرأة لما اختلف
حكم الاهلاك للقرية والمرأة اما القرية فجعلوا عاليها سافلها وامطر وها حجارة من سجيل
وهو اسم من اسماء سجين او ما يكون منه بسبب والله اعلم وكانت المرأة مخرجة مع آل لوط
وامر المخرجون ان لا يلتفتوا قبل فالتفتت فسخت هناك تمثالاً فاشركتهم في الاهلاك وباينتهم
في الكيفية فاستثنى آل لوط من المهلكين ثم استثنى المرأة من آل لوط بالبقاء مع المهلكين دون
النجاة مع المؤمنين ولما جاء آل لوط المرسلون قال لوط عليه السلام انكم قوم منكرون قال لوط

عليه السلام انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي من الحق الذي انذرتهم
به قبل ان تؤمنوا لك واتيناك بالحق اي من عند الله الواجب كونه وانا لصادقون الى قوله وامضوا
حيث تؤمرون فقد كانت ثلاث مدائن سدوم وعمرة وصعور فاستاذن لوط عليه السلام
ان تسلم له صعور الصغرها فلحق بها قبل الفجر ونزل العذاب باولئك حين طلوع الشمس قبل
امطروا النار والكبريت بعد ما سكم وخسف بالقريتين واجوازهما وجميع من سكنهما
ومن كان يمر ليلة دخولهما ونظر ابراهيم عليه السلام صبحه ذلك الى اليوم الى القريتين سدوم
وعمرة وجميع ما جاورهما والشرر يخرج عنهما والدخان صاعد كدخان الفرن ثم
خرج لوط عليه السلام مع ابنته من صعور ولم يبت فيها هذا كتب من الكتاب الذي يذكر انه
التورية صدقها القرآن المهيمن والحمد لله رب العالمين قال الله عز وجل ولما ذهب
عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى اي باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يجادلنا في قوم لوط
ان ابراهيم لحليم اواه منيب مدحه الله جل وتعالى عن كبائر قوم لوط وتوجعه لاهلاكهم
دون ايمان منهم ولابويه وايابته الى الله تعالى والملائكة والمؤمنين لحفهوم هذا
الخطاب لزوم الرحمة لعصاة المؤمنين بالدعاء لهم وجاء في الكتاب الذي يذكر انه التورية
وقال لما تحركت من عنده الرجال يعني الملائكة عليهم السلام حولوا نحو سدوم وعمرة ابصارهم
وابراهيم عليه السلام يذهب معهم يشيعهم قالوا ان في اهل سدوم وعمرة قد كمل
وكثرة ذنوبهم قد تكاملت جدا قال وكان ابراهيم عليه السلام لا يبعد وان ساعهم وهذا
والله اعلم معنى المدح بالاواه فبدانا وقال اتهلك صالحاً مع طالح ان كان في المدينة خمسون
صالحاً يهلكون معاً ولا يرحم ذلك الموضع للخمسين الصالحين اذ كانوا فيهم فحاشا
من ذلك الفعل بان يعقل صالحاً مع طالح وانت تحكم على جميع اجناس الارض فلا تحكم
بهذا الحكم قال فقال الرب ان وجدت في مدينة سدوم خمسين صالحاً فانا اعفو عن جميع
جوادها لهم فاجابه ابراهيم وقال اذ قد بدأت مرة ساعود وان كنت غباراً ورماداً
ما انت فاعل ان وجدت من خمسين نقصاناً خمسة تخسف بالمدينة الخمسة والاربعين فقال
لا اخسفها ان وجدت خمسة واربعين ثم قال له ان وجدت بها اربعين ما انت صانع
فقال لست اهلكهم للاربعين فقال له ارغب اليك لا تحقد باسيدي ان نطقت ما يكون ان وجدت
فيها ثلاثين قال لست افعل ان وجدت ثلاثين قال ابراهيم عليه السلام وقد بدأت اتكلم يا سيدي
ما يكون ان وجدت بها عشرين فقال لست اهلكهم للعشرين فقال ارغب اليك يا سيدي
ان لا تغضب علي ان سالتك مرة بعد مرة ما يكون ان وجدت فيها عشرة فقال لست اخسف
للعشرة قال فارتفع السيد بعد ان سكت عن مكالمة ابراهيم ورجع ابراهيم الى موضعه
قال الله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه
والذكر شاهد لقول الله جل ذكره في القرآن ولما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
يجادلنا في قوم لوط قال الله عز وجل ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتوسم المتفرس يقول
الله عز وجل وانها لبسبيل مقيم يمكن ان يكون الضمير في قوله وانها عائداً على القرية يقول
لعلى طريق علم كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون ويمكن ان يكون

عائذا على العقوبة فيكون معناها وانها لبسبيل مقيم اي من فعل فعلهم وحذا حذوهم يصيبه
ما اصابهم وقد استحق من العقوبة ما استحقوا كما قال فيها فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ثم ذكر اصحاب
الايكة وانتقامه منهم ثم قال وانهما لبامام مبين الامام الطريق ويقال له الشيء كان عن

لاصبح رمادا فاق الحصى مكان النبي من الكاتب

والتاويل في هذه الآية على وجهين كما تقدم **قوله** العرض المقصود الاول في هذه السورة
والله اعلم بما ينزل الذكر والتذكير فابتدأ بقوله جل قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن
مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما يستاخرون ثم سرد على ذلك
قوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تاتينا بالملائكة ان كنت من
الصادقين ثم نظم بهذا جميع فصول السورة وحلها فنظم بذلك قوله انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون جعل ذلك منزلة على رسله بقوله فهذا ذكر لو كانوا يعقلون
ثم كذلك الى قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به ثم اوعد بقوله
وقد خلت سنة الاولين بقوله كذلك اي كما فعلنا عن قبلهم من الامم المهلكة بما اعرضوا
عن الذكر لما جاءهم والرسل والكتاب فمنعناهم فهمهم وضربنا على قلوبهم واغشينا
ابصارهم واذانهم فهم لا يؤمنون ثم اتبع ذلك بما هو في معناه قوله ولو فتحنا عليهم
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اي
ان الطبع على قلوبهم لعقوبة الاعراض سلح الى الجحد لمن هذه العظم وانكار الغرائب
والعجائب ثم قال ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين البروج القصور يقول
جل من قائل ولقد جعلنا في السماء قصورا لو تبينوا لامنوا بها وعلى ما هي آيات لا بد و
بنور بصائرهم الى تهاجناد وتهاستر ايام الحيوة يوشك ان يمزق الموت وتصدعها
محنة البعث الذي سجنوا فيه لشوم المعصية جدير لمن امن واصلح ان يرجع من جنة
اليها اتبع ذلك قوله وزيناها للناظرين كذلك هي الجنة مزينة جعل تزيينه اياها
آية على ذلك ولا يراها الا الناظرون في آياته اتبع ذلك قوله وحفظناها من
كل شيطان رجيم كذلك اخرجهم منها وطردهم عنها يوم اباته ابليس عن طاعة
ربه ولكن قبوله لادم عليه السلام ولا اقتداء بصفة الامن الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين
كذلك فعل بعده يومئذ بقوله اخرج منها فانك رجيم ابقى من جوده لادم عليه
والمهتدين من عباده المنظر اليها بالعقول والتوهم لها وشاهده الايات عليها وفي
للرجم استراق السمع غير ان هذا ارصد له رجم الشهب وهي الحيوة مرئية لامعة ومباشرة
روح اليقين **تنبيه** بقوله جل من قائل تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا
وقمرا منيرا وقرئ سرجا برفع السين والراء واسقاط الالف على الجمع وجعل هذا في موضع السؤال
عن نفسه جل جلاله في قوله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش الرحمن فاسال به خبيرا فوصف البروج والنجوم والشمس والقمر بانه هو الخبير به
عز وجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوا ليس دونها سحاب

وكما ترون القمر ليلة البدر واخبر عن هذه الرؤية انها في الجنة ان شاء الله عز وجل والشمس
والقمر لا يجريان الا في البروج على المعهود المعلوم من مسالكهما فيها وسيرهما في منازلهما
كذلك لا يبدو للعباد جل وعز الا في الجنات فجعل كون الشمس والقمر فيها آية له على ذلك وقد
تقدم انه يفتح برحمته من رحمته بالماء ينزله من السماء فيخرج به الجنات على انواعها معروشات
وغير معروشات ومن كل زوج كريم وانما يكون عن الانثى الاوثان وعن كل جنة فامهم ولا
يستر لك الغافلون وقال الله عز وجل وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء
والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكما ان نطقنا موجود وكذلك ما توعد به في السماء موجود
هذا قول الصادق الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه اقسم عليه وهو الحق المبين وقال
رسول الله صلى الله وسلم الجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك وقال يوما لاصحابه
اتدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال الهواء قال اتدرون ما فوق ذلك قالوا الله
ورسوله اعلم قال الماء قال اتدرون ما فوق ذلكم قالوا الله ورسوله اعلم قال السماء فهذا
ظاهر من قوله عليه السلام انباهم فيه عن زينة هذه الموجودات في اماكنها والهواء عن الروح
وهو جل هواء الجنة فاما ان كان من المقربين فروح وريحان والريحان عن الماء اذ كان
معناه الرزق او ما هو يفوح طيبا والسماء الجنة وفي السماء رزقكم وما توعدون
وقال الله عز من قايل لكن الذين اتقوا لهم غرف مبنية تجري من تحتها الانهار فقال مبنية
ولم يقل بلفظ الاستقبال كما قال واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار جل ذكره يبالغ
في الاشارة حتى ارانا منها لها مشاهده بقوله انزهذا وعد الله لا يخلف الله الميعاد الم تر
ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا الى اخر المعنى كذلك
قال جل قوله في الطرف الاخر قبل هذا لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل واخذ
بالوصف للجنة من سفل ثم اصعده واخذ بوصف النار من علوها ثم اهوى بها سفلا فاعلم
وفقنا الله واياك **قوله** الغيب منازل اعني المعهود الذي كلفنا نعرفه والايمان به احدها
ما هو كائن لكنه غيب في وجود سواه كالعلقة هي غيب في النطفة والمضغة غيب في العلقة
والانسان غيب في هذا كله على درجات انتقاله وكالماء هو غيب في الهواء وكالنبات هو غيب في الماء
والحيوان غيب في النبات والماء والانسان غيب في هذا كله على درجات انتقاله فهذا منزلة غيب يا يوجد
الله جل ذكره من حكم التوسعة في الدارين الذي عني بقوله والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ما الدنيا في الاخرة الا كما صبع احدكم في اليم فلينظر بم يرجع منها
والمنزلة الثانية حكمها حكم حقيقة حيوة الشهداء التي اخبر الله عنها لصدق قوله احياء يرزقون
ويبشرون ويأكل ويشرب وبيننا انه لحق فيه ميت هذا باطن غيب في حقيقته موجود على ضد ما
هو ظاهره والذي قبل هذا بخلاف الظاهر منه والمنزلة الثالثة حكمها حكم وجود الملائكة
عليهم السلام ووجود الجن واعلى من هذا كله وجودا واحق حقيقة وجود الله العلي الكبير جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه فهذا احق الحق وهو غيب وكذلك وجود الجنان بحكم التوسعة
المذكورة اولا وهي موجودة بحكم وجود الغيب الذي ظاهره خلاف باطنه الذي هو غيبه وهي
ايضا موجودة بحكم وجود الحق الذي كل وجود منتزع عن وجوده فنحن وان كنا نرى السماء

وافلاكا وبروجا وشمسا وقمرا وهواء فهو حق كما حقيقة وجود كشهيد طعاما
للنظر والسماع حق ووجوده حيا يرزق وجود حق وقد اخبر بذلك الصادق الحق واقسم عليه
فهو الحق والحمد لله رب العالمين وانما على قراءة من قرأ وجعل فيها سرجا وهي الكواكب
فهي في التاويل الانبياء والرسل والاولياء والعلماء ثم قال عز من قائل والارض مددناها
والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم
له برازقين من نظر في معنى هذا الخطاب فهم منه سر المراد ومن بعض المفهوم منه جل وتعالى انها
جنة الارض استاق ذكرها نظما بذكر جنة السماء ثم ذكر بخلقة ادم عليه السلام وخلقة
الجان وذكر تعظيم وده وكريم منزلته في غضبه للمجتبى عنده وصفته ادم عليه السلام واكرامه
اياه وبما ابتدامنه وحيث اسكنه ولم اخرجه في ذلك انه لما اهتدى وتاب اليه رده اليها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ادم في السماء الدنيا وعن يمينه اسوده وعن يساره اسوده
الحديث ثم ذكر بالجنة والمغفرة حسنة والرحمة لعباده وانذرهم بعذابه ان لم يطيعوه ويوحدوه
وبرسله ثم ذكر بقصة ابراهيم ولوط وقومه واصحاب الايكة وفي ذكره ذلك من تكذيبهم
الرسل والكتب وعيد لمن فعل فعلهم وحذا حذوهم وتحذير لمن عصى من هذه الامة
وترك الاقتداء والعمل بالطاعة فان ذلك كذبت وكفر اصغر فحذر من جزاء ذلك على ذكره
فافهم ثم قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق فقد تقدم مثال الحق المخلوق به
السموات والارض اشارة والله عنده مزيد الخيرات ثم تنظيم فذكر الحق ذكر اتيان الساعة بما في
الوجود من تمام ليل ثم نهار ثم عشاء ثم نفس وجمعة وشهر وسنة كل ذلك يعود اولها
على اخرها كذلك كانت الدنيا عن الدار الاولى التي تشا دالها بالاخرة وكما اخر الدنيا وبخراج
ذلك وتعود الاخرة كاولها ثم قال فاصفح الصفح الجميل اي انتظر بهم واصفح عن استهزائهم
قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين
عز وجل ان ربك هو الخلاق العليم هذا منتظم بذكر الحق المخلوق به السموات والارض والخلاق
فعال على بناء التكثير والاجادة والاحكام ثم هي اشارة الى الامثال فانه يخلق ويعدم ابدا
على الدوام في كل شيء موجود قال الله عز وجل وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
صنع الله الذي اتقن كل شيء وقد تقدم ذكر هذا قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
قد تقدم القول فيها في صدر الكتاب هذا منتظم بما في صدر السورة من قوله يا ايها الذي نزل
عليه الذكر انك لمجنون الى قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فذكر انواع الذكر وما يقع
عليه اسم الذكر ثم عطف على ذلك قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم والسبع المثاني
نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة الحمد لله رب العالمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها
انها ام الكتاب وانها ام القران وهي السبع المثاني وفي اخرى وهي من السبع المثاني والقران العظيم الذي
اعطيت وهي سبع ايات على اختلاف في ادخال سطر بسم الله الرحمن الرحيم فيها واخراجه وقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحكمة البالغة هي الوحي يحتاج عند تفهمه الى الاستبصار والبحث والتدبر
جاء والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السبع الطول مكان التوراة واعطيت
مكان الانجيل المبين واعطيت مكان الزبور المثاني واعطيت فواتح الكتاب في خواتم سورة

البقرة من تحت العرش لم يعطها نبي قبلي واعطيت المفصل نافلة وفي اخرى اعطيت البقرة
من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى وقال صلى الله عليه وسلم في سورة الحمد
انها من السبع المثاني وهي سبع ايات وسبعة اسماء وخواتم سورة البقرة سبعة اسولة قال له الملك
عليهما السلام لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته اما قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت السبع المثاني
مكان الزبور فلسنا فيما نعلمه تعيين هذه السبع المثاني الا ما قاله في سورة الحمد لله رب
العالمين انها السبع المثاني وانها من السبع المثاني يقول الله جل وعز قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ما انزل في التورية ولا في الزبور ولا في الانجيل
مثلها وقال الله جل قوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فهذه
اسماء الله جل جلاله هي اعظم الوعظ وعنها فصل كل شيء ان كان من الايجاد وان كان من
الكتب والكلام فذلك كله عنها انفصل ويكون التفاضل في الموجودات بعد فيما قرب منها ثم لما
ولما اتخذوا العجل الها من دون الله فكان ما قد قصه الله جل ذكره من قصصه لهم له
ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
فهذا اخبار منه جل جلاله ان التوراة التي كتبها الله جل ذكره بيده انتسخ منها بامر الله جل
ذكره اي اثبت لهم ما هو هدى ورحمة واقتصر فيها على الامر والنهي والنصيحة والارشاد
بهم الى ما ينجيهم من عذابه وينال ثوابه وهدى اي لقوم موسى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
قوم عيسى وتابعوه باحسان ممشاركة من اهتدى منهم وخشي الرحمن بالغيب ثم قال
بعد ذلك عن بعيد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي الى قوله قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء ورحمة
الله وسعت كل شيء في الظاهر لنا عيانا وقولا وعبرة في الموجودات هي سماؤه ولا يكون رحمة
وسعت كل شيء الا للمؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمن ان اعطي شكر فاجرا وان منع
اما قال ابتلى فاجر صبر فاجر فلا يكون ذلك الا للمؤمنين قال الله عز وجل فساكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الى اخر المعنى فهذا يؤيد ما تقدم
ذكره من العبرة والقول بان القران كله واحد وفرد ثم يفصل بعد الى كل شيء عبر عن ذلك قوله
في مفتتح ام القران وام الكتاب الحمد لله فجاء بالحمد الذي هو جامع للثناء والمدح والذكر
اجمع واضافه الى اسمه الله جل جلاله والذي جميع الاسماء شارحة له ثم تفصلت عنه الاسماء
جميعا كما تفصلت عن الحمد الاذكار كلها اتبع ذلك رب العالمين فذكر الوجود كله لوقوع علمه
العالمين وهو كل مخلوق وكل مذكور وموجود سوى الله عز وجل فظهر بذلك ما فضل به الحمد
كما اظهر تغاير الاسماء ما فصله عن اسمه الواحد الاحد من ذكر وايجاد اتبع ذلك قوله
الرحمن الرحيم على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى به ظهر الرحمن
والايضا وبه حيي الوجود كله وتراحم وتعاطف بعضه على بعض الرحم بعثت رحمة الله
بالايمان والاسلام والطاعة واتصل ذلك بهم الى رحمة الله في الاخرة مالك يوم الدين في الدنيا
والاخرة من جزاء طاعة وكلما يقع عليه اسم الدين وبه ظهر الحمد عيانا فلانه الاله الرب
الرحمن الرحيم الملك وحب له الطاعة والخضوع والخشوع والمحبة والود والرضى

بكل ما يقتضيه ولوجوب ذلك قال العبد اياك نعبد ولما تقدم ذكره من الاسماء والاذكار
وما وجب عن ذلك مع قوله مالك يوم الدين وطلب المعونة من مالكها في كل ذلك شيء الله جل
ذكره قوله العظيم على تلاوة عبده فهذا كالذى كتبه جل ذكره لموسى في التوراة من كل شيء
موعظة وتفصيلا لكل شيء ومن تدبر هذه الجملة وامعن في التذكار وامتحن نفسه في ذلك لما يا
من مثله في شيء القران من المعبر عنه بالقران العظيم وحده والذى عبر عنه جل جلاله عن مكنونه
في التوراة سواء ثم قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم الى اخر السورة كقوله
وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون كذلك قال في الانجيل واتيناه الانجيل فيه هدى
للناس ونور ومصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين كما قال يا ايها
الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وقال يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا **قوله** تعالى لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم اى استغن بما اتيناك من ذلك من علم وعمل به كما قال في نظيرها من سورة
طه وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن
نرزقك والعاقبة للتقوى المعنى الى اخره حيث وقع ثم قال ولا تحزن عليهم اى لا يحزنك كفر
من كفر الذى قد شاءه الله عز وجل منهم وبهم واخفض جناحك للمؤمنين تودد اليهم وارحب
بهم وقربهم وتحنن عليهم وقل انى استهزائه انى انا النذير المبين وعيد وتهديد كما قال
صلى الله عليه وسلم وانى انا النذير العريان وقال انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد هذا كله
من التذكير المتقدم اتبع ذلك ما هو في معناه **قوله** تعالى كما انزلنا على المقتسمين الكاف
للتشبيه والميم في قوله كما اسم للذكر وبخاصته مثلا في الامم الماضية والقرون المهلكة
يقول انا انزلنا على اولئك من الاهلاك والاضلال والعمى عن الهدى حتى اخذناهم بذنوبهم كما
انزلنا على المقتسمين بعضه والله اعلم الذين تقاسموا على الكفر من تبريهم من بنى هاشم لا تناكحوهم
ولا تبايعوهم ولا تجالسوهم حتى تسلموا محمدا صلى الله عليه وسلم اليهم وقيل ايضا هم الذين كانوا
يقعدون على الطرق ويلقون الركبان يحذرون الناس منه وينفرونهم عنه يقولون هو مجنون
شاعر ساحر كذاب قال الله جل من قائل الذين جعلوا القران عضين يقول قطعوه على انحاء
اباطيلهم وسبل ضلالاتهم فو ربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون يقول ماذا اجبتم
المرسلين ويقول اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما ام ماذا كنتم تعملون **قوله** تعالى
فاصدع بما تؤمر اى فرق بحق ما اتيناك باطل ضلالتهم وامض لشانك يقول جل من قائل
انا كفيناك المستهزئين من استهزائهم ما ذكر في صدر السورة وكانوا قوما باعيانهم منهم ابو لهب
وعبد يا ليل شيخه دعا على احدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبك
فافترسه سبع وابو لهب اصابه سهم جره اليه رداؤه وهو يمشى واصاب عقبه ابى لهب له
اصابه الدائرة منه واجر كان يطوف بالبيت فاشار جبريل عليه السلام باصبعه الى صدره فكان
في ذلك هلاكه اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استنفدهم الله هلاكا فقال له

جل ذكره انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر **قوله** تعالى ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون اى من استهزائهم وهجرهم في القران فسبح بحمد ربك وكن من
الساجدين اى تشاغل عن ضلالهم وتحرشهم بعبادة ربك وانتظر بهم وكن من الساجدين هم الملائكة
والمؤمنين وجميع ما خلق الله من شيء وبذلك انبأ الله جل ذكره ابليس بقوله مالك الا تسجد فتكون
مع الساجدين ومن الساجدين حتى ياتيك اليقين هو الموت ويكون اليقين وعد الله له بالنصر
والتاييد وظهور دينه على الدين كله واليوم هما موجودان في وعده والحمد لله رب العالمين

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى اول هذه السورة منتظم بالسورة التى تقدمت في انها
معا للتذكار والذكر وخاصة جل هذه في التذكير بالنعم والالاء والاعلام بايات الله جل ذكره وحكمته
ودلائله على موجودات الاخرة عبره اليها من موجودات هذه الدار ولما انقسم الاعلام باسم اليقين
في اخر الحجر الى الموت والى ما هو وعد الله بالنصر والتاييد واظهار الدين وكل ذلك يشمله اسم
الامر قال جل وعز في مفتتح هذه اتى امر الله فلا تستعجلوه واثبات الامر على انحاء فمنه ما يكون يوم
القيمة وكيوم من ايامنا هذه وكلمح البصر او ما هو اقرب يقال اتى الشيء اذا اتت اوائله
وتباشيره والى الشيء بنفسه والمراد بالاخبار عنه في هذا الموضع والله اعلم هو انقضاء الدنيا
الدنيا ومن اشراطها بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمن اشراطها يومئذ ظهوره اذ لا نبى بعده
وكانوا يستعجلونه بالعذاب الذى كان ينذرهم به كما كان يفعل من كان قبله ممن كان قبلهم
من الامم والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وعلى هذا فيكون قوله اتى امر الله اى بنصره رسله
وظهور دينه ومن اوائله مجىء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم عبر عن هذا المعنى وعن ما هو عنده
الاولى قوله فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا
انه لا اله الا انا واتصل بهذا المعنى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون وكان كثيرا ما تقدم ذكره
في الكتاب قبله وانطق السنة الرسل على توبيخاتهم وكان معنى قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه
اى الذين بلغكم ذكره وتقدم اليكم في الايمان به واخذ عليكم الميثاق بنصره وتصديقه
فلا تستعجلوه اكمال ظهوره وتمام وصفه فانه تبارك وتعالى ينزل الملائكة بالروح من امره
على من يشاء من عباده وذلك مقتضى كلمة كذلك فينزل لذلك القول مع الملائكة بالروح على الرسل
بذلك من عباده لينهم من ذلك انذروا انه لا اله الا انا فاتقون هذه جملة الموحى بها اليهم وهى
كلمة جمعت ما احتوت عليه جميع الكتب المنزلة جملة محكمة ثم لا يزال بعد تفصيل هذه الكلمة المحكمة
ويتممها بسنة فيكون من ذلك ما قد سبق في علم المقدار كلمة الموحى بها الى ذلك الرسول فرب رسول
ينفصل في حقه تلك الكلمة الى ان ياخذ اقطار الارض ويبلغ حيث بلغ النهار والليل ورب
رسول لا ينفصل في حقه الا قليلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على الانبياء فجعل النبى
يمر ومعه الرهط ويمر النبى ومعه الرجل والرجلان حتى رايت سوادا سد الافق فقلت من هذا
فقيل لي هذا موسى ومن معه الحديث **قوله** تعالى خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
وقد كان من قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون في الاية الاولى عند ذكر مجىء امره
للحق الشاهد في اتيان امره بتوحيده وتبيان دلالته في ذلك على وحدانيته كما سبح نفسه تبارك

وتجلى ايضا لاجل شمول الحق المخلوق به السموات والارض جميع ذلك كله كلمة وهو المعنى الاول الذي
به كان للحق في كل شيء ولذلك اعربت شواهد الوجود كله بالعلم بالله وباسمائه وصفاتها
وما يجوز عليه وما يستحيل لديه ومن اسمائه وصفاته المرسل والرسالة وما ارسلوا به فان في
شهادة الموجودات بما تقدم ذكره من العلم به وبالرسالة وبما جاءت به تبليغ واستواء
العلم به معرفة باللغة كمعرفة احدنا بكلام من تقدم له العلم بمعرفة كلامه وان كان من وراء
حجاب وتمييزه من كلام سواه وان كلامه يدل على ما يريد وعلى العلم به مع ما يدل مصنوعه
على وجوده دلالة الفاعل على فعله والفعل على فاعله ووحدانيته معلومة من حقيقة
قيومية زائدة الى ما دل عليه فعله وذلك معلوم لقيام السموات والارض لا تزول ولا تمور
الى ان يشاء ذلك وذلك يدل على ان لا شريك له ولا اله معه سواه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وفيه ايضا من معنى قوله الحق فلا تستعجلون اي ان كل شيء له اجل مسمى وعرض في ذلك بطول المدة
مدة خلقها لما خلقها له الى ان يفوض الينا ويبدلهن بغيرهن يعني فلا تستطيلوا مدة انتظار
هذا الامر ولا تستعجلوا اتيانه فهو انما ياتي لوقته وعرض ايضا بقوله تعالى عما يشركون بانهم
الامد نسوا حظهم وما ذكروا به فاشركوا به وعدلوا ثم قال جل قوله خلق الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم مبين اردف لتبيين اتيان الامر الى مدده المؤجلة له كما ياتي المراد بالنطفة الى ما
وجدت له انسانا ثم ينقله منقلا منقلا الى تمام الامر فيه الذي هو المراد منه عبر عن ذلك بقوله
فاذا هو خصيم مبين اي يجادل فيه او يجادل عن الله ليا كل في ذلك رزقه ويتقلب في احواله
المقدرة له من اعماله واياما الى اتباع ذلك ذلت الاية المقدمة على الواحد الحق جل وعز
والالهية وعلى المالوه المخلوق على معرفة الرسالة والمرسل والرسول لكن يؤخره ثم هذه الاية
دلت على الرسالة بما اخبر فيهما عن تنقيل الانسان وتقليبه في سنن سنة على سبيل التشبيه
بما ذكره في الدلالة على القدرة والعلم والارادة والحيوة قوله عز وجل والانعام خلقها
لكم عطف هذا الخطاب على ما تقدم لاتصال ذكر الخلق بالامر وتقارب معنيهما لصدورهما من الامر
الخالق جل وعلا وعلى الوقوف على قوله والانعام خلقها لكم وهو تعداد النعم اوقع بالخطاب
الذي ساق هذا الخطاب لاجله والوقوف ايضا على قوله خلقها بمعنى قد تقدم من اتصافه بالقدرة
والعلم والارادة وانها من الحق الذي خلق به كل شيء وقوله جل قوله لكم فيها دفء ومنافع
فمعناه ان كل ما خلقه من شيء في هذه الدار مسخر لبني ادم فهي نعم له كلها انعم بها عليهم ليشكر
ليصلوا الى ما هو حقيقتها او منبعها فانها موجودة عن الجنة في الدار الاخرة منبعثة منها من هنالك
الا ترى الدفء استدفاع الاذى البرد والتظلل استدفاع اذى الحر الكائنين عن فيح
جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها والى ذلك انقسم نعم ما ههنا نعم دفع ونعم نفع وانما
يخلص نعم النفع الى ما جاءت من قبل وهي الجنة وبالضد في دار البوار ورحمة الله تصرف هنا
موجودات دار البوار الى نعم النفع فذكر جل ذكره تعداد النعمة واعلاما بقدرته ووحدانيته
ثم قال عز من قائل ومنها تاكلون لهذه الكلمة اشارة الى تعداد النعم وتعريض للانزعها
وعن الارض بنشوئهم وفي ذلك اشارة الى الاعادة بعد البداءة وتعريض باشارته الى الانة خلقها
عن الذي يكون من فيح وفتح برحمته ما ينزل من السماء من طيبات وزروع وثمرات وانعام

ولذلك امرنا جل وتعالى باكل الحلال الخالص وبالذكاة لكل ذي روح اباح لنا اكله
قال عز من قائل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله كما قال يا ايها الذين
امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض وقال وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج ثم قال جل وعز ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الجمال والحسن كله
والملك من الجنة فهذا من نعم النفع ثم قال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
هذا من نعم الدفع صرفها برحمته الى الانتفاع بها وتعريض بان اهل النار لا يسخر لهم شيء
بل يسلط عليهم ذلك باعظم النكال واشد العذاب بذلك اعقب هذا بقوله ان ربكم لرؤوف
رحيم فكان لهذا الخطاب وجه الى تعداد نعمه ووجه الى عظيم فناء موجودات الجنة وجمال ما ههنا
وحسنه ووجه الى الاعلام بحمل الانعام ضحاياها وهداياها وما ذكر اسم الله عليه وابتغي به رضوان
الله الاوزار عن الموجهين بها الى مرضات الله ودكونهم اياها الى نعيمهم وجوازهم على الصراط
بها لذلك وهو اعلم عرض بقوله لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم
جعل فيما قدره فيما ههنا من قطع ابعاد الاسفار وحمل المشقة بها عبرة الى ما هنالك اتبع
ذلك بذكر ما لم تعده على الاغلب بكله فقال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون يعني من مخلوقات بريه وبحريه وهوائيه لم ترها ابصاركم
ولا سمعت بها اذانكم ولا عقلتها عقولكم من مثالات هي بواطن لهذه الظواهر وازواج للاز واج
موجودات واضداد من الشياطين والجن واتباع ذلك فيما مضى وفي الحال والمال ومن ملائكة
ملك الملكوت واخرين يحفون بالعرش على اصناف ذلك وصفاتهم في مصافاتهم واخرين بعضهم
الخليقة من جماد ونبات وحيوان وانس وغير ذلك وقوى تغيرت بذلك تدبرها ملائكة
او جدوا الملك الى غير ذلك مما يعلمه ولا يعلى الى مقدورات لا تتناهى هذا في الدنيا وقال
في الجنة فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر اتبع ذلك قوله الحق وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ليس على الله للغافل
عن ايات الله سبحانه سبيل وكذلك المكذب بها كيف لهما سبيل يضاف اليهما ولم يسلكا
سبيلا ولا احدوا اليه طريقا بل عميا وموتا انما الجائر عن السبيل والله اعلم من اخذ يتعرف
اسماء الموجودات وخواصها ومواضعها وصورها وخلقها وطبايعها دون عزمه بخلقه الى خالق
الامر ولا من صورها الى مصورها ولا اهتدى بفطرته الى فاطرها يوصل الفعل الى فاعله ولا ينسب
الموجودات الى مقتضياتها من الاسماء والصفات ولا يعرف ما اختص به الفاعل الحق جل وتعالى
مما تبرأ منه فهو يتطلب خواصها وعللها ومعقولاتها وينسب الايات الارض والسماء الى معهود
بادي الراي وظاهر مواقع الابصار فذلك هو الجائر عن السبيل الذي وكل بالدليل دون المدلول
وتشاغل عن الفاعل الحق بالمفعول ابدعت به مظنته دون الوصول حتى احترمته مشيئته ولم
يبلغ المقلوع وانما قصد السبيل لمن يقضي يعرف الموجودات واعتبر بها الى ما لها وما يكون اخر لها واولها
باولها ويعرف وجوه الحكمة في وجودها ويستشهد بها على ما جعلت له فيعرف بها جاعلها وما اراد
ويقف بايمانه على توحيده جل ذكره بصنعها وانه الواحد الاحد الملك الحق ثم يترضاه ويعمل له خالصا
دون دخل في عمل ولا دخل في نية فلذلك القصد في السبيل لا يتحمل الى قطع متنا ولا يتوهم دونه بعدا

سوى خلاف امره وجهله به بل هو لا حيث اخرك من تقصير فوق وفقنا الله واياك
كل فعل جاء ذكره في القرآن او ظهر وجوده في العالم الى الله جل ذكره فهو وليه خلقا وامرا
ونعرف لاى حق اوجده من موجودات الدنيا والاخرة وما بين ذلك وما يشاهد في عرصة
القيمة وما يجب الايمان والشهادة له بالوجود بما كان او هو كائن حق بما ذكرت كل الى اسمائه كل
مقتضى الى مقتضيه ومن اعتقد قطع منه ولا توهم بعد فهذا هو النظر الحق والاعتقاد
الاعلى وهو المعبر عنه بالصراط المستقيم وهو قصد السبيل اى ما اضيف اليه وعرف
ولاى وجه ولاى مقصد اوجد الا تراه جل ذكره بعد هذا يقول هو الذى انزل
من السماء ماء هو الله الذى لا اله الا هو الرحمن الرحيم هو الله هو الله حيث جاء هذا الكلام
صدر باسمائه ثم يخبر عن ذلك بما شاء يحقق في ذلك كله انه فاعله ومنزله ومقدره وزارعه ومنشئه
ومدبره والقائم عليه وممسكه حال وجوده ثم ما اصدره بعد من قول وخبر اوشى
ضرب من مثل هو اثبات ما اخبر به وتحقيق ما عرض اليه بذكر موجودات الدنيا
وافاعيله وضرب حكمته فيها وتذكر بالحق الموجود في الدار الاخرة من دار القرار وما
بينهما ليعتبر المعتبرون من شاهد الى غائب ومن صعد الى كبير وما عدا هذا النمط
فقد اخذ من الجور بحظ وحار بوصفه عن سواء السبيل بقدر بعده عنه قوله
تعالى هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ظاهره تعداد النعم ومفهومه
وصف اقتداره على انزال الماء من السماء واخراجه به من كل الثمرات وخلقه عنه كل شئ
وذكر الشراب منه وسوم الانعام في الكثير تعريض بانه يخلق منه خلقه ويفصله
الى ما يفصله عن انعام ونبات وفيه تعريض بحكم باطن الخطاب الى معنى قوله وفي
الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون
وانه كما انزل من السماء الماء فاخرج به من كل الثمرات وخلق منه كل شئ حى
فنزول ذلك عن دار الحيوان وان المعلوم من واجب وجود الشبه بين الشئ وما يكون عنه
كالنطفة من الانسان يخلق الله منها انسانا وكذلك غيره ولوجود ذلك اقسم رب العزة
جل ذكره في قوله فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون هذا الى ما تقدم ذكره
من الدلالة على انه يخرج الموتى كما يخرج النبات وكما بدا اول خلق نعيده كما قال
جل ذكره كذلك الخروج وكذلك النشور كما يحيى الارض بعد موتها بالماء ينزل من السماء فيصرفه
الى ما يصرفه اليه ويخلق عنه انواع النبات والحيوان كذلك ينزل من السماء وقد مات كل
فيخرج عنه الاحياء بعد موتهم يوم النشور لهذا وامثاله قال عز من قائل ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون قوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره ظاهره تعداد النعم بما ظهره ومفهومه الاعلام بحسن الاتباع وبحكمته في
حسن التقدير وعدله في الامر والخلق وانها ايات على ظهور الحق المبين وتجلى المطلوب العلى
في دار الحيوان دار القرار وان ذلك فيما هنا لك على دوام محكمة التدبير وادوم وازكى
واغرب وانه كما ان موجودات هذه الدار عن امره وفتح رحمته مع طلوع الشمس والقمر

والنجوم المسخرات بامره وكذلك موجودات ما هنالك عن تجلى الحق المبين فاقدروا
قدر ما بين امر وامر وخلق وخلق ان في ذلك لايات لقوم يعقلون كذلك عبر بكونها
جارية على سنن معلوم وشرع قويم الى ارسال الرسل بشرائع محكمة وايات مفصلة ودين
قويم وهداية منه الى صراط مستقيم ثم قال وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه ذلك يدلك
على اختلاف في موجودات الاخرة واثبات القدرة والمشية والعلم له ان في ذلك لايات لقوم يذكرون
اى بهذه ما هنالك ذكر في اولها هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب الفكر وفي التى
بعدها العقل وفي الثالثة الذكر وذلك لان الفكر مبنعثها الذكر فمن مكنون العلم
وكلما احالت الذكر من العلم محلا من الغيوب اطلعه على شرف من الفهم فلا يزال يتقدم
به ويترقى هو بها في الاسباب حتى يصل وقد قالوا بالثاني يسهل المطالب وبالفكر تنال
يدرك الراى العازب واما العقل فاذا كان الايمان دليله والورع امامه ولقى الخطاب
عنه وفهم الاشارة منه ولم يتوسم بالاشباه ووقف دون الانتباه فخضع لمالكه
ورضا للواهب وصابر النفس وداوم وقرع الباب ولج بعقوله في بحار الافكار
بتصحيح شواهد الاسرار وعند ذلك فاعلم يصل القلب الى نسيم الهواء الواصل
الى الروع في ملكوت الضياء حيث القدرة الخفية عن الابصار الظاهرة فيقبل القلب
الهواء الواصل اليه ثم يتلاحق بحضرات الغيوب قربا بالمطلوب الاعلى لقول الله جل
قائل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
وقال ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله
الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون واما الذكر فانه اذا وقف العقل على المختلفات من الموجودات
من الالوان والصور والمؤتلفات منها ذكر الاخر بهذا الاول والنهاية بهذه البداية وذكر
في ذلك تصريف المشية الغالبة وقهر القدرة الغالبة وسعة العلم المحيط وتحقق كل
بالوعد ووقف به على صحة وجود الشئ من اول الامر الى غايته فعند ذلك يتمثل له
الاخرة عيانا ويمثل حقيقة التوحيد في باطنه مشاهدة وقد يكتفى من حط البلاغة
بالاتحاد واعلم يقينا ان الافكار حائرة في سعة تحير عن ادراكها ويعجز عن الاحاطة بها
اذ قد لطفت تلك المعارف عن احساس الاوهام فمن الواجب ان يكون العقول متناهية اليها
متعلقة باسبابها معترفة بالتقصير عنها ولكن شاهده لخفا بقتها عن العلم بها الى ان تصفو
الاكدار وتطهر الاخلاط ومن الادناس فيرتقى في رياض الالباب وينفح الله جل ذكره لها طلوع
المصيب عند الصفو ومفارقة الكدر وتعيش الروح وتعاين حقايق الغيوب قوله
تعالى وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا الى قوله تشكرون ظاهره تعداد نعمه
واظهار قدرته وسعة علمه الى غير ذلك من صفاته واسمائه وفيه تعريض بطلب العلم
فمثال العلم على هذا التاويل البحر فمن قائم على الشاطئ لا ينتفع بشئ منه سوى الايمان
منه ومن داخل الى لجته ليصيد من حيتانه ومن غواص الى قعره ليستخرج دره ومن عابر بالفلك
لابتغاء الفضل في سبيل دنيا واخرى كذلك الناس في الحرص على طلب العلم والمعرفة بالله
جل ذكره درجات والله يؤتى فضله من يشاء لعلهم يشكرون وقد تقدم الكلام في غير هذا

الموضع على وجوه الاعتبار فلنقتصر خشية الاكثار ثم قال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم
وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون هذا وان كان ظاهره
تعداد النعم واظهار القدرة فان معناها ايضا الدلالة على معرفة النبوة اذ الجبال والسبل
والانهار والنجوم امثال للانبياء والرسل والاولياء والعلماء وهم ورثة الانبياء ثم
ذلك قوله الحق افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون ثم ارجع الكلام الى اوله في صدر سوره
خلق السموات والارض بالحق خلق الانسان من نطفة ثم عطف بالواو ونسق الكلام بعضها
على بعض ثم عطف على الاخبار عن القدرة الاخبار بنعمه بقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ان الله لغفور رحيم المغفرة على وجهين مغفرة معناها الامهال وترك الاخذ بالعقوبات
من اجل الذنوب كقوله جل قوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة
وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الله عز وجل والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الارض اذا شاء الله جل ذكره امضاء امر قيض له شفعاء يشفعون
عنده فيه فيشفعهم سبحانه وله الحمد والمغفرة الاخرى هي الامة مغفرة ذنوب المؤمنين وفي هذه
قبل الله اجل ان يغفر لعبده دنيا ثم يرجع فرضه المغفرة لا يكون من الله الا لعبد سبق في علم
انه بالايمان والتوبة يختم له قوله عز وجل والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وصف الله
جل وتعالى بانه يعلم السر والعلانية ليبين لمن اشرك سوء اختيارهم في عبادتهم ما لا يعلم
ولا يسمع ولا يبصر ولا يبصر ولا يخلق وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان
يبعثون ليصلح هذا الجمع لمعبوداتهم ولعابديها ثم يرد عليهم قوله الحق جل قوله الهكم اله
واحد اي وهو ذو الاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلي الواحد الاحد بكل وجه وبكل معنى ثم قال
عز من قائل فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة اي التوحيد والتصديق بالاخرة وهم مستكبرون
عن التدين به اتبع ذلك قوله لا جرم معناها ههنا لا بد ولا محالة ان الله يعلم ما تسرون وما تعلنون
اي من انكارهم الحق اذا ما دعوا اليه تهديد ووعيد شديد عليه ما هو في معناه قوله جل قوله
واذا قيل لهم اي سالهم الاتباع ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة
يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم هنا محذوف اي قيضناهم لهذا القول
واضللناهم عن الهدى ليحملوا قوله قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من فعل فعلا ليس بصالح
في اختفاء من الممكور عليه فقد مكر ولما كان المستكبر عن قبول الحق مزدريا بالرسل مستهزئا
بما جاء به من عند الله وكان ذلك عن كبر في صدره ورفعة منزلة زعمها له دون من يبذل
النصيحة عن الله جل وعز استتبع الاتباع وبادر على انفسهم اتاه الله العذاب من حيث
لا يشعر واخذه من حيث لم يحتسب فتشبيه الله بنيانهم هذا لكافر هذا البنا واخذه اياه
هذا الاخذ بما ضرب مثلا له ووجاهته وهوانه قد خسف بكثير من الجنا لتكبرهم كقوم
لوط وقارون وقد اغرق فرعون وجنوده في البحر فكان اخذ لهؤلاء انه اتاهم بالعذاب
من تحت ارجلهم ووضع ما احاط بهم من بناء واقبل بسقوفهم عليهم وقواها الفطحا فاتى قد
بيوتهم من القواعد يريد والله اعلم بما يبنى لما بنوه لانفسهم من مكر في قلوبهم من ريب

ومنازل

ومنازل مرتفعة عن اقدار من سواهم ومطالبة وارصدا وتربص وارادة للايقاع
بهم ونحو هذا والخطاب منتظم بذكر المستكبرين في قوله الهكم اله واحد فالذين
لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون واتبع ذلك قوله عز من قائل ثم يوم
القيمة يخزيهم كقوله واتبعناهم في هذه لعنة ويوم القيمة الى قوله قال الذين اوتوا العلم
ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين اولوا العلم هنا هم الذين وقفوا بحقيقة ايمانهم
على تحقيق الوعد والوعيد كما قال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك
كانوا اي في الدنيا يؤفكون اي عن الايمان والحق ثم قال وقوله الحق وقال الذين اوتوا
العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ومثله في
القران كثير قوله تعالى هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة لقبض نفوسهم او ياتي
ربك او ياتي بعض ايات ربك امر ربك باهلاكهم وعذابهم او الفتح عليهم للمسلمين كذلك
فعل الذين من قبلهم كفروا وكذبوا الرسل والكتب فاخذهم الله فما ظلمهم الله وقد ارسل
اليهم رسله واعذر اليهم بكتبه واياته ولكن كانوا في حالتهم تلك انفسهم يظلمون
فاصابهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون يقول فاحذروا من التمادي في
البغي اي يصيبكم بما اصابهم قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وقال عنهم في سورة الانعام سيقول
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء وقال في سورة يس
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله
اطعمه ورائه ودونها عن لسان النبوة السابقة في ابيهم ابراهيم وبنيه من بعده قال
الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون وهي كلمة حق مرادهم بها
الباطل لطول الامد وضلالهم عن نور الهداة يقول الله عز من قائل كذلك فعل الذين من قبلهم
يريد وهو اعلم بما يتوك قالوا مثل هذا واستمروا على شركهم وتكذيبهم فهل على الرسل الا البلاغ
المبين ومعنى البلاغ هنا التذكير والتنبيه على هدايتهم والتبيين لحال ضلالتهم وقال في سورة
الانعام كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا اي كذلك قال الذين من قبلهم ثم كذبوا
بافعالهم واستمرار عقودهم على كفرهم وشركهم بقوله عز من قائل قل يا محمد هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا هل استدللتم على حقيقة ما قلتموه بدليل او نظرتم فيه نظرا يعفون به على الحق كما قال هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين انما قولكم ظاهر من القول لا اصل له في قلوبكم باسا ولا برهان فانما ان
تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون كذلك قالوا في غير هذا الموضع لو شاء الرحمن
ما عبدناهم فكان الجواب منه جل ذكره على ذلك ما لهم به من علم ان هم الا يخرصون ففي هذا من الفقه ان
الله ان كلمة الايمان مقرونة بدليل من الكتاب او السنة او سنة واستسلام واجماع واقتداء وهو
المسمى اسلاما قال الله عز وجل قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم والعلم لا يكون الا بالبرهان
وصحة الدليل والا تحكم انه ظاهر من القول لم يثبت في القلب ولم يرتفع لو فوع الى السماء برهم
كلمة محسد من فوق الكلب قرارها ولا تؤتي اكلها ولا في حين من الاحايين كذلك كل كلمة حق
لم يتبعها علم يقين بشاهد من الكتاب والسنة او برهان صحيح فهو دالا سمعه جل ذكره

ردّ على قوم انكروا الرجعة بعد الموت فقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا الا الدهر والدهر اسم من اسماء الله جل ذكره ولما كان وفاقهم للخلق في اثناء انكارهم
للحق اجاب بقوله جل قوله وما لهم به من علم ان هم الا يظنون لم يجد اصابتهم كلا سنمحها بهم بالجهل في اقوالهم
وافعالهم اتبع ذلك قوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
هاتان كلمتان من امهات القران او القران وباجتماعهما يتم كمال الاسلام ويصح سلوك الصراط المستقيم
وبذلك يخرج العبد من الظلمات الى النور وسبيل الى الاسلام لا الاسلام لانهما شرطان لازمان في
لا محالة مع الاخلاص والخروج عن الهوى بذلك بتصديق وايمان اما بتصحيح برهان واما على تسليم
واتباع نبي ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ثم اضرب عن ذكر ما اضلهم
وعرض بقوله فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا احرص ان تكون نفسك بوجوب وعد الله جل
ذكره كوجوب كون الشيء دون غيره لذلك اعقب بقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون بفعل ذلك
ليجزى كلا بما عمل وليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين كقوله وليعلم
الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد في عرصة الحشر
يوم يقول ليتبع كل امة ما كانت تعبد لمعنى لهذه الوجوه وامثالها يبعثها الله جل ذكره بعد الموت و
فلانه النبا الدائم فاحكم به او فعله فهو ايضا دائم باق وانما املتهم بعد ايجادهم تفرقة بين عزتهم
وذلتهم ولبقائه ولالاهيته وحكمة الحق ودوام ميته الحق لم يسع تسواه اذ ليس ويه في صفاته ذلك
لانه له المثل الاعلى في السموات والارض فهو ذا امضى في حكمه واحكم قضاءه اوجدهم للبقاء والدوام
على سنن الشيء ونحن الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لانه هو المبدئ المعيد والاول
والاخر والمحيي والمميت فانهم اعقب ذلك بقوله الحق انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون الامر هنا بمعنى الشان فمعنى المراد قبل ايجاده اياه شيئا اذ كان عنده مشهودا يراه
ويعلمه ويسمعه حتى اوجده اذ شاء لما شاء على الموجود يختلف معنى الموجود وقد تقدم الكلام
في معنى قوله كن وانها الكلمة فيكون بشية قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون احال الله جل ذكره قريشا والعرب جهلهم
بهذا الامر على ان يسالوا اهل الكتاب هل الرسل الذين ارسل اليهم والى من قبلهم من كبرائهم
وانهم لم يكونوا ملائكة بل كانوا رجالا من اهل القرى ارسلهم الى الناس بالبينات اي بالمعجزات
ثم قال عز من قائل وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون والذكر قد
يكون القران نفسه قال الله عز وجل وهذا ذكر مبارك انزلناه وقد يكون بعض القران ومعنى
من معانيه قال الله عز وجل وهذا ذكر مبارك انزلناه وقد يكون بعض القران ومعنى من معانيه
قال الله عز وجل ص والقران ذي الذكر ثم قص عليه قصص الرسل والانبياء ثم قال هذا ذكر
ثم قال وان للمتقين لحسن ماب ثم والذكر ايضا قد يكون بعض ما اوحى اليه والى سواه من الانبياء
والرسل وان كانت الكتب كلها بما فيها ذكرا قال الله عز وجل كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق
وقد اتيناك من لدنا ذكرا اراه والله اعلم انما يشير به الى قوله قبل هذا انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شيء علما فان قصص الانبياء وذكر ايات الارض والسماء يكون ذكرا لانها تذكر

شهد نعلم لا اله الا الله والحمد لله وهو الله لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة الى اخر السورة
واية الكرسي وسورة الاخلاص وامثالها في القران هو الواقع عليه اسم الذكر شهودا وهو
القران العظيم لذلك وهو اعلم بقوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه
وساء لهم يوم القيمة حملا وهذا النوع من الذكر يخفف به الاوزار اولا ثم ما عداه من الذكر
ثانيا ويدل على صحة ما قلناه والله اعلم قوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا فهو الذكر الذي وقد يكون
الذكر المراد في هذه الاية المتكلم عليها ما لا بد منه قبل من حكم وايمان وما يحتوي الوحي من امر
وروح وبعث في روع والانبياء عليهم السلام به اعلم بقوله لتبين ما نزل اليهم وهو كقوله
ثم قال ولعلهم يتفكرون اي فيما اتاه من هذا اشار الى بعض عباده المؤمنين اذا تفكروا تذكروا
فاذا تذكروا ابصروا فاذا ابصروا علموا ما لم يكونوا علموا قبل التفكر قوله عز وجل افامن
الذين مكروا السيئات هم المتكبرون لما كان مكرهم من جنس ما تهد به الجبال وتتفطر منه السموات
وتنشق منه الارض كانت عقوبتهم ان يخسف الله بهم الارض الا ما عفا الله عنه من ذلك او ياتيهم
العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم هؤلاء هم الاتباع في اقبالهم وادبارهم لحال
سعيهم او ياخذهم على تخوف قال اي على تنقص والتخوف لغة في التنقص من دينه واسلامه
وايمانه بل هو عديم الدين مفلس من الايمان ويمكن ان يكون معنى التخوف وهنا احالة على اطراده
فانه يخاف عليه ان مات على ذلك ان يعذب بذنوبه ما لم يتب ان كان لا يقطع على ذلك فلذلك كان
لفظ التخوف اولى به وقد قيل ياخذهم على تخوف اي على تخوف بهم غيرهم فيجعلهم عظة لا حين
غيرهم والله اعلم يقوى هذا التاويل في انه الموجد المضي قوله اثر ذلك فان ربكم لرءوف رحيم قوله
تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون
اليمين والشمائل هنا والله اعلم بما ينزل الاضافة الى القائم مستقبل المشرق وهو وجه
الدنيا لطلوع انوارها من هنالك ونزل القران على نظر هذا وراه وكانت العرب
تنتجع في بواديها مستقبل الشمس وتسمي تلك الناحية القبول وتسمي ناحية المغرب على ذلك
الدبور والقبلة الجنوب والجوف الشمال فافرد ذكر اليمين لعمارة الضياء اياه وجمع الشمال
الظل لانه حيث حل من ذات الشمال من القائم فهو ظله وقال في موضع اخر الم تر الى ربك
كيف مد الظل يريد وهو اعلم من حين غروب الشمس الى قبل طلوع الشمس ثم قال ولو شاء
لجعله ساكنا كما قال ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم
بضياء بقول الله جل من قائل ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي ممتازا منه ليعرف به اوقات
الصلوات وغير ذلك بقوله جل ذكره ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا الظل اول النهار ذاهب ممتد
في جهة المغرب لمقابلة الشمس اياه طالعة من شرقها فلا تزال الشمس تطلع وهي في ذلك تسير في قوس
دائرتها فيقصر لذلك الظل فهو قبضه اياه اليه ولكنها سائرة في دائرتها تعرج شمالا منه فيكون
ذلك سجودا منها لموجدها وتوجيها لتاويل قوله انه يقبضها اليه اعني الظلال فذلك اثما لانه
بعدمها كما يقال في الميت انه ذهب الى الله ولانه يخلفه الضياء وهو نور والنور من شان البشر كذلك
الظلام فقوله يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون وهو في الظاهر
حال بفيئها امام ضياء الشمس وهي زائلة في السماء والارض فهي بذلك ساجدة داخرة

صاغرة اذ ليس يفعل ذلك بها سواه وانما سجودها اعنى ذات الظلال بسجود ضياء الشمس
وسجود الضياء بسجود نفس الشمس الذى هو ضياء لها محضة وله الحد فالضياء لا يزال يطردها
بامر الله مضطرة عن ما لتها داخرة ما دامت الشمس طالعة من مشرقها الى حد استوائها فيكمل اذ ذاك
قيام الشمس وسجود الظلال وذلك نهاية سجودها ثم ياخذ سجود الشمس فى الاعتدال بحال دحوضها
عن موضع استوائها فياخذ الظلال فى القيام لله لظهور سجود الشمس له الى حال سقوطها فى مغربها
وذلك نهاية ما يبدو للناظرين من سجودها وقيام الظلام فلا يزال الشمس حين طلوعها حال طلوعها
من الغد والظل قائم لربه جل ذكره كذلك الليل يطلع فما دام كذلك فهو قائم لباريه واذا سقط الشفق
خر ساجدا فلا يزال ساجدا بوجهه وقائما بوجهه الى ان تطلع الشمس قد قبض الى ربه وجعل الله
الشمس اية على حقيقة الليل الذى هو الظل بين طلوع الفجر وبزوغ الشمس دليلا فالظلال
ساجدة ما كانت زائدة على قامات اشخاص ما هى ظلال لها فهى اذا ساجدة بكرة وعشية وحالة
حال القيو ها فى حال تنقصها عن قامات اشخاصها وتتناهى سجودها وسجود الشمس فى السجود
الليل وبين التناهى فى ذلك هو حال ركوعها قال الله عز وجل ولله يسجد من فى السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وقد تقدم سجودها سبحانه وله الحمد كل
له قانتون بديع السموات والارض على ذلك فطرها وانا على ذلك من الشاهدين هذا
ذكر سجود الظلال واخر الكلام فى ذلك لسجود الشمس اذ هى دليل الظلال لسجودها بسجودها
ذلك قوله جل قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اى بدء ظلال الموجودات لسجودها هى
لباريها لسجد لله فسجودها ذلك كذلك يفعل الظلال فلله لو لم يجتمع ويفصل كفعله
والله يقول الحق وهو يهدى السبيل **قوله** تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة
لما ارانا سجود الشمس والقمر اعلمنا بان سجودها وغيرها من الموجودات التى هى لتلك الظلال
ظلال لها انما هو لله جل ذكره لا لسواه وانه كما يسجد ظل الشخص كذلك يسجد الشخص كيف لا
وانما يسجد الظلال بسجود ما هى ظلال لها كما تقدم اذ سجود الظلال لسجود ضياء الشمس
وسجود ضيائها لسجود حقيقتها فتقدير الكلام ولله يسجد ما فى السموات من شمس ومن قمر
وسحاب ورياح وهواء ومياه ورعد وبرق وافلاك ومشارق ومغارب والسموات وما
فيهن والارضين وما فيهن وما بينهن من دابة فنص فى هذه على ما لا يوصف بعقل ونص فى غير
هذه على ما يعقل فقال الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وعم فى هذه فى سورة الرعد من يعقل وجمع الكلام
الى تلاوة الاية الاولى قوله ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة ثم قطع
فقال والملائكة وهم لا يستكبرون اى يسجدون وهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
الى قوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون **فصل** اعلمنا الله تعالى جل ذكره بما
تلاه علينا ان السجود مقترن بالصغار والذل والاضطرار فافهم بما نزل فى سورة
الرعد ان الزيادة من الظل على قد القائم هو سجوده وكذلك النقصان فقال يسجد من فى السموات
والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال وانما يكون زيادتها ونقصانها بكرة وعشية
فالمفهوم من هذا ان الظل ما لم تزل الشمس ولم يفهم قائم فى حال الظهيرتين فهو متناه سجودها بعد

ما لم يتناه

وما لم يتناه ذلك منها فهو منها ركوع اذ هو بعض السجود **فوجه** فاذا سجود الاشخاص
كونها مضطرة لتكليف ذلك من ذواتها من اقرار واحوال وصور واعراض ومنافع ومضار
وصفات الى غير ذلك من انواع ما هى عليه مجبولة واليه مصرفة ومدبرة وابين ما يكون
ذلك فى الجماد والنبات وعلى ما يأتى تبيينها فى الحيوان وما فوقه **فصل** قال الله عز وجل
ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض ومن فى السموات ومن فى الارض فعم بحرف ما ومن
الدقيق من الموجودات والجليل وما لا يوصف منها بعقل وما لا يوصف به وقال ولله غيب
السموات والارض ولله ملك السموات والارض وما هو ملك لله ساجد لله لا محالة وفيما
تقدم من ذكر الحق ان الدنيا نبذة من الاخرة خيرها وشرها سرائها وضرائها
فالجنة موجوداتها اسرع سجودا واوضح تسبيحا واغرق فى صفة العبودية وجودا
وكذلك النار اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ولما اذن الله جل ذكره لجهنم ان تتنفس
نفسيها المعهودين احتقنهما الفلك الدوار باجرامه واجراهما فى الرياح واشاعهما فى الاجرام
واسكنهما فى الارض يبطن هذا باطنها دهنا ويظهر هذا باطن هذا وادا دهاها فيها
وادبا دهما فدوا اثر محكمة التداول وبوأهما سموات هى مطالع الشمس ومواقع النجوم قال الله
عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم يعنى مواقع منازل الشمس والقمر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تطلع من وصمة الا فتح له باب الى النار فهذا فتح جهنم من الدار
الاخرة الى دار الدنيا ثم هو جل جلاله يفتح رحمته اذا شاء ويرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته
فينزل الماء من السماء الى الارض فيخرج به جنات معروشات وغير معروشات اجرى الله تعالى
جل ذكره هذا الفتح على حكم مشيئته وعلى حكم المفهوم وعلى مواقع النجوم لذلك شمس الانوار
فهذا فتح الله برحمته من الدار الاخرة الى الدار الدنيا اظهر الله بذلك قدرته ومشيئته
وحكمته وحكمه فهى تسبيحه فى خزائنها وغيابات غيبها وتسبيحه فى مشاهدها ثم اوجد عين
ذلك فيما هنا اربع شعب حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة لجهنم منهن الثلث ثم اوجد
من امتزاجهن خلقهن ماء ونارا وهواء وارضا فالحق كل نوع بنوعه الذى هو اولى به
فهذا وما قبله اضطرار لازم وصغار محيط بهن استلحقهن من اجل ذلك الالحاق بالاجناس
ثم مزج الممتزجات وقارب بين المتباعدات والف بين المتنافرات وجمع بين المتضادات فظهر
بذلك الصغار والقهر ظهورا بينا ثم انه لما اذن فى جمع مواد الخلقة جميعها من مفترقات
اماكنها ودعاها من الخزائن اتت صاغرة واجابت الدعوة داخرة فتبين السجود اكثر
تبيانا واوضح انشراحا فانظر وفقك الله لما كانت موجودات الاخرة معربة فيما هنا لك بالتسبيح
والتحميد والذكر والتوحيد والسجود معلنة لضرورة ذلك جبلة وتحية ولما اخرجها الى
الدار التى اسسها على الايمان بالغيب واوجدها للابتلاء استر تسبيحها واخفى سجودها
واعلمنا بما هى عليه من ذلك لينظر كيف نعمل فى التصديق لعبيده والايمان باعلامه وكمل بما
كلفها وشرح لها من هدايته ثم هو لان جل ذكره بشئ اعلامنا انا الى ان يصيرها
حيث ستخرجها فيعيدها الى حال اعلانها وهو المبدئ المعيد ومنذ اوجد جل جلاله جميع
الاصول الاربعة امر الملائكة عليهم السلام بجمع المواد ومزج ما هو من شانه الامتزاج وفرق ما كان

التفريق وتصعيد ما من شانه التصعيد وامشا ما من شانه الامشا وانماء ما من شانه الانماء
وتصوير الصور وتخطيط الاشكال وربط ما من شانه الرباط وحل ما من شانه الحل فيعملون
بامره ويستعملون باذنه وهم يسجدون في مستودعاتها من الخزاين وحملها فانه لمضطرها والوجود
تسجد لبدا خرة حال ما فيها الى دعوته اياها والنازعات والجاذبات والناشرات والماسكات
والدافعات والملقيات للامر بشية ربهم عز جلاله والناشطات والفارقات والمنميات والمهات
والمغذيات وجميع المدبرات للامر يسجدون لجد ربهم ويسجدون له ويفعلون ما يؤمرون
والموجود عنه ساجد لربه داخر لبارئه خاضع لعزته يصرفه كيف شاء ويقلبه لما يريد فهو
اعني الموجود ساجد بكله وعابد بجملته على كل احواله وجميع جهات معانيه **فصل** هذا من
هو نبات وشخص له ظل وقد اخبر الله جل ذكره ان ظلال الاشخاص يسجد له وانا كيفية
سجودها في حال تفيؤها ثم اخبر بصدق قيل ان الاشخاص يسجد له ايضا فمن الواجب الايمان
وتحقيق وجودها ساجدة مسبحة له الا ترى ان احدنا اذا صلى صلى معه ظله يقوم لقيامه
ويسجد لسجوده ويركع بركوعه ويجلس بجلوسه وكذلك سواءنا من الاشخاص وان كنا
لا نرى سجودها ولا نسمع تسبيحها فالايمان بصدق كلام الله انها تسجد وتسبح يوجب تحقيق
ذلك ويمكن ان يكون زايدا الى ما تقدم ذكره بحركها بالرياح وتحريك ما يحركها وتشش
ما له تشش وصرصرة ما له صرصرة تسبيح اذ لا حركة لها الى هوى ولا تصويت ملهى
فصل واما كونه ساجدا من حيث هو حيوان فقد تقدم في غير هذا الكتاب من شرح
اسم الجبار جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الكلام على الحركة ومنبعها وانها تنقسم اعني
الحركة الظاهرة والباطنة الى نوعين ضروري وهو الاصل فيها وكسبي والى الضروري يعود
هذا النوع فاعلم ذلك وتقدم في ذلك ان الاضطرار ايضا على نوعين اضطرار قدرة
وارادة معا وذلك كحركة المحل بالفالج والحمى وهو هذا وكحركة الشجر بالريح واضطرار
ارادة فقط كحركة الذي تقدم الى القتل فيفعل ليسعى الى المكان الذي يقتل فيه بقدرته لا بارادته
كذلك اضطرار القدرة هو عجزها عن مرادها هو عجز وصغار عما يريد المحل وفيما تقدم
ان التاثير لازم عن الحركة باذن الله عز وجل كالالم عن الضرب وقطع المسافة عن الانتقال
وتسويد الكاغد بالمداد مع تحريك القلم عليه باليد وكذلك الصورة لازمة عن التاثير باذن
الله كتصوير الحروف على تسويد الورقة بالمداد حتى يكون الحروف على صورة يتميز بها المعاني
والحركة لازمة باذن الله عن القدرة والقدرة لازمة عن الارادة ووجود ارادة المريد منفرج
من خزاين الغيب موجود عن العالية والعلم السابق والقدرة المحيطة يقول الله جل ذكره وما تشاؤون
الا ان يشاء الله فاذ قد تمهد هذا فالجبر ظاهر والاضطرار بين وان وجد الاختيار في الجبر
او له وهو الاصل الذي ينبعث عنه فالحيوان اذا ساجد لربه صاغر لقوله جابع لعلانه وتفعل
فعله من ذاته ولا يختار على الحقيقة الا الذي قد شاء خالقه ليتم لربه ما تقدم فيه من امره
وتقديره **فصل** ثم على هذا اذا انبعث الى ما هو خير ونفع لا هل الايمان فهو مسخر وان
ندرت منه نادرة فهو مسلط وان كان بعض ما يظهر منه لا يبد ومنه الخير ولا الشر كاللعب
والمزح والاقبال والادبار فهو ايضا سجود لبارئه اذ يفعل ذلك لما قد قدره له ربه

من اصلاح نفسه ومزج اخلاط تركيبه وكلامنا هذا كلام على غير المكلف من الحيوان
ولما كان جميع ما سخره لنا رب العالمين من سموات وارضين وجبال وشمس وقمر ونجوم
ورياح وسحاب وغير ذلك مما هي داخرة الى ربها خاضعة ساجدة وهي نافعة لنا باذنه
جاعلها فهي لذلك مسخرة فلم يكن لها غذاء يحتاج لاجله الى حركة تدبر مقدار ما جعلت له
وكان الحيوان ذو الغذاء محتاجا الى هضم ما جمعه في جوفه واحتمل في اخلاطه ابيح له على سنن
شرع الفطرة المرح واللعب ليصلح بذلك ما زاد به على غيره من المسخرات الغائبات **فصل**
فان كان هذا الحيوان مما لا ينبعث الى خير على الاغلب ولا الى نفع فهو ساجد لربه بما هو
مضطر ومدبر وهو مبعد عن التسخير رجيم مرجوم عن منزلة القرب وقد سمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كثيرا منها فواسق وانها من الشياطين ونحو هذا واما الانسان فعنده انتهى
حقيقة السجود بالاضافة الى ما تحته من العوالم لظهور معاني الفطرة فيه بالاسلام لوجهه
وتحقيق النية على سنن الشرعة وايضا الذكر منه بالعمل الذي امن به واسلم له وليس السجود
الذي تقدم ذكره قبل هذا المقام الذي هو مقام الانسان الذي اقتصر عليه بنافع عند الله جل
ذكره ولا ينجيه من عذابه قال الله عز وجل الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم الى قوله وكثير من الناس ثم قال وكثير حق عليه العذاب من لم يسجد هذا
السجود المقترن بالعلم والايمان والاسلام وحسن الاقتداء بالرسل صلوات الله عليهم وسلامه ثم
يتفاضل السجود بتفاضل الايمان وتحقيق الاسلام وتحسين الاقتداء وتحقيق الشاهد و
الاخلاص والعلم واليقين والطهارة وتسديد النية وتعظيم المعبود والاجلال له والخوف
منه والاعظام والمحبة والرضاء الى غير ذلك من حلى الاسلام وحقايق الايمان ثم سجود
الملائكة ارفع مما تقدم لتحققهم في هذه المعاني ودوبهم وكدهم قال الله عز وجل يسجدون الليل و
النهار لا يفترون فوصفهم بالاخلاص والخوف والطاعة له في قوله يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون
ما يؤمرون وهم لا محالة يعلمون ما يفعلون لبعدهم عن الغفلة **قوله** عز وجل وقال الله
لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد من اتخذ الهين او اكثر فلم يعبد الله ولم يسجد له ولم يات له
والله لا يدخل في عبادته مع شريك ولا في عدد بل هو الواحد الاحد ليس كمثله شيء يقول عز
من قائل فاياي فارهبون هنا محذوف تقديره فاياي فاعبدوا بالاخلاص فاحذروا او ما يكون
في معناه فارهبون وعيد منه على ذلك وتهديد منه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للذي
ولاه على الحمى ادخل رب الصريمة ورب الغنيمة واياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان ثم يرد
على هذا ما هو في معناه **قوله** وله ما في السموات وما في الارض وله الدين واصبا افغير الله
تتقون وما بكم من نعمة فمن الله يقول الله جل قوله كيف لا ترهبون من له ما في السموات وما في الارض
ومن له الدين واصبا اي دائما يسجد له من في السموات والارض ويعبده كل له قانتون كيف تشركون به
سواه كيف لا يعبد ومن هو الواحد الاحد كيف تتقون غيره ومن سواه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا
ولا تتقون من لا يكون كاين الا عن مشيئته ولا يكون شيء في السموات والارض الا باذنه وقد علم
ان كل نعمة بكم فمن الله اقرت بذلك السنتكم وعرفته قلوبكم واذا مسكم الضر بدا ذلك منكم وجاء وتم
به وظهر على احوالكم بالجوار اليه والتضرع ثم ابيتم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون

يقول انا قضيتم ما تقررت معرفته فی قلوبکم الذی نوفکون عن حقیقتکم **قوله** تعالی لیکفروا
بما اتینا ولیتمتعوا فسوف یعلمون کما یقولون فی المحز نب التمتع بعضنا ببعض ظاهر
التخییر ومعناه الوعید والتهدید بما تبع ذلک قوله جل ذکره ویجعلون لما لا یعلمون نصیبا
مما رزقناهم لیس لهم علم بما یعبدونه من دون الله انما وجدوا اباءهم علی امة فهم علی اثارهم
یهرعون کیف یکون لهم بهم علم وعلم الغیب والشهادة لا علم عنده لشریک فی ملکه خلا
انها اسماء سموها هم واباؤهم فهم یعلمونها ثم قال جل وتعالی ویجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما
یشتهون ای البنین الذکور واذا بشر احدهم بالانثی نسبه الی الرحمن جل وتعالی ای بالانثی ظل وجهه مسودا
وهو کظیم یکظم غیظه ثم لا یبشی دون ان یمسکها علی هون ام یدسها فی التراب یرید ما کانوا یفعلون
من واد البنات الا ساء ما یحکمون ان یصفوا الله الخالق بالولد ثم لا یرضون لهم الا الذی یکرهونه
من ذلک سبحانه وله الحمد یقول الله جل ثناؤه للذین لا یؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلی
وهو العزیز عما یصفونه الحکیم فی جعله غضبه وعقابه ولعنته علی الظالمین الذین یصدون عن سبیل الله
ویبغونها عوجا **قوله** تعالی ولو یؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترک علیها من دابة یشیر وهو اعلم
الی المفهوم من قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شیئا ادا تکاد السموات یتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا **قوله** تعالی ویجعلون لله ما یکرهون یرید
والله اعلم الشرکة یقول جل وتعالی وهم یکرهونها فی اموالهم وما ملکت ایمانهم ویجعلونها له وهم علی
جهلهم بضلالتهم تصف السنتهم الکذب ان لهم الحسنی بعد والله اعلم بما ینزله المکانة لذلک والرفعة
عند الله جل ذکره هذه من الحسنی بالاضافة الیهم لانهم کانوا لا یؤمنون بالجنة ولا بالنار ولا بالبعث
الی ذلک یقول الله جل من قائل لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون بفتح الراء وتخفیفها ای مقدمون الیها
مفرطون بکسر الراء وتخفیفها بمعنی انهم تجاوزوا القصد فی الکفر والجهل مفرطون بکسر الراء و
تثقیلها ای انهم فرطوا فی حظهم من الله والدار الاخرة فاضاعوه وفیما تلاه علینا ربنا جل ذکره
البیان البین ان الکفار ینزلون فی دار البرزخ جهنم او ما یکون عنها فیما هنالک اولهما **قوله**
تعالی تالله لقد ارسلنا الی امم من قبلک فزین لهم الشیطان اعمالهم فهو ولیهم الیوم هذا منتظم بما
تقدم ذکره من البرزخ والوعد والوعید للمکذبین فقوله جل قوله فهو ولیهم الیوم ای فی الدار الوسطی
دار البرزخ اتبع ذلک ما هو شرح له وما انزلنا علیک الکتاب الا لتبین لهم الذی اختلفوا فیه وبما
اختلافهم فی وجود دار البرزخ وهدی بما فیه من الاخبار عن ذلک وبما فیه الوجود ورحمة
لقوم یؤمنون بالله والدار الاخرة وان الله جل ذکره قد جعل الایمان به وبرسله وکتبه وبالدار
الاخرة مصباح الباطن ونور البصیرة والله یهدی من یشاء الی صراط مستقیم **قوله** تعالی
والله انزل من السماء ماء فاحیی به الارض بعد موتها نظم هذه الایة بما قبلها لتقارب معنیهما یقول
والله اعلم بما یقول انظر والی انزال الله الماء من السماء واحیائه الارض بعد موتها کذلک
ینزل الله العلم والکتاب من السماء فیحیی به القلوب بعد موتها بالجهل ویحییها بالذکر بعد الغفلة
وکما فی الارض قطع طیبة فتشرب الماء وتنبت نباتها باذن ربها واخر منهن خبیثة تحبس
فیها الماء اجاجا وزعاقا واخر لا ینبت نبتا ولا یحبس ماء کذلک من القلوب ما تعی للعلم وتطلبه
وتعمل بما فیه وقلوب خبیثة یحیل الهدایة الی الضلالة والعلم الی الجهل بانتفاعها الفتنة فیه

غافلة

غافلة لا تعمل بالعلم ولا یرفع به راسا ان فی انزال الماء الی الارض لایة لقوم یسمعون علی
انزال القران علی القلوب وعلی احیاء الله الموتی بعد الموت وعلی وجود انهار الماء فی الجنة التی
قال ان فی ذلک لایة لقوم یسمعون الی بما فی الجنة من موجوداتها تعالی وان لکم فی الانعام
لعبرة نسقیکم نظم هذا بما تقدم فاظهر اسم العبرة وکان قد ابطنها قبل وان کانت المقصود
المطلوب فوائت نسقیکم برفع النون وفتحها من سقی واسقی لغتان فی ذلک مما فی بطونه
بالضمیر مذکرا والانعام مؤنثة عاد الضمیر علی المذکور وعلی الجنس وعلی النعم
ذلک کله جائز سائغ من بین فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربین وهذا وصف شارب
الی موجود اللبن فی الجنة وان کان ذلک علی اکرم الوجود واتم الوصف واشار الیه بقوله لبنا خالصا
للشاربین **تنبیه** لیس بان یجری اللبن بین الفرث والدم انما معنی ذلک ان الغذاء الذی یکون
الله منه لبنا اذا بلغ تلک الاکواد ویحصل فی العضو احاله الله لبنا کذلک سبیل الدم اذا بلغ
الغذاء الکبد استمر العروق احاله دما فی الکبد واما الفرث فانه یذهب علی سبیله والغذاء هو
بین ان یکون منه فرث ودم ولبن فاللبن والدم والفرث باطن فی الغذاء المتغذی به الی العروق
والعظام والمخ واللحم والعظم والعصب والرباطات وجمیع اجزاء الجسم باطن فی الغذاء بل
الصفات والاخلاق والجبن والشجاعة والعلم والعقل والحلم والغضب والرضی والهوی
والحمق الی غیر ذلک باطن فی الغذاء یخرجه القادر الحکیم الخبیر یقول الله جل ذکره للاغذیة
المتغذی بها اسلکی سبل ربک ذللا اللحم والعضل والشعر والبشر وجمیع اجزاء الجسم
ثم الصفات والاخلاق والاعراض الظاهرة والباطنة وکذلک الاعمال کلها حسنها وسیئها
ثم الحفظ والذکر والوهم والفهم والمیز والفکر والفطنة وجمیع توابع الوجود والله
جل وعز یامر ویاذن للملائکة علیهم السلام ان یکتب ویخلق خلقه ویوجد علی ایجاده فی ذلک
بان الله هو الحق ومنزل الحق وجاعله ومحققه وموجد الحق بالحق لا اله الا هو الحق المبین
وفی هذا من داب الاعتبار ان ینظر الی الموجودات فی ظواهرها ثم اعبر من ظاهر الی باطن
ومن حال الی مستقبل وکما مر علیک فی هذا الاعتبار کذلک الدنیا ظاهر فاعبر الی باطنها
وهو الدار الاخرة کذلک الشهداء والاموات ظاهرهم الموت فاعبر من ظاهر ذلک الی باطنه وهو
حالحیوتهم حینئذ فالحیوة باطنة منهم قد جاء ان شجرة طوبی تنشق لاهل الجنة عن الحلل
وعن القرب الاتراب وعن مراکب وملابس وعما یشتهون وانما هی شجرة من کرائم شجر
فادرج وجه اعتبارک الی شجر الدنیا ومراکبها ولذاتها ونسائها وکل شیء من ماکول
وملبوس ومرکوب عنها فکذلک ما جاء من شجر طوبی وغیرها من شجر الجنة وارضها وما یکون
فیها وعنها غیر ان هذه بالکد ومعالجة وصبر الی اجال موقتة وما امر الساعة الا کلمح
البصر او هو اقرب ان الله علی کل شیء قدیر قال الله عز وجل انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابکارا عربا اترابا لاصحاب الیمین قیل انهن ینشان فی سواحل الکوثر وانهار سواه کذا
کانوا فی الدنیا یاکلون من الارض لکن علی مهل وتدریج واتمام کلمة نسبه فهکذا استقر الموجودات
ثم اعبر مما ههنا الی ما هنالک یصح عندک وجود ما هنالک کاخذ بالید وکرای البصر
والله نسئله من فضله حسن المزید واتمام نعمته وبوجه اخر وان لکم فی الانعام لعبرة

نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين علم جل ذكره صنف
الاعتبار بالقران وبالموجودات في دار الدنيا بقول الله وهو اعلم بما ينزل اخذوا علم القران
من ظاهره وباطنه واستخرجوا بالايمان والهداية من الله من متشابه معاني الوحي نور الالباب
فشفا ما في الصدور وفيما بين هذا وهذا الم تر الى ربك كيف شبه انزال القران بانزال الماء من السماء
وفي اعلا الماء الزبد والطحلب وفيه الحماه الارضية وانما الصافي الذي فيه الشفاء والنفع
بين ذلك فالقه عن ربك كذلك الموجودات في دار الدنيا فيها خالقها الكريم
ذكر وفتنة فاعبر من الفتنة الى الذكر ومن شبه الى خالص النور والذكر والهداية نظم
قوله عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا يقول وهو
اعلم بما ينزل ان في ظاهر ما يرونه من ثمرات النخيل والاعناب باطن هو سكر وهو خمر
حسن مما تمسونه وتدخرونه دبسا وتمرا وغير ذلك من المدخرات كذلك في ظواهر
بواطن هي خلاف ما يبدو اكثر منها مبهمة كذلك في الوحي باطن يبدو ومع الفكر وترداد
التدبر والدوب مع الصبر وطول المثابرة وبما عرض بقوله تتخذون الى ترداد الفكر
والتدبر والصبر والله اعلم فكما ان السكر والرزق المدخرين من ثمرات النخيل والاعناب لا يحصل
الا بمعاناة وصبر وكذلك العلم لا يحصل عن الوحي وظاهر الكون الا بالمعاناة ومقاساة
الصبر وتكرير الفكر على الذكر والذكر على الفكر لذلك وهو اعلم بما ينزل قال ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون اي يعقلون البواطن من الظواهر **قوله** تعالى واوحى ربك الى النحل
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يريد من بناء وبيوت وغير ذلك ثم كلي
من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يمكن ان يكون المراد بقوله اسلكي النحل ويمكن ان يكون
المراد الثمرات الماكولات اي اسلكي سبل ربك في الخلقة ثم اخبر عما يخرج من بطونها شراب
مختلف الوانه فيه شفاء للناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاء في ثلث شرطة محجم
او لذعة بنار وشربة عسل وفي مفهوم هذا الخطاب العلم ايضا بكيف يكون المؤمن في
دنياه كيف يرتزق ومن اين يطلبه وكيف يكون في اعتباره وما يوصله الى المطلوب الاعلى
والمنتهى الارفع والنظر في الموجودات فمثال المؤمن التقي مثال النحلة تاكل طيبا وتصنع
طيبا وترتزق من المباحات واوحى اليها ربها بالهام الفطرة كالمؤمن سواء يسلكن
سبل ربهن في معاملاتهن بحكمة في ساعاتهن وسيرهن كلها فياكلن من كل الثمرات فيصيره
الله عسلا مختلف الالوان كذلك المؤمن الناظر في مخلوقات ربه وكذا المعتبر باياته الى ما هي
ايات يقع بوهمه على جميع المعتبرات ويسرح في المصنوعات وسمعه ايات ربه في الارض والسموات
فيمرس بفطنته ازهار الموجودات وياكل بالتذكر منه من كل الثمرات ويتطعم بالعلم من كل الذات
فيعقل قلبه انواع المعقولات من امارات الاسماء والصفات في كل الموجودات ويجمع في لبه انوار اليقين
فترجع اليه تلك الخطوات مترعة بالعلوم منشرحة بالكنوز المبين فيخرجها الله على السنتهم ادوية
يحيي بها الموتى ويشفي بها غليل الصدور ويسمع بها الصم ويهدي بها العمي ويغني ببركتها الكر
ويطلق بها الزمنى ويصير بها الاعداء اولياء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد فيض
اقوام سلكوا بعض هذه السبل واقتفوا طرفا من هذا الدليل فتعرفوا معاني بعض الموجودات

في الهواء والمياه واكثر المابعات والارض وبعض الجمادات والحيوان والنبات وان كانوا
لم يبلغوا المطلوب الاكبر ولم يصلوا الى المبتغى الاعظم لبعد وابالصعود الى السموات العلى
ولا عرجوا الى السدرة المنتهى ولا ظهروا الى المستوى فيسمعون صريف الاقلام ويلمحون فصل
الخطاب لكن وصلوا بعون الله الى جمل من علم الادوية والادواء فوجدوا المعاني الموجودة في
هذه المكونات على جري العوائد فسموها طبايع لما وجدوها موزونة بقسط معلوم على
الاهوية والبلدان وساكنيها واحوالهم فاستقامت لهم على ذلك الى ما قرب من مقاصدهم
واضحة اوائلها مسلوكة لاحجة واعاليها مظنونة غاية لا قطع لهم بحقيقتها ولا ثبات
على خفاياها قطعت بهم الكلمة ورحمها التوكل فانخرق عندهم لذلك الاجماع ولم يتوقفوا
هذه في صدق ضمانها وتحقق وجود مطلبها **فصل** في هذه الثلث علم عبر ما تقدم
وهو انه قال في الاولى والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض الى اخره وهو فعله
والارض وقال في الثانية ما هو فعله في الانعام وفي الثالثة ما هو فعلنا في النبات وفعلنا
وفعلنا نحن كسبنا وفعل له فاعلم بذلك انه يستعملنا ويستخرج بافعالنا اعاجيبه
بافعال اسعاره بذلك ان كلا منه وبقوله والله خلقكم وما تعملون وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وسبيل العبرة من هذا انه خلق الجنة والنار خلقا واستعمل العاملين بما
سبق الى موجوداتها على ما سبق في تقديره فهو يستخرج باعمالهم ثوابا وعقابا اعجب من
موجودات ما هنالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم يغدو الى المسجد ويروح
فيهيئ الله له بذلك نزلا في الجنة كلما غدا او راح **فصل** في هذه الثلث لايات سبيل
من الاعتبار سوى ما تقدم قوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة الى قوله يتفكرون وقال الله
عز وجل في غير هذه السورة مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء الى قوله ولهم فيها من
كل الثمرات فجعل جل جلاله لبن الانعام في هذه الدار لقلتها وصغرها اية على انهار اللبن فيما
هنالك لعظم تلك الدار وسعتها وفخامة شانها وكذلك جعل من ثمرات النخيل والاعناب
اية بما يستخرج منها بالاصطناع والعصر من الخمر اية على انهار الخمر فيما هنالك كذلك جعل
ما يخرجه النحل من ازهار الحشيش والنبات وياكله من كل الثمرات اية على انهار العسل فيما هنالك **فصل**
انظر الى ما بين الانهار من الماء واللبن والخمر والعسل فيما هنالك والى ضعف منبعها فيما
هنا فاقض بفضل ما بين خمر وخمر ولبن ولبن وعسل وعسل ثم كذلك نعم بهذا القضاء غيره
من جميع موجودات ما هنا الى موجودات ما هنالك ذكر عن كعب الاحبار رحمة الله عليه انه قال وحكاه
عن الكتب الاول النيل نهر العسل في الجنة ودجلة نهر اللبن في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة والفرات
نهر الخمر في الجنة فاطفا الله نورهن لتصرهن الى الجنة وصح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوله ان النيل والفرات وسيحان وجيحان من اودية الجنة وهذا نص على ما هي الجنة
في الارض وما علا منها اعلا واجل واما التاويل فاللبن فيما ههنا وفيما هنالك هو الفطرة
وعلى الاسلام فطر الله كل شيء وهو الدين القيم وتاويل الماء هو الحيوة وجعلنا من الماء
كل شيء حي وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون والخمر معناها وتاويلها النعيم
واللذة وانهار من خمر لذة للشاربين وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره شراب

اللبن في تاويل الفطرة والخمر في تاويل النعيم واللذة وليست هذه الدار كذلك
ولذلك هي معناها على ما هي عليه من سلب العقول وصدها عن السبيل وكل ما يلهي هنا ويصد عن
ذكر الله عز وجل وعن الصلوة قال جبرئيل عليه السلام هديت للفطرة ولو اخذت الخمر غوت
امتك وتاويل العسل العلم وقد تقدم **قوله** تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد
الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اعلم جل ذكره ان امره قد اجراه على دوائر
محكمة التدوار فذكر الخلقة ثم التوفي وامسك عن ذكر الاعادة اذا الوجود قد
كشف عن حقيقة علمه وفي الكلام ما يدل على وجوبه وذكر انه يرده الى ارذل العمر تعريضا
بانه يعيده الى عدم العلم والتمييز كما بداه ثم نص على ذلك بقوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا وقد
كشف عن معهود ذلك الوجود في قوله يرده نص على معنى ذلك انه متصف جل جلاله بالاقتدار على
الايجاد الاول عن عدم وهو بالبعث ايضا ثم على الاعادة بعد البداية ليس كمن يدعونه من دون
الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وفيه ايضا تعريض خفي بذكر الخلقة التي
نص عليها بقوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وعرض بها في قوله تعالى خلق السموات والارض
بالحق وصوركم فاحسن صوركم وبقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم بين نظم هذا
من جهة المعنى بقوله في صدر السورة خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق
الانسان من نطفة فاذا هو خصيم يقول جل قوله وهو اعلم بما ينزل والله خلقكم في احسن
تقويم ثم كان التوفي على ما تقدم من معناه خاصا بالذي يختصر فيموت غبطة في حال الشبوبية ثم
منه قوله اني متوفيك ورافعك الي ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر ثم
لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ونحوه يقول وربما اذ لم يتوفاكم حال الاستواء
وردكم الى ارذل العمر لكيلا تعلموا بعد علم شيئا اي وانه ان كان قد صوركم احسن تصوير
فانه يميتكم اذا شاء وكيف شاء ويردكم من بعد حسن التصوير من العلم والحلم والذكاء
والفطنة وحسن التخطيط الى ارذل العمر ولله المثل الاعلى في السموات والارض
لذلك وهو اعلم حتم الاية بقوله وهو العليم لا يستحيل علمه القدير لا تعجزه **قوله**
تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فهم فيه سواء معنى هذه الاية والله اعلم منتظم بقوله ويجعلون لله ما يكرهون
وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى الاية كما اخبر عن بعضهم ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا ومعنى الاية معنى قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم
هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم بقوله وهو اعلم من الذين خص اهل البيت
بالبيان واهل الفاقة بالفاقة في دار الدنيا حتى لا يستطيع هؤلاء ان ينالوا منزلة
هؤلاء وهؤلاء منزلة هؤلاء ثم قال انتم لا تسمح انفسكم بان تشركوا ما لكم في الذي
الذي رزقناكموه حتى تكونوا على السواء انتم وشركاؤكم الذين منتم عليهم بالملك والاعطاء
تخافونهم في الذي مننتم عليهم به كما تخافون انفسكم في ذلك وتزعمون ان الله يفعل ذلك على عزته
وقدرته ومضاء مشيته وعظيم شانه ثم قال عز من قائل افبنعمة الله يجحدون جا نعم

الله واعظم منته على العباد ان كان ربهم العلي الكبير ذو الاسماء الحسنى
والصفات العلى الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد هذه نعمة
الله التي يجحدونها سبحانه وله الحمد المنزه عن ان يصيبه ذل الشركة فيجعل اولياء من
ذلك او يكون في ملكه ما لا يريد عمده والى افضل نعمة اوتوها واكرم منة منحوها يجحدوها و
جعلوا رزقهم انهم يكذبون فالحمد لله على النعمة به منه حمدا لا يقدر قدره ولا يبلغ
كنهه كما ينبغي لعز جلاله وكرم وجهه وسبحات قدسه ويمكن ان يحمل معنى قوله جل وعز والله
فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم
الاية لان الفضل الذي هو الايمان والفضل والمغفرة والرزق والتوحيد والعمل بطاعة الله
عز وجل وهو رزق الذي لا يستطيع احد ان يرده على سواه انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء فيكون على هذا مثلا لاهل الايمان الذين يرزقهم الله الايمان به وبرسله والعمل
بطاعته في دار الدنيا ثم الموحدين عند الله عز وجل من الحسنى وحسن المنقلب ان شاء الله عز وجل
قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة و
رزقكم من الطيبات هذه اشارة الى الوحدانية وما تفصل عنها من الكثرة بقوله خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء لكنه استاق ذكر البنين والحفدة
مساق تعداد النعم والحفدة قيل هم البنات والاصهار وقيل الخدمة والاعوان والحفدة الصابون
البنين فكل من اسرع في حاجتك وحفد وتشمر اليها فقد حفدك والحفد الاسراع في الحوائج ومعونة
ونصرة ومنه الدعاء اليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد اعلم في هذه الاية ان
الكثرة عن الوحدة كما المفعول عن الفاعل كذلك الله الواحد الاحد خلق ادم واحدا فردا خلق منه
زوجه وبث منهما ما بث كذلك انزل من السماء ماء واحدا طاهرا خالصا فضله الى المواجهة بالخطاب
المؤمنون اذ كان معنى صدر الاية والمقصود منها تعداد النعم بالوحدانية ولما اكمل ذكره ما اراد ذكره
والى وصف كفرانهم وذكر ضلالهم صرف وجه الخطاب اليهم بقوله جل من قائل افبالباطل يؤمنون
الذي امنوا به ههنا هو جعلهم له البنين والبنات والانداد وتكثير الالهة بغير علم ولا هدى
من الله سوى انهم راوا انفسهم ذوي بنين وبنات وحفدة فاضافوا اليه مثل ذلك
فهذا هو الباطل الذي امنوا به وكفروا بنعمته بانه الواحد الاحد ليس كمثله شيء وبانه رزقهم
من الطيبات وبانه رزقهم البنين والحفدة والاموال التي هي زينة الحيوة الدنيا وايات من عنده
على موجودات الجنة من طيباتها ولذاتها ووصفائها وغلمانهم فيها اتبع ذلك بما هو في معناها
قوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون هذا تتميم للعبرة
التي تقدمت وكان سياق هذه الاية فيه تقديم وتاخير معناها على هذا ولا يستطيعون لهم شيئا لكنه لما
لم يكن لمعبوديهم شرك في السموات ولا املاك وله وسط لفظ شيء ليكون لها وجه الى عموم نفي الملك
للرزق قليله وكثيره ووجه الى انهم لا يستطيعون ذلك اذ لا املاك لهم فيما هنالك فعرض بذكر
الاستطاعة الى هذا المعنى وقدم لفظ الشيء توسطا بين المعنيين وهذا من المطلع المذكور في القران
العزيز ثم قال فلا تضربوا لله الامثال اي لا تجعلوا لله مثلا فانه لا مثل له لهذا قال عز من قائل ان الله
يعلم وانتم لا تعلمون وقد كانوا نحوا معبوداتهم الاوثان والاصنام على صور الادميين كذلك قال

لهم ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون **قوله**
تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الى اخر المثلين لما نهاهم جل ذكره وتعالى علاؤه وجده
عن ان يضربوا لله الامثال من اجل جهلهم اخذ هو جل وتعالى يضرب لهم الامثال لانه هو يعلم
وهم لا يعلمون فضرب مثلا لعبد مملوك لا يقدر على شيء وهو الكافر لا تقدر على العمل بطاعة
الله وفقير من الايمان عديم من جميع ضروب الاحسان ويصلح ان يكون مثلا للمعبود من دون
الله جل ذكره وبعبد رزقه الله رزقا حسنا يعني الهدى والايمان والقوة على طاعة الله
والعلم واليقين والرزق والحلال فهو ينفق منه سرا وجهرا ويصلح ان يكون مثلا
لله له الحق جل جلاله وله المثل الاعلى كما ضرب لنوره مثلا بالمصباح ثم قال هل يستوون جاء
بلفظ الجمع وانما ضرب مثلا بعبدين يريد وهو اعلم المؤمنين والكافرين ويمكن ان يكون
المراد بذلك الالهة المتخذة من دون الله وما سموها به من اسماء وصفوها هل يستوون ومن
من يهدي ويخلق ويرزق ويقدم ويؤخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين الله سحا لا يغيضها
عطاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض مما في يديه شيئا
لهذا ونحوه قال جل من قائل بل اكثرهم لا يعلمون ثم ضرب مثلا برجلين احدهما ابكم عاجز
لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه وكل معول فهو كل اينما يوجهه لا يات بخير كذلك
معبودهم ان دعاه عابده لم يجب له وان ساله لم يعطه وان استنصره لم ينصره لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني شيئا وقرأها عبد الله ولاهم اينما يوجه بفتح الجيم وهما واحد فهذا مثل للصنم
والوثن وجميع المعبودات من دون الله ولما كان المعبود ان يكون من الالهة المتخذة من دونه
ما هو موصوف بالحيوة كفرعون والدجال لعنه الله وكل داع الى نفسه ضرب المثلين برجلين
احدهما مثل لما يوصف بحيوة والاخرين بمن لا يوصف بها ووحدها عنده لا شيء يرجع اليها
بالضمير في قوله هو اذ قد استويا في عدم الغناء ثم قال وقوله الحق هل يستوي هو ومن يامر بالعدل
وهو على صراط مستقيم هذا هو الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه الاله الحق الخالق
الرازق القريب المجيب ولما جاء ما هو مثل له عز جلاله لم يدخل في ضمير تنبيه ولا جمع
بل ابان وصف الحق بقوله هل يستوي هو يعني المعبود دونه ومن يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم
والاشارة في سر المراد بهذا الخطاب منتظمة بقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى
عما يشركون ثم كذلك الى قوله خلق السموات والارض بالحق الى قوله خلق الانسان من نطفة فاذا هو
خصيم مبين وكل كافر يجادل في ايات الله فهو خصيم والخصيم المبين منهم هو الدجال لكثرة
وقصر مدته **قوله** عز من قائل ولله غيب السموات والارض الغيب في السموات والارض هو ما لم يكن
بعد وسيكون فهو اذا ما يؤول اليه عز وجل اليه السموات والارض وما بينهما يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات فذلك ما هو في ظاهر ما هو اليوم غيب وهو ايضا موجود الدار الاخرة بما فيه
والاخرة غيب الدنيا والكائنات التي لم يكن بعد هي غيب ما قد كان فافهم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كاصبع ادخلته في اليم فانظر ثم تخرج منها واقله افصح الكلام
حيث يقول وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وما وصفها بالقلة فلا اقل منه ثم قال
وقوله الحق وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب في الاخرة كله على حكم الحكمة دون زمان

محصل اذ لمح البصر موصوف بقوله بانه في زمان وان دق فذلك فامر الاخرة اقرب من ذلك
واسرع وقضاء ثم انصفه من اجل ذلك بالقدرة يريد وهو اعلم القدرة التي يكون
مقدورها على حكم الكلمة وعلى حكم العموم بقوله على كل شيء يدخل في ذلك حكم السنة المنتظم
بحكم الكلمة اكثر احكام الدنيا على حكم السنة فعم بهذا الخطاب الدنيا والاخرة والغيب والشهادة
وهي قدرة واحدة لان الموصوف بها واحد احد سبحانه وله الحمد **فصل** في الكتاب الذي يذكر فيه
الانجيل قال النبي ملكوت السموات والارض بخميرة قد اخفتها امراة في دقيقها حتى يحمض
وتخمرت حسنا وقال مثل ملكوت السموات كنز قد اخفي في فدان فاطلع عليه شخص فاخفاه
حتى تصرف ما له بابتياع ذلك الفدان وقال تشبه ملكوت السموات والارض بحبة من خردل القاها
انسان في فدان وهي اصغر الحبوب وادق الذريعة فاذا نبتت استعلت على جميع البقول والذرائع
وتمت حتى تنزل الطير السماء في اغصانها وتسكن اليها او لم يكن اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
المثلان الاولان ينبئان عن وجود الاخرة اليوم على حكم الحجب والابطان والمثل الثالث
ينبئ عن ما يؤول اليه الدنيا وهو ظاهر من قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وكلاهما موجود حق فافهم **قوله** تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون اي لعلكم تعقلون فتذكرون فتشكرون
هذا كله دعاء منه عز وجل عن ضلالهم الى رشدهم والسورة على مفهوم قوله اتى امر الله
فلا تستعجلوه الى قوله خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين وهو يعدد عليهم نعمه بما خلقهم
عليه وفطرهم من الاسماع والابصار والعقول وهو اول ما نعم على عباده اذ اخرجهم من بطون
امهاتهم مسلمين في اعضائهم واجسامهم وحواسهم فهو يدعوهم منها الى اتمام النعمة عليهم
بالايمان بالله وحده والاسلام له دون شرك ولا ترك والى العمل بطاعته لذلك قال عز من
قائل لعلكم تشكرون والمراد انباؤه من هذا الخطاب انه الخالق وحده والمنعم وحده والواهب
الكل والمتمم النعم لا سواه كانه يقول لهم فاين تذهبون عمن خلق وفطر وانشأ ورزق
الى ان سوى واكمل وهو الذي يديم صنع المصنوع ادامة لا يقطعها مدة ابقائها على مقدار
معلوم ورزق من الحق مقسوم على ما يترتب على فصوله واعضائها وجملته ابتع ذلك
ما هو بيانه قوله الحق الم تروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله فاظهر بهذا
الخطاب ما اشار اليه فيما قبله كما قال الم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن
الا الرحمن يثبت ذلك حقيقة الوحدانية وظهور القيومية وان تحديد الصنيع وتوالي
الامداد يجري الموجود ابدا على الدوام ما شاء امساكه وقد تقدم الكلام في تبيانه لذلك
والله اعلم بما ينزله قال ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يعني فاين من له حقيقة هذا البيان
وصدق توالي هذا القيام اتتخذونه من دوني كما قال افتتخذونه وذريته اولياء
من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا **قوله** تعالى والله جعل لكم من بيوتكم
سكنا السكن موضع الود والحب الذي حبها اليكم يعني المنازل والمساكن حتى قال القائل هم

احب بلاد الله ما بين منزلي · الي وان ارض بها سحابها

بلاد بها نيطت علي تمامي   واول ارض مس جلدي ترابها

تعرض بما قد اعد لاهل الايمان والعمل بطاعته من بيوت فيما هنالك وقصور يكون بكنا
ساكنيها وودا على سبيل السي كما بين دار الدنيا ودار القرار وبذلك تتم النعمة بها
والحور وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
عدد عليهم نعمه بما متعهم فيه وسخر لهم من انعام ومنافع بها ومن بيوت معرشة
واحنا هذه للسكنى وهذه للترحال والحوف والاثاث متاع المنزل والبيت والكسوة
الى حين الموت فالمتاع بها هو في طول مدة بقائهم في الدنيا على كل مقدار نوسعة
الرزق وتقديره كما قال ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين اى الى حين يخرجون
منها الى غيرها يسدون فيها من البرد ويندفعون بها وهج الحر وغير ذلك من
المكاره الواردة عليهم من فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم منها وموضع تعكر البيوت
والسكن اليها والبيوت التي هي للظعن بقصور من ذهب فيما هنالك او فضة ملاطها
المسك الاذفر وبمقاصير وقبا من الدر والياقوت في رياض الجنات اضواء الجو
من نور العرش ازواجهم فيها الحور الحسان وزوارهم الملائكة الكرام وخدمهم الوصايف
والولدان يحبرون فيها ويكرمون تحيتهم فيها سلام قولا من رب رحيم فهذه نعم نفع بمعوذ
فيها وبها الى حين يتقلبون الى تلك اولدار لا موت فيها ولا سقم ولا حزن يلقونه لا يتقون
فيها على ارض ابدا ولا يظلهم سماء ابدا ولا يذوقون لذيذ الشراب في الطعام ابدا لا
يفارقهم الام انواع العذاب والجوع والعطش ابدا لا الى حين بل الى ابد الابد اتبع ذلك
وما هو في معنى ذلك قوله جل وعز والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال
اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم السرابيل اسم يقع على
الملبس القميص والدروع ونحو ذلك المراد الا والبهذ الخطا وهو اعلم بما ينزل الله سخر لنا
في هذه الحياة الدنيا جبالها وارضها وسماءها وبحرها وافلاكها ونجومها ورياحها
وحيوانها ونباتها نعم نفع ودفع رحمة منه وفضلا ليس كذلك اهل النار اعاذنا الله الكريم
برحمته منها لا يسخر لهم شيء مما قبلها ولا ما كان لهم قبل في الدنيا مسخرا بل يسلط عليهم اشد
التسليط والعدة من الرفق والرحمة ياتيه الموت من كل موجود منها لو كان ميتا يقولون منه عز
وجل لهم في الدنيا قل يا محمد تمتعوا فان مصيركم الى النار ثم قال عز من قائل كذلك اى كما
انعم عليكم باهل الايمان بذلك في الدنيا كذلك يتم نعمته عليكم بالشكر له لعلكم تسلمون فانكم
ان اسلمتم تسلمون غدا في الدار الاخرة من العذاب قرا بذلك ابن عباس رضي الله عنه بفتح اللام
والناس كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاسلم ثم قال عز من قائل فان تولوا يعني
عن الاسلام فانما عليك البلاغ المبين يقول عز من قائل من تولى وكفر فلا يحزنك شانه فانه
يحرم الجنة ويكون مصيره الى النار يعرفون نعمة الله انها الله ثم ينكرونها يضيعون شكرها
وينسونها قد استقرت في نفوسهم معرفة نجد وبها في جذر قلوبهم ان اذا فهم من السموات
والارض وخالقهم هو الله جل ذكره وانما بهم من نعمة في انفسهم وفي سواهم فمن الله
ثم عن هذه الحقيقة يؤفكون قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن

للذين كفروا ولا يستعتبون يقال لشاهد عدل وشاهد زور قال الله عز وجل والذين
امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
وقال والذين لا يشهدون الزور وقال قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم
عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وعطف بحرف الواو في قوله ويوم نبعث
اى لعلكم تسلمون في الدنيا وتسلمون يوم نبعث من كل امة شهيدا وعلى القراءة المعهودة
لعلكم تسلمون في الدنيا وتسلمون يوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا اى في الهداية
ولا هم يستعتبون اى يسترضون وربما كان يعني ولا هم يوفقون لاسترضاء ربهم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عشر ايات اذا جئن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت
في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ونزول عيسى بن مريم والدابة الحديث
ومصداق ذلك من القران هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة اى للموت او ياتي ربك للفصل
او ياتي بعض ايات ربك الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن
مريم الى اخر الايات برزخ ظاهر بين يوم الدنيا وبين يوم الاخرة فيه سيد والايات كما تبدو للحي
والميت **فصل** قال الله عز وجل تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو
وليهم اليوم فاخبر له اصدق المخبرين الاله الحق المبين ان الشيطان وليهم حال موتهم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال فقال يبعث معه امثال من مات من الرجال والنساء
فيقول احدهم لقرينه لابنه اخيه امه ابيه انه ربك الست تعرفه الست فلانا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجيء مصر ملكان يشبهان نبيين من الانبياء فيلقى الرجل فيقول له الست بربكم الست
احيي واميت الم امطر السماء عليكم مدرارا الم ارسل اليكم انعامكم شاخصة ذراها دارة
ضروعها والبانها فيقول له الملك الذي عن يمينه كذبت فلا يسمعه احد ويقول الذي عن شماله
صدقت فيسمعه الناس وهو انما صدق صاحبه في قوله كذبت وفي الكتاب الذي يذكر انه
الانجيل فسأله تلاميذه عليه السلام فقالوا اعرفنا بالوقت وامارة مجيئك وانقضاء الدنيا
فقال بعد كلام سيسا كثير من ذواتهم ويقل مودة اقوام لغلبة الشر فمن صبر الى الخاتمة
فهو الحي ولا بد ان سينشر هذا الانجيل وينصر بالملك فيكون شاهدا عليهم وبعد ذلك
ينقرض واذا رايتم البعض والانفراد الذي ينبأ به دانيال نبيا في موضع القدس فمن
كان قارئا فليفهم فمن كان بارض يهود فليلحق بالجبال ومن كان على سقف ليس بنزل الى
بيته لياخذ منه شيئا فالويل للحبالى والمرضعات يومئذ حزن لم يكن من ابتداء الدنيا مثله ولا يكون
ولو قصر تلك الايام لم يسلم احد من الناس ولكن قللت تلك الايام لاجل الصالحين فمن قال
لكم يومئذ هذا المسيح ههنا او هناك فلا تصدقوه فانه سياتي من تشبه بالمسيح وبالانبياء اعما
المسيح الهدى والملائكة عليهم السلام فلم يعط الشياطين التشبه بهم لكن ذوات الكفار من كتب
الله جل ذكره عليه ان يكون من الغاوين يشبه بهم الشياطين فياتون في صور الامهات والاباء
والقرابات وائمة الكفر كما قال الله جل ذكره شياطين الانس والجن فهولاء شياطين الانس
وهم ذواتهم التي اخا الله بينهم وبين شياطين الجن في الدنيا بالاعمال وفي الاخرة بالولاية
قال الله عز وجل وجعلناهم ائمة يدعون الى النار فيشهدون للدجال لعنه الله زورا وكذبا

واما ذوات ائمة المتقين فلخلوصها وطهارتها ولما في خلقة المؤمن من موجودات الملك يأتي
تلك الذوات الملكية فيشهدون لله ويسمون اهل الايمان قال الله عز وجل في المحتضرين
منهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الى قوله
جل قوله نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولا سعدن عليك وقد جاء به الانبياء الا
تركل العاصي كيف سوء غضبه والضال ضلاله ونفوره عن الحق واباؤه عن الرشد
حتى لا يسمع الحق ولا يبصره ولا يتحرك اليه وسماه الله ميتا اي عن الحق وبالضد في اهل
التقوى والهداية حتى يقول جل ذكره اكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث
وهذا وصف هو من الله عز وجل له في عبده اقل ما يعتقد فيه انه ملكي والوصف المذموم هو
من شيطان هو حامله ذات شيطانية في هذه الذوات يبعثها الله عز وجل يوم الدجال ويوم عيسى
مهديه صلى الله عليه وسلم هو بعث ذلك على البعث الاكبر وايات عليه فافهم **قوله** تعالى واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم اي في عرصة الحشر قالوا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا
ندعوا من دونك كما قال هؤلاء اضلونا فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون لما كان اسماء
الشركاء من دون الله حرصا وطنا وظاهرا من الامر القوا اليهم القول اي ظاهر امر القول
انكم لكاذبون ما كنتم ايانا تعبدون والقوا الى الله يومئذ السلم اي المعبودون والعابدون
وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول الله جل قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب اي ان الله جل جلاله عذاب كشهداء للدجال والطواغيت من عذاب
الاتباع فيعذبون عذابا لكفرهم وعذابا لصدهم عن سبيل الله **قوله** تعالى ويوم نبعث في
كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اهوا للعطف والمعطوف عليه
والله اعلم بما ينزل قوله ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا والمراد يوم
الدجال لعنه الله وكتبه واوهن كيده ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم هو يوم
مسيح الهدى عيسى بن مريم عليه السلام وعلى جميع الانبياء والمرسلين والملائكة اجمعين يبعث
من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم من العرب عربيا ومن الروم منهم ومن كل امة وفيه شهيد
من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وهذا البعث من اشراط البعث الاكبر الذي ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لجبريل عليه السلام يوم ساله عن الايمان هو ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله والبعث الاخر وما من شيء يجب الايمان به فيما هنالك الا وله في هذه
ايات دالات عليه واشراط متقدمة بين يديه فافهم اشار الى هذا وغيره بقوله الحق
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين **قوله** عز وجل
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم اي
بذكره واسمائه وحكمته وافعاله لعلكم تذكرون في تلك المحنة وترادف الفتنة نعوذ بالله من
جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف الدجال لعنه الله مكتوب
بين عينيه ك ف ر وفي اخرى كافر يقرؤه كل مؤمن علامة ذلك في فعله انه يامر بالفحشاء
والمنكر والبغي ولا فحش الا دون فحشه ولا منكرا اعظم من منكر يجيء به ولا بغي الا وهو
داخل في بعض بغيه وهو ينهى عن العدل والاحسان وعن ايتاء ذي القربى فهذا هو كفر الظاهر

في فعله الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن وقعت عليه علامة ظهر له بين عينيه ما تبين
به ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما بين الله عز وجل علامات الفتنة به الى غاياتها وكذلك
بين علامات كذبه للمؤمنين والحمد لله رب العالمين اتبع ذلك قوله عز وجل واوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم
ما تفعلون انتظم هذا بقوله يعظكم لعلكم تذكرون اتبع ذلك قوله عز وجل ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هذه من الموعظة يوصيكم بالتثبت عند الفتن
والصبر عند المحن وتذكرهم بالعهد والميثاق **فصل** الست بربكم واقرارهم بذلك
في قولهم بلى اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين قوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم يوصيهم بالمحافظة على الايمان فيما بينهم والتي قبلها في معنى التوصية بالايمان والاسلام
والمحافظة على ذلك يحذرهم من ان يتبعوا الدجال لعنه الله بين ذلك بقوله ولا تكونوا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا الى قوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة
ما كنتم فيه تختلفون تذكير منه ووعظ ثم عم بقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا
السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ثم زهدهم في الفاني ورغبهم في الباقي
وكل ذلك منتظم بمعنى الوعظ ليذكروا ذلك عند الابتلاء بقوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا
قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق الى قوله من عمل
صالحا من ذكر او انثى فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من يتبعه النساء والاعراب **قوله** تعالى واذا بدلنا اية
مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر تبديل الاية مكان الاية هو على وجهين اما
ان يرفع الاية خطا وحكما ويجعل مكانها اية اخرى وهذا قد امن بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا سبيل اليه اليوم والاوجه في معنى هذا الخطاب ان يكون سبق الكلام على معنى ما لم يبن على
سواه ويبطن المظهر وقد يرجع فيظهر الابطان بعد على مظهر ويظهر معنى ما ابطن وربما
بعد موضع اذنا الخطاب فتداخلت الحكا لذلك واشتبهت المعاني لتشابهها وكانوا يظنون
لقلة فقه قلوبهم ووقر اسماعهم عن تفهم سياق المعاني مع مفترق الخطاب انه تناقض وتهاتر
وانما هو كما قال جل من قائل نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني اتبع ذلك قوله الحق
قل نزله روح القدس من ربك بالحق اي انه محفوظ من لدن حفيظ عليم وفي قوله نزله
ايماء الى معنى قوله انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون نزله باسم
كلام الروح القدس نزله كذلك الحق الى ما هو كلام الروح الامين الى قلب الرسول عليه
صلوات الله وسلامه على جميعهم الى ما هو كلام للبشر وتلاوة لهم **قوله** تعالى ان الذين
لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واياته
شمس الباطن [illegible] في اسفار الافكار وترى مدارج الذر في خفي الخفا
ومن عدم الايمان عدم البصيرة ولم ينفعه بصره ولهم عذاب اليم اي في الدار الاخرة **قوله**
تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه هذا والله اعلم بما ينزل منتظم بتوصيته بالوفاء بالعهد
والحفظ للميثاق لا ان ينقضوا ايمانهم وينكثوا عقودهم كالتي نقضت غزلها من بعد

ايمانه وشرح بصدره فعليه غضب من الله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان **قوله** تعالى
ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة عوض شدة الباس يومئذ واحاطة الامتحان
فارخص في اعطاء التظاهر مع توجيه الباطن الى الله عز وجل واخلاص الايمان له فانه
اعنى الدجال لعنه الله لا يقبل يومئذ الا الايمان به او القتل والذبح لذلك قال وهو اعلم
ذلك اى من غضب الله عليه وايجاب العذاب العظيم بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة
انه من قتله الدجال او قتله قاتله انه امن بالله وملائكته وكتبه ورسله فهو شهيد فى
الاخرة لا محالة فمحبة الدنيا وايثاره لها على الاخرة جهالة وضلة لذلك قال وان الله لا يهدى
القوم الكافرين اولئك يعنى الكافرين الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
واولئك هم الغافلون لا جرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون اعقب ذلك بقوله ثم ان ربك
للذين هاجروا الى حومة الحق وهو عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الانبياء
والمرسلين من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا معه وصبروا على اذاء الدجال لعنه الله واتباعه
ان ربك من بعدها يعنى وهو اعلم الفتنة لغفور رحيم يعنى وهو اعلم بعد الهجرة الى النبى والتوبة
الى الله فهو احد المرادين هنا ثم قال يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها اى ان ذلك اليوم الاخر
يظهر له مغفرة ورحمة **قوله** تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها
رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف المراد الاول بهذا المثل مكة
واهلها وانعم الله قبلهم هى الرشاد والرسول وما جاء به والمراد الثانى وهو اولى بمعنى المثل من
ضربه مثلا جملة الامم كانت بعد فتح الله عليها ونصرة اياها امنة مطمئنة ياتيها رزقها
بما كان يفتح الله لها من المغانم والانفال والفئ وانواع مال الله فكفرت بانعم الله بطرت
واشروا ولم يشكر النعمة وطال عليها الامد فقست لذلك القلوب ورانت عليها الغفلة فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف من جور ولاتها وغلبة عدوها بما كانوا يصنعون من ظلمهم وعدوانهم
ونسيانهم كثيرا مما ذكروا به ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فى هذا المكر وللامة كذبوه بافعالهم
وان صدقوه باقرارهم فاخذهم العذاب وهم ظالمون هذا للامة ثم استمر على توجيه الخطاب اليها
بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون الى قوله
متاع قليل ولهم عذاب اليم ومن مفهوم هذا الخطاب وغيره من خطاب القران وتنزيل الوحى الذى خص
الله به كان صلى الله عليه وسلم ينذر ويبشر فتبارك الله الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيرا ثم قال وقوله الحق وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يريد ما قصه فى سورة
الانعام وهو اعلم بما ينزل ثم قال عز من قائل ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا
من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم هذا خطاب من ادب الامة فى مستصحب
حالها على العموم **قوله** عز وجل ان ابراهيم كان امة قانتا اى اماما هو من ائمة يوم ثم فكل امام
فهو امة لمن اتبعه قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى
صراط مستقيم الى تمام الايتين وصفهم خليله ابراهيم عليه السلام ليقتدوا به ويجعلوا ما سوى
ويتخذوا مسلكه دلالة وهداية وفى ذلك تعريض باهل الكتاب وبخاصة بنى اسرائيل الذين
يستظهر كفوى لعنة الله عليهم وانهم خالفوا ابراهيم عليه السلام فى خلافهم عن سوى سبيله

اتبع ذلك قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
اى قائما على حقيقة الملة وسواء السبيل لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا مشركا ثم
صرح بما كان عرض به بقوله الحق انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم
بينهم بواسطة عيسى بن مريم عليه السلام وهو من يوم القيمة الا ان اشتراطه قائم لم يجى
بعد ويحكم بينهم ايضا يوم الجمع الاكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب يوم
الجمعة ان هذا اليوم هو اليوم الذى كتبه الله علينا فاختلف فيه اليهود والنصارى وهدانا
الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فهم لنا فيه تبع لليهود غد وللنصارى بعد غد **فصل** عد بنا
البيان عن تبيان امر الدجال لعنه الله لما فى ذلك من التذكير بالله والتشديد عنه والتحذير
من فتنته نعوذ بالله العظيم من فتنته وشر ما يجرح به من سوء كيده قوله تعالى ويوم نبعث
فى كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبوا اعلم ان يوم الدجال اية على ما
هو كائن يوم البعث كما يوم المسيح عيسى بن مريم عبد الله ورسوله عليه السلام اية على يوم
البعث والجمع الاكبر وهى مواطن فى هذا لا يؤذن للذين كفروا ابا عنا دينطقون ولا
يسترضون كما قال عز من قائل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ
للمكذبين **قوله** عز وجل ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك
على هؤلاء هذا يوم يؤذن فيه لكل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون
يقول الله جل وعز ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين هذا
خالص لمعنى النبوة والرسالة كما بشراها خالص للمؤمنين **قوله** تعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى قيل هذه احكم اية فى القران
والقران كله حكيم لذلك وهو اعلم قال يعظكم لعلكم تذكرون اى الى ان الحكم الكاملة
والعدل كله لا ينبغى الا لله وطريق الله متميز من سواه اسواه الحيف والجور والامر
بالمنكر والنهى عن المعروف وتزيين الفحشاء والعدوان وايثار الكثر والفقر ونحو
هذا وسبيل الله هو ما ذكره فى كتابه وما هو المعهود فى انبيائه الموجود لذلك والله اعلم
بما ينزل قال لعلكم تذكرون اى تذكرون حكمى وصراطى من سبيل الغواة وصراطهم
ثم زادهم فى التوصية بالمعروف وفى ذلك وصاهم به من قوله الحق ولا تكونوا كالتى نقضت
غزلها من بعد قوة انكاثا النكث عند العرب هو ان تاتى المراة الى الشعر المغزول
والصوف قد صنع منه البناء وبلى لطول العهد فيفتله دبرا فينحل بذلك ما كان ابرم منه فذلك
من فعلها هو النكث واسم المنكوث منه النكث ثم تغزله بعد ان شاءت فتصنع صنعا
غيره وشبه الله جل ذكره بذلك الرجوع عن الاقرار الاول والاشهاد الاول وخلف
الوعد ونقض الايمان من حلف على يمين صبر هو فيها كاذب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه يلقى الله وهو عليه غضبان بقول الله عز من قائل ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم الدخل
الفساد اى لا تجعلوا ايمانكم سببا الى الفساد بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء
بما صددتم عن سبيل الله خاطب الله جل ذكره بهذا المؤمنين وهو اعلم بما ينزل وانما قلنا ذلك
لان اقدام الكفار لا يوصف بالثبوت واغلظ بالوعيد فى ذلك جدا وقال فى غير هذا الموضع

ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم
الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم نسال الله العفو الرحيم معافاة
ومغفرته وقال هنا ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا فهذه في هذه دل على ذلك قوله بعد هذا
ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون فوصفا للزاهدين في هذه الراغبين في تلك بالعلم
ما عندكم ينفد وما عند الله باق **قوله** تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون الطيبة في الدنيا والاخرة
فيما عند الله وعبادة والعمل بطاعته والرضى والمحبة له والنصيحة بهذا طابت حيوة
الدنيا وما عدا ذلك فهو المعيشة الضنك والعذاب بالاهل والمال يقول الله جل من قائل
ولا يعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم
وهم كافرون واما الحيوة الطيبة في الاخرة فهي ان توقى سوء الحساب وتيسر عليه جواز الصراط
ويدخله الله الجنة بسلام والحيوة الطيبة في الدار الوسطى دار البرزخ هي بان يوقى عذاب
القبر ويفتح ابواب السماء لروحه ويسرح في جنة المأوى ويشهد مع المقربين والمنعم عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وذلك هو الرفيق الاحسن لذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ساعة خيروا اسى في حجر عايشة وشخص ببصره الى السماء بل الرفيق الاعلى والرفيق
الاعلى هو الله جل ذكره وتعالى علاه وقد وجد في اخرى بل الرفيق الاسعد مع جبريل وميكائيل
واسرافيل ثم قال عز من قائل ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعد الله لا يخلف
الله وعده يجزي عبده المؤمن باحسن عمله ويتجاوز له عن سيئه **قوله** تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم امر الله جل ثناؤه بهذا رسوله واوجب علينا اتباعه
فالواجب على من اراد قراءة القران التعوذ بالله من الشيطان الرجيم وفي حين استصحاب التلاوة
ويخلص الدعاء والتضرع في ذلك الى الله سبحانه قال الله عز وجل وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته
وقد تقدم الكلام في سورة البقرة فاذا كان الشيطان يصل من النبي والرسول الى مثل هذا
مع ضمان الله حفظ وحيه فكيف بمن بعده وليس عنده ضمان باصلاح ما يفسده الشيطان عليه يقول
الله جل ذكره انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون يعني فالتعوذ بالله منه والتوكل
عليه حرز منه وقد اخبر الله وقوله الحق ان من عباده من ليس له عليهم سلطان وهم المؤمنون بالله المتوكلون
على الله وعلى قدر النزول عن تحقيق هذه المرتبة يحل عنه ضمان العصمة فهي سر لذلك الذين
قال فيهم انما سلطانه على الذين يتولونه وهم العصاة والذين هم به مشركون عبدته **قوله**
عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الحكمة هنا هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحكمة ايضا مفهوم القران وكل كلام محكم الظاهر بالباطل معبر عن الحق فهو حكمة
وجادلهم بالتي هي احسن ان كان السيف مقدورا عليه فهو احسن وان لم يكن مقدورا
فالحجة والكلام السهل والموعظة وان كانوا من اهل الكتاب فقل لهم امنا بما انزل الينا
وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون هكذا الى ان يحكم الله بيننا وبينهم ثم قال
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به امر المؤمنين ان لا يتعدوا بالعقوبة مقدار ما هو

عقوبة من اجله والصبر اجل واحسن ثم قال عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله والصبر بالله ولله ومن الله عبادة الله الصبر
يرجع الى وجهين احدهما تكلف الصبر واحتمال المشقة وهذا هو الصبر والوجه الاخر خلق وسجية وهذا بعض
وجوه الحكم وقسمه الله جل جلاله وتعالى علاوه وشان الصبور من هذا اهتم والله اعلم اذا لم يوصف بتلك الطباع
فيضطر من اجل ذلك الى التصبر ومن المكابدة بالتكلف وقد يكون هذا في ذي الكيس
عن تعمل وتحمل للمشقة في الصبر حتى يالف ذلك فلا تجد له مشقة بل روحا وراحة وقد
يالف المرء المكروه بلزوم العادة وقد قيل المحنة اذا لزمت الفت وانما يتقوى على
هذا تصحيح العزم وقوة العلم ووجود اليقين بما تؤول اليه من المرغوب والمحبوب
ولا تحزن عليهم اذ لم يستجيبوا لك ولا تك في ضيق وضيق مثل هين وهين

فصل القانت العابد والحنيف اسم لمن استقام على المنهاج والدين القيم
وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد هدي الى الصراط المستقيم الذي في الدنيا ان وسع
عليه في الحال فكان يقري الضيفان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي الاسلام
افضل فقال اطعام الطعام وافشاء السلام والصلوة بالليل والناس نيام هذا الى
ما اوتيه من النبوة والخلة والاطلاع على ملكوت السموات والارض وجعله من المؤمنين
والصديقين والرسالة فيه وفي ذريته ومن ذلك ايضا ما اوتيه من المقة في القلوب
والامامة والمحبة في الامم والثناء الحسن ولسان الصدق الذي جعله الله له في الاخرين يقول
الله جل من قائل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا محمد صلى الله عليه وسلم اشبه ولد ابراهيم خلقا وخلقا

سورة الاسراء فيها من المنسوخ ايتان واختلف في الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى قوله انه
هو السميع البصير التسبيح التنزيه لله جل ذكره وهو ابعاد كل ما لا يجوز عليه من صفات المحدثين
ونقايص المخلوقين وافات المربوبين سبحانه وله الحمد لا اله الا هو العلي الكبير ومجيئه
على وزن فعلان وذلك لانها كلمة صدرت عن حقيقة باطنة ومما فطر الله عليه العرب الذين
انزل القران بلغتها ان فرقوا بين ما مصدره ما صدر عن فعل باطن وبين ما ياتي
عن مصدر فعل ظاهر فيقال لمن ذلك عدا فلان يعدو عدوا ان من الاعتداء ليس
كقولهم عدا الفرس يعدو عدوا اذا احضر وهي ايضا كقولهم قرات اقرا واسم المقروء
قرانا وقرات اسم المقرب قربان وقطعت اقطع واسم المقطع قطعان فواحد التسبيحات
سبحة كخطوة وخطوات وكقربة وقربات وهو ايضا كحسبانا من حسبت احسب تحسيبا
واما نصبه فعلى المدح وسبحان الله مدايحه ومحامده وبناؤه العلى وقد قيل انه من سبحت
تسبيحا وقد تقدم فاسم الكلام المسبح به سبحان مثل قربت اقرب والاسم منه قربان
والتسبيح اعني قولهم سبحان يكون بمعنى الثناء والتنزيه كما تقدم ويكون بمعنى التعجب كما قال الشاعر

سبحان من علقمة الفاجر

والتسبيح التعجب اصله التنزيه والثناء الحسن في حق الله سبحانه وله الحمد **قوله** تعالى اسرى بعبده
اذا كان الفعل معدى كان اسرى ومتى كان غير معدى قيل سرى قال الشاعر

سريت بهم حتى تكل مطيهم ... وحتى الجياد ما يقدن بارسان

عقو

يقال من ذلك سرى وحده وسرى ليلا وكان هذا اسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم انتظم
اول هذه السورة بمعنى اخر سورة النحل من ذكر ابرهيم وذكر اصحاب السبت وذكر نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وامره اياه ان يدعوا الى سبيل ربه عز وجل باسرائه بعبده واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني اسرائيل ثم قال الا تتخذوا من دوني وكيلا من معنى التوحيد وخالص التعبد له ذكر حالة الشكور
ثم قال ذرية من حملنا مع نوح ذكر بمنته القديمة اذ لم يجعلهم من الهالكين بالكفر وعرض
باقتضاء الشكر بقوله انه كان عبدا شكورا والشكر هو الذي ادخل نعمة في السلم كافة فهو
لا يتبع خطوات الشيطان ومن كانت حالته الشكر فهو يعمل الحسنات فكتب له في القتل الاعلى فيكون
كما به في عليين ان اذنب بادر بالتوبة والاعمال في طاعة ربه فالسيئات ممحوة والحسنات مثبتة
ويصعد هذا الى الذين يدخلون الجنة بغير حساب **قوله** تعالى ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى جاء باسم الليل هنا والسرى معهودة لا يجي الا ليلا وانما ذكره لان الاسراء
وقد يكون بالليل ويكون بالنهار اذ الاسراء ذهاب به عن هذه الدار وما فيها الى ما قد شاء الله
ان يظهره له فيما هنالك فهو باطن في حق المسرى به ليس كذلك السرى الذي هو بالاجسام قال
من المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا اراد وهو علم مبين بعد المسافة
مع ذكر الليل وعجب من ذلك وتمدح به وانما معهود العجب ابدا ما يخرج عن المعهود من اظهار
المقدور الغائب يخرق به العوائد وسمى بيت المقدس الاقصى والمتكلم منه المنتقل عنه المسجد
الحرام اسامنه جل ذكره انه سيحدث للمسلمين مسجدا ثالثا وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فكان مسجد المدينة هو الادنى اي الى المسجد الحرام وقال انه بارك فيما حوله اي بالثمار
وتفجر الانهار وربما سميت تلك الارض مقدسة ومباركة بتجلي المبارك القدوس عز جلاله
فيها لموسى عليه السلام وتكليمه اياه فيما هنالك قال الله عز وجل نودي ان بورك من في النار
ومن حولها وقال انك بالواد المقدس طوى فليس يبعد مع هذا ان يكون الله جل ذكره ابقى بركة
تجليه فيما هنالك الى يوم القيمة ولعله في الاولية يكون من ذلك سماها في الكتاب الاول
بذلك كما سمى يحيى ومحمدا بعلمه السابق فيهما وغير ذلك وما من احد الا وهو معلوم عند الله
جل جلاله باسمه واسم ابيه وانما سمى كلا بما هو عامله واليه وجهه وبما اليه له فافهم **فصل**
جاء فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ركب البراق وسار معه جبريل عليهما السلام وصلوات
الله وسلامه الى بيت المقدس وقال فربطت البراق بالحلقة التي يربط بها الانبياء ودخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين الى قوله واتيت بالمعراج ووصفه وذكر انه عرج الى السموات سماء
سماء الى ما علا فوق ذلك **فصل** قرن جل جلاله ذكر الاسراء بعبده بذكر الليل من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصال الاسراء بالعروج الى العلى
ولم يصف بالاسراء الا ما بين المسجدين ارى ذلك والله اعلم لعدم الليل في السموات العلى فوصف بالاسراء
ما يكون فيه الليل والنهار **قوله** تعالى لنريه من اياتنا يريد والله اعلم الايات التي اراه بين المسجدين
في مشيه في ارض مخالطة طيبة زكية وارض غمة منتنة فقال له جبريل في الطيبة انها ارض الجنة
وفي المنتنة انها ارض جهنم وما اراه من داعي اليهود اياه ثم داعي النصارى ونداء المرأة اياه
ذات الزينة والحلي حتى كادت تغشاه واتيان جبريل اليه عليه السلام باناءين احدهما خمر

والاخر لبن وأوّل اناء الخمر بالغواية واناء اللبن بالفطرة والفطرة الاسلام ولقائه
موسى قائما في قبره يصلي وعيسى في موضع بين المسجدين يصلي وتوصيتهما اياه بامته
ولقائه ابراهيم تحت الشجرة حوله اكثر صبيان رآه قط ورأى رجلا يحش النار وهو مالك خازن
النار ثم لقائه عيسى وموسى والانبياء عليهم السلام في السموات على منازلهم الى غير ذلك مما
اراه الله في طريقهما الى بيت المقدس هذا الى ركوبه البراق ورؤيته الرجلين وهو نائم
عند الكعبة فقال احدهما للاخر احد الثلثة بين الرجلين قال فاخذا بيده وشقا عن بطنه
وغسلاه بماء زمزم وملآه حكمة وايمانا قال ثم اتيت بالبراق وهو ابيض فوق الحمار
ودون البغل مضطرب يضع حافره عند منتهى طرفه قال فاذا صعد في جبل ارتفعت رجلاه
واذا هبط من جبل ارتفعت يداه هذه كلها ايات اراهن الله اياه في الارض ثم الى الايات
في السموات الدنيا ثم الى العلى من رؤية الانبياء على منازلهم والبيت المعمور والجنة والنار
والكوثر وما هنالك والملكوت الاعلى وسدرة المنتهى وما غشيها وما علمه واوحى
اليه ما اوحى واختلف في هذا الاسراء اكان بجسمه او بروحه صلوات الله وسلامه عليه وقيل
هي رؤية صادقة او هي نقله بجملته الى ما اراه وشاهده واسم العبد يقع على الجملة وعلى النسمة
والروح الباطن المكني عنه بالمثال ولفظ الرؤيا التي ذكرها الله عز وجل في قوله وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس يقع على الرؤية مشاهدة وعلى رؤيا المنام
فصل قال الله عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى
السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى فاخبر جل جلاله ايضا غير محتمل انها كانت رؤية بصر
الرؤيا بما هي وحي وهي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وقد يراها المؤمن والكافر
والعالم والجاهل اذ هي من النبوة المبثوثة في العالم الموجودة عن اثار الحق المخلوق
العالم كله وهذه ينشؤ صعدا الى رؤية النبوة المحجورة الخاصة كرؤيا ابراهيم ويوسف
وكثير من رؤيا محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وعلى الاغلب فما يقص منها من
رؤيا الا قرن بها قرينة تدل على انها رؤيا منام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم
رايت سيفي قد انقطع وبينا انا نائم عرض علي الانبياء وبينا انا اذا اتيت باناء لاشرب
فناولت فضلي الاصغر فقيل لي كبر كبر وقال لابراهيم عليه السلام يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام وغيرها ذلك لانه لما كان المصاحب للحلم حكم الرؤيا
ميزوا رؤياهم هذه بذكر المنام وساق حديث الاسراء يعطي حال اليقظة لا حال المنام لذلك
قوله عليه السلام بينا انا نائم عند الحجر قال عند الحطيم اتاني رجلان قال احدهما للاخر احد
الثلثة بين الرجلين فاخذاني وشقا بطني ثم غسلاه الحديث وقد كان من قريش اعظام
لهذا الشان وتكذيب ويقولون انهم ان بيننا وبين بيت المقدس مسيرة ثلثين يوما وعم
محمد انه قطعها من ليلة مارا مقبلا واتم ليلته في مضجعه ولو كان اخباره بذلك على سبيل قصص
الرؤيا لم يكن منهم ذلك وقد قيل ان كثيرا رجع عن رايه في الاسلام يومئذ ولو كانت رؤيا
منام لم يكن ذلك كذلك اذ قد يرى غيره من ليلته في منزلته انه يذهب في الرؤيا مسيرة
الشهر واكثر ويصعد به الى السماء ونحو هذا وحمل اللفظ على ظاهره اولى اذ هو الكلام

لا غير وامور النبوة خارجة عن معهود العوائد والاسراء في النبوة اصل لها وهو معنى
قول الملائكة والانبياء في السموات حتى كان جبريل عليه السلام يستفتح له سماء سماء كلهم
يقولون وقد بعث اليه فيقول قد بعث اليه فيقولون مرحبا به فلنعم المجيء جاء فهذا اخبار
منهم عن سنة مسلوكة بهم معشر الانبياء والرسل واعلام بتفاضل مجيئهم ختم الله جل جلاله
الاية بانه السميع ينبئ بذلك من فقه عنه انه الاسراء ظاهر الله اعلم بكيفيته وبما وصل اليه عليهم
السلام وان ذلك مما ينشؤ قال الله عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا فان الذي انشأه من كونه نطفة مهينة وجمع خلقته من امشاج ابان
الغنم والعجين في طبقات الخلقة في خزائن السموات والارض الى ان جعله سميعا بصيرا
قادر على ان ينشئه انشاء اخر الى ما ذكرناه انما هو النوم وغايته التي تصل اليها الموت في الموت
الحيوة وينشؤ ذلك منها الى الرؤيا والرؤيا ينشؤ الى الاسراء كما الحيوة حياتان حيوة الاجسام
ينشو الى الحيوة الكبرى في الدار الاخرة والحيوة حال الموت وهي شبيه اليقظة حال النوم ينشؤ ذلك
الى حيوة الشهداء التي نهينا ان نسميهم امواتا والنوم ينشأ الى الرفع هذه بواطن عنا ما غيب
علينا الا وجودا تتخذها العقل ايمانا وهي ظواهر لاهل الاخرة واهل الافق المبين وفي
ما اومانا اليه من تدبيره اعظم دليل على ان يسير غير عسير وقد تقدم من الكلام في مثل
هذا ما يرفع به ذوا التثبت على واضح السبيل قوله عز وجل واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا اخبره الله جل ذكره ان كتابا بموسى عليه السلام هدى
لبني اسرائيل وانه وان كان قد قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فانا شركناهم ايضا في التزام
اقامة الدين على سنن التوحيد قال الله عز وجل ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ثم نحن
وانا هم مشتركون فيما لم ينسخ منه بالقران قال الله عز وجل اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد نزل القران منازله وبين ناسخه ومنسوخه قبله ونحن القائلون والحمد لله امنا به
كل من عند ربنا ثم قال عز من قائل ذرية من حملنا مع نوح نصب في ذرية على المدح لهم وهم
المهتدون منهم اشار بهذا وهو اعلم الى معنى قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك
وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ولما ذكر نوحا عليه السلام اثنى عليه بقوله انه كان عبدا شكورا
كما امرنا ان نسلم عليه وعلى اخوانه وابنائه من الانبياء والمرسلين يقول الله جل ذكره وتركنا عليه
في الاخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين وقال مثل هذا في غيره منهم صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين ويمكن ان يكون نصبه على النداء وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم نوحا
تذكيرا به ودعائه الى ما جاء به من الايمان بالله والتقوى وطاعة الله وشمل بذلك بني اسرائيل
والعرب تقول على ذلك اقتدوا بابيكم نوح انه كان عبدا شكورا قوله عز من قائل
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين الى اخر القصة قضينا هنا
بمعنى حتمنا اي الزمنا والقضاء وان تصرف الى وجوه فمعناه التمام والفصل لقول الله عز
من قائل كان على ربك حتما مقضيا وقرأها ابن كثير في الكتب على الجمع لتفسدن في الارض
مرتين وقرأها ابن عباس لتفسدن في الارض بالتاء المضمومة وفتح السين فمعنى هذه القراءة
انه اخبار من الله جل ذكره بما يصيبهم من جزاء على فسادهم في الارض مرتين فيفسدون

اي يقتلون ويأسرون ويسلط عليهم من يفعل ذلك بهم وقد كان ذلك نظم التنزيل بذلك
قوله فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد هم فارس مع بخت
نصر فجاسوا خلال الديار والجوس هو التردد مع فساد وكان وعدا مفعولا وقد
قيل ان الله تبارك وتعالى اوحى الى ارميا عليه السلام لما جاءهم وحان مضمون الكتاب
بمواقعة الفساد المذكور منهم بعث اليهم رسوله ارميا عليه السلام وقال له من قبل ان
اخلقك اخترتك ومن قبل ان اصورك في الرحم قدستك ومن قبل ان اخرجك
من بطن امك طهرتك من قبل ان يبلغ اشدك ساتك ولامر عظيم اجتبيتك وهو
كلام قال له وانا باعثك الى خلق من خلقي لتبلغهم رسالتي فتستحق بذلك اجر من اطاعك
منهم لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وان قصرت عنها استحققت في ذلك وزر من تركت
في عماه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا انطلق الى قومك فقم فيهم وقل ان الله ذكركم
بصلاح ابائكم فحمله ذلك ان تستتيبكم يا معشر ابناء الانبياء وسلهم كيف وجد
اباؤهم غب طاعتي وكيف وجد هؤلاء غب معصيتي فان الذوات اذا ذكرتا وطانها
الصالحة نزعت اليها وان هؤلاء القوم تركوا ما اكرمت عليه اباءهم وابتغوا الكرامة من غير
وجهها اما احبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا فيعبدونهم من دوني ويحكمون
فيهم بغير كتابي حتى اجهلوهم امري وانسوهم ذكري وغروهم مني فبطروا النعمة وامنوا مكري
وبدلوا كتابي ونسوا عهدي وضيعوا امري حتى دان لهم العباد بالطاعة التي لا تنبغي لعباد
غيري وهم يحرفون بذلك كتابي ويفترون من اجله على رسلي جراءة وغرة وفرية علي
وعلى رسلي فتعالى جلالي وعلو مكاني وعظمة سلطاني وهل ينبغي ان يكون لي شريك في امري
الى قوله اما قراؤهم وفقهاؤهم فيتعبدون للملوك يتابعونهم على البدع التي يبتدعون في ديني
ويطيعونهم في معصيتي ويوفون لهم بالعهود الناقضة لعهدي فهم جهلة فيما يعلمون امنون
فيما يتلون ولا ينتفعون بشيء مما علموا من كتابي واما اولاد الانبياء فمقهورون معبرون يخوضون
مع الخائضين يتمنون على مثل نصرة اباهم والكرامة التي اكرمتهم بها ويزعمون انه لا احد
احق بها ولا اولى بذلك منهم بغير صدق ولا تفكير ولا تغيير الى قوله واني ما تدبت هؤلاء
القوم لعلهم يرجعون فاطلت وصفحت لعلهم يستحيون فاكثرت ومددت في العمر لعلهم
يتذكرون فاعذرت كل ذلك امطرت عليهم السماء وانبتت لهم الارض والبستهم العافية واظهرتهم
على عدوهم فلا يزدادون الا طغيانا وبعدا مني حتى متى ابي يتمرسون واياي يخادعون
اني اقسمت بعزتي لاتيحن لهم فتنة يعود الحليم فيها حيران ويضلون راي ذي الراي وحكم
الحكيم ثم لاسلطن عليهم جبارا قاسيا ملكا عاتيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة والرأفة
يتبعه عدد كثير وسواد مثل سواد الليل له عساكر مثل قطع السحاب ومواكب امثال الجبال كان خفق
راياتهم طيران النسور وكان فرسانهم زنيق الاسود لا يعرفون وجوههم ولا يفقهون
كلامهم ولا يرحمون بكاءهم يعيدون العمران خرابا والقرى وحشة قلوبهم قاسية لا يقبلون
ولا يستفيقون ولا يراقبون ولا يرحمون يجولون خلال الديار باصوات مثل نهيق الاسد
يقشعر من هيبته الجلود وتطيش من سمعه الاحلام وجوههم كريهة ظاهر فيها المنكر

وعزتي لاعطلنها من كتبي وقدسي ولاخلين مجالسها من انسها ولاوحشن مسجدها
من عمارة الذين كانوا يدنسون بعمارته لغيري ويتهجدون فيها ويتعبدون لكسب الدنيا بالدين
ويتفقهون فيها لغير العلم ويتعلمون لغير العمل ثم لابدلن ملوكها بالعز الذل وبالامن
الخوف وبالنعمة الجوع وبطول العافية الوان البلاء ولاعيدن فيها بعد البخت والاصوات
صوت الهام وبعد صهيل الخيل عواء الذباب وبعد القصور الشامخات عطا العجاج
وبعد الانس الوحشة ولابدلن نساءها بالاسورة الاغلال وبنطق الحرير وقلايد الدر
والياقوت سلاسل الحديد وبالوان الطيب والدهن البقل والغبار وبالجلوس على الزرابي المشي
في الاسواق وعمارة الانهار ثم لاحد وسننهم بالوان العذاب حتى لو كان الكاشح منهم
جاثما الوصل اليه الخوف وحف به البلاء حتى يقتلعه من ذلك المكان فاني انما اكرمت
اكرم مني واهين من هان علي امري وبعد كلام قال الله عز وجل ان من خلا قبلهم
من العاصين من القرون كانوا يستخفون بمعصيتي فاسترها عليهم وان هولاء
القوم انما يتنازعون بمعصيتي ويظهرونها في الاندية والافنية وبطون الاودية
وظلال الشجر ورؤس الجبال لاخيارهم يقولون اتقوا الله ولا علماؤهم ينتفعون
بما علموا ولا ولاتهم ينهون عن المنكر حتى عجت الارض منهم بهم وبهت السماء
وشلت منه الجبال وذعرت الوحش وانقطع الحياء من النساء فلما فعلوا ذلك امرت
السماء فكانت عليهم طبقا من حديد وامرت الارض فكانت صفحة من نحاس فلا سماء
تمطر ولا ارض تنبت فان امطرت خلال ذلك من شيء فبرحمتي للبهايم وان زرعوا عليها
شيئا نزعت منه البركة يدعونني فلا استجيب لهم ويسالوني فلا اعطيهم ويتضرعون
الي فلا ارحمهم ويرفعون الي ايديهم فاصرف وجهي عنهم يقولون ربنا قد احسنت
الينا والى ابائنا فحفظتنا في اصلابهم وربيتنا في ضعفنا فارجع اليهم اني انا ابتدئ
عبادي برحمتي فان قبلوا تممت وان استزادوني زدت وان ابوا على ابيت وان ادبروا
غضبت واذا غضبت عاقبت ولا يقوم شيء لغضبي ولا يدوم شيء مع سخطي قال فلما
قال لهم ارميا عليه السلام ما امره من ذلك كذبوه وقالوا ما نعلم احدا اعظم على الله فرية
منك انك تزعم ان الله مهلك اولياءه وخرب مسجده ومن على الارض من عباده وتوحيده
وكتابه حتى لا يعبد ولا يذكر ولا يسبح له ولا يقوا به فضربوه وحبسوه فلما فعلوا ذلك
انجزهم الله ما وعدهم وسلط عليهم بخت نصر فسلطا اليهم فيما لا يحصيه [illegible] عددا ولا يعلم
الا الله عز وجل ثم حصرهم في بيت المقدس لا يملكون من الارض شيئا الا بيت المقدس
وبعد كلام وقصص قال فحصرهم حتى قال في الحصار كل ذلك يعرض عليهم ان ينزلوا على حكمه
فيابون ثم لا يجدوا بدا من ان نزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم كل قتلة ومثل بهم كل
مثلة ومما ذكر انه مما تقدم ذكره قال لما خرج بنوا اسرائيل من بيت المقدس الى العراق
وكان في جملة الماسورين نبي من انبيائهم فاحتاج بعضهم ان يسئلوه عن مسئلة
فاتى ذلك النبي عليه السلام اناس منهم لان يسالوه عن مسئلتهم فخرج اليهم من المنزل
الذي كان فيه وقد كان عند عجوز تخدمها فقاموا اليه وسالوه عن بعض ما هم فيه

فاذاهم بخرقة على راسه فسالوه ما هذه الخرقة فقال كنت اعجن لها فنعست فضربتني
فسجني وكان على عنقه جره وقال اشعيا عليه السلام ان الرحمن اوحى الي انها توشك
ان ترفع الكرامة من الارض فلا يكرم الصغير الكبير فهذا اولاها اتبع ذلك قوله جل قوله
وتعالى علاوه وجده ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا يريد والله اعلم اكثر عددا من اهل فارس لما اساءهم وعاقبهم بما تقدم
ذكره تاب عليهم فرد لهم الكرة على عدوهم يقول الله جل من قائل ان احسنتم يعني فهذه
المرة احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فكان من ذلك ما شاء الله ثم افسدوا في الارض
المرة الثانية يقول الله جل من قائل فاذا جاء وعد الاخرة اي على ذلك من اساءتكم
ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا يعني
الرماد والهلاك ذكر انه سلط عليهم الروم فعلوا بهم ما ذكره من الدمار والتبار
وذكر انهم غلبوهم على انفسهم كما قال جل قوله ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه
اول مرة وهذا على قراءة ابن عباس رضي الله عنه لتفسدن في الارض مرتين وعلى قراءة الجماعة
فشاهم الذي من اجله فسدوا اطلت في وصف حالهم وذكر مصابهم لاعظ نفسي ومن بلغ
فانه ما من شيء ذكره الله لرسوله ارميا عليه السلام مما عابهم به وعاقبهم عليه فقد تكاملت
فينا معشر هذه الامة وذكر انهم كان فيهم ابناء الانبياء وكان فيهم الانبياء يوحى اليهم
فكيف بنا في الغيبة والغربة مع ظهور الفساد في الارض وتبع الذين سر الدنيا وترك
الحق لا لغرض مال بدلا من ذلك فانا لله وانا اليه راجعون نسال الله البر الرحيم ان يتداركنا
برحمته انه قريب مجيب يقول الله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم هم اليوم في هذه الفترة ضربت
عليهم ذل الجزية يردونها عن يد وهم صاغرون والرحمة المذكورة هنا هي رحمة الا انما
تنفع في الدنيا ولا نفع في الاخرة فقوله عز وجل ولتعلن علوا كبيرا تارة بالمد
اذا اتى وعدها علوا علوا كبيرا وقالوا قوله عظيما يخرج الدجال لعنه الله فيهم الى فيكون
لهم معه سابقة الى ضلالته واستجابة منهم الى كفره فذلك قوله عز وجل لتفسدن في
الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا انا لنغرقهم ثم لا يمتعون بذلك الا قليلا فينزل
عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه فيهلكهم فهذا يكون على قراءة ابن عباس بفسدن و
والا انه يعملون فلا يحبهم شيء ولا يحبوهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شجر الغرقد فانها
من شجرهم وانما ذلك لانها امة من الامم فلا يستاصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت
بقتل الكلاب حتى ذكرت انها امة من الامم فاقتلوا منها ذا الطفيتين الاسود البهيم فانه شيطان
يقول الله عز من قائل في هذه الثالثة وان عدتم الى الفساد عدنا الى العذاب ثم اخبر عن الانقراض
وقرية من يومئذ وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي سجنا وحبسا المحصر بعدو او مرض
او فقر او انقطاع حجة محبوس عما يومله ويقال للمحبس حصير وللملك الصق بالحجاب حصير **فصل** قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لدخلتموه وفي اخرى حتى لو كان منهم من اتى امه جهارا لكان منكم من يفعل ذلك قال بعض
العلم رحمكم واحسنوا العبر فلقد نجا وزنا افعالهم وافعال المهلكين من كفار الامم سوانا

وسواهم الا الكفر الصراح ولم يكن الله جل ثناؤه نقص علينا انباهم ويخبرنا باخبارهم
تعييرا لهم ولا خوضا في ذكر معاصيهم دون فائدة بل ليذكر ويعظنا رحمة منه بنا ونصيحة
لنا يقول الله جل من قائل لانذركم به ومن بلغ البلاغ على وجهين احدهما بلوغ الحلم الثاني
البلوغ الى ان يقع به الانذار والتذكرة كقوله انما ينذر الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله سيذكر
من يخشى وما يتذكر الا من ينيب فهو ايضا بمعنى التبليغ لانذركم به يعني العرب ومن بلغه القران
وهذا الذكر من الامم كان ما قصه علينا من معايب من مضى اشارة الى ما يصيب هذه الامة من فتن
وبلايا والمستدل به على ذلك هو ما اصاب من مضى من اهل الكتابين من غيرهم وقد اصابنا
في كثير من البلاد والاقطار واكثر الاحوال ما اصاب بني اسرائيل وان كان ولله الحمد لم يبلغ
الى الاستيصال كما وعد الله جل ثناؤه ورسوله عليه السلام ونحن الان وهم على حال منتظرة
غير انا ننتظر الفرج برضى من الله عز وجل وهم ينتظرون ذلك بغضب من الله عليهم وسخط
نعوذ بالله من ذلك ثم اعقب ذلك قوله الحق جل قوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم يهدي الى سبل
السلام والصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وهو يهدي الى علم ما قد كان
وما هو كائن الى هذا ستورده واستهداه ولقن عنه ثم قال عز من قائل ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وبالضد للذين لا يؤمنون بالاخرة **قوله** عز وجل وجعلنا
الليل والنهار ايتين ليس عند ربكم لا ليل ولا نهار انما هو الافق المبين نور ساطع وما تحت
الارضين ظلام مطبق ولما كان ما ههنا موضع كوسط انهى اليه نور ذي ضياء ما هنالك
جعل الشمس عليه دليلا سماه نهارا واصعد ما هو تحت الارض ظلاما جعله موضع المحو سماه
ليلا جعله اية على حقيقة الظلام وكان ما ههنا اقرب الى النور لغلبة النور على الظلام
محا منه موضع الليل وجعله اية اخرى وقد كانتا معنا اية واحدة فصيرها بالتفصيل
ايتين وجعل كل واحدة منهما خالفا لقرينه اجراهما على دوائر محكمة التدوار تقدير من عزيز
عليم وقد قيل ان الخطوط التي في القمر هو موضع المحو فان كان ذلك عن وحي فهو حجة قاهرة
والا فذلك افاضة حكم المحو **فصل** قال الله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ثم قال ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات
لقوم يعلمون الى اخر المعنى ويكون الشمس والقمر ههنا نورا وضياء ايتان على وجود الحق المبين
ونوره في الجنة وهما هنالك ايتان على معنى الليل والنهار فيما ههنا والمثل الاعلى لله جل ذكره
في السموات والارض هو الكبير تعالى عن نقايص المحدثات وافات المكونات لا افول ولا محاق
ولا تحرك ولا انتقال انما هو الاحتجاب والتجلي لا يخلف ذلك الوجود ظلام ولا ما هو
الظلام اية عليه ولا شمس نهار ولا ما هو ذو الاية عليه فجعل جل ذكره الليل والنهار فيما
ههنا ايتين دالتين على ما هنالك وجعل القمر الى الليل وانما هو ما دام قمرا والا يطلع اول
الشهر كالعرجون القديم لا يصعد ناشئا الى اربع عشرة ليلة باربع عشرة منزلة
ثم هو بعد ينقص بالمحاق الى ثمانية وعشرين ليلة ومثلها منازل ثم تستره ليلة وربما
استره لثلثين فاذا دار كدور فهو شهر الى تمام اثنتي عشرة دورة فهو العام كذلك الشمس
تنتقل في محالها من منازل البروج ففي طلعت من مشرقها جارية الى مغربها فذلك النهار ثم

النهار من الليل فاذا الجو مظلم فاذا اصبح فذلك اليوم فاذا طلعت الشمس نازلة الى اقصى
منازل البروج الجنوبية نازلة الى اقصى البروج الشمالية صعدا فهي السنة وسنة
الشمس ثلث مائة يوم وخمس وستون يوما وربع يوم وجزء من مائة وستين جزء من يوم
بالتقريب يقول الله جل من قائل لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب بالقمر
وكل شيء مما هنالك فصلناه مما ههنا تفصيلا فضله جل جلاله ليري انما قدرته الالهية
وعلوه بقا ومشيته الغالبة وليدل على وجود الحق ولقاء الحق ورؤية الحق جل ذكره وتعالى
جده وليعلم بما بين الايتين عدد السنين والحساب واوقات العبادات وليدل بذلك على مدلولات
كثيرة من موجودات الدنيا والاخرة وقد تقدم بعض ذلك **قوله** جل من قائل وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه الطائر هو ما الحقه القسم من مقتضى الكلمة السابقة قوله
هؤلاء للجنة وبعمل اهل النار يعملون الحديث فلما وجد كل واحد سمة الكلمة فعمل عمله
واكل رزقه ووطئ اثره وبلغ الذي طار له يومئذ في الكلمة العليه والمقدار بين ثم اذا
كان يوم القيمة اخرج له نسخة ما عمل من عمل حوا وكتابه الاول وهو اللوح المحفوظ فيصح هذا
الكتاب الذي كتبه الحافظان عليهما السلام على ما تقدم له في كتابه بعضها يصحح بعضها وهو موضع
الحجة على المكلف في الكتاب المنتسخ من عمله الذي ثبته عليه حافظاه يقول الله جل من قائل اقرأ
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لله الحجة البالغة بقدرته القاهرة في سبق علمه
وسوق العباد بارادته الى ما سبق لا يسال عما يفعل وهم يسالون لما اتوا ما نهوا عنه
بعد الاعذار والانذار وارسال الرسل وانزال الكتب فابروا هواهم واستمروا على
كفرانهم مقرين بذلك على انفسهم بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره اي ما اخذه
من عدم على انفاذ مراده واستمراره على انفاذ شهواته حتى انه ليكيد بذلك نفسه غاية ما يستطيعه
وربما يحتمل في ذلك سفك دمه وولده ولو القى معاذيره واحتج بالعذر الاول الذي
استاثر به ربه جل ذكره في الازل وقراه مجاهد وابن محيصن والحسن ويعقوب ويخرج
بفتح الياء كتابا اي ويخرج له الطائر كتابا **قوله** تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا
له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا معنى هذه الاية التي
في سورة الشورى سواء قوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب غير ان التي في هذه اي في الشورى احلى وابين وحديث
اية سورة هود عليه السلام فيها بعض الاشكال قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون وهي اخبار لا يجوز عليها النسخ التوفية
في هذه والله اعلم هو ان يطعم بعمله ويسقى فيحسب عليه العوافي ونعم السمع والبصر والحواس
فيكون ذلك توفية لعمله ويعطيه ربه من الدنيا ما شاء الله وما زاد على مراده ثم هو يحسب له
ذلك كله فبما ذكرناه دل على هذا التاويل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به فهو مما اصاب من
مكروه يكفر عنه سيئا فيرد على الله تعالى طيبا مطهرا ليدخله الجنة بحسناته موفرة والحمد
لله رب العالمين ثم قال عز من قائل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك اخبر جل
ذكره انه يرزق الحرام كما يرزق الحلال وان الحسنات خلق له واكتساب للعبد لكن بقدره

وادنه والسيئات كذلك غير ان الحسنات يرضاها ولا يرضى السيئات **قوله** عز وجل
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه قضى هنا بمعنى امر وهذا من بعض وجوهها وقراها
ابو حيوة ووصى وكذلك ابن عباس وقال كانت ووصى فالتزقت الواو والثانية فقروها
وقضى وابن مسعود كذلك قراها ووصى ربك يقول الله جل قوله شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا الاية ثم جعل جل ذكره يسرد وصاياه بالحكمة والموعظة الحسنة
ويفصل الى قوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى
في جهنم ملوما مدحورا فافتتح التوصية بالتوحيد وختمها به ثم قال عز من قائل
افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما انتظم
هذا الخطاب بقوله في سورة النحل وغيرها ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
يقول الله جل من قائل ولقد صرفنا في هذا القران ليذكروا اي الحق الكائن في قلوبهم
الحاصل فيها من اثارة الفطرة فما يزيدهم تنويع التصريف وتكرار التنبيه الا نفورا عن حقيقة
ما يراد بهم من الهداية ثم نظم بذلك قوله قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا سلم لهم جل وتعالى تجويزا جدلا لهم تسليم جدل وهذا من فرض ما لا يجوز كونه
لتبيين ما لا يجوز سواه لتحقق وهو اعلم لو كان معه الهة كما يقولون زعمهم لم تكونوا الا مخلوقين
ولا خالق الا الله وحده لا شريك له اذ لا يجوز ان يوجد شي او جد نفسه من غير موجد موجود
هو سواه واذا كان مخلوقا فهو عبد لخالقه ومن حيث هو عبد فهو عابد له قانت واذ
كانوا كذلك فهولاء عباد امثالكم لا يملكون لانفسهم ولا لسواهم نفعا ولا ضرا الا
ما شاء الله وقد كان قوم من العرب يعبدون الملائكة وهم صافون عند ربهم عابدون له
وكان فيهم رجال يعبدون رجالا من الجن فاسلم اولئك النفر من الجن وبقي الذين ضلوا
بعبادتهم في ضلالهم وقد اهتدوا اولئك يقول الله جل من قائل اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا
سبحان الله العلي الاعلى نفسه عن قبيح افترائهم وكثير اجترائهم بقوله سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا كبيرا ثم نظم بذلك قوله الحق عز جلاله تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شي
الا يسبح بحمده واذا كان ذلك كذلك فكيف يصح تصور جواز معبود سواه مع هذا يقول
الله جل من قائل ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما عن ذنوب عباده حليما عن غفلتهم
حليما عن معاجلتهم لاجل قولهم اتخذ الله ولدا وجعلهم له شركاء والهة يعبدونها
من دونه غفورا للذنوب عباده المؤمنين **فصل** التسبيح يكون بمعنى التنزيه ويكون
بمعنى التمجيد ويكون بمعنى التعجيب وهو راجع الى الاولين مثال التسبيح التنزيه سبحان ربك
رب العزة عما يصفون سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى الله عما
يشركون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه
وتعالى عما يصفون واما التسبيح بمعنى التمجيد فهو ما كان منه بمعنى التعجيب والتعظيم بحسن انشائه
وعجيب ابقائه وعظيم اقتداره واحاطة علمه ومضاء مشيئته وعلى صفاته والتعجيب من حسن
ملكته سماواته وقيام السموات والارض وجميع المخلوقات بامره من ذلك قوله عز وجل سبحان الذي

اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا تعجب جل
جلاله ذاكرا على التعجيب من قهر اقتداره بكريم عنايته وخفي لطفه بعبده المخلوق من الطين الذي
ازدراه عدوه ابليس لعنه الله يوم امره جل ذكره بالسجود لادم الذي هو ابو محمد عليه السلام
فاحتقره وما خبره وقال ااسجد لمن خلقت طينا انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون واسرى به ليلا الى المسجد الاقصى ثم الى السموات
العلى واخترق به السبع الطباق ونوه به في نوادي القدس من الملائكة والانبياء والمرسلين
وصعد الى البيت المعمور ثم الى السدرة المنتهى وجنة المأوى ثم دنى فتدلى فكان بالقرب كقاب
قوسين او ادنى في الرفيع المستوى ثم اوحى الى عبده ما اوحى محكما مجملا كلما اليه واوحى الى ان فضله
له على انابته كما شاء فسبحانه وله الحمد في الاولى والاخرة ومنه المعنى بقوله سبحان الذي خلق الازواج
كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يقول عز من قائل سبحان الذي خلق الازواج
كلها من نبات الارض كما قال خلقكم من تراب ثم قال ومن انفسهم اي من ذكر وانثى و
ايضا مما لا يعلمون وقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي واليه ترجعون ومنه ما عبر عنه بقوله
اهل الجنة ووصفه من حالتهم بقوله دعواهم فيها سبحانك اللهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس
وذلك ان بقاءهم فيما هنا مبني على تجديد ما هو معجب لهم ابد الابدين ودهر الداهرين لا
يرون فيها ابدا فيما يعرفون ملا يعرفونه الا ما هو تجديد تعجيب باظهار المقدور الغائب
عن ظاهرها هنالك فانهم وفي اثناء ذلك يتذكرون فاحاهم من ذلك ومن عليهم
فيكون الاخر من دعواهم ذلك ما هو الحمد لله رب العالمين كذلك التمجيد منه ما يكون بمعنى
الحمد الجامع للمدائح كلها كقوله الحمد لله رب العالمين وبان حيث جاء ومنه ما هو بمعنى الغبطة
والسرور بكريم الهبة وسني الغبطة التي فات العقول تحصيل قدرها وتقاصرت ذوات
العبارات لو صعدوا الى اعلى درجاتهم عن تحمل الفرح بها وهو قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وهذا المعنى يتردد
بين تعداد النعم ولا نعمة اسنى منها وبين الاتصاف بما هو له اهل ومنه قوله قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وبين النعمة للمنعم عليه والتنبيه
على اداء شكرها من نعمة ولا شكر شاكر يبلغ شكر ما يفضل به من انه جعل معرفة النعمة
والاقرار بالعجز عن اداء واجبها شكرا وكان بعض الحامدين يقول الحمد لله على النعمة
والحمد لله على النعمة منه والحمد لله رب العالمين وكما انه ليس كمثله شي فكذلك النعمة به ليس مثلها
نعم وعند ذكر التسبيح الحمد والحمد التسبيح كان تسبيح الخلايق بهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للرجل الذي شكا العيلة اين انت من تسبيح الخلايق وبها يرزقون سبحان الله وبحمده سبحان
الله العظيم **فصل** موضوع التكليف الذي هو الشرع مخالفة الهوى الا ما اغنى من ذلك
حكم التيسير والرحمة ومعهود وجود الهوى منا نحن بحسب وجود العقل والملائكة
عليهم السلام لهم العقل لا هوى لهم والثقلان الجن والانس عقل وهوى ثم العوالم دون
هذه المرتبة على هاتين الصفتين العقل والهوى فكانت الجبلة والفطرة المنتزع الهوى
موجودة فيها لا محالة فكان امتثال الله لها في احراز وجودها عليها فاذا تنوع الجماع

والنبات والحيوان مخالفة للجملة ويخلوها عن الهوى لم تخالف ما شرع عليها البتة بل فطر على وجوها
وانما جبل الثقلان سفلا هو الخفيف ليصعد علوا والماء صبا لما فيه من التوسط بين الهواء و
الارض مسدد ممسوح فامتثال الله جل ذكره هذه الموجودات على حكمه ودفعها على مراده و
تسخيره اياها لما يريد منها لسواها هو تسبيحها لانه فطرها على طاعته واوجدها على معرفته الم تر ان
الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه وقال الم يروا الى الطير
مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده فقيام الموجودات مقامها او مخالفتها ما جبلها عليه طابعة لها فانه هو تسبيحها
فعلى هذا فليس من شيء في السموات والارض لا يسبح له لانه غير خارج عن حكمه وامساكه اياه ولا يشذ
شيء عن مراده به ومنه هكذا هو من حيث الايجاد والحاجة والخلقة وانما من حيث وجود الصفات
فيها باطنا كالعلم والايمان والمعرفة والعقل ونحو هذا فانا وجدنا فيها الخشية منه والخوف له والاذعان
به والشهادة والدلالة عليه كذلك ايضا او جبلها النفع لسواها وهو زكاتها وهو تسخيرها لما
لمراده منها وبها وفيها كذلك اوجد لها التسبيح والتكبير والسجود والقيام وجماع هذا هو الصلوة
ثم من خفي عليه من اخفى ذلك عليهما في حقه فهو مكذب به ومنهم من رد قدرا للايمان الجرهبة والتصديق
ومنهم من اراه طرفا منه في جهة العبرة ومقابلة الاشباه والايمان بعهده وقلة الفقه عنها
نزله عن التحقيق لهذا سر حال الصعق الى ما علا من ذلك كما يخاف عليه من استصحاب الغفلة وترك
التفقه فهذا انشاء ومنهم من كشف الله له ذلك كالانبياء والرسل عليهم السلام قال الله عز وجل
في داود عليه السلام قال الله عز وجل في داود عليه السلام انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
والطير محشورة كل له اواب وقال سليمن عليه السلام يا ايها الناس علمنا منطق الطير وكلام الحجر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك السحر وحنين الجذع وكلام الجمل واعلام الذراع المسموم وهذا
ولاولياء الله جل جلاله بين هذه وهذه درجات جعلها الله لهم دلالات على تكليم يكلمون
والهام يلهمون وامور صادقة يطلعون عليها خارجة عن جريان العوائد **فصل** فنشاء بحمد الله
تعالى عبادات المكلفين الموصوفين بالعقل ظاهرا الى مشاهدة ظاهرة لانها افعال محدودة و
استعمال النبات وتركيب الحركات على سنن معلومة كما بطن بعض هذا او جله فيما دون ذلك من العالم
كما تقدم من الترتيب من اظهار ما بطن من ذلك لبعض دون بعض كما يظهر الله جل ذكره هذا
المقدار من العلم والمشاهدة لسجود الموجودات وتسبيحها فكذلك يظهر ما بطن عن المعتبرين
من ذلك للصديقين من الانبياء والرسل يظهر لهم ما بطن عن التصديق لنزول الملائكة على جميعهم السلام
هم الشاهدون الباعثون عليهم السلام ومن الله جل ذكره لا تمام ذلك ووجوده من الموجودات
ولا يعزب عن ربك من مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر
الا في كتاب مبين هذا الخطاب شارح لقوله الحق والله عليم بما يفعلون انه ما ذكرنا وجوده
باطنا وما قصه الله علينا من وجود انبياء عليهم السلام ذلك وما يخرقه على ايديهم من المعجزات ويظهره الى الاولياء
من الكرامات وخرق العادات واعلم ذلك والموجودات فاعلم ليشهد هؤلاء مخالفة من حيث مرادها
وفيها وبها العدم الهوى في جبلتها وانما رسوبها للصعود هوي الى اسفل وسائر صفات الجبلة في حق
انفسها مع سواه فقد حصل اليقين بان لها التسبيح والكلام والخشية والخوف وغير ذلك من الصفات

والاعمال فانه عن ربك جل جلاله ولا تكن من الممترين واعلم مع هذا ان كل طاعة لله فهي عبادة
وقربة والصلوة بما هي جمعت جميع العبادات فيها الذكر والتلاوة والصيام والحج والشهادة
والزكوة من حيث ان صاحبها يتزكى بها وبما يدفع الله بالمصلين من عباده عمن لا يصلي فهي ايضا
بهذا داخلة في الصدقة والزكاة فيها الرفع والخفض وكل ذلك متصور في الجماد ثم ظهر ذلك
بالنشء كما تقدم **قوله** تعالى قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم ذكر
ان هذا امر تعجيز وليس وانما هو جواب لقولهم اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا
جديدا فقال لهم جل قوله قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم وانما ذلك
ان اعادة العظام والرفات اقرب الى الخلقة في مستصحب الحال من الحجارة والحديد من تناسخ الاجسام
في الشجر والدواب والانعام وانما حبلا بعد حبل وخلقة بعد خلقة والحدوث من الخطاب
فانه يعيدكم على ذلك اظهر ذلك في قوله حكاية عنهم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم الى البعث
البغض تحريك الراس من اسفل الى فوق ومن فوق الى اسفل وقيل للظليم ولد النعام نغض
لانه اذا مشى حرك راسه كذلك ولما خلقهم من التراب كذلك يعيدهم والموت يموت ما ياكلهم
الطير والسباع والدود وغير ذلك من الحيوان ويأكل ذلك الحيوان حيوان اخر ثم كذلك الى يوم
القيمة وقد محا ورمد منه وموضع بلاده حجرا ومعدنا حديدا ونحاسا وذهبا وشجرا
اونباتا ثم يتصرف ذلك في الوجود على سنن تصريفه المقدور فيه ثم كذلك يتصل الامداد الى يوم
القيمة ووجود كل ذي وجود محروس عليه مذموم في الكمالات الاول في التقدير الاول الذي اظهره بالفعل
والايجاد الخلقة وهذا هو تناسخ الاجسام وهو الذي وجد الاولون في سبل نظرهم فاما
فاما ضلوا عنه وانما اخطى عليهم فطرتهم انهم قائلون بتناسخ الذوات والنسم محفوظ عليها
وجودها كذلك ما نقص من اجزاء الاجسام على ذوات وجودها محفوظة على كل ذلك وجود
كل صغير من ذلك مسطر في كتاب مبين يعيد كل ذي وجود الى وجوده كما كان لا يخلو
كل موجود منها وجل ان يكون على صورة يختص بها وهو الباري المصور المبدئ المعيد مع تصحيح
الله اياه في وجود الموجودات فاذا نفخ في الصور نفخة البعث قال الله عز وجل لكل شيء اخذ
من شيء رد ما فيك فيرجع على الطريق الذي منه ذهب من حيث منه تفرق فانهم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حديث لم ثم يلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمر الهك ما يدع على ظهرها
من شيء الا مات والملائكة الذين مع ربك عز وجل يحدثه ارض فارسل ربك تصيب من تحت
العرش ولعمر الهك ما يدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن الا شقت الارض عنه حتى
يخلقه من قبل راسه ويستوي جالسا فيقول ربك مهيم اي ربي امس لعهده بالحيوة يحسبه حديثا
باهله بخلقه كما تقدم ذكره ابعد على الافهام في مجرى العوائد من التراب الذي منه خلقه وفيه
ولينه **قوله** تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم التي هي احسن
هي كلمة التقوى لا اله الا الله ثم سائر انواع الذكر وقد يكون المعنى الامر بالرفق كقوله تعالى
وقولوا للناس حسنا المعهود من وجود استنباط الشيطان عند استنباط الغضب وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق في شيء الا زانه وقال اذا اراد الله باهل بيت خيرا ادخل

عليهم الرفق وقال ان الله يحب الرفق في الامر كله نظم ذلك بقوله الحق جل قوله ربكم
اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا كان هذا الكتاب امرا
للعلماء بالرفق بالعوام ولاهل الاستقامة بالتماس العذر لاهل التخليط والاخذ على
ايديهم باحسن القول وارفقه والرحمة هنا هي التوبة والله اعلم ثم قال جل قوله وربك اعلم
بمن في السموت والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض هذا كله منتظم
المعنى بعضه ببعض في الامر بالرفق والاخذ بالاحسن وذكر العلم هنا تعريض بانه اعلم بمن
سبق له كلمة الشقا وبمن سبق له كلمة الشقاوة **قوله** عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا الاية نزلت هذه بمكة وانذر بها ما نصب القرى
في الارض وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جمع الناس في مسجده ثم خرج عليهم فصعد
المنبر صلوات الله وسلامه عليه فقال اني جمعتكم لاعلمكم ما علمني ربي في يومي هذا وذكر
كلاما وان الله اطلع على اهل الارض فمقتهم كلهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فكان
ذلك ما فسره قوله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القرى فاظهر دينه الاسلام على الدين كله
مع ما سوف ينفذه الى يوم القيمة ليتم ما قد سطره في اللوح المحفوظ من تنفيذ قوله في صدر
السورة وقد تقدم قوله عز وجل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
المحذوف من الكلام فاهلكناهم او ما كان في معناه كل اية شرطية اذا اتت فقل ما يمهل
الله المكذبين بها بل الاهلاك على ذلك سنته ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا وكانوا
قد شرطوا عليه بايات ذكرهم في هذه السورة لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او يكون لك جنة من نخيل وعنب الى اخر المعنى عرض بمعنى الاهلاك بقوله واتينا ثمود
الناقة مبصرة فظلموا بها اي اية مبصرة يريد مبينة ثم قال عز من قائل وما نرسل بالايات
الا تخويفا اراه والله اعلم بما ينزل ان المراد بهذه الايات هي الايات من الرياح والصواعق
والامطار والقحوط والرعد والبرق فيرسلها تخويفا لعباده وتهيبا لهم ويكون ايضا
هي الايات للامم فانها ايضا تخويف للغير ان يصيبهم مثل ما اصابهم ثم اتبع ذلك ما
هو في معنا قوله عز وجل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس هذه والله اعلم
مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله اطلع على اهل الارض ثم نظم
بذلك قوله عز وجل وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الا فتنة للناس
والشجرة الملعونة في القران الرؤيا هو الاسراء والشجرة الملعونة هو ابليس ولعن
الله شجرة في القران وانما لعن ابليس وهو شجرة لما تفرع منه من نسله وضروب الكفر
وفعل الخبائث وان جهنم وما فيها ليس بلعون وما الملعون الا من جعل فيها على وجه الجزاء
لعمل منهي عنه نعوذ بالله من ذلك وهذا خطاب تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما
يهمه ويدمه من تخلفهم عن الاستجابة لله جل ذكره ولكتابه **قوله** تعالى واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم اي اسجدوا له اقتداء في سجوده لله وحده فسجدوا الا ابليس قال ااسجد
لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته الا قليلا الاحتناك الاحتواء على الشي والاستيصال له واما قوله ولاضلنهم

ولامنينهم ولامرنهم المعنى الى اخره فقال الله جل جلاله واستفزز من استطعت منهم
بصوتك اصوات الملاهي والمنكرات اذ هي برضاه ومحبته وتزيينه ووسوسته واجلب عليهم بخيلك
ورجلك هي كل خيل ورجل ليست في طاعة الله ولا في طلب مرضاته او للبشر والبغي على الناس وعن
الحرام بالحلال فهي من حزب الشيطان وشاركهم في الاموال والاولاد وهو تحليل ما حرم الله
وتحريم ما احل الله لاجل شهواتهم او اشركاتهم المتخذة من دون الله وشاركهم في الاولاد هو
الزناء والتناكح على غير كلمة الله وسنة رسوله وذكر اسم الله وسنة رسوله وذكر اسم الله
على ما يكون من ذلك حال الوطي والا سبقه الشيطان الى ذلك منه وهو ايضا بان يهودونهم
او ينصرونهم او يمجسونهم فاضلاله اياهم وتزيينه ذلك لهم والجلب والجلبة في الناس الصياح
وكثرة الضجيج وارتفاع الاصوات وغيرهم هذا كله من خطاب على صفة افعل الخارج مخرج
الامر وهذا من المتشابه في القران ولانه جل جلاله لا يامر بالفحشاء فليس اذا بامر انما هو ايعاد
وتهديد للمغرور والغار والمزين له والمضل والضال **قوله** تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا عباد الله هم عباده على الخصوص ولم يجعل الله للشيطان عليهم
سبيلا وهم في ذلك درجات فمنهم من لم يسلم شيطانه وصار نقيا فلا يامره الا بالتقوى والعمل المرضي
منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اسلم شيطانه وبقي عليه خلط ومنهم الكافر والمنافق
وقرينه مثله ومن يتوكل على الله واسلم له واكرهها على لزوم طاعته كفاه ووقاه وكفى بالله
وكيلا **قوله** تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
هذا كلام متصل المعنى بقوله اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر
ومتاع الى حين وقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يعني وهو علم على غيرهم
ممن هو دونهم كالجماد والنبات والحيوان والجن وهذا التفضيل على الاطلاق انما هو للمؤمنين
من بني ادم وما شكوا المؤمنين فاكرام وانه لفضل رحمته متعهم بها ههنا لما اخرجهم من الجنة
وقضى لهم بالسجن فيما ههنا اخلف لهم هنا انهارا وعيونا وزروعا وجنات ومن كل الثمرات
ليذكروا بها ما اخرجوا عنه فيرجعوا الى منزلهم الاول الذي هذا دليل عليه ومشير اليه ومن
استحب هذه واطمان اليها كانت جنته ومن جعلها متاعا وسجنا ومجازا الى المحل الذي خرج
عنه وكان حسبه الكفاف اصيب الى تلك والحق بابيه ادم عليه السلم نظم بهذا قوله جل قوله يوم
ندعو كل اناس بامامهم اي اذ رجوعهم الى ما هنالك يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه
بيمينه فاولئك يقرؤون كتابهم المعنى الى اخره قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايتين فقال
يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على راسه
تاج من لؤلؤ يتلالا فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا
في هذا حتى ياتيهم فيقول ابشروا فان لكل رجل منكم مثل هذا قال قال واما الكافر فيسود وجهه
ويمد له في جسمه ستون ويلبس تاجا فيراه اصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم
لا تاتنا بهذا قال فياتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول ابعدكم الله فان لكل واحد منكم
مثل هذا **فصل** قوله عز وجل ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا
لان الكافر والغافل في الدنيا اعمى عن الهداية عن ذنوبه وحسناته وسيئاته جاهل

بالتمييز بينها على كل درجة في ذلك فاذا كان يوم القيمة دفع اليه كتابه يقرؤه فلا يرى
فيها الا كما فرط شيئا وما كان له من حسنه فقد اطعم بها وعوفي بتقوى الله جل من قائل
ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها اي كتبا وجزاء في الدنيا ثم عطف على ذلك بالحكم
قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا اي من سيئة حاضرة ثم قال ولا يظلم ربك احدا كما تقدم
ان ما يجزى بها في الدنيا او في الاخرة او فيهما ان كان مؤمنا واما المؤمن فكان بصيرا ببينة
بصيرا بما يقربه ويبعده يقظانا فهو هنالك مبصر وربما تم الكافر العمى ظاهرا وباطنا
كما قال عز قوله ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الى قوله
ولعذاب الاخرة اشد وابقى وكقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
قوله عز من قائل اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل هذه صلوة الظهر الى صلوة العشاء
الاخر وبين ذلك العصر والمغرب لذلك جعل بين الاخرين حرف انتهاء الغاية ويجي ايضا بمعنى
الحد بمعنى الغاية وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل
ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا اذا ذهب من الليل ثلثه وفي اخرى نصف الليل وفي اخرى
اذا بقي من الليل ثلثه فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني
فاغفر له فلا يزال كذلك حتى يسمع النادي من صلوة الفجر **فصل** العرب يسمي الساعة التي بعد
الظهيرة وعاشرة العصر وعصر كل شيء ما قرب من اخره وهي التي بعدها ساعة الاصيل ثم
الثانية عشر الطفل وكذلك يسمى اول ساعة من الليل الغسق وهو الوقت الذي فيه ما ينقضي سلخ النهار
من الليل وهذه الساعة اشد ظلاما وانما سميت بذلك لخروجها من النهار وهو استقبال ظلام
الليل وتسمى الثانية منه الفحمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا مواشيكم حتى يذهب فحمة العشاء
فان للشياطين انتشارا حينئذ وتسمى الثالثة عشوة والرابعة هداة والخامسة الشواع وذلك
لشياع ضياء سناه وانما هو عن قتاده تنزله جل جلاله وتعالى الوه وشانه والسادسة
الجنح لجنوح الكواكب وهي من الليل بمنزلة الظهيرة من النهار السابعة الهزيع الثامنة الفقعي
التاسعة البهرة العاشرة الهزيع الحادي عشر الزلفة لقربها من اخره الثانية عشر السحر **فصل**
قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الله عز وجل اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل يعني
صلوة السحر هذه صلوة الوتر في هذه الاوقات المذكورة لمن بر لذلك ولا يتصور وجود نافلة
حتى تخلص الفريضة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلذلك
ما نص عليه بانها نافلة له وفي عبادة الله جل ذكره من يكون له نافلة فلتحقيق الله جل قوله
لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن يتوضأ فيخرج الخطايا
من جوارحه حتى يخرج نقيا من الذنوب قال وكانت مشيه الى المسجد نافلة ثم قال عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا هذه هي الدرجة الرفيعة استفتاح الدرجة واستفتاح باب الجنة نظم
بذلك قوله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت حين امر بالهجرة من مكة الى المدينة ومن الحشر العبد
دخوله وخروجه من كل وجه اتبع ذلك قوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

لما ذكر جل جلاله ما اوحى اليه من الحكمة من لدن قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا الى قوله مما اوحى اليك ربك من الحكمة فهذه هي الحكمة ثم جعل يسرد عليها العلم ولا تجعل
مع الله الها اخر الى قوله عز من قائل وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ
بينهم الى قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ثم قال عز من قائل
اقم الصلوة لدلوك الشمس الى قوله ان الباطل كان زهوقا فكان فيما تقدم من لدن قوله
اقم الصلوة الى قوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا تعريضا بان ما بين ذلك مع ما تقدم
تحقق مجيء الحق وزهوق الباطل انما الصلوة فانها تذهب السيئات لا محالة ولتصعد مع
اداء الفرائض تصعد في الصعود في درجات القرب وقول العبد مع هذا رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا يذهب بالباطل ويحق الحق
ان شاء الله تعالى لذلك وهو اعلم بما نزل نظم به قوله وننزل من القران ما هو شفاء اي
وربما كان شفاء من سقم والغم وكيد العدو ورحمة للمؤمنين ازالة ذنوبهم وخطاياهم
وتقربهم من ربهم والتعرف به ولا يزيد الظالمين الا خسارا فدل بهذا انه من لم ينفعه
هذا لم ينتفع بسواه فيما بقي عليه من ظلم نفسه ومعنى حرف من هذه الاية قوله وننزل من القران
لتمييز الجنس كقولك لقيت من الناس خلقا كثيرا فهي مخبرة عن ذات الشيء كقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من احد من الناس وصف لي بخير الا وجدته دون ما وصف لي الا ما كان من
زيد الخيل وما اسم المنزل والمنزل كله شفاء ورحمة للمؤمنين لمن امن بالله ورسوله واحسن
الاقتداء لكن لبعض الكلام والتنزيل خواص قصدها المنزل فيه ومن اجله فربما افاض الله من بركة
القران الذي يكون شفاء من مرض الاجسام ومس الجن وطوارق حدثان الاوجاع وسود
السموم ونحو هذا دل على هذا ما انتظم به من الدعاء كما تقدم كما ان كل المنزل عمى وضلال
للمكذب به نظم به قوله عز من قائل واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه الشر كان
يؤوسا قل كل يعمل على شاكلته يعني المؤمن والكافر اي على مثاله وخلقته فربكم اعلم بمن
هو اهدى سبيلا اذا رفع على الانسان في معيشته وصحته ادركه البطر فوقع من اجل ذلك في
الجحود وربما رحمة من الله جل ذكره صار جور الجائرين وحيف السلاطين وظلم الظالمين
لهم اعني المظلومين بدلا من الاهلاك على النظر والعلو والفساد في الارض اذ هو الاستيصال
نظم بذلك قوله قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **قوله** تعالى ويسالونك
عن الروح قل الروح من امر ربي البحث عن الشيء يكون باحد اربعة اشياء ادوات لا تزول
من جهة البحث الا باحداهن هل كقولك هل كان كذا وكذا هل كان كذا وهي باحثة
عن حقيقة المطلوب واسه هل له وجود ام لا فجواب ذلك يقع بنعم او لا الثاني ما كقولك
ما هو كذا وكذا وهو بحث عن جوهرية المطلوب وطبيعته وما هو عنه وجوده ولا يعلم
بذلك يقع الجواب عنها الثالث كيف كقولك كيف كان كذا وهي باحثة عن خواص الشيء
المطلوب واحواله ولواحقه اللازمة له المعروفة به واي منها هو فللسؤال ان يقول لوازم
المطلوب كثيرة واحواله جمة فايما اردت بسؤالك فان اعلن ما اراد حسن الجواب
بنعم او لا ويقول حالته كذا وصفته كذا الرابع قولك لم كان كذا هكذا ولم لم يكن كذا

وهي باحثة عن علة الشيء التامية الموجبة لكونه لم كان على هذا فقول الله جل جلاله
ويسألونك عن الروح اي ما هو الروح فلذلك كان الجواب معبرا عن حقيقة المسؤول
وما هو والسؤال عن الامر بما هو فان السائل عنه لا يخلو ان يكون سواله عن الامر الذي
هو الشان كقوله جل ذكره انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون معناه انما شانه
او ما يكون معبرا عنه ومفسرا له وجمع هذا الامر على امور وعلى هذا يكون صفة من الصفات
وان كان من الامر الذي هو قوله كن فهو اذا ما يكون عن الكلام العلي فهو روح وليس بمخلوق
ولا محدث ولا بغي سبحانه وتعالى عن ذلك ويكون هذا المشار اليه بالمعبر عنه بالروح
من الامر محدثا من الامر كما قال خلقكم من تراب فهو محدث موجود من الامر الذي هو
الكلام وهو المقول له كن فيكون روحا على ما شاءه به واوجده له الا ترى ان الكلام
منه جامع لكل مراد له مجملا كان المراد ومفصلا خلقا كان او امرا وروحا كان او جسما
لكن على النحو الذي شاءه منه وبه **فصل** هذا هو الامر الارفع والوصف الاعلى للروح
ثم الى هذا فقد اوجد لكل خلق امرا فالسموات لهن امرهن وكذلك الافلاك والرياح والاملاك
والارضون والنبات في كل موجود دق او جل علا او سفل وكلما علا الموجود كان امره عليا
وبالضد قال الله عز وجل واوحى في كل سماء امرها وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من
كل امر سلام والاذن هنا امر علي وكلام والروح منه على ما يقول جل من قائل من كان امره اعلى
الامر احتملت فيه المرادات فروح كل امر حسبما له ملازم على قدر نسبته وقدره جاء عن علي رضي الله عنه
انه قال الروح ملك من الملائكة له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان ينطق كل لسان بسبعين
الف لغة يسبح الله بها كلها يخلق الله جل ثناؤه من تسبيحه سبعين الف ملك يسبح مع الملائكة
الى يوم القيامة وهذا ان صح وجوده وصدق الراوي عن علي رضي الله عنه فهو حجة وما هو على الله بعزيز
وكذلك روي عن ابن عباس انه ملك وروي انه امر من امر الله وخلق من خلق صورهم على صورة
بني ادم ما ينزل من ملك الا ومعه الروح وقيل ان الملائكة كلهم عشرة اقسام فتسعة اقسام منهم الروح
وقسم واحد سائر ذلك **فصل** الامر الذي شاع وجوده امران امر خلق وامر وحي ولكل امر روح
يصحبه كما تقدم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فامر الخلق له روح على قدر مرتبة وبعده عن الحق
من علي الروح الذي كان عنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سقطت النطفة
نزل اليها ملك الارحام فيقول اي رب نطفة اي رب علقة وفيه فينفخ الروح فيها فعلى هذا كل نفس منفوسة
فلملك الارحام ينفخ فيها الروح وصعد الامر بالروح لعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه
لاختصاصه جل جلاله الى ما عبر عنه بقوله جل قوله فارسلنا روحنا الاية وقوله فنفخنا فيها من
روحنا وكلمته القاها الى مريم وروح منه وذكر جل ذكره في ادم عليه السلام من الاختصاص ما هو
اظهر قوله ونفخت فيه من روحي فاتصف جل جلاله بالنفخ فيه دون واسطة ذكرها والنفخ
وان كان دون واسطة وصفا علينا للذات العلي سبحانه وله الحمد والقول الحق في ذلك ان كلا
بان عن الله جل ذكره فهو له عبد ومنه خلق وانما تفاضل العباد بقدر احتياجه اياهم وخشيته
فيهم فاعلم ذلك واما روح الوحي فهو والله اعلم ما ينزل من امره الذي هو كلامه العلي في الامر

في الامر والنهي والقصص والحديث كقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وكقوله نقص عليك احسن القصص ونتلو عليك من نبأ موسى
وفرعون فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون الى جميع ما يتفرع اليه القران قال الله عز وجل ينزل
الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقوله حم عسق
كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك ثم قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فتبين من مجموع هذه
الشواهد ان الروح يكون من امره اي من كلامه ومن امره اي من شانه في التكوين ومن امره
اي من شانه في الالهام والهداية ومن امره الذي له في خلقه الذي هو الملك وفي كل خلق امره وروحه
فصل المعهود في الوجود انه جل ذكره له بكل صفة اسم هو منها مشتق وان كل اسم له منه سلك
في الوجود من ذلك انه السميع البصير فاوجد السمع والبصر وكذلك هو القادر المريد والعالم
فاوجد العلوم والارادات والقدر وهو الحي اوجد الحيوة وله الاحياء وله الروح قال الله
عز من قائل ونفخت فيه من روحي وقال في المسيح صلى الله عليه وسلم وكلمته القاها الى مريم وروح منه
وقال وايدهم بروح منه كذلك خلق خلقا هو الروح تعرج الملائكة اليه ومنه روح القدس والروح
الامين جبريل عليه السلام والمؤمنون يتحابون بروح الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الريح فانها من روح الرحمن وكل روح اتصف به فهو صفة له وهو منه وكلما بان عنه فهو خلق ومنه
تسبيح الملائكة ورسول الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين سبوح قدوس رب الملائكة والروح كالروح
الذي نفخ منه في ادم عليه السلام والروح الذي سمى به عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام فذلك
تحقيق حقيقة لمن اثره به وخصه بخصوصية ثم الى ما وراء ذلك درجات وما اوتينا من العلم
الا قليلا **قوله** عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه ما قال قط في شيء ولئن شئنا الا قضى من ذلك ما شاءه قوله الحق وله
الملك نسال الله العفو الغفور الرحيم معافاته ومغفرته ورحمته قال رسول الله صلى الله عليه
يسرى على القران ليلا فيصبح حتى يمحى من المصحف رسمه ومن القلوب حفظه ذلك اذا ضيعت حدود
الله واستحلت محارمه وتليت حروفه لغير الله وقد قالوا ان اول ما يرفع من القران فرائضه وروي عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن قال قلت
فما المخرج يا رسول الله قال كتاب الله كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو
الفصل ليس بالهزل لا يزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي
عجائبه هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله
المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل
ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم وروى رافع بن خديج قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن نقترئ القران يقرئ بعضنا بعضا فقال الحمد لله كتاب الله واحد فيكم الاخيار
والاحمر والاسود اقرؤا القران قبل ان ياتي قوم يقرؤنه يقيمون حروف القران كما يقيم السهم
لا يجاوز تراقيهم يتعجلون ثوابه ولا يتاجلونه وروى زياد بن لبيد قال ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا فقال ذلك عند ذهاب العلم قال قلت يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ

القران ونقرئه ابناءنا ويقرئه ابناؤنا ابناءهم الى يوم القيمة قال تكلتك امك زياد ان كنت
لاراك افقه رجل في المدينة اوليس اليهود والنصارى يقرؤن التورية والانجيل ولا يعملون
بشيء مما فيها وهذه سبيل القران من هنا ياتيه ما اتاه به الله ورسوله عليه السلام نظم بذلك
قوله عز من قائل الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا يقول عز من قائل الا رحمة من ربك
فيما قدره من الامتاع به والارحمة منه فيما عفا عنه من ذنوب عباده الموجبة لرفعه من بينهم ان فضله
كان عليك كبيرا في انزاله عليك وما خصك به من النبوة والرسالة في تاخيره ذلك والعفو عن العباد
نظم بذلك قوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا هذا ايضا متصل المعنى بخطاب اخبرهم عن طلبهم ايه على رسالته وصدق
ما جاء به من قوله واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا الى قوله
واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا الى قوله فضلوا ولا يستطيعون
سبيلا ثم قوله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون فقال في هذه الاية وهو اعلم
فقد كان في ايات القران اعظم اية على صدق ما جئت به وهو القران ولو اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله قوله تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل
مثل يقول بينا لهم سبل الهدى واريناهم معالم العلم بضروب التبيان وانواع الهدايات فابى اكثر الناس
الا كفورا نظم بذلك قوله عز وجل وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى
ما ذكروه من شططهم وما ابدعوه من عتوهم ووصف ضلالهم نظم بذلك قوله سبحان
ربي هل كنت الا بشرا رسولا هذا تسبيح تعظيم لله جل ذكره ان يفعل فعله غيره وهو تسبيح تعجب
من ضلالهم وجهلهم ان نرسل مثل هذا بشرا ثم اتبع ذلك قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا لا تعجبوا ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
امر الله كل معجب عجيب هو تعجب رسوله من انكارهم ان يبعث الله بشرا رسولا وهم يكثرون التعجب
من ان يبعث الله بشرا رسولا ولم يبعد واذلك وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شيء نظم بذلك ما جلا عن وجه الحق المتعجب منه بقوله الحق لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ذلك اعرق في البيان وابلغ
في وصف الحكمة لو كان الرسول الى البشر ملكا او غيره مما ليس بشرا ما بلغ من التبيين ما يبلغه
البشرى فانه تبين بقوله وبفعله واكثر احوال البشر ليست للملك مثل اكل الطعام وشرب الشراب
والاخراج والنكاح ولواحقه الى غير ذلك من احواله وضروراته ثم ذلك بقوله الحق قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا معنى ذلك ان الله جل ذكره شهيد على
ما فات من ذلك في هؤلاء وهؤلاء انه كان خبيرا بسواطن عباده نصيرا بظواهرهم يعلم
ما يصلحهم وما يصلحون عليه نظم بذلك قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتد عطف بالواو
في قوله ومن يهد الله تقدير انتظام الكلام بعضه ببعض والله اعلم لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فهدى من شاء ونضل من نشاء ومن يهد الله
فهو المهتد فانتظم بهذا معنى ما في الخطاب وما في العقول من الحكمة لاجل الابتلاء كما قال
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا اي بمن اهتدى ومن لا يهتدى ومن يضل

الله فلن تجد لهم اولياء من دونه اما الضالون فنحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما
وصما لا يسال عما يفعل وهم يسالون ثم ذكر انهم استاهلوا ذلك منه بما اكتسبوه من
ذنوبهم وتكذيبهم الرسل وردهم الكتب وتكذيبهم بالدار الاخرة وقولهم في ذلك ائذا
كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اخبر جل جلاله انه اضلهم عن هدايتهم
واعماهم عن رؤية الحق واصمهم عن سماعه وابكمهم عن الشهادة والنطق بحقيقته لانهم
كفروا بايات الله وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا وانبا
بانه كذلك نحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لما تعاموا عن الهدى في
الدنيا وبكموا وصموا وتركوا النظر في ايات الله في السموات والارض فامشاهم على وجوههم
كما كانوا في هذه مكبين على شهواتهم وضلالاتهم جعل ماواهم جهنم على ما كانوا عليه
نسال الله العفو الغفور معافاته ومغفرته وانما ورطهم في عمههم هذا كفرهم ووصفهم
الله عز وجل بالعجز عن القدرة على اعادتهم وعن العلم بتمييزهم من سواهم في غيابات البلاء
كقولهم ائذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد يقول الله جل ذكره بل هم بلقاء ربهم كافرون
ثم قال قطعا بهم في شبههم بقوله الحق قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم
ترجعون يقول الله عز من قائل انما هو ملك الموت يتوفاكم وعلى نحو ما فاتكم وحقيقة ما انتم
عليه من صورة وعمل وهداية وضلالة او اي ضرب من الوجود توفاكم عليه يعيدكم وعلى ذلك
منكم يوقفون عند ربكم **فصل** المعهود المعلوم بداية المحقق والايمان ان الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه لم يزل عالما بما هو خالقه قبل ان يخلقه بصفته وصورته ونعوته كلها
وما يكون منه من توابع ذلك وسوية ثم فطره اولا ليقرره ويشهده كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لما خلق ادم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته امثال الذر وقال الله عز وجل
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا ولما قررهم ما قرروا واشهدهم على انفسهم وعلى ربوبيته ورسالاته فشهدوا
وكان ذلك ما عبر عنه الخليل عليه السلام بقوله فصرهن اليك ولما كان ذلك جعل من كل
واحد منهم جزءا على ما هو اصل له في الوجود فلما دعاهم الى الكون وهو اخراجهم الى هذه
الدار اسرعوا اليه بالاجابة ثم هو ذا يميتهم على صورهم وقدودهم واجسامهم وبنيانهم
كله فعلى الحالة التي يتوفاهم عليها يحييهم غير انه يجمع لهم بين بداياتهم في تمام الخلقة
وبديع الفطرة ونهاياتهم في كمال ابدانهم المقدرة لهم وتوابع اعمالهم وارزاقهم
واثارهم واعمارهم وسياهم في غيابات الغيب واحاطته بهم علما وقدرة ومشية وتخصيصا
لكل ذات منهم بما خصه به لا عرق في العدم من التمييز بين اشكالهم وصورهم واختزانهم
في اسرة الارض ومفترقا هوية الاجزاء وما تعانت المياه وابعاض غاذيات النبات
والجمادات والحيوانات وتلاصق ذلك كله الى نفس الخلقة ورسمه في الكتاب بعد الكتاب الاول
وانما هو كعدم الاول مع وجودهم في الوجود العلمي حيث لم يكونوا موجودين لانفسهم
بل موجودين له في علمه المحيط وقدرته القاهرة ومشيته العالية بصفاتهم واسمائهم
واسماء ابائهم وامهاتهم وبلدانهم وارزاقهم واعمالهم واثارهم واجالهم

على اختلاف احوالهم في نموهم واضمحلالهم وتدريجهم في طبقات نشوهم وجوامع توابع
وجودهم احاط بذلك كله علما ومشية في ازله لا الى اول ثم كتبهم على ذلك في اللوح
المحفوظ اذ قال للقلم اكتب ما هو كائن فكتب كذلك يوم الفطرة بعد بما فيه ويوم قضاء
القضية واخذ المواثيق والاقرار والشهادة ثم ربث موجود تلك الذوات في خزائن السموات
والارض بتوابعها اجمع ثم خلق الخليقة لعمارة هذه الدار يوم بذلك المكتوب ثم الموت
بما فيه ثم الاحياء الاخر للجزاء يقول الله جل جلاله قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا
مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيد نا قل الذي فطركم اول مرة فهذه هي الفطرة الاولى
بعد الموتة الاولى التي قال فيها اهل النار في النار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الامانة
الاولى من ذلك الاحياء الاول والامانة الثانية من هذه الحيوة اليوم قال الله عز وجل فيما
يتبين لهم او لم يروا كيف يبدؤ الخلق ثم يعيده فاخبر انهم قد راوا ذلك فهو احيا وهم الاول ثم
يعيده الان قال عز من قائل ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ
الخلق ثم الله فاحالهم في تعرف هذه البداءة على التسيار في الارض ليروا كيف بداية الخلق ثم الله
ينشئ النشأة الاخرة هي تلك الاخرة اذ هذه نشاة اولى فقد علم من ذا ذي تمييز وابن حظ
من عقل بانه مبتدا لا محالة وان مبتدئه قد تقدم في شانه كله قبل ابدائه ثم اوجده بعد اعلامه
بعد ما كون به الهواء والماء والارض والفتح والفتح فاوجده على سواء ما تقدم منه قبل
وسبق في علمه اسراه عفا الله عنا وعنك فطره اولا ثم اوجده بعد على علمه ومشية له وقدره
محيط به يعيده في النشأة الاخرة وان سكن به الارض والهواء والوجود وهو يقول مجيبا لهم
عن قولهم هذا شيء عجيب اذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد يقول قد علمنا ما تنقص الارض
منهم وعندنا كتاب حفيظ كيف لا يكون حفيظا وما من ذرة من ذرات العالم كيف تصرفت
ولا مثقال خردلة في السموات والارض يعزب عن علمه او تسقط عن كتابه قال فما بال القرون الاولى
قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الى قوله ان في ذلك لآيات لاولي النهى منها
خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى **قوله** تعالى او لم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير بل يعلم على التفصيل
وتفصيل التفصيل على التفصيل الاهو واحاطه العليم الخبير وفي خلق السموات والارض وجريان
الافلاك والشمس والقمر والنجوم ودوائر الليل والنهار ودوائر المد والجزر والقبض
والفيض وانزال الماء من السماء الى الارض واحيائها بعد موتها في ذلك كله اخبار بالعود بعد
البدء وانباء بالاحياء من بعد الموت ومشاهدات للتحصيل بالعلم ما خلفه وان الاحياء بعد الموت يكون
الى اوقات معلومة وآجال لا يتعداه مضروبة واعلام بان الدار الاخرة خالفة لهذه الدار
كما يخلف النهار الليل والليل النهار وكما اقتدر على الخلق في البداية فاولى واحرى
ان يوصف بالقدرة على الاعادة بل من اقتدر على الخلق الكلي فالموصف بالقدرة على خلق
جزئي من ذلك الكلي اولى واحرى والناس جزء من خلق السموات والارض وما بينهن لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقد وعد بذلك ودل على صدقه بذلك وادلة دوائر فيما بين السموات
والارض فكذلك وعد الله آت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **قوله** عز وجل وبالحق

انزلناه وبالحق نزل الحق الذي انزله به جل جلاله كما قال قل نزله روح القدس من ربك
بالحق ليثبت الذين امنوا وهدى وبشرى للمسلمين وقوله وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك المعنى وقال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه
يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه احيانا ياتيه في مثل
صلصلة الجرس فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال هذا الى ما يصحبه من الحفظة والامر والروح منه
وقد يكون الحق المعنى زائدا الى ما تقدم من تنزيله اليه من لدن كلام رب العالمين الى الروح القدس
الى الروح الامين الى قلب الرسول عليه السلام فجعله قرانا عربيا الى كلام المؤمنين وتلاوتهم من الروح
الامين والروح العلي يصحبه في ذلك كله الى التلاوة الرسول اياه الى بعض تلاوة المؤمنين وقد جاء انه
كان اذا انزل عليه الوحي يسمع لوجهه كدوي النحل وكل روح فهو من الامر ويكون نزول الامر والروح
على المنزلة العليا على قدر البعد من المبدأ مثال ذلك ادم عليه السلام هو اول لما نفخ فيه ذو الجلال
من روحه فيبعد ذلك على قدر البعد الاولى الا ما استثنى من ذلك حكم المشية في الاختصاص والاصطفاء
لمحمد صلوات الله وسلامه عليه سيد البرية وهو اخر الرسل واما روح الوحي والايمان فقربه على منازل
القرب والاختصاص والجاه عند رب العالمين وبحدسه بقدر العناية وانما الحق الذي نزل به والله اعلم
بما ينزل فهو ذكر الاسماء والصفات والتعريف بنفسه وذكر التوحيد والاسلام والشرايع والقصص
والانباء كله والقصص على ضروب من حفظ ورصد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الى ما في قوله فانه على يديه على امر الله جل ذكره
فهو الحق انزل الحق المبين بالحق وللحق **قوله** عز وجل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا هذه
الاية التي تقدم ذكرها قبل هذا منتظم معناها بقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران المعنى الى اخره وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث ونزلناه
تنزيلا فرقه بين الحلال والحرام والمواعظ والاحكام والهدى والضلال والوعد والوعيد
وقد كان مجملا محكما في ام الكتاب ففصله الى ما فصله اليه لذلك سماه فرقانا ولما جعل فيه من معنى
الفرقان الموجود عن الروح الموحى به مع الملك الى قلب الرسول عليه السلام وما جعله في قلوب اهل العلم
والايمان من الفرقان المذكور بقوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وهو تمييز صور المعاني
في الناظر وهو في الباطن كتصوير الصور في الظاهر فافهم كتاب احكمت اياته ثم فصلت من
لدن حكيم خبير الى قوله جل قوله الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير وقراها ابن عباس وقتادة
وعكرمة وابن محيصن والشعبي فرقناه بالتشديد اي فرقناه تنزيله قالوا ومن خففه معناه بيناه
وفي قراءة ابي وابن مسعود فرقناه عليك لتقراه قال فاذا كان فيه عليك فهو بالتشديد فعلى
القراءة بالتشديد والجمع بينها وبين قراءة التخفيف انه انزل الى بيت العزة جملة فيما فيه من
القرون ثم فرق انزاله بعد على نجوم ومنازل لتقراه على الناس على مكث يمكن ان يكون وصف
المكث نعتا للتفريق ونزلناه تنزيلا قد تقدم شرحه ويكون نزلنا رتلنا فيكون على ذكره
من البيان فان تفريقه وترتيبه بيانا له وتنزيل اذ لو كان جملة واحدة لم يكن مفهوما لنا فنزله
على منازله اجدر لان نفهم لنا ولا على حسابه بين هذا ما ياتي بعده **قوله** تعالى قل امنوا به
او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم اي كتابهم يخرون

للاذقان سجدا الذقن مجتمع اللحيتين مفهوم هذا الخطاب ان كل كتاب انزل قبل القرآن مثل
القرآن وكان اولوا العلم اذا يتلى عليهم كتاب الله متضمن لبيانه على اسماء الله عز وجل وعلى نحو
الملائكة والانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه على جميعهم واولوا العلم من قبلهم
اذا مر القادى على وعد الله او وعيده وذكر المكذبين الرادين على المبلغين اليهم عن الله عز
وجل يخرون للاذقان سجدا لاجل سجود الساجدين ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا
مفعولا ويسجدون من فعل اولئك ويؤمنون به ويسبحون الله تعالى عن ما نسبه اليه اولئك
والى كتابه وانبيائه ورسله فيقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا واكثر ما يأتى
السجود فى القرآن فلهذا الاقتداء **قوله** تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقرأ
اين تدعوا منفصلة كانه قال من دعى بهذين الاسمين فهو الله جل ذكره وكذلك ان دعوته بالكريم او الحليم او العليم
والقادر او غير ذلك من الاسماء فهو هو له الاسماء الحسنى وقال عز من قائل ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها

سورة الكهف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
قيما قيل ان قوله قيما مؤخر فى التلاوة قالوا انما معناه الذى انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل
له عوجا وهو وجه صحيح ان شاء الله على ان يكون قيما نعت للكتاب ثم قال لينذر بأسا شديدا من
لدنه اى من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا حسن المنقلب فى الآخرة
والخلود هذه اقوال اهل التفسير فى صدر هذه السورة **فصل** قوله الحمد لله الذى انزل على
عبده الكتاب مباركا شاهدا على الصراط المستقيم الذى هو الدين القيم ولم يجعل له فى هذا الصراط
عوجا قيما فيكون قوله عز وجل عوجا نعتا لقوله قيما اذ اهل الكتابين قبلنا لما عتوا على ربهم
وعصوا فيما نهوا عنه لزموا اغلالا من الكلف وحملوا آصارا من الاعمال ومنعوا مع ذلك
مواسم الارباح كان ذلك منهم والرسول بين اظهرهم والكتاب ينزل عليه والوحى يوحى اليه فقال الله
عز وجل لسلفنا رضى الله عن جميعهم يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم
من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يخطف يوم
جمعة هذا يومنا الذى كتب لنا الناس لنا فيه تبع اليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى
وفى اخرى نحن الآخرون السابقون ونحن اول من يدخل الجنة فهذا يومهم الذى فرضه الله عليهم فاختلفوا
فيه فهدانا الله اليه ومصداق هذا من القرآن ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من
المشركين الى قوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
وقد فاتته صلوة العصر لشغله لقتال المشركين شغلونا عن الصلوة الوسطى ملأ الله قلوبهم
او قال بيوتهم نارا ان هذه الصلوة كتبت على من كان قبلكم فضيعوها فمن صلاها فله
اجره مرتين وذكر صلى الله عليه وسلم ما فضلنا الله به من صوم شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن
وليلة القدر التى هى خير من الف شهر الى ما تقدم ذكره من ردهم على انبيائهم وعلى رسولهم الخاتم
بهم على جميعهم السلام قال الله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل

وقال

وقال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم واما النصارى
فهم الضالون المضلون الساعون لاتباعهم المطرودون عن الحق فهذا المعنى هو المعبر
عنه بالعوج ولانه من عند الله ملزما لهم ما يورث به فيه النجاة لمن اتبعه منهم وفعله وهو
الهدى فى ذلك الوقت لمن اهتدى به كان قيما ولا انحراف عن الصراط المستقيم الدين القيم دين
الاسلام بالزام عقابهم فيما كان منهم فكان لذلك ذا عوج فافهم ثم لم يترك لهم اتباعهم
ذلك واختلافهم فيما شرع لهم ورضيه لهم دينا الى ان يشاء ذلك ليكون خروج الدجال
فيهم نظم بذلك قوله تعالى ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا فاشترط
العمل الصالح مع الايمان كذلك الموجود الا ترى ان الله جل ذكره هو السلام المؤمن له الاسماء
الحسنى والصفات العلى بكل وجه وبكل معنى ثم هو جل جلاله ذو العرش العظيم والكرسى
الكريم وخلق السموات والارض وما بين ذلك بالحق بحكمة بالغة وحجة للعقول قاهرة ضمن
ذلك كله سرعة العطوة وكرم الخلقة فهذا منبعث اشتراط العمل مع الايمان والكلام
لقد خاب من سنن الصواب من اعتقد قول القائلين الذين زعموا انه كما لا ينفع مع الكفر
عمل فكذلك لا يضر مع الايمان عصيان نظم بذلك قوله جل قوله وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم هم العرب والنصارى وقد مضى وعيد النذارة
للعرب وفى الوعيد فيها للنصارى ويمكن ان يكون النذارة بالبأس متوجها الى بأس الدجال
لعنه الله وهو الاظهر لا ضافة البأس الى انه من لدنه فانه جل ذكره هو الذى يقدره على ما
يكون فى ايامه من ظهور المقدرة وكونه مقدور الغالب فتنة لكل مفتون نعوذ بالله من فتنته
وشره ولذلك هو الاظهر فى قوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا
ماكثين فيه ابدا انهم الصابرون من عباد الله يومئذ القائمون على امره حتى يأتى بامره هذا
على الخصوص ويدخل الكل ممن آمن بالله وعمل الصالحات فى ذلك بحكم العموم وفقه هذا
الخطاب هو المعنى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ العشر الآيات من اول سورة الكهف عصم من الدجال
فانه اذا كان فى ذلك الوقت وخرج قصره الله مدته وهو كيد قرأ المؤمن هذه الآيات
فعقل عن الله ما عنى بالبشارة ومن المؤمنين يومئذ الذين يعملون الصالحات على حين التوبة
والاخافة والنذارة المتوجه يومئذ وفهم قوله بالاضافة وفى يومئذ انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ووقف يومئذ على
جعل اصحاب الكهف والرقيم آية عليه فى قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا وقوله ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتدى فانه اذا كان يومئذ ظهر
لاصحاب الكهف ما عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى يخرجهم وعده باجابته لهم لدعائه
الذى حكاه عنهم فى قوله ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا **قوله**
عز وجل ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا حرف ام لا يجيء الا
استفهامية بعد تقدم الا ما ذكر انها قد يجيء ابتداء حكى ذلك عن بعضهم قيل هى لغة هذيل يقولون
ام عندك طعام ام نحن خيار الناس ام نحن نطعم الطعام والاولى ان يكون مرجوعها

على ما في حرف لعل من معنى الاستفهام في قوله لعلك باخع نفسك فانه جائز ان يقول
الرجل لمخاطبه لعلك تقول كذا وكذا وهو ضرب من الاستفهام ممتزج بمعنى الترجي
والتوقع لم يخلص لمحض الاستفهام بعض من التقدير والترجي والتوقع وقد يكون قوله
امرجوعا على قوله فلعلك التي هي بمعنى بل فيكون معنى الكلام فلعلك مهلك نفسك على
آثارهم اذ لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا بل حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا اي انها من بعض الآيات وليست بأعجب من آياتنا الدالة على صدق ما جئتهم به فيحرص
لذلك على ان يعلمهم بها وقيل ان قريشا لما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءهم
به من النبوة وانكروها وسب آلهتهم وسفه احلامهم اجتمعوا على ان يرسلوا الى يهود خيبر
يسألونهم عن شأنه وعن ملته وهل يجدونه فيما علموه وقالوا لهم انتم اهل كتاب وعلم فاخبرونا
عن شأنه فبعث اهل خيبر عليهم بالعلم الذي كانوا يعرفونه من امره حسدا منهم ان كان من غيرهم
وقالوا لهم سلوه عن امرين فان اخبركم بهما فهو نبي احد الامرين فتية ذهبوا في الدهر الاول
كان لهم قصة عجب وعن فتى جاب الارضين وسلكها فان اخبركم بها فهو نبي ولما رجع
اليهم رسولهم بالخبر سألوه عن المسئلتين فقال سأخبركم عن ذلك غدا فلما اصبح
غدوا عليه يستخبرون وعده واستلبث الوحي عليه اربعين يوما حتى اكثرت
قريش في ذلك الكلام الى آخر السورة فالله اعلم هل كان هذا هكذا ام لا وفي السورة
معاتبته اياه على شدة اهتمامه بتأخرهم عنه وخلافهم لله جل ذكره وترك الاستجابة
وتركه الاستثناء بمشيئة الله تبارك وتعالى عند ما هو قائل فيما لم يكن بعد انه سيكون
على ما زعم اكثر الثقات رحمهم وانما معنى قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل غدا الا ان يشاء الله انه
لتقول لا تعد عن احد فيما يستقبل الا ان شاء ذلك يعني الا ان اذن لك في ذلك فتعد
على ثقة منك بوعدك الى غير ذلك من علمه الذي انزله اليه **فصل** وان كان المعتمد فهام
ان تكون مبتدأ بها على ما جاء في لغة هذيل فالمعنى بها والله اعلم احسبت انا اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا كما تقول اعلمت انك لو كنت في باب العلم وهذا
في باطن الظن والحسبان تقول اظننت هذا احسبته ثم انك تعلم ما لم يكن علمه قبل لقوله
اذ اوى الفتية الى الكهف المغارة في الجبل الا انه اوسع من الغار واكبر ان كان صغيرا
فهو غار وان كان كبيرا فهو كهف والرقيم كثير الاختلاف من علماء السلف رحمة الله عليهم
ما هو فمن قائل يقول الرقيم الكهف نفسه ومن قائل يقول هو الوادي الذي فيه الكهف ومن قائل
الرقيم القرية التي خرجوا منها حتى اووا الى الكهف قال ابن عباس رضي الله عنه لا ادري هو
كتاب ام هو بنيان وروي عنه انه قال هو الكتاب في هذا اولى الوجوه ان شاء الله والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حفظه الكتاب وعلمه
التأويل الرقيم هو المكتوب فيه الاعمال قال الله عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين وما
ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وقال ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك
ما سجين كتاب مرقوم ويسمى ذلك الغار الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله
جل ذكره الثلثة نفر الذين اووا اليه باعمالهم المكتوبة لهم فيها هنالك خرج احمد بن عبد الله

ابن صالح

ابن صالح في كتاب المسند بسند له الى النعمان بن بشير الانصاري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر الرقيم فقال ان ثلثة نفر كانوا في كهف وقال غيره ان ثلثة نفر كانوا يمشون في
الطريق فآواهم المطر الى غار قال فوقع عليهم كسف من الجبل على باب الكهف فاوصد
عليهم فقال قائل منهم تذكروا ايكم عمل حسنة وفي اخرى قال القائل منهم والله ما
ينجيكم من هذه الا عمل صالح عملتموه لله خالصا فادعوا الله تعالى ان يفرج عنكم ما نزل بكم
وقال في هذه لعل الله برحمته ان يرحمنا فقال احدهم قد عملت حسنة مرة كان لي
اجراء يعملون لي عملا استاجرت كل اجير منهم في نهاره كله باجر معلوم فجاءني رجل ذات يوم
وسط النهار فاستاجرته بشرط اصحابه فعمل في بقية نهاره كما يعمل كل رجل منهم في نهاره
كله فرأيت على الذمام ان لا انقصه مما استاجرت به اصحابه لما جهد في عمله فقال رجل منهم تعطي
هذا ما اعطيتني ولم يعمل الا نصف نهار فقلت يا عبد الله لم ابخسك شيئا من شرطك
وانما هو مالي احكم فيه ما شئت فغضب وذهب وترك اجره فوضعت حقه في جانب من البيت
ما شاء الله ثم مرت بي بعد ذلك بقر فاشتريت فصيلة من البقر فبلغت ما شاء الله فمر بي بعد
حين شيخ ضعيف لا اعرفه فقال ان لي عندك حقا تعرفه فذكره حتى عرفته فقلت اياك ابغي
هذا حقك فعرضتها عليه جميعا فقال يا عبد الله ان لم تصدق علي فلا تسخر بي فقلت والله ما
بك انها لحقك ما لي منها شيء فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا
قال فانصدع الجبل حتى ابصروا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي فضل فاصابت الناس
شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت لها والله ما هو دون نفسك فابت علي فذهبت
ثم رجعت فذكرتني بالله فابيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فابت علي وذهبت فذكرت
ذلك لزوجها فقال اعطيه نفسك واغني عيالك فرجعت الي تنشدني بالله فابيت عليها وابيت
عليها وقلت لها والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك اسلمت الي نفسها فلما تكشفتها وهممت
بها ارتعدت من تحتي فقلت ما شأنك فقالت اخاف الله رب العالمين قلت لها خفتيه في الشدة
ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ما يحق لما تكشفتها اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك
فافرج عنا فانصدع حتى عرفوا وتبين قال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لي ابوان شيخان
كبيران وساق باقي الحديث على ما خرجه الغير ففرج الله عنهم وخرجوا فهذا هو الرقيم
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي رقيما بمرقوم اعمالهم الصالحة في عليين يشهده
المقربون وكونهم من الآيات اي على ما ينفع الله به من الاعمال الصالحة قال الله عز وجل
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وهم من الآيات ايضا على ما
يدعو الله به عيسى والمؤمنون وقد اخرج ياجوج وماجوج الى الارض وهم من الناس على
ملا قبل لاحدهم ككشف الجبل الواقع على باب الغار لم يزل الا صالح العمل المتقدم وسيكون
في المؤمنين يومئذ من يكون برا بوالديه ومن ترك الدنيا بعد تمكنه منها على حب منه لها
هذا ما ينفع الله بالاعمال الصالحة في الدنيا والآخرة وفي الغير واما اصحاب الكهف فكونهم
سبعة وثامنهم كلبهم عدد السبعة آخر العدد والكالئ الحافظ الحارس وهو عالم القوم
فمثلهم امة تبلغ من حالها الى الهداية وتبلغ من حولها ودونها مثل ذلك حتى يحسبونها

وهم رقود وفي اثناء ذلك سلوهم الله بالحسنات والسيئات والله متعاهدهم ومقلبهم
حتى ياتي امره فيهم يوقظهم الله من نومتهم ويبعثهم من حالهم تلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا انا نائم عند البيت اذا انا برجل ادم كاحسن ما انت راي من ادم
الرجال له لمة كاحسن ما انت راي من اللمم يقطر ماء او تهراق ماء متكئا على رجلين او على
عواتق رجلين يطوف بالبيت قلت من هذا قيل لي هذا المسيح بن مريم واذا انا برجل جعد
قطط اعور عين اليمنى متكئا على رجلين او على عواتق رجلين يطوف بالبيت قلت
من هذا قال لي هذا المسيح الدجال فقلت في كونهما على رجلين او على عواتق رجلين فان هذا كله
مما لا يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يعلمون ما منه علموا وان اصحاب الكهف احياء
اخبر الله جل جلاله في كتابه انه بعثهم من نومهم تلك بعد لبثهم ما لبثوه من السنين العديدة
ولم يخبر بانه اماتهم بل اخبر بان امرهم غيب في حق المدركين لهم يعثر بعضهم ابنوا عليهم
بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم يعني من كان له الامر حينئذ لنتخذن عليهم
مسجدا وقد جاء ان اصحاب الكهف يبعثون مع عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه
عليه واذا كان عند اخر الزمان اظهرهم الله عز وجل من سر امرهم ما يبين به كفر الدجال
لعنه الله وكذبه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا العشر الايات من اول
سورة الكهف عصم من الدجال والله ورسوله اعلم وفيهم من الايات اية على بعث الله الموتى
بعد موتهم قال الله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا اي ليعلم العاثرون عليهم ان وعد الله
في بعث الموتى الى الاجل المسمى وان الساعة لا ريب فيها اذا جاء اجلها لا يستاخر ساعة ولا
يستقدم قوله تعالى فضربنا على اذانهم يعني بالنوم بعثناهم من النوم لنعلم اي الحزبين احصى
لما لبثوا امدا وقرا الزهري ليعلم اي الحزبين وبعثهم ذلك اية على بعث مستقبل ان شاء الله
يوجده لهم لحكمة له في ذلك قوله عز من قائل نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم اي بالوحي
وبانه كلام الله وحديثه يقول الله عز وجل انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى الفتى هو الذي
ارتفع عن حد الصبي ولم يلحق بالكهولة هذا في درجات السنين واما في مراتب درجات الاولياء
فكل من تحقق في درجة ما فهو فيها امام وشيخ وهو بعد فتى لما درجة اعلى منها يطالبها
كان يوشع فتى موسى عليه السلام وفتى يوسف القائمون باوامره وكل فتية امنوا بربهم ايمان
المؤمنين ثم زادهم الله ايمانا فهم بذلك اولياء فكانت الحالة الاولى بالاضافة الى الحالة
التي بلغهم اياها بزيادة الايمان فتوة وهم ايضا فتية بالاضافة الى ما يوقظهم اليه بعد هذا
كذلك ذو القرنين عليه السلام فتى في كونه نبيا ملكا وحالة تلك فتوة بالاضافة الى مستقبله
ووصف الفتوة وحليتها هو حسد العبد الله العظيم على المروءة ففتى عظم قدر الكرم في قلب
العبد لم يبق له سوء خلق اذ الذكر النافع الذي هو ذكر المشاهدة والمكاشفة يطهر كل ما هو
دنا منه ومتى كان كذلك فهو فتى لانه اذا غلب الذكر الهوى فقد جمع اخلاق الفتوة وصفات العبودية
والفتوة مبنية على المروءة والحصافة جمع ذلك قول الله جل جلاله في صفة الابرار انما
نطعمكم لوجه الله هذه هي المروءة لا نريد منكم جزاء ولا شكورا هذه هي الحصافة وللفتوة
ثلث شعب الصدق والصبر والشجاعة قوله جل من قائل خذ العفو وامر بالعرف واعرض

عن الجاهلين ونقيض الفتوة سوء الخلق وهو مطالبتك غيرك ان يوافقك دون
ان تطالب نفسك بموافقته وقد قالوا من سوء الخلق الا يحتمل معاملة سيئ الخلق ومن اخلاق
الفتيان كف الاذى واحتمالهم من غيرهم قال الله عز من قائل ادفع بالتي هي احسن وقال
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وكمال
الفتوة في كمال المروءة وكمال المروءة عبارة عن كمال العبودية والتابع انما يرد التاويل
الى مقدار ايماء المفهوم عنده من المعنى المتكلم فيه وقد كانت للانبياء والرسل والاولياء
اخلاق وحدة لكنها كلها معلقة بما يعلم الله من قلب عبده فمن كانت محبة الله الغالبة
على قلبه كانت اخلاقه تابعة لمحبته لله جل ذكره اذا الله عاصيهم في متقلبهم ومثواهم فان غضبوا
فلله وان رضوا فلله كغضب موسى على هرون عليهما السلام يوم اخذ براسه ولحيته
وكفعله مع الخضر عليهما السلام قوله تعالى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا
يريد لامرهم هذا المحكي عنهم ربط على قلوبهم بالصبر على مخالفة الهوى ومفارقة الوطن
والاصحاب ونبذ ترف النعم وخلاف قومهم وملكهم كما قال عز من قائل في ام موسى لولا
ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين ربط ايضا على قلوب هؤلاء بصفاء اليقين وعزم
الايمان فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
الشطط مجاوزة القدر والحد وصفهم جل ذكره بانهم اوتوا الايمان بوجود البر في
في قولهم هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا قوله تعالى فيما حكاه عنهم واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله
كما قال ابراهيم عليه السلام انني بريء مما تعبدون الا الذي فطرني فاستثنى المعبود الحق من
معبوداتهم الباطلة ذكر قتادة انها في مصحف ابي وما يعبدون قوله تعالى سيقولون
ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ربما كانت هذه الفتوة
لها في علم الله حقائق تكون في المستقبل لما لم يقفوا على علمها لم يجدهم قولهم وقد قيل ان
كهوفا فيهن امثلة هؤلاء فالله اعلم فربما خص بالاخبار عن قوم في كهف وعم الحكم
حيث ما كان من امثالهم ولله غيب السموات والارض وعن كثرة اخبار المخبرين عن وجود اشباه
لهم في كهوف فربما كان اختلاف الاقوال في القلب اشعارا بذلك ما يعلمهم الا قليل
ثم قال عز من قائل ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هذا هو عددهم ان شاء الله في هذا
الكهف وقد قال في القولين الاولين رجما بالغيب ولم يقل ذلك في شان هؤلاء ثم عطف
بالواو في قوله وثامنهم كلبهم ولم يعطف بها في القولين وفي السبعة تم العدد شفعهم
ووترهم وهي اشارة الى ما قال وهو اعلم به هؤلاء على ما عرض ليه امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل من قبل والعطف بالواو في قوله وثامنهم كلبهم عطف على محذوف اواه قوله فحقق
انهم سبعة قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله عز وجل ما يعلمهم الا قليل انا من اولئك القليل
سبعة وثامنهم كلبهم نظم بذلك قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي تبلغا واعلاما
بما اتاك الله لا في غائب هو ايات عليه في مستقبلهم فذلك باطن ظاهرهم نهى الله جل ذكره

رسوله عن مماراتهم فيه الا مراء من وصدق بقوله بما هم عليه اية وذلك خاص من قليل فيمن
كان منهم مراء فامسك عنهم ولا تستفت فيهم منهم احدا يريد من اهل الكتاب بين قد اعلم
انه لا علم عندهم فكيف يصح استفتاؤهم قوله عز وجل ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
وازدادوا تسعا قيل ان هذا متصل بقوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم الى قوله وثامنهم كلبهم
ثم قال قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتصل ذلك الى قوله هذا رشدا فكان معناه
ويقولون لبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا واراه والله اعلم اخبر بعدد
ما لبثوا في الكهف الى اذ اعثر عليهم اهل ذلك الزمان قال قتادة في حرف عبد الله بن مسعود
قالوا ولبثوا في كهفهم يعني اهل الكتاب ثم قال قل الله اعلم بما لبثوا يمكن ان يكون في النوم
الاول حتى اعثر عليهم ويمكن ان يكون المراد من بعد ما اعثر عليهم الى وقت نزول القران
نظم بذلك قوله الحق له غيب السموات والارض ابصر به واسمع تعظيما لعظمته واكبارا لشانه
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ما لهم يريد الكافرين من دونه من ولي اذا جاء معلومه في الغيب
ولا يشرك في حكمه احدا وقال في موضع اخر عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول نظم بذلك قوله واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته من كلماته قصة
اهل الكهف وذو القرنين وعيسى بن مريم عليهم السلام والدجال لعنه الله واصحاب الرقيم وكل
ما كان له مبدأ لم يتم بعد وينتظر اتمامه فهو كلمة من كلماته جل جلاله قوله تعالى ولا
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فبعد عن الله باجره وليس قوله هنا الا ان يشاء
الله استثناء انما يستثنى من الجمل والعموم فيخرج الاستثناء من الجملة ما لم يشأ وله الارادة وكلمه
صلى الله عليه وسلم من عدة عن ربه عز وجل في بشارته وانذاره عما يكون في المستقبل لا يستثنى في شيء
من ذلك لان الله جل ذكره اذن له في ذلك وشاءه قوله عز وجل وقل الحق من ربكم هذا منتظم
بقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وارتفع الحق باضمار المبتدأ
تقدير وقل هو الحق من ربكم يقول فاذا بلغت فقد اعذرت فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر ولا يهمنك شانهم انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ثم ذكر الجزاء في دار
القرار ثم استمر على ضرب الامثال لهم والوعظ والتذكير بقوله عز وجل واضرب لهم مثلا
رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب المعنى الى اخره مثلا ضربه الله جل ذكره برجلين اعطى
احدهما مالا وولدا ومن ضروب المال فاطغاه المال وانساه شكر المنعم والرجل الاخر جعله فقيرا
لا مال له ولا منعة ولا جاه فجعل احدهما يحاور صاحبه فقال الكافر الكثير المال والولد انا اكثر منك
مالا واعز نفرا ونظر الى ماله فاطغاه والى حالته فاطمأن اليها ووثق بها وتمنى من دنياه فقال
ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة شك في الارجاع الى ربه فقال ولئن رجعت الى ربي
لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه المؤمن القليل المال والغاشية اكفرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقرأ ابان السابي ويلك اكفرت فرده على اوليته واراه سبيل الاعتبار
ببدايته يقول المؤمن لكن انا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا وروى عن ابي عمرو ولكنا هو الله
ربي بالهاء مشغلة النون بقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله معنى
ذلك ما شاءه الله لي من فقر وغنى وعسر ويسر لا قوة على الشكر الا بالله ان ترن انا اقل

منك مالا

منك مالا وولدا اي في الدنيا فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك اي في الاخرة ويرسل
على جنتك هذه حسبانا من السماء فيهلكها بالامطار الغزيرة او بالجدب وعدم الماء فتصبح
صعيدا زلقا لكثرة المياه او يصبح ماؤها غورا بتتابع القحط والجدب فلن تستطيع له
طلبا واحيط بثمره اي هلكت فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها عبر بهذا الخطاب عن زوالها
عنه وزواله عنها بالموت وعن ندمه عن الركون اليها والعمل لها هنالك الولاية لله الحق
يريد بعد الموت في دار البقاء وقرأها ابي هنالك الولاية الحق لله عبد الله بن مسعود هنالك
الولاية لله وهو الحق وضرب تعالى مثلا للحيوة الدنيا وسرعة انقطاعها يقول كما انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض نزل الماء من السماء في الخريف فيخرج به نبات كل شيء فاذا
اخذت الارض زخرفها وازينت كر عليها حر الصيف فاصبح هشيما تذروه الرياح
يشبه الله جل ذكره الدنيا كلها بسنة واحدة منها بالشتاء منها ومصيفها ثم شبه المال والبنين
بذلك لانهم هم الدنيا وبالدنيا ثم قال وقوله الحق والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثوابا اي بعد الموت وفي الدار الاخرة وخير املا كل ما عمل لوجه الله خالصا فهو من الباقيات
الصالحات وانما يتصور ان يكون بهذه الصفة من الاعمال ما بقي بعد كفارة الذنوب وهذا
على قدر الذنوب وكثرتها قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل
وكان الانسان اكثر شيء جدلا جدله ان يقول ليس لي من الامر شيء وانما انا مدبر
والحول والقوة لله ليستر له وشبه هذا دون توبته وشفاؤه من هذا المرض الرغبة
الى الله جل ذكره والعزم على ما امر به فانما ياتيه من العون والعصمة بقدر ما اوغل في العزم
والشروع في تنفيذ المامور به فهو العزيز لا ينال ما عنده الا بالتعبد والتضرع واعمال
النفس في طلب مرضاته نظم بذلك قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت
يداه من سيئة تبارك وتعالى ان لا يوجب العقوبة بعد البيان الا بعد الاعراض من المبين لكن
عفوه اوسع من ذنوب عباده لذلك اتبع قوله وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب من عفوه ومغفرته ما هو لله سا وما هو للاخرة وما هو لهما معا وهذا
الخطاب معني به الظالمون لذلك قال عز من قائل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا
نظم بذلك ما هو في معناه قوله وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم
موعدا حال السامعين خطابا هذا على التسيا في الارض والعبرة ثم النظر لانفسهم والاخذ
لها بالوثيقة قوله عز وجل واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين
او امضي حقبا يقول عليه السلام لا انفك اسيرا اي اطول المراحل الى ان ابلغ مجمع البحرين
راى صلى الله عليه وسلم انه اولى بالعلم دون الارض اذ لم يعلم في الارض رسولا غيره فاراد
الله ان يكشف له عن علم هو ارفع من علم الرسالة التي هي للبشر فاعلمه بصاحبه وعناه بالترحال
الى مجمع البحرين وجعل ذلك له اسما للميعاد موافقا للمجتمعين اذ كان هو اعلم اهل الارض يومئذ
والخضر عليه السلام كذلك والمراد من الله جل ذكره ان يجمعهما فكان ذلك في مجمع البحرين
وجعل له اية على وجوده ما هو مستخرج من البحر يعلم بذلك ان كلما هو اية على مطلوبنا
فهو المطلوب بسبب ليكون ذلك منه دلالة على ما هو دال عليه ومشيرا بما هو فيه عليه

ولما بلغا مجمع بين البحر بلغا مطلوبهما واعجزهما العلم به والتمييز له فلزمت الاية
ما هي عليه آية ودخل الحوت في البحر وجمد الماء عليه حبكًا لم يبد لهما به على ما جعله الله
دليلا عليه وسارا بقية يومهما وليلهما فوجدا نصبًا والما لتعبهما وتذكر الفتى مضي الحوت
فاخبره بذلك قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصًا قال الله عز وجل فوجدا
عبدًا من عبادنا آتيناه رحمة وعلمناه من لدنا علمًا العلم الذي هو خاص الخاص
من العلم والمسائل الصعبة واعلمه بسبب رحلته اليه قال له موسى انت على علم علمكه الله لا اعلمه
انا وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت لن تستطيع معي صبرا اي لانك جعلت لانكار
ما قد جعل عندك انه منكر وامرت بمعروف جعل عندك آية المعروف في فحوى هذا الخطاب
وسترى في صحبتي من ذلك ما تنكره فكيف تصبر على هذين وانت لم تتصور حقيقة علمي
فتقدم عزيمة الصبر على حقيقة ذلك ولما وعد موسى عليه السلام الصبر واشترط في ذلك مشيئة الله
جل ذكره مشيا على ريف البحر فجاءت سفينة سبقت لهما من الله مشية في خلاصهما من الملك الغاصب
واستحملاهم انفسهما فعرفوا الخضر وحملوهما عليهما السلام بغير نول احتسابا منهم اليهما
فاخذ الخضر عليه السلام القدوم واقتلع من السفينة بعض الواحها ثم بلي الما واغرقها
فانكر على موسى عليه السلام انكار ذلك على سبيل التسنون له فقال قوم احسنوا الينا وحملونا
بغير نول جازيتهم على ذلك بان اغرقت سفينتهم لتغرقوا على ذلك فاجابه الخضر عليه السلام
الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا الى قوله هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان
وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا وقرا ابن عباس وكان امامهم ملك ياخذ
كل سفينة صالحة فكان ذلك آية لمن عمل صالحا فوافقه من القدر مكروه فليعلو
رجاءه فان ذلك خير له وحرز من هلاك هو اكبر مما اصابه اضعافا وربما اصاب عامل الخير
المكروه من نحو السبب فتكون الجناية عليه من عند الحبيب ليعظم البلية ويظهر المصيبة فيذكر في
الكريم لجزاء واحسن في العقبى ثم قال واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا وقرا ابن عباس وابي رحمة الله عليهما واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه
مؤمنين وقرا الخدري واما الغلام فكان فاجرا وكان ابواه مؤمنين وقرا عبد الله بن
مسعود فخاف ربك اي علم هذه القراءات تقرب من قراءة الجماعة فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا الخشية رقة الخوف والخوف عند العلماء اسم تصحيح العلم وصدق المشاهدة فمن
اعطي حقيقة علم وصدق يقين سمي خائفا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من
احسن الخلق وكان المعهود منه الوقار والسكينة والتمكين والثبات في الاحوال ولم يكن
وصفه القلق والانزعاج ولا الوله والاستهتار وكان قد وسع قلبه رفيع الصفات وكثر
صبره لعظيم الاحوال فكان مع الخضر بمعناه ومع الاعرابي بوصفه ومع المراة بنحوها
لحكمة الله جل ذكره فيه لتعليمهم مما عنده ويخاطبهم في عقولهم ويظهر لهم مثل وصفهم
ليوصل اليهم من الامر ما يصيبهم ويوفيهم من ذلك دراية منه حقوقهم ولئلا يعظم هيبته في صدورهم
فينقطعون لذلك عن سؤاله والانس به جبلة جبله عليها يعلم بذلك من الحكيم العليم

لذلك

لذلك قال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم بقوله على خلق الربوبية والعلم اصل الخوف والرجاء
وهما حالان في العلم والرجاء كالليل والنهار يكوران هذا على هذا وهذا على هذا وكما جاز ان يعبر
عن المدة باحدهما فيقال ثلاثة ايام وثلث ليال لان احدهما لباسه الاخر لذلك جاز ان
يعبر عن احدهما بالاخر وجاء هنا بذكر الخوف والخشية في حال القرآن بمعنى المنزل المعرفي منه
جل جلاله عن عظمة جبروته وعلى كبريائه الى خلقاء عباده وبضرب من الابتلاء لبعضهم
في ذلك آية لنا على ان من اصابه مكروه في مال او ولد او نفس ما كان مؤمنا فلخير اراده
الله به وان كان هو لا يعلم ما هو الخير وقد ابدل الله الابوين من ذلك الغلام خيرا منه زكوة
واقرب رحما ثم قال واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان
ابوهما صالحا وقرا ابن عباس فوجدا جدارا يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه وفي قراءة ابي
لو شئت لاويت عليه اجرا وكان مما قضاه الله جل ذكره على يدي الخضر عليه السلام آية على ان العبد
الصالح يحفظ في عقبه من بعده وكان الجدار قائما مقام الوصي الامين النصيح للايتام
وان الله يعينه ويحميه مما كان نصيحة الايتام وحياطتهم ولذلك والله اعلم قال في قصة السفينة
فاردت ان اعيبها وقال في قصة الغلام فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وقال في قصة حائط الايتام
فاراد ربك قوله عز من قائل ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه المعنى
الى آخره ويسالونك عن ذي القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا الذكر ما ذكر بالله جل ذكره وبانبيائه
ورسله واسماء الله وصفاته وحكمته وعدله في حكمه في الاولى والاخرة وما بين ذلك وكون
نفسه ذكر وهو ارفع الذكر وذكر ما تلاه في قصة ذي القرنين عليه السلام يجمع يذكر ما في قصص اصحاب
الكهف والخضر وامثالهم والله اعلم بما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة
فان لك الاولى وليست لك الاخرة وانك لذو قرنيها هذا مثل ضربه له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادخله مدخل الوعظ ومفهومه يرد ما قاله فيه القائلون برجعته وانما يعني انه
في اول الامام امام وانه في آخره ولذلك قال له لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى
يعني الولاية الاولى ولغيرك الثانية ولما كانت الاخرة لو لم كان لذلك في قرني الامة وجاء
عن اسماء بنت يزيد ابن السكن من تخريج ابي عبد الله بن لهيعة رحمه الله ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انذرتكم المسيح الدجال وانذرتكموه وكل نبي قبلي قد انذر
امته وهو فيكم انها الامة انه يكون قبل خروجه سنون خمس حتى يهلك كل ذي حافر فقال رجل فما يعيش
منه المؤمنون يا رسول الله قال بما يعيش منه الملائكة ثم يخرج وهو اعور وليس الله تعالى باعور مكتوب
بين عينيه الرجل كافر يقروه كل امي وكاتب واكثر من يتبعه النساء والاعراب واليهود يرون
السماء تمطر وهي لا تمطر ويرون الارض تنبت وهي لا تنبت ويبعث معه الشياطين على صور
من مات من الآباء والامهات فياتي احدهم الى ابيه واخيه او ذي رحمه فيقول الست بفلان اتبعه
هو ربك وفي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اواخر سورة الكهف عصم من الدجال دليل
والله اعلم سمي ذو القرنين بهذا الاسم ويقال انما قيل له ذو القرنين لانه سار ما بين مطلع الشمس ومغربها
وهي تطلع بين قرني الشيطان اذا طلعت قارنها واذا غربت فارنها قوله
عز وجل انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا السبب ما اوصل الى المطلوب قال الله

وجل من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع وقد تقدم
الكلام في هذا المعنى سببا ما هو واسباب السموات معالمها وافلاكها فقوله والله اعلم آتيناه من كل
شيء سببا اي انبأناه بحقائق الاشياء وعلومها من كل مطلوب في القدرة عليه والارادة منه وفيه
جاء ان رهطا من يهود جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن شأن ذي القرنين فاستأذنوا عليه
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم يسألوني وانما انا عبد الله ولا اعلم الا ما علمني ربي ثم قال افتح لهما
وقال للخادم ائذن لهم فلما دخلوا قال لهم ان شئتم سألتم وان شئتم اخبرتكم فيم جئتم
قالوا اخبرنا قال جئتم تسألوني عن ذي القرنين وكيف كان بدو امره انه كان غلاما من الروم
فابتنى مدينة على ساحل البحر فبعث الله ملكا فرفعه الى السماء فقال انظر ما ترى فقال انظر مدينتي والى مداين
كثيرة ثم رفعه فقال انظر ما ترى فقال ارى مدينتي وحدها ولا ارى غيرها فقال له ان الذي تراه هي الدنيا
والمحيط بها هو البحر اذهب فثبت العالم وعلم الجاهل فقد جعلنا لك على ما ترى سلطانا ثم قال جل ذكره
فاتبع سببا اي مطلوبا له ومرادا ما يوحى وحي اليه لان الله جل ذكره يقول وآتيناه من كل شيء سببا اي
مطلوبا وهذا هو المعنى بذلك لقول الله جل من قائل حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة
اي سوداء وقرئ حامية اي كثيرة الحركة وهو البحر الغربي المظلم ووجد عندها يعني العين قوما
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا وهذا هو السلطان الذي جعل له على اهل
الارض فمفهوم قوله جل ذكره هذا اما ان تعذب اي فانهم كافرون واما ان تتخذ فيهم حسنا اي فانهم
سيخرج من اصلابهم او يجاورهم قوم يعبدون الله لا يشركون به شيئا فاجاب عليه السلام بمقتضى
ما اوحي اليه قوله اما من ظلم فسوف نعذبه الى المستقبل من شأنه والله اعلم ثم يرد الى ربه فيعذبه
عذابا نكرا واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى الحسنى هنا هو الايمان والعمل الصالح بقوله
فله جزاء الحسنى يعني من الله جل ذكره العافية في الدنيا والامن والثواب في الآخرة ثم قال وسنقول له
من امرنا يسرا يعني والله اعلم يوم حيث الآخرة فان الذي نتج له عذابهم كانوا فيما هنالك
يومئذ والذي انبئ لهم في المستقبل وان يتخذ فيهم حسنا يومئذ عدم لم يأتوا بعد وقوله وسنقول
له من امرنا يسرا الخلاص فعل ذلك للمستقبل اتبع ذلك قوله عز من قائل ثم اتبع سببا يعني المطالبة
لاهل الكفر والطغيان بالسلطان الذي جعل الله له على اهل الارض حتى اذا بلغ مطلع الشمس
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا يعني والله اعلم بما ينزل كاشفهم بهيئته
ولم يرق بعقولهم صعدا كما فعل تعالى بابراهيم عليه السلام في صعوده بالنظر من الكواكب الى القمر
الى الشمس ثم الى الذي فطر السموات والارض حنيفا لم يحجبهم عنها بايمان ويقين ثم قال كذلك
الكاف للتشبيه وذلك مشار اليه وهو السبب المتبع بالوحي والسلطان الذي اوتيه علما هنالك
ويكون المشار اليه ايضا انه وجد الشمس تطلع من عين حمئة وحامية كما وجدها في الغروب
عادية فيه كما قيل له في اسرائه والمحيط بها هو البحر اتبع ذلك قوله جل وعز وقد احطنا
اي بما لم يبلغه خبر الخبر هو العلم ببواطن الموجودات وقد يكون قد احطنا بما بلغه وبما لم
يبلغه خبرا كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
وقد يكون المشار اليه بقوله وكذلك ما يكون من شأنه في المستقبل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من
دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قرئت بنصب الياء وفتح القاف وبرفع الياء وخفض القاف تنبيه

بقول الله جل من قائل في هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون قولا ولا يكادون يفقهون اي ما
يفقهون فلبعد لسانهم عن المعهود من الالسنة وقيل ان الالسنة افترقت على نيف وسبعين لسانا فلعل
لسان هؤلاء كان آخرا لجميعها واما على قراءة من قرأ يفقهون بفتح الياء والقاف فهو وصف لجهلهم
بتصريف معاني الخطاب وقد يحقق في ذلك وهم مع ذلك استنصروه على ياجوج وماجوج و
عرفوا فسادهم في الارض فبلغوه اليه اداه والله اعلم انه لما بلغ اليهم بث فيهم المعلمين فبصروهم
وما لهم وما عليهم كما قيل له في الاسراء به فثبت العالم وبصر الجاهل فبصرهم بذلك
فعند ذلك ميزوا فساد اولئك ولعلمهم بانباء الله جل ذكره انه لا مطمع في هدايتهم الجأهم
الى ما ارشدوه اليه من قولهم فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا فتورع رحمه
الله عليه عن اخذ خراج منهم على ذلك بل امرهم بمعونته وان يكونوا كاحد الناس في ذلك بقوله
عليه السلام ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد فكانوا
يصفونها فوق اللبن ويشدها وينفخ النار عليها حتى اذا جعله نارا افرغ النحاس على ذلك فانذاب
ودخل اللبن وساوى بذلك ما بين الصدفين يعني الجبلين فلم يستطيعوا لعلوه ظهورا عليه ولا له
نقبا لحسن الصنعة وشدة العقد وانما ذلك لاجل السلطان الذي جعل له على ما في الارض والاسباب التي
جعل الله له من كل شيء والحديد والقطر مما في الارض والنار كذلك والجبلان وكذا السد وكل ذلك
داخل في قوله من كل شيء سببا ومما قد جعل له عليه السلطان والا فقد خلف من وراء السد من اجنة
ومن يومئذ جعلوا بعد عملا من اعمالهم وعمالة لا شك من اموالهم بقول الله عز من قائل فما اسطاعوا
ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا استطاعوا ان يظهروه اي لم يكن لهم بذلك قبل ولا كان
لبعد ذلك عليهم بل عجزت قدرتهم وهمتهم عن التعرض لذلك وربما منعوا عن
ذلك بمنع ظاهر من الله جل ذكره ثم قال جل وعز وما استطاعوا له نقبا هذا اعني نقبه
مما تعرضوا له وكلفوا انفسهم ذلك فلم يستطيعوه من تخريج الترمذي عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في السد يحفرونه كل يوم حتى اذا كادوا يخرقونه
قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا قال فيعيده الله كاشد ما كان حتى اذا بلغت
مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا ان شاء
الله واستثنى فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس فيستقون
فيرمون بسهامهم الى السماء قوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيهلكون
والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتبطر وتشكر شكرا من لحومهم فانظر الى علمه
عليه السلام وما وصفه الله ورسوله من الحفظ والمحافظة عليه والمنع منه حتى ياتي امر الله الذي
بنى عليه ذو القرنين عليه السلام وكذلك بنى عليه اشعيا صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين يقول ذو القرنين عليه السلام هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد
ربي جعله دكا وكان وعد ربي حقا اقترب الوعد عنده عليه السلام [illegible]
منهم مع عيسى عليه السلام ولاتنا ربهم فعلت سماق الموعد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم عند الكعبة اذا انا برجل آدم كانه خرج
من ديماس لمة كاحسن ما انت راء من اللمم سطف ماء متكئا على رجلين وعلى عواتق

رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا قيل لى هذا عيسى بن مريم وذكر الدجال وكلما ذو
القرنين على رسل الله وانبيائه السلام هو المحقق له السلطان عليهم والذى قهرهم الله
وعلى يديه وقع العلى السلام فاذا جاء وعدى وقال وكان وعدى حقا يقول الله جل ذكره وتركنا
بعضهم يومئذ يموج فى بعض يريد وهو اعلم وقت قيام الساعة وذلك ان اليوم الذى ينزل فيه
عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ويبعث فيه الصالحون لشهود الفتوح هو من يوم القيمة
لكن الساعة منه لم يات بعد فاذا جاءت الساعة من ذلك اليوم فهو قوله جل وعز ان زلزلة
الساعة شئ عظيم المعنى الى اخره ولذلك وهو اعلم سماها ساعة لانها الساعة من يوم القيمة التى
عز وجل يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فهذه حاله
فى اخر النفخة الاولى ثم قال عز من قائل وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة
فهذا لم يكن بعد وسيكون ان شاء الله كما قال ثم قال عز من قائل ونفخ اى النفخة الاخرة بعد
ذكر النفخة الاولى والصعق وما فى ذلك الى الاخبار عن النفخة الاخرة ويوم الجمع نظم
بذلك قوله الحق وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن
ذكرى وذكر الاعين وانما الذكر بالالسنة والقلوب لانهم لما لم يروا ايات الله لم يؤمنوا ولما لم يؤمنوا
لم يسمعوا الرسل والدعاء اليه فطمس اعين القلوب منهم واخرس الالسن واصم الاسماع و
العبيد المفتقرون الى معبود فعبدوا ما اقتصرت عليه عقولهم القاصرة الشمس والنيرات
والعبادات امثالهم يقول جل من قائل افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء
وجه الخطاب لليهود والدهرية الذين يتخذون الدجال لعنه الله ربا من دون الله ثم الى
جميع الكفار المتخذين من دونه اربابا الهة نظم بذلك قوله الحق هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا هم اليهود
واهل الكتاب وكل من زعم منهم انه على هدى اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه
لما لم يعملوا لله ولا وجهوا انياتهم اليه اعنى جميع الكفار احبط اعمالهم التى كانوا يظنون
انها حسنات فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اى لا ينظر اليهم ولا يكلمهم ولا يزكيهم
كما كانوا فى الدنيا لا ينظرون فى ايات الله ومصنوعاته ولا صدقوا رسله وكتبه ولم يتزكوا
جازاهم بذلك يوم القيمة هل يجزون الا ما كانوا يعملون **قوله** تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا فتية الكهف ونظراؤهم وذو القرنين
ونظراؤه وعيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى جميعهم من كلماته والدجال لعنه الله
من كلماته **قوله** تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد جمعت
هذه الاية معانى التكليف جملة التوحيد وذكر الالهية والنبوة ولقاء الله عز وجل
والعمل الصالح والاخلاص فى ذلك وهو المطلوب اعلم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
ان فى لقائه الفرج وبه الفرج وفيه الرجاء وهو المامول عند اهل اليقين والمحبوب للقلوب
العابدين وقد قيل ان معنى الرجاء الخوف فى هذه الاية وهذا اعنى الاول اولى لوجهين وكرم
والخوف طريقان اليه غير ان لقاء الله عز وجل انما هو لقاؤه ولا يبلغه شئ وهو المامول كله
والرجاء خلق من اخلاق الايمان ووصف من اوصاف المؤمنين وهو جند من جنود الله جل ذكره

يتحرج الله به من بعض عباده مما لا يتحرج لغيره وطرفه الاعلى منه متصل بالحب
كما طرفه الاعلى متصل بالخوف لانه من رجا شيئا احبه وكما يرجوا ادراكه يخاف فوته ولهذه
المقربة ظن اكثر الناس انه الخوف وعبر باسم الرجاء عن معنى الخوف فقال فى قوله من كان
يرجو لقاء الله من كان يخاف لقاء الله يقول جل ذكره اذا احب عبدى لقائى احببت لقاءه واذا
كره عبدى لقائى كرهت لقاءه ومن كره الله لقاءه لم يلقه اللقاء المرجو منه بل يكون العوض
والتوقيف ونحو هذا فانه لا ينكره لنعوذ بالله من كراهة لقائه وانما كره اكثر اهل الادناء
لقاء الله لكون الموت فى طريق ذلك والموت مكروه بما هو كما الحيوة محبوبة بما هى وحيئذ
بالموت اذا كان سببا للقاء الله ومن رجا شيئا عمل له والعمل للقاء الله هو ابتغاء مرضاته
ومجانبة جميع مناهيه ومكادهم طمعا فى البشارة باللقاء والاكرام والبشر منه والنحاء
لعبده جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وهربا من الحجب والتوقيف فى التعداد ولاهل الرجاء
حال من مقاماتهم ولاحوالهم علامات من رجائهم فمن تحلى احكام الرجاء وتحقق فيها وصار
الراجين جميعا استحق اوصاف الرجاء وهو عند الله عز وجل من المقربين ان شاء الله فى ان كون
على المؤمن ان يحبب اليه الله حب الموت والتشوق الى اللقاء ويعمل على ذلك ويستعد له ويبذل
ذلك جدا فانه من اشد الشدائد على العبد ان يخرج من الدنيا وهو يحبها ويدخل الاخرة
وهو يكرهها ويلقى الله وهو غير محب له ولا مستعد لذلك فيحلف ما جمع لمن لا يحمده ويقدم
على رب لا يعذره والله عز وجل يقول ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون وهو يقول
جل من قائل انا عند ظن عبدى فليظن بى ما شاء والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

سورة مريم عليها السلام فيها من المنسوخ اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل كهيعص قال الله عز وجل
الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله فذكر ما فصله اليه
الى قوله على كل شئ قدير ثم ما فصل الله هذه الجمل ايضا كذلك قال وقوله الحق حم
تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون فالكاف والهاء
كانت متقدمة او متاخرة او متوسطة كذلك الهاء والياء والعين والصاد هذه الحروف
كتاب محكم مفصل الا ما يفصل اليه القران من ذكر اسماء وصفات وافعال واحكام
وامر ونهى ووعد ووعيد وقصص الى غير هذا مما يفصل اليه القران **قوله** تعالى
ذكر رحمة ربك عبده زكريا اى هذا ذكر رحمة ربك بفتح الذال وفتح الكاف منونة
وجزم الراء ونصب الرحمة على الامر الى قوله وانى خفت الموالى من ورائى الموالى هم بنو
العم والقرابة وكل من ولى امره فالله عز وجل يقول والله اعلم بما ينزل انى خفت من اجل دينها
ان ينسى الموالى بعض ما اذكرهم به من امرك وابلغه اليهم عنك فهب لى من لدنك وليا يرثنى
فى النبوة والحكمة ويرث من ال يعقوب علمهم ونبوتهم وما خصصتهم به قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة ابن عباس رضى الله عنه ويحيى بن يعمر وغيرهما
يرثنى ووارث من ال يعقوب **قوله** تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له

من قبل سميا الشبيه الموافق في الاسم كرجل اسمه محمد وآخر اسمه محمد فهذا سمي لهذا
فهذا يحيى لم يوافقه آخر قبله في اسمه يحيى وحقيقة الشبيه من السمة التي هي العلامة ويحيى فلم يسم
بما يسمه من غيره فقط بل سمي بمعنى اسمه اي اسم لتسمو يحيى حيوة جسمانيا وحي حيوة دينية
وهو يحيى في المستقبل كذلك قال الله جل من قائل فانه يحيى ان شاء الله قال الله جل من قائل
مصدقا بكلمة من الله الكلمة هي عيسى عليه السلام وسيدا اي موطوا لعقب عيسى عليه السلام والمصدقون
بعيسى عليه السلام كثير وانما يقع مصداق حق لمصدق بكلمة من الله حين الحية الاخرى فبذكر يحيى
لم من قبل سميا فكثير ايضا من المصدقين به يكونون معه كالحواريين ونظرائهم ويحيى
وانما هو يحيى مصدقا يومئذ به يحيى بن زكريا فهذا من معنى قوله سميا اي مما في علم الله عز
وجل من شانه التي الكثرة ليتا على الرجل كبر وعتى بمعنى يبس والعاسي والعاتي هو كعتيا
لتسو ييبس جلده وعظمه ولم يبق فيه من نضرة الصبي والشباب ما يكون معه كالولد وانما قيل للجبابرة
عاتيا الفوق قلبه قوله تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا نصب سويا على الحال
يقول وهو علم آيتك على حين يمنع خلقه ان يمنع الكلام وانت سوي صحيح واستثنى الرمز من الكلام
قوله جل من قائل يا يحيى خذ الكتاب بقوة اوجده وناداه بيا يحيى واخذه بقوة هو اخذه
بعلم وفهم وعمل على ذلك كما قال لموسى عليه السلام وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة
وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة يعني وهو علم بما ينزل فخذها بادفع علمها والعمل بها
وبها وأمر قومك يأخذوا باحسنها العمل باحسنها اي بالوسط ذلك لا علو ولا تقصير
بل برفق وتودد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى
ثم قال عز من قائل وآتيناه الحكم صبيا اذ الصبي كما قالوا قطعه من الحبوني فيه كان
ما يحكم ويمنعه عن ذلك ويبعده عن ملاعب صبيان الصبا فقد اوتي الحكم والعرب تقول
احكموا عنا سفهاءكم اي امنعوا وجاء ان الله جل ذكره ليعجب للشاب ليست له صبوة وفي
اخرى ليضحك قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة جعلها فيه من لدنه والحنان ايضا الرحمة
والرأفة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وهذه لاحد من صفة اصحاب الرسم
كما كانت صفة الاخر منهم انه يمكن من الدنيا على احبها كما كان عليها فتركها لله وقد تقدم
وصف في قوله اللهم انه كانت لي ابنة عم وكنت احبها كاشد ما يحب الرجال النساء الى اخر
قصته وقد تقدم ذكره وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت قتل يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما
شهيدا وقد نهينا ان نقول في غيره امواتا فكيف به ثم قال ويوم يموت ولم يقل يوم
مات كما قال يوم ولد بلفظ الماضي ويوم يبعث حيا قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ
انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اعتزلت من اهلها مكانا الى ناحية المشرق فاتخذت
من دونهم حجابا كناية عن الاغتسال من الحيض فارسلنا اليها روحنا يمكن ان يكون جبريل
او ملكا من ملائكة الرحمن على جميعهم السلام فتمثل لها بشرا سويا كان من الحكمة في التمثل لها
بالبشر ان يكون المراد للنفخة فيها شبيها به حين النفخ صورة بشر او شبيهها به فانه ينفخ في
الطين فيكون طائرا باذن الله ويكون روحا يجري عليه وفيه اسمه ومعناه وكان وجه
للحكمة في ان ذلك على اثر الطهر من الحيض وفراغ من الغسل ليصل النفخ من الروح عليه السلام

الى الرحم طاهر من اذى الحيض وهي طاهرة شرعا ليكون المراد من ذلك طاهرا مطهرا
طيبا قابلا للكتاب في الحكمة قوله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فيما حكاه عنها من
قولها انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا والبغي ابدا انما تبغي مع بشر مثلها كما قال
عز من قائل والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فامعنى قولها عليها السلام ولم اك بغيا والحلال
يكون مع البشر والبغا كذلك وانما ذلك والله اعلم بما ينزل وانبياؤه يعلمون بما اوحى اليهم
ان الحلال وان كان مسيسه من البشر ومع بشر لما كان كلمة الله وسنة رسوله وبما جعل الله بينهما
من الصدقة والامر هنه كان ذلك باكتسابنا من المؤمن وبواسطة منا الملائكة حركة وشهوة
وما يدعو الى ذلك وسقوط نطفة على رضى من الله جل ذكره ولما كان الزاني بالزانية شهوتهما
وحركتهما وفعلهما ذلك والداعي اليه منهما ويكتسب جبل منهما ولها وبواسطة الشيطان ذوامره
وسقوط النطفة في الرحم على ذلك لم يدخل هذا القسم في الفعل البشري حالها وجعلت له قسما
اخر وكنت عنه بالبغاء الا ترى ان العبد المؤمن اذا لم يسم الله عند الجماع واتيانه اهله سبقه
الشيطان الى ذلك منه فتولاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال بسم
الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فكان منهما ولد لم يضره الشيطان وجاء
في معاريض الشرع في ولد الزناء ما جاء لهذا وما نحا نحو هذا من معلوم خطاب النبوة ومعهود
تحقيق الوحي جعلت في نعتها ان يكون لها ولد على المعهود المتعارف في الخطاب قسمين مرضي
وغير مرضي ونسبت المرضي الى البشر والاخر الى البغا قوله تعالى ولنجعله آية للناس ورحمة
منا اي نصرا لهذه الامة من فظيع شان الدجال لعنه الله ويأجوج ومأجوج وبركة نصبها
الدنيا والمؤمنون يومئذ وكان رحمة وبركة على من سحه وامن به قبل وآية للناس على قرب
من حينئذ يومئذ قال الله عز وجل وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها وذلك انه ياتي قبيل الساعة
من اليوم الاخر وهو ايضا آية للناس على ان الله يخلق من انثى وذكر ويخلق من دون ذلك
ولا ذكر ويفعل ما شاء كيف شاء وهو ايضا آية على المعنى يقول الله جل ذكره ولو نشاء لجعلنا منكم
ملائكة في الارض يخلفون ومن احد قبل هذا قال الله جل من قائل ولما ضرب ابن مريم مثلا
اذا وهو المثل المضروب لبني اسرائيل معنى المثل هنا انه سيجعل من عباده خلائف يستخلفهم
في الارض هداة مهديين قال الله عز وجل لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم
لا ينظرون هذا في الملك المنزل من السماء ثم قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وما قال قط
ولو نشاء ولو نشاء لكان من ذلك ما شاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الدجال لعنه الله
فقال يكون سنون خمس يهلك فيها كل ذي حافر قال رجل يا رسول الله فبم يعيش منا المؤمنون قال بما يعيش
الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يقول للشاب ليست له صبوة يا عبدي انت عندي كبعض ملائكتي
وانه يعجب للشاب ليست له صبوة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وقد سئل عن ذي القرنين
عليه السلام وهو ملك يمسح الارض بحبها بالاسباب وسمع عمر رجلا يصيح يا ذا القرنين فقال
اللهم عفوا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وذكر عن علي
انه قال فيه ليس بملك ولا نبي ولكنه عبد صالح ضرب على قرنه الايمن في طاعة فمات ثم بعثه الله
فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله وقال وفيه ايضا

سخرت له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور ومعنى قوله لم يكن بملك ولا نبي اي بملك من السماء ولا نبي مرسل وكل نبي ادم لمخلوق من معنى ملكي هو منه ذات اليمين ومن معنى شيطاني او جني هو منه ذات الشمال وكما ان من بني ادم شياطين الانس فلا يبعد ان يكون منهم ملائكة الانس لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي من جنسهم وعلى صورتهم وجعلنا بعضكم لبعض فتنة وقال في بني ادم ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ومن هنا وقعت الحيرة في عيسى عليه السلام للنصارى ولقوم في علي بن ابي طالب رضي الله عنه وانما هو الملك الروح نفخ في مريم صلى الله عليهما وسلم وكان ذلك على صورة البشر ومريم عليها السلام من البشر وقع لانه من الملك الروح ويتو لانه من البشر عبد الله وابن امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقد تقدم انه ثابت في الوجود بنشا الامر كما ينشو الانسان الى كماله وكذلك يشاهد الامر اعني في العالم من جماد الى نبات الى حيوان الى انس وجن الى مؤمن مصدق الى نبي الى ملك ومن استقرا الوجود القاه على ما ذكرنا ومن هذا المقام قال بعض القائلين في بعضهم وقد ذكر الشيب

قد استقام على المنهاج يسلكه	ولم يزغ حائدا عنه ولا عدلا
فجسمه يعمر الدنيا بظاهره	وقلبه في اعالي الخلد قد نزلا
وابصر الامر يجري في مسالكه	من اول النشء حتى تم واكتملا
وناطقته البرايا وهي صامتة	وميز الضد والازواج والعللا
واظهر الغيرة العليا بصورتها	الحسنى ومن قبل كانت البتة طللا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت اني رايت اخواني قالوا يا رسول الله اولسنا اخوانك قال انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد ولما ختم الله جل وعز النبوة والرسالة بمحمد صلوات الله وسلامه على جميعهم بشره باخوان يكونون له من امته يهتدون بهديه ويقتدون بامره حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وامره المعني هنا هو عيسى عليه السلام ومن معه قال صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي اخرى يقاتلون على الحق وهو الرجل الصالح ومن معه قال الله عز وجل في عيسى صلوات الله عليه وسلامه ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل انه فرط لهذه الامة الضرب من عباد الله ومثل مضروب لبني اسرائيل من نحو في امة محمد صلى الله عليه وسلم منهم ذكر ان الارض لا يخلو من ثلث مائة وربما زاد القائل على هذا لكني لست اقف على الزيادة ومنهم خيرتهم اربعون وخيرة الاربعين سبعة وخيرة السبعة ثلثة وخيرة الثلثة واحد يقال له الغوث ويقال له ايضا الوتد فمتى الواحد انهض الى مكانه من الثلثة واذا مات من الثلثة انهض الى مكانه من السبعة واذا مات من السبعة انهض الى مكانه من الاربعين فاذا مات من الاربعين انهض الى مكانه من العدد الاكبر واذا مات من العدد الاكبر انهض الى مكانه ويقال ان منهم من قلبه على قلوب الانبياء اشبهت قلوبهم قلوب الانبياء ومنهم من اشبهت قلوبهم قلوب الملائكة ومنهم من شبه قلبه قلب جبرئل وميكائل واسرفيل وما قال الله جل من قائل شيئا الا كان من معنى ذلك

او ما

او ما قال ما شاء وقد قال ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وقال عز قوله في عيسى ما تقدم ذكره ان هو الا عبد انعمنا عليه ولو شاء المعنى ومن نفهم مثل هذه الاية في الانجيل في اخر سورة الفتح وقف على صحة هذا المعنى وعظم في نفسه قدر الذي كان عيسى عليه السلام مثلا وفرطا لهم وانهم ملائكة الانس كما اضدادهم الذين هم الفاسقون شياطين الانس وقد استخلفهم في الارض والحمد لله رب العالمين فهو لا يخلى الارض من موجود منهم حتى ياتي امر الله يجاهدون في الله باموالهم وانفسهم وفعلوا بهم بيعتهم الله على قربهم هكذا فافهم فان المثل الاول في سورة الفتح المنسوب الى التورية هو لاول هذه الامة والمنسوب الى الانجيل لاخرها والمعهود هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا من بني اسرائيل ما سيذكره ذكر الفلتان بن عاصم قال كنا قعودا عند النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد فشخص بصره الى رجل يمشي في المسجد فقال النبي يا فلان فقال لبيك يا رسول الله ولا ينازعه الكلام الا قال يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتشهد اني رسول الله قال لا قال اتقرا التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم والقران والذي نفسي بيده لو شاء لقراه قال ثم ناشده هل تجدني سيا في التورية والانجيل قال اجد نعتك ومثلك ومثل هيئتك ومثل مخرجك وكنا نرجوا ان تكون فينا فلما خرجت فرضا ان تكون انت هو فنظرنا فاذا ليس انت هو قال والذي نفسي بيده لانا هو وانكم لاكثر من سبعين الفا وسبع مائة الف فانظر الى معهود هذا في الكتاب قبله وانه المثل المضروب لعيسى صلوات الله وسلامه عليه لبني اسرائيل ثم ياتي بهذا الضرب من عباد الله في هذه الامة وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة وقال ان الله عز وجل بقول ليست له صورة انت عندي كبعض ملائكتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل من امتي سبعون الفا لا حساب عليهم او سبع مائة الف مع كل الف سبعون الفا وسبع مائة الف قال الله عز وجل وجعلنا ابن مريم وامه اية وقال ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا اي حلقه وحمله يقول الله جل ثناؤه فحملته فانتبذت به مكانا قصيا يعني ابعدت فاجاءها المخاض اي ساقها واضطرها الى جذع النخلة معروف هذا وكنت نسيا منسيا يقول ليتني لم اعرف ولم يدر من انا النسي المنسي هو الذي لا يذكر والنسي المجهول لحقه تمنت عليها السلام اذ يقضي قضاء ربها ولا بد **قوله** عز وجل فناداها من تحتها الا تحزني وبالفتح قيل ناداها جبريل صلى الله عليه وسلم من تحتها وقيل المنادي بها عيسى عليه السلام وهو الاظهر فاتم لها نداوه اياها مقام اعلامه الفطرة للعبد ولذلك قالت لما بهتوها بما قالوا اشارت اليه عن علم منها بذلك **قوله** تعالى قد جعل ربك تحتك سريا هو النهر الصغير ويمكن ان يكون لما ولدته على ان المولود والملك السري كبير القوم وعيدهم ومنه سراة كما تقدم وعظامهم وفيما حكي عن ذلك الموضع المبارك انه على قرب من ماء جار والله اعلم اني نذرت للرحمن صوما وكان الصيام يومئذ لصاحب الصمت وفي قراءة ابي وابن عباس اني نذرت للرحمن صوما صمتا وروي عنهما وعن صوما وصمتا يومئذ لصاحب الصمت وفي قراءة ابي وابن عباس اني نذرت بزيادة انوا وقد تقدم في سورة ال عمران بعض البيان والله الموفق

والمستعان والصيام في اللغة الامساك والمكوث على حالة واحدة والصيام الشرعي الامساك
عن الطعام والشراب والنكاح وهي من معاني النفس بامر الله ويصلح ذلك طاعة لله
عز وجل والذكر الكثير من المتحقق في سنن هذا الصوم وصومه هو المعول عليه عمل ابن آدم
كله له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به قوله عليه السلام وجعلني مباركا اينما كنت معلما للخير كان
في الحياة الاولى ثم رفع عليه السلام الى السماء طيبا مباركا ثم ينزل الى الارض طاهرا طيبا طاهر
البركة رحمة من الله جل ذكره للعباد والبلاد والدين والدنيا صلوات الله وسلامه عليه وعلى
جميع اخوانه من النبيين والمرسلين والاولياء اجمعين قوله عليه السلام واوصاني بالصلوة
والزكوة ما دمت حيا لا تسقط العبودية عن عبد حتى يموت وان بلغ اقصى الغايات واعلى
اعلى النهايات بل كلما رفع درجة واعلى به الى عليا توجه عليه تحقيق التعبد وتضاعف في حقه الشكر
وما تركهم في الجنة حتى جعل جل علاه عليهم في ذكره يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وقرأ ابو نهيك
واوصاني بالبر تنظم بذلك قوله عليه السلام والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون في قراءة عبد الله ذلك عيسى بن مريم
وهو قول الحق وقرأ ابي قول الخلق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه وقرأها هكذا الى ان
الله بغير واو وهذا يبين انه عليه السلام على ما هو من خلقته التي خلقه الله عز وجل عليها اية على قضاء
الله جل ذكره الامر من فوق العرش وانزاله اياه بالروح وقيام الجملة طبقا بعد طبق لاقامة
وظهوره بالحق المخلوق به السموات والارض بما في ذلك من حكمة واعلامهم بالغائب عنه والمعاد
الموجودة فيه ومسالك الاسماء والصفات والى هذا الاشارة بقوله جل قوله ان الله خلق آدم
على صورته ذلك من قوله ولنجعله اية للناس ورحمة منا انتظام هذا اللفظ بعضه ببعض
من لدن قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون بدلك انه
اشارة له قوله الحق لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه اي عن معنى
الولادة والابوة وكل ما خلقه فهو عبده وكلما كان عن امره واستدادت به الكون
فهو له عبد لذلك اعقب الخطاب بقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه وباسقاط الواو
تقدير محذوف كانه قال كلما انبأتكم به من شاني وتكويني عن امر الله دلالة بيني اني لله عبد
وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم قوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم
فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اختلفوا فيه عليه السلام فمن مفرط في شانه غال وهم النصارى
ضلوا به ضلالا بعيدا ومن مفرط في حقه وهم اليهود كذبت رسالته وردت ما جاء به
وكادته فرفعه الله من بينهم وطهره من رجسهم وحرمهم بركته وسد عنهم كريم عائدته ولزم
المسلمون والحمد لله رب العالمين في شانه طريق السواء والعدل فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا اعظم جل ذكره فظاعة ما يلقونه واكبر سوء
مقلهم كما قال في صفة نفسه سبحانه واعطاها له غيب السموات والارض ابصر به واسمع
رضى وسخطا ثوابا وعقابا ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا قوله عز
وجل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا هذا منتظم بذكر زكريا ويحيى

ومريم وعيسى عليهم السلام والصديق من كثر صدق خطراته والصديقية بعث حق
في الروح ومجادة حق في النفس وفراسة صائبة وظن مصيب يقوم على الاغلب مقام اليقين
وصدر منور وقلب سليم ونفس طيبة وعلم واسع وحلم كامل وصبر جميل لطاعة الله و
اخلاق كريمة ونصيحة صحيحة تحت الارض والسماء وتحف الحفظة والكرام وتولاه الملائكة
عليهم السلام وكما ليس للجماد ان يكون من النبات ولا للنبات ان يكون من الحيوان ولا للحيوان ان يكون بشرا
كذلك ليس للبشري ان يكون وليا لله ولا صديقا ولا للصديق ان يكون نبيا وانما هي مقامات
ومنازل ينزلونها انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
والبشر الصديق بواسطة بين من هو نبي وبين من ليس بنبي ولا صديق لله الامر كله وهو بكل
شيء عليم قوله عز وجل حاكيا عن خليله صلى الله عليه وسلم يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم
ياتك الذي اتاه من العلم هو معرفة الحق الذي به خلق السموات والارض وما بينهما والعارفون فيه يتفاضلون
فاول اهل الايمان درجة قد صدق الله ورسوله وابراهيم صلى الله عليه وسلم في ارفعها منزلة
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن اولى بالشك من ابراهيم وقال الله عز وجل ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض اتبع ذلك ما هو بيانه قوله فاتبعني اهدك صراطا سويا والصراط
السوي هو ان لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيئا سواه واخبر الله عز ذكره بان بالعزلة لمن ضل
عن الصراط المستقيم يكون النجاة وفيه رضي الله عنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاعتزل
تلك الفرق كلها ولو ان تعض على اصل شجرة حتى ياتيك الموت وانت على ذلك لقوله عز
وجل فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا
ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا ثم ذكر عز جلاله موسى وهرون واسمعيل
وادريس عليهم السلام بقوله جل ذكره اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
كادريس وممن حملنا مع نوح كهود وصالح وغيرهما من ذرية ابرهيم واسرائيل وممن هدينا
واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اي خشعا خضعا ثم خروا سجدا
تائبين راهبين راغبين ثم عطف بالواو على معنى ما تقدم في قوله وبكيا كذلك قال عز من
قائل فيما حكى عن اخوانهم عليهم جميعهم السلام قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم
من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويزيدهم خشوعا والمراد بهذا الذكر من
اجتلاب اسمائهم والاعلام باحوالهم توجيه الامر الى النبي عليه السلام والى من تبعه باتباعهم و
الاقتداء بافعالهم وان يكونوا في مستقبل امرهم احسن حالا منه في ماضيه قوله فخلف من بعدهم
خلف الخلف الدون فسوف يلقون غيا الا من تاب وامن وعمل صالحا هذا وعيد للموحدين غير
التائبين قوله جل قوله فسوف يلقون غيا الا من تاب فلا بد للمؤمن من التوبة بعد ايمانه
ثم لا بد له اذا من تجديد التوبة ما دام حيا قال الله عز من قائل يا ايها الذين امنوا
امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل هذا امر لمن امن
ان يتذكر ويتعرف ايمانه بالله ورسوله والكتاب الاول والقران يتعرف ذلك بالبراهين
والدلائل ثم يجدد ذلك بالتذكار ابدا وانما التوبة في الايمان فقوله يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا وضرب لذلك مثلا بامرأة فرعون ومريم عليهما السلام وقوله توبوا

الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وهو كثير ونظير ذلك بقوله فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتيا قد يأتي
الفاعل بمعنى المفعول وهو قليل وذلك نحو قوله انه كان وعده ماتيا اى اتيا قال القعنبي وقال
غيره هو هنا على اصله معناه ان الناس ياتون ما وعد الله لهم في الآخرة والوعد منتظر بهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك وهذه والله اعلم الجنة
الكاملة لنا بالغيب وكذلك النار الا ترى ان النار تكون معدومة فتورى بالزناد وبغيره فيظهر
من غيبها وتكون موجودة بعد عدمها ثم تؤدي الى ما شاء قادحها وربما على ان منها
وكذلك الجنة تكون عدما فينزل الله الماء من السماء فيحيي به الارض بعد موتها ويخرج على الى
منها كل نبات ومرعى وكل شيء حي ويخرج منها الحب والزرع والزيتون والرمان ومن كل
الجنات معروشات وغير معروشات فهذه غيب وفي جهنم غيب سعيرها وزمهريرها وهذا
من الحب الذي له في السموات والارض واكثر ذلك لديها يظهره اذا جاء اجل ذلك ثم لهذه الدار التي
افاض الله علينا منها هذا التمتع في هذه الدار الحين المقدر عنده دار متصلة بها هي غيب اذا كان
يوم القيمة الحقت هذه بتلك فلا يدخل الا بعد استفتاح بابها ولا ينالها الا المتقون نظم الذي
من وصفها قوله الحق لا يسمعون فيها لغوا اللغو الباطل من الكلام ليس في الجنة باطل البتة انما
هي مبنية على التوحيد والتنعم به وربما يفضل عنه ثم قال ولا تاثيما هذا البتة وجود ذلك
فيها الا سلاما سلاما السلام ما سلم من المكروه والباطل والسلام اسم من اسماء الله وباسمائه قامت
الدنيا سمواتها وارضوها وما بين ذلك الى ما علا وسفل الى قرارها المنتهى وذلك في الآخرة
اظهر جدا فذكر الله جل ذكره ما يؤل الى ذلك وتحدد فيه دون فتور ابدا حتى انهم يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس دعواهم فيها هي هجيراهم فيها العظيم ما تجيبهم من ذلك وتحددهم من
امره سبحانك اللهم تحيتهم الله جل ذكره بالسلام وتحييهم الملائكة وسكان الجنان وجميع ما فيها
من موجوداتها قال الله جل من قائل وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
ثم يحييهم بما لم يحيهم به قبل هذا ابدا دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين انه ذلك ما خلق به السموات والارض وما بينهما من معاني اسمائه
ومعاني صفاته يجد ذلك المعتبرون علما وعبرة ويجدون ذلك فيما هنالك مشاهدة لظهور
الحق المبين كالشمس الضاحية والقمر في الكمال فافهم وآمن ان وعد الله حق نظم ذلك من
وصفها فقوله الحق ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا انه ذلك صلاتهم هنا بالغداة والعشي
وصلاتهم بالعشي العصر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبد يروح الى المسجد ويغدو والله يهيئ
له نزله في الجنة كلما غدا او راح ويعرف هنالك الغدايا والعشايا بالضياء العلي ضياء الحق المبين
والنور نور الحق المبين من غير افول ولا غروب انما هو ظهور وتجلي يتجلى هذا تارة ويظهر هذا
تارة قال الله عز من قائل ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر وقال يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين فضياء الشمس هنا ونور القمر ايتان على ما هنالك
من الضياء العلي والنور النزيه كرفيع جل جلاله ربنا وتعالى علاؤه وشانه الم تر فيما ههنا
ان الشمس لا يغرب الا والقمر قد طلع ولا يغرب القمر الا والشمس قد طلعت هذا على الاغلب فاهو

الحق

الحق المبين لا افول هنالك ولا غروب وهو اعظم لذلك وهو اعلم قال الله عظم ثم ان
جاد به عليهم واورثهم اياهم تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا قوله جل جلاله
حاكيا عن الملائكة عليهم السلام وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا جاء ان سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ جبريل عليه
السلام في بعض الاحايين لامر كان بينه وبينه فلما جاءه وذكر له ذلك فنزلت وما نتنزل الا
بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما ينساك ربك هذا وان كان منتظما بذكر السبب
فانه ايضا منتظم بالمجاورة لما ذكر في الجنة ووصفها بما تقدم ذكره وما هو اكبر وسنه
وانه فيما هنالك لا شمس فيها ولا قمر ولا زمهرير ولا ليل ولا نهار انما هو ضياء الحق
المبين ونوره وما نتنزل الا بامر ربك معناه وما ههنا اية على ما هنالك يا معشر الملائكة
لا نتنزل بالليل ولا بالنهار الا باذن ربك ثم الملائكة عليهم السلام يتعاقبون في دار الدنيا
بالليل والنهار للحفظ والكتبة والفعل في المخلوقات لان اثار حر الشمس وتيبيسها
بالنهار خلاف البرد الليل والقمر ورطوبتهما وبهما صلح ما طلعا عليه باذن وكذلك في الانواء
والصحو وتحرك الرياح وسكونها وجميع الامور لله جل ذكره في ذلك امر ولطف على قدر
تنويع ذلك كله بتوسط الملائكة عليهم السلام هم يتعاقبون التنزل على ذلك بتعاقب حتى
الحوادث والامر وهذا كله مجموع في تلك الدار لضياء الحق المبين ونوره العلي بقوله انه
اعلم بما نتنزل وما ههنا اية على ما هنالك وما كان ربك نسيا اى كل ذلك في كتاب وهو
لم يكتب الكتاب لانه يضل ولا لانه ينسى وقد تقدم انه اعلام كتبه في الكتاب المبين يصعد
الى نفس المخصص والعيان فافهم نظم بذلك قوله الحق رب السموات والارض وما بينهما
اى انه حكمه في الارض كما هو في السماء وكما هو رب السماء والارض كذلك هو رب الدنيا
والاخرة ينتظم هذه الاية بالتي قبلها على هذا فاعبده واصطبر لعبادته اى انك لا ترى
اليوم ثواب عملك فعند المعاينة ينكشف لك الحقيقة فيما بعد الموت وللاخرة اعظم وافخم
دون نفس يحصر نظم بذلك قوله هل تعلم له سميا هل تعلم احدا يسمى الله او الرحمن على حقيقة
هل تعلم احدا خلق السموات والارض وما بين ذلك فيكون ربا لذلك كله هل تعلم خالقا خلق
كل شيء فقدره تقديرا ثم اخرج ما قدر خلقه على سواء ما قدره دون نقصان عن ذلك ولا
ولا زيادة هل تعلم احدا خلق الارزاق والمرزوقين فجعل للاجسام غذاء ارزاقا هل تعرف
حكيما احكم احكامه واتقن كاتقانه هل تعلم جوادا جاد كجوده واجاد في تدبيره وحكمه
واعطائه كهو هل تعلم عالما علم المعلومات بعلم واحد فعلم ما كان وما هو كائن وما لم يكن كيف
كان يكون لو كان وفي اي وقت ولم لا يكون ولم يكون اذا كان ومتى وكيف هل تعلم قديرا
اقتدر على ما اقتدر عليه فتفرد بابداع المبدعات اختراعا دون ظهير ولا معين لا على مثال
سبق ولا من شيء خلق ما خلق هل تعلم موجودا عليا واحدا احدا صمدا فردا لا والد له ولا
ولد وليس له ند ولم يكن له كفوا احد هل تعلم موجودا ليس كمثله شيء هو الاول قبل كل شيء
والاخر في كل شيء والظاهر في كل شيء والباطن في كل شيء هل تعلم ملكا غنيا عن كل موجود
وكل موجود فقير اليه لايجاده وخلقه واظهار ما اعدمه وامساكه واماتته واحيائه ولا يستغني

عنده في العلا ولا في ما تحت الثرى ولا فيما بين ذلك لا في ذاته ولا في صفاته ولا في
جميع وجوده كل بقاء فببقائه وكل اعدام فباعدامه وجود كل ذي وجود منه او عنه
وكل شيء مملوك له في ذاته وصفاته وهو المستغني عن كل شيء بكل وجه وبكل معنى فهو الملك
ملكا سبوحا قدوسا منزها عن كل وصف يدركه حس او يتوهمه وهم او يتخيله تصور
او يختلج به ضمير ثم هكذا الى آخر الاسماء كلها والصفات العلا اجمعها فاعبده واصطبر
لعبادته اي اصبر على ما يرد عليك من قضائه واحكامه حلوها ومرها فلن تجد من دونه ملتحدا
ولا منه نصيرا انتظم جل ذكره وتعالى علاؤه وموجده به قوله ويقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج
حيا انتظم وصف قلة تحصيل الانسان وقصور عقله على سبيل المقابلة واثبات الحجة على ما
تقدم ذكره من قوله هل تعلم له سميا يقول جل من قائل وهو اعلم بما ينزل وعلى تبيان سلطان
الحجة وظهور هذا الحق الذي لا جماح يقول الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا اذ لا
يذكر الانسان وفي اخرى ولا يذكرون في قراءة ابي او لا يذكر الانسان انا خلقناه
من قبل ولم يك شيئا ثم اقسم الحق جل قسمه على تحقيق ما اخبر به بقوله الحق فوربك
لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا الجاثي القائم على ركبتيه و
الى الارض وهو مقام الخصومة واقامة الحجة ولا حجة لهؤلاء ولا خصومة كقوله جل
قوله وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها المعنى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد على الرحمن عتيا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخرج عنق من النار فيقول
بلسان طلق ذلق امرت بكل جبار عنيد الى ثلثة اصناف ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا يدخلون النار دباعا لهم هل تجزون الا ما كنتم تعملون نظم بذلك قوله وان منكم
الا واردها قرا ابن عباس وعكرمه وان منكم الا واردها بالهاء وكذلك روي عن ابن كثير
قال ولا يردها مؤمن ان شاء الله تعالى فعلى هذه القراءة فالمراد بعموم المواجهة بالكفار
المؤمن والكافر وان الورود منها ما هو ههنا اعني في دار الدنيا مما نبهت عليه من اثاره
الصحين اعني نفس جهنم سعيرها وزمهريرها لقول الله جل قوله وان منكم الا واردها اليوم
فهلا قضيتم بالمشاهدة على الغائب فامنتم به وانقسم انما ههنا من جرود وصدود
انسان على ما ابتعثا منه وهذا هو الظاهر لشواهد القران التي جاءت كقوله عز وجل وازلفت
الجنة للمتقين اي قربت وبرزت الجحيم للغاوين وانه كما جاء انها ثلثة اصناف فتجل بهم الى النار وثلثة
اصناف تحل بهم الى الجنة ايضا وفي هؤلاء والله اعلم يقول ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله
بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا ولهذا نظائر ثم ينتظم ما بقي من الخطاب بما تقدم
من قوله جل قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا يعني المتقون المبعدون عنها لا يسمعون حسيسها
ويبقى سائر الخليقة من بر وفاجر يمرون على الصراط تفاوتهم في نجاتهم على تفاوتهم في اعمالهم
ويكون ورودهم عليها على معنيين بمعنى البلوغ وبمعنى الدخول الاول قوله جل من قائل ولما ورد ماء
مدين الثاني قوله فاوردهم النار فورود سائر المؤمنين بعد السابقين جواز ونجاة وورود
بعض الكفار وبعض العصاة بلوغ وولوج فيها كما قال عز من قائل عنهم العذاب كلما

يفسقون

يفسقون **قوله** عز من قائل والباقيات الصالحات يعني العمل بذكر الله وبطاعته خير عند
ربك ثوابا وخير مردا هذا منتظم بما في قوله منذ ذكر جهنم وورودها على ما هو عليه وبما فيما
حكاه عنهم من قولهم اذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا خلافا
للمحسنين الذين تقدم ذكرهم في قوله جل قوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم
وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا فقال عز من قائل في مقابلة هذا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير مردا ولا تصور الباقيات الصالحات الا مع التوبة والطهارة
من الارجاس والمقابل ان الاعمال الصالحات للمتلوثين بالمعاصي تكفر عنهم بها من سيئاتهم ومن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره **قوله** عز من قائل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا هذا منتظم بمعنى المقابلة والاخبار عن مراتب الاحبا على مراتب اعمالهم لما ذكر الكافرين وما لهم
وجهلهم وعتوهم قال جل قوله على اثر ذلك لا يهمنك شانهم فانا هكذا اردنا منهم لسبق
كلمتنا بهم وفيهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا الازّ الازعاج بالتزيين
والتدريج ومن زين له نسان معصية وحمله عليها بالتحيل والتزيين فقد ازه اي ازعجه
اليها ازعاجا يقول عز من قائل فلا تعجل عليهم انما نعد لهم اعمالهم وانفاسهم التي سبق
التقدير بها عدا الى قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الاد العظيم المهيب تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا لما قالوا كذلك كذبهم
كل شيء ولعنهم كل شيء حتى ان كادت السموات تنشق من فوقهم والجبال ان تهد والارض ان تمور
سخطا لاسم الجزاء ما هم ملاقون من جزاء ذلك لولا حلم الله جل ذكره فلا يمسكها ان تزولا بحيث
هي ومن حيث حكمه وكرمه وعفوه يمسكها انه كان حليما غفورا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وقد مضى
الكلام فيه ثم انتظم بذلك قوله ان الذين امنوا اي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالحق
المخلوق به السموات والارض وما حوته وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي يجعل لهم ودا في قلوبهم
يحبونه به ويودهم هو جل جلاله ويحبهم كل شيء ويصلي عليهم كل شيء ويشهد لهم كل شيء لانهم ولوا
الموجودات ما جعلها الله عليه فصدقوها في شهادتها وصدقهم كل شيء وودهم وفي ضد هذا
قال عز من قائل فما بكت عليهم السماء والارض فمفهوم هذا الخطاب ان كل شيء يبكي عليهم اذا فقدوا
كما امتلأ العالم تصديقا لهؤلاء ووداً كذلك امتلأ العالم علوه وسفله انكارا لقولهم وردا عليهم
ولما يكن ما قالوه صدقا رجع كذبه ذلك كله عليهم فامتلأ العالم في حقهم كذبا وفجرا وشهدت هي
بشهادتها الخفية ولزمت معالمها الفطرية فشهدت لاهل الايمان بما شهدوا به واتصلت الشهادات
بعضها ببعض فامتلأ العالم كله عدلا وقسطا في السموات السبع والعرش والكرسي والى اقصى العالم
ضمن ذلك بما هو بشارة لهم **قوله** جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين
اي يود الله جل جلاله اياهم ويود كل شيء لهم وينذر به قوما لدا اي ببغض الله لهم ولعنه اياهم وبغض
كل شيء ولعن كل شيء لهم اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الالد هو الخصم الذي لا يرجع الى حقيقة
لاحد بجنبتي الحق هنا وهذا لا يجري على العدل ولا سواء النظر وخصم كل شيء بنواحيه وجوانبه
ثم قال عز من قائل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا الركز الحس والصوت

وعيد وتهديدا للاخذ عاجلا قبل الآجل وهو نكال الاخرة والاولى للايصال احدهما بالاخر لا يرجى بعده
اهاله ولا يمهل فيا سوء توبة نسال الله التواب الحق التوبة وتعجيل اوبة بما يرضيه ويزلف عنده

سورة طه مكية فيها من المنسوخ ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قد قيل في طه غيرما وجه في الاوجه في ذلك والله اعلم بما ينكان
الم والمص والر والمر وكهيعص وطه وطس وطسم وحم وحم عسق
ويس وص ون وق واسطة بين حروف الكتاب المبين وبين حروف القران الكريم والذي
هو كتب البشر وهي ايات محكمات فصلها منزلها الى ماشاء تفصيله وكما لا يستطيع البشر ان يزيح
الجبال بقوته ولا ان يصعد السماء بايده فكذلك لا يستطيع ان يعبر عنها بعبارة لكن الايمان
يشير الى تاويلها والعقل يومي الى امها بفضل الله وهدايته والوجه فيها انها معبرة عن اسماء
الله تعالى ينتظها منزلها جل ذكره الى اسماء يعبر عنها بكلام البشر ولغات الالسنة نزلها من كونها
الى مقتضياتها في موجودات العالم وما عبر عنه القران الكريم وتفصل اليه قال الله عز وجل
الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله الى قوله وهو على كل شيء
قدير وقال حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم الى قوله وكذلك
اوحينا اليك قرانا عربيا وقال حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا
لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون قال في هذه طه فهو والله اعلم بما يتر
اسم عبر عنه قوله جل من قائل ما انزلنا عليك القران لتشقى الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
ومثل هذه الاسماء المعلقة في اوائل هذه السور في عمومها وتفصيلها الى ما ينفصل اليه ما نطق
القران والحكم الواحد لا اله الا هو انما الهكم الله الذي لا اله الا هو قل امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الى قوله ونحن له مسلمون وقوله الحمد لله رب العالمين
يقول الله جل من قائل هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر
متشابهات بالاضافة الى علومنا بحكم التبعية وعلى هذا الوصف الذي تقدم والا فقد وصفها منزلها
جل ذكره بانها كتاب احكمت اياته ثم فصلت والاحكام تعرف على طريق الاحكام بمعنى الاثبات
واستحالة التبديل والتغيير في حقها ومحكم ذكره الفقهاء بمعنى ليس بمنسوخ وهو راجع
الى الاول وقد تقدم الكلام في الناسخ والمنسوخ وما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز **قوله**
جل ذكره ما انزلنا عليك القران لتشقى يمكن ان يكون طه قسما اقسم به اذ معتمد الكون
انها اسماء او صفات وهو الذكر التذكرة ويجيء ذكره بعد هذا ان شاء الله وعلى الجملة فانها نسبة
من الله جل ذكره لرسوله المنزل عليه القران ثم لعباده المؤمنين العاملين به المتذكرين به ما لهم
وان المراد بانزاله الحجة على الكافرين وتنزيله تذكير من يذكرهم اهل الخشية لله عز وجل وهم
اهل العلم بالله واهل العلم بالله هم اهل العمل بما في كتاب الله واولئك هم المفلحون وفيه نحو
خطاب لان المراد منهم الرفق منهم لا الاجحاف بالنفوس ولا الحمل عليها كل الحمل انما القرب
المستقيم في سلوك هذا ان طالب العلم طلبا لا ينصرم بالعبادة وطلب العبادة طلبا
لا ينصرم بالعلم وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوغل في الدين بالرفق والتيسير وبشر
بالوصول والبلوغ الى المامول مع القصد ثم تفصيل ذلك ان ينصرم بالهوى بتوسط الضمير

ويبقى

ويبقى على العقل متوسطا الرفق مع العلم وكذلك صفة الخوف اذا التوغل فيه دون
رفق غير محمود الجملة اذ مطالبته اقتضا اضرار نفسه الحب فانه وان كان من سنة الله في
عباده المؤمنين من جعله اياهم بين الخوف والرجاء فان زيادة الخوف يكسب القنوط
نفورا في الاغلب عن منكان الخوف من اجله ثمن الادب في تناوله هذه الدرجة الرفيع
وحسب العبد من الخوف ما يكسبه الخشية في المواطن وما فرق بينه وبين شهواته واضر هواه
وليحب الله جل جلاله الحب كله وليفرح بفضل ربه وما اظهر وما ابطن من
رحمته وليتذكر نعمه وايا ديه وعظيم احسانه وقديم امتنانه وليغبط نفسه جدا لانه
عبد لمن لا اله الا هو ليس كمثله شيء واحدا احدا صمدا له المجد كله والثناء الحسن اجتمع
وليسعد في حبه لانه لا اله الا هو العلي الكبير لا كفو له ولا شبيه في وجه من الوجوه
ولا بمعنى من المعاني له المثل الاعلى في السموات والارض وله الخلق والامر وليستعن على الوصول
الى هذه المنزلة بكل سبيل امكنه سلوكها وكل عمل تيسر **قوله** عز وجل تنزيلا ممن خلق
الارض والسموات العلى تعظيم لقدر القران وقدر من انزله ومن نزل عليه وقدر ما
انزل اليه الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى
ذكر السموات العلى وفي ذلك دليل خطابا ان في الوجود سموات دنا وهي التي بين السماء الدنيا
والارض اعلم باستوائه على العرش وهو الحي القيوم ان فيه حسبه الجملة وانه في كل
مكان منها لا في مكان ومع كل احد بما هو واين ما كان فهو مستو على العرش السموات بمعنى
العرش جميع كل مذكور من المحدثات واعلم بذلك انه لا يعزب من الجملة مثقال ذرة في العلى
ولا فيما تحت الثرى الى حيث المنتهى ويعلم السر اي ما لم يجهر به واخفى من السر ما لم ينبعث
في خزانة القلب من علامات الغيب الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى هذا والله اعلم بما يتر
وما قبله ما هو تذكيرا ويؤول اليه من الذكر الذي يفصل السبيل **فصل** طه نظم بذلك قوله الحق
وهل اتيك حديث موسى اذ راى نارا المعنى الى اخره اعم كلمة تفضل من الذكر الذي قوله لا
اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن مع اضافة ذكر الرسالة والنبوة الى ذلك كقولك لا اله الا الله محمد رسول الله
فظاهر انتظام هذا بما تقدم من ذلك وفيه باس ونص تعريض الى مفهوم المعنى المتقدم
ذكره **قوله** عز وجل اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى لما اتى النار راها
على ما تقرر في نفسه فاعلم جل ذكره انها ليست نارا بل ذلك نور وان مكلمه هو رب العالمين وقال
له اخلع نعليك امره جل ذكره بذلك وهو اعلم اكراما للحضرة المقدسة ودبما كان فيها ما لا يجوز
الصلوة به وقيل انها كانت من جلد حمار ميت ودبما كان ذلك مثلا ضربه لرسوله عليه السلام
بمعنى ارادة منه فهو اعلم جل جلاله ثم قال له انك بالواد المقدس طوى لزمت البركة والقدس
ذلك الوادي وما حوله ليتنزل الله جل ذكره ابا الله وتكليمه عبده منه وتجليه عليه **قوله**
ذكر في تفسير طه اي طه قراها كذلك الحسن وعكرمة كان الاصل طا اي طا الارض
بقدميك ثم تبدل الهمزة هاء وروى ان ابن مسعود رضي الله عنه قراها طه بكسر الطاء والهاء وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اول ما انزل عليه القران يصلي على صدر

قدميه وقيل ان موسى عليه السلام لما سمع كلام الله عز وجل استخفه الخوف حتى قام على اطراف
قدميه فقال الله جل ذكره طه اى طئ بن وطأ قدميك فربما والله اعلم انزل جل ذكره
هذا القرآن في موطن من مواطنه الرفيعة فكان مما اوحى اليه طه فيكون الطا والها ضمنت
ما ضمنته في سبل الوحي والموحى به ومما افهمته طوى والها اشارة الى النبوة والرسالة او
الرسول اى هذا طوالك انت يا محمد كما فعلنا بموسى عليه السلام ما انزلنا عليك القرآن لتشقى كما قال
لموسى عليه السلام يا موسى لا تخف انك من الآمنين ولا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون نظم بذكر قوله
وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني هذا هو الذكر الذى وما
هو في بابه الذى اعلم به في قوله الحق جل جلاله من لدنا ذكرا من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة
وزرا خالدين فيه وامره بالاستماع الى هذا الوحي لما فيه من العظمة ثم قال عز من قائل
واقم الصلوة لذكري اى ليذكرني بذلك وفي ذلك مفهوم خطاب بوعد حق لامرية فيه
معناه ذكري لك اى اذكرني لاذكرك كما قال عز من قال قسمت صلاتي بيني وبين عبدي
نصفين لحق العبد جل ذكره حتى عبدك الحديث ان عن انيه اكاد اخفيها ليجزى كل نفس
بما تسعى من تعرف اليه في الرخاء عرفه في الشدة اعلم بذلك ان ذكر الله جل ذكره هو
المراد في كل وجه وعلى كل حال وانما ارخص في البعض من ترك اقامة الذكر له قامة حاجة
البدن من اكل وشرب ونوم ونكاح وغير ذلك واوجب على ذلك تسمية جل ذكره في
اوائل هذه الافعال وغيرها بان تقول بسم الله وعند فراغها الحمد لله وندبه على استصحاب الذكر
واكثر التوصية جدا باستصحاب الذكر على كل حال بقوله جل قوله لرسوله موسى وهرون عليهما
السلام ولا تنيا في ذكرى وقال لهذه الامة فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم وقال فاذكر ربك اذا نسيت قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قرره
جل ذكره على ما هو الذى في يمينه وهو اعلم منه بذلك لما اراده من قلبها حية تسعى فلما قرر عليه
موسى عليه السلام انها عصى انفذ فيها جل ذكره حكمه وقوله هي عصاى اتوكؤ عليها واهش بها على غنمي
يقول اخبط لها بها الورق ليقع فتاكلها الغنم وقرأ مجاهد واهس بالسين غير منقطعة مع
سكون الهاء وهو صوت يسوق به الراعي الغنم ثم قال عز من قائل واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى هاتان الايتان وان كانتا
في الايات التسع التى تحدى بها موسى عليه السلام لفرعون وقومه فانهما من ايات الله سبحانه على الحق
والله اعلم ان الايات هي اكثر من التسع فان التسع قد نص عليهن العليم القدير انهن الى فرعون
وقومه وان هاتين الايتين وان كان قد نزع بهما عند التبليغ الى فرعون فانهما ايتان ايضا
من الله جل ذكره ان الله هو مكلمه ولو شاء لاكتفى بما جعل في قلبه من اليقين والمشاهدة
لكنها سنة ولو شاء لجعل في قلبه العلم الحرم فانه هو المعلم له وقد كان ذلك لا محالة لكن اجرى
سنته المعهودة كما قال لهما جل من قائل فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى لما كان من فضله
ان يكون من بيان الرفق ولين الاخلاق وتسهيل الجانب وان المعهود ان تستشاط الشيطان
السلطان واذا استشاط السلطان استشاط الشيطان كذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وامره بالتليين اجراء للسنة على معهودها ليصل اليه التبيين وتثبت عليه الحجة قالا

ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى يريد ان الله جل ذكره اعلم قبل ان يبلغ رسالته وهذا و
اولى بهما فانه من اوصله الله جل ذكره الى رسالته واهله لان يكون سفيرا بينه وبين عباده
لا يوصف بانه يخاف غير الله وانما خاف ان يعاجلهما قبل التبليغ الا تسمع يقول قبل هذا الكلام
بانه مرسله سأله ان يشرح لذلك وان يعينه على ما امره فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي ذكر المفسرون ان عقدة لسانه كانت
لاجل جمرة جعلها في فيه لقصة ذكروها كانت من فرعون وامراته في شان موسى عليه السلام امتحانا
بها والصحيح والله اعلم انه كان رجلا عبرانيا في محاورة القبط ونشأ في حجورهم فكان نطقه
لسانا لغة القبط ثم تغرب الى ارض مدين وجاور العرب فتعرب من اجل ذلك مدة سنين كان
فيما هنالك قال الله عز وجل فلبثت سنين في اهل مدين فكانت من اجل ذلك لكنة في لسانه لم يكن
فصيحا في لسانهم كاخيه هرون عليهما السلام لانه لم يتغرب منهم لذلك قال عليه السلام هو افصح مني لسانا
فارسله معي ردءا يصدقني وقال الله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم ولما اكمل سؤاله من مراده قال الله عز وجل قد اوتيت سؤلك يا موسى ثم قال عز من قائل ولقد
مننا على موسى وهرون عليك مرة اخرى سمى جل ذكره ما وهبه في الاولى وفي الثانية منا اذ لم يكن
ما اتاه من النبوة والرسالة والكرامة عنده والجاه جزاء لعمل وباى عمل يستوجب بها ذلك كله
ثم جعل جل ذكره يعدد عليهم منته في الاولى بقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى فجعل يعدد عليهم
حفظه له حال غيبته عن علم بذلك منه ودل على ان وحيه الى ام موسى كان وحيا كالالهام والا و
غير ذلك اوحى الى قلبها العزم في ذلك انه الحق والا وجاز الوحي المعهود لقوله اذ اوحينا الى امك
ما يوحى فاحال على معهود للانبياء والوحي كما قال جل قوله نحن نقص عليك احسن القصص
بما اوحينا اليك وكذلك في سورة يوسف عليه السلام قوله عز وجل فليلقه اليم بالساحل
اللام لام امر كون اى انا سنامر اليم ان يلقيه بالساحل حيث يناله فرعون والقيت عليك محبة مني ترى
ولتلاطف في حجر عدوك سالك بذلك من الدرج ثم عطف على ذلك بالواو في قوله ولتصنع على
عيني اى على رضى منى فتذكرا سمى على طعامك وسقيك ونومك وارضاعك وسائر سلوك
بك سبيل مرضاتي في جميع شانك ورده ناك الى امك على ارادة امرأة فرعون فارادها مدة على هذا
كله بقوله اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن
ذكر العين هنا يشير الى المحبة منه له ولا يكون هذه العبارة الا لولي ومحبوب والا فالكفار ايضا يصنعون
على مراى منه ومثل هذا قوله في قصص السفينة وكيف نجا فيها نوحا ومن معه برحمة منه فقال
جل قوله وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى باعيننا اى باوليائنا وبحفظنا كما يقال فلان
عين الملك لموضع كذلك قوله تعالى فما حكاه من قول فرعون قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا
الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى كقوله الذى احسن كل شئ خلقه وما بكم من نعمة فمن الله خلق
الجميع على فطرة الاسلام واتم خلقته على ما اراده ثم هداه الى ما فطره اليه الا ان اضله ابواه
والشياطين والكافرون والتخليط فما بال القرون الاولى سؤال فرعون لدعى محذوف كان موسى
عليه السلام اجرى في المحاورة ان الله يبعث الموتى ليجزيهم باعمالهم فقال فرعون فما بال القرون الاولى
اى ان كان حقا ما تقول فلم نحيهم كذلك قال المكذبون سواه فاتوا باباءنا ان كنتم صادقين ثم بعد هذا

محذوف في المجاورة كان موسى عليه السلام قال في محاجته انما يحييهم و يجمعهم الى يوم القيمة كاجاب
موسى عليه السلام بقوله علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقيل هذا من جواب موسى عليه السلام
محذوف مقدر وكان فرعون لعنه الله قال لموسى عليه السلام جوابا عن قوله الله يجمعهم و يحييهم اجاد
الى يوم القيمة قال له وقد ضلوا في التراب و عادوا غبارا وارضا وتصرفت الارض حيوانا ونباتا
وانتقل الحيوان والنبات غذاء للمعذبين بذلك ثم عاد بذلك ترابا في التراب ثم كذلك ايضا يتناسخ
الابدان نباتا وحيوانا وارضا وحجارة وحديدا الى غير ذلك اجابه موسى عليه السلام عن ذلك كله
بقوله علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي عن تمييز الذوات ووجود الموجودات وسبلها في سالكها
كيف لا وهو الذي اسلكها في سبلها تلك كذلك يسلكها ايضا مرة اخرى في اعادتها الى ما علم
من خلق وهو اللطيف الخبير جميع ذلك كله قوله في كتاب لا يضل ربي عن سبلها التي اسلكها
ولا ينسى صورها التي احالها عنها في تصريفها اياها الى سواها كالماء احاله الى نبات
وحيوان بواسطة الغذاء والحيوان احاله الى حيوان غيره فهو لا ينسى صور الموجودات التي احالها الله
ما احالها اليه وان طال ذلك وكثر التناسخ للاجسام واحالة الصور لا يضل في تناسخ سبلها ذلك
وطول امادها فافهم كما قال عز من قائل حين قالوا ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين فاجابهم جل
ذكره الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة ثم قال جل قوله منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها
نخرجكم تارة اخرى هذه دلالة على الاحياء من بعد الموت كلوا وارعوا انعامكم هذا اخبار
عن جمعهم في اخراجهم الى هذه الدار من خزائن السموات والارض في الاجواء والاهوية والرياح
والماء الى الارض ثم من الارض في النبات والحيوان هذه اوائل النشاة الاولى وانه على النشاة
الاخرة فمن اقتدر على جمعهم بعدما قد كان اماتهم و شتتهم في غيابات السموات والارض والهواء
فجمعهم جميعا واوجدهم اجساما وذوات بعد اعادتهم و تمييزهم بعدما قد ضلوا في الاجواء
والهواء وغيابات السموات والارض وموجودات الدنيا من حيوانها ونباتها جميع ذلك كلا اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الان الخلاق ابدا على الدوام يعدم و يخلف
ابعادا واعداما وهو الخلاق العليم انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم عبر عن قوم
قد ضلوا في غيابات السموات والارض بقوله سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون ثم قال
عز من قائل و لقد اريناه اياتنا كلها يعني والله اعلم التسع الايات قوله فكذب وابى لم يؤمن وابى
ان يطيع و عطف باو على ما تقدم وصفه من تبيين الايات بالحاجة ولما انقطع في جداله نكص
على عقبه فقال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله ثم كذلك من قصصه الحق
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه كما تقدم في غير هذه السورة الى قوله ولاصلبنكم في جذوع النخل
ثم كقوله يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم و واعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم
المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ما قال جل قوله شيئا قط
الا وهو كائن لا بد ولا محالة وان تراخت المدد و بعد الامد لذلك قال موسى عليه السلام بولم اتخذوا العجل
الها من دون الله عز وجل و رجع اليهم غضبان اسفا حزينا من تاخرهم وحلول المحذور المنذر به
بساحتهم بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم اي فيما انذرتكم به من غضبه عليكم و قال في
هذه يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب

من ربكم

من ربكم فاخلفتم موعدي الى اخر القصة وقد تقدمت اشارة الى معانيها قبل هذا
ثم ذكر قصة السامري الى قوله اذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس قيل في ذلك ان موسى عليه
السلام نهى بني اسرائيل ان لا يواكلوه ولا يخالطوه وان كان موسى عليه السلام قد فعل ذلك فليس
الاخبار عن هذا هو مقصود الاية فانه قال له اذهب فان لك وهذا لا يقال الا لمن اعطى ما هو
من عقوبته له وقيل انه عنى بذلك حوشية يجفل ولا يصحبه احد لانه لا يطلب له صحبة بل ينكره
ويتقرونه وفي هذه الامة من هو في هذا السبيل يدعون بالبكاره وقيل اذ له نسلا على مثل
ذلك من حاله وهذا ايضا لو صح له ونسله كذلك فهو ليس بمقصود الانبياء والله اعلم بما يريد له
ورائه والله اعلم انما من الله جل ذكره نظره في حال الدجال لانظره فيها الى يوم باذن الله في
خروج الدجال لعنه الله لذلك وهو اعلم قال عز من قائل وان لك موعدا لن تخلفه وقد تقدم
ذكره قبل هذا قوله عز وجل كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وكان الذي قص عليه
نبأ موسى وفرعون اي كما يقص عليك نبأ موسى وفرعون بالحق كذلك غيره والكتاب على عمومه ثم
قال جل قوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا هذا والله اعلم منتظم بما في صدر السورة من الذكر الذي
و قوله قبل هذا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما الى قوله جل قوله و عنت
الوجوه للحي القيوم و قد خاب من حمل ظلما وكذلك ما كان من قبل هذا الذكر اللدني وانتظم
المعنيان في قوله كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق بالمعنى الذي في صدر السورة في تاويل طه و معنى
الذكر اللدني والوجه الاولى في تاويلها ثم قال عز من قائل وكذلك انزلناه قرانا عربيا منتظما في المعنى
الذي هو احد الوجهين بالحق وهو اعلم كما انزلنا على موسى التورية والهدى والنور والفرقان كذلك
انزلناه عليك قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون يعني الدرجة الرفيعة من الايمان والعمل بها
او يحدث لهم ذكرا الدرجة التي لعقوم المؤمنين **قوله** تعالى فتعالى الله الملك الحق عما قال له فرعون
واتبعه وما قاله السامري واشياعه وعن ان يخلف احدا من حقه او يخلف من وعده ثم قال عز من قائل
ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه هذا متصل بما جاء من حرصه على تلقي القران و تعجله
ذلك و حمله الشفقة حتى قيل له لا تحرك به لسانك لتعجل و قيل له طه ما انزلنا عليك القران لتشقى
وقيل رب زدني علما امر الله عز وجل عبده ان يسأله المزيد من نعمته ولا نعمة افضل من العلم
ولو بلغ منه ما عسى وان يقع علم ذي علم من العباد من علم سيد البشر صلى الله عليه وسلم وقد امر
بذلك ولقد جاء عن عيسى عليه السلام ان فيما اوحى اليه ان بين يديك المفاوز من معرفتي ما
قطعتها بعد **فصل** الذكر اللدني يعلم فيما ههنا بالاضافة الى ما سواه فما كان من وصف
الالهية والوحدانية والربوبية وذكر الاسماء الحسنى والصفات العلى واوصاف النبوة و الكرامة
فهذا مع الاضافة الى ذكر الاحكام والقصص هذا الذكر اللدني كما ان من علم الخضر عليه السلام
هو العلم اللدني بالاضافة الى علم الشرايع وتمييز الحلال من الحرام لقوله جل جلاله
وربك يخلق ما يشاء ويختار فوقع اختياره في المخلوقات وامارات الخير في عواقب تدبيره
هو العلم اللدني بالاضافة الى ما دونه لذلك وهو اعلم قال جل من قائل من اعرض عنه
فانه يحمل يوم القيمة وزرا **قوله** تعالى يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون
اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما التخافت بالقول الاختفاء به وسرعة في انفسهم ويقولونه

فيما بينهم **فصل** قال الله عز وجل ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال في
هذه السورة اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فقرب جل ذكره من الصواب من قال ان لبثتم
الا يوما وغلب قوله هذا على قول من قال ان لبثتم الا عشرا وجاء ان الفرعونيين يعرضون على النار
غدوا وعشيا فانارا وها قالوا ربنا لا تقوم الساعة وكذلك غيرهم يعرضون على منازلهم من النار
قال الله عز وجل لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون اي مقدمون اليها ثم استمر على ذلك بقوله
جل قوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم اي في دار
البرزخ ثم قال جل قوله ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة والحديث الذي جاء فيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر ليلة اسري به بقوم يقرض شفاههم بمقاريض من نار فقال من هؤلاء فقيل هؤلاء خطباء
امتك ومر على شيء سر شدقاه واخر يثلغ راسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث لقيط
بن عامر وذكر البعث تحت الارض فارسل ربك سحابة من تحت العرش ولعمر الاله
ما يدع على ظهرها من مدفن ومصرع قتيل الا شقت القبر عنه حتى يخلفه من قبل راسه ويستوي
جالسا يقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يا رب امس اليوم لعهده بالحيوة يحسبه حديثا باهله فمن يكون في عذاب
وروعة وعرض على منزله بكرة وعشية كيف يقول حين نشا عن بعثه من تلك الحال لبثت يوما
او بعض يوم وقرب الله سبحانه وله الحمد من الصواب قول من قال ان لبثتم الا يوما الله الحق وقوله
الحق ووعده الحق وهو اعلم بما قال اري والله اعلم بما ينزل ان للموتى حقيقة يحيون بها ما هم فيه
من عذاب وخزي وهون لينالوا بذلك ما هم بصدده طول مدة البرزخ اية ذلك كونهم حال حيوتهم
الدنيا امواتا عن حقيقة الحق المخلوق به السموات والارض حتى جهلوا خلقتهم وجبلتهم وما فطروا
عليه مع كونهم احياء مكلفين وانهم ليرجعون الى بعض تلك الحقيقة عند اضطرارهم ثم اذا دفع عنهم
لا يسمعون فهم على ذلك اموات لا يرون الايات ولا يشاهدون ولا يشهدون مع الشاهدين ولا
يتكلمون بالحق ولا يعقلونه ولا يتحركون اليه ولهم ايضا في البرزخ حقيقة يكونون بها امواتا فلا يعقلون
ما هم فيه فتحقيقه ما هم بها احياء يحيون ويعقلون ما يصيبهم يقولون ربنا لا تقوم الساعة اية ذلك
رجوعهم في الدنيا حال الاضطرار الى ربهم الحق وتحقيقه ما هم اموات لا يعقلون ما هم فيه ولا يذكرون
طول الامد كالذي جاء عن بعض الانبياء على جميعهم السلام الذي جعله الله للناس اية اماته الله
مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال الله عز وجل بل لبثت مائة عام
فلانهم كانوا في الدنيا لا يذكرون الرجعة والبعث ولا ما هنالك ينسون ذلك ولا يذكرون طول مدة
البرزخ ولا شدة ما اصابهم كما اعماهم بجهلهم عن رؤية اقتدار الله عز وجل على اعادتهم وجمعهم
من غيابات البلاء كما كان قد جمعهم من غيابات خزائن السموات والارض اول مرة وكذلك اضلهم
ما هم عليه يوم يسئلهم عما كانوا به يشركون بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وها انا الحلنا من عجيب
امر الله جل ذكره بقوله عز من قائل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة يقول الله جل ذكره
كذلك كانوا يؤفكون اي في الدنيا عن هدايتهم فجعل تافيكهم هنا اية على تافيكهم فيما هنالك فسبحان
العليم القدير مصورهم ومدبرهم كيف يشاء لما كذبوا الحق الواضح في الدنيا وكفروا به وانتحلوا
الاشراك ملة ولم يقولوا الحق ولا شهدوا به مع حسن الايات وشهادة اشهاد جميع الخليقة وما توا

على ذلك من كونهم مع حقيقة المعيشة لذلك عجب الله ورسوله عليه السلام والمؤمنين من عظيم
اقتداره على حقيقة الاماتة والاحياء وادخال الحيوة في الموت وادخال الموتى في الحيوة كما يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل واوجد اليقظة حال النوم والنوم حال اليقظة
فقال عز من قائل انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم يجمع
الوجهان المذكوران انهم يقولون ذلك بحقيقة الموت ويحسبون ما يحسون بحقيقة الحيوة واما
قوله جل قوله في سورة المؤمنين قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون فان اليوم في هذه الاية مركب من سنين
وقد تقدم فيما مضى ان اليوم يكون سنة ويكون سبع سنين ويكون تسعا واربعين ويكون ثلثمائة
وثمانين سنة وهو الف شهر ويكون خمسمائة سنة ويكون سبعة الف سنة ويكون الف سنة ويكون
خمسين الف سنة واما المؤمنون هم اهل العلم فهم الصادقون الذاكرون الاحياء حقيقة في الدنيا
والاخرة وفيما بينهما قال الله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ثم قال كذلك
كانوا يؤفكون كما قال جل قوله سواء محياهم ومماتهم ثم قال عز من قائل وقال الذين اوتوا العلم
والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فاعلمنا
نصا صريحا بانهم كانوا في حال لبثهم في البرزخ لا يعلمون كما قد اعلمنا بحقيقتهم الاخرى في قوله
الحق وقد ذكر اليوم الاخر يعني يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ثم قال وان للذين
ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون **قوله** جل ثناؤه ويسالونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا الاية ننسفها يومئذ نسيرها بجعلها كالعهن
المنفوش وكالمهل ثم يسلط عليها الرياح فينسفها بها ويسوي بما ينسف منها اودية الارض
وبطونها وكل مطمئن منها فيذرها قاعا صفصفا اي مستويا فيكون لذلك بارزة ينفذهم البصر
ويسمعون الداعي والهمس هو الصوت الخفي **قوله** تعالى لهم يتقون اي لعلهم يتقون الاعدام او يحدث
لهم ذكرا التوبة الادنى التي يحللها السقوط في الذنوب بشرط التوبة **قوله** تعالى فتعالى الله الملك
الحق منتظم بقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما
بقوله جل من قائل فتعالى الله الملك الحق عن الحيف والظلم ويكون ايضا مع ذلك راجعا
الى ما نسبه اليه امتك وفرعون واتباعهم **قوله** عز وجل فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
لا يضل من اتبع الكتاب في الرسل وما جاء من عند الله جل ذكره ولا يشقى في الاخرة يوم البرزخ
عطف على ذلك ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا اي في الدنيا بعدم الهداية وهذا اكثر
ما يتصور في العصاة المليين كما قال الحسن انهم وان هرولت بهم الهماليج ووطئ الناس اعقابهم ان ذل
المعصية لفي رقابهم ابى الله الا ان يذل من عصاه ثم المعصية الضنك للعصاة والكفار معا في دار البرزخ
ثم قال جل قوله ونحشره يوم القيمة اعمى اي لا حجة له ولا علم عنده وربما تم عليه العمى ظاهرا
كما اعماه في الدنيا باطنا كما قال ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما نعوذ بالله من ذلك
بقوله الحق وكذلك نجزي من اسرف اي في العصيان ولم يؤمن بايات ربه هذا الكافر فهذا في البرزخ
ثم قال ولعذاب الاخرة اشد وابقى **قوله** جل ذكره ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما
اي لكان العذاب لزاما تقديرا لكلام ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان العذاب الان لزاما

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة الظهر
وصلوة العصر ومن اناء الليل فسبح صلوة المغرب وصلوة العشاء واطراف النهار في هذا مر بعض
بصلوة الليل وصلوة الضحى دل على ذلك قوله لعلك ترضى من ارضى به ارضاه نظم بذلك
قوله جل قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا نصب زهرة على
الذم دل على ذلك قوله لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى هو ما ذكر في صدر السورة ما انزلنا
عليك القران لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الى اخر المعنى فرزقه من القران والعلم به والمعرفة والعمل بطاعته
خير له وابقى ويكون ايضا انتظامه بما يقابل قول فرعون لعنه الله ولتعلمن اينا اشد عذابا
وابقى زائدا الى ما تقدم نظم بذلك قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الاية امر جل
ذكره رسوله صلى الله عليه وسلم بان يامر اهله بالصلوة امر لمن تبعه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته الحديث وضمن الله جل ذكره رزق عبده على العمل
بطاعته ووعد على التقوى بالعافية فمفهوم هذا الخطاب انه من شغل نفسه بطاعة ربه فعلى
ربه رزقه قال الله جل من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال
ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا واعلم مع ذلك انه هذا امره اي شانه انزله الينا واعلمنا **قوله**
تعالى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى كذلك روي عن يعقوب انه قرأها
اولم ياتهم بينة ما في الصحف بالياء يعني القران وهو اعلم قل كل متربص فتربصوا اي انتظروا ولم
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى السوي المستقيم وهو صراط الاسلام وهو الحق المخلوق به
السموات والارض فافهم وقرا ابن عباس الصراط السوى وقرا يحيى بن يعمر وعاصم الصراط
السوأى بضم السين واسكان الواو والمد والهمز على تانيث الصراط وقد روي عنهما السوي
بغير همز وتشديد الواو وفي هذا المعنى فستعلمون من اصحاب الضلالة من اصحاب الهدى

سورة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** جل من قائل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
معرضون ذكر اقتراب الحساب عبارة عن اقتراب الاجل من موت وعقاب على سوء عمل واقتراب الساعة
قال الله عز وجل فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فظهور نبي الله محمد
صلى الله عليه وسلم من اشراطها وقال عز من قائل اقتربت الساعة وانشق القمر وما هو فكانه يعني عز
وجل انهم يرونه بعيدا ونريه قريبا وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون تقدير الكلام في
الف سنة مما تعدون عند ربكم كيوم من ايامكم والغفلة عن ذلك والاعراض عنه انما يكون من قلة
التفكر وعدم المبالاة بما يعظم من العمر ومن المعهود المقطوع عليه ان الموت لم يضرب له موعد علمناه يلقى
فيه مصيفا دون مشتاة ولا مشتاة دون مصيف ولا يوما من الايام معلوما ولا نهارا دون ليل ولا ليلا
دون نهار ولا اعتياد دون اعتياد انما هو عند الانفاس والاعمال ثم ياتي على غير موعد بعد ما لنا به
علم وهو الموت بغتة وبعد هذا الخطر العظيم والهول الجليل ندم لا ينصرم وشقاء لا يبيد لعيش
لا يبقى وامنية لا تنال هذا لو كان امرا لم ينقض عمر هيئته فكيف بعوارض الاسباب المهلكة
للاجال دون ذلك لا سيما عند موعد في ما الكتاب يحدث على الاغلب على الاقامة على ما لا يرضي
الله جل ذكره ويكون هذا من الجزاء العاجل **فصل** احتملت هذه الاية على معاني

جمة ترجع الى ما هي اصول لها منها امر بتذكر وحض على ذكر وتوبة وتحذير عن غفلة
واعراض واعلام بعواقب ذلك وجزائه احتملت كلها الى قوله جل قوله لاهية قلوبهم
قوله عز وجل ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم
الذكر هنا هو القران لنا والكتب قبله لمن قبلنا وقرا ابن ابي عبلة ومحدث على الثلاثة الاوجه
ومعنى ذكر الحدوث هنا حدوث تنزيله وانزاله من عند الله عز وجل واما من حيث هو كلام
لرب العالمين فهو قديم لم يزل وقوله استمعوه وهم يلعبون قارنت هذه الصفة صفاتنا
بالحقيقة وصف ما نحن عليه ان الله جل وصفه وصفهم بالاستماع ولم يصف الكافرين بذلك
بل قال فيهم انهم كانوا لا يستطيعون السمع وقال استغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا
وما ادري والله اعلم الا ان الله انذر بما اصابنا واكثر اهل زماننا وانما يمنع الصوت بالتلاوة
لا المعنى المراد منه بتحبير الاصوات وسعدا القران وذلك يلهي القلوب عن فهم الخطاب والتفطن
بسر المراد واذا لهت القلوب لم تتخلص اليها ارواح المعاني لا سيما الكلام المعبر عن كلام رب العالمين
الذي هو الحق والوحي لعزة المعنى وعظمة كلام رب العالمين وتعاليه عن التنزيل الى قلوب
الغافلين والمعرضين يقول جل من قائل قل انما انذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون
واذا سحنت الصدور ولهوا وغلب على القلوب الهوى فالتغني زائد في دائها وتحسين الاصوات
اقوى لسقامها لان التغني وتحسين الاصوات ستر ما هو كامن في النفوس ومن صفاتها الاولى
للهوى وان قادها الى الردى ولذلك ما كره العلماء هولاء واكثر القلوب اليوم مسجونة بالباطل مملوة
لهوا وهوى واما التنزيل فهو سر الفهم وبالفهم يكون مزيد اليقين وحقايق العلوم وعن
مزيد الايمان يكون الوقار والحلم وحسن السمت لان الايمان من الله والله هو الحق ولا اتصال
بنور الفطرة انا ذكا منها وكشف عن مكنونها فانجلت عن بصيرة القلب غياهب غفلتها و
انزاح عنها ما تعلق بها من لهوها لحلول النور في القلب واستوى الحق المعزز في جلته
على كرسي الصدر فهو ذا هو المتوجه اليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لنبي كاذنه
لنبي حسن الصوت يتغنى بالقران وقوله ليس منا من لم يتغن بالقران فليس القران بقران في حق من
لها عنه وليس من الحسن في شيء من حيث الانباء والنبوة من لم يفهم القران ولا رفع به
رأسا ولا يسمع الله لهذا فانه الخلق ولا يعمل الا على الحق جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه في حق هولاء يكون التغني بالاشعار الحكمية حسنا فان ذلك يؤيد حزب الحق عز جلاله
وتعالى علاؤه وشانه في ذواتهم وشركامنه في ساحات صدورهم ولهذه العلة مالت النفوس
من هولاء وهولاء الى اظهار ما فيها والتعريف بما غلب عليها لانه كالسكنى والمعهود منذ احقة
وعلى هذا فالتدبير للاشعار التي هي الحكم بولد العلم ويؤيد ما المراد بها ثم الغناء وتحسين الصوت
سر الكامن فيها كما تقدم ومن اجل ذلك ربما هامت النفوس وتواجدت لانها مغلوبة
ولما كان العقل والايمان موضع العلم واليقين كان العلم بجل العلم ومحله والايمان لذلك اولى
وحسن السمت اقرب وحزب الله الغالب ولهذا وامثاله جاء ما جاء من التحريم والنهي عن التغني
والترخيص فيه والحض عليه والترغيب وكان الاتفاق على فضل التنزيل وطلب الفهم
ثم اذا حصل الفهم فلا باس بالتغني لانه زاد كمن الفهم وما لم يتحصل الفهم ولا موجود

الحروف والنهي والخفي مكروه ومنهي عنه محرم لما تقدم ذكره فافهم ان الوحي هو الذي
ينزل عليه ارواح الملائكة ويلج فيه فيهش لها احزانها ويعرج بها ما هو فيه منها انما انذركم
بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون **قوله** عز وجل واسروا النجوى الذين
ظلموا الذين هنا مما قال اكثر النحويين ان الفعل اذا تقدم الاسم وحد واذا تاخر ثني
وجمع الضمير هذا يجري فيه بل هو تخصيص من عموم قوله الناس اذ من الناس الكافر
ومنهم المؤمن فبعض الناس هم الذين ظلموا وقوله واسروا قد تقدم واسم الضمير الذي
الذي فيه الناس وكان تقدير الكلام اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون الى
قوله واسروا النجوى الذين ظلموا من الناس النجوى يقولون هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون
السحر وانتم تبصرون وقرا الضحاك افتاتون السحر وانتم تبصرون واما الذين
امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ثم يقول جل من قائل ردا عليهم فيما جاوا به وتناجوا به قل
يا محمد ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم يعلم بما في قلوبكم سواء منكم
من اسر القول ومن جهر به اتبع ذلك جل ذكره بما هو في معنا من نطقهم قولهم بل قالوا
اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا باية كما ارسل الاولون عصوا القران
وكل من رد العلم بما يشبه انه من العلم فهو المنزل لسوء عمله ورجوعه الى الحق عسر جدا
ثم قال عز من قائل ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون ثم نظم بذلك جل
ذكره وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم فاسالوا اهل الذكر وهم الذين ارسل اليهم الرسل
من قبلك وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام اي لم نرسل الرسل الى الناس الا منهم لا من الملائكة
انما كانوا رجالا منهم ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق يعيشون في ارزاقهم ويموتون
باجالهم لهم الازواج والذرية والله يمن على من يشاء من عباده **قوله** عز وجل لقد انزلنا
اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون يعني فيه شرفكم وذكركم في الاخرة وحظكم في الدنيا
والاخرة يخاطب جل ذكره قريشا ثم العرب كذلك قال وانه لذكر لك ولقومك **قوله**
جل وعز وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة المعنى هنا منتظم بالناس الظالمين الذين اسروا
النجوى وقالوا ما تقدم ذكره هم لو قبلوا الشكر بقوله جل قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه
ذكركم ثم هددهم بما كان من حكمه فيمن كان قبلهم من القرون الخالية والامم الماضية التي بقوله فلما احسوا
باسنا اذا هم منها يعني من القرى يركضون يهربون يفرون ثم حذف كلاما معناه قيل لهم
لا تفروا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون اي عما اصابكم في غير ارضكم
وحال اغترابكم عن اوطانكم حذفا للعبارة عن رجوعهم الى قراهم المهلكة بهم وعزمهم العذاب
النازل عليهم وتجاوز ذلك الى قوله قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اقروا بالذنوب واعترفوا بظلمهم
حيث لا ينفعهم ذلك ومن قبل كانوا يكفرون بايات الله ويكذبون رسله ويردون عليه كتبه
يقول عز من قائل فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ولو انهم تضرعوا حين
اخذهم في الهرب عن مواطنهم الى غيرها وتابوا الى ربهم لكشف الله عنهم عذابه ليقول الله جل قوله
فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا **قوله** تبارك وتعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
سبحانه وتعالى علوا كبيرا يقول الله جل قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا او نتخذ جل ذكره لهوا

من لدنه

من لدنه لم يكن الا الحق بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه لذلك يقول ولكم الويل مما
تصفون قال الله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار **فصل** اللهو ما الهى عما سواه فاذا الهى عما هو اولى منه كان مذموما
وبانه يلهي عن ما هو اولى به سمي لهوا يقول الله عز وجل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
فلو انه اتخذه من لدنه لكان الحق ولو كان ذلك كذلك لكان يلهي عن ما سوى الله وكان يكون
ركنا كله والى هذه الحقيقة يؤول معنى اسمه الله جل وعز من افاض عليه بركته لانه عن كل
ما سواه وانما خلق السموات والارض وما بينهما بالحق والحق ههنا معنى اسما وصفة في العالم
وما دل على موجود الاخرة واكوانها وما اوجب انتهاء به من انتهاء الغنا بالاجال المؤجلة والاوقات
الموقتة وان الجزاء واقع لا بد ولا محالة وصفات الجزاء ومعرفة منبعث الخزائن ومعرفة
منبعث الشرائع وما انبعث عليه دعائم الاسلام وتمييز الحلال في ذلك من الحرام ليقول الله
عز وجل وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون اي لا
يقطعهم العبادة ليقول الله عز وجل لو كان فيهما يعني السموات والارض الهة الا الله لفسدتا
ما لم تعم الحكمة ولا وجدت على ما هي عليه الا بالوحدانية لولاها لوقع التمانع سبحانه وتعالى عما
يقول المبطلون علوا كبيرا لا يسال عما يفعل لا مالك فوقه ولا امر يامره ولا واحد ملكا سواه
دونه فيتصور منه فيه ظلم لا اله الا هو العلي الكبير هو الملك الحق له الملك وله الحمد يفعل ما يشاء
لا راد لامره ولا معقب لحكمه **فصل** تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا
ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي الرتق الالتحام والالام لامت الشي رتقته والفتق
ضد ذلك وقد يقال فتقت العجين جعلت له فتاقا وهي الخميرة والفتاق ايضا اخلاط طيب
يفتق بدهن اي يخلط به ويقال انصل فتق السفرين اذا كانت له شعبتان فكان احدهما
فتقت من الاخرى وقد اوعينا الكلام في معنى الفتق والرتق في رسمه من كتاب الكلمة
وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون ليقول عز من قائل الا يرون ان الماء واحد ينزله
من السماء فيخلق به مخلوقات كثيرة كذلكم الله ربكم واحد احد خلق كل شيء وهذا النوع من البرهان
ندمغ به باطل من قال من الثنوية والمجسمة كيف يكون الواحد بوحدة الكثرة وقوله جل قوله
وجعلنا من الماء كل شيء حي ليقول جل قوله افلا يرون انا نخلق من الماء كل شيء حي نباتا وحيوانا
واناسي رجالا ونساء وولدانا وجنات وزروعا وفواكه كثيرة افلا يؤمنون انها منح
الله برحمته من جنات له قد اعدها لمن اطاعه فهذه الجنات ايات على تلك جعل هذه متاعا في هذه الدار
عم بها المؤمن والكافر وخص بتلك من اطاعه وابتغى رضوانه **قوله** عز وجل وجعلنا في الارض
رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون هذه من دلائل النبوة في الوجود افلا يؤمنون
بالانباء والنبوة والنبيين وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقرا ابن ابي عبلة وجعلنا السماء سقفا
محفوظة بالجمع وزيادة ها وقراهم الخالدون بغير فاء وقرا وجعلناها وابنها ايتين وكون
السماء محفوظة من دلائل النبوة وحمايته اياها عن اباطيل الشياطين وكونها مرفوعة دون عمد
من دلائل الوحدانية والقدرة والقيومية والعلم المحيط والمشية العالية ليقول الله جل قوله وهم عن
اياتها معرضون اخبر الله الجليل الحق جل جلاله في اول السورة بتلهيهم عن الوحي واعراضهم عن الذكر

ويخبر في هذا الخطاب كله باعراضهم عن اياته في السموات والارض ولو تنبهوا لها ونظروا انقلبوا راجعين
لرأوا الاعاجيب فنظم بذلك قوله الحق وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون
قد تقدم الكلام في بعض ايات الليل والنهار والشمس والقمر وكونها جارية في افلاك دالة
على ارجاء حكمة والله على واخره وذلك دلالة على تناهي الآجال وتمام الاوقات وفي ذلك
العلم بانقراض الدنيا ومجيء اليوم الاخر باخره ثم قال عز من قائل كل في فلك يسبحون دليل على
ان الكثرة راجعة الى الوحدة كما انبعثت منها تعود اليها كما قال جل ثناؤه واليه يرجع الامر كله
فاعبده وتوكل عليه فاذا حققت النظر وجدت الموجودات كلها على اختلاف فيها بجمعها واحدها
قال الله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم الا الى الله
تصير الامور **قوله** عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون ودجع هذا الخطاب
الى معنى ما تقدم في صدر السورة قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
يوحى اليهم الى قوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين **قوله** تعالى
واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمن هم
كافرون هذا من وصل الحديث الموجود في القران العزيز بقوله وهم يكفرون بالرحمن ويعظم عندهم ذكر
الهتهم نظم بذلك قوله عز من قائل خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي فلا تستعجلون العجل من
الطين ومن الطين خلق ادم عليه السلام وهو اللازب منه والذي يطابق من ذلك معنى هذه الآية
والله اعلم بما ينزل الذي من اجله اجلب هوان الذين كفروا امنه قالت لهم رسلهم ان الله جل
ذكره عذابا كذا وكذا لمن كفر به وكذب رسله استعجلوا ذلك يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وخلق الله ادم من الطين اللازب المتسلسل من الطين وهو الذي جف ورق عن حالة الطين
وسدته فالطين بما هو طين لازم موضعه وسلالته منه منتقلة عنه فلذلك المسمى العجل
لسبقه الطين بوصف الانسان بما كان عنه لتشبه في استعجاله ما هو كائن وان كان عليه وهو ايضا
الصلصال وهو في بعض اسمائه فاتصل معنى قوله هذا بوعيد قوله الذي قبل وهم بذكر الرحمن هم
كافرون الذي اظهر في سورة الفرقان قوله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا بقوله عز
وجل ساريكم اياتي على وعيده الذي انذر بكم فلا تستعجلون لذلك قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
بقوله عز من قائل لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
نظم بذلك قوله الحق قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اي من يحفظكم بالليل والنهار
حفظ الرحمن لمخلوقاته سار منه كريان الماء المنصب الى مغيضه وهذا كقوله عز وجل من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة المعنى الاخر وسياتي ذكره في موضعه ان شاء الله تعالى
وقد كان ينبغي بواجب الحق ان يستصحب شكره وذكره وحمده على نحو مستصحب حفظه وموالاته علينا
شكرا له وحمدا واستسلاما وايمانا وخوفا ورجاء وحبا وودا له ولهذا وما اشبهه قال بل هم عن ذكر
ربهم معرضون **قوله** عز وجل ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل الهتهم لضعفها لا يستطيعون
نصر انفسهم ولا هم يعني المالوهين المتعبدين لتلك الالهة منا يصحبون انما الصحبة لاهل التقوى
والايمان والعمل بطاعة الله كما قال عز من قائل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وبقوله
جل من قائل اني لا اطلع على قلب عبدي فاذا الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

الذى

الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث ويقول تعالى انا مع عبدي ما
ذكرني وحيث ما طلبني وجدني وهذا معنى الصحبة لقوله عز من قائل ولا هم منا يصحبون فيفوتون
لتلك الاعمال الصالحة يستوجبون بها الحفظ والعافية فشان المؤمن كله عجب **فصل** قل انما انذركم
بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الوحي هو القران وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوحي المجمل فالوحي قد يكون الاشارة الى الشيء والاعلام وعلى قدر منزلة الموحى اليه ومنه
على قدر المشيئة الغالبة من الله جل ذكره في ذلك الموحى اليه مهيئا للقبول على النحو المراد به فينزل له
المعنى بذلك تاما كاملا ان شاء الله ثم يبلغه النبي الى من امر بتبليغه اليه على النحو الذي ارسل له
من النبيين او الارسال ثم يتلقاه المبلغ اليه على النحو الذي قسم له من الفهم عنه وعلى قدر طلبه
وبذل مجهوده واستفراغ وسعه وتقواه وصحة عقله وايمانه وعمله بطاعة ربه والوحي المبلغ الى
المبلغين على ضروب فمنه النص الجلي والخطاب الخفي المراد منه والظاهر والمجمل والمفصل والمتشابه
هذا فيما طريقه الامر والنهي على سبيل التكليف واما المعالم العلية فمنها المعلمة بالعلامات المنصوبة
عليها الدلالات ومنها ما يكون الاعلام بها ايماء واشارة ومنها ما يكون كهيئة المكنون ولا بد
ان يبقى على العبارة من معنى الايماء ما يحتاج معه الى لطيف التدبر وترداد التذكر والتفكر وما
يكون كهيئة المكنون فمدار التبليغ اليه على الالهام فما هو الا الله لا اله الا هو العليم الحكيم
ومدار الشان في ذلك كله الحال الى عالم الغيب والشهادة هذا على قدر وجود صفة الايمان والحرص
على القبول وسلوك سبيل الطلب من الله وحده بصحة الاستسلام مع القاء السمع حال
الشهادة ومن التوفيق يكون الفهم فاذا كان الامر هكذا فكيف بمن كفر وكذب فلم يحله
روح الايمان ولا شرح الله صدره بالاسلام والوحي عزيزا ولئك هم الصم البكم العمي
الذين لا يعقلون ولا عن ضلالتهم يرجعون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون
قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة نصب القسط على البدل من الموازين و
القسط هو الميزان الاعظم وهو ما تعطيه الموازين من العدل ولكل ميزان عدل ولكل
عمل ميزان وبذلك جمعها وقوله فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل
اتينا بها من وصف العدل والحكم واعطاء القسط **قوله** عز وجل ولقد اتينا موسى
وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين كل كتاب جاء من عند الله جل وعز فهو فرقان
من حيث فرق بين الحق والباطل وهو ضياء ونور وذكرى للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب
وهم من الساعة مشفقون وهؤلاء هم الذين ضمن الله جل وعز لهم فهم الكتاب وموافقته
بالقول والعمل وقرا ابن عباس ضياء وذكرا للمتقين باسقاط الواو وقال خذوا هذه
الواو واجعلوها في قوله جل قوله الذين يحملون العرش ومن حوله وفي اخرى عنه انزعوا هذه
واجعلوها في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فعلى قراءة ابن عباس يكون تقدير
الكلام ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان ضياء وذكرا للمتقين وهي قراءة عالية حسنة وعلى
قراءة الجماعة الواو عاطفة على محذوف تقديره ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان هدى وضياء
او ما يكون في معنى هذا **فصل** ولما تقدم ذكر ما انزل من الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم واعراض
الاكثر عنه واستماعهم له بقلوب لاهية واسماع منهم غير واعية وذكر مع ذلك انه من كان

قبلهم كانوا على ذلك في كل ذكر ياتيهم من الله جل ذكره ثم استمر على ذكر هذا الكتاب
ومخاطبة رسوله عليه السلام الى قوله بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر ذكر
الكتاب الذي انزل على موسى وهرون وسرد ذكر الانبياء وكرامتهم عنده على جميعهم السلام والمراد
بذلك ما صرح به في سورة الانعام بعد ذكر الانبياء وابنائهم واخوانهم وذرياتهم
ومن اجتباه وهداه منهم ثم قال جل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده اتبع ذلك
قوله تبارك وتعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين وقرا عيسى بن عمر رشده
بفتح الراء والشين الى قوله افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله الى قوله حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم هذه الاية دلالة ان الله جل ذكره ان الاشياء ليست لها استطاعة ولا عمل من عند انفسها
وانما فعلها المنسوب اليها هو فعل الله جل ذكره وحده لا شريك له وان كان قد اجرى سنته في النار
بالاحراق وفي السيف بالقطع فذلك كله باذن الله وبامره كما يحيي الموتى على يدي عيسى بن مريم صلى الله
عليهم وغير ذلك وهذا يجري في ثبوت الدلالة مجرى امساكه الله السموات والارض ان
تزولا وكل شيء وما عبر عنه بقوله الحق وهو الخلاق العليم اي هو الخلاق ابدا على الدوام
بخلق الخلقة الخلقة الاثر ان القادر ربنا الحي ذا الزعامة ليس له من الامر على تحقيق المعتقد شيء
بل هو على ما عبر عنه بقوله الحق وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والجماد والموات وما لا حيوة
به احرى ان لا يوصف بذلك **قوله** تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
نفشت رعت ليلا وحرث القوم زرعهم وقيل كانت كرما قال الله عز وجل ففهمناها سليمان
روي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قضى فيما افسدت المواشي بالليل الضمان وما افسدت بالنهار فعلى
اصحاب الحوائط وذكر ان سليمان قضى بذلك غير ان سليمان عليه السلام قضى بدفع الغنم الى رب
الكرم ينتفعون بغلتها الى ان يقوم اصحابها بصلاح الكرم وحتى يعود الى ما كان عليه يوم
افسد واهذا وان صح الحكم فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لسند يقطع العذر فهو الحجة وانما
الحديث المروي في ذلك عن النبي عليه السلام غير ثابت ولو كان ذلك كذلك فقد نسخه بقوله عليه السلام
من استهلك شيئا فعليه قيمته هذا هو حكم الحق وهو الذي صحبه العمل وهو الذي الهمه سليمان عليهما
السلام والله اعلم ولذلك مدحه عز وجل باصابة الصواب قال الله جل قوله وكلا اتيناه
حكما وعلما ومن الحكمة ان الله جل جلاله جعل الليل سكنا والنهار نشورا فحين نفشت المواشي
ليلا فقد خالف باعثها على ذلك سنن الحكمة ولما كان النهار ينتشر فيه ويضطلع اهل
الزرع بحراسة زرعهم جعل المصيبة فيما هنالك منهم وهذا وان كان قد امتزج بمعنى
من الحكمة فان عدوان المعتدي بتطرق معه وعدم البينات معهود حينئذ لسكون الناس
في ليلهم ولا تخلص مع هذا حرث ويكون انبساط هؤلاء وحماية هؤلاء سببا للفساد في الارض
وسفك الدماء وبسط الايدي وتوليد العداوة والبغضاء وفي ذلك الفتنة في الارض والفساد
الكبير وفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الفصل من استهلك شيئا فعليه قيمته وهو كان
قضى سليمان على جميعهم صلوات الله وسلامه والله اعلم ولمثل القضيتين من الحكمة والعدل
قال فكلا اتينا حكما وعدلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاخطا فله اجر

واذا اجتهد فاصاب فله اجران **قوله** تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين
الى قوله واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين ذكر ان ايوب عليه السلام
حال ما ابتلاه جل وعز فقد اهله فصبر واحتسب الى غير ذلك من انواع ما اصيب فقيل انهم ماتوا
وقيل انهم غيبوا عنه فلما كشف الله ضره اتاه اهله ومعهم كذلك نص الله علينا من نطقه
في كتابه الحكيم وان كانوا غيبوا عنه فاحضر واله فمعهود مثله على ما فيه من عجب وان كان قد
اماتهم فاحياهم الله وهو الاظهر فممكن وجوده في المفقود والغائب وكل على الله يسير وتلك
رحمة من الله للصابرين من عباده وذكرى للعابدين وذكرى لاولي الالباب وهم الذين
يبصرون ببصائر قلوبهم مرائي العواقب وغيابات الكائنات والعابدون في هذا الموضع
هم الغرباء الذين يكونون في اخر الزمان فكان فعله ذلك بايوب رحمة وذكرى للعابدين
ينتظرون بذلك الفرج مما هم فيه جزاء لصبرهم وكيف احياؤه اياهم باعجب من قوله اركض
برجلك ما انفجرت له عين وقيل عينان احدهما لاغتساله والاخرى لشربه فاذهب الله
عز وجل بذلك داءه ظاهرا وباطنا وهذا من جنس ما يفعله يوم القيمة باوليائه يدخلهم الجنة
فيغتسلون ويشربون فيذهب عنهم حلقتهم وحلوهم الدنياوية ويطهرهم بذلك تطهيرا
ظاهرا وباطنا وعرفان ذلك اليوم احيا في المولى وبعثهم قد احيى الله نبيا من الانبياء بعد
ما اماته مائة عام واحيى قتيل قوم موسى ببعض البقرة ضرب بها فاخبر من قتله وامسك فتية
الكهف ثلثمائة سنين وتسعا رقودا ثم بعثهم من نومهم الى غير ذلك من احياء عيسى عليه السلام
من شاء الله احياءه على يديه واحياء الله الرجل الصالح الذي يقتله الدجال العين وخفف على
المؤمنين وطاة بحجة الله على يديه فتنة لمن شاء الله به العصمة واحيى قوما من بني اسرائيل بعد موتهم
وكان قد اماتهم بالصاعقة واحيى اخرين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله
موتوا ثم احياهم والله ذو فضل على الناس لذلك وهو اعلم قال جل قوله وذكرى للعابدين
اي يتذكرون بذلك ما يكون من ذلك يوم النشور ويتذكرون من ذلك ما يكون من يحيى عيسى بن
مريم صلى الله عليه وسلم العابدين الذين عبدوا الله وحده وصبروا لمحنة الدجال وصبروا
على كل الاحوال **قوله** جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن
نقدر عليه يعني والله اعلم ان لن يضيق عليه وغير هذا من التاويل في حق يونس عليه السلام محال مكظوم
شديد الحزن حين سجنه في بطن الحوت الله الرحيم الحق ذو الالباب ان يرحم لحاله مع استغفاره
يتداركه على ذلك كما يرحم المحسن مع احسانه اذا التوبة من المذنب احسان وقال جل قوله ان
مع العسر يسرا وكان قد ذهب مغاضبا قومه ولا قول لما قال البعض انه كان مغاضبا ربه وانما
بتسميته ايانا ابقا فانه كان عند الله جل ذكره استعمله وكلفه التبليغ الى قومه ولما غلبته نفسه بالغضب
مر على وجهه وذهب الى الفلك المشحون فسمى ذلك ربه منه اباقا اذ تركهم وذهب عنه
قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى وما اول على
اكثر من تقدم في المعهود انه مقدر على خير منه الاكثر من اهل الايمان والعاملين له بطاعته انما
كان غضبه في ذات الله وربما كان ذلك على نفسه ومغاضبا قومه وعلى ظاهر سياق ما حكاه الله عنه
غير ما ذكروه بل انما كان ارساله الى القرية بعد محنته بالسجن في بطن الحوت قال الله عز وجل

فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
والظاهر لا نأخذ بالخطاء على شيئا في تقديم ما قدم وتاخير ما اخر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قول الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدأ بما بدأ الله به فبدأ
بالصفا ووافق ذلك اليوم خذوا عني مناسككم وربما اكد اتاه مما لام عليه نفسه بعض الكتاب مثلا
كذنب رسول الله صلى الله عليه وسلم نوح في شفاعته في ابنه وكذلك ذنوب امثاله كابراهيم وموسى
وغيرهم صلوات الله وسلامه وبركاته على جميعهم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال فيه انه كان يرتفع الى الله كل يوم من عمله مثل عمل اهل الارض وما يدريك لعل معنى
قوله عز وجل فيه وهو مليم اي اتى ما يلام عليه من حمله على نفسه لا للقائه نفسه على اصعب الامر واشده ومشقته
على من هو الذي يجعل في البحر ونحو هذا والله اعلم بخصوص عبده واراد قوله تعالى فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وهذا من المعدود والغائب كيف يكون منه النداء
المعهود وهو في بطن الحوت وغمرات المياه وهي ظلمات كثيرة وانما نبهنا على هذا لئلا يعتمد معتمد
في وجود الكلام والتسبيح والتحميد وغيره على الصوت الموجود عنه هو وخارج عن الكلام
على هذه الشروط احد انواع الكلام والنداء والاسماع والافهام فافهم قوله تعالى
فاستجبنا له ونجيناه من الغم والغم يكون متوقع منتظر والحزن على ما كان وفات
وعلى التحقيق فالغم ترادف الحزن وتراكم الوجد وسد المذاهب لا يجد لما اهمه مخرجا
والحزن سكون تلك الحال مع وجد موجود قوله تعالى وكذلك ننجي المؤمنين وعد من الله
صادق لمن تاب واناب الى ربه واعترف كما فعل هو عبر عن موجود حاله في قوله لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين مع انه قد قدم صالحا يذكر به فيما هنالك وشفع له قال
الله سبحانه وله الحمد فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وان كان المؤمن فيما
اعمه على حال هذا النبي صلوات الله وسلامه وبركاته عليه من التوحيد والتوبة والاقلاع والندم
المهم الذي يبلغ به حالة الغم وقد قدم صالح عمل او في نفسه انه يعمله نال موعد الله جل ذكره انه
لا يخلف الميعاد قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا
له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه جعلها الله جل ذكره ولودا بعد ان كانت عاقرا لقوله
سبحانه وله الحمد انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين
هذا اصل في تحقيق الاستجابة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يستجاب له في الشدة فليكثر
التضرع في الرخاء قوله تعالى والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا قد فسر هذا المعنى
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وجعلها وابنها اية على انه يخلق من غير هؤلاء
ذكر كذلك يخلق من ذلك هو الذي سن سنته واجرى العوائد على معهوداتها وهو خرق
العوائد ويجري ما شاء من احكامها على كلماته وهو على كل شيء قدير قال الله جل قوله هنا
فنفخنا فيها من روحنا وفي ادم عليه فنفخت فيه من روحي فتبين البون لمن لطف الخطاب **فصل**
نصب اسماء الانبياء على جميعهم السلام في قوله جل قوله ولوطا اتيناه حكما وعلما ونوحا
اذ نادى من قبل وداود وسليمان وايوب وذا النون عطفا على ما تقدم من قوله ولقد اتينا
موسى وهرون الفرقان ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل واستاق ذكرهم باسمائهم وقصصهم

اثباتا

اثباتا للخصوصية واعلاما بالمن القديم الذي من به على من شاء من عباده وذكرهم
وتذكيرا لما بهم واحيا لشرفهم ليكون ذلك ذكرا للعباد المؤمنين وموسما يبعثون الارواح
عنده ويسمرون اليه بحبهم والتصديق لهم والايمان بهم والتعزية لرسوله بما كان يصيبهم في ذات الله
فيصبرون له حتى ياتيهم الفرج من عنده واظهارا لصدقه ووعده رسله وان ابطأ ذلك عليهم
فليكمل اعمالهم ويتوفر ذنوب المجرمين وليبلوا انفسهم من الكتاب بقول الله جل وعز وكلا نقص
عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اعلم جل جلاله عباده بعض المراد بما
ذكرهم فقال ان هذه امتكم امة واحدة اي انكم امة واحدة اي كامام واحد يدعون الى دين واحد
هو دين الاسلام لله والايمان به والعمل بطاعته وانا ربكم فاعبدون على ذلك يقال للامام امة
فهو امة وامام ثم قال عز من قائل وتقطعوا امرهم بينهم فمنهم من فرق التوحيد ومنهم من فرق
بين النبيين فكذب بعضا وصدق بعضا ففارقوا بذلك دينهم الحق ثم قال جل قوله كل الينا راجعون
وعيد منه شديد ثم اعلم بما يكون في المرجع اليه بقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه
لا يضره ضلال الضالين ولا تكذيب المكذبين وانا له كاتبون اعلام منه بان اعمالهم لا يخافون
فيها ظلما ولا هضما نقصا احصى كل شيء كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا مع ما عنده لعباده المؤمنين من الوعد بالمغفرة والتجاوز
عن سيئات وتكفيرها بصالح الاعمال وحسن الحسنات والزيادة التي وعدها وهو يعلمها لا يعلم كنهها
سواه ونصب امة على القطع ومن قال انه نصبها على المدح فهو مصيب وقرأ الحسن وابن ابي
اسحق ان هذه امتكم بنصب التاء امة واحدة بنصب الهاء قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون المعنى والله اعلم بما ينزل انه حرام على قرية سبق لها منه القول باهلاكها ان يرجع عما هي عليه
من كفرها نهم حرام عليها اذا رات العذاب ان لا يرجع فلا ينفعها حينئذ ايمانها نهانا سنة الله التي
قد خلت من قبل وقرئت وحرم على قرية اهلكناها بكسر الحاء وجزم الراء والمعنى سواء وقرأ ابن عباس
وابن جبير رضي الله عنهما وحرم بفتح الحاء وكسر الراء وفتح الميم قال انه بمعنى وجب وجب ذلك عليها
بامر الكون فوجب عليها الا يرجع حين دعا بها بالسوء رسل ووجب عليها ان يرجع حينئذ وقت
الهلاك قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون يريد وهو اعلم موتهم
كموت نفس واحدة وهو الفتح على الحقيقة ولذلك قال ابو العالية حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج
اي فتحها انا يقول عز وجل على هذه القراءة اخوج بعمرنا كذلك قراه رؤبة بن العجاج
ثم وصف كثرتهم بقوله وهم من كل حدب ينسلون الحدب النشز والمرتفع من الارض ينسلون من
من كل شيء هو دون الجري وفوق المعهود وصفته ان ترفع رجله ثم يضعها فلا تحرها على الارض وترفع
القدم الاخرى ثم يضعها وضعا كذلك وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
شكا اليه ناس من اصحابه الحفا فامرهم ان ينسلوا فهو اقرب الى السلامة من الحفا ومن قرأ فتحت فهو عبارة
عن هدم السد الذي بنى عليه ذو القرنين عليه السلام لما فرغ منه قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله
دكا وكان وعد ربي حقا ثم قال وقوله الحق واقترب الوعد الحق عطف بالواو ولما نجا وزكريا عيسى بن مريم
عليه السلام فعطف على المحذوف من قوله كقوله جل قوله في اهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها

اي ظهروا وهدبوا ثم عطف بالواو وعلى هذا الكلام المحذوف كذلك ايضا عطف بالواو في قوله
وهم من كل حدب ينسلون تقدير الكلام حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وصف كيف فتح فيهم اصبحوا موجا
كموج نفس واحدة وهم من كل حدب ينسلون اي وهم على هذا من الكثرة ماتوا كموت نفس واحدة ثم نظم به قوله
واقترب الوعد الحق وقد يمكن ان يكون المعنى بالوعد الحق هنا نزول عيسى بن مريم عليه السلام وما
يفتح الله به على يديه ويؤتيه من النصر ويخرج له من بركات الارض والسماء فانه حتى يخبر لم يكن
لا ولاية الله ويمكن ان يكون الوعد الحق هو قيام الساعة ويدل على هذا التوجيه اقترب الوعد الحق
وانما يكون قبل الله جل ذكره ياجوج وماجوج في ايام عيسى عليه السلام وهو والمسلمون محصورون في جبال
الطور وعلى الحقيقة فيومئذ تشخص الابصار ويحضر الانذار وان لم ينفع وحذف يقولون
ثم قال حكاية عنهم يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين **قوله** تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ادرج الكلام الى المرء في كفار الامم
وقرأ علي وعايشة وابن الزبير وابي حطب جهنم يعني الكفار وهو اعلم ثم قال وقوله الحق
مبينا للمراد ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون **فصل** يمكن ان يكون المراد
بقوله جل قوله هنا انتم لها واردون الكفار حسب ويمكن ان يكون المراد جميع الخلق من بر وفاجر
وقد حقق ذلك الاكثر من السلف وخرج ذلك على معنى قوله وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا والورود يكون الوصول الى الماء ولكن يشاهده ولما ورد ماء مدين وصل اليه
ويكون الدخول شاهده يتقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار روي عن جابر بن عبد الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فيكون على المؤمنين بردا
وسلاما كما كانت على ابراهيم ثم ينجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا روي نحو ذلك عن
ابن عباس وروي عن ابن مسعود قال وان منكم الا واردها يعني الصراط وروي انهم يردونها
ويصدرون عنها باعمالهم وقال قتادة ورودها المرء عليها اما ما روي عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم فانه لو ثبت لكان الحجة البالغة وطريق هذا العلم ولا يصح كعلم ولا يتحصل بطريق الاحاد
كيف وقد ضعف نقلة هذا الحديث فانهم مجهولون وللقائلين بمقتضى هذا الحديث ظاهر الحجة
قوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم
وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين ونظيرتها في سورة الم السجدة قوله جل
قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الى قوله جل قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم بذكر الجنة والناس واما القائلون بان الورود
ههنا هو بمعنى المرور والجواز فلهم حجة التخصيص قال الله عز وجل لابليس لعنه الله لما قال فبعزتك
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين فهذا نص على ابليس ومن تبعه من ذريته ومن الناس وقال في موضع اذهب فمن
تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين هذا الى ان ضمير العموم راجع الى القسم المغضوب عليهم قوله
ولا يزالون مختلفين اي في التوحيد والنبوة فمنهم من كذب بها ومنهم من صدق بعضا وكذب بعضا
الا من رحم ربك لذلك خلقهم اي للرحمة والتوحيد والتصديق ثم اخذ في الاخبار عن المختلفين
بقوله وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يريد وهو اعلم جل ذكره كلمته

لابليس

لابليس اذهب فمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين اخرج منها مذموما مدحورا لمن
تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين هذا نص على ملئها منهم نعوذ بالله العظيم من سوء ما سبقت
له المقادير هذا الى قوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا انما جاء بعد قوله جل قوله
فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة ايهم
اشد على الرحمن عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا ثم قال وان منكم الا واردها
كان على ربك حتما مقضيا فكان هذا الكلام راجعا على الذين هم اولى بها صليا وقد خلقهم
الله جل جلاله لملئها تحاجت الجنة والنار الى ربهما فقالت النار اوثرت بالمتكبرين وقالت الجنة
ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله جل قوله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء
وقال للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فهذا حديث صحيح بما نصه من الحقيقة
واغنى تبيانا عن الاكثار في قول الله جل قوله الشفاء الكافي حيث يقول عز من قائل ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ويجوز القول انهم داخلوها ويقول انهم لا يسمعون حسيسها
ويتردد في مقتضى قوله يقول الله جل قوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون
بشرهم ويذكرهم يقولون عليهم السلام لا يخافون ولا يحزنون وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
السلم المرادون بما ترون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ونحو هذا صلوات الله
وسلامه على جميعهم وقول الله جل ثناؤه وهو الحق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النار
اشتكت الى ربها قالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لي ان اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء
ونفس في الصيف فاشد ما يجدون من البرد من الزمهرير واشد ما يجدون من الحر من جهنم
فاخبر الله جل ذكره عن هذا الحق الكائن والموجود المصاب يقول وان منكم الا واردها الان
فلم تكفرون او كيف تكفرون او كيف تكذبون بها وانتم تردون زمهريرها وحرها كل يوم وحين
والوقوف على معرفة فيح جهنم وفيح رحمة الله من الجنة تبلغ الى اليقين بالدار الاخرة واما
قوله ثم ننجي الذين اتقوا اي يوم القيمة ونذر الظالمين فيها جثيا فاخبار عما يكون من حكمه في الاخرة
او تقدم قدم الخبر عن حكمه في دار الدنيا ولهذا البيان اتبع قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
ولا ابين من سبيس صبر ودبردها وسموم حرها قال الذين كفروا اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا اخبر عن موتهم وغفلتهم لا يسمعون الوحي ولا يعقلون الخطاب **قوله** عز وجل
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون يمكن ان يكون المعنى بالزبور
الكتب كلها ويمكن ان يكون المنزل على داود صلوات الله وسلامه عليه فهو الاظهر من بعد الذكر الكتاب
الاول يرثها عبادي الصالحون يمكن ان يكون المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الارض هنا
ارض بيت المقدس وقيل هي ارض الجنة فالوارثون لها هم الصالحون لكن والله اعلم بما يتنزل الست
ارض الجنة الغرض هذا الخطاب اذ المعهود المعلوم ان الجنة لا يدخلها الا الصالحون وليست معدة
لسواهم والاوجه من هذه الوجوه انها على هذه الارض وقد جاء من حديث صحيح انه جل ذكره
يجعل هذه الارض يوم القيمة خبزة كالتي يتكفؤها الجبار كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا
لاهل الجنة وقد جاء ان المؤمن في ارض المحشر يشرب من الحوض ويأكل من بين رجليه وعلى هذا ابناء
الوجود الا ترى ان الله جل ذكره يخلق منها الخبز وما هو غذاء الاجسام والارواح لكن باجلال

مؤجلة الى اماد منتظرة وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شئ قدير اتبع ذلك
ما هو في معناه قوله عز وجل ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اى ان في اشارات الوجود الى ما هنالك
ايات عليه وفي انباء هذا القران الحكيم لبلاغا لقوم عابدين فليصبروا قليلا فان العاقبة لهم
ووجبا خرابه لما ذكر يأجوج ومأجوج والوعد بالفتح فيهم اتبع ذلك قوله ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهو عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وانصاره ومن تبعه
من المسلمين ومن يحيى معاه ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين لله في ايام الدجال لعنه الله ووجبا خرابه
لما تقدم ان يكون الارض المخبر عنها هي الارض المقدسة وهي مسكان ملك داود وسليمان عليهما السلام
وموضع انزل فيه الزبور فكتب في الذكر الاول ثم بعد في الزبور ان ارض بيت المقدس يرثها
عبده الصالحون والكتب الاول بشارة بكونها لبني اسرائيل اذا قتدوا واختلفوا فادال
الله فيها من شاء ثم الكتب في الزبور بشارة بوراثة هذه الامة اياها ومفهوم الوراثة بعطي
انهم اعني الصالحين يرثونها من غير الصالحين فورثها صدر هذه الامة وهم الصحابة رضي الله عنهم
والتابعون ومن بعدهم من المسلمين عن الروم ثم غير ها اعني المسلمين بذلك خلف عن سلف الى ان
افسدت الاعاجم منهم وظهرت فيهم البدع وحبت القلوب فجعلهم فيها الروم من لدن عام تسع وثمانين واربع
مائة الى اهلهم جرائم اذا صلح اخرهذه ان شاء الله فتحها الله عليهم واورثهم اياها ثم كذلك فاصلحوا
وفات عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى من تبعه باحسان وبوفاته تكون وفاة المؤمنين
معه ثم يخلف فيها المؤمنين فيها وفي غيرها غيرهم الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
ففي هذا التعقيب في تحقيق هذه الوراثة للصالحين واستخلاف الغير منهم بلاغ لقوم عابدين واعلام
لهم بامر ربهم عندهم ومكانتهم لديه واعلام منه لعباده ان القران انزله بعلمه الغيب لا اله الا هو **قوله**
عز وجل فان تولوا فقل اذنتكم اى اعلمتكم واسمعتكم على سواء اى اسماعا عاما كما قال الله والله
يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وانتظم هذا الخطاب باول السورة قوله اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون المعنى الى اخره
وهذا المعنى الذي هو الذكر مستصحب الى اخر السورة اتبع ذلك ما هو منتظم به وموصل اليه قوله وان
ادري لعله فتنة لكم ومن كان له فتنة فهو كفور قوله ومتاع الى حين اشتراك فيه المخلصون والمتمسكون
الغافلون هؤلاء يتمتعون به عبرة ولذاذة وعبرة من الله جل ذكره وهؤلاء يتمتعون به رزقا
وعيشا الى حين مجئ الموت لكل نفس والى حين حياة عيسى بن مريم عليه السلام لجملة الامة بعده بشرى
على القران لنبلا نعوذ بالله العظيم من دولة الشقاء وسوء البلاء قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ولا يزيد الظالمين الا خسارا هؤلاء هو لهم فتنة والمتاع يتقلمها الى ما تقدم
ذكره نسئل الله العفو والعافية **قوله** جل ذكره قل رب احكم بالحق يمكن انه امره في هذا الخطاب ان
يدعو في الروح والامر الذي يكون بالنصر والفتح لقوله فاصبر واحتسب حتى يأتي الله بامره والله لا يحكم الا
بالحق لكن يتوجه هذا الى انه امره ان يجعل حكمه بينهم بالكلية وهو الحق لا المعهود كما قال فان يشأ الله يختم
على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته والحق هو الكائن الواجب الوجود اما بالمشاهدة كونا
واما بالوعد الصادق وكان قد وعده بالنصر وامره بالصبر الى انقضاء المدة فامره هنا ان يسأله انجاز وعده

ما وعده به من ذلك ثم هذا مستمر ساير متى دارت دوائر الفترات وعند استيلاء عمه الغفلة وبراكم الظلم
والضلالات فالواجب على من بقي من المنكرين لذلك وهو يغلوبهم ان يسألوا الله جل ذكره الصبر وتعجيل النصر
والحكم بالحق وان يدحض كيد الظالمين ويوهن ابا اطيل الكافرين وانه يجري الى ذلك باعمالهم وانفسهم والله سميع قريب

سورة الحج مدنية وسفرية وحضرية وليلية ونهارية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم هذا
منتظم بالتذكير باول سورة الانبياء عليهم السلام قوله اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
الى سائر الذكر **قوله** تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم اى في قدرته ومشيئته وعلمه وصدق
قوله ولان هذا الجادل بغير علم كذب باحياء الله الموتى والاعادة بعد البداية وبيان الساعة والبعث
والنشور والدار الاخرة وكذب عا بالله من صفاته العلى واسمائه الحسنى وهذا سنن الشيطان لعنه الله وطريقه
الذي تضمنه من الضلال والاغواء قوله ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم المعنى الى اخره حيث وقع
كقوله الله جل ذكره انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يقول الله جل ذكره
كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير **قوله** عز وجل لمن تبعك منهم لاملان
جهنم منكم اجمعين قوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله وان الله يبعث
من في القبور يقول الله عز وجل ان كنتم في شك من البعث فانظروا الى ما يحضركم وما انتم منه مخلوقون
انا خلقناكم من تراب يعني ادم عليه السلام هو المخلوق من التراب وخلق ذريته من نطف بعضهم
عن بعض وتلك النطف مخلوقة عن الاغذية والاغذية من التراب فتساوينا جميعا في انا مخلوقون
من التراب واذا اراد التمييز بحكم الخصوص كقوله جل قوله بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين يقول عز من قائل ثم من نطفة ثم من علقة اى من دم ثم من مضغة المضغة اللحم مخلقة
وغير مخلقة المخلق منها هو المصور فمن النطف من يصور في راس الاربعين ليلة وهو الذكر واما
الانثى فان خلقها يصور عند انقضاء اجل المضغة لنبين لكم اى الذكر من الانثى في الخلقة وقد يمكن
ان يكون معنى ذلك هذا لنبين لكم القدرة على الخلقة ونقلها في درجاتها وعلمنا بها وقدرتنا
عليها وتدبيرنا اياها كيف نشاء في مضيق مسكنها وغيابات مستقرها وهي ظلمات ثلث حيث ليس
الموجد منا بتدبيرها في درجاتها وتنقيلها الى محالها منها وبجميع مواد الخلقة بعضها الى بعض
وسوق الرزق اليها بحيث لا يبلغ صنع الابوين ولا حقائق الاولياء ثم قال جل قوله ونقر
في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى اى منا وان نفخ الروح في ذلك المخلوق الى وضعه ثم نخرجكم طفلا
لتمام الاجال وانقراض امادها ثم قال ثم لتبلغوا اشدكم فيستوي الخلقة وبجمع القوى
والصفات الظاهرة والباطنة ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر هذا تنبيه على
ارجاع اخر الامر على اوله وفيه تنبيه على معرفة المرء نفسه ومن لا يعرف نفسه لا يعرف ربه وهذا فيض
معرفة النفس ثم قال وقوله الحق وترى الارض هامدة ارانا جل ذكره دلالة اخرى وطريقا
ثانيا من النظر على ما اراد بيانه كما قال وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون
يقول عز من قائل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ربت بالماء تو جل لها الكون
وداخلها روح الخلقة فربت له وخامرها امر الله فسمعت فيها المراد منها وبها ثم ظهر
عنها نباتها فهبت عليها الرياح فاهتزت فاضاف ذلك الفعل الى الارض لانها عنها كان

جهة من جهاتها لان الحركة والفعل دليل على الحيوة يقول الله جل من قائل وانبتت من كل
زوج بهيج اى مبهج فعيل بمعنى مفعل ثم اخذ جل جلاله يعلم بمواضع الدليل من المدلول فقال
ذلك اى هذا الوجود يوجب الايمان بان الله هو الحق اى ان وجود هذا يدل على وجوده تعالى على
وجوده كما يدل وجود الفعل على فاعله وهذا فعل ففاعله اذا حق وجوده لا محالة وانه
يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير اى انه كما اقتدر على انزال الماء من السماء واخراج كل الثمرات
بواسطة ما سخر من الارض والسماء والشمس والقمر والنجوم والرياح وما يكون مع ذلك من
فتح وفتح وهذه هى الدنيا فهو على ايجاد الاخرة وعلى كل شئ علوا وسفلا قدير واحيا
الموتى حال موتهم كما اقتدر على احياء الارض فى حال موتها واحياء النبات حال الموت منه و
اماتة الاحياء حال حيوتهم وانه يبعث من فى القبور كما اقتدر على اخراج النبات بعد
ان لم يكن شئ نبات وقد كان هشيما وحطاما وآل بعضه الى برد يابس لا حركة ترابية
ولا فعل بعضا فانيه وقوله وانه يحيى الموتى فى حال موتهم كما تقدم كما يحيى الجنين فى بطن
امه وينشئه فى الرحم خلقا اخر غير تلك من درجات الاولى كذلك يحيى الموتى فى دار البرزخ
التى تستقبلها بعد حيوتهم هذه وقبل حيوة المستقبلة وقد تقدم من هذا ما يغنى القول عن الاعادة
ثم قال جل قوله وانه على كل شئ قدير نعم الوصف باحاطة القدرة كل مقدور سلف العلم اولا
العلم كما قال ويخلق ما لا تعلمون ثم قال وان الساعة اتية لا ريب فيها كما سعاد الامداد
فيما تقدم ذكره من سعل الخليقة سواها كذلك سلوع اهل الدنيا وتمام امدها تجئ الساعة وكل
وقت الانقراض لا ريب فى ذلك اذا تم امد النهار حل كذلك النهار تجى لتمام الليل كذلك الاجال كلها
وان الله يبعث من فى القبور وقد مضى الكلام قبل هذا **قوله** عز وجل ومن الناس من يجادل
فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين اشتملت هذه الاية على ذكر الجدال والمجادلين فى ايات الله لكن
الاولى فى الجدال المسيح للضالين والمضلين من كل شيطان مريد من الجن والانس وهذه فى الجدال
فى ايات الله الذى لا يعتد لضال الضل وكل من كان كذا فهو دجال الا هداية معه من الله ولا نور
كتاب ثم قال ثانى عطفه كما يقال ناى بجانبه ولوى واعرض وذكر العطف منا اشارة
الى الكبر والتعاظم ثم اتبع ذكر هذين الصنفين ذكر صنف ثالث وهو الضعيف الايمان
المرتاب **قوله** تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف حرف كل شئ احد جانبيه وكان احدهم يدخل
فى الاسلام فان ولدت امرأته غلاما ونتجت فرسه واصاب ماشيته قال هذا دين صالح وان اصابه
ضد ذلك قال هذا دين سوء وتطير وراجع كفره غير ذلك منه قوله جل قوله انقلب على
وجهه خسر الدنيا والاخرة اى انه لم يصف دنياه خيرا ولذلك انتقل عن عبادة ربه ولم يرجع
الى ضلالة لم تنفع خير الاخرة ذلك المشار اليه وهو خسر الدنيا والاخرة فخسرانه كذلك هو
الخسران المبين اى بين عن نفسه وجاهر وهو انه لو هو هو كثر سعة على الكافر استدراجا له
بالعيش ومتاع الدنيا يقول الله عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل
ويقودهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل ونحو هذا وهو كثير فكيف يتصور الكفر بانه خسر
الدنيا وان كان قد خسر الاخرة اعلم ارشدنا الله رشدنا ان الله جل ذكره وضع الدنيا ناقصة
وانما حصل تمامها فى الاخرة فاذا تاك فى الدنيا نعمة ههناه فلم يشكر نعمة الله بل كفرها

واصابة

واصابته مصيبة فلم يصبر لله جل ذكره بل سخط وضجر وفزع الى سواه منها فاذا صار اليه
انقطع عنه واخذه بنعمه وقلة صبره وضاعف له العذاب مع البقاء فى ذلك وطول الامد **فصل**
اختلف السلف هل لله جل ذكره على الكافر نعمة دنيا وية ام لا بعد اتفاقهم على ان لله نعم
على العبدان خلقه سالم الحواس والجوارح محسنا بالعقوى وما جعله به مستويا وبعد اتفاقهم
ايضا ان افضل نعمة على العبدان هداه الى الايمان وبره للاسلام فقال فريق ليست لله
جل ذكره على الكافر نعمة وقد فاته نعمة الايمان وانما كل ما هو معطاه من اهل ومال وولد
وسلامة وعافية وتوسعة فى ذلك فتنة له واستدراج الى منال اشد العذاب واوجع الالام
وابعد البعد من رحمة الله وقال فريق بل نعم الله نعما شايعة على الكافر فى الدنيا الا ما شاء من
وله على المؤمن من نعم الدنيا والاخرة ولو شاء ان يضرب الكافر بضروب البلايا وانواع العذاب فى
الدنيا من الجذام والبرص وتقطيع الاعضاء الى غير ذلك من اصناف الغير ثم اصاره بعد الموت
الى جهنم وبئس المصير لكان له ذلك فاذ قد اتاه فى الدنيا السلامة ومتعه بسعة العيش وسعة الحال
وكثرة الاهل والولد فهى نعم من الله عليه فاجاب على ذلك الفريق الاول بان قالوا ليس ما
ذكرتموه على الكافر بنعم عليه اذا العلم قد استقر ان جميع ما يرزقه ويحبوه مما يظن بها قبله
نعم يعذب عليها فى الاخرة عذابا فوق العذاب بكفره لا فيها وصدره وتضييع شكره
قالوا فهو كمن اعطاه لو دسمه مسمومة كان فيها هلاكه فعادت نعم الله على عبده الكافر
نقمة على التحقيق فهو قول الله جل قوله خسر الدنيا والاخرة لم يشكر نعم دنياه ولا صبر على
بلاها بل كفر وفجر فكان كما قال جل ذكره زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وفى
كتاب الله من هذا المذهب قوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله
شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الاخرة وقوله ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا
لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وقوله ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وانما هو الله سبحانه وله الحمد سبق
الى عباده انعمه كما سبق اليهم هداية الفطرة فمن امن واصلح كانت عليه نعما ومن كفر عادت عليه نقما
قال الله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم يريد من نعما قبله حتى يغيروا ما بانفسهم من هدايتهم
واذا اراد الله بقوم سوءا اى من اهل الضلال فلا مرد لهم وما لهم من اذا ضلوا عن هدايتهم من وال
رجع الكلام الى اوله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد كل من عبد
من دون الله لا يملك على التحقيق ضرا ولا نفعا وخاصة الاوثان والاصنام ثم قال وقوله
الحق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه كان الدعاء فى القسم الاول من العابد المعبود من حيث تابع
كما وصفه الله ويتبع كل شيطان مريد والدعاء فى الاية الثانية الى المعبود والعابد من حيث هو له
نفى لكبره وعظم نفسه عنده يقول الله جل ذكره يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اذ كان هذا الداعى
الى نفسه مسند بالسعة والغاشية فحمله اوزار من تبعه واضله او زاده ما قرب من ذلك النفع واشد
باسا ثم قال وقوله الحق لبئس المولى مولاه يعنى الصنم واكون هو المعبود ما كان ولبئس العشير هؤلاء
الاتباع والغاشية بئس ما عاشروا داعيهم اصاروه حاملا لاثقالهم واثقالا مع اثقالهم **قوله**
تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصلحت جنات تجرى من تحتها الانهار هذا قول لمن دعوة

الحق ان الله يفعل ما يريد هو يملك النفع والضر ويرزق من في السموات والارض لا اله الا هو العلي
الكبير لما ذكر المجادل في الله الداعي الى نفسه والتابعين لهم وانهم لا يغنا لهم ولا نفع ولا دفع
وذكر نفسه العلي الاعلى الكبير بما هو عليه من دفع ونفع وعظيم عنا وانه يعمل ما لمن امن به وعمل
الصالحات خير ما اتبع ذلك ما هو في معناه **فصل** الحق من كان يظن ان لن ينصره الله في
الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ هذا منتظم
بما تقدم من معنى غير من له دعوة الحق وحلوا ما يدعون من دونه ذكر بعض العلماء ان هذه الهاء
في ينصره عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم وان نصره اياه اتمام امره واعلاؤه على اعدائه وهذا
وان كان نحو ان الله ناصره ومتمم كلمته فيه وبه فلم يجر للرسول عليه السلام قبل هذا ذكر وان كان
هو المخاطب بالكلام من اجل ذلك ايضا كان يجري الكلام اليه بالمواجهة هذا الى ان ذكر نصره
اياه واتمام امره ليس متصل المعنى بما بعده من قوله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر
هل يذهبن كيده ما يغيظ والذي اراه والله اعلم انه لما ذكر قدرته على احياء الموتى وبعثه
اهل القبور وتخليق النطف في الارحام ونقلها في درجات التكوين ثم انشاءه اياها خلقا اخر
في طبقات الى اخر العمر ونحو ذلك وجعل ذلك كله دليلا ومدلولا عليه ووصف نفسه بانه على كل
شيء قدير وبان له الوجود الحق العلي وذكر المجادلين فيه بغير علم من داع ومدعو ضرب مثلا
فقال الجاهل لمن كان يظن ان لن ينصره الله من كان في شك في نصر الله وحفظه اياه حفظ
الحلقة وغير ذلك كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وارتاب في احاطة قدرته
وشمول حفظه في ايجاد الموجودات ظاهرا او باطنا فليمدد بسبب الى السماء جبلا وغيره الى السماء ثابتة
او الى ما علاه فليتمسك به صعدا فوق الارض فوق الهواء ثم ليقطع فلينظر هل يثبت مكانه
على حاله او يقع بالارض فيصيبه ما يغيظ من كسر او رض او هلاك كذلك المخلوقات كلها
اليها الفناء والعدم ويسبق اليها كاستباق الثقيل الى الهوي لولا ان يسر ايجاد الله وابقائه
وحفظه لها لطوع من ذلك ما شاء الله ابقاءها والله غالب على امره فيمسك وجود الموجودات
على ما هي عليه امساكا وحفظا وكلاءة ودفاعا على المقدور الذي شاءه فيها من الوجود حتى لو توهم
متوهم زوال امساكه هذا لتهدم العالم وتدكدك هذا في امساك الخلقة ولما في امساك الدين
والهداية والتوحيد للمؤمنين وهو سبب الموصل لهم الى الله جل فكم لو توهم متوهم ايضا زوال
التوحيد عن الموحد لعارضه ايضا وجود ضد التوحيد وهو الشرك ولو كان ذلك لتهدم امره
وتدكدك دينه وخر عرشه والى هذا هو كرض بقوله الحق ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه
الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق سماؤه وهو توحيده في التاويل وتخطف الطير له تضليل
الشياطين له واستهواؤهم اياه وتاويل الريح التي تهوي به الامر المبعد له عن ربه عز جلاله والمكان
السحيق هو جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها يقول الله جل قوله يموت فيصير الى جهنم في سحق
البعد ولا ابعد ممن هو في النار والمعنى في هذه الدلالة وظهور بيانها قال وهو علم وكذلك انزلناه
كنت ان هذا انزلناه ايات بينات ثم فتح ان تقدير الكلام فيما انزلناه ايات بينات وفيه ان الله
يهدي من يريد لا يهتدي احد من ذات نفسه كما انه لا احد يحفظ نفسه الا كسبا للحفظ الله يحفظه
ويحفظ حفظه والله خلقكم وما تعملون **قوله** عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا

والنصارى

والنصارى والصابئين والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة هذا الكلام
راجع الى نظم ومن الناس من يجادل ومن الناس من يعبد الله على حرف ثم عم قوله عز وجل الم تر
ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الى قوله وكثير من الناس انتظم هذا المعنى بمعنى ما تقدم
ذكره من ذكر امساكه وحفظه وبعثه جميع المخلوقات بسريان الايجاد والاعدام على نحو ما تقدم
ذكره في اثناء الكتاب بجري الماء الى صب فيما هي قائمة لاقامة العالم ومنافع العباد هي مسخرة
لمن سخرت له هي قائمة عابدة لمسخرها وكما هي قائمة بين الايجاد والاعدام والحفظ والترك
لكن الايجاد والحفظ ظاهران وضدهما باطنان هي مسبحة وحامدة حامدة لموضع الايجاد
والامساك مسبحة عن معنى الاعدام والافتقار ثم قال وكثير من الناس اي ساجد عابد
قانت ظاهر ذلك فيه كونا وشرعا اما ظهور ذلك فيها كونا فلاجل السر الذي سرت لم
واوحيت اليه واما ظهور ذلك فيها شرعا فيما سخرت له من اقامة الامر ومنافع العباد وكثير حق
عليه العذاب لترك العبادة الشرعية وتاركه التسخير فاسق واعلم ان للموجودات تسبيحا وعبادة
بينها وبين باريها يصعدان الى التسبيح امر الشرع وعبادة وقد يطلع على ذلك من شاء
من عباده من اراده بذلك كداود وسليمان والانبياء ومن شاء من الاولياء والله على كل
شيء قدير ذو فضل عظيم يؤتيه من يشاء **قوله** تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم الخصمان
هم اهل الضلالة والهداية لما ذكر المجادلين في الله ذكر فريق الهدى والضلال وما يؤول اليه
هذا وهذا من ثواب جزيل وعقاب اليم هذا على القول بالعموم وظاهر سورة القران وهو الذي
جرى ذكره من اول السورة الى هذا الموضع وذكر عن علي رضي الله عنه انه قال انا اول من يجثو
بين يدي الرحمن للخصومة وذلك انه لما كان يوم بدر قال المشركون من قريش وقد برز اليهم قوم
من الانصار اكفاء كرام لكن اخرجوا الينا بني انباء فبرز اليهم من المسلمين الاربعة من اكفاء
قريش علي بن ابي طالب رضي الله عنه وحمزة وعبيدة الى الوليد بن عتبة وعتبة وشيبة ابناء ربيعة
فقتل حمزة وعلي الوليد وشيبة وعتبة واما عبيدة رحمه الله فرجع عليه ذباب سيفه
فمات منه وانما قال ذلك رحمة الله عليه لما ثبت ان هذه الامة محاسبة قبل الامم وان اول ما يكون
الحساب في الدماء وهذا اول دم اريق في الاسلام في سبيل الله وقال هذان خصمان على التثنية ذكر
لانهم فريقان ثم قال اختصموا في ربهم على ضمير الجمع لانهم كذلك **قوله** تعالى يصب من
فوق رؤوسهم الحميم يقطرون من فوق رؤوسهم حميما وفيما هنالك يكاد الحميم قيل الحميم هو الحار
المذاب هنا والماء الذي تناهى حره بتسعة وتسعين جزءا والصهر الحرق يصهر به ما في بطونهم
والجلود يحرق ذلك منهم وقيل هو كشي او شوى امعاءهم نعوذ بالله من جميع عذابه ما قل
منه وما كثر قال الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والصهر ايضا اذابة الشحم
وهو قريب بعضه من بعض ثم اتبع ذلك من ذكر حالهم وهدوا الى الطيب من القول وهدوا في
الدنيا الى قول لا اله الا الله والى ذكر الله وفي الاخرة يلهمهم التسبيح كما يلهمهم النفس واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وهدوا فيما ههنا الى صراط الحميد صراط الاسلام صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض **قوله** عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
الذي جعلناه للناس المعنى الى اخر المعنى هذا هو قريش وذكره للبيت انه حرام تعظيم لقدره واعلام

بانه لم يحرمه الناس وانما حرمه الله جل جلاله فهو حرام يحرمه الله الى يوم القيمة ليس فيه
مفاضلة بين العاكف فيه والبادي يريد المتغرب اليه ومن اراد غير ذلك الحادا منه عن هذا
الحق الى الباطل بعون الله جل قوله نذقه من عذاب اليم **قوله** تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان
البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذا الحديث فقال فيه جاء ابراهيم الى اسمعيل وهو يومئذ بمكة فوجده يعزل
له قال وكان صاحب قنص فقال له ان الله امرني ان ابني له بيتا في هذه الرابية قال اسمعيل صلوات
الله وسلامه عليهما امض لما امرك به ربك فاخذ في بنيانه ينقلان الحجارة ويقولان ربنا تقبل
منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك المعنى الى
اخره فبشر الله جل ذكره ابراهيم بهذه الامة ووصفهم قبل ان يوجدهم بانهم الطائفون
ببيته الحرام العاكفون الركع السجود ثم قال جل قوله واذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يريد الابل قد نهكها طول السير من كل
طريق بعيد الفجاج الطرق وقد يجوز معنى ذلك من كل قطر بعيد ليشهدوا منافع
لهم في دينهم اقامة مناسكهم وفي امر دنيا التجارة دون ان يبلغهم ذلك عن ذكر وعن الصلوة
اباح الله جل ذكره التجارة فيها لان ذلك من الطلب لها الذي ابتغي عليه معنى قوله وارزقهم
من الثمرات لعلهم يشكرون وقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ثم قال جل قوله
ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام حين اهدائها والتعلق بها لذلك قال
عز من قائل فكلوا منها واطعموا البائس الفقير **قوله** تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا
نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق من قرأ بكسر اللام من قوله ليقضوا فهو عطف على قوله ليشهدوا
منافع لهم ومن قرأ بجزمه فعلى معنى الامر والتفث الحلاق والتقصير وقص الاظفار ونحو هذا
من المناسك وعطف على ذلك وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق القديم قال
الله جل من قائل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة ويقال ايضا عتيق لانه عتق من ملك
الجبابرة فلم يملكه جبار قط **قوله** تعالى اي ذلك اوحينا عليهم او نحو هذا وايجاز ذلك
لامر غيب عنهم مدخور لهم خير عرض بذكره ولم يصرح اذ هو من قبيل ما هو مما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحكمه بالغة له في ذلك عرض ولم يصرح ثم عطف عليه
قوله ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه هذا من التعريض بذلك الموعود وحرمات الله المكنات
في العمل بطاعتنا واجتناب منهيا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم تلا علينا ذلك والحمد لله
رب العالمين في سورة المائدة وسورة الانعام ثم قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس كل ما عصي
الله جل ذكره به وهو من عمل الشيطان واكبره الاوثان والزور والكذب كله واكبره الشرك
والكفر والقول على الله بغير علم حنفاء لله غير مشركين به **فصل** الحنف عوج في الرجل
وهو ان يميل الى الجانب الانسي فاذا كان ميلها الى خارج وهو الجانب الوحشي فهو كذا به الاشراك
بالله لانه الحاد في قوام الخلقة وقوامها على سوا الخلقة هو بمثابة الاقامة على دين الاسلام وهو
ان يسلم وجهه لله عز وجل وميلها الى داخل وهو الجانب الانسي هو بمثابة ميله عن نفسه وذاته
واهله الى الله وحده لهذا المعروف بالحنيفية وهو الحنيف وهذا في الممكن اذ بنا لمخ في الحج

والايثار

والايثار ويمكن ان يلحق بالخلة والله اعلم فيكون ابراهيم عليه السلام حنيفا لله وهو وصف
زائد على الاسلام والايمان اعراقا فيهما وتغلغلا في خصالهما **قوله** تعالى ذلك اي مجانبة
الاشراك الذي تقدم ذكره في قوله ومن يشرك بالله ثم عطف عليه قوله ومن يعظم شعائر الله
فانها من تقوى القلوب **قوله** تعالى ذلك اي من لم يشرك لله وآمن به واسلم فليعظم
شعائر الله وشعائره هنا هي البدن فان معظم المعظم يعظم ما اوى اليه وما كان منه بسبب
لذلك كان تعظيمها من تقوى القلوب لان تعظيمها وصيانتها من خصال الايمان وهي من تقوى
القلوب لكم فيها منافع الى اجل مسمى ركوبها وتسخيرها وحلبها والصدقة بها وحمل على ظهورها
وجمالها وزينتها الى اجل مسمى يعني العمر في الدنيا او ما شاء من ذلك ثم محلها الى البيت
العتيق **قوله** تعالى ولكل امة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام
اليهود والنصارى واتباع الرسل جعل لهم مواضع لمناسكهم وللعرب ايضا ارثا عن ابيهم ابراهيم
عليه السلام البيت المحرم وهذه الامة زائدة الى الوراثة كتاب ربها وسنة نبيها عليه السلام
قوله تعالى والهكم اله واحد فله اسلموا هذا منتظم المعنى بقوله ومن يشرك بالله الاية المخبتون
هم الخاشعون المتواضعون **قوله** تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى
منكم لن يناله لن يصل وصول رضى وقبول ومعنى قوله يناله التقوى اي يصل اليه حسن توجهه
بالعلم والعمل والاخلاص فيقبله لذلك ثم قال عز من قائل كذلك المشار اليه والله اعلم الخير
المذكور لكم فيها خير والمشبه وهو اعلم بما ينزله تسخيرها لنا في هذه والجمال والزينة
الذي جعل فيها يقول جل قوله كذلك سخرناها فيما هنالك لعلكم تشكرون في الدنيا نعمنا
بها عليكم فيما بعد الموعود بذلك منها المشار اليه هو الموعود واشار اليه بالاشارة بعد بالكتب والسنا وعلا
عن مشاهدتنا وبعد علم وهذا من المطلع في القران الحكيم عظيم علمه بعيد غوره ذكر ما جاء
في باب ما جاء عن بعض ذلك انهم بينما هم في نعيمهم وحبورهم في الجنة يستاذن عليهم الملئكة عليهم
السلام بنجائب مخلوقة من ياقوت ولؤلؤ رحالها الارجوان فيقرؤونهم سلام ربهم جل جلاله اليهم وانه
يستزيرهم فيركبونها وينهضون الى الموضع الذي اكرمهم الله بذلك منه ومنها لهم على القطر ركبة في الحج
ونحو هذا **فصل** يتلو بيان الوجود في الدارين وبيان الثواب بالاعمال مع تحصيل عقد
التفضيل بين الدارين الموجودين اذ حقيقة الدنيا انها سجن مقتطع من تلك وعلى ذلك فلم يحل
لنا ان نخلي نفوسنا من هذا السجن ولا ان نعبقه فنفر عنه دون ان يخرجنا منه بضرورة الموت
لنفاد العمر او عارض يعرض من موت او قتل بسبب ضرورة قد سبق به قدر فيكون شهادة وانما جعل
جل ذكره هذا الحبس سائقا الى الله جاعله عز جلاله فاذا تاب العبد وصحت توبته بحكم العلم
فليتشوق الى الخروج منه الى ربه وليجتنب الذنوب جهده فهي التي ادخلته هذا الحبس وليحرص على
الموت ويحبه وينتظر وقته وليتدرس ذلك جدا وليشعر نفسه انه يصير على حال الطهارة
الى لقاء الله الرؤوف الرحيم واجتماع مع كريم سلف ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون الى اخر المعنى حيث جاء **قوله** عز وجل ان الله يدافع عن الذين امنوا
المعنى الى اخره لما ذكر البدن والحج والحرمات والشعائر استانف ذكر الانتصار ممن صد عن سبيل الله
والمسجد الحرام وممن جادل في الله وفي ايات الله وضمن النصر لمن نصره ثم بشر المؤمنين بانه

مكنهم في الارض وانهم مع ذلك هداة مهديون يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ثم اخبر عن عاقبة ذلك كله بقوله الحق والى الله عاقبة الامور
فمحا وزنا لذكركره الباطل على هذا الحق القائم بدولة الصحابة المذكورين بهذا الوصف المتقدم
الا التعريض بذكر اخر الامة مبشرا بادالة الحق على الباطل المغلوب بالعاقبة التي اضافها
الى نفسه عز وجل عرض في ذلك بما يكون في اخر الزمان بذكر العاقبة وان تلك العاقبة ايضا
على كون العاقبة للحق في اليوم الاخر ثم راجع الخطاب موجها الى معلى ما تقدم من الاخبار عمن
كذب بايات الله ورد على رسله وسنته الماضية في ذلك الى قوله فاخذتهم فكيف كان نكير
كالمعزى لرسوله بما جرى لسواه من الرسل قبله مع من كان قبلهم وتنبيها على سنته في المكذبين
وتهديدا لهؤلاء وايعادا ثم نبه على سبيل الايقاظ واخبر على طلب علم الاعتبار بقوله
أولم يسيروا في الارض فيكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان لم يمكن لهم التشاغل فيها الم يكن لهم
اذان يسمعون بها ممن سار فيها شغل تردد المعنى كل من هذه الجملة الى الباطن وانه اذا بطل من العبد
ذلك كان الظاهر بحسب ذلك بقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وعرفها
القلوب المعينة بانها في الصدور ومعلوم ان القلوب انها في الصدور موجودة وانما المراد المعرف به
هنا هو المعنى الذي لاجله سمي قلبا ليست المضغة فقط فان البهائم لها من ذلك او فر الحظ لكن المعنى
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد
سائر الجسد ثم قال عليه السلام الا وهي القلب فسماها مضغة بحسب الوضع والتعريض بها الى الصلاح
والفساد فلما صلحت سماها قلبا وهو معروف بقوله وهو عليم بذات الصدور فذلك المعنى الذي به
صلاح القلب هو ذات الصدور وفيهم وهو المسمى بالقلب قال الله عز وجل ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب ومتى عمي فليس بقلب ولا يسمى الا على المعهود من تسمية الشيء باسم الشيء اذا جاوره
او كان منه بسبب قال الله عز وجل ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ولما عروا عن هذه الصفات او ليك
كالانعام بل هم اضل **قوله** عز وجل ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده
وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
متى هذا الوعد متى هذا الفتح استهزا بما تعدنا كما كان من قبلهم يقولون لمن قبله فانزل الله ويستعجلونك
بالعذاب فاجابهم على هذا في موضع غير هذا قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون
يريد وهو اعلم القتل والسبي وقال في موضع ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب هذا وهو اعلم قيام
الساعة وما فيها وقال في هذا الموضع وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون كانه وهو اعلم بما نزل
اشار الى ان عذاب الاخرة منهم في هذا الالف والله اعلم متى يكون فيه الساعة وهو اعلم باي وقت
كان فيه نزول هذا القران من ذلك اليوم ثم ما بين قيام الساعة وبين البعث الى وقوع العذاب
بهم بدخول النار هذا هو العذاب الاكبر وقبله عذاب القتل والسبي والجلا والموت وما بعد
الموت والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم اتبع ذلك بما هو في معنى الامهال والاهمال وكان
ذلك اية على ما تقدم قوله وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم اخذتها والى المصير معنى
قوله كاين معنى ولكم من قرية ويقال وكاين من قرية وهي معربة عن كم الخبرية وقال الشاعر

وكاين

وكاين ترى من معجب لك صامت زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه يعني القران وهذا راجع الى المعنى
بالمعنى الى ما في قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى المعنى الى اخره
وربما كان المعنى الوعد بالغد وقد تقدم الكلام في قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي المعنى الى اخره في سورة البقرة والله نسأله بفضله ورحمته المزيد من فضله
انه على كل شيء قدير في مرية منه حتى تاتيهم الساعة بغتة او ياتيهم عذاب عقيم هو ما وعدهم
به في يوم كالف سنة الله اعلم في اي وقت يكون ذلك من اليوم في الاخرة او فيما قبل ذلك
قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى المعنى الى اخره وان كان تقدم
الكلام فيه على معناه فان انتظامه هنا بالمجاورة وانه جواب المجادلين في ايات الله الطاعنين على
الانبياء وبخاصة نبوة محمد عليه السلام فانهم وان كان الشيطان يدس من احدهم مقدار ما يلقي
حين التمني وقد تقدم ما هو التمني وانه ليس بالتلاوة فان الله يعصمهم ويتدارك عصمتهم ما القى
الشيطان منهم فان الحالة الاولى لكونهم انبياء ومصطفين واما قول من قال ان التمني
هو بمعنى التلاوة وذكر فيها رواية وحكى من اجل ذلك حكاية ما تلوة الشياطين على
نبوة الانبياء وهو مضاد لقول الله جل ذكره انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكما
للسماء رجوم للشياطين كذلك للنبوة حرس وحفظة في القى الشيطان في امنية احدهم تداركه
الله جل جلاله ذلك بالحفظ والعصمة والنسخ له من القلب المقدس قبل ان يخرج الى
الصدور المحفوظ وامر الله عظيم ورسله وانبياؤه عليهم السلام من امره والرواية مغلطة
مع انها من الاحاد ولا يوجب العلم ومثل هذا هو من الجدال في ايات الله بغير سلطان اتيهم
رحمكم الله وعصمنا واياكم فان هذا ونحوه من الامتراء الذي عنا والله به بعد ذكر
هذا والكور يدق ويرق حتى يكون اخفى من دبيب النمل الحديث ثم قال الملك يومئذ لله
يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات الى مهين الى قوله رزقا حسنا انتظم هذا
بما تقدم من ذكر الانصار وهم الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اتبع ذلك قوله ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم عليم بما اصابهم حليم عن اخذه الظالمين لحقه فيهم
ان شاء اتبع ذلك قوله ذلك المشار اليه هو ما ذكره من تمكنه الناصرين له ونصره لهم وادخاله
اياهم مدخلا يرضونه في جنات النعيم اي ذلك لهم ثم عطف عليه بحرف الواو قوله ومن
عاقب بمثل ما عوقب به يريد ممن بعدهم كان اولئك قد بغي عليهم وظلموا واخرجوا من ديارهم و
اوذوا في الله فاذن لهم في القتال والانتصار ووعدهم بما قد انجزه لهم ثم اخبر عمن بعدهم
الذين عاقبوا اعداءهم واعداء ابائهم واسلافهم في الله بمثل ما عوقبوا به في الله ثم بغي عليهم
كما بغي على اسلافهم لينصرنهم الله ان الله لعفو عن الذنوب التي اوجبت ادالة اهل الباطل عليهم
غفور لمن استغفر ثم اتبع ذلك قوله الحق ذلك اي ذلك من ادالة الباطل على الحق والحق على الباطل
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي من وجود قدرته وحكمته ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل والنهار بمثابة الهدى والحق والليل بمثابة الضلال والباطل

فصل من حكمته جل جلاله هو الحق الواحد الاحد بما اوجده من مقتضى ذلك فهو واحد
لا مغاير له سوى ما هو به ومنه فاوجد الاضداد بحكمة لطيفة ورحمة بعباده في تدبيره الخلق فلو
كان النهار واحدا ابدا والهوى كذلك والخير والغنى والمحبوب كله لكان ذلك آية واحدة تكا
على ذلك في الاغلب عدم الذكر ونسيان التذكار ولما كان النهار عقيب الليل كان ابين للفهم
واقرب للتذكرة وكذلك النور عقيب الظلام والخير عقيب الشر والصحة عقيب السقم
والغنى عقيب الفقر والمحبوب كله عقيب المكروه قال الله عز وجل وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وكثير غرضه من تعاقب الاضداد دوننا وبالاغيار
للتذكار وتجديد الذكر والثبات على المعرفة الا ترى ان الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه
هو القريب الحق لا اقرب منه والشهيد الحق الذي اقرب الى العبد من حبل الوريد بل هو اقرب
الى المخلوق من نفسه واحق به من ذاته ولما كان هذا القرب دون افق في خفة ولا عدم حسن
اوجب ذلك البلادة وقلة التذكر واعقب ذلك الجهل والنسيان فكان من لطفه في حسن تدبيره
ان اوجد الاضداد في الوجود متعاقبة وقدر الاغيار في ذواتها متناوبة وجعل ذلك
على مقادير مقدرة واوزان من الحكمة منقسمة ليجدد لعباده بذلك التذكار ويبعثهم على
العلم به والاعتبار وان الله سميع الدعاء الذين بغى عليهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله نصير
باعمال الباغين ثم العالمين حط عنهم هذا على انتظامها بالاقرب واما بالمقول بحكم العموم فانه
منتظم ايضا بما تقدم ذكره من سجود الموجودات الا ترى كيف اعقب ذلك قوله الحق ذلك بان الله يولج
الليل في النهار والنهار في الليل ادلهم هذا على هذا بان الله هو الحق واحد كما تقدم له الليل والنهار
والنور والظلمات والخير والشر والمحبوب والمكروه والاضداد والاغيار دونه وان ما يدعون
من دونه هو الباطل وان ما يعبدون من الباطل وان الله هو العلي الكبير الا تسمع كيف عقب
ذلك قوله الحق له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد من له ما في السموات وما في الارض
فهو الغني الحميد على التحقيق وبهذا المعنى هو راجع الى ما تقدم من قوله الم تر ان الله يسجد له من
في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الى اخر الاية فصل وجود العلي ومكانته
من وجود الموجودات الرحمانية والربوبية والعظمة والكبرياء والجبروت والجلالة هكذا
الى انتهاء مقتضى كما يتنزل وجود الموجودات من وجوده العلي العبودية في حق المخلوق من
الخضوع والخنوع والتعبد والاجلال والاعظام والاكبار فلذلك لم يتبع لموجود من موجود
فاجاءه بالتجلي وبالتذكرة او بالامر الا ان يسجد وله يبتغي لموجود علا او سفل الا ان يكون
له قانتا عابدا خاضعا ساجدا بحمده مكونا او شرعا وهو الذي ما خلق قط خلقا
الا يسجد له ولا امره امر كون الا اطاع ولا سواه ولا قصده بنظر او عني عنه به من خيره
الا خر ساجدا له فذلك قوله ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله
هو العلي الكبير اتبع ذلك قوله الحق الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة
ولما انزل الماء واحد كان ظاهرا مطهرا من السماء فاحيا به الارض بعد موتها ذلك لانه الحق وان
الماء المنزل الحي واصبحت الارض مخضرة فتبينت صفة الحيوة في الارض بعد الموت الذي كان بها
كذلك يبين النور عقيب الظلام ويبين الحق عقيب الباطل ويبين الايمان باقترانه بالكفر في غير

محل حامد وتبين الصدق بمقابلة الكذب لو كان الايمان ابدا والصدق ابدا والنهار والنور
والضياء ابدا والحق وجوده ظاهر موجود لم يقابله في ما هيتها مما يتميز به عنه ويذكره
بتجديده ويتعرف بتناوبه واقباله وادباره مع وجود العقول القاصرة والجهل والنسيان
متعاقبا للعلم والذكر لكان النسيان والغفلة وغير ذلك من الافات التي قامت في وجود هنا
دون مشاهدة الحق المبين كما تقدم والضد يظهر حسنه الضد وبضدها تتبين الاشياء
في هذه الدار لذلك قال وهو عليم ان الله لطيف خبير اعني انه لطيف بنا في تعريفنا به لضعف
صفاتنا التي هي العلم والفهم والذكر منا وغير ذلك فاذا اعادنا جل ذكره خلق خلقا
اخر في الدار الاخرة فليس ثم ليل ولا نهار ولا ظلام ولا مكروه ولا ضد لنا في صفات الحق
وعلى وجوده او جدنا يومئذ على صفات حقة لا يضل عن هذا هنا ولا ينسى معها من هو
اقرب الينا منا فافهم نسأل الله اتمام النعمة واكمال المنة اتبع ذلك قوله الم تر ان الله سخر لكم ما في
الارض صرف في بعض وجه بخطابه الى معنى قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض الاية وله
قوله له ما في السموات وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد ثم قال وقوله الحق والفلك
يجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه فهو يمسك السماء ان تقع
كما مسك الجملة ان تزول او كما يسر للمعتمدين معتمدا هو الارض وما يقوم مقامها لذلك سخر
لكل ما خلقه ما من شأنه خرق الهواء سفلا والهواء فيه من قدرته ما يقوم له في الاعتماد مقام
اعتمادنا عليه قال الله عز وجل خلق السموات بغير عمد ترونها الا ترى الارض لما دحاها جعلت تميد
ميد السفينة فوق الماء فجعل الجبال عليها رواسي كالضابور للسفينة فاستقرت فانظر الى تصرف
قدرته عمه الجملة بقدرته والسموات بقدرته وجعل الميد للارض فجعل الجبال رواسي عليها
واستقرت بامره فبقدرته عمدها وبقدرته اقرها تحت الجبال وبقدرته ارساها وبقدرته
ومشيئته صرف امره ولو كان على معهود العقول لاوجب ذلك هويها سفلا لكن جعل
لنا السفينة وميدها على الماء حتى تسكن والفلك يجري في البحر بامره ويمسك السماء ان تقع
على الارض بقوله فاي شريك لي نعد هذا او اي اله في ملكي يخاصمني فيه واي حجة تقوم لهم في
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين لذلك وصف
نفسه بالعلاء والكبرياء والغنى فصل كل له قانت اليه خاضع فما كان من فعل المخلوقين
كله فيه منفعة للعباد واقامة العالم فهو تسخير من الله جل ذكره سخرها لعباده وذلك في حق الله
جل ذكره عبادة منه فتسبيح او تحميد او تكبير او سجود او توحيد وجامع ذلك كله صلوة او
حج او صوم او شهادة بالحق وعلى هذا كان الفعل ومنازله من بداية الخضوع ونهاية
مخالفة الهوى في المكلفين والجماد والنبات بمخالفة ما عليه جبل كما تقدم في امساك السموات
والارض ان تقع وتزول وهذا هو الاصل في عبادة المخلوقات كلها فطرة وشرعا الا ما كان
من الملائكة عليهم السلام فهم الذين ليست لهم ارادة بخلاف رضا الله ورضاه عنهم
وفيهم ولا طبع بل هم المجبولون على ما يحبه منهم ويرضاه وهذا هو الفرق بين عبادة المكلفين
وعباده الملائكة عليهم السلام فالسموات والارض لا تجد الا امساكا عما جبلت عليه
لكنها لو تركت الى انفسها لذهبت الى ما جبلت عليه باذن الله والمكلف احد صعوبة

ذلك عليه وعسره الا ان يمن الله جل ذكره على من شاء منهم فيزيل ذلك عنا وبعضه
وعيش الملائكة ورضاهم ومحبوبهم في طاعة الله وذكره وما خلقوا له ثم قد يرفع الله بعض
عباده الى ان يجعل محبته ورضاه في محبة ربه ورضاه فيكون عيشه وحياته في ذلك
وكذلك ويكره عيشه وحياته فيما خالف ذلك فذلك الذي احياه الله حيوة طيبة وذلك
المجتبى المصطفى المولى جعلنا الله منهم والحقنا بهم انه ذو من كريم ورحمة واسعة **قوله**
عز وجل لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه قد تقدم قوله جل قوله ولكل امة جعلنا منسكا
ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام كما قال جل قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
فوجب ان يكون المعنى هنا بقوله لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه كقوله الحق وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ليتفق وهو على بما نزل لما الذي انكره هؤلاء من جنسهم
به ولكل امة من جماد او نبات او حيوان على اختلاف ذلك جعلنا لهم منسكا هم ناسكوه اي سنة
وشرعة سنتها وشرعها لها وجودها عليها وما جئتهم به هي شرعتهم الينا ثم قال فلا ينازعنك
في الامر يريد وهو على المجادلين في الله وفي اياته وادع الى ربك اي حسبك عباده وخوفهم
من خلافه انك لعلى هدى مستقيم اي على السبيل الحق المفطور عليه السموات والارض وما بين ذلك
وهذا المعنى منتظم بذكر سجود المخلوقات وقنوتها له بقوله لكل امة من الجن والانس والطير
والحيوان والنبات والجمادات وجميع الموجودات في الارضين والسموات وما بين ذلك جعلنا
منسكا هم ناسكوه فاستقم انت كما امرت ومن تاب معك وادع الى ربك انك لعلى الذين اقمتهم
بهذا الترتيب يوجب الايمان بان ما تحت المكلفين من العوالم ايضا يؤمر بعضها بعضا في مناسكها
بناء ذلك في العابدين لله جل ذكره من سفل الى علو نعم الله جل قوله وان جادلوك في ذلك
وينازعونك امرك فلا تطعهم وقل الله اعلم بما تعملون ثم اعلمهم الله جل ذكره انه يحكم بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون **قوله** تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات والارض
ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير لما امره جل ذكره بالاعراض عنهم وبان يكل ذلك منهم
الى الله جل ذكره حقق ذلك عنده بما جعل في قلبه من العلم بذلك وانه علم كل شيء جملة وتفصيلا
على الله يسير كيف لا يكون ذلك كذلك وهو جل ذكره خلق كل شيء وقدره تقديرا كيف يخلقه وهو
لا يعلمه والى هذا فان الله جل ذكره اوجد العرش العظيم محيطا بجميع الخلائق علوا وسفلا وحيث
ما كان العرش فهو العلو من حيث هو عرش فلما خلق السموات والارض وما بينهما واستوى
على العرش وهو الرحمن الحي القيوم فلانه الحي الحق حيت به الجملة ولانه القيوم الحق قام به كل شيء
بامره واقامته وامسكه اياه ولانه الرحمن تواشجت الارحام وتعاطفت وتعلقت وتواصلت بعضها
ببعض فتماسج لذلك الوجود كله ولزم كل ذي وجود وجوده فليس شيء يعزب عن علمه في الارض
ولا في السماء مثقال ذرة ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ثم الى هذا فان اللوح المحفوظ
خلق خالقه لؤلؤة اثبت فيه علم كل شيء فلا قاعد ولا قائم ولا متحرك ولا ساكن
الا وقد انطبعت حالته في اللوح المحفوظ فلو لم يكن ما تقدم ذكره لقام هذا المقام وكان حاله
مشاهدة وعلما وغير ذلك ثم الى هذا فانه كتب في اللوح المحفوظ كل ما شاء ايجاده
والمعهود ان الكتاب عندنا يعطى الاعلام قارئه اخبارا عن ذكره فتوهم فضل ما بين

من يحسن

من يحسن الكتابة والقراءة وبين من لم يعلمه الله ذلك وكما يتفاوت من يقرا كتابه برهته
بما اليه المنتهى بكتاب اللوح المحفوظ وانه يعلم منه شيء الفائقة لا ريب في ذلك لذلك تعالى
عز من قائل عنده ذكر ما هذا سبيله اذ ذلك في كتاب لانه جل ذكره علم كل شيء من دابة فهو كما علم
نفسه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه كذلك يعلم ما خلقه وما هو خالقه وما هو لا يخلقه
ابدا كشهوده وجوده العلي كل شيء لهذا وما هو بعلم اعلم قال وقوله الحق ان ذلك على الله يسير كما يعلم
احدنا نفسه ويحصل له العلم بوجودها بغير معاناة ولا وجود مدة فالله لا اله الا هو اعلم
واجل قدرا وله المثل الاعلى في السموات والارض ان ذلك على الله يسير كل في كتاب مبين علمها عند
ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ومن وقي العناد هدي الى الرشاد **قوله** عز وجل يا ايها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له الى اخر المثل هذا كله خطابا في معنى الرد على المجادلين في الله الذين
اجري ذكرهم في صدر السورة اعلمهم في هذا المثل بضعف الهتهم وانهم لا يملكون من دون الله
ضرا ولا نفعا ولا دفعا ولا يملكون رزقا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا قد عبد المسيح
وقوم من الملائكة عليهم السلام والشمس والقمر والنجوم والنار فلو اجتمع هؤلاء وكل معبود
من دون الله على خلق ذباب لم ياذن الله بخلقه ولا ينفخوا فيه الروح فيجيبونه ولو تظاهر على
ذلك جميع من في السموات والارض لم يقدروا على ذلك الا ان ياذن الله فيه فهو ذا الخالق
وحده لا شريك له ولا ظهير ومعنى خلقه ان يوجد اجزاءه عن عدم الى وجود وينفخ
فيه الروح من غير وصف لاتصافه بالروح العلي والمشية والقدرة المحيطة ثم وصفهم
بعلة الانتصار وبخاصة من المعبودات الاصنام والاوثان وما لا يعقل فهم لا ينتصرون
من ذباب فكيف بان ينتصروا من عذاب الله او ينصرون سواهم ثم وصف نفسه جل جلاله
بقوله ان الله لقوي عزيز لما وصفوا ولئلك بالوهن والذلة والضعف اتصف هو بما هو اهله
من صفتي القوة والعزة فلا يطلب شيئا فيفوته ولا يغالبه احد ولا يمانعه الا غلبه ثم قال
من قائل الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ما عملوه فنادوه وامره ومعونته والى الله ترجع الامور هو الاول في كل شيء والاخر
هذان الطرفان لا يملك المخلوقون منهما قليلا ولا كثيرا وهو الظاهر فيما ابدعه وفطره وفيما هو كسبهم
لان ذلك بقدرته وباذنه وهو الباطن فيه قطعا فوجب اليقين بانه الاول في كل شيء والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين فقف على هذا رحمنا الله واياك ووفقنا
لما يحبه ويرضاه ويقبله وهو اصل في التوحيد جليل قدره وقد جمعت ذلك كلمة واحدة
قولك لا حول ولا قوة الا بالله **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم
وافعلوا الخير لعلكم تفلحون امرهم جل ذكره ان يمتثلوا عباده الموجودات ركوعا وسجودا
وقياما وقعودا وشهادة وذكرا وتلاوة وانفاقا ودلالة هذه كلها عبادات المخلوقات
وقد تقدم مثل ذلك اشارة وامرهم مع ذلك بجهاد من خالف السبيل ودام قعوده بجهاد حق جهاده
عز جلاله هو اجتباكم من بين الامم وما جعل عليكم في الدين من حرج بل هي الحنيفية السمحة
ملة ابيكم ابراهيم نصبها على الاغراء ويصح ان يكون نصبها على القطع وعلى المدح وكل
هذه الوجوه يتوجه في ذلك هو سماكم المسلمين من قبل الضمير في قوله هو يجوز ان يكون عائدا

على ابراهيم عليه السلام بوجه لانه اقرب مذكور الى الضمير ويكون عائدا على اسم الله جل ذكره
والشاهد على عوده على ابراهيم قوله هو واسمعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
المعنى الاخر واما مرجوع الضمير على الله جل ثناؤه فقوله هو سماكم المسلمين من قبل اى في
الازل وفي كتب الكتاب في اخراج القصتين وفي هذا الكتاب القران وهو قوله وفي هذا
ودخول الواو العاطفة على قوله وفي هذا انه عطف على اسم الله جل ذكره وفيه مجاز وفي
تقديره والله اعلم بما ينزل وانا الله سميتكم المسلمين في البدء في الازل ثم عطف بقوله جل
قوله وفي هذا اى في هذا الكتاب ليكون الرسول الذى ارسلت به اليكم شهيدا عليكم
وتكونوا انتم شهداء على الناس بما اعلمتكم فيه بالكتب والرسل وبمن امن وبمن خالف ثم عاد
الى التوصية باقام الصلوة وايتاء الزكوة والاعتصام بالله جل ذكره هو مولاكم اى ناصركم
وولي ايمان عليكم المنعم فنعم المولى ونعم النصير كما قال جل من قائل قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين **تنبيه** اعطى الله جل ذكره هذه
الامة ثلث خصال لم يعطهن الا الانبياء عليهم السلام جعلها على الامم والانبياء شهداء على امم
ويقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد
ليطهركم الاية ويقال للنبي سل تعط وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم واذا سالك
عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

سورة المؤمنين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى قد افلح المؤمنون الذين فازوا
فظفروا بالنجاة من العذاب وبقاء الابد في جنات النعيم في جوار الاحد ذكرهم بذلك
في البدء الاول هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون والخشوع انكسار القلب كناية موجود
في النفس كالخضوع موجود في الجسم ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها
خاضعين وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي وهو يعبث بيده في الصلوة
بيده فقال لو خشع قلب هذا خضعت جوارحه **فصل** قال الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون فاستاق لفظ
الترجي وقال في هذه قد افلح المؤمنون الذين والذين فجاء بخطاب معهود القطع اى
والله اعلم ان الاية الاولى اتت بالامر بالايمان والعبادة والركوع والسجود وفعل الخير
فجاء الترجي على صدق الامتثال منا للامر او تركا اذا الهداية في الاستعمال وان كان ذلك مضافا
الينا ونحن الموصوفون به فان ذلك لا يكون عن حول منا ولا قوة فجاء معنى الترجي لاجل
ذلك واما المؤمنون العاملون العابدون على ما يرضي الله جل ذكره فليس في مثال الثواب على
ذلك ريب لانه من فعل الله جل ذكره وقد وعد بذلك واخبر وهو اوفى واصدق قيلا وقد
بلا نهاية ثم هم **قوله** تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها
خالدون الفردوس اعلى الجنة ومنها تتفجر انهارها كرم مفردوس اى مرفوع معرش
والوراثة المخلف الوارث الخالف للمخلف في الشيء المورث داخل الجنة يرث فيها دار

النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد وما من نفس منفوسة الا وقد كتب
مكانها من الجنة ومكانها من النار وساق حديث المسائلة في القبر وفيه انه يقال لهذا
منزلك من النار ابدلك الله به منزلا من الجنة ويقال للاخر هذا منزلك من الجنة ابدلك
الله به منزلا من النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا واما ما احتج به بعض
من تكلم في هذا الفصل منكرا لما قدمنا ذكره وسمعه ذلك لقول لرذى الكفايل بهذا
لقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم خلق له في النار منزل وان فرعون وهامان وشبههما في الضلال
خلقت لهم منازل في الجنة فمحجوج غير مصيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيمة من قتل نبيا او قتله نبي ولو علم هذا العلم يقينا ان على قدر تهورهم في
الكفر والسعي على المسلمين والبغي على الرسل والمؤمنين فعلى قدر ذلك قد اعد لهم منزلة
في الجنة يرثها عدوهم من الرسل والمؤمنين قال الله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة ولهم عذاب عظيم فاخبر
الصادق الحق جل ذكره انه على قدر مسارعتهم في الكفر والصد عن السبيل يكون عظم عذابهم
فيما هنالك وان سعيهم ذلك يتنقص حظهم في الجنة وجعل الله جل ذكره سعيهم على الاسلام
ومسارعتهم في الكفر على قدر انتقاص حظهم وهدم خلافهم من الجنة وجعل العاجز منهم الضعيف
في السعي المهين عن المسارعة اقل عذابا في الدنيا ومنزله ادنى منزل له في الجنة يرثها ضعيف
يقابله من هذه فافهم قال الله عز وجل وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين فجاز
هذا انهم فيما هنالك كالاقران في الحرب لا غلبتهم في حظ البقاء وتاخير الاجل هو القاتل
لمن حضر اجله ولو عبر هذا القائل بالوجود الشاهد الى الوجود الغائب لاتقن لعلم
بانه من خلقه الله في النار ومن الدنيا فانه مصيبة لابد حارها وبردها الكائنان
عن نفس جهنم اعاذنا الله برحمته منها ومصيبة ايضا فتح الله رحمته من الشمس بالماء والارض
والهواء ونعمته بما سخر له السموات والارض وما بينهما لمن واجب الوجود والمعهود من صدق
الوعد والوعيد الكائنين عن حكمة الله جل ذكره ان يخلق لكل من خلقه من الدنيا شيئا على
حكم الفتح وكفتح منزلين احداهما في الجنة التي هي منبعث الفتح والاخرى في النار
هي منبعث الفيح لانه المبدئ المعيد قال الله عز وجل منها خلقناكم وفيها نعيدكم
اى الارض وكذلك خلقنا من الفيح والفتح وقال في النار وان منكم الا واردها يعني
الان كان على ربك حتما مقضيا فلذلك لابد ولا محالة من ورودهم ولو على قدر
خطف البرق ورجع الطرف او تمر على ما منها على البعد ولا يشعر بها ولا يخاف فيها
ولا يحزن من اجلها كذلك جعلها الله يومئذ ممرا الى الجنة كما جعلها في الدنيا ممرا الى الاخرة
العمر فيها فتطلب هذا في مظانه تجده هكذا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل كما انه تعالى
مما قد خلقنا عنه في رحمته قضى في الوجود لعبده المطيب الطاهر والصديق الصادق ان يدخله
الجنة برحمته وكريم منته وفي هؤلاء يقول عز من قائل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وانما يعصم من النار ويدخل الجنة ويقرب من الله جل
ذكره مشيئته الغالبة ورحمته الواسعة بواسطة طاعته وابتغاء مرضاته اذ بواسطة كونه

وموافقه موافق سخط وعلى مشية الله ورحمته المعول اجمع وما عدا ذلك اسبابا ووسائط
وهذا هو الذي اخرج ادم عليه السلام من الجنة الى الدنيا مع الذم الوارد وموافقة الخطيئة
سببا وسببا ومن اجل ذلك حج ادم موسى عليهما السلام قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى اخر المعنى السلالة ما سل من
الشئ وسلالة ما رق منه ونحن من الماء وهو الصلصال اذا يبس قال الله عز وجل ولقد خلقنا
الانسان من صلصال من حما مسنون ومن صلصال كالفخار ثم قال عز من قائل ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين يعني الرحم فذكر سبعة احوال نقله فيهن في طبقات التكوين خلقا
من بعد خلق في ظلمات ثلاث وقد تقدم الكلام في هذه الاسبوعات في غير هذا الموضع وانه
اخرجه الى ان يلقيه في سبعة احوال الا ان يخترمه الاجل كما قال ومنكم من يتوفى من قبل
ثم من الموت الى سبعة احوال فيستقر في احد الدارين وقد كان جمعه في سبع قوله عز
وجل ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق هذه هي السموات الدنيا اللاتي دون السموات العلى
التي جعل القمر فيهن نورا والشمس سراجا ثم قال عز من قائل وما كنا عن الخلق غافلين
يريد وهو اعلم بما ينزل انه كان عالما بالخلق قبل ان يوجدهم كعلمه بهم بعد ايجادهم لم
يزدد علما بذلك ويمكن ان يكون المعنى بذلك زائدا على ما تقدم ما يضمنه قوله الحق
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وسخر لكم ما في السموات وما في الارض يوقن
بهذا امرنا فيما علا متصل بما سفل واخبر ذلك منها على النعمة ثم قال وما كنا عن
الخلق غافلين اي انا لم نجعل ذلك خشية منا النسيان ثم قال تبارك وتعالى وانزلنا
من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض اسكن في الارض ما هو نافع واذهب الكثير عند
جفاء واسكن الفضل ناطق الارض اسلكه ينابيع في الارض واجرى منه الانهار والعيون والبحار
والجملة فيما ينفع الناس ثم قال وانا على ذهاب به لقادرون ايته على ما يذهب من الماء
سيوله ومنافعه بالهواء وتحرق بالشمس على قدر ما يصلح به العباد والبلاد والزرع وغير ذلك
قوله جل ذكره فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة نبه بهذا
الخطاب على اعتبار جليل خطره اي ان هذا الماء الذي انزلناه لكم من السماء وانشانا لكم
به الجنات من النخيل والاعناب وغير ذلك من الفواكه اعبروا منه الى ما يكون في العاقبة
فانكم شاهدتم سلالة الطين وما يكون عن النطفة المتسللة عن كل ذي جنس ونوع
من الحيوان وكذلك عن كل بزر من النبات او غراسه فانما تكون عن كل ذي جنس ما هو من
جنسه ومثله وشبهه فالانسان عن الانسان والانعام عن الانعام وكذلك سائر الحيوان
وبزور النبات وغير ذلك فاقضوا اذا بحكم الاعتبار ان هذا الماء المنزل من السماء
الكائن عنه انواع الجنات انما نزل عن جنة وان لم يكن عين الجنة اليوم فيها ظاهرة فهي
فيها باطنة فكذلك الكائن عن الماء من جنات على انواعها فهي عن الجنة وقد تقدم ذكر اعتبار
اخر بالماء ينزله الله من السماء طاهرا مطهرا وهو واحد في حيث هو ماء فيخرج الله عنه نبات كل
شئ وخلق الله منه كل شئ حي اية على ان الله واحد وهو خالق كل شئ وكان في وجود الماء
الناره فيح جهنم فكان عنه نبات كل شئ وخلق الله منه كل شئ حي على اختلافه وجوده وهو

ماء واحد من حيث هو ماء فاقض بذلك على تخالف الوجود في الموجودات مع وجود الكثرة
والوحدة وقد ضرب الله جل ذكره في ذلك مثلا قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به الى اخر المعنى
ثم قال عز من قائل ومنها ياكلون عطف معنى الدنيا على معنى الاخرة فاشتق عن هذا
اعتبارا اخر وهو انه قد اعلمنا بما تقدم ذكره ان كلا نشا عن الماء فهو عن موجود الجنة
ثم قال ومنها تاكلون مما هو عن الجنة كابيكم ادم عليه السلام اذ قال له ربه جل جلاله اسكن انت
وزوجك الجنة وكلا منها الى اخر المعنى ثم اخرجهما منها فاخلفهما مثالها يأكلان منها
وذريتهما كما قال عز من قائل ولكم في الارض مستقر ومتاع اي مما انزل عليكم وافتحه لكم
من رحمتي الى حين يعني اخر العمر ثم تقسم العباد بعد فيما بعد الموت وفي الدار الاخرة الى ما عهد
اليهم من قوله الحق يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وفيه اعتبار اخر وهو انا اذا اكلنا مما هو عن الجنة يعني رحمته جل ذكره ومما
هو ايضا عن جهنم بواسطة فيحها فاذا اكلنا من ذلك خلقنا منها اعني الجنة والنار
وما هو الدار الاخرة ما نحو زاذا الى الدار الاخرة واجل جناتها ونارها فوجد الوفا
بالعهد الى الجنة والى النار بضد ذلك نسال الله الرحيم الحق رحمته وعافيته ذلك للمخلوق
انه من خلق عن شئ عاد اليه كما قال عز من قائل منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقال كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا ترى ان ادم عليه السلام لما خلق من الدنيا
اوجبت وجود الحكمة ان يرجع اليها ظهر ذلك في معهود تخاطب الملا الاعلى حيث حاج
ادم وموسى عندربهما عز جلاله قال له موسى انت الذي اخرجت ذريتك من الجنة فقال له
ادم عليه السلام بكم وجدت الله كتب علي ان يخرجني الى الدنيا قبل ان يخلقني قال كذا فحج ادم
موسى فعلى هذه الرواية من ذكر الدنيا بصحيح العبرة فانه لابد لهم من الدنيا ثم لابد لهم
من الجنة او النار وانما يخبر منا النار مشية الله جل ذكره ثم لزوم طاعته واجتناب مناهيه
ومن لم يوفق لذلك فالنار موعده هي مولاهم كما يقال في تذاكر اهل البرزخ عن من مات ولم يره
الحرف الصالح انا لله ذهب والله الى امه الهاوية منها خلق واليها عاد ففهموا هذا في الجحيم
الاخرى ان يقال في التقي ذهب والله الى امه العالية فانما هذه ام وهذه ام لكن التقي لما لم ينكر
نعم الله عليه فيما انزل اليه من السماء ولا صدق الله ورسله وكفرت صات لجهنم التي خلق
من فيحها اماو في اهل الطاعة والايمان ولشكر الله صارت الجنة لزاما وموعدا ومصيرا
ومن موضع هذا القدوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقول في دعائه اسالك اللهم فكاك
رقبتي من النار اللهم اعتقني من النار وقال جل قوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما فمن خلقه الله
في الدنيا فقد خلقه ايضا مما انزل من فيح رحمته فان شكره وامن به واطاعه واستعمله بوجهته
الموجودة في كتابه واسمائه فقد ركب السبيل القويم منهاج الحق المخلوق به السموات والارض على طريق
ما امر به ونهى عنه والجنة موعده لا محالة ولا مرية والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله
عز وجل وشجرة تخرج من طور سيناء قرئت تنبت بالدهن فالدهن في الشجرة وقرئت ايضا

تنبت بالدهن اى شجرة تنبت وهو ما قراءة الاعمش تخرج بالدهن قال الله عز وجل
الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الى قوله توقد من شجرة مباركة
زيتونة فانبا الجليل الحق جل ذكره عبادة انه كما ينزل عن الجنات جنات الى الارض كذلك
ينزل عن اثار نوره فى السموات والارض نورا يكون فى نبات الارض وحيوانها وشجرة
الزيتونة واحدة من شجر الدهن يلحق بها فى وجود العين بها الا ما هو نور وان كانت شجرة
الزيتون مقدمة لخصوصية ذكر الله تعالى اياها ثم عطف بها وفى قوله تعالى وصبغ للاكلين هنا
محذوف مقدر تقديره والله اعلم بما ينبت بالدهن ضياء ونورا للمستصبحين وصبغا للاكلين
يعلم بذلك انه يصرف الدهن الذى هو اية على باطن نوره فى سبيل الخلقة بما هو نور كما ظهر
فى النبوات ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة
عبرة طور سيناء هو الجبل الذى كلم الله جل ذكره منه موسى عليه السلام وناداه وواعده
ونسب شجرة الزيتون الى هذا الجبل واوجدها فيه وفاقا بالايجاد لما قد قدره فى الازلية
ولما فى ذلك من المقاربة من ضرب المثل بنوره ووجود تجليه وكريم مواعدته اياه اليه فالزيتونة
شبيهة بالحق المخلوق وفيها شبه بالنبى والنبوة لما فى الحق من الانبا والهداية والشهادة ولما
فى النبى والنبوة من النور قوله تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها
يقول جل قوله تعبرون بها الى ما فى هنالك من وجود الانعام على خلقة الاخرة كما قال عز
من قائل الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا
عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون اى فى هذه الدار والدار الاخرة فهذه
الوجوه كلها هى متاع لنا فى الدنيا على ما هى عليه من النقص عما هنالك وهنالك ملك وخلد ونعمة
وحبور بكل وجه وعلى ما تشتهى الانفس ثم عطف بحرف الواو بقوله ومنها ياكلون تنبيها منه الى وجوه
من العبرة منها انه يخلفنا عنها لحومها والبانها ويغذينا به ويخشونا عنها ومعلوم انه قد جمع
خلقها بامره من ضرائب السموات والارض فى السحاب والاجواء بالرياح والهواء ثم خلق عن ذلك
الماء وانزله الى الارض فاقره منها قراره ثم اخرج منها نباتها وخلق على ذلك انواع الحيوانات
ثم سفرق انواع الحيوان والاناسى الى كلها واجسام الاكلين هكذا الى اخر الدنيا ويوم الانوار
ثم اذا دعاهم دعوة من الارض استجاب كل من موضعه وقراره وسلك فى الاستجابة ذهابه الاول وقاد
منها يخرجون كلمح بالبصر وهو اقرب وليس الذى بيده ملكوت كل شىء وبيده مقاليد السموات
والارض بقادر على ان يجمع الكل من متفرقات الاماكن ومختلفات السبل بلى وهو الخلاق العليم
شاهد ذلك منه وبغايته ثم قال وعليها وعلى الفلك تحملون تنبيه منه على ما اعد لهم فى الدار
الاخرة من مراكب الانعام ومراكب الفلك فافهم بلغ الله بنا وبك فصل قال الله جل من قائل
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب فالتدبر اولا لا يكون الا بتفكر به
يحصل والتذكر خاص لاولى الالباب والعلم بمعانى الكتاب العزيز وان كان خاصا فان الذكر
بالاضافة اليه خاص الخاص وقد جاء فى الذى انزل فيه قوله جل ذكره واتل عليهم نبا الذى
اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين انه نزل عليه ملكان وهو نائم فقعد
احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما للاخر او عى قال وعى قال وزكى قال لا

والذكر مقام وراء التذكر وبالتذكر يحصل الخوف والخشية والرجاء واليقين وعنه
يكون زكاء الاعمال والاخلاق باذن الله فتى تدبرت قول الحق فانزلنا من السماء ماء فاسكناه
وعبرت من هذا الماء وما خلق الله عنه من نبات وحيوان واناسى واتباع ذلك كله الى ما هو الخير
فيذكر موجودات ما هنالك ولا يكون ذهودا فى العلم يمنع منه ما والله وتذكر تلك الدار
وذلك الملك وخطير الخلود فى النعيم المقيم وسرور النفس بالقرب والجاه والتمكين عند رب
العالمين من ليس كمثله شىء ثم ارجع البصر فى موجودات الدنيا وتوابعها واعبر بذلك
الى ما هنالك ايضا وتذكر قدر المزيد فان للعلم بما ههنا مزيد الله فى دار الدنيا للمعتبر
وهو لا انقضاء له وكذلك يذكر الخزائن والاخيار وكيف يظهر ما اخبر به ومتى وبم
ولم ولاى حكمة وحكم وكذلك يذكر لقوله الحق وشجرة تخرج من طور سيناء وقد عبرت
منها الى شجرة الحق المخلوق به السموات والارض فتذكرها وتعلم علمها والفرق بين تنبت
بالدهن وتنبت بالدهن وتخرج الدهن يذكر ما المراد بالدهن وذكر وما المنعوت به
ههنا فبذلك تعبر الى الدار الاخرة ويذكر ثبوت اصلها وتفرق فروعها وشاع افنانها
وافنان افنانها الى اقصى موجودات المخلوقات وما الذى منها هو للهداية وما هو للفطرة ومعانى
الخلقة ثم صل اعتبارك بتذكر الدار الاخرة وتشعر لتوصيل الخطاب بمعانى الوحى واشارات
الى موجودات ما هنالك وتذكر بذلك نحو ما ههنا تعرف به حق ما هنالك وسل الله الرحيم ان يعلمك
ويفتح عليك من رحمته وكذلك تعرف بعد بعض العبرة من مفهوم قوله وان لكم فى الانعام
لعبرة نسقيكم مما فى بطونها فتذكر بذلك انهارا بها من لبن لم يتغير ثم تطرق بالتذكار الى
تذكار انهار من ماء غير اسن وانهار من عسل مصفى وانهار من خمر لذة للشاربين وتذكر
مفهوم قوله ولهم فيها من كل الثمرات واعبر اليها من قوله الحق فانشانا لكم به جنات من نخيل
واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون كم كذلك ابدا بعد التدبر والاعتبار واستعمل
التذكر ثم بعد التذكر سؤال الحال فيما ههنا يوجب اللحاق هنالك ويجيب اليه بالتصديق
والشهادة بما شهد به لنفسه جل ذكره وتسواه واعلى ذلك عمل من يعلم ما يطلب ومن الذى
يسال وفيم يرغب علمنا الله واياك من علمه واجزل حظنا وحظك من معرفته فاحسن عوننا
على ذكره وشكره وحسن عبادته قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون المعنى الى اخره عطف بالواو وفى قوله ذم معنى ما تقدم تعداد
اياته والتنبيه على براهينه ودلائله فى السموات والارض ولما كان ارسال الرسل منها
للعقول ومبينا للايات على التوحيد والرسالة وما جاءت به وموقظا للعقول التى
ارادها الله بذلك عطف بالواو على ما تقدم والمراد الاول بارسال الرسل الاعلام باجماع
جميعهم على ما انعقد عليه اجماع جميع الموجودات فى الارضين والسموات ان الله اله واحد
فاعبدوه واتقوه وان الرسل والنبوة حق وتبيين الامر بطاعتهم وحسن الاقتداء بهم
والطاعة لهم ثم المراد الثانى الاعلام بالجزاء العاجل والاجل وثواب المؤمنين وعقاب
المكذبين والتنبيه على ما جمعت عليه امم الخليقة ناطقها وصامتها بما جعلها الله عليه من
الجريان على سنن معلوم قال الله عز وجل ولكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه على

لزوم شرع الرسل واثبات سنتهم ثم التنبيه على الاعتبار بثواب المؤمنين في العاجل والاجل
وايجابهم وعقاب المكذبين واهلاكهم على ما يطابق ذكره في الدار الاخرة وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا **قوله** تعالى فيما حكاه عن المكذبين يريد ان يتفضل عليكم
اى انه يريد ان يكون الفاضل ونحو قوله تعالى فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك
امره ان يدخل فيها اهله الا من سبق عليه القول منهم بانه لا يؤمن وهو ابنه الذى كان من
المغرقين فهى ان يشفع فيه فيشفع فيه بحكم العموم في قوله واهلك فقال رب ان ابنى من اهلى
وان وعدك الحق فابان الله جل ذكره له من اهوا اهله بقوله انه ليس من اهلك ثم اتبع ذلك تعنيها
بقوله انه من عمل غير صالح لا ولاية مع البراءة منه في ذات الله وعلى القراءة الاخرى انه
عمل غير صالح اى ان هذا منك عمل غير صالح بشفاعتك فيما ليس لك به علم **فصل** ثبت
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال نحن اولى بالشك من ابراهيم ويرحم الله لوطا لقد كان ياوى
الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول مكث يوسف لاجبت الداعى فاما ما ذكره من امر
يوسف فقد مضى في موضعه وكذلك قصة ابراهيم وان قوله نحن بعض الى احياء خاص في امة
ما هذا هو المراد الاول منه ثم احياء الموتى حال موتهم ثانيا ثم احياء موتى الاجسام ثالثا
واما قوله يرحم الله لوطا لقد كان ياوى الى ركن شديد كان صلى الله عليه وسلم قد تقدم اليه
بانه مقصور وان اولئك القوم مهلكون قال الله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر
ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين واما حل به الاضطراب لانجاز الوعيد فيهم والوعد له لما
جاء الى قوم الذين يستبشرون ببلوغ بغيتهم على زعمهم ووقعت منه وبينهم المحاورة و
وتراجعوا الكلام بعث نفثة المصدور وعلى عوايد البشر فقال لو ان لى بكم قوة او اوى الى
ركن شديد اى كنت انتصر لنفسى ولاضيافى قالوا له يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فاقاموه صلوات الله وسلامه على جميعهم على نعته ولما بين الحال التى تعترى عند كثرة فعطف
على الذكر الاول قال يرحم الله لوطا فدعا له بالرحمة كذلك سنة الله في رسله وعباده كقوله
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وتكلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المثلثة الرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم وعلى سائر الانبياء
والنبوة **قوله** تعالى حكاية عنهم هيهات هيهات لما توعدون مفهوم هذه اللفظة البعد
من المطلق المعنى من المتكلم بها فجعلنا هم غثاء اى هشيما يابسا وحطاما منقطعا
بحمله السيل **قوله** عز وجل ثم ارسلنا رسلنا تترى بمعنى متواتر وجعلنا ابن مريم
وامه اية اى على ان الله يخلق من غير ذكر كما يخلق من ذكر وقد خلق من غير ذكر ولا انثى
وكانت حينئذ الاولى اية على حيثما الثانية وما كان الله ليعجزه من شىء في السموات ولا في
الارض انه كان عليما قديرا **قوله** تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما
تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون نص جل ذكره على ان اجماع
الرسل واجماع الخليقة كلها ان الله اله واحد وامة الطلبين امة واحدة الانبياء والملائكة
والمؤمنون والامة الطريق ويكون بعضها بعضا والامة الملة وهذا كله قريب
بعضه من بعض فالرسل والانبياء كلهم في وجوب الايمان بهم كرجل واحد والملائكة كلهم في
وجوب الايمان بهم كل واحد والمؤمنون كلهم في وجوب النصيحة والولاية كرجل واحد والله
جل ذكره خصص تفضيل في كل امة يجب الايمان به ايضا والدين دين واحد والامة
امة واحدة والله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه رب واحد لا شريك له يقول الله
جل من قائل وتقطعوا امرهم بينهم اى فرقوا التوحيد كل حزب بما لديهم فرحون الكتاب
والشيع والفرق سواد يقول الله جل من قائل فذرهم في غمرتهم حتى حين الغمرة ما
غمر المغمور من ماء او هول او فتنة او نوم ونحو هذا وهؤلاء غمرتهم الغفلة فهم
بما هم فيه من الكتبة والضلال لا يشعرون فانا نملى لهم ونستدرجهم من حيث لا يعلمون يقول
جل ذكره ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون الخشية رقة الخوف والاشفاق رقة
الحزن فمن كان هكذا شاطنا بنفسه وبعمله حتى انه لا يستحق عند نفسه خيرا ولا اجلا
وانه ليخاف من حيث يامن سواه والشفيق بسوء الظن مولع ثم قال عز من قائل والذين
هم بايات ربهم يؤمنون من تحقق بهذا الوصف لا يرى شيئا الا ازداد به علما ولا يخطر
بباله خاطر الا زاده الله به ايمانا بربه ويقينا ثم قال عز من قائل والذين هم بربهم
لا يشركون المتحقق بهذا هو المخلص يقول الله عز وجل والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
انهم الى ربهم راجعون اى انهم يعطون الصدقة والزكوة من اموالهم والنصيحة من انفسهم
ويزكون انفسهم بالتقرب من الله جل ذكره ويصدقون بواطنهم بظواهرهم وظواهرهم
ببواطنهم وهم عند انفسهم ممن لا يتقبل منهم حسناتهم ولا يكفر عنهم سيئاتهم ليس لخلف
وعد يعتقدونه لكن يرون عند انفسهم انه ممكن ان يكون الله جل جلاله قد اطلع على
احدهم في بعض هناته اطلاعة فاعرض عنه بوجهه الكريم وقال اعمل ما شئت فلا اغفر لك
والى هذا فان علم الخاتمة غيب في حقهم لغيب السابقة فهم يحزنون على ما لا علم لهم بحقيقة
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الله اذا شاء
ان يقيمه اقامه واذا شاء ان يزيغه ازاغه ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه
يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وفى اخرى على طاعتك وروت عائشة رضى الله عنها انها
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراوها والذين ياتون بالالف وقالت ما يقروها
الا من الخشية وقرا ابن عمر والذين يؤتون ما اتوا بالقصر وقال هكذا وجدته في الرواية
والظنه من قصر الممد وهى الزكوة يزكون انفسهم بطاعة الله على ما تقدم في صدر الكلام
بقوله عز من قائل اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اتبع ذلك قوله جل ذكره ولا نكلف
نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون كما قال ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وقال فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون **قوله** تعالى
بل قلوبهم في غمرة من هذا اى من خشية هؤلاء واخلاصهم واشفاقهم من سيئاتهم وحسناتهم
غمرتهم الغفلة واستحوذ عليهم الشيطان بالتزيين والغرور والجهل فهم لا يعقلون اتبع ذلك
قوله ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون المراد الاول بارجاع الضمير عليهم هنا هم
الحرف الصالح مفهوم الكلام والله اعلم بما ينزل ولهم اعمال من دون ذلك اى تلك الاعمال

المحمودة هم لها عاملون لابد ولا محالة لذلك خلطهم يوم ميز بينهم في البدء الاول فمن
قال لهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد قيل لا يخلوا الصديقون من الذنوب فوصفه
اياهم بذلك في معرض المدح لهم دليل على موافقتهم ثم المراد الثاني ان يكون ارجاع الضمير
على الحزب المذموم ان يعملوا بعمل اهل النار وهم في غمرة عماهم عليه يقولوا يوم القيمة انا كنا
عن هذا غافلين وقد يكون المعيبون بهذا اصحاب الاهمال والتردد على المعاصي الراجين
غفران الذنوب مع الاصرار والجنة بالمعاصي من الموحدين والضعيف الاكبر جرما قد جاء
وصفهم في قوله عز وجل او يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا
بما فعل المبطلون فلذلك احضرهم انفسهم في الازل واشهدهم على انفسهم بالعبودية
للمعرفة المغرورة في اصل جبلتهم المركبة في حذر قلوبهم لا يصح الغضبة ومضاوها
الا ان يكونوا على كمال عقولهم وجواز امرهم وعلى ذلك الحكم شرع شرعة فافهم فصل
قال الله جل وتعالى في هذا الخطاب ولا نكلف نفسا الا وسعها هذه دلالة على ان تبارك
وتعالى لم يكلف المؤمنين تعذيب النفوس في مطلق العبودية الا على معنى التاديب لها والقصاص
منها لها فانه لا باس بذلك قال الله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب هذا
الخطاب وجلي الامر بالقصاص في المظالم بين العباد في الانفس والدماء والجراح والالم
ونحو هذا وجلي المقامات من الانفس وهو تصحيح التوبة بمحل مكان الضحك بكاء ومكان
الري من العيش ظمأ وصياما وعطشا ومكان النوم سهرا ومكان الشهر على المعاصي
سهرا على الطاعات الى غير ذلك من التاديب لعلي صحة هذا التاويل قوله يا اولي الالباب لعلكم
تتقون وعلى الحقيقة فليست تمحو نفوس على الحقيقة ان تقبض لها منها الا نفوس اولي
الالباب والتقوى الوافر والخطاب راجع الى الفريقين وان كان في الفريق المحمود فاما
الاستقامة فهم المقول فيهم اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن
سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون واما المكذبون فهم المقول
فيهم حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واما اصحاب الاهمال والاصرار و
الركون الى اماني الغرور فقد قال فيهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وعلى التقوى
بالتحقيق فان من سبقت من الله جل ذكره الحسنى له يغفر له ويتجاوز عن سيئاته اصحاب الشقاوة الا الله
والله اعلم فهم الاوابون يقدر عليهم بالذنوب ويقدر عليهم بالتوبة منها لا اله الا الله
العليم الحكيم **قوله** عز وجل حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجارون ارجع
وجه الخطاب الى الاخبار عن الفريق المذموم والجوار قد يكون وصفا مذموما وهو
الاظهر فيه وهو الجهر بالاستغاثة والصوت العالي دون تضرع واذا ورد ذكر الجوار
معيدا بوصف حمد كان جوارا على سبيله وهو الجهر بالتضرع والدعاء فالاول اذا مسكم
الضر فاليه تجارون الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اسرى في طريق مكة على ثنية هرشى
كاني انظر الى يونس بن متى منحدرا من هذه الثنية على ناقة حمراء خطامها ليف له جوار
الى الله بالتلبية يقول الله جل من قائل لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون نهي تضرعوا
عند معاينة الهلاك بالعذاب فلا تنفعهم توبة ولا تضرع وانما تنفعهم التوبة ويتداركهم

الله برحمته حتى تبليغ الرسول اليهم ما انزل به فان ردوه وكذبوه واعرضوا عن تذكير
ربهم اليهم فهو العاب ووجب ذلك الاعراض عنهم والخذلان عليهم فكثير الا توفيق
للتوبة فيؤخذون بالباساء والضراء قال الله عز وجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين وربما تداركوا بالتوبة ومن عليهم بالانابة
فضجوا وجأروا الى الله عز وجل واعلنوا بالتضرع فتاب عليهم عند ذلك قال الله
عز وجل ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء اي كذبوا
فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن
قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون الى اخر القصة فمثال مسارعتهم للاستجابة
عند مجيء الرسول اليهم مثال المسارع بالهداية والتوبة عند البلوغ ومثال اخذهم
بالباساء والضراء ليضرعوا وقد وقع عليهم استحقاق العذاب اذ ردهم ذلك التساهل
عن الاجابة مثال ما يكتسب العبد من ضراوات الشهوات وفتح ابواب الفتن عليه بعد عصمة
النشاة وهداية الفطرة وسهولة سلوك سبيل العفاف عليه وكفاية مونة المجاهدة
ومثال ظهور اعلام الهلاك ومعاينة العذاب المعبر عنه بقوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا
ذا عذاب شديد مثال معاينة اعلام الاخرة وظهور ملائكة الموت في سد باب التوبة ثم تبع
ذلك قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا
تهجرون عند عليهم في حال معاينتهم الهلاك ما كانوا يأتونه من التخلف عن الاستجابة والنهوض
القهقرى عن المشي الى داعي ورسله استكبارا منهم عن الحق والقبول لما قوله بمعنى التكبر وهو الاعراض
المبلغ اليهم المثل وعليهم سامرا اي دائما يهجرون الهجر قول الخنا والنكوص الرجوع القهقرى
تركا للاقدام والسامر ايضا الجماعة يتحدثون ليلا ونهارا والسمر ضياء القمر سمي بذلك
لاجتماعهم اذ يسمرون للحديث وهم السمر والسمار وقد يكون الهجر قولا لا يحصل معه كلام المبرسم
وصاحب الهذيان وفائدة ذلك انهم كانوا يتكلمون في القرآن بكلام الخنا على الدوام منهم وربما
لا يحصل وقد قرئ هذا الحرف سامرا تهجرون من الهجران وهو ظاهر في التلاوة يقول انهم
كانوا يعرضون عن القرآن والذكر ويتعصبون بكراهية له **قوله** عز وجل افلم يدبروا القول
ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين القول هنا هو مخاطبتهم بالقرآن وما يقول لهم الرسل ويبلغ
الى اممهم وسياتي تفسير ذلك مشارا اليه بعد في ابتداء الخطاب وجملة قول الرسل اليهم اني لكم نذير
مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويجركم من عذاب اليم هذا وما عبر عنه كقوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي
له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته فاتبعوه لعلكم تهتدون وبهذا ونحو هذا جاءت الرسل الى اممهم من قبل وكان
عسى ان يعرفوا حق ما جاءهم به رسولهم هذا وتتبينوا النذارة فقد كان من قبلهم جاءتهم
رسلهم بذلك فكفروا فاخذهم الله بذنوبهم ولم يكن لهم من دون الله من ولي ولا نصير
ثم اتبع ذلك قوله الحق ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قد كانوا اسمعوه فيما بينهم الصادق
الامين ولم يكونوا قبل عرفوه بالتعلم من العلماء ولا بالاختلاف والرحلة اليهم فكان

بمثابة من تحته ولا يعلم علما من العلوم ثم اصبح وهو اعلم اهل الارض اتبع ذلك قوله
الحق بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض
ومن فيهن كان من اهوائهم ما هو سوى التوحيد والعدول عنه كانوا يدينون بكونه اياه
كان مرادهم وبازالة التوحيد وتفريق الدين لا يبقى هم بما سوى على ما هو عليه كيف وهو
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يرفع القسط ويخفضه
ويمسك السموات والارض وما بين ذلك وكل شيء عنده بمقدار لا والد له ولا ولد ولا
شريك له ولا ظهير خلق السموات والارض وما بينهما بالحق واسس علو ذلك وسفله
على قواعد الاسلام ودفع بناءهن على دعائمه واسلك مقتضى اسمائه الحسنى وصفاته
العلى في ذلك سلوك الارواح في الاجسام واجراه فيه جريان الغذاء في المتغذيات فهذا
هو الحق المبتغى والسبيل القويم المرتضى فلو اتبع الحق اهواءهم لنازعوا الكبرياء والعظمة
ولو صفه بما ليس ولو نازع شيء مع العظمة والكبرياء لقصمه ولو قصمه لم يمسكه ولو لم يمسكه
طرفة عين لتدكدك العالم كله باسره جملة واحدة اتبع ذلك قوله جاء من قائل بل اتيناهم
بذكرهم اي ضرب عن هذا الحق وذكرنا اتيناهم بما هو شرفهم وذكر لغابرهم وسا
لفهم تمكنهم في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونستخلفهم فننظر كيف تعملون
هذا الخطاب المراد به قريش خاصة ثم العرب عامة ثم سائر الاميين من امن منهم وهو
ذكرهم وشرفهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
للجوا في طغيانهم يعمهون ادرج الخطاب وهو الى المعنيين بقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب اذا هم يجأرون غير ان هذا اخبار منه عن فعلهم لو كشف العذاب عنهم وذلك
اخبار عن حالهم لو بدا لهم العذاب كانوا يجأرون حجيرا هم حينئذ الجوار والاقرار بالذنوب
وبانهم كانوا ظالمين وذلك حين لا ينفعهم التوبة ولا يغني عنهم الندم وانما كان
ينفع ذلك قبل المعاينة للعذاب او الموت وهذه الاية اخبار منه عن حالهم لو كشف عنهم العذاب
كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اتبع ذلك قوله ولقد اخذناهم
بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون يريد وهو اعلم بما نزل اوائل العذاب
وقدمه واسبابه ذلك الذي عبر عنها قوله واخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فكانوا اذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه اتبع ذلك ما هو تمام المعنى
قوله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون هذه هي العزمة والمقاساة
وقد تقدم ذكرها ثم رجع الكلام الى معنى صدر السورة من ذكر خلق الانسان قوله وهو
الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة يعدد نعمه عليهم ويعرض بل يصرح
بقلة شكرهم وعدم اهتدائهم واستمر على ذلك بقوله وهو الذي ذراكم في الارض
واليه تحشرون الى قوله وله اختلاف الليل والنهار افلا تعقلون يقول جل جلاله
من له اختلاف الليل والنهار وله ما سكن في الليل والنهار وهو الذي خلقكم وانعم عليكم
وانتم تعلمون ان ما بكم من نعمة فمن الله وله محياكم ومماتكم واليه تحشرون فيجزون بما كنتم

تعملون شريك به سواه او يعدل به غيره لذلك قرعهم بقوله افلا تعقلون اتبع ذلك
بما في معناه معنى ما تقدم في صدر السورة من ذكر الاعادة قوله بل قالوا مثل ما قال
الاولون الى قوله اساطير الاولين قوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم
تعلمون صرف وجه الخطاب الى معنى ذكر شيء شركهم وكفرهم وما عبر عنه بقوله ولو اتبع
الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض المعنى فاستاقهم بالحجة الى ما يقرون بضرورة
ولا يقدرون على انكاره حكى ذلك عنهم بقوله سيقولون ضرورة تجدونها
من انفسهم لم يرجعوا فامر عند ذلك رسوله ان لم يعقلوها بان يقول لهم افلا
تذكرون ان من له الارض ومن فيها ملك له عباد مدبرون بتدبيره ليس لهم
مالك سواه ولا خالق غيره اوجدهم عن عدم افيعجزه جميع ما فيها اذا شاء ذلك فلا
تذكرتم بالنشاة الاولى النشاة الاخرة فقضيتم بصحتها وعلى صحة وجودها
اخرا وعلى القول بالتحقيق فانها نشأة اخرى هذه الاولى اية عليها لكن ليست هذه بل
ملك اشرف واكبر وافخم وابقى واكبر على سنن النشء المعهود في العالم وان النشاة الاخرة
نشات موجودات الاولى وهي نشات كثيرة لكن جارية على سنة وتراخ في التكوين فالنطفة
منشاة عن الماء والتراب والعلقة منشاة عن النطفة والمضغة منشاة عن العلقة
واللحم والعظام منشآن عن المضغة وكونه منشا عن ذلك خلقا اخر نشأ ارفع
القدر لذلك تبارك جل ذكره عن ذكرها وهي خلق الروح والحركة وظهور الصفات
مع ذلك ابدا ثم كونه وليدا منشأ عن كونه جنينا ثم كونه مميزا متكلما يفهم ما يخاطب
منشأ من كونه وليدا ثم كذلك نشات الى بلوغ الاشد الاقصى ثم كونه مؤمنا نشأ من كونه
كافرا ثم كونه عالما نشأ عن كونه مؤمنا فقط ثم كونه صديقا نشأ من كونه عالما ثم كونه
وليا لله جل وعز نشأ عن ذلك كله ثم كونه نبيا رسولا لمن شاء الله ذلك له هكذا هذه
نشآت لهذا الصنف لا تنحصر كذلك لكل صنف وامة من الموجودات لو لم يكن منها غير واحد
لكانت كافية في جواز النشاة الاخرى قال الله عز وجل وقد خلقكم اطوارا واقسم
جل جلاله بقوله لتركبن طبقا عن طبق وهي كلها اطوار ونشآت يوجب الايمان بالاعادة
بعد البدء والنشاة الاخرة بعد النشاة الاولى لذلك وهو اعلم اعقب بقوله فما لهم لا يؤمنون
اي بالحور الينا فافهم رجع الكلام ثم قال قل يا محمد من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون لله فمن اخبر عنهم انهم سيقولون لله قل لهم افلا تتقون رب السموات السبع
ورب العرش العظيم فذلكم الله ربكم الحق فاعبدوه واتقوه الا تخافون من ملك السموات والارض
ان يمسك عليكم نفقة ملكه ويمسك عنكم نعمه ورزقه من في السموات والارض وتسخيره اياها
لكم رياحها ونجومها وشمسها وقمرها وافلاكها ونباتها وحيوانها الى غير ذلك من مخلوقاتها
فيطبق عليكم السماء ويخسف بكم الارض ويامر كل شيء سخره لكم وانعم عليكم ونفعكم به
ان ينقلب ذلك الى العذاب والهلاك افلا تتقون ثم عاد عليهم عز جلاله بالتقرير لهم لو
كانوا يعقلون لكنه حجب عنهم خطابه وحجب عنهم الايمان به وانما خاطبهم بواسطة رسوله لما
وجد اليهم من وجه خطابا ولا راهم اهلا لذلك كذلك حجبهم عن فهم كتابه والفقه عن حكمته

في صنعه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قل لهم يا محمد من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير
ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون فلما اقروا باية الله سبحانه وفي كلها اقروا ضرورة
من انفسهم اجاب بقوله الحق فاني تسحرون اي كيف تغلبون عن هذه الحقايق الى اباطيلكم
اتبع ذلك قوله الحق بل اتيناهم بالحق يعني الكتاب والنبوة وانهم لكاذبون في قولهم
المعاند للحق وصفهم رب العزة جل ذكره بالانداد والاولاد والصاحبة والمثل
ومالا يجوز في تعاليه وهو مستحيل في صفته العلي واسمائه الحسنى لو كان ما قالوه تعالى
الله عن ذلك لوقع التناسخ والتناحر والتمانع واعلا بعضهم على بعض سبحانه وله الحمد
قوله عز وجل حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون قوله رب دعاء منه
الواحد لا اله جل ذكره وقوله ارجعون خطاب للملائكة الموت يقول الله جل جلاله كلا ليس كما
يظن انها كلمة هو قائلها اي لا بد من الندم على ما فرط منه فسال الرجعة لاجل ذلك فلا
ولا تمكن من ذلك قال ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون نسمي الدار الحق برزخا اذ فيها
من الدار الاولى ومن الدار الاخرة كالعشيتين في كل واحد منها بقية الليل ومقدمة النهار
وكبرزخ البحر وهو من نكض العذب والمالح منه وكالخسف بين السهل والجبل فيه من حزن الجبل
وسهولة السهل وهي مدة لبثهم في التراب بعد الموت لما فيها من عذاب الدنيا وما ينشؤا اليه
في تلك لانها احق حقيقة في النعيم والعذاب من هذه كما ان الدار الاخرة احق حقيقة من هاتين
دار الدنيا ودار البرزخ والبرزخ مختلط السنين لبرزخ البحر واختلاط النهار بالليل
غير ذلك من الموجودات ومعنى قوله جل قوله ومن ورائهم لمكان الى الدنيا وجوههم والى
الاخرة ظهورهم صلح ذكر الوراء في هذا الموضع الا ترى انهم قد يحصل لهم العلم بما قد مضى
وما هوات فهم به جاهلون والامام مضاف اليه علم والوراء بالضد ولهذا اكثر ما ياتي هذا
الخطاب بذكر الوراء ولا احب للاخرة العلية **فصل** قال الله جل من قائل رب اما
تريني ما يوعدون المعنى يخاطب في ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه واقتدوا به
داخلون معه في هذا الامر وقد كان ذكر الكفار مشركيهم والذين قالوا اتخذ الله ولدا تعالى
الله عما يصفون ومنكري البعث الى غير ذلك من اصناف الكفرة والضالين ورد عليهم
بما تقدم ذكره في اثناء السورة من اثبات الوحدانية والنبوة وتخليق النشاة الاخرة والاعادة
بعد البداية ثم قررهم على كفرهم بما هو محصل في ذواتهم خلاف الذي هو الحق ثم تبرأ
من جميع ما نسبوه اليه وسبح نفسه جل وعز عن ذلك وتعالى علوا كبيرا عن افترائهم ثم قال
على اثر ذلك قل رب اما تريني ما يوعدون اي من الهلاك في الدنيا والعذاب في الاخرة
فلا تجعلني مع القوم الظالمين ثم اعقب ذلك قوله الحق وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون التي هي احسن الصبر و
هو ما ظهر من خوضهم وهجرهم وقد يكون معنى ذلك اعبد ربك وادفع سيئاتك بحسنات
تتبعها اياها كما قال فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ثم الى قوله ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين ثم قال عز من قائل وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ

بك رب

بك رب ان يحضرون من همزات الشياطين ما ينسبون الى رب العالمين من قبيح افترائهم
وعظيم ما ياتون به من العناد لك ويعث في روع ونحوه هذا وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول رب اعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه ونفخه فهمزه ما يلقيه
الى العبد مما يستعاذ بالله من شره ونفثه ذلك في الروع والصدر ونفخه هو كبره
وما يزينه ويبعث عليه من ذلك ثم قال جل قوله واعوذ بك رب ان يحضرون يعني
والله اعلم بما ينزل الشياطين والكفار من الانس وهم الذين يحضرون المحتضر قبيل
الموت وهي ذوات لاهل الكفرة والشياطين وهم الذين يبعثون مع الدجال لعنه الله
من هؤلاء وهم الذين يدعون الناس الى الدجال يبعثون على صور الاباء والامهات
قال الله عز وجل في فرعون واله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجعل اكلة الربا في سابلة آل فرعون في سيرهم الى النار غدوة وعشية
فيتردونهم بارجلهم قال عز وجل الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة
يقول لا تاكلوا الربا فتربوا بطونكم في البرزخ على ذلك اضعافا مضاعفة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورايت ناسا بطونهم امثال البيوت فيها الحيات ترى من ظاهر
بطونهم فقلت من هؤلاء فقيل اكلة الربوا والمراد بهذا كله انهم ذوو ذوات وانفس
يتعارفون بينهم والانسان مخلوق من مزج ملكي وشيطاني كذلك جعل له قرين ملكي وقرين
شيطاني فمتى اطاع الملك نسب في البرزخ الى الملك وقرن بقرين من الملائكة قال الله عز وجل
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الى قوله
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ومتى اطاع الشيطان نسب في البرزخ الى الشيطان
فيبعثون مع الدجال لعنه الله ويبعث منهم شياطين في صور الانس ويبعث الحزب الصالح
ملائكة على صور الانس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث مع الدجال ملكان يشبهان
بنبيين من الانبياء الحديث فامر الله جل ذكره نبيه وعباده المؤمنين ان يتعوذ من همزات
الشياطين في الدنيا ومن ان يحضروهم عند الموت **قوله** عز وجل فاذا نفخ في الصور
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون نقص الرحمن جل جلاله رحمة الرحمانية ولم
يعد برحمة اسمه الرحيم وبقي الخليقة غير المؤمنين لا انساب بينهم ولا رحم لذلك كما
يضع الحوامل ما حملن ويذهل المراضع عما ارضعن ويفر المرء من اخيه وامه وابيه
وصاحبته وبنيه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقون يتصل لهم الا رحم النسب
يرحم التقوى برحمة الرحمن الرحيم فيتاكد الخلة بينهم ويشفع بعضهم لبعض وينفع
بعضهم بعضا فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن يوزن لهم وزن ظفر
ويحاسبهم حسابا يسيرا ومن خفت موازينه يوزن لهم وزن عدل ويسوء لهم سوء
الحساب مناقشة ومداقة ثم يعذبهم لا بد ولا محالة اولئك الذين خسروا انفسهم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب هلك اتبع ذلك قوله جل وعز تلفح
وجوههم النار وهم فيها كالحون المكلوح تتقلص شفاه وانحسارها عن موضع الاسنان

جعل فيها حسنها قبل قال الله عز وجل ويوم القيمة هم من المقبوحين لما لم يوجهوا
وجوههم لله فطرهم ولا اسلموا اليه لم يجعل لتلك الوجوه حرمة ولا قضى لها بصيانة
يسحبون في النار على وجوههم ويضرب الملائكة بالمقامع وجوههم وادبارهم
ويغشون عليها وتشوه بهم نعوذ بالله من عذابه ومن دوك الشقاء ومن سوء ما تقدم
به المقادير **قوله** تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين السؤال على مقدار لبثهم
يقتضي معنيين احدهما ان يكون عن حلول حياتهم في الدنيا والاخرة ان يكون سؤالا عن مقدار
لبثهم في التراب حال الموت في البلاء اشار الى الوجه الاول بقوله عدد سنين واشار
الى الوجه الثاني بقولهم لبثنا يوما او بعض يوم فاسئل العادين اجيبوا ان لبثتم
الا قليلا في حياتكم الدنيا لو انكم كنتم تعلمون اي ما خلقتم له فعملتم لهذا اليوم وعن الوجه
ان لبثتم اي في البلاء الا قليلا لو انكم كنتم اي في الدنيا تعلمون بما اعادتكم الينا فتؤمنون
به وتعملون للعاقبة ومعنى قولهم لبثنا يوما او بعض يوم ان كان جوابهم عن بقائهم
في الحيوة الدنيا فاليوم المعنى قد يكون الف شهر او خمس مائة سنة او الف سنة وهذا
ممكن فانه من مات في بعض النهار واحيي ليلا ظن انه ما بقي في البلاء الا من وقت موته
من النهار الى مثله من اليوم الذي يقول الله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم
الينا لا ترجعون فكان هذا جوابا عن كلى الوجهين العبث كل فعل ليس بمحكم ولا الحكمة
والحكمة هنا هو ما خلق عليه اختلاف الليل والنهار ومجارى الشمس والقمر والنجوم والكواكب
والافلاك وجميع ارجاعه اوائل الحكمة على اواخرها وكذلك جميع ما سخره لعباده من نفعهم
لهم ودفعه عنهم وشهادة له عز جلاله على ما اوجب الايمان به ما خلق الله شيئا دق
او جل الا لحجة بالغة وحكمة ظاهرة او باطنة ونعم سابغة دلالات على ما هو آت
من الحق الذى يظهره من حكم الاخرة خبا في هذا خبأ وابطنه فيها ابطانا **قوله** تعالى
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون البرهان
الوثيقة والشيء المستوثق به وانما يكون البرهان ظاهرا لعباده المخلصين يقول الله عز
وجل اني لا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذى يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولا يحزن لمن وراءه كل ما جرى
ولئن دعاني لاستجيبن له ولئن سالني لاعطينه فوقوف العبد بحقيقة من يعين
على ما فطر الله عليه المفطورات هو البرهان وهو الموثق وفي الارض ايات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه
لحق مثل ما انكم تنطقون يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا
فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل هذا للبرهان ويهديهم
اليه صراطا مستقيما هذا للايمان يهديهم ربهم بايمانهم وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخل الجنة من امتي سبعون الفا وسبع مائة الف مع كل الف سبعون الفا وسبع مائة الف

لا حساب عليهم وقال صلى الله عليه وسلم من قال اذا اوى الى فراشه اللهم اني وجهت
وجهي اليك والجأت ظهري اليك وفوضت امري اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ
ولا منجا منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبنبيك الذي ارسلت انت الهي لا اله الا انت
قال فان مات من ليلته مات على الفطرة وتقدير نظم الاية والله اعلم بما ينزل ومن يدع مع الله
الها آخر لا برهان له به اي لا يوثق منه بولاية ولا امان ومن لا برهان له به فانما حسابه
عند ربه لمفهوم هذا انه من كان له برهان فلا حساب عليه ثم قال انه لا يفلح الكافرون
اولئك يئسوا من رحمتي ثم البرهان يدق والموثق يخفى ويدق في اهل المحاسبة حتى يكون
ادفعهم من يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا وادناهم من يخرج من النار لانه قال
بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون **فصل**
قال الله جل من قائل قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون والذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون نظم هذا قوله جل ذكره وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون
الى قوله سابقون ثم ذكر في اثناء اياته في الخلقة والاعادة بعد البداءة واياته في السموات
والارض والحيوان وجميع الموجودات ثم اياته في الرسالة والنبوة والمرسلين والمرسل اليهم
واياته في من كذب فهلك وفيمن امن فنجا الى قوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون ثم تداخل الخطاب والتبس بعضه على بعض لتداخل المعاني وابتناء بعضها على بعض من
محاجة وجدل وتبيان فرق وتعداد نعم الى قوله بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا اذا كنا
ترابا واباؤنا ثم رد قولهم بما اضطرهم الى الاقرار به وكسر حججهم بما تناقضوا في مذهبهم
وبين تكذيبهم انفسهم بسوء معتقدهم ثم تنزه العلي الاعلى عن قبيح افترائهم وبعد هذا
امر نبيه عليه السلام بالتعوذ من الشيطان الرجيم وهمزاته وشنيع ما يلقيه الى قلوب وليائه وعظم
كفرانه وامره مع ذلك بالتعوذ من ان يحضروه عند الموت وفي دار البرزخ واعلم
بحجج الخطاب ان دار البرزخ وما فيها من نعيم وعذاب ومنعمين ومعذبين من امر ممزوج
من معنى الدارين وان اخر حد تلك الدار يوم البعث وان في ذلك اليوم يتحقق ظاهرها بين
وباطنها ويجتمع الى ما هنالك والله اعلم بالحساب وثقل الموازين وخفته وذكر اهل النار وحججهم
ثم ذكر عباده المخلصين الذين بر بهم في صدر السورة وساذكرهم في اثنائها عن ذكر الضالين والمكذبين ثم ختم بقوله
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الى اخر السورة وقرا ابن محيصن رب العرش الكريم بالرفع وصفا له جل جلاله

سورة النور مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى سورة انزلناها وفرضناها يقول وهو
اعلم اوجبنا ما فيها عليكم فعلى ظاهر الخطاب جميع ما حوته من امر ونهي وخطاب على وجوه اوجب
ايمانا واختلف منها في قوله واتوهم من مال الله الذى اتاكم اوجب هو اعطاء المكاتب بعد قضاء
كتابته ام لا والا وجه ان يكون واجبا اعطاؤه وانما انزله الى معنى الندب من شبهه بالمتعة
للزوجات ممن لا يرى المتعة على المطلق فرضا على المطلق فرضا وعموم قوله في سورة انزلناها
وفرضناها بينا قيل جميع ما فيها في لحاق الفرض والوجوب دون استثناء **قوله** تعالى وانزلنا

فيها ايات بينات لعلكم تذكرون هذه الايات من لدن قوله الله نور السموات والارض الى قوله
لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو القران العظيم وكذلك
نبه عليه وهو اعلم وسنذكرها على نسقها ان شاء الله والسورة كلها ايات بينات والقران
كله كذلك وقد تقدم الكلام فى قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة الاية قوله تعالى
بعد ايات الملاعنة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى الستر والامهال وان الله تواب حكيم
تعرض بالتوبة ليتقى وهو اعلم لعاجل الجانى بالعقوبة او ماكان فى معنى هذا الحكم فى صنعه وحكمه
بين عباده قوله عز وجل ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الافك الافك القلب واصله
من التافيك افكت الشىء قلبته ومن ذلك المؤتفكات مدائن قوم لوط عليه السلام وهذا قلب
من الحق الى ما ليس به وهو الكذب ومنه قوله عز وجل ويل لكل افاك اثيم يسمع ايات الله
تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها فبشره بعذاب اليم واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا
فهذا قلب الحق باطلا والجد والقول الفصل هزوا والعصبة ما بين العشرة الى الاربعين ويقال
لما دون العشرة عصبة وما كان اقل من عشرة فهم نفر وقال فى الذين جاءوا بالافك عصبة منكم
ولم يخرجهم من جملة المؤمنين وقال عصبة ولم يسمهم وهو المحيط بعلمهم كذلك فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اكثروا فى ذلك ومضت لذلك مدة فصعد المنبر وقال من يعذرنى فى اهلى
وابنوهم بما ليس فيهم الحديث ولم يسم احدا حتى قام سعد بن معاذ فقال اخبرنا بهم يا رسول الله
فان كانوا من الاوس ضربنا اعناقهم وان كانوا من الخزرج امرتنا فيهم بامرك ففعلناه وقد
بينهم خلاف ولم يسم احدا وهذا هو الورع والادب قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن
المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وصرف وجه الخطاب الى المؤمنين الذين كانوا يصغون
الى خوض الخائضين فى الافك ليتقى هلا اذ سمعتموه ظننتم بالمؤمنين خيرا فصرفتم عنهم
قول السوء وقلتم لانفسكم ولمن يسمعونه منهم هذا افك مبين انعقد العقد فى المؤمن انه
مؤمن حق فلا يخرج عن ذلك قول قائل وان كثرت المقالات الا بمعاينة واقرار منه ثم ان تحصل
المعاينة فيتوجه حينئذ وجوب الستر عليه للمؤمن والنصيحة له فيما بينه وبينه ثم ان تحقق منه عصيان
فوجب عليه حد من الحدود اقيم عليه ومع هذا فلا يخرج من المعهود منه الذى هو الايمان الا الردة
ونهى المؤمنين عن التجسس والتجسس حتى اتفق اربعة رجال عدول عثروا على زانيين
الفرج فى الفرج وعاين كل واحد منهم ذلك عيانا لا شك فى المشاهدة توجه عليهم دار الشهادة
عند السلطان ان حضر رابع يرفعها اليه سواهم والا كانوا فى موضع الحاجة الى من يشهد لهم بتحقق
ما رفعوه وذكروه عنهما هكذا هى حرمته من حيث هو مؤمن ليتقى الله جل من قائل لولا جاءوا
عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكافرون قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة اعلمهم جل ذكره بنفسه ما سبق لهم فى القدم من
فضله ورحمته لولا ذلك لاصابهم مثل ما اصاب الذى تولى كبره قيل هو عبد الله بن ابى بن سلول
المنافق وعطف بالواو فى قوله لولا فى هذه الاية وفى التى نزلت فى المتلاعنين المراد بالواو
معطوفتا فيهما عطف الحكم فيهم على الحكم الذى جعله بين العباد بعضهم مع بعض ليتقى الله جل من قائل
مخاطب المؤمنين اذ يلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اذ هنا منتظم باصابتهم

اياهم

اياهم بعذاب لولا رحمته وفضله عليهم ثم قال وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
اعلم جل ذكره ان احدا لا يا خذ فى عرض اخيه الا عن جهل بقدر ما اتاه من ذلك
والمؤمن حرمة من حرمات الله تعالى فذلك عنده عظيم يقول جل جلاله لولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا هلا تورعتم عن التورط فى مثل هذه العظيمة اذ جهلتم
مقدارها قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم سبحانه وله الحمد فى السموات والارض
كما قال فى شانه العلى الكبير سبحان الله عما يصفون مولى القوم منهم ولما كان المؤمن عبد الله
جل ذكره وهو العزيز الجبار الرفيع الدرجات كان الله المتولى الاعلى وعبده الاسفل
عرض هذه الحماية قال الله جل ذكره لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء اى يعنى الموالاة والعبودية ويقول الله جل جلاله
ابن ادم مرضت فلم تزرنى وجعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الى قوله اما انك لو فعلت
كذا لعبدى فعلته بى ويقول جل جلاله انى لا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب عليه ذكرى الا كنت
سمعه الذى يسمع به الحديث ومن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال
لجعفر انت منى وانا منك وقال اسلها لعلى وقال لاسامة انت سيدنا ومولانا يعنى والله اعلم المؤمن
هو من ساداتهم ومولانا يعنى النبى وبيته اتبع ذلك قوله جل قوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ان كنتم مؤمنين موضع الموعظة هنا هو اعلامه اياهم بقرب المؤمن منه ومنزلته عنده فمن كان
مؤمنا فلا يصغى لمثلها بعد هذا ولا يشايع فى ذلك فانه قد جاء فى الثابت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال مبلغا عن ربه عز جلاله من اذى لى مؤمنا فليأذن منى بالمحاربة وفى مفهوم
قوله ان كنتم مؤمنين عزله عن منزلة المؤمن المطلق كما قال لا يزنى الزانى حين يزنى
ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب الحديث اى ليس بالمؤمن المطلق عليه
اسم المؤمن الذى يحميه الله هذه الحماية فانه قد جاء عن ابى ذر رحمه الله عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال جاءنى جبرئيل فاخبرنى او قال بشر امتك انه من مات لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة وان زنا وان سرق قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا
وان سرق فهذا مؤمن مقيد اسم الايمان عليه معرض للحدود وكوقوف للمخافة الا
ان يعفو الكريم بفضله اتبع ذلك قوله ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم الايات
المشار اليها هن ما تقدم ذكره وما كان من معنى ذلك والله عليم بما ينزل حكيم فيما
يحكم به والصنعة اتبع ذلك ما هو فى معناه ومتمم له قوله ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة فى الذين امنوا اى لانهم امنوا كما قال وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة هذا منتظم بقوله والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم
ثم صرف وجه الخطاب الى المؤمنين بقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون يعلم بقربات المؤمن من ربه
ومنزلته لديه وكرامته عليه وكيف وبم ولم وانتم لا تعلمون كيف يعلم من قصر همه عن مراد
ربه فى عبده فقصر فى اسهاده واداه واتخذه سخريا وهزوا وطعنا وعلا فيه فعادى به
خصيما مبينا يعتقده ويدعو اليه لكن طنه فى المعنى بذلك ورأى رأيه وما قدروا الله حق
قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون

اتبع ذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا منتظم المعنى بمعنى مخاطبة المقذوف
بالافك قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم
يقول لهم وهو اعلم بما ينزل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم في تحسين الايمان لكم و
تزيينه في قلوبكم وتكريه الكفر والفسوق والعصيان الى انفسكم لكان غير ما يرون من
التوفيق والعصمة وان الله رؤف رحيم كما قال وان الله بكم لرؤف رحيم وكان بالمؤمنين
رحيما **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان المعنى كان الكلام فيما
مضى عن اهل الغفلة من المؤمنين وفي اهل الاذاية لهم فكانت الحماية والمحافظة على ما تقدم
الدعا اليه وهنا خطابه المراد الاول به عموم المؤمنين والمراد الثاني التعريض لاهل
الغفلة الذين قال عز وجل فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اعلمهم جل ذكره
بانه من يتبع خطوات الشيطان فان الشيطان يامر بالفحشاء والمنكر ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة ثم قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم
من احد ابدا الزكوة عبارة عن دخول العبد في السلم كافة وترك المناهي قطعا لامانة
الله وتعقيب ذلك بالتوبة النصوح ثم قال ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع
عليم للدعاء والتضرع اليه عليم بما تعملون عليم حيث يجعل ولايته اعلم بهذا ان
الدعاء اليه وطلب العصمة طريق الى الولاية الكبرى **قوله** عز وجل ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات اي عن طلب معايب للناس المؤمنات هن اللاتي امنت
بوائقهن لعنوا في الدنيا والاخرة ارجع الخطاب الى معنى اية القذف والذي كان اللعان
من اجله والافك اي هذا الوعيد متوجه على الذين جاؤا بالافك ومن تولى كبره دل على ذكره
قوله عز وجل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الى قوله ويعلمون
ان الله هو الحق المبين هو الله الذي لا اله الا هو المتجلي لهم في الدار الاخرة وسمي بالمبين
لانه بين بظهور هنالك هذا الحق المخلوق به السموات والارض الذي هو صراط الاسلام
والايمان فيما ههنا نشوا الى رؤية السلام المؤمن الى لعطا الكبير فاعتمد واعتبر تصب النفس
ان شاء الله **قوله** تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات يمكن ان يكون معنى هذا الخبيثات من المقالات للخبيثين من الرجال فيكون
هذا تعريضا بالذي تولى كبر الافك ويمكن ان يكون المراد بذلك الاعمال ايضا فيكون معنى
الكلام كل يعمل على شاكلته والقول الخبيث والعمل الفسل لا يعلق بالمؤمن الطاهر ولا
بالمؤمنة الطاهرة فيكون المراد الاول بهذا عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل
رضي الله عنه ثم الازكياء من المؤمنين والمؤمنات ويمكن ان يكون المراد عائشة رضي الله عنها
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهل الزكا والطهارة من المؤمنين والمؤمنات ويكون
هذا في المعنى كقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك
على معنى اذ ليس كفو الزاني الا زانية مثلا او مشركة ولا كفو الزانية الا زان مثلها او مشرك
ويتصل معنى هذا بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن دل على
هذا التاويل قوله لا ينكح ولا ينكحها بالرفع ولم يجزم فظاهر هذا الاعلام والاخبار

وقد جاء ذكر التحريم بعد هذا في قوله وحرم ذلك على المؤمنين اي الزنا والنكاح للزناة
والمشركين وجميع معنى ما تقدم قوله اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم
فصل كان من كونه لطفه جل ذكره ان قدر بان يكون الافك في موضع زكوة
وطهارة فكان افكا فوسع العتاب والتوبيخ لمن اصغى اليه والوعيد والتهديد
للذين من ارادتهم شياع الفاحشة وسعص المؤمنين ووسع مع هذا مصداق قول الله جل
جلاله لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
فهو لانه كاذبون ولو جاؤا بالشهداء لكانوا شهداء زور لو كرم المقول فيه وبرائته من
قبيح مقالتهم وبالغ مع ذلك في الموعظة والنهي عن العود الى مثلها والابد في ذلك والاعادة
واندرج حماية سائر المؤمنين والمسلمين في باطل ذلك كما قال ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله رؤف رحيم ثم لا بد ان يكون فيمن دخل في عام الايمان وشمله ظل دين
الاسلام من نزول عن كمال الطهارة والزكاء الى خيانة وسرقة وغير ذلك والله يحب
المطهرين ويحب المحسنين فانزل على اثر ما تقدم ذكره في نحو ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وفي قراءة ابي حتى تسلموا
وتستاذنوا وكذلك كان يقروها ابن عباس حتى يستاذنوا وتسلموا والاستيناس في
اللغة الاستيذان والاستيذان قد يكون بكلام وبتنحنح والاستيناس ايضا قد يكون بان تقول
لمن تراه تدخل على القوم استاذن عليهم ونحو هذا يقال من ذلك آنست وانست بمعنى
رايت واحسست فان الله عز وجل انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست
نارا بمعنى رايت وآنست من فلان كذا اي احسست وقوله حتى تستانسوا اي حتى يروا من
يستانسون به من داخل عليهم ومن اجل هذه الكلمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الداخل
دهشة فابدؤه بالتحية وفي قوله بعد هذا ما يؤيد ما ذهبنا اليه قوله وان لم تجدوا
فيها احدا فلا تدخلوها يريد والله اعلم بما ينزل ان لم تجدوا فيها احدا يستاذن لكم فلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم اي طلبكم هذا وامتثالكم
ما تؤمرون به من هذا هو ازكى لكم ثم اكد الامر بقوله والله بما تعملون عليم قوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم تعرض بالنهي عن التلصص الى مواطن الخيانة
والتسبب بمخايل السرقة لذلك وهو اعلم قوله وهو اعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ويتوجه
ايضا زائدا على هذا ان يكون المراد بالبيوت الغير مسكونة فيها المتاع بيوت الخانات وهي
المخازن يسميها اهل العراق الخانات ويسميها اهل الشام الفنادق وهي بيوت غير
بيوت المحزونين اباح لهم دخولها الى متاع لهم فيها والله يعلم ما تبدون في ذلك كله وما تكتمون
تعريض بوعيد وتهديد ثم ارجع الخطاب الى التوصية بتعاطي العفاف وسد مسالك
النفوس الى مغازلة الشهوات يامر بغض البصر امر اسوا الذكور والايات لانه اطلب
للزكاء واحرى لبقاء ضراوة العفاف وحد المؤمنات من تبيين الحجاب وممن يبدين
زينتهن له والمراد بذكر الزينة هنا والله اعلم الوجه والكفان واستماع الكلام
وتصريف بعض الحركات والقاء بعض الثياب وترك مؤنة التحفظ قال تعالى ولا يبدين

زينتهن الا لبعولتهن او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن او نسائهن يريد والله اعلم نساء المسلمات اللاتي بعضهن من بعض وفي هذا من الفقه لا يبدين زينتهن لنساء اهل الكتاب ولا المشركات فانهن ليسوا من شانهن الا ان يكون اماهن وقد كان السلف رضي الله عنهم يمنعون الكتابيات من دخول الحمام مع النساء المسلمات ويمكن ان يكون المراد بذكر الزينة كالوجه والمعاصم والساقين والشعر والعنق هذه مواضع الزينة والحلي او ما ملكت ايمانهن من الاماء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن يريد الخلاخل والدمالج **قوله** تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون يقول وهو اعلم توبوا التوبة كلها من كل ما يحب الله التوبة منه كقوله يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان **قوله** عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم اراد منه الى قطع الفاحشة من الابتغاء والمخادنة وغيرهم ينكحون ليغنوهم بذلك عن مقارفة الزنا اثم وعدهم بالغنى ان خافوا الفقر ان لم يجدوا طولا للحرائر فلينكحوا الايامى حتى يغنيهم الله من فضله ثم قال عز من قائل والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا الخير المعنى ههنا الديانة والاسلام والكفوة على ابتغاء الرزق في مظنتها لئلا يكون عالة على المسلمين واختلف العلماء في وجوب كتابة وفي ايتاء المكاتب من المال ما يبلغ الى ان يتعلق بسبب رزق الله منه وفي ايجاب نكاح الاماء والعبيد والاتباع اختلف فيه وكتبوا ان ذلك فرض على السادة والاولياء والمتبوعين انكاحهم كل على قدر طوله واستطاعته ومن لم يستطع طولا لما هو لكفوه الى ما دونه في النكاح قال الله عز وجل وبعضكم من بعض يعني المؤمنين قطعا للفعل المحرم وسد الطرق الفواحش وتورعا الى العفة وعلى ايجاب ذلك استفتح السورة في قوله سورة انزلناها وفرضناها ثم قال عز من قائل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ومن يكرههن لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا هذا خرج مخرج التعديد لقبيح افعال الجاهلية لانهم كانوا يكرهون فتياتهم لمكاسب السوء وسفال اليسير فكانت الجاهلية تفعل ذلك فاستاق ذكر ذلك تعيسا وتمقيتا لذلك ثم قال ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور لذنوبهن رحيم بهن كما قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم وضع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فلا اثم على من اكرههن على البغاء **قوله** عز وجل ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات هذه هي التي ذكرهن في اول السورة الى هذا الموضع وفرضهن على عباده واسم ايات عام في الكتاب الذي هو القران لكنه لما ذكر الايات بالعموم نبه على تفصيل ما اراده **قوله** تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين اعلمنا جل جلاله انه قد مثل لمن قبلنا في التعريف كما مثل لنا بمثل ما مثل لهم او بما يقارب ذلك ليتيسر ما في الذكر للمتذكر ونص ان هذا المثل من تلك كما قال وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون فيبين من عليك في تلاوتك مثل من الامثال فتوقف وتدبر واستعن بالله وسل التسديد لاصابة الصواب ففي الامثال العلم وعلى المعرفة فافهم وتبين معاني المعاني التي لم يعهد النفوس لها مثالات ولا سبقت اليها الاشباه فيتمثل بها من المشهودات

مثالات ومن المعهود في الموجودات ما يكون فيه من وصف او صفات المثل الاعلى والعقل يقتضي بالتنزيه الرفيع والايمان فوجب المثل الاعلى للعلي ولولا الفعل لم يعلم الفاعل ولولا الاسماء لجهل الاسم والمسمى ولذلك قال وقوله الحق وما يعقلها الا العالمون ثم قال خلق السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين ورؤية المتقين اعرف في سبيل العبرة من سائر المؤمنين لذلك وهو اعلم قال وموعظة للمتقين وذلك ان روح التقى روح يحيى به التقي حيوة الى حيوة الايمان فلما قابلوا بصائرهم وصفاء موجود بواطنهم اضاء لهم وجود الموجودات بانوار بواطنهم مع استصحاب نيران افكارهم المستمرة بوقود مصابيح ايمانهم الموجود عن خالص زيت الشجرة المباركة شجرة الحق المفطورة عليها خلقهم المخلوق به السموات والارض وما بينهما القائمة بين العدل والفضل الصائبات اصحابهن لا حيث لبس فتنة ولا غربية يكاد زيتها يضيء في صفاء زجاجات قلوبهم لخطير ذكاء ناقب اذهانهم دون نيران الافكار لشدة اتقاد المصابيح الايمانية في بيوت صدورهم واستنارتها لشموس الايمان المشرقة في ذوات قلوبهم وظاهر جوارحهم **قوله** تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المعنى الى اخره وقراها عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة الله نور السموات والارض اي هو الذي نورهن بما جعل فيهن من الايات البينات ونصب عليهن من الدلائل الموضحات وقيل ان معنى اسمه النور الهادي لله نور السموات والارض هادي اهل السموات والارض ومعلوم ان الهدى من افاعيل النور ولو كان معنى اسمه النور هو معنى اسم الهادي لكانا جميعا اسما واحدا واختلافهما معا باسمين متغايرين من جهة التسمية دليل قائم على ان المفهوم من اسمه النور غير المفهوم من اسمه الهادي وان اتفقا في الانبساط على موجودات بعضه كل واحد من الاسمين فلا بد ان يفترقا في سبيل العلم وتفهيم المفهوم عنهما وبما فطن فرق من قرا نور السموات والارض على وزن فعل فمعناه اي نورها بالشمس والقمر والانوار والنيرات وبالهدايات والدلائل البينات وشهادات الشواهد له وتوحيدها وتكبيرها وتحميدها وتمجيدها وقنوتها وعباداتها وتسبيح المسبحات وانباء الكتب والانبياء والنبوات والرسل والرسالات والمصنوعات كلها وجميع الموجودات وهو منور القلوب بالانوار الباطنة ومنور الجوارح باعمال الطاعات ومنور الصدور بالعلوم والفهوم والتدبر والتفكر والعقول ومنور الاخلاق بالمعاني منها والمحاسن وحب ما احبه الله وكراهة ما اكرهه **عبرة** فعلى ما تقدم فهو الذي سمى نفسه بالنور لان منه التنور على التعريف لانها منا ومن المعهود تسمية الشي بما يكون منه وكتسميتهم المقبل بالاقبال والمدبر بالادبار وهذا طريق من النظر ليس بالتحقيق في نور اسمائه جل وعلا والله اعلم بحقيقة ما معاني اسمائه وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال رايت نورا وفي اخرى نوراني اراه رايت نورا قال الله جل من قائل واشرقت الارض بنور ربها وقد وجد في النيرات ايات له ودلالات عليه وقال ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ايتان من ايات الله وهما نيران منيران وعلى قراءة من قرا الله نور السموات والارض فهو اخبار منه جل ذكره انه نور السموات والارض ثم جعل يخبر عن نوره بما نوره فذكر المشكاة والمصباح والزجاجة والبيت وقد تقدم انه من الامثال المضروبة قبلنا مصدقا

لما جاء في بعض الكتب الذي يذكرانها من الكتب المنزلة على من كان قبلنا ان الله هو الحي
القيوم ملأت العالم عزته ووسع السموات والارض كرسيه واحاط بجميع ذلك عرشه
الذي خلا منه الا فيه ولا يحصى من خدامه ولا من جيوشه الا ما شاء جنوده نيران يلتهب اوديته
اللهب جارية قدامه وكل مرغوب من اسمائه جازع من هيبته وحذره المختفي عن الابصار
الغمام ستره والظلام سرادقه والضياء بين يديه والنور امامه وفي مفهوم قوله عز
جلاله الله نور السموات والارض تحقيق التوحيد بنور كل الموجودات قال الله تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض اي بالحق خلقها وما بينهما وكذلك كل ما علا او
سفل الى المنتهى كل ذلك بالحق خلقه وللحق وجده ثم قال عز من قائل وجعل الظلمات
والنور وليس الموجود كله الا ظلمة او نورا او ممتزج منهما وهو هما وكل الموجودات فلا يخلو
ما يلقى فيها انه نور ان يكون ظاهرا كالنيرات وما انارت والوجود الذي الذي هو ضد
العدم فانه لا انصب نورا من الوجود ولا اظلم من العدم والفقدان وباطنا كالآيات والبينات
والشواهد على ما جعلها عليه شواهد ومسالك مقتضيات اسمائه وصفاته من جملة العالم
وانواع الهدايات وما هو الصراط المستقيم فلئن كانت دلالة العقول على فاعلها نورا ان ضده
ذلك الظلام وقد حصلت ضرورة العلم بانه المتوحد بايجاد كل ما دخل تحت الكون فانه
كتوحده بواحد منها ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لئن كانت الاسماء بما هي معرفة
بالمسمى والاسماء معربة عن صفات المسمى الموصوف والمسمى بالاسماء الموصوف بالصفات هو المطلوب
الاعلى الله رب العالمين فما عدا ذلك فهو جهل والجهل ظلام وقد تقدم الكلام في دلالة العقل
على الاسماء واعلام الاسماء بالصفات وتعريف الصفات بالموصوف في غير هذا الموضع مبينا
على حسب طاقتنا وكما هو خالق الخلق لا خالق سواه ورب الارباب لا رب غيره واله كل شيء
لا اله الا هو فكذلك هو النور الاعلى وهو نور النور ونور الانوار اذ انما انارت النيرات
جميعا بنوره واضاءت الاضواء كلها علوا وسفلا بضيائه وجوده العلي وهو الهادي
الى الصراط المستقيم الذي ما عداه فهو الضلال وهو جاعل الهداية هداية وهو هادي المهتدين وهو
الذي لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين فليس الا هو وجودا ونورا هو الاول بذلك
في كل الموجودات والاخر فيها والظاهر والباطن القيوم على كل شيء نوره العلي ممتد لكل نور منه
منبعث لكل نور طبقا عن طبق من لدن العرش العظيم الى المنتهى علوا وسفلا والذين كذبوا بآياتنا
صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم **قوله** عز وجل
مثل نوره كمشكاة فيها مصباح تعبير من المثل الى الممثل به فالمثل هو المشكاة وهو عبارة
عن المفعولات كلها جملة وكما المفعولات موضع الفعل كذلك المشار اليه المشكاة هو موضع المصباح
والممثل به هو النور الاول العلي الذي كل نور فمنه مقتبسة هم درجات عند الله والممثل به فيما
هنالك هو شجرة المخلوق به السموات والارض اصلها ثابت في حيث لا حيث لا شرقية ولا
غربية ولا منسوبة الى ناحية ولا امر سوى انه الحق المبين فتشعبت افنان هذه الشجرة
في اقطار الوجود وعمت عموم الخلق والامر تؤتي اكلها كل حين باذن ربها متى تفكر المفكر
فيها وتذكر المتذكر بها او عمل المقتضى ما امر به كتاب الله وسنة رسوله من الموجود في جملتها

المثبت في اللوح المحفوظ من مكتوبها انت اكلها كل حين باذن ربها يكاد زيتها يضيء للابصار
فيلحق بظاهر الانوار وجلي الضيا وان لم تمسسه نار فكر وتمنع علاج ذهن بترداد الافكار في اثناء
معاناة الاعتبار بذلك يتوقد مصابيح الايمانات في مشاكي علوم الفطر المتوقدة بالمعرفة في زجاجات
القلوب التي الواح اجوابها ذوات الصدور وكل ذلك بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح
له فيها بالغدو والاصال رجال لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة الى اخر المعنى مواقع ابصارهم مجال بصائرهم من الامان والوجود كله ساطعة بضياء
المعرفة وبواطنهم بنور الايمانات عامرة نيرة ومصابيح الايمان في قلوبهم الزجاجية رقة
وصفاء والكواكب الدرية تتوقد في مشاكيها بزيت الشجرة المباركة الزيتونة ليست شرقية
ولا غربية ان ربي على صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله
تصير الامور **قوله** تعالى في بيوت اذن الله ان يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال
الى اخر المعنى انه وان كان ظاهرا ما ذكره من البيوت المأذون في ترفيعها هي المساجد لذكر المصابيح
والزيت والزجاجة والمشكاة فانه على ظاهر اول ما تلاه علينا جل ذكره من قوله نور السموات
والارض ذكر عام في السموات وفي الاجساد وفي القلوب والصدور وكذلك النور عام ذكره كما تقدم
في النيرات والهدايات والانبياء والرسل والملائكة والعلم والشرايع والكتب فتاويل البيوت هنا
على هذا النظر السموات والارض وما علاها الى ما شاء الله تعالى قال الله عز وجل ان الذين
عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها مقدار شبر الا وعليه جبهة
ملك يسبح الله ويكبره ويهلله الحديث وجاء عنه في الارض كذلك فهذه بيوت اذن الله ان
يرفع ويذكر فيها اسمه يسبح بفتح الباء له فيها بالغدو والاصال وقال الم تر ان الله يسجد له من في
السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وقال وان من
شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا كله من نوره الذي بطن وسيظهر في الاخرة
ثم الزجاجة على هذا التاويل هي الواح الاجواء ما علا الى المنتهى وتاويل الشجرة المباركة على هذا
هو ما خلق الله به السموات والارض من الحق وجعل هذا الحق المشار اليه المعبر عنه الى ما هو الله الحق
المبين المحيط بكل ذي وجود اوله واخره وظاهره وباطنه ومن ذلك جامع ما وجب الايمان به
كلها وقد تقدم في اسم الشهيد الى ذلك بطريق وانه كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير واشهد ان الجنة
حق وان النار حق وان الصراط حق وان الحوض حق وان الميزان حق هكذا على استواء
ضروب الشهادات كلها فكل ذلك من الحق الذي خلق الله به السموات والارض وكذلك جميع
ما شرعه لعباده ليتمثلوه فهو من ذلك شهدت له بذلك شواهده وعنونت به عنده كتبه
واعربت به رسله وشواهده وبيناته وكل ذلك من الحق المذكور وهو الموجود عن اسمائه
ومعاني صفاته اسلك ذلك كله فيما خلقه سلوك الارواح في الاجساد واجرى حقايقها في
براياه اجراء الاغذية في الاجسام ثم الزيت على هذا التاويل هو ما يثيره للاذهان ويستخرجه للافكار
بترداد الاحكام وان الله تبارك اسمه وتعالى جده لما علم ابانا ادم عليه السلام الاسماء كلها

وهي كالمشكاة للانوار والاضواء الموجودة في الوجودين العالم والكتاب اظهرها في قلبه علما
وفي النبوة نورا من فانبأ الملائكة بما اذن له من ذلك ان يظهره على لسانه انباء وشهادة وجعل
ذلك في بواطن بنيه فطرة وعسا بشهادته عليه السلام على ما قدره في حكم لتناسل كذلك كما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله وكتب في الذكر كل شيء وخلق كل شيء فقدره تقديرا
يعني جملة العالم المتقدم ذكره في صدر هذا الكتاب المخلوق لا في مكان ولا زمان ولا يحيط به
طرف اذ قد جاء المكان في وجوده والزمان والظرف انما يحيط بامر الله قدرة وعلما
وايجادا وحفظا لا غير ذلك اوجد عبدا مربوبا على صورته في احسن تصوير واكرم
تقدير اسلك فيه معاني اسمائه وصفاته وركبه على مقتضيات ذلك جملة وتفصيلا الى
هو الانتهاء اليه من الحق الذي قدره كذلك خلق الانسان وقد تقدم ذكر ادم عليه السلام وابطن فيه
علم الاسماء في باطنه ويظهر الانباء بها على ظاهره الا وقد خلقه بها تقول الله جل من قائل
قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فاتصل باطن
العبد الجزئي بظاهر الوجود الا ترى كيف نزل علينا كتابه وشرع لنا شرايعه على مقتضى ذلك
وباستعمال التفكر وترداد التذكر بواسطة التوسل الى ممسك عصم الاصبات والاستعانة
بمالك الملك يستخرج من عنايات الفطر معرفة السر المكنون في العالم الكلي فافهم فهمنا الله
واياك عنه انه قريب مجيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا للحبلة الكرم وانما الكرم
قلب المؤمن ثم توجيه قوله في بيوت اذن الله ان ترفع بانها القلوب هو ما انزله من امره
وشرعه لها في شرعته التي يسلك عليها في سبيلها اليه ان ترفع عن الشكوك والتكذيب وانواع
وضروب الجنا والعقد على فعل الفحشاء والمناكير كلها وانواع البغي كما اذن لبيوته التي
هي المساجد في الارض ان ترفع عن التمليك والاقرار وغير ذلك لتذكر فيها اسمه تسبح له
فيها بخفض الباء بالغدو والاصال رجال ثم معنى اخر بكون الشجرة المباركة على الاعتبار
بان البيوت هي بواطن العباد هو الرسول الاتي بالبينات والهدى والوحي الذي جاء به من عند الله
ستوقد بمصابيح الايمان في قلب العبد الزيت عمل المصباح الذي يوقد كذلك في سنة الرسول
عليه السلام عمل الايمان بواسطة الاسلام وتلك مادته التي بها يضيء وعنها يكون منه ما يكون
بمنزلة النور قد من المصباح والمصباح لا يضيء الا بانارة جعل الله جل جلاله ذلك لها اية منير
على معالم كريم من معرفته فيما هنالك وما هنا كذلك القران هو القائم للايمان مقام الشمس
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة القمر والعلماء بمنزلة النجوم فكما ان الشمس لا فعل
لها فيما يوجد عنها وانما الفاعل على الحقيقة هو منورها وجاعلها سراجا يستضاء به
كذلك القران والسنة ان كانا من عند الله هما للايمان بمنزلة الشمس والقمر والنجوم
الحق ليس ابانفسهم بمنيرات لنا بل بامداد من الله وايجاد وامساك من عنده كذلك
القران والسنة بل يكونا عمى في حق قوم وهداية في حق اخرين كالشمس والقمر والكواكب
ينفع الله بضياء منها قوما ويضر قوما وفي بعض الاحايين ويمنع الابصار بها العميان
من عباده ويضل بها من يشاء يشركون بها وعلى حال ففي القران والموجود الخبر اليقين فافهم
وكذلك الجوارح انوارها باعمال الطاعات لله بها يضيء باطنا في الدنيا ويظهر الله ذلك عليه

في الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون من اثار الوضوء يوم القيمة
وقال تبلغ الحلية من المؤمن مبلغ الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته وتحجيله
فليفعل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اجعل لي نورا في قلبي
ونورا في صدري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا
في عظمي ونورا في مخي ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا عن يميني ونورا
عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي ونورا من امامي ونورا من ورائي
اللهم اعظم لي نورا واجعل لي نورا في اخرى واجعلني نورا وضرب مثلا لاعمال
من لم يهده الله لنوره وهم اهل الكتابين والمنافقين بقوله والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا اي مقبولا عند الله اذ لم
يكن بامره ولا على سنة رسوله ووجد الله عنده بحرابه فوفاه حسابه على سوء اعمالهم
الكتاب والمنافقون هم الاخسرون اعمالا يحسبون انهم يحسنون صنعا وهم في
الضلال المبين فهم على ذلك العاملون الناصبون لهم على ذلك النار وسوء المصير يقول مثل
عملهم كمثل تراب بقيعة من الارض قد اكتنفتها الجدائب وقد استحرت الشمس فانحرت
الابخرة من الارض في ذلك المطمئن فاكتنف القيعة ما احاط بها من المرتفع ولم تتمكن الرياح
ان تبدد تلك الابخرة وكنفت عن ان ينفذها حر الشمس وذهبت شعاعها فيلحقها
بما يصعده منها ولمقابلة الشمس تلك الابخرة في مسامتتها من الحر وتحريك الرياح اياها ادنى
حركة اشبه لونها البخار لون الماء في البعد لقربه منه في الغلظ والرقة الذي يكون في مقابلة
الشمس لم يبرق الماء وحركته حركة الماء فيظنه العاطش ما يقصده لشفاء علته فاذا جاءه لم يجد
شيئا اي لم يجده شيئا اي لم يجده ماء لانه نفذ بصره فيه كفيه فمثل الله جل ذكره اعمال
المنافقين والمرائين واهل الكتابين بهذا ذلك لضلالهم عن الرشد وافلاسهم من النور
الحق فاذا كان يوم القيمة يقول الله عز وجل ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد
شيئا الا اتبعه حتى يجعل في جهنم ويبقى هذه الامة فيها منافقوها وغبرات اهل الكتابين
فيلقى الله جل ذكره لهم ما يبغون فيقولون عطشنا يا رب فاسقنا فيشار لهم الى جهنم
كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيقال الا تردون فيشيرون اليها سعيا ويردونها وهي جهنم
هذا قوله فاذا جاءه لم يجده شيئا الاية ثم ضرب مثلا اخر لاعمال الكفار واحوال بواطنهم
بخالص الظلام المصاحبة لهم بقوله الحق او كظلمات في بحر لجي فهذه ظلمة الليل في البحر مثل ذكره
لعدم الهداية مع خطر الحال لا يجد من يساله عن هدايته ولا بما يهتدى به ثم قال عز من قائل
يغشاه موج فاعلم بهذا ان اللجو مغتنم والبحر قد اعلم تعريضا بظلام الكفر والشك
الاهلاك ليس لمن هو من نور ربه في مثل الهواء الصافي المشبه بالزجاجة كالكوكب الدري بما
انارته الشمس الصاحية وفي قوله تعالى يغشاه موج اي يغشى هذا الغريق في البحر في الليل المظلم
موج لاجل اغتلام البحر وخص البحر بالذكر لاجل كثرة ولانه مهلك ولا سيما لمن هو في غير سفينة
من ربانه وعلمه وعلمه بجملة فيها ثم قال عز من قائل من فوقه موج الموج الذي يغشاه موج
من غيره من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ظلام الموج الذي يغشاه ظلام الموج الثاني الذي

يكون في البحر عن موجود النور وعصوف الرياح بين ظلام الليل مع ظلام الجو من السحاب الذي
غشيه فهذه ظلمة السحاب التي تميل البحر وتحول دون انوار الكواكب وبياض السماء وظلمة
الليل التي لا يكون معها شمس وعصوف الرياح وتحريك الموج واصطفاقها يعلوا ويعلو
بعضها بعضا شبه ظلمة الليل بظلمة كفرهم وستر السحاب السماء بالافلاس من الهداية
وتحقيق الضلالة في حقهم وغشيان الموج اياه بترادف الغمر عليهم من ظلمة كفرهم وظلمة طبعهم
المحيلة لهم عن هداية فطرتهم الى ما يكون مع ذلك من فتن وغرور وتزيين ما هو فيه لها
نفسهم من خواطره وتوادع همهم وبواعث الاستواء اليه وتوزهم الشياطين الى ضلالهم
ازا وتزعجهم اليها ازعاجا فيخرج هم باخراج يده معرفة بما هو فيه من هلكته وشعور
بعلم حاله لم يكد يراها ومعنى المقاربة هنا هو عبارة عن علمهم اللازم قلوبهم ضرورة متى
سالتهم عن خالقهم قالوا الله من رب السموات السبع ورب العرش العظيم قالوا الله من بيده
ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه قالوا الله من المنعم من الرازق من الدافع من يحيي
قالوا الله فقوله اذا اخرج يده لم يكد يراها عبارة عن علمهم هذا الكلام ينتفعوا به لانهم لم يعلموا
الحقيقة معنى اراد ان يخرج يده بعدها لم يخرجها ولم يكد يراها اعلم بها ولم يقارب في ذلك كله
قال عز من قائل ومن لم يجعل الله نورا فما له من نور **فصل** انه تبارك وتعالى لما ان
كان قد خلق من شاء من خلقه في الظلمة فقد جعل له نورا في فطرتهم كما جعل للآخرين بحكم
الفطرة ايضا لكنهم اخرجتهم اعمالهم باذن ربهم من نور فطرتهم الى ما خلقوا فيه من
ظلمة وانه وان كان خلق آخرين في النور فقد جعل لهم ظلمة من امشاج خلقتهم واغذيتهم
في حال كونهم اجنة في بطون امهاتهم ثم من اغذيتهم في نشاتهم ثم من عقلائهم المستصحبة لهم في
تقلبهم ومثواهم لكنهم اخرجهم عنها باذن ربهم ايمانهم وتصديقهم واعمالهم التي هدوا اليها وذلك
من نور الله فيهم ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وضرب مثلا آخر لنوره بما للموجود
في الموجودات فقال الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه
انظم معنى هذا بوصف نوره في السموات والارض فذكر في صدد المثل نوره الظاهر الذي في السموات
والارض من النيرات والمصابيح وعرض بالزيت والشجرة ثم قال ويضرب الله الامثال للناس والله
بكل شيء عليم ثم نظم بذلك له هذا الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض لاية ثم ضرب مثلا آخر لبيان
نوره الحق في السموات والارض بقوله الحق ولله ملك السموات والارض مفهوم هذا افتعدوا
عليه ملكه ويشركه في ملكه عبده هذا النور المبين والضلال منهم عنه بعيد عن الهداية ثم قال
عز من قائل الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج
من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد يعني وهو اعلم بما ينزل السحاب الدهم كالجبال
مسخرة بين السماء والارض ممسكة عن الهواء ينزل منه البرد يصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار تعرض بذكر الفلج والفلج برحمته وان باختصاصها
تخلص برحمته ما شاء يعني الفلج من المعنى النادي الذي خالط الجو وما زج الهواء فيكون
عنه البرق والرعد آيات على زمرات جهنم واخراجها اعنابها لاهل الحق ثم قال وقوله
الحق يقلب الله الليل والنهار اي حرورا وصرا وطولا وقصرا ان في ذلك لعبرة

لاولي الابصار اتبع ذلك قوله معليا بان ايجاده الموجودات من نوره في السموات والارض وعن
فيح رحمته مع ما مازجه بفيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها فقال والله خلق كل دابة
من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق
الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير اتبع ذلك قوله الحق لقد انزلنا آيات مبينات
انوار بنور الله العلي نورهن لبصائر المستبصرين وآية على ما اخبر به تنهر عقول الناظرين
وتدحض حجج المبطلين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم نص بهذا على ان الهدايات كلها
عن نوره العلي كور ذكر انزل الآيات المبينات اثر ذلك والله اعلم انه لما كان النور منه ظاهر
ومنه باطن والكافر به ضربان منافق وكتابي والآخر كافر محض كرر ذكر ذلك اول الخطاب
واخره اتبع ذلك بذكر المنافقين الذين جرى ذكرهم في اول قصة الافك الذي تولى كبره
ومن تبعه منهم فقال جل جلاله ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق
منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم
ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة اي تعرف ظاهرها معنى ذلك ان يكون من المعروف لا
المنكر ويومن باطنها ان الله خبير ببواطنكم عليم باعمالكم ثم امر بطاعة الله وطاعة
رسوله واولي الامر من المؤمنين **قوله** تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ثم قال ومن كفر بعد ذلك
فاولئك هم الفاسقون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم
رقاب بعض علم جل جلاله ما يكون في المستقبل من قوم يلون الامر بعد الخلفاء المهديين
يعدون الحق وراء ظهورهم ويخرجون بذلك مما دخلوا فيه من ايمان واسلام فيستحقون
بذلك اسم الفسق ثم قال مخاطبا للجملة اعني جملة الامة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اي اقيموا الصلوة وافعلوا ما امرتم واثبتوا على الحق وعضوا
عليه بالنواجذ ولا تطيعوا مخلوقا في معصية الخالق واصبروا على ذلك لعلكم ترحمون
فيكون لكم الكرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال طائفة من امتي قائمة على امر الله
ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك ختم ذلك بقوله ولا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض اي انما ذلك بلوى منا وكفارة لمن عدا عن سبيل القصد وما واهم النار
ولبئس المصير يعرض بمن يكون بعد ذلك الفوج من الكفار وهم شيعة الدجال لعنه الله وقصر مدتهم يقول
لا تظنن ما فعلوه من الملك والتمكن في الارض وما يجيئون به من آيات وكبير امرهم معجز والله يجعل
الكرة عليهم للمسلمين مع صالح الامة وعيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه ثم عطف على هذا الحذف
قوله وما واهم النار ولبئس المصير اي ما صاروا اليه **فصل** قسم الله العباد على اربعة اقسام
الصديقون واتباعهم وكان اولاهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم الفقهاء وحملة الدين
ومقوموا الناس والناس اتباع لها ولاة وكان عمر رضي الله عنه اولاهم ثم الملوك واولو الامر
ووزعة الناس الناظرون لهم الحافظون لجماعتهم وكان عثمان رضي الله عنه اولاهم وطهر ذلك في
معاوية رضي الله عنه ثم العلماء بالله وباياته وهم حكم علوم القصد بعين ومعاد المؤمنين

من العلم المكنون وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اولاهم وقد كان للصديقية تبع كالحرث
ود ولتهما ولم يكن لحملة العلم المكنون دولة بعد سوى الذي كان اولاها وذلك منتظر ان شاء
الله وبذلك ترجع الصديقية في هذه على الصديقية الاولى كما ترجع النبوة بعيسى بن مريم
على نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين
واما اختلاف الامة فيمن اولى بالامامة منهم فذلك موقوف على الحكم المقدر والوعد المحقق
بالانجاز قال الله جل ذكره وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
المعنى وسابقوا المؤمنين هم هؤلاء الاربعة فلو كان الوالي علي بن ابي طالب لم يك عثمان
ولا عمر ولا ابو بكر كذلك لو كان الوالي اولا عثمان لم يك ابو بكر ولا عمر كذلك وكذلك القول
في عمر لو كان الوالي فترتيب الله اياهم هذه الرتبة هي الحكمة البالغة وكذلك كل واحد مثلا
لمن بعده واولى لمن كان من اتباعه وكان في هذا من الفقه ان العلم بالحق والمعرفة التي
يؤتي الله به الحكمة ليس من الدنيا في شيء الا ما كان شاء ربك بالخضر وموسى صلوات الله وسلامه
عليهما **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم
يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات المعنى صرف وجه الخطاب الى معنى ما تقدم من الاستيذان والحفظ
في ذلك فذكر هنا ايجاب الاستيذان من اذن له في الولوج على الحرم من المملوكين والنساء
ومن لم يبلغ الحلم في اوقات العورة والتخلي بالاهل بعد صلوة العشاء وفي القائلة وقبل صلوة
الفجر ثم ذكر الرخصة في القاء بعض الستر للقواعد من النساء التي لا ارب فيهن للرجال والتعفف
ومع ذلك خير لهن وقرن بذلك قوله والله سميع بما يقال لكم عليم بفعلكم ظاهرا وباطنا ثم ذكر
انبساط القرابة بعضهم لبعض ولكل بعضهم مع وعند بعض ولكل الوكلاء والصديق وكلوا عليه والاكل
بالمعروف ورفع الجناح في ذلك كله ما لم يفارق المعروف في الامر كله ثم قال جل ذكره فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ثم قال عز من قائل يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا هذه بيوت السكنى وقال ليس عليكم جناح
ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم هذه الخانات تحتوي على بيوت ينزلها مار الطريق فذلك
هو المتاع التي لهم فيها كن ومبيت وقد يكون الحاذق في الخانات ويسميها اهل الشام الفنادق
فيها متاع لكم بحضرة وقال الله عز وجل في هذه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وهو والله
اعلم بما ينزل البيوت المنسوبة اليه التي هي المساجد قال الله عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع يعني
المساجد فسلموا على انفسكم يعني والله ليسلم بعضكم على بعض كما قال عز من قائل ولا تقتلوا انفسكم
يعني اذا لم تجدوا في المساجد احدا فسلموا على انفسكم ولا وجه في ذلك ان يقولوا حين دخولهم المسجد فيه احد
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهذا لازم في مسجد الرسول عليه السلام ثم في غيره فضيلة
وحيث كان فلامه يبلغ اليه عليه السلام وقد جاء ذلك عنه عليه السلام وقال الرسول صلى الله
عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا والسلام كذلك والله اعلم قال الله سبحانه
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اتبع ذلك قوله تحية من عند الله مباركة طيبة قال الله عز وجل
سلام قولا من رب رحيم تحيتهم فيها سلام يعني في الجنة والله اعلم ان مفهوم قوله هنا تحية
من عند الله مباركة طيبة وصف لتحية هذا الداخل المسجد اذا سلم على نفسه وجاعة مرحبا

من المسلمين ومن غاب من عباد الله الصالحين وان ذلك اعلام منه ان هذه التحية هي من
عند الله حياه بها ومن في المسجد ومن غاب من صالحي عباده على ما شاء نفسه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من عبد يتوضا فاحسن الوضوء ثم عمد الى بيت من بيوت الله ليصلي الا تبشبش
الله كما يتبشبش اهل الغايب بطلعته اذا قدم من غيبته وفي اخرى الا قال الله له في ملكوت
عرشه عبدك زارني وعلي قراه ولن ارضى له بقرى الا في الجنة فهذا معنى قوله عز وجل تحية من عند
الله مباركة طيبة والله اعلم بما ينزل اذ ذلك اعقب بقوله الحق كذلك اي كما في الجنة يحييكم تحيتكم
هنا غير ان التحية في الجنة ظاهره وفي هذه باطنه يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اي
هذه بهذه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ثم ارجع ذلك المعنى الى الامر بطاعة الرسول وان
رضاه عز وجل ان لا يخرج احد عن جمع جمعهم اليه وامرهم لاياه وامره وذم
المتسللين عنه المتلوذين بقلة طاعتهم وثقل امرهم عليهم وكان المنافقون اذا اراد رسول
الله صلى الله عليه وسلم الجهاد او اراد ان يجمع المسلمين لامر كحفر الخندق وغيره تسللوا
وذهبوا عنه فاوعدهم على ذلك وعيدا شديدا بقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة في الدين فلا يهتد والمرشد او يصيبهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة فانهي عبد
ربه ولا يترك طاعة نبيه الى طاعة سواه **قوله** تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا اي لا تدعونه يا محمد باسمه ولا باسم ابيه ولا بكنيته بل قولوا يا نبي الله
يا رسول الله ونحو هذا ويخرج ايضا على معنى اخر لا تجعلوا دعاءه اياكم الى طاعته كدعاء
بعضكم بعضا انما طاعته في طاعة الله فليحذر الذين يخالفون عن امره المعنى ختم السورة
بجامع معنى السورة كلها قوله الحق الا ان لله ما في السموات والارض هذا من نوره في السموات
قوله والارض ثم قال ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا هذا من معنى ما فيها من امر ونهي ووعظ ووعد ووعيد

سورة الفرقان مكية منها من المنسوخ ايتان

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا يمجد الله جل ذكره بانه انزل الفرقان على عبده تبارك تفاعل من البركة والبركة
لزوم المدايح كلها والمحامد اجمعها والحمد ورده والحسن كله والاسماء الحسنى ومعاني الصفات
العلى وبقاء ذلك ودوامه والفرقان وزنه فعلان كسبحان وحسبان وقربان وقران وقد يكون
الفرقان من حيث فرق بين الحق والباطل وبين المواعظ والاحكام وغير ذلك من المعاني
وقد يكون وصفا لصفة يكون من الله جل ذكره موعبة يهبها من يشاء من عباده والفرقان
اسم من اسماء الحق المبثوث في العالم الموجود عن اسماء الله وصفاته فيه به خلق السموات والارض
وما بينهما والفرقان موجود على القول بالمخصوص عن اسمه الحق واسمه المبين والمصور
ان حل في الظاهر كان صورة يميزها من سواه وان كان في الباطن والمعنى كان نورا وفرقانا
قال الله عز وجل واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلهم يهتدون وقال يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم وقال
يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم المعنى الى اخره وقوله الذي
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده بالالف على الجمع **فصل** جملة العالم عند الله جل

ذكره موجودة بالكون اى علما بها وقدرة عليها وتدبيرا لها كيف شاء وبم ولم ومتى
على الاجمال والتفصيل وتفصيل التفصيل الى آخره ثم لما اوجدها اعنى الجملة صادفت
موجودة بالفعل على ما قد سبق منه فى الازل لا زيادة فيها ولا نقصان منها وعلى الموجود
تختلف الاحوال لا على الواجد سبحانه وتعالى فلان كان موجودا عند باريه علما وقدرة
ومشية كان مفطورا على معرفة خالقه لانه فطره اى اخرجه الى وجوده عن حال عدمه ولانه
لم يكن موجودا لنفسه جهل امره ونسى ما فطر عليه ولكونه الاول هو الان اذا استذكر ذكر
واذا فكر علم وكان كل ما علمه تذكرا والهاما لما نسيه وغفل عنه مما هو محو فى حقيقته ام
اتخذوا من دونه اولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير الى قوله فاطر
السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع العليم
البصير يفهم الاشارة ويفقه العبارة واعبر من ظاهر الى باطن والله يقول الحق وهو يهدى
السبيل **قوله** عز وجل الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك فى الملك استحق المحامد باسرها والثناء الحسن باجمعه لانه لم يتخذ ولدا ولم يكن له فى
نعوت تعاليه ولو شانه لم يكن له شريك فى ملكه ولا ظهير على ما خلقه سبحانه وله الحمد كما ينبغى
لكرم وجهه وعز جلاله وعلا شانه وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما
وهو الذى خلق كل شئ جملة وتفصيلا فالجملة العالم كله باسره كان فى علم خالقه موجودا
مصورا قائما له فى غيبه كما انه قائمة حال شهوده يراه باريه ويسمعه كما الان على ذلك وقد
غيبا فى ازله الذى لا اول له ثم اوجده يوم اوجده على سواء ما قدره لم يزد به علما
خلا انه الان مشهود وموجود وقد كان قبل عدما وفقدا وعلى المخلوق يختلف الاحوال
لا على الخالق تعالى عن ذلك فى الواجب القضاء ايضا فان كل موجود تضمنه الجملة
وشمله الوجود الكلى كذلك ايضا فانت عابد كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون
فاذا قد كان كل هنالك اعنى فى الازل عاملا على شاكلته من حيث العلم والتقدير والشهود
له بذلك كله بما هو الان عامل ولقد اخترناهم على علم على العالمين كذلك خلقهم على علم
بما هم عاملون لانهم قد كانوا فى موجود على حال عدمهم بذلك عاملين شهادة منه لهم
وعليهم بما علمه منهم ولا حالا لعدمهم ولما اخرجهم لما قد علمه منهم عملوا بذلك فكان اذا
استذكر ما ذكره فى الازل يعلم فيما لم يزل يعلم انه عامله وفائدة هذه المسئلة ازالة الاشكال
فى سبيل القول بالاجمال فى حدوث العالم وسبيل القول بالتجويز فى قدمه فهو محدث لانه لم يكن
ثم كان وهو مربوب لانه مخلوق مدبر مفصل وموصل وهو قديم لكونه معلوما لخالقه
مشاهدا لباريه فحدثه لانه مستفتح الوجود فهو محدث لنفسه وقدمه لانه كان فى علم
خالقه معلوما وعنده مذكورا فقدمه اذا المخبر لا لنفسه ومن ههنا تشعب الخلاف قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعرفكم بالله اعرفكم بنفسه وقد قيل من لم يستدل على المعرفة بالله
جل ذكره بصنعه لنفسه فلم يعرف الله الا بالاسم لا بحقيقة المعنى قال الله جل ذكره فى الكلام الله
خالق كل شئ وخلق كل شئ فقدره تقديرا وقال فى الجزئى قتل الانسان ما اكفره من اى
شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره هل اتى على الانسان حين من الدهر شيئا مذكورا

اى لم يكن مذكورا فى نفسه ولا لنفسه بل كان مذكورا عند باريه فاذا قد كان مذكورا
لا لنفسه الى اخر المعنى فجملة العالم موجودة عند الله جل ذكره اى علما بها وقدرة عليها ومدبرا
لها كيف شاء وبم ولم ومتى على الاجمال والتفصيل وتفصيل التفصيل الى اخره ثم
لما اوجدها اعنى جملة العالم صادفت موجودة بالفعل على ما قد سبق بها فى الازل لا زيادة
فيها ولا نقصان منها وعلى الموجود تختلف الاحوال لا على الموجد سبحانه وتعالى فلان كان
موجودا عند باريه علما وقدرة ومشية كان مفطورا على معرفة خالقه لانه فطره
اى اخرجه الى وجوده عن حال وعدم ولانه لم يكن موجودا لنفسه جهل امره ونسى ما
نظر عليه ولكونه الاول هو الان اذا استذكر ذكر واذا فكر علم وكان كلما علمه
تذكيرا او الهاما لما نسيه وغفل عما هو محو فى حقيقته ام اتخذوا من دونه اولياء
فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير الى قوله فاطر السموات والارض
جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع
البصير يفهم الاشارة ويفقه العبارة واعبر من ظاهر الى باطن والله يقول الحق وهو
يهدى السبيل **قوله** تعالى واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
عجب جل ذكره من اتخاذهم الهة من دونه الى جليت ما تقدم ذكره من تحقيقه احاطته
بالخلق والامر جملة وتفصيلا وانما يتبين الاضداد بحقائقها اتبع ذلك ما حكاه عنهم
واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا
يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا من قولهم ان هذا الا افك افتراه يعنون القران واعانه عليه
قوم اخرون يعنون اهل الكتاب قالوا هو سلمان قال الله عز وجل لسان الذى يلحدون اليه
اعجمى وهذا لسان عربى مبين وقراها يعقوب اللسان الذى يلحدون اليه اعجمى يعنى وهو اعلم اهل
الكتاب وهذه القراءة اعنى والله اعلم اذ سورة الفرقان مكية وانما جاء سلمان مسلما بالمدينة
وكذلك عبد الله بن سلام قال الله عز وجل فقد جاؤ ظلما وزورا الظلم منهم هذا افتراؤهم
على الرسول والقران ووصفهم لهما بالشعر والكهانة واساطير الاولين وهذا هو
الزور انه اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا وفى غير هذه القراءة
اكتتبها على وزن ما لم يسم فاعله والزور فى الشهادة الميل بها عن حقيقة ما هى عليه
يقول الله سبحانه وقوله الحق قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ختم الاية
بقوله انه كان غفورا رحيما يستعتبهم ويدعوهم ويعرفهم نفسه على ما هم عليه سبحانه وله
الحمد **قوله** تعالى وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق قالوا هذا على سبيل
التهزى به والانكار منهم لان يبعث الله بشرا رسولا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز او يكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
اتبع ذلك قول الحق انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا يعلم
بموارده الاعمال ويعجب لذلك ويقول انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا عن ان
يهتدوا بما ارشدهم من النصيحة لما قابلوا نعمة الله عليهم برسوله وكتابه بالكفر
والتكذيب اضلهم عن هدايتهم وصرفهم عن سلوك سواء طريقه فجاء من الفقه فى هذا انه

من كفر بالرسول لم يهتد به وكذلك الكتاب ومن اعرض عن كتاب ربه اعرض الله
عنه بالفهم عنه والتفقه فيه وربما لم يهتد به كذب لا محالة حديث الله وقوله
الحق ومن اصدق من الله حديثا واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم لكن
على قدر ما يتفرع استماع كلام ربه بعد تقديم الايمان به والاستسلام والاعظام
والاجلال منه كذلك يكون علمه ونفعه فاتقى عبد ربه ليقبل الى ربه بالايمان والتسليم
وليصرع لتفهم كلام ربه قلبه وليلق الكنف بين يديه وليتبرأ من الحول والقوة اليه وليقل
رب زدني علما لا علم لي الا ما علمتني انك انت العليم الحكيم **قوله** تعالى تبارك الذي
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا مجد
رب العزة نفسه وتمدح بقدرته على امضاء سنته وانجاز وعده على ان يجعل له في الدار
الاخرة خيرا من وصفهم الذي قصرت عقولهم عليه هذا والله اعلم في الدار الوسطى
دار البرزخ وفي الدار الاخرة خير من هذه وهذه ويجعل لك قصورا حيث لا يصيب
موت ولا يلحقه فوت اتبع ذلك بالتذكير بما اغفلوه والتعليم بما قد جهلوه فقوله
جل قوله بل كذبوا بالساعة وهي نفخ لما وراها من عظيم الوجود الذي جهلوه واعتدنا لمن كذب
بالساعة سعيرا ثم في وصفها بقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا الزفير
اجتماع النفس في الجوف ثم يخرج دفعة واحدة وقال في موضع اخر سمعوا لها شهيقا وهي تفور
تكاد تميز من الغيظ **فصل** اخبر الله سبحانه وهو العليم الخبير ان جهنم اعاذنا الله
برحمته منها ترى وتتنفس وان من نفسها الزفير تغيظا منها على اعداء الله سبحانه
وقد تقدم فيما مضى ان كل جمادا ونباتا وحيوانا وانسانا وبالجملة فالعالم كله صائر في بنية
حكيم الله جل ذكره الى الدنيا وفي الدار الاخرة يكمل الامر جدا فيعلو على غير قياس ويلحق الادني
بالكمال المقدر له ان يبلغه فافهم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من انتمى الى غير ابيه وادعى الى غير مواليه او كذب علي متعمدا فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا
قيل يا رسول الله وللجهنم عينان قال اولم تسمعوا قول الله جل ثناؤه اذا راتهم من مكان
بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا **عبرة** ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه
المشهور الذي يقول فيه ان النار اشتكت الى ربها وقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لي
ان اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف الحديث وقال الله عز وجل ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يرسل
الرياح كما قال بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا وقد يجتمع برحمته الله في الماء
المكون ذلك الحين في السحاب من فيح جهنم ما علم من كلتي النفسين على لوح الجو فيخرج الملائكة
عليهم السلام نارا مما هنالك بروقا وفي زمهرير ذلك بردا وبنفسها رعدا وحقيقة ما هنالك
منها صواعق يرسل الله البرد والصواعق على من يشاء ويصرفه عمن يشاء كل ذلك آيات ما
ههنا على ما هنالك والصواعق آيات على ما يري هنالك من شرر كالقصر وكانه جمالات
صفر والرعد آية على ما هنالك من زفير وشهيق وتقصف غير انه هنا منها تسبيح وتسخير
للعباد وصلاح للارض ومن عليها وهنالك هو منها تغيظ وحنق على من عصى ربها جل

ذكره هو الذي يريكم البرق خوفا اي من النار التي هو عنها وطمعا اي في الخير لصاحبة الرحمة
اياها وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء لذلك قال وهم يجادلون في الله اي لو فهموا عن آياته لشاهدوها وشاهدوا
ما هي عليه آيات عيانا لكنه شديد المحال يمكرون بانفسهم فيمكر الله بهم وهو خير الماكرين
قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا اعلم معنى
الكلام الى قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار
ويجعل لك قصورا يقول والله اعلم بما ينزل اما الدنيا التي هي همكم ومبلغ عقولكم
فلستم متروكين فيها وانما هي للعقبى والدار الاخرة فيها جهنم سعيرها وزمهريرها وما ضمنته
من عذاب ونكال وهوان بما وجنة عالية زادت على الاماني وادت على المعلوم مع الخلود
والدوام في هذه وهذه وانهما لكم مصيرا كان على ربك اي الساعة والبعث والنزول
في احد تلك الدارين وعدا مسؤولا وموضع لزام هذا الخطاب قول الحق كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال في اعادة الخلقة باسرها يعني الارض خلقناكم وفيها
نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى كذلك خلقنا ثم انبتت عليه دار الدنيا من فيح وفيح اشاع ذلك
في اجواء الارض والهواء والاصول التي خلقنا عنها فكان ذلك لزاما ان يعيدنا فيما خلقنا منه
وعدا ابيا ان ظاهرا او باطنا ولم يكن لاحد ان يتخلص من النار التي صيرها عذابا الا برضا
ولا يدخل الجنة التي جعلها نعيما ونورا وظفرا بالمرغوب كلا الا برضاه فامن على عبيده بتبيين
سبل مرضاته من سبل مساخطه فخلق على ذلك عالم ارضه وسماه وما بين ذلك وارسل رسله
وكتبه فالجنة للمتقين التي دل عليها فيما ههنا بفتح رحمته وما خلق على ذلك للعابرين
التي دل عليها فيما ههنا بالفيح من جهنم اعاذنا الله برحمته منها **قوله** تعالى ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل هذا
تقرير للمتبوعين ليتبين لهم كذب التابعين لهم قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك من اولياء وقرا الحسن سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء
بضم النون وفتح الخاء وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية معاذ عنه قوله
تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق انتظم
هذا بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ردا عليهم اتبع ذلك قوله
تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة سبحانه وله الحمد قرب هذا وولاه وابعد هذا ولعنه
واعطى هذا ومنع هذا وملك هذا واخدم هذا ثم اعلم بفعل ذلك على النفوس بقوله
اتصبرون يخاطب الجميع وهو امر ساق على صيغة الاستخبار فوجب على صاحب البلاء ان يصبر
على بلائه وعلى المؤخر ان يعرف حقا للمقدم والعبد ان يعرف لسيده الحق عليه وكان سياق
الكلام الاستخبار تعريضا لعظيم المثوبة ثم قال وكان ربك بصيرا اي لما يكون منكم من
صبر وشكر وعدم في ذلك او تاخر **قوله** وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا لم يات في القران العزيز ذكر اللقاء الا بلفظ الرجاء ولا بد
من لقائه تعالى عز وجل فهي اعظم البشرى للعبد كما ان كراهته للقاء اكبر الكبائر بعد الشرك بالله

والكفر به وعدم الرجاء للقائه من الكبائر قال الله عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا
ورضوا بالحيوة الدنيا ثم عطف الكلام بوصف قوم اخرين فقال والذين هم عن اياتنا غافلون
ثم جمعهم في سوء المال بقوله اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وقال تعالى قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله الاية ويتبع ذلك كراهة الموت فانه لا يرى احد ربه حتى يموت كذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو من كراهة لقاء الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احب العبد لقاء الله
احب الله لقاءه واذا كره العبد لقاء الله كره الله لقاءه فهذه بشارة منه وترغيب في مطالبة
هذه الدرجة ولما قالت عايشة رضى الله عنها كلنا نكره الموت ردها الى بشارة اخرى وكذلك
تلك فقال ليس كذلك ان العبد المؤمن اذا حضر الموت وبشر برحمة الله احب لقاء الله واحب الله
لقاءه وان الكافر اذا حضر الموت فبشر بالعذاب وكما قال صلى الله عليه وسلم كره لقاء الله فكره
الله لقاءه وانما ذكرت هذا الفصل لما الزمنا من كثرة التغافل عنه حتى اورثنا ذلك كراهة
الموت ومحبة البقاء في الدنيا وهذا هو المعهود من جميعنا الا من شاء الله نسئل الله حسن عايدته
وتعجيل توبته علينا انه هو التواب الرحيم اتبع ذلك قوله لقد استكبروا في انفسهم وعتوا
عتوا كبيرا ثم ذكر الموت بقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين اي بخبر بل
بما قال تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما لقوله جل من قائل يوم يرون الملائكة اي عند
الموت لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا اي حراما محرما الرجوع الى الدنيا والنظر
الى الله جل ذكره لقوله جل من قائل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا الى نص
هذا الخطاب بمعنى ما تقدم من قوله اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ثم قال في قوله
الحق ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا هذا الكلام مقابل لقولهم لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا فجاء بذكر الملائكة وذكر مجيء التنزيه الرفيع جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه وفي ذلك تعريض برؤية المؤمنين اياه يومئذ يتبع كل امة ما كانت تعبد ويتبع
المؤمنون ربهم عز وجل ويرونه بوعده الكريم عيانا علموه في الدنيا يقينا **قوله** تعالى وقال
الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا اي مفروغا عنه متباعدا ويكون من الهجر
الذي هو قول الخنا **قوله** تعالى وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اي هلا نزل عليه
وقد تقدم تحقيق معنى لولا حيث جاءت في القران لقوله جل ذكره كذلك الكاف في النصب
وذلك اشارة الى مشار اليه والمشار اليه المشبه به في نفس الخطاب وتقديره كذلك فعلنا انزلناه
جملة واحدة الى السماء الدنيا وكان ذلك منا تنزيلا الى صدره نوره وبركته وجملة معرفة
قام له ذلك في القران كعلم الفطرة لسائر المؤمنين وكما ملأ جبرئيل صلى الله عليه وسلم صدره وهو
صغير حكمة وايمانا دل على صحة هذا التاويل قوله الحق كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا
اي قطعناه تقطيعا على حسب النوازل ودفع الحاجة من المؤمنين الى تنزيله في مفترقات المواطن
عبر عن ذلك قوله ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا ثم جعل يسرد ذكر
ارسال الرسل الى القرون الخالية والامم الخالية وتدميره اياهم واهلاكه لهم واعراض هؤلاء
عن الاتعاظ بمن مضى منهم على ذلك والغفلة عن النظر لانفسهم في النجاة مما اصابوا ولئك من خطا
الله وبصد فهم سلهم قال عز من قائل واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا الاية اتبع ذلك

كل ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا وقرئت هذه افرايت من اتخذ الهه
هواه يقول جل قوله لست تستطيع هدايته ولا تملك صرفه عن غوايته ثم وصفهم العليم الخبير
بحطهم عن درجة الانعام في العقل والهداية وناهيك حطة **قوله** سبحانه وله الحمد
الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فسمى
كل ما كان خلفا للشمس ظلا واخبر بذلك عما يكون ظلا للارض عن دوران الشمس
اية الله جل ذكره فنبه ههنا على تجليه العلي جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه في دار القرار
فيمكن ان يكون مجيء هذا الخطاب قوله الم تر الى ربك على معنى قوله الم تر الى ربك في ايته يخبر
عن نفسه جل ذكره بانه لاستقرار العلم في معهود النبوة والرسالة ان اياته لتحقيقها ما هي
عليه اية تخبر بالدليل على المدلول عليه وهذه القوة عين اليقين فقال الم تر الى ربك معناه
الم تر الى اية ربك في الشمس كيف مد الظل حتى علت الشمس ولو شاء لجعله اي الليل كنا
لا براح له والليل اية على الهة بالجملة لكنه وله الحمد جعل الشمس على الظل دليلا لولاها
ما عرف الظلام وانما تبينت الضلالة بالهداية والظلام بالضياء وهكذا بضدها تتبين
الاشياء وانما هو مثل ضربه له على ادالة الباطل على الحق في بعض الاحايين ونصر الحق على الباطل
وان ذلك يجوز بتدريج امر محكم لذلك قال وهو اعلم بما ينزل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
لقوله لما عم الظل الاقطار وجعلنا الشمس عليه دليلا فهي تطلع من مشرقها والاشخاص
تقابلها فتنبسط الظلال طولا فلا تزال تطلع هي وتقبض الله تلك الظلال اليه حتى
بعدها قليلا قليلا حتى ينتهي العصر فيها حين استوائها ثم تدحض عن كبد السماء غاربة
فتزيد الظلال قليلا قليلا وقد قاب عن انبساطها طولا في المغرب الى المشرق وذلك لسجود
الشمس لخالقها جل ذكره فسجد الظلال لسجودها هي يقول لا يحزنك ما تراه من علو
الباطل وخضوع الحق فانما هي احوال تتداولها بين الموجودات وللصابر صبره وللشاكر شكره وكما
ان الشمس خاضعة حال طلوعها الى حين استوائها لبارئها عز وجل والظلال ساجدة خضوعا
لخالقها حال نقصها وقبضها عن طلوعها لطلوع الشمس في درجات ارتفاعها كما هي قائمة
حال استوائها وقد تقدم ان سجودها وقيامها وجريها في طريقها على مقادير كسجود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يقارنها على استوائها وان جهنم تسجر حينئذ وهي ايضا
اعني الشمس خاضعة لله جل ذكره حال دحوضها الى غروبها خضوعا لخالقها والظلال كذلك
ساجدة لجاعلها شكرا له حال امتدادها فكذلك فاعبدوه انتم في كلتي الحالتين بكرة وعشيا
واصيلا وتعبدوا له بشكر الانعم وصبر على بلائه حتى ياتي الله بامره فرض الله على عباده
فرائضه على وفاق سنن الموجودات ذلك حين القيمة فافهم فهمنا الله واياك عنه وهو ايضا
مثل على ان الفتنة والذكر واللبس والبغيا يتعاقبان تعزى بذلك رسوله عليه السلام وعلم
عباده ان ذلك طريق في الموجودات مسلوك فلا تستوحشوا لدائرة الباطل واعلى ان مع
العسر يسرا اتبع ذلك قوله وهو الذي جعل الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا
الليل يضرب مثلا للجهل واللبس والنوم والضلالات والاشكال والفتنة والكفر والموت
ولجهنم عاذنا الله منها برحمته ولالهة باطلة والنهار يضرب مثله للبيان والنور

والحيوة والايمان والعلم والابصار والاله الحق جل وعلا وللهدى والنشور والجنة
والذكر جاء التمثيل بكل هذا في القران والحديث فمن ذلك قوله جعل الليل لباسا اى ضلالا
واشكالا ولبسا والنوم سباتا اى موتا على حاله وقوله وجعل النهار نشورا اى بعثا
من ذلك الموت آية منه على البعث من بعد الموت واخلاف الهدى بعد الضلال وقد هذا
وهذا وجدها فتنة وذكرا وضلالة وهداية ونورا وظلمة وايمانا وكفرا وموتا
وحياة فلا تحزن لضلال الضالين وتثبط المتثبطين وتكذيب المكذبين فهذا
وهذا من حكم الله في عباده وحكمته في خليقته وهذا كله راجع المراد به الى ما تقدم
ذكره من لدن صدر السورة الى هنا اتبع هذا قوله الحق وهو الذي ارسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته بالمنون والمباء من البشرى اى بشرا بالحياء والغيث ويظهر ذلك في الجو
وفي الهواء والارض والنبات كما يبدو اثر البشرى في وجه المبشر واما المنون فلانه
يبشر السحاب يظهرها ويوجدها فيعينها ويبعث الرياح ويبعث المطر والنبات
فيخلق عن ذلك الانعام وجميع الحيوان على اختلاف اجناسه ويتغذى الاناسي والبهائم
ويبعث الله عن ذلك الانعام وجميع الحيوان كله والاناسي وذلك كله نشور فكم في الماء
النازل من السماء عن نبات على اختلاف واختلاف وايجد وطعومه ومنافعه
ومضاره الى قطع وصنا وكم فيه من حيوان انعام ووحوش وكل ذي زوج على اختلاف
انواع ذلك وتباين اوصافه واخلاقه وصوره وما وجد له وكم فيه ايضا من اناسي
شيب وشبان واطفال وكهول ونساء ورجال على اختلاف في انواع فتباين صورهم و
جمالها وقبحها واخلاقهم وصفاتهم وحركاتهم وافعالهم وكفرهم وايمانهم وعلومهم
وحلومهم وطاعتهم وعصيانهم اشار الى ما ذكرنا واكثر منه بقوله وانزلنا من السماء
ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ولقد صرفناه
بينهم يعني الماء ليذكروا بالنشأة الاولى النشأة الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل
الله من تحت العرش ماء كمني الرجال فلا يترك من ظهرها من مصرع هل ولا مدفن
الا سقت عنه حتى يخلقه من قبل راسه ويستوي جالسا ويمكن ان يكون معنى قوله ولقد صرفناه
بينهم ان المعنى بذلك هو القران صرفناه اخبارا وتمثيلا وظاهرا وباطنا وتعريضا فابى
اكثر الناس الا كفورا تركوا التذكار واعرضوا عن المذكرين نسوا الله فانساهم انفسهم
فنسال الله قرب الاوبة وتصحيح التوبة بمنه وطوله اتبع ذلك ما هو في معنى ما تقدم قوله
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا اى من البشر ثم قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا
كبيرا اذا كان الخصام والمحاجة في ذات الله سبحانه وتبيين اياته فهو جهاد ومتى كان
لطلب العلو والظهور على الخصماء والارتفاع على الاقران فهو الجدال وهذا
اذا جاء اسم الجدال معرى من القرائن فاذا جاء مقيدا كقوله وجادلهم بالتي هي احسن
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فهذا محمود **قوله** جل ذكره وهو الذي
مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا البحر
العذب مثل للايمان والهدى والاله الحق والبحر المالح مثل للكفر والهلاك والضلال والاله

الباطلة

الباطلة يقول الله عز وجل مرج هذا مع هذا فاختلطا على حد محدود حده لهما فلا يبغي
العذب المحض على المختلط منهما ولا الملح ولا موضع المختلط يعدو قدره الى هذا ولا الى هذا
لقول الله جل ذكره وجعل بينهما برزخا يعني وهو اعلم موضع اختلاطهما وحجرا محجورا في
الثلاثة الاصناف حيث رق الملح والعذب وحيث رق المختلط ومحض الملح من الطرف
الاخر والوسط الذي هو حقيقة البرزخ اى سعا لكل واحد منهما ان يتعدى حده ثم قد يكون
الحلى المستخرج من البحر المالح واللحم الطري اكثر جدا واحسن ذلك لانه قدر الفتنة في
هذه الدار اكثر وجعل دوائرها على الاغلب اكثر والدنيا الى ذلك اقرب واميل بمتاعها
وحطامها كذلك والبحار المالحة اكثر ماء من العذبة واوسع جدا ويكون معنى ايراده
هذا في معرض التعزية لنبيه عليه السلام والمؤمنين لاجل غلبة الباطل بذلك الوقت وفي
اكثر الاحوال الا ما شاء الله **قوله** تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا
نبه جل ذكره على قدرته على خلق البشر من الماء وان وجود الانسان من كونه ماء كما قال
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وانه نوعه نسبا وصهرا فالنسب ما لا يجوز النكاح فيه
كالام والاخت والعمة والخالة وما قد ذكر الله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم
وجعل منه صهرا وهو ما ينكح اليه وما يشمله قوله واحل لكم ما وراء ذلكم **فصل** قال الله
جل ذكره خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين اى يبين عن نفسه وادلته
في خصومته ويعرب بحجته عن شانه ويكون المراد ايضا بقوله فاذا هو خصيم اى يجادل
في الله وفي اياته ويصد عن سبيل الله ويملأ الارض جورا وظلما كفرعون والدجال ومن تبعهما
وكل من دعا الى نفسه وقال هنا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فهذا
اخبار منه والله اعلم بما يئول عن من اتم الله عليه نعمته بانتسابه الى الربانية بقوله عبد الله
وحده لا شريك له وربما نسب بعبد الله وعبد الرحمن وعبد غير ذلك من اسماء العبودية
والولاية كقوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون قال الله جل من قائل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا فهذا انساب بعضهم الى بعض واما انسابهم اليه فبالتقوى لذلك
قال جل قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وفي الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا جمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد يقول الله جل من قائل يا ايها الناس اني طال
ما صمتم وتكلمتم فاصمتوا الي جعلت نسبا وجعلتم نسبا فقلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم فابيتم
الا انسابكم فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم اين المتقون ويروح عبد الله امة الله على كلمة
الله وسنة رسول الله نصدقها قال الله يا كلاهما رزقهما الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
المؤمنين لو تعلمون ما اعلم الى قوله ولا احد اغير من الله ان يزني عبده او تزني امته وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء فلا نسب الى الله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض
فانكحوهن باذن اهلهن ولله المثل الاعلى في السموات والارض هو الله الاحد الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد لذلك وهو اعلم بما ينزل ختم المعنى بقوله وكان ربك قديرا فانتبه
عليه السلام الى نفسه واتصف بالقدرة على خلقه من ماء الانسان سواه وبلغ به هذا الحال الرفيع
اتبع هذا قوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم شنع عليهم عظم ضلالتهم
وبيان خسارتهم بقول عز من قائل على هذا البنا وظهور هذه الحقايق وشياع هذا النور
ووجدان هذا التقريب وعلو المنزلة وسنى الرتبة هم على هذا من عبادتهم ما لا ينفعهم
ولا يضرهم **قوله** وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا يقول جل ذكره امضى لما امرك
على ما فيه رضى ربك فاجرك على الله لا عليهم وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده
اى اعمل له بطاعته وكفى به بذنوب عباده خبيرا اى كلهم الى من الله ايابهم وعليه حسابهم
الا ترى انك لا تسالهم على ما تبلغ عليه اجرا الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اى عهد اليه فيه
عليه واستدنا هدايتهم من الاجر تعريضا بالمفهوم من قوله جل قوله من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله من دعا الى هدى فله
اجره واجر من عمل به الى يوم القيمة **قوله** عز وجل واسال به خبيرا بالحى الذى
لا يموت خالق السموات والارض وما بينهما الذى استوى على العرش هو الرحمن جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه الخبير به هو اياته فى السموات والارض وما بينهما وهذا هو الذى يصح الاحالة
عليه فى السوال عنه ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره لامومنه بل كل عبد من عباده
بان يتوكل على الحى الذى لا يموت الى قوله الرحمن جل ذكره قال له فاسئل به خبيرا به وقراه
زيد بن ثابت الرحمن بالكفعتا للحى الذى لا يموت جل ذكره بمجد تبارك وتعالى دالا على الخبير به
ثم قال عز من قائل تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فهم
الخطاب سل عنه السموات والارض والبروج والشمس والقمر واحال بالمعنى على كل ما خلق الله
من شىء وبمقتضى اسمه الرحمن ومفهوم استوائه على العرش والحق بذلك عباده الذين هم عباده
الخصوص فقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الذين من صفاتهم كذا ومن نعتهم
كذا وعلمهم الى اخر المعنى اى فبهذه الاعمال والنظر والتفكر فى هذه السبيل تدرك ان العلم
للحى الذى لا يموت خالق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر قربه
من العرش كقربه من الثرى بوجه ما ومعنى يستحق الوصف به يعلم السر واخفى وما يعطف له العقل
لا يعزب عنه شىء دق او جل فى العلى ولا فيما تحت الثرى الى المنتهى **فصل** اعلم جل جلاله انه استوى
على العرش ولم يعلمنا انه احدث لذاته وصفا لم يكن عليه قبل الاستواء فالاستواء صفة فعل
فى المستوى له والمستوى عليه ونزل من المستوى الاعلى جل ذكره وذلك الفعل الذى هو الاستواء
يوجب فى المستوى له والمستوى عليه كمالا واتماما الى غاية من شانه ان يبلغه اليه بالاستواء
لقول الله جل من قائل ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات اى تممهن وفصلهن سبعا
ثم اتصف بالعلم بعد هذا فقال وهو بكل شىء عليم وقال فى ادم عليه السلام فاذا سويته و
نفخت فيه من روحى اى كملته فقعوا له ساجدين فاهله للامانة لكمال المحقق فيه بالتسوية
ونفخ الروح فيه وكان من تسويته اياه ان جعله مجتبى مصطفى ومؤيدا بالروح العلى امنه
وبذلك علم الاسماء كلها وبفعل الله له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقرؤهم

لكتاب الله وفى اخرى وافقهم ومن الدلالة على ان امره جل جلاله للملائكة عليهم السلام
كان على سبيل الايتمام به سجدا لادم لله اثر نفخ الروح فيه ولكماله اياه بذلك فسجدوا
لسجوده لله جل ذكره ايتماما به صلوات الله وسلامه عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا
ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فابيت فلى النار ومن نظر بفقه وعلم بربه تعالى وقف على ان جميع سجود القران
كله ايتمام بسجود الملائكة وبسجود الموجودات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم
وحده فاذن واقام فصلى صلى معه امثال الجبال من الملائكة فان اقام فصلى صلى معه ملكاه
فابقى من تلك الامامة فى صالحى ذريته ورايه ولا ينال عهدى الظالمين عدلا منه الا
فلنرجع الى ما كنا فيه قال الله سبحانه ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقال
لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فسبحانه وله
الحمد استوى على العرش وهو الحى القيوم الدائم الرحمن بحسب جملة بالسموات وقامت
بقيوميته وتواصلت وتواشجت وتعاطفت برحمته علوا وسفلا ظاهرا وباطنا
فهو لذلك اقرب الى الموجود من نفسه فى وجود ذاته واقرب من كونه ذلك لمضاء مقتضيات
اسمائه وصفاته وعظمة شانه بحكم الاستواء الذى هو فعله وامره على ذلك يظهر امره
وتدبيره وحكمه وعلمه على سنن سنه الى ما سوى ذلك من مقتضيات اسمائه وصفاته وهذا
بحكم التنزل المعبر عنه بالاستواء اية ذلك تسويته الاجسام بارواحها وحياتها وصفات
ذواتها وبذلك يحيى المحل ويقدر ويعلم ويحس ويدرك ما يصيب محله ذلك من لذة والم
وقد كان ذلك المحل قبل استواء الروح عليه الذى هو كالعبد بضد ذلك والله جل جلاله
اعلى صفات واجل وصفا لم يزل على ما قبل الاستواء وبعده لكن بالاستواء قرب الينا
تحقيق ذلك بالعلم والمشاهدة مثالا انفسنا قال الله جل ذكره اولم يتفكروا فى انفسهم
وقال وفى الارض ايات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون فجعل استواء الروح فى الجسم
وحيوة الجسم به وعلمه ما يصيب جسمه اية على ذلك بقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها
وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم وقال له ملك السموات والارض وله المثل
الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ومن تحقق فى علم هذه الجملة وعلم ما يشير اليه فيها
على القدر المفهوم منه للبشر الضعيف وانما يحوز ذلك بتكرار الفكر وتدابا التذكر
والمواظبة على النظر والتبصر بعد البحث الى الله جل ذكره كما تقدم واقتفاء سبل
الموصوفين الذين هم عباد الرحمن اعطى من علم ذلك على قدر ما بذل من جهده واستفرغ له
من وسعه وكان ان شاء الله من ائمة المتقين والله جل جلاله قد شهد لهم بانهم عباد الرحمن
وانهم الخبراء بعلمه العلماء به احال الطالبين علمه عليهم كما احالهم على استرشاد الصنعة وسائر
عجايب الخلقة **قوله** عز وجل قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم اى ما يبالى بكم وما يصنع
بكم اى بارساله رسله اليكم وانزاله كتبه عليكم ولنداءه اياكم واعداده لكم لولا انه يدعوكم
الى عبادته فيجازيكم بذلك جنة عرضها السموات والارض فقد كذبتم بدعائه اياكم الى ذكره

وادشاده اياكم الى من اشدكم فسوف يكون العقاب والعذاب لزاما اى واجبا دائما
وقد تقدم الكلام فى وجوب وجود الجزاء فى الدار الاخرة اذ قد تقدم خلقه ايانا منها
قال الله جل ثناؤه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
ومن حكمته فى الحكمة التى اوجد هاردها على اعقابها وبالمشية العالية لم الامر
والنهى شرط الطاعة من العبد والعصيان يختص فريق بالجنة وفريق بالسعير نعوذ بالله
من عذابه ونسال رحمته وعميم عافيته والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم

سورة الطسم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل طسم تلك ايات الكتاب المبين وقال
فى سورة النمل طس تلك ايات القران وكتاب مبين وقال فى سورة الحجر الر تلك ايات
الكتاب وقران مبين عطف القران على الكتاب فدل بذلك على ان الحروف المقطعة هذه
ايات على الكتاب الاول كما هى ايات على القران فايات الله التى نصبها شواهد على معرفته
وان كثرت بكثرة الموجودات وتنوعت بتنويعها فانها ترجع الى موطنين على علمنا والله اعلم
بما وراء ذلك وهما اياته فى موجود ما خلقه واوجده واياته فى كتابه فيما نزل واوحى
فمن اياته على ما اوحى به حروف الكتاب والحكمة وذلك منة منه جل جلاله وهبة لمن تفكر فيها
لم يكن لمتعلمها ان يعلم منها قراءة المكتوب وفهم المراد منه لولا منة الله عليه وفضل
الله جل ذكره عليها من منة لقوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون واعلم ان هذا المعنى المشار اليه بنا من لدن ادنى ما عبرت عنه الكتابة الى
ان يعبر عن كلام الله جل ذكره وفهم مراده فى الكتب المنزلة سواء ثم ننسا ذلك الى مرتبة
ما هذه الحروف المقطعة التى هى حروف هذه الكتب ايات عليها لم الى حروف الكتاب المبين
الذى هو اللوح المحفوظ فانها افصح عبارة واوضح دلالة وانور بيانا مما تقدم
على مقدار ما بين الحروف من خصوصيه ودفعه وكذلك العلم بمفهومها وذلك الشان الذى
المعبر عنه بانه الهبة والمنة يبتدا التفاضل فيه من لدن اقل الناس معرفة بقراءة الحروف
ومعرفة المراد من المكتوب بها الى العلماء بذلك ثم الى علم الملائكة عليهم السلام بمكتوب الكتاب
المحفوظ ومعرفة ما عبر عنه حروف [illegible] فاما علم الله جل ذكره بالكتاب والمكتوب
فكعلمه بمشاهدة ما ذكر فيه بتوابع [illegible] العلوم وباطنه وظاهره نظرا وسمعا وعلما
ولا يحل اعتقاد حدوث الزيادة فى علمه [illegible] النقصان بل هو شهود حق وعلم
عليها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى **قوله** تعالى باخع نفسك الا يكونوا
مؤمنين ينتظم هذا بما تقدم ذكره فى غير هذه السورة من ذكر تعزيته اياه والتهوين
عليه من قلة استجابتهم وتوليهم عن الذكر يعنى لعلك مهلك نفسك من اجل
تركهم الايمان بما جئت به ومفهوم ذلك انا لم نرد افهامهم ولا ايمانهم فلا
يحزنك ذلك منهم ولو شئنا ذلك لاتيناهم باية يخضع لها رقابهم خضوع

لعزيمتها

لعزيمتها بغادهم ثم اكد ذلك عنده بما يظهر من احوالهم ولا يرى انهم ما ياتيهم من ذكر
من الرحمن محدث اى محدث الاتيان الا كانوا عنه معرضين ثم قال عز من قائل فقد
كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون وعيد منه بالاهلاك الذى اصاب من قوم
من الامم الماضية والقرون الخالية يمكن ان يكون المعنى بالانباء هو ما احله فى سورة
من اهلاك من كان قبلهم بمثل ذنوبهم من تكذيب الرسل والرد عليهم ويمكن ان يكون
المراد بذلك هو ما يجرى منهم فى الموت وما بعده وما يصابون به فيما هنالك **قوله**
تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان فى ذلك لاية على احياء
الله الموتى وعلى بعثهم من بعد الموت وعلى ان الله هو الحق وعلى ارسال الرسل
وعلى ان الاخرة موجودة وعلى هذا ما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز ذو
انتقام لمن عصاه وكذب رسله ورد امره الرحيم لمن امن به وصدق المرسلين
الرحيم الذى لم يعاجل المكذبين باهلاكهم ونقمته **قوله** تعالى واذ نادى ربك
موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون الى قوله ويضيق صدرى
ولا ينطلق لسانى وقال فى موضع واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى
ردءا يصدقنى كان ذلك به لما خرج عن مصر وبعد عهده بلسان القبطيين وجاور العرب
فى بلد مدين ومن المعهود ان يكون الرسل على لسان المرسل اليهم ليبين لهم اعتذر
بعجمة لسانه وكان هرون عليهما السلام لم يبعد عن حضرة مصر وان كان عبرانيا
فانه كان من اجل ملازمة الجوار فصيحا بلغتهم قول فرعون لما قالا عليهما السلام انا
رسول رب العالمين يقال الرسول للواحد وللكثير هذا رسولى وهؤلاء رسولى وهذه
رسولى ثم قال لهما فرعون بعد كلام جرى بينهما وما رب العالمين وقال الاسال
بها فى لسان العرب فى غيره من الالسنة الا عن ذى جنس فمن سال بها عن الله تعالى
فهو غالط بكل وجه وكان فرعون رجلا علا فى الارض فطغا ودعا الى نفسه فقال
انا ربكم الاعلى وعند من يذهب مذهبه او ينحو نحوه ان كل ذى حقيقة قائمة بنفسه
فهو الحق ويصلح ان يسال عنه فيقال ما هو وجعلوا هذا من حد السؤال عن كل جوهر
قائم بنفسه فقوله لعنه الله وما رب العالمين كانه يقول الست هو الحق وانا الحق ايضا
فاجابه موسى عليه السلام بما هو مبطل الحجة لو تعقل بقوله رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين اى ان كنتم موقنين انى ان كنت تؤمن انك لست بخالق السموات والارض
وما بينهما وهذا موضع اليقين لو اهتدى لعلم انه من خلق السموات والارض وما بينهما
هو المالك لذلك كله وفرعون ومن تبعه مما بين السموات والارض فقال لمن حوله الا تستمعون
قوله هذا يدل على انه لم تسمع مقالته ولم تفهم عنه ثم زاده بقوله ربكم ورب اباءكم الاولين

فصل اصل الدجل ابليس لعنه الله قال الله جل من قائل للسامرى على لسان رسوله
موسى عليه السلام اذهب فان لك فى الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه فقوله
لا مساس كناية عن لعنة وانه لا تغاضب وقوله وان لك موعدا لن تخلفه قول ابليس
لعنه الله رب فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم الى قوله ولا تجد

اكثرهم شاكرين ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاجاب رب العزة جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه على ذلك هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين المعنى كما كما جاء وانه لما اراد الله جل ذكره ان يستخلف في الارض الساجدين من ذرية آدم خلقه من تراب وامر الملائكة بالسجود له اذا سواه ونفخ فيه من روحه وفي ذلك وجوب وجود السجود من آدم لخالقه فسجد الملائكة كلهم اجمعون ايتماما به الا ابليس لم يكن من الساجدين لانه لم يكن في الازل كذلك قال يا ابليس الا تكون مع الساجدين الذين استخلفهم في الارض وملائكة السموات والارض وكذلك قوله ما منعك الا تكون مع الساجدين ثم كان بعد ما كان من اغواء آدم وزوجه حتى اخرجهما من الجنة وجعل في الدنيا سجنهما فبكى آدم عليه السلام قيل انه بقي ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه الى السماء حياء باكيا ولم يكن بكاؤه ذلك كله على خروجه من الجنة فقط بل خوفا من نفسه وعدوه وانه في منزل القرب ومحل الانس ظفر منه ببعض لعنته وكيف يكون الحال ههنا ثم تزوج صلوات الله وسلامه عليه وخلفه بعده الائمة من ذريته وفي اثناء هذا طهر من ابنه القاتل اخاه ببعض بغيته ايضا ففر القاتل الى الجبل وانسل بها ومنعه ابوه حضور المجلس واحتجب عنه قال الله جل من قائل كان الناس امة واحدة اي مهديين واختلفوا هذا محذوف قيل ان اصل اختلافهم ان نسل القاتل سموا بعد موت آدم عليه السلام وبعد مضي حل زمان الائمة من بعده الى الاجتماع باعمامهم في السهل فنزلوا اليهم وخالطوهم وواقعوا النساء بعضهم في بعض على غير وجه الحلال فكان عن ذلك اولاد الزنا فهم الذين زين لهم الشيطان عباده غير الله وتفرقت بهم في الكفر كرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ويكون المعنى ايضا كان الناس امة واحدة في الكفر يعني الجاهلية التي ارسل اليها نوح عليه السلام وذلك بعد الهداية ثم الاختلاف يقول الله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون اني لكم رسول امين الى اخر المعنى وقال او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم فكان من شانه وشانهم ما قصه الله جل ذكره ثم قال كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين الى اخر المعنى وقال او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح وكان من شانه وشانهم ما قصه الله جل ذكره ثم قال كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وكذبوه فكان من شانه وشانهم ما قصه الله جل ذكره ثم قال عز من قائل كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وقال لهم يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم الى اخر القصة وكان من شانه وشانه ما قصه الله عز وجل وقد كان في زمان ابراهيم عليه السلام الجبار الذي ابتلاه لما قال وقد سأله عن ربه ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت وكذلك كان

جل من تقدم من الرؤساء ذوي الاتباع يعبدون ويدعون الى انفسهم والاتباع يعبدونهم ويعبدون الاصنام والطواغيت كملك اصحاب الاخدود وغيره الى ان بلغت النوبة الى فرعون فيعبد اتباعه واستعبد بني اسرائيل وذبح الرجال واستحيى النساء وكان ذلك عقوبة لفعل آبائهم بيوسف عليه السلام لما عزبوه واستعبدوه فباعوه وردوهم على ذلك بحالا وطول مكث في البلاء ثم لم يزل في علمائهم يستتبعون الاتباع ورؤساؤهم عليهم وفيما قيل ان الله جل ذكره اوحى الى ارميا عليه السلام ان هؤلاء القوم يعني بني اسرائيل تركوا ما اكرمت عليه اباءهم وابتغوا الكرامة من غير وجهها اما احبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولا من دوني يحكمون فيهم بغير كتابي حتى اجهدوهم امري وانسوهم ذكري وغروهم مني فبطروا نعمتي وامنوا مكري وبدلوا كتابي ونسوا عهدي وضيعوا امري ثم هكذا اما الكفار فرؤساؤهم يدعون الى انفسهم من دون الله واما الاتباع فعلى ما تقدم ذكره واما من آمن وطال بهم العهد نسوا كثيرا مما ذكروا به فرؤساؤهم يملكون الاتباع والاتباع على دين ملوكهم والعلماء على ما تقدم ذكره من وصف الله تعالى لهم الا عباد الله المخلصين ثم كذلك الى ان بعث محمدا صلى الله عليه وآله وعلى جميع الانبياء والمرسلين ظهر في ايامه علم الدجال في ابن صياد ثم خفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انذرتكم الدجال وكل نبي قد انذره قومه حتى ان نوحا عليه السلام قد انذره قومه ولم يكن الانبياء فالمرسلون لينذروا قومهم ويبعث الله ذلك على السنتهم الا لانه في اممهم كما تقدم ذكره من الرؤساء والملوك وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال فخفض فيه ورفع حتى ظنوا انه في طائفة النخل وهو يعلم انه غير مدركهم ولما اصبحوا وهم كاسفة الوانهم فسالهم عن ذلك فقالوا يا رسول الله انك ذكرت الدجال بالامس فخفضت فيه ورفعت حتى ظننا انه في طائفة النخل فقال ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج من بعدي فالله خليفتي على كل مسلم اخوف ما اخاف عليكم ائمة مضلين ثم كذلك حتى ياتي امر الله فالدنيا منقسمة قسمين ذكر وفتنة ففي قسم الفتنة الدجال وهو اعظمها وهولها كالمعهود الذي يتفرع المعين كلها عنه وفي قسم الذكر الحق المخلوق به السموات والارض لا فتنة فيه وهو الذكر كالمعهود عنه يتفرع الذكر وجاء في بعض السور ان الله جل ذكره قال لبعض الانبياء قل لقومك نطارا فانظر ماذا ترى وركز الارض والله اعلم فقال اري قصبا سامرا قال الحسن ما رايت لاني سامر على كلمتي لا اتمها تمكنا اذ يكون الذي اراه هو قسم الفتنة والدجال ولذلك قال اراه قصبا سامرا فسماه قصبا اذ به وبسببه يعاقب من ذلك قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ويكون المعنى بقوله الا دني ساهر على كلمتي لا اتمها اي كلمتي في قسم الذكر هذا هو المعنى الاول ثم يكون التداخل بين المعنيين واتمام كلمة الحق بالذكر في هذه الدار موقوف على اخر يده عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليهما واما القسم الاخر فهو الدجال لعنه الله

ثم لا يقوم الساعة الا على شرار الناس **فصل** واكثر الدجال واسواده عاين
وجوده في الاسلام اذ الكفار اموات الذين غير احياء وما يخرج بعث ايلام فالعقوبة
عليه في الاسلام لازمة والعتاب من اجله كثير الا ترى الى بني اسرائيل لما اتخذوا اما
اخرج لهم السامري من حليهم عجلا جسدا له خوار ما اكثر تكراره للعتاب وان كان قد تاب
عليهم ذلك لان عقوبات الله عليه لازمة ولو حصلت التوبة من الخطيئة فان زلل
العبادات وعقوبة المثوبات تظهر في الاولاد ويخرج في النسل على سنن الشبه الكائن
عن النسل لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية
خيارهم في الاسلام اذا فقهوا الا ترى ان الدجال الاعور لعنه الله خارج فيهم وبهم
ثم انظر الى بني يعقوب عليه السلام وفعلهم باخيهم اذ هم جاهلون يقول الله جل وعز لقد كان
في يوسف واخوته ايات للسائلين اي للباحثين الطالبين علم ما جاء به الكتاب
المبين والقران الحكيم ثم جعل يقص نباهم بالحق فكانت العشرة الاخوة مثلا
للدجال بوجه ويوسف مثلا للحق المغرب في الامة المغلوبة المستهلكة ويعقوب مثلا
للرسول الذي بالكتاب والنبوة ولما جاؤه بما كادوه من القميص المدمى المكذوب عليه
لم يسمع تصديقهم بل اضرب عن ذلك منهم وقال بل سولت لكم انفسكم امرا اي في يوسف
فصبر جميل على ما اصابه وابتلي والله المستعان على ما تصفون لعلمه ان ذلك منهم في وجه
الوجود مثلا لما اليه وكان سجنه عليه السلام مثلا لاختفاء المسلمين يومئذ اعني يوم
الدجال وطمس نور الاسلام بعده ولذلك قال رسول صلى الله عليه وسلم لو لبثت في
السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي تاولا في ذلك لقصير مدة الغلبة وتعجيل خروج
الحق وظهوره وتاولا يوسف عليه السلام بما الهمه ربه عز وجل تنزيه محل النبوة
واخذ التنزيه لطهارة الرسالة وكان تعجيله القميص الى يعقوب عليه السلام ووجدان
يعقوب عليه السلام ريحه مثلا لصوت الصريخ سحر النزول المبارك عبر عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وتسمعون صارخا في السحر قد جاءكم الصريخ فيقولون نعم
ثم ينزل عند الفجر صلوات الله وسلامه عليه وتذكر اذ هذا يكون من يعرف بعضهم بعض
وارساله من جملتهم ودفع القميص اليهم حين اشتد الامر على يعقوب عليه السلام عبر عنه
قول الله عز وجل والله اعلم بما ينزل لما وصف غيبة يوسف على الوجه الذي قصه ثم غيبة
اخيه بنيامين ثم احتباس كبيرهم من اجله عظم لذلك كربه واشتد اسفه تولى عنهم
وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم وكان قول يوسف
عليه السلام لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى
اهلهم لعلهم يرجعون في تاويل الحق المغروز في الجبلة كان ذلك من حكمة الله جل
ذكره ليرجعوا اليها في ضروراتهم سها مسه لعلهم عند خروجهم بذلك المعنى المجعول
فيهم اليه يرجعون وما في اثناء قصص السورة من شيء عداهم الا له في المستقبل وجه
يبين ذلك بالكلية عند معاينة الامور تظاهر الدليل مع المدلول عليه وكان جمع الشمل
المعبر عنه بقوله ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش وخروا له

سجدًا واشكر منهم على ذلك كتجلي شمل المستقبل والتزامهم طاعة مسيح الهدى صلى الله
عليه وسلم يقول الله عز وجل حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف
جاءهم نصرنا الى قوله لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي من التورية وتفصيل كل شيء اي الكتاب
المحفوظ الذي حوى الوجود كله وقد ظهرت جملة من الدجال في هذه الامة منذ
نحو عام ثلثمائة الى هلم جرا ومنهم من ادعى النبوة ومنهم من ادعى الربوبية واصلهم
المعتمد عليه ابطال ما جاءت به الرسالة والنبوة وغايتهم الدعاء على انفسهم فمن
مقصر عن ذلك قدره وقدرته وابطن بذلك بمذهبه ومن معدن له تعرض ذلك ظهره
والله المستعان قوله عز وجل وانه لتنزيل رب العالمين يقول فقد كانت لكم ايات الذكر
وايات السماء كافية وايات ما جرى على الامم الماضية والقرون الخالية من الاهلاك
والتدمير لاجل تكذيبهم الرسل وردهم رسالة الله جل ذكره وهذا القران كتاب الله انزله
عربي مبين كلام رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك يا محمد صلى الله عليه وسلم
لتنذر الناس ما هم اليه صائرون فهذه ايات بينات بكل وجه ومعنى فما نظروا ولا
فكروا وما امنوا به ولا عرفوا صدقه من حيث اعجازه ولا من حيث هو معلوم لبني
اسرائيل مسطور في زبر الاولين مذكورا في صحف المرسلين قبله الا ترى يا محمد ان هذا اصلا
مناهم لما زاغوا عن الهداية ازغنا قلوبهم وازللنا لذلك اقدامهم عن الصراط المستقيم
افعلى هؤلاء تحزن قلبك او تبخع نفسك ثم اتبع ذلك قوله عز وجل ولو نزلناه
على بعض الاعجمين وقرأها الحسن الاعجميين مشددة الياء اي لو انزلناه على غير
لسانهم وهم العرب فقرأه عليهم الاعجمي ما كانوا به مؤمنين يقول جل ذكره لذلك
سلكناه في قلوب المجرمين يريد المعرضين عن الايات المكذبين بالكتاب والرسول
اي كما نسلك الخطاب العربي في قلوب الاعجميين وخطاب الاعجمي في قلوب العربيين
لا يؤمنون به لانهم لم يسمعوه بقلوبهم ولا فهموه بعقولهم بل هم في سماعه كالراعي ينعق
بالغنم فهي لا تسمع الا دعاء ونداء صوتا يقرع الاسماع لا غير بل هؤلاء اسوأ حالا
من البهائم في الشان وقلة الطواعية اذ الداعي يزجر تلك وتنزجر وهؤلاء لا يعقلون يقول
الله عز وجل لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيومئذ لا ينفعهم ايمانهم ثم قال عز
من قائل افبعذابنا يستعجلون لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين اتبع هذا قوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما
اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ما قد مضى فكان لم يكن وما هو ات فكان قد ومن تورط في المحذور
واحاط به المخوف ما الذي يغني عنه ما قد مضى له من رفاهية بال ونعمة حال والاخرة احق
حقيقة من الاولى والعافية املك بالعبد واولى والامور بالخواتم **قوله** تعالى وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون ذكرى يقول جل قوله وقد سبق منا العلم باهلاك المهلكين واعمالهم
والاسباب التي اوجبت هلاكهم لكنا نرسل اليهم المرسلين منذرين لهم بما هو مصيبهم ذكرى
لهم وما كنا اي في الازل حين التقدير عليهم بذلك ظالمين لانا انما اوجبنا اهلاك

في الدنيا والعذاب في الاخرة على من لو ادخل النار ثم اخرج منها واعيد الى الدنيا
لعاد الى ما كان عليه ولما ذكرتهم الرسل ووعظتهم الكتب وبينت لهم الايات
اعرضوا عن التذكار وانفوا عن صدق الاستجابة وردوا الحق على من جاء به وجادلوهم
بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذهم الله تبارك وتعالى من كسبهم وهذا هو العدل اذ لم
يشأ في البدء ان يتفضل عليهم فيدخلهم في رحمته وفضله ذلك قوله وما كنا
ظالمين اتبع هذا وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون صرف وجه
الخطاب الى وصف القران نقول انما نزل به من عند الله جل جلاله الملك بالروح الامين
لم يتنزل به الشياطين وما ينبغي لهم ذلك لبسوا من اهل ذلك ولا هو من شانهم ولا
تلك مرتبتهم وما يستطيعون لمنع غزاهم وصد صدهم عن ذلك قوله انهم عن السمع
لمعزولون عزلهم هذه من لدن اهبط ابوهم المتلبس الملعون من ملكوت السماء
قوله تعالى فتوكل على العزيز الرحيم اي هذا الخطاب والله اعلم بما ينزل معطوفا على
المفهوم من قوله لتكون من المنذرين فيكون تقدير الكلام فانذر وتوكل على العزيز الرحيم
ثم اتصل منتظما بقوله وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وانتظم قوله هذا بما في قوله وتوكل
على العزيز اي القادر على الانتقام منهم الرحيم بك وبمن اتبعك من المؤمنين الذي
يراك حين تقوم يراه على كل احواله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ولعظيم
كرمه وجليل وده ونعوت تعاليه جلاله ذكره باحسن احواله واكرم حركاته وهو قيامه
الى الصلوة وبخاصة صلوة الليل ثم قال عز من قائل وتقلبك في الساجدين لما كانت خاصة
دين الاسلام والصلوة وخاصة الصلوة السجود عرفه من نفسه بافضل احواله واحسن اعماله
وذكر التقلب عبارة عن التقلب في عمل الصلوة كما قال عز وجل امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما ثم قال وقوله الحق انه هو السميع العليم اي لقرائتك وذكرك اياه ودعائك وسؤالك
العليم بحركاتك قوله عز وجل هل انبئكم على من تنزل الشياطين الموجب بهذا
الخطاب هم القائلون فيه انه كاهن وشاعر ومجنون فابتدأ بوصف الكهنة فقال فيهم
انهم كاذبون افاكون اثمون يلقون السمع للشياطين ثم يكذبون على كذب الشياطين على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاء الشياطين على الكافرين صفرها في اذنه قر الدجاجة
يعبر بانه وحي يوحون به اليهم خارج عن معهود كلام البشر بعضهم لبعض غير
مفهوم على التفصيل وربما فهمه على الاجمال من غير احاطة معرفة وفهم به ذلك
لان الله جل جلاله جعلها اعني الكهانة اية على الوحي الحق من عند الله جل وعز والله
يوحي الى عبده بالقاء يلقيه في قلبه او نفث من روح القدس في روعه وهو قادر على افهام
الوحي اليه عند ما شاء فهامه اياه بحمل ذلك المفهوم له تاما مفسرا وغامضه بعضه وعلمه بعض
كذلك تبليغ الشياطين ولله المثل الاعلى وهو العليم القدير وموضع تلقي الشياطين
من العنان الى ما دون ذلك والوحي متلقاه من فوق العرش العظيم ثم قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ويخلطون اليها يعني الكهنة مائة كذبة فيجتمع في ذلك كذب الشياطين

وقلة فهم الكاهن لما القي اليه ثم كذبه في ظلمات بعضها فوق بعض قال الله عز وجل
ام لهم سلم يستمعون فيه السلم للشياطين والمعارج للملائكة عليهم السلام ثم قال عز
من قائل فليأت مستمعهم بسلطان مبين فجعلهم الله عز وجل بموضع التهمة ليس كما
قال في منزل الوحي عليه السلام نزل به الروح الامين على قلبك واخبر بان الوحي بالملك
يكون ملقى الرسول تاما مفهوما مفسرا وغامضه فهمه وعلم معه ثم قال عز وجل والشعراء يتبعهم
الغاوون يعني وهو اعلم الشعراء الذين كفروا ينصرون الكفرة بالسنتهم يلقون اليهم
سب الرسول وذم الايمان وتزيين الكفر والشرك هذا فعل الغاوين ولتلك الشعراء
الم تر انهم في كل واد يهيمون من الكفر يهيمون اي انهم لا يمشون على الصراط المستقيم
فيصفون في اشعارهم مدح الله ومدح رسوله والاسلام والايمان ثم قال وانهم
يقولون ما لا يفعلون اي تكذبون هذه اعمال الشياطين واخلاقهم فدل من هذا
على الشعر المذموم وتمييزه من المحمود منه ودل بما ذكره في القسم الاخر ان ذكر الله في
الشعر ذكر كثير والحمد لله رب العالمين ويمكن مع هذا ان يكون معنى قوله الم تر انهم
في كل واد يهيمون اي ياخذون كل ماخذ ويخلطون كل التخليط يصف احدهم
ممدوحه يعرض له في ذلك ذكر ناقة فيستفرغ لوصفها وبيناهم في ذلك اذ يعرض له
ذكر طريقه اليه او مدح نفسه او غير ذلك حتى يبعد عن مقصده ويضل عما شرع فيه ثم تراهم
فهم على ذلك في كل واد يهيمون ليس كالقران العزيز في حسن سرده ولزوم نظمه قوله
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
هذا مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهما من الشعراء الذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان والمؤمنين ولما ذهبت
قريش باحزابها وتفرقت عن غزوة الخندق قال كعب رحمه الله في كلمة له طويلة

جاءت سخينة كي تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

انشده رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال له يا كعب ان الله قد شكر لك
قولك ثم قال تبارك وتعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون يعني يوم القيمة يوم الفصل

سورة النمل مكية فيها من المنسوخ اية واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طس تلك ايات القران وكتاب
مبين المعنى حيث جاءت هذه الحروف في اوائل السور لغاية المطلع وبعد الغور تكاد
العبارات تقصر عن جوامعها ويسعه ما انبسطت عنه عسر على الوهم تصور ما يحاط
من ذلك لكنها والله اعلم بما ينزل حروف معبرة عن ذوات جمل الموجودات كلها مع
ما في الكتب المنزلة ولذلك كانت ايات على حروف القران والكتاب المبين كما ان حروف
القران معبرة عن ما حواه من علم الله ومعرفة اسمائه وصفاته وامره ونهيه وعام
وخاص وظاهر ومفصل ومجمل وغير ذلك من انواع الخطاب لذلك وهو اعلم
بما ينزل كان هدى للمتقين اي الحروف المقطعة بما عبرت عنه من دلالة الوجود وبشرى
اي القران للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة الى قوله يوقنون لذلك قال جل

جل من قائل الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فهذا وصف للحروف المقطعة
اذ كل ما في الوجود فهو نسخة لام الكتاب فهو هدى يهتدي به اولوا الالباب ثم قال في
قوله الحق والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك بهذا القران والكتاب
قبلا للتوراة والانجيل والزبور والصحف باجمعها وجميع ذلك هدى للمؤمنين
لاخبارها عن مرضات الله جل ذكره وتنبيها في الاغلب على ما طوى في ام الكتاب
الذي انما هو الله جل جلاله واسماؤه وصفاته ومفعولاته وهذا عمدة موجود
الوجودين الوحي والا لقاء ثم اتبع ذلك قوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بالاخرة
زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون العمه التردد في الضلالة والحيرة في الجهل فهم
لذلك لا يرون الايات روية اعتبار ولا يسمعون القران سمع ايمان ولا هداية
ولا يعرفون الاخرة فيذكرونها بما يشاهدونه ويرونه من الدنيا زين لهم سوء اعمالهم
لانهم لا يخرجون على هداية ايمان واقتداء برسول من عند الله ولا يتصبرون الماموي
والمنهي عنه بموجودات الوجود الادنى فيعملون على بصيرة واحتسابا ذكر الى الوجود
الاعلى وموجوداته ولا يمتثلون الامر المسموع بواسطة القران المبين وقال
لمرضى جود الكتاب ولذلك لانهم عدموا بركة المسموع والمرئي فهم يعمهون
قوله تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم عطف معنى لرسالته على ما في
قوله المتقدم من معنى الوجودين الوحي والعالم بقوله عز وجل من قائل وهو اعلم
بما اراده يسئلونك ان تاتيهم باية وقد كان لهم فيهم ما يشاهدونه من الايات في
السماء والارض وما بينهما على وحدانيته والشواهد على رسالة المرسلين
ونبوة النبيين وما بلغت اليهم الكتب واعلمهم به الوحي الكريم ثم عطف ذكر رسالة
محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين على ما في تلك الجملة من معنى الرسالة فقال وانك
لتلقى القران من لدن حكيم عليم الشاهد على ذلك لو تعقلون اعجاز ما جئت به ذلك
على انك امي لم تكتب الكتب ولا تعلمت العلم ولا عرفت نصيحة العلماء وعلى ذلك كله
جئت بما اعجز الجن والانس ثم جعل يرد ما قد ابتنى في الكتاب المبين واخرجه في الوجود
واجرى ذكره في القران المبين سماه مبينا لانه لعبر عما في اللوح المحفوظ بالوجود
ذكرا وتلاوة قوله تعالى اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا الى اخر المعنى اذ
طرف لما تقدم وانعطف على ما تقدم ذكره من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تقدير الكلام
المعبر عن المعنى وانك لمن المرسلين تلقى الوحي كما يلقى المرسلون اذ قال موسى المعنى كما قال
يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم ومعنى
قوله تلقى تلقن والتلقن يكون بمعنى الفهم ويكون معنى التعليم كالمعلم يقرا الاية على
المتعلم ثم يقروها المتعلم كما سمعها منه ويقال لقاك الله خيرا معنى اعطاكم الله
ورزقكه وكان صلى الله عليه وسلم يلقى القران من عند الله ومن الله بواسطة الملك وكونه ذ
ذلك به من غير واسطة الفعل وقدامه ان يحرك به لسانه حتى يقراه عليه الملك ووعده بان
يجمعه في صدره ويجعله قلبا على لسانه فكان الملك عليهما السلام ياتيه بالاية او السورة

فيقراها عليه وهو ساكت فاذا ذهب عنه قراه كما قراه عليه الملك فهذا والله اعلم
خاصة قوله تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم كذلك قال في سورة الشعراء عطف
بالواو في قوله واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين على ما تقدم ذكره من ذكر
اياته في الوجودين العالم والوحي وانما ذلك تذكير بما تقدم من سننه وحكمه في الامم
قبلهم وتذكير برسالاته وما تبع ذلك من محاذاة بثواب وعقاب واعذار وانذار وغير
ذلك ثم جعل يرد ذكرهم رسولا رسولا وامة امة في اخر كل قصة يقول ان في ذلك
ذكر القران بقوله وانه لتنزيل رب العالمين الى اخر السورة وقد تقدم ذكر هذا والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل قوله عز وجل فيما حكاه عن موسى صلى الله عليه وسلم اني انست
نارا اي احسست نارا رايتها بعيني وهو من الحاسة وانست ايضا علمت هو علم اليقين
لعلي اتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس اي شعلة نار والقبس يريد شيئا ماخوذا منها وقال
في موضع اخر لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة العود او
الشيء قد اخذ فيه النار وفي موضع اخر لعلي اتيكم منها بخبر او اجد على النار هدى كانت منه عليه
السلام كلمة انباها سبقها الله رب العالمين رايت عينه نارا فوجد نورا وكلم من النور
نور الانوار رب العالمين لذلك وهو اعلم لما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها
دخوله انه هاهنا دليل على ان الكلام متوجه عن كلام الله جل ذكره كانه قال نودي بكلام معناه
بورك من في النار ومن حولها الى قوله والق عصاك وقد قال في غير هذا الموضع وان
الق عصاك وفي قراءة ابي ان بوركت النار ومن حولها من الملائكة وهذه قراءة صحيحة
لان ذلك هو نور رب العالمين جل جلاله ومن حولها موسى والملائكة عليهم السلام وسبحان
الله رب العالمين نزه نفسه العلي الاعلى ان يحيط به مكان او يحصره زمان تعالى عن ذلك
كله علوا كبيرا بورك من في النار ومن حولها تبريك من الله عز وجل على ما ذكره فلقد
بورك فيها وعلى شانها من نار ذهب بعض منها للصلاة قال لشانها انها رب العالمين
وكان هو رجل من البشر فاصاره نبيا رسولا ثم الى ما آل اليه امره بعد ذلك قوله
تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الضمير الذي في قوله انه هو بمعنى الامر والشان ونون انا
اكبر حرف واكرم نون لا مثل لها الا ما عبر عما عبرت هي والله اعلم بما اعلمت كذلك قال في
موضع اخر فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك اي انا مكلمك هو ربك والذي تراه
نوره هو كذلك وقال في موضع اخر انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة
لذكري بعدها والاسم كذلك قال في موضع اخر فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي
الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين اي ان الذي
ترى نوره وتسمع كلامه هو رب العالمين واخبر جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عن نفسه
بالانية وتحقيق الشهود والحضور بقوله جل من قائل وكلم الله موسى تكليما وقوله نودي من شاطئ
الوادي هو جانبه والايمن منه نعت للشاطئ واما ان يكون من اليمن وهو كذلك ولا احق تحقيقا
من ذلك اليمن واما ان يكون مبينا اليمين قال من يكون يمينا شاطئ ذلك الوادي المقدس والله
اعلم بما ينزل الى ذلك اشارة ان الذي نودي منه موسى كان عن يمين موسى صلى الله عليه وسلم والله اعلم

ايضا يمين ولا يستقبله عبد ابتغاء مرضاته الا كان جل ذكره مواجها له اينما تولوا فثم وجه الله
وقال في موضع اخر وما كنت بجانب الطور اذ نادينا فان كان ذلك كما ذكرنا فقد يجمع
في هذا الخطاب في تخطيه الوجهان معا اليمن من الله عز وجل واليمن من موسى والمواجهة وجاء في
الخبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب التوبة مفتوح من قبل المغرب عرضه اربعون سنة
لا يغلق حتى يطلع الشمس من مغربها فاتصف الشاطئ باليمن بالنداء الكريم منه ومن قبله
واتصف باليمين بموقف الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبته اليه بالمواجهة واليمين منه ودعي الله
اعلم ان تلك الارض انما سميت بالارض المقدسة والمباركة لذلك التجلي العلي يومئذ والله اعلم
جل ذكره في ازله انه يكون ذلك منه في المستقبل بها هنالك قبل وبعد وقد جاء ان تلك
الارض هي المقصودة بالحشر ويومئذ يجيء الله اجل جلاله وتعالى علاؤه وشانه في ظلل
الغمام ويتجلى للمؤمنين يومئذ وانما ذكرنا هذا النعت على اتساق حكمته في احكامه **قوله**
عز وجل لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم
اعلم الله جل ذكره ان المرسلين لا خوف عليهم كما قال في موضع اخر يا موسى اقبل ولا تخف انك من
الامنين واذ كان يومئذ لا يعزى من احد لشديد اهوال المطلع لذلك يقول الملائكة عليهم السلام
لاتباعهم لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وقوله الا من ظلم يمكن ان يكون استثناء منقطعا
وحذف من الكلام ما تقديره فانه لا يخاف الا من بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ليس قوله الا
من ظلم مستثنى من المرسلين هو مستثنى من اتباعهم فان المرسل اليهم مفهوم في مراد قوله
من المرسلين كما المفهوم من المرسل اليهم ان منهم المحسن والظالم لنفسه فالمحسن ما عليه من
سبيل والظالم المسيء هنالك ومفهوم من المراد بالقول ان بين المحسن الي بقي والظالم المسيء
متوسطا خلط عملا صالحا واخر سيئا فمن عمل صالحا ثم ختم عمله بظلم عظيم فهالك لا ريب ومن
ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فهو المراد في هذه الاية ويحاور في خطابه جل ذكره ذكر هذه الاصناف
اذ هي كلها من مفهوم الخطاب وقرأ زيد بن سلم الا من ظلم بفتح الهمزة وتخفيف اللام على معنى
استفتاح الكلام **قوله** تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما من العلم الذي اتاهما الشكر لله
عز وجل قولهما الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وفي بعض العلم المذكور بقوله
يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين امر الانبياء و
المرسلين عليهم السلام ان يحدثوا بنعمة الله قبلهم لان ذلك منهم دعاء الى الله جل ذكره ليس كذلك
الغير الا ان يدعو الى ذلك ضرورة ماسة وقال في موضع اخر وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير
وقال يا جبال اوبي معه والطير والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا
هذا كله من العلم الذي اتاهما صلوات الله وسلامه عليهما التاويل وبينا هو يعود بعد البدء ثم العود قال الله
عز وجل وورث سليمان داود واطلعهما على تسبيح الجمادات ونطق الصوامت وافهمهما ما تقول ذوات
الاصوات المعجمة واراه صورة الجن على تباين خلقهم وحكمه فيهم وسخر ذلك كله طاعة له **قوله**
تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون الوازع المعدل لا يعوق الكتائب
للاول حتى يلحق الاخر ويبقى المتاخر ليلحق حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون **عبرة** اخبر الله الخبير

بما خلق

بما خلق ان النمل يعرف الانبياء والصالحين الحق انهم لا يقتلون نملة فما فوقها عمدا على ذلك
بمفهوم الخطاب الا ان يجوز ذلك منهم على سبيل الخطا فكان هذا مصداقا لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم كل شيء حتى حيتان البحر وطير السماء وفي اخرى ان الملائكة
ليضع اجنحتها لطالب العلم وصلت عليه ملائكة السموات وحيتان البحور واتبع ذلك قوله فتبسم ضاحكا
من قولها ضحكه هذا عليه السلام ضحك سرور وربما جعل الله لمن اثنا على افواه الصوامت وان ذلك
من عند الله كما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جل ضحكه التبسم ثم اخذ في الشكر لله والثناء عليه
بما اولاه وخصه به وسؤاله ان يديم له ذلك ويزيده من فضله وهذا ادب من جعل الله له نصيبا
من رحمته وحظا من كرامته الا تسمع الى قول الله جل ذكره لموسى عليه السلام لما اكرمه بكلامه ونداه
اياه واراه الايتين قلب العصا حية واخراج اليد البيضاء ثم قال واضمم اليك جناحك من الرهب
كما قال واتقون يا اولي الالباب وجاء من مفهوم ما تقدم ذكره ان من عبد الله من يجعل له ودا
في نفوس الخليقة وشاد عليه بينهم وان يفصح بوجود ظاهر بذلك وذلك كان سؤال سليمان
عليه السلام ان يجعله الله بهم وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين **قوله** تعالى وتفقد الطير
فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين الى قوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم اعلم
جل ثناؤه ان الطير والنمل وجميع الخليقة لها تدبير وتدبر واراء وحزم متقدم بين يدي امورها
وكلام بينهم وتخاطب ومعاملات وطاعة لله ولرسوله وود لعباده المؤمنين بما ذكر من شان
النملة والهدهد والجبال والطير جمع ذلك قوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم وخص هنا بذكر الجناحين تخصيصا للبهائم اذ الملائكة والجن لا يفتقرون في الصعود
والنزول الى جناح وجمع ذلك بقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وحيث ما ذكر السجود والقنوت
منها الى ربها فهو من ذلك وان لم يفصح بذلك الوجود كل الافصاح ولا اوضح منها للاكثرين
كل الايضاح ولكن لا يفقهون تسبيحهم لكن الايمان بقول الصادق الحق يضطر الى اعتقاد ذلك
والتصديق به حقيقة لا مرية فيه وانما جمدت الجوامد على الكلام واستعجمت العجم عن الافصاح
في حقنا عن الكلام لان في حقيقتها الحكمة بالغة لله جل جلاله في ذلك وهو دليل على ان حياة الاخرة
في ظل الدنيا وليدل ان من سبيل سنته في حال الموجودات ان يبداها صغيرة ثم يستتم بها سنن النشء حتى
يكملها في الاخرة وذلك ايضا دليل وجود الاخرة عند انتهاء الدنيا الى غير ذلك من اياته **قوله**
عز وجل فيما حكاه عن الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبا
يقين الانباء ابدا انما هي عبارة عن الاخبار عن الغيب فكان امر سبا مما غاب عن سليمان انباه به يقينا
من الهدهد ثم قال اني وجدت امراة تملكهم فاخبر ان سبا ليست هي المراة ولا البلد كما قيل وقد سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو فقال رجل ولد عشرة قبائل فسكن اليمن ستة والشام اربعة فاما
اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وانمار وحمير واما الشاميون فلخم وجذام وعاملة وغسان
وانما سكن هؤلاء هذه البلاد لما اخرجهم الله منها اعني من موضع ملكهم بسيل العرم اتبع ذلك
قوله واوتيت من كل شيء هذا عموم المراد به الخصوص فان ملك سليمان لم يكن مما اوتيته وهذا جائز
في كلام العرب وهو راجع الى مراد قائله ونيته فيه ثم قال ولها عرش عظيم عرشها موضع مقعدها
في هيئة الملك وقد يعبر بالعرش عن الحال والمنزلة والمرتبة ونحو هذا والاصل ما تقدم ثم قال

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل الا
اخر المعنى في هذا من الفقه ان الطير وما دون الانس والجن من العوالم فاتته الله جل ذكره لا تعبد
الا اياه ولا تسجد الا له وقال الله جل من قائل الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب ثم قال وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب
ولذلك انكر الهدهد عليها سجودها وسجود قومها الشمس من دون الله وقال وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل ويمكن ان يكون من قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم الى السجدة من قول
الهدهد يحكاه الله جل ذكره عنه ويمكن ان يكون من قول الله جل جلاله والله اعلم بما نزل لكن
السلف يلقوه على انه من كلام الهدهد لا نصا به وفي هذا الكلام تقديم وتاخير وتقديم والله اعلم
وزين لهم الشيطان الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون
الله لا اله الا هو رب العرش العظيم فهم لا يهتدون وذلك لما اتبعوا الشيطان وزين لهم سوء اعمالهم
واحتجب الحق عنهم وضلوا عن السبيل فهم لا يهتدون وقرا الكسائي الا يا اسجدوا لله على معنى الا يا
هؤلاء القوم اسجدوا لله وروي عنه انه قرا الا يسجدون وهذا متعلق منتظم بقوله وزين لهم
الشيطان اعمالهم وفي قراءة ابي الا تسجدوا لله الذي يعلم سركم وجهركم وما تعلنون وروي عنه وما
تسرون وما تعلنون وقال عيسى بن عمر وابن مسعود وطلحة الا يسجدون لله ويذكرون اسم الله الاعظم
في هذه الاية التي نظن انها حكاية عن الهدهد رزقنا الله ببركاتها وعلمنا من علمه واجزل
حظنا من معرفته ونفعنا بذلك انه ارحم الراحمين **قوله** تعالى الذي يخرج الخبء في السموات
والارض الخبء والخفي فالعلم به اخرا فاعظيما فهو راجع الى وجهين الله اعلم بما وراء ذلك الاول انه
خبا الماء في خزائنه وخبا في الماء ما صرفا ليلماء وخبا الذوات في خزائن السموات والارض وكذلك
ما قد خلقه وما هو خالق مخبو في الخزائن قال الله عز وجل وان من شيء الا عندنا خزائنه فاذا
اراد ايجاد شيء قال له كن فكان كما شاءه والخبء الثاني وهو الاعظم خبوء الاخرة في الدنيا
فاذا مات احدنا صار فيها كما قال صلى الله عليه وسلم للجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك
خبا الجنة في السموات والارض وخبا النار فيما تحت الارضين ثم في الارضين حتى اذا بدل الارض
غير الارض والسموات اظهرها عيانا لذلك وهو اعلم قال على اثرها الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم موضع الملك ولله ملك السموات والارض وما فيهن فالملك الارضي ظاهر عيانا هو لان
وهو على حقيقة ما تقدم ذكره من اخراج الخبء باطن وجود حق وقد يخرج منه ما شاء ويظهر
ما شاء من معجزات وكرامات ودلائل على قدرته ورسالات انبيائه واكرام اوليائه من مقدوره
الغائب الحق من ربك فلا تكن من الممترين ثم بقوله الله لا اله الا هو وهو اعلم بما ينزل اعلى ان
جميع الموجود كان مخبوا في علمه وقدرته ومشيئته ونبه بذكر العرش على ان جميع الموجود في ضمن العرش
العظيم لانه المحيط بجميع الموجود وكان ايضا الوجود كله مخبوا في الماء الذي كان عليه العرش وكوجود
يومئذ كله مرتق ثم لما فتق ذلك الرتق بالهواء خلق الماء فيما خلقه من ذلك فاذا ارسل الرياح
اللواقح في الاجواء وخلق الماء على ذلك فانزله الى الارض اخرج مما خباه ما شاء كما سبق في علمه
السابق وقدرته المحيطة ومشيئته العالية فسبحانه وله الحمد عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
اتبع ذلك قوله عز وجل قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم

ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون هذا مما تقدم ذكره من اثبات صفاته كالملائكة دون الانس من علمه
وفي ذلك انه من الواجب على من اتاه الله المجاهدة لاعدائه واهل الشقاق لله ورسوله فوجه النظر
الى ما بلغه الهدهد وكتب الكتاب مستطلعا هكذا ينبغي لمن مكنه الله في الارض **قوله** يا ايها
الملا اني القي الي كتاب كريم بلغ الهدهد هذا الكتاب وفعل ما امره نبي الله عليه السلام لا محالة
واتاه بما تراجعوا فيه من شان الكتاب ووصفت الكتاب بالكرم لما وقفت عليه من توصيله بواسطة
طائر فعلمت ان وراء ذلك ما وراءه من عظيم الامر ولا يبعد ان يكون شان ملك سليمان عليه السلام مسموعا
لديها معلوما عندها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين
وحتى يصح العالمون بالله وبكتابه وحكمته هذا الكتاب علو الابد ولا محالة ان هذا الكتاب كريم على الحقيقة
اذ جمع المعنى المقصود كله في الوجود بين العالم والكوهي في هذه الكلمات الاربع قوله انه من سليمان هذا فصل
النبوة وانه بسم الله الرحمن الرحيم فصل الالهية باسمائها وصفاتها على القول ثلاث ابحار وحكم النحو
الا تعلوا علي كلمة جمعت المناهي كلها واتوني مسلمين كلمة جمعت المامور به كله بحذافيره حتى الهجرة سبحانه
وله الحمد اعطاهم فافضل عليهم ثم مدحهم على ذلك واثنى به عليهم واثابهم انه حميد مجيد **قوله تعالى**
فيما حكاه عنها قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا كلام
المراة وهو كلام المراة وهو كلام متصل الجملة ثم استانف كلاما قائما بنفسه مصدقا لكلامها قوله
وكذلك يفعلون هذا قول الله جل جلاله وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور ولا يخلو الملك الداخل
ان يكون مؤمنا صالحا او كافرا فاسقا فان كان كافرا افسد على المدخول عليهم دينهم ودنياهم وان كان
صالحا والمدخول عليهم كافرون افسد عليهم دنياهم وربما اقتصر على تغيير منازلهم من الملك وحطهم
عن مراتبهم وذلك الذي عنته المراة يومئذ ثم في قول الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه عبرة قائمة
وحكمة ظاهرة في دخول اليوم الاخر على يوم الدنيا وهذا يفعله ملوك الدنيا وهم لا يملكون سوى
بعض الاجسام وتنقطع بهم عن ذلك الموت ولا يملكون العذاب فكيف بالملك الحق مالك يوم الدين
اذا اذن بانقراض الدنيا واذال المهاد دولة الاخرة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم
القيمة امثال الذر تطؤهم الناس بارجلهم وقال تبارك وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقد وصف الواقعة بانها خافضة رافعة وانه لذلك يوم
يوم التغابن **قوله** تعالى فيما حكاه عنها واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون والمجاز يعني
يعني رسلها قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم الى قوله ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها
الاية ثبت من فعل سليمان عليه السلام وبحكاية الله جل ذكره ذلك عنه في معرض المدح الى قبول الهدية من العدو
المشرك دسوم على الدين وخلافا لطاعة الله جل ذكره وللمؤمنين **قوله** تعالى فيما حكاه عن عبده
ونبيه سليمان عليه السلام قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين علم الله جل ذكره بانهم
مسلمين فاحب ان يبادر اقبالهم بكون العرش عنده ليختبرها هل يكون من المؤمنين كما هي في المسلمين ام لا فاذا
امنت وصدقت بانه هو عرشها وانه كيف تهيا انتقاله بعدها وقد خرجت يوم خروجها وتركته و
لا تعذر عليهم الا علامهم بالقليل الخطر مما يجري في ممالكهم بعدهم فكيف بمثل هذه العظيمة فيحصل الايمان
من هذا كله عن سرعة النقلة انه من المقدور الغائب في الايمان بالمقدور الغائب الحاضر واذا لم يكن
مؤمنة مسلمة وقد تهيا ان تعتقد بعد تحصيل ما تقدم ان يجوز احب تحصيله عنده قبل اتيانهم اليه مسلمين

لتطيب له اتبع ذلك قوله قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين
العفريت القوي الماهر الداهية المجرب الكامل الكافي من الجن والانس وفي الحديث ان الله يبغض العفرية
النفرية الذي لم يرزأ في ماله ولا في جسمه وقراها عيسى بن عمر الثقفي وابو رجاء قال عفرية من الجن
قبل ان تقوم من مقامك يريد مجلس قضائه قيل وكان يجلس الى نصف النهار قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك لم ترى بطرفك اقصى الغاية ثم يرتد اليك حسيرا او فيرا
وقيل ان الذي كان عنده علم من الكتاب رجل من الانس من بني اسرائيل قيل انه علم من باطن الكتاب
الاسم الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وجاء في غير هذا المعنى ان اسم الله الاعظم
الحي القيوم وروي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل يا الهنا واله الخلق جميعا الها واحدا لا اله
الا انت وقيل غير هذا وقيل ان الذي عنده هذا الاسم كان من الجن علم الله حقايق باطن الكتاب
فعمل بما علم فكان عبد الله مستجاب الدعوة لعلمه وعمله وهذا اصوب الاقوال والله اعلم بما ينزل وقد
يرى من يدعو الله يناجي يا حي يا قيوم وبغير ذلك مما قد ذكر انه اسم الله الاعظم ثم قد لا يستجاب له وقال
الله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين اي القبول الاعلى والمتقون هنا هم اهل التحقيق في التقوى
الذين اتقوا الله في السر والعلانية **فصل** اجابة الدعاء من قبيل العطايا والهبات وتقوى
استصحاب ذلك بلزوم التقوى والتزام العلم وتحقيق اليقين واستشعار صدق التوكل و
الشروط التي امر بها الداعي واعني بالاجابة هنا احضار المسؤول حين السؤال والا فهو جل ذكره
قد وعد كل من دعاه ان يجيب وكيف لا يجيب وهو لا يعلم من يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقد بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله هو بين احدى ثلث اما ان يعجل له دنيا واما ان يؤجل له ذلك
الى اجل المقدر له او يدخر له الى يوم الجزاء **فصل** قال الله عز وجل في قصص الحق الذي ذكر فيها
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة واكثر ما قيل في بعد ما بين الشام والمدينة مسيرة
شهر وكان صلى الله عليه وسلم يشير به الى ما على هينتها ودخانها شهرا رواحا وشهرا غدوا فيقضي
العفريت ان يأتيه بعرشها في مثل نصف النهار وما قارب ذلك وذلك منه مع اسراع في مدة معهودة مسير سليمان
عليه السلام وان كانت الريح تسير به على رخاء بها وهي سعة الخطو مع المهل فلو ما بلغ العفريت مع الاسراع
بين المرة والفعل مثل ذلك واكثر فقرب ذلك من المعهود عند سليمان عليه السلام واراد اسرع من تداد
الطرف وتحقيق ذلك ان تقع العين على مرأى ما فحدث المبر لذلك المرئي ثاني حاله وقوع النظر في اقل
دون زمان محسوس فيرجع الطرف على ذلك المرئي وقد قضى الله له ما عليه في تحصيل العلم للملك المرئي
والرجوع الى نفس الرائي بعلم ذلك ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه وذكر ابلاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نشأ وفيه قال فصعدت اليه وهو في مشربة وهي خزانته قال فما كان فيها من يرد الطرف
الا اهبة قليلة وبيرق فلظ الحديث يرد الطرف وهو وقوع البصر على المرئي ورجوع بعد وقوع العلم به
في نفس الرائي قال الله عز وجل فلما راه مستقرا عنده لم يكن في احضاره بعد الاذن بلبث وانتظار
فصل الذي يعطيه العلم ويوجبه العقل ان سببها لهذه العطية الكريمة بعد مشيئة الله جل ذكره
والامتنان بابتداء فضله لاحد وجهين وكليهما لعبد فضاله ذروة العلم وعلا اليقين مع العمل بما تيسر
فيما علم او عبد وفق للعمل ودفع فيه الى اعلى درجاته على سنن اقتداء صحيح بما هو عامله غير ان الاول
اصله العلم وهذا اصله العمل والعبد الذي اصله العلم ربما بلغ في قضاء سوله الى هذه الدرجة

المذكورة لهذا الذي كان عنده علم من الكتاب ان يسال او يريد المراد فلا يكون بين ذلك الا كما بين
وقوع الطرف على المرئي وحصول العلم به في القلب ومن هذا قال سهل رحمه الله وذكر الاولياء وكان
في اصحابه يومئذ وفي مدينة ستراب فيهم لم يقعد هنا ويقوم بمكة واما الاخر الذي اصله العمل
فهو الذي تطوى له الشقة فربما مشى في مسيرة الشهر مثلا نصف المدة وربما سار عشرها او اقل
من ذلك جدا واكثر وعلى قدر الحظ من العلم في هذا وهذا واما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الدعاء ثلثة فمنه معجل ومنه مؤجل ومنه مدخر فتعجيله على ما تقدم ذكره كذلك تعجيله وادخاره
له ليوم الجزاء فهذا العموم المؤمنين فان الدعاء من قبل العمل والله لا يظلم مثقال ذرة جمع ذلك كله
قوله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين كل على درجته ومقامه الذي جعله الله فيه واهله له ولكل نبا مستقر وهؤلاء مختلف
الميعاد **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيفوا الابواب واذكروا اسم الله وفي اخرى خمروا
الاناء واكفؤا الاناء واذكروا اسم الله فان الشيطان لا يفتح غلقا ولا يكشف اناء وهذا خبر صادق
لا محالة وقد حكى الله جل ذكره عن العفريت انه يضمن الاقتدار على الاتيان بالعرش المنسوب الى تلك المرأة
على ما وصف فيه انه عظيم في قصص تلك المرأة التي حلتها لنفسه وقد ذكر الله جل وعز ان الجن
كانوا يعملون لسليمان الصروح وما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
وان منهم بنائين وصناعين فكيف يجمع هذا مع ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ارى والله اعلم
بما بينه ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على الشياطين منهم والكفار وان ذكر اسم
الله يحظر عليهم فتح الابواب والقاء الاواني ولانها ظواهر والجن لا تتصل الى الظواهر بمعانيهم
يحظر الاسماء التي هي ذكر الله في معاني بواطن ابيحت لهم ويجعل لهم عليها سلطان كقوله عز وجل و
استفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم
فهم على ذلك لا يصلون الى ظواهر الموجودات من حيث هو لكن ظواهر سواهم وما جاء ان الجن كانوا
يصنعون المصانع لسليمان فيشيدون له الصروح والمحاريب والتماثيل ويظهرون له الملك
المعجز فبمشاركة الانس لهم على ذلك هم يقتدرون على عمايات المصانع والامور ويصلون
ذلك باعمال الانس فيظهر المصانع بما هي للانس ويجر البواطن ما ياتي به الجن وانما تضمن العفريت
من سوق العرش ما تضمنه عليه من القوة والامانة بما يصحبه نبي الله عليه السلام من اهل مملكته فانه
كان لا يعمل الجن شيئا الا كان معهم من الانس لا يعمل ما تريد احداثه واظهاره الا اقتدار عليه الا بان يصحبهم
من الجن من يقوم لذلك ولعل هذا العرش انما ظهر الاقتدار عليه بالجن والانس وبركة علم العالم
بالكتاب فعلى هذا ينبغي لنا ان لا ننكر ان يكون لهم مصانع محجبة باطنة وممالك ومدين ومساكن
وجنات وموجودات غائبة عنا ظاهرة لهم لما لم يشاركهم الانس في صنعها لم يظهر ولما كان
من صنعهم على الانفراد بها تناهت في العجب وبطنت والذي اعطيه العلم ويحكم له الوجود ان
ما بينهم تلك ومصانعهم يخرقها اجسامنا ولا يمتنع منا لانها باطنة وفي حكم الغيب عنا كما يخرق
اجسامهم مصانعنا لانهم ظواهر وهم في حكم الغيب عنها قال الله عز ومن الشياطين من يغوصون
له ويعملون عملا دون ذلك اي على الانفراد ومما ينبغي ان نعلم ان الجن لا تتعذر عليهم ان تخرق
ابصارهم مصانعنا ولا يخرق مصانعهم لانهم مفروض عليهم الستر والعفاف كما هو مفروض علينا

وانما نحترز نحن منهم باسماء الله جل ذكره قال الله عز وجل انه يراكم هو وقبيله من حيث لا
ترونهم **قوله** تعالى فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي هذا منتظم بوجهما بمعنى قوله ولقد
اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقول سليمان
عند سماعه كلام النملة رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي المعنى كله حيث
وقع وهذا ادب من بلغه الله الى كرامته واظهر له من المقدور الغائب ما يكون برهانا له على مواهب الله
تؤتيه من فضله ان يرد النعمة الى وليها جل ذكره ويبرا من الحول والقوة ويلزم نفسه ذل
العبودية ويخضع ويستشعر الخوف من الله وسلب النعمة وانه لو اخذه بحقه عنده لكان من
عبادنا فقدا عنده وليباهي لذلك دل على هذا قوله عليه السلام لما راه مستقرا عنده قال هذا
من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني
كريم **فصل** عز وجل فيما حكاه عن نبيه سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون
من الذين لا يهتدون كانت فارقت عرشها على هيئة عهدتها فاتى به سليمان عليه السلام على الوجه الذي
قص علينا من سبيل الاعجاز ووجود المقدور الغائب فاراد محنتها ان كانت تنكره جملة او تعرفه
على بعد دروسه لبعد المسافة وقرب الوقت وعظم المحمل وخروج جملة ذلك عن المعهود ويكمل
وجه مع تنكيرهم اياه فان عرفته استدل بذلك انها ممن يتبين العجائب وتحصل البون ما بين الاعجاز
المعجز والمعهود فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو فاذا هي قد عرفته وانما استوت
فيما يكون منه فكانت عنده بعد ممن يرجى هدايتها فان الضلالة المطبق على قلوب الضالين تعمي العيون
وتعقل العقول حتى لا يعرفون المعجز من المعهود ولا يرون الحق والباطل من ضلته فلا يميزون
لذلك بين الهداية والضلالة ولا ما بين الايات وغيرها من المرئيات قال الله عز وجل وان يروا
كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين فلما بين لها ان المنزل اليها والصلى الله عليه وسلم عنها ليعلم
بذلك منها ما قدر علمه من هدايتها ام تكون من الذين لا يهتدون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وكان
هو عليه السلام من العالمين ولم يكن من الجاهلين وكذلك قال الله عز وجل ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وفيما اومانا اليه بيانا شافيا لمن استقرا كتاب ربه عز وجل وتحقق
سننه في بريته **قوله** حاكيا عن نبيه عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين هذا
منتظم بقوله هذا من فضل ربي بعد ذكر نعمه قبله ويقرر نفسه على ذلك اذعانا منه لجبروته
وشكرا لافضاله عليه اياه ونفسه له بالاذعان والشكر وان يكون من ربها تعالى قائمة بين الخوف
والرجاء اذ خرق العوائد واخراج المقدور الغائب الى حال الشاهد لا يكون من الله جل ذكره
الا افضالا منه على من شاء من عباده واختصاصا واجتباء له وامتحانا لقوم اخرين ما عاينه على ايدي
اوليائه لتقوم حجته عليهم ثم يهلكهم لعتوهم ليتقي صلوات الله وسلامه عليه هذا من فضل ربي ليبلوني
ااشكر فيتبين ام اكفر فيعاقب ان ربي غني عمن كفر كريم عظيم فضله لمن شكر فلم لا
اشكره وقد فضلني عليها بالنبوة والسلف الصالح والعلم بالله وباياته وكنا به ذلك قوله
واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ولم تكن هي مسلمة له فيما مضى لو شاء ربي لجعلني

اياها وجعلها ايه لكي استعملني بطاعته وفضلني عليها وصدها هي ما كانت تعبد من
دون الله اذ كانت هي تعبد الشمس انها كانت بذلك من قوم كافرين جعلها بين كفار وثنها
من اصلاب وبطون قوم كافرين يقول من احق بالخضوع لربي والشكر له مني **قوله** عز وجل
في قصته الكريم قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها الى اخر القصة
الصرح بناء منيف عال من ذلك صرح فرعون الذي اراد به عمران يبلغ السماء او ابوابها
والصرح القصر المرتفع امر عليه السلام بصنعته فصنعته الجن بما ذكره صنعة الانس لذلك
خرج الى اظهار الوجود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لا يفتح غلقا ولا يكشف
اناء صنعه من الزجاج الصافي الابيض فقام في هواء الجو وخف صفاؤه فاشبه الهواء لرقته
وغلظ بعض الغلظ فاشبه الماء وظنته لبديع صنعته واتقان جملته ولصفائه ورقته الذي نفذ
الهواء فيه ان الذي علامته هو مسطح على الارض وقيل لها ادخلي الصرح وهي كلمة مشتركة اذ لم
يقل لها اصعدي الصرح فتاهبت لذلك وكشفت عن ساقيها لتخوض لجة ما راته ماء واللجة غدير الماء
ومعظمه فاعترضها وبينما عزمت عليه حائط الصرح قائما فقيل لها انه صرح ممرد من قوارير
اي انه صنعة من زجاج والممرد المملس ومنه قيل للشارب لم يلتح بعد امرد والملوسة خديه فتبين لها
اعجاز ملك سليمان وان ملكه ليس كملك ملوك الدنيا بالايتين اتقان عرشها على ما قص علينا
والاخرى في صنعة الصرح وبما تقدم لها قبل من توصيل الهدهد الكتاب ثم صار بموضع يسمع
تراجعهم ليوصل ذلك الى نبي الله عليه السلام فقالت عند ذلك رب اني ظلمت نفسي في عبادة
سواك وتخلفي عن دعوة نبيك اياي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فهذه سنة الله جل
ذكره في عباده ورسله ورسالته وحكمته في دعائه عباده الا ترى انه لما بعث موسى عليه السلام
الى قوم جل ما يدرسون به واكبر ما يقولون عليه صنعة السحر اراهم تقلب العصا حية واخراج اليد
بيضاء وكذلك عيسى عليه السلام ارسله الى قوم توفرت دواعيهم الى علم الطب والعمل به فاتاهم
باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وبان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا
باذن الله وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى جميع النبيين الى قوم شانهم فصاحة الخطاب
والتفهيق في تصاريف الكلام فاتاهم بالقران المعجز كذلك لما كانت هذه المراة ملكة اتاها
سليمان بملك معجز وكانت احرى بعرفان ذلك اشرافها على ما بين البونين فاسلمت لذلك
باذن الله العليم الحكيم **قوله** عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا
الله فاذا هم فريقان يختصمون الفريق ماخوذ من الفرقة فمتى انفرد واحد من الجميع او اكثر كان
فرقة وفريقا وقد بين الله سبحانه انهم فريقان يعني مؤمنين وكافرين بقوله قال الملا الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا المعنى الى اخره **قوله** تعالى فيما حكاه عن رسوله صلى
الله عليه وسلم قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون السيئة
هنا تكون يعني استعجالهم العذاب قولهم يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ويكون
يعني الكفر منهم والتكذيب لما جاءهم من الهدى والحق دل على ذلك قوله هنا لولا تستغفرون الله لعلكم
ترحمون اعلم صلى الله عليه وسلم بما علم ربه ان رد امر الله وتكذيب رسله جالب لعذاب الله والرابي
في الدنيا والاخرة لحذرهم عاقبة ذلك وان الله جل جلاله غير تارك اهدا سدا وانه قد نصب

الدنيا دار تحول وتقلب لا يبقى ما فيها ولا بلاؤها بل لذلك كله دوائر محكمة التدوار في
تدوير محكم مبرم يسوق بعضها بعضاً فدوائر النعم فيها بسابقها ودوائر الهداية ودوائر الهدى
بسابقها ودوائر النعمة كما دوائر البلوى والانتقام بسابقها ودوائر الظلم والتكذيب والكفران
منهم ودوائر الظلم والتكذيب بسابقها دوائر الانتقام والبلوى من الله سبحانه ثم مزج المدبر
العالم القدير هذا بهذا وهذا بهذا وقد اضل بعضها بعضا وهو الامر على الاغلب وفي مشيئة الله
من وراء ذلك ما شاء من ذلك كان وما لم يشأ لم يكن يقول لهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى
جميع النبيين والمرسلين لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اى بالكفر والتكذيب قبل الايمان
والاستجابة لولا تستغفرون الله فتنقذون انفسكم من حلول عذاب قد دنا منكم وان لم اذ
يحل بساحتكم قالوا اطيرنا بك وبمن معك هذا جواب من لم يعقل الخطا فلم يحس الخوف
ان من سنة الله جل ذكره في المرسل اليهم اذا لم يقبلوا النصيحة لله وما بلغت اليهم رسلهم
ان ياخذهم الله بالباساء والضراء لعلهم يرجعون فلما اخذ الله هؤلاء بذلك حسبوه طيرة
وشؤما احاط بهم من اجل رسول الله اليهم فاجابهم عليه السلام بكلام جمع لهم المطلب كله لو عقلوا عنه
طائركم معكم اى هي من اعمالكم وتخلفكم عن نصيحة ربكم ودعاء رسله اليكم واعمالكم في الاشياء
وليس ما اصابكم من سيئة ما انكرتم من احوالكم وطائركم عند الله اى ان تخلفكم عن التصديق وحسن
الاستجابة من عند الله وما يرون عقوبات من الله لكم على ذلك على كفركم وبطركم الحق بل انتم قوم
يفتنون لى عن الهداية وحسن الاستجابة لما سبق لكم عنده من سقاوة **قوله** عز وجل
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا الحمد ارفع الحمد اذ هو حمد له لانه كقوله سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكقوله الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا فهذا هو الحمد العلي
والحمد على وجوه منها انها حمد على السراء وحمد على الضراء وحمد على دفعها وحمد على كل حال
وحمد لانه واليه هنا ارتفع الحمد كما قال وان الى ربك المنتهى ليس دونه مقصد ولا وراءه مرمى كقوله
الحمد لله الذي له ما في السموات والارض وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج المعنى كله حيث
وقع وكما ليس كمثله شيء فلا كمثل نعمة التوحيد له نعمة كذلك ليس كمثل النعمة به نعمة ولا منة يفوقها منه
فله الحمد كله الوحدانية المحضة والسنا والعلا والكبرياء والعظمة لم يجز في نعوت تعاليه تحاق
الانداد ولا اتخاذ الصاحبة والاولاد ولم يكن له شريك في الملك ولا ولي من الذل له ما في السموات والارض
وهو العلي الكبير قل بفضل الله وبرحمته اى على كل ما تدعى من دونه وبرحمته اياكم بالايمان والمعرفة به
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اتبع ذلك ما هو في معنى الشهادة **قوله** وسلام على عباده
الذين اصطفى سلموا في الحياة الدنيا من الشرك والكفر وتوابع ذلك وسلموا في الاخرة من عذاب الله هذه
شهادة الحق في الدنيا والاخرة وفي السموات والارض وهو الحق المخلوق عليه السموات والارض فاعلم ذلك
بما اتصل بها من شهادات ومباني الاسلام وسعيه وخصال الايمان ومقتضيات اسماء وصفات وعمل
على ذلك وتطلبه فهو الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين اتم الله علينا وعليك نعمته بفضله ورحمته والله اعلم بما ينزل اعباده الله
خير اما عبادة ما تشركون من دونه كقوله افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي ومعنى خطاب

هذه

هذه الايات محذوف ومضمر دل عليه ظاهرها فمعنى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء
ماء امن جعل الارض قرارا امن يجيب المضطر الى اخر الايات منتظم بالمفهوم ومعنى المقابلة بين التعبد
وبعد الكون في استقامة العبادتين واى المعبودين احق بالتوجه اليه والخضوع له يقول عز
من قائل امن يخلق ولا يخلق ويرزق ولا يرزق ويهدي ولا يهدى ويدعى فلا يجيب ومن يملك
ولا يملك احق ان يتبع امره ويعمل بطاعته ويتوجه بالتعبد اليه والخضوع له امن خلق السموات
والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ثم ذكر
شرع لكل معنى استاق ما يشاكله فالعجز والذل والهون والفقر وعدم الحيوة لمعبوداتهم والهتهم
الباطلة والوصف العلي كله والاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى لله وحده الخالق وهو الحق
سبحانه وتعالى عما يشركون هو الذي يملك السمع والابصار ويملك الملك كله ظاهرا وباطنا عاجلا
واجلا ويعطي ويمنع ويقدم ويؤخر لا اله الا هو البهجة الحسن عرض بذلك الى موجودات الجنة
في الدار الاخرة الحديقة ما احدق بحائط وشجر يحدق بعضه ببعض ما كان لكم ان تنبتوا
شجرها االه مع الله تقرير على ما تبين من تحقيق الحق يقول هل ترون فيهما من شرك اروني
ماذا خلقوا االه مع الله ثم قال عز من قائل بل هم قوم يعدلون عن الحق فيعدلون بالله عز
وجل ما ليس بعدله ثم قال عز وجل امن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يقدر على شيء احق
بان يعبد امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا
اهذا من يعدل به او يلتفت معه سواه االه مع الله ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ثم قال امن يجيب المضطر اذا
دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض والحذو فيها نحو ما تقدم هل من شركائكم من
يفعل من ذلكم من شيء اله شريك في السموات والارض ثم قال عز من قائل قليلا ما تذكرون ثم قال
عز من قائل امن يهدي ولا يهدى ويقدر عليه ولا يقدر ويدبر ولا يدبر احق بالطاعة له والتعبد
اليه امن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته هل تعلمون في ذلك من شركاء
او وقفت اعينكم على معين له او ظهير يتظهر به االه مع الله تعالى عما يشركون يقول جل ذكره
من له البر والبحر وله الهواء والاجواء والاقطار والنواحي والافلاك والنجوم والاعلام
والرياح يهديكم بها في ظلمات البر والبحر ويسير بها السحاب فينزل به الماء الى الارض فيخرج منه كل شيء
حي ويفصله الى ما يفصل اليه وله السماء والارض وله الخلق والامر فهل تعلمون هنا من شريك او
تنظرون الى شريك في شيء من ذلك كله االه مع الله الى قوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله هذا منتظم المعنى بما فوقه الا يسجدوا
لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
وهو مما تقدم دل على ذلك قوله يعني الهتهم وما يشعرون ايان يبعثون ثم ينتظم ذلك بما في القران
والوجود من معنى ذلك قال الله سبحانه وله الحمد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ومن الغيب ما يكون غيبا بالاضافة الى بعض دون بعض كالملائكة
وعلومهم هم غيب في حقنا وليسوا بغيب عند انفسهم وكذلك الجن وكل ما غاب عن مشاهدتنا وعلمنا فهو غيب
في حقنا وان كان مشاهدا ومعلوما لسوائنا وانما الغيب المقطوع بانه لا يعلمه سواه المعنى بقوله جل قوله
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو لا يعلم ما قدرته الا هو ولا يعلم ما علمه الا هو ولا يعلم ما هو

الا هو لعلى الاعلى يليق بذلك العلم كل موجود على نهايته وكماله وحدوده الباطنة والظاهرة
وما له وبدئه وعوده لا يعلم ذلك الا هو وانما يعلم كل موجود سواه من نفسه ان كان ممن يوصف
بالعلم ظاهرا من العلم ولا يحيطون به وكيف يعلم من سواه ويتناول معنى العلم هذا وارتفاعه
لا ابعد غاياته اسماء المحيط والخبير والعليم فيرجع ذلك الى قوله لا يعلمها الا هو ثم قال وقوله الحق
وما يشعرون يعني الهتهم التي يدعون من دون الله ايان يبعثون كما وصف نفسه بالقدرة في الاستجابة
والامر والخلق وصف اولئك بانهم اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون لذلك قال في
غير هذا الموضع غير هذا الحكم الواحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون
علم كل شئ قبل موته واحاط بالوجود كله قبل اظهاره كيف لا يكون كذلك وهو يعلم نفسه جل جلاله
وكل الوجود موجود عنه ومنه وبه وله فهو يعلم الوجود كله من وجوده الاعلى الا يعلم من خلق لذلك
قدر ما هو موجده قبل ايجاده **قوله** جل وعز بل ادارك علمهم في الاخرة اضرب عن
وصفهم بعلم الذكر والعلم بقوله انما يجتمع علمهم وذكرهم الحق في الاخرة اذا ادرك بلاحق واجتمع
هذا يحصل لعلمهم يومئذ حين لا ينفعهم العلم وقد ضيعوه حيث كان ينفعهم ويكون ان يكون
المراد بذلك الاخبار بان علمهم اجتمع في معرفة الاخرة فهم بها جاهلون لانه اجتمعوا في عدم العلم
بها والاول ينتظم الوجهين ليدل على صحة الوجهين قوله بل هم في شك اي اليوم منها يعني الاخرة
ثم قال بل هم منها عمون اضرب ايضا عن وصفهم بالاخرة والعلم بها فيما هنالك وشكهم
فيها ههنا ووصلهم الوصف الى ما هو عليه من العمى اليوم وما الذي اعماهم عن الاخرة بقوله بل هم
منها عمون يعني الدنيا عمون اي اسكرتهم الدنيا واعمتهم فتقدير الكلام وهو اعلم بل اداركه
علمهم في الاخرة يجمع اليهم وتلاحقهم بل هم اليوم في شك منها بل هم من حب الدنيا وسكرها عمون
عن الاخرة وعن علم ما ينفعهم علمه اتبع ذلك قوله وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا
الى قوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا منتظم بخطاب المجادلة التي تقدم ذكرها
ووصف المعاندين والعادلين بالله الى قولهم ان هذا الا اساطير الاولين فكان الجواب لهم على ذلك
من قولهم قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اتبع ذلك ذكر قولهم و
يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وكان الجواب على ذلك قل عسى ان يكون ردف لكم بعض
الذي يستعجلون امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم عنه من علم الغيب الذي اطلعه عليه وعلمه اياه
في مستقبل ما يصيبهم وهو جرى القتل والاسر وكون العاقبة للمتقين عليهم ثم عطف على ذلك
قوله عز وجل وان ربك لذو فضل على الناس في امهاله اياهم وانتظاره بهم على علته فيهم
وبما هم عاملون الا انه جل جلاله كيف اتبع ذلك وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ثم
اكد ذلك بقوله الحق وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين **قوله** تعالى ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كانت بنو اسرائيل قد اتوا بينات من الامر فلما وقفوا
على البينات وصحت لهم السبيل بالعلم اختلفوا فهدى الله جل ذكره الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لذلك ختم بقوله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ثم هم يوم القيامة محكوم
بينهم فيما اختلفوا فيه وكذلك المؤمنون محكوم بينهم فيما اختلفوا فيه وكذلك المؤمنون محكوم
بينهم وبين بني اسرائيل وبين جميع المخالفين لهم لذلك قال عز من قائل ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة

فيما كانوا فيه يختلفون وان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم **قوله** تعالى فتوكل على
الله انك على الحق المبين خطاب خاطب به رسوله صلى الله عليه وسلم وهو خطاب لمن اتبعه واقتدى به
والحق المبين هنا الوجود الوجي والحق المخلوق به السموات والارض وانما نصب الحق لسان الكون
والوحي فاعلم ذلك ولذلك سماه مبينا لموضع وحيه وهديه وكلامه فاذا كان يوم القيامة تجلى
الحق المبين جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ينشؤ النشو الى ذلك الحق من ربك فلا تكن من الممترين
وصف هذا الشان بالنشو مجازا واتساعا وعلى ما هو الوجود عندنا في بادي الراي والتحقيق
هو ان الحق ظهر فيما ههنا العقول لطفا وللقلوب الهداية واحتجب عن سواهم فاذا كان يوم القيامة
ظهر لاولياء عيانا كما يظهر يومئذ جزاؤه للمؤمنين عن الايمان به والطاعة له ولرسله ويظهر
جزاؤه للكافرين والمكذبين يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم الظاهر للمهتدين في هذا
الحق المخلوق به السموات والارض ويومئذ يعلمون ان الله هو الحق الظاهر لهم اليوم المبين للحق المحتجب
اليوم عن الابصار المحتجب عن قلوب الغافلين كما يحتجب عنهم ظهوره يومئذ الا على ما لهم للقاء
معبر عنه بالوقوف والتوقيف فعاد وصف النشو على المخلوق المركوب المعبر والحق بما هو الحق
وصفه بالحجب والظهور ونحو هذا اتبع ذلك قوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء الموتى
هم الكفار والمكذبون والصم هم الجهال فلو اقبلوا الى الله وارغبوا للحق وسماع الوحي فبالجزاء
ان يحصل لهم السمع فاما من تكبر وتولى تولى الله عنه بنعمته واعرض عنه بكرامته جزاء لتوليه واعراضه
والله هو الغني الحميد والصم هم الذين لا يسمعون الوحي ولا يعضون على حقيقته والعمي هم
الذين لا يرون الايات في الارض ولا في السماء ولا في انفسهم وقيل خلافا من المهلكين انما يسمع
الرسول من امن به وباياته فكلما زاد من ذلك زاد سماع الوحي له حتى يرى بعين اليقين وكلما تبصر
الناظر في الايات ابصر وكلما ابصر زاده الله ابصارا وكلما اغرق في ذلك زاده الله
حيوة وايمانا وحقق له صفاته حتى انه ربما راى ما سمع وسمع ما راى فرى بباطنه الغيوب
ويشاهده بقلبه المكنون كذلك فيسمع الصوامت تنوح بالتسبيح والجوامد تعلن بالشهادات
لديها والتمجيد فانه من التقى بسمعه الى ما جاء به الرسول ومن التقى ببصره الى شواهد الموجودات
وتحقق الحق تحري في مسالكه تولاه مولاه ورفعه الى سماع ما لا يسمعه الغافلون ورؤية ما لا
يراه المعرضون لذلك قال وهو اعلم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون لانه انما يسمع الذكر من اسلم
الله بالايمان وحلاه بحلية الاسلام وادعى للحق واقتفى واهتدى **قوله** تعالى واذا وقع القول عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون معنى قوله وقع القول عليهم
وجبت الحجة عليهم ولم يكن عندهم نكير ولا حجة ينفصلون بها مما الزموه من الحق كلا ومه
اياهم يوم نزول القرآن حين قررهم على الحق فاقروا كقوله لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
سيقولون لله ولا بد من ذلك قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ولا بد
من ذلك قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله ولا بد من
ذلك وكقوله في هذه السورة افمن يخلق كمن لا يخلق ومن يملك ولا يملك ومن يرزق ولا يرزق
احق بان يتبع ويعبد ويخضع له ويطاع امره بخالص الوحدانية امن خلق السموات والارض وانزل
لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله ثم اجاب

نفسه ومن تبعه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه جواب الغالب في المناظرة المفلح في المخاصمة
بقوله بل هم قوم يعدلون اى يعدلون بغيره ما عدل ولا مثل ولانه لم يذكر ذلك الى اخر المحاجة
وكان هذا في اول نزول الوحى وقد كان في سابق علمه العلى انه يهلك من شاء الى الولاية والقرآن
اخر الكتب ومحمد رسول الله خاتم الانبياء و ستهجر اعمال العبا وتستولى عليهم الغفلة ويغشى ابصا
وتستقل سمع اهل الشرع فيقع عليهم القول اذ لا منبه تنبه ولا استيلاء الاغراض والتولى وعقوبة
الادبار لا ينتبهون ولو نبهوا فيقع عليهم القول اى يتوجه الحجة عليهم بقول الله جل ذكره اخرجنا
لهم دابة من الارض تكلمهم لانقطاع النبوة وختم الرسالة وعظيم اعراضهم عن الذكر اعرض الله
عنهم تذكرهم بذلك فلم يبق اهلوا ان يكلمهم الرسل يخرج الله لهم دابة من الارض تكلمهم
يقال انها تخطم الكافر سوادا وتبيض وجه المؤمن وقراها ابن عباس تكلمهم وفي قراءة ابى
تنبئهم ان الناس بفتح الهمزة وقرا قتادة تحدثهم ان الناس مفتوحة ابو داود وقال سالت ابن عباس
قلت اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم او تكلمهم فقال كلا والله يفعل تكلم المؤمن والكافر ومن قرا
بكسر اللام تكلمهم يعنى تسم وجوههم **فصل** يتجه ايضا قول الله جل ذكره اخرجنا لهم دابة من
الارض على ما قال الله عز وجل ان شر الدواب عند الله الذين كفروا واية الدجال لعنه الله وهو مخلوق
من الارض لانه من بنى ادم فهو من الارض ووصف بنى ادم فهو من الارض ووصف الارض فيه ثارة
الى الدم والبلدة التى تضاد العلم النافع والايمان بالله قال الله تعالى ان شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فهذا وصف
الدجال وصفاته لعنه الله وفي المسلمين ضرره واعاذنا من فتنته وهو يكلم الناس داعيا الى نفسه ذلك
بانهم كانوا باياتنا لا يوقنون لما لم يطلبوا اليقين قست لذلك قلوبهم فنسوا ما ذكروا به اخرج الله لهم دابة
من الارض تكلمهم من حيث هي انما تكلم الله بواسطة وحيا او بواسطة ملك او عبد من عباده والاسم الدابة
مذموم الا ترى انه لم نقل تكلمهم عن الله بل قال تكلمهم ولو كان كلاما خير لقصه وحكاه رضى بل اشار
الى معنى كلامها بعدم اليقين وكلامها معبر لهم عن ذلك وعلى قراءة من قرا ان الناس جعل عدم
اليقين منهم بايات الله علة لخروجها واما قراءة من قرا تكلمهم اى تجرحهم فجحد الدين اعظم الجرح
وهذا شان الدجال لعنه الله ومقصده ومن قرا تكلمهم من الوسم قال الله جل من قائل سنسمه
على الخرطوم وقد سبق الوسم الى وجه الدجال لعنه الله فانه مكتوب بين عينيه كافر وهو اعور عين اليمنى
وعينا اليسرى طرفه غليظة وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال والدابة في العشر الايات التي تكون
بين يدى الساعة فان لحق هذا يتحقق التواتر فان الدجال لعنه الله اية على ذلك **قوله** عز وجل
ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون الوزع هو المنع الصفوف والذى
يحبس الاولين ليلحق الاخر وهو لا يزعهم الملائكة ليلحق الاخر بالمتقدم فاذا جاؤا الى السؤال
قال اكذبتم باياتى فهذا صنف هم الكافرون ثم قال ولم تحيطوا بها علما فهذا صنف هم الغافلون اما
ذا كنتم تعملون هؤلاء العلماء كما قال عز من قائل نسوا حظا مما ذكروا به فتكون المطالبة للاولين
على تكذيبهم باياته والمطالبة لهؤلاء على تضيعهم العلم بها كما قال ومن اعرض عن ذكرى فان
له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ثم قال وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بايات ربه فاعلم انهما

صنفان

صنفان يلحق بعضهم ببعض وان تفاوتت المنازل فيما هنالك في عذاب نعوذ بالله
من عذابه فيطالبهم على التضييع كما طالب اولئك على التكذيب فيسالهم لم لم يؤمنوا باياتى لم تطلبوا
العلم بها واذ لم تعلموها لم كذبتم بها واذ علمتم لم لم تؤمنوا لم لم تنتبهوا بما علمتم تعلق
الله جل من قائل ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون **قوله** عز وجل الم يروا
انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اى على الموت والحيوة
السكن مثال للموت والنهار المبصر دليل على الحيوة والمبصر الذى يبصر فيه وكذلك الاخرة
هى دار الحيوان فيها تجتمع الحيوة والعلم وبتداركه الذكر يقول قد كان لكم في نعما قبل الليل والنهار
ايات على الحيوة بعد الموت والاخرة بعد الدنيا لكن تلك هى ايات لقوم يوقنون **قوله** تعالى
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله هذه هى النفخة الاولى
يدل على ذلك قوله وكل اتوه داخرين اى يكفرون داخرين صاغرين وقراها الحسن داخرين
بغير الف اذا نفخ في الصور نفخة الصعق يموتون ومن الصور فيأتونه صاغرين ثم اذا نفخ فيه
اخرى فالمراد بها الاحياء يموتون من الارض من الاجساد فينادى كل ذى روح الى ما يموت
منه قال الله عز وجل ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون **قوله** تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب كل مؤلف فصنع الله
جل ذكره متعاقب على الولاء اعداما وايجادا فبالاعدام تمر مر السحاب وبالايجاد يكون الاركان
لها وقيامها ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره وهذا امره فيما ههنا وبالايجاد المتوالى
يكون الانتقاد وعم بهذا التدبير جميع الموجودات علوا وسفلا ظاهرا وباطنا وشمل بذلك الخليقة
شمولا محيطا وقد تقدم الكلام في هذا المعنى ولما تقدم ذكره من معنى قال صنع الله الذى اتقن كل
شئ فاذا كان على هذا الوجه فهو معطوف على قوله الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار
مبصرا وعلى ما جاء من ذكر الايات وربما انعطفت على معنى قوله ويوم ينفخ في الصور المعنى فيكون
معناه وترى الجبال يوم القيمة تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب التى سعش كالسحاب في اليوم
ويتهال كالكثيب من الرمل فالاول اولى بالوجه الاول والثانى بالثانى وهذا حق وجوده لكن هذا
خاتمة قوله انه خبير بما يفعلون والاول صنع الله الذى اتقن كل شئ **قوله** تعالى من جاء بالحسنة
فله خير منها الحسنة كلمة التوحيد وما تبعها من علم وعمل وخير من الشهادة رؤية المشهود وخير
من توجه بالعمل اليه وخير من العمل من توجه بالعمل وخير من عمل العاملين جوار الله ودخول جنته
وخير من ذكرهم له ذكره لهم وكلامه لهم وخير من ترضيهم ترضيه اياهم حيث يقول جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه ارضيتم عبادى واما من لم يوف الحسنة شروطها ضوعف له ثواب حسنته الى
من ذلك ثم وزن او يتجاوز الله بحسن تجاوزه وكون عشر امثال حسنته ايضا خير منها وهم
من فزع يومئذ امنون الوعد مسلم للقسم الاول جعلنا الله منهم ومعهم قال الله عز وجل الذين
امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وجاء في غير هذا الموضع لا يحزنهم
الفزع الاكبر واكبر الفزع اعراض الله بوجهه الكريم عن اعدائه نسأل الله العفو الرؤف
معافاته ورحمته ثم اكبر الفزع دخول النار واكبر منه الخلود فيها ثم الفزع من زفير جهنم
وعند تطاير الصحف بالاعان يقع امر بالشمائل والنهوض الى العرض عند الندامة كيف يكون المنقلب

وكلا هوال يوم العرض فزع جعلنا الله من الامنين برحمته اتبع ذلك قوله عز وجل ومن جاء
بالسيئة فكبت وجوههم في النار اي يقول لهم الملائكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون لما كذبوا بجهنم
وبالنار فكانت تعدوا عليهم بفيحها وتروح ادخلوها ولما لم يؤمنوا بالجنة وكانت تعدوهم
في احسامهم وتعلهم ببردها وشرابها وطعامها وفواكهها الكاثر ذلك كله من فتح الله عنها
برحمته حرموها ولما لم يعملوا وجوههم ولا ابدانهم في حسن التوجه الى خالقهم وخالق كل شي
بالتوجه والعمل بمرضاته حرمهم كرامته وحال بينهم وبين رضاهم ولم يحمل لتلك الوجوه حرمة نعوذ
بالله من عذابه وغضبه ومما يوجب ذلك ولما اطاعوا الشيطان المخلوق من نار كستمو الداعي اليه
العامل لها وخالفوا الله رب العالمين الذي هو نور السموات والارض ابعدهم لذلك عن جواره واحلهم محل
الخزي وافضاهم الى ظلمات البعد هل تجزون الا ما كانوا يعملون قوله تعالى انما امرت
ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شي البلدة المحرمة هي مكة حرمها الله جل ذكره وحرم
الناس والكناس من اجل ما قد حرمه الله من شعائره واشهره وبلدته وبيته هي حرام على الدجال
لا يدخلها ولا المدينة اتبع ذلك قوله وله كل شي هذا منتظم بمعنى التوحيد معرض بالى الذين اتخذوا
من دونه اندادا واشركوا به ما لم ينزل به سلطانا وامرت ان اكون من المسلمين اي كما اسلم له كل
شي كما قال امام المسلمين خليل رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه اني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ثم قال وان اتلو القران نور وما فطر الله عليه
السموات والارض من الاسلام هو نور لمن استضاء بهما وكون الملك كله نور واثار فعله في مفعولاته
كلها نور فلاجل هذه الانوار تجري المؤمنين ايضا بما امنوا به وبما عملوا له ومن اجله وقد
تقدم هذا المعنى اتبع ذلك بما هو في معناه قوله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه الهداية
لا يكون الا بنور الله ولا يجعل الله نور الا لمن كان معه من نور الايمان حظ وبذلك النور يهدي
الى المراد والمراد الاعلى هو نور الانوار والضلال البعيد والحيرة عن القصد ومن بعد
عن النور وقع في الظلمات فهو لا يرى ولا يسمع ولا يعقل ولا يهتدي سبيلا وقد تقدم قوله عز
وجل وقل الحمد لله امر نبيه عليه السلام ان يحمد على ما هداه الله من الاسلام والايمان والنور الذي
انزل اليه من كتاب وقران وحكمة اتبع ذلك قوله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل
عما تعملون هذا الكلام موعد مهدد لهم لما لم يهتدوا بنوره ولا استصحبوا بمصباحه ولا اطاعوا
نصيحة ودعهم توديعا واخرج كلامه لهم على معنى التهديد وهو كقوله جل قوله وتعالى جده سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شي شهيد فاراهم
اياته كما قال وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا

سورة القصص مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون
بالحق لقوم يؤمنون يقال تلوت بمعنى تبعت ويكون التلاوة على هذا الاتباع يقال اتبع الحروف
الحروف والقصص كالقصص فهذا في هذا الموضع القراءة واكثر ما ياتي الامر بالتلاوة في القران
الذي هو الدراسة والتلاوة بالعمل اتل ما اوحي اليك من كتاب ربك الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به وقوله هنا والله اعلم نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون ما تلا

عليه في سوره من اتباع الحروف الحروف والمعنى المعنى وما حوى ما تلاه عليه من قصصها في القران
وكرر ذلك واعاده وبدا به بالفاظ مختلفة ومعان متفقة وربما ظهر في بعض المواطن في العبارات
خلاف ما يوهم خلافا في المعاني فانما ذلك على حسب ما جرى بينهما من المحاورة في الموطن فربما ساق حكاية
ما جرى في ذلك الموطن واستاق في صورة اخرى ما جرى في موطن اخر وكذلك قصصها حيث
جرى ثم اعرض بمثل ذلك في كل قصص قصه في القران فسد الاية مكان اية وعبارة مكان عبارة فهذا
اصل هذا الباب فقف عليه وهو المعنى بقوله الحق واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا
انما انت مفتر كانوا لقلة ايمانهم وقاصر عقولهم يسمعون الاية والمعنى بعبارات مختلفة وزيادة
معنى في موضع اخر فكانوا يكذبونه بذلك ويقولون انما انت مفتر يقول الله عز وجل والله اعلم
بما ينزل ويقول بل اكثرهم لا يؤمنون قل يا محمد نزله روح القدس من ربك وهو الحق من ربك الحق
المبين وبالحق انزلناه وبالحق نزل لذلك وهو اعلم بما ينزل فقال لو انتلوا عليك من نبأ موسى
وفرعون بالحق لقوم يؤمنون نقول نقص عليك من خبرهم ان فرعون علا في الارض الى اخر القصص
قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيمة هم من المقبوحين اتبع الفرق ليريه بين
الناس بل استضعف طائفة واصطفى طائفة والمستضعفون بنو اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي
نساءهم يريد بناتهم انه كان من المفسدين كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال لعنه
الله فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا وقال الله جل ذكره يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين ولم يكن بعد من علا في الارض فانما اشار بذلك الى
من ياتي منهم وقال في فرعون علا في الارض وقال فيه فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك
اية على ما بعده والمدلول عليه اظهر من الدليل والاية على الشي اصغر مما هو اية عليه فافهم وقال
فيهم وجعلناهم ائمة يدعون الى النار وهم في دار البوار ليس الا انهم يحضرون من شاء الله
اضلاله حين الموت فيدعونه الى ما هو بقضي بينهم الى النار وبئس المصير يقول الله عز وجل وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين اي في هذه الحيوة الدنيا ثم قال واعوذ بك رب ان يحضرون اي عند الموت
يقبض للمحتضر بسجال فرعون ومن قبله ومن مضى من الضالين وائمتهم وكل من دعا الى الضلالة
فهو من ائمة ذلك وكذلك يحضره من الشياطين مثالات من مضى منهم يدعونه الى ذلك وكل
شياطين الانس والجن فاعلم ذلك ونعوذ بالله من شر ما خلق وعند ذلك يتحقق قول الرسول
صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس حتى ما يكون بينه وبينها
الا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيكون من اهل النار كما انه يقوى الرجاء بنحو هذا
في قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى قوله ونمكن لهم وسياق هذا الوعد
من كلماته الحسنى على صيغة الاستقبال ان ينتظره ايضا ضعفاء المؤمنين من المن عليهم وجعلهم
ائمة ووارثين وان نمكن لهم في الارض فان كان النص في بني اسرائيل فسياق الوعد بالكلمات الحسنى خصوصا
بذلك ثم استاق ما تقدم بلفظ المضي والله المستعان قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الى قوله يحذرون فجعل جل جلاله يتلو قصص
موسى عليه السلام وكيف كان بدو شانه وكيف نجاه من الذبح على يدي الامر بالذبح وكيف لطف له بان
اوحى الى امه والزم الحفاية به وهو لا يشعر قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت

عليه الوحي اعلام في حسه وعقله ولذلك يسمى الالهام وحيا وقد يكون من الملك وقد يكون
من النفس فهو من فطرتها وهو من المعهود ويكون من الله جل ذكره بواسطة الملك عليه السلام
ويكون من الله بواسطة روح القدس نفثا في الروع لما هو عليه السلام ويعلمه من احتسابه وبلغ به الشاعر

واوحى الي ان قد تآمر الدهر   على غدر ففتت على رحلي

ثم يتسع وجود الوحي ويصعد الى مشاهدة الملك من اراده الله بذلك من عباده ووحي
الى ام موسى عليه السلام اما ان يكون الهاما واما مشاهدة واعلاما وباي وجه كان فيدل على رفعة
ذلك الوحي وعدم ايا ما مغايب لم تعلم ولم يكن لها ذلك لولاه وهو قوله انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين وكان قد حذر فرعون واتباعه من بني اسرائيل ان يولد فيهم
من يكون هلاكه وهلاك من تبعه على يديه سبق اليهم ذلك على لسان نبوة كانت قديما منهم
او في غيرهم وذكر ان كاهنا لهم كان اخبرهم بذلك والاول اصح والله اعلم بما بين له ولما قرب
ذلك وظهرت اشراطه اخذ بقتل ذكور المولودين من بني اسرائيل وتنحية نساءهم وتستعبد
نساءهم ورجالهم ونستبقيهم بشغلهم بذلك عن التحدث والتمني به وليقل عددهم فيكونوا
مقهورين وهم لا يشعرون ان الله بالغ امره والعجب من حمقه اذ كان المخبر عنده صادقا فالذي
كان يحذره عليه فعله ذلك من قتلهم واشتغاله عنه واذ كان كاذبا فالفائدة في قتل ذكورهم واستحياء
نساءهم الا العبث وامضاء الامر الجهل ولزوم سبيل الفساد في الارض لكن حكاه العلم به وليكون
ذلك اية على ما وراءه ودوام ذلك بهم من قبل المولد الى ان تمكن حب موسى عليه السلام من قلب امرأة
فرعون بالتبني وسرى ذلك منها الى فرعون فرفعه عن بني اسرائيل بعض ذلك وقطع عنهم الذبح
وبعثت السحرة او بعضها الى زمن الرسالة يقول الله جل ذكره وقال الملأ من قوم فرعون
اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وانا فوقهم قاهرون فقضى عليهم حكم الفساد وشكوا ذلك الى موسى عليه السلام وقالوا اوذينا
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فوعدهم عن ربه عز جلاله بقوله عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون **فصل** كان بدو تعريض الفتنة ليوسف
عليه السلام حب امرأة العزيز اياه لولا عصمة الله له وكان بدو نجاة موسى عليه السلام
من الذبح واسا امره محبة امرأة فرعون اياه وقال الله جل من قائل واشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم قيل ان موسى عليه السلام حرقه وسحقه وذراه في البحر فذكر ان ماء البحر عذب لمتخذي العجل
يقول الله جل من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه **فصل** قص علينا جل ذكره قصص المولد وكيف صدق وعده في رده اليها
قال الله عز وجل كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق اي بالذي اوحى اليها انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين ولتصنع على عيني عبر بذلك عن انه كيف يحمل ويرضع ويشب وينوم
فيذكر اسم الله على ذلك منه ولو كان مرضعا في ال فرعون لم يكن ذلك كذلك فجعل الهامه وحيه
اليها حتى امرت اخته ان تقص له اذ وقعت عليه وكان ذلك سبب رجاعه اليها مع ان الله جل ذكره
يلطف له في ذلك حرم المراضع عليه ليضطرهم ضرورة ما القى في قلوبهم من حبه واهتمامهم به الى ان يبحثوا
له عن من يرضعه هكذا جعل تقلبه في نشأته واقباله وادباره وقتله النفس وتوبته وعوده الى مقار

العودة في غير تلك وخوفه من ذلك وخروجه ولقيه بمدين وانكاحه هناك وتمكنه فيها
راعيا على صالح تلك الارض ذكر انه شعيب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يخله جل ذكره حال رضاعه وتربيته
وقوته من صالح ومصلح يذكره ويلطف عنه بالتسديد ده الى ان وافاه بالنبوة واصطنعه لكرامته
والولاية الكبرى عبر عن ذلك كله بقوله الحق ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي ثم اخذ
يذكر رسالته وتبليغه عن ربه وتحمل الاذى وصبره في مهناة ربه وصبره على التبليغ وانتظار الفرج الى ان
اتاه الله سبحانه وله الحمد قصده فاغرق فرعون كما نجاه قبل من الغم خشية فرعون وملائه كما نجح
الكرب عن قومه من السحرة والذبح والذلة وتلك كلمة الله عز وجل في بني اسرائيل وموسى صلى الله
عليه وسلم قال الله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع
فرعون وقومه وما كانوا يعرشون والكلمة الحسنى قوله عز وجل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقد تقدم مع تكرار قصصه من الكلام ما فيه ايماء الى الاعتبار
وتطريق الى الادكار وان ذلك كله اية مبينة عما هو كائن والله المستعان **قوله** تعالى
ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون المعنيون هم العرب وباخره من سواهم من الامم
وموضع التذكار بهذا التوصيل في الخطاب ان يعلموا برسالة موسى عليه السلام تصحيح رسالة
محمد عليه السلام ولذلك يتذكرون بالاول من الامر الاخر منه اتبع ذلك قوله الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون فسر بهذا ما اجمله قبل هم الذين امنوا بانبيائهم وكتابهم وادركوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وكتابه فامنوا به كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار من اهل التوراة ونصارى
نجران وصهيب من اهل الانجيل وغيرهم بالحق ولقد وصلنا لهم القول يعني وهو اعلم القول
المعتبر عن سبيل الذكر من سبيل الفتنة وعطف بحوادث نسقا على قصة نبا موسى وفرعون ومن سبيل
الذكر الهداية الى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم والقران لم يخلهم من مشافهة مشاهد كلم
لدهم في عمر حسن ولا تركهم في مهمه ضلالة بل نصب الاعلام واقام الشواهد وانار الحجج وبين السبل
فاصح اليه حتى لقد الحق طائفة من ذوي الحقوق بحقيقة الشاهدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
تؤتون اجرهم مرتين وذكر رجلا امن بنبيه ثم امن بما جاء به فله اجره مرتين واعلم ان هذه الامة تعطى
مرتين ذلك على ذلك ما ذكرت في حديث الاجارة وان هذه الامة تعطى قراطين قراطين ويعطى من كان قبلها
قيراطا قيراطا وما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تضعيف بعد هذا التضعيف الذي هو
والامة فيه سواء **قوله** تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء هذا منتظم بقوله ولقد
وصلنا لهم القول ذلك متصل بقوله في صدر السورة نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون
ثم هو متصل بما انضاف الى التوصيل من دلائل وكتاب ورسول وايات الله في السموات والارض وما بين
ذلك وجملة ذلك الجامع هو الحق المخلوق به السموات والارض يقول عز من قائل قد اتيناهم من الايات
ما فيه ابين البيان ووصلنا لهم القول المبين عن ذلك لكنك لا تهدي من احببت اتبع ذلك
قوله وهو اعلم بالمهتدين يهتدون ومن ليس منهم فلو امن عمه كله لسبق عليه الكتاب فرده الى الضلالة
ولو ادخل النار فمكث فيها الف عام واستغاث وضمن الرجعة والاصلاح فارجع الى الدنيا لسبق
عليه الكتاب فرده الى الضلالة كيف يهدي من لا يعلمه الله من المهتدين كما قال وهو اعلم بمن اهتدى سبق

اليهم ذلك يوم قال هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون فلو جاءت هؤلاء كل اية ما امنوا الا ان يشاء الله غير هذا جهل من معتقده وجاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعتذر الرب تبارك وتعالى الى ادم عليه السلام يوم القيمة
بثلث معاذير فيقول يا ادم لولا اني لعنت الكذابين وابغضت الكذب واوعدت عليه لرحمت
اليوم ذريتك اجمعين من شدة ما اعددت لهم من العذاب لكن حق القول مني لمن كذب رسلي
وعصى امري لاملأن جهنم منهم اجمعين ويقول الله عز وجل يا ادم اعلم اني لا ادخل النار من ذريتك
الا من قد علمت في علمي انه لو رددته الى الدنيا لعاد الى اشر مما كان عليه ولم يرجع ولم يعتب ويقول
يا ادم قد جعلتك حكما بيني وبين ذريتك فقم عند الميزان فانظر ما يرفع اليك من اعمالهم
فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم اني لا ادخل النار الا كل ظالم **قوله**
تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون قرعهم
على الحقيقة وفرعهم بقوله افلا تعقلون وانما يجيء هذا الخطاب من المخاطب عند تعالى فل الخطاب
عن تحقق البيان وسالهم عن الامر الواضح والمشاهد البين ولا اوضح من عظم الاخرة الى
الدنيا ومتى ذكر فضل الاخرة على الدنيا قرع وقرر كقوله جل من قائل وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقال وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا يعقلون
وكفى بيانا في معرفة فضل الاخرة على الدنيا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كاصبع ادخلته في اليم فانظر بم يخرج منها ولا اقل مما قال الله عز وجل وقد قال وما الحيوة
الدنيا في الاخرة الا قليل والا متاع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء فالعديم العقل والعلم من عدم فهم هذه الشواهد
والايمان بها واعدم منه فهما وعقلا من امن بها ثم جعل بينها فشرطها وبينها لكي فيها نال الله توفيق
صادقة وامانة خالصة اتبع ذلك قوله افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه يريد هذا جزاء
الاخرة وان يورثه اياها وانما يتصور وجود وعد هنا لمن امن وعمل ثم وفقه الله للعمل على علم
وامن به فيجعل له حينئذ من حسن ظنه ما يلاقيه كما قال انا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء
كمن معناه متاع الحيوة الدنيا واعقلنا قلبه عن ذكرنا وانسيناه الدار الاخرة والعمل لها
ثم ياخذ على غره عبر عن ذلك بقوله ثم هو يوم القيمة من المحضرين حول جهنم جثيا **قوله**
تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين هذه دعوة عامة هي في العموم كقوله يا بني ادم
اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وكقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم
يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا الاية فعميت
عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ما عندهم سوى الشهادة على انفسهم بانهم كانوا
كافرين ثم قال فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين عسى للمقاربة بخلاف
حكم الخاتمة واما وافى على ذلك وكقطع عليه بالفلاح والنجاح بقوله واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى ونحو هذا من الشواهد **قوله** تعالى وربك يخلق ما يشاء
ويختار هذا الوقف يوجه يجوز معنى قوله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وكقوله
والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم دل على هذا التاويل قوله وما كان

لهم الخيرة فيكون ما نافية سبحان الله وتعالى عما يشركون يقول هو يختار لا هم ويجوز اخر
ان يكون الوقف ما كان لهم الخيرة وتكون ما مفعول لنقول وهو علم بما ينزل وربك يخلق ما يشاء
هذا عام ويختار ويجتبي من يشاء ويختار لهم الخيرة فيكون معنا ها كمعنى قوله وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وكما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عجبا للمؤمن ان الله لا يقضي له شيئا الا كان خيرا وليس ذلك الا للمؤمن ثم قال
وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون المراد الاول وبهذا المعنى المشركون ثم الجميع ثم قال
وقوله الحق وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون كلمة جامعة
للاسماء كلها والمدائح اجمعها والقضاء كله في الدنيا والاخرة وفيما بينهما وبخاصة ما تقدم ذكره
من حسن اختياره للمحسنين من عباده **قوله** تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة الى قوله افلا تسمعون ثم الى قوله افلا تبصرون بدا بذكر الليل وقدم ذكر الليل
وهو اعلم لانه مقدم في الشهر على النهار والقران نزل بلغة العرب وحسابها القمري وايضا
فان وجود الدنيا على سنن الاعتبار ليل ويوم والاخرة نهار فلذلك ما ابتدى بايجاد الليل
في طريق الوجود والحكمة فيها في طريق الحكم وتذكر في طريق الذكر وذكر السمع في الاية التي تقدم
فيها ذكر وجود الليل والبصر في الاية الاخرى التي تقدم فيها ذكر وجود النهار اذ السمع يبين
عن المخاطب في ظلام والبصر يبين عن الموجودات في ضياء النهار فذكر بهذا وبهذا الاغلب فيه
والمعتمد عليه وقد يتطرق من هذا والله اعلم الى تعرف وجه الحكمة في جعل الله جل ثناؤه والجهر في
قراءة صلوة الليل وقراءة النهار وخصها بالسر والمراد الاول في هاتين الايتين تعداد النعم
في جعل النهار ضياء للانتشار فيه وابتغاء الفضل وفي جعل الليل سكنا يسكن فيه بالنوم والهدوء
والمراد الثاني التعريف بالوحدانية مع الانعام اذ لو جعل احدهما اللازم لشق على اهل الدنيا ولنقصهم
سبيلا سائلة من العبرة ولم يعلموا لذلك عدد السنين والحساب ولذلك حق لازم بوجوده في الدار الاخرة
ويقع العلم بهذا انه لا اله الا الواحد الاحد لم يشركه في حكمه سواه جعل الليل والنهار خلفة اية
لاولي الالباب فاعقبه هذا لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا واما تدبره في الدار الاخرة وهي دار
فيها ولانها دار قد بين غيرها هذا وانما ذلك لان هذه الدار اختيار وبلوى ثم انعم وافضل بان نصب الايات
واقام الدلائل عليه والشواهد لهما هو له اهل فهي وان كانت دار ايمان بالغيب فقد رفعها في البيان
الى مقام النص في الخطاب والدار الاخرة دار جزاء وا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا
فافهم جعل معنى الليل كله صعقة وظلامة ووحشة ونومه ولبثه كالموت واجتماع الهموم الحزن
والاوصاب والاوجاع وصير حقيقة ذلك كله ونهايته في النار وجعل معنى النهار ضياءه ونوره
وانفساحه وروحه وراحته والانتشار فيه وشبهه بالحيوة وصير ذلك كله في الجنة ثم على
تقدير مقادير المزيد بين الدنيا والاخرة اتبع ذلك ما هو في معناه قوله الحق ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ثم حذف ذكر النهار اجتزاء بوصفه فقال ولتبتغوا من فضله اي في النهار وعطف
بالواو حفظا باعلى خطا لما في الليل ايضا من معنى الفضل الطالب الدنيا وطالب الاخرة وما في النهار
ايضا من وجود السكن والسكون والنوم والراحة ثم عطف بالواو في قوله ولعلكم تشكرون
اي فيهما كما تقدم في قوله لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وكقوله ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم

من فضله **قوله** عز وجل ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون
ونزعنا من كل امة شهيدا اي احتججنا عليهم برسولهم يقال نزع الخصم بحجته ونزع باية كذا وبكذا
كذا اي احتج بها وادلى بها فقلنا هاتوا برهانكم بقولكم ببينة وحجة على ما خالفتم رسولي
لو كذبتم وقد جاءكم بالحق من عندنا فعلموا ان الحق لله هنا ووقع القول عليهم في ذلك اليوم اي اخذتهم
الحجة وانقطعوا عن الجواب وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين **قوله** تعالى ان قارون كان
من قوم موسى فبغى عليهم كان قارون اسرائيليا من قرابة موسى عليه السلام فاستعمله فرعون فخان
الله ورسوله وخان امانته واعان فرعون على مراده في بني اسرائيل من استعباده اياهم واذلته
لهم بالبغي عليهم وكشف العورات التي كانت تخفى عن فرعون وقومه منهم تقربا بذلك
من فرعون واهلاكا لنفسه ودينه يقول الله عز من قائل وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة اولي القوة العصبة الاربعون فصاعدا وكل مال لم يزك ولا انفق في سبيل الله فهو كنز
قال الله عز وجل ان كثيرا من الاحبار والرهبان الى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل ان لا يزكونها فهي لذلك كنز ثم قال ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الى قوله
فذوقوا ما كنتم تكنزون **فصل** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذهب والورق
ربع العشر وجعل النصاب في الورق مادون الاربعين وفي الذهب مادون عشرين اوقية
وفي الركاز الخمس واختلفوا في الركاز وما هو فاعتمد بعض العلماء على ان الكنز الدفين للجاهلية
قال والركاز الاثبات فكانه قال الذي اثبته اهل الجاهلية من اموالهم واتفق جل اهل العلم
على ان المال الذي لم يزك فهو كنز فجاء من حقيقته خطابا وحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان في اصل المال اعني قليله بعد تحصيل القدر الذي حده النصاب الزكاة المفروضة
وان حق الله في فضل المال الانفاق في سبيل الله جهادا كان او عودا به على ذوي القربى واهل
الغرامة والرقاب وذوي الحاجة من سائر المسلمين ولعل القدر المندوب اليه انفاقه من الفضل هو
الخمس منه لقوله وفي الركاز الخمس فاجتمعوا على ان الكنز وقد سمى الله المال الذي لا ينفق في سبيل
الله كنزا وكان ظاهر الخطاب الامر بان يخرج صاحبا من جميعه لله بانفاقه في السبيل فجاء عن
الله رسول الله صلى الله عليه وسلم تحديد الخمس فيه وهو وجه من الفقه صحيح حسن ثم يجب عليه
اخرج الخمس منه يوجه عليه اخراج خمسه فيجيء بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من له فضل ظهر فليعد به
على من لا ظهر له ومن كانت نفقة فليعد به على من لا نفقة له ثم جعل يعدد صنوف المال قال حتى
ظننا ان ليس لنا في الفضل حق وقال من كان له درهم فليعد به على نفسه ومن كان له درهمان فليعد بذلك
فليعد به على ابويه ثم ذوي زوجته وولده ثم لخادم ثم قال ومن كان له فضل فليقل به هكذا وهكذا
وهكذا واشار بيده الى يمينه ويساره واماه وخلفه وما ترك بعد فللورثة وقال صلى الله عليه وسلم
لسعد بن ابي وقاص وكان قد استشاره في ان يتصدق بماله كله فحد له ان يتصدق منه بالثلث وقال
انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس فهذا والله اعلم بعد ان يخرج
الخمس من ذلك الفضل ثم الى مثلها هكذا فاذا جاء الحق واراد الوصية توجه عليه ما حده لسعد وهو
يتقي الحق وهو يهلك السبيل **فصل** اخبر الله سبحانه ان اموال قارون كانت كنوزا وعدد
في ذنوبه التي اخذه بها اذ لم يقدم منها فضلا ولا ادى منها فرضا وقوله تعالى وآتيناه

من الكنوز ما ان مفاتحه ماهنا اسم لمقادير تلك الكنوز مفاتحه ذكر بعض اهل العلم ان المفاتح
الخزائن قال وهي الاوعية هنا قال وكانت اوعية امواله تثقل العصبة اولي القوة وهم الاربعون
رجلا فصاعدا وقوله اصوبا والله اعلم بما ينزل اذ المفتح بفتح الميم هو المخزن والمفتح
بكسرها هو كالذي يفتح به المغلق ويجمع المفتح بالفتح مفاتح والجمع للمفتح بالكسر مفاتيح بزيادة
ياء وهو مفتاح المغلق وقد يجمع بغير ياء لقوله مفتح فان كان ذلك كذلك فالمفاتح
هنا هي خزائن الاموال التي توعها فيها فكانت هذه المفاتح اذا تنوء بها اربعون رجلا
كلهم موصوف بالقوة فاتت بهم اي اثقلتهم فلا يستطيعون النهوض بها الا بشدة
كما تنوء بالمراة عجيزتها اي يثقلها يقال ناء بحمله اذا قام بشدة قال الشاعر

تنوء باخراها فلأيا قيامها

ثم قال عز من قائل اذ قال له قومه لا تفرح اذ منتظمة بما ذكر من بغيه عليهم لا تفرح ان الله
لا يحب الفرحين في بعض الكتب يا ابن ادم خف عند تتابع نعمتي فنبه قومه على هذا المعنى
ومدحهم الله بذلك من فعلهم وان من افضل الجهاد كلمة حق يقولها عند سلطان جائر
قال وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اقرض ربك مما اتاكه تجده يوم فقرك ولا تنس
نصيبك من الدنيا نصيبه من الدنيا ما خلق له من العمل للقاء الله واليوم الاخر هذا هو نصيب
العبد من الدنيا قال الله عز وجل وهو الذي جعلكم خلائف الارض الى قوله ليبلوكم فيما اتاكم
واحسن الى العباد كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تمالئ فرعون على مراده
في بني اسرائيل واقامة جاهه في اتباعه وتزيين مملكته قال انما اوتيته على علم عندي
قيل المراد به علمه بالتوراة والعلم بما اوتيه موسى صلى الله عليه وسلم مما جاء به من الهدى وهذا
فلم يكن ليتقرب به من فرعون بل كان يكون سببا لابعاده واقصائه عنه وقيل ان المراد
به ليث انه كان يصنع الكيميا والله اعلم انها كان موجود ذلك حقا فالله اتاه اياه فعاد
حجة لنفسه وبالا وزيادة في بغيه وجرها الى نسي نعمة الله عليه وادعاها لنفسه يقول
الله جل من قائل اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا هذا
كقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا ثم قال
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون المعنى بهذا هم الرعيل الاول والثاني والثالث من المجرمين
ياخذهم جهنم الى نفسها بين اهل المحشر يعاملهم رعيل اول وثان وثالث من المؤمنين لا
يسال عن ذنوبهم المجرمين يدخلون الجنة بغير حساب جعلنا الله في الرعيل الاول من المؤمنين
برحمته ورافته وغير هؤلاء يسالون ويحاسبون اما المجرمون فيحاسبون سوء الحساب قال
الله عز وجل فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال فلنسالن الذين ارسل اليهم
ولنسالن المرسلين وبالجملة فهي مواطن **قوله** تعالى فخسفنا به وبداره الارض الاية
قوله وبداره يدل على انه لم يخسف به وحده بل به وباتباعه واعوانه ومن نحا نحوه وكان على بغيته اذ
لفظ الدار معهودة عامروها والقاطنون فيها من ذلك دار الدنيا ودار الاخرة ومن ذلك
قول السلف من العلماء رحمهم الله لا تقوم الدار الا بالعلماء والمتعلمين والسلطان والاجناد
والفلاحين واصحاب الصناعات ومن ذلك قول الله عز وجل وما كان للمؤمنين لينفروا كافة فلولا نفر

نفر من كل فرقة منهم طائفة المعنى ودار الاسلام جميع امة محمد عليه السلام ثم البلد الذي يرجع اليه
ويخرج عنه بالراى ويظهر منه الرايات ثم ينفصل ذلك بالوجود في الكمال الى دار الرجل في
خاصته ودوره فقال عز وجل فخسفنا به وبداره الارض والظاهر ان الخسف اصاب من كان
على داره وهو اده دل على ذلك قول الذين كانوا تمنوا مكانه بالامس لولا ان من الله علينا
لخسف بنا فمفهوم كلامهم هذا ان الخسف اصاب معه سواه **فصل** انه من تواضع لله رفعه الله
ومن يرتفع وضعه الله قال الله جل وعز وكلا اخذنا بذنبه وهل تجزون الا ما كانوا يعملون ومن
جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ولما علا قارون وفرعون في الارض خسف
الله بهذا واغرق هذا ومن تبعهما والذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا يرفعهم الله
الى جواره في الدرجات العلى والنعيم المقيم لذلك قال عز من قائل والعاقبة اى بيانها وحقيقة
ظهورها للمتقين وهذا تنبيه على ان العاقبة للمؤمنين بعد هذا ان شاء الله ان مع العسر
الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من ظهور اهل الكفر عليهم يسر الذى
كان فيه المؤمنون من النصر والفتح في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ومدة الخلفا
ان مع العسر هذا الذي اصاب المسلمين بعد نبيهم وخلفائه يسرا ما يجرى في العاقبة من النصر
والفتح ان شاء الله **فصل** قوله تعالى فيما حكاه عن المتندمين قولهم ويكان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون قيل في معنى
ويكان الله عن ما وجد والاقرب الى الصواب ان شاء الله ان وى مفصولة هي اشارة الى الويل
واسقط اللام والكاف للمخاطب وان مفتوحة الهمزة اخبار عن ما يريد المخبر الاخبار عنه وتحت
ان والمحذوف مقدر هنا وهو الم تعلم وما يكون في معنى ذلك والتقدير ويلك الم تعلم ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويلك الم تعلم انه لا يفلح الكافرون وانما القوم تندموا فى
فعلهم وما وقع من رأى قدر وقاهم الله شره ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي
بصير ويله مسعر حرب لو كان له انصار فقوله وى اشارة الى الويل واللام جارة للامر وهي كلمة
تقولها العرب تفجعا من فوات مرغوب فيه قد امكن مناله المانع موجود حال دونه وقد يكون وى
تنبيها الى ما تقدم للتنبيه والاعلام والكاف للمخاطب وانشدوا شاهدا على ذلك قول الشاعر

سالتاني الطلاق ان راتاني • قل مالي قد جئتماني بنكر •

ويكان من يكن له نشب يحبب • ومن يفتقر يعش عيش ضر

قوله تعالى ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد فرض هنا بمعنى انزل واوجب
حلاله وحرم حرامه وخصك بفضيلة الرسالة والانباء عنه لرادك الى معاد قال المتكلم
وهذا وان كان دخل ايضا وبلغ ما امله من ذلك فمعنى المعاد ماخوذ من العود بعد
البدء ومعناه والله اعلم ان الذى ذكرك في قديم ازله بالقران ينزله عليك ويستعملك بما فيه
وذكرك يومئذ بالنبوة والرسالة والدرجة الرفيعة لرادك الى المعاد يعني اليه ويحتمل
ان يكون معنى قوله هذا ان الذى فرض عليك القران لرادك الى معاد اى ان الذى انزله
عليك وافترضه عليك والمراد به هذا هو امته ثم يكون ما قد انذر به صلى الله عليه وسلم لا تقوم
الساعة حتى لا يبقى من القران الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه وقد جاء هذا الوجود بالاعادة

وانه يحكم بالقران ويهتدى بالهدى فيسلك السبيل القويم ان شاء الله وقد تقدم منا
الى هذا المعنى في قوله في قصة قارون والعاقبة للمتقين اتبع ذلك قوله الحق قل ربي اعلم
من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين فنظمه بما تقدم اتبع ذلك بما هو في معناه قوله الحق
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك يقول وما كنت ترجو وعطف بالواو
على ما تقدم ذكره ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك معنى الا ههنا تحقيق ما سبق اليه من نعمه
ورحمته كانه قال لكن رحمة من ربك فمفهوم هذا الى تصحيح الاعادة فقد كانت الاشارة اليها
فاتفق اذا بالاعادة ثم قال على اثر هذا فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات
الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك واخلص له بالعبادة له والدعاء اليه فلا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه يقول ما كان من سبيل الفتنة فهالك
العامل به وعمله الا ما كان مما اخلص لوجه الله من عمل وذكر والمراد به بحكم العموم سبيل الذكر كله
فهو باق لانه متوجه به الى الباقي الحق ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا
اتبعوا الحق من ربهم ثم قال وقوله الحق له الحكم في هذا وهذا واليه ترجعون ثم يحكم العبرة فافهم

سورة العنكبوت مدنية الا العشر الاول منها

بسم الله الرحمن الرحيم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون قد تقدم
ان موجودات دار الدنيا قسمها الى قسمين ذكر وفتنة يجمعها امر الله وقد رفعها هو كونها
لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد هذا في الاحوال وفي الدنيا
ايمان وكفران وباطنها بعيانات وسؤال وحساب وبلوى وفتنة واحسار وفناء وهلاك
وفي الاعمال طاعة وعصيان وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وعلى الكون
بالاجمال فما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور فالله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه يدعو العباد
من الدنيا الى الاخرة ومن الكفر الى الايمان ومن الغفلة الى الذكر ومن الفتنة الى العصمة ومن
العصيان الى الطاعة ومن الشرك الى الاخلاص فاعلم جل جلاله عبادنا الذين استجابوا له بالايمان
انهم في الايمان لم يخرجوا من حكمها بايمانهم واشعرهم انهم لم يتخلصوا بعد من سلكها بالابتلاء
بل هم لتبلواها معرضون ولفتنتها على ايمانهم خائفون فالدنيا على البلوى اسست وعباده المؤمنين
الله جل ذكره للفتن عرضت فلا بد من تجرع مرارة الصبر وحبس النفوس على جهد المجاهدة
واستشعار البلوى في الشر والخير فانا لله وانا اليه راجعون الا ترى انهم ان استجابوا لله وللرسول
كما هم به ودعاهم اليه ابتلاهم بالفتن اختبارا لينظر كيف ثباتهم على ذلك وصبرهم فان هم
لم يستجيبوا لله اخذهم بالباساء والضراء لعلهم يرجعون ثم اجل باطن هذا الحكم في
ظاهر هذه الدنيا قال عز من قائل الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون
كما قال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب الاية يعني
بما كان فيما خلا من قبل ويعرض بما هو ات فالمؤمن مفتون من زمانه بين شيطان يخاف منه
وعدو من الانس والجن يخشى بمحنه ودنيا تغره وولد يشغله واهل وخير واغراض
وسلطان كلها يدح عليه بالخير والخير في معارض البلوى والغرور وبالايمان والاسلام على التحقيق

والمجاهدة للنفس والعدو الظاهر والباطن والاعتصام بالله والرغبة اليه والتوكل
عليه ونحو العمل برتق الفتق وتقويم الوزن قال الله جل ثناؤه ونبلوكم بالشر والخير فتنة
والينا ترجعون وسلوك التحقيق انما ذكر وهو الصبر لله جل ذكره على الضراء والشكر له
والرخاء ويرتقي الى ذلك بالتحقيق في التحقيق وذلك بان يعزم على مجاهدة النفس والعدو
وعلى العمل بحقيقة العلم فهما السبيلان الموصلان الى الله عز وجل والوصول هو وجدان الحق
لله والرضى عنه في خالص القلب وفي ذلك الدخول في حزب الله هم المفلحون فالايمان بالله اولا
والاسلام له بالشهادة وعمل الجوارح درجة ثم لا يتم ذلك الا بالعمل بالعلم في سنن الاقتداء
وما صد عن ذلك وشغل عنه فهو فتنة ثم ذلك درجة لا يتم الا بالايثار لله ولرسوله
والايمان بما يجب الايمان به والاستسلام لا على ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وحتى يكون ان
يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار على هذه المرتبة من الايمان بالله ورسوله جاءت هذه
الاية احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اي حتى يظهر منهم الايثار
فيرفعون اليه ولا يظهر منهم الايثار فيكونون كما قال الله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وهو نزول لمرتبة المنافقين دل على ذلك ما
اتبعه اياها قوله فليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين وهو ايضا من الذين يعبدون الله
على حرف اي على السراء دون الضراء اتبع ذلك قوله عز من قائل ولقد فتنا الذين من قبلهم
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين والصدق هو الثبات في الامر والعزيمة
على الرشد والتصحيح في الصبر على تغليب الخير عليه حتى يرتفع بذلك الى على الدرجات واما
قوله فليعلمن الله حيث وقع هكذا بلفظ الاستقبال فانه تبارك وتعالى لم يزل عالما بما يكون
قبل كونه واما معناه على هذا ان يعلمه كائنا بعد وقوعه وكان قبل نعلمه ولم يكن بعد وعلى المعلوم
يختلف الاحوال لا عليه وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه والزهري والكلبي فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين بضم الياء وكسر اللام فيهما فهو كقوله اليه مرجعكم جميعا فينبئكم **قوله**
تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون هذا منتظم بقوله احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يعجزونا فلا يقدر عليهم
اعادة وجزاء **قوله** تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات قد يكون الرجاء بمعنى
الخوف وان يكون على بابه اولى واقرب الى اصابة الصواب ان شاء الله تعالى وما عند الخير كله ظاهره
وباطنه الا من عند الله وانما وجود الشيء من قبل سواه ولم يذكر الله لقاءه الا بلفظ الرجاء وذلك
انه لا يلقاه الا من رضيه للقائه واهله اليه واما من سواه فليس باللقاء بل هو المقام ولمن خاف مقام
ربه جنتان ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد فوصف العموم في هذا المعنى بالمقام ووصف
المرضيين باللقاء ولذلك وهو اعلم لم يذكره في كتابه الا بلفظ الرجاء وهو السميع لدعاء الداعي
العليم بمن اهله الى ذلك منه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه واما قوله جل من قائل ولو ترى اذ
وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب الى قوله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله فان وقوف هؤلاء على ربهم دون رؤية ولا لقاء قال الله جل قوله

كلا

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الحق والله اعلم بما ينزل انه كما لا بد من البعث بعد الموت
كذلك لا بد من لقاء الله وهذا المعنى باللقاء يجدون له روحا وراحة وحالا يقصر
العبارة عن وصفها فاذا هم وجدوا تلك الحالة وعرفوها قطع بهم عنها الكرامات
لذلك المعنى فهذا وقوف وعرض ونحو هذا في حق المجرمين ويقال لهم في المؤمنين لقاء
فيكون ذلك اشد لاسفهم واعظم لفجعتهم وابين لحقيقة خسارتهم وان في جوابهم
قولهم بلى وربنا لاشارة منه قد يدل على حالهم الا ترى ان الميت عند ما يوضع في قبره فيسال
وفي اخر ذلك يقال له انظر الى مقعدك من الجنة بدلك الله به مقعدا من النار والضد
في المؤمن والموقن فكذلك اللقاء يعرض عليه بما هو ثم يطرد عنه واما لقاء الله جل
ذكره بركة وامر ليس كمثله امر كما انه ليس كمثله شيء فاذا تحققت المراد كله بالاخرة فعظمة لقاء
الله وهو الشان كله وما بعد ذلك من اكرام وملك وحباء تبع له كعلم معرفته في المعارف كل معرفة
وعلم تبع له لذلك وهو اعلم يقول الشقي في النار يا ليتها كانت القاضية ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا والشار اليه بالمعنى هنا هي حال وجدوها عند الوقوف من معنى اللقاء ما وجد
عند الخلود في جهنم يقول الله تعالى قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة
قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهو جل ذكره ما ذكر اللقاء الا بلفظ الرجاء لعظم قدره
وسني شانه فافهم اسعدنا الله بلقائه ورزقنا منه البشر والبشرى برحمته **فصل** الرجاء
يكون عن سرور القلب بحسن الظن والعلم بصدق الوعد وانما يكون وجود الرجاء عن قوة
الايمان فيحصل الثقة من الجواد الودود واصل ذلك عن حسن الظن بالله عز وجل قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وحسن الظن ارفع من الرجاء
اذ الراجي لا يكون الا خائفا فهو كما يرجو ان يصل الى ما مول يخاف ان يفوته ليس كذلك حسن الظن
لانه ثمرة المعرفة بجميع اسماء الله جل جلاله وصفاته واما حسن الظن بالله هو امل من حيث
الله جل ذكره لا من حيث العبد منبعث ذلك علمه بانه كريم مجمل محسن رحمن رحيم عفو كريم
يقول الله عز وجل انا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء واحط درجات الرجاء ان يكون قرينا
للخوف اذ الخوف بلا رجاء قنوط وارفعها ما لحق بحسن الظن في بعض مواطنه من ذلك قولهم كن لما
لا ترجو ارجى منك لما ترجو ان موسى خرج يقتبس نارا فنودي بالنبوة والرسالة والتكليم والتقريب
والامانة **فصل** والمجاورة الرجاء للخوف فصح في هذا الكلام وصف الخوف للقلب فيقال كن لما
لا يخاف اخوف منك مما يخاف فقد مدح الله جل جلاله من هذه صفته بقوله والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقال واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ
منها المعنى فقد حذر جل ذكره الى الخوف في مقام الامن وحذر من الامن دون وعد بقوله انه
لا يامن مكر الله الا القوم الفاسقون واعلم ان مدرجة الصعود الى مرتبة الرجاء هي المعرفة
بابتداء الله العبد بالنعم قبل استحقاقه منه لها من غير عمل عمله ولا قدم قدمه بل قد ذلك في قدم
منه العظيم وفضله العظيم كما ان مدرجة الصعود الى صفة الخوف المعرفة بانه الفعال لما يريد
لا راد لامره ولا معقب لحكمه وانه له الملك كله وله المثل الاعلى وكل فعاله حسن جميل وحكم
عدل هو عدل الاحكام لا حكم على احكامه انما القاضي على الاحكام احكامه فهذا النوع من العلم قطع

قلوب الصابرين لا اثرى الحكم في الدنيا المقتضي لقوله الحق انه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
فهذا من حكمه في الدنيا فكيف على هذا حكمه في الاخرة **فصل** ومعنى الخوف روعة توجد
بالقلب يدهش طرفها العقل وقد يعتري ذلك من اجل قوة علم العبد بمجاري الحكم ومن اجل مطالعة
العبد سطوات الرب جل ذكره ونقمه فيتولد على القلب الخوف وهو الفزع خوفا من الوعيد وبدء
الوجل واذا قوي صار خوفا والفزع بين الخوف والرهبة ان الخوف فزع يحمله الاعضاء والرهبة
هول يثقل الاعضاء لذلك ربما كان انما سمي الرهبان رهبانا لانهم تقلب اعضاؤهم عن الحرب
فحبسوا انفسهم في الصوامع اتبع ذلك قوله جل ذكره ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ومن اشتقاق معنى
الجهاد ماخوذ من بلوغ جهد النفس واعطائها المجهود منها واعلم جل ذكره ان درجات الايمان
لا يكون محالا للعبد الا بالمجاهدة وانما يجاهد من له قوة وبصيرة وعلم ومعرفة بعايل ما يبذله
من نفسه في جنب عظيم ما يطالبه فالدرجة الاولى من الايمان والاسلام للمسلم المؤمن بمنزلة خلقة السمع
والبصر والفواد للعبد ثم كلف بعد ذلك الايمان به والتسليم له وهديناه النجدين فيختار الصعود
الى اعلا درجات الجهد بنفسه لينالها برحمة ربه واذا اجهدها حفت له المؤنة بوعد ربه له بذلك ومتى
اختار الحلول بمحال العنا فليتولاه الله ما تولى وكان بذلك في غمار المسلمين وعموم المؤمنين
وان كان قد سبقت اليه من ربه سابقة في الازل حماه من عدوه واصلح باله ورده اليه **قوله**
جل ذكره والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون سبحانه وله الحمد يوفيهم اجورهم
باوفى مكاييلهم ويزنها لهم بارجح موازينهم ويجري مجازاتهم على ارفع اعمالهم ويحسبهم باكرم
نياتهم اعمها علما واتمها مشاهدة واخلصها ايقانا فكذلك متى مرضوا او سافروا
او حبسهم عن عبادته او قصر بهم عن ذروة اجتهادهم بعذر تعلم صحته كتب لهم احسن
ما كانوا يعملون قبل حلول ذلك العذر بهم **قوله** تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما انتظم معنى هذه الاية بمعنى افتتاح
السورة من ذكر الجهاد والامر به واعطاء المجهود في ذلك من النفس وعلمنا جل جلاله كيف يكون
المجاهدة في الابوين مع توصيته بالاحسان اليهما وخفض الجناح من الذل لهما مع التزام
المجاهدة في ذات الله بان يتوسط المبتلى بذلك امرا بينا من بين احسان اليهما وطاعة
لربه جل ذكره ما اذا فعل ذلك كان مجاهدا في ذات الله وطاعة له **فصل** بر الوالدين
من شكر المنعم وذلك مخرجه من اسمه الشكور جل ذكره فاجتمع البر لهما والشكر للبر لله والشكر
له وفي ذلك ايضا ايجاب اداء الحق وقضاء الديون وتوقير الكبير وجزاء الاحسان بالاحسان و
الاعتراف بحق الاولية واعظام اليد وهو منبعث من اسمه المبدئ وهذه كلها ايات على وجوب حقوقه
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فاذا هو اوجب بر الوالدين وطاعتهما فان يوجب حقوقه وبعض
طاعته اولى واحرى ثم ان كانا مؤمنين فقد اوجب الرجوع الى قولهما والاخذ بنصيحتهما فهو في الدين
اولى واحق في عرفان العقول والشرع وقد توجه على العبد شكر لابد الله جل ذكره على شكره
اذ قد جعل الله ابويه مؤمنين كما قال سليمان عليه السلام رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه فقرن الله شكرهما بشكره ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عقوق

الوالدين

الذين بالكفر وبسط خطاياهم ما ياتي بعد هذا يدل على ما ذكرنا والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل ثم اتبع ذلك بمعنى ما تقدم هذه الاية قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين كما لا يدخل احد الجنة بعمل كذلك لا يلحق بالدخول في الصالحين وانما هو وعد
من الله لمن عمل صالحا فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا وسنيسره لليسرى وذلك
ادخاله اياهم في الصالحين **قوله** عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم جاء هذا بلفظ الامر لانهم ضمنوا للاتباع والتزموا لهم ان اتبعوا سبيلهم
ان يامروا انفسهم بحمل اثقالهم وخطاياهم قال الله جل وعز وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون انما على الاتباع حمل اثقال ما عملوه ولما اطاعوا المضلين لهم وتركهم النظر في ايات الله
المنصوبة في السماء والارض واعراضهم عن انبياء الله والرسل واهل العلم من امهم واما المضلون
فانهم يحملون اثقال خطاياهم التي تقدم ذكرها ويحملون الى ذلك اثقال اضلالهم غيرهم لا ينقص ذلك
من اوزارهم شيئا قال الله عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وليسالن يوم
القيمة عما كانوا يفترون يقال لهم من اين قلتم هذا وعن من من الانبياء والمرسلين حملتموه وفي
اي كتاب من عند الله وجدتموه **قوله** ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة
الا خمسين عاما الى المعنى الاخرة انشا الله جل جلاله يقص علينا نبيا ما ابتدا به السورة من ذكر المجاهدة
فذكر ائمة المجاهدين في سبيله نوحا وابراهيم ولوطا وشعيبا صلوات الله وسلامه عليهم جميعهم ووصف
في ذلك ما لقوه من الاذاية في الله والابتلاء وما لقي اتباعهم من الفتن وما صابروه من الالام
فذكر ان نوحا لبث في قومه يجاهدهم بلسانه على التبليغ عن ربه جل وعز المدة التي ذكرها يدعو
قومه الى الله عز وجل يجاهدهم في الله ويصبر على سبهم واذايتهم له وتحملهم وعصيانهم و
استهزائهم وسخريتهم وذكر ابراهيم عليه السلام ونصيحته ومحاجته في ذات الله وطرحه في النار
وذكر لوطا واستضعافهم له واستخفافهم اياه وشعيبا صلى الله عليه وسلم وعلى جميعهم ثم ذكر عقاب
ذلك كيف اهلك المكذبين لهم وانه حاق بهم ما كانوا به يستهزءون وانه اخذ كلا بذنبه واهلكهم بوصف
كفره وجرمه ودلنا بالنظر الى مساكنهم على تحقيق ما قصه علينا من قصصهم وندبنا الى السؤال
ديارهم والتوقف بحذائهم والاعتبار بهم وعما التحقوا ذلك من ربهم وما الذي من اجله حل العذاب
عليهم **فصل** الجهاد يكون باليد والسلاح واظهار القدرة ورباط الخيل وذلك يكون باقامة
والالفة في ذات الله واجتماع الكلمة ويكون باللسان وهو كالتبليغ عن الله والتبيين لامر الله
والهداية الى سبيل الله على سنة رسول الله ويكون بالقلب وهو الانكار والمجانبة والازدراء والحب
ذلك سبيله ولا فيجزي الانكار بالقلب ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل **قوله** تعالى فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون كل ما احاط بالشيء واطاف به فهو طوفان فطوفان هؤلاء كان الغرق
لما علوا في الارض اغرقهم الله ليتحقق الله جل من قائل وانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها اية
للعالمين والايمان بالرسل وبما جاءوا به نجاة الدنيا ثم نجاة الاخرة وبالايمان بالله جل ذكره
نجاة الاخرة ثم نجاة الدنيا الظاهر للظاهر والباطن للباطن ثم يتداخل الامر من حيث ان
الدنيا والاخرة لله عز وجل فهذا من امتنانه لانها كانت عبرة لهم من حيوة الى حيوة والنجاة بالسفينة
طول زمن الطوفان برزخ بين الحياتين وحكم الموت قد اطبق على اهل الارض في غمرات

الطوفان تلك عاقبة من رد نصيحة ربه وكذب رسوله وصنع الخزم لنفسه وصح عند الله
عز وجل ودعاية الرسل يعني دين الوجود من طاع رسل الله يحى معهم في الدنيا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ترد ون موردا واحدا وتصدرون مصادر شتى قال الله عز
وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب
قوله تعالى وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
ليس هذا الخطاب للمفاضلة بين عبادة الله جل ذكره وعبادة الغير لا خير في عبادة غير الله
وانما هو اعلام بان الخير هو في عبادة الله وحده فافهم اظهر ذلك في قوله انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وقوله انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين فاى خيرا بقى في عبادة غير الله وانما ذلك كقوله
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى قوله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون هو اعلام لنا
ان الخير في عبادة الله جل ذكره وقوله ان كنتم تعلمون اى ما لذلك وعاقبة نفعه وقد
وقد شرح هذا المعنى واوضحه في سائر القران قوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم
الاية يمكن ان يكون هذا الخطاب متوجها من الله جل ذكره الى هذه الامة العرب وسائر الامم
على لسان رسوله ويمكن ان يكون قول ابراهيم منتظما بمعنى ما تقدم من تبليغه وتبيين ما به
يخاطب قومه قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ما ظهر الله الخلق
بالاحياء ثم هو يبطنه بالاماتة والاعدام ثم يعيده بالحيوة الاخرة مظهرا هذا الحكم
وانما معنى الكلام والله اعلم الم يروا بابصار رؤسهم كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده بان ينزل
الماء من السماء فيخرج به زرعا ونباتا ما جاء ثم يجعله هشيما تذروه الرياح فيكون بذلك معدوما
ثم يعيده ثانيه مظهرا فان قالوا هذا النبات المظهر في هذا العام غير الذي انبته في العام الاول
والذى ينبته في المستقبل فهذا من قائله هرب عن التحقيق وهو لما اقتدر على اظهاره
اولا ثم على اعدامه فان اظهار مثله ايضا ممكن جائز وقدرته لا تعجز عن اظهار ذلك المظهر
اولا ثم اعدامه في قدرته سيان وقد اقتدر على الاولى فهو على الاخرة اقدر في قضايا العقول
اذا المعهود ان الاقتدار على الاعادة ايسر من الابتداء فوجب ان يكون اظهاره بنفسه ثانية
والقاجائز ممكن غير متعذر بل هو على المعهود اهون وفي العادة الجارية ايسر وكلاهما
ملك يديه سبحانه وله الحمد فنبههم على ما يشاهدونه في الحاضر على الاعتبار لما في الغائب ثم بين
لهم سلوك الطريق الى طلب العلم واليقين بقوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق
ثم حدث في اهلكهم او اعدمهم او ما يكون في معنى ذلك ثم حكم بالنشاة الاخرة لصحة النشاة
الاولى بقوله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شئ قدير كلام عام معبر عن صحيح الاقتدار
على كل شئ معلوم او مجهول في حسبها واعلم يقينا ان النشاة الاخرة لا تنتسب اليها النشاة
الاولى الا كما ينسب موجودات الدنيا الى موجودات الاخرة قال الله جل ذكره وقد وصف موجودات
الدنيا بانها لعب ولهو وتفاخر بينهم وتكاثر في الاموال والاولاد وانها كمثل غيث اعجب

الكفار

الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وقال في موجودات الاخرة انها هي
الحيوان وقال في هذه متاع وفي تلك خير وابقى فكذلك النشاة الاخرة خير وابقى وقوى
والبيان في قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده واستاق معنى الابداء وهو الاظهار
وفي سياقا بعد هذا معنى البداية في قوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق
فاما الابداء بمعنى الاظهار فهو بابصار الرؤس مرئى والبداية مرئية بالابصار بمعنى الخفاء
والله اعلم بما يقول الم يروا بابصارهم كيف اظهر الله الخلق بعضهم لبعض بايجاده اياهم
عن غيب علمه بهم وقدرته عليهم ومشيته فيهم كما اظهر عن ادم ذريته ولولا انهم كانوا في وجوده
لم يظهرهم عنه والله اكرم وجودا واعظم قدرا وقوله بعد ذكر الابداء ثم يعيده اعلام
سوف يعيدهم ثم يعيدهم اظهارا ره اظهار الخلق يعني يوم البعث متصلا بيوم الخلود لذلك
قال ان ذلك على الله يسير ثم وصل بذلك قوله جل وعز قل سيروا في الارض فانظروا كيف
بدأ الخلق اى بالانشاء لهم ثم يميتهم ثم ينشئهم النشاة الاخرة فهو الاول في اظهارهم عن
وجوده بقدرته وهو الاخر بانشائهم النشاة الاخرة وهو الظاهر في ظهورهم بما اظهر منهم
وبهم وهو الباطن في ازله والباطن بما ابطن من كونهم وجوده فيما اظهر من وجودهم
لذلك قال وهو اعلم وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وما تكون في شان وما تتلو
منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا المعنى قوله تعالى وما انتم
بمعجزين في الارض ولا في السماء خاطب بهذا المنكرين للبعث الاخر يقول وما انتم بمعجزين
لنا في حال فناتكم وذهابكم في الارض واخراجكم من خزائن السموات والارض كما لم تعجزونا
اول مرة جمعهم ولا بواسطة الرياح من السماء فانزل لهم من السماء ماء وامرنا انبتهم من الارض
نباتا ثم جعل ذلك النبات خزائن للحيوان والانسان كما جعل السماء والارض خزائن للنبات
ثم اخرجهم من الاصلاب وبني ادم منيا ثم صيرهم في الارحام بنقلهم في طبقات التكوين ثم
اخرجهم من الارحام الى الارض برزقهم من السماء والارض على ما تقدم ذكره ثم يميتهم ويعيد
اجسامهم الى الارض وما بطن منه وانهم الى الهواء والسماء لذلك اذا اذن الله جل ثناؤه في النشاة
الاخرة امر كل شئ شيئا فرد ما اختزن فيه ثم دعاهم دعوة من الارض اذا هم قيام ينظرون
هذا والله الحق لا الكذب والجد الفصل لا الهزل ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا
مع الشاهدين اتبع ذلك قوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير رجوعا بالخطاب
الى معنى قوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء قوله تعالى والذين كفروا بايات الله ولقائه اولئك
يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم ذكر الرحمة مضافا الى ذكر اللقاء وذكر العذاب الاليم مضافا
الى الكفر بايات الله ما وعد الله جل ذكره بثواب على شئ ولا اوعد بعقاب على شئ ولا وصف
نفسه بوصف ولا اظهر اسما من اسمائه ولا ذكر معنى يعبر به عن لقائه الا وله على ذلك
ايات مبينة لمن طلب ذلك متدبرا اياه جل ذكره من رحمته ومن كفر بلقائه الكريم واوجب العذاب
الاليم لمن كفر باياته نعوذ بالله من ذلك اللقاء في الدنيا والاخرة الا ان للافعال دلالة
على وجود الفاعل وقد تقدم ذلك وهو العلم والمعرفة ورؤيته في الاية اية على لقائه ورؤيته
فيما هنالك والمواجهة في الصلوة هناية على اللقاء والتكليم والرؤية واختلاف الليل

والنهار آيات عليه والنهار بما هو آية على المعاش وطلوع الشمس آية على لقائه وطلوع الشمس
آية على المعاش ورؤية كذلك طلوع القمر وفيهما دلالات على رؤيته فيما هو الحق المبين في
تلك الدار دائما وظلام الليل ووحشة وفقد الهداية واجتماع احزان الحزين ووجد الواجد
وحنين الغريب في حضور الهم دليل على البعد عنه في الظلمات السفلى نعوذ بالله منها كما الانتشار
وفرح النفس وراحة المريض وكشف الهم والغم على الاغلب بطلوع الفجر واشراق الافاق وضياء
الاجواء بطلوع الشمس آية على الفرح باللقاء ووجدان الفرج في ذلك لمن آمن بالله وعمل له و
على ذلك نصيب البغية ان شاء الله وسماع كلام يفهم وايما به آية على تكليمه قال رسول الله صلى الله
عليه وما بينكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان الا وهو يحاضره حتى انه ليقول له
فيما يقول عبدي اتذكر يوم كذا وكذا اذ فعلت كذا وكذا فيقول العبد رب اولم تغفر لي فيقول
نعم وقد رضيت عنك فانظر وفقك الله كما ان العبد اذا قرا القران او يذكر فضل الله ورحمته
او وقف لفهم وعلم عمل وعمل منه سبق له تلك الحال تذكر الذنوب يستغفر ربه ويسال فضله
فكذلك فيما هنا لك ارجع الخطاب الى قصة ابراهيم عليه السلام فما كان جواب قومه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار هذا من معنى المجاهدة وتحمل الاذاية في الله جل ذكره
وبدا بذكر ابراهيم وقوله لقومه ونبا علينا بنبا محمد عليه السلام ثم ارجع وجه الخطاب الى تتميم
قصة ابراهيم الذي والله اعلم انه لما كانت رسالة ابراهيم شبيهة برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه
به اولى الناس وما مورا باتباعه وهو شبيه وولده بم تداخل خطاب ابراهيم وقومه وخطاب محمد ومته
فانبني بعض ذلك على بعض وكانت تلك جاهلية ما قبل المولد والمبعث جاهلية اخرى قال
الله عز وجل ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قيل هي الجاهلية التي بعث عليها ابراهيم عليه
السلام اتبع ذلك قوله ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون الايمان الحق هو القول والعقد انه يفعل
فعل الله لا اله الا هو جل ذكره وانه ليس للفاعلين سواه فعل بانفسهم انما هو بفعل الله جل ذكره في
من جعل في النار ولم يحرق لقوله جل وعز لها كوني بردا وسلاما على ابراهيم انها لا تحرق الا باذن
الله يوذيها كما كفت عن الاحراق باذنه دانت لها فيه وانما يخلق الحق فيها عند مباشرتها الاجسام
وكذلك السيف لا يقطع الا باذنه وكذلك لا يشبع الا باذن الله يخلق الله الشبع لاكل والماء كذلك
والعقاقير لا تنفذ عنها المعهود منها الا باذن من الله في ذلك واذا كان ذلك كذلك فليس على
التحقيق بفعل الفاعلون ولا يشاء المريدون ولا يقدر القادرون الا باذن من الله وذكره
وفي ذلك من الآيات ان الله يحيي من يشاء ويكرم من يشاء ويظهر على يديه من المقدور الخارق
ما يشاء وذلك لا يكون الا لاهل الايمان المحقق وذلك شرط في وجود ذلك من حسنه
وانه امن له لوط وهاجر الى ربه وانه وهب له اسحق ويعقوب لما في قومه وانه في الاخرة من الصالحين
جزاء لصبره على الجهاد وثباته على محن الفتن قال الله جل وعز والذين جاهدوا فينا الاية
قوله جل وعز ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون سبيل رؤية العقل الآيات هنا
ان يحصل بالبحث لم ضرب تلك القرى وما اصابهم فاذا وقف على السبب الموجب لذلك وهو التكذيب
بآيات الله ورسله فليجتنب فعل ذلك حذرا من ان يصيبه مثل ما اصابهم ثم اتبع ذلك قصة شعيب
عليه السلام وهلاك قومه وعطف على ذلك بعض من الامم وانه اهلكهم بعذاب بطانو معا

ذنوبهم قوله عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا الى آخر المعنى العنكبوت في التاويل عائد فمثل الله جل ذكره به عابدي الغير من دون
الله ولما كان المتخذون من دون الله انما اتخذوهم باهوائهم وما احدثتهم به انفسهم واكثرها
من تحت ايديهم وكان بيت العنكبوت مولعا يخرج على دبرها فيصنع من ذلك بيتا لا يكنها
من ريح ولا برد ولا حر ولا يمتنع ممن اراد فساده وخرابه كذلك ايضا اولياء اولئك لا
يملكون لهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا يدعون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم واستدلوا ما هذا وصفه ممن ملك الضر والنفع والرزق والحيوة وعلم السمع
والابصار والافئدة وله الدنيا والاخرة وله الخلق والامر لا اله الا هو رب العرش العظيم هذا
من فعلهم الضلال البعيد اتبع ذلك قوله الحق وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اي انهم
وان كانوا يتولون تلك سموها الهة يتولى بعضهم بعضا عليها ويتوصلون فيها لمتاع الحيوة الدنيا
كما ينسج العنكبوت بيتها الواهي الوهن وعلى هذا وفي ابناء هذا ينالهم نصيبهم من الكتاب
من رزق واجل وعمل واثر لو كانوا يعلمون انهم اذا كان الموت بما فيه وما بعده لم يدفعوا عنهم
ما يحيط من الحق الحايق بهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ويتبرأ بعضهم من بعض ويقولون
لهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال
هذا وما هو في معناه وما يتبعه الاشارة بقوله لو كانوا يعلمون اتبع ذلك قوله الحق ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء وصف نفسه جل جلاله بالعلم في مقابلة وصف اولئك بالوهن والنوت
وعدم الحيوة والقدرة على جلب نفع او دفع ضر ثم قال وهو العزيز الحكيم وصف نفسه جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه بالعزة والمنعة والقدرة والحكمة والاحكام في مقابلة وصف
اولئك بعدم ذلك كله سبحانه وله الحمد لا يقول جل قوله وتعالى جده وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون جعلنا الله ممن علم واجزل حظه من معرفته واحسن عونه على ذكره
وشكره وحسن عبادته قوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق ان في ذلك لاية
للمؤمنين معنى قوله هذا منتظم بالسياق من اجل المثل الذي ذكر بما اتخذوه من اولياء لا غنى عندهم
ولا دفع ولا نفع ذكر خلقه السموات والارض وانه خلق ذلك بالحق الذي هو كلامه وقدرته
ومشيته وعلمه وبما هو له من الاسماء الحسنى والصفات العلى فعبرت كلمته عن ارادته وقدرته
وعلمه وعبرت آثاره في مصنوعه عن اسمائه وصفاته وعبرت ارادته عن مراده فيه وسنته كونا
وشرعا وعبرت المصنوع عن اوصافه ما انتزع منه وهي الدار الآخرة فدار الدنيا بسمواتها
وارضها وما بين ذلك هي بما فيها عما كانت عنه وانتزعت منه فتفهم هذه الجملة وبرقق
في فطرك وتلطف لايمانك ولكن قاعدتك التي تؤسس عليها بنيانك قول الحق ليس كمثله
شيء واجعل معقلك الذي يلوذ به ويحترز به قوله جل جلاله له المثل الاعلى في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم فهذا وفقنا الله واياك وما هو كثير من آيات الله عز
وجل فيما خلقه للمؤمنين واستفتح الابواب وترق في الاسباب عن ان ينهضك الى منزلة
الممدوحين بالعلم بقوله وما يعقلها الا العالمون لما شبه جل ذكره الذين اتخذوا من دونه
اولياء بالعنكبوت وشبه ما يتمتعون به في الدنيا من مواصلة وتناصر ثبتت لهم عواقبها

ولا اتمام ما يزيدون منها وبها انما حقيقتها من حيث هم لسنتهم وحقيقة ذلك واتمامه
الى الله العلي الكبير وشبه ما يتمتعون به من ذلك بصنع العنكبوت بيتها وبوهنه ذكر ومعنى
ذلك خلقه السموات والارض وما بينهما بالحق لعظم خطر ذلك وكريم خلقته وتحقيق حكمته
وان تعرف ذلك برفع المؤمنين الى على درجاتهم وتبوئهم كريم خلقته وتحقيق حكمته وان
تعرف ذلك برفع المؤمنين الى على درجاتهم وتبوئهم كريم مآبهم في الدار الاخرة لئلا يكون كبيت
بيت العنكبوت في وهنه وسرعة خرابه وعجزه عن المنعة عن الخراب ومصنوع العنكبوت
شبه بها في العجز والوهن ليس كذلك خلق الله جل ذكره السموات والارض فانه الحق العزيز
الحكيم ذو الاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى خلقها بالحق ان في ذلك لاية للمؤمنين هذا
خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه ولما في بيت العنكبوت من وصف حقيقته انه يخرج
غزلا من دبرها فيتخذ منه بيتا يمتنع به زعمت من محذورها وفي المتخذين الهتهم باهوائهم
وصنع ايديهم تنزه جل ذكره عن ذكر حقيقته واعرض عن بينها فعبر عنه بعوده وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون لما كان الهوى منتسبا ابدا الى الشمال ولكواوالحد
سبحانه وله الحمد ما احكم اياته واعز احكامه قوله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب
الى قوله والله يعلم ما تصنعون لما ذكر الجهاد والمجاهدة بعد ذكر الابتلاء والمحنة وذكر
المجاهدين فيه وما تحملوه في ذاته وتبليغ رسالته وذكر انجاء المستجيبين من عباده واتباع
رسله واهلاك المكذبين لهم وبين ضعف ما اتخذوه من دونه اولياء ووهنهم ذكر
رسوله عليه السلام على ما ينجيه من الفتن ويستنقذه به من المحن ويسعده لربه ويحفظ عنده
فامره بتلاوة الوحي واتباع الكتاب المنزل عليه واقام الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء
والمنكر وذلك ان الصلوة بما هي من اقامتها بشروطها من خشوع بها وخضوع واخلاص
وعلم بمن يقصد المصلي ومن يناجي والمواجه له فيها وعن مخاطبة سفر الشيطان الامر بالفحشاء
والمنكر واذا تباعد الشيطان بوجه في قلبه الايمان والخضوع لله والخشوع له ثم الى مثلها كذلك الى
مثلها هكذا فهي كذلك ينهى عن الفحشاء والمنكر لابد ولا محالة وقرا الربيع بن انس ان الصلوة
يامر بالمعروف وينهى عن الفحشاء والمنكر **فصل** اعلم وفقك الله ان الذكر عمود نور الايمان
والاسلام والعمل الذي عنه ينبعث الاعمال وبه يقوم وهو معناها الذي لاجله جعلت
وانما نوعت الاعمال لتنويع الذكر وتوزيعه على اذكار الاسماء والصفات والمدائح واظهارها
المحامد له والثناء الا ترى ان اصحاب الجنة انما القى عليهم من العبادات الذكر فجيب فيهم يلهمون
التسبيح كما يلهمون النفس دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد
لله رب العالمين والذكر في القلب ثم ينبسط على اللسان المعبر عن القلب ثم ينبسط على
الجوارح اعمالا وحركات على سنن الاقتداء وذكر العبد لله باسمائه ومحامده كلام للعبد وان
كان الذكر كلاما مرسوما في الكتاب معلوما في الوحي فهو على ذلك كلام له فاذا قرا القران فان
كلام الله جل ذكره فهو تلاوة للعبد لانه وحي يتلى وتلاوته اياه واتباعه نفسه واشهاده له
والقاؤه اليه سمعه فهو ذكر وتلاوة والوحي كلام الله العلي الكبير سبحانه وله الحمد وخطاب هذا
لرسوله خطاب لعبده المؤمنين على اعلاء الذكر واقربه منه واحبه اليه على انه ما تلا احد كتابه

ونوخي في ذلك مرضات ربه عز وجل مستبصرا به مستصحبا له لا اقام عنه بزيادة لابد ولا محالة
ثم يحسب ذلك على المداومة يعلي بالي على العلم ويفتح الذكر ويجعل له فرقانا يفرق بين المشتبهات
ونورا يمشي به في الظلمات عند التعبير ذلك فان الله لا يمل حتى تملوا ثم باقام الصلوة يعمر قلبه
ذكرا ويشرح صدره ونورا ثم لا تجوارحه عبادة فيخف جوارحه للعبادة ويانس بها ويتاذى
لنفسه انها كما كانت قبل ان تنازع الى شهواتها لان الذي كان يامرها بالفحشاء والمنكر عزل
عنها الان مبعد عنها قال الله عز وجل ان عنها قال الله عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
فيومئذ تكون راحته العبادة وانسه بها وعيشه فيها ويلحق بالمنزلة التي عبر عنها قوله عز من
قائل اني لا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن دعاني لاستجيبن له
ولئن سالني لاعطينه ولئن استنصرني لانصرنه ولاتجرن له من وراء كل تاجر فليكن
وفقك الله سوالك منه ان يحققك في الذاكرين له وادعب اليه في الثبات في الامر والعزيمة
على الرشد فذكر الله في التلاوة لكتابه ابتغاء معرفته والعمل به وذكره في العمل ابتغاء رضوانه
وطلب الحظوة منه والرغبة في مزيد الايمان شغفا به ولهجا بذكره يبلغ الى الولاية العظمى
والفوز الاكبر فهذا وجه في قوله ولذكر الله اكبر وهو الاعلى وهو المراد الاول واما
المراد الثاني وهو المعهود عند الاظهر من عباد الله رضي الله عنا وعنهم فتلاوة الوحي طلبا
لكثير الاجر بكثير اتباع بعض الاعمال بعضا وكذلك العمل بمرضية اشتغالا بها عن الفحشاء والمنكر
ورغبة في تكثير الحسنات بتتابع الحركات وتلك سبيل سالمة وطريق قصد ان شاء الله و
الرعيل الاول المسمعون من العباد لم يكن همتهم في تكثير العمل انما كانت همتهم في تحسينه
وتخصيصه من الافات فافهم الحقنا الله واياك بهم ولا جعل حظنا من صفاتهم وصفهم انه
حليم كريم وقد قيل في قوله جل قوله ولذكر الله اكبر اي اكبر من نهيها لكم عن الفحشاء والمنكر
وقد قيل ذكر الله اياكم بالصلوة والتوجه بها اليه في ازله وقيل ايجاد ذكركم اكبر من ذكركم له الان
وقيل ذكر الله اياكم بذكركم له اكبر من ذكركم وكل صواب وموجود حق ان شاء الله قوله
تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن نهى جل ذكره عن جدال اهل الكتاب الا بالتي هي
احسن واهل الكتاب ينقسمون الى قسمين ونحن معهم على حالين اما ان يكونوا محاربين لنا
فهم الذين ظلموا منهم فجدالهم يكون بالجهاد والقتال حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون واما
ان يكونوا لنا ذمة فان جاؤوا مسترشدين ارشدناهم الى الحق وان جاؤوا معاندين مظهرين
لدينهم منتقصين لدين الاسلام فليس هؤلاء باهل ذمة ولا عهد فلهم القتل وليس جدالهم لانه يغني
شيئا وان كنا في حال ضعف عن قتالهم لضعف الولاة وايثارهم الدعة والنكوص عن الجهاد والتثبط
عنه فهذا موجود عندهم كسبي في الاخذ من الرسل والمتبعين له فان جادلناهم احتنا فيهم بمثل صنيعهم
وذلك حرام وكفر فليعدل بهم عن سبيل الجدال الى حقيقة الايمان والتمسك بعروة الاسلام
وكلمة السواء بيننا وبينهم بان نقول لهم امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
قوله تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب الى قوله وما يجحد باياتنا الا الكافرون لما ذكر
اهل الكتاب نظم بذكرهم قوله اي كما انزلنا على موسى وعيسى وغيرهما انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب

يعني معرفته والعلم به منهم ومن امتك يؤمنون اخبر جل ذكره عن علمهم به وايمانهم بهذا القرآن المهيمن على ما قبله كما قال في غير هذا الموضع لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون اي من امتك يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك المعنى الى اخره قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون من دلائل نبوته ان كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يعرف بمخالطة اهل الكتاب ولا بمدارسة اهل العلم لو كان ذلك كذلك لارتاب المبطلون وقد تقوله اعني قريشا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون يعنون اهل الكتاب اتبع ذلك قوله بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم بل كان يكون في صدور الذين اوتوا العلم مقترا لانهم اهل الشهادة ولم يكن الله ليضلهم بعد اذ اتاهم الله العلم وهي عطية الله لهم وشهادته فيهم بشهادتهم لما بان من عند الله حق وكونه آيات من الله بينات سهل التذكر ما انزل الله فيه وقد تقدم قبل هذا في شرح قوله اتل ما اوحي اليك من ربك اذ الذين اوتوا الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فبهداهم اقتده قوله عز وجل يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون امر الله جل ثناؤه عباده بالهجرة من دار الكفار والظلم حيث لا يتمكن العبد اقامة الغرض الى حيث يتمكن ذلك لمن غلب على الخروج كان من المستضعفين ومن لم يعلم ارضا الا مثل ارضه توجه عليه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فعليه بالعزلة والهرب من الناس حسب الاستطاعة قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار وعد الله الذين امنوا به وبرسله وهاجروا وجاهدوا في سبيله ان يعوضهم من ارضهم التي تركوها ارض الجنة ومن مساكن هجروها فيها مساكن طيبة غرفا تجري من تحتها الانهار ومن راحة اضاعوا ويعوضوا منها منها العلم بطاعته نعيما لا يبيد وخلدا لا انقضاء له اتبع ذلك قوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وكلما دب ودرج فهو دابة لما كان مما يقدح في خاطر مريد الهجرة فلا بد للمجاهد ان يضرب في التوكل بسهم وهو السميع لدعائه العليم باعماله وما تكنه نفسه لذلك قال قبل هذا نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ارجع الخطاب الى العرب وكفار الامم المتخذين الانداد من دونه فهم لعلهم مقرون بان الله خالق السموات والارض ومسخر الشمس والقمر وعلى ذلك فهم يجعلون الانداد تعبد وهم من دونه والله هو عز وجل فانى اي كيف تؤفكون تقلبون عن حقيقة ما هم قائلون به الى باطن ما عدلوا له اتبع ذلك قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يصلح ايضا ان يكون هذا المعنى منتظما بذكر الرزق للمهاجر والمتوكل ويصلح ايضا ان يكون منتظما بما اتصل به من ذكر افكهم عن حقيقة لازم عقدهم المتقدم ذكره ويكون معنى الرزق على هذا رزقا لاخرة وسبيل الهداية ان الله بكل شيء عليم وهو اعلم بمن يصلح على الكفر ومن يصلح على الغنى هنا على الاول على الثاني هو اعلم بمن هدى وبمن ضل بان الذي اهتدى لو صده ما عسى ان يصده لم يخرجه ذلك عن هدايته والذي ضل لو ادخل الجنة والانس وادخل النار في جهنم ثم اخرج منها لعاد الى ضلالته الا تراهم عند اضطرارهم يؤمنون وعند كشفه يكفرون اتبع ذلك ما هو

في معناه قوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الى قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف تعلمون اللام لام الامر وان كانت صيغة هذا اللفظ لام الامر فليس بامر انما هو للتهديد والوعيد يقول عز من قائل افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون كل ما كان من نعم للعباد فهو من موجودات الاخرة في الجنة فمن كفر بانعم الله فقد كفر بالدار الاخرة وكفر بالنعم بها ومن شكر نعم الله او صبر عنها فقد عمل بما يرضي الله عز وجل وامن بما هو جزاء العاملين موجودات الدار الاخرة ومن هنا اتصل التالي بالعلم يقال للمنافق والكافر في قبره لا دريت ولا تليت قوله عز وجل ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون الذي اضرب عنه ذكره بقوله بل هو معنى قوله المتقدم فانى يؤفكون فاضرب عن هذا بقوله بل اكثرهم اي انهم لا يعقلون حقيقة ما فطروا عليه من ايمان واسلام صم عن ذلك بكم عمي في الظلمات فهم لا يرجعون قوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون تكرر هذا المعنى في الكتاب العزيز اعني ذم الدنيا ورفع قدر الاخرة فقال هنا ما تقدم ذكره في سورة القصص وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها ثم قال وما عند الله خير وابقى افلا تعقلون لهذا الاظهر فيه اذ ظاهر المفاضلة وقعت فيما بين موجودات هذه وهذه وقال في موضع اخر فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وقال في مكان غير هذا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الى اخر المعنى هذه والايات قبلها تفصيلها بين موجودات وموجودات وقال في سورة الانعام وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون هذه والاية قبلها ظاهر التفضيل فيهن بين موجودات وموجودات لكن باطن معنى من ظاهر والاية الاولى التي قال في تلك انها دار الحيوان التفصيل فيهن كلهن في كون تلك دار الحيوان اي انها لا لهو فيها ولا تاثيم ولا لغو ولا لعب ولا غفلة ولا نسيان لا نعم الله ولا الايه ولا فاتر ولا مفتون ولا موت قد انحصر جزاء الكافر والمفتون كله الى فتنة جهنم وحرها اعاذنا الله برحمته منها وانحصر معنى الحيوان الى الحيوة التي هي الايمان والذكر والعلم والمعرفة وانقطع عنهم كما ايضا الموت موت الاجساد فيما هم فهم ابدا يذكرون الله تعالى على طيب علمهم وكريم نعمتهم في ذلك وكل شيء حي فما هنالك لا يطرقه موت فهي دار الحيوان دل على هذا التاويل ذكر اللعب واللهو والتفاخر والتكاثر وكل هذا موت في عرفان الوحي ومعهود الهداية وسلوك الصراط المستقيم قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه الحق هنا هو الرسول وما جاء به من الامر بالايمان والاسلام والعمل بطاعة الله والافتراء على الله الكذب فهو ان يقول اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو ايضا ان يصف الله جل ذكره بما لم يجر وجوده في نعوت تعاليه وكذب بالحق لما جاءه هو ان يكذب الرسول المرسل اليه وما جاء به وقد تقدم قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا المجاهد هنا من جاهد العدو من الجن والانس وهواه وصبر نفسه على طاعة ربه واجهدها وصابر على ذلك حتى الممات ضمن الله لهم الهداية والصحبة وهي الولاية ووصفهم بالاحسان وسبيل سبيل الله يجمعها اسم الاحسان ذكر عن قتادة رحمه الله انه قال العشر الايات الاول من سورة العنكبوت

مدينة وسائرها مكية فان كان قال هذا من طريق مقطوع بصحته تقوم به الحجة فذلك وان كان
انما قالها من اجل ذكر الجهاد والحض عليه فالجهاد اسم وعمل يقع على مصابرة النفس في قتال
العدو الظاهر ويقع على المصابرة في العمل بالطاعة وترك الراحة والهوى لاجل ذلك ويقع
على الصبر على البلوى والامتحان والفتن وقد كان هذا القسم الاخير بمكة اكثر ما كان وكان
صلى الله عليه وسلم يحدثهم عندما كانوا يشركون اليه ما يحل بهم من البلاء الذي كان
المشركون يصيبونهم به فيقول في بعض ذلك قد كان من قبلكم يوضع على راس احدهم المنشار
فيختلف عليه حتى تقع شقاه في الارض ثم لا يصده ذلك عن دينه فالله اعلم بما قال قتادة والظاهر انها مكية

سورة الروم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون في بضع سنين المعنى الى اخره قراءة الجماعة برفع العين وخفض اللام
وقرا علي وابن عمر رضي الله عنهما بفتح الغين واللام وقرا ابن عمر غلبهم باسكان اللام وروي عنه فتحها
كقراءة الجماعة ومن قرا غلبت قرا وهم من بعد غلبهم سيغلبون بفتح الياء ومن قرا غلبت بفتح الغين
قرا سيغلبون برفع الياء حكم الله جل ذكره في دوائر التقدير ان يرجع فيها اولها والحكم على اوائل
ومن الدوائر مقدرة ومنها موسعة وعلى مقدار مشية الله فيها وبها ولما اخبر جل جلاله عن
الروم انهم غلبوا في ادنى الارض وهو بلد الشام كان اخبارا منه عنها بحين والله اعلم وذلك على
من قرا برفع الغين وخفض اللام وبشارة بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين ان ذلك سيكون
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استيقظ ليلة فقال لا اله الا الله ويل للعرب من شر
قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق بابهامه والمسبحة فكان ذلك انباء من
الله تعالى اياه عما يكون وظهر ذلك بعد المائتين بل ولظهور الدولة العباسية واستعمالهم الخراسانيين
والترك والديلم والاجناس الخاطئة فيما هنا واما السد نفسه فلا يثلم الا عند مجيء الوعد وذلك
ما قال مقدار فتح ذلك الروم وذكر بالفتح لان استعمالهم كان فتحا بوجه لما تولت العرب حاد
الله بالولية كما قال فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وكان قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب انذارا لهم بتوليهم وتصييرهم الامور والجهاد الى سواهم واخبارا
منه ايضا عن وقت التقدير بانه بتقدم الكون وكان تقدير ذلك تلك الليلة لقوله فتح الليلة
والله اعلم بما ينزل فكذلك قول الله جل ذكره غلبت الروم وهو اخبار وبشارة منه عن التقدير
المتقدم لظهور الكائن وكان ذلك زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه غلبتهم على بلاد الشام
واستخراج بيت المقدس عن ايديهم وقال في بضع سنين والبضع من الثلث الى التسع كان نزول
هذه الاية بمكة فكان ذلك في داخل بضع اسباع سنين على راس عشرين الى ثمان وعشرين
سنة ثم لم ينزل الفتح بعد ذلك يتصل ويتبع الى نهاية سبقت في التقدير ثم قال عز
من قائل وهم يعني الروم من بعد غلبهم سيغلبون اي انهم غلبوا ثم هم يغلبون ومن بعد
غلبهم هذا سيغلبون اي انهم اذا غلبوا يغلبون ثم يغلبون فاخبر عن حكم دوائر التقدير
ان لهم غلبتين ولنا غلبتين سوى الغلبة الاولى التي كانت لنا بالصحابة رضي الله عنا وعنهم فكانت
الغلبة الاولى منهم لنا في تلك الارض المقابلة لغلبة الصحابة داخل تسعة واربعين وخمسمائة سنة او هي

سبع المئة في مثلها وفي ضمن سبع في سبع ولم يبلغ هذه الغلبة الا الى ثغور ارض الشام
ثم كانت للمسلمين كرة فانتزعوا عن ايديهم ما كانوا اخذوه واستولوا على جل بلادهم ارمينية
ثم ادخلوا بغلبة ثانية عام تسع وثمانين واربعمائة فغلبوا على ارض الشام كلها وعلى بيت
المقدس وذلك عن اخر السنة الثالثة التي هي من الف شهر من شهور العرب تصديقا لقوله
في بضع سنين الى ثلاث سنين اي ما دار الى الخمسمائة سنة الى تمام الخمسمائة وثلث وثمانين سنة تمام
سبع سنين الى هلم جرا ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة ولما كانت القراءة الاخرى دليلا اخر
اذ هي عند جميع العلماء بمثابة اية اخرى لكونهما سنتين في وجوب الاستدلال بهما والتلاوة والتصديق لهما
كان قوله ايضا غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون بفتح الغين واللام
اخبارا منه عن غلبتهم المسلمين التي كانت داخل تسعة واربعين اسبوعا ثم تجاوز بالذكر
غلبتنا عليهم اثر ذلك وقد تقدم ذكر هذا المعهود من وجوب حكم دوائر التقدير ثم قال وهم
من بعد غلبهم اي غلبتهم للمسلمين سيغلبون اي ان الدائرة ترجع عليهم بمثل ما كانت لهم فقد
غلبوا ثانية وهي التي كانت سنة تسع وثمانين وبقي الوعد الكريم بانهم سيغلبون فان جمعت
هذه الغلبة عليهم ثالثة بثلث اولاهن غلبة الصحابة اياهم والغلبة التي لهم اليوم ثانية للغلبة
التي كانت لهم لم تبلغ مثل هذه والحال التي كانت لهم وقت نزول القران ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة حال سادسة ومن تدبر دوائر التقدير في اختلاف الليل والنهار
واختلاف الازمان وتقليب الكيان في ذلك في تغيير الاحوال من الادالات من الزيادة والنقصان
عساه ان يقف على بعض العلم بذلك فيما يحصل من ذلك فهو انفع فوائد اليقين بتمام الامم
وكمال الاجال ووجوب ظهور اليوم الاخر وتحقق العلم بالبعث والوعد والوعيد الى ما وراء
ذلك وقد يمكن ان يكون معنى قوله على قراءة من قرا بكسر اللام وفتح الياء انهم يكون لهم غلبة
في بضع سنين كما تقدم في بضع اسابيع سنين ويكون معنى قراءة من قرا برفع الياء وفتح
اللام سيغلبون في بضع سنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المهدي فقال يملا الارض
عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما يعيش فيكم سبع سنين وفي اخرى تسع سنين فيكون ذلك
اخبارا عن غلبتنا لهم يومئذ لانها كرة منا عليهم وفرق منهم ليس لهم كرة في تلك المدة ان شاء
الله وما تقدم ذكره فصحيح والحمد لله رب العالمين اتبع ذلك قوله لله الامر من قبل ومن بعد
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اخبر جل ذكره بما يكون لهذه الامة وعليها من وقايعها مع الروم
ثم اشار الى اقتراب الانقراض من اخر وقايعها وهي غلبة المسلمين اياهم مع الامام المسمى وهو المهدي
لقوله لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وانما هو الدجال لعنه الله
ثم كلمة الله عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه ثم ذهاب الصالحين ثم الساعة وقد كان له الامر من قبل
نزول القران وبعد تمام هذه الامداد بل كان الامر له قبل ايجاد الخليقة ويكون له بعد الانقراض
كما قال والامر يومئذ لله وقال الملك يومئذ الحق للرحمن اتبع ذلك قوله ويومئذ يفرح المؤمنون
بنصر الله هذا الدليل الدال على ان ما تقدم ذكره هو المراد بهذا الخطاب لا ما قاله بعض المفسرين
من غلبة فارس للروم وغلبة الروم فارس يبشر الله جل ذكره به المؤمنين وينزل به كتابه العزيز
ويعبر عنه بكلامه العظيم اذ ليس بموضع عبرة ولا عظة ولا بشرى للمؤمنين وان كانوا قد تعلقوا

في تحقيق ذلك بزعمهم بميل المؤمنين الى الروم من اجل انهم اصحاب كتاب ولا يبلغ ذلك الى
الان بعد الله به عند القول وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون المعنى
الاخر وليست الروم بعد اعراضهم عن الدعوة لمحمد صلى الله عليه وسلم بمرحومين في قوله وهو
العزيز الرحيم وان كانوا ايد الله على غيرهم وعليهم فلحكمة الله جل ذكره في ذلك بالعز وتولية
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وانما يعبر ابدا باسم العزة على معنى الانتقام
وباسم الرحمة عن حكم رحمة الله بالمؤمنين وهذا كله بينا على التحقيق ما ذكرنا
انما البشرى بالرحمة للمؤمنين والوعيد والتقريع والتوبيخ في الخطاب لغيرهم
فافهم اتبع ذلك قوله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
اما نفى عنهم العلم واصدق قبلا اثبت لهم ظاهرا من الحيوة الدنيا بقوله ولو نظروا
بعقولهم الى تدوار دوار الامر والايات في السموات والارض لا منوا باليوم الاخر والحياة
الاخرة ولقاء الله في الدار الاخرة اتبع ذلك اولم يتفكروا في انفسهم فيرون الحواس الخمس
يؤدي الامر الجمعي اليها من سمع وبصر وشم وذوق ولمس الى حاس باطن يجمعها وتؤدي
الامر من ذلك الى العبد الباطن الموصوف بالصفات من العلم والقدرة والحيوة والارادة الى
غير ذلك وهو المسمى بالاسماء الموصوف بالصفات من عالم وقادر وحي ومريد الى غير ذلك
من اسمائه اتبع ذلك قوله الحق ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق تدور ادوار
التدبير ينبي بان الحكمة في الامر رجاع اواخره على اوايله والاقبال باوائله الى اواخره وفي
ذلك تحقيق العلم باليوم الاخر عقيب يوم الدنيا والحيوة الاخرة عقيب الحيوة الدنيا
وان لقاء الله جل ذكره عقيب البعد والغيبة عنه في سجن الدنيا وانه كما ان بعد النهار الليل وبعد
الليل النهار كذلك وعد الله آت لا محالة كذلك وعيده الا ما عفا عنه واعلم على ذلك بل صنوف
معقولا به قد حكم فيها المشية وصدق لا يخلفه وهو صدقه وتحقيق الحق منه لا بد الا ما قدره
امضاه لا بد لا يجوز عليه غير ذلك ويتحققون من انفسهم ايضا بتقليبهم في طبقات الكيان اذ هم اجنة
في بطون امهاتهم ثم اناسا ثم خلقا اخر من ضعف الى قدرة ثم الى شيخ وشيبة ثم الى حال
حال هي ارذل العمر يفقدون فيها العلم والقوة واكثر الصفات والحواس التي توجد بها طيب
الحيوة اشراط الموت كاشراطات الساعة وعلاماتها وذلك ارجاع اواخرها على اوائلها واوائلها على
اواخرها وفي ذلك وجود العود بعد البدء اتبع ذلك قوله عز من قائل اولم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ليحقق جل ذكره ثم لم يعتبروا بما اصاب من كفر بالله
وكذب المرسلين وتغافل عن النظر في ايات الله وضيع حظه من الاخذ بالحزم والنصح
من عذاب الله عز وجل واهلاكه بالايمان والتقى وحسن الاستجابة له ولرسله لذلك قال
عز من قائل فما كان الله ليظلمهم مع ما نصب لهم على الحق المطلوب منهم من الشواهد واقام على
ذلك من البينات بارسال الرسل وانزال الكتب اليهم بل كانوا انفسهم يظلمون بترددهم
في عمههم واستصحابهم الضلالات في ظلمات غفلاتهم قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين
اساءوا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن اخبر جل ذكره ان ضلالهم
عقوبة اساءتهم وعرهم لضلالهم ورضاهم بكفرهم بدلا من تولى الولي الحميد قوله

تعالى الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون صرح جل ذكره بحكم ما نصب عليه من
الدلائل وما عبر به عن الحق المطلوب فيما عرض به فيما قبل الى قوله فاولئك في العذاب محضرون
قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون وقرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون بقراءة الاولى تصريح التعظيم والتنزيه
والكناية للتعجب ويتطرق التعظيم ابدا الى التعجب وتقرير الكلام فسبحان الله وله الحمد في السموات والارض
حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون حين تمسون صلوة المغرب والعشاء وحين تصبحون
صلوة الصبح وعشيا وحين تظهرون العصر والظهر وانما عدد مراسم التسبيح والتحميد من
المخلوقات والا فله التسبيح والتحميد ابدا على الولاء قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ذكر المفسرون ان معنى هذا يخرج المؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن ومع ذلك فان المقصود الاول به والله اعلم يخرج الروح الحي
من الجسم ويخرج الجسم من الروح اي يفرق بينهما بالموت والروح ابدا موصوف بالحيوة والجسم
هو الموصوف بالموت وهو رهن الحيوة ثم قال ويحيي الارض بعد موتها اي ينزل الماء من السماء الى
الارض فيسير بالنبات وحدايق الجنات وكذلك تخرجون يريد وهو اعلم كذلك ينزل الله عليها
الماء من تحت العرش ماء كمني الرجال فتنبت الاجسام كما ينبت البقل ويرسل الارواح الحية الى
الاجسام الميتة فاذا هم قيام ينظرون فصل هذه سبع مطالب مؤدية الى سبعة علوم
يمتنا بعثها الاخرة المطلق الاعظم والحق المخلوق به السموات والارض وان كل شيء الى اجل مسمى
والبداية والاعادة والارجاع الى الله عز وجل والساعة حق والجنة والنار اتبع ذلك كله
ايات دلالات على ما ذكره مبينات للحق الذي فرضه قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم
بشر تنتشرون اقام الدلالة بقوله الحق على تحقيق ما ذكره من قوله يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون بقوله عز من قائل ومن اياته على ذلك
ان خلقكم من تراب ميت لا حيوة به ثم اذا انتم بشر احياء تنتشرون ثم قال وقوله الحق ومن
اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة بين بهذه مراده في
قوله الحق اولم يتفكروا في انفسهم لذلك قال ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وفي هذا
التفكر مطلع تتخرف به متذكرة على العلم العلي الرفيع ثم قال ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف
السنتكم والوانكم هذه دلالات على انقضاء الاجال وتمام الامداد ووجوب كون اشياء وكل ما وعد
او اوعد فات كان ذلك على نوبة ورجوع اواخره على اوائله واوائله على اواخره كما ان الليل
بعد النهار والنهار بعد الليل والسنة بعد السنة والامر بعد الامر كذلك كون ما وعد به واوعد
ثم ارجع الخطاب الى معنى ما ابتدأ به الاية ثم على العموم واختلاف السنتكم والوانكم كما قال في الاولى
التي هي نظيرتها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى ولعموم ذلك قال ان في
ذلك لايات للعالمين ثم قال ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله هذه دلالات
على الحيوة بعد الموت والموت بعد الحيوة في قوله وابتغاؤكم من فضله اعلام بالحيوة الكبرى بعد هذا
الموت المنتظر والبعث عنه والنشور وفيه ايضا دلالة على الانبياء والنبوة وتعريض بما في
الدار الاخرة من فضائل موجودات ما هنالك ثم قال ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي يسمعون

ما في الوحي من وصف فضل الاخرى بما فيها على الدنيا ثم قال عز من قائل ومن اياته يريكم البرق
خوفا وطمعا اظهاره البرق اية على جهنم اعاذنا الله الرحيم منها لانها تفيح بنفسها فالبرق من
وجود نفسها النادي في اجواء الهواء فتصدمه رحمة الله بالرياح اللواقح للسحاب والماء الكائن
عن فتح رحمته فيشتمل السحاب على ما في الجو من اثار ذلك المعنى النادي فيزجر الملائكة عليهم
السلام باذن ربهم بروقا وصواعق ويخرج حقيقة نفسها وعودا لذلك قال خوفا اي من
الصواعق وما هي عنه لمن غفل عن ذلك وطمعا في فتح رحمته ثم قال وينزل من السماء ماء فيحيي
الارض بعد موتها عرض بذكر الجنة بما يخرج من الارض بالماء من نبات وجنات الفافا اشار
الى ما تقدم ذكره من اياته بذلك من احياء الموتى الى غير ذلك قال ان في ذلك لايات لقوم
يعقلون ثم قال ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره صرف وجه الدلالة والله اعلم بما
ينزل الى معنى قوله اولم يتفكروا في انفسهم بما سلك الملكوت وقام كل شيء من السموات والارض
وما علا وما سفل به هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى وله كل شيء هو
خالقه ومدبره ومقدره تقديرا ومن امره انه اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
فكما انه اذا دعاكم منكم اذا انتم خامدون كذلك اذا دعاكم منه اي من امره وعلمه وقدرته و مشيئته
اليكم اذا انتم تخرجون فطرا وبرءا وبدءا وخلقا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله
فافهم خلق الله السموات والارض بالحق وصوركم واليه المصير كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى لا اله الا هو اليه ترجعون فوجب تحقيق التقوى بلقائه عز وجل في بدء الشان فاعبده وتوكل عليه

الا اننا كلنا بائد واي بني ادم خالد	بدوهم كان من ربهم وكل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده جاحد	وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد

ثم قال وقوله الحق وله من في السموات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده و
هو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز عن مشابهة الاشياء الحكيم احكم
كل شيء صنعه فشهد لصانعه ودل على خالقه **فصل** اعلم يقينا ان لم يات عن الله عز وجل
نبي من الانبياء نبيا الا وفي العالم اية او ايات دلالات عليه معلمات بذلك النبا وليس في العالم اية
دالة على معرفة الله او على اسم من اسمائه او صفة من صفاته او على الدار الاخرة وجميع موجوداتها
او على الملائكة والانبياء والنبوة والرسالة والمرسلين وما جاؤا به الا والنبوة قد انبات عنه و
نبهت عليه مجملا ومفصلا ليتصادق البرهان ويتجلى اليقين قال الله عز وجل ما فرطنا في الكتاب
من شيء واسم الكتاب يتبنا ولكتاب المبين والكتاب المنزل والاعتبار بموجودات العالم يشهد
للنبا فيصدقه والنبا ينبه المحقق على ما اوجده في العالم من علم وهدى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولو الالباب فيطلب هذا ويسمع هذا بلغ الله بنا وبك وقل رب
زدني علما **فصل** لا يكون العالم عالما بالنبا المنزل من عند الله جل ذكره حتى يستشهد
بموجودات العالم على النبا وبالنبا على الموجود لذلك قال اصدق القائلين بعد قوله افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولو الالباب فقيام السموات والارض على ما هي
عليه اية على ان لها ممسكا يمسكها وموجدا اوجدها وكونها قائمة بامره اية لمن تذكر وتابع
التذكر على ما له من اسماء وصفات وذلك ايضا اية على ما هي عليه من فطرها اياها على الدين القيم

وبمتابعة التذكر وتدبر التفكر في اية عظيم شان الاسلام الحنيفية ثم على ما امر به وحض عليه
من مكارم الاخلاق وعلى مراتب الاعمال وذلك ايضا من اياته على احتزان البرايا في خزاين
السموات والارض قبل بداية الخلقة ثم على ارجاعها الى تلك الخزاين بعد الموت في حال ابطانها بعد
اظهارها في كلتا الحالتين اية بينة على اخراجها الى حال الظهور ذلك قوله اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون اذا دعاهم من السماء اجابوه بمفارقة الاجسام التي اسكنوها
ثم تدعوهم دعوة من الارض وخاصة من الاجسام عند الاعادة اجابوه اليها سراعا اطاعه
كل شيء وعبده كل موجود فهو الذي لا يعجزه شيء في السموات والارض والقنوت الامساك عن
الصمت والقنوت الصمت والقنوت القيام والقنوت الخضوع والعبادة **قوله** تعالى
وهو اهون عليه الضمير الذي في قوله عليه عائد على المخلوق والله اعلم بما ينزل لان المهود في
بدايته ان يقلبه في طبقات على سنن التقلب في طبقات الاكوان كما يكون الغذاء منها ثم نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئه خلقا اخر الى حال الاستواء
ليس كذلك الشيء في حكم الاعادة وانما هي زجرة واحدة فاذا هم قيام ينظرون لذلك وهو اعلم
قال وله المثل الاعلى في السموات والارض اي عليه شيء اهون من شيء كل شيء عليه يسير **قوله**
تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء
المعنى الى اخره في قوله وله المثل الاعلى عود الى ما في هذه الاية من معنى وفيه ايضا تبيين تنزيه
وسبحة تقديس عن المعنى الذي عبر عنه بقوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
الى اخر المعنى لما تنزه جل وتعالى علاوه وشانه الى ضرب المثل له بانفسهم يقول جل ذكره هل يحسن
انفسكم بان تجعلوا لانفسكم من عبيدكم وما ملكت ايمانكم شركاء فيما رزقناكم من اهل
وولد ومال فيما لكم هم شطرا ما ملكناكم حتى يكونوا انتم وهم في ذلك سواء فتخرجون انفسكم
بذلك عن حد الملك الذي لكم فيه يخافونهم في ذلك كخيفتكم انفسكم اشارة لقوله انفسكم الى الاهل
والاحرار المالكين ملكهم ملكا مطلقا ثم قال عز من قائل كذلك نفصل الايات لقوم يعقلون
اتبع ذلك ما هو في معنى قوله عز من قائل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل
الله هذا قول مفلج بالحجة البالغة قد احاطت الحجة بخصمه ووضع القول عليه لكنهم ابوا الا مضيا
في لجاجهم وعمها في ضلالهم فمن يهدي من اضل الله اليوم وما لهم من ناصرين من عذاب الله غدا
من قد سبق القول عليهم والعلم فيهم بانهم للنار وبعمل اهل النار يعملون كيف به وهذا
كله اثبات له وتعجيب من تحقيق شانه وعلى امره فافهم اتبع ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ذكره تجا وله الحمد على المبتغى في السبل
المرتضى وهو الدين القيم به قامت السموات والارض وهو دين الاسلام لو نازعه شيء لقصمه
هو الاسلام جل ذكره ودينه الاسلام وعباده المسلمون وهو المؤمن وعباده المؤمنون والفطرة
هو ما لقاه الخليقة يوم يجدد ولا فاق وقد جاء ان الله جل جلاله لما خلق العالم نظر اليه
نظرة فتزلزل من قواعده ثم نظر اليه اخرى فكاد ان يزول عن مكانه ثم نظر اليه اخرى فكان
انه يهمه فدخله يومئذ من الخوف منه خوف لا يخرج عنه ابدا وعرفه يومئذ معرفة لا ينبغي
له ان يجهله بعدها ابدا واقر له يومئذ بالمعبودية اقرارا لا ينبغي له ان ينكره ابدا ثم كان بعد ذلك

في جملته ورايه كما يكون في النسل وجاء ان الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلقه يوم الجمعة
اقبل يوم السبت على الكلام فمدح نفسه بما هو اهله فذكر عظمته وجبروته وكبريائه وجلاله
وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيته فانصت له كل شيء واطرق كل شيء في كلام كثير من التمجيد والتحميد
فهذا الثناء يوم اوجده وفطره عليه والله اعلم وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل
عليهما السلام اللبن فطرة لانه اول ما يدخل جوف المولود وعليه يفطره فطرة الاولى من يومه الاول
قوله عز وجل لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين
اليه نصب على الحال من الناس التقدير فطرة الله التي فطر الناس عليها منيبين اليه فالكل يعبده
واياه يريد واليه ينيب وانما كان البعد من اجل ضلالة كتبديل **قوله** الذين فرقوا من الدين
وغيروه وبدلوه ليس بفطرة الله لهم التي فطرهم عليها بل ذلك هو كما اخبر الله عنه بفريق والحق
المفطور عليه الخليقة لا تبديل له وهذا الحق الموجود في جميع الموجودات هو ان لكل شيء له عابد
واليه قانت عاند حتى الامم العاتية والكفرون الطاغية في اول جبلتها حال سيرها وجهت
همها نحوه وتور قصده فرمت سهام همها ينتظر سبيله واعترضها اللعين ابليس دون ذلك
فاختلفت كما اختلف سهام رماة الغرض منها الصاف والهادف والقاصر والعاثر
والزالج والصائب والمقرطس قليل يقول الله جل قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل
من عبادي الشكور وهذه حال متبعتهم ثم هؤلاء كلما حل بهم الاضطرار وتكشطت عنهم ملابس
الغوى رجعوا اليه بالتضرع والجوار واذا كشف الضر عنهم رجعوا الى ما كتب عليهم من الكفر والتكذيب و
ليقول الله جل من قائل ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا اي فعلنا بهم ذلك من تنبيههم باضطرارهم
ليوقظهم من نومتهم ويذكرهم في غفلتهم ثم ارجعناهم الى ما هم به راضون وعليه عاملون
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا ولله الحكمة الناهية والحجة البالغة وهو العزيز الحكيم وقد دل
على ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه عز وجل انه قال اني خلقت عبادي
كلهم حنفاء فاتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا
اجتالتهم من الجولان اجتالت الشياطين انفسهم ثم امروهم بذلك فاجتالوا معهم وهو
الجولان العرس حول لحسه **قوله** تعالى ذلك الدين القيم الذي اقام به السموات والارض والقيم به
هم الملائكة والانبياء والمرسلون والمؤمنون والمسلمون ثم جميع ما خلق الله من شيء **فصل**
عبد قوم الشمس والقمر والنيرات وذلك موجود اياته في هذه الدار على ربوبيته جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه فضلوا بعبادة الدليل دون المدلول عليه واشركوا به وعبد قوم الملائكة عليهم
السلام والملائكة عباده المصطفون المخلصون زعموا انهم يشفعون لهم عند ربهم جل جلاله وانما
يشفعون لمن ارتضى بهم ولمن اذن في شفاعته وعبد قوم عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم
وعزيرا والرهبان والاحبار طمعا في شفاعتهم وكل ذلك لم ينزل به سلطانا ولا كتابا ولا ارسل
به رسولا ولا اذن لهم به فضلوا بذلك وبعدوا عن الحق فصوروا الاوثان ونصبوا الاصنام
على انفسهم واتباعهم وعبد قوم المصنوعات كانما وقعهم في ذلك لانها مفعولات فعبدوها
لذلك وكان احدهم متى كان في سفر لم ياخذ فيه اهبة لمعبوده يجمع رضما من حجارة فان لم يجد
حجارة جمع ترابا فحلب عليه ذلك عنزا ثم قعد يعبده ويسجد له فكل له قانون والاختلاف في الهداية

واصابها الاذن ومخالفة الرضى منه عز جلاله وانما نحن عبيد مملوكون لا نملك شيئا ولا
نستحقه ولا نعلم ما يرضيه منا فلا بد من الاذن والعلم بما فيه رضاه وذلك يوجب ارسال
الرسل بما شاء اتبع الكلام بمعنى ما تقدم **قوله** واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون الى قوله يقنطون **قوله**
عز وجل الم تروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ايات
على انه الخافض الرافع القابض الباسط المقدم المؤخر واية على انه المريد يفعل ما يشاء واية
على انه يخص من يشاء بفضله ورزقه في دين ودنيا قبل او بعد ابناء ورسلا وولاية لذلك
قال عز من قائل لقوم يؤمنون **قوله** تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اخبر الله جل ذكره انه الرازق كما هو الخالق وكما هو
المميت كذلك هو المحيي وقرن بين هذه الاربع في قرن واحد مع تركيب الحكمة والقدرة كما قرن بين
المبدئ والمعيد فكيف يختلف حكم ذلك او يتبعض حكمها بظهور الاسباب ووجود الالات وكما يقبح
ان يضيف الى احد انه هو الذي خلقك او هو الذي يحييك ويميتك فكذلك يقبح ان تضيف الى احد
انه الذي يرزقك ولا تقل رزقني فلان كما انك لا تقول خلقني واحياني فلان فان ذلك
يقبح عند الموقنين والمؤمنين وان تساهل بعض الناس في ذلك الا ترى ان الله جل ذكره نفى الرزق
عن من سواه كما نفى الخلق عمن سواه بقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
اراد جل ذكره ان يعلمنا باحسن بيان اقتران الرزق بالخلق وانهما شيئان عن القدرة والمشية
وقد جاء ان الله جل ذكره قال الخلق والي رزقهم وهذا معلوم ببداية العقول انا لما قل يعلم بنفسنا
انه لم يكن له على الله ان يرزقه فلما خلقه ضمن رزقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما
اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وانما الاسباب والوسائط من الاولى جل
ذكره مثل الالة بيد الصانع الا ترى انه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد ولا القلم
كتب الكتاب وانما يقال الحذاء حذا النعل وفلان كتب الكتاب وان كانت اليد والشفرة المباشرة للعمل
كذلك الخليقة يباشرون الاسباب في ظاهر عينها والله من ورائهم محيط هو الفاعل بلطائف
القدرة وخفايا المشية **فصل** ذكر تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بها والاحكام عائدة
على الاسماء بالثواب والعقاب وقد سمى المتوكل اذ ما هو له فهو اليه واصل واذ رزقه
غير فائت لا محالة لا يكون لغيره ابدا فكذلك ما يكون لغيره لا يكون له ابدا فقد نظر الحظ
من ذلك بعين نفسه الذي تولاه وكفله العزيز الرحيم من احد ثلث مشاهد ينظر العبد الى قسمه
من العطاء وجميع ما يصيبه او يفوته فهو اذا شاهد الصحيفة المثبتة له عند تصوير خلقه
راى انه قد كتب له رزقه واجله واثره وشقي او سعيد فان ارتفعت مشاهدته نظر الى اللوح
المحفوظ وانه لا يزاد فيه ولا ينقص بحول ولا قوة كذلك حظه من الاخرة من جنة او نار لا بد
من منال الحظ من ذلك وان عمل اي عمل بعد ان يكون قد كتب في اللوح المحفوظ هو قوله للقلم اكتب ما هو
كائن ثم ان علت مشاهدته نظر الى العلم الاعلى بعلو المرتبة ونفاذ العلم وقوة اليقين وضياء
النور في باطنه اذ شاهده كل عبد عن مقسما من معبوده ومن مكانه في دنوه او علوه
وهو قوله جل ذكره اكتب علي في خلقي **فصل** هذا كتب الارزاق والحظوظ والاثار من كل

من كل شيء كتابا واحدا في مواضع ثلثة توكيدا للعلم وتمكينا للقلوب في القسم في الذكر ثم
في الزبر الاولى وهي الصحف ثم في حين خلقه ثم انزل ذلك في كتابنا هذا الذي عرفنا به ما سلف
من ذلك وقال لقمن لابنه يا بني للايمان اربعة اركان لا يصلح الا بهن كما لا يصلح الجسد الا بالرجلين واليدين
التوكل على الله والتسليم لقضاء الله والتفويض الى الله والرضى بقدر الله **فصل**
واصل التوكل ومنبعه معرفة الله ثم اخذ النفس باداب التوكل قال الله عز وجل وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم يعطي بعزه ويمنع بحكمه فيعيد
العبد بعزه من توجه اليه وعول بنيته عليه ورضي بحكمه فاذا شهد العبد ان ذليل الملك الجليل
قائما بالملك والتدبير والتقدير عنده خزائن كل شيء وكل شيء عنده بمقدار ولا ينزله الا بقدر معلوم
ويشاهده قابضا على نواصي الممالك له خزائن السموات من الاحكام والاقدار الماسات وله خزائن
الارض من الايدي والقلوب والاسباب المشاهدات فمن خزاين السموات ما قسمه من الرزق وورد عنه
من الحظوظ ومن خزائن ما جعله على ايدي الخلق وفي السماء رزقكم وما توعدون وفي الارض
ايات للموقنين فايقن العبد انه في يد وكيل ملكوت السموات والارض وانه يملك السمع والابصار
والافئدة تقلب القلوب والايدي بتقليب الليل والنهار وانه حسن التدبير والحكم لا سيما
للموقنين وانه احكم الحاكمين هنالك قوي العبد بنظر ربه وعز بقوته واستغنى بعزته وشرف
بحضوره عنده كما جاء في الخبر كفى باليقين غنى فنظر اليه في كل شيء ووثق به في كل ما ينوبه واعتمد
عليه مما سواه وقنع منه بادنى شيء وصبر عليه ورضي عنه لا يطمع في سواه ولا يرجو الا اياه
ولا يشهد في العطاء كله الا يده ولا يرى في المنع الا حكمته ولا يعاين في القبض والبسط سوى
قدرته فيومئذ حقت عبادته وخلص توحيده ثم في الخلق من معرفة خالقه وطلب الرزق عنده
ويشهد بشهادة ربه جل من شاهد وقال بقول الله عز من قائل ان الذين يدعون من دون الله عبادا
امثالكم فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون ومن شان هؤلاء انهم
لا يحمدون خلقا ولا يمدحونه لانه اعطاهم ولا يذمونه لانه منعهم فحق ذموا ومدحوا فلموا فقه
الله جل ذكره من حيث ان الله مدح المتقين والمحسنين نهاية في كرمه وذم الباخلين والكافرين
قدرة من حكمته وحكما من تقديره لاظهار الاحكام وتفصيل الحلال والحرام وعود الثواب
والعقاب على الانام لعلمه ان الله جل وعز اظهر الامر واستاثر سر القدر وفعل العبد بما امر
وسلم له ما استاثر به اطلنا الكلام في هذا المعنى لمسيس الحاجة الى التشبث باوصافه ولان عمدة
التوحيد قال الله جل ذكره معقبا لما تقدم ذكره سبحانه وتعالى عما يشركون **قوله** تعالى
ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون اخبر الله
جل ثناؤه ان كل ما اصاب البر والبحر والمدن والقرى والقلوب والجوارح من فساد ومكروه قائما
ذلك عقاب يعاقب به من شاء وينبه به من شاء بتنبيه عن عيبه لعلهم يرجعون والترجي هنا
واقع في جنبة العباد فرغ ربكم فرغ ربكم فرغ ربكم كل شيء عنده بمقدار **فصل** السورة مكية
ووقت نزولها كان الضلال قد ظهر واوى على اقطار البلاد وعم جميع العباد الا من شاء
الله وذلك الوقت افضل من امس الماضي فكيف يقول لا صدق القائلين ظهر الفساد في البر
والبحر بما كسبت ايدي الناس المعنى الى الاخرة وهو يقول وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق الى قوله كان زهوقا اي عند مجي الحواري والله اعلم بما ينزل ان ذلك اخبار
منه عن ما تقدم من الامم الخالية والقرون الماضية وان تلك سنته فيهم لذلك وهو
اعلم اتبعوا بقوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان اكثرهم
مشركين فكان في ذلك تعريض بما هو مصيب هذه الامة من احاطة الفتن وان ذلك
بما كسبت ايدي الناس وان دواء ذلك الداء التوجه لله بالدين القيم والبدار البدار
رحمنا الله واياكم بالتوبة النصوح والعمل الصالح وحسن الاقتداء بالرسول
عليه السلام والهرب من الخوض في اباطيلهم وتخليطهم حتى ياتي امر الله بامره ان الله
على كل شيء قدير ثم اتبع ذلك قوله فاقم وجهك للدين القيم اي فهو الدواء لهذا
الداء من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون المعنى **قوله** جل وعز
ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون قال عز وجل ومن اياته ان يرسل مبشرات ثم عطف بالواو ولام كي في
قوله وليذيقكم من رحمته معنى ذلك والله اعلم بما ينزل مبشرات بفتح رحمته وبالخصب من الجدب
ليرزقكم ويحيي به الارض بعد موتها ويريكم في طرقات تصريفه وتكوين خلقه وليذيقكم
من رحمته فعطف على هذا ليطلع من شرف هذا المعتبر على معالم الحياة ورياض جنة الرضوان
اعتبارا من فتح رحمته الى محل دار امانته ومثال رضوانه واستعلاما باحيائه بلدة الميت دار
الحيوان حيث لا موت ولا زوال وهو موجودات ما يوجده من رحمته هنا على موجودات ما
هنالك ثم قال ولتجري الفلك بامره ايات على وحدانيته وان تدبيره كل شيء كتدبيره شانا ما
وايات على ما يحملهم فيه فيما هنالك من فلك وغيرها من مثله ما يركبون ثم ارجع الخطاب
ظاهرا على معنى ما ابطنه بقوله ولتبتغوا من فضله في الاسفار من ارباح متاع الدنيا
وموجودات الاخرة ولعلكم تشكرون فينالوا الموعود الذي هي هذه ايات عليه **فصل** ارسال
الرياح في الاجواء اية على الوحدانية هو الواحد في السماء الواحد في الارض امره في الارض كامره
في السماء والريح عن الروح يلقح عنها السحاب في الهواء ويوجد فيها الماء واحدا ثم يصرفه الى ما
يصرفه اليه فله الحق وله الامر وهو العلي الاعلى وارسال الرياح ايضا اية على ارساله الرسل بالبشرى
مبشرات برحمته وعبادته ويوجد عنها ما يكون من موجودات الاخرة فاشبهت الرسل في بشاراتها
ونذاراتها ثم يصرف وحيه اليهم بعد الى ما شاء من امر ونهي ووعد بتوابع ذلك وكما يرسل الرياح
ليذيق العباد من رحمته الدنيا ويبشرهم بالوطاء في حق من شاء الى رحمته الدينية وربما جمعهما لمن شاء
رحمته فيهما فكما قد يهلك بالرياح كما فعل بقوم هود واصحاب الظلة وغيرهم كذلك قد ينجي
المرسلين من امن به وصدق المرسلين ويهلك من ابى وعتا وكما يرسل الرياح لتجري الفلك
في البحر بامره كذلك يرسل الى عباده ليجريهم في بحر الدنيا بهدايته الى الاخرة التي هي موضع
عبورهم وكذلك يرسل رسله الى عباده ليبتغي عباده من فضله في الاخرة وكما يرجو لهم ان يشكروه
كذلك يخشى عليهم ان يكفروه ويقول عز من قائل ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور اتبع ذلك قوله جل ذكره ما هو في معناه ولقد ارسلنا
من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا علينا نصر

المؤمنين يريد وهو اعلم جل ذكره بما ينزل المؤمنين الذين تبعتهم رسلهم فاولئك ضمن الله
نصرهم كما قال عز من قائل كتب الله لاغلبن انا ورسلي يحفظون به وسهم عليهم السلام كما
قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فاذا ذهب الرسول عنهم حفظهم الله يحفظهم عنه
وكما قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم فاذا كثر الخبث
والكفر واستحقوا جزاء ذلك الا ان يعفو الله الكريم قال الله جل قوله ظهر الفساد في البر والبحر
بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ثم نسال الله معافاة ومغفرة
من الرابعة ان لم يتداركنا الله برحمته واصلاحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردون موردا
واحدا وتصدرون مصادر شتى وفي اخرى سعثون على نياتهم **قوله** عز وجل الله الذي
يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله
وقال في سورة النور الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق
يخرج من خلاله وقال في سورة النور الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما
فترى الودق يخرج من خلاله اعلم الله جل ذكره بهذه مشابهة الرياح الرسل وارسالها
ارسالها اياهم وعرض بذكر السماء الى ان رحمة المنزل منها هي الماء لذلك اخرج ثمرات كل شيء وجنات
معروشات وغير معروشات كما ان الوحي ينزل من السماء فيخلق من طاعة العباد موجودات في الجنة منها
ما شابه هذه بعض الشبه ومنها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
لما كان فيما يجيء الرسل عليهم السلام ما هو التعريف بالله جل ذكره وباسمائه وصفاته و
الايمان بذلك وفيما يجيء به ايضا ذكر الدنيا والزهد فيها وذكر الاخرة والرغبة فيها كان عين
جزاء ذلك في الجنة من معهود الدنيا وكان فيها ايضا ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر هذا في مقابلة معرفة الله والايمان به وذلك في مقابلة معهود الدنيا وجزاء
الاخرة وجزاء الزهد فيها ومعرفة الاخرة والرغبة فيها حكمة من حكيم عليم لا اله الا هو
ثم قال عز من قائل فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون لا استبشار مثل تري بين
اهل الدنيا ومن اهل الايمان بما يصيبهم الله به من الوحي من علم بالله ومعرفة ويقين بجزاء
ودار الاخرة ولقاء الله جل ذكره كما قال جل من قائل يستبشرون بنعمة من الله وفضل قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وروى عن الصحابة رضي الله عنهم قالوا
كنا نقعد بعد صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتذاكر امور الجاهلية فنضحك
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ثم قال عز من قائل وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله
لمبلسين جمع هذا بين ظاهر ما ابطنه وباطن ما اظهره بتكرار لفظ القبل تقدير الكلام
والله اعلم بما ينزل وان كانوا اي المؤمنين من قبل ان ينزل عليهم اي الوحي لمبلسين اي متحيرين
لما جاءهم به الوحي من التوحيد والعلم بالله واليقين بالدار الاخرة وبلقاء الله ويمكن ان يكون
معناه زائدا الى هذا المبلسين اي داخلين في الابلاس والتعين كما يقال منجد ومتهم لداخل
نجد وتهامة كما قال وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها واما قوله جل ذكره من قبله
اي قبل انزال الله الماء من السماء رجوعا الى ظاهر المثل ويكون قد ابطن وصفهم فيكون
لقانطين او يائسين فيكون الضمير في قبله راجعا الى العباب بالماء **قوله** تعالى فانظر

الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها هذا الماء وقوله آثار رحمة الله يصلح ان يكون
وصفا للوحي ايضا فيكون المراد بالارض الاجساد والجوارح واحياؤها بالعمل بالطاعات
والايمان والاسلام ويصلح ان يكون المراد الارض وما يخرج منها بالماء وحسب الناظر الى رحمة
الله ما اصلح به من البعث لذلك قال عز من قائل ان ذلك لمحيي الموتى اي من هؤلاء وهو
وهو على كل شيء قدير ثم قال عز من قائل ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا يعني الزرع و النبات
ويصلح ان يكون ريحا من الامر تهيج فتنة وبدعة وضلالة لظلوا من بعده يكفرون واتبع
ذلك قوله انك لا تسمع الموتى الى قوله الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اخبر جل ذكره بتداول
اثار التقليب في احوال الخلقة على العقد وانتظم معناه بمعنى ما تقدم في صدر السورة من
معنى ذلك قوله اولم يتفكروا في انفسهم ونبه بقوله وهو العليم القدير فالق الاصباح وجاعل
الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وبتقديره في تداول البروج
هو العليم بمقاديرها وما يكون عنها وهو القدير على ذلك خلقا وامرا ومتى نظر العبد في
وتفكر في تركيبه وبدئه وعوده من حيث هو عبد مخلوق اهتدى ومتى نظر الى نفسه تغير
رعونته فانه يبصر تقليبه في تكوينه واصله ومم خلق وانه يعود بعد الاستواء والقوة الى الهرم
المفيد والشيخ المقعد المكنى بارذل العمر ثم الموت لا بد ولا محيص عنه فهذا هو دواء لو
رعونته والله هو الحي الدائم الوافي العليم القدير لم يزل على ذلك ولا يزال سبحانه وتعالى عما
يعدلون **قوله** تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون
جاء هذا المعنى هكذا كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وجاء هذا المعنى
في القرآن هكذا مختلف اللفظ متفق المعنى وانما ذلك وهو اعلم لما كانوا في الدنيا امواتا
بالجهل والكفر بعدم روح الايمان لم يعلموا من اجل ذلك بالتوحيد ما يجوز لله جل ذكره
من نعوت التعالي وما لا يجوز ان يوصف به مما سوى ذلك لم يعلموا بالدار الاخرة ولا بلقاء الله جل
ذكره وغير ذلك فلذلك لما ماتوا لم يعلموا ايضا بما اصابهم حال كفرهم في البرزخ من تعذيب
والام واهوال مفزعات وما هنالك وان كانوا يباشرونه ويحسونه كما لم يحسوا في الدنيا
بامراضها واوصابها من حيث المراد بذلك منهم وقد كانت جهنم تغدو عليهم وتروح بنفح
نفسها وفتح رحمة الله يعلمهم بانعمه ومنه وان كانوا يحسون ذلك ويجدونه وجدا ولكنهم لم يعلموا
به بل افكوا عن حقيقة المراد ولم يسمعوا قرع الخطاب اصماخ اسماعهم لصموا عن سماع نداء
الداعي هتف بالكتاب كذلك لما حيوا ايضا في الاخرة لم يعلموا بالقوة في اثناء المدتين وان كانوا
قد شقوا بذلك والغوا **فصل** اثر ذلك ما فيكم في دار الدنيا عن حقيقة ما فطرت
عليه انفسهم وجوهرهم بعلم الفطرة والسجود بالكره لله والقنوت له والعمل بطاعة الله
ومراده كرها وكونها لا قصدا ولا ابتداء وانه هذا من معرفتهم بان الله جل ذكره هو
خالقهم وخالق السموات والارض ومالك الملك ومدبر الملكوت عليه سمعهم وابصارهم
وقواهم ثم هو على ذلك يؤفكون عن هذه الحقائق الى الايمان بباطل لا حقيقة له
ويدينون بالاذعان لصنعة ايديهم والخضوع والسجود لما ينحتونه والعبادة للاوثان هم

ضرا ولا نفعا ذلك قوله جل جلاله كذلك كانوا يؤفكون في الدنيا عن حقيقة المراد
شرعا كما يؤفكون في الدار الاخرة عن العلم بما احسوه من الالم وطول لبثهم مدة
البرزخ في عذابهم فيما اعجبهم الله الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اتبع ذلك
بما هو اتمام له وتبيان قوله عز وجل فقال الذين اوتوا العلم اى في الدنيا كذلك اوتوا
في البرزخ كذلك اوتوه في الحيوة الاخرة والايمان يعني الحسوه في البرزخ وهي حيوة الايمان
وهم المعينون والله اعلم بما ينزل في قوله فيما حكاه عنهم حين قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم فاسال العادين فاهل العلم هم العادون فيقولوا ان العلم والايمان يومئذ لقد
لبثتم في كتاب الله اى في علم الله وقضائه وقدره المسطور في كتابه المبين الى يوم البعث فهذا
ولكنكم كنتم لا تعلمون يقولوا على نحو الخطاب فاورثكم ذلك عدم العلم في دار البرزخ
فاما في الدار الاخرة فهم في موضع العلم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا يقول الله جل من
قائل فيومئذ يعني الدار الاخرة لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اى بانهم كانوا لا يعلمون وانما لم
ينفعهم يومئذ الجهل وعدم العلم لانهم كانوا في العلم لو طلبوه وجدوه والعلم كان
كان في قلوبهم وذوات انفسهم لو تاملوه لصنعوه فاضاعهم اتبع ذلك قوله الحق ولقد ضربنا
للناس في هذا القران من كل مثل اعرب الجليل جل جلاله ان قصص هو امثال مضروبة وحقايق
اكثرها جلية ومنها خفية فاطلبوا ذلك ان كنتم صادقين وفي المظهر الجلي من ذلك ما يقطع
العذر ويظهر به الحجة ويستبين السبيل وهم عن هذه الايات البينات لئن جئتهم باية ليقولن
الذين كفروا ان انتم الا مبطلون كما قال عنهم في غير هذا الموضع هذا سحر وانا به كافرون انما
يريدون ان يصدونا عما كان يعبد اباؤنا والساحر مبطل والصاد عن الحقيقة مبطل
اتبع ذلك ما هو معين عن حكمه فيهم الصادر عن علمه وحكمته قوله جل قوله كذلك نطبع
على قلوب الذين لا يعلمون ثم قال عز من قائل يؤيس من استجابتهم فاصبر ان وعد الله حق
اى بالفتح عليك والنصر لك واظهار دينه على الدين كله وهو ايضا حق ما وعد به في الدار
الاخرة من جزيل ثوابه وكريم مآب لمن استجاب بالصدق لاهل الصدق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون
امره بالثبوت على ما اتى به وامن كما قال ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون في باطن هذا
الخطاب امر للمستجيبين من عباده بالصبر والمجاهدة ووعيد لاهل العلم شديد الا ترى انهم اعني
الكفار لما لم يطلبوا العلم في الدنيا ولا استعملوا ما في فطرهم منه ولا تنبهوا اليه ولا تذكروا
بالمذكرين اخذوا من تلك الجهة وعذبوا ولم يقبل منهم المعذرة ليس من علم كمن لم يعلم ولا من
وايقن كما لم يوقن واعتبر ذلك بالاهلين والمعتوهين ومن لا تمييز عنده ولا عقل وامه المستعان

سورة لقمان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله جل قوله الم تلك ايات الكتاب الحكيم تلك
اشارة الى متباعد والمشار اليه ما عبر عنه قوله الم وعلى الحقيقة فليس يبعد عن الله
شئ من حيث المسافة وانما نسبة القرب والبعد عنه من حيث الولاية والبراءة منه والا فهو
القريب وما تبرا منه فهو البعيد بل قد يوصف بالقرب ما هو موصوف بانه عنده او
لديه من ذلك قوله في القران وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وقال في الملائكة وجعلوا

الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا فوصفهم بالعندية لخصوصية التي فارقوا بها الجن
والانس كما قد يوصف بالبعد ما هو موصوف بانه من عنده او عند غيره وان كان ذلك اشارة
اليه موصوفا بالولاية من ذلك قوله جل ثناؤه وما تلك بيمينك يا موسى ذلك لانها كانت بيمين
موسى عليه السلام وقال فذانك برهانان من ربك لما اعطاها اياه اشار اليهما اشارة بعد وان
كانتا من عنده جل ذكره كذلك قوله ذلك من ايات الله ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر
الحكيم عبر عنها بلفظ البعد لما اظهرها الى الوجود وكونها موجودة في قلب الرسول وذكره
كذلك اشارة بتلك هذه الحروف لما خصها من اللوح المحفوظ فكانت واسطة بين ما
هنالك وبين حروف القران وكذلك ما عبرت عنه ما هو خارج الى الوجود فعبر عنهن بالبيان
الهين لانها منفصلة عنه اعني موجودات ما عبر عنه مكتوب باللوح قوله عز وجل هدى
وبشرى للمؤمنين من اهتدى بهداية موجودات اللوح المحفوظ فهو من الموقنين ومن اهتدى بهدى
القران المبين فهو من الموقنين ومن اهتدى بهداية الرسول عليه السلام فهو من المبين ومن اهتدى
بهدايته هذه السبل وسلك مسالك هذه المناهج كان من الصادقين لانه كثير تصديقه
فصدق الله والرسول والكتابين ثم صدق في العمل فاتبع ترك الوجود والقران في الدلالة
والارشاد وانفرد ظاهر القران بالبشارة والنذارة قوله تعالى الله الذي خلق
السموات بغير عمد ترونها الاية هذه وما شابهها من الخلق والامر هي موجودات الكتاب
الحكيم عمدها امساكه اياها وقيامها على ما هي عليه هو بامره لذلك وصف العمد لانها غير
مرئية لنا لا يجوز غير هذا وقد تقدم الكلام في ان الوجود كله هو المثبت في اللوح المحفوظ
يقول الله جل ذكره للقلم اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة فمن شاء ان يقرا اللوح المحفوظ
نظرا فلينظر في الوجود ومن شاء ان يقراه عن ظهر قلب فلينظر في القران والغيب هو ما لم يخرج
بعد الى الوجود من ذلك المكتوب والغيب ايضا ما غاب عنك فلم تشاهده اتبع ذلك قوله جل ذكره
هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه لا خالق الا الله ولا شريك له هذا صنفان
من المؤمن والكافر لكن الكافرون عن الحق يؤفكون عبر عن ذلك قوله بل الظالمون في
ضلال مبين قوله عز وجل ولقد اتينا لقمن الحكمة ان اشكر لله المعنى الى اخره بين الله
جل ذكره ان معنى الحكمة وسبيلها الشكر لله وكل مروة او علم او سيرة او اصابة او فهم
او فطنة او انفاق وجميع معاني الحكمة التي تركب عنها اذا عرى ذلك عن الشكر لله ولم يقصد
ذلك عن الشكر لله ولم يقصد ذلك فليست بحكمة والحكمة هو الايمان في العمل والاصابة في القول
والراى والفطنة والفهم والسيرة والهبة في السمت وجميع الاوضاع والحلى واصابة
الصواب في ذلك كله فالالهام اتبع ذلك قوله واذ قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم الظلم هو وضع الشئ في غير موضعه واخراجه عن طريقة التعديل
ولما ذكر لقمان ووعظه ابنه اخذ في التوصية بالوالدين وجعل شكرهما منفصلا من الشكر له
جل جلاله متصلا به وعقوقهما متصلا بالكفر واكثر التوصية بهما وان كانا كافرين
فليصاحبهما في الدنيا معروفا ولا تطعهما فيما يامراه به من الشرك والكفر بالله ولتتبع سبيل
المنيبين اليه وفي هذا فحوى خطاب في ذلك انه وصاه بشكرهما والبر بهما كافرين فاطنك

بتوصيته بهما اذا كانا مؤمنين طايعين لله تعالى ثم انه كان في مقام من الحكمة والعلم
اوجب عليه الدعاء لهما والاستغفار ووجبت عليه وظيفة اخرى من الشكر سوى ما تقدم
قال الله عز وجل حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه قال فيما حكاه عن نبيه سليمان عليه السلام
وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه ثم رجع
الخطاب الى وصف وعظ لقمان ابنه وانه اوصاه بالتوكل على الله وحسن الظن به وتصديق
وعده والثقة بضمانه وباقامة الصلوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على العمل بطاعة الله
والصبر عن محارمه والصبر على المصائب كلها ومدح الصبر وقال انه من عزم الامور ثم امره
باجتناب الكبر ولزوم التواضع والقصد في الامور كلها في الهبة والسيرة والتشاركهم
كذلك الى اخر القصة وهذه هي الحكمة علما وعملا قوله تعالى اولم تروا ان الله سخر لكم
ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة هذا مما شملته كلمة الرب وما
عبر عنه من خلق وامر وقوله واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهر هي نعم النفع والباطنة
نعم الدفع والظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الاخرة يعلم العبد اذا عدد نعم ربه وحاسب
كثيرا منها صحة وفراغ نفس ودنيا ودينا وغنى وعملا صالحا وذكرا ومكانا ونحو
ولا يعلم الاكثر مما يدافع الله عنه من البلاء والافات وما من ثمة نصيب العبد الا والله جل
جلاله موصوف بالقدرة على الاتيان باضعافها وبالضد اتبع ذلك قوله عز وجل ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير هذا منتظم بما في اول الخطاب من قوله الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها وبما جاوره من ذكر النعم المعني قوله تعالى واذا قيل لهم
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم يعني اباءهم
الى عذاب السعير هنا محذوف تقديره ستبعونهم على ذلك كقوله ولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون يتبعونهم على ذلك فما انتظم من الكلام بقوله الله الذي رفع السموات هو
منتظم بهداية اللوح المحفوظ كما ما انتظم بقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله هو منتظم
بهداية القران المبين فافهم اتبع ذلك قوله عز وجل ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن
من اسلم وجهه الى الله جل ذكره تماما بما خلقه الله من شيء وما فطره عليه واحسن في توفيقه
وجمع في يده جامعا الهدى والطرق المستقيمة الموجودين الوحي والعالم هذا منتظم لا نفع فيه
اختلاف ولا نهي عقده ولا تبدل لسنته اذ سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل قوله ومن كفر
فلا يحزنك كفره الى عذاب غليظ يقول جل ذكره ومن كفر بما اوجد الله عليه السموات والارض
وما بينهما من عبادته والقنوت له والقيام بمقتضى امره فكذب بما جاء به رسوله وكتابه بقوله
فلا يحزنك كفره وعيد منه جل ذكره شديدا لينا مرجعهم المعنى الى اخره اتبع ذلك قوله جل
من قائل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله قل
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون يقول الله من قائل هذا معتقدهم المؤسس عليه جبلتهم وعلمهم
المعروز في اصل خلقتهم وعلى ذلك هم يؤفكون عن حقيقتهم ويعدلهم عن سبيل قصدهم ثم مدح
جل جلاله بعظيم اقتداره على سوق الذوات الى مشيئته وان كان في ذلك عطبهم ذكر

امضاء مشيئته وتصديق كلمته قوله تعالى لله ما في السموات وفي الارض انتظم هذا معنى
للخطاب يعني تمدح على اقتداره وقهره الذوات وسوقه اياها بمرادها الى مراده منها وبها
ثم جل من قائل ان الله هو الغني الحميد في مقابلة قوله فلا يحزنك كفره اي فان هذا مراد
لا لكون منهم فافهم اتبع ذلك قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله اخبر جل ذكره وهو اعلم بما نزل في صدر السورة ومفتتحها
بما حواه اللوح المحفوظ من خلق وامر فاخبر في هذا بما اوجد بذلك وهو كلمة قال الله
عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون واستشهد بما اظهر من ذلك
على وحدانيته وقدرته وعلمه وحياته وعلى وجوده وقيومته واخبر في هذا عن
كلمة وكلمه صفته وصفاته لا تفنى ولا تبيد والبحر وما ضوعف له وان بولغ في التضعيف
على جميع وجوده الى بعد غايته وزاد الى ذلك الى اقصى عدد العادين من اهل السموات
والارضين كل ذلك يفنى ويبيد وصفاته العليا لا توصف بفناء ولا يتوهم لها غاية
ولا انتهاء كيف وانما جميع ما حواه اللوح المحفوظ انما هو كلمة من كلماته اوجد من مقتضاها
كيف شاء واضرب عن ايجاد ما لم يشأ ايجاده لما شاء قال للقلم اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة
مما لا حد له ابلغه اليه وقال اكتب المقدار فانه لا نهاية لم يعدها وقال له اكتب علمي في خلقي في
يفنى علمه او يتصور نفاد كلمته سبحانه لم يجعل لعبده من معرفة اعظم من الاقرار بانه لا نهاية
لمعرفته اتبع ذلك ما هو بيان له قوله الحق ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة يريد وهو اعلم
ما خلق جميعكم وبعثكم الا كخلق نفس واحدة وبعثها ثم دل من اسمائه بما هو الحق لقوله وهو السميع
لكلامكم البصير بجميعكم اي بسمع واحد وبصر واحد كما يعلمكم بعلم واحد ولا يشغله شيء عن شيء
ذلكم بان جميعكم عنده كمعلوم واحد ومقدور واحد وهو بكل شيء محيط اتبع ذلك ايضا ما هو
في معناه تبيانا له قوله عز من قائل الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى يقول فدخل في ذلك جميع التدبير الذي يقوم بامر الدنيا
ثم قال وسخر الشمس والقمر يعلم بانهما اعني الشمس والقمر ايتان على امر الاخرة وانهما ايتان
على تجليه لعباده في الموعد الحق والشمس والقمر وهما شعبتان نيران من سلطانه يطلعان على
الكعبة والبلاد فيرى الجميع كل واحد منهما من موضعه دون تضام ولا تضاق كما يراهما الواحد
منهم وذكر الاجل المسمى هنا تعريضا باجل الاخرة الذي برز دل منهما تجليه الكريم العلي وان الله
بما تعملون خبير اي يعلم ذلك كله بعلم واحد فاين النفاد فيما ههنا والنهاية اتبع ذلك قوله الحق
ذلك بان الله هو الحق اشارة الى ما تقدم ثم حكم بحكم الحق الواجب وجوده بما تقدم من
الدليل ومن البرهان اتبع ذلك قوله جل من قائل الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله
ليريكم من اياته هذا من معنى ما تقدم من قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة جرى
بان كل ما في حمل الفلك يجري بانها مجريها الله جل ذكره فيجري بجريانها جميع ما حملته لذلك ما خلق
جملة المخلوقات المسمى بالعالم الكلي والعبد الكلي الا كخلق نفس واحدة من العالم الجزئي وكذلك
في التدبير والامتثال الى غير ذلك لا يؤده شيء ولا يشغله لا اله الا هو العلي العظيم فهذه من
ايات المشار اليها في هذا الموضع ونعمة الله المذكورة هنا هو حفظ وتيسير الريح الطيبة

بامر المحاه وفي الفلك ايات سوى هذا ما قد تقدم ذكر بعضها اتبع ذلك قوله جل ذكره
واذا غشيهم موج كالظلل اى يكون الموج لهم من فوقهم كالظلل لهم فوق رؤسهم ذلك
اشد الهول وافظع واهول من هذه وصفه في قوله جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج
من كل مكان اى من جهات دعوا الله مخلصين له الدين على ذلك جبل الخليقة يدعونه
على التوحيد تضرعا وخفية حال الاضطرار ويكفرون ويشركون به حال العافية
يقول جل من قائل فلما انجاهم الى البر فمنهم مقتصد واكثرهم على ما قال فلما انجاهم الى البر
اذا هم يشركون فاسكان الرياح والامر بالايواء في الفلك والمحمولين فيه لايات الاقدار
والابتلاء من القدر واهوال الموج مثال المكروهات الدنيا ومحنها لهذا وما هو اكثر
من هذا قال ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اى على من الاقدار وشدتها شكور على
حلولها وجودها وعلى هاتين الحالتين وما يجحد باياتنا الا كل ختار للعهد المأخوذ
عليها ثم لما يعطيه في حال الاضطرار من عهود ومواثيق لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين فيكون بذلك كفور الاحسانه المتمزج بامشاجه المركب عليه اركانه قوله تعالى يا ايها
الناس اتقوا ربكم الى قوله الغرور قرئ بفتح الغين وضمها والمراد بالفتح الشيطان كان من الجن
او من الانس فهو محذور وبالضم فعل للغرور قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الى اخر
السورة رجع الكلام الى معنى وصف الله بالوجود العلى في انباء النبوة يقول جل من قائل ان الله
عنده علم الساعة اى على التوقيت والتحقيق لا يعلم من خلق وقد اعلمنا باشراطها وامارات
اقترابها لكنه قال لا ياتيكم الا بغتة ولما اعلمنا به من الاشراط والامارات قال اكاد اخفيها
ففي المقاربة تحصل بين هذين المعنيين لم يعلمنا بيوم وقوعها ولا ساعة يومئذ
ولولا ما اعلمنا به من الامارات لم يعلم من شانها شيئا ثم قال وينزل الغيث اخبر عن قدرته
ومشيته فان احدا لا يقدر على ذلك ولا يعلم متى يشاؤه وقد جعل على ذلك ايضا امارات
وعلامات كايام الشتاء دون ايام الصيف على الاكثر والاغلب وكذلك مطالع الانواء في مجرى العوائد
نفع الله برحمته على عباده عند ذلك على الاغلب والله يفعل ما يشاء كقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا نشات بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة ولا يحجون غيثا الا في اوانه وعند الحاجة
اليه وكذلك قوله ويعلم ما في الارحام انبأ جل جلاله عن علمه وخبره بما في ارحام النساء وارحام
الارض وغيابات الغيوب وان كانت هذه تزيد في الاستغلاق على ما تقدم ذكره ثم قال
عز من قائل وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت هذان اكثر
استغلاقا مما تقدم تحقيقه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس لا يعلمهن الا الله
اى لا يعلمها على الاحاطة بها والتحقيق لها وان اختلفت في طرق العلم بها في الخفاء والكشف

سورة السجدة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الكلام في معنى تنزيل الكتاب وانه بمثابة التنبيه والتنوير
قرءه وتنزله مما هو كلامه العظيم الى ما هو تلاوة ومنا قراءة ومما هو كتاب بالقلم الاعلى في اللوح
المحفوظ الى ما هو كتاب لنا والمكتوب والمتلو المحفوظ هو كلام الله صفة غير مباين ولا مغاير
لذاته والذى لا ريب فيه هو الكتاب المحفوظ وقد ارتاب في القرآن من لم يرد الله جل ذكره تيسيره

للايمان به وانما قال ولقد يسرنا القرآن للذكر ثم قال فهل من مدكر بتيسيره ثم ان كان
هذا المذكر بهذا القرآن على حق لا مرية فيه ولا ريب عنده فانه من عند الله رب العالمين
قوله تعالى ام يقولون افتراه قد يكون ام بمعنى بل تقدير الكلام بل يقولون افتراه
ويكون معنى الف الاستفهام كانه قال اتقولون افتراه وهي لغة تمانية ويكون معنى الكلام
تنزيل الكتاب لا ريب فيه ايؤمنون به ايصدقونه فانه انما جاء به بلا ريب فيه ام يقولون افتراه ثم رد عليهم
قولهم بالافتراء فقال بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يهتدون هذا الترجي بالهداية لمن قد سبق له القول بذلك من الله جل ثناؤه فصل
جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ في كل ليلة سورة السجدة وسورة الملك وجاء
عنه انه كان كثيرا ما يقرأ يوم الجمعة في صلوة الفجر بسورة السجدة وهل اتى على الانسان
اما قراءته سورة الملك فلما جعل الله جل ذكره فيها من كفاية عذاب القبر والتلاوة على الموت
على ما سيأتي ذكره واما سورة الانسان والسجدة فلما ذكر الله جل ذكره فيهما من ستة الايام
ومعنى الامر وما اشتملت عليه من خلق وامر وقد تقدم ذكر الستة الايام في الباب الجامع من اسم
الشهيد ولما فيها ايضا من البشارة وذكر الثواب على اعمال الطاعات اذ يوم الجمعة هو سابع
الايام الستة الزمانية التي خلق الله السموات والارض وما بينهما في شاكلها والاجرا اذا تم عمله
استحق اجره ويوم الجمعة فيه تقوم الساعة هو اخر الايام والدنيا موضع الايمان بالغيب قال
الله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة واجر كبير قوله تعالى الله
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم
كان مقداره الف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة الى قوله قليلا ما تشكرون
من نظر الى مبدأ السورة انتظم لديه جميع ما ذكره بما هنالك جاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ما بين السماء الدنيا والارض مسيرة خمسمائة عام فهذه الف سنة بين صعود
ونزول ولو كان ذلك على معهود سيرنا يعرج اليه الامر في غير زمان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل فصل اخبر الصادق
الحق ان الملائكة عليهم السلام يعرج اليه بالامر من الارض الى السماء وينزل من السماء الى الارض
والسماء المذكورة هنا هي السماء الدنيا دليل ذلك ما اخبر به من المقدار كما اخبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانتهاء العروج والصعود العرش والى العرش يقول الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر وكثير ما جاء في الكتب
المتقدمة والعلم الاول ان حملة العرش اربعة املاك احدهم كالانسان والاخر كالثور
والثالث كالاسد والرابع كالنسر وجاء من طريق عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما بالبطحاء واستاق حديثا معناه اخبار
عن ما دون السماء الدنيا من سموات وان ما بعد ما بين السماء والسماء اما واحدة واما
اثنتان او ثلث وسبعون سنة هكذا جاء بما فيه من لفظ او قال وما بين السماء والارض
يعني من هذه السموات كذلك حتى عد سبع سموات على ذلك ثم قال وما فوق السماء السابعة

بحر اعلاه واسفله كما بين السماء الى السماء وفوق ذلك ثمانية اوعال بين اظلافهن
وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء ثم قال وفوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه
كما بين سماء الى سماء والله عز وجل فوق ذلك فالعرش العظيم فوق السبع السموات
العلى والكرسي الكريم ثم لكل سماء عرش ولا ارتياب من قوله صلى الله عليه وسلم
ما بين اسفله واعلاه كما بين سماء الى سماء فانما امر يضيفه الى نفسه ووصف نفسه
بالاستواء عليه كما اضاف البيت الحرام في الارض الى نفسه والبيوت لا تسعه وانما يسعه
مشيئته فهو لذلك حيث شاء يوجد لا يمتنع عليه شيء ولا يتعذر لديه امر شاءه
ولكل سماء عرش ينزل عنه الامر ويصعد اليه ولكل عرش كرسي ينفصل عنه الاحكام
ولا انتهاء الا العرش العظيم والكرسي الكريم ثم الى رتبة المنتهى ومن صفات العرش المنسوب
الى الله جل ذكره انه بحيث لا حيث ولا اين وان كان كما يقال فيه حيث ومكان
واين وكذلك الكرسي فاعلم ذلك بل كل مكان واين بيده ويقدسه عن الافتقار الى
الحيث والاين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول
من يسألني فاعطيه ويستغفرني فاغفر له الحديث وقال ايضا اذا صلى العبد فان الرحمن
وفي اخرى فان الله قبل وجهه اذا صلى وقال الله عز وجل خلق السموات والارض في ستة ايام
خلق كل شيء وسواه على ما شاء من امر وخلق فكل شيء مستو بتسويته اياه والموجود بعد
في انفسها متفاضلة فمنها متشابهة وغير متشابهة وهو المستوي المستوى على العرش وباستوائه
على العرش سواء كل شيء استوى عليه لحق الله جل من قائل ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير
وقال الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وقال عز من قائل
وما تكون في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
فتدبر وفقنا الله واياك ما تلوناه يتحقق بانه جل جلاله لا يوجد الا في سماء وهو مستو
على العرش ولا يخلو عنه مكان ولا يبعد مشهود وهو لا يكون الا على عرشه له المثل الاعلى
في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ومع هذا لا ينزل الامر منه الا من علو ولا يصعد اليه
الا من سفل حيث ما كان فهو العلي والعلو ومن تدبر ما ذكرنا بايمان وعقل صائب وجد الامر
على ما قدمناه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولا يبعدن عليك بالشرع انه ليس يكن فهم
هذه العبارة عما نحن بسبيله فانك بالضرورة او بادنى نظر تعلم ان الاين في حيث لا اين فيمن يجوز
عليه الاين حقيقين ثم لا اين في حيث لا اين في حق من لا يجوز عليه الاين اجوز واتم
وجود الا اين في حق من يجوز عليه الاين فاين مكان الروح في الجسم فكذلك العقل والفهم
والعلم وغير ذلك فان قلنا انه في الجسم فاين مكنه وموضع وجوده منه فان اشرت
الى عضو من اعضاء الجسم كالقلب والدماغ او غيرهما لم تجد له فيما هنالك سوى
منبعث احكام تعرفه وتعرف بها حتى لو عدمت تلك الاحكام والافعال لم تجد سبيلا
الى معرفة وجوده بعدها وكذلك غيره من الصفات والا فاذا في الجسم وخرج هذا المثال

اليه فاين هو والى حيث يتحيز وهذه ايات على المطلوب الا على قال الله عز من قائل
او لم يتفكروا في انفسهم وقال وفي انفسكم افلا تبصرون وقال وفي خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون فافهم فهمنا الله واياك عنه فانا طرف الكلام جمعت اليك وقربت
لك حقايق التوحيد ببراهين الوحي اتبع ذلك ما هو في معناه قوله عالم الغيب والشهادة العزيز
الرحيم لما كان هو الحي القيوم المستوي على العرش والعرش محيط بالجملة حدثت به وملا الاسموات
كان في كل مكان بلا مكان يعلم الشهادة والغيب ولا غيب في حقه هو العزيز الذي لا يلحقه
احكام المخلوقات ولا ينالها اوصاف المحدثات الرحيم بعباده المؤمنين **فصل** فوجه الجمع
بين ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر الثمانية الاوعال بحمل عرش السماء الدنيا وما
جاء من ذلك في الكتاب الاول وبين ما جاء في معهود كتابنا والوحي الذي انزل الينا كقوله جل
جلاله وتعالى علاؤه وشانه الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين امنوا المعنى الى اخره وان اسرافيل وميكائيل من جملة العرش وقيل
جبرئيل وعزرائيل على جميعهم صلوات الله وسلامه او كما هو في علم الله ثم في علمهم عليهم السلام فان
ما هنالك دار الحيوان وحومة الافق المبين وان ههنا دار الموت ولا يوصف بما يوصف به
ما هنالك **قوله** تعالى الذي احسن كل شيء خلقه اي خلق كل شيء يمكن ان يكون المعنى بقوله
احسن كل شيء خلقه جملة المخلوقات كذلك قال وقوله الحق وخلق كل شيء فقدره تقديرا
اي خلق الجملة وهو على كل شيء قدير وهو المقدر احسن تقدير اي خلقه على صورة ادم عليه
السلام كما خلق ادم على صورته جل ذكره ويمكن ان يكون المراد المعنى بذلك كل شيء شيئا
شيئا اي خلق فاحسن ما خلقه والمعنيان يجتمعان في الصحة معا على ارادته منه ومشيته فخلق
الملك والانسان في احسن تقويم وخلق القرد والخنزير والحباب والجندب والضرر والخنفسا
ونبات وردان على ما اراد كل منه ثم سلك ذلك كله مدرجه واستمر في سبيل الحكمة من
مرتبته منها فرغ من ذلك في يوم الخميس من ايام الدهر كل شيء خلقه فقد سواه ثم قال عز من
قائل وبدأ خلق الانسان من طين خلقه يوم الجمعة بعد العصر في ساعة من النهار ما بين العصر الى الليل
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين النسل ماخوذ من النسول وهو سير سهل منه كنسلان الفرس
من المشي شبه ذلك خروج المني من الصلب والترائب من الزوجين وهو راجع الى ما كان عنه ابوه
وهو الطين اذ الغذاء المخلوق عنه المني والغذاء من النبات والانعام وذلك كله اصله الماء والتراب
وهما اذا امتزجا كان مجموعهما طينا ثم سواه ونفخ فيه من روحه هذا معطوف على قوله وبدأ
خلق الانسان من طين لانه موضع الخصوص وان كان كل حي فلا بد من نفخ الروح فيه فربما
كان ذلك بواسطة لذلك وهو الاكثر والاغلب وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون ههنا سبيل سابلة ودلالة واضحة للنظر في المسئلة المتقدمة من خلقه السموات والارض
وتسويتهن يوم استوى على العرش فما استوى ادم عليه السلام الا بان نفخ فيه من روحه ولا استواء
لعام من ذريته حتى ركب فيه الروح ثم ان تمام استواءه حين تمام عقله وكمال حلمه وقوته
وتمام ذلك في المحسن قال الله جل من قائل ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما ثم قال عز وجل
وكذلك نجزي المحسنين اتبع ذلك قوله وقالوا اذا ضللنا في الارض قرئ بفتح اللام وكسرها

وكرها وقرئ بالصاد بمعنى انتنا من صل يصل اذا نتن وتغير ويروى عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه بكسر اللام ضللنا اي صرنا ترابا اعظموا ان يعيدهم الله على ذلك
من حالهم واستبعدوا ذلك يقول الله جل قوله وعلى هذا التنبيه الذي تقدم قالوا اذا ضللنا
في الارض المعنى ولو تذكروا بالبداية الاعادة لاصابوا يقول الله جل ذكره بل هم بلقاء
ربهم كافرون بل للاضراب وانما اضرب عن تصفح سوء مقامهم يقول الله عز وجل انما هم
بلقاء ربهم كافرون قطعوا لذلك اتبع ذلك قوله الحق ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها يقول
جل من قائل لم يعجزني هدايتهم ولا فاتوني انفسهم واعمالهم لكن حق القول مني لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك يوم قال جل من قائل لابليس لعنه الله اذهب
فمن تبعك منهم لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقال ذلك بالحق ومن
قوله الحق هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وقال ذلك وفعله بحكمته البالغة وحجته
القاهرة ذلك بانه الملك الحق الحكيم العليم قدرهم يوم كانوا في علمه وقدرته ومشيته
على مقدار انهم لو ادخلهم النار وعذبوا فيها الفعام واكثر فاستغاثوا وضجوا واظهروا
من انفسهم التوبة وحسن الاستجابة فاخرجهم منها لعادوا لما نهوا عنه لتبين
بذلك كذبهم في دعواهم ووهنهم في عزمهم وعجزهم عن مرادهم ذلك وكما خلق السموات
والارض وما بينهما بالحق ومن الحق صدق كلماته وامضاء مشيته واحاطة قدرته وعلمه كذلك
ما تقدم ذكره من امضاء مشيته في اضلالهم وتصييره اياهم الى العذاب هو من ذلك الحق
المخلوق به السموات والارض وكما تشهد له الموجودات بالوحدانية والالهية وسائر الاسماء
الحسنى والصفات الكاملة العلى كذلك قدر هذا واوجبه واظهر كونه ليشهد له بالقدرة
القاهرة والمشية الماضية وعزم الامر العلي وكما سجد له كل شيء وقنت له كل شيء و
خضع له كل شيء كذلك سجد له الكفار بكفرهم وقنتوا له وخضعوا له بذواتهم رضي منهم بعطائه
وتسليما لقضائه وهم لا يشعرون بل يقاتلون عليه ويقتلون صبرا الاجل وهم لا يعلمون
يقول الله جل من قائل متى اظهر قهره لهم وقدرته عليهم فيما هذا سبيله فاني يؤفكون
انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا انما نعجب رسول صلى الله
عليه وسلم وعلماء عباده من عظيم شانه وقهره الذوات سلطانه واليه يرجع الامر كله
ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي يهديهم ولا ولي ينصرهم ولا يشرك في حكمه احدا
سبحانه وله الحمد فافهم فهمنا الله واياك **قوله** تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا
نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون دخولهم النار اعاذنا الله برحمته منها لكفرهم
وبيعتهم ابليس لعنه الله وذوقهم الام العذاب لاستعذابهم المعاصي والكفران والجحد وعصيتهم
في السعية وتولي بعضهم بعضا على ذلك ونسيان الله اياهم فيها اي تركهم على ذلك لنسيانهم لقاء
الله واليوم الآخر وسمى الله جل ذكره تركه اياهم فيما هنالك نسيانا وهو الذي لا يضل ولا
ينسى جزاء لنسيانهم ما ذكروا به من تذكير الله والرسل والوحي اياهم ونسيانهم لفطرهم
المغروزة في اصل امشاجهم وتركيب اركانهم بذكره ونزعة اضطرارهم وينسونه عند العلو
والرجوع مع انفسهم ان ربك لعليم حليم وخلودهم فيها ما دامت السموات والارض لتركهم النظر

والاعتبار بالحق المخلوق به السموات والارض وكفرهم بربهم الدائم الباقي الذي لا يحول
بحقه ولا يزول يقول الله جل من قائل انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون اعرب جل جلاله عما تقدم ذكره من التاويل لان
لابد للناس فاذا ذكرهم اذا ذكروا بايات ربهم من سجود الموجودات وسجود الامم عليهم
كالملائكة والنبيين والمرسلين ذكروا فسجدوا وسارعوا الى ذلك وامروا بالسجود
اطاعوا ليس كابليس اللعين ابى واستكبر وكان من الكافرين اتبع ذلك من نعتهم جل
ذكره تتجافى جنوبهم عن المضاجع التجافي الترفع بترك خفض الزبد ارتفع وجفا فلان
اي ترفع على جهة فعلا او قولا وهي هنا عبارة عن قيام الليل واستصحابه يدعون ربهم خوفا
وطمعا ومما رزقناهم ينفقون هذا في مقابلة الاباء والاستكبار وقيام الليل عمله ونفع
نفعه عامله ومن انفق مما رزقه الله فقد افاض من نفعه على من سواه فهو كالزكوة و
لذلك ما قرن الله الصلوة بالزكوة في غير ما موضع فاكمل الله لهم ثوابه ورفعها درجتهم
فوق العلم وادى ما اتاهم على الاماني يقول الله جل من قائل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين جزاء بما كانوا يعملون كانت اعمالهم بالفرايض جهرا صلوة وزكوة وصياما وجهادا و
وكان قيام الليل وصدقات قدموها واذكارا التزموها واعمالا احتسبوها سرا فاتابهم
على ذلك فيما هنالك مثالات ومشتهيات مما عهدوه خيرا وابقى واثابهم ايضا ما لم يجدوا
ولا سمعوا له باسم ولا خطر لهم ببال اسروا كما جهروا فاسر لهم كما جهروا واجزاءهم وفاقا
وبلغت رسله والحمد لله رب العالمين **قوله** تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن
في مرية من لقائه هذا الضمير في قوله لقائه ان يعود على موسى عليه السلام وقد رآه ليلة
الاسرى به وسيراه في الدار الآخرة وهو يراه اليوم في الدار الوسطى التي هم فيها اليوم
والاوجه زائدا على ذلك ان يكون عائدا على الله جل ذكره فينتظم بقوله بل هم بلقاء ربهم
كافرون ثم جعل يظهر ذلك معنى ويبطنه الى قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم
عند ربهم ربنا ابصرنا وسمعنا الى قوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الى قوله فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم الى قوله في صفة الابرار رضي الله عن جميعهم تتجافى جنوبهم
عن المضاجع الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ثم من ذكر المؤمن والفاسق
وما يليه هنا وهذا يوم القيمة ثم قال ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها وهو
من معنى الايمان بلقاء الله جل ذكره ثم قال ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية
من لقائه اي من لقاء ربك عز وجل كما ضل هؤلاء وبالمجاورة فلا تكن في مرية من لقاء
موسى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم موسى الحديث **قوله** عز وجل اولم يهد
لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم انتظم معنى هذه الآية بمعنى ما تقدم ذكره
من وصف الكافرين قولهم اذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد ثم كذلك من انشاء ذكرهم
بذكر الابرار ثم قال ان في ذلك لآيات افلا يسمعون لما كان المعتبر به من مضى وسلف
وبديار خربت وآثار درست ومن الناس من سار في الارض ومشى ورأى الآثار
وابصر الخراب فاخبر قال يخاطب بذلك من لم يسر في الارض افلا يسمعون ثم قال

اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز هي التي تهشم نبتها وماتت لبعد عهدها
بالماء وقيل الجرز لكثرة استدعائها الماء من ذلك الجرز لفظ يعبر به عن لزوم
الجوع وكثرة البهامة فتستدعي لذلك الطعام والكثرة فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم
وانفسهم اشارة الى انه خلقهم عن ذلك ولم تكن الارض جرزا الا بعد تهشم نبتها
وتحطم زرعها وفي ذلك دلالة على الموت ثم قوله نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج
به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم دلالة على الاحياء بعد الاماتة الى غير ذلك من
دلالة بالماء والارض وكرياح المرسلة في الاجواء على اختزانهم في خزائن السموات والارض
وانزالهم واخراجهم بالماء والامر تبارك الله احسن الخالقين ولما كان اكثرهم
مدركا بحواس الابصار قال افلا تبصرون اتبع ذلك قوله متى هذا الفتح ان كنتم صادقين
الفتح الحكم ويقال للحاكم الفتاح بقول الله جل ذكره قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم يوم الفتح يوم يموت احدهم ويوم القيمة يقول الله جل من قائل فاعرض عنهم
اي تلطف ما عليك الا البلاغ وانتظر ذلك اليوم انهم منتظرون قرئ بفتح الظاء وكسرها

سورة الاحزاب مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** يا ايها النبي اتق الله هذه الايات الى قوله كان
ذلك في الكتاب مسطورا مضمن هذا منتظم بمعنى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا الى قوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الى قوله امسك عليك
زوجك الى قوله ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم ذكر النساء من ازواجه وما احل
منهن ومن شاء منهن كله وحجابهن وامره بما امر به من شاء منهن من التخيير والحجاب
والتوصية بهن مما تضمنه متصل بذكر ما تقدم ثم ذكر المنافقين والكافرين وما
كان منهم من قول وفعل مذكور في هذه السورة وما عابهم به في ذلك كله ثم الحق
مع ذلك ذكره المؤمنين ووصفه اياهم بما وصفهم به لاجل ذكره المنافقين والكافرين

فصل كانت زينب بنت جحش رضي الله عنها زوجا لزيد بن حارثة وكان زيد بن حارثة
فيما ذكر في صحيح ما جاء قد اعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تبناه على ما كانت العرب تفعله
بسبب الرعي منهم الى من يتبناه فكان يقال له زيد بن محمد وزيد بن رسول الله قبل ان ينزل الله جل
ذكره في شانه ما انزله وكانت هذه زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي
عنها فلما تمت من زوجها خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على زيد بن حارثة فكرهت ذلك
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجيه فان في ذلك خيرا وفي علم الله جل ذكره انه سيرد ها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجه من الحكمة صحيح محكم عند لحوق الاجل المقدر عنده وذكر
من ردها عليه بعد نزول الاية التي في سورة النساء الكبرى قوله عز وجل وحلائل
ابنائكم الذين من اصلابكم الى قوله واحل لكم ما وراء ذلكم بما سن حفي لطفه لما شاء
من انفاذه حكمه لما بلغ الامد نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل زيد بن حارثة
يطلبه لبعض حاجته فاعلمته زينب رضي الله عنها انه غائب فاوقع الله في قلبه منها شيئا
فكان من قوله على ما ذكر وهو منصرف سبحان مقلب القلوب وفي اخرى يا مقلب القلوب

ثم اوقع الله في نفس زيد فراقها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو من زينب
كبرا واذاءة بلسانها وبذ فراقها وقال لا حاجة لي بها ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول له اتق الله وامسك عليك زوجك يريد والله اعلم اتق الله لا تعيبها تذكر اذاءة
وكبر ونحو هذا ويكون معناه اتق الله في نفسك ربما احتجت الى زوجك واحتاجت
اليك فامسك عليك زوجك او ما يكون معناه هذا فكان في نكاح رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياها من حكمة الله ورحمته ان يبين به تحليل ازواج الادعياء والعزم
على اظهار التبرئة من بنوتهم والحاقهم بالاخوان في الدين والموالي قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من انتسب الى غير ابيه او تولى غير مواليه فالجنة عليه حرام وعزم الله لنبيه عليه السلام
في نكاحها بعد تمام عدتها فطفق ناس من المنافقين والمشركين والكفار من يهود
وغيرهم يتحدثون بذلك ويخوضون في نفسه فانزل الله عز وجل على رسوله هذه
السورة يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين يقول امض لامرك
الذي امرت به واتبع لك ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعسون من ذلك
ويخوضون فيه ان الله كان عليما حكيما بما كان من نكاح زيد اياها وما هو كائن
من نكاحك اياها حكما فيما اراده من ذلك لم يستدرك امرا لم يعلمه قبل ولا وضع شيئا
الا في موضعه من حكمته انما فعل ذلك لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا اتبع ذلك قوله واتبع ما يوحى اليك من ربك بقول
اعرض عنهم ولا يصدنك عما اوحي اليك ان الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا اي سالم الكفاية وكفى بالله كافيا ووفيا اتبع ذلك قوله ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه قلب يخاف الله به ويطيعه وقلب يخاف به الناس ويراعي شانهم انه
جل ذكره يرد الحقائق الى اماكنها ويبطل ما اصلوه باقوالهم وافعالهم بقوله وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم يقول الله جل من قائل
ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق اي سمى بالوجود على ما هو عليه وقول الالسنة
لا تحيل الحقائق عن مواضعها وهو يهدي السبيل اتصل هذا القول بابطال كل باطل زعموه ضلالا
تكلموا به وانتحلوه اتبع ذلك قوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اي اعدل واقوم
فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم للمولى قد يكون الناصر ويكون ابن العم
ويكون المعتق ويقال له المولى الاعلى ويكون المعتق وهو الاسفل اتبع ذلك قوله جل وعز
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم فانتظم بما تقدم ذكره من المحاجة عنه
والنصرة له بما خاضوا فيه من امره وعابوه عليه فاعلم جل ذكره عباده المؤمنين
ان النبي اولى بهم من انفسهم فكيف يجوز لهم اختيار مع قضائه او امر منهم يخالف
امره وقال عز من قائل في مثل هذا فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وجعل ذلك منهم معصية
بل كفرا وضلالا عن القصد ثم قال واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب
الله من المؤمنين والمهاجرين يقول عز وجل ثم نعد ولاية الرسول اياهم ولاية

سائر المؤمنين والمهاجرين هذا في الوراثة والصلوة عليه والانكاح الى غير ذلك
من ولاية المؤمنين بعد ذلك لمن عدم القرب وولي الصلب في كو حم ثم قال عز من قائل
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني المؤمنين من المهاجرين من القرابة المحجوبين
عن كوراثة بغيرهم وكذلك في النصرة والصدقة والهبة وغير ذلك من المعروف
يقول عز وجل كان في الكتاب مسطورا لهذا وجهان احدهما ان هذا المشار اليه من
نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب والحكم فيه والامر به والنصرة له في
ذلك ممن عاب به وخاض في شانه مسطورا في اللوح المحفوظ مثبتا لا تبديل له
ولا تغيير والثاني انه من نعل الى وليه معروفا اثبت في صحيفة حسنا وكتاب اعماله
وكل ذلك في الكتاب الاول مسطور **قوله** عز وجل واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا
ليسال الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما هذا منتظم بذكر
اخذ الميثاق والعهد حيث كان وبخاصة في هذه السورة ما يخص معنى ما انزلت
من اجله يقول عز من قائل وهو اعلم بما ينزل انما انت نبي من الانبياء ورسول من
الرسل احدنا عليك الميثاق كما اخذناه منهم وكما اخذنا ميثاقهم اخذنا ميثاق
اممهم لهم ليؤمنن بهم ولينصرنهم كل امة ماخوذ عليها الميثاق لو مثلها ورسولها
ماخوذ عليه الميثاق بالتبليغ والنصيحة والميثاق الماخوذ على الجميع هو ان يقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه والمقصود بهذا هو ان احدا لا اعتراض عليه على نبيه ولا اخلاف
ولا مؤاخذة ولا موجدة على رسوله في حكم من الاحكام في خاصة نفسه او في عامتهم انما عليه
ما حمل وعليهم ما حملوا ومن اطاع رسوله فقد اهتدى اتبع ذلك قوله يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
لما ذكر المنافقين والكافرين وضيحهم وخوضهم مع الخائضين ذكر المؤمنين نعمته
قبلهم يقول اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهي غزوة الخندق من غطفان وقريش
وبني قريظة تواحاد من سائر العرب باوباشها واحابيشها من فوقكم ومن اسفل
منكم يريد وهو اعلم عيينة بن بدر في اهل نجد وابا سفيان ابن حرب في اهل تهامة واذ
زاغت الابصار يعني عن موضع مناظرها من شدة الجزع والهلع فلا تكاد تعرف ما تنظر
اليها وبلغت القلوب الحناجر سمى ما حول القلب وما جاوره باسم القلب وهو اذا
انتفخ الشجر ارتفعت الرية الى موضع الحلقوم وبارتفاعها يرتفع القلب وبالغ هذا
هي الكظم شبه الكظم بالبعير يكظم جرته فعدد بهذا نعمه على المؤمنين بنصره ورسوله
منبعثا بذلك انه رسول جاء من عنده بالهدى ودين الحق يعظهم بذلك فيما جاء به
المنافقون والكافرون ثم صرف وجه الخطاب الى المنافقين والذين في قلوبهم مرض
بقوله وتظنون بالله الظنونا اثبت الالف علامة لراس الاية وقد اسقطها بعض القراء
في غير الوقف كان من قول المنافقين يومئذ ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا حتى قال
بعضهم قد كان يعدنا بملك فارس والروم ولا يجترئ احدنا ان ينهض الى الجراية فقبر

الله جل ذكره عن جملة ما خاضوا به في هذا المعنى بقوله وتظنون بالله الظنونا
بقول الله جل من قائل هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا يجمع عليهم
كثرة ضروب اقاويلهم وصنوف خوضهم مما لزمهم من الابتلاء ذكر ان احدهم كان
يحضر لعداوة او عشاوة وما كان يجد احدهم شيئا يجعل في بطنه سواها لم يسخر
اذ ادفعها الى فيه سد على انفه لنتنها وشدة زهمها وعم ذلك في جملتهم حتى هم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمصالحة للعدو على شيء يعطيهم اياه وكان ذلك على راي له
لم يكن عن وحي من الله جل ذكره ثم استدار الراي بينهم على ان لا يكون ذلك وهذا
كله من الزلزال حتى جاء الله بنصره وبعث ملائكة من عنده في الرياح اجلتهم وقلعتهم
والحمد لله رب العالمين اتبع ذلك ما هو في معناه قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يعني
المنافقين يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا اي لا صبر لكم ولا بقاء على هذا فارجعوا
عن الاسلام ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة يقول الله
جل ذكره وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا هذا كله من الزلزال والجزع وعظيم الحزن
كانت العرب قد رمتهم عن قوس واحدة بيوت عورة اي غير محروسة من العدو ولا ذات
منعة كانوا يقولون بيوتنا عورة نذهب اليها نحرسها وما بهم الا الفرار عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين اتبع ذلك قوله الحق ولو دخلت عليهم من اقطارها هنا محذوف
لتقوو هو اعلم ولو دخلت عليهم بيوت من اقطار الارض لما استاصلوا اشانهم ولا اعوا
ردة امر الله في نصر دينه واقامة امره هنا تقدير المحذوف والله اعلم ثم اخذ في وصف
حالهم بقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها يعني من الاتيان وهو
الاعطاء لاتوها من المجيء والفتنة هنا هو الرجوع الى الكفر والشرك دخول ابواب
في قوله ولو دخلت عليهم من اقطارها عطف على المحذوف في تقديره والله اعلم بما ينزل في تفسير
قوله وما هي بعورة بحراستها ومنعتها بامر الله جل ذكره فلا يدخل عليهم ثم عطف على هذا
المعنى ولو دخلت عليهم من اقطارها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوت الله لامتي في ثلث
فاعطاني اثنتين ومنعني الثالثة دعوته في ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها فلا يزال الهرج
الى يوم القيمة ودعوته في ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم يستاصل شافتهم فاعطانيها
فلو اجتمع عليهم من باقطارها ما استطاعوا استيصالهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
والمؤمنون يومئذ جملة الاسلام وعدته ولم يعط الله ورسوله الا ما قد سبق في تقديره ان
يكون فلذلك قال عز من قائل وما هي بعورة لحراسته اياها هذا التقدير الحق ثم عطف على هذا
المعنى بقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها ما استطاعوه استيصال المؤمنين ولا ان يردوا
امر الله والله متم نوره والغالب على امره ثم عطف معطوفا اخر بقوله ثم سئلوا الفتنة لاتوها
عطف الاخبار عنهم عن حالهم المعلومة عنده لانه العالم بما لم يكن كيف يكون وما لا يكون كيف
كان يكون لو كان وهؤلاء من قد تقدم ذكرهم انهم لو جعلهم في جهنم العام ثم اخرجهم منها
وقد ضمنوا على انفسهم العتبى والرجوع عما كانوا عليه في الدنيا من الكفر والتكذيب لكذبوا
انفسهم ولعادوا لما نهوا عنه بقول الله جل من قائل وانهم لكاذبون فكيف يكون

صادقا على حال من قال الله جل من قائل فيهم وانهم لكاذبون فهذا المتلو في هذه
الاية مصداق الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في معنى قوله ثم سئلوا الفتنة
لاتوها انهم لو شاهدوا حراسة الله لهم وكفايته اياهم عدوهم ثم سئلوا الفتنة
على ذلك لاتوها يقول لاعطوا الفتنة من انفسهم ولالقوا بايديهم وكفروا
بعد ايمانهم وما لبثوا الا يسيرا ليلقوا الارسال ما ياتونها ويلوها الى العدو ووجه اخر
وما تلبثوا بالفتنة التي اتوها الا يسيرا اي حتى يغلبوا على امرهم باجر الاسلام لو عوتوا
وكل ذلك قليل اتبع ذلك بما بين ما انبأ من شانهم قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل
لا يولون الادبار وهذا منهم تولى زائل لما كان منهم يوم احد ذكرهم جل ذكره بما كان
منهم في المبايعة حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصرة والقتال ثم قال جل
من قائل لنبيه عليه السلام قل لهم يا محمد لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يقول
جل وعز الفرار لا يبعد اجلا حضر والثبات للقتال لا يقرب اجلا لم يحضر فهذا اذا لا
ينفعكم ولا يعصمكم من موت لاحق وقتل حاصل محيط ولو كان ينفعكم على ظنكم وليس نافع
اذا لا يمتعون الا قليلا بالعيش والبقاء هذا قول صائب ومعتقد وسودرج عليه معظم
الائمة رضي الله عنهم اجمعين تنبيه الله جل ذكره اصدق القائلين قيلا واثره الخبر
حديثا فقال لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت كما قال حتى اذا جاء احدهم الموت
توفته رسلنا وهم لا يفرطون قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم قال
او القتل ثم نظم به واذا لا تمتعون الا قليلا كما نظم بذكر الموت قوله تعالى قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت وقد وعد على القتل في سبيل الله وتوعد في قتل المؤمن بغير حق ونهى
عن القتل وامر بالقتل كل ذلك في مواطنه وهذا كله يدخل على استعمال الامر به والنهي عنه
احكام لو ولولا كقوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا اي من القتل ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم
منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا
اليما وقال خذوا حذركم وقال وخذوا اسلحتكم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم
وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولو تدل على امتناع الشيء لوجود غيره وعلى وجوب
الشيء لامتناع غيره وهذا من تدبير الامر اي يجعل هذا دليلا لهذا بمشية الله في ذلك لا يمتعون
بالعيش الا قليلا ولا في انفاذ حكم الموت نظم قوله قل لن ينفعكم الفرار ولا في من بلغ اجله
وحضرت منيته من الانفاذ لا بد ولا محالة قوله الحق من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد
بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي من انفاذ القدر
المحتوم وليس ذلك بالتدبير وانما انفاذ التدبير والحكم فافهم وفي هذا قول الله
عز وجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولا في تدبير الامر
من تكليف فيكون عن ذلك احكام الامر والنهي واحكام لو ولولا وهلا واحكام القرآن
كقوله وجعل لكم سرابيل تقيكم باسكم ثم قال كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
والمعنى على هذه القراءة اظهر والمقاربة ايضا ظاهرة بحكم التدبير في قراءة من قرأ

تسلمون كذلك قوله عسى ربكم ان يرحمكم وقوله ولعلكم ترحمون وتفلحون فيما بين هذين
الحكمين في تدبير القضاء وتغليب الامر على النهي والنهي على الامر لتباين دواعي الخلق و
اراداتهم وهممهم الكائنة عن خذلانهم او هدايتهم كان الثواب والعقاب والمدح
والذم لامتناع لحوق مخلوق به السموات والارض سبق كتبه بالعلم العلي في الكتاب المبين لتتميم
كلماته ومقتضيات اسمائه والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال الله عز وجل في
المقاتلين الفارين عن القتال واذا بوا والعطف وهو عطف على محذوف وتقديره والله
اعلم بما بينك انذر بهم كل بقدم ثم قال الا قليلا فالله اعلم بعليل كل واحد منهم ما هو عند
الذين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والثلث كثير وتقدير هذا بالاضافة الى واحد واحد
منهم وعمره ما هو وما مضى منه وتعجيل اجله وتاخيره اتبع ذلك قوله اشحة
عليكم يريد بنصرتهم وبانفسهم كما قال هم الذين يقولون لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا فاذا جاء الخوف اضطروا الى المعونة بانفسهم
لانهم كما قال فيهم العليم الخبير لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فهم الخائفون لهؤلاء
ان ظفروا ولهؤلاء متى ظهروا يحسبون كل صيحة عليهم يقول الله تعالى تدور اعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد نفوا اذى هيبة
ضرورتهم عادوا الى الشح عليكم بولايتهم ومنافعهم سلقوكم اي
اسمعوكم ما تكرهون المسلاق من الرجال الفصيح والالسنة المسلق الحديد الذكي
قال الله عز وجل وان يقولوا تسمع لقولهم اتبع ذلك قوله اشحة على الخير يريد
والله اعلم ان حضرت الغنائم يتحقوا عليكم بها وحاجوكم في استقصاء المقاسمة
على حسبهم في القتال وشدة هلعهم اتبع ذلك قوله يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يقول
لشدة خوفهم وفي عظيم جزعهم وقد ذهبت الاحزاب وهم يظنون انهم لم يذهبوا
ثم قال وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسألون عن انبائكم ولو كانوا
معكم فقتالهم قليل كما قال عز من قائل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا
خلالكم يبغونكم الفتنة اتبع ذلك قوله عز من قائل لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا المقصود الاول بهذا
ما انزلت السورة من اجله وعظلهم في خوضهم في نكاح صلوات الله وسلامه عليه ولائمة
وقولهم في ذلك ليقولوا هلا اسيتم به في فعله بما فرض الله واسمعوه واقتديتم
في شجاعته وتوكله على الله جل ثناؤه وجهده وجهاده وصبره ومصابرته وهذا انما
هو لمن امن بالله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا اتبع ذلك وصف المؤمنين رضي الله عنا
وعنهم بقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله هذا منتظم بالمقابلة بما تلاه متصل من قول المنافقين والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا الى تمام المعنى من قولهم ليقولوا وما زادهم الا ايمانا
اي بالله ورسوله وبالوعد منه بالعاقبة وتسليما للامر في الابتلاء والذي وعدهم الله به ورسوله
من فتح فارس والروم وجزيرة العرب والدجال وياجوج وماجوج وجعل في قدسه

ذلك الا بتلاء لقوله جل من قائل الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم
لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
فاتخذوا مقدمة الابتلاء اية على كون العاقبة والفتوح التي وعدها وهذا شان
من اتاه الله الثبات في الامر واعتمد في ذلك على قوله الحق لتبلون في اموالكم وانفسكم
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فما زادهم رؤية الابتلاء الا ايمانا بالله ورسوله
وكتابه وتسليما لقضائه **قوله** تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
يعني اجله من ذلك قوله ناحبت فلانا اي حاكمته فانقضى ما بيني وبينه وانقطع والنحب ايضا
في وجه النذر وكان قولهم لم يشهد وابدا فعاهدوا الله جل ذكره لئن التقوا المشركين
ان يقاتلوا او يظفروا او يموتوا بقوله الله تعالى فمنهم من قضى نحبه اي اجله وبذره ومنهم
من ينتظر وما بدلوا عن عهدهم وصدقهم تبديلا وهذا كلام منتظم بالمقابلة بوصف
المنافقين والذين في قلوبهم مرض اتبع ذلك قوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب
المنافقين لام كي هنا متعلقة بمحذوف تقديره وفقناهم لذلك وعدناهم ليجزيهم
بصدقهم كما قدر علينا ولئك فاعطاهم العهد ثم الحرية ليعذبهم او يتوب عليهم **قوله**
جل قوله يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن
واسرحكن سراحا جميلا المعنى الى اخرها اذن له في نكاح زينب ربما وجدت في ذلك اذ
في معنى ما انزل السورة من اجله لكن لم يسبق احد خوض في ذلك ولا تعقب منهن لفعله فامره
ان يخيرهن بين ان يردن الله ورسوله مع مقارفة الصبر على الرضى بما هن عليه او يردن الحيوة
الدنيا وزينتها الى اخر القصة وهي اتباع الشهوات واعطاء النفوس مهناها من الطعام والشراب
والنوم والكلام والمزاح وملازمة الدعة والراحة ونحو هذا مع ترك المثابرة على الصلوة
والصيام والزكوة والمحافظة على الحدود والمصابرة على ما يرضي الله باطنا وظاهرا وهذه
علامة من احب الله ورسوله مع قراءة القران وملازمة تلاوته واخبرهن ان لهن ان حسن
ضعفين من الاجر كما عليهن ان اسأن ضعفين من الوزر واعلمهن انهن ليس كاحد من النساء
في وجوب مراعاة ما تقدم ذكره ووصاهن بلزوم الوقار في البيوت فقال وقرن في
بيوتكن بفتح القاف من الاستقرار وقرن بكسرها من الوقار ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى قيل هي الجاهلية التي بعث عليها ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه والاخرى
جاهليتهم التي كانت قبل المبعث وحين المولد ثم قال عز من قائل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا اهل البيت هم على ما ذكره القران الازواج وعلى الحديث هم
النبي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والرجس العذاب بوجه والرجس النجس ايضا
والرجس عمل الشيطان وما يامر به في غوايته ووسوسته وكل شانه **قوله** عز وجل وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم قد تقدم الكلام
فيما ينتظم بها من صدر السورة وما اجتلبت من اجله هنا وهناك **قوله** تعالى يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الاية الذكر الكثير هو اللازم للقلب بالعلم وافضل الذكر

ما نهى عن الفحشاء والمنكر وقد جمع الله ذلك في الصلوة جعلها لاقامة ذكره والتفرغ له
واعلم ان ذلك هو المراد بقوله واقم الصلوة لذكري اي فيها التذكر لي فمن صلى يذكر ربه في
ركوعه وسجوده واغتنم الذكر في الصلوة لفضل ذلك فان ذكر الله تعالى احب احوال العبد
اليه وانه اذا ذكره لذلك ذكره هو سبحانه في نفسه واذا ذكره جهرا في القران والدعاء والاذان
والتهليل وانواع الذكر ذكره في ملأ خير من ملائه واطيب الذكر ثناؤه اياه افضل بكل وجه وبكل
معنى ولذكر العبد الله افضل اعماله لانه يدل على احوال العبد اعني الصلوة بقوله وسبحوه
بكرة واصيلا اتبع ذلك هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور والله يذكر
عبده بان يذكره فيذكره العبد فيبني الله جل ذكره على ذكر عبده اياه ويصلي العبد لله
جل ذكره فيصلي الله على عبده ليتولاه بايصال صلوته بصلاته وعبادة العبد اياه بهدايته الله
له واخراجه من الظلمات الى النور وقد تقدم الكلام بتبيانه في غير هذا الموضع بما فيه الكفاية تبع
ذلك بما هو متصل به قوله جل قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام اية ذلك بحكم الصلوة قال الرسول
صلى الله عليه وسلم تحريم الصلوة التكبير وتحليلها التسليم ودار الدنيا دار عبادة ونصب
ولقاؤه للمؤمنين للجزاء والثواب فجعل انقضاء الصلاة التسليم وذلك عبارة خروج العبد
من دار العبادة والنصب وما بعد ذلك الى لقاوه وفي لقائه التحية والسلام اعد لهم اجرا
كريما جزاء لنصبهم وتعبهم **قوله** تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا و
داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي بامره وسائقا العباد الى الله باذنه وسراجا منيرا
ينير على البعد والقرب كالشمس اضاءت الافاق وهو صلوات الله وسلامه عليه اضاءت
به الافاق هداية وقدرة وولاية وعلما ومعرفة وايمانا واسلاما وعملا وقولا وشهادة
وذكرا على بعد الاوقات وطول مرور الاعصار وتعاقب الازمان قرنا وقرنا جيلا فجيلا الى اهو السراج
المنير حقا لا خفاء به يقول الله عز وجل هكذا جعلناك ولهذا ارسلناك ثم عطف بالواو
على محذوف تقديره والله اعلم بما نزل فبلغ وجاهد وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا
كبيرا ولا تطع المنافقين والكافرين ولا تطعهم ولا تعبأ بما يقولون وامض لامرك ولا تحفل
[illegible] وكفى بالله وكيلا اي كافيا وواقيا **قوله** تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك
ازواجك اللاتي اتيت اجورهن كخديجة وعائشة وميمونة وحفصة وسودة وام حبيبة
و[illegible] وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك كصفية من الازواج ومارية من الاماء وبنات
عمك وبنات عماتك كزينب وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وخيره في
نكاح هؤلاء وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي لم يبلغنا انه اخذ من هذا الضرب احدا الا ما قيل
ان ميمونة كا[illegible] وهبت نفسها له والاصح في ذلك ان العباس انكحه اياها وهو بمكة عام الحديبية
واخرجها اليه نصرا من الحديبية وبنى بها بسرف والله اعلم اي ذلك كان وربما كان الوجهان معا
قوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء اي هؤلاء المخيرات فيهن والواهبات
انفسهن ثم قال ومن ابتغيت ممن عزلت يريد اللاتي هن في العصمة من شاء امسك او طلق فلا جناح
عليك ذلك اي ذلك من وحينا اليك في شانهن وفعلك فيه ادنى ان تقر اعينهن لحظهن
منك ولا يحزن اي التي عزلتهن ويرضين بما اتيتهن كلهن اي اذا علمن ان ذلك بامرنا

ووحينا والله اعلم بما في قلوبكم تعريض بفعل العدل وكان الله عليما لفعلكم حليما عن استقصاء
حقه عندكم فكان صلوات الله عليه يعدل جهده ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما املك فلا
تؤاخذني فيما لا املك **فصل** لا الارجاء التاخير ارجأت الشي اخرته ارجئه وارجاه
وارسل في المدائن حاشرين اخرهم الى يوم معلوم بيننا وبينه المضمر الذي في قوله ترجي
من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء واقع على جملة هشمله الخطاب من صهر وبالحلالات
له من النساء والارجاء في اللواتي شملهن حكم العصمة مع محافظته على سنن العدل بينهن
وقوله فلا تؤاخذني فيما لا املك غير واقع حكمه على هذا الصنف منهن فكذلك حكم الارجاء
ولفظ في بنات العم وبنات العمات والاخوال والخالات والمهاجرات لفظ الترك او ما كان
يكون بدلا منه اولى من لفظ الايواء واما لفظ الارجاء فيهن فما له من مدخل ولا مساغ اذ هو
التاخير والتاخير الى متى لا على معنى قول القائل باخرت عني واخرت الشي عني اي ما عدته عني وذلك
شائع في النظر بغير ضرورة وتدبر اي القران بنهي لفوائد فيه مع التنحي قال الله عز وجل كتاب
انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكروا ولوا الالباب فما ادري الارجاء واقعا الا على اللواتي وهبن
انفسهن وما اري ذلك الا ان يكون زوجه له في الاخرة وذلك معنى التاخير وقرأ ابي والحسن
وعيسى بن عمر وامراة مؤمنة اذ وهبت نفسها للنبي بفتح ان وبذلك اشارة الى مفهوم ما من اجل
هبتهن انفسهن ولذلك وهو اعلم بما ينزل فخم شانهن في قوله ان وهبت نفسها للنبي وعدل
عن خطاب المواجهة الى ذكر النبوة تفخيما لعملها وحسن مقصدها والا فما ثوابها عند الله
جل ذكره وعند رسوله عليه السلام على ان جادت لله ورسوله بنفسها والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل فمعنى ذلك ترجي اي تؤخر من تشاء فلا تكون زوجة في الدنيا والاخرة **قوله تعالى**
قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم الضمير في قوله ازواجهم وايمانهم راجع
على المؤمنين الذي خص رسوله منهم بقبول الواهبات انفسهن له يقول قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم وما ملكت ايمانهم والمفروض علينا في الازواج الصداق والولي والشهود والعدل
والامتناع في الاماء والهبة والسباء وقد رفع عنه حرج هذا كله الا العدل فانه كان يعدل ثم يقول فلا تؤاخذني
بما لا املك وما بينا قصر العدل ليس من الله ورسوله في شي وفي قوله عليه السلام لا تؤاخذني تحقيق
فرض العدل عليه اتبع ذلك قوله عز وجل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج
ولما اباح الله جل ذكره له النكاح فيمن سماه من القرابات واللاتي اتاهن اجورهن
واللواتي يهبن انفسهن للنبي من المؤمنات قصره وهو اعلم على ذلك وحظر عليه ان يتبدل
بهن من ازواج غير ازواجه ولا يزداد نساء سواهن وخص من ذلك ملك اليمين لا اله الا هو
الملك وله الحمد **قوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه يعني وقت حضوره اتيت الشي اذا اخرته وهو الاناء
واكريت العشاء الى سهيل او الشعرى فطال بي الاناء
ثم ذكر الحجاب واحكامه وذكر في ذلك من يحجب ممن لا يحجب ووعظهن وقال جل قوله
واتقين الله ان الله كان على كل شي شهيدا ثم رجع الخطاب الى معنى ما ابتدا به السورة
من ذكر اذاية المنافقين والذين في قلوبهم مرض برسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله ان الذين

يؤذون

يؤذون الله ورسوله الى قوله عذابا مهينا الى قوله مبينا ثم اتبع قوله ايعادا وتهديدا
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة اي عن الاذاية للرسول
والمؤمنين والارجاف في المدينة لنغرينك بهم اي لنسلطنك والمؤمنين عليهم ثم لا
يجاورونك فيها الا قليلا لتحق القليل الذي يجاورونك بالمدينة والذين يجلون منها
الى غيرها يكونون في حال ذلة وصغار ولعنا عن الله ودينه والمسلمين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا تلك سنة الله جل ذكره في الذين خلوا من قبل ممن فعل فعلهم ولن
تجد لسنة الله تبديلا **قوله** عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اخبر الله جل ذكره انه وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه
وسلم وامرنا ان نتبرك بالتشبه بهم بالائتساء في ذلك فاذا صلى عليه فصلاته عليه غير مقطوعة لان ذلك
من امره وامره مفعول وكان امر الله مفعولا وقال اكثروا علي من الصلوة فانه من صلى علي
واحدة صلى الله عليه عشرا وعلم صلى الله عليه وسلم امته كيف الصلوة عليه ثم قال والسلام كما علمتم
في التشهد **قوله** السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال عليه السلام ما من احد
يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه معنى ذلك انه يرد سلام المسلم عليه ظاهرا فانه
ان كان عند الله حيا وعند الملائكة فليس بحي ظاهرا للناس حياتهم فهو يخبرنا انه يرد علينا السلام
وذلك فيما علمنا في التشهد ان نقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بمقتضى المواجهة
ثم نعود على تعدي روده السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين كانه قد قال لاحدنا وقد سلم
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فيقول احدنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وهو سلام
لكنه غيب يؤمن به كما امنا بوجوده ورسالته وبما جاء به وقد سئل فقيل له يا رسول الله كيف نصلي
عليك وقد ارمت فقال ان الله حرم على الارض ان ياكل لحوم الانبياء فهو حي حاضر لم
يفقد منه الا شخصه الظاهر وكلامه الظاهر ثم على سلام احدنا عليه روحه الظاهر
فرد به السلام الظاهر على المسلم عليه وان كان المسلم عليه لا يسمعه ولا يشعر له كما قد تعلم
الغائب وتذكره بذكوره على حال الغيب ذكرا ظاهرا من ذاكر ظاهر لكن وبعد مكانه لا
يسمع ولا يعلم بذلك فاعلمنا هو صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يجب الايمان به علينا لذي من
رد المسلمين الظاهر **قوله تعالى** يسئلك الناس عن الساعة قد تقدم ذكرها في سورة الاعراف
اتبع ذلك ما انتظم به من جهة المعنى قوله ان الله لعن الكافرين اي في الدنيا عن العمل
بطاعته واعد لهم في الاخرة سعيرا وهو اللعن الاكبر خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا
ثم اتبع ذلك قوله يوم تقلب وجوههم وقد جاء ان احدهم يعقد ناصيته بمؤخرة ويسحب على
وجهه وبطنه في النار نعوذ بالله من ذلك وقصد الوجوه بالاخبار عنها لحرمتها وعزتها
بالاضافة الى سائر الاعضاء لما لم يوجهوها الى الله ولم يسلموها له لم يجعلها حرمة
ولا نورها منور من بركته مواجهة الكريمة يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول
ندموا وتمنوا حين لا ينفعهم الندم ولا يسعون في غنيهم قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا و
كبراءنا فاضلونا السبيلا من اطاع غير الله والرسول ضل لا محالة ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطيعوهم ما اطاعوا الله يعني الامراء واطيعوهم ما اقاموا الصلوة وقال

لو ان الناس عنزلوهم وقال اذوا الذي عليكم يعني الطاعة واسئلوا الله الذي لكم **قوله**
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها انتظم هذا الخطاب بالمعنى الاول من نعظم ما جاءت به سورة من التشديد و التهديد
للمنافقين والوعظ للمؤمنين والزوجر لخوض الكافرين والمنافقين في شانه من بكلح زينب
رضي الله عنها لانه كان على زعمهم لابنا حتى اكذبهم الله ورد كل ذي حق الى حقيقته وكانت
بنوا اسرائيل قد اذت موسى بان قالوا له بربا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وقالوا انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون لما اتخذوا العجل الها من دون الله قال لهم هرون هذا الهكم واله موسى
فنسى فاطاعه منهم من اطاعه واتبعه وكانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان
موسى صلى الله عليه وسلم حسنا سترا يغتسل وحده بحيث لا يراه احد فقالوا ما يمنع موسى ان يغتسل معنا
الا انه آدر فذهب يوما يغتسل ووضع عنه ثوبه وجعله على حجر ولما فرغ من غسله واتى ثوبه ليلبسه
فر الحجر بثوبه فجمح موسى في اثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا بني اسرائيل فسكن الحجر
فنظروا اليه وقالوا والله ما بموسى من باس ليس به ادرة ذلك من افترائهم عليه وعتوهم و
مخالفتهم امره وقلة تعزيرهم اياه وتوقيرهم له قال الله عز وجل واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فوعظ الله جل ذكره هذه الامة في ذلك
وحذرهم من الوقوع في مثل ما وقع فيه اولئك فاستحقوا من الله تعالى ما استحقوه ووصاها
بالتعزير والتوقير لرسولهم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع انبيائه ورسله وملائكته اجمعين
ولما وعظهم في الاذاية والخوض في شانه بغير الحق امرهم بالتقوى والقول والفعل
السديد بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ثم ضمن على ذلك
الاصلاح لاعمالهم واحوالهم وغفران ذنوبهم ثم بشر المؤمنين الذين استجابوا لله ورسوله
بقوله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما نظم بهذه الجملة قوله الحق انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان المشار اليه
بالامانة هو الحق المخلوق به السموات والارض فهي وقف على معرفته بفهم وعلم وفقه على
حقيقة ما ائتمنه عليه ربه عز وجل وعنوان ذلك الايمان والاسلام وشعبهما وخصالهما
ويجمع كل ذلك مباني الاسلام الخمس الشهادة والصلوة والزكوة والصيام والحج وما
يتبع ذلك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفنون البر كلها افغير دين الله تبغون
وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال الم تر ان الله
يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
وكثير من الناس الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات الى قوله لقد
انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن
وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم **فصل** وانه لما خلق السموات والارض
وما بينهما بالكلمة عبرت كلها عن المتكلم العلي العظيم وجودا وصفات واسماء ثم عبر مفعولها
الكلي عن فاعله العلي العظيم وجودا ودلالة ليس كمثله شيء فالزم المفعول الاستسلام

وترك المنازعة بما هي الامانة وما يحملها في حق السموات والارض والجبال وغير ذلك
من المخلوقات سوى الانسان فانه عرض عليها تحمل هذه الامانة وان تابى بها كما جعلها فيها
فكان ارادته رضاه بها دون ضمان من الله بالعصمة والمعونة على انها ان عملت حسنا فلو
تجازى على الاحسان بالاحسان وان عمل في ذلك شيئا فعلى انفسها تجازى على الاساءة
فنظرت اولا الى العقاب فاسعفت منه وسرات من الحول والقوة وانه من يحملها على
ذلك فاستعملها ربها جل ذكره بالشهادة له والعمل بالتسبيح والذكر والقنوت والعبادة
له ومباني الاسلام كلها وشعبه اجمعها واستسخرها في ذلك كلها لعبادة تؤدي شهادتها
لربها عندهم وينفق مما اتاها الله عليهم كل في مقامه وعلى مرتبته وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة وباطنة الى غير ذلك من الشواهد ولما خلق الانسان العشي في وجهه نفخ الحياة
فصار حيا بنفس حية واظهر له القدرة والعلم والارادة والحيوة واظهر فيه كثيرا
من الاسماء والصفات ثم سواه بان ركب فيه العقل وهو خليفة الله في الانسان فتمت به
الصفات واستوت وظهر تعاظمه واستكباره واباؤه وعجبه واضداد ذلك فعرض
عليه الامانة وكلفه بحملها على الاضمان عصمة ولا معونة فتحملها لزعامة اذ نظر الى الثواب
ان صدق وفي قبل نظره الى العقاب ان كذب واخلف ولتمام خلقته واستوائه ووجد
الاختيار فقابله موجده بالاختيار كما قابل زعامته بالامتحان ثم الانسان في درجته من
الخلقة لم يكمل بعد بل هو كما وصفه العالم به من قوله الحق انه كان ظلوما جهولا ظلوما لنفسه
ولسواه جهولا بنفسه وبربه جل ذكره ثم لما ادخل الله على الانسان روح الايمان حي فوحد
الله عنده وعبده على الوحدانية وشهد له بالملك والحمد لله وانه على كل شيء قدير واستعمله
له بان رد منفعة عمله اليه واحياه به حيوة طيبة واعد له نزلا عنده في اليوم الاخر
ثم ارتقى في اسباب العلم وتبوء بحبوحة الايمان كتب في قلبه الايمان وايده بروح منه ولما ان كان
هذا الروح منه منسوبا اليه نالته بركته واشاع عليه من نوره فكشف له عن حقيقة كلمة لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفقهه في معنى قوله اياك نعبد واياك نستعين واشهده عبادة
المعبود وسؤال المسؤول على علم وفهم قال الله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم اي شهد والربانية الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم واصلح
بالهم فهذا هو الميسر لعبادة الله جل ذكره كما قد سخر السموات والارض وما بينهما لعبادته
ومنافع عباده وزاد العبد بان جعل له نافلة له عدشا في الدنيا ونزلا وذخرا في الاخرة
فهذا الفرق ما بين التسخير والتيسير وبالجملة فحقيقة الامانة هي اذن العبد كما تقدم خلقه
خالقه من تراب ثم من نطفة الى اقصى درجات خلقته وخلقه ايضا مع ذلك كما عبر عنه
قوله الكريم ونفخت فيه من روحي وما عبر عنه قوله اني لا اطلع على قلب عبد فاجد الغالب
عليه ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها وكما قال
ابن ادم مرضت فلم تعدني وعريت فلم تكسني وكنت غريبا فلم تؤوني وجعت انا
فلم تطعمني فصورة الامانة ما بين هاتين الحالتين ان يلزم العبودية التي هو اهلها

ويتبرأ من الربوبية التي اخذ عليه الميثاق ربه فعلى قدر تحققه في ذلك والتبرؤ
التواضع والاه ربه ورفعه على قدره ولذلك اخذ عليه الميثاق في البدء الاول في قوله
الست بربكم قالوا بلى شهدنا فاذا هو لم ينازع شاكلة الربوبية والزم نفسه شاكلة العبودية
فقد ادى الامانة وعلى قدر تقلعه في تحقيق ذلك يكون تحقيق الولاية منزله والله
المستعان فافهم فهمنا الله واياك نظم بذلك قوله الحق ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعلقت لام كي ههنا بما في الجملة من الحكم المعنى
فعل الله ذلك وامضى ذلك او ما يكون عبارة عن هذا المعنى ليعذب المنافقين والمنافقات
الاية وكان الله غفورا للذنوب للمؤمنين رحيما بهم ورجع بذلك معنى اخر السورة على اولها

سورة سبأ مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
وله الحمد في الاخرة وهو الحكيم الخبير اسم الله جل ذكره والحمد لله هو الحمد لا لانه وقد يكون
الحمد حمدا لاجل اسمائه كقوله الحمد لله العلي الكبير ويكون الحمد حمدا لاجل افعاله كقوله الحمد
لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وهو هذا وجمعت المحامد
كلها في اول هذه السورة الى قوله الحق وهو العزيز الحكيم هذا الحمود هذه السورة خاص
وجميع القران عامة وقد تقدم ذكر هذا قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا
الساعة تقول وعلى هذا من ان الحمد كله وكل حمد فموجود عن الحق الذي له وانه لا اله
الا هو وان له الوجود اجمع كل وجود فموجود عن وجوده العلي لا موجد سواه وقد ذكرت
من تيسير الذكر وتبيان الآيات بقول الذين كفروا لا تاتينا الساعة وذكرها عبارة عن الاعادة
بعد البداية واحكام ما بعد ذلك ثم قال عز من قائل قل بلى وربي لتاتينكم عالم الغيب
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين
اعلم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه بعظيم اقتداره واحاطة علمه ومضاء مشيئته وانه مآل
الذوات الى كتابه ومحيها من كتابه وما تنقص من اجسام الموجودات وما تخلف فيها وما يعدم وما
يوجد كل ذلك محيه من كتابه وماله الى كتابه المستنسخ من علي علمه ثم قال عز من قائل ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات لام كي متعلقة بمحذوف تقديره قضى الله ذلك او ما يكون
معناه هذا ليكذب باس الساعة وما بعدها من الجزاء وليقف الذين اوتوا العلم على ان الذي
انزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد كما قال الذي خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط
بكل شيء علما وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى قوله تعالى وقال الذين
كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق هذا هو من فضل الالهية وهذا من تكذيبهم
بفضل النبوة وانكارهم البعث الاخر الذي هو بعث في اجسامنا هو من فضل
انكارهم كما كان الشيطان تعالى الله عن وصفهم وافترائهم وسيثاقبهم سبأ فقال التعجب والجزء
ثم قالوا افترى على الله كذبا ام به جنة الى ههنا انتهى قول الكافرين ليبين الله من قائل
بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب اي في الاخرة والضلال البعيد اي في هذه الدنيا

قوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض حالهم
عز وجل على الاعتبار وفزعهم بقلة الفهم بقول الله جل ذكره افلم يروا اي انا
شئناهم في خزائن السموات والارض وانزلناهم في الماء الى الارض وخلقناهم منها
بامرنا فكما خلقناهم منها من ذلك كذلك نعيدهم عودا بعد بدء ثم قال ان نشأ
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء اهلاكا لهم وتدبيرا لاجل كفرهم
ان في ذلك لاية لكل عبد منيب اي اناب الى ربه احبه فعبده على الدين القيم الذي خلق عليه
السموات والارض فيكشف له جل ذكره اليقين عن الوجود العلي ومن مشاهدة الخزائن
في الدنيا والاخرة عبرة من هذه الى تلك قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا
الفضل ما زاد على المقدار العدل وما ذكر الله جل ذكره اهل الخصوص في الاعلام الا وصف
ما اتاهم به من فضله فتطلبه فانه كثير موجود في القران وفي هذا دليل شاف ان اهل العالم
يتفاوتون فاعطى الله جل ذكره لكل طبق من الموجودات قدرا ما وانهى جريان العدل
الى الانسان وتلك منزلة العدل لكنها بالاضافة الى ما دونها من المراتب تحتوي في حسنه الفضل
ثم ما وراء ذلك فضله وكان الذي اوتيه داود عليه السلام وابنه سليمان في ما سبيله العبادة
والملك والكشف عن كثير من وصف الحق المخبوء في السموات والارض فضلا عظيما
قال الله عز وجل ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير
من عباده المؤمنين الى قوله ان هذا لهو الفضل المبين قوله تعالى يا جبال اوبي معه
والطير قرأها الحسن يا جبال اوبي معه بغير همز وروي انه كان يقرأ يا جبال اوبي معه
الهوا اي سبحي معه وقيل عودي معه التاويب عند العرب سادي الركاب واكثر ما يكون ذلك
مع ترجيع الحادي وهو متابعة الركاب في جميع السير فمعنى قوله اوبي معه اي سبحي معه تسبيحا
لله وذكرا وقراءة رجعي معه ما رجع عودي الى ذلك معه ما عاد ولذلك قال والله اعلم
بما ينزل انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب وقيل
انه منصوب على معنى تبع الطير كما يقول قمت وزيدا اي مع زيد والاول والله اعلم ان يكون
منصوبا على معنى سياق الاية التي في سورة ص قوله والطير محشورة كل له اواب قوله
عز وجل يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات المحاريب معنى
المحاذ المساجد وربما كان المراد ههنا المجالس في العلالي وكل بناء مرتفع متقن محراب قال الشاعر

ربة محراب اذا جئتها ... لم ادن حتى ارتقي سلما

والتماثيل جماعة التمثال وهو اسم لكل شيء مصور على صورة غيره وقد كان من معنى تصوير
الملائكة والانبياء وصالحيهم في مساجدهم وفي مواقع نظرهم ليزدادوا بذلك ذكرا
عبادة ولولا ان هذا كان لا محظورا غير مباح في شرع غيرنا وانا كثيرا ما نفلتوا
الى ذلك لانه تشبيه بالله عز وجل في الصنع والخلق لذلك كان عذاب المصورين في
جهنم غايته ان يطوقوا نفخ الروح فيما خلقوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك
شرار الخلق عند الله وما كانت رؤية اولئك تزيدهم في العبادة وانما هي مشاهدة
من لا مشاهدة له لا يعقلون ولا يبصرون وجه الحق ادري والله اعلم بما ينزل ان التماثيل

التي كانت الجن وحكماء الانس يعملونها لاهل ذلك الزمان الذي كان فيه سليمان عليه
السلام وكان يامر بها فتعمل له تماثيل الهيئة يصورون في ذلك مجاري الافلاك ومواقع
النجوم ويقربون بالتمثيل كيف خلق الله السموات والارض بالحق ومسالك ذلك الحق
في الامر الممثل به ليتاكد بذلك اليقين ويقرب العلم ويسهل التذكر وتجم الافكار
لمقدار العقول ذلك نظرا لتقريب صحة ذلك وليطا بعلم النبوة واشراق نورها
والجوبة الحوض العظيم يشرب منه الابل والمواشي وهي كالمواجل الممسكة للماء شبهت بذلك تلك
الجفان المعمولة له يومئذ لعظمها والقدور الراسيات اي المقيمات في موضع واحد
لا يزول لعظمها ولا ينقل بل يوقد النيران تحتها فيطبخ بها واتما يصف في هذا عظم
الملك وفخامة الشان واعلم ان ملك سليمان عليه السلام من اعظم الدلائل على وجود
ملك الاخرة لاهل الشاهدة لما وصف الله جل ذكره من موجود موجوداتها فيما
كان عمرة ملكه تسخير الريح والسحاب في الجن وحكماء الانس والطير والجنة في الاخرة
ورياح ما هنالك وسحاب ما هنالك وارضه وموجوداته وما الحيوة الدنيا في الاخرة
الا قليل واسال له عين القطر قيل هو النحاس وهو فيما هنالك شديد كما الان
لابيه داود عليهما السلام الحديد وفيما هنالك ليس منه تعمل سلاسل جهنم اعاذنا الله برحمته
منها قال الله جل من قائل في جيدها حبل من مسد اي مفتول محكوم كالفتل قال الله عز
وجل وانزلنا الحديد فيه باس شديد فعدد من نعامه اذ انزل الحديد في بلاده وشدته ليعلم الله
من ينصره ورسله بالغيب ويسمع بتلك كثرة العباد وكانت الجبال تسبح معه والطير وكذلك
موجودات الجنة تهب رياح الرحمة على اشجارها وبنائها ولها على ذلك تسبيح وتهليل و
تحميد باصوات المسموعات معروفة منها وكان عند داود عليه السلام من ذلك علامة وهي على
ذلك اية اية ذلك عندنا ما يخلق الله عند هبوب الرياح فيما تمر عليه من اصوات مسموعة هو
تسبيح وان كان معجما في حقنا وكان عندهما مفهوما وكذلك جواب العباد دليل على ترجيع
الجبال ولاويها معه اية على ما هنالك ثم صار ذلك كله الى سليمان وداود عليهما السلام وزيادة
الله الملك المعجز وكل معجز فهو باب فتح له الى الاخرة فافهم قال الله عز وجل وورث سليمان
داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين فال
بهذه الدلالة ونفهم عن الله في الحق المبثوث في السموات والارض هذه الاشارة ثم اصعد بايمانك
الى تلك الحقيقة يقول الله جل من قائل اعملوا آل داود شكرا اعلم الله جل جلاله ان آل داود
كانوا يعملون شكرا لا في كفارات الذنوب لعلمه بصحة توبته غفر له ولا انعمه وكانوا يعملون في صحة
الشكر لمن تعالى اشكروا لتصلوا الى ما هذه ايات عليه فذكر اشكر اثر هذا الخطاب تنبيها على صحة
وجه الزيادة قال الله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم والشكر عمل بطاعة الله تعالى جمع نطق اللسان
وعمل الابدان والقلوب والحمد نطق باللسان عبارة عما يعتقده القلوب من صحة التوجه الى الحميد
المجيد والحمد قد يكون شكرا لانه قد خرج الى اللسان المعبر عما في القلب لان حقيقته مدح باللسان
مع اعتقاد الجنان وعلى قدر المعرفة والعلم مع صحة الاعتقاد يكون الحمد لانه من قبيل الذكر
وعماد الذكر المعرفة والعلم مع صحة الاعتقاد يكون الشكر قوله تعالى فلما قضينا

عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته يقرا بالهمز فالهمز فيها اعلام
بانها ماخوذة من التاخير لان صاحبها ينسا بها عن نفسه الاذى فبين طريقه ايضا وقد
قالوا انها كلمة اتصلت بها من فيكون اسم العصى ساة فيكون معنى ذلك دابة الارض تاكل
من ساته من للتبعيض وهذا قول ظاهر عليه اثر الاعتقال لو كان ذلك كذلك كانت تكون التاء
مخفوضة فيكون معنى ذلك دابة الارض تاكل من عصاه قوله تعالى فلما خر تبينت الجن
ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين قول الله الحق لا اله الا هو ذكر في تفسير هذا المعنى
انه كان عليه السلام متوكيا على عصاه وذكر بعضهم مدة اربعين سنة والجن في عملهم ينظرون
اليه فيحرون على العادة حتى بعث الله جل ذكره الارضة والسوس فاكلت العصا حتى انا
انتهت منها الى القدر الذي لا يحمل الاعتماد عليه انكسرت فخر قال فعرفت الجن يومئذ وهذا
لو كان كما ذكروه لم يكن الا عن عادة له قبل الموت من اعتماد على العصى طول مدة فاوقف
على ذلك بعد الموت او مات على حالته تلك وبقي الى ان خر واقعا على ما ذكروه ولم يكن حاله
في مرضه صلوات الله وسلامه عليه بل كان في غزواته والريح تحمله والطير تظله والجن والانس
حوله تسير مبتكرا شهرا ورواحا شهرا وكان يلزمه من حق الله جل ذكره والمسلمين وحق نفسه
واهله ووفوده ما يلزم مثله وعلى هذا فليس يصح وجوده قائما على عصاه ابدا حتى يكون ذلك
المعهود منه الا ان يكون بمثابة وضعه في حيثيا على المستخبرين واو عز اليهم بالجد والاجتهاد
في عملهم ذلك ما راوا التمثال ولما توفي بقي الامر على ذلك البقاء ذلك التمثال المدة المقدرة حتى
خر واخفى موته كما قد يخفى موت الملوك لا سيما مثله من يقيم الاحكام في اهل المقامة بعده فكيف
هذا المقيم لم يحدده منساة غيرها لتدوم الجن في ذلك العذاب المهين وان كانت الجن قد عمي
عليهم علم ذلك ما لم يعقد واجتماع الطير ومقاماتها في رسمها والريح المسخرة وسحابها الى غير ذلك
وما ادرى ذلك والله اعلم الا امتلاء ضيع الله جل ذكره لا يفهم سر المراد منه الا على صيغة هذا
الخطاب او لما ساله من حكمته فالمنساة عبارة عن النسيان كما العصى عبارة عن العصيان واصل العصى
لادم عليه السلام قيل انها انزلت عليه من الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عصا ادم من شجرة
الخلد وهي شجرة الصفاء في دار الدنيا قال الله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي وقال
وعصى ادم ربه فغوى فوجه الحكمة في امساك العصى ان يتذكر بها عصيانا ولانها منساة ان يتذكر
نسيانا العهد وقد قراها عمر منساة بفتح الميم وهي مفعلة من النسيان واما منساة بالكسر فهو اسم
كمكيال من كيل وميزان من وزن ومرباع من ربع وهو كثير ومن قراها منساة بالهمز فهو
بها عن النسيان بالذكر ويتذكر معتمده الله جل ذكره قال الله جل ذكره لموسى عليه السلام وما تلك
بيمينك يا موسى وهو اعلم قال هي عصاي اتوكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى
يعني والله اعلم بذكره والله اعلم بذكره المارب لما تقدم ذكره من التذكار بها فان ذلك يبعد
على مثله في نبوته ورسالته عليه السلام فعلها اعتماده وهي امامه وقائده وهاديه ومذكره
وبها يبطش وبها يستكفي الاذى ويبعده عن نفسه تتذكر هذا كله من اسماء الله فيها ولذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب امسك في يده عصا وقوسا وتركها سنة من بعده
في امته اشعارا بان ظاهر ذلك هو الاعتماد لما فيها من معاني اسماء ما تقدم ذكر بعضها وباطنها

فذكرانت عصيانك بذكر ربك ولا نعظ الناس وتنسى نفسك لا تذكر الناس بهم
وتنساه لا تقدم سوالك الى الخيرات والذكر وتتاخرانت وامّا مساكن في بعض احاديث
القوس فهو عصى من حيث هو بكا . ومنساه وفي امساكها استشعاجها النفس وجهاد
العدو الباطن والظاهر وكان الانبياء والصّالحين والمرسلون بعدهم خلفا عن سلف يسكون
العصى نعبر بها عن الامر فعبر بصحتها واجتماعها عن اجتماع الامر وسلامته ونعبر بانشقاقها
عن تفرق الامر وبقيامها عن قيام الامر وبالقائها عند استقراره وبتربالها عن التفرق
والبين والتزايل ونعبر بدابة الارض عن الدجال واى دجال كان من الدجاجلة
ولما قضى الله جل ذكره عليه الموت بقي الامر قائما على حاله قبل وفاته صلى الله عليه وسلم
اماكما ذكروا اربعين سنة اوكما هو في علم الله جل ذكره وقد روى قيس بن سعد
عن ابن عباس انه قرا هذه الاية فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
حولا في العذاب المهين وكان امره على قيمها ولا يستنكر الناس منه شيئا والقيم الخالف
بعده يسير بهديه ويسوس الامر الى ان اسبح له رجال ينافض الامر ويسير منا قضته
لحل الامر لما قام ذلك مقام الارضة او السوس تاكل العصى والمنساة **قوله** عز وجل
تبينت الجن وقراها ابي وابن عمر وابن عباس والضحاك ابن مزاحم تبينت الانس
ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب وروى عن ابن عباس تبينت الانس ان لو كانت الجن تعلم الغيب
ما لبثوا حولا في العذاب المهين وقرا يعقوب تبينت الجن التاء والباء وقرا ابن عباس
او غيره دابة الارض بفتح الراء فعلى هذا يكون المفهوم ان اخبار الله جل ذكره عن خاتم
الملك وعظم قدره وانه امكنه عليه كما يمسك هدى الانبياء بعدهم عليهم السلام الى ان بعبر
لاجل ذنوبهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا كان له اصحاب من بعده وحواريون
من امته يهدون بهديه ويستنون بسنته الى ان تخلف بعدهم خلوف الحديث وقال صلى
الله عليه وسلم ما من نبوة يكون الا تناسخت الى ان يكون ملكا عبر عن مكث الامر بعد
حال الاستقامة بمعنى القيام وبالمنساة عن اجتماع الامر وبانه خر عن فساده وتفرقه وتغيره
وبدكر دابة الارض عمن يكون ذلك على يديه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا كان
له من اصحابه حواريون واصحاب ياخذون بامره ويهتدون بهديه ثم يخلف من بعدهم خلوف
يهدون بهديه ويعملون بغير سنته فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم
بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل والمراد بما ضرب المثل انه بقي ملكه المعجز مصالح من يخلفه
بعده ما صلحوا فلما غيروا غير بهم حتى انه من احسن استمراره لم يستدل الجن على موت النبي صلى الله عليه وسلم
بما يخالف ما كان عليه من هدى وتغيير وامر عجب ولشاهد على ان العصى يعبر عنها اكبر قومهم

فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وقال اخر

فالقى عصى التسيار عنها تواكنوا فليس بحطيك النجائب والركب

وهو كثير **قوله** عز وجل لقد كان لسبا في مسكنهم اية جنتان جاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سبا اسم رجل ولد له من الولد عشرة من الولد وقد تقدم ذكره في سورة النمل **قوله**

تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم العرم بالتشديد قال ابن عباس رضي الله عنه وقيل العرم
الجرذ الذكر وقيل العرم اسم لذلك السيل وكان ماء احمر ارسله الله على السد فخرقه وقيل العرم
المسناة بلغة اهل اليمن وهو بناء من حجارة جمعها عرمات الواحدة عرمة وهي الحجارة المجموعة
قوله تعالى وهل نجازى اى بالعقوبة الا الكفور ومن الكفر ما هو كبير ومنه ما هو صغير فالكفر
الاكبر يعاقب عليه لا محالة بالخلود في جهنم اعاذنا الله برحمته منها والكفر الاصغر هو في مشيئته
وان عاقب عاقب قصيرا بما من العقاب ثم اصاره الى رحمته هذا الذي يغفر له فهو اذا لا يعاقب
الا الكفور اما على المحسنين من سبيل والله غفور لاهل الايمان رحيم بالمؤمنين اهل الاستقامة
وايضا فان المجازاة ماخوذة من المماثلة يقال هذا يجرى على هذا والكفور يجازى بالسيئة
مثلها واما المحسن فانه يضاعف له الحسنة اضعافا كثيرة ولا يكون المجازاة على الحقيقة الا
الكفور **قوله** تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه المعنى الى اخره رجع الخطاب منتظما بعد
قوله وقال الذين كفروا هل ندلكم الى قوله والضلال البعيد وقرا هلال بن ابي برده وغيره
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه بتخفيف الدال من صدق ونصب الظن من ابليس ورفع النون
وقال الغاصدق عليهم الظن ظنه هو قوله لعنه الله لاحتنكن ذريته الا قليلا ولاضلنهم
ولامنينهم ولامرنهم الى غير ذلك من مرادات المضلة وكان لما لم يجد لادم عزما علم انه
اضعف فاقرء الرب جل ذكره على ذلك في زعامته ولو انكره لما استطاع ولا قدر ولكن
ان الله عزله عن المخلصين من عباده لنفاذ امره بذلك الاقرار له بل قال له ولله الحمد من قبل
ومن بعد ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين **قوله** عز وجل
لا ينفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم هذا الخطاب منتظم بما قبله من قوله
قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال ان الله اذا قضى الامر في السماء سمعت الملائكة له كوقع
سلسلة على صفوان فيضع الملائكة اجنحتها خضعانا للامر فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الحق وانما ذكر الله جل ذكره الشفاعة ومن الذى يشفع الشفاعة
منه عند الله فالظاهر ان اول مفتتح العلم والمعرفة السجود والصلوة بما فيهما من خضوع
وخشوع واول مفتتح الوجود الشفاعة لما اوجد حملة العرش عليهم السلام يسرهم ليشفعوا
لما يريد ايجاده عنده قال الله عز وجل الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم
ويؤمنون به هذه ويستغفرون للذين امنوا ثم ذكر شفاعتهم بقوله ربنا وسعت كل
شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الى قوله العظيم فهذه شفاعتهم اذ ذاهم
في ذلك وعن هذه الشفاعة يتفصل انواع الشفاعة اذ الايمان بالله جل ذكره وبما يجب الايمان
به هو المقصود من الخلق ولما اوجد الموجودات جميعا وقال في غير هذا الموضع تكاد السموات
يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض هذه شفاعة
من موطن اخر في اهل الارض في ان يغفر لهم لاهل الارض ويمهلهم الى الاجل المسمى وقرا ابو عبد
الرحمن حتى اذا فرغ عن قلوبهم بالراء والغين معجمة مرفوعة الفاء اى فرغت قلوبهم من هيبته
وفزع ما اصابهم وفرغت قلوبهم لفهم كلام رب العالمين هم الذين ليس بينهم وبينه

واسطة وكذلك بجلاله وعظمة شانه اعطاهم من لا يد بقدر ما علمهم **فصل** وقد مضى
فيما تقدم الكلام في معنى قوله الر تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر الاية فالوجود كله انقسم قسمين
خلق وامر والقران انقسم ما جاء به الى علم التوحيد وما فيه من اسماء وصفات والنعوت
وما جاءت به من رسالة وامر ونهي وهذا مقام الحد فيه ما تقدم ذكره قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا قضى الله الامر في السماء والسماء هنا عبارة عن علو الخليقة سمعت الملائكة
كوقع سلسلة على صفوان هذا في حق الملائكة خضوع وفزع مع انتظارهم للمهم فاذا
فزع ذلك عن قلوبهم فهموا ذلك والامر النازل عليهم الحق وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياتيه الملك في مثل صلصلة الجرس هذا في حقه فيفصم عنه وقد وعى عنه
ما قال فالملائكة على جميعهم السلام مع ربهم في مثل ذلك والله الذي لا اله الا هو بما هو له الاسماء
الحسنى والصفات الكاملة الحق العلي والعليا وهم الملائكة الذين هم حملة العرش ومن حوله اذا
نزل الامر خضعوا او هو عنوان الخليقة كلها خضوعهم لعزته وتضاؤلهم لعظمته وتصاغرهم
لكبريائه لذلك ما سوى قط مخلوقا كائنا ما كان الا سجد له وعنوانا لانبياء والنبوة
نزول الامر وقضاء القضاء وافهام الملائكة عنه اياه وعنوان الرسالة قولهم اذا سالهم
من دونهم ماذا قال ربكم قالوا الحق بلغوا اليهم ما افهم جل ذكره عنه وكما افهم هؤلاء
اعني اصحاب عليين ما شاء افهامه كذلك يفهم الذين دونهم لما ذا قال ربكم الحق من قول من
من فوقهم ما شاء افهامه كذلك يفهم الذين دونهم لما ذا قال ربكم الحق من قول من
فوقهم ما شاء افهامه كذلك الى مثلهم الى منتهى المراد بالامر فهذا علم الالهية والوحدانية
والاسماء والصفات والمثل الاعلى مجملا ثم يشفعون فيما اذن بالشفاعة فيه بما رضي فهذه
الشفاعة والمشفوع والشافع الملك الحق ثم يسند بر الدوار بالامر ففي ذلك الوجود كله
ثم بعد هذا التفصيل تفصيل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون فهذا القران بما فيه والوجود
كله بما فيه ووسع كل شيء كلامه العظيم وهو الحق ما ذا قال ربكم وهو عنوان الحق المخلوق في
السموات والارض ثم قال وهو العلي الكبير **قوله** عز وجل وقال الذين كفروا لن
نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه انتظم المراد بهذا الخطاب بمعنى ما تقدم بقوله وهو اعلم
بما ينزل وهو اعلم بما ينزل وعلى ما في هذا البيان ونور الهداية والفرقان قال الذين
كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه المعنى الاول بالذي بين يديه في جنب الحق
التوراة والانجيل والزبور وجميع ما انزل الله من كتاب واما في مفهوم القران ومعهود
نظمه والظاهر من توصيله بالذي بين يديه هو ما اتبات به الاية قبل هذا ولا تنفع الشفاعة
عنده الى قوله العلي الكبير اتبع ذلك وصف حالهم بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم عوضوا بلقاء الله عز وجل التوقيف اذ يقال لهم اليس هذا بالحق فيقولون بلى
وربنا فيقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
المعنى الى اخره فيقول الذين استضعفوا منهم للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين

فيرد المستضعفون عليهم بل مكر الليل والنهار وقرا ابن جبير بل مكر الليل والنهار
وقرا راشد الحماني بل مكر الليل والنهار **قوله** عز وجل ويوم يحشرهم جميعا
ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون الى قوله بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون ظاهر قوله هذا الاستفهام ومعناه التقرير وانما استفهم من لا علم
له والله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء **فصل** الملائكة مخلوقون من نور
ومن الملائكة ايضا الجن وهم المخلوقون من نار السموم قال الله عز وجل والجان خلقناه
من قبل من نار السموم وخلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج
من نار ومن هذا القبيل كان ابليس لعنه الله كان مع الملائكة ما شاء الله حتى وقع الخطب
الجلل فكفر وابعده الله جل ذكره وابلسه لعنا واهبطه دحرا قال الله عز وجل الا
ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه ثم من ذريته مقتصد ومنهم ظالم لنفسه مبين
كما كان من ذرية ادم ثم قد جاء من طرق لا تحصر عددا ان قوما عبدوا الملائكة
وهم الصابئة وجاء في القران مرددا ان شفاعتهم لا تنفع الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء
ويرضى فانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى ولا يشفعون الا باذنه وكان ذلك خطابا يعني به
المعبودين منهم فقالوا عليهم السلام سبحانك اي تنزيها لك وتقديسا عن ان يعبد احد سواك
ونتخذ نحن اولياء من دونك كما جاء في غير هذا الموضع قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اولياء ثم قال بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون اي
الجن من ذرية ابليس لعنه الله اكثرهم اي الجن الكفار منهم بهم اي بالعابدين لهم مؤمنون قال
الله عز وجل وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين
فالمفهوم من هذا ان كل معبود لا ينفع ولا يضر ولا يعلم ولا يستجيب وان كان يعلم اذا لم ير
فليس بمعبود على الحقيقة لعابده قال الله عز وجل في مثل هذا وما يتبعون الا الظن
وان هم الا يخرصون ذلك لان شركاءهم الذين اشركوا بهم في غفلة عن عبادتهم لهم لذلك
قال في هذا الصنف من معبوداتهم الذين هم الجن الكافرون اكثرهم بهم مؤمنون لانهم
عالمون بعبادتهم راضون بها شهداء بذلك عليهم عند ربهم واما غير هؤلاء فالمسؤلون
بقوله ويوم نحشرهم جميعا الى قوله فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين فلغفلتهم عن
عبادتهم قالوا لهم ما كنتم ايانا تعبدون ولعلم الجن بعبادتهم مؤمنون فيحصل من هذا
ان المعبود الحق لا اله الا هو عليم بعبادة عبيده وقدير على نفعهم وضرهم راض بطاعتهم
والعابدون المؤمنون من شروطهم ان يكونوا عالمين بمعبودهم هذا ليتصل ثواب العابدين
بمعبودهم علمهم بعلمه بهم وشهادتهم له بشهادته لهم وليتصل خضوعهم وخشوعهم بذلك
الى حضرة عظمته وكبريائه وعزته فاولئك وصلوا ما امر الله به ان يوصل ولذلك قال وما
دعاء الكافرين الا في ضلال ومن سوى هذا من معبود وعابد فليس ثم لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال **فصل** اذا كان
ذلك كذلك من عبادة المعبود لعابده بان يخرج كلامه وفعله ودعاءه ومناجاته من حقيقة

لذاته بما يرضى المعبود الشاهد المصدق له المجيب السميع منه المؤمن به يؤمن المعبود بعابده
فيؤمن العابد بمعبوده ليتصل بذلك حق الا لمن العبد بحقيقة الرب الحق المبين وهو
وصل ايمان المؤمن الادنى بايمان المؤمن العلى الاعلى تبارك ربنا وتعالى وحينئذ تجب
الاجابة بالوعد الحق ذلك قوله تبارك وتعالى واذا سألك عبادى اى عباد الخصوص فانى
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون اى فيقصدون
بحقيقة ايمانهم المتصل بحقيقة الاله ومن دوامهم حقيقة الحق المبين فيؤمن لهم بايمانهم و
يذكرهم بما ذكروه ويستجيب لهم دعاءهم ولعدم هذه الصفات فى تلك المعبودات كان يقول
لهم افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون
الله افلا تعقلون هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم
صادقين ونحو هذا كثير قوله عز وجل وكذب الذين من قبلهم يعنى الامم الماضية
وما بلغوا يعنى هؤلاء الذين ادركتهم وسالتك معشار ما اتيناهم اولئك كانوا
اطول اعمارا واكثر اموالا واجنادا وغاشية واثاروا الارض وعمروها اكثر
مما عمروها والمعشار جزء من عشرة يقال له عشر وعشر قوله تعالى قل انما اعظكم
بواحدة يعنى موعظة واحدة او نصيحة او ما يكون عبارة عن هذا ان تقوموا لله
لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ويحتمل ان يكون معنى هذا ان تقوموا لله بالقسط فى انفسكم
وفيمن وليتم امره مجتمعين على ذلك كيد واحدة ومتفرقين منفردين فان كونوا
فى طاعة الله جماعة ويكون على هذا ثم تتفكروا كلاما مستانفا فالتفكر فى ايات
الله واكتساب المعرفة لذلك افضل العبادات لانه يعرب من الذكر فى الذكر ولا يكون
المعرفة الا بطول الفكرة وترداد الاعتبار فى خلق الله وصنعه فالتفكر يبعث الاعتبار
وبالاعتبار يظهر ما بطن عن العيان ويحتمل ان يكون معنى قوله وهو الاوجه ثم تتفكروا
فتعلموا بذلك يقينا ان صاحبكم ليس بى جنة كما ظننتم فتعلموا بذلك انه نذير لكم
بين يدى عذاب شديد وتعلموا بذلك انى لست ابغى على تبليغى رسالة ربى اجرا وبذلك
تعلموا انما ابتغى الاجر ممن ارسلنى اليكم واذا تفكرتم فيما خلق الله من شئ وان الجملة
قائمة بالقائم الحى القيوم انه ينزل الامر من لدنه بالملائكة عليهم السلام وانه يعرف بالحق
كما قال اذا قضى امرا الله الامر فى السماء سمعت له الملائكة عليهم السلام الحديث فيعلم
ذلك هو قذف بالحق لانه لا يجوز منه الا الحق واذا علمتم ذلك تعلمون ايضا انه يقذف
بالوحى الى من يشاء من عباده وينزل عليه الملائكة بالروح من امره من كتاب و
حكمة وكما تقدم فى العبرة فى قوله سمعت الملائكة له كوقع سلسلة على صفوان
وايجاد الامر الملقى بالنبوة وبالرسالة بخضوع العبودية التبليغ عنه منفصل كل
كل من صفات الالهية الى غير ذلك مما سنفصل عن هذا من انزال الروح من امره مع الملائكة
عليهم السلام يدخل فى ذلك كله انه يقذف بالحق الذى هو الايجاد والهداية على الباطل
الذى هو العدم والاضلال فيكون ما يريده من الايجاد والهداية كما قال بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وبالتجمع على طلب الحق وا

لذلك تعلمون ايضا ان ما جئت به حق لا مرية فيه وان كل ما تدعونه من دون الله ما يبدئ
وما يعيد اى لا يخلق ولا يحيى ولا يميت ولا يملك شيئا ولتعلموا انى ان ضللت فانما اضل
على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب هذه معلومات عدة اصول اخبرها ولا
يوصل الى معرفتها الا بالتفرد والنظر وتكرير المذكور على الفكر والفكر على الذكر والفضل
نصيح الاعتبار قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يعنى وهو اعلم حين الفزع
عند الموت ويوم تقوم الساعة واخذوا من مكان قريب هذا والله اعلم يوم الحساب
باخذهم الملائكة بالنواصى والاقدام واخذهم اياهم متى شاء هو من قريب وانما
عبر بلفظ القريب عن ياتى اخذ ما يريد اخذه وعبر بلفظ البعد فى حسبهم بمكان ضعفهم
وعدم الناصر لهم وبعد النجاة منهم بما اضاعوه من الايمان والاستجابة لله ورسوله فلما فاتوا
ذلك بالايمان منهم والندم حين لا ينفعهم الندم على ما فات ولا الايمان والتناوش
التناول على بعد وضعف وتعذر المراد هذا بغير همز والتناوش بالهمز الاخذ والبطش
وربما كان الاخذ بالبطش ويتداخل جميعا احدهما على صاحبه يقول عز من قائل انى لهم درك
ما فاتهم وتناوله حين الفوت بعد التناول بين ذلك بقوله وقد كفروا به من قبل اى بالرسول
او بالقران او بالله جل ذكره قوله تعالى ويقذفون بالغيب من مكان بعيد هذا والله
اعلم بما ينزل منتظم بقوله قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب فانتظما ويقذفونهم
بالغيب وهم لا يعلمونه لبعدهم عنه ويكون المفهوم من الجزاء انهم كانوا يكذبون
فى الدنيا بالاخرة فيقطعون بظنونهم ويرجمون بها من بعدهم عن فهم الفهم وقد
ضلوا عنه ضلالا بعيدا ولما لم يؤمنوا بالاخرة لم يكن لهم فيها حظ ينفعهم ولما لم يؤمنوا بالله لم
يكرمهم بلقائه ولا بكلامه بين ذلك ما تقدم قوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون من كرامته
ولا فاز بتوفيق التوبة التى بها يتوصل لكل كرامة كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب

سورة الملائكة عليهم السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تبارك وتعالى الحمد لله فاطر السموات والارض الفطر الشق
والفطر ابتداء الذى ابتداهن على الاسلام وهو الذى شق عن وجودها ستر العدم
بايجاده اياها على ما فطرها عليه من الحق قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة
مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء مثنى مثل موحد ومثنى هنا والله اعلم بمعنى
اثنان عن يمين واثنان عن شمال وثلاث ثلاثة وثلاثة ورباع اربعة واربعة اخبر الله جل
ذكره ان زيادة الاجنحة فى الملائكة من تمام خلقتهم وكمال ما اوجدهم له وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت جبريل عليه السلام هابطا من السماء له ستمائة جناح سادا
عظيم خلقه ما بين السماء والارض وفى اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع مغشيا
عليه ولما افاق قال له جبريل عليهما السلام كيف لو رايت اسرافيل ان العرش لعلى
كاهله وان رجليه تحت النجوم السفلى اتبع ذلك قوله عز قوله ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل لها من بعده هذا منتظم بمفتتح السورة من
الحمد على انعامه وحال بين المعنيين بذكر الرسل ثم صرف وجه الخطاب الى قوله والمراد من ذلك

الاعلام منه بانه لا يفعل فعل الله غير الله وان كان قد وجد الوسائط ورتب الاسباب انما
فهو القائم على كل شيء حيا كان او غير حي وعلى ذلك من وحدانيته في التقدير اخرج الوجود
بحكم لوحدانيته على حكمة الستر في توسط الوسائط وتسبيب الاسباب وارباب الجد والانكماش الى المرغوب فيه
وبالهرب من المحذور منه بعيدا واحيانا فانه الاول في كل موجود والاخر وهو الظاهر الذي
اظهره والباطن فيه عن علم وقدرة ومشية منه مبدا كل شيء واليه ماله وعليه تمامه عبر
عن تحقيق ذلك ما ختم به الاية من ذكره العزيز الحكيم العزيز عن مشابهة المحدثين ونقايص المخلوقين
الحكيم الذي احسن كل شيء خلقه واحكم الخليقة بالحق واظهرها بالا ليتم قربه بالايمان
وابعده بالكفران بين هذا فيما اعقبه به الى قوله فانى تؤفكون يقول كيف تقلبون عن حقيقة
هي في جبلتكم اتبع ذلك ما هو في معناه قوله يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق
غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو نظم تكليف العباد الشكر بما حمد به نفسه من اجله
من فعله الحكيم وانعامه العميم يقول عز من قائل فانى تؤفكون اي كيف تقلبون عن هذه الحقيقة
وتصرفون عنها مع ايمانكم الموجود في فطركم قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء نظم هذا بما اتصل به من ما فيكم عن حقيقة الفطرة
المخبوة في ذواتهم يقول زين لهم الشيطان سوء اعمالهم وحسنها لهم ففي الكلام حذف تقديره افمن
زين له سوء عمله فراه حسنا وقد اضله الله فمن يهديه من بعد الله ومن اعرض عن الحق بعدما تبين
له هنده حجة الله بنعمته وقرن معه شيطانا يصده عن سبيل الحق ويزين له ضلالته وكلما امعن
في اثره ازداد عن رشده بعدا اتبع ذلك قوله عز من قائل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
ان هذا مرادنا منهم وحكمنا فيهم قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
فسقناه الى بلد ميت معناه نسوقه الى بلد ميت والعرب تاتي بالفعل الماضي ومعناه المستقبل
والحاضر فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور اعلم جل ذكره ان احياءه الموتى يوم
يحشرهم يكون عن ارسال الرياح اللواقح فينزل الماء من السماء الى الارض قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ماء كمني الرجال ينبت الله به اجسام الموتى ثم اعلم ان هذا ايضا اية على احياء الموتى من
القلوب لكن بباطن من الامر يرسل اليها روح الايمان فيبشرهم لاعمال الصالحات ويبعثهم
الى طلب مرضاته والعمل بطاعته ذكر ذلك معنى ومحاورة في سورة الاعراف قوله جل ذكره
من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يقول وهو اعلم بما نزل من اراد الاعتزاز بالكثرة
والاولياء والانصار والعزة فليطلبها في مظانها وعند حقيقة وجودها وانما هي
عند الله فان العزة جميعا لله ولرسوله وللمؤمنين ومن ابتغاها عند سواه فحظه الخيبة
والحرمان وما كان من ذلك هكذا فكلمع السراب الظمان متى جاءه لم يجده شيئا ووجد الله
عنده فوفاه حسابه اتبع ذلك ما هو في معناه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اله الا الله لا يحجبها عن الله شيء وجاء ان كلمة لا اله
الا الله لو كانت في حلقة لقصمتها حتى تخلص الى الرب تبارك وتعالى وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والارض وقوله تعالى والعمل الصالح
يرفعه معنى ذلك والعمل الصالح يرفعه الله اي يحوزه في الخزائن على الابتداء والخبر فيكون

الضمير راجعا على الله جل ذكره ويمكن ايضا ان يكون الكلام الطيب شهادة الحق لا اله الا الله
والعمل الصالح يتمها فاذا اتمها رفعها لانه من لم يشهد شهادة الحق لم يرفع له عمل ولم يفتح
له ابواب السماء قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب يريد والله
اعلم ان ما يكتب من عمر لمعمر فيبلغه او ينقص له من ذلك العمر لاسباب معترضة واواسط
مقدرة لتعجيل او تاخير الى الاجل الاقصى مشية سبقت له في ذلك كله وكل
ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ اي ان هذا يكون هكذا لامر كذا وبسبب كذا المقدور وكذا
ومراد كذا وهذا يكون هكذا لامر كذا وبسبب المقدر كذا وامر كذا كل ذلك عليه يسير وهذا
وفقك الله معلوم من اسمه المحيط احاط بكل شيء علما وقدرة ومشية وايجادا وكما الهواء
قد عم متصرفات ساكن البر وكذلك الماء قد عم متصرفات ساكن الماء وسقف السماء
قد عم وجود ما تحته ادبها على اختلاف تصاريف الوجود كله فالعرش العلى قد عم متصرفات
ما تحت العرش وكذلك الامر الاعلى قد عم متصرفات ما شمله من الكون كذلك العلم المحيط والمشية
العالية والقدرة الاعلى قد عم جميع المعلومات والمرادات والمقدورات وكذلك القلم الاعظم
واللوح قد وسع كتب الكائنات على وجودها وذم فيه جميع المقدورات كتب ما شاء كتبه واخر
ما شاء تاخيره وتعجيل ما شاء تعجيله وتكوين ما شاء تكوينه وترك ما شاء تركه باسباب ذلك
واواسطه وعوارضه وموانعه وموجباته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وان في قوله
جل ذكره ذلك على الله يسير لكفاية بجميع ما يعزق على الفهم جمعه وذم ما عسى الوهم ذمه
يعني ان يسيرا عليه ان ينقص من عمر معمر ما فيكون ذلك بعضا من اجل اجله ويزيد في عمر معمر ما
فيكون زيادة على اجل قد اجل وكل ذلك قد تقدم فيه تقديرا وعملا وعلما وفهما لانه قد احاط
علما بما هو كائن كيف هو كائن وما ليس بكائن كيف يكون لو كان علم بذلك كله سواء لانه علم
واحد احاط بجميع المعلومات والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله عز وجل وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج الاية الفرات اطيب الماء واعذبه وهو
ماخوذ عن فتح الله برحمته والاجاج الملح الزعاق الكريه ومنبعث وجوده كذلك عن
فيح جهنم هذا مثل ضربه الله عز وجل للاله الحق جل ذكره ولما يعتقد من دونه من الباطل بقوله
جل قوله وما يستوي هذا ولا هذا وان كانا معا توجد عندهما المعايش وطلب الارباح والحلى
وربما كان الفوائد في الماء الملح الذي هو البحر اعم والمنافع اكثر فانما ذلك لفضل
في الفتح وهو المعنى المعبر عنه بقوله في كتابه العلي السابق الصادق ان رحمتي تغلب
غضبي فذلك الموجود من منافع ما هنالك عن اثاره بوكم فهو جل جلاله وتعالى علوه
وشانه وقد تقدم في سورة البقرة الماع تقريب يكتفي به الملقن اللبيب والى هذا فان الخلق
والمنافع في هذه الدار حيث هو معظمها وعمدة وجودها والبحر اعم واكثر من الانهار
قال الله عز وجل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ولما كانت الدنيا هي السجن للذين يعني
فكان ذلك عدة لوجودها والموجود منها فكان المتاع في جنبه ذلك اكثر واعم قال
الله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل

ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين فاخبر الصادق الحق
النصيح جل ذكره بسر المراد وانه لولا فضل رحمته بجمع خيرات هذه الدار في تلك
الجنة وابقى جنبة التقوى في هذه الدار دون ملك ولا متاع توفيرا عليهم ذلك للدار
خلودهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه وقد ذكر له تلك فارس والروم
وقلة الشئ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا عمر اولا ترضى ان تكون لهم
الدنيا ولنا الاخرة انما يوجد طعم الايمان وبرد اليقين بروح الايمان وروح الرضى
وحياة العلم وصفات تلك الحياة والكفار لا يجدون الا اجاج الكفر وكريه مذاقته
لوجود موت الجهل وعدم صفات الحيوة التي وجدها المتقون بروح الايمان اتبع ذلك ما هو
في معناه **قوله** يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مثل الكفر والايمان وانباع
هذا هذا وهو ايضا مثل للاله الحق جل وعز ولما لا يعلمونه من الباطل بقوله جل جلاله اعلاما
لعباده بانه اوجد الكفر والايمان وخلق ما هو مثل الحق والباطل ونظم على ذلك معاني موجودات
الدنيا والاخرة ليري حكمته ويظهر قدرته ويجعل ذلك كله ثوابا لعباده المؤمنين في الدار
الاخرة لايمانهم بذلك وعملهم بطاعة باريهم في ذلك قال الله عز وجل الم تر ان الفلك تجري
في البحر هذه اثاره ورحمته فيها ودلاله على موجودها في الاخرة لذلك قال بنعمة الله وقال ليريكم
من اياته لما قد يعتري البحر من اعتلام والفلك من هول موج وريح عاصف وغرق ما تقدم ذكره
واشار اليه في جنبة الانعام ثم جمع ذلك بقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وقال
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وايلاج الليل في النهار
والنهار في الليل هو ما ينقص من هذا فيزيد في هذا اجرى حكمته في ذلك على تداوره وامر
محكمة التداور وكذلك سخر الشمس والقمر لمنافع العباد كل يجري لاجل مسمى يعلم بذلك ان
الدنيا لها اجل ينتهي اليه امدها ثم يخلفها الاخرة كما يخلف النهار الليل اتبع ذلك قوله الحق
ذلكم الله ربكم له الملك كما قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ والذين يدعون من
دونه ما يملكون من قطمير قالوا هو القشر بين لحمة التمرة والنواة كالسحاة بين قشر البيض
وكذلك البصلة والمراد انهم لا يملكون شيئا ولا يستطيعون ولا يسمعون ولا يبصرون ولو
سمعوا ما استجابوا لهم وهم يوم القيمة يكفرون بشرككم يقول الله عز من قائل ولا ينبئك
مثل خبير ما اعذب خطابه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وابلغ نصايحه واكرم مواعظه
اتبع ذلك ما هو في معناه قوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد هذا
دعاؤه لمن فر عنه وشرد عليه فكيف تراه يدعو من اقبل اليه ويكرم بذكره من قصده
ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اتبع ذلك قوله الحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما
ذلك على الله بعزيز ما قال قط ان يشأ يفعل كذا ولو يشاء فعلنا كذا الا فعله ولو على بعد
كذلك اذهبهم وجاء بقوم يؤمنون بالله لا يشركون به شيئا والحمد لله رب العالمين
وقد يكون الاتيان بامثالهم دل على ذلك الوجود وقوله بخلق جديد ولم يشترط المؤمنين
لكن قضاه لا يخليه من رحمته وفضله اتبع ذلك قوله جل قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى يقول جل ذكره ان الذنب يأتي

بهم من بعدكم لا يلحقكم سيئاتكم ولا يؤاخذون هم بسيئاتكم كل يحمل
اوزاره ولو كان ذا قربى لا يؤاخذ الابن بما جناه الاب ولا الاب بما جناه
الابن وكذلك قراباتهم ثم صرف الخطاب الى رسوله عليه السلام بقوله
انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة اي لا تقطع نفسك في اقبال
من لم يشأ الله اقباله ولا هدايته ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه تعريض ببشارة
هؤلاء والى الله المصير بنذارة اولئك اتبع ذلك قوله وما يستوي الاعمى والبصير
الكافر والمؤمن الضال والمهتدي المقبل الى ربه والمولي عنه الجاهل والعالم
ولا الظلمات ولا النور الاله الحق والباطل ولا الظل ولا الحرور الجنة والنار
وما يستوي الاحياء ولا الاموات المؤمنون والكافرون ان الله يسمع من يشاء
وما انت بمسمع من في القبور الذين شاء ان يسمعهم هم المؤمنون الذين اوجدهم
صفات الايمان من روحه الذي ايدهم به وما انت بمسمع من في القبور اثبات
ان الكفار اموات وانما يحب الوصف بهذا للكفار الذين في علم الله عز وجل ان لا
يحييهم بروح الايمان ابدا نعوذ بالله من درك الشقاء لذلك قال الله وهو اعلم
ان انت الا نذير كما قال انما عليك البلاغ وعلينا الحساب اتبع ذلك قوله الم تر
ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها الى قوله عزيز
غفور هذا مثل ضربه جل ذكره ليعلم به انه جل ذكره لم يرد ان يهدي العباد كلهم
وهو الواحد الاحد الطاهر المطهر القدوس خلق كل شئ جعل على ذلك الماء
واحدا في نفسه طاهرا مطهرا عذبا فراتا انزله الى الارض ثم صرفه الى ما
صرفه اليه من نبات محمود ومذموم وحيوان واناسي كذلك وخلق ايضا
وهو الواحد الاحد الارض والجبال فيها قطع مختلفات والجدد البيض
والحمر والسود والغير والخبيث والطيب ويعلم بذلك ان كل وجود فمن ايجاده
وكل كثرة فعن وحدته اوجد ذلك بجوده واتقنه بحكمته لحكم له في ذلك
ظاهر بقدرته القاهرة يقول جل جلاله لرسوله ومن يوجه اليه بخطابه من
اولي الالباب من عباده الم تر ان الله واحدا احدا انزل من السماء ماء موحدا طاهرا
مطهرا الى الارض فازدوج وجاز التكثر الى ما كان تعلق بذلك من معنى الفتح والفتح
في هواء الاجواء فاخرج بذلك ما شاء عنه ازواجا من نبات شتى ومن ثمرات
مختلفا الوانها ومن جنات معروشات وغير معروشات ومن خبيث وطيب وعداد
وقاتل الى غير ذلك مما في الارض والجبال والحيوان والاناسي من مختلف الالوان
والاشكال والارايح والمنافع والمضار والاخلاق والملل والنحل والاعمال
الجدد الخطوط في الجبال تشبه الطريق بها والغرابيب هو الاسود الحالك يقول الله
جل ذكره كذلك اي كذلك اديانهم اذهانهم وافهامهم ومذاهبهم ومقاصدهم مختلفة
وانما الذي يخشى الله من عباده العلماء الاحياء بروح الايمان الذين وجدوا طعم
بحيوة العلم واليقين والرضى والاسلام ان الله عزيز اي منيع لا ينال ما عنده

المحبوب ومفارقة المرغوب وتجشم المؤن واقتحام المكروه في الله وعلى
سنة رسوله غفور لما يكون في اثناء ذلك من ذنوب تعمداً وخطأ وعن نسيان
اتبع ذلك قوله عز من قائل ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور الى قوله غفور شكور هذا
وصف لمن خلق من الصالحين الذين اتاهم الكتاب يعني التوراة والانجيل و
غيرهم الذين قال فيهم الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون
به اتبع ذلك قوله عز وجل والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً
لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير اي العباد الذين سبق علمه بهم من هداية
او ضلالة اتبع ذلك ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا هذا المعنى
معطوف بحرف ثم على ما تقدم من قوله ان الذين يتلون كتاب الله وهو وصف لصالحي
هذه الامة وهم غيرنا ولكل امة غيرهم يتولى جل قوله واورثنا الكتاب يعني القرآن
الذين اصطفينا من عبادنا على عمومهم من لدن الاقرار بالشهادة وهم على ذلك
ثلثة اصناف ظالم لنفسه مسرف عليها بكثرة الذنوب وتضييع اكثر الواجبات
مع تمسكه بالاصل ومقتصد خلط عملاً صالحاً واخر سيئاً يموت ثم يعود بعمل
الخير ثم يقابله من ذنوبه بما ينافيه وربما تقدم الى مقصوده وغلب خيره على
شره وسابق بالخيرات وقرئ سباق بالخيرات باذن الله قد احتوشته العصمة
وايده بالروح وقصد بالرحمة ذلك هو الفضل الكبير والفتنة في الفضل دون
ارتفع الاول منهما عن مرتبة الكفر بالله والاشراك به ولم يلحق الاوسط بالاعلى
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون قال الله جل قوله جنات عدن
يدخلونها فجمعهم دار الجنة كما جمعهم دين الاسلام والاقرار بشهادة الحق وما عداها
ولانهم اهل الكفر بالله لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا المعنى الى اخره النذير
هنا هو الرسول والكتاب وقد قيل الشيب فان كان من النذر فالمقصود الاول
ما ذكرناه والشيب مذكر كما ان طول العمر مذكر قال الله عز وجل اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر **قوله** تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها
من دابة ذكر جل جلاله انه يمسك السموات والارض ان تزولا وقد تقدم ذكرها فهو
لا يزيلها الا الى ميقات يوم معلوم عنده وفي اثناء هذا لو يؤاخذهم بظلمهم
لاهلك جميعهم ولازال السموات والارض وعجل يوم الانقراض لكن يؤخرهم
الى الاجل المسمى عنده فاذا كان ذلك وحان الحين والله اعلم بعباده من سبق له في الازل
الهداية والايمان ومن سبق له الكفر والضلال ومن سبق له العفو والمغفرة عبر عن هذا
بقوله فان الله كان اي في الازل بعباده بصيراً ولذلك لا يعجله كثرة ظلمهم انفسهم عن بلوغ الاجل المسمى

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم يس والقرآن الحكيم اقسم بحروف الكتاب المبين وبالقرآن الحكيم انه محمد
صلوات الله وسلامه عليه لمن المرسلين على صراط مستقيم الياء من الحروف المعبرة عن الالهية وما عبر عنها

وكان بينها وكسين فيما هنالك والله اعلم بما بين السين من الحروف المعبرة عن النبوة والرسالة
والقرآن الحكيم في معهود المفهوم من القرآن ما هو ما قص عن الانبياء والرسل ويعبر
ايضاً عن ذلك بالذكر وقد تقدم ان هذه الحروف المقطعة في فواتح السور هي واسطة بين
حروف الكتاب المبين وبين حروف القرآن ودخلت اللام في قوله انك لمن المرسلين لتاكيد التحقيق
انه لمن المرسلين الذين ارسلوا بالصراط المستقيم صراط الله المفطور عليه الخليقة فاقسم جل ذكره بما
هو من الكتاب المبين كما اقسم بالقرآن كذلك قال ص والقرآن ذي الذكر ق والقرآن المجيد
ن والقلم وما يسطرون حم والكتاب المبين اتبع ذلك قوله جل من قائل تنزيل العزيز الرحيم قرئ
بالرفع من تنزيل والنصب والخفض اما الرفع فلانه خبر الابتداء وهو مضمر كانه قال ذلك
او هو تنزيل العزيز الرحيم واما النصب فعلى الاغراء والمدح او على المصدر واولى
من هذا كله ان يكون نصباً على التعظيم لشانه والمدح له واما الخفض فعلى البدل من القرآن
وقرأ الحسن وابن ابي اسحق يس بالخفض والقرآن الحكيم تنزيل العزيز الرحيم بالتاء مفتوحة
ورفع الاسمين وقوله العزيز الرحيم العزيز للنذارة من باسه والميم خبره والرحيم للبشارة
لمن امن واطاع **فصل** جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل سورة يس ووصف
ما اعد لقارئها مما يجب التسليم له والتصديق به ما يفوت الحصر ولا يتوهم العقل وقال ان الله
جل ذكره جزاء القرآن ثلثة اجزاء فجعل سورة يس جزءاً وسورة الاخلاص جزءاً وسائر القرآن جزءاً
وجاء عن عبد الله بن مسعود انه قال لكل شئ قلب وقلب القرآن سورة يس وانما كانت سورة
الاخلاص ثلث القرآن لانها وصف الله جل ذكره ومذكور ما فيها ذكر صفاته وذكر الله
لا يعدله غيره وهذا جزء من ثلثة الثاني ذكر النبوة وما جاءت به من امر ونهي الثالث الاعتبار
وكانت سورة يس تعدل ثلث القرآن ايضاً لاجل انها تشهد على الاعتبار ولو احق الايمان بالغيب
وغيب الغيب على ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى والاعتبار فاعلم لا يكون موجوداً الا بالمصابرة
ومرابطة النفس وملازمة الاذكار ومطاولة التفكر حتى يعود ذلك للنفس عادة ومن لا حرم له
فلا حرام له الى طلب ومن لا جد له فلن يغني عنه شيئاً ثم النظر بالتوبة النصوح ولزوم الوقوع
للحق وقبوله من حيث وجد والتبرؤ من الحول والقوة وانتظار الفتح من عند الفتاح العليم على هذا مدار
الشان والله هو الاول والاخر والظاهر والباطن وكان يقال لا يتم طلب العلم الا بست خصال
ذهن ثاقب وشهوة باعثة وزمان طويل وجد واستاذ ومعونة من الله فمن نقص من هذا شيئاً نقص من العلم
بمقداره **قوله** عز وجل لتنذر قوماً ما انذر اباؤهم يجوز ان يكون ما هنا مفعولاً فيكون تقدير الكلام
لتنذر قوماً الذي انذر اباؤهم ويجوز ان يكون نافية وهو الاوجه دل على ذلك قوله فهم غافلون
والوجهان صحيحان فقد كانت فيهم نذارة ابراهيم واسمعيل صلى الله عليهما وسلم قال الله عز وجل وجعلها
كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون لكنهم استولى عليهم النسيان وحالفهم الغفلة واستحوذ عليهم الشيطان
فانساهم ذكر الله فضلوا السبيل قال عز وجل بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اتبع
ذلك قوله لقد حق القول على اكثرهم اي قوله هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون دل على ذلك قوله
فهم لا يؤمنون اتبع ذلك ما هو منهم له انا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهي الى الاذقان فهم مقمحون هذا من
كاخباره عن حجة البرزخ وعن ما هنالك معهود جعل الاغلال في الايدي انشد الى الاعناق فاخبر بذكر

الاعناق دون ذكر الايدي والمضمر الذي في قوله فهي الى الاذقان هو الايدي يريد ان ايديهم مسدودة الى اعناقهم فايديهم مجموعة الى الاذقان والاعناق مجتمع اللحيين فهم مقمحون القمح رفع الرأس فرؤسهم مرفوعة وهذه عبارة عن المنع عن البطش والنظر في سبيل الهدى وعرض بذكر القمح دون النكوس الى وصف الكبر انما النكوس وصفهم في الدار الاخرة ثم قال عز من قائل وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون فاخبر عن عدم البصر والسعي الى الرب تبارك وتعالى كقوله عز وجل واذا اتاني عبدي يمشي اتيته هرولة فليس لهم تقدم الى هداية ولا تأخر عن ضلالة عدموا العصمة ولم يهدوا الى رشدا وهذا عقاب من تجاهل بعد العلم واعرض بعد ورود الكتاب فلا ينفعهم الموعظة ولا يؤثر فيهم النصيحة تركتهم عقوبة الله على اعراضهم عن نصائحه صما بكما عميا فهم لا يرجعون ولا يهتدون سبيلا انما تنفع النذارة في الاحياء الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم يميتهم ندما واسفا كما قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ثم اليه يحشرون على ذلك **قوله** تعالى انا نحن نحيي الموتى الاية هو يحيي الموتى يعني امداد الاحياء لهم وتجديده وهو يحيي اموات الاجسام وهو يحيي الموتى حال حياتهم ونكتب ما قدموا من قول ومن عمل وعقد واثارهم يعني وهو علم ما يخلفونه يخلفونه بعدهم من سنة حسنة او سيئة فلهم اجرها او وزرها واجر من عمل بها او وزره الى يوم القيمة وهو يحيي الموتى موتى الاوثان والغرض الاول في هذا الخطاب احياء الموتى حال موتهم ثم ما يتنوع اليه الاحياء ذلك باخره وسعيه **قوله** عز وجل واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون المراد اثباته في هذه الاية الاعلام بالوحدانية وما جرى اليها وكرر اتيان هذا الفصل هنا تعريض وتذكير لانه من سائر القرآن كالروح والحكم ثم الاعلام بالرسالة والرسل وبالقرآن انه كلام منزل من لدنه ثم اثبات البعث يوم القيمة وهو احياء الاجسام ثم اثبات موتى الدين وجاء هذا في هذا تعريضا وعلى سبيل ضرب المثل ثم اثبات احياء الموتى حال موتهم وهو في الاغا قربت من الفصل المذكور قبله ثم ذكر حياة الاحياء حال حياتهم وهو امداد الحياة بتجديد الاحياء

فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم عند الكعبة اذا انا برجل آدم كاحسن ما انت راء من ادم الرجال له لمة كاحسن ما انت راء من اللمم يقطر راسه ماء يطوف بالكعبة متوكئا على رجلين او على عواتق رجلين فقلت من هذا فقيل لي هذا المسيح بن مريم ثم رايت رجلا جعدا قططا اعور عين اليمنى يطوف بالكعبة متوكئا على رجلين او على عواتق رجلين فقلت من هذا فقيل لي هذا المسيح الدجال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه المشهور ان رجلا يخرج اليه فيحاجه ويقول له انت المسيح الدجال الذي علمنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيقتله ثم يحييه حتى يقول الان والله ازددت فيك بصيرة وينادي يا ايها الناس انه لا يفعل هذا باحد بعدي ثم يأخذه ليقتله فلا يسلط عليه وفي اخرى فيأخذ بيديه ورجليه فيجعله في النار التي يرى الناس انها نار وانما القاه في الجنة قال فيه صلى الله عليه وسلم انه يجيء ومعه نار وجنة فناره ماء بارد وجنته نار تحرق قال الله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا الى قوله وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى

قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون الى قوله اني آمنت بربكم فاسمعون اي اشهدوا بذلك عند ربي اتبع ذلك قوله عز وجل قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين هذا اعلام منه جل ذكره بالاحياء حال الموت وهو رجل قتله اهل الكفر لانه آمن بالله وبرسله فهو فقيل له اي حال الموت وقد حيي هناك ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وقد تقدم ذكر هذا الاحياء واثبات وجوده مثل هذا مقرونا بدلائل من الكتاب والحديث والوجود وقد قال من احتج على خلاف هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يستفتح باب الجنة ولما جاء ان الجنة محرمة على جميع الخلائق حتى يدخلها محمد وامته وان احدا لا يدخل الجنة الا بعد البعث الاخر وهو محجوج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصارية وقد قتل ابنها انها جنان كثيرة وان ابنك في الفردوس الاعلى منها وما ذكره من ان الجنة محرمة على الخلائق حتى يدخلها محمد لكنها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها جنان كثيرة وقد اسكن ادم عليه السلام الجنة ثم اخرج منها بالمقدور المقدر ولسنا نقول انها الجنة التي يستفتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ولله ملك السموات والارض ولله غيب السموات والارض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار كذلك وقال الله عز وجل وذكر المحتضر فلولا اذا بلغت الحلقوم الى قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى اخر السورة ثم قال ان هذا لهو حق اليقين اي حق في الموت وما بعده وذكر ذلك في سورة الحاقة وان الحق المذكور في اثناء السورة هو الحق يعني حق اليقين الذي اتفق بالمؤمن والكافر وهو الموت ثم هبة البهائم وما سواها والكلام يطول وسيذكر من بعد

فصل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدجال انه يجيء ومعه ملكان يشبهان نبيين من الانبياء الحديث وقال الله جل من قائل يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله الى قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ولم يات هذا بعد وكل مثل في القرآن مضروب فله حقيقة وجود في انه المقدم فله ما يماثله في مستقبل الوجود الامكان من الامثال بمعنى التشبيه كقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ونحو هذا

تنبيه جل وعز يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وقرأها ابن عباس ومسلم بن جندب يا حسرة على العباد باسكان الهاء وهي لغة عند بعض العرب سكون هاء التانيث في اصل الكلام قال بعضهم لما رأى الا دعه ولا شبع يريد الادعة فسكن الهاء وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس يا حسرة العباد بالاضافة وكذلك قرأها ابن ابي عبلة وقال قتادة في بعض القراءة يا حسرة العباد على انفسها وعلى انفسهم ومعنى ذلك والله اعلم يا حسرة على العباد ان يكونوا هكذا ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن وكذلك جاء عن ابي رضي الله عنه انه قرأها يا حسرة

على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن اى انهم استحقوا لكفرهم ان يقول
القائل فيهم يا حسرتهم على انفسهم ان يكونوا هكذا كما قال جل من قائل قاتلهم الله انى
يؤفكون والله لا يقاتل كافرا ولا يتحسر سبحانه وله الحمد ومعنى الكلام انهم استحقوا لكفرهم
ان يقال لهم قاتلهم الله ومن قاتله الله قتله وكما تقول يقول القائل على المواجهة قاتلك
ما اكفرك اى انك لكفرك يستحق ان يقال لك هذا اتبع ذلك قوله عز وجل الم يروا
كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون يريد القرون المهلكة لاجل
تكذيبهم المرسلين كعاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة وفرعون وقرونا بين ذلك
كثيرا اتبع ذلك عز جلاله ما هو تبيان لما تقدم وان كل لما جميع لدينا محضرون اللام في
قوله لما للتاكيد والميم للنفي وبعد هذا محذوف مقدر تقديره الكلام وان كل لما هم لنا
بمعجزين بل هم جميع لدينا محضرون وكان ذلك يكون وجها لولا ان اجتماع لفظي كل وجميع
في جملة واحدة غير متوجه لا سيما على هذه المقاربة وليس هذا من معهود حسن العبارة
وعاصم براعة القران الحكيم وحسن رده وسداد نظمه والمحذوف في القران غير منكر
ولا هو قليل الوجود كيف لا وهو مطلع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت من الحكمة
مثل ما اوتيت من القران قوله عز وجل واية لهم الارض الميتة احييناها اى بالماء و
اخرجنا منها حبا فمنه ياكلون هذه اية احياء البعث انزل الله الماء فيحيى به الارض بعد
موتها بالنبات والجنات والاشجار والثمرات استحقت وصف الحيوة لما فيها من موجود
دار الحيوان وبما هو موجود من ايجاد الحي الحق وكذلك كل شىء قال الله عز وجل وجعلنا
من الماء كل شىء حى افلا يؤمنون اى بالله جل ذكره وبالدار الاخرة وسمى الماء الحى
للمعهود من احياء الله الارض بالماء بعد موتها واخراجه منها به ما يحتج على ذلك دلالة
على احياء الموتى للبعث واحياء الموتى حال موتهم الا ترى ان من النبات ما يبقى على حاله ويخضر
حين همود الارض كالنخيل والاعناب والرمان والزيتون واكثر انواع الجنات والفواكه
فهذه ايات على احياء الموتى حال موتهم وكون هذه شجرات راسخة في الارض الى باطنها
من ظاهرها عالية في السماء يدل على ان هؤلاء الاحياء هم اهل العلم والراسخين فيه عرض الله
جل ذكره الى هذه في قوله واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون
هذه خاصة دلالة على احياء البعث والنشور مع ما يتم بالدلالة الاخرى ثم قال عز
من قائل وعطف بالواو ومعنى على معنى وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا
فيها من العيون المعنى الى اخره ويخلق في النبات اليابسة ما ياكله العباد والانعام فيكون
عنها فيكون ما كونها حيوانا في الكائنات عنها فهذه حيوة باطنة في موت ظاهر كان في
الحب اليابس وكونه ايضا في حال منه معدا لان يزدرع فيكون عنه نبات وحيوان كاول
هاتان آيتان مخبرتان بكونهما حال موتهما باطنهما الحيوة دلنا بذلك على ان الاموات
احياء حال موتهم حيوة باطنة يظهر منها ما شاء جاعلها عز وجل ويبطن ما شاء لخبر
بذلك الصادق الحق فوجب الحق وبطل ما كانوا يعبدون من ذلك يعتقدون قوله
عز وجل وما عملته ايديهم يمكن ان يكون ما هنا اسما فيكون المخبر بها عنه ما تقدم من قوله

وانه

وانه كالبناء دل على البانى والكتابة دلت على الكاتب وكالفعل دل على فاعله ثم
من الاعمال من يعملونها وليس اليهم تمامها كما قال عز من قائل افرايتم ما تحرثون
انتم تزرعونه ام نحن الزارعون يريد انهم يعملونه زرعا فاما كمال الصفة افرايتم
ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون افرايتم النار التى تورون اانتم انشاتم
شجرتها ام نحن المنشؤن وكثيرا اخرج الله جل جلاله انواعا بديع الصنع ومحكم الفعل
على ايدى بنى ادم وقد يمكن ان يكون ما هنا حرفا فتكون نافية دل على ذلك قوله افلا
وعلى الوجه الاول قوله وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون
لياكلوا من ثمره وقد يكون منهم الغراس وتفجير العيون واجراء الانهار وليس اليهم ما
وراء ذلك فهذين الوجهين عدد ما عملوه في الايات وفي النعم وطالبهم بالشكر ويكون
ذلك ايضا من فعلنا ما ليس لنا اتمامه على فعل الملائكة عليهم السلام وملائكة الملكوت
نحن تماسكه وليس اليهم اتمامه وتصويره بل الله هو الاول والاخر والظاهر والباطن
قوله تعالى سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون
قالوا الازواج المتضادات من النبات والاشجار والحيوان ومن القوى والصفات والالوان
والصور والهيئات وفي الاحوال والاعمال يدل على صحة ما وجهوا اليه قوله عز وجل ففروا
الى الله انى لكم منه نذير مبين اى فروا من معصيته الى طاعته ومن بعده الى القرب ومن
انفسكم اليه وفروا اليه منه جل ذكره وتعالى علاؤه وشانه له المثل الاعلى في السموات والارض
ليس كمثله شىء ومن ذلك ايضا ما ازدوج او كان من شانه ذلك فيسكن بعضه الى بعض قال الله
عز وجل هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فخلق الله تعالى ادم عليه السلام
وخلق له زوجته حوا كذلك ما سوى ذلك من الاجناس وجعل في احجار المعادن ونبات الارض
والحيوان ما يسكن بعضه الى بعض وينزع من بين الاجناس الى جنسه وينفر عن غيره
النافر كله وعلى التوسط من ذلك فقال تبارك وتعالى سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون كما قال ويخلق ما لا يعلمون وقد ذكر اصحاب التجارب ان في احجار الا
والنبات وانواع الموجودات الذكر والانثى ولذلك وجد الشكل الذى تقدم ذكره ومن
الازواج ايضا المتقاربات قال الله جل من قائل واذا النفوس زوجت وبما زوجت نفسه
شيطان يضله ويزين له او ملك ينفعه ويسمع له ونحو هذا ومن الازواج ايضا الكثير
وقد تقدم ذكرها في مواضع من الكتاب **فصل** ومن ايات الله على احياء الموتى
مما تنبته الارض ان الارض تموت زمن همودها وعدمها الماء وقد جعل الله من نباتها
ما يكون حيا في ذلك الوقت كما جعل منها ما يتحطم بموتها فيصير هشيما حين همودها كالنخل
وشجر البلوط والزيتون وكثير من نبات الجبال والصحراء والاودية ومجارى المياه والنجار
ما هنا الى محياه حيا ذلك اية على حيوة حيا العباد كما حيوة مفصولة كالعليق و
الدفلى وغيرهما اية على حيوة المفصولين وما يولى منها اكلها كل حين باذن
ربها اعنى بما يرضاه حين ابان اطعامه قال الله جل من قائل ضرب الله مثلا كلمة طيبة
كشجرة طيبة الى قوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة وقال عيسى عليه السلام انما يعرف

فضل الشجر بفضل طعمه وقال صلوات الله وسلامه عليه يخاطب المرائين امّا ان تجعلوا
الشجرة طيبة وطعمها طيبا واما ان تجعلوها خبيثة وطعمها خبيثا بالطعم يعرف الشجر
وقد مثّل رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن والمنافق والكافر ومن يقرأ القرآن
ومن لا يقرأه بانواع ذلك من شجر وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة لا يسقط
ورقها مثلها مثل المؤمن فكان في فحوى كلامه ومفهوم خطابه ان من الشجر الذي
يسقط ورقه ما يكون مثل الكافر وضرب الله جل ذكره لنوره مثلا كشجرة
وسماها مباركة وعرض عما يكون من دهنها مثلا بذكر النبوة اذ عملها دهن يضئ ولو
لم تمسسه نار اي بلا انباء والوحي وبالحق المخلوق به السموات والارض الذي يكاد
سنا الابصار ويدهل البصائر ولو لم تمسسه الافكار بنيران الاذهان وهو يستخرج
بجهل وتعب كذلك لا يفهم معنى ما جاءت به النبوة ولا يتبين ان نوار الحق في خلق السموات
والارض الا بترداد الفكر واعتياد الكعير واستعمال الذهن والتذكير وقال في
موضع اخر هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به
الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
اي من استعمل ذهنه وصدق الله جل ذكره في اعتباره بحد كل شيء حي من نبات وحيوان
واناسي باطنا في الماء ثم في الحيوان الانعام والاناسي وغيرهم ثم في الزيتون دهنا
باطنا والاعناب والنخيل وغيرها سكرا ورزقا حسنا صفات باطنة في ظواهر ليست هي بعينها
ما ولا هي غيرها كذلك الحيوة في الموت باطنة كما الموت في الحياة باطن ودلائل القرآن كثيرة
على هذا معهوده **فصل** من استنصح اكفأن نصحه ومن استرشد الحكمة في العالم
ارشد به ومن استشهد الشواهد اعلمته وفصل الخطاب في هذا المطلوب ان شاء الله والله الموفق
وعليه المعول وقد مضى فيما تقدم ان جملة الدنيا نبذة من جملة الاخرة وقد خلق الله الدار
الاخرة وصوّر الدنيا على شبهها فالدار الاخرة بما فيها زوجان والحق المبين فردهما
وسبحان والله اكبر قال الله عز وجل وفي الاخرة عذاب شديد هذا زوج ومغفرة
من الله ورضوان هذا زوج وقال يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق هؤلاء وهؤلاء
ويعلمون ان الله هو الحق المبين كذلك دار الدنيا نا شئة على موجود فتح جهنم اعاذنا
الله الرحيم برحمته منها المقضي من العذاب في الدنيا والاخرة وعلى موجود فتح الله برحمته
كذلك اوجد ضياء وظلاما وشقاء ونعيما وصحة وسقما وغنى وفقرا وسرورا وحزنا
وخيرا وشرا الى غير ذلك من الازواج الموجودة فيها من هذه الجهة كذلك اوجد نباتها وجعل
في طعومه ذلك وروايحه واعراضه ومنافعه ومضاره وخبيثه وطيبه انفصل ذلك
كله من موجود الفيح والفتح لذلك قال عز من قائل ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون
اي يذكرون بذلك الدار الاخرة بما فيها وخالقهما ثم قال ففروا الى الله اي من عذابه
الى ثوابه اللذين دل عليهما الفتح والفيح اني لكم نذير مبين نذير من فوت ثوابه ووقوع
في اليم عقابه ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني لكم منه نذير مبين وكان جهنم موجودها
زوجان سعير وزمهرير كذلك الجنة موجود هار وخبا مفصل هذا من الموجود

العلي المغير عن الصفات العلى قال الله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة لمن خاف
سخط ربه واتقى غضبه وجنة لمن ارضاه ورضي عنه جميع ذلك للمؤمن اذ هو المنتهي
عن هواه المطايع لربه ثم قال عز من قائل فيهما عينان تجريان لما كان في جهنم اعاذنا
الله برحمته منها بحار الحميم والغسلين كان في الجنة السلسبيل والزنجبيل والكافور
والتسنيم هذا الى ما في هذه وهذه من موجودات ما لا تعلمه نفس ولا خطر على بال فقد قال
في الدنيا ويخلق ما لا تعلمون والامر في الاخرة اعظم واعلى ثم قال وقوله الحق فيهما من
الجنتين من كل فاكهة زوجان جمع وجود ذينك الزوجين واوجدهما عن رحمته وهي
الجنة كما جمع زوجي جهنم في مقتضى سخطه وموضع عذابه وعن غضبه فهي جهنم
جهنم اعاذنا الله برحمته منها كما مزج زوجي الدار الدنيا من فتح عذابه من هذه وفتح
رحمته من هذه فكانت الدنيا لم يتم الدار الاخرة الا بان جمعت زوجين ما هو الى الاكرام
كالجنة وما هو الى الاهانة كجهنم ولا تمت الجنة الا ان جمعت الزوجين موجودا تا
لكن للاكرام وللارضاء ولا تمت جهنم الا بان جمعت موجودات الزوجين لكن للاهانة
والعذاب وصورت الدنيا من ممزوج هذا كله فافهم فقد صورت لك الحكمة صورة
ماثلة وقربت لك الامر فجمعت لسمعك اطراف الكلام بيسر الخطاب والله يقول الحق وهو
يهدي السبيل **قوله** واية لهم الليل نسلخ منه النهار دسلخ النهار عن الليل ما هو من لدن
غروب الشمس الى ذهاب البياض الذي يكون عن بقية ضياء النهار فاذا هم مظلمون دخلوا
في الظلام وقال في موضع اخر نفسي الليل والنهار واعشاؤه اياه يكون هو من لدن
اول تباشير الفجر الى طلوع الشمس وقال في موضع اخر يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل فهذا اتباع احدهما الاخر وهذا هو ليل ما ههنا ونهار ما ههنا ولله جل ذكره
نهار على فوق هذا منفصل من الافق المبين كما ليل اسفل من هذا منفصل من الظلمات
السفلى حيث الزمهرير اذ منبعه من اسفل السافلين عن هذا وهذا يكون هذا الليل والنهار
وقال الله عز وجل والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها ثم قال عز وجل والنهار اذا جلاها
فذلك النهار هو الذي يجلي الشمس ومنه كسوتها جاء انها تسجد تحت العرش فتكسى نورا ويقال
لها ارتفعي اطلعي من مطلعك فنورها ذلك من النهار الذي يجليها وقد تقدم انها ساجدة
بما هي مستوية جارية طالعة او داحضة للغروب وعلى العبرة فمن من هي منشالة حين
استوائها وطالعة وغاربة في حق فهي على هذا الانزال ساجدة جارية وجارية سابحة تكسى
لسجودها لانه شكر منها لمجريها ومنورها وتجري بامر مسخرها من اجل انعامه عليها كذلك
يمسك السموات والارض ان تزولا ويمسك كل شيء ايجادا وافناء ابطانا لاحد الامرين واظهارا
للاخر فافهم فقد فضح لك الاعتبار المتصل بالوحي بالعلم من حيث منبعهما وان النهار منفصل
من نهار متصل بالافق المبين فان الليل منفصل من ظلام متصل باسفل السافلين كما قال عيسى
ابن مريم عليه السلام يسجنون حيث الظلمة الخارجة حيث بطول العويل وقلقلة الاضراس وانهما
منفصلان معا من الاخر هذا من الجنة وهذا من النار فافهم ذلك **قوله** واية لهم الليل نسلخ
منه النهار فاذا هم مظلمون ثم قال عز من والشمس تجري لمستقرها وقرأ ابن عباس وعكرمة

وابن ابي عبدة لا مستقر لها بالالف وكذلك رواه ابن عباس عن النبي عليه السلام وقد تقدم
الكلام على معنى القراءتين وانها ساجدة من حيث هي طالعة في سمت قوم ومستوية في حق
اخرين وغاربة عند قوم اخرين وعلى التدريج بين ذلك وسبيل عبرتنا على ما نحن بصدده
انها جارية على الظاهر منها وهي ساجدة في باطن حالها لانها من حيث هي قائمة هي ساجدة وبما
هي طالعة ودالكة هي جارية وهي لا تزال ابدا ان تكون في سمت ما فهي في حق قوم وتلك قائمة في حق
اخرين وداحضة او طالعة او غاربة فهي في حق اولئك جارية فافهم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتدرون اين تذهب هذه الشمس الحديث وفيه انها تذهب حتى تاتي الى مستقرها
تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي اصبحي طالعة من مطلعك
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جريها في الايام من مطلعها الى مغربها وتولى القران
القران العزيز الاخبار عن مطالعها ومغاربها وجريانها في ذلك وباخره يلحق الاخبار
عن ذلك بالقران عن سيرها يوما يوما من مطلعها الى مغربها فتاويل قوله جل جلاله
على الجري لمطالعها ومغاربها في النجوم من ايام السنة وهو علم بما يذكر والشمس تجري لمستقرها
ان مستقرها اخر مطالعها من المطالع الشمالية والجنوبية فاطول ايام شهور السنة واقصر
لياليها في البروج الشمالية وذلك منها عند خروجها من التوأمين الى السرطان وهو اخر
درجات الشمس في الشمال كذلك اذا توسطت البروج الجنوبية عند حلولها باخر القوس وكان
الجدي كان انتهاء قصر الايام وانتهاء طول الليالي ثم بحلولها في اول الشمالية وهو الكبش
يستوي الليل والنهار ويعتدل الزمان لقطعها الجنوبية واستقبالها الشمالية ثم اذا كانت الشمس
في اخر الشمالية وراس الجنوبية واستقبالها الشمالية ثم اذا كانت الشمس في اخر الشمالية ورد
الجنوبية وذلك عند حلولها براس الميزان كان الاعتدال الثاني فعند الانتهاءين قصر
الليالي وطول الايام وطول الليالي وقصر الايام يختلف النفسان بالحر والبرد ثم على
قدر القرب من الاعتدال في الوسطين يكون التوسط من ذلك فقوله جل وعز والشمس
تجري لمستقر لها معناه واية لهم الشمس تجري على مطالع الدنيا والاخرة وهما نفسا جهنم
ومطان فتح الله برحمته ذلك تقدير العزيز العليم قدر مسالك نفسيها على سنن تدبيره
وكريم اتقانه وسخر جهنم لعباده رحمة بعلمهم ببردها من حرها وبعثهم بحرها بدلا من
بردها من بردها وذلك بمشية الله جل ذكره فيها وبها ولما يجعله فيها من قدمه الذي قدمه
بين يدي تقديره المشار اليه بقول الحق ذلك تقدير العزيز العليم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تزال جهنم تمتلئ وتفور وتقول هل من مزيد حتى تضع رب العزة فيها قدمه فيقول
حسبي حسبي وقط قط قط وفي اخرى حتى يضع فيها قدمه فتكبر به حسبي وقطي قط
على ما جاءت به الروايات الى الدنيا فباي الاء ربكما تكذبان فباي الاء ربك تتمارى هذا
نذير من النذر الاولى ازفت الازفة فافهم وتيقن واصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك
الذين لا يوقنون ثم قال وقوله الحق والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون قرئ بالفتح
للراء والرفع فالرفع تقدير الكلام عليه واية لهم القمر وعلى الفتح للراء يكون اعمال الفعل في
قدرناه تقدير ذلك وقدرنا القمر قدرناه منازل يمكن ان يكون معنى قوله قدرناه نقصانا

ويكون ايضا معنى التقدير فان القمر يقطع البروج كلها في شهر زيادة ومحاقا ومسالكه
في نهار الصيف على مسالكه في ليل الشتاء وفي ليل الصيف على مسالكه في نهار الشتاء وبالجملة
فان الشمس منسوبة الى الحرارة فهي الى نفس السعير اقرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نار الله
الحامية لولا ما يزعها من امر الله لاهلكت ما على وجه الارض وقال ما ترتفع من قصمه
الا فتح لها باب من جهنم والقمر منسوب الى البرد فهو الى نفس الزمهرير اقرب والى الليل وليل
اية على جهنم وموضع حرها في هذه الدار قد شغله كون الشمس وبقي له موضع ظهور البرد
والزيادة فيه والنشور منسوب الى الرحمة والنقص منه والمحاق منسوب الى جهنم الا تراه
يقطع البروج كلها في الشهر وكماله في ثلث ليال من وسط الشهر كالشمس انما يكون اعتدال
الزمان بها وذهاب الحر والبرد اذا كانت في الكبش او في راس الميزان وعلى قدر المقاربة
في ذلك فيما قبل وفيما بعد ثلثة اشهر وثلثة اشهر في هذا او في هذا تبع ذلك قوله جل
من قائل لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر انها بدركه وهو رقيبها طلوعها الغروب والشمس
كانت في مسالكها في الشتاء ظاهرا كانت على مسالكه باطنا وكان هو على مسالكها الباطنة
ظاهرا اعني ان طرقه في الشتاء على طرقها في نهار الشتاء والمعتمد في هذا الكلام على كونه قمرا
وبدا ذلك قوله عز من قائل لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ثم قال وقوله الحق ولا الليل
سابق النهار واما نهار ما عندنا وليل ما عندنا فهما داما مكور ان تكوير الليل على النهار وتكوير
النهار على الليل على ذلك سخرهما من هذه الجملة هذا يتبع هذا وهذا يتبع هذا واما النهار الذي
تقدم ذكره الذي يجلي الشمس وهو المنبعث عن الافق المبين فهو الذي يغشى هذا النهار على الليل
باذن ربه ويطلبه الطلب الحثيث فقد ركبه على الحين المقدر والوزن المقسط تقدير العزيز
العليم كذلك اوجد الله جل جلاله الظلام بانواع النور فيما الظلام مكور مع النهار ادركه ضياء
النهار العلي وحكم ربنا هو الحاكم عليه يعني النهار لانه من علو والاعلى ينتظم الاسفل
ابدا لم يسبقه الليل بل ادركه لذلك تعجب جل جلاله من هذا بقوله وكل في فلك يسبحون اي ان حكم
النهار العلي قد فات حكم الفلك وان كان موكلا به اذ هو بحكم المشية وبحكم ما هنالك سبحانه
وله الحمد ما احسن ما دبر واتقن ما صنع فصل عز وجل واية لهم انا حملنا ذريتهم في
الفلك المشحون المطلوب الاول اثباته بترداد هذه الايات هو اثبات وجود الغيب باطنا في ظاهر
الوجود والمعتمد من ذلك على تنبيهنا قوله الحق انا نحن نحيي الموتى كقوله اثر الاستشهاد
بالكشوف هو وشهر اشباه الدلائل ذلك بان الله هو الحق هذا هو المطلوب الاعلى وانه يحيي الموتى
هو المطلوب الاعم في هذه السورة واكثر القران وانه على كل شيء قدير هذا مطلوب ثالث في تعرف
الصفات العلى وان الساعة اتية لا ريب فيها هذا مطلوب رابع في نعوت اليوم الاخر والدار الاخرة
وما في ذلك وان الله يبعث من في القبور هذا مطلوب خامس لذلك قال واية لهم انا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون فهذه من اياته جل ذكره على اثبات حصول الروح وهي الحيوة حال
الموت وذلك انه حملنا جل ثناؤه في سفينة نوح عليه السلام في اصلاب الاباء قبل ايجاده ايانا
واخبر عن ذلك بصدق قيله وبان حملناه بعد الايجاد على ركوبا تنا التي قطعنا عليها بحر
الدنيا في مقام العمر اولى واحراد ذاتنا وبل الطوفان الموت وتاويل مدته مدة البرزخ

وتلك الفلك والحق فيه الجسم ومحوله وتاويلهم عبورهم بالفلك من موضع ركوبهم
اياه الى موضع نزولهم عنه فى الارض كعبور المبالات بالذوات من الدنيا الى الاخرة
ولما عدموا الفلك اعنى سفينتهم تلك خلق لهم سفنا من مثلها ما يركبون اذا هو
سيرهم فى بحار الدنيا وخلق لهم الانعام فى تسيرها باهم فى البر وكذلك خلق لهم من مثل
هذه الاجسام ما يحملهم عليها مدة البرزخ حال عدم الاجسام يعبرون بها بحر الموت
مدة البرزاخ قال الله جل قوله انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية فخاطبنا بذلك
لنجعلها لكم تذكرة اى على حال ما تقدم ذكره على انه انعم علينا فلم يكن ممن اعرقه
واهلكه لعصيانه الرسل والكفر به نعوذ بالله من مواقع سخطه ثم قال وتعيها اذن واعية
فنجب لذلك ان هذا هو العجب المعجب اشارة الى هذا المغيب المغيب وتنبيها عليه علم وفقهنا
الله وايانا ان الله جل جلاله لم يزل ولا يزال يرى الكائنات ويسمعها كما هو يعلمها ولم يزدد
بعد ايجاده اياها علما بها حلا انها كائنة اليوم ظاهرة لانفسها ولم يكن قبل ظاهرة لا نفسها
والحوالات تحول على المحدث المرئى المعلوم يقول الله جل من قائل هل اتى على الانسان حين من
الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال وقوله الحق انه اتى على الانسان الحين الذى اتى عليه قبل ايجاده
اياه فلم يكن مذكورا وقد وصفه على ذلك بانه قد اتى عليه فبان يوجدنا حال الموت اولى
واحرى كما اوجدنا حال العدم وكنا على ذلك نستحق الوصف بانا محولين وقد اخبر بذلك
الحق المبين فهو الحق لا مرية فيه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقد تقدم فى سورة النحل
من الكلام فى مثل هذا وكذلك فى سورة المؤمنين وفى سائر المواضع من هذا الكتاب ما يغنى عن الاعادة
قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون يمكن ان يكون معنى قوله
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ما فى الارض من مثلات الله جل ذكره فى المهلكين وعقوباته فى
القرون الخالية من المكذبين وما بين ايديكم اهوال الاخرة وعقوباتها ويمكن ان يكون معنى
ذلك اتقوا ما بين ايديكم من السماء ان يسقط عليكم او يرسل عليكم منه عذاب يهلككم به وما
خلفكم من الارض ان يخسف بكم فان ما علا ينسب الى الامام وما سفل ينسب الى الوراء وكلامه العظيم
جل ذكره يسع ذلك وما هو اعلم من ذلك قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وازواجهم فى ظلال
على الارائك متكؤن يقول عز من قائل اصحاب الجنة فى نعيمهم وتفكههم يعنى بنوعهم فى
النعيم وحسن مثواهم مع غبطتهم بما صاروا اليه فى شغل عما هم اهل النار فيه من عذاب دائم وخزى
لازم وعقاب سرمد نسال الله البر الرحيم رحمته ونعوذ به من عذابه اتبع ذلك ما هو كمال
لنعيمهم واتمام لاكمال اكرامهم وحبورهم قوله جل ذكره سلام قولا من رب رحيم هو خطاب
اشاد به وهو اعلم بما ينزل الى الزيارة واللقاء والرؤية والتحلية العلية منه لهم والكلام
الكريم ثم فى مقابلة ذلك من وصفهم قوله عز من قائل وامتازوا اليوم ايها المجرمون منهم
بسواد الوجوه وزرق الاعين وقبح التصوير نعوذ بالله من ذلك كفعا عنه وكرمه ثم
قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ذكرهم بعهده اليهم
اولا قوله تعالى يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية وقوله لادم

عليه السلام ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ولما عصى ادم عليه السلام
ربه اخرجه من الجنة ولما اطاع الكفار ابليس لعنه الله منعهم الله الجنة وعوضهم النار وبئس
المصير قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء
لمسخناهم على مكانتهم المعنى هذا منتظم بقوله فى صدر السورة انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا
فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون هذه عقوبة من الله جل ذكره فى بواطنهم ثم نظم بهذا قوله ولو نشاء لطمسنا
على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى من الكبر
يقول جل من قائل لو نشاء لا وصلنا مسخ بواطنهم بمسخ ظواهرهم وعمى بواطنهم بعمى ظواهرهم
كما قال فى صدر سورة البقرة بعد قوله صم بكم عمى فهم لا يرجعون ثم قال ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم اى الظاهرة كما ذهب ذلك منهم فى بواطنهم قوله جل ذكره ومن نعمره
ننكسه فى الخلق هذا منتظم بذكر الاعادة بعد البداية فى هذه السورة وفى سائرها من القران
حيث جاء لذلك قال فلا تعقلون اى الغائب بالحاضر فيقضون للمتماثلات باحكام
ما يماثلها قوله جل وعز وما علمناه الشعر وما ينبغى له هذا منتظم بالمعنى الذى
اقسم بيس والقران الحكيم عليه وهو انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم
الى اخر معنى الرسالة والمرسل وقوله ان هو يريد وهو اعلم النبى والقران الذى جاء به واخرجه
مخرج الواحد لا مخرج التثنية على معنى ان هذا الامر الذى كذبتم به وافتريتم عليه الا ذكر
وقران مبين القران ذكر والرسول ذكر وكون القران مبين اى هو مبين باعجازه
وعظيم مكانته انه من عند الله جل ذكره ثم قال وقوله الحق لينذر من كان حيا ويحق
القول على الكافرين لم ينزل الله جل ذكره كتبه ولا بعث رسله ليؤمن من لم يرد الله الايمان
منه ولا خلق الشياطين والفتن والكفر والتكذيب ليكفروا ويضل من لم يرد الله
ذلك منه بل لم يفعل الله ذلك لحكمته الا ليحق كلمة الحق هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون
وهؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فيحيى بذلك الحى عبده ويؤمن من كان عنده
الازل مؤمنا وحيا الا فسمعه يقول جل من قائل لينذر من كان حيا اى من كان عندنا
فى الازل حيا ويحق القول اى القول منه فى الازل على الكافرين اى فى الازل عندنا وفى علمنا
قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون نسب الى القران
ابدا ان يعبر تارة بضمير الواحد وذلك خطاب القبض وتارة بضمير الجمع وذلك خطاب
البسط فنسب الاعمال الى الاواسط والاسباب لاجل تسببهم وتوسطهم فيها وهب لهم من الكسب
والكسب وحقيق الحق هو عقد القلب ان الله فاعل الافاعيل وخالق الكل وهو خالق
الاواسط والتوسط والاسباب والتسبب واعمالهم وقدرهم لا اله الا هو الواحد القهار
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر النطفة يقع فى الرحم انها يقع فى كف الملك فيقول
اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فيقضى الله قضاءه ويكتب الملك قال ثم ينفخ
الروح يعنى الملك وكذلك سائر المخلوقات من النبات والجماد والحيوان كلها الا ما جاء من
الخصوص فى قول الله عز وجل عن ادم عليه السلام ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم بيده وغرس شجرة طوبى بيده وكتب
التوراة بيده وقال لكل شيء غير ذلك كن فكان قال الله عز وجل والنازعات غرقا
والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا ونحو هذا وقال قل من بيده ملكوت كل شيء واليه يرجع الامر
كله ويتصور ذلك صورة قائمة في قوله عليه السلام اذا قضى الله الامر في السماء
سمعت الملائكة كوقع سلسلة على صفوان الحديث حتى ينتهي الى التبليغ والتنفيذ
الى حيث ينتهي الامر المراد بذلك تدور بذلك وا... التدوير والملائكة في مصافاتها
يعملون له بامره لا يتقدمون في ذلك ولا يتاخرون عن مراده منهم دبهم فما من ماء
ينزل ولا حيث نعلق ولا نبات يعلو ولا يوزن ولا ميشا ولا موجود ينقص ويزيد
ولا ينشا ولا يضمحل وما من ورقة تسقط او تنبت ا وحيوان كائن ما كان ينتقل في درجات
كيانه ولا يتغير ولا شيء في الملك الا والكل قد عمه جملة وتفصيلا فاعلون في ذلك
ما يؤمرون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهو القائم على كل نفس بما كسبت
على تجميل ذلك وتفصيله وتفصيله الى تمامه ونهايته على هذا فيخرج قوله وانزلنا من السماء
ماء مباركا وفوقه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله هذا اولم يروا انا
خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون
فالملائكة يذللها والشياطين ينوسها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذروة كل بعير
شيطان عرض بذكر المنافع ههنا في قوله ولهم فيها منافع ومشارب اشارة منه الى منافع
موجودة فيما هنالك لمن امن بها وهو تنبيه على نعمه عليهم ليشكروه فيلحقهم بزيادته
الى منافع ما هنالك وفي ذكر المشارب تعريض له بانه يخلفنا عن البانها وانه يذرونا في السماء
ثم في الماء ثم في النبات وربما في الحيوان ويخلفنا عن هذا كله وفيه تعريض ايضا بذكر ما
هنالك من انهار لبن لم يتغير طعمه وتعريض بما انعم به علينا ليشكره فيبلغنا ان شاء الله
منبعثه ويتبوعه هنالك والحكم المطلوب بالعميم معرفة الفاعل المنعم لما ان المتطول عليه
ومعرفة ان الاعادة وجودها عن سنن البداية غير ان الاعادة اعلى على حكم الكلمة كلمح
البصر او هو اقرب في حكم البداية على حكم السنة لذلك اعقب بقوله افلا تشكرون
فتبلغوا بهذه الى منافع ما هنالك فيتصل لكم هنا بذلك ثم اتبع ذلك قوله فلا يحزنك
قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون يعزي رسوله عليه السلام بان يعلم بانهم يسيرون عنه الى
جزاء ما يعلم من اسرارهم واعلانهم في قولهم له وردهم عليه وتكذيبهم اياه قوله
تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين يقول جل من قائل اولم ينظر
الانسان الى حاله نطفة ابن هي من حاله خصيم خصم ويجادل في ايات الله بغير سلطان اتاه
عطفه وينأى بجانبه ويكذب رسله ويمكر السوء على عباد الله وانبيائه ويسعى بالفساد
ليهلك الحرث والنسل ويصد عن سبيل الله ليصد الله ابواب السماء لشومه فيحدث من اجله
الارض ونقل بركاتها سمع به العدو ابليس وتتشبه لفعله الملائكة والمؤمنون لقبيح جرمه
وعظيم حرامه بل يدعوا الى نفسه ويدعي النبوة فيكذب على الله تعالى ويماد عا الى نفقه

واستعبد العباد وادعى الربوبية من دون الله وبالضد ابن حاله اذ كان نطفة من كونه
خصيما لاعداء الله مبينا عن نفسه وما في قلبه من حقائق معرفة الله باسمائه وصفاته
ينظر ويعتبر ويرى بعد ايمانه الدار الاخرة باهوالها والصراط والحوض والميزان والجنة
والنار ماثلا كله بين عينيه قوادة وربما مضى الامصار وجند الجنود واقتاد الجيوش وعلم
العلوم وعبر عن ربه من وجهه وكان لسانا من السنة الله بين عباد الله وعينا من عيونه
في ارضه هذا الى قربه من ربه جل ذكره وولايته وتكلفه اياه ومحادثته والهامه
وكونه منه موضع النظر والسعي والبطش والسمع والبصر يجيب دعاءه ويكرم سؤله
ويرحم نضرعه وعن اعماله يكشف به الباساء ويدفع لاجله عن اهل الارض البلاء
ويفتح لدعائه ابواب السماء بالرحمة وينزل به البركات بالنصر بل ابن حاله نطفة من كونه
خليلا للرحمن عز جلاله وتعالى علاوه وشانه ومصطفى ونبيا ورسولا لا يصل
بينه وبين عبده ويرشدهم اليه سبحانه وله الحمد ما اكرم صنعه به واتقن ما خلقه
واين كانت حالته هذه والتي قبلها من حاله نطفة من ماء مهين اصله الطين المنتن فيحق
الذي بلغ هذه النطفة الى ما تقدم وصفه وانهى الطين هذه النهاية والى اعلى من هذا
والفخم ان يجعل في النطفة ويظهر منها ما ابطنه فيبطن ما اظهره وما هذا في القدرة
باعجب من فسح القبر سبعين ذراعا والمعرب مقدار ما بينه وبين بلده وان يجعل
القبر روضة من رياض الجنة وتحقيق حال يقتضي قول الله جل قوله واما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى اخر السورة قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي
خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم احالهم جل ذكره اولا على الاعتبار بالنشاة الاولى
ليعلموا بها صحة النشاة الاخرة بالبداة على العودة ثم ضرب مثلا دل به دلالة اخرى على
مدلول اخر بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون يقول
جل ذكره النار حارة يابسة والشجر الاخضر بارد رطب والنار عنه في هذه الدار
الى ان تقدح فينقدح كالاحياء يظهر الله لها الحيوة من حال عدمها فيحيى المحل كذلك النار
بما هي تحكم في الشجر الاخضر فيذهب حرارتها ويبسها رطوبة الشجر وبرودتها فاذا هي
نار توقد باذن جاعلها وخالقها كذلك الحيوة حارة رطبة والموت بارد يابس فتحي اراد
الميت جل في كونه امانة محل حكم فيه الموت فاذهبت برودته ويبوسته رطوبة الحيوة وحرارتها
فاذا المحل ميت ثم قال له كن فيكون على وفق مشيته فاذا هو حي كما قال ان كانت الا صيحة
واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون وقيام ينظرون هذا سيما ليتاتى المراد على معهود سنن السنة
واما على حكم الكلمة فهو الواحد القهار ما يد مع الله لا قوة الا بالله كذلك ابطن الحيوة على
ما هي عليه من الحرارة والرطوبة في النبات على ما فيه من الرطوبة والبرودة والنار على ما فيها
من الحرارة واليبوسة جميع ذلك كله في الشجر الاخضر على اختلاف الاوصاف وتباعد الصفات
بقوله الذي فعل هذا في الشجر هو فاعل هذا في الاجساد البالية ورميم العظام الفانية وقد انشاها
اول مرة دون اعتياض ولا تعذر فما بال الاخرة بعجزه والحيوة الى الموت اقرب في صفاتها من النار
الى الشجر لحصول الحرارة في الحيوة وليس لها في الشجر من اوصافها وصف يشكو وصف البرد

واغا هوا ضدها منها وهو زمهريرها فافهم وتثبت والنار تكون في شجر الكلخ والمرخ
وغيرهما وبالجملة فجميعهم فيما ههنا غيب خلا ما يبدو عنها من فتح نفسها وكذلك
الجنة غيب خلا ما يبكى الله عنها بفتح رحمته هذا فعل الله جل ذكره وانما اعبر عنه تبارك
العالمين من استخراجنا اياها باكتسابنا لذلك بقوله افرايتم النار التي تورون
ويقول فاذا انتم منه توقدون فالزياد مقرح فقدح النار عنه ظاهرة بعد غيبها
وكذلك ما هو معنى الجنة يكتسبها باكتسابنا بالغرس كله والحرث والزراعة وانواع
العلاجات لموم ذلك من الاظهار ما هو ثابت على موجودات الجنان مقام قدح بالزناد وقال
لبعضها من بعض عبر عن ذلك بقوله افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون تفطن
وفقك الله لفهم معاني كتاب ربك عز جلاله اتبع ذلك دليلا اخرص للمراد مثلا حقا قوله
عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم نظم معنى هذا
المثل بما تقدم في صدر القصة قوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة اوليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم والابداع في معهود العوائد اعسر من الاخراج
وخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فخالق السموات والارض يعسر عليه خلق انسان
واناسي كثير فقد تحصلت معاني السر في الاعادة بكل وجه وهو ما تقدم ذكره من موجود
الحرارة في جنب الحياة والاحياء والمعلوم من ان خلق السموات والارض وما بين ذلك اكبر من خلق
الناس سعة سيرة مما بينهما والمعهود من اعسر الابداع بالاضافة الى الابتداء ثم نبه
على دليل غير ما تقدم وهو المشاهدة بقوله بلى لابد ولا محالة ثم قال وهو الخلاق اي على
الكمال ما من موجود سماء وارض او فلك او ملك وانسانا او جان او هواء او ماء او دنيا
او اخرى الى غير ذلك الا وهو يجدده ايجادا بعد اعدام ابدا على الولاء اذا شاء ابقاء شيء
اخلف المثل المثل واذا شاء تغييره اخلف الشيء الغير واذا شاء اعدامه اخلفه الشيء ضده
فهو الخلاق على هذا التاويل العليم بما يؤول اليه بعد ومن كل شيء ومن حيث يخرج موجوده ثم
جمع اطراف الكلام بقوله الحق انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اذا شاء تعجيله دون
مهل اخرج مخرج الكن واذا شاءه على حكم السنة اخرجه بالاسباب والوسائط قدر وكلهم
الى ذلك واليه يرجع الامر كله عبر عن ذلك بقوله فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء
واليه ترجعون الملكوت عبارة عن اعمال الملائكة عليهم السلام في مضافاتها وتصرفهم في تخليق
المخلوقات وهو معدو من ملك كرهبوت من رهب وجبروت من جبر ورحموت من رحم وقد
تقدم من تفسير قوله اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما ما اشرف الى اللفظ السبب
على سواء السبيل سبحانه وله الحمد وعلى ملائكته الكرام ثم السلام هم بامره يعملون وبامره وبه
يشفعون له في اتمام ما قد شاء اتمامه على ما قد سبق في مشيته وعلمه الحق فهو الخالق الحي كما قال
خلقكم وما تعملون وهم العاملون بامره واقراره اياهم وهو الخلاق العليم ابدا على الدوام
وهو الذي لا حول للموجود سواه ولا قوة الا به هو الحي القيوم يمسك السموات والارض وعنده
كل شيء على وجوده الذي اراده به وهو بكل خلق عليم هو الاول في كل شيء والظاهر
فيه والباطن وهو مسبب الاسباب وموسط الوسائط وموجدهم وموجد قدرهم

وجميع صفاتهم لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين ما ينقص من الموجودات في كتاب وما يلحقه في كتاب واليمكنها علمه
اي على الموجودات من حد وحال وكيف وكم وبعد وعلى كل وجه وبكل معنى في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى ولا يلحقه نصب ولا لغوب ان ذلك على الله يسير **فصل**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدونها جزء من سبعين جزء
من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال فانها زادت عليها تسعة
وستين جزء هذه بجزيها من حيث هي ثم استثنى من ذلك بقوله غير انها ضربت
بالماء مرتين فتبين بهذا الاستثناء ان هذه النار ضربت بالماء بعد التجربة فانها
نار النفخ ولا شك على هذا في برد الزمهريرية على تلك التجربة من زمهريرها
ثم من بعد النفخ ضربت بماء النفخ مرتين ومن اجل ذلك سرى اليهما النفع
وعلى ذلك انها لو تابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه النار عدو لكم
فاذا اوقدتم فاطفئوا المصابيح يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ذلك ما كان
لابن ادم فيها نفع اذ جهنم لم يخلقها جل ذكره تسعا لمزج هذه برحمته رحمة بعباده ومتاعا
لهم في هذه الدار وضربها الاولى بالماء كونها في الجو والهواء متصعدة ومتسفلة بوسائط
دوائر الافلاك بها في رسل الله جل ذكره لواقح الرياح فيلقح الماء فيما هنالك باذن مرسلها
وكيف شاء مسخرها ويجمع السحاب في الهواء بما فيها وبما في الهواء من اثاره ذلك اللقح ويحض
الملائكة السحاب ويضرب بالنفخ العام فتزفر بالرعد وتشهق بالصعق وربما ومن منها
بشور هو صواعق عن ما يبدو ولنا منها يصيب بها مرسلها من يشاء ويصرفها عن من يشاء
ويخرج على ذلك برو قال عنه النار وشواهد القران على ذلك كثيرة فهذه الضربة الاولى
ثم ينزل الله الماء الى الارض وقد انبت فيه معنى النار باطنا كما يرسل الصواعق على من
شاء وقد انبت فيهن اثاره الماء باطنا لضربه اياها بالماء ضربة واحدة وينبت الله
النبات عن ذلك ومنه الشجر الاخضر والخضرة من منبعها الذي هو النفخ برحمته من امات الجنة
وانا رانها وعلى ذلك ينفع الله به العباد ومن معنى النار هو من منبعث الموجود عن النفخ
فموضع الدلالة من هذا الخطاب قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ان خضرة الشجر
عائدة على معدن الخضرة وكونها نارا يستوقد منها وبها فيحرق ويعدو عائد على عنصر
نار كما في المعتبرين من عباده جل ذكره انه كما عاد النار بعد اطفائها اولا بالماء الى النار
يعني كونها صواعق ورعودا وبروقا ثم انزلها في الماء وقد اطفاها فيه وابطنها عنه
فاظهرها من الشجر والحجر والحديد بواسطة الحك او القدح بعد ضربها الثانية واطفائها فيه
وكذلك احيانا من موتنا الاول وهذه الحيوة ثم يميتنا بعد هذه فيقوم هذه الامة في المستقبل مقام اطفاء النار بالماء ثم يحيينا
ان شاء الله والعاقبة للمتقين جعلنا الله من اهلها وبارك لنا في حظنا من رحمة انه اقدر القادرين وخير الغافرين

سورة والصافات مكية فيها من المنسوخ اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل والصافات صفا الملائكة تصف الصفوف
وكذلك تصف لاعمالها بامر الله وجاء ذكر الملائكة بلفظ التانيث على ضمير الجماعات ويمكن ان يدل

في هذا الذكر الطير وكل ما اخرج فعله السواء قال الله عز وجل والطير صافات كل قد علم
صلاته وتسبيحه ثم يلحق بهذا كل الموجودات من حيث هي له قانتة مسبحة ومصلية ساجدة
جاهدة فهي صافات في باطن شانها وحكى الله جل ذكره عن فرعون وموسى قوله فاجعل
بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى الى قوله فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا
اي غير مختلفين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان اصحابه يصلون عزين اي جماعات
متفرقين الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها وعددها صلوات الله وسلامه عليه فيما خص
هو وامته من بين الامم والانبياء فقال وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وقال وقد
راى رجلا منه صحيحا وقد بدر صدره من الصف حين قامت الصلوة سووا صفوفكم فان
اعتدال الصف من تمام الصلوة ولا تختلفوا فيختلف قلوبكم فقوله هنا والصافات يتناول
جميع الموجودات لانها على السواء في عبادة الفطرة لله جل ذكره قال الله عز من قائل افغير
دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها **قوله** تعالى فالزاجرات
زجرا الملائكة تزجر شيئا فيكون عن ذلك الرعد والبرق والصواعق والبرد وذلك كله
عن امارة فتح الله برحمته وارادة ذلك عن فيح جهنم بالنفسين الخارجين على اقطار الاجواء
فيخرج الملائكة ما هنالك من حقيقة ذلك الفيح رعدا وبرقا وصواعق ويكون ايضا كما زجر
عنه من اعمال الامم السالفة والقرون المهلكة الخالية يزجرها امرا وبلاغا فاذا اراد اهلاكهم
زجرهم العذاب فاذا هم خامدون **قوله** تعالى صفا وزجرا اعظاما واكبارا للموجود
الصف والزجر اذ هو من خلقه رحمته وعذابه ثم قال عز من قائل فالتاليات ذكرا هو ما تتابعه الملائكة
عليهم السلام من ذكرا انهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قد يكون المعنى بذلك الانفس المتبعات
للامر المعتد به بسنن الانبياء عليهم السلام والالسن التاليات للقرآن والذكر والكتب سمي كتابا
لانه تتبع الكلام بعضه بعضا اقسم الله جل جلاله بهذه الاقسام على انه الاله الحق الواحد الذي
لا شريك له وانه هو رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق واجتزا بذكر المشارق عن ذكر
المغارب **فصل** لا تخلو ابدا اقسامه جل ذكره الا مطابقا لمعنى المقسم من اجله من تذبر ذلك
وجده على ما ذكرناه غير انه ربما عارض ذكر القسم في ذلك عظم شانه وعموم الامر فيخطي
بذلك ان قسمه غير متنا ول للمعنى به ولذلك قصرنا على القسم باسمائه وصفاته ولما كان
جميع الموجودات علوا وسفلا قد اصطفت على الاجماع بالقنوت له والتسبيح والسجود والصلوة
له فصفت بذلك له صفا وزجرت باداتها شانها وذاتها ودلالتها على حقيقة الامر فيها بعث على
ذلك باطنا وتولاها على ذلك من اصابة الله جل ذكره بهداية ظاهرا اقسم بهذه الاقسام على
انه الاله الواحد رب كل شيء اتبع ذلك قوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ثم عطف بقوله
قوله وحفظا من كل شيطان مارد على المعنى اي جعلناها زينة للسماء الدنيا وحفظا **قوله**
تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى وقراها ابن مسعود لا يسمعون الى الملا الاعلى فتبين من هذا
الخطاب انهم لم يحصل لهم التسمع الا الى من دون السماء الدنيا ولا يسمعون ايضا لمن دون سماء
الدنيا الاعلى دون الافلاك كلها التي من لدن فلك القمر الى ما علا اعلم بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حديثه حيث يقول ان الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتسمع

السامعين لما يقولون خطفا وهو اخذ في سرعة وهو تعريض منه بعدم التثبت وقلة الوعي
فيتبعه بشهاب ثاقب نارة الثاقب النير المضيء وقيل ثاقب من ثقبه يثقبه مبني على اسم الفاعل
يثقب ينتظمه فيخرج من ورائه ولعزمه الله جل ذكره فيه لذلك جعله اهلا كالرمية اصابها
بامر من عنده رجع الكلام وانما ينزل الامر من لدن ذي العرش جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه
الى حملة العرش ثم ينزل الى من دونهم ثم الى من دونهم تدور به دوائر التدبير الى ان
ينزل الى ما دون السماء الدنيا الى العنان في دوائر ما هنالك والشياطين درجات في مقاماتها
بعضهم اعلى من بعض ومثل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابع يده المباركة
محرفها وفرج بين اصابعه وجعل الخنصر منها الاسفل والابهام اعلاها كدرجات السلم
قال الله عز وجل ام لهم سلم يستمعون فيه فالسلم الشياطين والمعراج للملائكة على ملائكة
الله السلام فيستمع الجني الكلمة ويقذف الشهاب ويلقي الشيطان الكلمة الى وليه ثم يلقيها ذلك
الى وليه دونه كذلك حتى يبلغ الى الجني الذي يلقيها الى الكاهن قال فيقرها في اذنه قر الدجاج
وهذا تعريض منه لقلة الافهام وتشويش التبليغ قال فيصيف اليها الكاهن مائة كذبة
والاصل في ايجاب الكذب وقلة الافهام وتشويش التبليغ سامر من لدن الجني المختطف الى الكاهن
فهو طريق مغتنم وسبيل مظلمة لذلك قال جل من قائل يحيي الكفار ام لهم سلم يستمعون فيه
فاثبت لهم شيئا ما وهو ما يسمع الكاهن لاجل كاهنا ثم اعلم بعدم النقد في النقل بقوله
فليات مستمعهم بسلطان مبين اي شاهد ودليل يشهد له ويدل على صحة نقوله وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صدق الشيطان وهو كذوب فهذه حال الكهانة وموجود بستر وتسمع
الدحور الدفع والضرب والرجم والصب الدائم **قوله** جل من قائل فاستفتهم يعني
سلهم واستخبرهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا والمعروف على حرف من انها تقع على من يعقل
فعلى هذا فالمعنى به الملائكة والجن ثم باخره يعم جميع المخلوقات قال الله عز وجل لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ثم قال انا خلقناهم من طين لازب هو اشد الطين رخاوة
ولينا واللازب اللازق واللازم لذلك قيل القحط المتتابع اللزوب والباء تبدل من الميم
والميم من الباء فيقال لازم ولازب **قوله** عز وجل بل عجبت ويسخرون يعود على ما اعلم
بما نزل انت تعجب من عظيم شانه وعلاء الامر وجليل الخطر وهم يسخرون وتلهى انت تعجب من
تا فيكم عن حقيقة ما فطروا عليه وخلقوا لاجله وهم يسخرون منك وقرئ بل عجبت برفع
التاء وهذا مخرج على معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليعجب للشاب ليست له صبوة
فتعود العجب منه جل جلاله للرسول والمؤمن لثبات النور في قلوبهم مع وجود ما يضادها ذلك و
يوجع حقيقة التعجب منه تبارك وتعالى لعظيم اقتداره على الهداية وعميم الكفاية لعبده وحمايته
عنه وابصاره اياه واحيائه وايجاده جميع صفات الحيوة مع وجود ما يوجب الموت ومن انه الغالب
على امره لا اله الا هو العليم القدير فعلى هذا يكون تعجب من عنده جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه
اليه يرجع الامر كله ومن تحقق في تدبر الوجودين العالم والوجه القسا على هذا فاعلم ذلك
واعمل عليه ليس تعجب جل جلاله من شيء لم يره ولم يشاهد مثله كتعجب عندنا هذا تعبد عن صفات
العلي وقد يكون بل عجبت بمعنى استعظمت ذنبا منهم واكبرت مصلهم وهم يسخرون اذ يهذون

واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون ويضحكون من آيات الله ويكذبون بالبعث
وينكرون التوحيد وقد اعظم الله ما هو دون هذا نكاح ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
من بعده الداخر الصاغر **قوله** عز وجل وانما هي زجرة واحدة فاذا هم
ينظرون الزجرة للحق هي التي يكون للبعث وهي صيحة تزجر كالذي يزجر الابل انما قلنا
انه صيحة بغضب اذ هو ينتقم الله فيه من خالف امره وكذب باياته والانبياء وكذلك
عليهم السلام يقولون يومئذ ان ربنا قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله **قوله** تعالى وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يلهون علما نوا ينذرون
من قبل في دار الدنيا فيجابون هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون اتبع ذلك قوله عز وجل
احشروا الذين ظلموا وازواجهم قيل هم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وازواجهم
ايضا نظراؤهم واشباههم من اصحابهم وهذا حكي وعندي والله اعلم بما بين انهم
قرناؤهم الذين قال الله عز وجل فيهم وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم دل على صحة هذا
التاويل قوله وحق عليهم القول في امم الاية وقال ايضا ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له
شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون المعنى الاخر
قوله عز وجل وقفوهم انهم مسؤولون قال الله عز وجل فلنسألن الذين ارسل اليهم
ولنسألن المرسلين فاذا وقع الكون عليهم بالسؤال وانقطاع عن الجواب في امرهم الى الله
يقال لهم ما لكم لا تناصرون اي كما كنتم في الدنيا يتعضد بعضكم ببعض فيقال عند ذلك
بل هم اليوم مستسلمون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يعني اليرنا الذين زوجوا بهم في الدنيا
ثم حشروا معهم في الموقف في النار وقالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين معنى ذلك تاتوننا عن موضع
الحسنات يصدوننا عنها ويفسدونها بعد العمل كما قال الرجيم لعنه الله ثم لآتينهم من بين ايديهم
الله بهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ما بين ايديهم ما فوقهم وعن ايمانهم موضع
وخلفهم وشمائلهم ومن تحتهم موضع السيئات في اغوائهم بل لم تكونوا مؤمنين كانت
كانت تكون حسنات والكافرون لا ايمان لهم من هذه الجهة يقولون وما كان لنا عليكم من سلطان
فيضلكم عنه بل كنتم قوما طاغين يقولون لما حق علينا قول ربنا انا لذائقون اي العذاب
اغويناكم لذلك انا كنا غاوين كذلك قال ابليس لعنه الله رب بما اغويتني لازينن لهم في
الارض ولاغوينهم اجمعين يقول الله عز من قائل فانهم يومئذ في العذاب مشتركون وفي
هؤلاء والله اعلم قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله
يقول الله جل من قائل انا كذلك نفعل بالمجرمين **قوله** تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله
الا الله يستكبرون هؤلاء كذبوا المرسلين واستكبروا عن اتباعهم في التوحيد وعبادة
الله لمن شهد شهادة الحق دخل في اول ولاية الله واصطفائه بقدرها او على في دين الله
ثم يسمو في الاصطفاء بقدر سموه في طاعة الله وحسن الاقتداء بالرسل يقول الله جل ثناؤه
بل جاء بالحق وصدق المرسلين شهد الله لرسوله بهذه الشهادة وهو اكبر الشاهدين
قوله تعالى انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون جاء بلفظ الذوق
وذلك يحصل نا قل العذاب مع ما جاء من وصف عذابهم انه خلود لم يات في نعيم اهل

الجنة ذكر الذوق بل جاء بذكر الخلود ومعناه بكل سبيل ثم عطف بالنوا وعلى ذكر
الذوق قوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون وجاء في نعيم اهل الجنة ولدينا مزيد وامثاله
هذه كثيرة والله اعلم اتبع ذلك قوله عز وجل الا عباد الله المخلصين هؤلاء اصحاب العلية
في الاستقامة يقول الله جل من قائل اولئك لهم رزق معلوم اي مرسوم بهم سنّي لهم فواكه
وهم مكرمون في جنات النعيم يطاف عليهم بكاس من معين اي جار كما قال فيها عين جارية
انهار الخمر واللبن والعسل والماء وغير ذلك من الشراب لا يصدعون عنها اي لا يخالف بعضهم بعضا في الرزق
عنها بل يكون اجتماعهم واحدا وافتراقهم عنها المعاني من النعيم سواها واحدا ايضا اذ خمر الدنيا للرزق هاعو لهم
يختلف عنها قيامهم كلما اغتالت عقل احدهم قام عنها او فيم بزوق العقل يخلط جميعا او بعد عكر كما قال

وما زالت الكاس تغتالنا ۞ ويذهب بالاول الاول ۞

فجمعهم عليها يتصدع ورؤسهم تنجع وخمرهم تنزف وعقولهم يفقد لذلك كان
جزاء شربها المعاودين لها ان يسقوا من طينة الخبال عصارة اهل النار وسميت
خمر الدنيا خمرها لانها خامرت العقول اي غطتها وسدت عنها مسالك النور لها
لمنعها اتصال نورها بالنور المبين المدد من منبعثه بالشكر الذي جعلته في مجرى ذلك النور
من علو ثم خالطته بصفاتها فاسفلت به لانطماس المزيد بالنور المتصل بالايمان والنور
لذلك صفات الجهل بافعالها ولذلك لا يجتمع الخمر مع الايمان في جوف واحد سميت خمر الدنيا
باسماء كثيرة حتى لقد بلغوها تسعة وتسعين اسما اسم مزيد ها ما سماها المسلمون به فانهم سموها بالاثم قال الشاعر

شربت الاثم حتى زال عقلي ۞ كذاك الاثم يذهب بالعقول ۞

فالاثم يذهب بعقد الايمان والخمر تذهب بعقل الانسان ثم تكر على عقد الايمان فيذهب بهما
معا من حيث هي اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن
وقال عثمان اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث وانه والله لا يجتمع الخمر والايمان ابدا الا اوشك
احدهما ان يخرج صاحبه وسميت خمر الجنة خمرا وهي الاصل لانها خامرت العقل وكشفت
بضد ما خامرتها خمر الدنيا ثم اعلت بها علوا وسلكت بها سبيل اتصال النور بمنبعثه فطارت
الى وليها بما هي تسنيم وسلسبيل ولا وصفها فاسماء اذا دها بها خالقها فهي تخالط حافتوجه الى الحق
المبين تطير به روحا وارساحا بفعل ذلك بما هي راح وتعطي على صفاتهم الدائمة بما هي الكافور فيجدون واضعاف
ما كانوا يجدونه سرورا وحبورا ووجد نعيم وملك كبير وقد تسرع هذه شربها
الى ذلك من حيث هي راح على ما هي عليه من صفات الحسنات ووصف لتحالف كما قال قائلهم

ويشربها فيتركنا ملوكا ۞ واسدا ما يهنهنا اللقاء ۞

يتاكد ذلك فيما هنالك ويتحقق جدا في صفاتهم وعند الزيادة يسقون شرابا طهورا
بها يزورون ربهم عز جلاله يطهرهم من معاني العترة الموجودة بهم في الجنة هو مشتمل
على خاصة هو مشتمل على خاصة كل شراب يقدم لهم وعلوها ومزيد فضلها على قدر ما بين
الموطنين والشرابين فتفعل هذه العليا بهم من احدها اياهم عن معهودات الجنة ما فعلت خمر
الجنة بهم عن معهودات ما عهدوه من امور الدنيا التي اضادت بها خمر الدنيا الاخرة بهم عن معهودها
سفلا فترفع صفاتهم توحيدا وعلما ومعرفة وافرادا واجلالا واكبارا وحبا وشوقا وتوقا

الى آبائهم جل ذكره بخاصة جعلها لها وسمى هذه شرابا ولم يسمها خمرا لانه حكم العموم
الله اعلم بقدر ذلك لا اله الا هو العلي الكبير **قوله** عز وجل فاقبل بعضهم على بعض
يتساءلون يعني في مجالسهم من الجنة كما قال اخوانا على سرر متقابلين فهم يتساءلون عن
اسباب هدايتهم وعن غيهم في ذلك وفيما هم قال القائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن
المصدقين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمجازون ذكر اهل التفسير سببا
نزلت من اجله زعموا وانه رجل تصدق بجميع ما له ابتغاء وجه الله العظيم ثم احتاج واحتاج رجلا
من معارفه فسأله ما فعل مالك فقال وجهته لله تعالى فقال له ائنك لمن المصدقين بهذا لا
اعطيك شيئا ابدا فهذا ولو صح فلا ينبغي ان نقصره على سبب بل لكل مكلف قرين قيضه الله
يمتحنه به من الجن او من الانس او منهما فان كان شقيا رضاه به وجعله معا مطيعا
وان كان سعيدا لم يرضه به وعصاه وابدله من ذلك بقرين خير من الانس ومن الملائكة
عليهم السلام او منهما ومن عصمه الله فهو المعصوم ومن خذله فهو المحروم وجمع الضلال
قرينه والمهتدي بقرينه المهتدي فقيل لهذا المهتدي اطلع ينكشف الله ما بينه وبين النار
فرآه مبعدا عنه في سواء الجحيم ذلك لانه عصاه وخالف امره سواء كل شيء وسطه وقال
من ذلك تعبت حتى انقطع سوائي اي وسطي فقال له تالله ان كدت لتردين اي الهلاك ولولا
نعمة ربي لكنت من المحضرين المحضر هو الذي احضر للعذاب ثم رجع الى جلسائه واصحابه
وهم له سرورا وفرحا بما صار اليه غبطة به يقول لهم افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما
نحن بمعذبين فرحوا بان لا موت عليهم ابدا في محالهم ذلك اذا اهل النار يتمنون الموت
فلا يعطونه ويأتيهم الموت من كل مكان وما هم بميتين خالدين في العذاب الا انهم لا
يموتون ولا يحيون نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا والآخرة ولان قوما من
الموحدين يدخلون النار نعوذ بالله من ذلك بذنوب اصابوها ثم يموتون فيها اماتة
حتى يخرجون منها بالشفاعة لذلك والله اعلم قالوا افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن
بمعذبين فاستثنوا فصنفين وعددوا يومئذ هذه النعمة والاشقياء ايضا لا يموتون
فيها ولا يحيون لهذا ولمثل هذا لنعوق فليعمل العاملون وقال حكاية عنهم افما نحن بميتين الا
موتتنا الاولى فاستثنى الموتة التي ماتوا في الدنيا من ذكر موت امنوه في الجنة وهذا لو نحو
باستثناء منقطع ذلك لانهم كانوا في الدنيا مؤمنين بالله وبرسله وبكتبه وباياته على التنزيل
بالله طائعين له وهي جنة معجلة فحسن الاستثناء منها لذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها يريد مجالس الذكر وقال من قال لا اله
الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة فاستثنوا الموتة التي امنوها في الجنة من الموت
في الدنيا من هذا الباب يقول جل ذكره لمثل هذا فليعمل العاملون جل جلال ربنا وتعالى
وشانه وعظ ونصح وهو الكريم الودود **قوله** تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم واصل بين المصيرين والمنزلين وقد علم جل ذكره انه قد حصر الفصل كله الى
عباده المؤمنين ثم اعلم بما هي هذه الشجرة بقوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم يعني
وهو علم في اسفل جهنم وهذا الدرك الاسفل من جهنم طلعها كانه رؤوس الشياطين

يعني في القبح والنضرة المشوب الخلط من الحميم يعني ياكلها اهل النار ثم يشربون
عليها من الحميم وهي العين الآنية التي تناهى حرها واذى والله اعلم ان شجرة الزقوم
من شجر الزمهرير وقيل انها اخس من الحجر وامر من العلقم واصل الجحيم منبعث الزمهرير
الا تسمع الى قوله جل قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي انهم يكونون في الزمهرير
ما شاء الله ثم الى الجحيم ذلك بانهم الفوا اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون
اي يسرعون **قوله** تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين لا يسلم
الا على حي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا علي فان لله ملائكة يبلغوني السلام من امتي
قال رجل يا رسول الله كيف نصلي عليك وقد رممت قال ان الله حرم على التراب ان ياكل
لحوم الانبياء ومن ذلك قوله واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين
اي حيوة لك يا من هو من اصحاب اليمين وكل من ابقى عليه في الآخرين سلاما فهو حي عنده
يرزق يقول جل جلاله انا كذلك نجزي المحسنين نكون حيا عندنا ونعمل له في الآخرة
التحية يقال سلام على ابراهيم سلام على موسى وهرون سلام على فلان هكذا
قال الله عز وجل وذكر يحيى ابن زكريا وعيسى عليهما السلام وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث حيا والسلام علي يوم ولدت يعني عليه السلام ويوم
اموت ويوم ابعث حيا اتبع ذلك قوله جل ذكره وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب
سليم اي من شيعة نوح ويمكن ان يكون المراد من شيعة محمد صلوات الله وسلامه على جميعهم
وشيعتهم واحدة قد جمعتهم كلمة التوحيد ودعائم الاسلام والنبوة والرسالة
وان اختلفت شعبها في اثناء شرائعهم لحكمة الله جل ذكره في ذلك لما راه من المصلحة لامة امة
او لما يكون عقوبة من اجل عتو واعتداء وتخفيف لضعف ورضى منهم اتبع ذلك قوله جل وقوله
اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشك والشرك والغل والحسد والبغضاء وغير ذلك من
آفات النفوس المودية **قوله** تعالى فبشرناه بغلام حليم وقال في موضع آخر وبشروه
بغلام عليم العلم والحلم والعقل صفات للعالم والحكيم والعاقل بالعقل يميز ما بين الامور
وبالعلم يعلم وبالحلم يتأنى ويكون منه الصفح عن الجاني وتحمل الاذى والانتظار باوائل الامور
حسن عواقبها وبالحلم ايضا توضع الاشياء على احسن مواضعها وذلك كله من الاناة
وترك الطيش ونبذ العجلة واستعمال الروية **قوله** عز وجل فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم هذا النظر في النجوم كان من دينهم والمعهود من شانهم ولما انتهضوا للسير
الى عيد كان لهم وقد كان عقد في نفسه ان يخالفهم الى آلهتهم حتى تكسرها ونذر ذلك
بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فنظر نظرة في النجوم اي على
عادتهم كانوا بذلك يدينون وعنها بزعمهم ياخذون علومهم ثم قال اني سقيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعاريض مندوحة عن الكذب قوله اني سقيم مكر بهم ليصل الى المراد
من التبليغ والتبيين عن الله جل ذكره اي ساقم كما قال جل ذكره انك وانهم ميتون بخبر
عن المستقبل **قوله** تعالى فراغ الى آلهتهم يعني عدل مستترا في عجلة قوله تعالى عليهم اي على الآلهة
ضربا باليمين اي باقصى قوته واستطاعته ويمكن ان يكون معنى ذلك ضربا باليمين

اي التي خلفها لكيدنه اصنامهم فاقبلوا اليه يزفون الزفيف اسراع كما سرع النعام
تدفع برجلها وتستعين بالجناحين حين حال عدوها **قوله** تعالى فلما بلغ معه السعي اي العمل
وكعه ادو ذلك اتم له في نفس الاب واجمع لمحبته ابتلياء صلوات الله وسلامه عليهما هذا
بان يجود بنفسه للذبح وهذا بان يذبح ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ورؤيا
الانبياء وحي فانظر ماذا ترى اي تسمح به نفسك لله جل وعزا و بخل فجاهدها في ذلك
لم يعلم بامر الله له بذلك ليخبره في الامر انما خيره بذلك ليطيب به نفسا وكان عليه السلام
عند الظن به وقد قرئ فانظر ماذا تري اي ماذا يري الله من نفسك اصبرا ورضى او جزعا
وصبنا قال له يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وهذا من حلمه الذي وصفه
الله به ان اباه لم يكن ليذبحه من ذات نفسه وخرج رؤيا انه علم انها من امر الله اياه بذلك وقد
اظهر كلمة جهارا في جوده لله نفسه وتبعها من الدا احسن سع و توجيهها له احسن توجيه وهذا
كل الحلم الذي وصفه الله جل ذكره به بان مصيره على ذلك الى لقاء ربه جل جلاله وكرامته بمحاسن الشهداء
قوله تعالى فلما اسلما وتله للجبين اي نفسهما لله تعالى هذا بابنه وهذا بنفسه وعلم الله جل
ذكره صحة ذلك منهما وتله للجبين اي تله ظاهر في العنف وهو الذي يليق بتلك الحال من اظهار
الشجاعة والتخاوة وعرضه ثم عطف بحرو على محذوف مقدر تقديره والله اعلم لما ظهر
اصدقهما وصحة عزمهما عفونا عن ذلك منهما او حققنا عنهما اصح ذلك هذا او ما يكون
معبرا عن هذا المعنى فعطف على ذلك بقوله وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
ثم قال انا كذلك نجزي المحسنين هذا كلام منتظم بالمحذوف المقدر انا اذا علمنا صدق
العبد وصحة عزمه على فعل المامور به تكلمنا له اجره واخبرنا منه بذلك قوله جل قوله
اذا هم عبدك بحسنة فلم يعملها فانا اكتبها له حسنة كاملة فان عملها فانا اكتبها له عشرا الى سبع
مائة ضعف الحديث **قوله** تعالى وفديناه بذبح عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فداه بكبش ابيض كحيل **فصل** عظمه الله قدر الذبح الذي هو الكبش وغيره اعظم
جرما منه واخصب ذبحا فالله اعلم والكبش في التاويل الرجل الشريف المهيب المعظم
وكبش القوم عميدهم وكبش الكتيبة مقدمها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت
يوم القيمة على صورة كبش الحديث وهذه الشواهد المتظاهرات يدل على سر الله اعلم به
والانعام الثمانية الازواج كما هي فداء لنا جعلها لنا غذاء البانها ولحومها وجعلها
هدايا وفدية في اداء الحج وتصحيحه والضحايا قال الله عز وجل خلقكم من نفس واحدة
ثم جعل منها زوجها وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا
من بعد خلق في ظلمات ثلث كذلك قال وقوله الحق فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم
ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه واذا نحن اكلنا من لحومها وشربنا من البانها
كنا عنها لهذا بسبب متقارب بيننا وبينهن دهبة سلة منه لنا ودل ذلك على انها تنقل من هنا
الى هناك من حر يكن لنا فراطا ان شاء الله وهو المنان العواد بالخيرات **قوله** جل ذكره
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فجى ذكر البشارة باسحق عليه السلام بعد ذكر قصة الذبح
ايماء الى ان اسمعيل عليه السلام هو الذبيح واذا كانت الحوال ليست تعطي في اكثر احوالها نتيجة

لكن ذلك في كلام العرب معهود يخاطبها ليس القران كذلك وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد قصد السعي بين الصفا والمروة فبدأ بالصفا وقال نبدأ بما بدأ الله به
وايضا فان اسمعيل كان بكره صلى الله عليهما وسلم وهو المقصود بهذا الشان وقد جاء هذا
منصوصا عليه في الكتاب الذي يذكر انه التوراة اعني الحجة بقصد بكور الانبياء ومن الدليل
على صحة ما ذهبنا اليه قوله عز وجل في سورة والذاريات فبشرناه بغلام عليم فاقبلت امراته
في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم لهذه امراة فارة واما اسمعيل فهو من هاجر
ولم تكن له تزوجه وانما كانت ملكا وقال في هذه السورة فبشرناه بغلام حليم لم يذكر
امراته وجاء في الكتاب الذي يذكر انه التوراة لما بشر باسحق وعليهما السلام قال ابراهيم ليت اسمعيل
يكبر بين يديك وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا ابن الذبيحين يعني اسمعيل عليه السلام
وعبد الله بن عبد المطلب في ذلك ان عبد المطلب نذر ان الله اعانه على وجدان بئر زمزم ان
يذبح له احب بنيه اليه وكان احبهم اليه عبد الله في قصة طويلة ومن الدليل على ما نحن بسبيله
قول الله جل قوله فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وكان هذا قبل ان تحمل سارة باسحق
ثم من ورائه يعقوب عليهما السلام فلو كان المامور به للذبح اسحق لكان ذلك بعض الوعد الله
اياه بهبة يعقوب عن اسحق وقطع بمقدور قد ثبتت كتبه وحصل بالوعد من ملك و نبي ومن
او في بعهده من الله وايضا في قوله جل قوله وبشرناه باسحق نبيا واسحق يومئذ لم يبلغ
النبوة انما بلغ ان يكون يسعى مع ابيه في عبادة او ما شبه ذلك فلو كان الذبح لكان قطعا
بالوعد الكريم وكان يكون من ابراهيم عليه السلام في ذلك من اجل هذه المقدمة من الوحي عنده
توقفا وحيرة الا ان يكون اعلم مع ذلك انه غير منفذ حكم الامر فيه كما كانت العاقبة فليس هذا
من شان التكليف ادعمه وجوده على الايمان بالغيب و لا فعلام كان يقع المدح من الله بهما
لو كان عندهما ان الذي ابتليا به غير واقع وقد قال عز من قائل ان هذا هو البلاء المبين
وعد الله وامره وتكليفه ليس على هذا فصح من مجموع هذا ان الذبيح هو اسمعيل صلوات
الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين **قوله** تعالى وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه
الا تتقون اتدعون بعلا بعل قيل هو اسم لصنم بعينه والبعل ايضا الصنم فعلى هذا معناه
اتدعون مع الله صاحبا وقيل البعل الرب فمعنى ذلك اتدعون مع الله ربا اخر لذلك قال
جل قوله الله ربكم ورب ابائكم اي وليس معنى ذلك اتقوا ربكم ورب ابائكم الاولين **قوله**
تعالى سلام على الياسين وفي قراءة اخرى على ادراسين قيل الياس هو يس ويقال هو ادريس وفي بعض
القران فان ادريس لمن المرسلين سلام على ادرياسين **قوله** عز وجل وان يونس لمن
المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون لما ترك عمله وذهب مغاضبا سماه ابقا فساهم فكان من
المدحضين الزلق لما دفع به من الفلك كان دحضا فالتقمه الحوت وهو مليم اذ قد اتى في
اباقه ذلك ما يلام عليه انظر الى كرم الله جل ذكره النبوة والمدحة عند حالته هذه ان ربنا لحليم
كريم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون اعلم جل جلاله ان العمل الصالح
في الرخاء ينفع في حال الشدة وفيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابن عباس
يا بني تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة **قوله** عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم

العزاء كواسع البراح نبذه الحوت والمكان بامره وبادنه اتصف بانه فاعل ذلك وهذا

يؤيد ما تقدم ذكره في فعل الملكوت عليهم السلام وانه يخبر عن كل ما يفعله الملائكة باذنه وامره

وحوله وقوته فانزلنا وانبتنا واخرجنا ونحو هذا ثم قال تعالى وارسلناه الى مائة الف

او يزيدون او هنا عاطفة كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا معناه ولا كفورا معنى

ذلك متى قال لك لهذا او هذا فلا تطع وسياق الخطاب يعطي ان رسالته كانت بعد الحجة

قوله جل ذكره وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا كان قوم من العرب يقولون ان الملائكة

بنات الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا وكان ناس منهم يقولون سروات الجن بنات الله

عما يقولون علوا كبيرا يقول الله جل ثناؤه ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون العذاب **قوله**

عز وجل فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يريد من حقت عليه

كلمة العذاب اتبع ذلك قول الملائكة عليهم السلام وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن

الصافون وانا لنحن المسبحون معناه وان كلنا له مقام معلوم من التعبد له والتسبيح والخشية

والخوف منه ونحو هذا قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون

وان جندنا لهم الغالبون وقرا بعضهم ولقد سبقت كلمتنا بعبادنا محمد هذا والله

اعلم كقوله والعاقبة للمتقين منع من ظهور هذا الخطاب الى تمام غايته ما ذكره من صفات

له سواها واسماء واحكام قوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وقوله

ويتخذ منكم شهداء وتلك الايام نداولها بين الناس والنصر من الله للمرسلين والمؤمنين

والتسليط والادالة قد يكون منه للكافرين على المؤمنين **قوله** تعالى فتول عنهم

حتى حين اي اعرض عنهم حتى ياتي امرنا بالنصر عليهم والغلبة وقد ادال الله لرسوله

والمؤمنين بالقتال والنصر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا

وسيعود غريبا كما بدا وهو ادالهم على المسلمين لغربة الاسلام وعدم النصحاء

لله ولرسوله وللمؤمنين ونحن الان ننتظر العاقبة جعلنا الله من المتقين اتباع

اتباع الرسل عليهم السلام اتبع ذلك قوله افبعذابنا يستعجلون يعني والله اعلم بالنصر

الذي قد يقضي بعد عزة الاسلام الاول فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين

وفي قراءة بعضهم فبئس صباح المنذرين ثم استانف وعدا اخر بقوله وتول عنهم حتى حين

هذه هي الادالة التي لهم الان بعد غلبة الاسلام التي تقدمت وهو خطاب لمعشر الائمة

وائمتها وعلمائها وابصر اي من بعدك اجعل لهم بصرا وعلما بالتبليغ اليهم حين النصر لهم

والادالة عليهم ثم لهم في اخر الزمان اعني في العاقبة فسوف يبصرون يعني الكفار اي ما يحل

بهم يومئذ ثم يتسلط صدق الحديث على الاعلام بما يكون منا ومنهم في دار الدنيا ثم في الدار

الاخرة **قوله** عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون هذا منتظم بما بدا به السورة

من القسم بما اقسم على تحقيق التوحيد وما اعقب به في اخرها وهو ما عبر عنه واستفتهم

الربك البنات الى اخر المعنى ثم اعقب ذلك بقوله وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هذه الاية من امهات الكتاب جمع في هذه جملا معنى السورة من اولها الى اخرها بل جميع ما جاء به

القران من اوله الى اخره اذ القران هو ما عبر عن اسماء الله وصفاته وافعاله التي هي حكمته

استحق لاجلها من عباده الحمد في السموات والارض في الدنيا وفي الاخرة ثم التسليم

للمرسلين وتصديقهم والصلوة والسلام على جميعهم ثم تنبسط الصلوة والتسليم على

الملائكة عليهم السلام يقول الله جل جلاله الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس

تنزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون

واسم العزة يقع على ما هو العلي الكبير وهو ايضا واقع على صفة يكون للمحدثين المربوبين

قال الله جل من قائل ولله العزة هذه عزته جل ذكره ثم قال ولرسوله وللمؤمنين هذه مخلوقة

مربوبة فمعنى قوله سبحان ربك رب العزة اي رب كل عزة معلومة لسواه منسوبة الى غيره وفي

تنزيه الله جل ذكره تنزيه صفاته وما لا يجوز مفارقته له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سورة ص مكية

هذه الحروف المفتتح بها اوائل السور على ما هي عليه عسر علمها ومع ذلك فان الله جل ذكره لم

يوئس من البلوغ الى معرفتها ولا نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التعريض لمعرفتها والبحث

عن فهم المراد بها وانما فرض الله تبارك وتعالى عليه التبيين والتبليغ الى الناس ما نزل اليهم وكانت

هذه الحروف مما نزلت اليهم وكانت مع ذلك جوامع لما اشتمل القران عليه فكان سبيلها سبيل غيرها

من القران تبعنا لها فبلغ امته واشهدهم على تبليغه عن ربه اليهم فشهدوا واشهد ربه

على شهادتهم له بالتبليغ وقيل له فما انت بملوم والمعهود المستصحب من خطاب القران الكريم

الحض على التذكر به والتفكر مع خطابه مع شهادة القلب طلبا لمعرفة معانيه حرصا على البلوغ

الى معرفة الحق الذي اراد به منزله وهذه الحروف التي نحن بسبيل ذكرها من القران لا محالة ومن

الكتاب بلا مرية ومن ايات الكتاب باخبار منزله العلي الكبير والله المستعان وعليه التكلان

وانما هو الله وحده باسمائه وصفاته وافعاله فمن يطلب معرفته فليطلب ذلك في الوجود من

العالم وفيه العلم كله الذي شاء ابداءه منه في الوحي وفيه الذكر كله ثم العلم في الذكر

والذكر في العلم اذ هو المنبئ الاول جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه انباء باسمائه وصفاته

وافعاله ثم بكتابه العلي الامام المبين ثم بمخلوقاته وموجوداته قدرته وصفاته واسمائه وحكمه

وعدله ودينه القيم ووعده ووعيده **قوله** جل قوله ص والقران ذي الذكر الصاد في هذه

الحروف مسند من صفاته على الصدق ثم ينبسط بعد على كل صدق موجود في العالم والكتاب فهو

الصادق الحق اسمه والصدق صفته والصدق خبره والصادق الرسول والصدق وصفه

والصدق ما جاء به والمصدقون والمصدقات والمؤمنون والمؤمنات وهم الصادقون في شهادتهم

له وكذلك العالم صادق في شهادته له ودلالته عليه وعلى ما جعل دليلا عليه وشاهدا له

قال الله عز وجل فاسئل به خبيرا يعني العالم وعباده الذين وصفهم الى اخر السورة من لدن

قوله الحق وعباد الرحمن فهم المخبرون عنه فاختلف صاد معبرا عن المعنى الذي يشمل من ذلك

على هذا وما هو اكثر من هذا ثم اقسم على ذلك بالقران ذي الذكر والذكر من الصدق الموجود

في العالم والوحي اتبع ذلك قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق كانه اعرض عن ذكر الاول الى

ذكر اخر وهو الاخبار عن اعراضهم وعتوهم وعدم الاقتداء منهم والتصديق للرسول وما جاء به

من عند الله والشقاق البعد والامتناع عن قبول الصدق من الصادقين وترك اتباع المهتدين

ثم اخذ في نوع من الذكر بقوله كم اهلكنا قبلهم من قرن اي اخذوا ما اخذ هؤلاء ولما راوا
العذاب نادوا بالايمان والتوبة ولات حين مناص وهي كلمة مركبة من كلمتين يعبر بها عن
النجاة وبعد والاقالة والنوص يعبر به تارة عن التقدم وتارة عن التاخر وهو كالجماع والكفار
من الفرس ونوص حمار الوحش رفعه راسه كانه نافر جامح ولات للنفي وقد تفصل التاء من حين
ويتوصل بها واصل هذه التاء هاء لكنها وقعت هكذا في المصحف والمعنى ولاه حين وعجبوا ان
جاءهم منذر منهم اي البشر وبخاصة من العرب ومن قريش بحسب تعجبهم من ذلك كيف عجبوا لهذا
ولو نظروا في موجودات السموات والارض لتحققوا ان ذلك من موجودات الوجود ومعهود صفات
الموجد قال الله عز وجل وما قدروا الله حق قدره المعنى الى اخره والى هذا وعجبوا ان جاءهم منذر
منهم وهو لو عقلوا ذكر لهم وشرف وكان تعجيبهم من ذلك وايعادهم به نفاذ اعمالهم يكون لهم ذكرا
وبشرا في الدنيا والاخرة يعرض بالاخبار لهذا المعنى عن عظم قدرته ومضاء مشيئته كيف شاء
والدوات الى ما سبق لهم عنده وان كان في ذلك لو كان حظهم في الدنيا والاخرة **قوله** تعالى
وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم الى قوله انزل عليه الذكر من بيننا الملأ اشراف
القوم وسراتهم وصفهم بذلك تعييبا لهم والمراد اذا كان الملأ منهم على هذه السفاهة
من الراي وعدم العقل كيف يكون الاتباع منهم وكان انطلاقهم من عند ابي طالب حين
احتضر وكلفوه ان ياخذ لهم على ابن اخيه وان ياخذ له منهم وان يتواطوا معه على امرين
امرين وقالوا انه قد سفه احلامنا وعاب ديننا وسب الهتنا وفرق جمعنا والهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلمة واحدة يملكون بها العرب ويدين لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك
وعشر كلمات ما هي قال ان يقولوا لا اله الا الله ويخلعوا الانداد من دونه قال الله جل من قائل
وانطلق الملأ منهم يقولون قولا يعبر عنه بان امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا لشيء
يراد اي يكاد ليذهب ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة قيل ملة النصارى وقيل ملتهم تلك وراي
انهم عنوا بذلك نفي السماع اولا واخرا كما قال غيرهم ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن
من شيء ان انتم الا تكذبون يقول الله جل من قائل بل هم في شك من ذكري اي الذكر الذي ضرب
لامثالهم من القرون الماضية والامم المهلكة قال الله جل قوله بل لما يذوقوا عذاب اي عذابي كما
اذيقه من كان قبلهم من المكذبين امثالهم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب هذا
في مقابلة قولهم اانزل عليه الذكر من بيننا ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فيخصون بالرحمة
من شاؤا وبالهداية او بالضلالة فليرتقوا في الاسباب ان كانت لهم قدرة على ذلك او لالهتهم
اتبع ذلك قوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اخبر جل جلاله عما هو كائن قبل كونه وابهم
اي جند هو فكان اول جند هزم ومنهم جند غزوة بدر ثم انبسط صدق الحديث
على جنود كثيرة في وقايع مختلفة **قوله** من الاحزاب من الحقهم بالاحزاب قوم نوح
وعاد وثمود وقرون غيرها **قوله** تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الى قوله اولئك الاحزاب
اي الذين هم اولئك حزب منهم ثم قال ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق يريد
انهم قد استحقوا ذلك الا ان يكون من الله جل ذكره الكفاية من قرا فواق بالفتح فهو الافاقة
ومن قرا بالضم فمعناه الرجوع وهو ماخوذ على ذلك من فواق الناقة ويقال ذلك ايضا

بالضم والفتح وفواقها ما بين الحلبتين يفعل ذلك ليقتضي اللبن فكذلك بين رضعة
الفصيل اياها ورضعته الاخرى يقال من ذلك افقنا الناقة اذا نقضيت حلبها ثم ننتظر
حتى يجتمع درتها فنحلبها ثانية وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب القط الكتاب فيه
خط حاملا والمكتوب له وجمعه قطوط هذا كله من الذكر الذي نزل به القران منهما عليه
واظهره الوجود وقد كانوا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم **قوله** تعالى اصبر على ما يقولون من قولهم ان هذا الا اختلاق
وساحر وشاعر ومجنون واساطير الاولين اكتتبها ونحو هذا يقول الله جل وعز
اصبر فان العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والاخرة ثم اتبع ما تقدم من الذكر نوعا
اخر منه ارسال الرسل وذكر ما ارسلوا به وصبرهم على المحن وكرامتهم على الله عز وجل
يقول الله جل من قائل قد بلغتهم محمد في ذكر اخر واصبر وانتظر واذكر عبدنا داود ذا
الايد يعني القوة في العبادة وطاعة الله تعالى من ذلك ايدك الله بمعنى قواك واعانك وهو
التاييد واياد كل شيء ما يقوى به من جانبه والاواب الرجاع بالتوبة وبالتسبيح والتقديس
كلما جاء العشي والاشراق اب الى التسبيح فيؤوب معه الى ذلك الجبال والطير تاويبا والتاويب
ترجيع بترجيعه اب اليه رجع الى افضل ما كان عليه قبل الاوبة ولكثرة العرف في ذلك قيل للمطيع
اواب **قوله** تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب
اخبر صادق الحق جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ان الجمادات والبهائم تسبح فوق الذي ظهر منها
للمعتبرين فيظهر من ذلك ما شاء لاصحاب المعجزات والكرامات يكون ذلك مستصحبا لهم في الدلالة حجة
قوله تعالى واتيناه الحكمة وفصل الخطاب الحكمة هي حكمه بما امره وسن له التمثيلة وفصل
الخطاب والله اعلم هو اصابة فصل الخطاب وجودة الصواب في اتصال الخطاب وانفصاله وتداخله في اثناء
قصصه وجمع متفرق معاني كل خطاب له ما هو منه اتبع ذلك قوله ووهبنا لداود سليمان نعم
العبد انه اواب اثنى عليه بالتوبة من الذنب **قوله** عز وجل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي انك انت الوهاب طلب عليه السلام ملكا معجزا يكون له اية على نبوته فاعطاه سؤله
وقد تقدم ذكره **فصل** ذكر اهل التفسير وغيرهم في تاويل قول الله جل جلاله في قصة
داود عليه السلام واحكام الخصمين اليه وضربهما المثل في ذلك ان داود اتى ذنبا ذكروه منعنا
التحرج من حكاية اقوالهم فيه وخلف في ذلك الخلف السلف الا من شاء الله وهذا فلم ينص القران
على ذنبه ولا ذكره بعينه واخشى ان يكون ذلك مما تتلوا الشياطين على نبوته عليه السلام وذكره كالذي
يليه من ملك سليمان ويليه ايضا على ما انزل على الملكين هاروت وماروت على جميعهم صلوات الله
وسلامه وانما ذكروا لو ان احد الخصمين قال ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قالوا النعاج نساء وقوله اكفلنيها ان يجعل له سبيلا الى نكاحها وانه ارسل
في بعض غزواته وعرضه للقتل فقتل وهذا كله خارج عن المعهود من توقيرهم وتعزيرهم المامور به
الواجب علينا امتثاله ولم يصح ذلك من الكتاب ولا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما ذكر في القران
وظن داود انما فتناه والفتنة قد تكون على ضروب منها ما يكون لغفلة ما او نزول عن علي مقاماته
او خطا في بعض الحكومات وكان يقول النمن عليه السلام وكان يزوره ويحضر بعض مجالس حكوماته

بالقمن اوتيت الحكمة وعوفيت من البلية قوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار قيل ان ام ههنا بمنزلة الف الاستفهام تقديره
ذلك انجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
وليس ذلك كذلك والله اعلم بما ينزل وانما انتظم الكلام بقوله وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ثم حذف كلاما تقديره افنجعل
الناظرين في اياتنا المتدبرين لكتابنا كالمعرضين والمكذبين ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار كتاب انزلناه اليك ليدبروا اياته
اي فيعلمون انما انزل اليك من ربك الحق وليتذكر بايات السموات والارض اولوا الالباب
ثم ينتظم هذا بمفتتح سورة الزمر قوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الى ذكره الذين
اتخذوا من دونه اولياء الى قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وانتظم هذا
بما في السورة من ذكر الالهة وانهم ينسبونها الى وصف البنوة تعالى الله عن قبيح افترائهم علوا
كبيرا وذلك منتظم بما في اخر سورة والصافات من ذكر ذلك قوله وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا ذكر ونحو ذلك ثم كذلك في صدر سورة الزمر يوضح مشكل ذلك ويكسر باطل دعاويهم
الى قوله جل قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قوله تعالى واذكر
عبدنا ايوب هذا نوع من الذكر كان داود عليه السلام خليفة ملكا ذا ايد على العبادات واتعاب نفسه
ربه لم يشغله الدنيا عن ذلك ولا منعه الملك عن الحكم بالعدل ثم ورثه سليمان في الخلافة والملك
والعبادة والاشتغال بطاعة الله والشكر له وكان ايوب عليه السلام ذا بلاء ونصب فلم يخرجه
شدة البلاء ولا ازعجه مضائق المصائب الى الخروج عن الصبر الى ان فتح الله عليه وفرج عنه
ورد عليه اهله ومثلهم معهم رحمة من عنده له ولمن تبعه وذكرى لاولي الالباب ثم يقول الله
جل ذكره انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ثم اجمل جل ذكره الذكر بذكر اسماء عدة من انبيائه
واوليائه صلوات الله وسلامه على جميعهم تذكيرا بهم في اصطفائه اياهم واختصاصه لهم بنبوته
والعمل بطاعته وود وامر ذكره واخلاص العبادة له ثم قال عز وجل هذا ذكر نوعا اخر بقوله وان
للمتقين لحسن ماب جنات عدن مفتحة لهم الابواب الى قوله اتراب الى قوله هذا ما توعدون ليوم الحساب
ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ثم قال عز من قائل هذا اي ذكر ثم ذكر نوعا اخر من الذكر بقوله
وان للطاغين لشر ماب جهنم يصلونها فبئس المهاد ثم قال عز من قائل هذا اي هذا عذابي
قوله بل لما يذوقوا عذاب وهو ذكر فليذوقوه حميم وغساق في دولة الزمهرير ثم قال واخر
من شكله ازواج اي في كل من العذابين وقري واخر من شكله ازواج يريد اختلاف موجودات
ما هنالك من عذاب في طعام وشراب وحال ثم قال عز من قائل هذا فوج مقتحم معكم اي يقال للرؤساء
المعجل بهم اليها هذا فوج مقتحم معكم فيقول هؤلاء المعجل بهم للواردين فيها عليهم لا مرحبا بهم انهم
صالوا النار سلط عليهم البغض والشحناء والعداوة لمن دخلها حتى ابغضوا انفسهم وذلك
اشد لعذابهم فيقول الداخلون عليهم بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار هذا الذي
بوأكموه فعلكم ثم قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار يقول جل ذكره لكل
ضعف اي على قدره فالائمة تضعيف العذاب لهم تضعيف على تضعيف والاتباع تضعيفهم

لقرنائهم المقروبين بهم قال الله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قال الله عز وجل ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض
ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين نعوذ بالله من اهوال الاهوال
في الدنيا والاخرة ثم قال عز من قائل مخبرا عنهم يعني وهو اعلم جميعهم ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار هؤلاء هم اهل طاعة الله من المؤمنين اتخذناهم سخريا اي
في دار الدنيا كما ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون
ام زاغت عنهم الابصار ههنا محذوف تقديره والله اعلم اسعدوا فرفعوا ام زاغت
عنهم الابصار وهم فينا ومعنا وما يكون من الكلام عبارة عن هذا ثم قال وقوله
الحق ان ذلك لحق تخاصم اهل النار في هذا من الذكر اثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ان يخبرهم بهذا الغيب اتبع ذلك بما هو في معناه قل انما انا منذر وما من اله الا الله
الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار هذا منتظم من الذكر باثبات
نبوته صلى الله عليه وسلم والاعلام بالوحدانية والالهية والربوبية لكل شيء وهو منتظم
بما تقدم من قوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار المعنى الى اخره فانتظم معنى هذا بمعنى ما تحته رب السموات والارض
وما بينهما وهو الحق الذي خلقهما به انتظم هذا بقوله وما خلقنا السماء والارض الاية
فافهم نظم بذلك ما اشتمل معنى ما تقدم قوله الحق قل يا محمد هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون معنى
النبأ ما اشتمل جميع الذكر في القران والوحي والوجود وبرجاء ولاجله صنع المصنوعات واقام
الارض والسموات وخاصة الالهية وصفات الاله الحق واسمائه واحكامه وحكمته في الدنيا
والاخرة ما اعظم الغفلة عن هذا النبأ واخطر الكتبة والذهول عنه الحيث ما يشير القران ونور
اليه وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون قوله تعالى ما كان لي من علم
بالملأ الاعلى اذ يختصمون روى ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاني ربي الليلة في احسن صورة قال احسبه قال في المنام قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ
الاعلى قال قلت لا يا رب قال فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري
فعلمت ما في السموات وما في الارض وقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قال قلت نعم في
الكفارات والدرجات والمكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء
في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد قل اللهم اني
اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون
قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وفي اخر قال فعلمت
ما بين المشرق والمغرب مكان فعلمت ما بين السموات والارض وفي اخره قال اني نعست فاستثقلت
نوما فرايت ربي في احسن صورة قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد ورواه ايضا قتادة
على ابي قلابة فهذا تبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم مما جعل الله جل ذكره في قلبه من حكمته
وملأ منه صدره من نوره ونبوته وعلمه واما القران فعوض من الانباء عن اختصام الملأ الاعلى
عوضا من اختصاصهم اخر وهو ما وصل به قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون

اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين المعنى الى اخره فذكر الامر بالسجود اتماما
بادم عليه السلام وطاعة لامر الله جل ذكره ومسارعة الملائكة عليهم السلام الى امتثال
الامر وابى ابليس لعنه الله وكان ابليس يومئذ فى جملة الملائكة قبل المحنة بالامر بالسجود
لم يكن بعد ابلس ولا ابعد من ملكوت السموات ولا اهبط من العلو فكان ذلك اختصاما
من الملأ الاعلى عرض الى القران وهو اصل لما علم صلوات الله وسلامه عليه المعبر عنه بقوله
فعلمت ما بين المشرق والمغرب اعنى اباءه عن السجود ومحاجته واشتراطه لنفسه بعد الذى
الذى حاوبه وسجود الملائكة عليهم السلام وطاعتهم فى ذلك ومسارعتهم اليه وتعليم
ادم عليه السلام الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة الى قوله جل قوله الم اقل لكم انى اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اصل ومنبعث الى ما علمه اياه فى السموات
والارض **قوله** ص والقران ذى الذكر منتظم لانواع الذكر الذى فى القران كله وصحة
ما فى هذه السورة يدور علم ذلك فى الانباء على ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون
فان المراد به اثبات النبوة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه وبذلك صح ما جاء به وصحت
نبوته فافهم اتبع ذلك محاجة الغوى اللعين عن نفسه واشتراطه لها ما هلكها
به فاجابه العلى الكبير عز جلاله بقوله الحق والحق اى ان الذى يكون منك من الاغواء
والتزيين والجلب بالخيل منك والرجل ومشاركتك اياهم فى الاموال والاولاد دو
اضلالك اياهم انا قضيته وانا قدرته وانا امضى ما اشاء منه وقولك هذا انما قولكه
والحق قولته اى بانه كائن ما شئت منه والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
قوله عز وجل قل ما اسالكم عليه من اجر اى ما اسالكم على هذا الذكر من اجر وما انا من المتكلفين
كل مذكر لم يؤمر بالتذكير مذكر قوما زاهدين فى تذكيره اياهم فهو متكلف وقد
عمت الدعوة بل يجب على من عنده علم ان يعرضه ويرغب فى سماع التذكير فان وافق من القوم رغبة
فى ذلك فعل وعلى ذلك ليس بمتكلف ورسول الله صلى الله عليه وسلم مامور من الملك الاكبر لذلك
ان هو الا ذكر للعالمين كما قال ص والقران ذى الذكر ثم استصحب الذكر والتذكير الى اخره حتى ختمه
بقوله ولتعلمن نباه بعد حين نبا هذا الذكر منه ما يظهر له فى ايام الدنيا ومنه ما يكون
فى الاخرة اما ما كان منه فى دار الدنيا فظهور رسالته واعلاء كلمته واتمام دينه
الى غير ذلك مما وعده به وانجزه له فى الماضى وما يستقبل من ذلك وما يكون من ذلك فى الدار الاخرة فمعلوم

سورة الزمر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
كقول القائل هذا تنزيل الكتاب اى من عند الله ومن لدنه كما قال نزله روح
القدس من ربك بالحق فروح القدس صفة من الصفات ويمكن ان يكون قد اوجد بها
خلقا من عباده اقامه فى ملكوته مقاما شاءه فكما هو المؤمن اوجد الايمان والسلام
اوجد الاسلام كذلك اوجد عن كل اسم وصفة عرف بها موصوفا ومسمى ما واتى به
كلامه فهو منه وان كان المراد بالعبارة الكتاب فهو من عند الله قال الله جل ذكره ومن عنده
ام الكتاب وقرا ابن عبلة تنزيل الكتاب بفتح اللام من تنزيل وقد تقدم ان معنى تنزيل

تيسير وتقريب كما قال ولقد يسرنا القران للذكر اذ كلام الله جل ذكره
لا يحتمله شىء كما قال جل قوله لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا
من خشية الله كذلك لو انزل على ما هو عليه من العظمة والجلال لما احتملته الارض
والسموات لولا تنزيله اياه ورحمته فى ذلك **فصل** جاء ان قوما من المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انك قد سببت الهتنا وسفهت احلامنا
ونحن لا نصبر لك على ما انت عليه وانك لتدعوا الى شىء وانا لنخاف عليك من الهتنا
ان تخاطك وان نثنا لك منها بسوء فتعال فلنتوسط معك امرا بين امرين وهو ان نعبد نحن
الهك الذى تدعوا اليه وتعبد انت ما نعبد نحن فانزل الله جل ذكره قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون الى اخرها وتاسيس تنزيل هذه السورة على كسر مقالتهم وابطال مذهبهم
الى اخرها واتساق الخطاب منتظما بما تقدم فى سورة ص من ان خلق السموات والارض وما بينهما
بالحق وقد تقدم **قوله** تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين اعرض
جل وتعالى بشركهم وياءمره باخلاص العبادة لوجهه الكريم الا لله الدين الخالص كما قال وله الدين
واصبا افغير الله تتقون وهو ما فطر عليه السموات والارض وما بينهما من الموجودات دين وله
وله اسلم من فى السموات والارض وله قنت كل شىء وله يسبح كل موجود واياه حميد وصلى وعبد
عنانى الاسلام الحنيفية ذلك هو الدين القيم وجميع ما اوجد من موجودات الجملة هى الحقيقة
على الاخلاص المحض لا يتطرق ها هنا لك اثار من رياء ولا سمعة ولا رغبة فى منزلة
ولا شهوة ظاهرة ولا باطنة لذلك قال جل قوله الا لله الدين الخالص فامرنا عز جلاله ان نعبد
على ذلك دون كفر ولا شرك ولا نفاق ولا رياء ولا عجب ولا كبر اذ ذاك كله من حب الدنيا وتعظيم
قدر النفس وارادة الجاه عند الناس والحظوة عندهم والحرمة فيهم وذلك كله متولد عن حب
البقاء فى الدنيا ونسيان لقاء الله جل ذكره والنفاق هو ان يقول باللسان ما ليس فى القلب الاخلاص
والمداهنة من فعل النفاق وهى المخادعة قال الله عز وجل فى وصف ما دعوه اليه ودوا لو تدهن
فيدهنون وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك
خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا المعنى الى اخره والاعجاب النظر الى النفس
عند العمل واضافة ذلك اليها واستكباره منها ونسيان نعمة الله جل وعز عليه فيه بالتوفيق اليه والمعونة
عليه والتايد وربما اراد طلب المحمدة من الناس بما فعل وربما لم يفعل والشرك على الوجوه احدها
ان تجعل مع الله الها غيره فيعتقد معه شريكا فى ملكه وعطائه ومنعه وتدبيره واختراع ما اخترع
وخلق ما خلقه وذلك كفر المجوس والثنوية والجهمية وشرك اصحاب الاوثان ويضاهى ذلك غلط
القدرية والوجه الثانى هو الشرك فى العبادة كالرياء واضافة العمل الى النفس وادعاء الحول والقوة
ويكون ذلك فى اعتبار ذكر المنعم واهمال الشكر قال الله جل ذكره نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون واصل هذا فى امتثال قوله جل قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا والوجه الثالث الخفى شرك الخفى ويسمى الشهوة الخفية وهو ان يخفى العمل ويستره
ويخاف عليه من اظهاره وهو على ذلك يحب ان يذكر بانه يخفى عمله ويريد ان يسمع به وان لو اطلع عليه
وعثر على ما اسراه من ذلك ونحو هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فى امتى اخفى من دبيب

النمل على الصفاء في الليلة الظلماء. وللمنافقين علامات يستدل بها على ما هم عليه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من علامات النفاق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان
وفي اخرى واذا خاصم فجر وروي انه قال للمنافقين علامات فاعرفوهم بها تحيتهم لعنة وطعامهم
نهبة وغنيمتهم غلول لا ياتون المساجد الا هجرا ولا يشهدون الصلوة الا دبرا الا ما لقوت
بالليل بطالون بالنهار وقال عليه السلام خصلتان لا يجتمعان في منافق الفقه في الدين والورع في الله
والشحوب في الوجه والنور في القلب والمودة للمسلمين وقال الله عز وجل اذا رايتهم تعجبك
اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو **فصل**
واما الاخلاص فهو خاص لا يعطيه الله الا لاهل صفوته وبالتفقه فيه وتعرف معانيه وحدوده
واحكامه والجد في طلبه وباعمال القلوب بمقتضاه شغل الابرار عن التفقه في مسائل احكام
الدنيا ومن حده وحده صفاء النفوس من كدر البشرية ونفي الاسرار عن دنس النفوس واخلاص
القلوب قدر وحده والمحافظة عليها من ان يكون فيها غير الله بل يكون انقطاعها اليه وورودها
ومن علاماته خروج الخلق عن القلب في اثناء معاملته وقصده بالعمل لله جل وعز والنظر في
ثواب الله جل ذكره لا لجلب محمدة ولا كراهة مذمة واعلم رحمنا الله واياك انه انما سمي اخلاصا
لانها خلوص من الافات فما خلص من ان تمازج عمله رياء او سمعة او اعجاب او جلب محمدة او كراهة مذمة
خلص العمل فكان عامله مخلصا اخلصه الله لنفسه فكان بذلك مخلصا قال الله عز وجل انا اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واعلم وفقنا الله واياك انه فرض
ولا تقبل الا به ومن عري منه عمل بطل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لامرء ما نوى
وكما ان التوحيد يبطله ادنى الشرك كذلك الاخلاص يبطله ادنى الرياء قال الله جل ذكره انا اغنى الشركاء
عن الشرك من اشرك في عمله غيري فهو له كله ومن احسن العون على الاخلاص التقوى والمعرفة وطلب اليقين
ولزوم المراقبة والحياء من الله جل وعز ان يراك تتزين لغيره بعمل الهمك اليه وعلمك اياه وقوله
عليه دخلت فيه ذعت تطلب التقرب به اليه فاياك عدوه ابليس لعنه الله الذي عاداه فيك فاطعته
فيما يضرك ولا ينفعك فاذا انك قد خبت من الظفر بمرغوبك وخبرت حظك عنده فاستعن
على عبادتك بالكتمان والستر كما تستر سياتك فاستر حسناتك فكلما اخفى العامل عمله كان ذلك
زائدا في صدقه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عمل السر يزيد في عمل العلانية سبعين ضعفا
فكما ان الشجرة اذا ظهرت عروقها ضعف شربها واضر بها حرارة الهواء وبرده وتعرضت بذلك
للافات من قطع ونبش وغير ذلك ولم تحسن لذلك فروعها وجف ورقها فقل نفعها وهي
اذا غاصت عروقها واستترت عن اعين الناس غابت عن الافات وامنت القطع من ايدي الناس اليها
فكثر شربها وجرى ماؤها فيها وتزايدت لذلك فروعها واخضر ورقها وكثر خيرها وطاب
ثمرها لجانيها فكذلك العمل اذا كانت له الهوى في القلب مستورة عن الخلق فكان في نفسه وطهر من الاد ناس
وكثر خيره وطاب ثوابه لعامله واذا بالم يؤمن عليه من ابصار الناظرين واذا خفي المخلص عمله
لم يبق عليه ما يخاف منه غير سوى العجب ادخاله الرياء داغا ثبت عنه الا ان يمتحنه بقلبه ويحب اطلاع
الخلق عليه وهي الشهوة الخفية ومن قولهم من عرف الله بعد الضلالة وعرف الاخلاص بعد الرياء
وانزل الموت حق منزلته لم يغفل عن الموت والاستعداد له بما امكنه **قوله** تعالى لو اراد الله

الخبر

ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هذا كقوله جل قوله الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس ولو انه اصطفى مما يخلق لم يكن له ولدا بل كان يكون عبدا مصطفى مكرما
الولادة مباينة العبودية جملة قال الله جل ذكره في عيسى عليه السلام ان هو الا عبد انعمنا عليه
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون فاخبر صدق قيله
جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه انه لو يشاء لجعل منا ملائكة كما الحق عبده ورسوله عيسى
عليه السلام من درجة الاصطفاء الا انه احله فيه محلا يحيي الموتى باذنه ويخلق من الطين خلقا
وينفخ فيه فيحيى ذلك المنفوخ فيه باذن الله ويبرئ الاكمه وكذلك محل الانبياء والرسل عليهم
السلام يخرق لهم فيه مجاري العوائد ويظهر بقدرته على ايديهم المقدور الخائب كالملائكة عليهم جميعهم
السلام اذ من الملائكة من يميت باذن الله ومنهم من ينفخ الروح في نطف الارحام فيكون على ذلك
الحيوة باذن الله ومنهم من يخلق وينشئ وينمي باذن الله حتى انه ما من نماء ولا اضمحلال ولا حيوة
ولا موت ولا تقديم ولا تاخير ولا رفع ولا خفض الا ولله جل ذكره ملائكة موكلون بذلك كل في مصافه
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وتحقيق العلم بهذا ومشاهدته باليقين هو مشاهدة الملكوت
قال الله عز وجل يخبر عن الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وهو القائم جل ذكره على كل
نفس بما كسبت ابدا واحدا ما تناهى تاخرا وتقدم كل بامره وقدرته ومشيته وعونه وتمكينه **فصل**
كان معهودا كون الولد على وجهين فولد منسوب الى ابويه نبوة وولادة ودحاها فهذا ليس له في الوجود
العلي وجود ولا في الامكان تمكن ولا له في العقل مساغ بوجه من الوجوه وولد بمعنى التبني
والاتخاذ وقد كانت العرب وغيرها من الامم يتبنون ويتخذون كما قالت امراة فرعون يوم التقطت
موسى صلى الله عليه وسلم قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد تبنى زيد بن حارثة رحمة الله عليه واسامة ابنه فكانوا يدعونه ابن محمد و
رسول الله حتى انزل ذكره في ذلك ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم
في الدين ومواليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسامة انت اخونا ومولانا وكان المؤمنون
يقولون له حب رسول الله فلا يبعد ان يكون هذه العبارة جائزة في الكتب قبلنا ولما اضل
بهم الداء والحدوا بذلك عن سواء القصد الذي هو الاصطفاء الى النبوة والولادة اضلهم
الله واصمهم واعمى ابصارهم ولعنهم وسد السبيل عن العبارة عن ذلك وكشف معنى الاصطفاء
واظهر لفظ الولاية ونسخ ذلك بهذا ولبس يبلغ الاصطفاء الى الشركة في الالهية ولا يلتبس معنى
الولاية بالنبوة البتة سبحانه وله الحمد كلا انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وانى يكون له
صاحبة ولم يكن له كفوا احد وانى يكون له كفوا احد ولم يكن له ند ولا مثل ولا شبيه ليس كمثله شيء
في صفة ولا وجود ولا في الوهم لذلك ختم الاية بقوله الحق سبحانه هو الله الواحد القهار **قوله**
تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها المعنى الى اخره فذكر خلق النفس الواحدة وخلقه
منها زوجها خبر كاتم بنفسه واعلام بعلمه ودلالة دالة على انه الله الا اله الا الواحد واوجد الخلق الكثير
والجم الغفير ثم قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اتمام الكلام وتعجيب من قهره وعظيم قدرته
اتبع ذلك قوله جل وعز انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج زوجان من الضان اثنين الذكر
والانثى ومن المعز والبقر والابل في هذا اعلام بان كل زوج منها كان خلق الذكر منهما اولا ثم خلق

من الذكر زوجة تفرعت عنهما من ذلك ما شاءه من الكثرة كما كان خلق ادم عليه السلام اولا
ثم زوجه عنه ثم ذرية عنهما وفي ذلك ايضا ان هذه الانعام من الجنة واليها عودها وقد جاء
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا الا ان الخطاب جاء بذكر الامتنان وتعداد النعم وانزل
لكم في هذه الاية ويمكن ان يكون معنى الانزال زائدا الى ما تقدم ذكره تنزيلها من الحسن
الى التانس والتسخير لنا ثم قال عز من قائل يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق
بعد ايجادكم عن الوحدة في ظلمات ثلث ونظيرتها في سورة الشورى قال فيها يذرؤكم فيه
اى في البان الانعام ولحومها ثم تنزه عن الاشباه بقوله جل قوله ليس كمثله شئ وقال في هذه ذلكم
الله ربكم له الملك لا اله الا هو ومفهوم هذا الخطاب ليس الذي يدعونكم الى عبادته لا يملكون
بعيرا ثم قال وقوله الحق في ظلمات ثلث قالوا ظلمة البطن وظلمة المشيمة وظلمة الرحم واوجه
من هذا زائدا على الظلمة الا ولى كون الجنين اولا لا سمع له ولا بصر ولا تمييز قوله
تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم خاطبهم جل ذكره خطاب تجهم واستغناء عنهم ثم
قال ولا يرضى لعباده الكفر كيف يرضى لهم الكفر وقد سبق لهم قدم صدق عنده بقوله جل قوله
هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وان تشكروا يرضه لهم خطابا للمؤمنين منتظم
بما متصل به ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا يحمل احد وزر احد ولا يؤخذ
الا بعمله قوله عز وجل امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما قرئت بالتشديد
للميم من قوله امن وبالتخفيف فمن خفف قدر المحذوف مؤخرا ومن شدد قدره مقدما
والتقدير مقدرا على ما يكون جوابا لما كان سببا لنزول السورة ويمكن ان يكون
المعنى في قراءة التخفيف النداء كانه قال يا من هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر
الاخرة ويرجو رحمة ربه فيكون تقدير المحذوف وما يكون عبارة عنه قوله تعالى
قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة وارض الله واسعة
المعنى الى الاخرة هذا منتظم بمعنى ما تقدم من ذكر عرضهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يلهيهم
بعض المداهنة وتعلم عز وجل ان الصبر على لزوم الحق صعب كريه بين ظهراني اهل الفسوق
وكذلك الهجرة من ارض نشا فيها شديد جدا فوعد على الصبر على ذلك في الاخرة اسقاط
الحساب عنهم في النعم المنعم بها عليهم او ذنوب كانت منهم وانه يوفيهم اجرهم بغير حساب
لا يظلمون فتيلا ولا يظلمون منها قليلا ولا كثيرا اتبع ذلك ما هو في معنى ما تقدم
قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين الى قوله قل الله اعبد مخلصا له ديني
فاعبدوا ما شئتم من دونه قوله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته
وذكر والرجل في اهل بيته راع وهو مسؤل عنهم والرجل ان كان مصيره الى العذاب
واهله الى رحمة الله وثوابه فقد خسر نفسه واهله وان كانوا معه في العذاب طلبوه بما
صنع من حقهم من الارشاد الى مرضات ربهم والنصيحة فلعنوه لذلك ولعنهم
فذلك الخسران المبين وقد يكون اهلا لعينونهم اهله في منزلهم من الجنة الذي انزله
منزلا من النار واورثه غيره وكلا الوجهين خسران مبين نسال الله العفو الغفور

المعافاة

المعافاة والمغفرة اتبع ذلك قوله عز من قائل لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل لهم وما تحتهم ظلل لغيرهم ولاولئك ايضا ظلل منها وما تحتهم ظلل لمن
تحتهم كما ان الذين اتقوا ربهم في غرف بالاضافة الى من دونهم ولمن فوقهم غرف
في غرف ثم كذلك ما صعد بهم هم في غرف وما فوقها غرف لمن فوقهم مبنية كلها
تجري من تحتها الانهار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمائة درجة كل
درجة منها كما بين السماء والارض اعدهن الله للمجاهدين في سبيل الله قوله تعالى
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب هذه ثلثة امثال
مثل للعلم ومثل للعمل ومثل للدنيا في الاخرة وكثيرا ما يضرب الله تعالى الامثال للوحي
بالماء ينزل من السماء بواسطة الملائكة عليهم السلام وقد تقدم من ذلك ايماء يبعث
الحريص على تطلبها يقول الله تبارك وتعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء الاية كذلك
تنزيل الكتاب عما هو فيما هنالك كما قال عز من قائل وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
اى علي عن افهامكم تنزل الى ما هو عندكم كتابا يكتبونه ويقرؤنه فكذلك هو تنزيل
عما هو كلام الله جل ذكره لا ينبغي لمخلوق احتماله لولا تنزيله اياه الى ما هو تلاوة لكم
قرانا عربيا يتلونه قراءة ويعملون بمقتضاه فشبه جل ذكره انزال الماء من السماء بواسطة
الملائكة الموكلين بالرياح والسحاب وتقسيم الماء الى الارض ثم تفصيله من بري الى بحري والى
نبات على اختلاف وجماد وحيوان وانسان بحسب ذلك كله واتباع وجوده ولما في ذلك
من لطيف الصنع وعجائب القدرة المفصلة المتممة لعجائب الملكوت تنزيله كلامه العظيم فكتابه
الحكيم وانزاله اياه بروح القدس الى الروح الامين الى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
الى الناس ثم الى قلوب المؤمنين ثم الى السنتهم وجوارحهم بما يحكون عن ذلك من تلاوة وقراءة
واعمال وقوله فسلكه ينابيع في الارض هذا مثل للعلم معنى ذلك كله يسلكه في قلوب المؤمنين
ينابيع حكم على السنتهم وجوارحهم ويخلطه بلحومهم ودمائهم ثم يخرجه اعمالا بمقتضاه على
جوارحهم وكما ان من الزرع ما يهيج فيصفر قبل تمامه كذلك من العلم ما يبطل بالذهول والنسيان
قبل ايراده ولدعوى النفوس قد لا يتم فائدة ولا يكثر عائدته ومن العمل ما يبطل حال اخراجه
لفساد النيات وعدم تصحيح الارادات وقد يبطل بعد خروجه بالمن والاذى ووجود الدعوى
وكما ان من الزرع ما يتم ذريعته وتكمل ثمرته ثم يهيج فيصير حطاما فكذلك من العلم والعمل
بالكتاب ما يكمل ويتم فوائده فان تحطمت الاجسام بالبلاء الى ان تبعث وذريعته وفوائده
بزرع ويغرس بعد تحطيم الجسم الذي كان عنه الى يوم البعث وهو ايضا مثل ضربه للدنيا
مع الاخرة فناء الدنيا وتحطيمها بعد انباعها وايجادها ثم تاتي الاخرة بما فيها كما يجيء
الحول الاخر بعد بما فيه قوله عز وجل الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
المعنى الى الاخر يقول الله جل قوله وهو اعلم بما ينزل الله نزل احسن الحديث من الكتاب المبين
نزله تنزيلا حديثا احسن حديث واصدقه واحكمه كتابا يعني القران متشابها يعني معانيه
بمعاني الكتاب المبين وقد تقدم في المثل المتصل بهذا تشابه القران بالكتاب المبين مثاني يعني معانيه

على معنى ذلك والمتشابه المتشاكل بتقاربت اشكاله فاشكل على من رام التمييز بينه وبين
ما يشابهه مثال ذلك الشجر المتميز الاصول المتداخل الفروع فان كان الشجر متباين الاجناس
كشجر الاعناب والزيتون والنخيل قرب التمييز من الفروع واذا كانت الشجر من جنس واحد
عسر التمييز بين الفروع والاغصان وان تميزت الاصول لتداخل الاغصان واشتباكها
وكذلك معاني القران بمعاني موجودات الكتاب المبين الا لاولي الالباب وكذلك القران ينقسم
في نفسه الى محكم ومتشابه فمحكمه كاصول الشجر في تمييز بعضه من بعض وهو الاقرب الى ام
الكتاب قال الله جل من قائل الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت ففي هذا ان التفصيل
محكم ومتشابه فمحكمه ذكر الالهية والوحدانية والاسماء والصفات وما عبر عن ذلك
ومتشابهه ما يفصل عن ذلك الى ما انفصل منه كالماء انزل منزلة ماء واحد الى الارض
ثم فصله بعد الى ما فصله اليه فبعد وجوده عن حقيقة الماء وبصف باوصاف
هي غير الماء فما نفصل اليه محكم القران فهو بمنزلة فنان الشجر الملتف المتداخل
الافنان عسر تمييز كل فن من صاحبه الذي يجاوره صعب معرفة رده الى اصله
وعز المسلك الى تصحيح كل فرع الى جرمه فمن احب فليرجع الى اصل الشجرة ثم ليستجب
النظر في استقرا نسب كل فن من اصله الى طرفه الملتف مع سواه يقول الله جل
من قائل في الوجود وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا
منه خضرا الى قوله وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها اي مشتبكا
او غير متشابه يفترق وهو علم بما ينزل وهو على اشتباكه غير متشابه انظروا الى ثمره
اذا اثمر وينعه اي حسن ثمره وطعمه وحسن بلونه وحال تدريج شجره وحضرته وورده
زهره ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون هو ما تقدم ذكره بعضه وايات على ان الذي
انزل منه هذا الماء اصل ومنبعث لحياة ما هنا الى سوى هذا مما هذا دلائل عليه واياته
فافهم وقد تصرف قوله الحق انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه اي اذا اشتبهت عليكم الاشياء
عند اشتباك الافنان رجعتم الى تمييزها بثمرها فعرفتم بذلك من اين منبعث الغصن لكذ
كذلك فافعلوا عند اشتباه المعاني في التنزيل اقصدوا لحل المتشابه بحكم اصله تدركون
المطلوب يقول الله جل من قائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين وبرهان
في بعض الخطاب عند بعض وصف الصفات والثواب والعقاب عن قياس المحكم الى بعض المعهود
عند المخاطبين فحكمه بالغة له في ذلك فنونهم لذلك ظاهر الخطاب خلافا لما تقدم
في المحكم او نقصا في بادي الراي فيقشعر لذلك جلودهم ويفزع له قلوبهم فاذا رجعوا الى المحكم
وتميزوه من اصله ميزوه من سواه لانت جلودهم واطمانت الى ذكر الله قلوبهم بما ينبغي ان
يذكر به انما يكون ذلك بهداية الله جل ذكره الى السبيل المرتضى وبعصمة من لدنه عن الهوى
الردي ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فما له من هاد ويجوز ان يعتقد
بما تقدم ذكره في قوله كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الى المواعظ والقصص والاحكام سمي متشابها بعضها
لبعض ومن المعهود ان المواعظ والنذارات والبشارات اذا تكررت على القلوب تمكنت

فيها

فيها فاقشعرت جلودهم وقلوبهم من خشية الله لمواعظه وزواجره ثم تلين لبشاراته
ومواعده بجزيل ثوابه وكريم ماياتيه ذلك قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
انتظم معنى هذا بمعنى ما تقدم من قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة الى قوله ذلك يخوف الله به عباده افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
ثم حذف ما قد دل عليه ذكره في قوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الى قوله
لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار يقول جل من قائل افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو في الغرفات من الامنين في النعيم المقيم او
يكون الكلام معبرا عن هذا بمعنى قوله وهو اعلم يتقي بوجهه سوء العذاب هو كما قال
جل قوله يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر وقد قيل والله اعلم ان الشقي نعوذ
بالله العظيم من شر مصيره تقرن ناصيته من وراء الى رجليه ويسحب في النار على نكبه قوله
تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون وبالامثال تفهم المعاني
الغائبة وتتذكر العالم باشباهها اشار بهذا الخطاب وهو اعلم الى ما تقدم ذكره من الامثال
ثم ما ياتي بعد هذا قوله جل قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اي مختلفون
يضاد بعضهم بعضا في ارائهم وارادتهم منه وفيه ورجلا سلما لرجل بمعنى سالما
وسلما وسالما يعبر بذلك عن التوحيد والاشراك يقول هل يستوي حال هذا العبد المشترك
فيه والعبد الموحد لسيد واحد ثم حمد نفسه جل جلاله لما امتن به على عباده المؤمنين من
التوحيد والاسلام له وحده بقوله الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي قدر النعمة في ذلك والروح
والراحة من حال الاختلاف والتضاد من ارائه وهمم وما يكون عن ذلك من فساد الحال
والمال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون
هذا الخطاب منتظم معناه من هذه الجهة بمعنى النقض لما اراده ومن اتباعهم على امرهم
وروي الزبير بن العوام رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية او
هو فقال يا رسول الله اتجدد بيننا الخصومة بعد ما كان بيننا في الدنيا قال له نعم فقال الزبير
ان الامر اذا لشديد قوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق
اذ جاءه الكاذب على الله عز وجل هو المتقول عليه ما لم يقله معنى ولا نصا والدعوات
اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو المتنبي والمدعي الكذاب وكذب بالحق لما جاءه مثل قولهم
وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير
الاولين والمكذب بالصدق اذ جاءه هو الذي يرى برهان الحق من قبل المعهود
المتعاقل جريانه او من حيل خرق العوائد فيكذب ويعرض عنه والمكذب بالصدق اذ
جاءه ايضا سلبه كتاب الله وسنة رسوله فلا يحفل به ولا يرفع به راسا اتبع ذلك
قوله والذي جاء بالصدق وصدق به هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المصدق
اولا به ثم المؤمنون هم المصدقون المبلغ اليهم وهم المتقون يجزيهم الله باحسن اعمالهم
وارفعها درجة واخلصها سرا واحصرها ذكرا انتظم هذا الكلام بما جاوره قبله
قوله انك ميت فانهم ميتون ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون بعزته بذلك.

ويقترب الامر وان خصومتهم هناك عند مرسله ومنزل الكتاب عليه ثم حذف
ذكر الجزاء حتى عرض به فيما بعده بقوله جل قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب
بالصدق اذ جاءه وفي ضمن هذا وعيد عليهم شديد فكما لا اظلم هؤلاء كذلك
لا عذاب اعذب بهم ولا اهانة كاهانة يلحقهم فكما ان هذا هكذا فكذلك لا جزاء
بخير كجزاء يصير اليه المتقون والذي جاء بالصدق وهم الرسل صلوات الله وسلامه
عليهم والذين صدقوا به وهم اتباع الرسل وعلى هذا فان الذين جاءوا من بعدهم لم يروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحدثهم انما كان محبهم في فترات الرسل افضل ايمانا واعظم
قدرا والله ذو الفضل العظيم جعلنا الله الرحيم برحمته منهم وفيهم انه ولي ذلك والقادر
عليه لا اله الا هو قوله تعالى اليس الله بكاف عبده وقرئ عباده على الجمع ويخوفونك
بالذين من دونه هذا منتظم بما تقدم ذكره من دعائهم اياه لمتابعة بعض الهتهم وتوهم
انما نخاف ان يخبلك الهتنا وان تنالك بسوء كما قال قوم هود عليه السلام ان نقول الا اعتراك
بعض الهتنا بسوء تشابهت قلوبهم يقول الله جل من قائل في مقابلة قولهم ذلك اليس الله
بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن اضله الله عز وجل عن التوحيد لله جل ذكره
وبنسبة الكائنات اجمع اليه فما له من هاد ومن يهد الله الى التوحيد له والتوكل عليه
وتفويض الامور كلها اليه فما له من مضل كذلك لا يخطئه الا ما لم يرد الله ان يصيبه
ولا يصيبه الا ما لم يرد الله ان يخطئه ثم قال اليس الله بعزيز ذي انتقام اذا كان الكفار
يعتقدون بالهتهم ويضيفون الانتقام ممن خالفها اليها فالله عز وجل العزيز ذو
الانتقام على الحقيقة ومن سواه عبيد له لا يملكون نفعا ولا دفعا اتبع ذلك قوله ولئن
سالتهم من خلق السموت والارض ليقولن الله ليعترفن لله عز من قائل هم يعتقدون وهذا
ومع ذلك يضيفون العزة والانتقام اليها وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئا فانى
يؤفكون عن هذه الحقيقة الى الباطل المبين يقول الله عز وجل افرايتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
هل يغالبنه على امره فيغلبنه ام هو الغالب ولما تبين الحق من الضلال صرف جل وتعالى
الخطاب مقبلا بالحجة البالغة امرا لعبده بلزوم التوحيد المحض والتفويض اليه والتوكل
عليه بقوله جل قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وفي هذه الاية سبيل صالح الى معرفة
حقيقة التوكل والكشف عن حقيقة العلم به جعلنا الله برحمته منهم وفيهم انه ولي ذلك
والقادر عليه ثم اتبع ذلك قوله مثبتا لرسوله عليه السلام على المنهاج القويم انا انزلنا عليك
الكتاب بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل اي
برقيب راصد نظم هذا بما قبله حاثا سبق عليه تنزيل السورة من قولهم الفاسد ومذهبهم
الخبيث قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها التوفي عند
الموت ما يبديه الله جل وعز لها من علامات الاخرة وما توجه حينئذ من بشارة بخير او شر
ويوفيه جل ذكره اياها في منامها هو ما يريها من الرؤيا ومعالم الغيوب قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة

لذلك وهو اعلم قال ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فانتظام هذه الاية بمعنى
ما تقدم هو بما فيها من معنى الانباء المذكور في التوفي وتلك اية على وجود النبوة وهي
ايضا اية على احياء الله الموتى حال موتهم كما النوم اية على موت الاحياء حال حياتهم
وان التوفي هنا هو في حين الموت نعم بذلك اية على البعث بعد الموت وانما ذكر
لانكارهم نبوته ورسالته عليه السلام قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء
هذا والله اعلم جواب الاستفهام في قوله اليس الله بكاف عبده ام اتخذوا من دون الله
شفعاء يعني عبادتهم اياهم واضافتهم العزة والانتقام اليها فقال عز من قائل قل
يا محمد لهم اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون وهذا محذوف دل على المحذوف
تقديره اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون يتبعونهم ويدينون لهم ويعبدونهم
من دون الله العزيز الحق رب السموات والارض وما بينهما رب كل شيء وملائكته
ينتظرون نصرتهم وشفاعتهم وهم لا يقدرون ولا يعقلون لذلك وهو اعلم
بما نزل اعقب ذلك بقوله الحق قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون
قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة يعني
وهو اعلم بعضب ويقرب واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وهذا منتظم
بمعنى ما تقدم من تدينهم لالهتهم مع انهم لا يملكون شيئا ولا يعقلون وهذا من
الحب بين من ينفع ولا يضر ومن يضر ولا ينفع ثم قال والذين امنوا اشد
حبا لله ذلك بانهم يجدون عنده من امالهم ما لم يسالوه اياه كما قال واتاكم من كل
ما سالتموه ثم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وجاء من معه هذه الاية التي
في سورة البقرة وما عرض به في هذه الاية ان كل مؤمن لا يحب الله فليس بمؤمن ولا
اقل من الايثار والحب عند ذكر الله وذكر ما سواه واعلى الايمان الحب الغالب على القلب
ثم الحب الخارج عن صدق القلب الى ظاهر الجوارح اتبع ذلك قوله الحق اعظاما لربوبيته
وتشنيعا لمن شان قل اللهم فاطر السموات والارض اي انك فطرتهم على معرفتك وتوحيد
نفسك واقروا بربوبيتك واشهدتهم على ذلك عالم الغيب والشهادة شاهد بواطنهم
وظواهرهم وعلمت غيبتهم انت تحكم منهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فكانوا في
دار الدنيا بعد اجتماعهم عندك على ما اجمعوا عليه واتفاقهم على الحق اتبع ذلك
ما هو في معناه قوله الحق ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به
من سوء العذاب يوم القيمة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون خبر جل ذكره عن سوء مصيرهم
وقطيع مالهم يوم يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا في الدنيا يختلفون وقد كانوا في الدنيا
يحسبون ان الهتهم يشفع لهم وينصرهم فبدا لهم من الله يومئذ ما لم يكونوا يحتسبون اي من الله
تعالى بانه لم يجعل لهم شفعاء ولا اولياء من دونه فجاءهم ظنهم الذي اداهم بالهتهم وبربهم
الحق الذي ذكرهم بانبيائه ورسله وكتبه فاستهزؤا بها فحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من
نذارتهم اياهم ان يصيبهم الله به في الدنيا والاخرة حاق كلمة ماخوذة من حق وفيها معنى
الاحاطة فعرفها بين هذين قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا الاية هذا

منتظم بما تقدم ذكره من التعريض بمعنى الفطرة فصرح هنا بما عرض به قبل من ذلك
وقد تقدم هذا في صدر سورة هود وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وارى
ذلك والله اعلم المعني به الكافر وهذا في المنافق العليم لحق الله جل من قائل قد قالها الذين
من قبلهم يعني قوله انما اوتيته على علم اي بحول مني وقوة وعلم بمجاري الامور ومظان الرزق العقيم
ونحو هذا فنسب الله جل ذكره في مثل اجزاء قولهم وفعلهم بين الاولين منهم والاخرين بقوله فاصابهم
سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اتبع ذلك
ما هو في معنى قوله او لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا من حول لاحد في ذلك
ولا قوة ولا علم ينفع في ذلك ولا تحرير وهذا من خطاب المتبصر والمعتقد فيه خالق الكسب
والكيس والعجز والحول والقوة ومقدر ما شاء وموصل من ذلك الى ما شاء ما قد سبق
في علمه السابق لا زيادة فيه ولا نقصانا منه **قوله** تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من
الكافرين للمكان الارتداد عن الاسلام نحو ما دعوا المؤمنين اليه خاطب بهذا قوما من المشركين
قبل انهم كانوا قد اسلموا فرجعوا الى مكة فقتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وفعلوا وفعلوا
فكاتبهم اخوانهم من المدينة يسترجعونهم الى الله تعالى فقالوا لو علمنا ان لما عملنا توبة لتبنا
فانزل الله جل ذكره فارسل بها اليهم اخوانهم فاسلموا وهاجروا وهاجروا الى المدينة سبحانه
وله الحمد ما احلم ما ارحمه يدعو المولين عنه كرما ويقبل المقبلين اليه تفضلا لا اله الا هو الحليم
الكريم واذا كان الشرك والكفر والتكذيب لرسله وكتبه ونسبة الصاحبة والولد والافتراء
العظيم عليه يمحوه الاسلام ويهدمه فالتوبة من الذنوب اذا وان كثرت مع استصحاب الاسلام
واعتقاد الايمان الى الموافاة اولى بذلك واحرى وقال الله الحليم الكريم في الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة وان يد الله مغلولة وان عزيرا ابن الله وان المسيح ابن الله تعالى عما يقولون
علوا كبيرا افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم فليحذر الحذر من القنوط
وليعقد عليه بل الرجاء للقاء الله والرجاء في عفوه وكريم صفحه فالله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشأنه يقول يا ابن آدم انك ان لقيتني بمثل تراب الارض خطيئة لقيتك بترابها مغفرة
والعفو الغفور من اسمائه والكرم والرحمة من صفاته وصفات العبيد تضمحل وتتلاشى عند حقائق
صفات الله جل ذكره ومن البيان البين في ذلك اتصافه جل ذكره باسماء الرحمة وحسن التجاوز
والتوبة على من تاب وانه اسرع الى العبد من العبد اليه ومن الدليل على صدق ما ذكرناه مع ما يعضده
من الدلائل ان العبد لا يتوب الا ان يتوب الله عليه فاذا رأيناه قد انابه الى الله وتاب اليه رجونا
ان الله قد تاب الله عليه ولم يبق عليه الا خوف الخاتمة فان مات على ذلك علمنا ان الله جل ذكره
قد سبق الى نفسه بذلك منه فهو الغالب على امره والذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم كذلك لو اسمعهم عنه وتاب عليهم لتولوا عنه
وهم معرضون **فصل** والتوبة العدل عما نهى الله عنه الى ما امر به ثم لا يتم ذلك الا بالندم
على ما فرط منه ثم العكوف على ما وصفا وكمال ذلك الاقبال على الحق والادبار عن الخلق ثم
الكف والرجاء والخشية من الحق والتبري من الحول والقوة ثم الالتجاء ثم لا تصح التوبة الا بما نوع

من ترك

من ترك التوبة باسقاط رؤية التوبة ثم بعد هذه المنزلة في التوبة مراقبة الخطرات في الاوقات
والوقوف على الطاعات بالاذكار ولزوم باب الغيب بالهم والافكار وان يشغل كل بكل
الكل عن الكل ولا يتم ذلك الا بصدق الانابة في البداية والنهاية وهو الرجوع الى الله جل ذكره
في كل خطرة وطرفة ويجعل الرجوع منه اليه حذرا من غيره اليه رغبا ومن كل تعلق به
سوى الاشتغال به رهبا ولا يتم ذلك الا بالزهد وحقيقة الزهد ترك الفضول لينقطع بذلك الا
على الله وكف النفس عن هواها وترك الراحة طلبا للراحة عنده ثم الزهد في الجاه واحد قوت
النفس للضرورة وبالجملة فالزهد ترك الدار بما فيها واقبال النفس على باريها والخير كله
موضوع في الزهد وذلك على ثلاثة اركان ترك العلائق وسياسة البدن بالتصبر للحقائق
والانقطاع عن الخلائق فاما رفض تلك العلائق ففيه سقوط الهم فيما سبيله المعاش واما
سياسة البدن ففيها سقوط الشهوة واما الانقطاع عن الخلق ففيه وجود الانس
بالله عز وجل ولا يتم الزهد الا بالورع وهو الوقوف عند الشبهات والتنزه عما لا يعني من
المباحات والتخلي من الشهوات وعليه ان يحفظ قلبه عند التاويل وان يرد كل خطرة الى التنزيل
وان يعمل نفسه بسلامة الصدر مع معرفة المقدور وان استطاع ان لا يجيل قلبه الا في تفكر
في الملكوت وفيما خلق الله من شيء وفي آية من كتاب ربه عز جلاله وفي ذكر الموت وان لعله
قد قرب الاجل مع ان السفر طويل والامر جد والورود مع حال الغفلة وقلة الزاد
فهو طريق الاستقامة والسبيل القاصدة الى محل الفوز ومنال السعادة وليدع
ما يريبه الى ما لا يريبه واذا تضايقت الامور فاشتبهت عليه الاشياء فليستفت قلبه ولينظر
ما حاك في صدره وعند هجوم الواردات فعليه بالتوقف حتى يقع التفتيش عن الشبهة
وليتفقد في قليل ذلك كله وكثيره عن مثاقيل الذر في الظاهر والباطن والخوف
يزيد في قدر الورع وكذلك المعرفة بآيات الله تعالى يقول الله جل قوله فاذكروا آلاء الله
لعلكم تفلحون وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله جل من قائل اذا ما
افترضته عليك تكن من اعبد الناس وانته عما نهيتك عنه تكن من اورع الناس واقنع بما
رزقتك تكن من اغنى الناس واشد الورع ورع اللسان فانه لا ورع كالكف وكان يقال
افضل الطاعة الورع وافضل الورع الكف واصل التقى محاسبة النفس واصل محاسبة
النفس الخوف واصل الخوف الرجاء والرجاء معرفة الوعد والوعيد وذكر عظيم الثواب
واليم العقاب واصل ذلك كله الفكر والعبر ولا يتم الورع الا بالصدق والمؤمن مفتقر
الى صفة الصدق وتفسير الصدق الوفاء لله تعالى في مبدأ احواله ونهاياتها وفي جميع احواله
ظاهرها وباطنها وان المؤمن قد يطبع على البخل وعلى الجبن وعلى كثير من الاخلاق النازلة
عن الحق ولا يطبع على الكذب فمن طبع على الكذب في اقواله وافعاله لم يكن مؤمنا فعلى كل
طالب الصدق في سيره الى ربه ان يبذل المجهود على النهاية في بلوغ الغاية ويلزم الوفاء وان
يطالب النفس بالصدق في جميع احواله واقواله واعماله وتفتيشها بالعلم مخافة تزيين العدو
وتلبيسه فقد حذر الله من ذلك بقوله جل قوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء والصدق في الاعمال ان يكون موافقة الاقوال والصدق في الاحوال

ان يكون موافقة للاحوال لله العزيز الجبار جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وايضا فان
الصدق صدق القلب ثم صدق اللسان ثم صدق العمل فاما صدق القلب فهو النية
في كل ما يريده ويقصده لا يريد به سوى الله تعالى واما صدق اللسان فهو ان لا يطلقه اذا
قام له شاهد من كتاب الله او سنة او اجماع الامة فان وجد ذلك والا امسكه وان اطلقه على
على غير ذلك كان وهنا في دينه واما صدق العمل فهو الهجوم على ما عزم عليه من العمل
بالحرص ولا انكماش خشية ان يقطعه عنه قاطعه ومنبعث الصدق ومخرجه من المعرفة
بان الله يسمعه ويراه وحينئذ يشاهد ثوابه وعقابه ويبدوا له معاده فان لا يعرف
قدرها الا كان بها جاهلا ذكره وهذه المعرفة هي اصل لسائر الاعمال وعلى قدر الصدق
يزداد العبد من اعمال البر يقول الله جل وعز فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم والفرض الدائم
هو الصدق بالتوبة ومن لم يؤد الفرض الدائم لم يقبل الفرض المؤقت ومدار الحكمة
على ثلثة اشياء على الصدق وهو باللسان والتصديق وهو بالقلب والتحقيق وهو بالجوارح
واذا وقر الصدق في القلب بمعرفة قرب الرب انطبع لذلك نوره لاجل حرمة المراقبة فانتشر
في جسده واخذت منه كل جارحة بقسطها ومن صفات الورع الصبر فلا يتم اذا الا
والصبر تحمل الالام عند نزول الاحكام وترك الشكوى والسكون وكتمان الضر والتجرع
المرارات وارفع الصبر واعلاه رؤية المرادات بعين الحلاوات وهذا مقام النعيم والفرق
بين الصبر والتصبر هو ان يصعد الصابر الى مقام الرضى فيحمل على الطلبة ويكتمها ويجد
الحلاوة والمتصبر همته تمحيص الخطايا وتكفير السيئات والصبر على ثلثة منازل الصبر في
الله والصبر لله والصبر مع الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا احد اصبر على اذى يسمعه
من الله انهم يكفرون به ويجعلون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم وقد قالوا
الصابر لله وفي الله لا يجزع ولا يوجد منه شكوى والمصطبر هو الذي يصبر لله على المكاره
فمرة يصبر وتارة يعجز والصابر من لا يشكو ولا يعجز والصبار هو الذي لو وقع عليه جميع
البلاء والمحن لم يتغير من جهة الحقيقة وان تغير من حيث الرسم والخلقة والبشرية و
الصبور هو الثابت على هذه المقامات ولا يتم الصبر الا بالشكر والحمد والحمد اصل الشكر والحمد له
معنيان احدهما الشكر والثاني الثناء على المحمود بما هو اهله وصلاح الدنيا والدين بالشكر
والادب فالشكر هو ما بينك وبين الله تعالى والادب هو ما بينك وبين الخلق والشكر هو ان تعلم
ان النعمة لله جل وعز ولا نعمة على الخلق من اهل السموات والارض الا وبدايتها من الله جل
ذكره حتى يكون الشاكر لله سبحانه عن نفسك وعن غيرك بمعرفة نعم الله عليك وعلى غيرك
ثم تعمل جوارحك في ابتغاء مرضاة المشكور بالخوف في ذلك والوجل من مقت الله ان يكون
بعملك لم تخلص لله من ذلك العمل شيء كما يجب لله من عبده وشكر الشكر هو علمك بان الله
تعالى هو الموفق لك للعمل بمرضاته والمعين لك في قلبك وجوارحك وحده لا شريك له وهذا
الشكر واجب على كل شاكر ولا نهاية لهذا الشكر لانه لا منتهى للمعرفة ولكن غاية جهد الاستطاعة
وسبيله السلوك عليه تعظيم صغير نعم المنعم مع تقليل كثير الشكر ولا يكلف الله نفسا
الا ما اتاها والشاكرون على ثلث طبقات فمنهم من يشكر الله رغبة في ثوابه ومنهم من يشكره

رهبة من عقابه ومنهم من يشكره تلذذا بالثناء عليه ومن علامات الشكر توقع
المزيد وحقيقة الشكر الاعتراف عن العجز بالشكر وقد قيل ان كل عمل لله فهو
اداء لشكر نعمه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا للمؤمن ان امره كله خير ان
اصابه ما يحب حمد الله فكان له خيرا وان اصابه ما يكره حمد الله فكان له خيرا وليس
امر كله خير الا المؤمن ولا يتم ما تقدم ذكره من المقامات الا بالرضى وان لم يعتمد
الصابر على الرضى ولم يبلغ الرضى صبره او شك ان يسخط اذ منبعث الصبر على
معرفة قدر الجزاء من ثواب يرتجيه او صرف عقاب يخشاه وصبره هو بالله واذا لم يعتمد
صبره من هذه المقامات على الرضى ذل صاحبه وخالطه الجزع وعلامة الرضى سرور
القلب بمر القضاء واستواء المحبوب عنده بالمكروه لانهما طريقان الى الله فنحمد الله على هذا
ونحمده على هذا وارفع ما كان عن موافقة الله جل ذكره في تقريره الاول قبل نزول
الحكم بالتدبير ومن اداب الرضى ان لا يريد لله ولا يريد حتى يريد الله عز وجل واعلى الرضى
ترك المعارضة والعمل في الموافقة ويقع العلم للعبد بان الله عنه راض اذ وفقه لما يحب
ويرضى وعصمه من كل ما يسخط ويكرهه فيعلم حينئذ انه ان وافى به اجله فهو عنه راض
واصل الرضى العلم بالله والمعرفة ومخرجه من حسن الظن بالله تعالى فاذا علمت النفوس وايقنت
القلوب بما تشهد به العلوم ان الله تعالى اجرى بمشيته ما هو خير لعباده المؤمنين من اختياره ومحبته
ايقنت القلوب حينئذ ان العدل الواحد ليس كمثله شيء وخرست الالسن عن الاعتراض
على من قد علمت انه عدل في قضائه غير منهم في حكمه ومن فوقهم ولم يرض عن الله في
المنع لم يسلم من المعصية في العطاء وعلامة رضى الله عن العبد رضى العبد عن الله جل
جلاله فاذا رضى الله بعبده عبدا رضي العبد به ربا ولا يتم الرضى الا بالمحبة وقد تقدم
الكلام فيها في غير هذا الموضع وعلامة اذا احب الله العبد حببه اليه نفسه فاحبه العبد فعلامة
حبه ان يحبك اياه وعلامة محبة العبد الله عز وجل التزام الموافقة له واتباع سنة رسوله
صلى الله عليه وسلم ودوام الاستهتار بذكره وحلاوة المناجاة له ويتصل الرضى بالمحبة
ومقام المحبة يداخل مقام الرضى لقرب المقامين بعضهما من بعض واذا حصل الصدق
في المقامين جاء منهما مباعدة الشهوات ومجانبة اللذات والقيام بخدمة من له الدنيا والاخرة
وهؤلاء هم بنوا اللذات حقا عيشهم سليم وعناهم في قلوبهم مقيم كانهم نظروا بابصارهم
الى حجب الغيوب فقطعوا الله كل مرادهم ومحبوب فكان الله جل جلاله هو المنى والمطلوب ليست
تلحقهم فترة في نية ولا وهن في عزم ولا ضعف عن حزم ولا تاويل في رخصة ولا ميل
الى داعي غره فهذا هو المراد بوصف المحبة فاعلم ذلك ومن سلك هذه السبيل فقد اتبع
احسن ما انزل اليه من ربه واناب الى ربه واسلم له وخشيه بالغيب وخاف عذابه ورجا
موعوده ومن الله المنان علينا بذلك انه ولي حميد وهو المعاد عليه لا اله غيره ولا امر
سواه اتبع ذلك قوله جل من قائل يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين
هذا في مقابلة قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية يقول
الله سارعوا بالتوبة ولا تقلع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالقنوط فتقنطون

الى يتعاظمه ذنب غفره لمن اناب اليه فانى انا الغفور الرحيم ثم قال عز من قائل حكاية
عن العبد لو ان الله هدانى لكنت من المتقين هذا فى مقابلة قوله لهم وانيبوا الى ربكم واسلموا
له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فيقولون فيما هنالك حين يلومون انفسهم
ويلعنونها ويلعنهم ويجعلون اخر دعواهم لو ان الله هدانا لكنا من المتقين ثم قال جل
وعز او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين هذا فى مقابلة قوله فى
دعائه اياهم واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة
وانتم لا تشعرون قوله تعالى وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم هذا منتظم بما قبله
من ذكر الذين كذبوا على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين
مفازة كل عبد كما هنالك على المقدار الذى يسره الله فى هذه الدار من العمل بطاعته
ومجانبة ما يسخط والعلم به ورفعه بما له ونوره لعينه فكل يومئذ مقاره على الصراط على
قدر مقاره اليوم من علو المناهج يحقق الله جل من قائل فى وصف بعضهم ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها قوله عز وجل له مقاليد السموات
والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون المقاليد المفاتيح واحدها اقليد
له مفاتيح خزائن السموات والارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله ليس بينها
وبين الله حجاب وقال وقد سمع رجلا يقول ربنا ولك الحمد حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه عجب
فتحت لها ابواب السماء وفى اخرى لقد رايت بضعة وثلثين ملكا يبتدرونها ايهم يكتبها اول
وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال هى لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر
الله لا قوة الا بالله الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء
قدير قوله تعالى قل افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون انتظم هذا بما تقدم ذكره
من دعائهم اياه الى ما يعبدونه او سامهم على بعض امورهم ويبايعونه قوله تعالى
وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
ما قدروه معناه ما عرفوه حق معرفته ما عظموه كما يجب له وما اجلوه اذ وصفوه بما
يستحيل ان يوصف به ويشركون معه سواه سبحانه وتعالى عما يشركون لما لم يصفوه بما ينبغى
لعظمته ويحق لجلاله وصف نفسه وقوله الحق ووصفه الصدق والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فاضاف السموات والارض جميعا الى اليد الاخرى فكلتا
يديه يمين مباركة وقد يعبر عن القبضة بانها الملك ومعرفة العباد بعجز عن كيفية ذلك
سبحانه وتعالى عما يصفون **فصل** قال الله جل من قائل يوم نطوى السماء كطى
السجل للكتاب والكتب على الافراد والجمع كما بدانا اول خلق نعيده فاخبر بذكر الاعادة ان
البداية كانت قبل ذلك وانه تعالى يوم يبداهن حملهن فى يمينه المباركة وكذلك الارضون
فى اليد الاخرى فكلتا يديه يمين مباركة كما اعلمنا به فى بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان الله لما خلق ادم عليه السلام مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته وفيهم [illegible]
بيده الاخرى فكلتا يديه يمين مباركة الحديث والحديث من ذلك من رواية الى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين
وعرشه على الماء فاخذ اهل اليمين بيمينه واهل الشمال بيده الاخرى وكلتا يدى الرحمن يمين
مباركة الحديث وذكر اخذ الميثاق وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق
الله ادم صلى الله عليه وسلم ونفخ فيه من روحه عطس فاذن له بحمده فقال له يرحمك ربك ثم قال
له يا ادم اذهب الى اولئك الملا من الملائكة الجلوس فقل السلام عليكم فذهب يسلم عليهم
فقالوا السلام عليكم فذهب يسلم عليهم فقالوا السلام عليك ورحمة الله وبركاته ارجع
الى ربك فقال الله عز وجل هذه تحيتك وتحية ذريتك ثم قال له بيديه وهما مقبوضتان خذ ايهما
شئت فقال اخذت يمين ربى وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فاذا فيها ادم وذريته كلهم
الحديث وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان ذلك قوله تعالى والله اعلم بما نزل الست بربكم قالوا بلى فابطن
ميثاق النبوة والرسالة وقال فى سورة ال عمران لتؤمنن به ولتنصرنه قال ااقررتم
واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فذكر
هنا عهد النبوة وحمل اصر ما تجىء به الرسالة وابطن عهد الربوبية مقام التحمل بين هذين
وثبت التزام الميثاق والعهد فى السموات والارض لما ابين من تحمل الاصر واشفقن من مكانة
الدعوى فى جنب الحق ان اصار السموات الى يمينه والارضين الى يده الاخرى لطهارتهن وقدرتها
اليه يومئذ على ما فطرها عليه لانه يسر عليهن الامر وكفاهن مؤنة الاصر وسخرهن لمنافع العباد
فاتته طائعة ولما كان الانسان متحملا للعهود متضمنا الوفاء بمكانة الاصر لم يرده الى يمينه
بل اصاره الى الصور كما تقدم ذكره فى غير هذا الموضع **فصل** ان الله جل جلاله لم يزل قبل ان يخلق
خلقه لم يزل عالما بهم بصيرا سميعا لهم فكانوا عدما من حيث هم وان كان لهم وجود من حيث هو
ومنشيهم اذ شاء فلما اوجدهم للميثاق واخذ العهد عليهم واشهدهم انفسهم كان لهم وجود
من حيث هم ثم لما اعدمهم واصارهم فى خزائن السموات والارض ذواتا وارزاقا اتبع ذلك
كانوا غيبا عن انفسهم ووجودا ما فى مستقرهم من الخزائن فى غيب السموات والارض ثم لما اوجدهم
الان ظهروا بذلك لانفسهم وظهر بعضهم لبعض وكمل فى ذلك وجودهم المطابق للمراد بهم
ومنهم وعلى قدر هذه الدار من الدار الاخرة مرهم اذا اماتهم كانوا غيبا فى حق من لم يلحق
بهم الموت وكان لهم وجود لانفسهم وظهور لها ولمن لحق بهم وفيهم ووصف الله تبارك
وتعالى ما غاب عنا انه قد صار اليه قال الله عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل الذى هو الليل
ثم قال عز من قائل ثم جعلنا الشمس عليه دليلا لو كان الليل ساكنا لكان المعهود والمعمول لا يوقف
له غير حال البقاء الا بدليل يدل عليه وانه يعرف به فاستاق ذكر اطلاع الشمس لانه على الليل
ان لو كان الليل ساكنا لم يكن كما فرضه عوض بذلك الى الاعلام بفوائد الدلالات ومنافع التقضى
ولما اطلع الشمس مد الظل مدا اخر يليق جل من قائل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا فاخبر
جل ذكره بصدق حديثه ان المعدوم ليس بمعدوم على الحقيقة بل يصير اليه كذلك اخبر
عن الملائكة انهم عنده وعن الشهداء انهم عنده ويقال فى المومنين انهم صاروا الى
ربهم واذا مات احدنا قالوا صار الى الله وما فعل ذلك حتى لقى الله ويقال فى الكفار

انهم افضوا الى ما قدموا وقال الله جل من قائل في العموم انا الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم
فقوله جل ذكره والسموات مطويات بيمينه والارض جميعا اى الارضون كلها قبضته يوم
القيمة يعنى والله اعلم بما ينزل ان ذلك حال كونهن معدومات وقد بدلت الارض غير
الارض والسموات وقوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب اى نطويها على ما قد جعل فيها
يوم خلقها من امر كل سماء الذى اوحى فيهن يوم سواهن سبع سموات والسماء اى بعد تحتوى
على سواها منهن فقوله للكتب توجيه للامر المذكور وقوله للكتب يتوجه الى الطوى لكل ما
في التى فوقها حتى يحتوى عليهن اى بعد كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا
فاعلين ثم قال عز من قائل ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى
الصالحون ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيرها الله خبزة كالنقى يعنى الدرمك
كالنقى يعنى الشحم يتكفاؤها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة
وعلى ذلك فالسموات مطويات بيمينه والارضون كلهن قبضته وقد صير الله موضع السموات
غيرها كما جعل اخبر جل ثناؤه ما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وكذلك ما يكون
من ايجاد بجميع المخلوقات حال امساكه اياها ولا اعلام الا هو عنده في كتاب ان ذلك على الله يسير
فافهم ان الله واسع عليم **قوله** تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله الصور جمع صورة وقد يعبر عنه بالقرن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب القرن
قد التقم القرن فنضا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وربما كان خاصة معناه قرن ولد ادم الله
اعلم كيف هو والله يصور الاجسام اى بمثلها والصعق الموت والصعق الغشية المستثنى بقوله
الا من شاء الله هم الانبياء والرسل والشهداء والله اعلم **قوله** تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا يعنى افواجا ويجوز ان يكون زمرا والمعنى واحد قوله في هؤلاء حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
وقال في اهل الجنة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قالوا والله اعلم انهم اذا جاؤها طهروا و
هذبوا وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها فجعل غاية محبتهم ان يطهروا ويهذبوا اولا ثم
عطف على ذلك بالواو وعلى استفتاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها اذ ادعا
ما تقدم فقال وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها نبه الله على ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حديثه المشهور ويجوز ان يكون العطف بالواو في هذه من خاصة ما اعطيه
عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر ان الناس يستشفعون به
الى ربهم في فتح ابواب الجنة قال فاقعقع الباب فيقول لى خازنها من انت فاقول محمد فيقول
بك امرت لا افتح لاحد قبلك فيكون العطف ولا على المحو والتطهير ويكون ايضا على استفتاح
الباب وفتحه هذا في الرعيل الاول على جميعهم السلام جعلنا الله منهم وفيهم في الدنيا
وفي الاخرة وفيما بين ذلك ويكون العطف في حق غيرهم تقديره حتى اذا جاؤها
وقد فتحت ابوابها تعرض بذلك الى كرامة رسوله عليه السلام **قوله** وترى الملائكة
حافين من حول العرش الملائكة تحف بالعرش ولا يستطيع الطواف به كما يطوف
بالبيت المعمور ويطوف الخلق بالبيت وقوله وترى الملائكة اى يومئذ ترى الملائكة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حول العرش من الجنة اى داره عليه السلام اعلى دار هي

في الجنة ويمكن ان يكون ذلك مرئيا لاهل الجنة كلهم والعرش اعم عموما واحوى حيطة
بالجنة من السماء بدار الدنيا وقد اشتركوا في رؤية السماء والله اعلم **قوله** تعالى وقضى
بينهم بالحق اى بالعدل وبالفصل على ما اخبر به القران وجاء به الوحى وقيل الحمد لله رب العالمين
حمد الجميع وهو المحمود على كل حال كما قال عز من قائل الحمد لله الذى له ما في السموات
وما في الارض وله الحمد في الاخرة حكم حمد وعدله حمد وفضله حمد له الحمد في الاولى والاخرة
وله الحكم المحكوم له العدل والحق حامد لا محالة والمحكوم عليه بذلك ايضا حامد وان لبس عليه غير ذلك

سورة المؤمن مكية

قوله غافر الذنب وقابل التوب من اسماء الرحمة الرحمن الرحيم شديد العقاب ذى الطول
الغنى والسعة واسم الحى يجمعها وقوله حم يجمع ذلك كله بما يتصل اليه **قوله** تعالى ما يجادل
في ايات الله الا الذين كفروا وقد قال تعالى والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له فالجدال
في الله تكذيبهم باسمائه وصفاته كقوله ائذا ضللنا في الارض انا لفى خلق جديد وكذلك
تكذيبهم بانه يسمع سرهم ونجواهم وقول بعضهم انه لا يعلم المعلومات على التفصيل وانما هو
مريدها ولا منشيها ولا يقدر عليها على التفصيل وتفصيلها التفصيل وجدالهم في ايات
الله هو ردهم على الرسل والكتب والحادهم بايات الوجود في المخلوقات التى انها عن توكيدات
واسباب زعموا انها عن اسباب ووسائط يتوسط عن موجودات الى غير ذلك من ضلالهم
ونسيانهم ذكر الله والاءه وكذلك صرفوا ما اظهره الله جل ثناؤه على ايدى الرسل و
الاولياء من معجزات وكرامات خرقها بذلك العادات جعل ذلك لهم ايات على صدقهم
واقامها مقام قوله صدق فيما انا ارسلتهم الى المعلوم والمعهود في جرى العادات وان ذلك
زعموه عن وسائط باطنة واسباب غير ظاهرة للعيان كما قال اولئك فيها انه سحر والمعنى
بذكر الجدال هنا هو ردهم ما يصلح الله جل ذكره وما بلغتهم الرسل من كتب وحكمة وامر ونهى
وكل ذلك اياته ودلائله على وحدانيته واثبات رسالاته وصدق كتبه وفرقانه بين حلاله
وحرامه **قوله** تعالى وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار عطف بالواو
في قوله وكذلك حقت على ما تقدم ذكره من وصف الجزاء العاجل الذى اصاب قوم نوح والاحزاب
من بعده بقوله الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب وكان عطف الجزاء الاجل على الجزاء العاجل
ويكون العطف على ما سبق لهم من قوله هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فلما كفروا
وكذبوا وجادلوا في الله وفي اياته نبه على ذلك التقدير في القدم في قوله وكذلك اى كما وجدت
اعمالهم عنهم كان تقديرها لنا اولا **قوله** تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يعنى الملائكة
معنى هذا منتظم بمعنى قوله حم وذكر التنزيل وبخاصة ذكر الرحمة الرحمانية الخاصة بالمؤمنين
من اسم الرحيم ثم بمعنى العموم الى قوله اليه المصير نظم الخطابين معا بما فيهما من ذكر
العلاء والعظمة ثم بما يتصل عن الملقى الى حملة العرش صلوات الله وسلامه على جميعهم **قوله**
جل قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
انتظم هذا بما تقدم من شفاعة حملة العرش ومن حولهم على جميعهم السلام للمؤمنين ودعائهم
الله لهم وبما تقدم ذلك من ذكر المجادلين في ايات الله والمكذبين فيما اصابهم في العاجل بذكرهم

بما يصيبهم في الاجل فقال ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اذ تدعون الى الايمان فيكفرون وذلك انه يسلط عليهم الندم على ما قدموه في العاجل
من تفريطهم في الاستجابة وما تعوضوا من ذلك من كفر وتكذيب ومجادلة وجراءة على
الرسل والنصحاء لله تعالى فيهم فيسلط عليهم لبعض لانفسهم والتعن فيلعن
بعضهم بعضا ويبغض بعضا ويكفر بعضهم ببعض مع ملازمة العذاب وحريق
النيران فيبلغ ذلك منهم مالا يحتملونه فينادون عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اتبع ذلك قوله عز وجل من قائل حكاية عنهم قالوا
ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل كانوا
من تكذيبهم الاحياء بعد الموت اقروا يومئذ بحياتين وموتتين احدى الحياتين هذه
الحيوة الدنيا ثم الحيوة الاخرة التي تصيبهم فيها جزاء ما كذبوا به والموتة الاولى هي التي قبل
هذه الحيوة الدنيا والثانية الموتة التي بعد هذه الحيوة وقبل الحيوة الاخرة قال الله
عز وجل كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم اتبع ذلك ما هو
جواب لقولهم قوله الحق ذلكم اي من خلودكم فيها وعدم اخراجكم منها بانه اذا دعي الله وحده كفرتم
وان يشرك به تؤمنوا ومفهوم ذلك ان خلودهم فيها وعدم اخراجهم لاجل مقت الله ذكره
اياهم فابعدهم عن جواره واياسهم عن رحمته ومقته لهم لاجل محبتهم سواه حتى الههم
ابعض فهم اذا دعي الله وحده كفروا به لذلك وان يشرك به يؤمنوا اي بالشرك كما قال
عز من قائل واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون فهذه عداوة منهم لربهم ورازقهم الكالي لهم بالليل
والنهار فعاداهم الله لذلك ومقتهم ولعنهم في الدنيا وابعدهم في الاخرة الا تسمع اعظم
جل ذكره ذلك حيث يقول اثر ذلك قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم قال ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به
المعنى الى اخره فاعقب هذه السورة بقوله فالحكم لله العلي الكبير فحكمه فيهم ابعادهم وتخليده
لذلك يدخلهم النار لاجل ذنوبهم وخلودهم فيها لاجل كفرهم بالله وايثار سواه بالحب والاخرة
عليه نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا والاخرة اتبع ذلك مما هو بيانه قوله هو الذي
يريكم اياته اي يبين لكم سبل الهداية الى الصراط المستقيم وينزل لكم من السماء رزقا يتحبب اليكم
وانتم تبغضونه ويرشدكم اليه باياته ويدعوكم بما انزل اليكم من كتاب وارسل اليكم من رسله
وانتم عنه تحجبون فصل لم يتضمن الله التذكيرا الا لمن ينيب ولمن يخشى واياته انواره
وشواهده الدالة عليه الشاهدة له ونيراته المعلمة به وفي انزاله الماء من السماء بالتذكير بالرياح
اللواقح في الهواء وانزاله الماء الى الارض واخراجه به من كل النبات ومن كل الثمرات يخلق من ذلك جميع
الانعام سعى بذلك بنو ادم فيكونون عنه كذلك النشور وكذلك الخروج غير ان هذه بحكم
الله وتلك الكلية هذا في مقابلة اقرارهم هناك بالحياتين والموتتين لتضييعهم الايمان
بذلك فيما ههنا نظم بذلك قوله عز من قائل فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون
يقوي لاجته المؤمنين اعملوا بما دلكم عليه العلم من عنده واعلمكم به الكتاب والرسل يغبطهم

بولايته اياهم ويفردهم بذلك منهم دون البغضاء الكافرين اتبع ذلك ما هو وصف
حق له جل جلاله رفيع الدرجات يمكن ان يكون هذا منتظما بذكر تعظيمه في صدر السورة ثم
بما اتصف به من وصف ومعنى وعلى القول بالاجمال فانه منتظم بما هو القران العظيم
حيث جاء منه فاعلم ذلك يقينا فانتظام الكلام موجود جاير مع وجود القطع في وصف
موصوف واحد وان عدم الاتباع لا يمنع من انتظامه تداخل الكلام والمعاني لا سيما وكلاهما
في القران من معنى فهو منفصل عنه وقد تقدم ذكر هذا ومعنى قوله رفيع الدرجات انه رافع
درجات التي تعالى عباده اليها من درجات العلوم ومقامات المعرفة به واحوال المعاملات ويمكن
مع ذلك ان يكون معناه رفيع درجات اهل الوصف العلى والاسماء الحسنى وله المكانة والمرتبة
التي ليس مثله فيها سواه ولا ينبغي لوجود من موجود المرتقي اليها سبحانه وله الحمد والعرش يفهم معنى
الرفعة اذ هو ارفع الموجودات واعلى المراتب كل شيء دون العرش رتبة ومكانة اية ذلك فيما
ههنا ثبوته في الارض لما نسبها اليه رفعها قال الله عز وجل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر
فيها اسمه يسبح له بالغدو والاصال رجال فامر بترفيع المساجد حيث كانت لاختصاصها بذكره
والامكنة للمخلوقات والعرش للخالق العلي سبحانه وتعالى مكانه ومستوى له وفرق بين المكانة والمكان
والتمكن والاستواء فبين ذلك لاولي الالباب فرقان بين من اعلاه فضاء الامر والقاء
الروح والامر وعنه ينفصل التدبير والتفصيل كله وهو العرش المحيط بالمخلوقات علوا
وسفلا احاطة كريمة نزيهة عن اوصاف المحدثات انزه منه لخصوصيته به وحرم يحرم بها
من اجل نسبته اليه اية ذلك حرم فيما ههنا في المكان وفي الزمان وحرمة في الانعام كالبيت الحرام
وما حوله والمدينة وما حولها والاربعة الاشهر من السنة وجميع محارمه كذلك العرش حرم وحرمة
انتسب اليه واتصف به او بمعناه وسمي باسمه كل على قدر منزلته منه او يوصف من اوصافه
والعرش سماء كل شيء ولكل سماء عرش واية ووجوده فيما خلقه من حيث هو على العرش
بما هو بقوله جل من قائل امنتم من في السماء وقال وهو معكم اينما كنتم على ما وصف
نفسه بانه معنا وانه ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا فليس وجوده الا على العرش والعرش
على وصفه وصفاته وهو رب العرش الكريم والعرش العظيم هو المشتمل على ذلك دل على ذلك قوله
وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا الحديث اخبار
عن وجوده على عرش سماء الدنيا وهو لا يزال موجودا على العرش والعرش العظيم المشتمل على
اوصاف ذلك كله وصفاته وعلاه ودنوه وقربه اتبع ذلك ما هو من صفاته وفعله وصفة
العرش قوله يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق لانه يلتقي فيه اهل السموات
والارض والاولون والاخرون وفيه يلقى العباد ربهم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه هذا
كله خطابا لعباده المؤمنين يعدهم ويمنيهم ويغبطهم بايمانهم وبلقائهم اياه بارزون اي
ظاهرون في صعيد واحد لا يرى فيه عوج ولا امت يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
لا يخفى على الله منهم شيء هذا وصف لذلك فانه لم يخف عليه قط في الارض شيء سولكانا و
بل هو لم يخف عليه منهم شيء حال عدمهم وقبل ايجادهم وانما هو وصف خاص لليوم والامر الجامع

لهم وللارض التي برزوا عليها اتبع ذلك ما هو في معناه قوله لمن الملك اليوم قيل انه يقول
ذلك جل جلاله وتعالى جده بين النفختين وقد انحصر اسم البقاء ومعناه كله الى الباقي الحي
لا اله الا هو فيجيب نفسه لله الواحد القهار وانما هذا وصف للوحدانية يومئذ والبقاء و
لتعظيم الامر والا فان الملك لم يكن قط موجودا في الدنيا والاخرة ومن بعد الا له وهو وصف
لذلك اليوم باسا وشدة وعدم استطاعة وكسف وسعه وقد كان قبل ذلك منهم
في هذه ومنعهم يقول الله عز وجل في وصف ذلك اليوم وما ادراك ما يوم الدين
ثم ما ادراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ولا تكلم نفس
الا باذنه لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا اتبع ذلك ما هو في معناه قوله
عز قوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم والجزاء العاجل لم يكن عنه في الدنيا
تغافل ليس بموصوف باهمال لكنه لما كان من الجزاء العاجل على بعض شيئا ما هو ظلم
في القلب واستدراج كان منتظرا به الجزاء الاجل المختص بالاستيفاء الحقوق والحظوظ
بالقسط وكذلك فلم يظلم قبل ولم يتبع لوصف الظلم ان يصعد اليه على شانه لكنه
زاده على ما تقدم من حكمه في الدنيا انه لا يحمل احدا ان لا يجعل احدا في ذلك اليوم ولا في ذلك
اليوم الذي لاحد اختيارا ولا هو بموطن اختبار وامتحان انما هو موطن الجزاء الظاهر
منه والحكم الفصل حقا وعدلا ولا مبدل لكلماته قوله عز وجل وانذرهم يوم
الازفة ازف الشيء اذا قرب وبناء هذه الكلمة على بناء اسم الفاعل من ازف فهو ازف
هذا اسم القيمة اليوم من دار الدنيا وكان في اجتلاب هذا الاسم فيما ههنا موعظة وذكر و
وتهديد بقربها واما يومئذ فاسم الواقعة والقيمة والطامة وغير ذلك من الاسماء
اولى بها وربما سميت يومئذ بالازفة استصحابا له قوله عز وجل اذ القلوب لدى
الحناجر كاظمين تصعد القلوب لشدة الهلع والجزع الى الحناجر وتبقى مواضع الافئدة هواء
اي فراغا منها كاظمين كظم الرجل غيظه اذا كف وكظم البعير جرته اذا تجرعها فهم تجرعوا
قلوبهم يومئذ ليزول من حناجرهم وتابى ان يستقر قرارها نسال الله الامن من الامر يوم
الفزع ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع امره او يسعف في شفاعة الحميم هو الشفيق المحب
قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور خائنة الاعين مسارقتها النظر الى ما لا يحل
لها تعمدا ويعلم ما تخفي الصدور وهو ما ينبعث عنه النظرة ويعلم الخطرة ويعلم ما قبل الخطرة
قال تعالى يعلم السر واخفى وهو ما وقر في القلب وقدح في الصدر ويعلم ذلك قبل ان يقدح
من خزائن الغيب في لوح العقل في هذا خطابا انتظم بما تقدم من وصف الالهية غافر الذنب وقابل
التوب شديد العقاب ذي الطول الى قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح الى قوله يعلم
خائنة الاعين وانتظم معنا المراد منه بجميع ما تقدم من ذكر الجزاء واحاطة علمه بذلك
وقدرته وعدله وحكمه فلذلك اتبعه قوله والله يقضي بالحق كما انتظم معناه بذكر
الهتهم وانها لا تنفع ولا تضر لذلك وصل به قوله الحق والذين يدعون من دونه لا يقضون
بشيء ان الله هو السميع البصير ذكر معنى السميع والبصير في مقابلة وصف الهتهم اذ هي لا تسمع

ولا تبصر

ولا تبصر ولا تغني شيئا نظم بذلك قوله او لم يسيروا في الارض فينظروا والمانع
من التعريض بذكر الجزاء العاجل والاجل بفصل ذلك من صدر السورة قوله غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح الى قوله فاخذتهم فكيف كان
عقاب ثم كذلك الى ما ههنا قوله تعالى وقال رجل مؤمن من ال فرعون يكتم ايمانه
اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم الى اخر المعنى هذا الرجل
رضي الله عنا وعنه كان من فرعون في النسب ظاهرهم على مراد فرعون فكان مؤمن الباطن
يكتم ايمانه من فرعون واشياعه فوصفه الله جل ذكره بالايمان لعمارته باطنه ونسبه الى فرعون
اذ كان المراد به الاعلام والتعريف ممن هو وال فرعون ههنا هم اهل نسبه وقبيلته وظهر
لنا ايمانه من قوله ونصيحته في الله لقومه كما ظهر لنا من ذلك علمه بربه ومعرفته بحكمته
في حكمه وعدله والظاهر من شانه انه كان مسموعا منه ممكنا فيهم قوله تعالى فيما حكاه
عن هذا الرجل المؤمن رضي الله عنا وعنه يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن
ينصرنا من باس الله ان جاءنا انظروا الى علمه وحكمته حيث قال لهم اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله الى قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم اي في الدنيا لانها لا تسع كل ما كان يعدهم من العذاب وقد وقعوا في العذاب الوسطى
الى عذاب اكبر من عذاب الدنيا ويوم القيمة يدخلون اشد من العذابين عذاب الدنيا وعذاب
البرزخ علم رضي الله عنا وعنه ان امر الا بد من الله وارسل اليهم رسولا فكذبوه ان العذاب
واقع بهم فانذرهم به في قوله يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس
الله ان جاءنا فاجاب فرعون جواب متحير بقوله ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد
هذا جواب من لم يجد دليلا على مذهبه ولا برهانا على معتقده ففزع بمحض الدعوى واللجاج في
الغي وروى ابو بردة ان معاذ بن جبل قرا على المنبر وما اهديكم الا سبيل الرشاد بتشديد الشين
ثم استمر رضي الله عنا وعنه من ذكر الجزاء العاجل على ذكر الجزاء الاجل بقوله ويا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله
من عاصم وقرا ابن عباس رضي الله عنه يوم التناد بتشديد الدال يريد المراد من ند البعير
اذا هرب وعلى هذه القراءة جاء خط المصحف فجاءت قراءة من قرا بالمد من الزوائد
ولم يغير الخط ثم قال رضي الله عنه ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به
المعنى الى قوله مسرف مرتاب ويمكن ان يكون هذا من قول الله جل ذكره كذلك يضل الله اعلمنا الله
جل جلاله على ان هذا المؤمن رضي الله عنا وعنه برسالة يوسف عليه السلام وبانه قد جاء بالبينات و
المعجزات وكان يوسف في الرسل قبله وموسى صلوات الله وسلامه على جميعهم فقد جاء بالصدق
وصدق هذا المؤمن به وكان من المتقين الصديقين **فصل** ووجه هذا ان المؤمن المعلن
ان ينطوي على فعل الحق واعتقاده والتصديق به متى كان على ذلك خفيا ووجد سبيلا الى الاظهار
والتبليغ بلغ واظهر ما عنده من الحق ولو على وجه النصيحة وادخال الراي وان راياهم
بانه منهم وعلى مذهبهم سترا وتقصا ... ان يكون له في الارض مهاجر وموضع يخرج
وفيه يهرب اليها قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم كبر

مقتا عند الله وعند الذين آمنوا هذا المجادل في آيات الله المنبئة عن وجود الله الحي
وأسمائه وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل لديه والآيات المبينة للرسالة ومعالمها لذلك
قال وهو أعلم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا الغلهم بما مقتوهم على جدالهم فيها
وأبغضوهم لبغضهم لله ورسوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقرئ بالتنو
في قلب وعلى هاتين القراءتين فالمعنى بها الطبع على كل قلب المجادل فلا يبقى فيه الهداية حظا
ولا للذكرى نصيبا وقرأ ابن مسعود وكذلك نطبع على كل قلب متكبر جبار ووصف هنا
الكلية على المتكبر وفي الأولى على القلوب **قوله** عز وجل وقال فرعون يا هامان ابن لي
صرحا لعلي أبلغ الأسباب أي قوله أسباب السموات من قول الله جل ذكره وصله بقوله فرعون
تهزيا به وإظهارا لعدم تمييزه وتنبيها لأولي العلم على الوقوف على عجزه **فصل** أسباب
السموات هي ما بين السموات وبين ما هو دونه كدوائر الأمر بين السماء الدنيا وبين هذه الأرض
قيل لها ذلك لأن كائنات ما في الأرض هي كائنة عنها كما يكون المسبب عن السبب وتلك الأرض
كان عن أمارة ملك ما فوقها وذلك السبب الذي علا كل سبب ومسبب قيامه على السبب الأدنى إليه
كقيامه على السبب الذي هذا السبب كائن عنه بإذن الله وهو أيضا مسبب هو فوقه هكذا إلا
أن يصعد الأمر إلى العلي الأعلى تبارك وتعالى وهو القائم على كل سبب ومسبب قيامه على السبب الأدنى
إليه الذي سببه سواه سواء وهو القائم على كل نفس بما كسبت وإليه يرجع الأمر كله فاعبده
وحده وتوكل عليه تجده وإنما قطع بالمبطلين عن الوصول إلى مسبب الأسباب العلي الكبير القنوع
بالسبب ولا عتماد على ما شابهه وما كان فيه منه شبه ما ولو من وصف من وصافه نحو
الحجارة وعبدوها ونحو الخشب وسجدوا لها وساعوا صقع الأرض ودانوا لها ولو أنهم ائتموا
بإمام المتقين وقائد المعتبرين إبراهيم صلوات الله عليه في صحيح اعتباره وسلكوا واضح منهاجه
لعلوا بهممهم وصعدوا من الصغير إلى الكبير ومن ذلك الكبير إلى ما هو أكبر منه ولأدى تعلقهم
بإيمانهم إلى الرفيع الدرجات العلي الأعلى رب العرش العظيم قال الله عز وجل أم لهم ملك السموات
والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب ولما تصور فرعون بكاذب ظنه أن له ملك الجزء الذي
حل فيه من الأرض هم بأن يكمن سواه أنه يقدر على الرقي إلى أسباب السموات وأنه إن رقي اطلع
إلى إله موسى جل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه فأعجب لجهله وجهل أتباعه هو مصرح بقوله يا أيها
الملأ ما علمت لكم من إله غيري وفي هذا إقرار منه بأنه لا يعرف لمن ملك ما فوقه الذي هو سببه لملكه
وحياته وأنفاسه ومنبع نفسه وهوائه وأرضه ووجوده كله ووجود كل من يملك عليه
ويعول على ذلك أو قد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني
لأظنه من الكاذبين يريد كل ما جاء بالوحي والرسالة من جميع المرسلين صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين وإلى لا أرى أن مثل هذا الجهل لا يبلغه من هو على مثل تماسكه وإن كان ظلام
الضلالة قد أجنه وغياهب الكفر والفتن قد غشيته بل هو الجحد للحق والاستكبار عنه قال الله
عز وجل واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وقال وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات
والأرض بصائر وصل بذلك قوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ذلك

اشارة

اشارة إلى مذكور هو تجاهله وجحده الحق الذي أرسل به الرسول ولا يكون التزيين
والمجادلة في آيات الله إلا بعد أسبابا يلحق عليه لقوله **قوله** تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا
وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا الآية فوض المؤمن أمره
إلى الله جل وتعالى ونصح في ذاته وبين عن الرسل مراده ووقاه الله سيئات ما مكروا وكان
فيمن نجاه الله وحاق بآل فرعون سوء العذاب آل فرعون أتباعه لما غرقهم وأهلكهم
حاق بهم عذاب النار الوسطى دار البرزخ يعرضون على النار غدوا وعشيا ثم قال ويوم القيامة
أدخلوا آل فرعون أشد العذاب يعني أشد من عذاب الدنيا وعذاب البرزخ ثم ذكر كيف
تحاجون في النار وذكر قول ضعفائهم ومستكبريهم ثم ذكر طلب أهل النار الشفاعة من خزنة
جهنم شكوى الجوع إلى الغضبان والرحيم وذكر جواب الخزنة لهم أولم تك تأتيكم رسلكم
بالبينات قالوا بلى وكيف لجأ بوهم باليأس بقولهم صلوات الله وسلامه على جميعهم فادعوا
وما دعاء الكافرين إلا في ضلال كما قال والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا
من رحمتي **قوله** تعالى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ضمان النصر هو
للمرسلين وأتباعهم ما داموا معهم كما قال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ثم
الأتباع إن أحسنوا الاقتداء بالرسل فضمان العصمة باق عليهم كما قال وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فإن هم بدلوا بعد رسولهم وغيروا فلا ضمان لهم بنجاته
وهم على ذلك في مشية الله إن شاء عذبهم وإن شاء تداركهم بفضله وأما يوم الأشهاد
فلا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وضمان النصرة يومئذ مضمون
للمؤمنين على الكافرين لا انقسام يومئذ لكافر مع مؤمن ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا يعني يومئذ **قوله** تعالى ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
نصب يوم على التعظيم لشأنه والأشهاد الحفظة والنبيون والمرسلون والشهداء والبقو
من الأمم والمؤمنون وهذه الآية تنظم بذلك قوله جل ثناؤه فاصبر إن وعد الله حق
أي حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد واستغفر لذنبك هذا وهو جل ذكره يأمر رسوله
الطاهر المطهر بالاستغفار من ذنبه فكيف سواه وهو لا يعمل كبيرة ولا يصر على صغيرة مع
عظيم ذكره وعلى مشاهدته في إيمانه وكريم توجهه إليه وسبح بحمد ربك بالعشي صلوة العصر
والإبكار صلوة الفجر وهما الوسطى وإن يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقال الله
جل من قائل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا إنما كد شهوده جل جلاله وتعالى علاؤه
وشأنه لينزل إلى السماء الدنيا ولا يزال يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه
من يقرض غير عديم ولا ظلوم إلى أن ينفتل القاري من صلوة الفجر **قوله** تعالى إن الذين
يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه الكبر
المعنى ههنا والله أعلم جدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق وإرادتهم في ذلك أن يطفئوا نور
الله بجدالهم وكلامهم كما قال عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم كقولهم لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونحو هذا ومعنى قوله ما هم ببالغيه قوله ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون واتبع ذلك قوله عز وجل فاستعذ بالله إنه هو السميع

البصير امره ان يستعيذ بالله من صفة الكبر فهو اصل الخطايا ومنبعث المقت من الله
لعبده سميع لمقالك ونعوذ به منه ذلك بصير بعملك واعمالهم وموضع الاستعاذة
من هذا المعنى في القران العزيز هو في المعوذتين نظم بذلك قوله الحق لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس وهو من جدال القران دلهم على النظر في خلق السموات والارض وما بينهما
ويستدلوا بعظيم ذلك على عظمة خالقهما هذا هو المراد على العموم واخص من هذا هذا
الخطاب اذ ينظر الى كبر خلق السموات والارض وصغر خلق الانسان فانما هو شعبة يسيرة من خلقتهما
ثم نفضي بمعلوم ذلك ان الذي خلق ذلك كله قادر على ان يخلق الانسان عودا بعد بدئه اياه
هذا مما لا خفاء به فسبحانه وله الحمد ماذا يحتوي عليه الضلال من ضروب المحال وفي خلقة
السموات والارض وما بينهما الاجال المضروبة من اختلاف الليل والنهار والشهور والاعوام
لطلوع الافلاك مواضعها ثم رجوعها عودا بعد بدئها وكذلك في كون الانسان نطفة ثم مهينة
ثم علقة ثم مضغة ثم لحما ثم عظاما ثم وليدا جاهلا ثم صبيا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا
معتدا وفي هذا كله الامال والاجال المضروبة وربما قطع به قبل النهاية وربما رد الى ارذل
العمر راجعا الى اوليته من الضعف وعدم العلم والميز هذه كلها ايات مبينات على الاعادة
بعد البداية وعلى انقضاء يوم الدنيا وابتداء يوم الاخرة ولكن اكثر الناس لا يعلمون نظم
بذلك قوله وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم والمومن والكافر كذلك لا يستوي
المؤمن المصلح والكافر المسيء قليلا ما يتذكرون لو يذكروا لابصروا انهم حكم بحكم الحق
الذي هو من بعض ما خلق الله السموات والارض عليه بقوله ان الساعة آتية لا ريب فيها ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون **فوجهه** تبارك وتعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم الدعاء قد يكون
بمعنى الاستجابة وقد يكون الاستجابة بمعنى الدعاء فقوله والله اعلم بما يريد ادعوني معناه
اعبدوني والاستجابة من العباد لربهم هي العبادة له والطاعة لذلك ختم الاية بقوله ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين كما قال عز من قائل في غير
هذا الموضع واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي فجعل استجابة العباد له الايمان والعمل بطاعته والا فما كانت تكون استجابتهم له
ولما صار معنى الاستجابة الى قضاء الحوائج والغيث والنصر ونحو هذا والى العمل بما يرضيه
والايمان به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سائل الله من ثلث اما ان يعجل له واما ان تؤجل
له هذه طلبته وسوله ثم قال واما ان يدخر له مكان الدعاء والسؤال بنفعه علا ولم يكن ما
سبق في قضيته الاشتغال بذلك المسؤل دعوه وخباه له عنده فهو على كل وجه مستجيب مجيب لنداء
الذين استجابوا له بالايمان ومن اسمائه المجيب لذلك لم يخيب امل المومن والحمد لله رب العالمين
قال الله عز وجل له دعوة الحق اي له استجابة الحق اما الاسعاف وقضاء الحوائج واما
الادخار والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وهو جل ذكره عن الرجل الصالح
رضي الله عنا وعنه قوله لقومه لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة
يقول ليس لمعبودي من دون الله اجابة في الدنيا ولا في الاخرة فجمع المعنيين الذين في الحديث وان
المسرفين هم اصحاب النار المسرف هو من دعا من لا يجيب له ثم بعد هذا هم درجات عند الله على قدر

حسن الاستجابة وصدق الانابة واجتناب المناهي كلها ظاهرها وباطنها والمسارعة
في طلب شيء وهذا اصدق الاستجابة من العبد لربه تعالى وعلى مقدار تعلقه في ذلك وصدقه
يكون سرعة الاستجابة من ربه له انما يستجيب له من درجته هو الذي لا يخلف وعده
ولا ينقض عهده وفي قوله جل جلاله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا المسيء وجه من هذا قد تقدم الكلام بانه لا يستوي الاعمى والبصير
ولا المؤمن والكافر كذلك لا يستوي المؤمنون والصالحون ولا يستوي المسيئون بل
هم درجات هؤلاء وهؤلاء ثم ضرب مثلا للبصير وللمؤمن المصلح كيف يكتسب الهداية الى
والقريبة بقوله الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا سمى النهار مبصرا اضافة
الى الليل لما كان الليل كافا للابصار عن الاستطلاع عن المرئيات رادعا لها عن الاستبصار ساترا
للمبصرات وكان النهار بضد ذلك مبصرا اي يعطي المبصر بصرا مجازا واتساعا كعادة العرب
الذي انزل على لسانها مثل مليء ومثيل ونحو هذا ثم ما ترك هذا حتى قبض الامر الى نفسه بقوله
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ففي هذا معنيان من الدلالة
احدهما دلالة على الوحدانية في اختلاف الليل والنهار وما هما وبما فيهما والثاني لما كان الليل
يشبه الموت والعمى والجهل وجهنم في سوادها وظلمتها وكان النهار يشبه الحيوة والعلم
والابصار والافق المبين والجنة نبههم على استعمال الشكر وطلب العلم والاغتباط بالهدى
الى ربه هو فاعل هذا وقادر عليه ومدبره لكن بعد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا
يغني عنه شيئا والوجه الثالث ان هؤلاء ولا هؤلاء ليسوا يستوون في تحقيق الاستجابة لنا
فلذلك لا يستوون في اسراعنا في الاستجابة اليهم فافهم ولاجل الوجهين الاولين
اعقب بقوله جل ذكره ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون يقول عز من قائل
كيف تقلبون عن حقيقة معرفتكم هذه الحقايق الى اباطيلكم هذه اتبع ذلك قوله لذلك
يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كذلك يؤفكون في الاخرة فقال لهم ما كنتم تعبدون
من دون الله فيقولون ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كم لبثتم فيقولون لبثنا
يوما او بعض يوم كذلك يضل الله الكافرين اي في الدنيا ثم في الاخرة اتبع ذلك قوله تعالى
الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ظاهر
هذا الخطاب تعداد النعم وباطنه وصف الوحدانية واثبات القدرة لذلك قال ذلكم الله ربكم
فتبارك الله رب العالمين اثبات للربوبية بحكم الوحدانية وتعجب من عظيم شانه وجميل احسانه
وعلوه في كبريائه اتبع ذلك قوله الحق هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب
العالمين الدين هو الاسلام والدعاء هو العبادة هنا على شروطها بخشوع وخضوع واخلاص
هذا اذا كان الدين بمعنى الاسلام فالدعاء العبادة واذا كان بمعنى النداء وسؤال المرغوب فيه
فالدين الايمان وما اكتسبه من المعرفة وهي تحصيل العلم على سبيل اليقين من لدن قوله
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الى قوله الحمد لله رب العالمين يقول الله جل جلاله وتعالى علوه
وشانه ادعوني موقنين راغبين ضارعين محسنين مخلصين لي الدين واختموا الدعاء بالحمد
لله رب العالمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم الله الاعظم فيما بين قوله الله لا اله الا هو

الحي القيوم وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم **فصل** الذي يغلب على الظن بل يورث
من العلم واليقين ان الداعي اذا جمع علم ما في هذه الجملة من اسماء الله فعال واستشعر من نفسه
حال الضراعة والاخبات وشرط الدعاء ثم دعا في ذلك اجيب وما استاق هذه الجملة بعد الامر
بالدعاء ووعده بالاستجابة الا لتعلم ذلك وقد اثنى على عباد له تفكروا في صنعه ثم قالوا
ربنا ما خلقت هذا باطلا الى اخر القصة وفيها انه استجاب لهم ربهم وانما الشان في الهوو تقدم
الحال من العبد حال الدعاء فافهم **تنبيه** تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى
يصرفون اي عن هذا الحق الاسبق بالفطرة الى حذر قلوبهم وهي في هذه الجملة التي تقدمت
لما وصف من افاعيل قدرته على سنن حكمته ذكر ايصاء لرسوله عليه السلام بالثبات على امره
واستشعار العزيمة على رشده بقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني
البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة فذكر التقلب في
الخلقة وادراج اواخر الحكم على اوائلها فاوضح الحق وكشف المستور ببراهين الشاهدة قال على
اثر ذلك الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله انى يصرفون تعجيب من ضلالهم عن الحق المبتغى
ونكوبهم عن سبيل المرتضى بخذلته في ذلك وعدم من دوا تهم فجعل ذلك ايضا من اياته على عظيم
اقتداره ومضاء مشيته في قهرذواتهم كيف صرفهم بهم عن فوزهم واستاقهم بسلاسل قهره
المصوغة من خالص عزماتهم وعزم اداتهم من حقيقة ذواتهم الى خزي الدنيا وعذاب الاخرة
نظم الى ذلك ما هو اتمام لمعناه في الحق الذي كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف
يعلمون اذا الاغلال في اعناقهم والسلاسل جعل جزاءهم في الاخرة من جنس كونهم في الدنيا كانت
الاغلال في ايديهم جمعت بها الى اذقانهم والسلاسل من القهر في اعناقهم فهم بها قوته
بها عن مقام التطهر بالنجاح الى اهويات الكفر ومهاوي الضلال المبين كذلك جعل باطن الملك
تلك السلاسل والاغلال ظاهرا فيما هنالك قال الله عز وجل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا
فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم
لا يبصرون اتبع ذلك قوله يسحبون في الحميم قيل هو النحاس المذاب بل هي اشد حرا من الجحيم
بسبعة وستين ضعفا وزاد عليه وبينه فاذا سحبوا انسلخوا من جلودهم وبعد ذلك يقذفون
في النار الحامية فيصيرون وقودا وسعلا نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا والاخرة
يقال لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله لم لم ينصروكم مما انتم فيه فيقولون ضلوا عنا
ثم يقولون بل لم نكن ندعو من قبل شيئا يعاد عليهم ضلالهم الذي كان ضلالا عن الهدى
ويكون فيما هنالك ضلالا عن ضلالهم الذي اهتدوا اليه فيما هاهنا حكمة بالغة وامر عظيم سبحان
القاهر فوق عباده يسمعهم على تلك الحال ويستنطقهم فيجعلهما علما يعلمون به علم ما هم فيه لا يجعلهم
في ذلك الا ما يضرهم ولا ينفعهم وما يزيد في ندمهم وما يؤكد حزنهم ويضاعف الامهم وحزنهم و
يتحققون من اجل ذلك لعن انفسهم ولعن بعضهم بعضا نظم بذلك قوله عز وجل فاصبر ان وعد
الله حق اي من نصرك واظهار امرك وفيها ذاتهم فاما نرينك بعض الذي نعدهم من حالهم وعذابهم
بالقتل والسبي والجلاء والنصر عليهم والظفر بهم او نتوفينك فالينا يرجعون اي المآل وصفنا
لك من مصيرهم فقد اراه جل جلاله من ذلك ما شاء واعزه واعز دينه واظهره ثم توفاه

ونابعيهم رضي الله عنهم الى تمام بعض ما وعده به ونحن الان في انتظار اظهار دينه كقوله
على الدين كله ولو كره الكافرون نظم بذلك ما نعزيه عن رجعهم لقبيح قولهم وباطل جدالهم
وكثرة صدهم عن سبيل الله بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله يقول جل من قائل وانما
هو البلاغ فقد بلغت فتول عنهم فما انت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين حتى ياتي
امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون كذلك كان من قبلك من الرسل ومن قبلهم من الامم
فصل سمى الله جل جلاله لرسوله عليه السلام من الرسل اربعا وعشرين وكنى عن سبعة
فممن صرح باسمه ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب واسمعيل
واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون واليسع ويونس والياس وذو الكفل وايوب
وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى وممن كنى عنه حزقيل وارميا وشمعون والخضر على
اختلاف في اسماء هؤلاء وثلثة في سورة يس وذكر اخوة يوسف عليهم السلام ولم يسم اكثرهم
الا بحكم العموم والاجمال صلوات الله وسلامه على جميعهم ومن قص ومن لم يقصص انبائهم
اجمعين والحمد لله رب العالمين **تنبيه** تعالى الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها
تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون
ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون ادرج لخطاب جل ذكره الى ما ينتظم بتعداد النعم وتبيين
ايات الوحدانية والبعث بعد الموت وما يكون في الاخرة الانعام الثمانية الازواج التي نص
عليها في سورة الانعام ثم يعم هذا الاسم جميع بهيمة الانعام الانسي منها والوحشي ثم جميع
ما يضاد ويركب يقول جل من قائل جعلها لكم لتركبوا منها ما يصلح ركوبه وتاكلوا منها ما يؤكل
اكله بنبه بركوبهن على ما يكون منهن مركبا للمؤمنين في الاخرة وعرض بذكر البلوغ الى الحوائج
عليهن الى ما يركب منهن على الصراط ونجاتها من المسقات فيما هنالك ولذلك الفلك يركبونها
في الجنة في انهارها تنعيما لهم ويركبها اهل النار اضطرارا يضطرون الى ذلك في بحار الجحيم
ثم يغرقون في لجج البحار من الحميم فاذا اخرجوا من ذلك قذف بهم في النار فاشتعلت عليهم
وقودا ولهبا وذكر الاكل منها في هذه تنبيها على انا نكون فيها يخلفنا الله عن البانها ولحومها
وهو ايضا سنة على ما يؤكل منها في الجنة ثم قال عز من قائل ويريكم اياته على ما هنالك فاي
ايات الله تنكرون فعطف بالواو في قوله ويريكم اياته على المحذوف هو والله اعلم فيما معناه تذكيركم
بالنعم منه علينا في هذه ثم قال ويريكم اياته على ما هنالك **فصل** كل ما كان في الدنيا من نعمة
من الله تبارك وتعالى على عباده فهو كما قال متاع الى حين في هذا المستقر الى اجل ثم هم ان يشكروا
نعمته جعلها لهم فيما هنالك جزاء وثوابا واذ هم كفروا بالله وكذبوا رسله جعلها لهم
فيما هنالك في جهنم عذابا ونكالا واما الفاسقون من الامة فعذابهم بها في عرصة القيمة
وفي البرزخ واذا دخل النار عذب ايضا بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ابل
لم يؤد زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر بعضه بانيابها وتطوه باظلافها اسمن ما كانت
واوفره كلما مرت عليه اخراها رد عليه اولاها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
حتى ترى مصيره الى الجنة او النار وقال في البقر كذلك وفي الغنم كذلك وذكر الخيل

وان من حقها ان لا ينسى حق الله في ظهورها ولا رقابها وانه من حق الله في الانعام ان تحلبها يوم وردها وعلى القول بالاجمال فكل ما كان لهم متاع ونفع في دار الدنيا فهو لهم في الاخرة اوسع جزاء لكن هذه توجد التعريف وهذه توجد التنعيم **قوله** تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم لما لم يكن عندهم علم النبوة و الوحي وعلم المعرفة بالله وباياته واحكامه والاعتبار الى الحق الموجود في الدار الاخرة عند الله جل ذكره كل علم سواه ولم تخل الامم السالفة من علوم جمة كعلم التنجيم والزجر والطيرة والفال وعلم الطب والفراسة والطب والحكمة لكن ذلك كله من حكمة لم توصل الى الحق المبتغى ولا افادت الى المحل الاعلى ولا اعلت بجنة المأوى ولا بلظى ولا وصلت بين الحق المخلوق بالسموات والارض والحق العلي المبين ولما لم يسلكوا سبل الاعتبار فيعلموا بما شوهد ما غاب بل اعجبوا بما عندهم من صنوف علوم وتشاغلوا بتعرف مساحات الارضين واجرام الكواكب ومقادير ارتفاعها دون توقيف شرع ولا اعلام نبوة ورفع الاثقال وانواع الفلاحات ويخرج من هذه الانواع من العلوم ما يكون منه جدال في ايات الله يجحدون بها الى المعهود المتعارف وهم ان اخبروا اخبروا عن ظاهر من الامر والنبوة تبدي باطن الوجود وهو الاوسع وجودا والاعلى شرفا والاقرب الى رضوان الله جل ذكره قال الله عز وجل يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فاورثهم ذلك اعجابا بما عندهم واستهزاء بالرسل صلوات الله وسلامه على جميعهم واستخفافا بالحق الذي جاءوا به فلم ينفعهم علمهم بل كان وبالا عليهم وضررا صرفا فحاق بهم عذاب الله وكان علوهم وقادهم الى النار فكان عذاب ذلك من جنس تكذيبهم واعمالهم وتهزئهم برسلهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون كما قال جل ذكره فكلا اخذنا بذنبه وفي قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ابين البيان ولما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم بالله حينئذ اذ كانوا كافرين به قبل هذه سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

سورة حم السجدة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** جل ثناؤه تنزيل من الرحمن الرحيم قد تقدم ما هو تنزيل من الله العزيز العليم وتنزيل من العزيز الحكيم وتناوب هذه الاسماء في الفواتح لفوائد منها انه يريد ان يعلمنا باسمائه الحسنى ومنها انسبا فيها يكون لمعان في السورة وردت ومعانيه عليها ورحمة الرحمانية ظاهرة في هذه لذكر التنزيل والرسالة وخلقه السموات والارض وما بينهما وما بين ذلك الى قوله فان اعرضوا وذكر كيف كان غايتهم ويخرج ذلك من اسماء غير هذه كاسم العزة ونحوه الى قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يتناول ذلك اسم الرحيم بعموم اسم الرحمانية ثم كذلك الى اخر السورة يتبين اسم الرحمانية والرحمة على اسم العزة ثم الى اخر السورة وربما ادرك هذا بلطف التدبر وصادق النظر والعزيز المنيع من شانه الانتقام من اعدائه والاعزاز لاوليائه والحكيم المحكوم وقد سبق هذا في شرح الاسماء فكلام ممتنع فهمه الا على من يسره الله له وقد احكم ما انزله من كتابه فما ممتنع وكتابه عزيز حكيم جل ذكره وانه علم انزله بعلمه ولذلك احتوى على علم ما قبل ونبا ما بعد وعلى علم الحلال والحرام وهو منزل قرانا عربيا فلذلك احتوى على ضروب الخطاب اجمعها وشمل جوامع الكلم وانا هاد سورة التنزيل عليه والرحمن مخبر فيه بوجود الرحمانية والرحيم مبشر برحمته عباده الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا **قوله** تعالى كتاب فصلت اياته قرانا عربيا لقوم يعلمون فصله من جمل ام الكتاب جملة محكمة كذلك قال عز من قائل الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فصله بعد احكامه من حال اجماله اياه اذ لم يكن عجميا ولا عربيا ولا كلاما لبشر بل نزل به روح القدس ثم الروح الامين ثم الى قلب رسوله صلوات الله وسلامه على جميعهم ثم جعله على ثانية قرانا عربيا مفصلا على الاحكام والمواعظ والذكر والحظر والندب والواجب والنهي وعلى علم الاسلام والايمان وعلم النبوة وعلم التوحيد والاستغفار ومعرفة الجزاء العاجل والاجل والبداءة والاعادة والاعلام بما كان ويعطي والانباء بما يكون في المستقبل الى غير ذلك من علوم حواها القران العزيز اتبع ذلك قوله بشيرا ونذيرا فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون فلما اعرضوا عنه طبع الله على قلوبهم حتى وجدوا ذلك من انفسهم فقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قالوا ذلك على سبيل التهزي منهم وانما انطقهم الحق نظم بذلك ما عبر عن التبليغ بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد الى قوله اجر غير ممنون اتبع ذلك قوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا فقال ائنكم لتكفرون فردهم بذلك المتقدم معرفتهم انه خالق السموات والارض وزادهم علما بقوله في يومين فعرضها للاخبار عن خلقه الارض الى قوله للسائلين وبعد تمام هذا الخطاب عطف بحرف ثم فذكر تسوية السموات وقضاءه اياهن وعرض في سورة النازعات الى ذكر السماء فقال جل قوله انتم اشد خلقا ام السماء كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها ثم قال عز وجل والارض بعد ذلك دحيها الى اخر القصة فكما عطف بحرف ثم ذكر الاستواء كذلك كان الاستواء منه لوجود السماء اذا كانت دخانا وقوله جل قوله والارض بعد ذلك دحيها كذلك كان دحو الارض بعد تسوية السماء والارض هي السماء بمنزلة الانثى مع الذكر ايجادها بعد ايجاده فاوجد جل ذكره السماء اولا دخانا ورفعه قال الله عز وجل والسماء رفعها ثم اوجد الارض وهي الربة خمعت على الماء فكان في خلقه الربة حلقه كل شيء خلقه من الارض سبق في تقديره ان يوجد عنها وفيها كما قال جل قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها فعطف بحرف ثم بعد ان قد ذكر انه خلقها ومعلوم انه لم يخلق حواء الا قبل ايجاده ايانا لا محالة وانما خلقنا بعد تقريرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما خلق آدم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته امثال الذر الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ويرد لك عليه وصادق ضحت بخبر عن كون الكائنات قبل ايجاده اياها بمحال الظهور ولما اوجد السماء دخانا رفعه ثم اوجد الارض ثم استوى الى السماء وذكر الاستواء الى ما هو اعلى وليلزاهة اذ الاستواء بما هو من نوع العلو

فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اى نحن وما فى ما بيننا
وذكر الطوع هنا معناه التبرؤ من الحول والقوة واخراج الفعل على سنن التسخير والتدبير
لا على تحمل الامانة بمعنى دعوى فكان يلزمها عن ذلك اختبارا وامتحانا فقضاهن سبع سموات
فى يومين اى فصلهن بعضهن عن بعض اولهما قضاؤه السماء والثانى قضاؤه الارضين
وفصلهن بعضهن عن بعض وقد كان عبر عن خلقة الارض فى يومين اولهما منهما
لايجاده السماء والثانى لايجاده الارض ذكر فى اخبار عنهما يومين للسماء ويومين للارض
فيومين من حيث العدد واربعة من حيث الفعل اذ انقضاء اليوم تمام فعل ما تم فقال
فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظا وقال فى الارض وجعل فيها رواسى من فوقها ولم يجعل لها رواسى الا بعد دحوها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام فى تتميم الارض بركاتها ورواسيها وتقدير
اقواتها فهذه ستة ايام عددا لكنه لما كان توزيعها مرتبا على الاخبار بايجاد الارض و
عن تسوية السموات عن تتميم ما اوجدها تداخلت الاعداد لتداخل الافعال واستقامة
سبيل النظر فى ذلك ان شاء الله ان نعتقد ان السماء اولا ايجادا وتتميما والارض بعدها
ايجادا ورتبة مثال ذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله التربة يوم السبت
وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وفى اخرى وخلق الشجر والماء يوم الاثنين
وخلق الظلمة يوم الثلثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها الدواب يوم الخميس فهذه ستة
ايام لخلقة البرية يوم الست قد كان سبق خلق السماء دخانا قبل ذلك ثم كذلك ما خلا
من موجوداتها ومتمماتها الا قد كان سبق بتتميم ما شاء من السماء قبل ولذلك والله اعلم
قال خلق الارض فى يومين اى فعلين واليوم انقضاء فعل ومفعول ذلك اليوم السماء ثم الارض
فقال فقضاهن سبع سموات فى يومين اى تسوية السموات ودحو الارض وما يتبع
ذلك لكن الارض بعد السماء كما تقدم ايجادا ورتبة ثم اوحى فى كل سماء امرها و
اغطش ليلها واخرج ضحاها وبارك فى الارض وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام فتلك
يومان اى فعل مفعولين بيوم ويوما كذلك فهذان يومان واربعة ايام فى انحاء الاول
فى السماء وخلق اقوات الارض وبركاتها فى اربعة ايام وكما تقدم فى تقدير السماء ايجادا
ورتبة وانما هو السماء ثم الارض الاثر ان الامر ينزل الى السماء اولا فى انزال الماء فيخلقه فيما
هنالك ثم ينزل الى الارض والنبات والحيوان عن الماء الذى ينزل من السماء الى الارض بمنزلة
النسل من الذكر والانثى وبمنزلة تسخير السماء والارض وما بينهما لما اوجد له فافهم امر
تدبيره وحكمة شايعة اية ذلك قضاؤه بركات الارض فى اربعة ايام بواسطة ما قدر فى السماء
من امره وهى الاربعة الفصول من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف فهذه الايام
معلومة بالمشاهدة فيهن يتم زرع الارض وبركات الدنيا وجميع ما يخرج منها من فوائد
وعجايب لذلك قال جل قوله سواء للسائلين يعنى الناظرين المعتبرين بما يشاهدونه
الى ما هو غائب عنهم والسائلون هم الباحثون سؤالا ونظرا واعتبارا وهو تعجيب واغراب
وتعظيم للمراد المعنى بالخطاب وقد يكون معنى السواء زائدا الى ما تقدم ذكره اى بهذه الاربع

الايام

الايام ستوت السنة مطالعها ومغاربها وبعد الشمس وقربها وارتفاعها ونزولها
اى فى شمال البروج وجنوبها باحكام ذلك كله وتوابعه ويصح بهذا الوجه قراءة من قرا
سواء بالخفض على البدل والنعت من ايام قوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظا المصابيح الشمس والقمر والنجوم والحفظ ما يحفظ به السماء بالشهب من استراق
الشياطين لما يستمعون يرسلون فى الغيب من الملائكة عليهم السلام فان الملأ الاعلى لا يسمعون
اليه الملأ الاعلى هو السماء الدنيا الى ما علا وانما يقذفون من كل جانب فيما ههنا اعنى موضع
تنزل الامر فى دوائر هنا ولهم الى ذلك سلم يصعدون اليه ويسمعون فيه كما للملائكة عليهم السلام
المعراج والمعارج الى المنتهى وسموات ما ههنا سبع دوائر الامر فيما بين ذلك منشعب
كثرة الى ما يكون منها ما يعم الجملة كما يعم الغذاء اجزاء الجسم وفى هذه جعل الله القمر نورا
وجعل الشمس سراجا والنور يطرد الظلام والسراج يطرد الليل وفصل الارضين سبعا
كل ارض سماء لما تحتها وهى ارض لما فوقها والسموات طباقا بعضهن فوق بعض اعلاهن
سماء لما تحتها والتى تحتها سماء لما تحتها لا نقول فيها انها ارض لعدم التوقيف ويمكن
اثبات ذلك وانما قلنا ان التى تعلو من الارض سماء لما تحتها لقول الله جل ذكره خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن فكل سماء فهى على الماء وكل ماء
فعلى هواء وبين كل ارض وسماء وكل سماء وماء لطيف هوائى يعرب بوجه ما الى الارض حقيقة
ويوجه ما الى الماء رقة اية ذلك عن قيه اليقين ليس بشى لرقته وليس بسواء ببعض خروج
ثم كذلك الى ما تسفل والى ما علا ودوائر الامر الى ما بين كل سمائين وكل ارضين الله اعلم
بكيفية ذلك عنوان الامر شيع فى العالم علوه وسفله الى ان يعم كما يعم الغذاء الجسم
والاعلى من الدوائر والامر ينتظم الاسفل وكل ذلك فى فلك يسبحون على اختلاف المراد بالا
وسعه فى مسالك محكم التدبير هذا من لدن السماء العليا الى الارض السابعة الى ما سفل
والى المنتهى وجميع السموات السبع والارضين السبع فى الكرسى كحلقة فى فلاة وذلك
ان السموات السبع دنيا كلها وسينتقض هذا البناء وتبدل الارض غير الارض والسموات وتجعل
اخرى ويزاد فى ذلك على مقدار ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الاخرة الا كاصبع
ادخلته فى اليم فانظر بم يرجع منها وقال الله عز وجل وما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة
الا قليل ولا قليل اقل مما قلله الله الى جنب ما كثره ثم الكرسى الكريم بما هو وما هو محيط به
والعرش العظيم كحلقة فى فلاة قال الله عز وجل وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس
والقمر كل فى فلك يسبحون وخلق الله عز وجل ما ههنا لمنافع العباد واتمام ما للملك امره
وليتدبر اهل العقول وليعتبروا منها الى ما غاب عنهم فاخبر جل ذكره ان ما هنا من دوائر
افلاك تستدير بامره وتدبيره وتستدير بها الفلك المحيط بها دون عرش السماء الدنيا
ثم كذلك ما بين سمائين وكل ارضين ويرجع ذلك كله الى جامع يجمعه تستدير به دوائر
ما فى ذلك باستدارة ذلك الجامع ثم كذلك الى منتزل الامر حيث حملة العرش بجميع
ذلك الحدود ثم كل دائر احاط به وهو المحيط بالموجودات كلها ما دون العرش الى المنتهى
من دوائره ولا نقول سفلا فان ذلك الدائر لا اسفل له بل هو الاعلى وهو المنتهى حيث انتهى

بنا قال الله عز وجل تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
ويمكن ان يكون المراد بهذا الدائر ما تقدم ذكره الذي اليه ينتهي الدوائر كلها المجموع التي
عليه هذا الدائر دورانه في ذاته كدوران اصغر الدوائر القريبة من المحور وسمي محورا
لانه يحور اليه الامر ويرجع اواخر الحكم على اوائلها وقد تقدم ان حركة الدوائر من كتبه
من حركة وسكون فلاجل ذلك كانت حركتها استدارة حول الوسط توصيل ذكر
ان الحركة هي عبارة في الدوائر عن الخلق والمسمى فيها بالسكون عبارة عن الامر ووجود
ذلك الامر المشابه للسكون موجود عن اسمه الدائم جلت اسماؤه وتعالت صفاته
فهو بما هو لا يتحرك ولما احله في مخلوق تحرك بما هو مخلوق وسكن بما هو دائم لا يجوز
عليه التغير فافهم ولا استمانع في وجود ذلك المحور يحور المتحركات اليه فهي عنه تنبعث واليه
تحور وحقيقة ذلك المعنى في الجملة ليس يتحرك ولا يجوز عليه وصف الحركة وقد تخلل الجملة
ذلك الامر وشملها شمولا واحدا فلذلك كان وجود سجود الدوائر عودها اليه وبروزها
عنه وليست في حال ولا موضع هي احق بالسكون والحركة منها في غير ذلك الحال والموضع
فهي لذلك ابدا ساجدة جارية عابدة قلته وكذلك حكم كلما احاطت به وشملته فاكتف
بذلك على ما تقدم في صدر الكتاب من وصف الجملة انها هي امره وخلقه فالمخلوق انما قيامه
بالامر والامر انما قيامه به جل وعز واليه يرجع الامر كله الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ادعوا ربكم تضرعا وخفية التضرع ظاهر في مقابلة الخلق والخفية باطنه في مقابلة وجود
الامر وكذلك قوله جل وعز ادعوه خوفا وطمعا باطن لباطن وظاهر لظاهر **توصيل**
قد تقدم من وصف التوصيل ما يشرف بمعنى الا لبيبا على حقيقة الصواب وكذلك قد مضى فيما
تقدم من جريان صنعه الى المصنوع ايجادا وافناء جريان الماء الى صبيبه بل اسرع اسراعا
من ذلك دون توهم فسبحت نعبر عن ذلك بالامثال قال الله عز وجل ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا وحتى قد تظن العقول ظاهر ما يقع عليه الابصار هو من استحكام
دوام يكون لها دبقاء وقد اكذبا فظاهر الظنون بقوله الحق وترى الجبال تحسبها
جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء يقول جل من قائل على هذا اتقن
كل شيء هذا توصيل اخر وقد كان يكفي احدهما لمن به حيوة **توصيل** اخر قد تقدم من ذكر كل
دوائر الجملة ومجاري الامر لبادتها والى هذا فاعلم ان العرش العظيم فوق كل شيء سواه وفي
سماء عرش والله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فوق العرش مستو ليس كمثله وهو مع كل احد
بما هو ومع الاثنين بما هما ومع الجميع بما هم من حيث معنى القيام والقيومية ولا يجاز معهم دون الاحيان وهو
اينما كانوا بما هو ومن حيث هو غير مفارق للعرش ولا مباعد للمعية بقربه منه حضورا
ومشاهدة ومعية بما هو وهو بعيد عنهم ببعد لا ابعد منه نزاهة وعلا وقدسا لا يجوز
عليه الحلول في المحال ولا يصفه الزمان ولا حوا له لا حول بل هم المكان والزمان ولا حول
وله العرش مستوى ومكانة وعلو ينزل الامر بالروح يدبر الامر ويفصل الايات وما تكون
في شان وما تتلو منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر

الا في

الا في كتاب مبين **توصيل** اخر وقد تقدم فيما مضى ان كتابه يصعد بالاعلام لما
للمشاهدة والمشاهدة هي له لا توجد الا سبحانه وللحداية ذلك الكتاب بحكم لا انزه فيه
انت بما فيه فتنشوه وتعرفوه فتعلم منه ما لم تكن تعلم فتحق ذلك فاقض وعلى علمه كتابه
بالمشاهدة العليا والعلم الادفع فلو لم يكن جل ذكره مشاهدا الجميع خليقته الا بمشاهدة
اللوح المحفوظ الذي اثبت فيه ما هو كائن الى يوم القيمة بل اثبت فيه علمه في الخلائق لكان هذا
العقد لنا كافيا في اليقين بمشاهدته المحيطة ومراقبته العليا وكما يعلم نفسه كذلك يعلم
كل شيء من ذاته اية ذلك ما شاهده المعتبرون من شهود جميع الموجودات من مقتضيات
اسمائه **توصيل** عز وجل فان اعرضوا اي عما جئتهم به من الذكر فقل انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وذكر ما اصاب هؤلاء وهو كله لما عصوا وجحدوا ايات ربهم
وكذبوا رسله **توصيل** جل ذكره ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون عطف
بالواو في قوله ويوم يحشر اعداء الله وهو اليوم الاخر على يوم لهم لذي اصابهم فيه عذاب
الدنيا اشارة منه الى ان لهم عذاب الدنيا وسوء المصير في الاخرة نعوذ بالله من ذلك الوازع
المانع وهو يحث اخرهم كي يلحق باولهم ويحبس اولهم عن اخرهم قال الله جل من قائل حتى اذا ما جاؤها
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ولم يشهد عليهم سواهد هي منهم
الا بعد انكارهم ثم قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء فاخبرن
عن قهر الله لهن بالنطق واثنى على ذلك من قولهن دليلين ان الله حصرهن على النطق كاجبرهم
على ايجادهم ولكرة وكان في قولهم وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم اي لم يكن بكم قدرة على الاستتار منهن ولا من الله جل ذكره ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون يعني فانهمكتم في شهواتكم وتماديتم في كفرانكم لكاذب ظنكم وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اي ظنكم به انه لا يعلم ما تعملون ولا يقدر على اعادتكم بعد
الموت فاصبحتم لذلك من الخاسرين يقول الله جل قوله فان تصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين المستعتب هو الطالب للعفو والمعتب هو صاحب العفو هذه الاية كشفت عن معرفة
اصحاب النار في عظيم ما اصابهم من سوء مصيرهم وهول منقلبهم كقولهم سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وكقوله اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم **فصل** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الله جل من قائل انا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء فمن ظن بربه
انه لا يعلم سره وعلنه وانه لا يقدر على ارجاعه اليه بعد الموت وانه لا ينفذ ما شاء انفاذه وانه
يعجزه شيء في السموات او في الارض او فيما علا او سفل فذلك هو الظن المردي ومن ظن انه ملاقي
الله اي علم ذلك وانه يحاسبه وانه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ومحيط وعلى كل شيء شهيد
وامن بما له من الصفات العلى والاسماء الحسنى فذلك من كثير حسن الظن بالله قال الموفق لهذا
العبد ان يعمل عند ذلك فيصير لا محالة الى حسن مصير ورباط او خلطا فرجاؤه في الله جل ذكره
ما يلقاه من اسمائه وصفاته جل وعز وذلك ان المعلوم منه انه العفو الكريم يحب العفو والكرم
ويامر به ويحض عليه ويحب المغفرة وحسن التجاوز ويامر بذلك ويجازي عليه ويحب ذلك
ويحث عليه ويحب اقالة العثرات والصفح ويحب كشف كرب المكروبين ووضع الخطايا

عن الذي الزموها وافتقروا اليه وضعها عنهم ويجب على اغاثة الملهوفين ونصر المستضعفين
ولا فقير يوم القيمة افقر ممن يعبد دونا سواه ولا ممن عول في شانه على حاشاه الى غير ذلك
من كريم صفحه وحسن معاملته وكريم مفاعلته وهذا هو الذي يلقى من ربه كلمات فتاب الله
عليه برحمته انه هو التواب الرحيم **قوله** عز وجل وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم
وما خلفهم هي الاخرة وما بين ايديهم هي الدنيا زينوا لهم شهواتهم والعمل بالهوى ووعدهم
في الاخرة بحسن الماب على ما هم عليه من عصيان وخلاف الامر وهذا في الملحد وزينوا لهم انكار الاخرة
والتكذيب بها والكفر فحق عليهم القول فدخلوا النار في امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس والقول الذي حق عليهم قوله جل قوله هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وقد تقدم
القول في القرناء من الجن والانس وان العبد اذا اصلح اصلح الله قرينه الجني والانسي وربما
ابدله الله خيرا منهم وذلك في سنة الله من بركة صلاحه كما انه اذا افسد عاقبه الله بان يولي
قرناء فاسدين مفسدين يزينون له ما هو فيه ويغبطونه بحاله ويحطونه على ما اشده ويجنبونه عنها
ويعدونه عن ربه بالمغفرة والماب الحسن دون توبة حتى ياتيه الموت فيحق عليه القول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه قرين له قيل له ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان الله اعانني عليه فاسلم فهو لا يامرني الا بخير وكل من اسلم اسلم معه قرينه وتلك
بركة اسلامه وتوبته وعلى قدر ايمانه في الصلاح وحسن سيرة يكون قرينه بالضد فلا بد
امام لقرينه وقرينه ماموم وهو متبوع قرينه وقرينه تابع ذلك عن اناده قوله جل قوله واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس وربما كان الامر اذا فسد الانسان بعد صلاح استعفاه
قرينه الصالح فاعفي منه وقيض له قرين فاسد مفسد كما قال عز من قائل ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اتبع ذلك جل ذكره ما يبلغ اليه قرينه في قوله وانهم ليصدونهم
عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون **قوله** تعالى وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا
من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين ذكر اهل التفسير انهما ابليس
وقابيل ابن ادم اذ ابليس هو اول من سن الخلاف والاباء والكفر وقابيل اول
من سن القتل وادى والله اعلم زائدا الى هذا ان قولهما اللذين اضلانا اشارة
الى جنسين هما من الجن والانس وهم كبراؤهم وساداتهم من الانس وقرناؤهم من الجن
وكل ذلك كائن جائز والوجه الاخر اخص بالمعنى وامس بكل مكلف **قوله** عز وجل
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يعني على دين الاسلام هو الدين القيم اخبر الله
جل ذكره عنهم بان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا خطاب منتظم معناه بمعنى ما
تقدم من ذكر القرناء فانه لما ذكر قرناء السوء ذكر اهل الصلاح وقرناؤهم من الملائكة
عليهم السلام تتنزل عليهم الملائكة بالبشرى من ربهم والتامين لهم من الحزن والخوف
يقولون لهم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا الذين كنا نوقظكم من نومكم ونلهمكم
مراشدكم ونامركم بالخيرة ونكره اليكم الشر وفعله ونحن اولياؤكم في الاخرة نبشركم
بما لكم عند ربكم من خير وحسن منقلب فابشروا بالجنة التي كنتم توعدون المعنى الى
هذا في الموت وفي حال علوه وفي حال الشر وعند معاينة اهواله اما هنالك قال الله

جل من قائل لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو
الفوز العظيم ومن ذلك ايضا ان يروهم الرؤيا المبشرة باذن ربهم فقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في تاويل هذه الاية انها الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له **قوله**
تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن هذا كلام قائم بنفسه مفهوم معناه
من ذاته ان الحسنة لا تستوي بها السيئة وربما عدل بالفهم عن ظاهرها الى ما انتظمت به من
جهة المجاورة فتكون السيئة والحسنة القرين الصالح والقرين السوء فاما ما يكون من
السوء يدفع بالصبر فعل ما يضاده من الخير فيكون امر منه لعبده المؤمن بالمجاهدة للنفس
والصبر **فصل** فعل ذلك فيكون قوله فاذا الذي بينك وبينه عداوة هو الشيطان
يصلحه الله بيده فيكون لك كانه ولي حميم ثم اعظم قدرها من حصله ورفع
شانها بقوله الحق جل قوله وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها اعني الصبر
الا ذو حظ عظيم وهم الانبياء الصديقون ثم من دونهم على درجاتهم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعانني الله عليه فاسلم فهو لا يامرني الا بخير وقال الله
سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الاعلى فالاعلى ثم الذين يلونهم على درجات
اتبع ذلك ما هو تتميم له قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم في المفهوم من هذا الخطاب ان الشيطان لا بد له من عارض يعرض به فينظر هل له سلطان
على هذا العبد ام لا ونزغه به لعنه الله في عارض من شك او قدح في اصل او نقص
لعظيم وما لا يكاد القلب ان يستمع بذكره وكل ذلك يعرف بالوسوسة ويعرض ذلك لاهل
الطلب اكثر مما يعرض لاهل العموم فدواء ذلك الشكوى والتعوذ بالله والانصراف عن ذلك
الوجه بالقلب والوهم والاشتغال بقراءة القران والذكر لله قال الله عز وجل ان الذين
اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان الى قوله مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
اتبع ذلك قوله الحق ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر الليل اية على الكفر والضلال
والجهل والعمى والاية الباطل وعلى الفتنة والنهار اية على الايمان والهدى والرشد والعلم
والبصر والاية الحق تبارك وتعالى وعلى العاقبة والشمس اية على الله جل جلاله نوره وهداه
وبما جعل الله سبحانه وله الحمد فيها وبها جل ذكره من منافع العباد ولما جعل الله سبحانه وله
الحمد فيه من منافع العباد ودلالات على مقدار ذلك فانما دلالة اعتبرت اوصلتك
الى المدلول عليه جل ذكره من تلك الجهة وقد تقدم من الكلام فيما هذا سبيله ما فيه بيان
وهداية ان شاء الله وفيها اعني هذه المذكورات زائدا الى ما تقدم ما ينتظم ذكره ومعناه
بمعنى ما تقدم من ذكر القرين وذلك انه كما لا يخلو ساكن دار البلوى من ليل ونهار وشمس
وقمر كذلك لا يخلو ما دام فيها من هدى وفتنة ومن ذكر وغفلة لكن الحازم نوع من معنى
الليل وظلمته الى النهار وضيائه وكما ان في الوجود شمس يصلح الله بها ما يلوه القمر
ويزيد فيه ويصلح بالقمر ما يجفف به الشمس بفرط حرارتها فيجتمع بذلك صلاح العالم وكذلك
اعمال العباد في سبل قرنائهم حسناتهم بحسن خيراتهم ساكدو الفتنة باثر الذاكر اثر
الفتنة قال الله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن واذا الذي

بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صل من قطعك
واعط من حرمك فعلى هذا تركوا الاعمال ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون كذلك يعاقب الليل والنهار ويعيشان احدهما الاخر صالح
عيش الحيا والضد تظهر حسنه والضد ولما كان الشمس والقمر من ايات الله المعرفة به
المشيرة اليه في وجود الدنيا والاخرة حذر من السجود لهما واعتقاد عبادتهما كما اعتقل قوم هذا
الكتا بقول الله عز وجل فان استكبروا اي عن السجود لله جل ذكره والعبادة له فالذين
عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون اي قد ناب منا بهم من هو اسعد بذلك
منهم ونغ معنى الوعيد من الناس متوجها اليهم نظم بذلك قوله الحق ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت هذا من ذكر
الايات والتي قبلها منتظم بذكر ما افتتح به السورة الى قوله قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين يعني الى اخره
ثم قال ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير هذا نص منه جل جلاله على
مدلول هذه الاية ومقتضى هذه الدلالة وما انتظم بما اتصل به من ذكر القران
يجعل الذكر والعلم بمكان الماء والعقل والجهل موضع الموت والنفس من كسبه موضع
الارض وموت النفس باستيلاء قرين السوء عليها وتخشع لذلك وتهمد فاذا فرغ الى الذكر
والذكر حيي واهتز بالفلح والفرح بالله وذكره واطمان فكان من الذين امنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب والقران هدى للذين امنوا وهو للذين لا يؤمنون
بالضلال في اذانهم وقر اعن سماعه وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد
قوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز هذا منتظم المعنى بالبين
المذكور صدر السورة وبخاصة بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
الى قوله فان اعرضوا وانه لكتاب عزيز اي منيع محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه صدقته الكتب قبله ولا يبطله في المستقبل مبطل قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون لذلك اتبع بقوله تنزيل من حكيم حميد والتنزيل هو التقريب والتفهيم
والتيسير قال الله جل من قائل قل نزله روح القدس من ربك بالحق فالروح امره
وهو الحق والقدس صفته وهو الحق والملك رسوله وهو الحق فكل ذلك حق من حق الى حق
وللحق وبالحق انزلنا وبالحق نزل فاي سبيل للباطل عليه جل كتاب الله الحق عن ذلك انه
لكتاب عزيز وانما قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقران لا يوصف بان له وراء
ولا اماما اذ هو كلام الله وكلامه صفة له فانه ليس بمنكر عند اولي النهى العبارة عن معاني هذه
المعاني بعبارات تشبه عبارات الظواهر مجازا واتساعا ويقام ذلك مقام الحقيقة لقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس وراء الله مرمى وقال الله جل قوله وان الى ربك المنتهى وكقوله
جل قوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده ولا بعد له فكذلك مفهوم هذا الخطاب
مع ما تقدم من التوجيه فيه قبل هذا **قوله** تعالى اليه يرد علم الساعة اي لا يعلم متى تكون
على التحديد والتحقيق للحين سواه وما يخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى اي من

شعور حاملتها به كقوله وما تغيض الارحام وما تزداد ولا تضع الا بعلمه اي انه يعلم ما
تضع من ذكر وانثى صحيح سليم تام او خداج ومتى واي حين على التحديد والتوقيف
ونظير هذه في سورة الانعام وسورة فاطر ردا للمبطلين القائلين بانه يعلم الجمل
ولا يعلم التفصيل تعالى الله عن باطلهم وقبح افترائهم علوا كبيرا **قوله** سبحانه وتعالى
ويوم يناديهم فيقول اين شركائي فيجيبه المعبودون اذناك اي اسمعناك واعلمناك
اي قبل هذا تبرانا اليك من عبادتهم ما منا من شهيد لهم بما ادعوه **قوله** تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم هو ما اراهم من الفتح للمؤمنين فيهم وما اراهم من الايات الدالة
على الوحدانية ومعالم الاخرة في السموات والارض وفي انفسهم كفعله في قريظة والنضير
وخيبر كلها واليمن وغير ذلك من البلاد وفي انفسهم من الجوع كالسبع الشداد التي دعا بها رسول الله
صلوات الله وسلامه عليه في قوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف وكهزيمة بدر و
هوازن وقتل صناديدهم وهجرة اكثرهم الى المدينة حتى تعفت بعض منازلهم بمكة يصفق
الرياح ابوابها وما نهكتهم الحرب حتى جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و
ناشده بالرحم ان يعود به بالتخفيف وان يكف عنهم من شذ عنهم من المسلمين كابي نصير
وابي جندل ومن ساعدهم على امرهم حتى قال ابو سفيان سحر يوم الفتح وقد قال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم يان لك يا ابا سفيان ان تعلم انه لا اله الا الله فقال له ما ابرك واوصلك
واحلمك اما انه لو كان بها الا سواه لقد اغنى واسلم حينئذ وقال ابن الزبعرى في كلمة له طويلة

يا رسول المليك ان لساني • راتق ما فتقت اذ انا بور •

ولما فتح مكة واستدعى مفاتح الكعبة واخرجت الاصنام منها ثلثمائة وستون صنما وفيها
صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وفي ايديهما الازلام قال قاتلهم الله لقد علموا انهما
لم يستقسما بها قط ثم وقف عليه السلام بباب الكعبة صلوات الله وسلامه عليه وقد جمعت
قريش له كبارها وصغارها فقال لهم باعلى صوته ما ترون اني صانع بكم قالوا اخ كريم
وابن اخ كريم فقال لهم اذهبوا فانتم الطلقاء واسلم من حضر ورجع اليه من شرد عنه وبين
لهم انه الحق هذا وعده الحق وصدق كلمته الصدق والحمد لله رب العالمين نظم بذلك قوله اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد علما يهددهم بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
حتى يتبين لهم انه الحق يعني الرسول والقران نظم به لعلمه بانه كائن لا ريب فيه اولم يكف بربك هذا
الوعد وسيكون ذلك في المستقبل على احيانه مخرجا في التقدير على مقادير اياته فقد كان ما
قدمنا ذكره وما لم يذكر اكثر اضعافا فاما ذكرته ثم ما كان بعده من اياته في الافاق وفي
انفسهم من فتح المشارق والمغارب ونواحي الافاق وفي مطالع الشمس ومغاربها والقبول
والجنوب في دخول الناس في الدين افواجا واستسلام الاجناس لدين الاسلام لما تبين لهم
انه الحق ثم نحن الان من ذلك في منتظر لتتميم الدين كله ولو كره الكافرون وقوله اولم
يكف بربك انه على كل شيء شهيد خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم ولافراد امته الفائزين
الذين يرون اياته هذه في الافاق وفي انفسهم ويبين لهم بذلك انه الحق ربنا امنا بما
انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين حتى ايقن من المؤمنين بان الله على كل شيء

قدير تحسبه مشاهدة رتبا ياه ومن بغى عليه لينصرنه الله وليكتف العبد بربه وليتوكل
عليه وليكفه علمه به اذ بلغه الى معرفته حسبك منه حتى ياتى الله بامره فهذا ذا ثناء لما
تقدم ذكره ما سنن للمؤمنين منه بمشاهدة ايا هم وهو وعيد في جنبة الكافرين كما قال لموسى
وهرون عليهما السلام لا تخافا اى عزى انني معكما اسمع وارى كذلك اسم المحيط وعد للمؤمنين
بالفتح والنصر واعلام لهم بان ربهم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وسع كل شئ قدرة
وعلما وخشية وهو ايضا وعيد الكافرين يعلم بذلك انه يرهم منا كيه وطريقهم وحجبها عليه والمرية من
التمارى الذى هو الشك وهذا الشك وقع بالكافرين في لقاء الا انه بكل شئ محيط قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله نسئل الله البر الرحيم ايمانا صادقا ويقينا ناما وزادا مبلغا اليه ورضوانا منه انه حليم كريم

سورة الشورى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** جل من قائل حم عسق كذلك قد تقدم الكلام في هذه
الحروف وانها واسطة بين حروف ام الكتاب وحروف القران والله اعلم وهي عبارة وصف
لتنزيل القران ووصف لما هنالك من العلاء والعظمة ومن توصيل الوحى وتفصيله وايصال
الوحى الى قلوب الانبياء والفهم الى قلوب المؤمنين لو عبر عنها بعبارة ظاهرة لبدا من سر
الايحاء ما لم يشا الله ابداءه فظم به ما هو تنزيل له وتبيين قوله الحق كذلك يوحى اليك والى الذين
من قبلك وقرى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اسم الله رفع
اما على القراءة الاولى فلانه فاعل الايحاء وعلى الثانية فعلى الاعلام بانه الله العزيز الحكيم
له ما في السموات وما في الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض هذا منتظم في المعنى بقوله حم عسق من معنى يتفطرن
من فوقهن اى من عظيم العظمة والجلال والكبرياء والعزة فيكاد ان يتفطرن لما يرد عليهن
من علو والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض هذا كله من تسبيح الملائكة
وتحميدهم واستغفارهم لمن في الارض لما يشاهدون من عظمة ذى الكبرياء وجلاله ذى الجبروت
فعليهم في التسبيح والتحميد الليل والنهار لا يفترون وذكر الليل والنهار فيما هنالك على المعهود
فيما ههنا والا فليس عند ربكم ليل ولا نهار وقوله ويستغفرون لمن في الارض ما يشاء الله
جل ذكره كون شئ الا وقيض ملائكة من عباده يشفعون في كونه كذلك في ابقاء ما شاء ابقاءه
واعدام ما شاء اعدامه فقيض سبحانه وله الحمد ملائكة السموات الى الشفاعة لمن في الارض يستغفرون
لهم لولا ذلك من لطفه ويسره في تشفيعه اياهم ما امتسكت الارض لكنه امسكها انهم يستغفرون
لذنوب اهل الارض والغفران منه على ضربين غفران امهال الى الاجل المسمى وغفران ذنوب
فلا ياخذ بها في الدنيا ولا في الاخرة وانما ذلك للمؤمنين ان شاء الله تعالى وقد قيض ايضا ملائكة
هم حملة العرش ومن حوله للاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم كل ذلك يجبر لعبادة الملائكة
وما نقص من عبادة اهل الارض واين يقع اهل الارض من اهل السماء مع انه ما من شئ الا يسبح
بحمده وهو اللطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم وهذه اصول الشفاعة فلا تكن من الممترين
تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل الحق وهو علم
بان الملائكة يستغفرون لمن في الارض اى في ان يمسك عليهم السماء والارض ان تزولا او

عليهم اخذه له بذنوبهم ثم قال والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ
عليهم اى لاعمالهم ليجازيهم لم يقل جل قوله حفيظ لهم **قوله** عز وجل وكذلك
اوحينا اليك قرانا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها في هذا نوعان من الوحى
احدها حروف مقطعة محكمة مجملة غير منفصلة في انفسها بل فصلت فيما بعدها
انزلها جل ذكره حروفا في اوائل بعض السور ثم لذلك انزلها ولم يتم تنزيلها في انفسها
الا تنزيلا وتفسيرا في اثناء الكتاب يفقهه اولوا الالباب فيقول امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل كل من عند ربنا والثانى ايحاؤه القران المحكم المفصل فقال وكذلك
الكاف للتشبيه والمشبه هو ما اوحاه اليه من جمل الحروف المقطعة ثم اوحاه اليه من
القران العظيم والقران الحكيم والقران المبين لتنذر ام القرى ومن حولها يعنى مكة
وتحقيقه ما لزمها هذا الاسم اذ اليها التوجه في الامام من هذه الجهة وقيل عنها دحيت
الارض يوم الجمع يوم البعث والحشر والنشور فيه يجمع الله الاولين والاخرين ويجمع فيه
اهل السموات واهل الارض لا ريب فيه الريب يكون بمعنى الشك وقد يكون بمعنى الكذب
وقد ارتاب فيه من يؤمن به ولم يصدق بكونه قال الله جل ذكره واذا قيل ان وعد الله حق
والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فلم
يبق الا ان يكون بمعنى الكذب فتقدير الكلام والله اعلم وتنذر يوم الجمع لا كذب في قول
من اخبر عنه او انذر به وما كان في معنى هذا ولا ريب عند اهل السموات والمؤمنين
من اهل الارض وسائر الموجودات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من دابة الا وهى مصيخة
يوم الجمعة الى ان تطلع الشمس فرقا من الساعة **قوله** عز وجل ام اتخذوا من دونه
اولياء فالله هو الولى الحق ولى الخلقة وولى الولاية التى بمعنى الاختصاص قال الله جل ذكره الله
ولى الذين امنوا الى قوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت **قوله** تعالى وما اختلفتم
فيه من شئ فحكمه الى الله هذا امر منه عز جلاله بالرجوع الى كتابه ورسوله عند الاختلاف وانما
يستصحب النظر والتفكر بالرجوع الى كتابه ورسوله عند الاختلاف ويستحب التفكر ما اقام
النبوة والكتاب فاذا عدم ذلك فالرجوع الى الله والرسول خير واحسن تاويلا في
تدارك الدلائل وقع الاختلاف ولم يكن احدا لوجوه اولى بالصواب من غيره فليعتمد في
طلب المطلوب نصوص الكتاب وظاهر الوحى كذلك قال الله جل من قائل على لسان رسوله
ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه انيب انتظم هذا بمعنى قوله فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو
على كل شئ قدير اتبع ذلك قوله فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن
الانعام ازواجا تقدم الكلام في الفطر يقول جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام
ازواجا وعطف على قوله لكم لما جعل لنا فيها من الملك لها وله الحمد كذلك فعله بكل جنس خلق
اوله ثم جعل من ذلك الاول زوجه ليسكن اليها لذلك قال وهو اعلم ومن الانعام ازواجا
يذرؤكم فيه معشر الثقلين في ازواجكم حلائلهن واستقراركم واستيداعكم وفي الانعام غذاء
وشرابا واكلا منهن ثم قال عز من قائل ليس كمثله شئ هو ليس بذى جنس ولا لمخلوق ولا
محدث ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له ولى من الذل ولا كفو ولا عديل هو الكبير المتعالى

عن نقايص المحدثات وشبه الموجودات وهو السميع البصير خص هاتين الصفتين
بالذكر تذكيراً لصفة الحيوة والعلم هو الحي لا اله الا هو اذا الحيوة بها وجود الصفات
والاسماء معنى الكلام وله الاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى على الكمال الارفع
والتمام الاقصى اتبع ذلك ما هو في معناه قوله تعالى له مقاليد السموات والارض يقول جل
من قائل له مفاتح السموات والارض علا المفاتيح كلمته وقدرته ومشيته وعلمه اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون الكائن على وفق مشيته ومن مقاليد السموات والارض الرياح يرسلها
في الجو ملقحة فينشئ السحاب بقدرته وينزل الماء من السماء الى الارض بامره ثم يفصل
الماء الى ما شاء تفصيله اليه وذلك من خزائنه ومن مقاليد السموات والارض الايمان والعمل
والاستقامة والعمل بطاعة الله والذكر والدعاء والتقوى والابتهال قال الله عز
وجل استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ومثل هذا كثير **قوله تعالى**
ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب
امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سياتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومنبعث ظهور
المقاليد من السماء والارض هو الاسلام والاستقامة اذ فيه الخضوع والخشوع والتزام
الصغار والذلة ومجانبة الكبر والتعاظم فانه من نازعه معنى من صفاته التي هي
الكبرياء والعظمة والجبروت قصمه ولما ذلت له السموات والارض واذنت له واذعنت
حمل عنهن المشقة وبشر عليهن ما جعلهن له وجعلهن من خزائنه حتى شاء فتح منهن ما شاء
لعباده تقرب العرب التي اليه بالمقاليد عباده عن الاستسلام قال الحطيه يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

انت الامام الذي من بعد صاحبه	القت اليه مقاليد النهى البشر
ما اثروك بها اذ قدموك لها	لكن لانفسهم كانت بك الاثر

اتبع ذلك ما هو في معناه قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ثم قال والذي اوحينا
اليك يعني والله اعلم بما ينزل واوحينا اليهم الذي اوحينا اليك وهذا منتظم بما في اول
السورة من معنى حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك والمعنى بهذه والله اعلم
وحي الروح اليه وحاه الله محكما مجملا مفهوما لديه ثم يفصل فيما يشرعه
لذلك وهو اعلم عطف بالواو في قوله جل قوله والذي اوحينا اليك على قوله شرع
لكم من الدين والذي اجتمع عليه معنى ما اوحي اليهم هو ما عبر عنه قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه ان تكونوا ابدا واحدا تعبدون ربا واحدا على دين واحد وهو الذي كبر على المشركين قال
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب اي الى الاسلام واقامة دين التوحيد دل على هذا التاويل
قوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وهو يوم
الجمع وانهم لفي شك منه مريب اي في شك مكذب به اتبع ذلك ما هو متمم له قوله عز وجل
فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم في تفريق التوحيد وعبادة ما هو

سوى الله وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعني وهو اعلم اهل الكتاب ما تفرقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بان الاختلاف ضلال لكنه فعلوه بغيا بينهم **قوله** تعالى الله الذي
انزل الكتاب بالحق اي بعلمه وبما شرعه وهو الحق فكلامه هو الحق نزل له الملك عليه السلام من عنده
وهو الحق كله والميزان هذا منتظم بقوله وامرت لاعدل بينكم انزل جل ذكره الميزان وامر بالعدل
ليحكم بالقسط ويوحد ويعطي بالميزان ثم قال جل قوله وما يدريك لعل الساعة قريب ينتظم هذا المعنى
ما تقدم من قوله فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم بصبره وبعونه وتوليه
المدة نظيرتها في سورة هود عليه السلام الى قوله واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين **قوله**
تعالى له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ينتظم بذلك قوله من كان يريد
حرث الاخرة نزد له في حرثه يريد والله اعلم نجعل له الحسنة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الى
ما هو بغير حساب ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ليس كل الذي تمناه من الدنيا ينال له وان
له وبغوغ اليه ورزق الاخرة ما تمناه وعمل له كما احب اعطيه قال الله جل من قائل من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد
الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا **فصل** هذه الايات
تستدعي المتوكل على الله العامل للاخرة المؤثر لها بعمله وتقيم اوده فاليك الخيرة ايها العبد
في اتعاب جسمك وتقسيم قلبك وتثقيل ظهرك بتباعات وسيات ترجو غير واحد وتخافه
قال الله عز وجل ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الحمد لله رب العالمين اي الحمد لله وحده فاعبده وحده
وخفه وارجه وحده اليس الله بكاف عبده وعباده ويخوفونك بالذين من دونه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احب الدنيا التاط منها بثلث شغل لا ينفك وامل لا يدرك وحرص لا ينال
وراحة جسمك وراحة قلبك وتخفيف ظهرك مع ما في ذلك من قربك من ربك يرجع اليك في فناء
وكثير لك بجزه معك كما قال عز من قائل اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم
برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا الى اخر المعنى والى هذا قال الدنيا مالك فيها
باتيك به صاغرة تابعة غير متبوعة طالبة غير مطلوبة الا ترى ان الله جل ذكره فرض
علينا قوت من جعل الينا امره واحوجه الى ما عندنا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت وفي اخرى من يقيت حتى لقد جعل النفقة منهم عليهم
افضل من النفقة في سبيل الله الذي جعلها حسنة بسبع مائة حسنة وانما ذلك لانه احوج
الينا كالزوجة والولد والخادم والدابة التي لابد منها ولا غنى عنها فاقض بذلك على
ان الله عز وجل غير مضيعك اذا انقطعت اليه وتشاغلت به عن سواه وهو ارأف
وابعد ان تتحرج مما عرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله كفى بالمرء اثما ان يضيع
من يقيت ومنه اكرام الضيف وبر الجار لنزول الضيف بساحتك ونزول الجار بفنائك
اوجب عليك جل ذكره كرامته وكذلك القرابة فافهم عن ربك ولا ترض لنفسك بنزله
الا باعد منه فيكلك بذلك الى نفسك ويدعك وكدح يدك مملوا قلبك شغلا وبدنك
كدا وجسمك كسلا ليس كحالك اذا اديت اليه وانكلت عليه من عراك هم وجدت فيه

ملجا او اصابتك مصيبة ذخرالك عنده عزاء من تاهبك فكان لك معتمدا وملجا
منيعا من الله بها علينا وعليك من حصله وصيرها لنا برحمته ومنه نظم بذلك
قوله الحق ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله هذا منتظم بقوله
كبر على المشركين ما تدعوهم اليه من اقامة التوحيد ولزوم الصراط المستقيم ام لهم شركاء
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله كقوله ام اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم
وينتظم الحاق من اسلم وجهه لله وشهد بالحق بمعنى التوكل بقولهم رازق غير الله
يرزقهم من السماء والارض نظم بذلك قوله الحق ولولا كلمة الفصل اى تاجيلهم
الى اجل مسمى لقضى بينهم فيما هم فيه يختلفون فبرئ المشركون عن شركهم وبرئ
المتوكلون على الله العاملون له المشغلون انفسهم وجوارحهم بطاعته حسن مآبهم وكريم
منقلبهم كشف عن الحقيقة بقوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين
امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير لهم
درجات عند الله ثم استمر على حسن مآب العاملين له المتوكلين عليه بقوله الحق جل قوله
ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات لذلك وهو اعلم قال قل
لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى اى الى الله بطاعته والدعاء اليه وكذلك قالت الرسل
صلوات الله وسلامه على جميعهم كقول هود عليه السلام لا اسالكم عليه اجرا ان اجرى
الا على الذى فطرنى ونحو ذلك قال نوح عليه السلام وهو ان اهتدوا به كان للرسول اجر التبليغ
والتعليم والنصيحة وكان له مثل اجر من عمل بعملهم ابدا على الولاء لا ينقص من اجر ذى اجر
من اجره شيئا فان هم لم يهتدوا به فيكون لهم مثل اجورهم لو انهم اهتدوا ويكون معنى الا
ههنا في قوله الا المودة في القربى بمعنى سوى تقديره ولا اسالكم عليه اجرا سوى المودة في القربى
من الله لى ولكم وقد يكون معناها ايضا معنى لكن كانه قال لا اسالكم عليه اجرا لكن المودة
في القربى ابتغى بتبليغى رسالة ربى اليكم عطف على ذلك قوله الحق ومن يقترف حسنة نزد
له فيها حسنا ان الله غفور شكور نظم بذلك ما هو في معناه محاجة وجدلا ام يقولون
افترى على الله كذبا ما تقدم فهو محاجة لهم في معنى التوحيد قوله ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم ياذن به الله وفى ما ههنا محاجة في اثبات النبوة وما كان يعلمه منهم من رومهم
ابطالها يقول الله جل من قائل فان يشأ الله يختم على قلبك اى بما فيه من هداية ووحى فلا تجرى
على لسانك ويمحو الله الباطل من جميع الارض وما شاء من ذلك ويحق الحق بكلماته لا برسول
ولا برسالة وهدايته بالرسالة سنة له وهدايته بما هو له من لدنه كلمة وهو على كل شئ قدير
قوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما يفعلون
ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله يستجيبون له بتوفيقه وهدايته
هذا منتظم بما في قوله من معنى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك المعنى الى اخره حيث ظهر
ما يحتوى عليه من المعنى المجمل في صدر السورة فصل فيما بعد تفصيلا نظم به قوله جل قوله
وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد فكما ينزل الغيث بتفصيل
اليه كذلك ينزل الوحى بما ينزله اليه ويفصله تفصيلا منبها بهذا على نعم في الدنيا والاخرة فهذا

من نعم في الدنيا والوحى من نعم المودة الى الاخرة يقال للمطر بادئ بعد المطر على توليه الولى
كذلك الشمس بعد المطر المغرق يقال لها ولى كذلك يقال لما يستر عن الماء ويحلفه عنه ولى لانه ولى
ذلك اى ترتب عنه قضاء وكان عنه خلفا وامرا اتبع ذلك قوله عز وجل ومن اياته خلق السموات
والارض وما بث فيهما من دابة احيلا به هذه الايات شواهد على ما ذكرناه من اسمائه وصفاته
في صدر السورة فان النظر في خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة يعلم العلم ويورث
اليقين معرفة خلقه اياهم يوجب اليقين بقدرته على ان يجمعهم وقد اخبر بذلك فهو لا بد كائن
والنظر الى الموجودات من حيث هى افعال له يوجب اليقين التام بانها لا بد لها من فاعل
فعلها وموجد اوجدها ثم انه يهم الناظر فينظر في معانى الصيغة وتابع التدبير ووصل الى التوقف
صانعها باسمائه وصفاته وما ينبغى ان يكون عليه ومعرفة ما يستحيل لديه فيحمده بمحامده ويسبحه
تسبيحا ثم انه يهم ويسما بطلبه وصل الى توقف على معانى الاسلام وخصال الايمان وتراجمه
القران مفصلا على فصوله وراحكم ما جاءت به الرسل حقيقة نظم به قوله وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير هذه ايضا من ايات الدالة على مصنوعه
في السماء والارض ثم قوله وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء الاية كلام راجع معناه
الى قوله وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ومن قرا فبما كسبت ايديكم فهو اخبار منه جل ذكره
ان الذى يصيب العباد من مصائب فذلك بما كسبت ايديهم من ذنوب اكتسبوها ولولا عفوه
وتجاوزه عن اهل الارض ما ترك على ظهرها من دابة قوله تعالى ومن اياته الجوار
في البحر كالاعلام والجوارى الفلك والسفن واحدها جارية قد تقدم على الاعتبار بها فهى
تنبيه على مثلها في انهار الجنة وكونها راكدة والريح ساكنة عنها دلالة على الحرمان والتوقيف في
يوم العرض اذ لا عمل له يرحيل مرعوبه هنالك وكذلك في دار البرزخ واهلاكها بالرياح العواصف
اية تدل على عذاب اهل النار بهن يضطرون الى ركوبهن في نار الجحيم والغساق نار في نار اذ ذلك
اضطرار اهل الدنيا الى ركوب البحار بالحرص والاطماع فاذا لججوا بهن فيما هنالك جاءتهم
عواصف الرياح العقيمة فاغرقتهم بما كسبوه في الدنيا كما يغرق اهل النار فيما ههنا بذنوبهم
ثم يدخل الاعتبار بعضه على بعض لذلك قال والله اعلم ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لانه
يتبين للصبار ما هو في مقابلته ومثاله فيما هنالك ثم قال ويعلم الذين يجادلون في اياتنا
ويكذبونها غدا بما هنالك اذا اضطروا الى ذلك العذاب ما لهم من محيص كما قال ثم يضطرهم
الى عذاب غليظ ومن قرا ويعلم بالنصب من يعلم فيقدره ذلك من اياتنا في الدنيا على ما في الاخرة
من امثالها ليعلم كل صبار فيما هنالك انه الحق ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ذلك وانهم ما لهم
عن ذلك من محيص كما قال وقالوا لا تاتينا الساعة قل وربى لتاتينكم الى قوله ليجزى الذين امنوا
وعملوا الصالحات الى قوله جل قوله ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق
ويهدى الى صراط العزيز الحميد سبحانه وله الحمد كما كتب في الذكر كل شئ هو كائن فاخرج المكتوب
كله علما وفوق ذلك انزل كتابه بحسب ما هو في الاخرة كائن ومخرج لا محالة علما وفوق كتابه ووحيه
واخبار رسله واعلامهم ليعلموا في الاخرة ان الذى بلغهم الرسل والكتب حق كما علم اهل
العلم والعبرة كما نبات ما سطر في الكتاب المبين انها كائنة لا بد ولا محالة فليسمع من له اذن سامعة

ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين **قوله** تعالى فما اوتيتم من شىء فمتاع الحيوة الدنيا انتظم
هذا بمعنى ما تقدم من قوله الحق من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه المعنى وهى كلمة جامعة
لموجودات الدنيا خلا ذكر الله وما آوى اليه من قول وعمل ووحى وكتاب ورسالة ونحو هذا
ثم قال وقوله الحق وما عند الله خير وابقى يدعوهم جل ذكره من الدنيا الى الآخرة بقوله
عز من قائل فاقرضوا الله قرضا حسنا مما آتاكم يصيره لكم اجرا فيوتكم ما عنده فهو
خير وابقى ثم السابقون الى هذه التجارة الرابحة هم الذين آمنوا وعملوا الحسنى الجزاء وكريم
الخلف وعلى ربهم يتوكلون فى انجازه وعده فى الآخرة وكريم ضمانه فى الدنيا ثم الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون ثم الذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ثم الذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ذكر جل
ذكره اكفاءا على مراتبهم ومنازلهم ثم ندب الى ايثار الصفح والعفو فمن عفا واصلح فاجره على الله
ولمن صبر وغفر ان ذلك من عزم الامور **قوله** تعالى ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده
هذا كلام راجع معناه الى المتخذين اولياء وشركاء من دون الله الى قوله وقال الذين آمنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة خسروا انفسهم واوردوها النار
وبئس الورد المورود وخسروا اهليهم الذين كانوا معهم فى الدنيا اى كانوا معهم
فى الدنيا اى كانوا معهم فى ضلالهم **فصل** بهم الى بئس المصير وما اهلوهم له
كانوا فى منازلهم من الجنة بربهم فيما اهل الجنة كما ورثوهم فى الهداية فى دار الدنيا كذلك
ورثنا اهل النار منازل اهل السعادة فى النار قال الله عز وجل لكل ضعف ولكن لا تعلمون
يقول المؤمنون الذين ورثوهم فى منازلهم من الجنة ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم كذلك المؤمنون فى نعيم مقيم **قوله** تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا يريد وهو اعلم الى سره كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس
نفث فى روعى ونحوه او من وراء حجاب كتكليم موسى عليه السلام وبما سمعه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الاسراء امضيت فريضتى وخففت عن عبادى وهى خمس لا يبدل القول لدى او
رسولا فيوحى باذنه ما يشاء جبريل ومن يشاء من الملائكة عليهم السلام الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس وقال عز من قائل ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
ان انذروا ثم ذكر ههنا وحيا آخر فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى
ما الكتاب ولا الايمان هذا انتظم والله اعلم بما ينزل بما ذكره فى صدر السورة على اثر المجمل
منه الحكم ثم قال كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الى قوله وكذلك اوحينا اليك
قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر ام القرى ومن حولها وتنذر يوم
الجمع لا ريب فيه فهذا ما انفصلت اليه تلك الجملة ثم الى قوله فيما قبل وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا الى قوله انه على حكيم ثم عطف على هذا المعنى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من
امرنا به نفهم عنه آثاره ووحيه عنه اليهم والقاه ما يلقيه فى ذواتهم قال الله عز وجل ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان فيما القاه الله اليه من هذا الوحى كذو روح به تعرف وحيه وتفهم عنه
وعن الملك المراد وهذا انعم الله تعالى منه لمن يشاء من عباده وما قسم لهم من ذلك يكون فهمهم

للكتاب والوحى والايمان وبه يفهم عن ربه ويعرفه ويطيعه اذ بهذا الروح يحيى المحل الذى
هو حيوة الايمان وكل محل لم يحل فيه هذا الروح هو ميت الاحياء لا يعقل الهدى ولا يبصر
ولا يسمع ولا يتحرك اليه والقرآن نور ولا يدخل الا فى محل الايمان وهو روح ولا
يدخل الا فى محل الايمان وهو روح ولا يدخل الا حيث الروح وهذه الحيوة تنشو
من لدن عالم الجماد ثم الى النبات ثم الى الحيوان قال الله عز وجل وان من شىء الا يسبح بحمده وله
اسلم من فى السموات ومن فى الارض كل له قانتون ثم الانسان ثم الولى ثم النبى ثم الملك
ويسمع الولى بالله ويتكلم بالله ويرى به ويبطش به ويمشى به اذ هو من الله جل ذكره على
الاعلى الحى ومنه روح القدس ومنه روح الامر وهذا هو الوصل **فصل** الا انهم عز وجل
يقول ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا اى فى الانبياء والمؤمنين لنا بعينهم
باحسانا ثم هم درجات عند الله ثم قال وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الذى
له ما فى السموات تعريض بالحق المخلوق به السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور وانما
نصا صريحا يعنى ما عرضنا اليه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل **فصل** الاجتباء
خاص من ذلك حياة المال من مواضعه وان بعد ثم الاصطناع يصطنع من احساه ثم
من ذلك ثم الاصطفاء وهو خاص وهو الاختيار ومنهم فى سابق علمه ثم التولى يتولى جل ذكره
بولايته من احب ورضيه ثم هم بعد ذلك درجات فى الولاية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والهداية منه والمعونة لهم ونصيحتهم فى درجاتهم هو يهديهم به اليه فى علومهم وبعينهم
ومعارفهم ومشاهدتهم الى ما هو ارفع من هذا واسنى واهدى اليه سبيلا فمن ذلك الفرقان
الذى يفرق به بين المشتبهات والنور الذى يمشى به فى الظلمات فذلك الذى ابصر شعاع النور وهو
الضياء المبثوث فى العالم المفطور بالحق المبين وعاين ايصال ذلك بالحق المبين وعلى قدر الاقبال
عليه والتفرغ عن كل ما يشغله عنه بالعمل بما يرضيه والوقوف على معالمه وسؤال معاهده وشهاد
شواهده وآثاره التى آثرها واستنباط رسومه التى رسمها للمتوسمين يكون تقوله وهداه اياه

سورة الزخرف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم انبأ منه عن بعض مقتضيات الكتاب المثبت فى علم
بخلقه واعلام من موجودات الكتاب المبين بما شاء من ذلك وقوله انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم
تعقلون جعله قرآنا عربيا اى مجموع الحروف والمعانى التى حواها نزله الى ان يكون مقروا
لعباده مكتوبا بعد ان كان فيما لديه مكتوبا فى الكلام العلى وعلمه بخلقه ومثبتا فى اللوح المحفوظ
لعلكم تعقلون اى ما فيه عنا من معانى الخطاب وسر المراد لولا تيسيره اياه جل ذكره لم يكن
للعقول ان تصل اليه تلاوة ولا عقلا عنه ثم قال عز من قائل وانه فى ام الكتاب المثبت فيه علمه
بخلقه ثم فى الكتاب المبين له بما عندنا وفى حضرتنا لعلى اى عن افهامكم وتلاوتكم حكيم
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وصفه بصفتين من صفاته العلو والحكمة وسماه منهما
باسمين هما من اسمائه العلى الحكيم ذلك لانه كلامه العلى فكتابه الحكيم هو منه وبه واليه فافهم
قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين قرئ بالكسر ان وفتحها فعلى
الكسر تقديره ارايتم ان كنتم قوما مسرفين نعدل عنكم بالذكر فلا نرسل اليكم رسولا ولا ننزل

عليكم كتابا وعلى الفتح لان كنتم قوما مسرفين نعدل عنكم بالذكر فلا نرسل اليكم
رسولا ولا ننزل عليكم كتابا ومجموع هذين المعنيين في هذا التقدير لاسرا فلم يكون هذا
منا فيعذب المعذب منكم دون اعذار منا له ولا انذار فقد تقدم مني في العهد قولي اهبطوا
منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لاسرا انكم انقض عهدي
وانا حكيم وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا
اشد منهم بطشا ثم قال جل قوله ومضى مثل الاولين اضراب منه عن ذكرهم اى تقدم حكمنا
فيهم وذكر خبرهم وسنن سنتنا في الاولين منهم من اطاعنا وعصانا **قوله** تعالى
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم استفراد من افعالهم
ومقالهم ما كسر به حججهم وبين به غلطهم حتى وضح لاولي الالباب انهم لا حجة لهم يقول جل من
قائل يقولون خلقهن الله الذي امتنع من الاوهام ان يكيفه من العقول ان يدركه ومن الشركا
والانداد والاضداد والمثل والنظير ان توصف منها العليم بكل شيء احاطة كاملة يستحيل عليها
الحصر ولا تحوز في وصفها القصر فهو لا يعجزه شي ولا يفوته فائت فهو بعيد كما ابدا الذي
جعل لكم الارض مهادا جعل ذلك اية منه على ارض الجنة تجري فيها انهارها وعيونها وانزل من
السماء ماء فاخرج به نباتها زروعها واشجارها وضروب فواكهها وثمارها وجعل قد
ذلك اية على احوال اهل النار دارهم فيها لا يستقرون على قرار ولا يعتمد ون على معتمد و لا
يعفون ابدا على ارض لا يذوقون برد الشراب ولا لذة صحة ابدا يرسب بهم الغليان و تلهب
النيران ويصعد بهم اخرى نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا وفي الاخرة وفيما بين
ذلك قال الله جل قوله وسلك لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون وتعدد نعمه فيها تيني بقول عن قول
تذكا لكم اية على وجود ارسال الرسل وانبياء الانبياء وجود كم السبل في الارض هدانا
لكم الى مقاصد كم الله قال جل قوله الحق لعلكم تهتدون اى بذلك الى صحة الرسالة والنبوة
ثم قال جل قوله والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا الذي جعل لكم
الى نعمه العامة لكم ذلك دلالة على الوحدانية والرسالة والنبوة وحسن النظر
للعباد نكونه يقدر على الاحياء بعد الاماتة وعلى وجود النشور والخروج لذلك قال عز من قائل
والذي خلق الازواج كلها فجعلها اعلاما باسم الفرد واسمه الوتر ثم قال جل قوله وجعل
لكم من الفلك والانعام ما تركبون انعم عليكم بها في هذه الحياة الدنيا وجعلها تذكرة
لكم بابل وخيل في الجنة وانعام وفلك ومركوبات كثيرة من لؤلؤ ونور مخلوقة لا تتحول
ولا تزول تطير بهم طيرانا وتمشي بهم كيف شاؤا كذلك الفلك وسفن يركبونها في
انهار الزنجبيل والسلسبيل وانهار الماء والخمر يرجعون فيها من زيادتهم اذا شاؤا وتجري بهم
في تلك الانهار تمر بهم على سواحل لهم تحفها روضات الجنان وقطع العقيان والزبرجد
والياقوت واللؤلؤ قال الله عز وجل الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون
ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ثم قال عز من قائل وعليها وعلى الفلك تحملون
اى فيما هنالك لم يكن جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ليعلمنا مما قد وجدناه وانما

اخبر هذا بلفظ المستقبل اعلاما بما يكون في تلك ثم قال جل قوله مبينها للفطن وبريكم
اياته اى فيما حضر على ما غاب فاى ايات الله تنكرون وقال جل قوله وله الجواري
المنشات في البحر كالاعلام ثم قال جل قوله فباى الاء ربكما تكذبان والال هو مليط
عن وجود حقيقة الموجود في الدنيا الا وفي الاخرة الوجود الحق فافهم لا تسمعه عز وجل
لتستووا على اثر ذلك لتستووا على ظهوره يعني المركبين البري والبحري ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه تذكروا بها ما هنالك وتشكروه على ما متعكم من الانعام تلك في هذه وتقولوا
سبحان الذي سخر لنا هذا وانه لنا كما قال جل قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وما كنا
له مقرنين اى مطيقين الاقران الاطاقة وقرنت هذا الفرس والبعير اى اطقته واصله ماخوذ
من القرن اى صرت له قرنا اى مطيقا فيقولوا لولا ان الله جل ذكره سخرها لنا ما كنا لها
مطيقين هذا على ان يعتقدان الانزال هو انزال الشراسة والانزال ايضا هو انزالها
من الجنة في الماء ثم قال جل قوله وانا الى ربنا لمنقلبون عرض جل ذكره بان يرموا باوهامهم
الى المال والمنقلب الذي يجدون فيه من هذا ومما لا يعلمون ما هو خير وابقى **قوله** تعالى
وجعلوا له من عباده جزءا الجزء النصيب نسبوا اليه الاولاد سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا وقد يكون معنى الجزء البنات وهي لغة شاهدها على ذلك ان اجزأت حرة يوما
فلا عجب قد تجزي الحرة المذكار احيانا **قوله** تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم هذا
منتظم بما قبله من ذكر الجزء فهذا صحيح من حيث المجاورة ونوجه اخرى والله اعلم انه
كلام تقدم على موضعه والمنتظم به معنى قوله اومن ينشا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
اى انا ان ينسبون اليه والى انفسكم الذكران ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين واذا
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يكظم غيظه يفكر في نفسه كيف يمسكه على هون ام يدسه
في التراب الا ساء ما يحكمون حرموا الاعتبار في وصفهم الرحمن جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه
بالولد وفي ايجادهم الاستر عنه فرضوا له بما لم يرضوه لانفسهم جل خطابهم ثم ينتظم
اومن ينشؤ في الحلية المعنى وذكر قول الاخرين في قوله جل قوله وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن وهذه القراءة اعلى واليق بسياق المعنى الذي جاءت له وهي قراءة
ابن مسعود من قرا عند ربك ذهب الى الجاه والخصوصية كقوله ان الذين عند ربك لا
يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون **قوله** تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما
عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون رد الله جل ذكره عليهم قولهم وان كان
ما قالوه حقا لانهم استمروا في اعلى كفرهم وشركهم فخرجت كلمتهم هذه بغير علم ولا معرفة
جعله جل ذكره منهم تعرضا وتظننا اتبع ذلك قوله محاجا لهم ام اتيناهم كتابا اى يكفرهم وبما
اشركوا به من قبله يعني القرآن والرسول عليه السلام فهم به مستمسكون نظم بذلك قوله بل قالوا انا
وجدنا على امة اى سنة وهي ايضا من الايتمام وقرئ بكسر الهمزة من امة وهي الملة والامة ايضا الملك
مهتدون بهدى ابيهم وانا على اثارهم مهتدون قال اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم
قالوا انا بما ارسلتم به كافرون تشابهت قلوبهم فتشابه جوابهم وعلمهم يقول الله جل
ذكره هذه الامة فلم يعاجلها بالعذاب ولم يعمها باهلاك بل جعلها فيمن مضى عبرة

واقام لها سنته فيمن خلا خطه والحمد لله رب العالمين **قوله** تعالى واذ قال ابراهيم لابيه
وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين هذه كلمة لا اله الا الله يقول عز
وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون عن شركهم وكفرهم الينا وذكرهم الان
بها يوم نزول القران ثم اضرب عن ذلك لما جهلوها ونسوا ما ذكروا به فقال جل قوله بل متعت
هؤلاء واباءهم يقول ولذلك نسوا الذكر حتى جاءهم الحق ورسول مبين الايات الى اخر المعنى
نظم بذلك من معنى التمتيع قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة المعنى الى اخره عرض لبره بالمؤمنين وحسن لطفه بهم في ترفيعه عنهم شدة
المجاهدة ومصابرة الحال نزل الاقدام عن سنن الهدى الى الميل والاصغاء الى مظان الغناء والملك
والعاقبة بالهوى فكان يفشو ذلك ويعم فيصير الناس امة واحدة على الكفر الا من عصم الله
هذا على الاكثر فجعل الله جل ذكره دنيا صدر هذه الامة في طريق اخر بها فجمع لها بذلك خير العاجل
والاجلة قال الله جل قوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والكافر مغبون في الدنيا
وان بلغ ما وصفه الله جل ذكره واما في الاخرة فاجمع له الغبن كله لا ريب في ذلك فان الدنيا
وان استوسقت ملكا وغنى فهو فيها قصير المدة بعض الوجود وهو متاع قليل في جنب ما منح
في الاخرة النجاة من النار والفوز بالجنة في الملك الدائم والنعيم المقيم **فصل** ما جاء
مثل هذا الخطاب منه جل ذكره الا وهو كائن ولو يوما ما وما اراه كائنا الا في ملك الدجال لعنه
الله فانه جاء في الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يطا الارض كلها الا مكة والمدينة
وانه ليمر بالخربة فيقول لها اخرجي ما معك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل وقد جاء في نبوة اشعيا
عليه السلام ما يدل على هذا ويعرض اليه **قوله** عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن يريد ومن
يعرض ومن قرا بفتح الشين من يعش فهو من العمى نقيض له شيطانا فهو له قرين هذا منتظم بما قد مضى
من ذكر النسيان للذكر والغفلة عنه تزين له الشيطان ما هو فيه من الاعراض والتعامي عن سبيل
رشده بقول الله جل قوله وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون يرون
الحق في معرض الباطل والهوى في معرض الضلالة وبالغ هذا الدرك قد ضعف الرجاء في هدايته كيف
يهتدي من اعتقد انه المهتدي **قوله** تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون
انتظم هذا بما قبله من ذكر القرينين يخاطب بهذا كل مقترن خطابا بالغا وموعظة ما
انجعها للقلوب الحية وينتظم هذا وهذا بما قبل وهم المعنيون في قوله وجعلوا له من عباده جزءا
الى قولهم انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية
من نذير الا قال مترفوها المعنى الى اخره **قوله** عز وجل واسئل من ارسلنا من قبلك من
رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون هذا منتظم بما تقدم له من مخاطبته اياه فاستمسك
بالذي وحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك ولهم في الدنيا
وذكر بعدهم بثواب الاخرة لمن امن وهو اعلم جل ذكره ان يسال الرسل وقد ذهبوا
ولا ان يسال المرسل اليهم فانهم قد ضلوا عن هدايتهم واختلفوا من بعد العلم الذي
جاءهم فليس على ذلك بشهداء ولا بموثوقين على ادائها ولو سالهم فاخبروه بما ليس
عندهم لم يسعه ان يترك ما هو عليه لما عندهم هذه امور جل وعز في قوله جل قوله

فان شهدوا

فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا المعنى الى اخره
حيث وقع وانما امره ان يسال عنهم القران في قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل
اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وامره ايضا ان يسال عن ذلك علمه ويقينه والوحي الذي
اوحاه اليه فلذلك يخبر باليقين في قوله افمن كان على بينة من ربه هذا الكتاب والوحي
ويتلوه شاهد منه اي من ايمانه وعلمه ويقينه غير هذا من التاويل محال **قوله** عز وجل
فيما حكاه عن فرعون لعنه الله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي
عليه اساورة الى قوله فاستخف المهين الضعيف لفقره استضعفه ولا يكاد يبين قالوا
للعقدة التي ذكرها في لسانه قالوا وتلك العقدة عن جمرة وضعها في فيه في صغره لقصة ذكروها
لم يات ما ذكروه من طريق مقطوع به انه كان به خرس او بكم ولا يرسل الله رسولا للعباد
الا كان اكملهم لا سيما موضع التبليغ قال الله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وما
ذكروه فليس على معهود الوحي ولا المراد به انما كانت عقدة لسانه عليه السلام انه كان عبرانيا
اذ كان قد نشا بين القبط وربي في حجر فرعون فكان يتكلم بالقبطية والعبرانية معا ولما
فر من فرعون للجناية التي جناها عليهم خوفا على نفسه ولبث في مدين سنين اعتقل لسانه عن القبطية
لاجل ذلك فكان فيها كالدخل وان غير بعض العبارة فقال صلوات الله وسلامه عليه يوم امره
ربه جل ذكره بالتبليغ الى فرعون وقومه اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي وقال فرعون لما خاطبه وراى ذلك منه ولا يكاد يبين يقول فلولا القي عليه اساورة
من ذهب كناية عن الملك يقول فهلا اعطاه ربه الملك فكان بذلك يقهر الناس ويغلبهم
على امرهم وجاء معه الملائكة مقترنين اي يجبرون الناس على ما ياتيهم به ويحملونهم عليه
كذلك قال الذين من قبلهم تشابهت قلوبهم **قوله** تعالى فلما اسفونا انتقمنا منهم قد يكون
الاسف الحزن ويكون ايضا الغضب لكن الفرق بينهما ان كان الذي اسفك من هو فوقك احزنك
وان كان ذلك ممن هو دونك اغضبك فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين سلفا للمهلكين بعدهم
ومثلا للاخرين ويخرج معنى الحزن على ان يكون معنى الكلام فلما احزنوا رسلنا واولياءنا انتقمنا
منهم ويخرج ايضا على معنى قول الله جل قوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله
الحديث وقوله جل قوله ابن ادم مرضت فلم تعدني الحديث ولذلك قال جل قوله فلما اسفونا
والا كان يقول فلما اغضبونا وهذا الخطاب هذا القول مصدق للحديثين المتقدمين فافهم يضربون
بهم الامثال فينقطعون بما اصابهم **قوله** تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون
بالرفع يعرضون يصدون بالكسر بهزا وضحكا والكسر اعلى القراءتين **قوله** تعالى ان هو الا عبد
انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي شبهة شبهنا بها عليهم والله اعلم دل على ذلك ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون **فصل** قد يكون المثل مضروبا للعبرة واقرب ما يكون
الى اصابة المراد وهو والله اعلم ان يكون معنى قوله جعلناه مثلا لبني اسرائيل فخصهم بالذكر لانهم
المفتونون بالدجال لعنه الله المسارعون الى اجابته فان الدجال لعنه الله ان كان قد يجيء
ويخرج له كنوز الارض وياتي بايات عظيمة وقدرة قد قدرها رب العالمين لا بنيانا لحكمة الله جل ذكره
في ذلك فان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم سيحيي له الصالحون ولا يحل لكافر ان يجد ريح نفسه

ان يعيش و سيقتل الدجال و يتمكن من جميع ممالكه و ممالك ياجوج و ماجوج و سيخرج الارض
اليه اثقالها و يتبرا اليه بجميع بركاتها حتى ان الدنيا لتعود الى افضل ما كانت قبل و الى يوم لدها
و انما المثل في ذلك متى جاء الدجال لعنه الله بتلك الايات يدعوا الى نفسه فيما دون ما ياتي به
باحياء عيسى عليه السلام الموتى و تاييده بروح القدس و كونه عن روح من الله جل ذكره و كلمته
و ابرائه الاكمه و الابرص و اطلاقه الزمنا و كفايته ضروب الابتلاء و لما بلغ يحيى بن زكريا
عليه السلام و هو في الحبس افعال المسيح ارسل اليه رجلين من تلاميذه يقول له انت المقبل ام غيرك
ينتظر فقال لهما عليه السلام اعلما يحيى بما رايتما و سمعتما فان العمي يبصرون و الصم يسمعون
و العرج يمشون و الجذماء يستنقون و الموتى يحيون و الفقراء يستبشرون فطوبى لمن لم
يشكك نفسه فبهذا و مثل هذا يكون عيسى صلوات الله و سلامه عليه مثلا لبني اسرائيل و غيرهم
قال الله عز و جل و لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون جعل الله جل ذكره الا حياء
و الروح الحي ينفخ في الطين على صور الطير فيصير طيرا حيا و يعلم كثيرا من الغيب و يتكلم
بالحكمة و يبرئ الاكمه و الابرص و هذا كله باذن ربه كان من الله جل و تعالى اية على ان الله
تعالى يبلغ بالاختصاص الى اكثر من ذلك ثم الى ما شاء من عباده و قد فعل ذلك و زاد اضعافا
كثيرا بالملائكة عليهم السلام **قوله** عز و جل و انه لعلم للساعة اى هو ايتها فاذا نزل صلى الله
عليه و سلم فتلك اية على قرب الساعة و علامة للانقراض و قد قرئ و انه لعلم للساعة **قوله**
تعالى حكاية عن عبده و رسوله عيسى صلى الله عليه و سلم و لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
يعني ما يختلفون فيه في قوله و لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم هو صلوات الله و سلامه عليه معقب
يتم للامة بهم ما لم يبلغه فهمها فيحلها و يحرم عليهم لذلك و يتم ما عليهم بتتميمه قال الله
عز و جل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم و الله متم نوره فقد اتم من ذلك ما شاء و يكمل
الاتمام به كما قال لبني اسرائيل و لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم
و يزيد في الحلال **قوله** عز و جل انتم و ازواجكم تحبرون يسئل رسول الله صلى الله عليه و سلم
عن الحبر ما هي فقال اللذة و السماع لما شاء الله من ذكر **قوله** عز و جل قل ان كان للرحمن
و لد اى عند كم في ادعائكم فانا اول العابدين يشبه ان يكون معنى ذلك الانفين و العبد شبه الانف
و الحمية على كل شيء يكرهه و يستنكف تعبدا لذلك اى بانف بذكر عن علي رضي الله عنه قال
عبدت فصمت يعني انفت فسكت و اوجه الكون جميعها في هذا و الله اعلم فانا اول العابدين لله و
على معنى ما ياتي بعد هذا و هو قوله جل قوله جل قوله سبحان رب السموات و الارض رب العرش عما
يصفون اى انا اول العابدين على هذا المعتقد و على هذا الايمان و العلم **قوله** تعالى
و هو الذي في السماء اله و في الارض اله اى هو الهي في السماء الاهي في الارض هو على الكرسي
مستو و في الارض بما هو على عرشه مستو لا تحويه الاقطار و لا يكتنفه الامكنة و لا الازمان
و لا ينبغي لاحكامها ان تبلغ عزته و عظمته بين ذلك بقوله جل قوله و تبارك الذي له ملك
السموات و الارض و ما بينهما و عنده علم الساعة علا به عزته و عظمته على ان تبلغه الحدود و الاقطار
او تناله الاحوال و الاحكام سبحانه و له الحمد **قوله** تعالى و قيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
فاصفح عنهم و قل سلام سلام متاركة لا سلام تحية و هو سلام تباعد لا سلام تواصل

بين

بين ذلك قوله جل قوله فسوف تعلمون و من قرا بكسر اللام من قيله فعطف على علم الساعة تقديره
و عنده علم الساعة و علم قيله يا رب و من قرا بفتح اللام فعطف على يسمع سرهم و يسمع قيله
يا رب و من ضم فعلى وجهين احدهما فاني بوفكون و قيله يا رب و الاخر على الحكاية كما يقال و هو
قوله هذا الكلام كسرها عاصم و الكسائي و حمزة و نصبها اهل المدينة و ذكر ذلك عن الحسن

سورة الدخان مكية فيها من المنسوخ اية واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم حم و الكتاب المبين قال في غير هذه طس تلك ايات القرآن و كتاب
مبين و طسم تلك ايات الكتاب المبين و اما في هذه السورة فهو قسم بالكتاب المبين و يختلف
المعاني باختلاف المراد المعبر عنها و قد قرئ حم و الكتاب المبين و يس و القرآن الحكيم و ن
و القلم و ص و القرآن ذي الذكر و ما يكون ذكر الحروف المقطعة حم هي المعبر بها عن
الوحي و الحيوة و الروح و الحلم و الحكمة ثم اقسم بالكتاب المبين الذي هو لوح الوجود من سموات
و ارضين و جبال و نبات و حيوان و نجوم و افلاك مثل لذلك للوح المحفوظ طاهر ما اظهره
و من باطن لوح الوجود و كان القسم واقعا على انه انزل القرآن في ليلة مباركة و جعله قرآنا عربيا
و مظهرا لما في ام الكتاب منه باطنا لظاهر الوجود فربما تقدير ذلك هذا وحي الحي القيوم
بالروح من امره نزل الروح الامين و حق الكتاب المبين فانه يقسم من مفعولاته بما شاء قوله
تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة يعني ليلة القدر وجودها في العشر الاخر من رمضان فيها
يفرق كل امر حكيم بمعنى محكم و وصف الامر ايضا بانه حكيم سائغ حسن و تفسير اسمها
من التقدير المثبت في ام الكتاب اي تفصل ثم يكون بعد في الكتاب على نوبة المكيفة و اجاله
المحددة **فصل** اذا كان ما تقدم كما ذكرته فما معنى انزاله اياه في ليلة القدر و قد قلت انه
يفرق فيها من ام الكتاب ما يكون من تلك الليلة الى مثلها في المستقبل و القرآن فلم المنود
من السنين و هو من الامر المفروق فالجواب ان اول ما يكون ليلة القدر له لوحا كما جاءت الصلوة
الى الصلوة كفارة لما بينهما و الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما و رمضان الى رمضان كفارة بينهما
كذلك ليلة القدر يفرق بعض ما يفصل فيها من الامر الى مثلها كالصلوة الى الصلوة و الجمعة
الى الجمعة و رمضان الى رمضان كذلك اسابيع ليلة القدر و اسابيع اسابيعهن ثم ضرب اسابيع
الاسابيع و اسابيع الخوامس و الله اعلم **قوله** عز و جل الحمد انا كنا منذرين متصل الكلام
و الله اعلم بما ينزل يعني ما تقدم انذر بما يكون مما قدر كونه من ليلة القدر الى مثلها في عام
و في خمس خمس و سبع سبع و هي تسع و اربعون الى مثلها و الفشهر الى مثلها و ما ضرب به
من خوامس و اسابيع و ما بين ذلك من تقدير العزيز العليم نظم بذلك قوله الحق امرا من عندنا
انا كنا مرسلين بشرا بما يكون في ذلك مما قد قدره من نصر الاسلام و اظهاره و اصلاح
الاسلام بلادا و عبادا و ما يدلي من ذلك لبعض دون بعض كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم
دعوت الله لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة و دعوته ان لا يسلط عليهم عدوا فيستاصل شافتهم
ففعل فدخلت النذارة و البشارة على هذا و البشارة في النذارة حتى امر الله في القرآن
المفروق من ام الكتاب المحدود و كونه و لبثه بين ظهراني العباد و ان كان المراد بفعله امرا
من لدنا اى من عندنا القرآن و المعنى سواء فانما اعلم القرآن بسر المراد من ظاهر الامر المنزل

فى لوح الوجود والقران هو المنزل بالملائكة بالروح من امره على محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفى ليلة القدر من خاصة خصها الله بها من فضيلة واعلام بكون
نحو الاشارة الى الفاتحة وبالامم فهو ايضا من امره ووحيه فيها لذلك هى ليلة القدر امر
من لدنه ايضا كما قال جل قوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر فقرنه بذكر
الرسالة قوله رحمة من ربك كما قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين انه هو السميع العليم
منفع لدعا من شفع عنده من الملائكة عليهم السلام فى تاخير فتح القران وتاخير عذاب
الانقراض وايجاب المغفرة لاهل الارض والذين امنوا والتوبة عليهم والدعاء لهم بالاهل
والاصلاح حتى يتبعوا سبيله عليهم بما يكون منهم من تقديره وما قد كان اتبع ذلك فى
معناه قوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اى بانه رب كل شىء ومليكه وان
السموات تكدن ان يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض
وما يكون من ادجاعه الحكمة واحزها على اوائلها وفى ذلك تمام الاجال وتعريض من الاحكام
باحكام وهو رب السموات والارض وما بينهما والكرسى الكبير والعرش العظيم فله ملك ذلك
وملكوته بما فى ذلك من تقدير وتدبير وانفاذ ما شاء انفاذه من احياء واماتة وتقدير وتاخير
وعطاء وحرمان الى غير ذلك نظم بذلك قوله الحق جل ذكره بل هم فى شك يلعبون اى فى حجر
ذلك لا خشية لهم ولا رهبة عندهم ولا هيبة قلوبهم اتبع ذلك قوله فارتقب يوم تاتى السماء
بدخان مبين اول هذا الدخان كان فى السبع الشنيع التى دعا عليهم فيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله اللهم اعن عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة حصت كل شىء حتى اكلوا الجلود
والشعر والميتة وكان احدهم يرى بينه وبين السماء الدخان ولهذا قال ابن مسعود رحمه الله عنه ان
الدخان قد ذهب فى انما كان ذلك اية على ما ياتى منه وهو من جملة اشراط الساعة احد العشرة منها
ووصف جل جلاله الدخان بانه مبين عن ذلك واية عليه كما يقول ايات بينات كم اتيناهم من اية
بينة ثم قال جل قوله يغشى الناس هذا عذاب اليم وفى مستقبل ذلك الدخان تقول الكافرون
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ولم يقل يونس ذلك بقول عز من قائل انى لهم الذكرى كما قال
فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ثم
صرف وجه الخطاب الى يوم القيمة بقوله الحق عز قوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
اى يكشف عنهم العذاب وهم عائدون ولا بد ولا محالة ينتظرهم البطشة الكبرى انا منتقمون
وما دون البطشة الكبرى هو انتقام بالجزاء العاجل فى هذه الدنيا ومحاصرة لقريش غزوة
بدر فهى الصغرى بالاضافة الى البطشة الكبرى يوم القيمة ولتداخل هذا الخطاب بعضه فى
بعض قال اللزام والبطشة والدخان قد مضت وعلى القول بالحق انما هذه كلها ايات علامات
يأتى بعد هذه ايات عليهن وعلاماتهن قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم
رسول كريم اى وحيه عند الله جل ذكره فتنهم عن الهدى اى لوى برقابهم عنه ان ادوا الى عباد
الله كما قال ان ارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم رسول امين يريد على الوحى ناصح لهم ثم قال لا تعلوا
على الله انى اتيكم بسلطان مبين فكان ارساله اليه ان يرسل بنى اسرائيل وان يسلم كما قال هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى وارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قوله تعالى

فيما

فيما حكاه عن رسوله عليه السلام وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون
الرجم قد يكون بالقول وهو القذف وقد يكون القتل بالحجارة فقد قالوا فيه ساحر
ومجنون وكذاب وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه ولما بلغ ذلك موسى صلوات الله
وسلامه عليه قال انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يعنى عليه السلام
وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون اى سالمون سنظر بهم وعد الله تعالى قوله تعالى كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم لما كان المعهود من الزرع الحصد فى اقرب المدة
وال ذلك بقوله واورثناها قوما اخرين لم يكن فى ملك المدة لبنى اسرائيل رجوع الى مصر
فاورث زروعها وجناتها وما فيها من مقام كريم قوما اخرين ليسوا بال فرعون فانهم
قد اهلكوا ولا لبنى اسرائيل فانهم قد عبروا البحر لما تولد ملكهم فى الارض المقدسة اتصل مصر
فورثوا كنوزها واموالها ونعمتها ومعالمها الكريمة وقوله وكذلك الكاف للتشبيه وذلك
مشار اليه وهو اهلاكه للامم قبلهم وبعدهم لاجل كفرهم وردهم رسالة ربهم كما قال كذلك
نفعل بالمجرمين فقال فيهم فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين اتبع ذلك قوله عز وجل فما بكت
عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين اى انهم لم يوخروا الى عذاب الاخرة فخسروا الدنيا
نعوذ بالله من احوال اهل النار فى الدنيا والاخرة جاء ان المؤمن اذا مات بكت عليه مصعد
عمله ومهبط رزقه حزنا لفقده والكافر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب قوله
تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا
يعلمون ليتقوا الله عز وجل اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين
ثم قال وما خلقنا لذا اخ المعنى كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم لو نظروا الى اختلاف الليل والنهار ودوران
الافلاك والملائم الازمان بعضها فى بعض لعلموا يقينا ان لا بد من حياتين ومن موتين وان
الابتدا كان من موت وان القرار يكون على حيوة كما قال جل قوله كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو الذى احياكم من موت ثم يميتكم ثم يحييكم
ان الانسان لكفور فالموت الاخرى بعد حياتنا هذه يرجع على الموتة الى كانت حياتنا هذه
عنها ثم تكون الحيوة الاخرى ترجع على هذه الحيوة كذا ثمرة من اربعة اجزاء نظم بذلك ما هو
من العبرة قوله الحق ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون
الا من رحم الله وانما الرحمة رحمته للمؤمنين لما فصل النهار من الليل والليل من النهار
والخير من الشر والضر من النفع والامان من الكفر وحد الحدود واجل الاجال دل
بذلك كله على انقضاء يوم الدنيا واستقبال يوم الاخرة ولما خلق السموات والارض وما بينهما
وكل شىء له قلت وله عابد وساجد ومسبح وحامد ومكبر ومصل ومنفق ما عنده شاهد له
بما هو اهله من الوحدانية والتفرد بحقيقة الالهية والاسماء الحسنى والصفات الكاملة العلى
كان ما لاح ذلك كله دون مانع لو لا مظاهر عدله بما شاء ونهى عما شاء فكان ذلك منه من جملة
ما خلق الله السموات والارض وما بينهما عليه من الحق الذى شرعها وفطرها عليه وهو صراط
المستقيم ارسل بذلك رسله وكتب به كتبه فاصطفى على ذلك وهذا وو الا عليه وعادى وكرم

من شاء واهمال وقرب من اجل من شاء واقصى فهو جل ذكره اذا قضى بتمام يوم الدنيا وقبل
بيوم الاخرى جمعهم بين يديه ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه وليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي
الذين احسنوا بالحسنى فامن بذلك المؤمنون وسلموا لله انفسهم كما سبق لهم عنده في الازل
فاوجب لهم بذلك رحمته نظم بذلك جل وعز ما هو منه قوله الحق ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم الحالف المتكبر الكافر كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم قال كعكر الزيت والمهل الصديد
والله اعلم والصديد بما هو حيث حل من الجسد فسكن فيه فيه فرح ودهن هذا معهود في الدنيا
ولانه كان عن دمائهم ولحومهم فهو شرابهم واليه يؤول طعامهم يغلي في البطون كغلي الحميم وربما
كان كعكر الزيت لونا وصديدا في الحقيقة وشجرة الزقوم في جهنم اعاذنا الله الرحيم الحق
برحمته منها في مقابلة شجرة طوبى في الجنة نسأل الله الرحيم الغفور رحمته في يسر وعافية لوا
هي ايبس من الحجر واحر من النار حال السعير وابرد من الزمهرير في دولته فيجول في بطونهم غليانا
في السعير ونكالا في الزمهرير يضطرون الى اكلها والى شراب الغسلين كما يضطر اهل الدنيا
الطعام والشراب قال الله عز وجل نمتعهم قليلا ثم نضطرهم فيما هو عنها ومنها الى عذاب غليظ
يقول عز من قائل خذوه فاعتلوه العتل هو ان ياخذ بتلابيب الرجل فيجره اليك الى سواء
الجحيم وسطها ثم صبوا فوق راسه هو مطر يمطر من فوقهم طم عذاب منه ذاتي ما هم فيه
كما ان بركة الماء تنزل من السماء ليست لغير ذلك كذلك لما تنزل عليهم مما هو بدل من ماء بها
عذاب يجدونه ليس سواه لذلك وهو اعلم قال ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم فمن ذلك
انه تصهر به جلودهم ولحومهم ويضطرون الى الشربة فيصهر به ايضا ما في بطونهم من حشوه
نعوذ بالله من عذابه قليله وكثيره صغيره وكبيره ومن جميع ما يوجبه ثم يسحبون في
وقد انسلخت جلودهم عن لحومهم فيسجرون في النار اي يوقدون ويقال للاثيم على ذلك ذق
انك انت العزيز الكريم هذا الاثيم كان داعيا الى نفسه انه رب العزة والكرم فقصمه يقال له
ذلك على التهكم منه وقيل ان ابا جهل بن هشام قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز
ولا اكرم مني فان يكن هذا كذا فليس ايضا بمقصور عليه ذلك وجده فانه يقال لهم هذا
ما كنتم به تمترون هذا مما يعرف نفسا من الحق قرئ انك بالفتح في الميم وضمها نحن في نصفها
نقراءته خارجة على وصف حالهم فيها واقامتهم ولبسهم السندس والاستبرق فان
المقام هو الاقامة بالمكان الذي يقام فيه والحال التي تنال في ذلك المقام ثم قال كذلك الكاف
للتشبيه وذلك مشار اليه وهو المعهود في الدنيا اي كالذي عهدتم منه ما هو متمنه على
بعد من التشبيه وانه عليهم ثم قال وزوجناهم بحور عين وفي قراءة عبد الله وامددناهم بعيس
عين يدعون فيها بكل فاكهة ما يتخذ ويستدعى بعد قضاء الحاجة فهو فاكهة وفعل المستعمل
بذلك بفكه فاكهين مسرورين منعمين ويقرأ فاكهين يعني اشرين فرحين وهو
معدول من الفكاهة فكه الرجل اي فرح ومتفكه اي مسرور ومتنعم امنين من حساب
ومن عذاب ومن غضب ربهم ومن مؤاخذة ما هم فيه قد علموا ان ربهم راض عنهم وبذلك
طابت لهم الجنة ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم ثم قال عز من قائل وقوله الحق
لا يذوقون فيها الموت لما كان من في النار من الموحدين يميتهم الله بها كانوا في الدنيا كيف تجو

يميتهم الله فيها اماتة وكان الكفار فيها لا يحيون ولا يموتون وصفهم بقوله الحق وهو
الصدق لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى التي ماتوها في الدنيا وحسن الاستثناء
موت اصابهم في الدنيا من حال يكون لهم في الجنة من اجل ان الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن
الخفي وتتبع النظر فيها فانها جنة صغرى لتوليه اياهم فيها وقربه منهم ونظره اليهم
وذكرهم له وعبادتهم وشغلهم وهو معهم اينما كانوا والفتح رحمته في الدنيا ورؤية المؤمن
ذلك وعلمه به واطلاع الله جل ذكره اياه على ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجالس الذكر
انها رياض الجنة وكذلك سائر العبادات المؤدية الى الجنة جنة فحسن لذلك الاستثناء من جهة فافهم
ثم قال عز من قائل ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك كانوا في الدنيا خلقوا من فتح جهنم
رحمة الله وغدوا بذلك ونشوا عليه يقول الله جل ذكره وان منكم الا واردها كان على ربك
حتما مقضيا وكان العذاب من جهنم والنعيم من الجنة لهم لزاما فامتن عليهم بفضله
ورحمته ان عدل بهم الى الجنة ووقاهم عذاب الجحيم يقول الله جل من قائل ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء لذلك قال عز من قائل ذلك هو الفوز العظيم **فصل** قال الله
عز من قائل فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم فذكر جل ذكره ايام الام
في هذه السورة ثم يوم اعمن في وصفه وهو يوم محمد صلى الله عليه وسلم وامته مختصرا ثم احال
على ايام القرون عندهم ثم ذكر يوم الحق المخلوق به السموات والارض ثم اتى بيوم الفصل ان
منهم لمرحوم وغيرهم ثم بيوم المقدار ووصفهم الدارين بابلغ وصف ثم قال عز من قائل فانما
يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون بما حواه الخطاب من ذكر الحوادث في عاجل واجل فارتقب انهم مرتقبون
اي بما ذكر فيه من علم بما ال بما حواه يوم الذي او له ليلة القدر والمنزل فيها القرآن الخاص اجل
وقت رفعه ثم الى اخر اجل ووقت رفعه ثم الى يوم البطشة الكبرى يوم الاعراض وحكمنا
وصف هذه السورة من العظم واجل الحظ قارئها وان فيها ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حملة القرآن فيه علم ما كان قبلهم ونبأ ما بعدكم **فصل** قال الله عز وجل حاكيا عن اهل
الجنة عندما يقدمون عليه من ربهم وغبطتهم بكريم منقلبهم افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه اللهم اني اسالك فكاك رقبتي من النار وكما ان هذه جنة صغرى بالاضافة
المؤمن كذلك هي جهنم الصغرى بالاضافة الى الكافر قال جل من قائل يوم قضى القضية لاهل اليمين
هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وقال لاهل القضية الاخرى هؤلاء للنار وبعمل اهل النار
يعملون وقد عبر كوحي عن اعمال الطاعة بانها جنة وعن اعمال الكفر والمعاصي بانها من النار كما قال
في عائد المريض انه في خرفة من خرف الجنة وفي مجلس الذكر انه روضة من رياض الجنة وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة وقال في اعمال
المعاصي والكفر ما يقابل ذلك كقوله الذي يشرب في انية الذهب انما يجرجر في بطنه نار جهنم
كما قال في المصلي انه يناجي ربه وان الله مواجهه اذا صلى وقال الله عز وجل ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقد جاء ان الله جل
جلاله يقول وما ترددت في شيء ترددي في مؤمن يكره الموت ولا بد له منه فذلك

انه فى الجنة وفى جوار الله عز وجل والعمل بطاعته وقد امن بالمصيرين والقضاء
قد سبق عليه بوجوب الموت لمعنى ما وحكمة بالغة فى ذلك والعبادة بمعنى التردد
هو هذا والله اعلم يقول اهل الجنة فى مقعد صدق افما نحن بميتين الا موتتنا
الاولى التى كانت فى الحيوة الاولى واستثنوها من الموتة التى اصابت من اضاع
فى النار من هذا المعنى لانها جنة تحسن الاستثناء منها ومن ذلك قول الله عز وجل
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى والكافر يلقى فى النار فهو لا يموت ولا يحيى
وهو فى حال البرزخ يحيى لعذاب ما هنالك وانما يعطى من الاحياء القدر الذى يحس
عذاب ما هو فيه وما يعلم به حرى مقامه وقد رما فاته ويبالغ فى ذلك جدا وقد جاء
ان قوما يشرح رؤسهم وقوم يشرشر اشداقهم وقوم يقتلون بكل ما قتلوه وهذا
كله يعطى اماتة كثيرة الى حيوة خسيسة محزنة نعوذ بالله من احوال اهل النار فى الدنيا
والاخرة وفيما بين ذلك نظم بذلك قوله الحق فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون
الدنيا والاخرة وما بين ذلك المصيرين ويناسب الاولى من الاخرة فارتقب
اى ما نعرو هو ويصيبهم من اجل تكذيبهم وكفرهم انهم مرتقبون لموتك وذهابك
لانهم لا يعقلون مال هذا كله المنسوخ منها فارتقب انهم مرتقبون نسختها اية السيف

سورة الجاثية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب اى اللوح المحفوظ تنزيل
تيسير فهمه وتيسيره للذكر من الله العزيز الحكيم ثم انشأ جل ذكره يذكر من نسخة الكتاب
المبين بقوله جل من قائل ان فى السموات والارض لايات للمؤمنين الى قوله جل قوله وتصريف
الرياح ايات لقوم يعقلون ذكر عن الفراء انه قال فى قراءة عبد الله ايات فى ثلاثهن وكذلك
قرا عبد الله وفى اختلاف الليل والنهار بزيادة فى قوله جل قوله ايات لقوم يؤمنون
ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون اى ايات موصلة اليه والى مقتضيات اسمائه وصفاته وتعرف
بالحق الذى فطر الخليقة كلها عليه فبالنظر فى الكائنات من السموات والارض وما بين ذلك
تحصل الايمان ثم بمداومة البحث وتعاهد الاذكار واستصحاب الاعتبار يترقى فى الدرجات
وبالنظر من المرء فى نفسه وخلقته وخلقه وصفاته واسمائه يتحصل اليقين ثم عداومة
التعبد ولزوم اليقين الى الممات يتحصل القرب ومحض المعرفة وعلى العلم ويلحق بذلك النظر
فى الحيوان والجماد ايضا لكن على حكم مبتدا النشىء وبالنظر فى النشأة الاولى يعرف النشأة
الاخرة وبالتفكر فى وجود الدنيا يعقل وجود الاخرة وبالنظر فى موجوداتها يعلم موجودات
ما هنالك وبالتذكر لصغر الدنيا والايمان بما يقتطعها والطريق الى الايمان بذلك هو
فى اختلاف الليل والنهار وتعاقب الازمان ثم بذلك يعلم كبر الاخرة وسعتها وفضلها
على هذه وطريق ذلك استصحاب حكم النشىء وان ذلك صاير من صغر الى كبر وبذلك يتقرر
العلم بتوالى وجود الاخرة وهو المسمى بالخلود وبرؤية فيصير الله جل ذكره اخر الموجودات
فى الدنيا حال اعدامه اياها الى موجودات اخر ينشؤ عن ذلك وابقى عندها بعهد رصد بها
يعقل دخاعة اياها اليها على سبيلها يوم بعثها حين احيائها ويحصل اليقين الحق بذلك

الى وقوف على المحصوص من ان الله جل ذكره المبدأ واليه المنتهى واليه المرجع والعود عنه بدانا
واليه نعود كما بدانا من التراب واليه يعيدنا فلا بد من لقاء الله لا مرية فى ذلك نظم بذلك
قوله تلك ايات الله نتلوها عليك فباى حديث بعد الله واياته يؤمنون نظم بذلك
قوله جل قوله هذا هدى يعنى وهو اعلم القران والوجود الذى قدم ذكره قوله تعالى الله
الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره اى بحفظه وكلائته ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون يقول جل قوله فيصير والى امثالها فيما هنالك وهو خير من هذا وابقى ونعم ما هنا
قد عم بها المؤمن والكافر فمن شكر فانما يشكر لنفسه بصير عنها هنالك الى جزاء ما عمل وجزاء ما انعم
جزاء وفاقا ومن كفر بصير فى ظلمات تهوده الى جزاء ما عمل وجزاء ما كفره فى اسفل السافلين
يحزنهم وصفهم انه حكيم عليم اتبع ذلك ما هو منه قوله جل ذكره وسخر لكم ما فى السموات وما فى
الارض جميعا منه اى من عنده هذا فيما يكون النظر فيه من جهة الايجاد والخلق وان كان النظر
حائلا فى الانعام والمنة والفضل فمن مشيئته وقدرته عليه وان كان المنظور فيه هو الهداية
والايات والدلالات وانه النور والعلم كله كيف مثل سرجا واضواء ونيرات بهن يستبين
موجودات البيت واذ كان البحث عن منبعث الانوار والهدايات والعلامات والدلالات
وجاعلها فارجع الى ما تقدم ذكره من السرج الذى اضاء بها البيت فهو الزيت الذى يضيء
السرج فهو المنبعث والشجرة المباركة الزيتونة مثل للحق المخلوق به السموات والارض ان فى ذلك
لايات لقوم يتفكرون وقرأ ابن عباس وعبيد الله بن عبيد بن عمير وسخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض جميعا منه مثقلة منونة على المصدر وقرا مسلمة بن حرث منه بفتح الميم وضم
النون والهاء مثقلة ويروى عنه منه بفتح النون ودفع الهاء وكسر الميم وقوله عز وجل
قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون هذا الخطاب
حيث وقع وشبهه من المنسى المذكور فى قوله جل قوله ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها
او مثلها وليس بنسخ وهو حكم يجىء ويذهب وعلى قدر الموجود كان ينزل مثل هذا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة والمسلمون والاسلام فى ضعف ولما ظهر الاسلام بعد الهجرة وغلب والحمد لله
رب العالمين نزلت ايات الانتصار والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقتال والجهاد وتركت
هذه واشباهها سطورة فى القران مرصدة لما عسى ان يعود من دائرة فى قوله جل قوله الذين
لا يرجون ايام الله تيسير لاولى الالباب على صحة ما ذكرناه مع ما قد اوضح الوجود فايام الله
والمسلمين هى دوائر حكمه لهم بالغلبة على اعداء الاسلام من سبيهم وقتلهم واستيلائهم على ارضهم
وديارهم واعزاز الاسلام والمسلمين من الله على اعدائه واعداء المسلمين ومن اياته
ان يبتلى المسلمين بتداول واثر عليهم ادالة اهل الكفر عليهم وتنبيها للمسلمين ليرجعوا
الى ربهم ويصلحوا ما بينهم وبين ربهم بالتوبة فقوله جل قوله يغفروا للذين لا يرجون
ايام الله اى لكم التى الى بها من النصر لكم والتمكين والاعزاز وانما يدبر الامر جل جلاله
وبدل الايام بين الناس ليجزى العباد بما كسبوا من خير وشر لذلك نظم به من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون فهذا وما كان فى معناه هو الذى لا النسخ
نظم بذلك ما هو فى معناه قوله الحق ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين

الوقو

امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم يقول عز من قائل انظروا الى محيا احدهم
فان كان عاملا بالايمان والاحسان وطاعة الله كذلك يكون مماته وحاله فيهما وبالضد
وسمى الحيوة للمؤمنين والكافرين والممات للصنفين على معنى قوله كل نفس ذائقة الموت
والا فالمؤمن حى حال الموت والكافر ميت فى الدنيا ميت فى الاخرة الا ما كان من معنى
للحيوة يلحقه لاذاقة العذاب الذى يصيبه ويكون على معنى انها من النسء ام حسب الذين اجترحوا السيئات
يعنى الكفار انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين يعنى
فى الدنيا بالقتل والجلاء والخزى وفى الاخرة عذاب جهنم ويكون ذلك ايضا فى حبه
الخلائف والخلوف ام حسب الذين اجترحوا السيئات اى المؤمنين العاصين ان نجعلهم
فى النصر والغلبة كاعدائهم الذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فى نزولهم
عن ثواب اليقين فى الاخرة ونصرهم وامنهم ساء ما يحكمون وما اصابكم وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ويكون المعنى ايضا ام حسب الذين اجترحوا السيئات اى الكفر
كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم يقول جل قوله انظر الى محيا هولاء
عمى وكفر او ضلالة فانهم فى مماتهم وبعد مماتهم فى خزى والى محيا هولاء هداية او عملا
واحسانا ففى جزاء ذلك يكونون حال مماتهم وبعد ذلك يوم الحشر والعرض على الله
جل ذكره ثم فى يوم الخلود هنالك نبلو كل نفس ما اسلفت نظم بذلك ما هو تمام المعرفة
قوله الحق وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون
وفى معهود الحق المخلوق به السموات والارض وموجود كالقران والوحى الاعلام بالجزاء
واستيفاء الحق مع التعريض بالفضل واعطاء القسط وامانة الوزن مع الاعلام بالتجاوز
والعفو **قوله** تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه اى يعبد ما هوى واضله الله على علم
من الله تعالى انه لا يهتدى وانه لا يستحب العمى على الهدى وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة ويكون المعنى ايضا على علم منه بالهدى واعرض عنه وعلم ذلك يحصل
لهم بالفطرة يريد فعل ذلك به عقوبة لاعراضه عن الهدى بعد اذ جاءه فمن يهديه من بعد الله
اذا كان المرء لا يقدر على هداية نفسه فكيف يهديه غيره الا الله لا اله الا هو **فصل** ذكر
عن على رضى الله عنه انه قال القدر سر من سر الله وحجاب من حجب الله مثله كمثل بحر عميق
كما بين السماء والارض فى قعره شمس بيضى لا يطلعها الا المدبر الحكيم فاذا كان يوم
القيمة كشف عن علم القدر فعلم الخلق ان الله ليس بظلام للعبيد ومن تكلم به فقد ضاد
الله فى ملكه وكاشفه فى سره وفى هدايته لابد ولا محالة قد سبق علمه العلى بما هو به عالم
لو جعل المشية اليهم وكتب علمه فى عمل كل واحد منهم بما هو محبة لنفسه ومؤثره اذا هو
اوجده لو كانت المشية اليه فصار كل الخلق محمولا على ما علم الله منه انه يفعله بمشيته من نفسه
وارادته لو اليه مقصورا عليه لابد له من فعله ولا خروج له عنه **قوله** تعالى وما هى الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وفى قراءة عبد الله وما يهلكنا الا الدهر وفى
لما لم يقولوها على علم صحيح مستقر فى قراره قلوبهم لم ينسبهم الى العلم وان كانوا قد وافقوا
الحق فلم يصوب مقالهم فقال جل قوله وما لهم بذلك من علم اى بالدهر والله اعلم انهم

لا يظنون وانما عنوا بقولهم الدهر الزمان والدهر هو الله الذى لا اله الا هو قال
جل قوله فى غير هذا الموضع كذلك كذب الذين من قبلهم اى كذلك قالوا وكذبوا قولهم
بفعلهم وقال فى موضع اخر كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا يقول الله
جل قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اتبع ذلك ولله ملك السموات والارض لا يعجزه شىء ولا يفوته فائت يحيى ويميت
ثم يحيى ويفعل ما يريد لذلك قال عز من قائل ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
خسروا انفسهم واهليهم والجنة وجوار ربهم جل جلاله وملك السموات والارض وما هو
باطنهن وهى الاخرة نظم بذلك خسارتهم وعدمهم قوله يخاطبون فى الدار فاليوم ننساكم كما نسيتم
لقاء يومكم هذا اى نترككم دون اكرام ولا دخول الجنة فيها كما تركتم الايمان والعمل فى النجاة
منها ثم قال عز وجل وعطف بالواو وماواكم النار وما لكم من ناصرين نظم بذلك قوله ذلكم
بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها بانهم غرتهم
الحيوة الدنيا استحقوا البقاء فى العذاب طول اعمارهم وباتخاذهم ايات الله هزوا وغفلتهم عن ايات
الله فى الوجود واستحقوا ان يمكثوا فيها ما دامت السموات والارض وبكفرهم بالله وبايات
الله ولقائه وبما له من الاسماء والصفات استحقوا الخلود ابدا فى البعد من جوار الله

سورة الاحقاف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم
محذوف هذا والله اعلم فاستمعوا له واحضروه قلوبكم وما يكون معنى هذا **قوله** عز
وجل ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقد تقدم ان جميع الوجود اوله واخره
نسخة لام الكتاب والسموات والارض اشارة الى بعض الوجود وبعضه يعطى من الدلالة
على المطلوب ما يعطيه الكل بوجه غير ان ما علا اصح دلالة واقرب منها شهادة وابين اشارة
وما صغر من الموجودات دلالته مجملة يحتاج المتعرض فيه الى التسبب وتدقيق النظر والبحث وتقدد
الكلام فى الحق الذى تضمنه وجود السموات والارض وما بين ذلك والمشير الى انقضاء الاجال
والشاهد عليه هو فى تدوار الدوائر بالامر ورجوعها واخر الحكمة بذلك على اوائلها واقبال
باوائلها على اواخرها من الليل والنهار والشمس والقمر وتسيار الكواكب واختلاف الازمان
الى غير ذلك يقول الله جل من قائل والذين كفروا عما انذروا معرضون شهدت عندهم شواهد
الوجود فاسمعوا لها ولا اصغوا اليها وانذرتهم الرسل والكتب من عند الله فاعرضوا
عنها **قوله** عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك فى السموات وفى قراءة ابن مسعود قل ارايتكم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا
من الارض هذا كله من تنزيل الكتاب المبين ويتبين له ويتيسر اتبع ذلك قوله ايتونى بكتاب
من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين وقرئ او اثرة من علم بغير الف قراءة
قتادة فالاثرة خاصة العلم وكالمكنون منه يحض الله به قوما دون قوم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاصحابه انكم سترون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض يقول سيأتى بعدكم
امراء يؤثرون عليكم سواءكم ويستاثرون بأموال الله دونكم فاصبروا والاثارة هى البقية

من اثر كل شيء يرى بعد ذهابه وحال دروسه والاثارة من العلم ما ماثره خلف عن سلف
وقوم عن قوم يتحدثون بعده في اثادهم يعني بعدهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه الخط وسئل عن الخط فقال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك وقد
قرئ او اثره بتسكين الثاء وهي كالخطفة ثم نظم بذلك ما هو في معناه الى قوله قل ارايتم
ان كان من عند الله وكفرتم به يعني القران والرسول وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
هو عيسى عليه السلام والله اعلم وربما كان عيسى ومن جاء بعده من الانبياء والرسل جاء
بلفظ الموحد على معنى الاخبار عن الجنس فامن واستكبرتم وقوله او اثره من علم كانه قال
ائتوني بمن اوتي بعلم اي من علم النبوة او نبوة قبل هذا ابناكرا وامركم بعبادة ما
تعبدونه والاثرة هي المنزلة في ذلك والمكانة فان صح ان المراد بالاثرة هو الخط جاء من
طريق صحيح مقطوع به فالخط الموضح ايضا طريقه الى ذلك النبي ع الذي كان يخط انه هذا الخط فهي
اثر لكن الطريق الى ذلك غير واضح فيه اشكال كثيرة ولعله اراد جل من مريد وعز ائتوني بكتاب
من قبل هذا يعني القران بكتاب كالتوراة والانجيل والزبور والصحف واذا صحت الطرق
اليها وهذا سياق الهدى ثم تنزل الى ما هو دون ذلك فقال او اثارة من علم كما يقول القائل
ائتني على صحة ما يقول ويزعم بدليل قاطع وحجة قاهرة او شبهة يتوجه بها ما قلت دل على
هذا التاويل قوله بعد هذا ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا
مصدقا لما بين يديه اي لما بين يديه من التوراة والانجيل والزبور والصحف كلها وقرا الجحدري
والحسن ويعقوب وهذا كتاب مصدق لما بين يديه لسانا عربيا وجاء في التفسير ان الشاهد
من بني اسرائيل على مثله هو عبد الله بن سلام وانه هو الذي آمن به واستكبر هؤلاء وهذا
وان كان كذلك من انه شاهد على التوراة او شاهد على القران وانه امن به واستكبر هؤلاء
فلا ينبغي ان يقتصر عليه دون ما ذكرناه قبل هذا ولان السورة نزلت بمكة وكان عبد الله بن
سلام رحمه الله عليه اول صدر الهجرة بالمدينة ودلائل القران تدل على ما تقدم وليس
بمدفوع فضل عبد الله بن سلام وصحة ايمانه وقد كان سعد بن ابي وقاص رضي الله يقول
اني لا اشهد لاحد انه من اهل الجنة الا عبد الله بن سلام وشهادة الانبياء والكتب
للانبياء والكتب هي المقدمة في الشهادة ثم شهادة الامم بعد ذلك نظم بذلك قوله
قل ما كنت بدعا من الرسل فانتظم من جهة المعنى قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ
اربعين سنة الاشد اشدان احدهما البلوغ به يلزم التكليف والامتحان واوله خمسة
عشر عاما او ستة عشر على اختلاف بين العلما هذا مع عدم الحكم والمحصن برفقهما بينه وبين
العشرين ثم يسدد عليه ما بينه وبين ستة وثلاثين وهو الاشد الثاني وهو اربع اسن
من حيث وجود المحنة وعند ذلك يجب التوبة الثانية التي هي بمعنى الورع في تناول الفضول
والزهد في الحلال والتقلل من المباح واشعار النفس الحزم والعزم ويرتقي في هذا
المطلب ما بينه وبين الاربعين ثم يسدد عليه بعد في التجرد للاخرة بقطع العلايق واستشعار
اخذ النفس بالحقايق والتحري بالتوبة عن كل ما شغل عن الله عز وجل وهو تفسير قوله
اني تبت اليك واني من المسلمين وهذا هو الموعود بان يتجاوز عن سيئاته ويجازي باحسن

اعمال

اعماله وهو من اصحاب الجنة ان شاء الله وما عدا هذا الضرب من المسلمين فليسوا
على يقين من نجاتهم بل على خطر ومن تعلق بالعلايق علق ومن تقدم قدما الى ربه
عز وجل قدم والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم اتبع ذلك ما
يقابله في الطرف الاخر قوله عز وجل والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج
الى قوله اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين فهؤلاء في موضع النقص مما يصيرون اليه ومن بين هاتين المنزلتين بعد تحصيل
الشهادة على خطر من السلامة يقول الله جل قوله ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم
وهم لا يظلمون والاعلى يعلى باعماله ويرتقي في الدرجات الى عليين والاسفل يسفل باعماله وكفره او شكه
او مرضه في الدركات الى سافلين ثم على التدريج وفي ذلك توفية الاعمال على اوزانها قوله تعالى
ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الطيبات
هنا قد يكون الاعمال الصالحات والرزق الحلال والعدل والاحسان في القول والعمل اذهبوها
في الحياة الدنيا بانفاذها على حكم الهوى وتوجيهها الى غير متوجه واعمالها في غير معتمل
وانفاق القوى والارزاق في غير السبيل المرتضى وقد يكون الطيبات هي شهوات النفوس
وانقيادها على هواها كذلك يا ولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولما وردوا بذلك
من اعمالهم سرالهم فيما هنالك سيئات ما كسبوا قال الله عز وجل فاليوم تجزون عذاب
الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون قوله تعالى واذكر اخا
عاد اذ انذر قومه بالاحقاف اخو عاد هو هود صلوات الله وسلامه وبركاته عليه كان اخا
لهم نسبا لا ولاية والاحقاف الرمال المتراكمة حبال تطيل مترفقة دون الجبال والتلال فيها
الصدق والقلب عن مرادهم ومعتقدهم وكان قد انذرهم بعذاب يصيبهم من عند الله
ان هم لم يحبوا الله والرسول عليه السلام ولنفورهم واباءهم قالوا ائتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين اي في رسالتك يقول الله جل من قائل فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا قيل لهم بل هو ما استعجلتم به قوله تعالى ولقد مكناهم
يعني فيما مضى فيما ان مكناكم فيه ومعنى ان هنا وان قرنها بما هو بمعنى لم يقول جل وعز
ولقد مكنا اولئك فيما لم نمكنكم فيه من الايد والضباطة والاموال والاولاد وكثرة الاتباع
والغاشية والعدد وهو كقول القائل ما ان سمعت بمثلك وما ان رايت لك شبها وقال دريد بن الصمة

ما ان سمعت ولا رايت بمثله ... كاليوم طالي انيق جرب

يقول الله جل ذكره فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا
يجحدون بايات الله وحاق بهم لاجل ذلك ما كانوا به يستهزؤون والعقل والحلم والخبرة
والعلم والصفات والمسوبة للانسان الموصوف بها عظماء الامم هي من الراي والبصر فيما ياتون
وما يذرون في سبيل مكاسبهم وتصرفهم في سوق دنياهم كما قال في امثالها فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وقالوا ابشر يهدوننا يقول جل من قائل فلم يغن
عنهم ذلك من قوتهم ونفاذ بصائرهم في الامور هذا يدل بعد الاعلام بما اليه صاروا
والوعظ شانهم الى التعجيب بعظيم قدرته على اخراج الظاهر من الموجود على مثال

الباطن منه لا تمام كلماته في ذلك قوله هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار
وبعمل اهل النار يعملون واليه يرجع الامر كله وعلى مثل هذا يكون القران والوجود
كله راجعا اليه والى الاعلام باسمائه وصفاته الا تسمعه يقول عز من قائل فما اغنى عنهم
سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء ان هذا للعجب المعجب بحثا ولله الحمد نظم بذلك
قوله جل ذكره ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الايات لعلهم يرجعون فلولا
يذكروا فابصروا ان قول الله جل قوله فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
الهة كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول الله جل قوله فهلا نصروهم
بل ضلوا عنهم وذلك افكهم افكوا في الدنيا عن الحق المبتغى فافكوا في الاخرة عما افكوا
اليه وافكوا ايضا عن ثواب من ثبت على الحق وقرأ وذلك افكهم بنصب الكفاء والكاف
اي ذلك جعلهم ضلالا لكفره قراه ابن عباس ومجاهد وابو عياض قوله تعالى
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران يعني وهو اعلم حسابهم وسعاهم
اليك لتبلغ اليهم عن ربك فتكون رسولا الى الجن والانس فلما حضروه يعني القران قالوا
انصتوا هكذا يكون ادب الاستماع قال الله عز وجل واذا قرئ القران فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون باجزال الاجر وزيادة الايمان والفتح بالفهم عنه فلما قضي
ولوا الى قومهم منذرين وقرا حبيب بن عبد الله بن الزبير فلما قضى ولوا بالفتح
القاف والضاد فصل في قولهم هذا الى اخر السورة لمن تدبره انذار منهم برسالة
الانس ودلالة على انهم مرتقبين رسالة الرسل من الانس اليهم جل ذكره من طريق
الانس ولم يبلغنا ان الله اصطفى من الجن الذين هم ولد ابليس لعنه الله رسلا انما الرسل
من الانس والنذر منهم اليهم والنذر رسل الرسل ومن المحنة وتحقيق الاختبار لهم
ان يكون هذا هكذا اذ كان وقوع ابيهم لعنه الله من قبل من جهة الاباء على الاقتداء بادم
صلى الله عليه وسلم في السجود ولا تمام به فانما يكون توبة من تاب منهم واسلام من اسلم
بما يكون راجعا الى الاقبال بما اسود عنه سفههم واعلم ان لمؤمنيهم ثوابا في الجنة ومكانا
ليس كما قال بعضهم نطق بذلك القران العزيز ومتى اردت موضعه منه مكشوفا فاقرا سورة
الرحمن جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى نظم اخر السورة بما في اولها من ذكر
جحدهم وابعادهم الاعادة بعد البداية الله خالق السموات والارض ولا يجوز عليه
دركه نصب ولا لغوب لعزته عن ذلك وعلوه واحياء الموتى سعته يسير في خلقه
السموات والارض ذلك بقول الحق جل قوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا الاية ثم قال يخاطب رسوله صلوات الله وسلامه عليه فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل نظم هذا بمعنى ما تقدم من ذكر تكذيبهم اياه في صدر السورة وقوله
لهم ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ان اتبع الا ما يوحى الي المعنى الى اخره

سورة القتال مدنية وقيل مكية وهي [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

اضل اعمالهم اي ابطلها والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من
ربهم كفر عنهم سياتهم واصلح بالهم البال عبارة عن باطن العبد وموضع الاعتقاد حيث يوجد
عقد الايمان وضده فاذا اصلح الله ذلك من العبد صلح ما يدخل اليه وما يخرج عنه وما بثت
فيه واذا فسد فبالضد ولذلك اذا اشتغل البال سمع من صفات الباطن شيء واذا صلح
ذلك في الدنيا فرح وسر ورضي عيشه ونعم واذا هم كلي اكترث له واهتم ومنه قولهم
ما باليت بهذا او بالي وله ابل نظم بذلك قوله عز قوله ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل
فابطلنا اعمالهم وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم وهو الايمان بالله ورسوله
وما انزل عليهم هل تجزون الا ما كانوا يعملون كذلك يضرب الله للناس امثالهم يحض على
طلب العلم في كتابه قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم
فشدوا الوثاق الى قوله حتى تضع الحرب اوزارها ولا يكون ذلك الا لعيسى ابن مريم عليه السلام
وقد جاء ان ذلك يجعل ايضا للرجل الصالح المنتظر بعد انقضاء الملحمة العظمى اتبع ذلك
قوله ذلك ان ذلك ابتلاء منا ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فادام
الابتلاء والقتل والقتال والمن والفداء مستمر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله ينصركم ويثبت اقدامكم وعد الله جل ذكره المؤمنين اذا هم نصروا الله ورسوله ان
ينصرهم ويشجع قلوبهم ويثبت اقدامهم واوعد الكافرين بالتعس واحباط الاعمال
التعس الانحطاط والعثور وان يكون صاحبه في هون وسفال ومع العزم على طاعة الله
يكون المعونة وعلى قدر الصبر يكون الجزاء يقول الله جل من قائل ذلك اي من حكمنا فيهم ونصرنا
لكم لاجل انهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني اهل الكتاب نظم هذا بقوله واضل
اعمالهم افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم الذين كفروا بايات
الله ورسله دمر الله عليهم ثم قال وللكافرين امثالها اوعدهم وتهددهم بما قد
انجزهم فكم قد حل بهم في اقطار الارض من غلبة ونهب واسر وقتل وجلاء ثم قال عز من قائل
ذلك اي من فعلنا بهم اهلاكنا اياهم ونصرنا المؤمنين بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم وفي باطن هذا الخطاب وعيد لهذه الامة وتهديدا انها متى تخلت
عن نصر الله جل ذكره والجهاد في سبيل الله والحكم بالحق يخلي هو جل جلاله عن بعدها وكلها
لها وسلط عليها عدوها فقد تخلى بعض التخلي عن موالاتها بقدر ما تخلت هي عن نصرته
وموالاته وما داموا عاملين بطاعته وامرهم شورى بينهم على اقامة امر الله فالله مولاهم وناصرهم
وان ظهر عليهم عدوهم فاحسنوا للاختبار المكتوب لكنهم الاعلون والله معهم ولن
يترهم اعمالهم ان شاء الله عز وجل نظم بما تقدم قول الحق جل من قائل افمن كان على بينة
من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم انما يكون على بينة من ربه من شهدت عنده
شواهده واعربت له عن اياته وتثبت بمجازي الحق المخلوق به السموات والارض والوحي
سماه تقول يكون هذا كمن زين له سوء عمله فعمي عن رشده وضل عن هدايته واتبع هواه
واغواه عدوه فانتظم بما تقدم ذكره من اول السورة وخاصه فالمتصل به قوله ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا

يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم ونظم قول الحق وكاين من قرية
هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم بما تقدم في اثناء السورة
من التهديد والوعيد للكافرين فان السورة تاسست على التمييز بين الذين امنوا
وعملوا الصالحات والذين كفروا وذكر اعمالهم وتحريض المؤمنين على القتال والوعد
بالنصر لهم ان صدقوا الله في شانهم وسائر اعمالهم نظم بذلك وصف المصير **قوله**
عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير
طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة
من ربهم بين في هذه الاية فضل وصف موجودات الجنة على موجودات الدنيا وذلك ان
لبن ما ههنا يجتذب من الضرع ويخرجه الله من بين فرث ودم يعدله عن هذا الى ان يكون
لسائغا في عضو الضرع كذلك كان الماء الكائن عند النازل من السماء ما بين صميم برد الزمهرير
ووهج السعير وامن الله تبارك وتعالى على عباده فحصل رحمته بان غلب فيح رحمته على
عذابه فاخرجه لذلك عذبا ولم يخرجه اجاجا يقول الله جل من قائل افرايتم الماء الذي
تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا فلولا تشكرون
فالحمد لله رب العالمين على نعمه ورحمته على عذابه ثم اسلكه في الدنيا ظهرها وبطنها
ما كسبه عن الارض معاني خلقتها ثم اسلكه بعد في النبات على اختلافه والنبات ايضا بعينه
وامتصه وهو الحية من فيح ووهج ثم اسلكه في الحيوان ايضا فاكسبه بذلك خلقه ما سلكه
فيه ثم اخرجه بعلمه بقدرته لبنا خالصا سائغا للشاربين من بين فرث ودم فهذه
المسالك كذلك العسل فقد سلك الماء مسالكه التي تقدم ذكرها الى النبات فرعته
النحل من كل الازهار والثمرات ثم اتخذت من كهوف الجبال وسعفها ومن الشجر
ومما يعرش بنو ادم لها بيوتا فكان لها مسالك في ذلك وقال ربك جل جلاله لها و
لمختلف الثمرات والازهار اسلكي سبل ربك ذللا فسلكت كل مسالكه التي اسلكها فاخرج
الله جل جلاله من بطونها شرابا مختلفا الوانه لاختلاف مسالكه وما اخذ منه شفاء للناس
كذلك الخمر فقد اسلك الله الماء مسالكه التي تقدم ذكرها الزرع والنخيل والاعناب والثمار
تجعل عليه وتخمر لتجمع فيه الحرارة كالتعفين لم يخرج بذلك عن وجود ما لا ولا الحلال ليس
فيكون عن ذلك لشاربه ضد ما يكون من الماء على علاته مما سلكه من ظهوره وحيوته
به وعن العسل وعلى عاده ايضا من شفاء فيه للناس اي لجميع الناس بواسطة ما يضاف
اليه لمقارنة ما بينه وبين الموجودات بردها اضيف اليه بالقوة سوسط هو بين نفسه وبين
ما اضيف اليه وبخلاف اللبن الذي هو الخالص كالفطرة للاسلام السائغ للشاربين
ليس كالسكر الذي يذهب العقل ويسرف الميزو يحيي على شاربه كثرة الصداع وضروب
الادابات ويعقب الحذر ويهتك الستر ويكشف السر ويخلع العذار في بيد المروة
وذلك لانه ادكس من كونه عن صحة ووهج الى ما هو خالص عمل الشيطان سبل هذه الادوية
في موجودات الحيوة الدنيا وهي في الحيوة الاخرة انهار من ماء غير اسن كيف ما سبيل ذلك الماء
وهو من خالص رحمة الله وفي قراره رضوانه الاسن لا اجرا لمتغير بعال الاسن الماء

وقاس

وتاسن هو لكيف لا يصف عسلها ولم يسلك به مسالك ما ههنا ولا اختلط بنبع ولا
باعاص موت النحل ولا بمواضع فيها فراخها وقد سلك مسالك الرحمة في وجود الكون واستقر
في قراره الرضوان كذلك اللبن والخمر هذا مع ما لهم فيها من مغفرة ربهم ومضمون رضوانه
الاكبر كل ذلك انهار جارية حالها المسك الاذفر وحصاؤها الياقوت والجوهر تجري في غير
اخاديد سعت سواحلها الحور العين بين قضب الزبرجد والعقيق طوبى لهم وحسن ما يتبع ما لهم
فيها من كل الثمرات لا مقطوعة نظم بهذا قوله كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم
يقول جل من قائل افمن كان مصيره الى الجنة فيها انهار من ماء غير اسن الى اخر الوصف كمن زين له
سوء عمله واتبع هواه فكان موقده وسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها نظم بذلك عمى ابصارهم ووقر اسماعهم وبعدهم
عن فهم سماع الوحي بقوله الحق ومنهم من يستمع اليك وهم المنافقون حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا يريدون قبل اقترانا وخروجنا عنه يقول الله جل
من قائل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم ثم وصف جل وصف خروج
المؤمنين عن مجلس الذكر والقرآن بقوله الحق جل قوله والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم
تقويهم التقوى عمل الايمان كما لاعمال الجوارح عمل الاسلام **قوله** تعالى فهل ينتظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه
المسبحة والوسطى واذ لا نبي بعده فهو من اشراطها واشراطها علاماتها ومجيء عيسى بن
مريم عليهما السلام من اشراطها القريبة يقول الله عز من قائل وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها
فصل الساعة من هذه الجهة ساعتان ساعة يعني الموت واشراطه هرم وظهور الشيب وموت الاتراب
ونقص القوى ومولد فهو تحت جواز حلول الموت في كل احواله ومن مات قامت قيامته
والساعة التي هي ظهور القيمة لانقراض الدنيا واستفتاح يوم الاخرة وكان من اشراطها
يومئذ ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وظهور اصحابه ثم اشراطها كثيرة وقد شاهدنا اكثرها
وانما بقي منها ما يقوم مقام نوادر خيل الجيش وفي تلك المعاينة لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا او نفسا مؤمنة لم تكتسب في ايمانها توبة قال الله تعالى
فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم لذلك اتبع ما تقدم ذكره **قوله** عز من قائل فاعلم انه لا اله
الا الله هذا هو الاعتداد للساعة وهو ان يطلب العلم بالله ووحدانيته واسمائه وصفاته
وما يجوز عليه وما يستحيل ان يوصف به او يسمى ثم قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
هذا كله عدة للموت قبل حلوله ولا استغفار للمؤمنين والمؤمنات وكلاهما لمن ابتغى الوسيلة
عنده فان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة فمن علم وعمل واستغفر للمؤمنين
والمؤمنات يشفع يوم القيمة ان شاء الله نظم بذلك قوله الحق والله يعلم متقلبكم ومثواكم
اشار وهو اعلم بما يئول اليه انه يغفر الذنوب على ذلك اذ هي مقدرة قبل الخلق وسعي
معلومة ويمحوها الايمان والاستغفار والعمل الصالح على ما يرضي الله جل وعز **قوله**
جل وعز ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة محكمة اي مثبتة الاحكام مفروضة واجبة
الكتاب المبين الذي هو اللوح المحفوظ محكم اي واجب الوجود يقول الله عز وجل فاذا انزلت

سورة محكمة وذكر فيها القتال والقتال لا يزيد وجوبه الا تاكيدا حتى تضع الحرب
اوزارها كما تقدم وكان المنافقون يظهرون تمني نزول سورة يعرض فيها القتال عليهم تبعا
للمؤمنين ودخولا بذلك في جملتهم ويقسمون بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن
يقول الله جل قوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم
مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا عن القتال وكراهة ان يقاتلوا
اولياءهم من المشركين واليهود يقول الله عز من قائل فاولى لهم طاعة وقول معروف
اي قبل نزول القران كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو فاذا لقيتموهم
فاصبروا يقول الله عز من قائل فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم اي من
تعللهم وتسللهم عنه لواذا وعزم الامور جدها عزم الامر جد نظم بذلك قوله جل وعز
فهل عسيتم ان توليتم الامر ان توليتم من الولاية يعني ان تولاكم المؤمنون فتابعوكم ان تفسدوا
في الارض بضيعوا الجهاد في فيفسد ولفي الارض بدلا من ذلك وتقطعوا ارحامكم بقوله
عسيتم بفتح السين وكسرها والفتح اكثر وا وجد ويقرأ ان توليتم برفع التاء والواو
وكسر اللام مشددة انذار الله تعالى بولاية امراء تخوم كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخوف ما اخاف عليكم ائمة مضلين فقد كان ذلك وكان بذلك تضييع الجهاد وكف
والقطيعة **فصل** قتال العدو وكف القطيعة للارحام كالضحايا والبدن فداء للاراقة
الدماء فكل قوم اضاعوا الجهاد قطعوا ارحامهم وسفكوا دماءهم قال الله جل من قائل
في الضحايا والبدن والهدايا لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
اذ دماؤها ولحومها فداء لدماء المتقربين بهن ولحومهم من النار والتقوى من المتقربين بهن
الى الله وانما سمين قرابين لاجل ان المتقرب بهن الى الله باذنه وبامره وسنة رسوله عليه
السلام اخرجهن بذلك من دار الدنيا الى الجنة فاذا كان يوم القيمة يخلص عليهن المتقربين بهن
من اهوال ما هنالك جاء في الحديث ان اهل الجمع في حال قيامهم اذ ينظرون في اعلى الجو الى نجائب
تطير فالواكبين فيقولون من هؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا الحديث وللجهاد فداء
للحم وما غنم من مال عدو ولن فداء لاموال المسلمين واهليهم كان دم المقتول في سبيل
الله ولحمه وماله يصل الى الله ويدخل الجنة يصلحه الله لذلك ثم نصره اتبع ذلك ما هو
في معناه قوله جل من قائل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها يعني والله اعلم ان هؤلاء
المنافقين الذين ان تولوا نبذوا الجهاد وافسدوا البلاد وقطعوا الارحام فلو
تدبروا القران حق التدبر لعلموا ان الجهاد اصل لتواصل المسلمين واصلاح لدينهم
ودنياهم ولالفوا فيه ما هو شفاء صدورهم وهدايتهم من عمايتهم ولعلموا يقينا
شرف الاخلاص لله ورفعة قدر التوحيد والعمل بطاعة الله اولا الادب من العبد
ان يقصد الطاعة لله والقول بالمعروف ويجب هذه الحالة قبل ورود الامر فاذا وجب
الكائن وعدم الامر فالدعاء والابتهال في حسن العون والصدق في الفعل والعقد قال
الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة
ان الله خبير بما تعملون قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول المعنى الى اخره حين جاء قوله

تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم يعني
مد لهم في الامل وزين لهم سوء العمل وقرئ واملي لهم على وزن ما لم يسم فاعله معناه ان
الله يستدرجهم بالمدة والعافية وانما هذا في قوم كانوا في الجاهلية على عداوة الله ورسوله
والمؤمنين فلما قوي الاسلام ولم يمكنهم الا ان يظهروا الهدى وربما نسوا ما كانوا عليه في الجاهلية
ولما افضى الامر اليهم وقعت في بواطنهم الفتن دوسها وتجردت الاحن التي كانت فوق الابناء
ثم سهلتها فاستاثروا وانتقموا من سادات الاسلام وممن جاهدهم بيده في الله وسفكوا الدماء
وافسدوا في البلاد ولو نصروا الجهاد عدوهم لكانت ايديهم واحدة وكان امرهم جميعا
نظم بذلك قوله جل قوله ذلك اي من تمكين الشيطان بانهم قالوا للذين كرهوا ما انزل الله وقالوا لهم
سنطيعكم في بعض الامر وانما قالوا لهم في بعض الامر على معنى التوسط بين ما كانوا عليه
من مرادهم في الاسلام والمسلمين وبين المسلمين اذ بدعاة الاسلام تامروا يقول الله جل من قائل
والله يعلم اسرارهم بفتح الهمزة جمع وقرا حمزة وغيره اسرارهم بكسر الهمزة فهو مصدر
اسر يسر فهو اسرار نظم بذلك قوله عز وجل ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله
اضغانهم سبحانه وله الحمد على ما يكون منهم ومن انبائهم وممن يكون على معتقدهم
في الاسلام فانذرتهم في كتابه قبل وجود اعمالهم وقبل ايجاده اكثرهم والاضغان هي
الاحقاد وقراها ابن عباس وابن سيرين ويخرج اضغانهم على ما لم يسم فاعله نظم بذلك
قوله تعالى ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول هو ما ينحو اليه بلفظه اي تميل اليه بلفظ
لك صاحبك ويخفيه على من لم يكن له عهد بمراده وعلى القول بالتحقيق فلحن القول ما يبدو
من عرض الكلام وجنبات الخطاب وسياق اللفظ وهيئة السحنة حال القول وان لم يرد المتكلم
ان يظهره ولكنه على الاغلب يغلبه فلا يقدر على كتمه وان كان في تكليمه معتمدا على ذلك
وحقيقته حال البلوغ على السر واظهار كلام للباطن تكاد تتناقض كلام الشاهد بحال خفي ومعان
يقف عليها باطن المخاطب قال الشاعر • والحن يعرفه ذوو الالباب • وقال اخر
• عيناك قد دلتا عيني منك على • اشياء لولاهما ما كنت ادريها •
نظم بذلك قوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول
من بعد ما تبين لهم الهدى هذا منتظم بوصف المنافقين الذين اطفوا نورهم بعد اضاءته
ويكون المعنى لهذا الخطاب هو وصف الذين اطفوا نورهم بعد اضاءته وصاروا الى ظلمات
لا يبصرون ثم وعظ المؤمنين ان يقعوا في مثلها بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم اي كما فعل اولئك وكما فعل بالكافرين ايضا اتبعوا
الباطل فابطل اعمالهم فالزموا انتم الحق والتحقق به يحققكم الله ويحقق اعمالكم ثم رد
عليه قوله جل من قائل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم
اعمالكم عذرهم من ترك جهاد عدوهم في سبيل الله بل تغلظوا عليهم وتعتدوا ولن
يتركم من الترة ثم نصرهم هذه الجنة وزهدهم في الحيوة الدنيا بقوله انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وما عدا ذلك فهو اخرة فان كان ايمانا
وتقى وذكر الله عز وجل وما جر اليه فهو رضى الله ورضوانه وما بينه وبين الجنة الا ان يموت

الله على ذلك ويموت وان كان على غير ذلك من كفر وعصيان فهو بعيد من الله عز وجل
ولعن منه وما بينه وبين النار الا ان يموت لكن على الشي الذا والوسط اكبر من هذه والدار
الاخرة اكبر واعظم جداً **قوله** لا يجوز للامام للمسلمين ان يدعوا الى السلم ولا ان يجلبه
وبالمسلمين قوة على عدوهم وظفر عليهم ولا يحل له تركه الجهاد في سبيل الله على حال الا على
معنى نظهر فيه النظر للمسلمين عليه من الله ظاهر ومتى لم يجاهد في سبيل الله انضوى باسره على
المسلمين وقد تقدم معنى ذلك قوله جل قوله ولا يسالكم اموالكم نبه على المعنى متى لم يقاتل القوم والائمة
في سبيل ولم ينفقوا اموالهم يسالوا اموالهم ومتى سئلوا اموالهم بخلوا فان كوهن على ذلك استوجبوا
ضغائن وحقايد او لم يكن لهم من الامام نصيحة ولا منهم للامام ولا من بعضهم فكان الخلاف و
في ذلك هي الحالقة وهو نظم بذلك قوله عز وجل وان يتولوا يستبدل قوما غيركم متى كان الخلاف
وقع التدابر وذهب التناصر والتناصح والدين النصيحة فقد كان ذلك استبدل من العرب
غيرهم ثم لم يلحقهم بان يكونوا امثالهم وكل ذلك عقوبة الاعراض والتولي عن الحق

سورة الفتح مدنية اجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك الى قوله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا الفتح ههنا يعني القضا
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق متى هذا الفتح ان كنتم صادقين نزلت عليه هذه السورة
منصرفه من غزوة الحديبية فعلى هذا معناه انا قضينا لك قضاء مبينا للفتح ولا فهي ثبات
اربعة خامسهن الفتح وقد نطق القران بهن وقوة الوحي اعلنت في متفرقه بان الله اقطعه
اياهن وكان وجودهن ولما عند هذا السبب اعلاما بان الامر قد حان والنعمة بها قد ازف وقت
حلولها وبعونه لهم وللمسلمين لاحقا قهم في تلك الغزوة ويمكن ان يكون الفتح المذكور والقضا
المعبر عنه هو امره باعطاء الجهد في جهاد اعداء الله واعدائه والتزام الكمل بطاعته وابتغاء
مرضاته والاستقامة على سبيل وجه كما قال عز من قائل فلذلك فادع واستقم كما امرت ومن
تاب معك ولا تطغوا الى قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فبهذا الفتح يستوجب
الغفران واتمام النعمة في استصحاب ذلك الى الخاتمة والنصر العزيز وغير ذلك من الخير
العاجل والاجل ويمكن ان يكون الفتح المذكور ما قضى الله عنده في الازل يوم جعله في قبضة
اليمين وخصه بالرسالة وعقد له لواء النبوة في النبيين واخذ الميثاق منه ومنهم بان يقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا القضاء هو الفتح المبين على كل ما اوتيه وكان فضل الله
عليك عظيما اعبر عن هذا قوله محمد رسول الله والذين معه الى اخر السورة **فصل** ترتيب
سور القران ماخوذ عن الوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه هذه الاية فيقول
اجعلوها الى جنب اية كذا او نزل عليه السورة فيقول اجعلوها الى جنب سورة كذا وكذا وكون سورة
الفتح مطابق لما طلع من الفتح بعد هذا العسر الذي اصابنا معشر هذه الامة المذكور في نصف
الاخر من سورة القتال وما تقدم من الانذار من ذكرها ووصف مواريث اعمالهم الى اخر
السورة ثم استفتح سورة الفتح بما ذكروه كان المسلمون يومئذ في غمرة من قصة الحديبية
فبشرهم الله بهذه البشرى منصرفه منها الى المدينة فكذلك ان شاء الله هذا الامر لنا ذا اليه

احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين **فصل**
قراء القران التالون له حق تلاوته على ضربين فضرب يقرؤنه على ربهم فاذا غم عليهم من علمه
سالوه ان يفتح عليهم من رحمته وتضرعوا اليه وتبرؤا من الحول والقوة فيفتح عليهم ما شاء
من رحمته ولعلهم انهم فتحه ما يجعله في قلوبهم فيفقد ما يتبعهم من الفتح بالعلم يكون الحكم
وضرب منهم كان الله جل ذكره يقرؤه ويتلقونه عنه وهؤلاء ارفع مقاما واحسن نديا وكل
على خير من ربه غير ان هذا الضرب منهم هم احق تحققا في وراثة النبوة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ
بالحظ الاوفر فكذلك وفقك الله وارشدك اليه فاقرا القران عليه بلسانك واتله
بايمانك وعملك وسليم عقدك واسمع لما يوحى اليك في اثناء الخطاب وتطلب سر
المراد فقد قال جل قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى فتذكر قوله جل قوله وتعالى علاوه
وشانه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وانت وفقك الله قد علمك القران
واوصلك اليه وفتح لك بابه فاذن لك في مناجاته فلعله قد اصابك من رحمته بحكم
التبعية الا تشيع ارج مع هذا ان يحملك سعيك ومكانك وواتيك ان تسمع لما يوحى فاعبده
واقم الصلوة لذكره ونزه نفسك عنه بحسن التجاوز وجزيل المثوبة واعلم ان للمؤمن
جزاء لعمله وجزاء لنيته وجزاء لعلمه ذلك وبذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الرجل الذي قتل تسعة وتسعين ثم قتل الراهب فتمم المائة به وانه سال عن اعلم
اهل الارض فدل على عالم فامره بالتوبة وسوله المائة وقال له اذهب الى هذه القرية
فان فيها قوما صالحين ولما اخذ في السير اليها جاءه الموت وهو في الطريق فبما نصدر
وتحاكم الفريقان من الملائكة على جميعهم السلام وامروا ان يقيسوا ما بين القريتين والى
ايهما كان اقرب فهو الى ذلك فما لما ان جل ثناوه للصالحة تقربي وللاخرة تباعدي
ووجد الى الصالحة اقرب بشبر فقياس ما بين القريتين حكم ما بين العمليين ووزن
لهما وامر الله جل ذكره للصالحة ان تقربي ولتلك ان تباعدي جزاء لنيته المعبر عنها بقوله
نا بصدره كذلك فعل موسى صلوات الله وسلامه عليه لما رضاه الله جل ذكره بالموت
فرضي به سال ربه ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فهذه كناية عن النية وعبارة
عن اعطاء المجهود وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث اخر فيمن يدخل
الجنة من اهل الجنة وذكر سواله الشجرة كل ذلك يقول الله ربه عز وجل يا ابن ادم
الم يقل فيقول له يا رب ومن مثلك فادنى فلما انتهى الى اخرها قيل له اعد فلك
ما بلغته رجلاك وراته عيناك قال فعد واحدة اذا لم يعني عني قال يا رب هذا
لي وهذا لي فيقول لك مثله واضعافه فالذي بلغته رجلاه هو عمله وسعيه والذي
راته عيناه هو ما راه بالعلم فاذا قرات وفقك الله قوله جل قوله انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى اخر الهبات فاحمد الله على عظيم ما اولى نبيك عليه السلام من الفتح المبين
والفضل العظيم وارج لنفسك بحسن التبعية من الله الكريم نحو ذلك فقد جاء انه
اذا عفا من صاحب ذنب عفا عن من عمل بمثل ذلك واسعر نفسك حسن الاقتداء وصحح

الا تباع **قوله** تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين السكينة امر من الله وهو
من قبيل الايمان والطمانينة اذا انزلها على قوم سكن بها تحريك الصفات فاطمان لذكره
لا يزال الايمان يضطرب حتى ينزل السكينة عليه من الله وكذلك صفات الباطن ما
عدمت الحلم وكذلك العلم والذكر والفكر والفطنة ما عدمت اليقين وقد كانت السكينة
قبل ظاهرا امرا فشار اليه قال الله عز وجل في وصف ملك طالوت ان اية ملكه ان
ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة
فنزول السكينة على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سكونهم عن طلب الانتصار ورضاهم
بحكم الله ورسوله في اشتراط سهيل بن عمرو عليه وكان ذلك باب فتح لنعمة الله ورحمته
زادهم الله بذلك ايمانا الى ايمانهم بالله وبرسوله وبقضائه وبحكمه وبما امرهم به ونهاهم
عنه عقب ذلك بقوله الحق ولله جنود السموات والسكينة من جنوده نظم بذلك قوله
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الى قوله ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء ذكر اسم العلم في الاول
في قوله وكان الله عليما حكيما اذ العلم في البدء اظهر في هذا العقد كما اسم العزة اظهر في
الانتقام اتبع ذلك قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اي شاهدا على من بعثت
اليه ومبشرا لمن اطاع بالرحمن والفضل وحسن الماب ونذيرا لمن تولى لتؤمنوا بالله
ورسوله وتعزروه اي تنصروه وتوقروه هذا للرسول عليه السلام ثم قال وتسبحوه اي الله
جل ذكره بكرة واصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله من اطاع الرسول فقد اطاع الله كانت
هذه البيعة بالحديبية وهي بئر تعرف به ذلك الموضع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
شجرة بها وسمي تلك البيعة بيعة الرضوان لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
نظم بذلك قوله عز وجل يد الله فوق ايديهم هذه عبارة عن حقيقة وجوده جل وعلا هو
العلي ويده العليا وهو العلي الكبير وحاصر قوله يد الله فوق ايديهم التذكير بتقدم المبايعة
وانا لوفاء لهم بالاجر من وراء ما عاهدوا الله عليه من النصرة والصبر فانه جل ذكره
عز يزلا ينال ما عنده في سبيل المعاملة الا بعد الوفاء بالعهد اوفى بعهده فالله صدق وعده
واوفى عهدا واكرم مثوبة تذكره قوله جل قوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما
قوله قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون الى قوله
اليما قيل في هؤلاء انهم اهل الردة وقيل هم فارس وهو الظاهر وكل من اوجب الله قتاله الا
ان يسلم ولا يقبل منه جزية فهم اولئك اتبع ذلك قوله عز من قائل ليس على الاعمى حرج ولا على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في ترك الخروج الى الجهاد وهذا منتظم
بقوله قل للمخلفين من الاعراب **قوله** تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فقد تقدم ان هذه المبايعة كانت بالحديبية والسكينة ههنا هو سكونهم تحت حكم الله وحكم رسوله
من اشتراط سهيل محو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله وسكونهم عن نصرابي جندل
وقد كان في الى المسلمين وذلك ان الله جل جلاله حبس ذلك الحبس عن مكة كما حبس حبس الحبشة
الذي كان فيها الفيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ناقته القصواء حبسها حابس الفيل

نظم

نظم بذلك قول الحق واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر ومغانمها وغير ذلك من غنائم المسلمين
نظم بذلك قوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه ثم امتن عليهم بان كف
ايدي الناس عنهم مع قلتهم ولو شاء لسلطهم فاجتمعوا عليهم من اقطارها ثم عطف بالواو
في قوله ولتكون اية للمؤمنين كان الرسول صلى الله عليه واصحابه جملة الامة يومئذ وقد وعد
الله جل ذكره اذ لا يسلط على الجملة عدوا من غيرها فيستاصل شافتهم فجعل الله ذلك يومئذ
اية للمؤمنين على هذه التي يصحبهم اياها اليوم القيمة فصار بذلك من فعله انه للمؤمنين في
اخر الزمان حين ضعفهم وقتالهم من نحا لفهم على ما هم عليه يانيهم الله بالكفاية
او النصر وان كان الاخبار عن المغانم التي عوضهم وعجلها لهم يومئذ فهي اية للمؤمنين
على المغانم الكثيرة التي وعدهم بها في الاجل عطف على ذلك قوله ويهديكم صراطا
مستقيما هذا مما تقدم ذكره في صدر السورة من اطها دم رغبة الى الله جل ذكره في اذن
عن على اخريا بما اعطاه نبيه بحكم التبعية وفي الخبر انه لما نزلت هذه السورة فقرأها
عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا قالوا هذا لك يا رسول
الله فما لنا فقرأ عليهم ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والفتح على الرسول فتح على امته وفيما ذكرناه دخول
الجنة والخلود فيها والمغفرة واتمامها هم في قوله لقد رضي الله عن المؤمنين فذكر انزال
السكينة عليهم والفتح والغنائم وهو النصر العزيز وذكر كف ايدي الناس عنهم
كما فعل بجملة المؤمنين حال القلة ثم قال ولتكون اية للمؤمنين على ما ياتي من الغنائم
الكثيرة وكف الايدي عن جملتهم والنصر لهم في اخر الدهر وذكر هدايتهم الى الصراط المستقيم
نظم بذلك قوله عز وجل واخرى لم تقدروا عليها يعني وهو اعلم الغنائم فيما ياتي
قد احاط الله بها وربما كان من ذلك الفتح فتح مكة كل ذلك الى اجل المسمى له اتبع ذلك
قوله هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله هذا
وصف لقسوة قلوب كفار مكة يقول الله جل من قائل ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم المعنى الى اخره هؤلاء الذين كانوا قد امنوا من المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان المعذورين ومفهوم الخطاب ان قوما لم يؤمنوا بعد خروجهم
لامر الله ثم علق بهذا المعنى قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء هم الذين لم يعلموا ويعلمهم
الله فامتن على المسلمين برفع الحرج عنهم وكفايته اياهم معرة المكروه وتحمل ما شق كونه
من صوم بحتا وقد يستحق لاجل قتل من كان مقتل من المسلمين بغير علم والمعرة ماخوذة
من العرة وهو لطخ العنب وما يلصق بذلك من المشقة **قوله** عز قوله لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق كان الله جل ذكره قد اري رسوله في ذلك رؤيا فعبرها بذلك بشارة
له وللمؤمنين بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين والاستثناء بالمشية لتصديق
الرؤيا والله اعلم يقول الله جل ذكره في الاستقبال واما قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله فقد تقدم ذكره لما كان الوعد اعلاما برؤيا انزل في حقيقة الاتيان

الوحي الذي هو المشافهة من الملك استثناء بالمشية لذلك ولو كان في مشافهة او ما يكون من جملة
القران لكان عزما دون استثناء كقوله بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم ولتنصرن
الله من ينصره هذا ومثله في القران كثير دون استثناء بالمشية وكقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم ولتركبن العلاص ولا سعي عليها ولتعودن حيث
بدا ثم هذا كثير من اخباره عن وحي الله اليه دون استثناء بشيء لان الوحي بالمشافهة والوحي
بالقران والبعث وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رايتك في المنام في سرقة حرير فيقال هذه
امراتك فاقول ان كان هذا من عند الله يمضه فهذا حال الرؤيا من حال الوحي بالمشافهة
ولهذا والله اعلم جاء بذكر الاستثناء في هذا الموضع نظير بذلك قوله جل وعز ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون وقد كان من ذلك ما شاء الله ثم دارت دائرة الانقراض وانما يكون
تمام ما ذكره عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام ان شاء الله تعالى **قوله** تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة فهؤلاء هم الاولون من هذه الامة
ووصف الاخرين منهم بقول جل من قائل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم كما قال جل قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم فذكر كيف مثلهم
في التوراة وكيف مثلهم في الانجيل وشطء الزرع ما خرج منه حوالى اصله فازره يعني اعانه
وقواه ماخوذ من الموازرة فاستوى على سوقه يعني على نصبه جمع ساق ومثله بالزرع يخرج منه
اولا معدا ثم يلاحق بها يتولد منه حتى يعجب الزراع به فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم اول هذه
الامة بمقام اصحابه رضي الله عنهم فاكتنفوه حوله فانماهم الله وكثرهم بعد القلة ليغيظ بهم
الكفار ويعجب بهم الملائكة عليهم السلام والمؤمنين **فصل** شطء الزرع زائد الى هذا اجمع
على ضربين يسمى الشكير فضرب منه يخرج حلوفي قضب الزرع على مواضع العقد منه وذلك
يكون حين يحرق ذلك الزرع او الحاقة فيقوم على ذلك وهم اضعا فيما كان ويعظم معه ذلك
سبله والضرب الاخر هو ان يزرع الموضع فيصيبه ذرعه ويحصد ويتم واذا كان من العام المقبل
نبت ما وقع في الارض من حب وقام زرعا وتم على ذلك وانما يكون ذلك في الارض المشكورة
ويسمى هذا النوع ان الشكير فالطيب ما يكون هذا بعد حرق الحصيد والله اعلم بما يمثل به
وهو العليم الخبير **فصل** ذكر ان مثلهم اي خبرهم في التوراة اشداء على الكفار رحماء
بينهم الى قوله جل قوله سيماهم في وجوههم من اثر السجود كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل
سيما ليست لاحد من الامم وذكر العزة والتحجيل هذا بعد البعث وفي الحيوة الدنيا سيما الخضوع
والخشوع واثر السجود في الحيوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده خلافة ابيهم
من اصحابه رضي الله عنهم وعن جميع اصحابه التابعين لهم باحسان بهم ظهر الاسلام واتصل في
الاقطار ثم من وفق الله من بعده وقال جل قوله في مثلهم الموجود في الانجيل انه كالزرع اخرج
شطاه يعني ما تولد منه فهؤلاء هو اخوانه ازروه ونصروه واحيوا سنته بعد موته
حتى استغلظ واستوى على عروشه فالمثل الموجود في التوراة اخبار عن وجوده عليه
السلام في اصحابه وظهورهم عنه ونصرته بهم ومثلهم في الانجيل اخبار عن وجود امره

متصورا موزرا باخيه عيسى عليهما السلام واخوانه المؤمنين دل على ذلك قوله فازره
هذا فعل اصحابه فاستغلظ فاستوى على سوقه هذا ما يكون من عيسى صلوات الله وسلامه
وبركاته عليه واخوانهما في الاخرة هذا وهذا في قوله جل قوله واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى اي موتى الدين وهي القرية الخاوية على عروشها الى قوله جل قوله
فخذ اربعة من الطير المعنى والمثل الاخر في قوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع
عليم فهذه حبة واحدة اوجد الله عنها سبع سنابل وجعل من كل سنبلة مائة حبة فهذه
سبع مائة ثم قال عز من قائل والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم عبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه المضاعفة بقوله وددت اني رايت اخواني الذين لم ياتوا بعد
انا فرطهم على الحوض فقال انهم سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا يضاعف من واحد
الى سبعة ثم ضاعف من السبعة المبين فكانت سبع مائة ثم ضاعف بتلك السبع مائة الى سبعين
الفا ثم ضاعف الى سبع مائة الف ثم ضاعف من ذلك بقوله وسبع مائة الف ثلة
من الاولين وقليل من الاخرين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهؤلاء هم
سبقا الثلث فانهم فهمنا الله واياك تعجب في الزراع واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة فقال الملائكة عليهم السلام ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فهم الزراع
وهؤلاء هم الزراع وقد غاظ بهم الكفار ثم يتم الله بهم كلمته في المستقبل ان شاء الله
ولله الحمد من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز
الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده المعنى الى اخره وانه اليوم لبا هي بهم الملائكة عند
يجتمعون على ذكره ونرفعهم وفي المستقبل يتم كلمته التي عبر عنها بقوله اني اعلم ما لا تعلمون
هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ولا يهولنك رحمك الله ما سمعت
فانه الحق وكلام الله العظيم يسع الاوجه وكما يفصل مجمل القران الى ما يفصل له كذلك يفصل معاني ذلك فاعلم

سورة الحجرات مدنية ليس فيها ناسخ ولا منسوخ

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله
وقرا يعقوب لا تقدموا امر الله المؤمنين جل جلاله لا تقدموا بامر من عند انفسهم ولا
حتى يكون الله جل ذكره ورسوله عليه السلام هو الذي يقضي بما شاء الله فيجب على المؤمنين
اتباعه وذكر صفتي السمع والبصر اعلاما منه بخفي المراقبة لشانهم كلهم **فصل** كان الصحابة
رضي الله عنهم في محصرة واحدة مع نبيهم والله جل جلاله لم ينزل عليه القران بين ظهرانيهم
فكيف يجوز لاحد التقديم على هذا في حالتهم تلك بمنزلة وجود النص المكشوف عند نزول
الحادثة فحرم العدول عن ذلك النص الى قول قائل بل حالهم رضي الله عنهم ابين واظهر
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون هذا الخطاب منتظم بما تقدم في
سورة الفتح وبما اتصل به من هذه السورة قبله من الامر بالتعزيز والتوقير لشان كلم
فلعمهم في هذا الخطاب كيفية التعزيز والتوقير ولعظيم شانه جعل العقوبة على خلافه

حبط العمل ان يستدرج المستخف بحقه ثم يخذله فيفارق ايمانه به ثم يحبط عمله وهو
لا يشعر فانما يحسن الى الجراح الاحياء ولما كان بالايمان به وبما جاء به من عند الله يصحح
العمل بطاعته فمعه التوقير له والتعظيم لشأنه يحب احباط العمل وان لم يبلغ الى الشرك
والكفر لكن ذلك مخوف مواقعه مع التساهل وقلة المبالاة وقد كان ابو بكر رضي الله
عنه فيما نقل عنه بعد ذلك يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يخفض صوته
لا يكاد يسمع رسول الله صلى الله عليه فكلمه رسول الله في ذلك فقال رضي الله عنه والله
يا رسول ما اكلمك الا كاخي السرار منذ نزلت سورة الحجرات اعقب ذلك بقوله عز وجل
جلاله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى طهرها وطيبها للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم نظم بذلك قوله عز وجل ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون كان وفد بني تميم قد جاءه فوافق
ذلك وقت الظهيرة وهو نائم فنادوا من وراء حجرته اخرج الينا يا محمد فذم الله جل
ذكره فعلهم ذلك وعلمهم كيف الادب بقوله ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا
لهم وعذرهم بالجهل فارصدهم المغفرة والرحمة **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة وفي قراءة ابن مسعود فتثبتوا وفي حمزة
من العشرة ان خبر الفاسق اذا ثبتت فيه حتى يتبين قول العدل فانفاذ الحكم بقول
العدلين واجب لان يتعارض الاخبار والشهادات فيلزم التثبيت نظم بذلك قوله واعلموا ان
فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو طيع فيكم من لم يثبت عدالته لاعنتكم
ذلك منه اي لشق عليكم ثم صرف وجه الخطاب الى المؤمنين اهل التقوى بقوله ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم
الراشدون هؤلاء هم اهل العدالة الذين تقبل شهادتهم الذين عظمة الله في قلوبهم فمن يوقع
مثل هذا عنه وما يقاربه فلتقبل شهادته ولمحض الحكم بشهادته وشهادة مثله اتبع ذلك
قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما نزلت هذه الاية في طائفتين من
المؤمنين والمنافقين واحد احد المنافقين رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يتأذى به فشتمه
احد المؤمنين في ذلك المجلس وقام لهذا قومه ولهذا قومه حتى اصلح بينهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل فان بغت احداهما على الاخرى الى اخره في قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه فخذوا بينهما بالقسط وهذا منتظم بما تقدم من استعمال التثبت حتى يقع البيان اتبع ذلك
قوله عز وجل انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وقرأ زيد بن ثابت بين اخوانكم وقرأ
بذلك جماعة وقرأ ابن حيوة فاصلحوا بين اخوتكم بالتاء وكذلك قرأ يعقوب وروى ذلك عن عاصم
ثم قال عز وجل واتقوا الله لعلكم ترحمون المراد المقصود بها اطفاء شعلة النفاق واصلاح
سنن المنكر وقطع الكفر والفسوق والعصيان وان المنكر اذا فشا يخوف عموم العذاب لمن حل
نسأل الله العافية والعفو وحسن العون على ما فيه مرضاته انه لا يقدر على ذلك الا هو ثم اخذ جل
جلاله في حماية المؤمنين لا يسخر مؤمن بمؤمن ولا بمؤمنة ووصى بذلك ذكرانهم واناثهم
ولا يلقبه ولا يلمزه ولا يهمزه وسمى بذلك سوقا بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر واوجب التوبة من ذلك والتورع عنه ولا يظن مؤمن
بمؤمن سوءا ولينادونه باحب اسمائه اليه ويستبشر به والظن هو تغليب احد الجانبين فاوجب
الله جل ذكره التثبت عندما يعرض للنفس حتى يقع البيان ومتى وقع البيان والا فضل
وترك كشف العورة والظن المراد هنا بالشيء هو تجويز احد الحالات من غير شهود واجتنابه
وصرف النفس عن التحدث به وتحويل وجه القلب عن ملاحظته وهو معنى قوله جل قوله
اجتنبوا وعلم الله جل ذكره ان النفوس مسارعة الى ذلك لاجل اغواء الشيطان يا اجتناب
هذا الظن في حيز الكثير ونهى التجسس وقرأ عبد الله ولا تجسسوا بالحاء
غير معجمة وقرأ بذلك الحسن وابن سيرين والتجسس بالجيم في الاخبار والتحسس في
الاثار وقرأ ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي في الدنيا
فانهم في تلك الدار اشد كراهة لم رفع ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم اعني هذا
التاويل وقرأ ابو حيوة فكرهتموه بضم الكاف مثقلا وقرأها عباد فكلفتموه اي
فيما هنا للاثم ثم دعاهم الى التوبة بقوله عز قوله واتقوا الله ان الله تواب رحيم **قوله** عز
وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا الى قوله خبير هذا
كقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لادم وادم من تراب لا كرم الا بالتقوى القبائل
اكبر من الشعوب والشعوب الشعب عن لا وكر فاذا عظم الشعب صار قبيلة يقول الله جل ذكره
لم اجعلكم شعوبا وقبائل ليتفاخروا بينكم ولتكاثروا بالعدد والمال انما جعلت
ذلك كذلك لتتعارفوا بينكم فمن عرفتموه يتقي الله فهو ابركم واكرمكم وافضلكم وقرأها
عبد الله لتعارفوا بينكم وخيركم عند الله اتقاكم **قوله** تعالى قالت الاعراب امنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم هؤلاء قوم شهدوا بشهادة
الحق ولا تعلمون ما شهدوا به غير ان انفسهم ليست تنازعهم الى تكذيب ما شهدوا به قال
الله تعالى قال لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اذ قد اذعنوا للعمل بطاعة الله ولما يدخل
الايمان في قلوبكم اذ لم يدخل علمه فيها دل على صحة هذا التاويل قوله عز قوله وان تطيعوا
الله ورسوله اي على ما انتم عليه لا يلتكم من اعمالكم شيئا اي لا ينقصكم من اعمالكم شيئا
ان الله عليم باعمالكم خبير بواطنكم جاء من مفهوم هذا الخطاب ان العلم بما شهد به هو الايمان
فمن لم يكن له علم فما امن وصدق به وشهد به فليس بمؤمن به على التحقيق الا على القول
بالعموم بل هو مسلم لكنه على سبيل خير ان شاء الله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
مواطنه ان ينادي مناد في الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة وفي اخرى مسلمة ذلك
في قول الله جل جلاله ان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا فعموم الناس واكثر اهل
الغفلة مسلمون غير مؤمنين فان تعلموا علم ما شهدوا وعقدوا عليه علما ويقينا فهم المؤمنون
نظم بذلك قوله الحق انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله بايمان صدق وشهادة علم
بما اضوا به ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
صدقوا الله في ايمانهم باطنا وصدقوه بما صدقوا به ايمانهم من اسلامهم ظاهرا طيبة بذلك
نفوسهم الصدق ههنا هو صدق القلوب بالايمان والعلم ثم الصدق بالعمل لمن امن به في الفوز

تصديق للجوارح والشاهد مع سلامة القلب من التكذيب فهو الاسلام نظم بذلك قوله تعالى
الطائفة قل اتعلمون الله بدينكم فاوجدتم دينا وامنتنا اليهم وقد قال جل قوله ان الدين
عند الله الاسلام والله يعلم ما في السموات وما في الارض فكيف لا يعلم حيث بلغ ايمانكم وحيث
قصر عنه والله بكل شيء عليم ثم استمر على خطابهم باسم الاسلام بقوله جل قوله يمنون عليك ان
اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الذي نسبتموه الى انفسكم ان كنتم
صادقين لم يخلقهم من خير لعدم نزاع التكذيب والجحد فيهم ثم قال عز من قائل ان الله يعلم غيب السموات والارض
يعرض بالايمان الذي نسبوه الى انفسهم وما هو وما قدره والله بصير بما تعملون تعريض بموضع الاسلام

سورة ق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قرا ابن ابي اسحاق وابو سماك قاف بالخفض وقرا عيسى
قاف وصاد ونون بالنصب وتاسيس خطابه بهذه السورة على وصف الاقتدار على الاحياء
والامانة ثم بعد البدء العود على الكفر والتكذيب فقوله قاف اشارة الى ما اعلمت به
في ذكر الاسماء والى ما عبرت عنه في الوجود فكانه قال عز من قائل وهو علم بما ابين وعلم
حق وقول صدق والقران المجيد ثم اضرب بحرف بل عن ذكر حقائق ما عبر عنه بحرف القاف
وما اقسم عليه فقال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم يعني ما تنقص ابدانهم في الارض لاكل التراب اياها
هذا وجه ووجه اخر قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي من ابدانهم حال الحيوة الدنيا
فان الغذاء تتغذون به ويخلق الله عنه اجزاء ولو تجمعت ولم تنقص لذهبت الاجسام كل مذهب
لكن الله يخلق عن الغذاء اجزاء ويعدم اجزاء اخر فهو ابدا يخلق ويعدم بدنا هو الان يوجد
ويعدم يحيي ويميت فما لكم تكذبون بالرجعة بعد الذهاب بالموت افلا تتفكرون في انفسكم
كما قال بل هو الخلاق العليم وهو ذلك خلاق عليم ووجه ثالث قد علمنا ما تنقص الارض
منهم التي هي اجسامهم يا كلها التراب كلها الا عجب الذنب منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم
ياكله التراب الا عجب الذنب فانه فيه ركب ومنه يعود يقال للواحد منها عجب ويجمع على عجوب هو كالبذر
لاجسام بني ادم ثم قال جل قوله وعندنا كتاب حفيظ اي بذم ما يوجده وما يعدمه ثم اتبع
ذلك قوله جل قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في امر مريج يقال الارض مستمرجة اذا اختلط
نبتها بانواع النباتات والشجرات انتظم هذا بما في اول السورة من معنى ما اضرب عنه الا ذكره
بحرف بل وهو ما كذبوا به ولم يؤمنوا فعجبوا من رسول ياتي منهم اليهم من عند الله فهو الذي
لم يحققوه وعجبوا منه وكذبوا به المريج المختلط الملتبس لما لم يستضيئوا بنور النبوة ولا استروحوا
بنسيم اليقين ولا صحوا بروح الايمان اختلطت اراؤهم والتبست مذاهبهم فهم لذلك
اموات غير احياء وما يشعرون بان يبعثون انما يبعثهم الله من هذه الموتة بالملائكة حين يتوفاهم
يضربون وجوههم وادبارهم ثم يبعثهم البعث الاكبر للجزاء الاكبر نظم قوله افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الى قوله كذلك الخروج فقدم الكلام في مثل هذا
بما يتطرق به الى النظر فيما ياتي منه فانه لا ياتي مع تكراره الا لفائدة وزيادة علم وتجديد
النظر وترداد التذكر يكون الفتح باذن الله لكن على ما ياتي عليه من خطا قوله عز وجل

كذبت

كذبت قبلهم قوم نوح الى اخر المعنى قالوا الرس واد بعينه وقالوا هو البئر غير المطوية
وقيل هم قوم عاد والله اعلم والمطلق من معرفتهم انهم قد كذبوا رسلهم بهم اليهم فحق عليهم
بالعذاب لاجل ذلك وجعلوا عبرة لمن بعدهم وعظة لامثالهم اتبع ذلك قوله افعيينا بالخلق
الاول معناه جل قوله كيف توهمتم على ما ارينا كم انا نعجز او نعيى بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد
يعيا عياء اذا لم يهتد لوجه عمله ويقال اعيا هذا الشيء يعيي اعياء قوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هما وريدان اي عرقان يكتنفان
صفحتي العنق مما يلي مقدمه متصلان من الراس الى الوتين وهو عرق القلب نظم بذلك قوله عز
من قائل اذ يتلقى المتلقيان يعني الحفيظين عليهما السلام اي انه لم يجعلهما كاتبين لعمله لانه
يغيب عنه علم ما هو عامله بل هو يعلم سر ذلك واخفى من السر وما هو لم ينقدح بعد من خزائن الغيب
الى سر النفس وعبارته عن ذلك بنون الجمع اعلام بانه قد جعل للملائكة من ذلك
انهما يعلمان سر نفس العبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملك يقول رب ذاك عبدك
يريد ان يعمل سيئة فيقول ارقبوه فان عملها الحديث وقد قال عز وجل في غير هذا الموضع
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكل نون عبر بها عن علم او عمل
او تنفيذ امر فهو عبارة عنه وعن الملائكة الذين جعل لهم ذلك لذلك قال ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد اي حاضر رقيب بمعنى مراقب وقعيد بمعنى مقاعد قوله عز وجل وجاءت
سكرة الموت بالحق معناه جاءت سكرة الموت بما فيها من معاينة وبما بعدها وهو من الحق
الواجب على كل عبد الايمان بوجوده والشهادة به وقراها ابو بكر وجاءت سكرة الحق
بالموت ذلك ما كنت منه تحيد اي تبعد اتبع ذلك ما هو من الحق قوله تعالى ونفخ في الصور
ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ثم قال يعني الكافر والغافل
عن مقام ربه لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد
غطاء الجهل والغفلة في هذه الحيوة اعلم انه من كان بصره في هذه الحيوة الدنيا حديدا
راى هذا الحق المشهود به بشهادة الحق كلا وجلا وهو عمدة الوجود بل هو من الوجود
بمثابة النقطة من الخط بها مبدؤه وبها اتصاله وبها انتهاؤه كذلك الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه هو الاول اي في كل موجود وهو الاخر وهو الظاهر فيه وهو الباطن
فافهم فهمنا الله واياك قف على هذا وتنبه جدا فان الحكمة لم تزل تشير وكان المعول
على هذا التحقيق هو كالعرض والمطلوب كالجوهر ولله المثل الاعلى في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم نظم بذلك قوله الحق قال قرينه هذا ما لدي عتيد هذا القرين هو الملك يقول
هذا الذي كتبته عليه من عمله طول حياته عتيد حاضر قوله تعالى القيا في جهنم كل كفار عنيد
بمعنى معاند التثنية هنا مخاطبة للسائق والشهيد معا اذ السائق يسوقه وبشهادة الشاهد
يحق عليه الحكم ويحسن العلماء عنه بلفظ التثنية اي قوله فالقياه في العذاب الشديد نظم بذلك
قول القرين من الشياطين ربنا ما اطغيته اي انه لم يكن لي عليه سلطان ولو اعتصم مني بك لم تكن لي
فيه ولا عليه حجة لكنه كان عن متابعته اياي في ضلال بعيد نظر الى قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
الا من اتبعك من الغاوين نظم بذلك قوله جل قوله وتعالى علاؤه وشانه لا تختصموا لدي

وقد قدمت اليكم بالوعيد **قوله** تعالى يا بني ادم اما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
المعنى حيث وجد ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الا من اتبعك من الغاوين
وان جهنم لموعدهم اجمعين وما انا بظلام للعبيد بعد الاعذار والانذار والبيان **قوله**
تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد يحمل هذا الكلام على وجهين احدهما
ان يكون معنى قولها هل من مزيد بعد الملء اي لا مزيد على هذا والوجه الاخر وهو الاعلى
يكون معنى قولها ذلك طلبا منها المزيد المعهود من النار انها كلما زيدت حطبا ازدادت لها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع الرحمن فيها قدمه
فينزوي بعضها الى بعض ويقول قط قط وعزتك اية ذلك اختلاف الزمان بالحر والبرد
فاذا افرط الحر جاءت رحمته بالبرد والماء من السماء فامتزجا معا وكان التوسط واذا
افرط البرد جاءت رحمته بالحر بواسطة الشمس فامتزج الوجودان وكان التوسط وكل
ذلك له دوائر موزونة بالقسطاس مقسطة تقدير العزيز العليم والعبرة في ذلك موجود
الدار الاخرة وهي الكبرى فسعيرها هنالك وزمهريرها على قدر ذلك وعلى مشيئته
جل جلاله في ذلك والملء يكون فيها منها وفيها سعيرها ولهبها ويكون ممن يجعل فيها نعوذ
بالله العظيم من ذلك قال الله عز وجل لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اذهب فمن تبعك
منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين فاذا كان الملء ممن جعل فيها فانما يكون ذلك حال دوام
الزمهرير ووضع جل ذكره قدمه الذي قدموا في قدمه تقديره الاول لها يروى زمهريرها
وجاء سعيرها ولهبها وبردها فالتقم ذلك منها اكلا فاتسعت بهم وقد كانت قبل ان
يضع فيها قدمه كالزج على كعب الرمح فصادوا منها في بحار وسعير وقوا عذابها ثم هي
اذا امتلأت باهلها سعيرا ولهبا قيل لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد حرا ونارا ثم
وضع فيها قدمه ايضا فينزوي بعضها بعضا ضيقا بهم واظلاما وبردا وزمهريرا
وتضاعف عظم اجسامهم لذلك وقوا عذاب ما هم فيه حتى اذا تناهت قيل لها هل امتلأت
فتقول هل من مزيد اي لا مزيد قد امتلأت باهلي فيضع فيها قدمه هكذا نعوذ بالله من جهنم
ومن احوال اهلها في الدنيا وفي الاخرة انه خبير معاد نظم بذكر جهنم ذكر الجنة بقوله
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد نظم بذلك اشارة منه الى قربها من المتقين قوله الحق هذا ما
توعدون لكل اواب حفيظ الاواب الرجاع بالتوبة الى ربه وانما بعد الجنة منه في الدنيا
على قدر الحوبة من التقى من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب الله لا اله هو قريب لا يبعد
في ذلك من عسد لذلك الجنة او النار قربت هذه وهذه من هذا او هذا الحق كون ربه
عز وجل في هذا قربت منه جهنم عقدا وقولا وعملا واكلا منها وسرا غيبا قال الله عز
وجل وما هم عنها بغائبين اي اليوم وان جهنم لمحيطة بالكافرين فاذا كان يوم القيامة
ذلك نشأ تزيد على ما هو كيوم كما بين الدنيا والاخرة وانما هو التجلي منها وبها حتى اذا
كان في دار القرار ادخلها وصليها جزاء وغدا يا يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ومن خشيه بالغيب يجلي له رحمته وازلفت

جنة

جنته التي عملها بالغيب ثم قال عز من قائل ولدينا مزيد هو ابدا يزيد على امانيهم ودرجة
على امالهم وعلومهم فلا يزول علومهم ابدا يزيد واماناتهم على قدر ذلك يرتفع
ويزيد والمزيد يتزايد ابدا **قوله** تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا
رجع الخطاب الى اوله حيث ذكر تكذيب المكذبين وارتيابهم وعلوهم على رسلهم
واهلاكه اياهم فنقبوا في البلاد نقبوا نقبا في البلاد هل بعدوا فيها من محيص اي منجا
مما حل بهم والتنقيب شدة الطلب والحث نظم بذلك قوله جل من قائل ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب ففقه عن ربه فسار في الارض ووقف على موضع اهلاكهم فيعلم ان الذي
اصاب اولئك نصيب من حذا حذوهم او القى السمع من لم يتهيأ له التسيار فليلق سمعه
الى نقلة الاخبار ولما جاء في القران وسائر الوحي وهو شهيد القلب حاضره **قوله** تعالى
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي اعياء هذا
منتظم بذكر وصف الاقتدار على ايجاد المخلوقات وانزال الماء وانباته ضروب النبات ثم تعرض
عن المراد بقوله الحق كذلك الخروج يقول الله جل من قائل فكيف انكرتم القدرة على الاعادة
بعد البداية وانما انتم سعيه يسيره من خلق السموات والارض نظم بذلك قوله عز وجل
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب العصر والظهر
بمفهوم الخطاب واري والله اعلم انه حض منه جل ذكره على الركوع بعد انقضاء صلوات
الفريضة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحافظ عليهن ركعتا الفجر واربع قبل الظهر
واثنتان بعدها واربع قبل العصر واثنتان بعد صلوة المغرب واربع قبل صلوة العشاء
واثنتان بعدها ثم صلوة الوتر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقولون حتى
ياتي الله بامره بالنصر والانتصار اتبع ذلك ما هو في معنى ما تقدم قوله عز وجل واستمع
يوم ينادي المنادي من مكان قريب اي ارتقب ذلك بقلب مترقب منتظر يوم يسمعون الصيحة
بالحق اي بما فيها من احياء ونشور وحشر ولقاء وحساب وميزان وصراط وحوض وشفاعة
الى غير ذلك مما في ذلك اليوم وما بعده الذي هو يوم الخلود ذلك يوم الخروج من القبور والارض
التي منها خلقوا وهو ما شكوا فيه وكذبوا به ثم حكم بحكم الحق الذي هو المطلوب في السورة **قوله**
انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا اي سريع خروجهم لبعث
خروجهم على المعهود من خروج النبات في البسط ذلك حشر علينا يسير كانت البشارة الاولى
على سبيل السنة وتكون الاخرة على سبيل الكلية فهو اليسير والاهون المذكوران فافهم

سورة والذاريات فيها من المنسوخ اثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم جاءت دلائل هذه السورة على ان الجزاء واقع والوعد والوعيد
صادق ثم ما انضم الى ذلك او كان سبيلا الى التعرف به **قوله** عز وجل والذاريات
ذروا الرياح تدبرها الملائكة وتصرفها الى امر الله بمشيئته واذنه والحاملات وقرا السحاب
ومن وكل بهن من الملائكة عليهم السلام يسوقها الرياح فالجاريات يسرا الفلك في البحر
والملائكة الموكلون بها يجريها الملائكة الموكلون بها على جميعهم السلام والمقسمات امرا هذا عم
جميع الامر والخلق ينزل الامر من السماء من عند رب العزة جل جلاله فيتلقاه الملائكة حملة

العرش ومن حوله عليهم السلام ثم ملائكة السموات سماء سماء بعد الخضوع له بالقبول
فيصرفه على مشية ربهم جل ذكره وبحوله وقوته وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم وهم من خشيته مشفقون **قوله** تعالى انما توعدون لصادق والمراد بقوله
توعدون العقاب والدين الواقع الثواب لاهل نظم بذلك قسما على معنى ما تقدم
ما توعدون هو ما يثابون به ويعاقبون والذى هو نزوله هؤلاء وهؤلاء وقد جاء
ذكر هذا وهذا فى المقسم من اجله بعد هذا وكما تدين تدان **قوله** تعالى والسماء ذات الحبك
هو الصنع الحسن الجميل فكانه قال والسماء ذات الزينة والخلق الحسن والدرع محبوك لان
خلقها مطرقة طرقا وكلما كان كذلك فهو ذا حبك ومحبوك ويقال انه خلقة السماء كذلك
يقول الله جل جلاله والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف فى الحق يؤفك عن الحق من افك
اى عن حقيقة الحق وعدل به عن سواء السبيل نظم بذلك قوله جل وعز قتل الخراصون
الذين يقولون عن غير علم لا يسندونه الى كتاب ولا سنة ولا اثارة من علم وهو دعاء عليهم
مجاب لا من لا وقاه الله برحمته الذين هم فى غمرة ساهون اى هو كذهول فهم فى غمرة والغمرة
غمة الظلام وغمرة الموت هومه وكروبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابى طالب
وجدته فى غمرات من النار اى فى داخلها وفى اعماقها فاخرجته الى ضحضاح ولولا انا لكان
فى الدرك الاسفل من النار فالكفار فى ذهول عما يراد بهم قال الله تعالى ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا لا يسمعون ما يوعظون به
ولا يعقلون ما يرونه من الايات وما ياكلون او يشربون انما ياكلون فى بطونهم
نارا وسيصلون سعيرا **قوله** تعالى يسالون ايان يوم الدين متى يوم الجزاء وهو ما
كانوا عنه فى غمرة ساهون يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون يقول جل من قائل الدين
هو فى يوم هم على النار يفتنون ونصب يوم بسقوط الخافض الفتن ايضا توجيه الحرق
بالنار دفاعلم وفقك الله ما اقسم بقسم الا مطابقا معناه لمعانيه فى المقسم من اجله
سراج منير يهدى به الله من يشاء وانما يعى عن ذلك ظواهر الخاص الحسيات وبعضهم عن سبيل
ذاتها ضوضاء المشاهدات لولا ذلك لنودوا بها من مكان قريب ذوقوا فتنتكم اى ذوقوا
صدكم عن سبيل الله وانصرافكم عن هدايته فتنوا الناس فى الدنيا بالضلال عن الهدى
وفتنوا بذلك ايضا عما صار اليه اهل الايمان والاستجابة لله والرسول من الثواب
والنعيم المقيم **قوله** تعالى ان المتقين فى جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم فى الدنيا
الايمان والعمل بالطاعة وفى الاخرة جزاء ذلك جوار ربهم ومنال المنازل اعدائهم
قوله تعالى وفى الارض ايات للموقنين وفى انفسكم كما قال جل من قائل وفى خلقكم وما
يبث من دابة ايات لقوم يوقنون فاما الايات التى فى الارض فقد تقدم ذكر البعض منها
فى صدر الكتاب والمشار اليها هنا على الاكثر هى الاثار جل جلاله من حكمه فى الامم
الماضية من اهلاك من اهلكه وانجاء من انجاه واكرم من اوليائه واما قوله وفى انفسكم
فانه من نظر فى نفسه بايمان صحيح وعقل مسترشد عرف نفسه فعلم بذلك انه عبد وعلم
بذلك ان له ربا ويعلم ذلك يعلم اسماءه وصفاته ثم بايمانه يعلم انه ليس كمثله شئ وانه

المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العلى الكبير فافهم فهمنا الله واياك فقد جعله
على ايجاده وجمعت لك المقصود فى اطراف الكلام لذلك ختم بقوله الحق جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه افلا تبصرون نظم بذلك قوله الحق وفى السماء رزقكم وما توعدون
الرزق هنا على احد الوجهين الماء كما قال عز من قائل وما انزل الله من السماء من
رزق فاحيا به الارض بعد موتها والوجه الاخر فى تاويل الرزق ان الماء تدخل فى اسمائه
بما هو وبما يسر الله عنه من جنات وتجرى به من الانهار ويتفجر عنه من العيون على
ضروب ذلك كله وانواع قبوله فدل بذلك على الرزق والمدخور فى الدار الاخرة
وانه ايضا احال بذكر الرزق والمنازل من السماء عن الماء الواحد على الاله الواحد
الحق كان ولا شئ معه مذكور سواه ثم اوجد الموجودات وابتدع الارض والسموات
واعلا فوق ذلك وما سفل كذلك الماء واحد ينزل من السماء طاهرا مطهرا مباركا
الى الارض ثم يصرفه الى ما يشاء من كثيره لذلك احال بذكر الرزق فى الماء على معنى
الايجاد بعد البداية يقول خلقهم من الماء وما يصرفهم اليه رزقا رغدا خلقا بعد خلق وانشاء
بعد انشاء ثم يبعثهم كذلك كما بداهم حيا وعرض بذكر السماء ينزل منها الماء يخلق عنه
الرزق الى ذكر الجنة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فكما يكون عن الماء يبعثه الله
رحمته بعد نزوله من السماء من انبات وبنين وشبان وشيب وكواعب حسان ومراكب بيلة
وجنات وحدائق معروشات وثمرات وزروع ومقام كريم دال على الجنة للمعهود من شبه الابناء
للاباء وكذلك ما يكون عن الماء ايضا بعد امتزاجه بالارض وبالفتح من شانك ومهالك ودواهى
وسموم وحيات وافاعى وعقارب وحشائش سباع دال على جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها
للمعهود ايضا من شبه الابناء بالاباء الا ترى الى السحاب والهواء والجو والبرق يلمع والرعد
يرعد والصواعق تصعق فتصيب من شاء الله والبرد تبرد ان فى ذلك لعبرة لاولى
الابصار فقوله جل قوله وفى السماء رزقكم وما توعدون اعلام بما يكون عن الوعيد اتبع
ذلك قسما برا وقولا حقا فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فكما لا شك
فى انا ننطق ونتكلم ولا شك فيما نشاهده من نزول الماء من السماء وتصريفه الى ما
نشاهده ويكون عنه كذلك لا مرية فى اظهار ذلك الغيب ولا لبس فى كون ما توعد ثم جعل
جل جلاله يورد ذكر الايات الدالات على العقاب والثواب من لدن قوله وتركنا فيها اية للذين
يخافون العذاب الاليم ثم فى قوله جل ذكره فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين **فصل** فى هذا الخطاب من الفقه ان اسم المسلمين قد يقع على غير المؤمنين لقوله
جل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين يريد لوطا وبناته عليهم السلام وقوله فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين لكون امراته من جملتهم وكانت من الغابرين لكونها فى الباطن من اهل القرية
واخرجت لكونها متلبسة بحلية الاسلام ولم تكن من الناجين اذ لم تكن من المؤمنين قيل فى الكتاب
الذى يذكر انه التوراة انها التفتت فمسخت مكانها تمثالا ماثلا بعد خروجها من القرية ومنها ايضا
من الفقه ان المراة من اهل البيت فعائشة اذا وحفصة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل البيت بنص القران قال الله عز وجل يخاطبهن رضى الله عنهن انما يريد الله ليذهب عنكم

الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا لهن من اهل البيت بمواجهة الخطاب واصحاب الكساء
الخمسة اهل البيت بنص الحديث وبعموم اهل القرآن بقوله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا فاستاق جمع المذكر وعلى كالمعهود الشايع من كلام العرب في قال محمد بن ابي بكر
رضي الله عنهما وقد راماه ابوه على فراق امراته • وان فراقي اهل بيت جمعتهم •
على قائمي لاحدى العظايم • نظم بذلك قوله جل ذكره وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين الى قوله وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم الى قوله وفي ثمود الى اخر القصص
الى قوله وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين فكانت ثلث ايات على اهلاك
من لم يؤمن بالله وكذب المرسلين في الاخرة نظم بذلك جل ذكره لمنسوق ذكر الايات
بعضهن على بعض قوله الحق والسماء بنيناها بايد اي بقوة يريد وهو اعلم بما ينزل
والسماء بنيناها فجعلناها على ما هي عليه طبقها وامرها ممسكة بغير عمد ترونها
بل بقدرة منا وايد وقد تقدم ان السماء والارض وما بينهما خلقهن العزيز العليم بالحق
ومن يقتضي النظر وتابع التذكر وقف على ان هذا الحق المعنى قد سلكه فيهن صغير
ذلك وكبيره سلوك الارواح في الاجسام بل احله من ذلك حلول الاولي فيها والاخر
والباطن والظاهر ابطن ذلك اليوم عن الابصار واظهره ببصائر ذوي الالباب فاذا
كان اليوم الاخر وقوض البناء وبدل الارض غير الارض والسماء اظهره اظهارا وكشفه
عيانا وهو المعنى الحق المبين اشار الى ذلك بقوله الحق وانا لموسعون كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا قام من الليل الى الصلوة ونظر الى السماء اللهم لك الحمد انت نور السموات
والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت رب السموات
والارض ومن فيهن انت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار
حق والملائكة حق ورسلك حق والصراط حق والميزان حق والحوض حق وما جاءت
رسلك حق اللهم اني اسالك فكاك رقبتي من النار وقال الله عز من قائل ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الى قوله فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع
عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى اخر السورة فاحرص وفقك الله ان تعلم تفصيل
هذا الحق من خلقه السموات والارض وما بين ذلك فطوبى لك ان وصلت الى ذلك نظم بذلك
قوله الحق وانا لموسعون يعني في اليوم الاخر وسع يومئذ توسيعا لا تناسب بين ما هو لا بد
وبين ما هو يومئذ عبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ما الدنيا في الاخرة
الا كما صبع احد خلته في اليم فانظر بم يرجع منها نظم بذلك قوله تبارك وتعالى والارض مددناها
يعني اليوم كما قال والسماء بنيناها ثم قال فنعم الماهدون اي في اليوم الاخر وفي هذا اليوم
ايضا لكن تمهيدها على النهاية ذلك اليوم وذكر تمهيد الارض اية على تمهيد ارض الجنة كما جاء
في وصفها وتعداد النعم اذ جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها لا ارض فيها انما حالهم فيها كالركوب
الى قعرها هم فيه وصعود بالعليان وربما اضطروا الى جبال فيها ليصعدوا عليها بنوع من
العذاب يضع احدهم يده فتذوب ثم تعدد ذلك منهم هكذا فاذا صعدوا الى حيث شاء
الله به ذلك زل فهوى الى حيث شاء الله به ذلك لا يذوقون لذيذ الشراب ابدا ولا يستقرون

على ارض ابدا ولا يضطجعون ابدا نعوذ بالله من احوال اهل جهنم في الدنيا والاخرة
فحيث ما جاء ذكر تمهيد الارض وتعداد نعمه فهو وصف للجنة باعتقاد الفضل وتعريض
بوصف جهنم فافهم فهمنا الله واياك اتبع ذلك جل ذكره ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون بقوله وهو اعلم اوجدنا نورا وظلاما ونهارا وليلا وشقاء وسعادة
وصحة وسقما وخيرا وشرا وغنا وفقرا وشدة ورخاء ليتذكروا بذلك الوعد
والوعيد والثواب والعقاب وقد جاء في ذكر القرآن ذكر الزوجين يعني الذكر والانثى في قوله
عز من قائل وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وجاء ايضا ذكر الازواج يعني سوع النبات
والتمييز بين ضروب الثمرات وكل نوع من ذلك زوج لكن تمام العبرة بذلك ان شاء الله وهو
الموفق المرشد ان الله عز وجل خلق الدنيا مبنية على نفس جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها وانزل رحمته بالماء من السماء وقد مزجه بما من نفس ذلك في اجواء الهواء ثم بما في الارض من كل
ايضا ففصل الماء الى الثلث شعب فتح رحمته وفم نفس جهنم على المزج من ذلك وان كان قد
اتاك من ذلك ما اما الي خاصة شعبه منها فمنها الى الرحمة ومنها الى الحر ومنها الى البرد وعلى وصف
التفاوت المذكور ليدل بذلك على دار القرار الجنة والنار ثم بالتفصيل والتنويع المقارنة
والمتبعة من الاصول المذكورة لذلك وهو اعلم بما ينزل اعقب ذلك بقوله لعلكم تذكرون
نظم بذلك ما هو متبين لما تقدم قوله عز من قائل ففروا الى الله اني لكم منه نذير
مبين اي فروا من وعيده الموجب لعذابه الذي دلكم على وجوده بما اريكم في الزوجين الى وعده
الموجب لثوابه الذي دلكم عليه فيما خلقه قال عز من قائل ولا تجعلوا مع الله الها اخر اني
لكم منه نذير مبين اظهر ما يكون دلالة هذا في اول العبرة وتنويع الوجود بجعل ليلا ونهارا
ونورا وظلمة وخيرا وشرا فالنهار ربما هو والنور والخير دلالة على الا الحق ثم في كعبرة
لا حيرة فيه ظهورا الدلالة والحمد لله رب العالمين نظم بذلك قوله الحق جل من قائل كذلك
الكاف للتشبيه وذلك اشارة منه الى مشار اليه وهو فعل من تقدمهم في الامم الماضية الضالة
قبلهم بقوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به يقول اعهد بعضهم الى بعض بذلك اولهم لاخرهم ثم اضرب عن ذلك بحرف بل
اي لم يكن ذلك كذلك انما تشابهت قلوبهم في الطغيان فتشابه فعلهم وقولهم وطغيانهم
على انبيائهم ثم مدح جل جلاله بسوقه اياهم الى اهلاكهم ودمارهم بانفسهم واراد منهم الا له
الا هو المقصود بكل وجه والمراد بكل معنى اتبع ذلك قوله تبارك وتعالى فتول عنهم فما انت
بملوم شهد الله جل جلاله لرسوله بالتبليغ عنه واتمام ما امر به واكماله ثم قال وذكر يعني
من ذكر وهم المؤمنون الذين ينفعهم التذكر كما قال سيذكر من يخشى وربما كان ذلك امضى
لامرك في التذكير والابلاغ والنصيحة فسيذكر من يخشى فاستاق ذلك بلفظ المستقبل
من بلدي على وقته ونوبته وكل في ذلك الى اجل مسمى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي على ارادتي منهم ومشيتي فيهم فقد كان ذلك ما من شيء خلقه اشجار جلاله الا وهو عابد له
وقانتا ما كونا كالجماد والارض والسموات والنبات والافلاك وما في ذلك وما شرعا كالملائكة
والانبياء والرسل والصديقين والمؤمنين والعابد له شرعا هو كما بده كونا كان عابدا

كونا هو عابده شرعا باطنا يعلم هو ذلك منها ويعلم ايضا من خصه بعلم ذلك من عبيده
اتبع ذلك قوله الحق ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون يقول لم اطلب منهم على عبادتهم
رزقا يرزقون انفسهم او يطعمونيه وفي هذا ابين بيان ان الله قد ضمن الرزق لعباده
وخاصة الثقلين بعبادته طوعا لذلك قال وهو اعلم ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين ثم ختم السورة بعد ما اجتلب من اجل ما احتوت عليه من خطاب قوله عز وجل فان
للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي المذكورين من المهلكين الذين لم يستجيبوا لله
ولرسوله لكن ذلك كله لاجل مسمى عاجلا واجلا والذنوب هنا هو الحظ والنصيب ضرب مثلا
بالدلو العظيم ثم قال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يريد اليوم الاخر

سورة والطور مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والطور الى قوله المسجور الطور جبل بعينه اقسم
رب العزة تخصيصا له ولانه كلم موسى فيه وواعده الى جانبه وخيا اصحابه والكتاب المسطور
في رق منشور وقرا ابو السمال في رق منشور جاء في هذا ان الرق ليس الجلد لا محالة بل الرق
ما كتب عليه وسمي هذا بذلك يمكن ان يكون اقسم بكل كتاب نزله التوراة والانجيل والزبور
والقران والصحف المنزلة فهي مسطورة في الرقوق ويكون ايضا اللوح المحفوظ وهو الاظهر
ويكون الرق اسم لكل ما كتب فيه وان كان لوحا والكتاب الذي نزله على موسى الذي هو التوراة
انما كتبها الله جل ذكره في الواح وسمي ذلك الرق المكتوب عليه هذا الكتاب رقا باسم ذلك
والبيت المعمور هو الذي يحج اليه الملائكة على ظهر السماء الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه اخر ما عليهم وهو في السماء بحيال الكعبة
في الارض اقسم الله به لكرمه عنده ولانه بحيال البلد الامين الذي هو منبعث محمد صلى الله
عليه وسلم والسقف المرفوع السماء والبحر المسجور المملو الان وفي يوم القيمة المسجور الموقد
نارا يقال سجر التنور اسجرها وربما كان البحر المسجور المعني به جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته
منها وكل شيء واسع فهو بحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابليس لعنه الله وان عرشه
على البحر حوله الحيات فهو في الدنيا على البحر الاجاج من الماء الزعاق وفي الاخرة جهنم مع جنوده
من الجن والانس جوابه ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا يعني يوم القيمة
مارت السماء تمور اذا تحركت وتموجت ولا يزول عن مكانها وتسير الجبال سيرا تصير كثيبا
مهيلا وتسلط الرياح عليها فينسفها نسفا حتى تذر الارض للرياح قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا قوله تعالى الذين هم في خوض يلعبون الخوض من الكلام ان يكون في الباطل
والكذب الدع الدفع قال الله عز وجل الذي يدع اليتيم يدفعه قوله تعالى والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم رفع الادنى الى الاعلى دون ان ينزل
الاعلى الى الادنى ذلك قوله جل من قائل وما التناهم من عملهم من شيء نقول وما نقصنا
الاعلى من عمله من شيء في الجمع بينه وبين من دونه قوله تعالى كل امرئ بما كسبت رهين
ان كانوا غير مؤمنين وكان احد الفريقين من الاباء والذرية مؤمنا والاخر كافرا فكل امرئ
منهم بما كسب رهين وقراها ابي وعبد الله وما لتناهم باسقاط الالف يعني نقصناهم

ورويت كذلك عن ابن كثير وقراها الاعرج التناهم ممدودة الالف قوله تعالى يتنازعون
فيها كاسا لا لغو فيها ولا تاثيم يتعاطون لا يتكلم فيها بما هو لغو ولا تنعيم فيه بل بذكر الله جل
ثناؤه وما يتنعم به اهل تلك الدار ولا يقولون باطلا ولا تاثيما ما ياثمون به في قول
ولا فعل قد رضيهم ربهم جل جلاله ورضي عنهم واستعملهم بما يرضيه فهم المتقلبون في
رضوان الله لا يسخط عليهم ابدا جعل عيشهم في التسبيح الذكر فهم يلهمونه مع الانفاس
وجعل نعمتهم في الموافقة لرضى ربهم وجبلت الجنة على الموافقة بما يرضيهم فنعيمهم ابدا
دائم وجبل ذلك كله على النسيء ووجود المزيد طوبى لهم باحسن ما بهم وكريم ما صاروا اليه
فاكهين بما التناهم ربهم اي هم معجبون مغتبطون الفكه المعجب المحبور قوله عز وجل ويطوف
عليهم غلمان لهم هؤلاء هم والله اعلم بنوهم الذين قدموهم كانهم لؤلؤ مكنون وقال في غير
هذه ويطوف عليهم ولدان مخلدون فهم والله اعلم من يموت من ابناء الكفار قبل جري
التكليف هم على الفطرة وكذلك يخلق الله عز وجل في الجنة ولدانا غير هؤلاء وهؤلاء
يسوهم فيها انشاء اتبع ذلك قوله عز وجل فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون
بنعمة ربك اي العافية وخاصة النبوة والرسالة يقول تبارك وتعالى فما انت بنعمة ربك
بكاهن كما يقولون ولا مجنون كما زعموا فكان في معنى هذا الخطاب معنى سؤال التقرير والتعريج
ثم نظم به ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون كانه قال اتقولون هذا ام تقولون نظم
بذلك قوله عز من قائل قل تربصوا فاني معكم من المتربصين ثم قال عز من قائل ام تامرهم احلامهم
بهذا نظما على ما تقدم ويكون المعنى ايضا ان يكون ذكر الصفة بدلا من الموصوفين تقدير
الكلام ام تامرهم احلامهم بهذا وهم اهل النوءدة والراي ام هم قوم طاغون ام يقولون تقوله كل
تلك الوجوه قد وجهوها وقالوا بها بل لا يؤمنون بانه من عند الله لو تفكروا في الخطاب وتدبروا
اياته في القران لاطلعهم حق الكتاب على انه من عند الله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
لذلك قال عز من قائل لا يؤمنون نظم به قوله فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم قال
عز من قائل ام خلقوا من غير شيء اي من غير خالق ان كان ذلك كذلك وما يتم بذلك ام هم
الخالقون اذا وتنزيل هذا الكتاب في الله اعلم ام خلقوا من غير شيء من غير طين او من غير نور
كالذي هو خلق الملائكة عليهم السلام او من غير نار كالذي هو خلق الملائكة عليهم السلام من
نار كالذي هو خلق الجان ولما كان قسم هذا الكلام قوله ام هم الخالقون كان محذوفا ام
لم يخلقوا اثم ينتظم به على الولاء قوله فهم الخالقون حكم بهذا اللزوم وجودهم ثم قال
عز من قائل ام خلقوا السموات والارض لما كان العلم بخلقه العبد نفسه وبخلقه السموات يكسب
اليقين كان قسيمه في النظم قوله بل لا يوقنون اتبع ذلك قوله عز من قائل ام عندهم خزائن ربك
ام هم المسيطرون هم الارباب المسلطون يقال من ذلك يسيطر عليها اي ترأس وتسلط وحكم ونحو
هذا ثم قال عز من قائل ام لهم سلم يستمعون فيه السلم للشياطين والمعراج للملائكة عليهم السلام والمعراج
مبلغ والسلم ليس بمبلغ يقول جل من قائل فليات مستمعهم بسلطان مبين انزلهم منزلة التهمة والظنة
وقطع لهم بان سلطان اي البرهان المبين كما قال يلقون السمع واكثرهم كاذبون نظم بذلك قوله
ام له البنات ولكم البنون وبعد الكلام في هذا ام تسالهم اجرا على ما يبلغ عنه اليهم فهم من ذلك

متقلون بالغرم ام عندهم الغيب فهم يكتبون من الغيب بلقيه اليهم عالم الغيب والشهادة
نظم بذلك قوله ام يريدون كيدا والمقصود اطفاؤهم نور الله بافواههم وجحدهم الحق
وردهم الوحي وتكذيبهم الرسل فالذين كفروا هم المكيدون اي لسوء فعلهم نعمي ابصارهم
وقلوبهم فلا يهتدون سبيلا ويصيرون الى سوء المصير لمجازاة اعمالهم هل يجزون الا
ما كانوا يعملون ثم قال عز من قائل وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم
هذا منهم انما لعظيم ما احلوه من كيد وانما لكفر في صدورهم ما هم ببالغيه نعوذ بالله
العظيم من سوء ما قسم لهم وانما ذلك منهم لعمى ابصارهم وبصائرهم وموتهم عن الحق
عز جلاله فهم المكيدون فهم لعقوبة اعراضهم ضرب بلا قفال على قلوبهم فهم
لا يبصرون بحقيقة ولا يفقهون حديثا فاذا شاهدوا واعظم برهان شاهدت الحدوا بها الى المعهود
المتعارف فهو منتظم بقوله في المقابلة والذين كفروا هم المكيدون بقوله يبلغ من كيدنا
لهم انهم لا يبصرون ولا يسمعون ولا يعقلون حتى انهم لو رأوا السماء تسقط عليهم كسفا
لقالوا سحاب مركوم فهو الحادهم بالايات الى المعهود فهم لاجل ذلك لو جاءتهم كل اية
لا يؤمنوا بها حتى يروا العذاب الاليم اتبع ذلك قوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
يوم تاتي كل نفس حمامها ويوم ينفخ في الصور فيصعقون قوله عز وجل وان للذين
كفروا عذابا دون ذلك اما ما هو دون الموت فالقتل والسبي والخزي والجلاء واما
ما هو دون عذاب الاخرة فالعذاب في البرزخ وهو المعروف بعذاب القبر لذلك وهو اعلم
ولكن اكثرهم لا يعلمون لخفاء ذلك على اكثر اهل الايمان فكيف باهل الاعراض والتكذيب نظم
بذلك قوله عز وجل واصبر لحكم ربك فانك باعيننا معطوف على قوله فذرهم حتى يلاقوا
يومهم باعيننا معطوف على قوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم باعيننا اي بمراى منا وبحفظ منا قوله
تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم اي عند الصبح ومن الليل فسبحه صلوة العشائين وصلوة
الليل وادبار النجوم صلوة ركعتي الفجر ثم الفريضة وقد تقدم معنى قوله في ادبار السجود وقد قال
في سواه له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله حفظ الخلقة وولايتها
التي لا يسع بولاية فكيف به صلوات الله وسلامه عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم عشر مرات كان له كذا وكذا وبعث
الله اليه مسلحة يحفظونه بذلك اليوم الى اليوم فان قالها من الليل فكذلك والعرب تقول
فلان عين الملك في البلد اذا كان رقيبا له مبلغا اليه مسعد الامر وبه الطليعة على الجيش عينا

سورة النجم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم اذا هوى اسم النجم يقع على مسميات شتى فالنجم
ما نجم من النبات اي ارتفع على ساق ويقال للثريا نجم وجميع النجوم ينطلق عليها نجم كما يقال للجنس
الا ما سمي انثا ويقال ان القران انزل من عند رب العالمين جل ذكره الى السماء الدنيا نجم نجم ثم يقال
لكل منزل منه شيء بعد شيء نجوم وكل دين قمرت ودين نودي لاحاله ويعطى على وضايفه
يقال لذلك نجوم وكل منزلة من القمر يقال لها نجم وربما كان هذا القسم قسما بجملة القران
وبما ينزل منه شيء بعد شيء وربما كان القسم بجميع النجوم عبر عنها باسم الجنس كما تقدم

وقد تقدم فيما مضى ان اقسام القران ياتي على الاغلب بما يكون معنى لما اقسم به علينا
ومن لم يظهر له ذلك باول النظر فانه يتوصل الى ذلك بالامعان في النظر فقوله تعالى
والنجم اذا هوى يريد والله اعلم بما ينزل الشهاب الثاقب المرسل على مسترق السمع قال
الله عز وجل لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وقال في جملتها وجعلناها رجوما
للشياطين ولما كانت الكهانة الغرض بها تعديها المعرفة وكان المعهود منها الى كذبها
مستغرق لصدقها وكانت قريش وكفار العرب عامة يقولون فيه انه كاهن وشاعر
ومجنون وساحر وهذا كله عن امارة الشياطين اما الكهانة والجنون والسحر فلهم
وقد قال عز من قائل والشعراء يتبعهم الغاوون بعد قوله هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم يلقون السمع واكثرهم كاذبون فاقسم بالنجم
اذا هوى اي بهوى اتباعا لمسترق السمع او بهوى الملك بالروح من امر الله جل ذكره بالنجم
من القران تنزيلا لقول الله جل من قائل ما ضل صاحبكم اي عن سبيل النبوة وما غوى
اي ما اغواه شيطان ولا استهواه فان الرسول محروس الشياطين كما السماء محروسة منهم
فاعلم ذلك ثم قال وما ينطق عن الهوى اي بالكذب الذي يكون في سبيل الكهانة والسحر
والشعر والجنون ولا بمقوله من تلقاء نفسه ان هو الا وحي يوحى اي من الله تعالى العلي الكبير
علمه شديد القوى جبريل صلوات الله وسلامه عليهما ذو مرة اي ذو قوة وايد ايده الله
فاستوى هذا وصف للنبي عليه السلام اي استوى نبوة وعلما وحلما وحكما ولما استوى نبوة وعلما
اسري به الى السموات العلى والى السدرة المنتهى الى ان استوى للمستوى حيث سمع صريف الاقلام
في الافق الاعلى وهذا وصف اعني وهو بالافق الاعلى لجبريل ومحمد صلوات الله وسلامه
عليهما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وقد فرغ من وصف له الانبياء عليهم
السلام ومن وصف البيت المعمور على ظهر السماء السابعة ولما ابراهيم عليه السلام فيها هناك
قال ثم رفعت الى السدرة المنتهى اليها ينتهي ما ينزل به من علو فيتلقى هناك واليها
ينتهي ما يصعد به من سفل فيتلقى هنالك قال فرفعت حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام عبر عن حالة هذا القران بقوله الحق ثم دنى فتدلى وهذا وصف لمصعد صعب
لا يرتقى فيه الا بمعونة زائدة وايد من الله مجدد ويمكن ان يقدر هنا محذوف وهو
الدنو باية فكانه قال ثم دنا فتدلى فدنا ويمكن ان يكون تقدير الكلام ثم تدلى فدنا
ويمكن ان يكون المعنى فتدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنا الله جل جلاله وتعالى علاوه
وشانه لانه عز ذكره يوصف الدنو ولا يوصف التدلي وصف للمخلوق يليق الله جل ثناؤه
فكان قاب قوسين او ادنى الله اعلم بما هو كدنو قاب القوسين ما بين السيتين وقيل قاب القوس ما بين
المقبضة والوتر منه ويقال لكل قوس قابان فمن المقبضة الى السية قاب والغرض يعرف هذا
القرب والتقرب منه وقد علمنا انه جل ثناؤه القريب لا اقرب منه فما معناه وما المراد به وقد تقدم
ان القرب قرباد قرب حلقة فهو اقرب الى كل موجود من نفس ذلك الموجود واقرب الى العين
من القوة الباصرة واقرب من الروح الى الاحامد ومن حيوة الحي الى الحي وقرب اخر هو

ولاية وهو اغرق في وصف القرب من الاول حتى عبر عنه بقوله الحق اني لا اجد للغالب
على قلب عبد ذكري الا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها
ورجله التي يمشي بها وحتى قال ابن ادم مرضت فلم تعدني وجعت فلم تطعمني وعطشت
فلم تسقني فكنت عريانا فلم تكسني الحديث وفيه اما انك لو فعلت ذلك بعبدي
فعلته بي وهذا القرب والذي قبله لم يذكر فيه مكان ولا عرض اليه وقد ذكر فيما ههنا قطع
المسافة وذكر المركوب وهو البراق وذكر المعراج والصعود وتفتح ابواب السموات سماء
سماء والذهاب الى سدرة المنتهى ثم التقدم مع الاعتلاء الى الظهور على المستوى
وقال الله جل من قائل ثم دنا اي هو جل جلاله وهو اعلم بما ينزل فتدلى اي الرسول عليه
السلام ثم وصف هذا القرب وقربه ما قرب ما يكون من وصف المجالسة والوقوف بين يدي
الملك اللهم علمنا من علمك واجزل حظنا من معرفتك واحسن عوننا على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك نظم بذلك قوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى وقال الرسول
صلى الله عليه وسلم حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام فاوحى الي ما اوحى وفي اخرى
ففرض علي ربي خمسين صلوة الحديث وكلام الله جل ذكره يسع كل شيء حينئذ اوحى اليه جملا
كما فصله بعد وجعل له فرض الصلوات كالعنوان لذلك فما عامه لكل ما اوحى اليه نال من بركة
قربه روحا منه جمع له بذلك كل ما فصله له بعد واذا كانت ما ههنا عامة فهي اسم بمعنى المفعول
لانها بمعنى الذي كانه قال فاوحى الى عبده ما اوحى ويكون ايضا مع ذلك بمعنى التعجب والتعظيم
لقدر ما اوحى به اليه اذ هو كذلك اوحى اليه حينئذ شامل بركته خير الدنيا والاخرة ولا اعظم
قدرا مما اوحى اليه ولما كانت الصلوة هي الحاجز بين الاسلام والشرك جعلت لذلك كالعنوان
وتقرب لك تعرف بعض ما عظمه وما عجب به قوله فرض علي خمسين صلوة وان في ذلك اشغال
الفراغ كله ثم تفضل فيها عن كل حصة وردها الى الخمس وذلك دون الطاقة بكثير ثم تفضل بان
جعل الصلوة كعشر صلوات فهي خمسون لا يبدل القول لديه عز وجل ثم تفضل بان وجب علينا الصلوة
في الجماعة ورفعها الضعيف الى سبع وعشرين صلوة من صلوة الفذ ثم رفع التضعيف الكرام
الكاتبين عليهم السلام في صلوة الصبح وصلوة العصر بشهادتهم للمؤمنين وكتبهم صلوة
الصبح في صحيفتين فرفع وله الحمد صلوة الثنائية الى ما يزيد على الخمسين وكذلك فعل بالصلوة
الرباعية صلوة العصر وهذا مما لا مرية فيه والحمد لله رب العالمين ذلك فضله وبركته وله الفضل
كلامه وصدقه وهي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لديه وكان الذي علمه جبريل عليه السلام
القران وسائل الوحي وكان الذي اوحى اليه ربه ما فصله له بعد الى يوم وفاته ثم الى ما فتحه
بعد على علماء امته الى يوم القيمة ليبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون قال الله عز وجل
حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما في السموات وما في الارض
وهو العلي العظيم الى اخر المعنى ثم قال وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ثم قال وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الى اخر السورة بقوله جل
ثناؤه ما كذب الفؤاد ما راى فاخبر الصادق الحق جل ذكره ان رؤيته هذا الاسراء كانت رؤية فؤاد
ثم اتبع ذلك الاخبار عن اسراء بقوله افتمارونه على ما يرى بقول افتشككون فيما رآه بما هو اعظم

من ذلك

من ذلك بقوله ولقد راه نزلة اخرى والتنزيل مما يوصف به رب العزة جل ذكره عند
سدرة المنتهى عندها جنة الماوى هذا من وصف السدرة وذكر جنة الماوى والله اعلم
بما نزل للاخبار عن الرؤية هنالك وقراها ابن عباس عندها جنه الماوى وقال هي كقوله
واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون اذ يغشى
السدرة ما يغشى وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى السدرة المنتهى
اذ ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها امثال القلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها فما يستطيع
احد ان يصفها او ينعتها من حسنها وفي اخرى فلما غشيها من امر الله ما غشيها تحولت اي تحول
الى امرها قد ذكرت الياقوت قيل انه غشيها فرش اخضر ونزل على كل ورقة منها ملك وفي اخرى
من مخرج الحرث بن اسامة قال ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى قال فاذا الورقة من ورقها لو غطت
بها الامة لغطتهم واذا السلسبيل يخرج من اسفلها نهران فنهر الرحمة ونهر الكوثر قال فاغتسلت
في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر واعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر لي
في الجنة واذا طيرها كالبخت واذا الرمانة كالجلد البعير واذا فيها ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ونظرت في النار فاذا عذاب الله شديد لا يقوم له الحجارة ولا الحديد
قال فرجعت في الكوثر حتى انتهيت الى السدرة المنتهى فغشيها من امر الله ما غشي ووقع
على كل ورقة منها ملك وايدها الله بايات بايه وا وتجلى ما اوحى وساق الحديث قال
اصدق القائلين ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى وهذا قول
حق وخبر صدق وليس بمنكر ولا مردود من قول من جوز الرؤية الفعلية في الجنة وقد قال
جل قوله ما زاغ البصر وما طغى ثم قال لقد راى من ايات ربه الكبرى وصف والله اعلم
للاسراء الاول المقول فيه ما كذب الفؤاد ما راى وكيف لا يوصف ما راه من ايات ربه الكبرى
الى حيث ما وصف فكان ذلك رجوعا بالاخبار الاسراء الاول اتبع ذلك قوله ما زاغ البصر
وما طغى فاخبر الصادق الحق جل جلاله انها رؤية بصر كما اخبر عن تلك انها رؤية فؤاد نظم
بذلك قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى فكانه اوقع رؤية البصر على رؤية الايات هذا
على ظاهر الخطاب وانما هو اخبار ورجوع الى الاسراء الاول ويرجع معنى الخطاب الى رؤية الله
عز وجل بقوله ولقد راه نزلة اخرى والتنزل فعل الرب جل ذكره وهو بمعنى الدنو التقدم ذكره
فذكر نزلتين ورؤيتين الاولى رؤية الفؤاد والاخرى قال فيها ما زاغ البصر وما طغى وقد روي
ان كعب الاحبار سال ابن عباس عن هذه الاية فقال ابن عباس انا بنو هاشم فيزعم ويقولون ان محمدا
صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين قال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
صلى الله عليه وسلم فكلم موسى وراى محمد وقال ابن عباس ان الله اصطفى بالخلة ابراهيم
واصطفى موسى بالكلام ومحمدا بالرؤية صلوات الله وسلامه على جميعهم ابن عباس قال ولقد راه
نزلة اخرى وانكرت عائشة الرؤية وكذلك انكرت الاسراء فقالت ما فقدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم من مضجعي وصدقت ما فقدته لان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها بعد الاسراء ولانما كان
الاسراء من مكة مرة من عند البيت الحرام ومرة من مضجعه وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وكان الاسراء في ايام خديجة ثم توفيت وتزوج بعدها سودة وعقد نكاح عائشة

بمكة وبنى بها بالمدينة واغلب الظن ان هذا الحديث منقول عنها وهو حديث صحيح سنده
مضطرب مسه وهو من حديث الاحاد لا يوجب علما وما نحن بسبيل طلبه العلم وقد تجلى ربنا
لجبل من الجبال فصار دكا لماذا وكان ذلك المراد منه وعلى التحقيق وانه نفى الله جل ذكره
ان تدركه الابصار فالادراك احاطة وجل جلاله ربنا وتعالى علاؤه وشانه عن ذلك بل هو يدرك
الابصار ولا يدركه **فصل** قال الله جل ثناؤه ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى
انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى المعنى الى آخره
وتاويل الجبل فى تعريف خطاب الانبياء هو الرجل العظيم كما جاء فى نبوة دانيال عليه السلام
اذا رايت الجبال من ناحية الجنوب فذلك ظهور الامة المقدسة فالجبال اسماهم عظماؤهم
الامة الصحابة والتابعون والامة المقدسة هى هذه الامة ثم قال عليه السلام واذا اشتعلت
ثم رايت فتلك علامة انقراض العالم واشتعالها بالنار وربما كان عبارة عن ظهور عيسى عليه السلام
واصحابه لوجود الضياء فى الاشتعال وربما كان معنى وصفها بالاشتعال بالنار على الرجال على
ما غلب عليه والله اعلم وانما الغرض الاعلام بان الجبال فى معهود تخاطب الانبياء الرجال
ورجع الكلام الى قوله فتجلى الله جل جلاله للجبل اية على تصديق الوعد منه بانه يعجز لمن صار
الجبل له مثلا **فصل** فى سؤال موسى عليه السلام لرؤية ربه دليل على جوازها للمعلوم من انهم
الائمة المقتدى بهم وهو اعلم البشر بربهم وما يجوز عليه وما يستحيل وانما قال له لن ترانى اى فى
الدنيا قطعا ويكون المعنى ايضا لن ترانى انت قبل الموت ومن الجائز الممكن ان يكون موسى عليه السلام
قد اعلم ربه جل جلاله انه يرى وان من عباده من يراه بوعد منه للمعهود منه جل ذكره انه يكشف
للانبياء والرسل من العلم به والمعرفة ما لا يكشفه لسواهم وما كان موسى يعلم من الموعود بذلك منهم
جل ذكره فلما وجد نجاه وسمع الكلام العلى حاشت نفسه شوقا الى رؤيته من هذا كلامه فسال الرؤية
وكان صلوات الله وسلامه عليه لديه وجيها وعنده امينا كريما فاجابه جل جلاله بقوله لن ترانى
ومن الجائز الممكن ان يكون معنى ذلك لن ترانى انت اى لست صاحب ذلك ممن دل على ذلك
فحوى قوله يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن
من الشاكرين وان ظاهر هذا الخطاب ذاهب الى ما فهم بعيره عن سؤله وتعريض اعلام بانه
لغيره امن به موسى عليه السلام ثم جعل استقرار الجبل اية منه على جواز الرؤية منه له وفى ضمن ذلك
انه لا يطيق الرؤية الا من طوقه الله اياها واتيه عليها الا تسمع الى قول رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين وصف التنزيل له سدرة المنتهى قال وغشيها من امر الله ما غشى وايدها الله بايات
فقد دكه الجبل وصعق موسى عليه السلام ولو كانت الرؤية ممتنعة البتة استقرار الجبل اية على كونه
وليس المعهود من الجبل الا الاستقرار ولما افاق موسى عليه السلام من صعقته قال سبحانك
تبت اليك اى من اذا سالتك ما ليس لى بعلم وانا اول المؤمنين عن حملت له ذلك ووعدته
به موسى اول اهل الكتاب ابن محمد صلى الله عليه وسلم هذا الى ما تقدم ذكره من دلائل الرؤية
فصل قال الله عز وجل فى قوم موسى عليه السلام واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون وفى موضع اخر بظلمهم وقال واختار
موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل

والاي

واياى ولم يكن جل ذكره ليواعدهم الرؤية ويجعل لهم لذلك ميقاتا ثم يعاقبهم كما قال عز
عز من قائل وواعدناكم جانب الطور الايمن وكان الميعاد من اجل سؤالهم الرؤية فصح من
ذلك عند من صدق الله انه اراهم نفسه كما شاء من ذلك عند من صدق الله وان ذلك
منهم حال صعقهم اى موتهم التى ذكرها الله بقوله جل قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون وقال موسى عليه السلام رب ارنى
انظر اليك ثم بعثناكم من بعد موتكم وكما فعل بموسى عليه السلام حال صعقته والرؤية
فى حال الصعق والنوم والموت معهود وجودها والحمد لله رب العالمين وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت ربى فى احسن صورة فقال لى فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وكان تمنى
موسى الرؤية شوقا اوتوها للادب عز جلاله وتمنى قومه الرؤية عتوا واضرابا عن الايمان
به وبايات الله والاستدلال بدلائله واستشهاد شواهده فقالوا يا موسى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة قال الله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم والظلم هنا جعلهم
الايمان لا يصح وجوده منهم الا بشرط رؤيتهم الله جل ذكره **فصل** اذا كان الموت
فيه لقاء الله لا محالة فرؤية الله ارفع اللقاء واعلاه وقد قال الله عز وجل يضحك الله
الى ثلثة وجاء مثل هذا فى غيرها وجه فالصعق والنوم من ايات الله على ذلك ومقدمات و
حقيقة حق يتقدمها دل على ذلك اشراط القيمة قبلها واعلام كل شئ وآية قبل
والاسراء وان لم يكن موتا ولا صعقا ولا نوما على ظاهر الوجود فقد خرج بما هو عن
الدنيا الى مشاهدة الافق الاعلى ولا ينكر الرؤية هنالك وقد جاء النص بها مكشوفا
المصير له اعتقاد كونها ان شاء الله والايمان بذلك والحمد لله لا سيما حالة غير حالة الدنيا
بل هى من احوال الاخرة وكما نعم على الانبياء والرسل من وجودات المقدور والغائب فلا ينكر
ان يبلغ احدهم الى الرؤية اذ هى من موجودات الغيب فى يكون ذلك بحكم انتشئ فى طريق
اكرامه من الانبياء والرسل كما قد يكرم بعض الانبياء بان يوجد على ايديهم من المقدور
الغائب والله واسع كريم **قوله** تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قيل ان
هذه اللات كان لاجل رجل كان يلت السويق عندها ويطعمه ولما مات عكفوا على قبره وجعلوه
وثنا ثم نصبوا هذا الصنم وسموه بفعل ذلك الرجل وقد قرا ابن عباس وابو صالح ومجاهد
وابن كثير فى رواية عنه اللات مشددة التاء مفتوحة ومكسورة واداه والله اعلم ان الشيطان
لعنه الله زينها لهم وهى معدولة عن اسم الله تعالى وهى عندهم من الملائكة على قبيح معتقدهم
فى هذه الالهة والعزى من اسماء العزيز جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه يقول الله جل من
قائل تلك اذا قسمة ضيزى اى جائرة لتسوية سميتموهن تسمية الانثى وتنسبوهن الينا لكرامتكم
للبنات وتنسبون الى انفسكم الذكران لعدم حرتم فى القسمة تسمية ما انزل الله بها من سلطان
اتباعا منكم لرجم الظنون وحكم الهوى ولقد جاءكم من ربكم الهدى لو اهتديتم فظم بذلك
قوله عز من قائل ام للانسان ما تمنى تقول سميتموهن على امانيكم بالعزى واللات ومناة
من الجنى والانس فلله الاخرة والاولى كما قال ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن
عبدا الاولى فى الذكر هى اللات ومناة هى الاخرة فى الذكر فلله الدار الاخرة والدار الاولى

وكيف توجه الخطاب قوله هو مالك الملك والملكوت وله الاسماء الحسنى اي له الآخرة منها والاولى في الذكر والوضع الذي ذكره وهما والوضع ومنهم هاوله ايضا الوسطى التي هي العزى عسد ومالك يوم القيمة يكفرون بشرككم وقد يكون معنى ذكره جل جلاله للآخرة والاولى الدارين اي ما عدلوا بتسميتها عنه من اسماء الله والعزى والامين والامانة ونحو هذا نظم بذلك قوله وكم من ملك في السموات لا يغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى يقول عز جلاله لا تطمعون في شفاعتهم فكم من ملك في السموات الاية نظم بذلك قوله جل من قائل ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم الى قوله وهو اعلم بمن اهتدى **قوله** تعالى ولله ما في السموات وما في الارض هذا بيان لما تقدم من قوله فلله الآخرة والاولى اي له الاسماء الحسنى ومقتضياتها في العالم نظم بذلك قوله جل وعز الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش قد مضى في هذا الكتاب وفي ذات كلا بوضعها الى سبيل الرشاد الكلام على الكبائر والفواحش بما يكون تطريفا للمبتدي وتذكيرا للمنتهي نظم بذلك قوله جل وعز ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم انشاهم من الارض وهي في نفسها باردة يابسة اشبهت الموت من اجل جملتها وفي اليبوسة والبرودة والكثوة اذ اصلها من فتح الزمهرير والهواء وهو حار بارد من ممتزج الفيح الذي يكون عن نفس جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها الزمهرير والسعير ومن الماء الموجود في الاغلب عن فتح رحمة الله وقد امتزج بالارض والهواء الماء كامتزاج الارض والهواء بالماء وقد ضربت جهنم مرتين سعيرها وزمهريرها فينزله ذلك فيخرج لنا به من كل الثمرات وتفجر الانهار عنه وتجري العيون ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء فيحييه بروح الايمان ويرسل الى باطنه تباشير الهداية ويطهره من ماء التوبة ما ينبت في باطنه وظاهره وما يرضاه ويحبه من الاعمال الزكية والاقوال المرضية **قوله** تعالى افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى المتولي هو المكذب العاصي الذي اعطى قليلا واكدى هو المرتد عن دينه بعد اسلامه والناكص على عقبيه نظم نفسه? والمتعاجر? بعد الاعطاء من نقض العهد بالوفاء بعطي الايمان يقول عز وجل اعنده علم الغيب فهو يرى اي ما اعدله فيما هنا من حسن مآب فالنفي بذلك وقطع العمل اكدى في العمل اذا قطع وهو ماخوذ من الكدية يعرض لحافر البئر فيقطع حفره واماني? ان يخرج الماء فيجد حجرا في طريق الحفر لا يقطعه المعاول فيقطع حفره لذلك فقيل لكل عامل قطع عمله قد اكدى فلان نظم بذلك جل جلاله ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى يقول ابراهيم الذي لم يتول ولم يكد بل وفى قال الله عز وجل واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وقد مضى ذكر هذا في سورة البقرة ثم استمر جل جلاله على ما في الصحف من ذكر التوحيد واثبات النبوة والكرامة? وذكر نعم الله جل ذكره واياديه ونعمه وذكر اياته وانه اليه المنتهى بكل وجه وبكل مقصد ومطلب وان اليه يرجع الامر كله وانه خالق كل شيء ومدبره وذكر الجزاء العاجل وانه يعيد كما بدا وانه رب كل شيء وذكر المهلكين وانه هو الذي اهلكهم ليدل بذلك على اهلاك من سلك سبيلهم واخذ على طريقهم في الآخرة فكان معنى قوله وهو اعلم بما يزل وابراهيم الذي وفى اي استصحب

المذكور

المذكور من لدن قوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى الى اخرها فصل المذكورات بها ودام على ذلك حتى توفي صلى الله عليه وسلم **فصل** من يتبع النظر على الاستقصاء في هذه الجملة من لدن قوله وابراهيم الذي وفى الى قوله هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة واضاف اليها قوله الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الى قوله وهو على كل شيء قدير واضاف الى ذلك سورة سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى الى اخر السورة وقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وتابع التفكر والتدبر وضم اليهن امثالها من اي القرآن ومعانيها فكانما في التوراة والانجيل والزبور والفرقان المنزل على كل نبي وكل صحيفة ويشرف من ذلك على عهد الكتب والصحف المتقدمة ويقف على جوامعها ومعاقد تنزيلها ولا يفوته منها شيء ضرب امثالها المضروبة بها واما ما جعلت له وضربت امثالا من اجله فقد اشرف عليه وزيادة اعلام لسياق انواع الخطاب ونحو هذا فان القصص يتكرر في القرآن المرتين والثلث ولا يخلو كل قصص منها من مزيد علم واعلام بامر والا فما كان يكون فائدة تنوير القرآن وتذييره وقد مضى في سورة الاعراف ان الله جل قوله وتعالى علاؤه وحده يقول وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها وقال بعد هذا ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وفيما بين هذين اصار التوراة عندهم من تلك الدرجة الى هذه المتاخرة وان فيما بين هذين لما قد وجب رفع فهم القرآن عن القلوب حتى انه لم يبق منه فيما لديهم الا نحو ما احلت اليه التوراة بالرفع عنهم وما بقي منها لديهم بعد نسخها وهو قوله هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وان المحجوب منه عن قلوب اكثرهم فهم قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم واجلة ما بين هذين يطول وربما افردنا له فصلا ان شاء الله وهو المستعان **قوله** تعالى فغشاها ما غشى فباي الاء ربك تتمارى الاؤه اثاره التي يذكر به وافعاله واحكامه التي يعرف به وهي له في سبيل الاعتبار بمنزلة ظل الشخص له فكما انه لا يكون ظل الا لشخص كذلك لا يكون اثر الا لمؤثر ولا فعل الا لفاعل اتبع ذلك قوله هذا نذير من النذر الاولى يعني محمد صلى الله عليه وسلم فاذا كان منهم وقد اهلك الله من كذب اولئك ورد نصيحتهم فانه يجب عن هذا كالذي وجب عن من سواه من النذر نظم بذلك قوله ازفت الازفة اي قرب ما انذر من عذاب او جزاء عاجل واجل ليس لها من دون الله كاشفة كما قال فهل ينظرون الا الساعة ان ياتيهم بغتة فقد جاء اشراطها اتبع ذلك قوله افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون السامد الغافل الذي كانه لهي ولهو والحديث الذي ذكره هنا هو ما اقتصه من اول النجم? واعلم بين? الوحي على معاني خطاب الذي انتهى الى قوله وابراهيم الذي وفى ثم الى اخر السورة ثم القرآن من اوله الى اخره

سورة القمر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سال قوم من يونس? النبي صلى الله عليه وسلم اية يدل على صدقه وصدق ما جاء به فاراهم انشقاق القمر قال ابن مسعود لقد رايته في قوم من قوم يونس? قد انشق

طلعيت حتى رايت جز ثين فلعسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا والغرض في هذه
السورة اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصحيح رسالته وانه في ذلك على سبيل سلوكه
للانبياء والرسل قبل الذين ارسلوا اليهم فعصوهم واهلكهم الله وان موعدهم الساعة والحض
على التذكر والتفكر والاعتبار وان العاقبة للمؤمنين والمتقين **قوله** عز وجل اقتربت الساعة
وانشق القمر انشقاق القمر لم يات الا من طريق احاد لكن القران اسنده على النقل وانشقاق القمر
مع انه اية على تصحيح نبوته ورسالته وتصديق ما جاء به هو ايضا اية على خسوفه الاكبر
وانكداره وجمعه مع الشمس عند انقراض الدنيا كذلك الساعة لقربها تظهر اعلامها وتتقدمها
اشراطها في مجى الخبر بانشقاق القمر من طريق احاد على شهرته في سياق القران من الفقه عن الله
جل ذكره ان اخبار الاحاد قد يوجب العلم باطنا وانه ليس بمنكر ان ياتي الحق من الحديث والسنة
من طريق غير مقطوع فيجى حديثا وخبرا على هذا الوجه فلينظر هل في القران له معنى او لا
ولا يقال هذا ليس من طريق صحيح لم يروه الثقات ويسكن النظر على طريقه ما جاء في كتاب الاراد
كما انه قد ياتي من الاحاديث من طريق مصحح مسندا الى ثقة او ثقات عدد ولا يوجد على تحقيق
ولذلك قالوا فيما ليس بالتواتر انه لا يوجب العلم وان وجب العمل **قوله** تعالى وكل امر مستقر
انتظم هذا المعنى بقوله وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما قال وان يروا كسفا
من الماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فقوله وكل امر مستقر اى كل شى فرغ منه فالاجال و
الهدايات والضلالات والسعادات والشقاء وان كل ذلك مستقر كما قال لكل نبا مستقر وسوف تعلمون
نظم بذلك قوله جل جلاله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر لو ازدجروا عن كفرهم و ضلالهم
وهذا منتظم بظاهر الامر من ارسال الرسل واظهار الايات ثم قال حكمة بالغة نظم هذا بقوله
وكل امر مستقر ثم نظم بذلك فما تغنى النذر ظاهر ما ههنا بمعنى الاستفهام وليس لكنها
مع هذا بمعنى الجحد والاخبار عنها بانها لا تنفع ولا تغنى شيئا انما الهادى والمضل الله جل ذكره
يقول فما تغنى النذر في قوم قد استقر امرهم انهم اصحاب الضلال في الدنيا وفي الاخرة اصحاب
نعوذ بالله من احوالهم في الدنيا وفي الاخرة نظم بذلك قوله الحق عز جلاله فتول عنهم يوم
يدعو الداعى الى شى نكر ينظره النفوس فتوجل منه القلوب وتذهل لاجله كل مرضعة عما
ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها الى اخر المعنى وقد قرى الى شى نكر بكسر الكاف وفتح الراء
نعول الى شى جهل وجحد هذا منتظم بما تقدم نظمه به قوله خشعا ابصارهم وفي قراءة
عبد الله والاعمش خاشعة ابصارهم خشوع البصر هو ان يرمى بصاحبه الى الارض ذلا كقوله
خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وعلى قراءة عبد الله فانه ذكر ان الفعل اذا تقدم
اسما مؤنثا كقوله ابصارهم فذلك مخير فيه تانيث الفعل وتذكيره وجمعه وافراده والمهطع
هو المقبل على الشى ببصره لا يرفع عنه ولا يلتفت الى سواه مهطعين مقنعى رؤسهم
لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء المقنع راسه الرافع **قوله** تعالى تجرى باعيننا
اى بحفظ منا ويجوز ان يكون معنى ذلك باوليائنا وقد تقدم الكلام فيه ويجوز مع هذا
ان يكون معنى قوله باعيننا عبارة عن الماء الذى يحملها كما قال عز من قائل وفجرنا الارض
عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر فجمع هنا جمعا سلما ثم جمع ذلك جمعا مكسرا وذات الالواح

السفينة والدسر المسامير والدسار ايضا حبل من ليف يشد به الواح السفن بدلا من المسامير
في بحر المشرق وقد قيل الدسر اضلاع السفينة جزاء لمن كان كفر اى جزاء من بلغ رسالة ربه
ونصح له في عباده ان يؤمنه وينجيه ويكون له العاقبة كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلى وقرا
يزيد بن رومان لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء اى ان يغرقوا ويهلكوا ونحو هذا كما قال
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا وكان حقا
علينا نصر المؤمنين نظم بذلك قوله عز وجل ولقد تركناها اية الجاعد على السفينة والله اعلم
جاء ان الله ابقى نقاها من السفينة على ظهر الجودى حتى ادركها اوائل هذه الامة وهذا مصدق
لما ذكروه ينتظم بهذا المعنى قوله عز وجل وكيف كان عذابى اى لمن كفر ونذرى لمن بلغوا
عنى رسالاتى كيف نجيتهم والاية الواجب علمها المفروض تطلبها زائدا على ما تقدم من قصة نوح عليه
اية في المستقبل لذلك ولما تقدم قال عز من قائل فهل من مدكر وهو ما ذكره في قوله جل قوله انا
لما طغا الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية فذكرنا جل جلاله وتعالى
علاوه وشانه بحمل اولئك وحملنا في اصلابهم ونحن غير محسوسين ولا موجودين حتى
اخرجنا كلا الى نوبته وعمله واجله وشقاوة او سعادة كذلك حملنا حال الموت من سفن
هذه الحيوة والحيوة الاخرى في مثال هذه الاجسام التى هى بواطنها الى الحيوة الاخرة الكائنة
في يوم النشور واما الذين يحملهم في الجارية فلم يحمل ايضا انسالهم وانما انسالهم التى هى
بواطنها الى الاخرة الكائنة يوم القيمة بل ابطلهم وابطل اعمالهم وارزاقهم ومعادتهم
وشقاوتهم واجالهم وانا دهم بسبح ذلك كله وازاله فسبحانه ولله الحمد ما اعجب قضاءه وامضى
حكمه لا اله الا هو لذلك قال وهو اعلم لنجعلها لكم تذكرة ثم قال وتعيها اذن واعية يشير الى هذا
العجب المعجب قال الله جل قوله واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون اى في البر والبحر في انها حمولة ومراكب يعبر عليها من موضع الى موضع
بقوله وان نشا نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين وهذا
قد نصبه ببعض الفلك في هذه الدار وهو ايضا قد يفعله ببعض مراكب البرزخ في عذاب القبر
كالذى يشدخ راسه والذى يشرشر شدقه فاه كالذى يسلط عليه الحيات في قبره فهذا
اهلاك لتلك المراكب وتغريق لتلك الفلك والى هذا ففى الاخرة ايضا تغريق واهلاك
في بحار الحميم وغير ذلك من المهالك ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ثم يقول جل من قائل
فكيف كان عذابى اى لمن عصانى وكذب رسلى ونذرى يقول كيف نصرتهم ومن امن بهم وجعلت
لهم العاقبة ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة اتبع ذلك قوله الحق عز جلاله ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر يقول جل من قائل جعلنا للتذكر محالا وحيا ومتسعا سهلا في ايات
الارض والسماء وانزلنا القران على اللغة العربى ونزلناه للافهام تنزيلا وخاطبناهم
بعوائدهم واعلمناهم من قبل اعمالهم واقتبسنا المعرفة والتعيين من قبل ورائهم وضربنا لهم
الامثال واظللناهم في مدة الاعمار وذكرناهم بالرسل والكتب ليذكروا الميثاق والحجج
عليهم فهل من مدكر وقرا قتادة فهل من مذكر بالذال **قوله** عز وجل انا ارسلنا عليهم
ريحا صرصرا يعنى باردة ذات صوت الصرصرة عبارة عن شدتها وبردها وصوتها في يوم

السفينة

نحس مستمر اى دام عليهم حتى اهلكهم قالوا انا اذا لفى ضلال وسعر يقولون ضلال
من ديننا وعقولنا وسعر الجنون الاشر البطر وقرئ سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
من نفعه الشين وقرا قتادة الاشر مشددة الراء من الشر كهشيم المحتظر الشجر اذا يبس
وتحطم فجعل المحتظر حرا على حظيرته بمنعها بذلك المحظور الممنوع نجيناهم بسحر السحر
سحران سحر اعلى وسحر عند انصداع الفجر والمراد ههنا والله اعلم السحر الاعلى لقول الله
عز وجل فاسر باهلك بقطع من الليل وقال فيهم ان موعدهم الصبح ونجا لوط فى السحر
الاعلى فتماروا بالنذر شكوا فى المنذرين وفيما انذروهم به وكذبوا بهم حتى حل بهم العذاب
راودوه عن ضيفه اى ارادوه على ذلك فطمسنا اعينهم عجل بعض العقوبة لطالبى
تلك الفاحشة الى ان عمهم مع قومهم بعذاب اخذ عزيز مقتدر لا يخاف الفوت ولا
الامتناع ولا يترقب معقبا فى حكمه نظم بذلك قوله عز وجل اكفاركم خير من اولئكم
يقول لقريش والعرب لكم براءة فى الزبر اى فلا هلاك كما اهلكنا اولئك فى الكتب
المتقدمة من ذلك اتبع ذلك قوله حاكيا عنهم ام يقولون نحن جميع منتصر اى نحن
كثير منتصر ممن اراد نا بسوء سيهزم الجمع اى فى الدنيا فهزموا يوم بدر ويولون
الدبر ثم اضرب عن ذلك بقوله بل الساعة موعدهم انتظم هذا الخطاب لعموم من تقدم ومن
تاخر يقول جل من قائل دع عنك ذكر ما اصابهم فى الدنيا وما يصيبهم من عذابها بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر **قوله** تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر الضلال
كونهم فى الحيوة الدنيا ضالين عن الهدى كافرين مكذبين وهم فى الاخرة فى سعر
وهو سعير النار ولهيبها ذوقوا مس سقر يوم يسحبون على وجوههم وصفكونهم
وحالهم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر والاظهر ان هذه الاية نزلت
فى القدرية ومن اخذ ماخذهم ويقول قريش كما للعرب لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم فجوابهم عند مسيس العذاب ذوقوا مس سقر انا كل شئ
خلقناه بقدر يقول اصبروا اذا على العذاب كما كنتم تصبرون على مشيئة الله جل ذكره فى شرككم وكفركم
ولما ذكر المجرمين اعقب بذكر المتقين فقال ان المتقين فى جنات ونهر فى جنات وضياء وسعة
ونوانهم جمع نهر انها ومن ماء غير اسن وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ونهر عجيب انهار

سورة الرحمن قيل مكية وقيل مدنية وليس فيها ناسخ ولا منسوخ

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى الرحمن علم القران الى قوله فباى الاء ربكما تكذبان
الرحمن جل جلاله هو ظاهر اسم الله وباطن لاسم الرب تعالى جعل هذه الاسماء الثلثة فى
ظهورها مقام الذات يخبر بها عنه وحجابا بينه وبين خلقه يوصل بها الخطاب منه اليهم
ثم اسماؤه الظاهرة مسببة لهذه الاسماء الثلثة انبأ عنه جل ذكره انه علم القران عبده
جبريل ثم رسوله محمدا صلى الله عليهما وسلم وخلق الانسان فى تعليم القران والبيان تعليمه كل
شئ شاء تعليمه كما خلق ادم وعلمه الاسماء كلها وفيما علمه من ذلك تبيان للحق المخلوق به السموات
والارض وفى ذلك من خلقه الانسان الاعلام بانه خالق كل شئ موجود كما قال وخلق كل شئ
فقدره تقديرا وقال وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم عدد ذلك من امارة الحنوة المبثوثة

فى العالم فانتظم قوله علمه البيان بما تقدم من ذكر تعليمه سائر العلوم كما انتظم قوله الشمس
والقمر بحسبان المعنى الى اخره بذكر سائر المخلوقات والنجم والشجر يسجدان اعرض بذكر هذين
القسمين ذكر الشمس والقمر والنجم والشجر يعنيون بالخلايق له ويوجد جميعها له قولا
وفعلا ثم ذكر رفعه السماء ووضعه الميزان سببها عن عدله فى موجوداته وقيامه
بالقسط فى بريته وامره الثقلين الانس والجن بسلوك سبيل العدل واعطاء
القسط من انفسهم وفيما يلونه ويحكمون فيه اذ كان التكليف منزلهم هو سبيل
نجاتهم من عقابه ووصولهم الى منازل ثوابه وذكر الارض وانها وضعها للانام والانام
اسم عام لكل ما دب ودرج وذكر ما جعل فيها من فاكهة ونخل ذات الاكمام مذكر الجنة
وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رحمه الله قال سال النبى صلى الله عليه وسلم رجل
عن ثياب الجنة اتخلق تخلقا ام تنسج بنسج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل تشقق
عنها ثمر الجنة وكما تشقق كل الفواكه والثمرات فتكون عنها الولدان والنسوان وغير ذلك
فكذلك يخلقهم الله جل جلاله من ثمارها هنالك ومن ارض ما هنالك وعرض بذكر الاكمام
خفاء ما فى نخل الجنة وثمارها وازهارها واشجارها من ازواج وانس ومراكب
وولدان وحور عين والحب والعصف والريحان الاكمام كل ما غطى وكل شجرة تخرج
ما هو مكمم فهى ذات اكمام واكمام النخلة ما غطى جمارها من السعف والليف والجرع والكرانيف
وكلما اخرجته النخلة فهو ذو اكمام والطلعة كمها والزرع ذو اكمام وقيل للقلنسوة كمة
لانها تغطى الراس وكما القميص كذلك لانهما يغطيان اليدين ويخرجان عنها والحب من
الحنطة وانواع الحبوب كلها ذو العصف ما على ساق الزرع من الورق ويقال للقشر
ويسمى الورق الذى يكون للزرع لم يبق بعد على ساق عصفا اذا يبس وتهشم والريحان
لكل نبت طيب الريح والريحان ايضا الرزق هذا كله من مقتضى اسمه الرحمن عز جلاله وتعالى
علاؤه وشانه وقرا ابراهيم النخعى وعبد الله بن مسعود والسماء رفعها ووضع الميزان
وانفرد دونه عبد الله وخفض الميزان لا تطغوا باسقاط ان فعلى قراءة من قرا ووضع
الميزان لا تطغوا فى الميزان يقول انظروا الى عدلى فى الخليقة واعطاء القسط فى البرية من
سماء مرفوعة وارض مذللة مدحوة وجبال راسية ونجوم طالعة وغاربة ونبات طاهر
ناجم وغير ناجم كل ذلك على وزن معلوم وحظ من العدل والقسط فى عباده وسوءه وعذابه
وجميع وجوده معلوم وكذلك فاسلكوا سبيلى فى ذلك تبلغوا رضاى لا تطغوا فى المكيال
ولا تخسروا الميزان كما اريتكم من حكمتى واعلمتكم به من صنعى وامرتكم به ونهيتكم على السنة
رسلى اتبع ذلك قوله الحق عز جلاله فباى الاء ربكما تكذبان قالوا الالاء النعم واحدها الا مثل
معا وامعاء وانما هو متناول بعض المراد مخصوص بعض المقصود بلفظ الالاء الواقع فى القران
العزيز الذى هو كلام احكم الحاكمين وخير الفاصلين على النعم والنقم وعلى الصنع كله فى الوجود
من الايات البينات والشواهد والدلالات اما ذكره اياها على النعم والنقم فقوله فى سورة الاعراف
فى قصة هود عليه السلام واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة
ذكرا اهلاكهم بل احالهم على ما يحل بهم من قطع دابرهم وقطيع مضاربهم ثم قال واذكروا

الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي فيصيبكم كالذي اصاب من قبلكم فان الذي
ارسل اليهم نوحا هو الذي ارسلني اليكم فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون ثم قال في قصة
صالح عليه السلام واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون
من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي فيصيبكم كالذي اصاب من قبلكم واما ذكره الالاء منتظمة بكل وجه ففي قوله
في سورة والنجم ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الى قوله فباي الاء
ربك تتمارى واما ذكره الالاء لصغر وقدرته وكلامه وبكل معنى ففي اثناء هذه السورة
شيا ذكره ان شاء الله **فصل** الالاء الله هي ما اظهرت لعباده معرفته وابدت
لهم العلم بها لانتهت الشواهد واياه قصدت في جلي وجوده وفي ظهورها اذ هو فيما بينا
من ال يبو ولان منتهى كل شيء اليه الا ترى ان الروح الموجود الكائن في الهواء
في خلال الابصار الذي عنه يكون رفع البعض في بصر الرائي في المرائي وهو بعض الاماكن
دل لنصر الرائي على المرئي وانهى الرؤية اليه وتولى ذلك الروح الكائن في الهواء في
كلال الابصار بالم يبصره البصر اذ قد خرج ذلك المرئي عن حد منتهى الروح الخارج عن نحوه
وكونه مرئيا لذلك الرائي عن جنب فكذلك الله جل ثناؤه قد تعالى عن ادراك ابصار
المبصرين وجل قدره عن توهم المتوهمين اقام فاتم في العالم واستشهد على خلقه خليقته
من معالم اسمائه واشارات صفاته وشواهد افعاله ودلائل بيناته وسبل انبيائه وسنن
رسله مع ما اقام من مقتضى ذلك في الالباب الالباء من عباده وركب في فطرهم من بصائر
سالمة وقلوب واعية وحقيقة ايمان ونور اتقان مقاما اظهر به وجوده العلي للبصائر
واوقف عليه كعقول مشاهدة حتى لم يجد واد ونه مقصدا ولا وراءه مرمى كالشمس
النيرة للابصار اشاعت من ضيائها في اقطار اجوائها ما ابصرتها الابصار معا
ووقفت عليها مشاهدة فليس اذا يبعد ان يكون عنى هذا وعبر عنه بالالاء لكثرة طرق
وشمول سبيل وجمع بالالاء كصحب واصحاب وشكل واشكال وقوم واقوام ونحو هذا
كثير متعارف لكن البصائر علمته غير محدود ولا مكيف وعرفته دون توهم ولا قصور
سبحانه وتعالى المثل الاعلى في السموات والارض ليس كمثله شيء يعود الله جل ذكره بخطاب الثقلين
الانس والجن ويذكرنا الاية في السموات والارض والدنيا والاخرة هو الله الرحمن ربكم
علم القران خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب تقدير العزيز العليم
والنجم يريد النجوم وقد يجوز ان يلحق مع ذلك النبات والنجم والشجر يسجدان والسماء
رفعها الاية يقول فباي الاء ربكما تكذبان اي باي اياتي وصنايعي وحكمي وحكمتي وعزي
في خلقي وما فطرت منها عليه من معرفتها اياي واستسلافها وقنوتها وسجودها **قوله**
تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار الصلصال هاهنا هو
الفخار المصوت حين يبس صلصالا لصوته اي لصلصلته او الصلصال المنتن من قولهم
صل اللحم اذا انتن قال الله عز وجل اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون المسنون
المتغير واذا تغير الحمأ حسن به سنن الخليقة وخلق الجان من مارج من نار والمارج الخلط

واختلاط النار وهاهنا هو اختلاط برد الزمهرير وحر سعير الموجودين فيما هاهنا في فيح
جهنم وقال في موضع اخر والجان خلقناه من قبل اي من قبل خلق ادم عليه السلام من نار
السموم لعله فيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وهو ولما خلق ادم من تراب هذه
الارض وخلق الجان من فيح جهنم فيما هاهنا اسكنهما في جنة خلقهما فاخبر جل ثناؤه
عن اصل خلقتهما اما الانسان فخلقه من التراب الارضي ممزوجا بالماء لما صار طينا
لازبا والارض امه والماء ابوه ثم سلط عليه الهواء الحامل لحر فيح جهنم وبرده فمن
التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه وعقله وعن النار غوايته وحدته ومن الهواء
حركته وتقلبه في محامده ومذامه بحمل الهواء الفيح معا وعن مادة النار
والبرد فيه شيطانه الذي هو قرينه كما عن الثرى والماء فيه ملكه المقارن له عن نفخ الملك في
الروح فتبارك الله جل جلاله وتنبه على حكمته لعظيم قدرته ان خلق الانسان من تراب وماء
ثم سواه حتى كلمه الخالق يكون خصيما مبينا اوليا لله جل ذكره قريبا يعلم الفوائد
ويعرف البيان كذلك في خلقة الجان ثم قال لهما اعني الثقلين الجن والانس فباي الاء
ربكما تكذبان اما العبودية اللازمة لكما لربه احد احد قاهر قادر لا يعجزه شيء ولا
يفوته شيء في السموات ولا في الارض ام بالدار الاخرة وعنها خلقتكما ومنها نشاتكما
وفيها هي صيركما ومصيركما ام بالبعث والاحياء لكما بعد الموت ام بالحق حال الموت بعد
الاحياء لكم فيما هنالك بالاحياء تارة اخرى لكم في الدار الاخرة التي عنها خلقتكما كما كان
هذه كونكما فاحييتكما في هذه وابعثكما فيها من تلكما وساعيدكما الى ما هنالك وبتحكما
اليها ام بمجيئي عن هذا واخباري به وكلامي وكتبي اليكما ورسلي فباي الاء ربكما تكذبان
قوله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين مشرق الصيف ومشرق الشتاء واقل
مشارق الصيف وقت استواء الليل والنهار عند حلول الشمس باول البروج الشمالية وهو
الكبش واعتدال الزمان يومئذ لقطعها الجنوبية واستقبالها الشمالية ثم اخر مشارق
الصيف اذا كانت الشمس في اخر الشمالية واول الجنوبية عند حلولها براس الميزان يعتدل
الزمان ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبية ثم بحلولها باخر القوس وراس الجدي يكون
الانتهاء في قصر الايام وطول الليالي لتوسطها البروج الجنوبية كذلك عند حلولها براس
التوءمان الى السرطان من بروج الشمال التي هي اخر درجات الشمس يكون طول الايام وقصر
الليالي فيختلف على هذين الفصلين البرد والحر باختلاف الفصول والله برحمته يصلح هذا
وهذا ويسخرهما وذلك لا رادة ومعلية رحمته على غضبه التي كتبها على نفسه جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه وقدمها امام تدبيره الحكيم قول الحق انه سبحانه سبق غضبه والحمد
لله رب العالمين وفي صعود الشمس في مشارقها الى ناحية الشمال ونزولها في مغاربها
الى ناحية الجنوب يكون اختلاف الليل والنهار وتدبير الامر في الايلاج والغشيان وفي اثناء
ذلك تنفيح جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ويفتح الله رحمته ويقلب الله بذلك الليل
والنهار والايام والازمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع بين قرني الشيطان
فاذا طلعت فارقها فاذا استوت قارنها وقال العسكري رحمه الله وقد سأله عن اوقات الصلوة

فقال صل الصبح ما لم تطلع الشمس فاذا اخذت في الطلوع فاترك الصلوة فانها تطلع
بين قرني الشمس فاذا طلعت فصل فان الصلوة حينئذ محضورة مشهودة ثم اذا استوت فاترك
الصلوة فانها حينئذ بين قرني الشيطان فاذا دحضت فصل فان الصلوة حينئذ
محضورة مشهودة ثم اذا دنت للغروب فاترك الصلوة فانها تغرب بين قرني الشيطان
فاذا غربت فصل فان الصلوة حينئذ محضورة مشهودة وقال الله عز وجل ان قرآن الفجر
كان مشهودا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا جل جلاله كل ليلة الى السماء الدنيا
حين يبقى ثلث الليل وفي اخرى حين يبقى شطر الليل وفي اخرى حين يبقى ثلث الليل وفيه
فلا يزال كذلك حتى ينتقل القارى من صلوة الفجر وقال اذا جاءت فحمة العشاء فكفوا
مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فان للشيطان حينئذ انتشارا فهذه افعال من الله جل
ذكره واحكام في التولي بوجه والتخلي بوجه وكلها احكامه وامره يجري على دوائر محكمة
التدوار في مشارق ومغارب والمشارق والمغارب لمقادير مقدرة محكمة بالغة ولما
عزم له في ذينك الحكمين ابتلاء ورحمة فاشبهت نعمه نقمه واتامه في تداولها بين عباده
بالباساء والضراء وكل ذلك من اياته وبيناته في معارفه وشواهده التي جعلها
شواهد له مخبرة عنه معلمة به وكما جعل للشيطان لعنه الله اقترانا بالشمس في طلوعها
وعند استوائها وغروبها فكونها في مشارقها من اول البروج الكبش هو بمثابة
طلوعها وكونها في الاعتدال الثاني عند استقبالها البروج الجنوبية عند حلولها براس
الميزان هو بمثابة غروبها ثم تكونها في الانتهائين في طول الايام حين حلولها ببرج
السرطان هو بمثابة استوائها في الصيف في كبد السماء كما يحلولها في راس الجدي يكون ذلك
في الشتاء في قصر الايام وطول الليالي وهو بمثابة استوائها فيما يقابل استواءها في كبد
السماء في النهار يقول عز من قائل رب المشرقين ورب المغربين فلا نعبد واسواه ولا نبتغي
لغيره بعرض بما شرع الشيطان لعنه الله لاتباعه من عبدة اعمار فيما هنالك وحدود حدها لهم
وشرايع شرعها لم ينزل الله بها من سلطان لذلك قال عز من قائل فباي آلاء ربكما تكذبان
اي هو خلق الشمس والقمر وادار الازمان دورانها وخلق الايام والمشارق والمغارب
والنجوم وسخر ذلك كله لعباده فلم يتخذون الشيطان وذريته اولياء من دوني وهم لكم
عدو بئس للظالمين بدلا يقول ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اتشركون
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انزلت عليه
هذه السورة خرج على المسلمين فقرأها عليهم فاستمعوا له وانصتوا فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم للجن كانوا احسن ردا منكم كلما مررت في قراءتي عليهم بقوله فباي آلاء ربكما
تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك نكذب ربنا ولك الحمد **قوله** تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما
برزخ لا يبغيان مرج خلط البحرين المالح والعذب بينهما برزخ ما هو ليس بصريح هذا
ولا بصريح هذا كذلك الجبل والسهل بينهما برزخ يسمى الحيف كذلك الليل والنهار بينهما
برزخ يسمى الغسق كذلك بين الدنيا والاخرة برزخ ليس من هذه ولا هذه ولا هو خارج
عنهما كذلك جعل بين كل صنفين من الموجودات برزخا ليس من هذا ولا من هذا وهو

منهما كالجماد والنبات كذلك بين الحيوان والنبات وبين الحيوان والانسان كذلك بين
الانسان والملك ثم الملائكة يتفاضلون في الاصطفاء وجود عام لكل فصلين مفصول
منهما وعنهما يقول عز من قائل الذين لا يؤمنون بالاخرة ويكذبون بلقاء الله هلا اعتبرتم
بهذه الاصول من انواع الموجودات فتعلمون من ذلك ان موتكم هذه فصل بين الدنيا والاخرة
كالعشاء بين النهار والليل والغسق بين الليل والنهار واستقرائكم ذلك في آيات
السموات والارض تجدون ذلك شائعا في الوجود ودليل الحق وفاق واطراد وجوده
هلا صدقتم رسلي وكتبي وتدبرتم كلامي فباي آلاء ربكما تكذبان هذا ظاهر العبرة في الموجود
من جهة ظاهرها ويمكن مع هذا ان يكون البحران الممتزجان في جهنم نفسها فكل واسع بحر
وليس في الدنيا اوسع بحرا من هذا نعم ويجوز في العبرة ان يجعل النفس فرقا وفتح الله
برحمته بالماء ومشيته الغالبة في ذلك فرقا اخر فيكونان البحران بينهما وعنهما يخرج اللؤلؤ
على الحقيقة والمرجان ويكون البرزخ على هذه العبرة فصلا الربعين فانهما عنهما و
منهما وقد تقدم الكلام فيهما فعرفهما هنالك وفي هذين يمكن تحقيق لفصل العموم
في قوله فباي آلاء ربكما تكذبان **قوله** تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان البحر العذب في الدنيا
انه على مثال الجنة والملح الاجاج انه على بعض موجود شراب النار لا يروي شاربه وزاده
قال الله عز وجل افرايتم الماء الذي تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون
لو نشاء جعلناه اجاجا كيف لا وقد كونه في مضطرب جهنم سموم حرورها وسموم زمهريرها
لكنه اعني الماء لما كان من فتح رحمته غلبت رحمته على عذابه واخرجها اعني جهنم عن الماء
بروقا ورعودا وصواعق وما شاء من ذلك فخلصه طيبا مباركا طاهرا مطهرا
كذلك قال عز من قائل وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج ثم قال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر
فيه ولتبتغوا من فضله المعنى حيث جاء والمرجوان البحران يخرج منه اللؤلؤ والمرجان
وانما يستخرج الدر على ما ذكره المستخرجون له من اصداف وان الله يخلقه من ماء المطر
تلك الاصداف للماء ينزل من السماء في اوان مخصوص فيقع فيها فيقوم الاصداف مقام
الارحام للنطف وبيض الطير لما وجد له وانما البحر مقام الحضانة وبهذا يقوى القول
بان البحرين المذكورين هما الفتح والفلج وما خرج تكون المعنى بذلك البحران العذب والملح
الانثراه لما جاء الى الاخبار عن جري الفلك افرد ذكر البحر بقوله وترى الفلك فيه مواخر
يقول الله جل من قائل فباي آلاء ربكما تكذبان بنعمة الموعود ما في الاخرة او بالمعجل هنا
في الدنيا ام بعذابه الذي وعد به في الاخرة او بما عجل منه لمن شاء من عباده وسخر لكم
البحر يعطيكم ما عنده وينفعكم بما فيه وتعبرون عليه الى مقاصدكم في الفلك ولتبتغوا
من فضله ولتشكروا الذي سخر لكم جهنم وهي لكم عدو وصيركم منها جنة بمجلة بنعمكم
منها ويخلقكم من موجوداتها بواسطة رحمته لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد في
الاولى والاخرة ولك الحكم واليك يرجع الامر كله **قوله** تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام
فهذا تقدم الكلام في الاعمار في الفلك جارية في البحر بنعمة الله واهلاكها بانتقام

وان طريق ذلك ان يعرض الفلك لتوهما مناب جميع المخلوقات علوا وسفلا وانها لا تجري
على مخلوق بل الامر يكسفها وعامدها وان وزان خدامها وملاحها وزان الملائكة في عالم
الملكوت وتحصين تماسكه باذن ربهم ووزان المسافرين فيها الذين لاجلهم اسباب
الفلك وزان المكلفين المامورين المنهيين الذين من اجلهم خلق السموات
والارض وما بينهما نعبر بهم عن غربتهم الى قرارهم ومن غيبتهم الى حضورهم
ومشاهدتهم ومسالكها ومدبر امرها في اعلاها يامرهم بامره فينفذونه ويعملون
له ثم قد يصرف الاعتبار الى ان تكون اية على قطع المؤمن ايام الدنيا فالدنيا
هي البحر وسفينته جسمه وباطن العبد هو الحق فيها والعقل صاحب سياستها والتقوى
خدامها واحالته وتدبيره محيط بها والايمان امنها والتوفيق ريحها والذكر
شراعها والرسول صلى الله عليه وسلم سائقها بما جاء به من عند ربه والعمل
الطيب يصلح شانها ثم قد يصرف الاعتبار الى قوله عز وجل واية لهم انا حملنا ذريتهم
في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وقد تقدم ذكره يقول الله جل
جلاله فباي الاء ربكما تكذبان قوله جل ذكره كل من عليها فان ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام عم في هذه الاية الامة بقوله هذا اذ كل من عليها انما بقاؤه
بين عدمين احدهما انه لم يكن ثم كان والثاني انه سوف لا يكون وهو فيما بين ذلك متعرض
للافناء ولا ايجاد ما شاء الله ابقاءه فهو باق وان بطن فناؤه حتى ياتيه اليقين ثم يوجد
اخرى للاعتبار انه وان كان قد كتب عليه الفناء وانه للبقاء خلق فانه بعد ما يفنيه يوجده
عودا بعد بدء ثم يبقيه ويكون قوله ذو الجلال والاكرام دفع اي وجه ربك ذو الجلال
ابتداء وخبر فتكون القراءة كل من عليها فان ويبقى ويكون الوجه عبارة عن الذات
جل جلاله اي يبقى ربك هذا على القراءة الاولى ويجر الى ذلك الاعلام ببقاء ما هو موجود
اليه ومخلص له والوجه ايضا صفة له جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسالوا بوجه الله الا الجنة فمعنى سياق الكلام فكان لكما ايها الثقلان في منع اهل
فناء ما هو عليها وجواز الفناء عليه وفي الجوار الجاريات في البحر كالاعلام بما يحمله ما يحجركم
عن التكذيب بالاء ربكما فباي تكذبان قوله تعالى يساله من في السموات والارض
كل يوم هو في شان هو مدبر الامر كله ومقلب الليل والنهار ومرسل الرسل ومنزل
الكتب يخفض ويرفع ويقدم ويؤخر ويغني ويفقر ويعز ويذل منذ خلق الخليقة
ورفع السماء ووضع الارض ما كرر صورة ولا كرر يوما ولا ليلة ولا نهارا ولا سنة
ولا في اثناء ذلك كله بصورته المخصوصة وكيفيته المقدرة له وشانه المراد به كذلك ما في
السموات ولا في الارض من شيء الا وهو قانت له عابد يسبح له ساجد شاهد له دال عليه وان
من شيء الا يسبح بحمده وكل قد علم صلاته وتسبيحه يقول الله جل من قائل ايها الثقلان نعمه
من الاء ربكما فباي الاء ربكما تكذبان قوله عز وجل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقرا
ابو حيوة سيفرغ لكم بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله الفراغ في لغة العرب على وجهين
فراغ من شغل بشيء الى شيء وليس هذا هو المراد ههنا بهذا الخطاب لان الله لا يشغله
شيء

شيء عن شيء وفراغ بمعنى القصد تفرغت للشيء قصدت وعمدت فمعنى الخطاب على هذا
سنقصد لمجازاتكم باعمالكم وسؤالكم عن جميع ما فرط منكم يوم الجزاء حين تحلون دار الجزاء
وقد تقدم فيما مضى ان نون الجمع في القران كله المسماة بنون الربوبية ونون الملك انما
هي عبارة عن ما يدبره ويحكم به ويامر بامره فيعقده الملائكة ويفعل باذنه وحوله
وقوته فتكون التفرغ في حفظ الملائكة الحافظين والشاهدين على العباد وملائكة
الجزاء وما يسا ولحكم اليوم الاخر بما فيه في يوم الجمع وفصل الحكم وفي الجنة والنار
من جنود الله ومن ملائكة رضوانه ومنفذي احكامه انتقامه وما يعلم جنود ربك
الا هو وهذه الاية جمعت الملك والملكوت واحكام الدنيا والاخرة وما هو اليه المصير
يقول الله جل من قائل يخاطب الثقلين ان الملائكة الذين امروا فيكم بما امروا به
يان لهم بعد ولم يتفرغوا لتنفيذ ما امروا به بالعمل فلو كان ذلك لتفرغنا لكم كما قال
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم في امثالها في القران وقد مر بكم في امر
الدنيا وما اصابكم سواكم بمن هو منكم من ضروب المثلات وانواع الاخذ بالحسنات
والسيئات فباي الاء ربكما تكذبان قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان والسلطان
هنا هو الايمان والعمل المرضي فان وجه الخطاب الى المؤمنين فالنفوذ الى الجنة وكانت
كلمة انفذوا اولا من سواها للاحداق الملائكة بهم ملائكة السموات سبع سما
سماء من وراء الخليقة وسرادق النار قد احاط بالكافرين ولا مسد لهم الا على
الصراط ولا يجوز لهم الا كل ضامر مخف ومحفور له وكما قربت النار للكافرين
وسعرت لهم فكذلك ازلفت الجنة للمتقين الذين هم عن النار مبعدون فهم لا يسمعون
حسيسها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه
عن النار سبعين خريفا وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبهما يتبين طريق
اليمين وهو طريق نجاتهم من طريق الشمال طريق الاهلاك جعلنا الله من الذين سبقت
لهم منه الحسنى والذين هم عن النار مبعدون يقول الله جل من قائل فباي الاء ربكما
تكذبان اليوم الجمع وقد جمعكم قبل في قبضة الكريمتين او باليوم المشهود وشهودكم
اياه وسؤالكم وقد اشهدكم قبل على انفسكم بما عاهدكم عليه وكان عهد الله مسؤولا
او تكشط السموات السبع وقد شاهدتم تكشط السحاب بعد بسطه اياها واعدامها بعد ايجادها
او بجهنم المحيطة بكم يومئذ سرادقها ولو امنتم وتيقظتم لعلمتم يقينا احاطتها بكم
خلقا وامرا ثم على ذلك صاحبتهم من اعمالكم وافقدتم اعماركم في كفرانكم او بالجزاء على
اعمالكم خيرها وشرها وقد رايتم الجزاء العاجل وشاهدتم ما اصاب الامم الماضية من ذلك
ام بكلامي واعلامي اياكم او برسلي وكتبي اليكم واياي فيكم تكذبان قوله تعالى يرسل
عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران الاية يقرا الشواظ بالكسر والرفع وهو اللهب النار
والنحاس الدخان وقيل هو كصفر المذاب والاول اولى والله اعلم هذا مصداق قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يقول امرت بكل جبار عنيد فيلتقطهم من بين الجمع

الحام حب نمسه ويغشى المجرمين دخان جهنم من بين المؤمنين ولا يبصرهم اية
الشواظ وعنق النار فيما هنالك صواعق ما ههنا وبروقها والنار المعهودة يقول
الله جل من قائل فباى آلاء ربكما تكذبان الم يكن لكم فيما شاهدتم في الدنيا من دلائل
ذلك واياته ما تؤمنون عليه قوله عزوجل فاذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان جعل الله جل جلاله الشمس في هذه الدار من اياته الخاصة وقبل طلوع الشمس
في الاغلب تحمر السماء وعند انشقاق الصبح كذلك وربما ابيض موضع الانشقاق وكذلك
عند الغروب قال الله عزوجل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك
يومئذ الحق للرحمن فعند حقيقة المجى الكلى قبل ذلك يتشقق السماء بالغمام قال الله عزوجل
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام يومئذ تصير وردة كالدهان اثر ذلك
الشقاق عند الطلوع والغروب لذلك والله اعلم بما ينزل قال فباى آلاء ربكما تكذبان
يقول عز من قائل ليس شى مما اخبرتكم به انه كائن في الاخرة الا قد رايتم في الدنيا ما تهتدون
به الى العلم بكونه فيما هنالك لو تعقلون نظم بذلك قوله عز من قائل فيومئذ لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان كما انه ليس لليل حكم يعارض طلوع الفجر وظهور النهار
وتجلى الشمس كذلك ليس لانس يومئذ ولا جان معارضة تكلم ولا حجة بيان ولا تلعثم
يقول الله عزوجل فباى آلاء ربكما تكذبان هذه المشاهدة الموصلة الى تبيانها اعلامه وصدق
كلامه وكل ذلك من الائه كما قال فباى حديث بعد الله واياته يؤمنون كما قال في محاورة
هذا فباى آلاء ربكما تكذبان لا بشئ من الائك ربنا نكذب لك الحمد قوله تعالى يعرف
المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام سيماهم يومئذ زرقا العيون وسواد
الوجوه والعمى والصمم والمشى على الوجوه بدل المشى على الاقدام قال الله عزوجل ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
قد كانوا في الدنيا يدعون الى الايمان فلا يستجيبون ويرون الهدى فلا يهتدون عمى بكم
صم وكانت الاغلال في اعناقهم وايديهم الى الاذقان ومن بين ايديهم سدا لا يستوون الى الحق
ولا يهتدون سبيلا ومن خلفهم سدا لا يتاخرون عما يسخط الله فتصل الملائكة عليهم
السلام يومئذ بين نواصيهم واقدامهم من وراء ظهورهم يقول جل من قائل فباى الاء ربكما
تكذبان الم تروهم في الدنيا على ما يجب ان يكون عقابهم هكذا هل يجزون الا ما كانوا يعملون
وهذا الخطاب اما انه للمؤمنين خاصة فانه لا يرى ذلك الا المؤمنون اهل العلم والايمان والملائكة
ابصر بذلك ودخل الكفار في الخطاب بالبعث ووصف التكذيب ويكون الامر يومئذ بلغ
ان يشهدهم حالا عميت عنهم في حيوتهم الدنيا والله اعلم وايضا فاشية في الوجود وجدان
زبانية ملوك الدنيا اذا بطشوا بمن امروا به وسلطوا عليه فلهذا المعنى وما هو اكبر من هذا
قال عز من قائل فباى الاء ربكما تكذبان افيجحدونى وكتابى ورسلى ام باياتى قوله تعالى هذه
جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان نظم هذا بالذى تقدم اى
يقال للمجرمين اذا سيقوا اليها مقرونة نواصيهم باقدامهم هذه جهنم ويكون الخطاب
بهذا للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اعلاما لهم بذلك وعلى ذلك سياق الخطاب وقرا

عبد الله رحمة الله عليه هذه جهنم التى كنتما بها تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان اى
يطوفون بين سعيرها وزمهريرها كما كانوا في دار الدنيا يطاف عليهم بحرورها وزمهريرها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس ما يطلع من شمسه الا فتح لها باب من جهنم وقال
ان اشد ما يجدون من الحر من حر جهنم فان اشد ما يجدون من البرد فمن
الزمهرير يقول الله عزوجل فباى الاء ربكما تكذبان انما اريكم من اياته وظاهر عليكم من
شانه في السموات والارض وما اريكم من مطالع الدنيا والاخرة من فيح وفتح ومطالع
الشمس والقمر والنيرات وايجاد الموجودات على احكام ذلك الا لسر الصادق وكلامه الحق
نظم بذلك قوله الحق ولمن خاف مقام ربه جنتان اعلم وفقنا الله واياك ان داخل
الجنة مصيره الى جنتين اعرب ذلك حقيقة الوجود جنة مصيف وجنة شتاء بل الا
اربع جنات اية ذلك انقسام السنة الى اربعة فصول جعل الله جل ذكره لكل فصل فوائده
وثماره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان من فضة
انيتهما وما فيهما وكما انقسمت الدنيا الى موجود جهنم لاجل فيحها وكذلك انقسمت
الدنيا الى موجود الجنة لاجل فتح الله رحمته عليها واراد الله فيها ومنها تغليب رحمته
على عذابه جنة سجر لعباده جهنم وهى اعدى عدو لهم فاخرج لهم منها وبها بواسطة رحمته الزرع
والرسو والرمان والنخيل والاعناب والجنات المعروشات وغير المعروشات ومن
كل الثمرات يقول الله جل من قائل فباى الاء ربكما تكذبان وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون نظم بذلك قوله تعالى ذواتا افنان تصف الجنتين وان اشجارها
الافنان كالمعهود قال رسول صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام ما يقطعها ثم قال اقرءوا ان شئتم وظل ممدود وانما وصفها بهذا واحال على ما نعلم
في هذه الدار من اشجارها وموجودا فنانها على اختلاف ذلك ثم قال للثقلين فباى الاء ربكما
تكذبان وفي مفهوم هذا ان للجن في عيب مستقرهم ومتاعا معوابه الى حين شجر وافنان
وجنات كما لهم نساء ابكار وعون كما لهم دواب وانعام تسكن ما اتيح لهم من مشاركتهم الانس
في بعض اموالهم واولادهم وان الله جل جلاله قرن بيننا وبينهم في الخطاب بتعداد النعم
والتحذير من النقم ويقول لنا ولهم فباى الاء ربكما تكذبان عند ما يسوق ذكر الموجودات كلها
قوله عزوجل فيهما عينان تجريان هاتان الجنتان والله اعلم بما ينزل في تلك الدار امثال
لجنتى الدنيا اللتين تكونان والشمس صاعدة الى البروج الشمالية فان المياه فيهن جارية
وانهارها قد تكاملت زيادتها فهى تتفجر عيونا لذلك قال عز من قائل فباى الاء ربكما تكذبان
وعند ذكر الجنتين بعد هذا تقوى دليل هذا الاعتبار ان شاء الله نظم بذلك قوله الحق
عز من قائل فيهما من كل فاكهة زوجان زوجان جمع في هاتين وفي جميع جنات الدار
الاخرة فواكه من شان المصيف والشتاء ان يحضر فيهما يحضران في تلك معا كما لا مقطوعة
ولا ممنوعة وبوجه اخر انه يبلغ بالنشء الى ان يوجد هاتان الجنتان عن موضع الجاجم
فان الله وجدها عن غضبه وصورها صورة على مقتضى سخطه وانتقامه والجنة موضوع
موجود مقتضى رضوانه ومحبته وفيض جوده واعطائه فهو يوجد برضاه من موضع غضب

اكرامًا بواسطة فتح رحمة الجنات واظهر الموجودات من نساء وولدان ودواب وانعام الى
الموجود كله في هذه الدار عن هذا فافهم لذلك وهو اعلم احال على ما ههنا بقوله فباي الاء ربكما
تكذبان وهذه عبرة لا يصح لك اعتقادها حتى تؤمن بها وتعلم يقينا ان الله جل ذكره شاء
ان يجعل من جهنم جنة بان يدخل فيها رحمته ويشاء ذلك منها لفضل ذلك وانه لغاء على ذلك
في الجنان ان شاء الله ينشئ جنة من موضع رضوانه وينشؤ اخرى من موضع سخطه بواسطة
رضوانه ورحمته ومشيئته في ذلك في ذلك فاعلم يقينا ومن ذلك قوله جل من قائل ولمن خاف
مقام ربه جنتان فيهما من كل فاكهة زوجان جنة جزاء لانهم انتهوا عما يسخطه وجنة جزاء
لانهم عملوا بما يرضيه ومن ذلك قوله عز من قائل في وصف موجودات هذه الدار ومن كل
شيء خلقنا زوجين اي مقتضى فتح الرحمة ومقتضى فتح جهنم لذلك قال لعلكم تذكرون
ففروا الى الله المعنى وقال اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين اي في ذلك اية منه على رحمته وعذابه لذلك خلقت من الاسماء بعد هذا
وان ربك لهو العزيز اي ذو الانتقام الرحيم اي ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم وعلى
هذا يتخرج ايضا قوله فيما ههنا فباي الاء ربكما تكذبان نظم بذلك قوله عز وجل متكئين
على فرش بطائنها من استبرق وجنا الجنتين دان وقرئ على فرش باسكان الراء قالوا
الاستبرق الديباج الغليظ والبطائن قد يكون الظواهر العرب تقول لبطن السماء لهذا الذي
يقع عليه العين وهذا انما هو وصف بالاضافة الى المتكئين عليها واما قولهم الاستبرق
غليظ الديباج ووصفوا به فرش المكرمين رضي الله عنهم فيجوز ما لمقصود منهم عن
بلوغ المعتقد في موجودات ما هنالك وما ذكر الله الاستبرق الا في موجودات الجنة قالوا وهو
اسم معرب اصله من لغة الفارسية قالوا ويسمونه بلسانهم استبره وقد الى ذلك اهل العلم
في العلم فهو لربات في لسان العرب الا في وصف الجنة وزعموا انه ماخوذ من غير لسانها فازداد
بعدا عن حقيقة المعنى الى بعدهم عن اوله وانما هو والله اعلم بما نزل استفعل من البريق وهو
النور استبرق يقول وهو اعلم بصان هذه الفرش تبرق نورا دع نفسك وصف ظواهرها
فهو والله اعلم نور يا بلوغ قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
وكان الانسان قتورا وكان رجل جلاله عندهم خلق بطائن فرشهم من غليظ الديباج وظواهرها
من رقيقه ولقد جاء في كتاب المنامات لابن الحبر وغيره ان راء يا راى احمد بن حنبل رحمه الله
في النوم راطه قال له راكب مركوبا ما وصفه قال وعلى راسه عمامة من نور وفي رجليه نعلان
من نور لا يسا ثوب فضة يجي عليه بالسانه وانما فضة ما هنالك وذهبه نور لكن على درجة
الموصوف والمالك لذلك فافهم لا تسمع الى قوله جل قوله في وصفهم رضي الله عنهم عاليهم
ثياب سندس خضر واستبرق فكان بينهم غليظ الديباج **قوله** تعالى وجنا الجنتين
دان اي مسن حاضر غير مغيب عنهم ولا متعب فيه لاممنون ولما قد اوجد حو منالاه ذلك في
هذه الدار قال فباي الاء ربكما تكذبان **قوله** تعالى فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان القاصرات الطرف العفايف قالوا قيل لهن ذلك لانهن قصرن ابصارهن على ازواجهن
وارى والله اعلم ان المعنى زائد على ما تقدم انه كناية عن فتور الطرف ويقال للمرأة الفاترة

الطرف ساحرة الطرف قال الشاعر • وبهوى الحور العين منهن سواحر • يقال من ذلك
عين ساحرة وعيون سواحر • **قوله** جل قوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان الطمث هنا
هو الدم الخارج عن العذرة يقول هن عذارى لم يطمثهن بعد لا انس ولا جان ودل بهذا
الخطاب ان الجن ينالون من نعيم الجنة في مواضعهم منها ما ينال الانس ومنهم المقربون
والابرار اصحاب اليمين وان الجنتين ابكار ولمعهود هؤلاء وهؤلاء قال الله عز وجل
فباي الاء ربكما تكذبان اي وقد شاهدتم ذلك فيما منعتم في مستقركم هذا فضيلة
بما عهدتموه وحصركم على ما غاب عنكم بشرط المزيد فيما لكم وقد اخبركم الوجود وانباكم الرسل
والكتب لو كنتم تعقلون نظم بذلك قوله عز وجل كانهن الياقوت والمرجان قال الحسن
المرجان عظام اللؤلؤ واللؤلؤ صغاره وقال غيره المرجان صغار اللؤلؤ واللؤلؤ
اسم جامع لما يستخرج من البحر وقالوا المرجان احمر والمعنى المقصود من هذا انهن في
صفاء الياقوت وحمرة المرجان وقال في موضع غير هذا وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن
بيض مكنون والظاهر من اعلام المتلون ان شاء الله انهن بيض في صفاء الياقوت وحمرة المرجان
قال الشاعر نحو هذا • واذا جرى التوريد في وجناتها • فكانه صرف المدامة في لها •
وانهن بيض كالبيض المكنون وبياض ما هنالك نور يخالط ذلك منهن نور وصفرة كما قال
وعندهم قاصرات الطرف عين كانهن بيض مكنون وقال الشاعر يصف ما ههنا ما هو به على ما هنالك
بيضاء في دعج صفراء في نعج • كانها فضة قد شابها ذهب •
وهذا كله معهود في الوجود لما كان من موجود ما ههنا من نساء وولدان وشباب غير مكرم
عن الفتح والقبح والداء والاحزم ليس فيها الا ما تخرج عنها منها بمعتقد مزيد لا تعلم نفس
ولا يتوهم وهم وحسب المعتبر هذا الا آيات بالايات والاشارات والعبور منها الى ما هذا
اية عليه واشارة اليه فلذلك ما قال عز من قائل فباي الاء ربكما تكذبان نظم بذلك قوله الحق
هل جزاء الاحسان الا الاحسان قد رجل ثناؤه على المعهود المتعارف قال عز وجل فيما
وعد به على السنة رسله عليهم السلام استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل
مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وفي المعهود انه من استصحب العافية اوسعها ومن احسن
احسن اليه وانما تصيب المصائب على الاغلب بسوء المكتسب فكذلك فيما هنالك وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا وهذا المعهود قال عز من قائل فباي الاء ربكما تكذبان قوله الحق وقوله
الصدق اللهم لا بشيء من الائك نكذب لا اله الا انت ربنا لك الحمد قوله عز وجل ومن دونهما
جنتان قد تقدم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما
وجنتان من فضة انيتهما وما فيهما وانهن اربع جنات كما كانت الدنيا اربعة فطوق الشرع باربع
جنان نهاسا وان كان الامر كما قاله الصادق الحق والمصدق الامين فان قوله ومن دونهما
جنتان موضع للتنبيه وان ذلك كما قال عز من قائل وذكر الذين كفروا وسوء مصيرهم ثم قال
وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون هذا عذاب القبر كما قال تالله لقد ارسلنا
الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم في دار البرزخ ثم قال ولهم عذاب

اليهم في الدار الاخرة والاولى فوله هوا قربا لك كما قال ولنذيقنهم من العذاب الادنى
دون العذاب الاكبر يريد في الدنيا قبل الموت دل على ذلك قوله اثر هذا لعلهم يرجعون ولذلك
سميت هذه الدار الدنيا لانها الادنى الينا فقوله وهو على اعلم ومن دونهما جنتان يريد بعد
الموت وقد تقدم انه كما من اهل النار فراط اليها كذلك من اهل الجنة فراط الى الجنة وهي
جنة المقربين بعد الموت وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر اخوانه على جميعهم السلام وانا فرطهم
على الحوض اي انا مقدمهم اليه قال الله عز وجل وذكر المحتضر فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين
الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ثم قال ان هذا لهو حق اليقين يعني بالحق الموت وقد تقدم
الكلام في اثبات ذلك في غير موضع قبل هذا ولذلك قال عز من قائل فباي الاء ربكما تكذبان
وكما انه في كل برزخ مرج من الذي قبله والذي بعده كبرزخ البحرين المالح والعذب وكشفق
الليل والنهار وكحضيض الجبل والسهل فكذلك برزخ ما بين الحيوة الدنيا والحيوة الاخرة
كائن فيه لا محالة مما مضى ومما هو ات بعده ويخص قوم بالاكرام وقوم بالاهانة بقدر
الاستجابة لله والرسل والنكوص عند ذلك والتاخر نظم بذلك قوله جل قوله مدهامتان
ظاهر هذا انهما مدهامتان نعمة ونضارة وان كل ذلك فيما هنالك لابد ولا محالة اي انهما
يضربان الى السواد والدهمة وهذا في وزان قوله في الاوليين ذواتا افنان وذلك معهود
في جنات الدنيا بشرط اعتقاد فضل الاخرة على الدنيا ووصف الدهمة في جنات
الاخرة وانها تقصر الى السواد ليس يعلى الوصف والله اعلم وانما ذلك والله اعلم
بما ينزل ان هاتين الجنتين فيما هنالك في وزان جنتي الدنيا في فصل الخريف
والشتاء والشمس قد جنحت هابطة الى البروج الجنوبية في اولها عند حلولها
براس الميزان بين الاعتدالين ثم الى حلولها باخر القوس وراس الجدي فيكون
الدنيا يومئذ قليلة ضوء الشمس لكن قد جعلها الله من خواص ايامه هذا الى ان
الميت في قبره اوحيث كان قد غربت عنه شمس الدنيا فان كان قد غشيه
من نور الاخرة ما شاء الله فاين ذلك من نور الحق المبين في الدار الاخرة الذي
لا افول له ولا غيبة ثم اذا كان يوم القيمة سعت حقيقة الجنة العليا في هذه فكانت
هي لكنه يبقى عليها كما يبقى على غيرها ايات تدل على ما هنالك على هذه فانه
يعدم قط على شي الا ابقى له حكما ما ولا ازال الحكم شي الا ابقت له عينا او حكما
غيره يدل عليه بوجه ما فهاتان الجنتان يبقى عليهما في الدار الاخرة حكم الدهمة
بالاضافة الى ذينك الجنتين اللتين هما مثلاهما بين الكانين والشمس صاعدة
الى بروجها الشمالية الى موضع شرفها لكنها تبقى عليها ذلك المعنى نعمة ونضارة
وغبطة لذلك يجدها ساكنها نعيما مجددا سوى وجه لذلك فافهم هذه من
خفايا الالاء والله اعلم ولظهورهما فيما كان او لا لها بالدلالة عليهما فاشارة الى
اليهما قال فباي الاء ربكما تكذبان ولا نحدث بذلك واعلم به وارسل وكتب
اللهم لا بشي من الائك نكذب لا الا الا انت ربنا ولك الحمد نظم بذلك قوله جل

جلاله فيهما عينان نضاختان وقال فيما هنالك عينان تجريان لما كانتا تداولتا
جنتي ربيع ما هنا ومصيفه والماء جار في ذلك الصيف عهد بالامطار فجرى الماء هو المعهود
ولما كانتا مدلولتا جنتي خريف ما هنا وشتائه يكون ما هنالك اية على ما هنالك وكانت
عهدهما من غور المياه وصفهما جل جلاله في مياههما بالنضخ وهو دون الجري واكثر من النضح وذ
عرض هنا عارض تشكل فيقول لك ان هاتين الجنتين اللتين ذكرت انهما جنتا الخريف والشتاء
ينبغي ان توصفا بجري الماء فان الشتاء اكثر جري فيه وعند ذلك ان الشتاء بما هو قد يكون في
اثنائه افراط الثلاث على موضع من الارض لينصلح على ذلك مواضع اخر وعام الافراط فيكون
فتح الله برحمته على تلك الحال بالشمس كما قال عز من قائل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
وينشر رحمته فقد يكون ذلك عبارة عن نشر رحمته بالمطر وقد يكون ذلك عبارة عن نشر رحمته
بالنبات وما نفصله الله وقد يكون عبارة عن فتحه بالشمس ولذلك اعقب في ذلك بقوله وهو
الولي الحميد فقد اهلك بالمطر وقد اغاث به وقد استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استصحى
وهو الولي الحميد ياتي بهذا اثر هذا والجنة بما هي قد اعدت من الافراط وازلت الحاجات فيما هنالك على وزان
ما يكون ههنا دلالة عليه وكذلك جهنم اعاذنا الله برحمته منها جعلت ايضا موجوداتها على وزان
ما يكون ههنا فما هو عليها ياتي دلالة عليه بشرط اعتقاد مزيد الاخرة على الدنيا كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كاصبع ادخلته في اليم فانظر بم يرجع منها ومن نقص النظر
وتابع التذكر والتفكر وصل الى النعمة غيره مما ههنا الى ما هنالك لذلك قال فباي الاء ربكما
تكذبان نظم بذلك جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان
كالمعهود ايضا من الجنان في الدنيا معنى قوله هذا اي جعلت الدنيا على شبه الاخرة لاني عنها
خلقتها واليها اعيدها فقال وقوله الحق في ذينك الجنتين الاوليين فيهما من كل فاكهة
زوجان وقال في هاتين فيهما فاكهة وقوله هذا احالة منه على ما في قوله انفا كثيرة
لا مقطوعة ولا ممنوعة لكنه حصرها تين بذكر النخل والرمان وانما يكونان فيما ههنا
في الخريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلعت النجم امنت العاهة يعني ان الشمس قد بدا صلاح
فيصلح حينئذ للبيع فحصر ذكرهاتين الفاكهتين بينهما على هذا الاعتبار ولوجه اخر
من العبرة ايضا وتلك ان النخيل فيما هنالك والرمان فيهما اكلا لاهل الجنة ولهم فيها
نساء وولدان وخيل وغير ذلك من موجودات الجنة اية ذلك فيما ههنا انهما يتولان
فيكون عنهما المني فيوضع في قراره فيخلق الله عن ذلك الاناسي اناسي ومن الحيوان غيره
مثله والله جل وعز خلق الدار الاخرة اولا وانما سماها اخره بالاضافة الى كونها في هذه الدار
الاولى وسماها هذه لذلك دنيا ثم خلق ما خلق في هذه الدار عن ما اخرج من تلك كما خلقنا
عنها كذلك يعيد جميع ما خلقه الى الاخرة لانه بدا الكل عنها في واجب الحكمة وحقيقة الوجود
ان يرجع الكل اليها حتى لا يبقى من هذه نباتا ولا حجرا ولا مدرا ولا ورقا ولا رطبا ولا يابسا
الا قد اثبته في كتاب مبين ثم يعيده الى الدار الاخرة كما بداه عنها بالحكمة فيما خلقه من الارض
ان يعيده اليه وكما قدره بتقديره وكما ابدا الخلق من وجوده كذلك يرجعهم اليه اولم
يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير كذلك لما بدا الخلق بعده سنة

الله لا تبديل لكلمات التي انها صدقا وعدلا لذلك قال عز من قائل فباى الاء ربكما تكذبان
نظم بذلك قوله الحق جل جلاله فيهن خيرات حسان هذا يؤيد ما تقدم ذكره لان اقرب الضمائر اليه ذكر
الفاكهة والنخل والرمان وكل ما يكون منه غذاء فى هذه الحيوة الدنيا للانس والجن فان الله قد اجرى
العادة ان يخلق على ذلك الغذاء من المتغذين به ما شاء الله ان يخلقه من انس وجن وحيوان لكنه
هنا على سبيله فى كونه غذاء للزوجين ويصيره خلقا ثم نطفا ولحما ودما وصفات ثم
ميتا ثم ينقله الى قرره من الارحام ثم يخلق ما شاء من ذكر وانثى ثم كذلك الى حد الاستواء
من المخلوق على ما فى الجنة فكل ما يكون منها وفيها فعلى سبيل الكلمة وكلما يكون غذاء فهو هنالك
ما يكون عن الغذاء على ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولهم فيها ما يدعون اى ما يتمنون فالخيرات
الحسان والولدان فيما هنالك التمر والرمان والفاكهة كلها والحبوب والبقل وجميع المأكولات
وكذلك ملابس ما ههنا من الارض من جلود الانعام واصوافها واوبارها وكتانها وحريرها
الى غير ذلك كل هذا مما تنبته ارض الجنة بحا شطوط انهارها وفى رياضها كما ينبت النبات
الزرع فى الاشجار التى فى الدنيا وعنهن تكون النساء والرجال من الانس والجن كذلك ايضا
عن النخل والرمان تكون حلل اهل الجنة وملابسهم وما يشاؤنه وكذلك الرمان قد يكون حقها
مقصورة بجماعة ولدان وخيرات كاحقاع الحب فيها اليوم فاذا استخرجن منها ادركن
وانبعن بلا زمان محسوس ثم قصرن فى الخيام فى قصورها عدت لهن وخيام تنشق من الياقوت
والزبرجد وعن نسك فى ملكهن وعلى نحو ما يكون الجنات والمعدلة ذلك كما كانت هذه المأكولات
والمكونات فيأكلهن الانس والجن فيكون هو ثم يكون عنها المنى فينتج الاثر الى ما تقدم ذكره
من ولدان ورضوان قريب فى فعله الله بعيد ما هنا التقريب ما هنالك وعيش ههنا الى ما هنالك نصب الى ذلك
وهو علم قال عز من قائل فباى الاء ربكما تكذبان ولما تقدم من ذكر ما لهذه الى تلك مع خيرتهن
الصادق وكلامه الحق ووعده الحق نظم بذلك قوله عز من قائل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فى
الله جل ذكره نساء الجن اللواتى كن فى الدنيا المؤمنات الصالحات منهن عذارى ابكارا
كما كن فى اول خلقتهن قبل الاقتصاص وهذه اية على ما هو كائن فيما هنالك من هذا وغيره
يعين عليه الى ما هنالك والظاهر من مفهوم هذا الخطاب ان خيرات ما فى هاتين الجنتين
من مخلوقات منها فى فواكهها وثمارها واراضيها ورياضها خيرات احسانا ثم سقلن الى ما
وصفهن به من كونهن حور مقصورات فى الخيام ابكارا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وان المذكورات
فى قوله فى الجنتين الاوليين فى الفرش قاصرات الطرف كانهن الياقوت والمرجان بعضهن من
الدنيا المؤمنات الصالحات ومن ذلك ما روى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قول الله جل
جلاله انا انشاناهن انشاء قال المنشآت اللاتى كن فى الدنيا عجائز عمشا رمصا فكان
خلق هؤلاء مما تنبت الارض وانشاهن ابكارا فى الدنيا ثم اماتهن ما يشاؤهن عودا بعد بدء
ابكارا عربا اترابا بعد ما خلق اولئك من موجودات الجنة وانشاهن على ذلك فلوجوده هذا وغيره وكلا
وحده قال فباى الاء ربكما تكذبان نظم بذلك قوله عز وجل متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان
وقراها الجحدرى وابن جبير والحسن بن محمد بن عبد الله بن ابى زيد وابن محيصن وغيرهم رفارف وعباقرى
على الجمع من غير تنوين ونونهما ابن علقمة القارئ وروى ذلك الجحدرى عن ابى بكرة عن النبى

صلى الله عليه وسلم وقرا الاعرج خضر بضم الضاد وقد تقدم الكلام على المعهود المتعارف انها
نبذة من الاخرة يعبر من هذه الى تلك يقول جل جلاله فباى الاء ربكما تكذبان **قوله** تعالى
تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام وقرى الرفع ذو الجلال تبارك تفاعل من البركة ولايكاد
يذكر الا فى كرم الاعتداء ومعجب والاسم على هذا هو المسمى واظهر ما يكون على وجه الكرم فى الله

سورة الواقعة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الواقعة اسم من اسماء القيمة ليس لوقعتها ما يكذبها
برفع اقواما الى عليين ويخفض اخرين الى اسفل السافلين زلزلت لست خلط جرها بتراب فصار
هباء منبثا كما قال كثيبا مهيلا وسيرالله هنا كل صنف زوجا يقول عز من قائل فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة ما للتعجب واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة عجب الله جل ذكره منهم وبما يصير هم
الى من الكرامة والنعيم وما يصيد هؤلاء اليه من الاهانة والعذاب الاليم ورعا ذكر التعجب
على ما تقدم العظيم اقتدارا على سوق ذواتهم بعزته وارادتهم الى نفاذ ما سبق لهم يقول
هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون ثم اخرجهم
على انفسهم حتى حبوا ما اورثهم سوء المصير على اوليائه حتى الحقهم بما وعدهم وانالهم ما
اعدلهم وهو العليم القدير فهذا وجه تكرار الكلام والله اعلم ثم قال عز من قائل و**قوله**
السابقون يقول عز من قائل والسابقون الى العمل بطاعته هم السابقون الى الجنة والقرب والكرامة
تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وقال فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين الثلة
القطعة وهى الجماعة من الذين عاينوا جميع الانبياء عليهم السلام وامنوا بهم واتبعوهم اكثر من عاين النبى
صلى الله عليه وسلم من هذه الامة وجاهدوا معه واتبعوه ثم الذين اتبعوهم باحسان الى انقضاء
القرن الثالث والرابع اكثر من السابقين بعدهم قال رسول الله عليه وسلم بدء الاسلام غريبا وسيعود
غريبا كما بدا فطوبى للغرباء ففى كلا الوجهين ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابشروا فوالذى نفسى بيده انى لارجوا ان يكونوا ثلث اهل الجنة ثم قال انى لارجو
ان يكونوا شطر اهل الجنة ثم قال والذى نفسى بيده انى لارجوا ان يكونوا ثلثى اهل الجنة
فهذه ثلة من الاولين وثلة من الاخرين ثم اخذ فى وصف نزل السابقين فى جنات النعيم وفى
قراءة عبد الله وسعيد بن جبير فى جنة النعيم على التوحيد على سرر موضونة منسوجة بالذهب
والجوهر والوضن نسج الحرير وقيل الموضون المصفوف يقال للحبل وضين لدخول بعضه فى بعض
متقابلين ذكر السرر عبارة عن الملك لكن ملكهم لا تنافس فيه ولا تباغض ولا تحاسد بل هم
متقابلون حبا وودا وفى قراءة عبد الله متكئين عليها ناعمين والقراءة الاولى اعلى فهم
على ما هم فيه فى جنات النعيم وقرا ابو السمال على سرر بفتح الراء نظم بذلك قوله عز وجل لا يسمعون
فيها لغوا ولا تاثيما كلامهم وحركاتهم وشانهم كله فى الجنة لا يلغى منه شىء انما هو فى الله عز
وجل وتنعيم كله لا ياثمون بشىء ولا يموتون بل هم المتقلبون فى رضوان الله جل جلاله وانما ذكر اللغو
والتاثيم لانه الذى قطع قلوب الناظرين اليه والمتقربين منه فى هذه الدنيا بينا احدهم فيما يؤمل
اذا هو يهدم وساهو يظن انه قد قرب اليه عرض له ما يبعده فامنهم جل جلاله من ذلك وهو من افضل ما
اعطاهم والحمد لله رب العالمين الا قيلا سلاما سلاما لا يسمعون فيها الا ما يونسهم وينعمهم ويبشرهم

عرض بذلك في قوله في جنات النعيم وصفهم بحسن العشرة وجميل الصحبة وتهذيب الاخلاق
وصفاء المودة بينهم ذلك بقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين تقابل اخوانهم
وتشابهت قلوبهم كرر قوله سلاما سلاما كناية عن المخاطبين وربما كانت احدى الكلمتين عبارة
عن قوله سلامهم كما قال سلام قولا من رب رحيم وتحيتهم فيها سلام ولهذا امثال هكذا بقولهم
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور **قوله** عز وجل واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
في سدر مخضود السدر في الدنيا شجر له شوك بعض ثمرها هو النبق فاخبر جل جلاله ان الذي هنالك
مخضوض شوكه اي مزال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كقلال هجر
والطلح الموز في هذا من الحقيقة ان كل نبات لا منفعة فيه وكل سائك ومرارة هنالك وحوده كريه
قال الله عز وجل فيهما من كل فاكهة زوجان وذكر ان الدنيا قبل معصية ادم كانت شجرها كلها
مثمرة لا يوجد منها ثمرة الا وهو ينتفع بها والله اعلم وتقول العرب لشجرة ذات شوك في
الصحراء ام غيلان واما كان فليس في الجنة ما يؤذي انما جعلت لما خلقت له وهو النعيم وقرا
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وطلع منضود والمنضود المتضايق بعضه فوق بعض على ترتيب
معجب ومفهوم هذا ان جميع ما يؤذي او ما هو لا يثمر فانه في الجنة مثمر ولا اذية فيه وقد جاء
ان اول الامر حين اولية ادم عليه السلام كانت اشجار الجنة كلها لا ياتي منها الى شيء الا اكل منها حتى وقع
المعصية فمنع من شجرة ما منع واكتسى الاذية منها ما قدر له وهذا موجود في قول الله جل ثناؤه ويا ادم اسكن انت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما **قوله** عز وجل واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم
وحميم وظل من يحموم السموم شدة حر النار والحميم قد تقدم ذكره فالله اعلم واليحموم الدخان
يقول الله عز وجل من يحموم لا بارد ولا كريم الكريم الحسن المكرم بل هو مهين لذويه نعوذ
بالله من عذابه وغضبه انهم كانوا قبل ذلك مترفين الترف سعة العيش ذكر ذلك في مقابلة ما اتاهم
من الهون وسوء ما صار واليه وكانوا مع ذلك يصرون اي يجمعون ويعقدون في انفسهم على الحنث
العظيم يعني الاثم وهو الكفر بالله والشرك به والتكذيب بالكتب والرسل وما جاؤا به يقال حنث في يمينه
اذا اثم ومعنى ذكر الحنث هنا انهم كانوا يقسمون بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الاهم
الى ما اتبع به ذكر الحنث وعطف عليه بالواو قوله وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون او اباؤنا الاولون فالحنث في من الخطا انهم كانوا يقسمون لا يبعث الله من يموت يقول الله جل
من قائل قل يا محمد او يا ايها المؤمنون ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم انكم ايها الضالون
المكذبون الى قوله هذا نزلهم يوم الدين نظم بذلك قول الحق عز من قائل نحن خلقناكم فلولا تصدقون اي فهلا
قضيتم بالحيوة الاولى على الاخرة فكنتم تصدقون اي تكونوا من المصدقين اتبع ذلك قوله جل من قائل
افرايتم ما تمنون اي تقذفونه في الارحام من مني يكون عنه الولد ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون ومنه
قولهم ان الله يخلق ذلك ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم خاطبهم من حيث انتهى
ايمانهم بما هو اعظم كانه يقول الامر اعظم واشنع من ذلك ثم اخذ بالاخبار عن الحقيقة بقوله
نحن قدرنا بينكم الموت اي من بعد خلقنا لكم وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي ننقلكم
يعني الذوات المفارقة للاجسام عند الموت في مثالات وننشئكم اي ننشئ اجسامكم في البرزخ
فيما لا تعلمون في نبات او شجر تاكله الانعام واكل الناس والعشب من اناسي وغيرهم وربما اكلت

السباع وهوام الارض وحيتان البحر لحومهم فنشات او اكلها من ذلك الغذاء الذي كان
عن اجسامهم وربما اصاب الاجسام بعد كونها ترابا فاصلها في اتربة الارض وربما اصابها
الى ما جاورها من احجار الارض ومعادنها احديدها وذهبها او فضتها او غير ذلك من جميع
فلذ الارض كما قال عز من قائل حين قالوا ما قال هؤلاء ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا فاجابهم جل جلاله بما يحوله ان الامر اجل والخطب اطم واشنع ما اكبرتموه بقوله
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فانكم معادون مبعوثون ثم قال
من هو العالم بمقالتهم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة ولقد علمتم النشاة الاولى
هي منذ نفخ في احدكم روح الحيوة ثم ما بعد ذلك نشوء وما قبل ذلك خلقه ثم تبدل الخلق
في حال النشء يقول عز وجل الم تشاهدوا من انفسكم وابنائكم النشاة الاولى بنقلكم من صغر
الى كبر ومن شباب الى هرم بغذائكم بما يخرج من الارض وما يكون عن الماء المنزل من السماء فهلا
تذكرتم ذلك في النشاة التي انكرتموها وكذبتم بكونها فتحققتم الاخرة منها الاولى لكنكم
توفكون **قوله** تعالى افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون اي من الذي
يجعله زرعا وطعاما تاكلونه فتكونون عند تعرض بخلقه اياهم عن الارض وتوبيخهم
على مشاهدة عجزهم عن اخراجه وانباته وانشائه اعني الزرع واتمامه الى غايته ثم اذا اكلوه
من المقسم غذاؤه على اجزاء الجسم من الخالق الذي عن ذلك من جاعل الحيوة فيما ينشا عن ذلك
نصوص ومما تحقق انا انشاناه انشاء لو نشاء لجعلناه حطاما فان المفهوم انه من قدر على شيء
فان من كماله ان يدفع عنه افاته ليتخلص عليه فان كنتم انتم زرعتموه هلا دفعتم عنه افة
اليبس حتى ينمو ذلك قوله جل من قائل لو نشاء جعلناه حطاما فظلتم تفكهون قرا
ابو حيوة فظلتم تفكهون بكسر الظاء وقرا احمد بن موسى فظلتم بلامين وقرا عبد الله
فظلتم تفكهون وهي لغة عكل في السدم في الوجهين جميعا تتعجبون الفكه هو المتردد في القول الذي
فيه كل مذهب من ذلك قولهم تارة انا لمبعوثون وتارة بل نحن محرومون وقوله في اهل الجنة
فاكهين بما اتاهم ربهم معجبون مغتبطون اخذين منه ما شاؤا والفكه ايضا النادم فظلتم تفكهون
اي على اعمال وجبت ذلك كقوله فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته
باطن هو الافضال وتعدد انعامه في ذلك **قوله** تعالى افرايتم الماء الذي تشربون ءانتم
انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون تعرض بخلقه اياهم من الماء كما تقدم من تعريضه بخلقهم
اياهم من التراب والمني المجموع لهذه الاصول كلها ومضاف الى ذلك الحيوان ابوه وامه والحيوان
هي الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ولذلك كان ما يكون من الحيوان والاحياء والحق على
انواعها ثم قال عز من قائل لو نشاء جعلناه اجاجا الاجاج الملح الزعاق وكان لا ينبت نباتا
احاح ولا يغني على عاطش ويوجه اخران الله جل ثناؤه يرسل الرياح لواقح فتلقح السحاب
في الجو ثم ينزل الى الارض والاجواء قد امتلات والارض من فيح جهنم اعاذنا الله الكريم
برحمته منها ومنبعث الاجاج صفات جهنم كما منبعث الزلال العذب صفات الجنة فكان
اقرب الى الماء المنزل من الارض ان يكون اجاجا اذ الهواء ابوه والارض مستقره لولا سبق
فتح رحمته على ذلك بل انزله زلالا طاهرا مطهرا جعل منه كل شيء حي والحمد لله رب العالمين اذ كنا

العجب بقوله جل قوله فلولا تشكرون اي تؤمنون بالله الذي خلقه وانزل رحمته ربكم وتصدقوا
برسوله المبلغ عنه اليكم بالدار الاخرة التي عنها منبعث هذا الامر وتطيعون قوله تعالى
افرايتم النار التي تورون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون يقول اوريت النار
اذا اقدحتها من زنادها وورت الزند وركي وهو ركي اذا انقدحت منه النار يعني تعالى
انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون تعرض بخلقه اياهم من الارض والماء والهواء والنار
الا ان الماء والارض تخلق الاركان والاخلاق والصفات للهواء والنار وباخره يدخل هذا
الصنف على هذا وهذا على هذا فكما هو منشئ النار في الشجر وان لم يكن نار في الشجر فكذلك
على اجسام العباد وان لم يكن بها حيوة فاذا شاء احياها نفخ في الصور فاذا هم قيام ينظرون
فوزان قدح النار من الشجر والزناد وزان الصيحة بهم ووزان انشاء الكلام وزان
انشاء شجرة النار بقول جل قوله دحلي علاؤه وحده نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين
اي نذكر بها انشاءه في الشجر انشاء الحيوة في الاجسام وزان انشاء شجرة النار ينبعث
وجودها فيه عن القدح المسيل الحاصل فيها كذلك ما هو على اثاره قدح رحمته جل ذكره وهو المعنى
المنبعث عن الجنة بواسطة الماء ينشؤه في الشجرة تشاهدها اعوادا بالشجر تخلق فيها
الثمر الرمان والزيتون والاعناب والتين وجميع الفواكه وغيب هذا الوجود من هذا الان
في وزان ايجاده النار غيبا في شجرتها وظاهر ايجاده ما هو اثارة الجنة من الثمرات كلها
وزاد ايجاده كل طعم خبيث وشجراته وقوله ومتاعا للمقوين هم قوم يسيرون في الارض
الخالية وتلك الارض هي التي نعرض بذلك بنعمته في انشاء عباده على ما يصلحه النار من ماكول
ومشروب وصلي وفي ذلك تعريض بنعمه علينا وامر بالشكر والاعتبار قوله عز
من قائل فسبح باسم ربك العظيم هذا تسبيح تعجيب في تنزيه عن ان يعجزه شيء او يفوقه شيء و
هو ايضا تسبيح اكبار واعظام كما يكون خلافا للصدق وقوله الحق وفعله وهو ايضا امر منه
بالاقتداء بجميع المخلوقات اذ كل شيء يسبح له قانت عابد له كامر بالسجود عند ما اتى ذكر الصلاة
له من الانبياء والملائكة وجميع الخليقة وهو المسبح في السموات والارض والدنيا والاخرة اما تسبيح
ما في الدنيا وتسبيحهم فقد يراه المعتبرون ببصائرهم واما تسبيح ما في الاخرة فبوجوده فتسبيح
جهنم والجنة في الغيظ والفتح وما يكون عنهما في هذه الدار الاخرة كيف سخر جهنم لعباده
وجعل لهم منها جنات وثمرات وفواكه وزروعا ومعايش وحيوانا ومن لستم له برازقين ثم ما عنه
في خزائنه من شيء فهو له فيما هنالك مسبح ساجد عابد له على ذلك انزاله اياه الى ما هاهنا بقدر
معلوم وتفصيله اليه ما فصله من شيء وتسخيره لعباده ما تم تسخير فلهذا امر بالتسبيح اقتداء بالموجود
في الدنيا والاخرة قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقرئ هكذا بالمد وقرا الحسن وغيره فلاقسم
بالقصر وكذلك في الحاقة وكيفما من قرا بالقصر فاللام للتاكيد واقسم قسم ومن قرا بالمد فقوله
لا رد لكاذب مقالهم وقوله اقسم اخبار عن قسم ويتوجه اخبار الى معنيين احدهما ان يكون قوله
لا ردا لكلام قد تقدم وانكارا لمذهب غير مرضي اذ اليمين قد يكون ابتداء من الحالف وقد يكون ردا لكلام
قد تقدم وجحدا له فيكون ذلك قسما على كذب الكاذب في ذلك انهم لما انكروا البعث بعد الموت واكدوا
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت تحرف لا في مقابلة ذلك منهم والقسم لتحقيق الحق

واسلم

واثباته الذي يأتي ذكره بعد والقسم بنفسه يكون لاثبات صدق المخبر كقولك والله
ما خرج زيد فيكون بذلك مخبرا عن ترك الخروج وتقول لا والله ما زيد بخارج فيكون ذلك ردا
لقول من زعم انه خارج وانكارا له وكذلك لما قال الكفار ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما الى
اخر المعنى قولهم في الرسالة والقران من سحر وشعر واساطير الاولين وكاهن ومجنون
ونحو هذا قال جل من قائل فلا ردا لقولهم وتكذيبا لهم ثم اقسم بمواقع النجوم انه لقران كريم
كانه قال عز من قائل فلا ليس كما زعمتم اقسم بمواقع النجوم ما انتم بصادقين في قولكم هذا من تكذيبكم
بالبعث وانه لقران كريم ووجه اخر وهو ان يكون فلا اقسم بمواقع النجوم اي لست اقسم بمواقع
النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم لكني لست بمقسم بها اذ قد اغتررتم بها وكفرتم من اجلها دل على
صحة هذا التاويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصبح على اثر سماء كانت من الليل اتدرون ماذا
قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مؤمن وكافر فاما من قال مطرنا بفضل
الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن
بالكواكب وذكر النجوم هنا مشترك بين نجوم تنزيل القران نجما نجما والى هذا المعنى يوجه القران
توجه ويكون بمعنى منازل الشمس ومحالها من البروج والى هذا المعنى توجه بيان الرسول صلوات الله
وسلامه عليه وكلاهما امر من امر الله جل ثناؤه ومطلع يطلع عليه على مطالع الدنيا والاخرة لذلك
قال الصادق الحق جل جلاله وانه لقسم لو تعلمون عظيم كلام الله نسمع ما شاء والله واسع عليم ومواقع
النجوم هي مغاربها حين وقوعها في المغرب ومن اتقانه جل ثناؤه في خليقته وحكمته في بريته
ان جعل لكل واقع منها طالعا ينبغي بالاضافة على الواقع الرقيب دون تاخر وهي نجوم منازل القمر
عددها ثمانية وعشرون منزلة سوى التي تعمها الشمس فتمت تسع وعشرون تستبين فيها القمر
مفتحا للسلة وربما يستتر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهر تسع وعشرون فان غم عليكم فاكملوا العدة
ثلثين والقمر ينزل في هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها التمام كشهر واما الشمس فانها تقيم
في كل منزلة منها ثلثة عشر يوما خلا الجبهة فانها تقيم فيها اربعة عشر يوما ويبي حلولها في هذه
المحال ثم طلوع المنزلة التي تليها لوقوع ما هذه رقيبها توجهها انواء فتحل الشمس منها منذ اول
سعد بلع في اليوم الرابع من شهر حسو ونقيم فيه بقطعه في ثلثة عشر يوما ثم ترتحل عنها وتحل
السعود غداة سبعة عشر من شهر ثم بسعد الاخبية يوم ثلثين من شهر ثم كذلك وتحل
بالفرغ الاول يوم اثني عشر من مدبر ثم كذلك ترتحل بالفرغ الاخر يوم خمس وعشرين منه ثم بالبطين يوم
عشرة من مارس ثم بالنطح يوم ثلث وعشرين من مارس ثم بالبطين في الخامس من ابريل ثم بالثريا
في الثامن عشر من ابريل ثم بالدبران في اول ليلة من مايه ثم بالهقعة في الرابع عشر من مايه ثم بالهنعة
في يوم سبع وعشرين من مايه ثم بالذراع في اليوم التاسع من يونيه ثم بالنثرة في يوم اثنين
وعشرين من يونيه ثم بالطرف في اليوم الخامس من يوليه ثم بالجبهة في التاسع عشر من يوليه
ثم بالزبرة في اليوم الاول من اغشت ثم بالصرفة في اليوم الرابع عشر من اغشت ثم بالعواء في يوم
سبعة وعشرين من اغشت ثم بالسماك في اليوم التاسع من شتنبر ثم بالغفر في يوم اثنين وعشرين
من شتنبر ثم بالزبانا في اليوم الخامس من اكتوبر ثم بالاكليل في اليوم الثامن عشر من اكتوبر ثم بالقلب
في اخر يوم من اكتوبر ثم بالشولة في الثالث عشر من نونبر ثم بالنعايم في الخامس والعشرين

من نوبس نجم بالبلدة في التاسع من دخد ثم دحسر الذابح في يوم اثنين وعشرين من دجنبر
ثم يسعد يبلغ في اليوم الرابع من سر من حيث ابتدات عند انقضاء السنة واجرى الله جل جلاله وتعالى
علاؤه وشانه العوائد على الاغلب ان يرسل الرياح في ذلك اليوم الذى سمل فيه او فيما قارب مشيئته
جل وعز بعد بما خلق عنها سحابا وربما كان المطر على الاغلب لا سيما في فصل الشتاء وفصل الربيع
بسبب المطر الى تلك الانواء التى يحدثها الله عند تبديل تلك المحال في اتساق الهيئة فهو ضال
مضل ومن رد الامر كله الى وليه الحق لا اله الا هو العلى الكبير فهو المهتدى فهذا من بعض الوجوه
في قوله جل قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما قد جعل من امره في مطالعها ومغاربها ولذلك
قال عز من قائل رب المشرقين ورب المغربين فباى الاء ربكما تكذبان جمع ذلك قوله الحق والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النار اشتكت الى ربها فقالت يا رب اكل بعضى بعضا فاذن لى ان اتنفس فاذن لها بنفسين
نفس في الشتاء ونفس في الصيف واشد ما تجدون من الحر فمن جهنم واشد ما تجدون من البرد فمن
الزمهرير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس انها ما تطلع من قصبة الا فتح لها باب من جهنم فهي
كذلك حتى تستوى فحينئذ تسجر جهنم وانما في مطالعها من المشارق والمغارب فهي اشد
تحققا في هذا الوصف متى حلت في منزلة بعد منزلة فتح لها باب من سعيرها ان كانت صاعدة
في البروج الشمالية ومن زمهريرها ان كانت نازلة في البروج الجنوبية على تدريج واحكم ولهذه
النجوم نظائر منها وقع منهن نجم في المغرب طلع رقيبه من المشرق ويقال للنجم الطالع نوا لانه
ناء اى ارتفع بثقل على الاغلب ومثلا اقول ان كانت في الكبش فنظيره الميزان وان كانت
في برج الثور فنظيره العقرب وان كانت في التوءمان فنظيره القوس وان كانت في العذراء
فنظيره الحوت ولكل برج تحل فيه شهر وقد قسم الله جل جلاله لهب جهنم على هذه الاثنى
عشر شهرا قال الله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والارض فكذلك تطلع مع غروب كل منزلة رقيبها في البروج منزلة اخرى فحين طلع النطح وقع
العقرب واذا طلع البطين وقع الزبانا واذا طلعت الثريا وقع الاكليل واذا طلع الدبران
وقع القلب واذا طلع الهيتا وقعت الابرة واذا طلعت النحية وقعت النعايم واذا طلع الذراع
وقعت البلدة واذا طلعت النثرة وقع سعد الذابح واذا طلع الطرف وقع سعد بلع واذا
طلعت الجبهة وقع سعد السعود واذا طلعت الزبرة وقع سعد الاخبية واذا طلعت
الصرفة وقع الفرغ الاول واذا طلعت العواء وقع الفرغ الاخر واذا طلع السماك وقع
البطين فهذه مواقع النجوم قسم الله تعالى امره في السنة على مطالع الشمس فابين هذه من مشارق
ومغارب فاذن فان هذه مواقع النجوم وهو قسم عظيم من علمه وامنه دون الفعل الى فاعله والتدبير
الى مدبره ثم مواقع النجوم ايضا هي نجوم الوحي المنزل من عند الله وسنذكره ثم امره في
كمعجلها في المنازل المتقدمة الذكر ثم على مطالعها ومغاربها في المنازل المذكورة وفصل
الله نفح رحمة كما شاء بمشيئته الغالبة فينزل من السماء ماء مباركا يكسر به من يبس الزمهرير فطر
ويبرد من حر السعير فيعدله وقسم السنة على اربعة فصول اثمر فيها امره في الارض وبركاتها وقدر
اقواتها قال الله عز وجل وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء ثم عجب جل ذكره عباده

وعرض لهم بطلب العلم بقوله سواء للسائلين يقول الله جل من قائل وسخر لكم الشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره فبمشيئته بالرحمة وانزله الماء سخر لنا جهنم اعاذنا الله برحمته منها
وجعل هذه الدنيا على هذا الاعتبار للجنة الصغرى ثم على الاعتبار بحقيقة الفتح واما
من حيث هو هي جهنم الصغرى ولهذا ولمثل هذا وما هو اكبر واعظم من هذا قال الحق وقوله الحق
وانه لقسم لو تعلمون عظيم ثم قال عز من قائل انه لقران كريم في كتاب مكنون تعرض بذلك الى
على وجه ما بقوله فلا اقسم بمواقع النجوم بانها نجوم القران المنزل بعد نجم الى اخر التنزيل
وبين بذلك الايمان من الكفر والهداية من الضلال واوضح منهاج الصراط المستقيم صراط الذين
انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكشف عن حقيقة الحق الذى
خلق به السموات والارض وعلم به الاسماء كلها المقتضية لجميع ما خلقه التى بها سوى حكمة الله
وقدرته ومشيئته وسوف يعلم من نصر من حقا يقرها على جملة احكام الله وبها يبلغ علم
التوحيد وبها يتعلم العباد اعطاء القسط بينهم وبين بارئهم وبها يتعرف الحكمة الموضوعة
لتدبير ملكوت الله وبها يرى ايقان الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر من الله جل جلاله
وبها يتظاهر الصدق وبها يشرف على مطالع الدنيا والاخرة وبها يرى كيف يرد على نظام
كتابه العزيز وانه بها امر ونهى وادخل العباد من الثقلين مداخلهم من الدار الاخرة من ثواب كريم
وعذاب اليم وبها نطق وايا ها حقق وصدق وكيف بطنها وكيف اظهرها وانها مكتوب في اللوح
المحفوظ وعلى مقتضاها اوجد جميع الموجود فاذا القسم بمواقع النجوم هو القسم العظيم
قال الله سبحانه لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال
هو الله اى القران المذكور من قوله الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله
الذى لا اله الا هو الى اخر السورة يقول عز من قائل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
ثم قال انه في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون فالمكتوب في اللوح المحفوظ جملة ما هو الاسماء ثم
نزلها اى فصلها الى ما فصل كالماء هو واحد من حيث هو الماء ثم يفصل الى ما يفصله الية تفصيلا
فبهذا الحديث انتم مدهنون الادهان والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل تنبيه
والركون الى التجاوز وهذا خطاب للصد فين الذين لم يبلغوا الحد والحزم في الثناء على
والتفكر في اياته بل غلبوا مع التصديق التغافل والتساهل والعدى عن كثير في الا التحقيق
يقول الله عز وجل افبهذا الحديث انتم مدهنون يعنى القران كما قال وقد ذكر ما ذكر من عظائم
الامور وتبيان الالاء افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
هذا خطاب الكفار ثم اتبع ذلك فاسجدوا لله واعبدوا فباى حديث بعد الله واياته
يؤمنون فنظم بذلك قوله جل من قائل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نقول للكفار والمكذبين
وتجعلون رزق اياكم الذى رزقتموه من قران عظيم انزلته وكلام عظيم نزلته ونور
ايمان بينته وضياء يقين جليته وما انزلته من السماء لبركات قدرتها لارزاقكم و
ارزاقكم من رياح ارسلتها وسحاب الفتها بقدرتى وسخرتها بمشيئتى واستعملت بها ملائكتى
لعظمتى تجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب وان تشركوا بى خلقا خلقته ولا حكم ولا تسخير
وقد يكون الرزق هنا العلم بالله والايمان ونحو هذا وهو اكرم الرزق واعلاه وهو قد يحصر

فی ذواتهم بالفطرة يقولون وتجعلون رزقكم انكم واقراركم واشهادكم على انفسكم
انكم اليوم تكذبون به وتنسبون خلقه الى سواى قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم
يعنى النفس وانتم حينئذ تنظرون اى الى المحتضر فى علز الموت وما هو فيه من شدائد
الهول لا يستطيعون له صرفا ولا نصرا اتبع ذلك قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون
سر على الغيب المصاحب للظواهر وهذا القرب من محتضرهم قرب حلقة وقرب ملائكة الرحمة
والعذاب على جميعهم السلام وملائكة الموت النزعين نفسه الخروج تعلو فلم لا تؤمنون
الغيب كفر ثم ان كنتم لا تبصرونه ولا تشاهدونه وبوجه اخر قال الله جل من قائل
فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون الايتين يقول عز وجل للمدهنين والادهان
الاكبر هو الاعضاء عن الحق والاصغاء الى الباطل على علم والادهان الاصغر الملاينة
فى ذلك وركوب الهوى وترك الاخذ بالعزم مع رؤية التقصير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرون بالذنب ولا يسهون متهوكون كما تهوك اليهود فى الظلمة فهو يقول عز قوله لهؤلاء فى زمنهم
ولهؤلاء فى منزلتهم افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون فلولا اى فهلا
اذا بلغت الحلقوم وههنا محذوف فى تقديره والله اعلم فلولا كنتم كما لكم اذا بلغت الحلقوم
بتلك الى قوله حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا انها
كلمة هو قائلها وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ثم قال فلولا ان كنتم غير مدينين
اى غير مملوكين يعنى وهو على حال الموت ترجعونها يعنى الانفس اى للتوبة والتقوى والايمان
والعمل الصالح ان كنتم صادقين فيه تعريض بحاله فى عباده المعبر عنه بقوله ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وهذه موعظة وذكرى لاولى الالباب فينبغى للعبد ان يهز نفسه
بهذا الذكر لعله يتذكر او يخشى وقد كان بعضهم يحفر لنفسه قبرا فى بيته فكلما دخله
واستوى فيه مضطجعا ثم يتذكر حاله ذلك فى المستقبل ويسال الرجعة ويعقد على نفسه
ثم يقوم ويكيس قوله تعالى فاما ان كان من المقربين اى هذا المحتضر فروح وريحان الروح
بفتح الراء الراحة والسرور والروح برفعها هو الحيوة والبقاء قيل انه يقبض روحه فى ريحان
ويبسط له قميص ريحانا والريحان ايضا الرزق وهذا القسم قد دخل فى قوله وجنة نعيم وهؤلاء هم
المفرطون ان شاء الله الى الجنة كما قال فى اهل الطرف الاخر ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم
الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون اى معدمون اليها واما ان كان من اصحاب اليمين
فسلام لك من اصحاب اليمين اى بقوله الملائكة سلام عليك يا من هو من اصحاب اليمين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له نم نومة العروس لا يوقظه الا احب اهله اليه واما ان كان
من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وهذا ايضا من المفرطين الى جهنم
نعوذ بالله منها الى ما ههنا هو مصيرهم اعنى المحتضرين اى فى دار البرزخ من هؤلاء وهؤلاء
نظم بذلك قوله جل قوله ان هذا لهو حق اليقين الحق ههنا هو الواجب كونه وهو ما ومن صفة
الاصناف الثلثة واليقين الموت بعينه وهو علم بما ينزل اذ هذا لهو حق ما فى الموت وما حال الموت وما بعد الموت
نظم بذلك قوله فسبح باسم ربك العظيم اى ليكون من الرعيل الاول وهذه من نصائح القران الكريم
هو العلة بما يسبح بلهم ربك العظيم كما قال عز وجل فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

سورة الحديد قيل مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما فى السموات والارض التسبيح التنزيه لله
والحمد تسبيح ومدح جامع قوله عز وجل له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل
شئ قدير الملك ظاهر وباطن فظاهره ما هو الان موجود مما هو منسوب الى دار الدنيا من
مدحية وسموات مبنية وكواكب وافلاك ورياح وسحاب وماء وما يفصل اليه من خلق و
الى غير ذلك مما هو حاضر ظاهر اعلاه وسفله وباطنه ما هو مضاف الى الاخرة ومنسوب
اليها وهو ايضا ما يكون يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وسع ما هنالك عريض
وامره عظيم وملكه كبير جدا لذلك قال يحيى ويميت اى هذه الحيوة وموتها وهو على كل
قدير اى على احياء الموتى وبعثهم ونشورهم وحسابهم وثوابهم الى ذلك الجزاء الاجل
من نعيم سرمد وعذاب اليم مجدد نعوذ بالله العظيم من عذابه ونساله رحمته ورضوانه
وقدم ذكر الاحياء على الاماتة واساق ذلك بلفظ الاستقبال وجل القران الحكيم جار
على هذا كقوله عز من قائل قل الله يحييكم ثم يميتكم وقوله وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف
الليل والنهار افلا تعقلون وقوله الا ان لله ما فى السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن
اكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون وهو كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتب له كذا
اعلم بما ينزل وهو العليم الحكيم وارى ذلك والله اعلم انه اشارة الى التذكير منه لنا باستمرار
الاحياء الذى عبر عنه قوله واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم
الاية فحين اخذنا من ظهر ادم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه ذلك حيث قال ان الله
لما خلق ادم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته الحديث اخذ من ظهر كل ذى ذرية ذريته
كما حملنا مع نوح عليه السلام فى الفلك يوم حمل فيه واهله فهو ابدا يحيى اى يخلق من كل ذى ذرية
ذريته ويميت على هذا يصح لفظ الاستقبال ولهذا فان جميع الخليقة كانوا قبل ايجاده اياهم عدما
لانفسهم وان كانوا موجودين عنده فى علمه وقدرته ومشيئته شاهدهم ويراهم ويسمعهم فاوجدهم
او شاء الايجاد الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله خلق الخلق وقضى القضية
واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء ثم ردهم الى علمه بهم عدما لانفسهم وكان ذلك من حكمه
فيهم اماتة ثم اوجدهم يوم استخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فكان احياءهم ثم ردهم الى حيث
كانوا فكان ذلك اماتة لهم عبر عن ذلك قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاساق هذا الخطاب على معنى التكليف بالايمان بالاحياء
الذى بعد الموتة المنتظرة وما تقدم ذكره هو تكليف بالايمان بالاولية التى استاثر بها جل
جلاله فاحياهم لانه المحيى واماتهم لانه المميت ولانه الحى الدائم الباقى يحييهم المستقبل رجاعا
اليه فلا يميتهم وهو على كل شئ قدير ويوم يرجعهم اليه يعنى اولياءه رضى الله عنهم وجعلنا منهم
لا تخالف بينهم ولا غل فى قلوبهم ولا غش قدودهم على قد واحد وقلوبهم على قلب
واحد اخوانا على سرر متقابلين ذلك انهم كانوا حيث لم يكونوا لانفسهم بل موجودين له
مشاهدين له فهذه وحدة لم يقع الخلاف ان يصعد الى ما هنالك من وجوده العلى النعيم

الرفيع فلهذا ولما هو به اعلم قدم الاحياء قبل الاماتة في اكثر المواضع من كتابه الحكيم واتى
بلفظ الاستقبال لاظهار ما هو قد ابطنه وقد كان قبل اظهره وهو العليم الحليم نظم بذلك
ما هو منتظم بمعناه **قوله** تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن اي هو الاول في
البداية وهو الاخر في النهاية وهو الظاهر فيما اظهر وهو الباطن فيما ابطن وهو الاول
قبل كل شيء والاخر بعد كل شيء والظاهر في المصنوع والباطن بالامتنا والحفظ وبحدوث
الاعدام وهو الاول بكل وجه وهو الاخر والظاهر والباطن كذلك وهو ايضا الاول لا
اول له والاخر لا اخر له وهو الظاهر ليس فوقه شيء والباطن ليس دونه شيء وحق لمن هذا
وصفه ان يكون بكل شيء عليم نظم بذلك قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش بحيث بالجملة وقامت بامره وتواصلت وتقاطعت لرحمن حي قيوم لا اله الا هو
العلي الكبير بتخلها الروح من امره علوا وسفلا ظهرا وبطنا اولا واخرا فهو فيها جميعا
بما هو لا عاهي ليست له بعض المكان والمجال وحق لمن كان هكذا ان يكون مع كل شيء ومشاهدا
لكل شيء وحاضرا لكل شيء بعيدا عنها بما هي والامكنة لا يحيط به والازمنة لا تحصره سبحانه وله الحمد
وما يكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه
الى قوله في كتاب مبين **قوله** تعالى له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور تعريض على
الاخرة وما يؤول اليه ملك الدنيا الى ما وراء الاخر في ذلك اتبع ذلك قوله تولج الليل في النهار وتولج
النهار في الليل يتوجه هذا الى معنيين احدهما ما يزيد من نهار الصيف في ليل الشتاء وما يزيد من
ليل الشتاء في نهار الصيف والوجه الاخر معنى قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فعلى هذا يكون الليل
في ضمن النهار باطنا فيه والتكوير هو ان يتبع هذا هذا وهذا هذا ثم ختم بقوله وهو عليم بذات الصدور
قوله تعالى امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وعظهم جل ذكره بما ذكر من
استخلافه اياهم في املاكهم وكما استخلفهم فيها من بعد غيرهم كذلك يستخلف غيرهم فيها بعدهم
يقول عز من قائل فاغتنموا ما جعل من ذلك وانفقوا لما ضوابه مما عندكم في الدار الاخرة ما هو
خير لكم وابقى ثم قال عز من قائل والذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير قوله منكم تعريض لهذه
الامة بما وعدها ان يضاعف لها اجرهم على ما جرى عليه اهل الكتاب بما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حديثه المشهور نحن الاخرون السابقون وفيه انه سدانا يعني هذه الامة فيتيهم
الله اجرهم مرتين ويؤتي المهتدين من اهل الكتاب اجرهم مرة فيقولون ما لنا اكثر عملا واقل
عطاء فيقول فضلي اوتيه من اشاء **قوله** عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم يذكرهم بالعهد الاول وانه ارسل اليهم الرسول تذكرهم لما عسى ان يكونوا
قد نسوه ثم قال عز من قائل وقد اخذ ميثاقكم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم
من كتاب وحكمة الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه الى قوله قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين
ونظيرها في سورة الاعراف يقول عز من قائل قد جئنا اليكم رسولا يدعوكم الى ما عاهدتم عليه
بايات بينات ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بما عاهدتم عليه خلق الله الانفس في نور الفطرة
في حين النشء سبق له الجهل قبل العلم والغفلة قبل الذكر وعدم الايمان والعقل قبل وجوده
واذا اتاهم العلم والايمان والذكر فذلك اخراجه اياهم من الظلمات الى النور اي من ظلمات الغفلة

والنسيان والجهل الى نور العلم والذكر والايمان كونهم موجودين في علمه وقدرته ومشيته
لم يزل يعلمهم ويعلم ما يكون منهم وعنهم ثم اخرجهم الى وجود انفسهم قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة واخذ منهم ميثاق العبودية له والاذعان منهم بالربوبية له ثم
اخرجهم من صلب ادم بعد ان خلقه واخذ عليهم الميثاق فعطف اخذ الميثاق منهم حينا وجدهم
لانفسهم في الذر على كونهم موجودين في وجودهم بالوا وفي قوله وقد اخذ ميثاقكم
زائدا على الموجود من علمكم به وعلمكم بانفسكم فقررهم مواخذة وتذكيرا بالا ولية بقوله
وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم تعريض بما تقدم ذكره ثم عطف على ذلك
قوله ان كنتم مؤمنين في قولكم يومئذ جوابا لقوله الست بربكم فقلتم بلى شهدنا وان كنتم
مؤمنين ايضا باخباره اياكم على ذلك واعلامكم به **قوله** تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل
الله ولله ميراث السموات والارض يقول عز من قائل ما لكم وترك النفقة في سبيل الله
والموت من ورائكم وانما انتم مستخلفين فيما اتينا كم وراثتموه من غيركم وطوارق
الحوادث مطيفة بكم يورثكم سواكم كما ورثتم انتم غيركم حتى يرث الله السموات والارض
ومن عليها يقول عز وجل لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل يعني فتح مكة وقاتل
اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى يجزي على
قدر علمه ونيته لذلك قال والله بما تعملون خبير **قوله** تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق يان يحق وقرا ابي المايان وقرا ابو السماك الم يان من آن وهي
لغة يقال انا ياني وآن يئين يعني يحق وما نزل من الحق يعني القران عاتبهم الله بعد الاسلام
قبل باربع سنين والمطلوب منهم عنا هي درجة من وراء الايمان وذلك لزوم الخضوع على
الخشوع والزهد في الفاني والرغبة في الباقي ومواظبة التفكر ولزوم التذكر وطلب النفس
والاشتغال بالعبادة والبكاء ومحادثة الحزن واعطاء الجهد من النفس في ذلك والصدق
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة
على الرشد وكان بعض الصالحين حين يسال الله عز وجل اللهم اني اسالك همة عالية
وقوة معينة على طاعتك حذر الله جل ذكره المؤمنين من سوء ما اصاب اهل الكتاب من كل
ما يوجب ميراث التغافل والتربص ومحادثة الشهو واللهو كالذي عرا من بعدهم حتى
استولت على قلوبهم القسوة وغشيهم ظلام الغفلة فاجترتهم الى الضلال حتى فسقوا عن امر ربهم
حتى كذبوا الانبياء وقتلوهم وقتلوا الامرين بالقسط من الناس بغير حق نظم بذلك قوله
الحق عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها بالماء منزلا من السماء كذلك يحيي موات القلوب
بالذكر والفكر والعلم بالله وطلب اليقين ومواظبة استعمال التقوى والحزن واستشعار
الخضوع والخشوع وتصور ما اليه المال والمصير لذلك ختم جل جلاله بقوله قد بينا لكم الايات
لعلكم تعقلون **قوله** عز وجل ان المصدقين والمصدقات وقرى بتشديد الصاد
وتخفيفها فالتشديد معناه المتصدقين والنفقة في سبيل الله وفي طاعته هذا خطاب منتظم بقوله
في صدر السورة امنوا بالله ورسوله واطيعوا انما جعلكم مستخلفين فيه وقراءة ابي ان المتصدقين
والمتصدقات والتخفيف معناه الايمان والتصديق لله والرسول يقول الله جل وعز ان المصدقين

والمتصدقات الذين ينفقون اموالهم في سبيل ويتصدقون اي يفعلون الصدقة ويقرضون
الله قرضا حسنا من اعمالهم وقلوبهم يضاعف لهم وعدهم بالتضعيف والاجر الكريم واقل
التضعيف عشرة واعلاه ان يوتيهم اجرهم بغير حساب والتضعيف ايضا بالاضافة الى
مجازاة اهل الكتابين وذلك ان هذه الامة يوتى الاجر مرتين دل على صحة هذا التاويل
في هذا الموضع انتظام الخطاب بذكر اهل الكتاب قبل هذا في قوله ولا تكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل المعنى الى اخره ثم قال عز من قائل والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم هذا يعطي ان المؤمنين بالله ورسله مؤمنون صديقون
شهداء لكنهم في ذلك على درجات فافضلهم في ذلك اتباع الرسل باليقين والعلم والعمل
وهم الذين اوجب الله الايمان على عباده المؤمنين بوجوبهم وهم الذين ياتون يوم القيمة زمر الملوك
الانبياء قال الله عز وجل لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة اي وبالمقيمين الصلوة وهؤلاء هم اخوان الرسول
صلوات الله وسلامه على جميعهم الذين حافظوا على عهده وحفظوا وصاياه واتبعوا هديه لهم
اجرهم على اعمالهم ولهم نورهم لتصديقهم وايمانهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة
من امتي سبعون الفا وسبع مائة الف مع كل الف سبعون الفا وسبع مائة الف بغير حساب
اول زمرة منهم صورهم على صورة القمر ليلة البدر ثم على اشد كوكب اضاءة في السماء جعلنا
الله منهم والحقنا بهم في الدنيا والاخرة في يسر وفي عافية ثم ذكر الذين كذبوا وكفروا ومالهم
قوله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد كمثل غيث المعنى الى اخره هذه هي الدنيا التي عاقبتها النار وسوء المصير
وما كان عنها وفيها من ايمان بالله ورسله وطاعته وطلب لرضوانه هي على التحقيق اخرة
وعاقبتها الجنة وحسن الماب فان الله جل جلاله انما اخرج ابانا ادم عليه السلام من الجنة بعد
ان خلقه فيها وكانت تلك اولهما قال عز وجل ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما
فيها ولا تضحى فلما واقع المعصية اذلهما عنها اخراجهما عنها وحبسهما في هذه ثم قال لهما وعدوه
اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعدهم بان من اتبع هداه فانه لا يضل ولا
يشقى في الاخرة ثم تارة في الدنيا يقول الله جل من قائل فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى
اوعد بالمعيشة الضنك على الاعراض عن ذكره كان المفهوم للطرف الاخر طيب المعيشة بين ذلك
في موضع اخر من كتابه العزيز بقوله الحق من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه
حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ثم انه قد يصيب المؤمن من بلاء
وامتحان فذلك ايضا لحكمة بالغة منه في ذلك يكفر عنه بذلك سوء عمله او يرفعه
الى ارفع من مبلغ عمله يقول الله جل ذكره وفي الاخرة عذاب شديد لمن اعرض عن ذكره
وكذب باياته ومغفرة من الله لاهل الايمان الاول ورضوان لاهل الايمان الاعلى وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور انها لا تسر بقدر ما تضر بها العبد ابتهج بحجة اهتدائك

وعالج هواك معالجة دائك واقدع نفسك فهي اكبر اعدائك الى متى يستمر على غيبك
ويستمر بك مرعى بغيبك تبادر بمعصيتك مالك ناصيتك ويتوارى عن قربك وانت بين يديه
نفسك اتظن ان سينفعك حالك اذا حان ارتحالك او ينقذك مالك حين يوبقك اعمالك
طال لما ايقظك الدهر فتناعست وجذبك وعظ الكتاب فتقاعست ويجلب لك ايات
الوجود بالعبر فتعاصيت وذكرك الموت فتناسيت وامكنك ان تواسي فما واسيت
ذلك لانك تؤثر فلسا توعيه على ذكر نعته وتختار قصرا تعليه على بر توليه وتعرض عن هدى
تستهدي الى مال تقتنيه وتغلب حب ما تشتهي على ثواب تجتريه فانت تامر بالمعروف وتنتهك
حماه وتنهى عن المنكر ولا تتحاماه وتزجر عن الظلم وانت تغشاه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه اذكرانها الغافل وشمر ايها المقصر واياك ان تطيع احدا في معصية الله
وان ترضي احدا بسخط الله وان من اشد الشدائد على العبد ان تخرج من الدنيا وهو يحبها
ويدخل في الاخرة وهو يكرهها ويلقى الله جل ذكره وهو يكره لقاءه فقد حلف بالله
لمن لا يجده وانقلب الى رب لا يعذره فوالله لا يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك ولا يعطف
عليك حشرك اذا ضمك محشرك وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى فصل
للايمان اعلى واول ولا اخر لهم فالاول منه اليه الدعاية الاولى دعاية الرسل الكفار والمشركين والدعوة
الثانية يقول الله جل ثناؤه يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل
على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ولم يخاطبهم باسم الايمان وناداهم به وقد علم منهم عدم الايمان
لكنه دعاهم الى ان يصعد والجمهم علوا الى رفيع درجاته بالنظر في الايات وتشهد
الشواهد في الارض والسموات وتعرف الحق المخلوق به الخليقة وتدبر الكتاب والتيقظ لسر
المراد والتذكر لما سكت عنه النفوس ونسيته من العهود والمواثيق واستشعار الصدق
والاخذ بالوثيقة والحزم والعزم على اخذ الجد ومجانبة اخذ هذا الشان بالهوينا يقول الله عز
من قائل سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله
اي ايمانا لا ريب يخالطه واقتداء لا محالة نظم بذلك قوله الحق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
اي للايمان الاعلى والاقتداء الارفع جزاء ذلك في الاخرة فهؤلاء هم الذين اوتوا الكتاب
والاقتداء بقوة ايمانا وتمسكا به والله ذو الفضل العظيم نظم بذلك جل جلاله ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها اي من قبل ان نبرا الانفس
والمصائب بربيته كتبها قبل ان يخلق السموات والارض ان ذلك على الله يسير يعني علمه بها قبل
التكوين والخلق وكتبها في كتاب ثم سوق النفوس والاسباب الى اخراجها بعد التكوين على ما
ما سبق علمه بها وكتبه لها فصل اول المصائب واجلها خروج ابينا ادم عليه السلام من الجنة
ونسيانا عهد ربه اليه ثم باخره منه المصائب التي تصيب المؤمنين في اولاد واموال ونحوها
فعزى الله جل ذكره المؤمنين في مصائبهم في اجسامهم وفي انفسهم بان ذلك قد سبق كتبه
وتقديره وما يكون عنده لهم عرضا منه تحاج ادم وموسى عند ربهما فقال موسى انت الذي اخرجت
الناس بخطيئتك من الجنة واشقيتهم قال ادم عليهما السلام وجدت ذلك على قبل ان اخلق
قال باربعين سنة قال افتلومني على ما كتب على ان اخلق باربعين سنة فحج ادم موسى ثلثا

يقول وقد تبت الى ربي وفي ضمن ذلك اني وان كنت ولي بخطيئتي فاني اول بتوبتي
يرفعكم الله بالتوبة الى رفيع الدرجات ويرفعكم حسن اعمالكم الى رضوانه والقرب منه
بثلث ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فحج ادم موسى ثلث مرات وكان موضع نظر
ادم الى المؤمنين من بنيه وكان نظر موسى الى الكفار منهم وشقاء من شقي منهم وانما يعبر
الله بعث المؤمنين فعزى الله جل جلاله عباده المؤمنين في مصائبهم فيما حج ادم موسى
وهي من الكلمات التي تلقاها منه ونظم بذلك قوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
والله لا يحب كل مختال فخور يقول جل ذكره اعلمتكم بهذا اي بالدنيا وما هي وبما لها والحرص
منها وانه خير وابقى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من فوت مطلوب ولا فقد محبوب ولا ترجوا
لوجود ذلك وحصوله اذ هو مما لا يبقى لكم ولا انتم تبقون الا ان توجهوه الي وتدخروه
عندي لكم وتحتسبوا ذلك لاجلي فليقل المصاب هكذا قد هكذا قضي قبل ان اخلق فيصطبر
وليقل المنعم عليه هكذا قضي ولا ادري ما ماله الذي ارتضي وليحمد الله وليشكره ويتهلل
وليخف وليرج ثم ليلجا الى الله ويستشعر ان يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله قوله عز
وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان الاية انتظام هذا بقوله
جل وعز وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم الى قوله هو الذي ينزل
على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤوف رحيم الكتاب الهدى
والميزان العدل كما اتت به الرسل فهو العدل والهدى ليقوم الناس بالقسط في انفسهم وفيما
اوتوا وما ولوا اتبع ذلك قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد العدل كله اصله الى الذكر
قال عز من قائل وانزلنا الحديد انزله من السماء الى الارض ثم اقام له الارض مقام الارحام
التي تنطف حضن ما شاء بمشيئته وقرر التكوين بعلمه وخلق كل شيء بقدرته الباس القوة وشدة العذاب
لذلك قال عز من قائل معرضا بالقتال والجهاد والمدافعة ومنافع للناس وليعلم الله
من ينصره ورسله بالغيب اي ليعلمه كائنا كما علم قبل الكون انه سيكون فيقع الجزاء على الاعمال
لا على علمه بهم وفيهم فافهم نظم بذلك قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون هذا منتظم المعنى والمجاورة
بقوله يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح المعنى الى اخره
ثم قال عز من قائل ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم واتيناه الانجيل
كل رسول بعثه الله بعد نوح فهو مقفي ومحمد صلوات الله وسلامه عليه هو اعرق وصفا في
هذه لانه اخر الرسل ولذلك كان اسما من اسمائه واما عيسى فهو المقفي قفى الرسل قبله وبعده
محمد صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين نظم بذلك قوله وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وهذا بيّن
على الاول فما رعوها حق رعايتها ومن هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
نهى عن التعمق في الدين وطرح وظايف العبادة على الانفس وكان يخاف ان يلتزموا ما لم يلزمو
فيكتب عليهم وقد قرئت ما كتبها عليهم ولكن ابتدعوها وهذا موافق لمعنى ما تقدم ذكره ثم قال
فاتينا الذين امنوا منهم اي الذين ابتدعوها اجرهم وهو رضوان الله باحسن ما اتاهم وكثير

منهم

منهم فاسقون الفاسق عن امر الله الخارج منه واذا خرج من هدايته فقد صار الى الضلال
سموا ايضا لئن كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه قد ارسله الله جل ثناؤه وانزل عليه الانجيل
مصدقا لما بين يديه من التورية الى بني اسرائيل فمنهم من امن به ومنهم من كفر واسم المؤمنين
منهم يقرؤن التوراة والانجيل ويعملون بما جاءهم به بعد رفعه صلوات الله وسلامه عليه
الى ان ظهر ملك بدل التوراة والانجيل وشايعه على ذلك روح يونان واحلب الاقصى
من اقطار الارض فانتدبوا ثلثمائة اسقف وبضعة عشر اسقفا واجتمعوا على تاليف
قانون يحملون عليه اهل مملكتهم ففعلوا وقتل اتباع عيسى ومزقوا كل ممزق الا قليل
اجمعتهم الدولة يومئذ وقالوا اما سبينا احد باشد سبابه هؤلاء انهم يقرؤن
في الكتاب التوراة والانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وفي الانجيل
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون واولئك هم الفاسقون وهذا نحن في كتابنا
فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقد تقدم ذكر قراءة الكتب
الاولى في القران لمن يفقده ويسر للهمة رجع الكلام قالوا هذا الى ما يمسونا به ويعدوه
علينا في قرانهم فادعهم فليقرا وكما نقرا وليؤمنوا كما امنا فدعاهم ذلك الملك وجمعهم
وعرض عليهم القتل او يتركوا ما هم عليه من قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها
فقال المؤمنون ما تريدون الى هذا قالوا لا تظهروا بيننا قالوا متى ظهرنا بينكم فافعلوا
بنا مرادكم فافترقوا على ثلث فرق فقالت طائفة نتخذ في المواضع الخالية منكم بيوتا
ننقطع فيها لا نداخلكم وابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا اليه ثم اعطونا طعامنا وشرابنا
فلا نرد عليكم فهم الرهبان وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض نعبد ربنا ونطيع
رسولنا نشرب كما تشرب الوحش حتى ياتينا الموت فان ندرتم علينا في ارضكم فاقتلونا
وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحفر الابار ونحرث البقول فلا نرد عليكم ولا
نمر بكم وكانوا ليس احد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا بهم ذلك قال فانزل الله في اولئك
رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ثم مات اولئك فقال الاخرون ومنهم
نتعبد كما تعبد فلان وفلان ونسيح كما ساح فلان وفلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على
شركهم وكفرهم لا علم لهم فعلم الذين اقتدوا بهم ولا بايمانهم ولما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سايح من سياحته وصاحب الدير
من ديره فامنوا به وصدقوه فانزل الله جل ذكره فيهم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله اي بعيسى وامنوا برسوله يعني محمدا يؤتكم كفلين من رحمته اجرين اجرا بايمانهم بعيسى عليه السلام
وتصديقهم بالتوراة والانجيل وتصديقهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ويجعل نورا تمشون به القران
واتباعهم النبي عليه السلام ثم قال عز من قائل لئلا يعلم اهل الكتاب اي الذين يسمونكم
الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم عكرمة وعبد الله ابن ابي سلمة قول احدهما ليعلم اهل الكتاب وقرا الاخر لكي يعلم اهل
الكتاب وقرا ابن مسعود لكيلا يعلم اهل الكتاب وروي عن ابن عباس انه قراها كذلك

اخذها من قراءة ابن مسعود ابو هرون عن حطان اى لا يعلم اهل الكتاب قرا الحسن
لئلا يعلم اهل الكتاب ساكنة الياء مفتوحة اللام غير مهموزة ابن مسعود لا يعد روا بغير نون
و قرا ما كتبناها ولكن ابتدعوها **فصل** قوله لئلا يعلم اهل الكتاب قد تقدم الكلام بذكر
اختلاف القراء بها وانقسم معنى الخطا لاجل ذلك الى معنيين احدهما اراده اعلام اهل الكتاب
اى المهتدين منهم يوم الجزاء اذا ودوا او ودتم واتيتكم اجرين اجرين ولهم اجرا
انهم لا يقدرون على شئ من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اذا قال لهم جل
ثناؤه هل بخستكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء ومعنى قوله لئلا
يعلم وان المراد الا تعلموا وهو غبرات اهل الكتاب الذين ادركوا رسول الله فلم يؤمنوا
فلم يكن بقاؤهم كذلك على غفلتهم حتى ياتيهم امر الله وهم الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
وفي الكتاب الذى يذكر انه الانجيل وكثير سيقدم الاخرون الاولين ويكون الاولون
ساقة للاخرين ولذلك ضرب الصوت برجل سلي خرج في الاستجارة للاعوان بحفركرته في اول
النهار وعامل كل واحد منهم في نهاره على درهم ثم ادخلهم كرمه فلما كان في الساعة الثالثة
نصر بغيرهم في الرحاب لا شغل لهم فقال اذهبوا انتم ايضا الى الكرم وسام لكم بحقوقكم ففعلوا
ثم فعل مثل ذلك في الساعة السادسة هذه هي لعيسى عليه السلام ولاصحابه في اول الامر والتاسعة
هذه لمحمد عليه السلام فلما كان في الساعة الاحدى عشرة هذه بينهما في اخر الزمان ان شاء الله وجد
غيرهم وقوفا فقال لهم لم وقفتم ههنا طول نهاركم دون عمل فقالوا لانا لم يستاجرنا احد
فقال لهم اذهبوا انتم وسام لكم بحقوقكم فلما انقضى النهار قال لصاحب الكرم لوكيله ادع الاعوان
واعطهم اجرتهم فابدا بالاخرين حتى ينتهي الى الاولين فبدا بالذين دخلوا في الساعة الاحدى
عشرة واعطى كل واحد منهم درهما فاقبل الاولون وهم يرجون الزيادة فاعطى كل واحد
منهم درهما فاستنكروا ذلك على صاحب الكرم وقالوا سويتنا بالذين لم يعملوا الا ساعة
من النهار في شخوصنا طول نهارنا وغدائنا يحرلونه فاجاب احدهم فقال الست الطلت يا صديقي
اما عاملتني على درهم فخذ حقك وانطلق فاني وافق ان اعطي الاخر كما اعطيتك
ولا يحل لى ذلك وان كنت انت حسودا فاني انا رحيم ومن اجل ذلك يتقدم الاخرون الاولين
ويكون الاولون ساقة الاخرين والمدعوون كثير والمختارون قليل **فصل** ابتدئت
سورة الحديد على طلب الايمان الاعلى ورفيع الدرجات فافتتح السورة بالقران العظيم وذكر
التوحيد لعلى ثم اخبر عن الايمان والايقان وذكر بالعهد الماخوذ والميثاق المذكور ثم
كذلك الى قوله المريان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا
كالذين اوتوا الكتاب من قبل ثم كذلك على ما تقدم له قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وذكر ما اثنى عليه من معنى ما عنا اهل الكتاب وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب اصموا وفي اخرى حتى لو كان فيهم من اتى امه علانية لكان فيكم ولما توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانقضت ولا الخلافة الراشدة تراكمت الفتن بعد واشتد البلاء على المتمسكين
بصريح الايمان وخالص الاسلام وهدم البيت ورجم بحجارة المنجنيق وقتل فيه عبد الله

ابن الزبير واستبيح مدينة الرسول عليه السلام ثلثة ايام وقتل فيها اخيار المسلمين وجل
صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وكان ذلك على يد مسلم بن عقبة
كانوا يقولون له مسرف وذكر ان عبد الله بن عمر قال للرجل الذى قتلت ستة الف من اهل
القبلة بالله لو كانت من غنم ابيك كان سرفا وذكر ان الذى احصى ممن قتل الحجاج بن يوسف
صبرا مائة الف وعشرون الفا وقيل ان السفاح يلقى الله يوم القيمة بدماء ثلث مائة الف
مصرع فاشتدت لذلك البلية بالمؤمنين وراوا العزلة واجبة فلزموا الزوايا والمساجد
واسسوا الرباطات على سواحل البحر وفي اواخر الدروب من جهة العدو واخرجوا في تصفية
اخلاقهم ولزموا الفقر اخذوا ذلك من احوال اهل الصفة في زمان رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذين كانوا يلزمون المسجد على الفقر لما كانوا يحتطبون بالنهار ويقرؤن
القران بالليل فصنع هؤلاء لذلك وتسموا بالصوفية وهو اسم محدث ولهم التصنيف و
التصانيف اخذوا الكتاب بقوة وجعلوا الفقر شعارا والصبر والجوع والخوف حلاوة وتكلموا
على الورع والصدق والزهد وتحقيق التوبة والانابة والصبر والشكر والحمد والرضى
والدنيا وبيان المحمود منها والمذموم وعلى الفقر والغنى والاخلاص والرياء والنفاق
والمعرفة وعلى العلم والمعرفة والتوحيد وعلى القلوب في طهارتها واوصافها والحكمة
والخوف والرجاء والحزن والحب والجود وعلاماتها واهل ذلك وعلى الحق والحقيقة وعلى الذكر
والتقوى والتوكل والارادة واليقين وحسن الظن والمراقبة والحياء والانس بالله والتواضع
والكبر وعلى الفضل وترتيب المقامات وكيف الترقي اليها ولهم في ذلك عبارات ومقاصد واسماء عرفوها
يتعارفون بها فيما بينهم فهؤلاء في وزان اولئك الذين قد جل ذكره فيهم ورهبانية ابتدعوها
ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فالمبتدع عندهم منها العزلة والاسماء والاوصاف
وليس ذلك بضائر انما كتبت عليهم ابتغاء رضوان الله ورعاها كثير منهم حق رعايتها فهم
والله اعلم في وزان المقول فيهم فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم والكثير معدمه وساقة ولكل جمع ملا
والله يؤتي ملكه من يشاء والله ذو الفضل العظيم رزقنا الله من فضله ما يبلغنا به الى فضله العظيم
بفضله العظيم والاخرون هنا هم اوائل هذه الامة بالاضافة الى من كان قبلهم يعطى الاولون
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيراطا قيراطا ويعطى المسلمين قيراطين قيراطين وهم الذين
استعملوا في الساعة التاسعة وهو وقت صلوة العصر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المثل الذى مثله من يعمل لى من وقت العصر الى الليل على قيراطين قيراطين فحالدسا
وهو لما سابه عيسى صلوات الله وسلامه عليهما رهلين واخرامه محمد صلى الله عليه وسلم
من لا ساعن المستعلين من صلوة العصر الى الليل لانهم امنوا وتودعيسى عليه السلام من بعده
حتى على المستعملين في الساعة الاحدى عشرة فهم اصحاب وبقايا هذه الامة صلى الله عليه ورضى عن جميعهم
وذكر المستوية منهم في العطاء مع اولهم اعنا واثل هذه الامة وقوله يتقدم الاخرون يعني
اصحابا والله اعلم بما اراد رسوله الاولين اى من كان قبل هذه الامة من اهل الكتابين ويكون
الاولون ساقة وبما كان اصحابه اولئك من هذه الامة هم المقصى لهم اولا ويجتمع في ذلك
هو ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما هذا ترتيب الوجود والله اعلم كيف يكون ترتيب فكر الله ابا

سورة المجادلة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي
الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير روي انها نزلت في خولة بنت ثعلبة وكان زوجها
اوس بن الصامت وكان من الانصار قال لها انت علي كظهر امي فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وكلمته
في بيته في ذلك قالت عائشة لما نزل بذلك القران الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وما اسمع ما يقول حتى نزل بذلك القران التحاور
التراجع في الكلام من حار يحور اي رجع يرجع والظهار يكون بذوات المحارم كلهن لما
سنذكره بعد ان شاء الله وذلك ان الله جل وعز قال مبينا حكم ما قاله المظاهر وردا لما
ذكره الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم وقرا عاصم امهاتهم برفع التاء ان امهاتهم
الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا فاعلم جل ذكره بصدق قيلي
ان نساءنا لا يكن لنا بامهات الظاهر انا منهن وان امهاتنا اللائي ولدننا والدات مرضعات لا
وفي ذلك كل معاني الخلقة من تمازج امشاج وشيء عن رضاع فيجتمع فيها من معاني اسم الرحمن جل
ذكره بالخلقة والنشو والرزق والمصور ما يوجب لذلك تحريمهن البتة واسم الرزاق في
الرضاع فوجب ايضا من الحق الموجب تحريم المراضع وموجود معنى الخلقة بالاخوات والامهات
والبنات فوجب لذلك تحريم قرابات النسب لمعاني الخلقة والنشء والرزق في مدة الافتقار الى
الرازق لتوحده بشيء الخلقة ولما تظاهر هذا المظاهر من امراته وجاء من الله جل ذكره هذا
عليه لزوره وقوله وتكذيبه علمنا انه ما جعل ذلك عليه الا لحرمة الام الوالدة ولم يحرم عليه من الام
النظر ولا الكلام بالمعروف وانما حرم الوطي وما جر اليه وما كان بسببه اذ لا خلاف في ان معنى
قوله لامراته انت علي كظهر امي لا اطوك وقد التزمت تحريمك التزامي تحريم امي لمعنى العود منه
اذا الى هذا والعود هنا بمعنى المسيس اذ وطيه اياها عود الى ما كان منه قبل التظاهر
ويمكن ان يكون معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اي قالوه قبل من منكر وزور فيبطلونه
او يكذبون انفسهم بالعود الى المسيس فلا يجوز ذلك الا بعد الكفارة قال الله تعالى فتحرير رقبة
من قبل ان يتماسا ولم تلحق المراه بالام لاجل زوره وقوله وانما وجبت الكفارة لتكفير ما جاء
وجناه على نفسه من ذكر احترام الام هنا واعتقاده عليها في حرمة النكاح لاتصال حرمتها بالحرمة
العليا التي لله جل من قائل ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله سبيل الايمان هنا في معرفة اتصال الحرمة
بالحرمة العليا من طريق الاسماء ولما ظاهر في ذكر الظهر من امه والحم الله بالنكير والزور وجب
عليه الكفارة لاجترائه على معاني الحرمة وجب انه متى ظاهر من امراته بامه او بغيرها من ذوات
المحارم فذكر رجلها او بطنها او جارحة من جوارحها ان يلحق بالظهار اذ جميع جوارح الام
ذوات المحارم محرم محجور من جميع وجوه الاستمتاع على الابناء وسائر ذوي المحارم قوله
تعالى ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله فتنزهوه عما قاله المبطلون ثم قال عز من قائل وتلك حدود الله اي
قال لزموها فيها سبيل الايمان والائتمار للامر وللكافرين بما انزلناه من كتابه ورسوله والقائلين
على الله سبحانه ما قد نزه عنه تنزيه عظمته وتعالى علاوه عذاب اليم الكبت الهلاك وقيل هو الغيظ
والحزن فعلى هذا تكون التاء مبدلة من دال والكبت ايضا الصرع على الوجه ويرجع ذلك كله

الى شيء واحد وقد انزلنا آيات بينات يدل على تنزهه عما نسب اليه الجاهلون ويبين على
نعوت تعاليه وعظم عظمته ويدل ايضا على رسالة رسولنا اليكم وصحيح ما جاء به
قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا وهو معهم اينما كانوا المعنى الى اخره
هذا منتظم بما جاوره قبل قوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه
الله ونسوه منتظم بمعنى الاحصاء والعلم وصف الحضور والشهود وهذا كله منتظم
المعنى بما قبله من حرمة الامهات لاتصالها بهما من مقتضيات الرحمانية ويمكن ايضا ان يكون
انتظام هذا الخطاب الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم المعنى الى اخره بما ذكرته عائشة لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس
على المنبر ويقول لما انزل عليه من ذلك تعجب وازدادت ايمانا الى ايمانها قالت سبحان الله
الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت ولا اسمع ما يقول
حتى نزل القران بذلك ويكون اخراج قوله الم تعلم على التذكير لان المخاطب بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم **فصل** ولما استوى على العرش وهو الحي القيوم حيث الجملة بمقتضى الاستواء
ولم يبق فيها جزء من اجزائها وان بلغ من وقته الى ما ينقسم الى اقل منه الا وهو يشمل هذه حفظا
وعلما واحاطة وحضورا اية ذلك المخلوق منا يركب فيه الروح فيحيى به جملة الجسم حتى لا يبقى فيها
جزء من اجزائها الا احس به حامله واذا كان جل جلاله وتعالى علاوه وشانه لا يحجب بصره
ولا سمعه ولا علمه حجاب ولا يتصور في حقه البعد ولا الحجب فهو الحضور واذا كان ذلك كذلك
فقد صحت المعية لا تعزب عنه غائب ولا يبعد عليه بعيد الحجاب والبعد والغر والتعذر كل ذلك ليس في
حقه فاذا هو في كل مكان بما هو ومع كل احد بما هو والمكان لا يحويه والعدد لا يحصره
يقبض المخلوق ويبسط لا يصفه المخلوق ولا يقاس صفته ولا فعله ولا معنى من معانيه الحقة
من صفاته انما له من المكان المكانة ومن العلو العلاء ومن الاسماء والصفات مقتضياتها ومن
تدبر بما قراه وتفهم ما تعلم ادرك من تحقيق ما نحن بسبيله تبيانا ما قدر له الا ترى الى الجن اين مكانهم
فان كانوا موصوفين به فان الملائكة ارفع قدرا ومكانة من الروح من جميع الجملة التي تحمله
حيث وبه تدبيرها وبه قيامها باذن الله خالقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته الكبرى
وهي اخر خطبة خطبها حرجها الحرث بن اشادرقي المنبر وقال يا ايها الناس ادنوا و
لمن خلفكم ثلث مرات فدنا الناس وانضم بعضهم الى بعض والتفتوا فلم يروا احدا فقال
رجل منهم بعد الثالثة لمن نوسع يا رسول الله قال للملائكة فقال لانهم اذا كانوا معكم لم يكونوا
بين ايديكم ولا خلفكم ولكن عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا في مكان الا بائن
سواء انه مائل الا في المكانة فالله جل جلاله له اعلى واجل احا ومكانة واكرم استوا قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم قرا قتادة تفاسحوا
في المجالس هذا الامر عام في مجالس الخير مجالس العلم والجمعة والجماعات والتشاور في الامر ونحوه
وكان اولا في مجلس الرسول عليه السلام انشزوا ارتفعوا وقرئ ايضا انشزوا واللغتان
مثل تعكفون وتعكفون يعرشون ويعرشون ويفسقون ويفسقون وكذلك يحدون

ويحسدون يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال ابن مسعود وابن عباس الذين اوتوا العلم يرفعون على الذين امنوا ولم يؤتوا العلم درجات واحتجا معا بقول الله جل ذكره هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلم يبق من وصف الايمان الا انما الاعلى لمن علم منه فوق في الايمان كان اولى بالتقديم وان لم يعلم ذلك لخفائه فالله يعلم لذلك وهو اعلم قال يرفع الله الذين امنوا منكم المعنى الى اخره قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة نسخها الله جل ذكره بالتي بعدها وكذلك كل نسخ في القران انما يتبعه ناسخه كايجابه على ابراهيم عليه السلام ذبح ابنه ثم نسخه عنهما وكنسخه ايجاب القتال على واحد لعشرة بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وهكذا ضمن الله جل جلاله النسخ في كتابه العزيز بقوله الحق ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها فاهي شرط نسخ جزم بالشرط وقوله نات بخير منها او مثلها جواب الشرط ويخرج الخطاب على سبيل الوعد يعني ان الاتيان بالمبدل لمن المبدل منه بغير مهلة فافهم فهمنا الله واياك وتاب الله عليكم يعني عطف وعفا وخفف ونحوه ونحوه وقوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون يعني الغموس استحوذ عليهم الشيطان يعني زين لهم سوء اعمالهم حتى غلبهم على انفسهم العرب تقول حنذت الابل اي استوليت عليها وبني على الاصل فقيل فيه استحوذ على وزن استفعل كما بني استفعل من كفوقهم لم يتقوا فقر يحادون الله ورسوله يعادون الله ورسوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كتب هنا يعني ختم وقضى لا يجوز لمؤمن ولا مؤمنة ان يوادوا من حاد الله ورسوله اي من عادى ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم قوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان اثبت في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه احياهم به وقواهم واعانهم ونصرهم اولئك حزب الله

سورة الحشر مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض ذكر التسبيح في اوائل السورة بلفظ الماضي وهو على غير هذا في المستقبل اعلام منه بان كل مسبح سبحه في الماضي وهو على عبادته في المستقبل وان كان مسبحا له اذ لم يكن شيئا مذكورا لسبق الله جل ذكره اذ كانوا موجودين له لا لانفسهم في نوره الذي سبحانه وله الحمد وسع كل شيء رحمة وعلما ثم فطرهم على ما قد كان علمهم وفيه ايضا اعلام بالوحدانية المحضة اذ كل مسبح له عابد وكل عابد فهو عبد لمعبوده وهو العزيز ذل كل شيء لعزته وانفاذ كل شيء لامره الحكيم احكم جميع الموجودات على العبادة له وفطرها على معرفته قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر يمكن ان يكون معنى ذكر الحشر هنا لاول الحشر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن ايضا ان يكون لاول الحشر اشارة الى ارض الشام فانه نفاهم الى سما واريحا من ارض الشام اجلى بني النضير وعذب قريظة بالقتل والسبا قال الله عز وجل يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين لما شاقوا الله ورسوله سلط عليهم رسوله والمؤمنين لذلك قال فاعتبروا يا اولي الابصار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع فلقد كان منا ايها الامة اكثر الذي عذب عليها ومن اجله من كان قبلنا وكان فينا من الجلاء والتعذيب بالاسر والقتل كثير جدا نسال الله لجميع المسلمين عوائد رحمته قوله

تعالى يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار تعريض بما اصاب هذه الامة من اسر وغلبة عدو وجلاء وخراب ديار وتهديد منه لهم ان يصيبهم بمثل ما اصاب اولئك اذ هم شاقوا الله ورسوله فانه على ذلك شديد العقاب وبلغ رسوله صلى الله عليه وسلم جميل العاقبة وحسن العاقبة قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم المعنى التبوء الاقتطاع واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي اقتطعنا ذلك وقد يكون التبوء الاختيار قال الشاعر لها امر حزم لا يفرق شمله ... لا حنا فها مرتع تبوا مضجعا جاء في الذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين والانصار ان تبعا الاول كان جوالا في البلاد يتطلع سير اهلها واشكالهم وخرج لذلك في مائة الف وثلاثين الف راكب ومائة الف وعشرين الف راجل وكان اذا حل بالبلد خرج اليه اهلها بالهدايا والتحف وبرزوا له وعظموا شانه ودانوا له وكان اذا دخل البلد سال عن علمائه وحكمائه فاختار منهم عشرة وحملهم مع نفسه ولما جاء مكة وقد اجتمع عنده من العلماء والحكماء اربع مائة رجل فلما نزل بباب مكة فلم يخرجوا اليه ولا فعلوا ما كان يفعل غيرهم فغضب لذلك ودعا بوزيره فسأله عن ذلك فاخبره انهم منسوبة هذا البيت وبه يفخرون على غيرهم وهم عبدة اصنام فاضمر في نفسه تلك الليلة ان يهينهم فيهدم مدينتهم ويقتل رجالهم ويسبي نساءهم فاخذه الله تبارك وتعالى تلك الليلة بصداع وقيح من اذنيه وعينيه وانفه بانجى منها منتنا لا يقدر احد ان يقرب منه فامر باحضار الحكماء وعرض ذلك عليهم وعظم عليهم شانه وقالوا نظرنا في العلل الارضية واما العلل السمائية فلا علم لنا بها وجاء منهم حكيم الى الوزير وقال ادخلني الى الملك حتى استخبره عن حاله بحضرتك ولما دخل عليه وقال اصدقني ايها الملك ولا تكتمني شيئا هل نويت في هذا البيت شيئا في نفسك قال فاخبره الخبر قال له ايها الملك ان دواءك ان تتوب مما نويته وتحول نيتك الى الاحسان الى اهله ولا اهله والايمان برسول يولد في هذا البلد يهاجر الى يثرب قال فاني قد نويت الخير فيهم ولم يلبث ان قام من عند الملك بعد يسير وقد تمايلت حاله وخف شانه وتوجهت صحته حتى تمكنت بقدرة الله فعجبوا لذلك فامن الملك والحكيم والوزير وامن جميع عسكره ثم خرج من غد صحيحا وهو على دين ابراهيم عليه السلام واهل عسكره وكسا الكعبة وهو اول من كساها واحسن الى اهل مكة واطعمهم وسقاهم وامرهم بحفظ البيت واعلى منزلة ذلك الحكيم الناصح له وامر العلماء الذين كان اختارهم لصحبته فقالوا له لا نبرح نحن من يثرب ننتظر هذا النبي المهاجر الى هذه البلدة الذي نطقت الكتب بوصفه والمتوارث بخروجه يهدي الى الحق والى الطريق المستقيم وبقي الوزير معهم وبذل الملك لهم الاموال وامرهم ببناء منازل يسكنونها وكتب كتابا عنوانه من تبع الملك الى محمد رسول الله يا رسول الله اني امنت بك وبما تجيء به من عند ربك فان ادركتك بنعمة من الله وان لم ادركك فقد دفعت كتابي هذا الى من يبلغه اليك فاشفع لي عند ربك فاني امنت بك قبل مجيئك ثم دفع ذلك الكتاب الى وزيره وامرهم بالمحافظة عليه والتبليغ عنه فيذكر ان ذلك كان وذكر ان دار ابي ايوب الانصاري مما اختطه تبع وان ابا ايوب من ولد ذلك العالم النصح

فالله اعلم اكان ذلك ام لا و ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه الكتاب قال
مرحبا بالاخ الصالح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لغد هذه الاية تامر بمحاسبة النفوس وانما المحاسبة فيما مضى فمن اداب المؤدب لها
ان يحاسب نفسه بكرة على ما مضى في ليلها وعشية على ما مضى لها في نهارها والاكياس يصعدون
الى ذلك المحاسبة في كل ساعة وعند كل نفس وطرفة اتبع ذلك قوله الحق ان الله خبير
بما تعملون ذكر النفوس في صدر الاية تحذير من المنشا واهمال النفوس وامراجها وفي
اخرها توصية الطاعات والاخلاص قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة
تذكير ووعظ وقرا ابو السماك لا يستوي صحاب النار واصحاب الجنة قوله تعالى لو انزلنا
هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اخبر الله جل ذكره ان هذا القران
الذي ياتي بعد هذه الاية لو انزله على جبل لتصدع من خشية الله وتخشع لعظمة كلام
ربه وذكر اسمائه وصفاته ونظيره هذه في سورة الرعد وفي هذا اعلام بان الجمادات تخشع
وخشية وتعظيما اظهر الله منها لعباده ما شاء لمن شاء وقد تجلى للجبل فصار دكا من جلاله
وهو العظيم المهيب المرهوب وهو الرحيم العطوف الودود ذو الحنان المنان وفي هذا ايضا اعلام
بانه لا يحمل تجليه ولا كلامه ولا شيئا من شانه ارض ولا سماء ولا كرسي ولا عرش او لما سبق
لما قصده بامر من ذلك بادرة رحمة ورافة الا ترى انه انزله على رسوله ثم على المؤمنين
من عباده فيعطي كلا منهم ما شاء برحمته ولتبين كلامه ما شاء على ما شاء كيف شاء برحمته ويقسم لهم من فهمه بقدر احتماله الذكر وقد
يحجب عنهم نور كتابه بجهلهم واما الكافرون والمكذبون فلم يردهم به فاذا جل المؤمنين
القران من اياته وشواهد بيناته اذ لاشيء اخواص ولكلامه عظمة ولا يحمل ذلك الا من ايده
بايده ولقد صعق قوم لاجله وغشي على قوم ومات اخرون وانما ذلك لزيادة الكشف على
الحظ الذي اولى من التاييد الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس حظا من القران
ومعرفة بعظمة المتكلم واجلهم نصيبا من العلم بالاشياء مع مباشرة الانزال وقصده اياه بالتنزيل
عليه فاذا ما احتمله الا لعظيم حظ المضموم له من التاييد فاحتمال العباد لعظمة القران
من اعظم الايات وابين الدلالات على امساك السموات والارض ان تزولا قوله تعالى
هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب الى اخر السورة مسطم بقوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي
الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات كما قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما
قدمت لغد الى ما بعدها بقوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق
المعنى الى اخره وقد تقدم شرح الاسماء حسب الاستطاعة فاغنى ذلك عن التكرار واعلم ان اول
العلم وارفعه واشرفه الذي ابتنى عليه سواه واليه ينتهي والطريق اليه هو ان نعرف ان الاسماء
المروية هي التسعة والتسعون الامهات ثم تعتقد ان كل اسم حسن في عرفان العقول وصفه عليا
فهو لاحق بها والاولى ثم يجب عليك ان تنظر لكل اسم معنى كلمة باستقراء مجاري حروفه في اللغة
لتعرف معناه في نفسه معرفة حسنة تامة فاذا اتممت ذلك وجب عليك ان تعرف مسالكها في العالم
ومجاريها في موجوداتها لتعرف بذلك درجة كل اسم في دار القرار في الجنة والنار فاذا عرفت ذلك فارجع
الكرة ثانية الى تعريف مسالكها ايضا في العالم فاذا فعلت ذلك سهل عليك الوصول بها في قضايا الديانات

ومباني الاسلام ومخارجها عنها ومواقعها منها وكيف هي كلها قواعد الوجود من العالم والحكم
وكيف تخلل معانيها العالم والوحي وشملت شهادة وغيبا شمول الحق وكذا الاسماء فعد هذا الطريق فاسلك تصب ان شاء الله

سورة الممتحنة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
تلقون اليهم بالمودة حذر عز وجل من موالاة اعداء المشركين والمكذبين والكافرين والمنافقين
وما هو يلحق بهم الظالمون من الموحدين نص على ذلك بقوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار وهو خطاب عموم على هذا المعنى سرد السورة من اولها الى اخرها الا قليلا مما هو
من هذا بسبب وقد كفروا بما جاءكم من الحق هو القران والرسول وما جاء به من الهدى
يخرجون الرسول واياكم يقول عز وجل يخرجونكم والرسول من اجل ايمانكم بالله وحده يريد
قريشا وكان هذا قبل الفتح في المدة التي مادهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
نزل هذا الخطاب بسببه هو حاطب بن ابي بلتعة وقصته في هذا مشهورة يقول كذا فافعلوا
تبرؤا من موالاة من لا يؤمن بالله والرسول واليوم الاخر ان كنتم خرجتم للجهاد في سبيلي
وابتغاء مرضاتي كيف يصح لكم ايمان بالله وموالاة الرسول والمؤمنين وانتم تلقون
اليهم بالمودة ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يعني باشروكم يظهروا
العداوة لكم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون فتكونون مثلهم لن تنفعكم
ارحامكم ولا اولادكم الذين من اجلهم توالونهم وتلقون اليهم بالمودة يوم القيامة يفصل
بينكم نظم بذلك قوله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الى اخره
الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يقول اقتدوا بابراهيم والذين معه في تبريهم من
الكافرين الا في قوله لاستغفرن لك فانما ذلك لامر صواب كان في حقه قال الله عز وجل وما كان
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه
اتبع ذلك قوله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله
قدير اي على هداية الضالين وارجاع المولين عنه والله غفور للذنوب رحيم لعباده
يدخل من يشاء في رحمته هذا خطاب وبعزته للمؤمنين ووعدهم بان ياتيهم باهاليهم مسلمين
انجزهم ذلك في المستقبل ختم السورة بالمعنى الذي فتحها به يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم عم في هذه السورة وخص اليهود وفي هذه الاية قد يئسوا من الاخرة
كما يئس الكفار اي المشركون ومن لا علم له بالاخرة يئسوا من لقاء من مات منهم لانهم ما امنوا
بان الله يبعثهم في الدار الاخرة واليهود لما كفروا بعيسى وبمحمد عليهما السلام على علم منهم وبصيرة يئسوا
من خير الاخرة ويمكن ان يوجه معنى الخطاب بالرد الى ما تقدم ذكره الى ان من التي جاءت فيه معناها للتبعيض
فيكون المعنى كما يئس الكفار الاموات الذين هم اصحاب القبور فانهم وقفوا على حقيقة العلم وشاهدوا الامر

سورة الحواريين مدنية ليس فيها ناسخ ولا منسوخ

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد
تعلمون اني رسول الله اليكم فقد تقدم الكلام في ذكر عتوهم وعن انقيادهم لرسولهم
وسوء مراجعتهم له في سورة البقرة وسورة الاعراف وسورة الاحزاب في استنا وهذا التجاهل

تحذير للمؤمنين من الوقوع في مثل ذلك مع الرسول صلى الله عليه وسلم وان التحذير في
ذلك لسباق والامر بالتعزيز والتوقير والاعظام والنصر لتركيبه وهو القران والوحي
والحكمة قال الله عز وجل لانذركم به ومن بلغ ثم حذر من نقل النصارى في صورة عيسى
عليه السلام وغلوهم فيه وكفرهم به ثم شملهم بقوله ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى الى الاسلام الى قوله يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم اى بما شوبوا من كذب
والباس على المسلمين والله متم نوره ولو كره الكافرون هم اهل الكتابين وقد قال في سورة
التوبة ولو كره المشركون فعم بالخطاب الكل فقد انجز من وعده ما انجز وباقي الوعد منتظر
مستقبل ان شاء الله وانما كثرت الفتن وطال العهد ولا يكون تمام الوعد الا في اخر الزمان
والوعد انما يضمن اظهار الاسلام على دين اهل الكتابين فقد كان من ذلك ما كان والمنتظر
اتمام الوعد كما تقدم وانما كفار اهل الارض كالحبشة والصقالبة وياجوج وماجوج فلا دين
لهم فلذلك لم يبينا ولهم عموم الخطاب وقد ادخل الله الاسلام اجناسا كثيرة كالمجوس والترك
والديلم وكثير من الحبشة وكثير من اهل البلاد النائية والاحاطة البعيدة لكن لم يرد
اولئك معنى الاستيصال كاهل الكتابين نظم بذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون المعنى الى اخره فذكر الجهاد في سبيله والانفاق
واعلم بان ذلكم خير لنا اذ في ذلك عز الدنيا والاخرة وخيرهما ثم قال واخرى تحبونها نصر
من الله وفتح قريب لكم يعني الصحابة وهو ما اصابوه من فتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعده والتابعين وتابعيهم ثم قال وبشر المؤمنين بفتح يكون لهم في اخر الزمان كما قال وعدكم
الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه يعني ما اصابوه قبل ثم قال وليكون اى هذه المغانم
اية للمؤمنين اى على مغانم بانها لم تقدروا انتم عليها ثم قال ويهديكم صراطا مستقيما
هذا وعد مستقبل وقد كان تخلصت لهم الهداية الى الصراط المستقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالقران المنزل عليه والوحي اعلم تبارك وتعالى ان الفتن ستكثر والصراط يخفى اثره الا من
الله ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين على ذلك الفتح والهدى
انه عليم فيه نظم بذلك قوله جل قوله يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين وانصار عيسى بن مريم صلوات
وسلامه عليه فلم يظهروا بعد بل قتلوا تحت كل نجم ومزقوا كل ممزق الا قليل منهم وقد تقدم
ذكرهم في اخر سورة الحديد فقوله عز وجل وايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين
وعد حق منتظر قد كان منه ما شاء الله تعالى وتمامه مؤجل الى وقت اخر كما قال عز من قائل اذ قال الله
يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا فهذا مستقبل منتظر ثم قال الى يوم القيمة فافهم

سورة الجمعة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم هو الذي
هم العرب رسولا منهم عربيا اميا الكتاب المتلو هو القران والحكمة السنة ومفهوم القران ثم قال
عز من قائل واخرين منهم لما يلحقوا بهم يريد من الاميين كالفرس والترك والديلم والبربر

وغيرهم من الاجناس وهم المعنيون بقوله الحق يخاطب العرب وان تتولوا يستبدل قوما
غيركم فقد بدلوا في ولاية بني امية وظلموا واستاثروا وعادل الله من ولد بني العباس
وجندوا الفرس والترك والديلم واستبدلوا من العرب ثم لم يكونوا امثال اولئك فان
ذلك على علاتها كانت دولة عربية ولقرب العهد تاثير وبقية نور والله المستعان ثم
يتناول الخطاب استبدال اخرين في اخر الزمان ثم لا يكونوا امثال هؤلاء وهؤلاء اشار
الى هذه الادالة وصحابتها بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
نظم بذلك قوله مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقرا عبد الله
كمثل حمار يحمل اسفارا بغير الف ولام لما ذكر الاميين وانه جاءهم من فضله برسوله المرسل
اليهم منهم واحد هداهم به الى الصراط المستقيم نظم بذلك ذكر اهل الكتاب في ندمهم
اياه بالتبديل والتغيير وترك النصيحة لله جل ذكره فيه لمن امن بالله ورسوله والكتمان
الحق بالباطل وكذبهم عليه **فصل** ضرب الله لعلماء السوء مثلا بالحمار هنا وبالكلب
في قوله واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الى قوله فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او
تتركه يلهث ووصف احوالهم باقبح وصف وسيرهم بشر سيرة وقال ومن الناس من يعجبك
قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه فهذا ايمانه وشهادته يقول متى عوتب
قال النبي دق من الامر شئ لو شاء الله هداني وهو هذا واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل يقول عز من قائل واذا تولى امور المسلمين سعى في الامور سعيا فيهلك
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وجعل من علاماته انه متى عوتب في شانه ووعظ بانه
او امر بالتقوى لله اخذته العزة بالاثم اى عاقب الواعظ بشر عقوبة لعزته وعجز عن
انفاذ مراده في ذلك بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد كما قال فيهم ايضا فهل عسيتم ان توليتم
يعني امر المسلمين ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم

سورة المنافقين مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انك لرسوله هؤلاء وافقوا الحق بظاهر قولهم ولما لم يكن الشهادة عن علم ونية كذبهم
الله جل ذكره وذمهم فلم يحمد قولهم بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون اى على انفسهم انهم يشهدون برسالتك وفقه هذا ان قول الحق من شرطه
ان يتصل ظاهره بصحة باطنه وسره بعلانيته فمن خالف ذلك فهو كذب كذلك الاحكام
والعبادات وان وافقت في اخراجها الحق اذا لم يكن على مقتضى السنة فهي كذب قال الله عز وجل
في حد الزنا لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
هم الكاذبون ومن الممكن ان يشاهد الشاهدان شهادة حق ويرتاب الاخذ ويشهد الثالث
ويرتاب الرابع في نفس صورة المشهود عليه لتعذر ولما لم يتم الشهادة على حدودها
اكذبهم الله جل جلاله لم يبان اما الله جل ذكره فعنده الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في
السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين ومن شانه في فضل
الكرامة وجميل سترة الرحمة بعباده فحفظ هذا الحكم على ما هو عليه من لتعذر وبعده

عن الشاهدة وانزل كلامه هذا جل كلامه وتعالى علاوه وشانه في قصة ظاهرهم برئ
لتوسيع كلامه العلي الحكيم الصدق من جميع جهاته والذين جاؤا بالافك في شان عائشة
رضي الله عنها لم ياتوا على ما قالوه باربعة شهداء فهم الكاذبون عند الله جل ذكره وعند
المؤمنين واما في قصة لم يكشف الغيب ما كشفه في هذه وشهد شهود عدل على اظهر
الشهادة في ذلك فالحاكم صادق عند الله من حيث عمل بما امروا الشهداء عند الله
على علم الله تعالى فيهم من برهم او كذبهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله الى اخر السورة هذا وعظ من الله جل ذكره المؤمنين
ان تشغلوا قلوبهم وانفسهم باموالهم واولادهم واهليهم عن ذكر الله وحسن عبادته
بل الواجب ان يفرغوا نفوسهم وقلوبهم لله تعالى ويتوكلوا في انفسهم وبنيهم واموالهم
على الله وان يعزلوا انفسهم لا عن العمل الا ما كان من ذلك عبادة لربهم والا فقد
خسروا انفسهم واهليهم واموالهم ثم قال وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي
احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق يعني انفق مما رزقتني واكن
من الصالحين اي اشغل نفسي بعبادتك والعمل لك والنظر ليوم لقائك كما يقول الاخر
يا ليتني قدمت لحياتي ابن عباس رضي الله عنه قال من كان له مال يبلغه الحج الى بيت ربه او يجب
عليه فيه زكوة فلم يفعل سال الله الرجعة عند الموت فقال رجل اتق الله يا ابن عباس
انما يسال الرجعة الكفار قال سا تلوا عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله الى قوله والله خبير بما تعملون وذكر ابن عباس رضي الله عنه الانفاق
ووعظ فيه اذ ذاك يومئذ لقرب الخوف عليه من التضييع وسكت رضي الله عنه عن شغل الاولاد بالمال
والولد والاهلين عن العبادة اذ كانت يومئذ شايعة والاشتغال بالله جل ذكره دون من سواه موجود ذلك الزمان

سورة التغابن مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن معهود الملك
ان يكون في مملكته الولي والعدو والموالف والمخالف والطايع والعاصي والملك ينتقم
ويثيب ويعاقب ويقدم ويؤخر ويرفع ويضع ويولي ويعزل ويعطي ويمنع ويقرب ويبعد
ويغفر ويعذب لذلك خلق خلقه مؤمنا وكافرا وجعلهم اطوارا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم نظم بذلك
قوله والله بما تعملون بصير اتبع ذلك قوله خلق السموات والارض بالحق قد تقدم الكلام فيه حسب الطاقة
وصوركم فاحسن صوركم صور ادم على صورة الحق كذلك صوره باطنا على احسن تقويم
لما فطره على الاسلام عرض بقوله واليه المصير الى الوعد والوعيد فمصير من ثبت على فطرته
الى الجنة والرضوان ومصير من خالف هداية فطرته الى اسفل سافلين قوله تعالى الم ياتكم
نبا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم ينتظم هذا بذكر الكافرين خلقه
في صدر السورة عبر اذ ذلك من حكم العدل الاول وهذا من حكم السنة وهو العدل الثاني
وبه يقع الجزاء وعليه يتوجه الوعيد نظم بذلك قوله عز من قائل زعم الذين كفروا ان لن
يبعثوا من هنا اي لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الاخر ولا بالرسل والكتب وربما امن

من امن

من امن منهم ببعض وكفر ببعض اجابهم الله جل ذكره قل يا محمد بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم نظم بذلك قوله فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا هو القران والحكمة
والهدى والله بما تعملون خبير فيه اعني قوله هذا وعيد وتهديد وفيه ايضا رجاء كما قال
وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما اتبع
ذلك قوله الحق يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن منتظم بعضه ببعض متسق عين
المؤمنون الكافرين اعاض بعضهم منازل بعض في الجنة والنار وغير ما هنالك عظيم
وخسارة ما هنالك خسارة شنعا بما اشترى المؤمنون الاخرة بالدنيا والمغفرة بالعذاب
وشرى الكافر الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة نسال المعافاة والمغفرة نظم بذلك تعزي
به المؤمن في مصابه بالدنيا والاهل والمال والولد والمفهوم من ذلك ان يوطن العبد نفسه
في الدنيا على ذلك وعلى ذلك فلن يصيبه الا ما كتب له ليعوضه بما عنده ويدخر له ما هو
الا فضل الباقي اتبع ذلك قوله الحق ومن يؤمن بالله يهد قلبه يقول هذا على النفوس عسير المسكن
لكنه ميسر على من امن بالله ويتوكل عليه قراءة الاعمش يهدي قلبه بياء باتيه مع الوصل والوقف بغير ياء
طلحة ابن مصرف نهد قلبه بنون الضحاك يهدى قلبه على مفعول لم يسم فاعله وروى عنه
يهد قلبه بضم الياء وكسر الدال ونصب الباء من قلبه من الهد والسكون فالهداية اذا
سكن القلب لذكر الله واطمان رضي بالعوض فليكن عنوان ذلك ان يجري على لسانه كلمة
التفويض انا لله وانا اليه راجعون وقد تقدم تفسيرها في سورة البقرة لانه من الرجوع الى
الله عز وجل كما لا بد لنا من الموت كذا لا بد لنا من الحيوة بعد الموت وكما خلقنا من الارض
يعيدنا اليها كذلك لما كان اول الوجود عنه وبه ومنه فلا بد من العود اليه والارجاع ∴ كذلك قال بعضهم

الا اننا كلنا بايد واي بني ادم خالد • بدو هم كان من عنده وكل الى ربه عايد •
فيا عجبا كيف يعصى الاله ام كيف يجحده جاحد • وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد •

وكنا اولا في علمه وقدرته ومشيته موجودين له لا لانفسنا ولما اوجدنا واظهرنا لانفسنا
كنا بانفسنا له ملكا وعبيدا وبذلك كان علمه بنا في حيث لم يكن وكان هو لنا بما كنا له ثم نحن اليه
راجعون ونسال الله البر الرحيم ان يجعلنا ممن اسعده بلقائه واكرمه بالرجاع اليه في ربه وعاد
نظم بذلك قوله تعالى الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون انتظم هذا بذكر الطمانينة
عند المصيبة والرضى بالقضاء قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم الى اخر المعنى سئل ابن عباس عن هذه الاية قال هؤلاء قوم اسلموا من
اهل مكة فارادوا ان ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى عليهم ازواجهم واولادهم
ذلك فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدوا الناس فقد فقهوا في الدين فهموا
ان يعاقبوهم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا الى اخر السورة وفيه التحذير من ان يشتغل
العباد باموالهم واولادهم عن الله جل ذكره والتوصية بان يتقوا الله حسب الاستطاعة
وان يسمعوا الله ولرسوله ويطيعوا وينفقوا مما رزقهم الله ويحذرهم الشح والبخل وفيه
الوعد بالتضعيف على الاعمال والانفاق والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز
الحكيم فهو خطاب عام وارشاد شامل في التحذير من الازواج والاموال والاولاد ان يشغلوا عن الله

سورة الطلاق مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن وقرأ ابن عباس ومجاهد في قبل عدتهن وروي ذلك عن ابن عباس وروي
عن عمر القراءتين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عباس لقبل طهرهن اتبع ذلك قوله
جل ذكره واحصوا العدة واتقوا الله ربكم هذا خطاب متوجه الى الاولياء والحكام ان
يمكنهن في العدة لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة
وقرأ ابي الا ان يفحش عليكم واشهدوا ذوي عدل منكم واقيموا الشهادة لله امر جل
ذكره المستشهدين بتحري العدول في الاشهاد وامر الشهداء باقامة الشهادة لله ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب خطاب شامل وامر عام فليرجع ذلك
من ربه كل مؤمن وكذلك قوله ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ويهيئ له من امره
رشدا اتبع ذلك قوله جل قوله ذلك امر الله انزله اليكم اي الذي انبأكم به من الامر بالتقوى
والوعد عليه باليسر والرشد والفرج وحسن المخرج من صعاب الامور امر الله انزله اليكم
واليسر في الامور وكلاه صعابها والرزق بغير حسبان ولا تجشيم مؤونة من امر الله جل ذكره
في الجنة انزله الينا في هذه الدار ولاهل التقوى والعمل الصالح ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم قرأ الحسن وابو حيوة
من وجدكم بفتح الواو وبالكسر قرأها الفياض ابن غزوان ويعقوب في رواية روح عنه رجع
الكلام الى الخطاب في احكام النساء والطلاق والتوصية بهن الى قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا
فقد فتح الله عليهم وكانوا في ضيقة وفقر ثم فتح الله عليهم جزيرة العرب ومعادنها
وخيراتها وحتى فتح عليهم فارس والروم قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها
ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا اخذ في الوعظ الى قوله
فاتقوا الله يا اولي الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا هو القران والوحي رسولا
ويجوز ان يكون نصبا باضمار فعل تقديره وارسلنا اليكم رسولا ويجوز ان يكون بدلا من
قوله ذكرا فيكون الرسول ما انزله الله عليه من القران والحكمة ذكرا ويؤيد هذا التاويل
يتلو عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور يعني
ظلمات الجهل والشرك والغفلة الى النور نور الذكر والتوبة ومزيد الايمان بعد الايمان
والعمل على ذلك ثم قال عز من قائل ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا هذا والله اعلم هو الايمان الاول والذي تقدم ذكره
هو الايمان المجدد بالتفكر والتذكر والنظر نظم بذلك قوله جل من قائل الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن وقرأ عصمة عن ابي بكر عن عاصم مثلهن برفع اللام هذه اية المعرفة
يعلم عباده سبيل النظر والاستدلال ليتوصلوا الى معرفة باريهم بانه خلق السموات السبع
والارضين السبع فامره يتنزل بينهن وما كان هكذا فلا يجوز في ذلك شرك لشريك ولا نصب ولا
لوعي تعالى الله عن ذلك ومن كان هكذا فهو القادر بلا امتراء على ان يبدلهن بغيرهن واذا وقع
ذلك في الاخرة فهو رب الدنيا والاخرة وامره الان ينزل بين السموات السبع والارضين السبع

بماهن

بماهن دنيا وبماهن اخرى فكذلك فيما فوق ذلك وفيما اسفل من ذلك والله على
كل شيء قدير اية ذلك قيامها على ما هي عليه وقيامها على ذلك لا يكون منها ولا بذواتها
ولابد لهن من مقيم قائم قيوم يقيمهن وقوله ذلك لتعلموا اي بخلقه هذه الجملة انه قادر
على امثالها على التضعيف ما صعد وتناهى وان الله قد احاط بكل شيء علما طريق هذا
يوجد من قوله يتنزل الامر بينهن لا يخفى على الله شيء في الارض ولا في السماء كذلك ليس يخفى
عليه علم ما هو كائن كما قد علم ما هو الان من تنزيل الامر بينهن قبل ان يكون ثم اوجده ودبره على ما سبق علمه
كذلك يعلم ما لا يكون ابدا ولو لم يكن فكيف كان يكون لو كان وما هو بعلمه يقدر عليه ان شاء الله فهو العليم القدير

سورة التحريم مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
الايات ذكوان الذي كان حرمه على نفسه شربة عسل كانت زوجه زينب رضي الله عنها سقته
في قصة فيها طول وقال لا اشربها ابدا وقيل ان ذلك المحرم على نفسه لا يضاجع جاريته
مارية في بيت بعض نسائه الا من حديث بحفص وكان قد اسر الى عائشة حديثا فاطلعت عليه
حفصة فانزل الله هذه الايات في ذلك وجاء عن انس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كانت له
امة يطؤها فلم تزل حفصة وعائشة حتى حرمها على نفسه فانزل الله عز وجل لم تحرم ما
احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك والمراد منها ان العبد اذا حلف على حلال ليحرمه فالمخرج له
من ذلك كفارة يمين بالله ثم اتبع المعنى بقوله عسى ربه ان طلقكن الى قوله وصالح المؤمنين
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
وعظ الله عباده ليقوا منها انفسهم واهليهم نظم بذلك جزاء الكفار قوله تعالى يا ايها
الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون انما تصور مطابقة الجزاء
بالنار في قوله يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اذ الجنة للعمل
في الدنيا بتصور ما تقدم ذكره من خلق الله جل ثناؤه الدنيا نبذة من الاخرة جنتها ونارها
سعيرها وزمهريرها ولما ضيعوا النظر فلم يتفهموا عن الله في مصنوعاته موجود الاخرة
ولا معرفة الله جل وعز وصمموا في رد الكتاب وفي تكذيب الرسل ولم يتذكروا بها ولا صدقوا
باياته في الوجودين الوحي والعالم ادخلهم جهنم يوم القيامة وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون ولما امن المؤمنون بالله جل وعز بالوجودين الوحي والعالم وصدقوا
الرسل والكتب ادخلهم في اليوم الاخر الجنة وقيل لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية ثم اعلم ان لكل عمل من الطاعات فيما هنالك جزاء مطابق له وكذلك الاعمال التي توجب
النار وما فيها كذلك نظم بذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا يعني مزيد الايمان الذي تقدم ذكره في تفسير قوله الم يان للذين امنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله ومن لم يطالب نفسه في كل يوم بالتوبة النصوح والتطهر ويحسها
ويحاسبها ويتطلب المعرفة ويسال ربه المزيد من الايمان واليقين والعلم والا خلفته
في ذلك الغفلة والدنيا وطال الامد في ذلك فحققت القسوة والدنيا وربما اض
الى النكوص ثم الى البؤس نسال الله المعافاة والتوبة النصوح الخالصة قبل ان ذلك

ماخوذ من النصاح وهو الخيط اى توبة مفردة لا يعلق بها سواها كالخيط المفرد
عن كل شئ سواه وربما كان ماخوذا من النصيحة وذلك بان ينصح لله ولرسوله وللمؤمنين
ولنفسه ولاهله ولامامه ولعامة المسلمين وخاصتهم ولا يبلغ حقيقة النصيحة حتى يكون
هكذا وبحل هذا المحل نظم بذلك قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين كانت امراة نوح عليه السلام كافرة وامراة لوط
عليه السلام كانت منافقة فكان لها نظر الى الكفرة ونظر الى لوط عليه السلام واهل بيته قال الله
عز وجل فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين هم قوم لوط عليه السلام وبناته فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين هو لوط وبناته وزوجه فلما اخرج اهل بيته وامرهم الا يلتفت منهم احد فالتفت
فمسخت لذلك تمثالا ما لحا قال الله عز وجل الا امراته كانت من الغابرين فلم ينفع الموقن
الكريمان على دينهما امراتيهما ولا اغنيا عنهما من الله شيئا اتبع ذلك ما هو منتظم المعنى بقوله عز وجل
وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون هذه مؤمنة كانت تحت كافر فلم يضرها ذلك وجهله بكفره
ولا انتفع بايمانها كل امرئ بما كسبت رهين ثم قال ومريم ابنة عمران هذه مقابلة امراة لوط عليه السلام
التى احصنت فرجها يعنى مريم هذه صديقة رفعت فى درجاتها الزلف وعلت الى الايمان العلى بقوله
جل ثناؤه فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين فذلك كفر نفاق
وما هو اكبر منه وهذا ايمان ثانيا ايمان وطهارة وعبادة فصدقت واستخلصت فى تمام علو رب العالمين

سورة الملك مدنية كلها محكم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير معنى
انه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه لم يتبارك الا عند ذكر امر معجب من خلق وامر كقوله وقد
ذكر خلقه الانسان وتقليبه اياه فى صفات الخلقة طبقا عن طبق الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر
فتبارك الله احسن الخالقين وذلك لبعد ما بين كونه مبثوثا فى خزائن السموات والارض فجمعه
بالرياح اللواقح من اجواء الهواء ثم انزله فى الماء الى الارض فاخرج به انواع المعذبات فجعل
ذلك المنى ثم اقره قراره ثم قلبه تقليبا بعد تقليب خلقا بعد خلق فى ظلمات ثلث الى ان يبلغ به حد
النفخ فى الروح اجمل التعجب فى قوله ثم انشاناه خلقا اخر جميعه بذلك على بعد كونه مقلبا
فى تلك الاحوال الى ان بلغه نهايته فجعله سميعا بصيرا ذا صفات واسماء الى ان جعله خصيما مبينا
يجادل فى الله وفى اياته وعبدا كريما عليه ووليا له يدعوه فيجيبه ويسأله فيعطيه بنزل بركته
الماء من السماء ويدفع من اجله عن اهل الارض البلاء ثم الى ان يرفعه الى ما تبارك من اجله كقوله
تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فاين حال النطفة من كونه رسولا
من عند رب العالمين الى كافة الناس فى مختلف الازمان وتناوب الاعصار شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا نورا مبينا يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ثم اعلى ذكره الخبير المخبر عنه الدال عليه
فكلم الخلق على لسانه الحق وانهى اليه الشهادة عنه بعبارات الحكمة وقول الصدق فعبر عن ذلك
بقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا فوجهه تعالى الذى بيده الملك ظاهر العالم وهو انشاؤه

منه لان الملكوت هو باطنه وهو فعل الملائكة والملك هو المصنوع والمالك هو
الصانع والصنعة فعل الملائكة فى تدبير الامر باذن الصانع الملك الحق وبجميع مواد الخلقة وتنفيذ
مراد الصانع جل ذكره ولاخفاء الصنعة فى المصنوع سمى الخفى ملكوتا فافهم ثم الملك
الاعظم هو ما قرب اليه بعد تفويض الينا وتبديل الارض والسماء يومئذ يكون ذلك الظاهر
الشاهد الثابت على الدوام بقوله ملك السموات والارض وبيده الملك اشارة الى الملكين
الظاهرين الاول والاخر والاول منهما هو المعبر عنه بالمقدور الحاضر والاخر هو المقدر
الغائب منه يكرم اولياءه ويظهر المعجزات على ايدى انبيائه ومنه يفتح من رحمته وعنه
يفيح جهنم بقدرته فاذا اسم الملك يقع على الظاهر الشاهد ويقع على الباطن منه
الذى عبر عنه بقوله يخرج الخبء فى السموات والارض لذلك اعقب هذا الخطاب بقوله وهو على
كل شئ قدير نظم بذلك قوله عز جلاله الذى خلق الموت والحيوة خلق الحيوة لعباده
ليكلفهم ابتلاء فيعملون او يتركون وخلق الموت ليرجعهم اليه فيجزى الذين اساؤا
بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى ثم ختم بقوله وهو العزيز الذى لا يلحقه افات الحدث
ولا نقايض البشر وليس له فى ملكه من شريك ولا فى تدبيره من وزير الغفور لذنوب
من ابتلاه بالامر والنهى واستجاب له يغفر للمؤمنين وقد يمهل الكافرين نظم بذلك قوله جل
من قائل الذى خلق سبع سموات طباقا هذا من وصف الملك السموات الطباق هى الافلاك والله
اعلم لعلو منهن طبقا لما فى ضمنها منهن من حيث ما نظرت فهو كذلك والتفاوت عدم الاتقان
والخروج عن الاحكام وحسن الاتساق بل الشاهد منها خلق معجب وتدبير مبرم وامر محكم وترتيب
يعجز الوصف ويربى على نهاية البعث لعجب ما اظهر فيهن من عجايب الصنعة ولطيف كائنات
الحكمة فانظر بعقل وتدبر بلب فانك ترى ما تبهر العقل وتخبر اللب من جرى كل فلك منها على ترتيب
مطرد ونظام غير منجزم مقدارا من الجرى لقسط مقسط من غير ابتناء فى الطلب وسرع
ولا فتور ولا ذنو وان تخلف عن المراد الذى جعلت له والى شمس تجرى فى مشارقها ومغاربها
الى مستقرها تنبعث بانبعاثها فى مطالع ومغارب فى طرقها المقدرة بتقدير العزيز العليم
كل ذلك تسبح فى فلكه بجمع امرها وكل واحد منها يتوحد بامره الجمعى الشكل ذلك بلوح نحو
اديم ظاهر كالخاتم جامع لما دونه من الاحكام ثم قال عز من قائل فارجع البصر هل
ترى من فطور اى من شقوق والخام ثم قال عز من قائل ثم ارجع البصر كرتين اى الى
ما دلت عليها من امثالها السموات العلى يرجع اليك البصر خاسئا وهو حسير ليس للبصر لعين
هنا مجال اذ ليست السموات مدركة للابصار فهى حسيرة عن دركها لبعدها وهو فانظر بلبك
وتوهم بوهمك السموات مبنية ممسوكة وبحار دونهن مكفوفة على هواء لطيف لا يتعدى
طورها ولا يعطى الا غير وجودها ولا ينبسط فى الهواء الذى يليها ولا يرسب فتهوى ولا يرتفع
عن محلها المحدود لها فتعلوا وقد احاط بها الامر ولزمها القهر جرى بحارها فى وجود السموات
كجرى بحار الارض على ظهرها قدا وحى فى كل سماء امرها وزين سماء الدنيا منهن بالنجوم
وحرمها بالرجوم اعاجيب توقظ من السنة ودلائل تهدى من الحيرة ثم العبرة الى امام اليقين
تولى والا الاعم من احد يزول الكرة الثانية فاسرع الكرة بالبصيرة ثانية بصدق من نيتك

ونور يقينك الى بنائهن مفوصا بعد ما مارت باذن ممسكها مورا وعادت بقدرة
خالقها كالدهان وردة وبدلت كلها جنانا فيرا ها المتقون من عرصة القيمة عيانا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا استوى في صلاته قائما في الركوع ربنا لك الحمد
ملأ السموات والارض وما بينهما هذا موجود كدنيا على حالهن اليوم ثم يقول وملأ ما شئت
من شيء بعد هذا موجود هن يومئذ وعند هذه العبرة والتي قبلها ينقلب البصر خاسئا
وهو حسير نظم بذلك قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
واعتدنا لهم عذاب السعير ذلك كله فيما لا بد ذكر الابصار من السموات الدنيا وللذين كفروا
بربهم خالق ذلك كله وجاعله كفروا باياته الدالة على الاخرة جنتها وجحيمها عذاب جهنم اذا
القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور هذا كله اياته فما يبدو للابصار في السموات الدنيا فنظر
عن ذلك ولا ترهق لنفسك في اقتباس كعلم بوزن المخبر نظم بذلك قوله عز وجل كلما القي
فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير انباء منه جل جلاله كيف حالهم
فيها هنالك وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير هنا محذوف دل عليه المذكور هو
انهم لما ذكروا ما ردوه على رسلهم وتكذيبهم اياهم قالت لهم الم يشاهدوا المثلات التي
حلت بالقرون التي كذبت رسلها وكفرت ربها الم تسمعوا عنها الم تقوا اكتب ربكم اليكم
الم ياتكم رسلكم بالبينات الم تسمعوا بذلك كله فقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب
السعير يقول الله جل من قائل فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير **قوله** عز وجل اامنتم
من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور معناه اامنتم رب السماء خالقها ان يخسف بكم
ارضه ينزل عليكم من السماء الرزق وينبت لكم من الارض وهو خلقكم وانشا لكم السمع والابصار
والافئدة وتعبدون غيره وتشكرون سواه مثال قوله اامنتم من في السماء مثال قوله وهو الله
في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله هذا كله توعد
للكفار المذكورين في قوله وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم توعدهم ثم جعل يورد ذكر اياته نظم
بذلك قوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن اذا مد الطائر جناحيه في
الهواء قيل قد صف جناحيه ثم يقبضهما يقول جل وعز وقوله الحق ما يمسكهن الا الرحمن يمسكهن
ممسك السموات والارض وكل شيء بامساك منها ودوام بقاء متوال بعد بقاء ما شاء ذلك
نظم بذلك امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن يقول عز من قائل من ينصركم
من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ثم قال لخاطب رسوله عليه السلام والمؤمنين وبعضهم
بتقريع الخطاب اياهم افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم يمشي كالمكب
اليوم في حال ضلاله على الصراط المستقيم كحال المكب على وجهه يرى ما حوله ولا يتعظ بما احاط به
ولا ينظر في ايات السموات والارض ولا يعتبر باية ولا يستدل بها فيمشي اليوم على وجه باطن
فاذا كان يوم القيمة حشر ماشيا على وجهه ويسحب في النار على وجهه جزاء لرضاه بحاله تلك
في الحيوة الدنيا فاظهر له بذلك ما ابطن عنه اليوم والمؤمن مسه اليوم فانما يرى الدنيا ويعبر بها الى ما حملت
اياه عليها يمشي على صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ثم الى اخركم تقرير على شواهد ايات وتحقيق بينات

سورة ن والقلم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله ن والقلم وما يسطرون يمكن ان يكون نون من الحروف
التي تكون في اوائل السور فيكون سبيلها في النظر سبيل امثالها ويكون معبرة عن موجودات
ما حواها الكتاب المبين وهو الاظهر والله اعلم ويمكن ان يكون المراد بها النون التي
تحت الارض كتابعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ياكلونه وياكل من زيادة
كبده سبعون الفا ويحتمل ايضا ان يكون من الحروف المحيطة وكيف ما كان فهو محيط فكانه
اقسم بنون سفلا وبالقلم علوا وبالعلم والمراد الاقلام كلها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال عز من قائل وما يسطرون يعني الملائكة
ما انت يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بنعمة ربك في النبوة والرسالة بمجنون وان لك لاجرا غير
ممنون غير مقطوع وانك لعلى خلق عظيم يعني خلق القران فستبصر في العاقبة ويبصرون
تهديد ووعيد **قوله** تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون اي لو تلاين وتجاوز في الارادة ملاينة وتجاوز
بالباطل واغماض عن الحق فيغطي على الحق بذلك الباطل مع معرفته يكون في المذهبين بذلك ولا تطع كل حلاف
مهين الى قوله عتل العتل الغليظ لمعارضته القليل الثاني في الخير والمشار اليه بقوله ذلك الاوصاف
التي تقدم ذكرها الزنيم اللاصق بالقوم ماخوذ من زنمتي الشاة ان كان ذا مال وبنين
يدعي في القوم بانه منهم ويشرف فيهم وليس منهم وعلى قراءة من حقق الهمزتين يقول
ان كان ذا مال وبنين يكون هكذا اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين سنسمه على الخرطوم
يسود منه وجهه ويجعل عليه سيما اهل جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها وربما حولت
صورته الى غير صورة بني ادم كان قوله سنسمه على الخرطوم وليس الخرطوم على التحقيق
من وصف الانسان وهو للخنزير والفيل ونحو هذا والله اعلم فربما عجل له ذلك في الدنيا
وربما اخره عنه الى دار البرزخ فيعذب في صورة ماسخ فنعوذ بالله من عذابه وعقوبته **قوله**
تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة مثل ضربه وقل ما يضرب الله جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه مثلا الا بحديث قد كان ابتلاء اهل مكة بمحمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
يقول كما بلونا اصحاب الجنة قيل كانت هذه الجنة وارباها من سابهم متى حدوها ان يتصدقوا
منها الى المساكين واليتيم وابن السبيل فلما ورثها ابناؤهم ومن صارت اليه منهم تواصوا
فيما بينهم اذا جدوها يجدونها على حين غفلة من الناس وتعاقدوا على ذلك ولم يستثنوا
بمشية الله المالك لهم ولحسبهم فلما هم الاصباح بانصداع ينادوا ان اغدوا على حرثكم ان
كنتم صارمين الصرام الجداد فانطلقوا وهم يتخافتون الخفوت الهدوء يقول يخفون سيرهم
ومرادهم ويقول بعضهم لبعض عزما منهم على ما نووه وتنسما ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
قراءة الجماعة لا يدخلنها اليوم عليكم ان عملا لا يدخلنها اليوم يقول عز وجل وغدوا على
حرد قادرين الحرد شدة الغضب مع الجزم على الامر واللجاج فيه بزعامة عبر عن ذلك
بقوله قادرين فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فاصبحت كالصريم وهو الليل
اي مظلمة يقول جل ذكره فلما راوها قالوا انا لضالون اي انا اخطانا طريقها اليها ثم
تذكروا سوء ما اضمروه فقالوا بل نحن محرومون قال اوسطهم يعني اشدهم وافضلهم

الم اقل لكم لولا تسبحون يعني تعبدون الله وتطيعونه وتشكرون نعمته فتطعمون
الشايل والمحروم مما اتاكم قالوا قد وقع بهم البلاء يا ويلنا انا كنا ظالمين فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون يتدافعون فيما بينهم سوء الراى والفعل الذى سبق منهم فى ذلك
ندموا حين لا ينفعهم الندامة ولا يجدون سبيلا الى تداركه فاتهم بمراجعة ولا توبة
قالوا يا ويلنا انا كنا فى فعلنا ذلك وما نويناه طاغين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها
انا الى ربنا راغبون فاهل مكة وكل من سمع به ولم يؤمن كاهل مكة ابتلاهم الله برسوله
كما ابتلى اولئك بجنتهم فلما لم يعرفوا قدر النعمة التى انعم بها عليهم ولا شكروا المنعم بها
اخرجه من بين اظهرهم واعرض عنهم بنعمته الى غيرهم وكانوا بذلك اولى منهم وكذلك كل
من لم يؤمن به استعمل الكبر محافظة على دينه الذى يدين به حتى اذا جاءه الموت وجد جنته
فى الارض ودار البرزخ قد طاف عليها حال نومهم فى الدنيا من سوء اعمالهم وكفرهم
وتكذيبهم ما ابطلها عليهم وعوضوا منها بما هو مثل الليل المظلم وهو ظلمة اعمالهم
وما لهم فلا يملكون سوى الندم والدعاء بالويل والثبور والاقرار بالذنب حين لا ينفعهم
ذلك وموضع قولهم عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها هو سؤالهم الرجعة عند الموت عندما
يعرض عليهم مصيرهم يقول الله جل من قائل كذلك العذاب اى فى الدنيا بالاسد والقتل والجوع
والخوف لعلهم يرجعون ثم دار البرزخ وقد انقطع عنهم اوان التوبة وحاق بهم الندم
ثم قال والعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون نظم بذلك قوله جل وعز ان للمتقين عند ربهم
فى موضع ندم اولئك وجهرهم رجاء تهم جنات النعيم مكان ما وجده اولئك كالصريم
ثم قال عز من قائل افنجعل المسلمين كالمجرمين يلومهم ويفزعهم على الحكم بالجهل دون
وعد من الله جل ذكره لهم بذلك بما املوه ولا كتاب منزل به ينطق بما من ذلك زعموه ولا رسول
يتضمن لهم ما ظنوا هذا فى مقابلة قول اولئك عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون
وهذا مستصحب لهم كقول الانسان والمراد الجنس ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا **قوله** تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون ويتوجه ايضا الخطاب الى الذين يظنون ان الله يساوى بين المحسنين
والمسيئين يوم يكشف عن ساق والساق الشدة ويدعون الى السجود فلا يبقى من كان يسجد لله
جل ثناؤه فى الدنيا راغبا راهبا من تلقاء نفسه الا سجد ومن كان يسجد رياء للمخلوق او
لاجل الغير لا لاجل الله جعل الله ظهره طبقا واحدا كلما اراد ان يسجد خر على قفاه يقول الله جل
من قائل وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون اى فى الدنيا وظهورهم سالمة وكانوا
يستطيعون السجود نظم بذلك قوله فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون طرق استدراج الله العبد كثيرة خفية ولذلك قال من حيث لا يعلمون والمؤمن
يعلم من ذلك ما علمه الله فاحذر استدراجه بالنعم وبالعلم والنعم والجهل ولا تكن كصاحب الحوت
يعنى يونس عليه السلام اى اصبر على ما يقولون من مجنون وشاعر وغير ذلك ولا تضجر كاخيك يونس
عليه السلام وذكر سجنه فى بطن الحوت اذ ترك عمله لربه وابق الى الفلك المشحون المكظوم المغتاظ

الحزين هذا وصف حاله فى بطن الحوت لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم العراء الارض التى لا نبت فيها البعيدة من الانس ثم انباه عن غيظ قلوب
الكفار وشدة عداوتهم وحسدهم بقوله وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم اى يزلقونك
عن مكانك كما قال يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا اى لو قدروا بهم نكالا ويقولون انه لمجنون
وما هو الا ذكر للعالمين ادرج الخطاب فى اخر السورة الى اولها قوله ما انت بنعمة ربك بمجنون المعنى الى اخره

سورة الحاقة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما الحاقة سميت
بذلك لانه تحق العذاب للمجرمين والثواب للمحسنين وقد يكون مما سميت بذلك لانها من قولهم
يحيق من حاق يحيق كما قال وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقد قيل انها من اسماء القيمة
وانما قال عز من قائل وما ادريك ما الحاقة ثم انشا يخبر ما هى فقال كذبت ثمود وعاد
بالقارعة والقارعة من اسماء القيمة بل ان كذبت بها ثمود اهلكوا بالطاغية طغت عليهم
الصيحة والرجفة وكذلك عاد كذبت بها فاهلكوا بريح صرصر عاتية عتت عليهم فاهلكتهم
يقول الله عز وجل سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام لم يسخرها لهم بل عليهم ثم ذكر فرعون
ومن حرض من قبله من الامم الماضية والقرون الخالية وقرئت ومن قبله اى من سار بسيرته
قبله وبعده وقرا طلحة بن مصرف وجاء فرعون ومن حوله اى جاء فرعون ومن معه وقرا
بذلك عبد الله وفى قراءة ابى موسى وجاء فرعون ومن تلقاه اخذة رابية مرتفعة القدر فى البطش
به والشدة والجهى والالم اقسم باسم من اسماء القيمة ثم اخذ فى قصص الذين كذبوا كيف
اهلكهم على اسبابهم من انواع كفرهم وتكذيبهم بالقارعة اى بيوم القيامة فاهلكهم بقوارع
احاقها بهم سلطها عليهم من عاجل عذاب يوم القيمة سخر ذلك عليهم لم يسخره لهم فيكون لهم رحمة
كما سخر الفيحين من جهنم فى الدنيا فصيرها لهم فى الدنيا بواسطة فتح رحمته جنات وانهارا
وعيونا وزروعا من كل الثمرات بل سخرها عنهم ما قد اخرج عليهم من عذاب فى ذلك اليوم و
اصبحهم جزيرة فى دار البرزخ ثم فى اليوم الاخر يدخلهم اشد العذاب بما كانوا يكفرون
نظم بذلك قوله عز من قائل انا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية اى فى الفلك لنجعلها لكم
تذكرة بهم بحمل المتقين فى الجنة فى الفلك تجرى بهم فى انهارها تارة وتارة على مراكب البر كما قال
وجعلنا لهم من مثله ما يركبون وتذكره ايضا للعلم بحيوة البرزخ وطريق العبرة الذاكرة
ان تنوهم الارض يومئذ وهى مغرقة بالطوفان وقد هلك بها من هلك وبشر الله جارية
لعباده المؤمنين الفلك حملهم فيها ومن عمله فى عذاب يعبر بهم بحر الحيوة الدنيا الى الحيوة
الاخرى جعل الله ذلك اية للعلم بذلك وتذكره للقدرة الغائبة ثم قال وتعيها اذن واعية
تعجب بذلك اولوا الالباب ويذكرون باهلاكها من هنا عذاب اهل الاخرة كما قال ان فى ذلك
لاية لمن خاف عذاب الاخرة نظم بذلك قوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة فلا حاجة الى ... لها كما قال ليس لوقعتها كاذبة لقول عز من قائل فيومئذ وقعت
الواقعة التى هى القارعة والحاقة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ثم قال والملك
على ارجائها اى حافاتها نواحى لانشقاقها **قوله** تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم

يومئذ ثمانية جاء في الكتب الاول ان حملة العرش اربعة ذكر هذا وجاء هذا كثيرا في
السنة الناس وجاء ذكرهم في القرآن مهملا دون عدد في قوله الذين يحملون العرش
ومن حوله المعنى ولما ذ في اثبات اربعة حملة تبيانا للنبي عليه السلام وقال في هذه الاية
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ولم يبين ما في هذه الثمانية اهي صفوف
او آحاد منهم عنوان قوله يومئذ يوهم او يغلب الظن ان ذلك خصوص لذلك اليوم
اما لنقل الامر وتضاعف الشان والله اعلم **فصل** جاء عن المفسرين كما في الكتب
الاول ان للعرش اربعة املاك عليهم السلام وذكروا معهم ان احدهم كالانسان
والاخر كالنسر والثالث كالثور والرابع كالاسد وهكذا جاء في بعض نبوة الانبياء عليهم
السلام يصف الاسرا الذي اسري به وكذلك جاء ان حملة العرش العظيم ميكائيل واسرافيل
وملكان غيرهما خرج ذكر اسمائهما عن ذكري والله اعلم وربما انه كما ينشو كل شيء من العالم
كذلك ينشو الامر فيما هنالك فيكونون ثمانية وقد قال عز من قائل الذين يحملون العرش
ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به المعنى الى اخره وقال اذا قضى الله الامر في السماء
الحديث وفي تاويله انه اذا فهمهم عنه قالوا المزيد ونهم الى حيث المنتهى حملة العرش اذا
على هذا جميع ملائكة الله جل وعز صلوات الله وسلامه عليهم والصافات صفا
فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا فالمقسمات امرا والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ثم هكذا في كل طبق من المخلوقات ولكل امر يتنزل ونشيء
ينشو واضمحلال يضمحل وكون يكون فهو حمل للعرش اي قيام بالامر النازل من علو
عرش او سماء من حيث نزل عنه جل جلاله لما الامر فمن عرش نزل والاخبار في قوله الحق
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية عن العرش الاعلى الاعظم نظم بذلك قوله الحق
فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه فرحا بما اوتي اني ظننت اني ملاق
حسابيه اي علمت وايقنت بذلك فعملت لربي على ذلك ارصادا لهذا اليوم نظم بذلك
قوله عز وجل واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه
اي كنت في الدنيا لم ادر حسابيا ويمكن مع هذا ان يكون المعنى لعظيم الغبطة بما اعطاه من اعطي
كتابه بيمينه بالفوز العظيم والدخول في الجوار الكريم يمدا الاعناق اغتباطا لمن اوتي كتابه بيمينه
وتبيض وجهه ويرفع قدره والملائكة تحف به ويكرمه اهل الجمع ويمتد له النصيب من اجل
ذلك في ذلك الجمع المشهود وينادي على رؤس الخلائق الا ان فلانا سعد سعادة لا
يشقى بعدها ابدا فتعدى بالمجرم الحرص ويعطى على ما به الطمع العظيم الاغتباط بذلك فاذا
وقف ظهر لمن عمله ما يستوجب به الحرمان والخلود في النيران فيسود وجهه ويزرق
عيناه ويسوء حاله ويعطى كتابه بشماله الذي ورد عمله من جهته وينادى به على رؤس
الخلائق في ذلك الجمع المشهود الا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا فيحيق به من
الخزي والهوان ويلعنه اهل الجمع ويقتل الى الجحيم فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية اي ليت الموتة التي منها لم ابعث منها فانه يومئذ

تشغ

تشغ عند اهل الجمع من الغبطة بلقاء الله ما القلوب اليوم على نومهم في غفلة ولذلك لا يذكر
جل جلاله لقاءه الا بلفظ الرجاء حيث ما ذكره ثم يندب نفسه فيقول ما اغنى عني ماليه
اي على انفقه في مرضاة الله ولا توصلت به اليه هلك عني سلطانيه قد كان لي مسلط الحجج
لو عملت فيه بالحق قدمت لحياتي هذه يقول الله جل جلاله للملائكة خذوه فغلوه يداه الى
عنقه ورجلاه الى ناصيته من وراء قفاه ثم الجحيم صلوه يسحب على وجهه في النار يقول الله
تبارك وتعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وهو يعني يتقي بوجهه العذاب لانه
يمشي على وجهه ويداه ورجلاه موثوقة قال الله جل جلاله يسحبون في الحميم فتنضج
جلودهم سلخا في النار يسجرون اي يوقدون فيها وقودها الناس والحجارة نعوذ
بالله من احوال اهل النار في الدنيا والاخرة ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه
ذكر السبعين ابعد اكثر لا ينحصر بمخلوق وقد جاء ان الحلقة من تلك السلسلة فتهوى
بها سبعين خريفا ما يبلغ طرفها والله اعلم نعوذ بالله من عذاب الله ما قل منه وما كثر يقول
الله جل قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين كما قال الشقي ما اغنى
عني ماليه فلم يستحق لذلك ان يطعم من طعامات الاخرة اذ الكرم والسخاء من صفات الله
واسمائه والكرم شجرة في الجنة لها اغصان من تمسك بغصن منها رفعه الى الجنة والبخل شجرة
في النار من تمسك بغصن منها هوى به الى جهنم اعاذنا الله برحمته منها فليس له اليوم ههنا
حميم ولا طعام الا من غسلين هو ما يجري من اعضاء اهل النار صديدهم واخلاطهم
ان ذلك في هذه الدار ما يجنيه الله جل ذكره من زرع ما ههنا واشجاره وثماره
بالاذبال والانفال لكن فيما ههنا تنقلب العين الى ما نفعه من زرع او شجر ذلك الا
هذه الدار الاخرة فيها ما هو منسوب لهذه وهذه وتغلبه هنالك الى شر من طعامهم
وانتن حالا واشد حرارة وبرودة والى ما هو ابلغ في النكال يقول الله عز وجل لا ياكله الا
الخاطئون كذلك انما نحن في الدنيا لاجل خطايانا ولا ياكله في الدار الاخرة الا الخاطئون
هم فيها درجات في ذلك **قوله** تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون الفاء عاطفة
على ما قبلها وهو ما تقرر من توليهم وكفرهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن العزيز
بانه مجنون وشاعر وساحر وكاهن وفي القرآن العزيز اساطير الاولين وسحر وكذب
ونحو هذا ولا نا جنة فمعنى الكلام على هذا ليس على ما زعمتم اقسم بما تبصرون من ارض
وسماء وافلاك ونجوم وشمس وقمر وبر وبحر ورياح وامطار ونبات وخلق
وبما جعل لهذا كله وما هو هذا معبر اليه من امر هنا وخلق وامر فيما هنالك من شهادة
هنا او غيب وبكل مذكور وغير المذكور انه يعني القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه
السلام ثم النبي صلى الله عليه وسلم الى قوله تنزيل من رب العالمين لكنكم لو امنتم بمنزلة
لتذكرتم فعلمتم انه معجز لا يقوم له بشر ولو اجتمعت له الانس والجن متظاهرين وقد تقدم
الكلام على التنزيل ما هو نظم بذلك قوله عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه
باليمين اي لاضللناه عن هدايته ومحوناه من ديوان الهداة المهديين ثم لقطعنا
منه الوتين يعني لقتلناه على ذلك من ضلالته والوتين عرق متصل بنياط القلب مستبطن

الضبن تملؤ الجسد كله تسقيه الكبد وهي بيت الدم والوتين يجري منها الدم ويوف البدن ياخذ منه ستون عرقا هي انهار الدم في الجسد كله من هذه الانهار ياخذ عرق الجسد ثمانية عشر تسقي الصدر وسبعة تسقي العين واربعة تسقي الدماغ وهو اعني الوتين من مجمع الودجين الى مجمع الصدر بين الترقوتين ثم ينقسم عند سائر الجسد وقال سائر الجسد فما منكم من احد عنه حاجزين اي لم يكن لهم مع ذلك ناصر ينصرهم منا وانه يعني القرآن لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين لكنا بلوناكم به ليكون منكم التكذيب المقدر في الازل فياخذكم به او يكون منكم الايمان السابق في التقدير ويثبتكم عليه وانه لحسرة على الكافرين حين يرون العذاب يقولون يا حسرتنا على ما فرطنا فيها يا ليتنا اتخذنا مع الرسول سبيلا وانه يعني هذا الحديث او هو عيد لحق اليقين يحق وانه لواجب وجوده بعد الموت ثم البعث منه مما شاهدتم من وجوب وجود النهار بعد انقضاء الليل والليل بعد انقضاء النهار فسبح باسم ربك العظيم لتقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ولمن اطاع من المؤمنين فهو الاستعداد والعدة لذلك فالزمه كما قال عز من قائل فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وكقوله فاعبده واصطبر لعبادته

سورة المعارج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سأل سائل بعذاب واقع للكافرين يقرئ بتخفيف الهمزة وتحقيقها وقرأ ابن عباس سال سيل بعذاب واقع للكافرين قال قتادة هذا وادي في النار وهو كقوله والطور وكتاب مسطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع يوم تمور السماء مورا المعنى الى اخره ويمكن ان يكون نذارة بعذاب يصيبهم به من قتل او سبي او جلاء ونحو ذلك قوله عز وجل ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة المعارج مصاعد الملائكة والروح من علو الى سفل والمنزلات من علو الى سفل وقد تقدم الكلام في المعارج وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بين سماء الى سماء خمسمائة عام وقال الله جل من قائل يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فتلك مسيرة الف سنة مما نعده نحن صعودا ونزولا واخبر ايضا بان هذا ليس بمقصور على العروج والنزول فقط بل لكل امر يدبر وملك وروح ينزل ويعرج **فصل** حركة عروج الامر ونزوله حركة نحو الوسط وهي الحركة المستقيمة وحركة التدبير للامر حركة حول الوسط وهي الدائرة ثم المتعارف المعلوم ان الخط المستقيم المار على وسط الدائرة من محيطها الى محيطها هو على النصف من قوس الدائرة والفلك يصعد بعضه وينزل بعض فمفهوم ذلك اذا ان الدائرة صاعدها ونازلها متى كان مقدار مسافة السالك من محيطها ما الى وسطها الى محيطها خمسمائة عام عروجا فان مثلها نزولا ايضا خمسمائة سنة وذلك قوله عز وجل يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فاذا كان ذلك كذلك فان مقدار محيط الدائرة مسيرة الف سنة واذا كان ذلك كذلك ففي سبع ارضين وسبع سموات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بين سماء الى سماء وارض الى ارض خمسمائة سنة وانما هو وصف لخط ما بين سماء الى سماء وارض الى ارض خمس مائة سنة وانما هو وصف لخط ما بين سماء الى سماء وارض الى ارض وان الحكمة في العبرة

الى ما غاب ان يكون معقولا مما فد واثرها ما علا بما دونها هكذا الى ما علا اثر ذلك دائرة فلك القمر يحيط بها دائرة فلك عطارد ويحيط بدائرة فلك عطارد دائرة الزهرة ويحيط بها دائرة الشمس ويحيط بها دائرة الاحمر ويحيط بها دائرة المشتري وهو البرجيس ويحيط بها دائرة المقاتل وهو زحل ويحيط بهذه الدوائر دائرة فلك البروج ويحيط بها الفلك الاعظم قال الله عز وجل وكل في فلك يسبحون قال عز من قائل وسخر لكم الليل والنهار وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ولما رأينا هذا هكذا واخبرنا انه قد جعل هذه ايات على ما غاب عنا علمنا والشهداء ان دوائر ما علا من السموات العلى اعلاها منتظم لما دونها حتى يكون دائرة فلك السماء البعيد منتظمة لهذه محيطة بها وعن ما ههنا من دوائر من دوائر نجوم والشمس والقمر وان ذلك كله يرجع الى فلك تسبح الافلاك التي دونه فيه دلالة على الكون اليه يرجع الامر كله ثم اعلم ان اوسع هذه الدوائر التي دون السماء الدنيا كفلك البروج مثلا تطلع وتغرب من يومه الذي هو من امامنا هذه ما عدا موضع التعلب وهو خفي في هذه الدوائر كدائرة فلك القمر تطلع من يومه وتغرب ما عدا موضع التعلب وكذلك ما غاب عنا من دوائر التدبير وان دوائر السماء كسابقة التي ترجع اليها ما دونها وتتبع فيها طلوعها بطلوع افقها وغروبها بغروبه وكذلك قوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وهذا الدائر يدور فوق السماء السابعة وينزل امر الله جل جلاله الى ما تحت الارض السفلى ويصعد طالعا الى ما فوق السماء السابعة يستديرونه من الدوائر كاستدارة الفلك الاعظم الذي هو دون هذه السماء الدنيا كل في فلك يسبحون **فصل** ولم يات فيما نعلمه فوق السموات السبع ولا فيما دون الارضين السبع ذكر مسافة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسراه فلما جئنا السماء السابعة استفتح جبريل صلوات الله وسلامه عليهما فذكر لما التقى هنالك ولما فرغ من ذكر البيت المعمور وذكر ابراهيم عليه السلام قال ثم عرج بي الى السدرة المنتهى وذكر انه ما وراءها لا يصعد اليه ملك قال اليها ينتهي ما يصعد به من الامر ومنها يقبض او يرفع اليه فالملائكة مع الروح عليهم السلام يصعدون الى ما هنالك اعني الى السدرة ثم الروح مفردا يصعد بما يكون الى ما علا قال الله عز وجل تعرج الملائكة عطفا بالواو في قوله والروح اليه فالملائكة والروح الى المنتهى ومن هنالك يصعد الروح اليه فردا بالامر والله اعلم سبحانه وله الحمد ثم قال عز من قائل فاصبر صبرا جميلا اي على قولهم وخوضهم واستعجالهم العذاب المذكور في صدر السورة ثم قال عز من قائل انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا القريب عنده والبعيد سواء وانما الاجل المسمى يوم الفصل الذي يكون فيه السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن الصوف وقد مضى ان في الدوائر يرجع اخرها على اولها في مدة رجوع اضيق الدوائر واقربها الى المحور وموضع المحور موضع التكوين وهو الذي يحور به الامر واليه وهو موضع القرب فافهم ولا يسأل حميم حميما هذا موقف لا يتساءلون فيه وبالجملة فان حميما اي حبيبا لا يسأل حميما ان يحمل من اوزاره شيئا وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى يبصرونهم لابد ان يلا

المتعارفون ليقضي حقا لو كانت بينهم في الدنيا لذلك وبالواجب ان يكون الشان كما بلا فوا
في الدنيا كذلك يتلافون ذلك اليوم يقول الله جل من قائل وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما
كانوا فيه يختلفون كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة **قوله** تعالى نزاعة
للشوى هذا من وصف النار الكبرى اعاذنا الله الرحيم برحمته منها الشوى عظام الساقين تسلب العظام
من لحمها وليس ذكر هذه العظام بخصوص فعلها فيما لو لاها من العظام واللحم كذلك غير
ان الموحدين من يدخل النار ما يصيبه منها الى كعبيه والى انصاف ساقيه والى ركبتيه والى حقويه
وحيث بلغت وفعلت فعلها نعوذ بالله الكريم من فعلها انه ارحم الراحمين نظم بذلك قوله
الحق عز قوله تدعو من ادبر وتولى اي من طاعة الله وطاعة رسوله عن الايمان والاسلام وجمع
المال فاوعى في دعاه وشد وكاه فلم يسعه في طاعة الله ولا اطعم منه ولا زكاه نسال الله
معافاة ومغفرة نظم بذلك وصف الانسان فقال ان الانسان خلق هلوعا اي من نكبات
الزمان جازعا لطوارق الحدثان غير متوكل على الله ولا مستبصر اذا مسه الخير منوعا
واذا مسه الشر جزوعا وهكذا هو الانسان بما هو انسان ما لم يؤمن بالله وتتولاه الله بتوفيقه
وعصمته يقول الله عز وجل الا المصلين الى اخر المعنى المداومة على الصلوة يكون بالملازمة
والمحافظة عليها والحفظ لها مما ينقصها ويكون ايضا بتكريرها بما يضاف اليها من نوافلها
وبان يكون الذكر في اثنائها مستصحبا وفيما بينها كما قال عز وجل فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم **قوله** عز وجل فمال الذين كفروا قبلك مهطعين اي مسرعين
متعجبين من مقالك وحالك نظم بذلك قوله عز من قائل ايطمع كل امرء منهم ان يدخل جنة
نعيم كقول احدهم ولئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى يقول الله جل من قائل ايطمع كل امرء
منهم ان يدخل جنة نعيم ولما يؤمن بالله ورسوله والدار الاخرة وبانه يبعث بعد موته الى
جزاء معد ثوابا وعقابا كلا ليس كما ظن انا خلقناهم مما يعلمون من تراب وماء من فيح
ونفخ فكذلك نعيدهم من الارض بنزله من السماء فينبتهم منها انباتا ثم نعيدهم الى ما كانوا
هو كمع عنه لا ما لعنقهم من ذلك من ايمان بالله ورسوله وطاعة وعمل صالح فيكون عودهم
بذلك الى ما كان الفتح عنه او لم يروا انا خلقناهم من الدار الاخرة حرورها وزمهريرها الذين
عن امام فيح جهنم ثم عن فتح رحمتنا بالماء منزله من السماء لنخرج لهم به جنات معروشات وغير
معروشات والطيبات ومن كل الثمرات فكما خلقناهم عن الدار الاخرة اليها نرجعهم ثم لا يدخل الجنة
الا من امن بها وعمل صالحا ولا يدخل النار فيما هنالك الا من ابى وشرد وكفر النعمة او بطر الحق
نظم بذلك ما هو تنبيها له قوله جل قوله فلا هذا رد لقولهم وتكذيب لطمعهم اقسم برب المشارق
والمغارب جل ذكره وتعالى علاؤه وشانه بموضع منبعث الفتح والفيح عن الدار الاخرة زائد
الحراسن والمنبي عن حقيقة انتوابين وقد تقدم الكلام على ان بطن حكمته في ذلك على مواقع النجوم
وانها نجوم المنازل وهي ايضا نجوم تنزيل القران والوحي المنزل على رافد الاخرة المنذر
بعذاب ما هنالك المبشر بثوابه ثم قال عز من قائل انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نذهب بهم
ونخلف بعدهم من هو خير منهم ثم قال عز وجل وما نحن بمسبوقين اي اذا امتناهم على ان نبقي منامهم
نحملها وفيها ذواتهم في دار البرزخ لنذيقهم عذابا دون العذاب الاكبر فوق عذاب

الدنيا في الخزي والشدة والا لم اشار بقوله وما نحن بمسبوقين الى ما ينالهم ويلحقهم
من حين اليقين نظم بذلك قوله عز من قائل فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي حتى ياتيهم الموت فيلاقوا
يومهم الذي يوعدون اما بالموت فيقبضون فيه الى دار البرزخ واما يوم البعث وهو اليوم الذي
فيه يخرجون من الاجداث كلهم الى نصب يوفضون يسرعون في اجابتهم داعي الله يومئذ كانهم
كانهم في يوم عيدهم قد انقلبوا من جمعهم ذلك الى انصابهم وسدانتهم ثم اخذ يصف
حالهم يومئذ في ذلك بقوله خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة فقال لهم هذا يومكم الذي كنتم توعدون

سورة نوح عليه السلام مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عليه السلام اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم
من ذنوبكم جمع قوله عليه السلام هذا الايمان والاسلام والعمل وهو الايمان بالله جل ذكره ورسله
وما جاءت به وعلى هذه الاثنا في مدار الاسلام كله ومدار الوحي قوله يغفر لكم من ذنوبكم
من هنا لاستغراق الجنس كقولهم ما في الدار من احد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام
يهدم ما كان قبله والتوبة تهدم ما كان قبلها والحج يهدم ما كان قبله وقوله ويؤخركم
الى اجل مسمى معقولية فعلكم ما امركم به لم يجعل هلاككم قبل الاجل المسمى اذا جاء لا يؤخر
انما التعجيل والتاجيل فيما يحتمه الكفار على انفسهم فاذا جاء الاجل المسمى للمؤمن
هنالك يقول الله جل من قائل ما ترددت [illegible] ترددي في مؤمن يكره الموت ولا بد له من
لقائك والله اعلم قال لو كنتم تعلمون **فصل** هذا هو الحق والله يهدي السبيل هذا انما اخرج
ادم عليه السلام من الجنة لاجل المعصية لما كان قد قدر عليه وانما خلق الله سبحانه السموات
والارض بالحق لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وان الله لا اله
الا هو الحي القيوم ذو الاسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الاعلى وان رسله حق وما
جاؤا به حق وهدى الى التوبة من الذنب لتدارك الفائت لمن جنى بالتوبة فمن حقه الا
يموت اعني العبد وقد استاثر رب العزة بالبقاء الدائم وختم على كل مخلوق بالفناء وحكم
على العباد بالموت فمن حق الواجب اذ لا يموت فجاءه من مفهوم هذه الحال وما عبر عنه كريم
هذا المقال معنى قوله وما ترددت في امر المعنى انه يحمله بعد الموت الى حيوة اعوضه اياها بدلا
من هذه التي افقده والى مشاهدة هي اكرم واقرب اعلاما من التي عنها اخرجه حتى يالف
وعده بالرجوع والبعث من هذا الموت فهذه فائدة قوله عليه السلام لو كنتم تعلمون فالموت اذا للمؤمن
نعمة اي نعمة اذ هو باب لخروجه من سجن بسجن لاجل الذنب وقد غلب ارحم الراحمين احد
الوجهين المترددين من موته او بقائه في الدنيا ذلك ليرجعه الى حيث اخرج لاجله منه وهو دار
الرحمة تعلو درجة الانبياء لا يقبضهم الله حتى يخيرهم الله في البقاء او الخروج منها اليه ثم يقبض
عليه محبة لقائه والرجوع اليه فمن الواجب على كل مؤمن ان يشغل نفسه بمحبته ومحبة لقائه
والرجوع اليه وتعجيل الراحة من هذه الدار من عدو مرصد ونفس بالسوء امارة واشتغال
عن الله جل جلاله بالاهل والولد والمال والغاشية ولندين هذا درسا ثابتا فينا
ويعمل عليه ففي ذلك الخير كله والراحة الجما والمرجوع اليه هو ارحم الراحمين وهو الرؤف
الرحيم وما تعلق قلوب المؤمنين بان الموت نقطع عليه صلاته صليا مدحها د .

يعلم العلم فقد جاء ان المؤمن يجزا باحسن عمله ان شاء الله يقول الله جل ذكره سواء
محياهم ومماتهم ومن عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه نظم بذلك قوله
عز وجل قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى قوله ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم
اسرارا فاما موضع اعلانه وجهاره والله اعلم فقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
فهذا هو الاجهار والاعلان لظهور معهود الجزاء بالاحسان لمن احسن يقول الله جل من قائل
هل جزاء الاحسان الا الاحسان وانما اخرجهم من الجنة المعصية فاذا اطاعوه فجزاؤهم ان يعيد
عليهم من اياره الجنة لاجل احسانهم فان شكروا زادهم وان هم كفروا كان فيهم بالخيار اما ان
يغير ما بهم ويسلبهم نعمته واما ان يستدرجهم بنعمه ليأخذهم على ما فرحوا به واسوا ما اتوه
واما موضع اسراره لهم فهو في معنى قوله ما لكم لا ترجون لله وقارا وهو وصف للقائه الكريم
واخبار عن علم ما يعاينوه ويشاهدوه من علو رؤيته على دوام الخلود من تجديد حراية
وتنويع مشاهداته ذلك في قوله كل يوم هو في شان فباي آلاء ربكما تكذبان قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ابراهيم اول من راى الشيب فقال يا رب ما هذا قال وقار يا ابراهيم قال رب
زدني وقارا قوله عليه السلام وقد خلقكم اطوارا شيبا وشبابا وذكورا واناثا وخالفت
من صوركم والسنتكم واموالكم واخلاقكم الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا مواجهة القمر هو عظيم نجوم السماء والشمس اكبر جعل ضد
القمر بين آية عليه جل جلاله فاذا كان اليوم الآخر ادخل عباده الجنة وقد زال الشمس والقمر والنجوم
واقام امره على الخصوص مقام الشمس والقمر والنجوم في هذه الدار وما سخرها له فاظهر
موجودات ما هنالك بامره عيانا قال عز من قائل يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين فالحق الذي خلق به السموات والارض وما بينهما فيما ههنا نعوض به الحق المبين الذي
هو الحق شاما من شعاع نور ذلك الحق فافهم ثم قال والله انبتكم من الارض نباتا ثم
يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا تقول وكذلك كما خلقكم عن اثار الارض الحق اليها يردكم وكما خلقكم
من الحق المخلوق به الشمس والارض وما بينهما فكذلك يعيدكم الله في الدار الآخرة جهارا و
ترونه عيانا كما رايتموه بالايمان ههنا نظرا واعتبارا ثم قال عليه السلام والله جعل لكم الارض بساطا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا يريهم دلائل النبوة وعلامات الرسالة وكما يهدي الطرق الى الفقار
كذلك يهدي لوسيل الى المراشد قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا
الى آخر السورة وفي قوله عليه السلام والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم وكان يكون انبتت انباتا
لكنه قال عليه السلام نباتا وانزله رب العالمين كذلك بحكمة في ذلك بالغة وعلم ظاهر
وذلك انه جل جلاله انبتنا من الارض في النبات نباتا ثم انزلنا بالماء من السماء ثم انبتنا
في الحيوان نباتا ثم انبتنا في بطون امهاتنا نباتا ثم ذلك النشو مع النبات والانبات معا
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا نص منه جل ذكره على عذاب البرزخ وانه قد ادخلهم النار متصلا
الا تسمع الى قوله اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا ثم ذكر جل ذكره دعاءه على الكافرين

لما قيل له انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن واستغفاره لنفسه ولوالديه وللمؤمنين في
جميع المؤمنين والمؤمنات فصلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين ربنا
آمنا بما انزلت من كتاب وبمن ارسلت من رسول فاكتبنا مع الشاهدين وفي دعائه هذا لابويه دليل
على انهما كانا مؤمنين ذكر في الانبياء ان نوحا عليه السلام ابن لامخ بن متوشلخ بن خانوخ بن
بارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث وهو الذي يقال له شيث والله اعلم وشيث بن
آدم عليه السلام فصلوات الله وسلامه على نوح وعلى آبائه الطاهرين وعلى جميع الانبياء والمرسلين

سورة الجن مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله قل يا محمد بلغ اوحي الي انه استمع نفر من الجن قال الله عز وجل
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن قال الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
المعنى الى آخره فذكر انهم ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد
موسى مصدقا لما بين يديه اي من كتاب ورسول وقال في هؤلاء انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي
الى الرشد وآمنا به وانه تعالى جد ربنا قيل عظمة ربنا وربما كان معناه تعالى ربنا وتعالت
اوليته ورحمانيته وتعالى علي ربنا ذكره مسلم الجزاعي قال قرات على ام الدرداء وانه تعالى
ذكر ربنا وقال في قراءة ابي الدرداء وانه تعالى جلال ربك وقرا قتادة وانه تعالى جد
ربنا بكسر الجيم منونة الدال ورفع الباء من ربنا قوله تعالى وانه كان يقول سفيهنا على الله
شططا اي امرا بعيدا عنه سفيهنا هو ابليس لعنه الله ثم الى هذا فيكون كلمة سفيهنا للجنس بكل
من كفر بالله ورسله فهو سفيه سفه نفسه وسفه عقله وقرئ بكسر ان من لدن قوله وانه
كان يقول سفيهنا الى قوله وان المساجد لله وبفتحها فهو عطف على القول من قوله فقالوا
انا سمعنا كسر ومن عطف على قوله اوحي الي انه استمع فتح قوله تعالى فانا ظننا ان لن تقول
الانس والجن على الله كذبا الى ههنا انتهى قول الجن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه كان رجال
من الانس الى قوله وانا لمسنا الجد اي ان لن تقول بفتح القاف والواو مشددة انبانا جل ذكره
ان الجن لا يعلمون الغيب وانهم قد يجهلون الحق كما نجهل وانهم يظنون كما نظن فقد يخطي ويصيب
وانهم رجال ونساء بقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن والرهق الضيق
والشدة وهو ههنا كناية عن الضلال قوله عز وجل حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا الحرس الملائكة والشهب الرجم الملائكة ترمي الشهب لما وجدوا
السماء قد شددت حراستها شكوا ذلك الى سفيههم لعنه الله واجتمعوا اليه في ذلك فقال لهم اذا
الا لحدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فجاء الفضلاء الذين توجهوا نحو تهامة وجدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من اصحابه بسوق عكاظ وهو يصلي بهم صلوة الصبح فاستمعوا
له وقال بعضهم لبعض هذا الذي منعكم خبر السماء قالوا وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد
بهم ربهم رشدا اظهر الله في صنعه علم الغيب عنا وعنهم يومئذ فحقق منهم قوما بالكفر والضلالة
وخص آخرين بالايمان والهداية قالوا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا
انبا الله جل ذكره على السنتهم ان منهم الصالحين ومنهم دون ذلك قالوا وانا ظننا اي تحققنا
والمؤمنون بمعنى ايقنا وعلمنا ان لن نعجز الله في الارض اي اذا متنا وكنا ترابا في الارض

اى اذا متنا وكنا ترابا فى الارض لن نعجزه بل يعيدنا كما بدانا لن نعجزه هربا اذا الهاربين
اعنا فى قبضته قالوا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فقسط بمعنى حاد واقسط بمعنى
عدل فى الحكم وهذا منتظم لمعنى بقولهم وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك قوله
عز وجل فاولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا انقطع هنا كلام
الجن ثم قال الله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا اى اخر السورة
اى الخلق كلهم لاسقيناهم ماء غدقا كثيرا يعنى لو امنوا جميعا وقيل لو استقاموا على
طريقة الكفر لوسعنا عليهم وجعلنا ذلك فتنة وان لو استقاموا على طريقة الحق الاسلام
والايمان والعمل الصالح لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه حتى سعد فيهم حكم الحق ويصدق
قوله الاول هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون ويمكن ان يكون هذا من قول الحق لقومهم بدل
على صحة ذلك اخباره عنهم بار وكانه يعبر عن ايمانهم وهداهم قال الله سبحانه وله الحمد
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا هذا كقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين
من قبلكم فالمساجد هنا هى ايات السجود ثم يدخل جميع الاعضاء بالتبعية لصحة القول بان الله خالق
كل شئ يقول الله جل وعز خلق لكم اداب السجود الوجه واليدين والركبتين والقدمين والنعم
عليكم بها فلا تسجدوا بها الا له قالوا وانه لما قام عبد الله يدعوه يعنون رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلى لله باصحابه كادوا يكونون عليه لبدا اللبد ما تراكم على ظهر الاسد من
وبره لما راوه يصلى باصحابه وهم يصلون بصلاته ويسجدون بسجوده ويركعون بركوعه
ويقومون بقيامه قالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اى وهذا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بعث النعمان بن مقرن
الى الفرس غازيا فى جموع المسلمين نزل بساحتهم وارسل الى ملكهم المغيرة بن شعبة يدعوه
الى الله والاسلام والايمان وكان قد ارسل الملك طليعة ليخبره بشان المسلمين وكان مما اطلع
عليه ان قال لهم اذا صلوا صفوا انفسهم صفوفا وتقدمهم رجل منهم يقومون بقيامه ويسجدون
بسجوده ويقعدون بقعوده ويفعلون كفعله لا يخالف بينهم قال فلما سمع الملك ذلك من
فعلهم تعجب من ذلك قال ما لى ولهؤلاء مالى ولعمر ويوجه اخر وانه لما قام عبد الله يدعوه اى
على هذا التوحيد قول الله جل قوله قال انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا قل انى لا املك لكم
ضرا ولا رشدا الى اخر المعنى قوله عز وجل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا وقرا
السرى بن منعم علم الغيب بغير الالف قوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قوله
الا من ارتضى من رسول عام فى المرسلين من الملائكة والناس والضمير الذى فى قوله فانه
يسلك راجع والله اعلم الى الرسول الملك يسلك من بين يدى الرسول البشرى رصدا الشيطان مارد
او طن او من من الشيطان يقدح فى خاطره مع الوحى او قبله قال الله عز وجل وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته المعنى الى اخره ليعلم الله جل ذكره ان قد ابلغوا
يعنى الرسل رسالات ربهم اى يعلم ذلك واقعا كما قد علمه فى سابق العلم انه كائن وقرا ابن عباس و
الزهرى ليعلم ان قد بضم الياء واحاط بما لديهم يعنى الرسل من الملائكة والبشر
واحصى كل شئ عددا على ما لم يسم فاعله وقرا ايضا واحيط بما لديهم على ما لم يسم فاعله

سورة المزمل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها المزمل ادغمت التاء فى الزاء وفى حرف
ابن مسعود يا ايها المتزمل والمتدثر وهو الذى يزمل ثيابه ويدثرها والدثار من الثياب
ما لبس فوق الشعار قم الليل الا قليلا يعنى وهو على ثلثى الليل يعنى حين يبقى ثلث الليل
يدل على هذا التاويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء
الدنيا فى ثلث الليل الحديث وفى اخرى شطر الليل وفى اخرى حين يبقى من الليل ثلثه قال
قائلون ان هذا قبل ان يفرض الصلوة ولما فرضت صار قيام الليل نافلة وانما فرضت
الصلوة بمكة ونزول هذه السورة كان بالمدينة قالت عائشة رضى الله عنها فرض الله على رسول
قيام الليل وعلى اصحابه معه كيف والله جل جلاله يقول هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول
لدى وانما ذلك والله اعلم ان الله جل ذكره رغب رسوله والمؤمنين على لسان الرسول
صلى الله عليه وسلم فى قيام الليل ليجعل ذلك للمؤمنين من المعهود المتعاد من القرب فنحو
هذا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حولا كاملا واصحابه معه وكان الاوراد اخر الليل
من ثلثى الليل ونصفه وثلثه قالت عائشة رضى الله عنها وامسك الله فى السماء خاتمتها حولا كاملا
ثم انزل قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه الى اخر السورة وجعل الله ولك
اجزاء من القران بقوله علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون فى الارض يبتغون من
فضل الله واخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة اى المفروضة واتوا الزكوة
اى المكتوبة واقرضوا الله قرضا حسنا اى من نوافل الخيرات وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله اى فى الاستجابة ثم فى سائر الاوقات ان الله غفور رحيم

سورة المدثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والرجز فاهجر الرجز العذاب ولما كان الكفر والاثام
وما جرى الى ذلك سببا لوجود العذاب سمى رجزا قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اى لا تعطى لتاخذ
اكثر منه ويكون المعنى ايضا لا تمنن بعملك ولا بما تعطيه ولا تستكثره ولربك فاصبر فى العمل
بطاعة الله وعن المعاصى وعلى المصائب واحتسب فى ذلك نيته واجعل ذلك فى جنب الله عز وجل
والناقور الصور قوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا يتوجه قوله وحيدا الى وصفين
احدهما ذرنى ومن خلقت وحدى لم اشرك فى خلقه له احدا وخولته ووسعت له فى الرزق و
الحدوث منه ثم هو يعبد غيرى ويدين لسواى دونى واياه وعيد منه شديد والوجه الاخر ان يكون
قوله وحيدا وصفا للعبد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم يخرج من بطن امه
احمر لا قشر عليه ثم يرزقه الله وجعلت له مالا ممدودا اى واسعا عريضا وبنين شهودا
وصفهم بانهم يشهدونه ويشهدهم وهذا تعريض بسعة الرزق والتمكن ولا يبعثهم عنه
فى طلب الارباح ضربا فى الارض اشار الى ذلك قوله ومهدت له تمهيدا يقول جل جلاله ثم يطمع ان
ازيد اى فى الاخرة على شكه فى وجودها يقول انه كان لا بد من ذلك بعد هذا فانا فيها اوسع حالا
واكثر رزقا كما قال غيره ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا يقول الله جل ذكره كلا
انه كان لاياتنا عنيدا يعنى معاندا مانع عن الايمان بها ومجادل فيها والجنة لا يدخلها الا المؤمنون

بل النار ماواه نعوذ بالله من عذابه كثيره وقليله سارهقه صعودا روى ابو سعيد الخدرى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل في النار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا
نظم بذلك جل ذكره انه فكر وقدر ذكر انه الوليد بن المغيرة فكر فيما سمع من القران وقدر في
فى نفسه بما تقرر في هاجس من شعر وسحر وكهانة وجنون يقول الله جل قوله فقتل كيف قدر
ثم قتل كيف قدر وهو دعاء عليه مجاب لا محالة الاولى منها لتفكيره كيف فكر والثانية لتقديره كيف
قدر ومن عذابه هذا في البرزخ وفي دار القرار القتل زايدا على عذاب المعذب لكاهل هذا الدعاء
هل تجزون الا ما كنتم تعملون لما كان فكره ذلك وتقديره مانعا لبعض شعبا من حيوة الايمان
اصيب بقتل حيوة جسمه بعد الموت ابدا والعرب يدعو بذلك على اعداها ثم كثر استعمال
ذلك واتسعوا فيه لعادتهم فربما قالوا ذلك مع الاستحسان فيقولون قاتله الله ما اشعره قاتله
الله ما اظرفه واما قول الله عز وجل حق ودعاؤه مجاب لا محالة تبع ذلك قوله عز وجل ثم نظر
اى بقلبه الوسنان وعقله القاصر ثم عبس الوجه من يريد في الوجه مع تقبض الجلد ما بين
العينين ثم قال وبسر البسور هيئة في الوجه يدل على تحزن في القلب اما لحيرة فانه كان
لا يوافق عليه ما يقرف القران به من شعر وسحر لانه قال سمعنا الشعر رجزه وهزجه
ورأينا المجنون تخبطه وخيله فكان لا يسلم عليه ما كان يقرف فبدا العبوس في وجهه والبسور
حيرة نكس على راسه فادبر عن تحقيق النظر واستكبر عن قبول الحق يقول الله عز وجل ثم ادبر
واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر فكان جزاؤه على ذلك القتل ثم
وان يصليه سقر ثم وصف سقر وما ادريك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر اى تغير البشرات كما قال
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون نظم بذلك قوله عليها تسعة عشر ذكر هذه العدة ولم
الحق يمكن ان يكون تسعة عشر صنفا من الملائكة عليهم السلام او تسعة عشر ملكا ثم لا يعلم
عدد اتباعهم ولا مقدار مددهم الا الله وقد جاء في الخبر ان الله جل ذكره يقول للكافر خذوه
فيبدره سبعون الف ملك فقيل انه ينقطع في ايديهم لشدة بطشهم وقوة اخذهم فيقول
الا ترحموني فيقولون لم ارحم الراحمين لم يرحمك افنحن نرحمك وقول الله هو الحق الا انه
وما يعلم جنود ربك الا هو يقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اما استيقان اهل الكتاب فلاجل اتفاق ما جاء به القران من هذا بما جاءهم في كتابهم فيردف العلم
العلم فيصير يقينا وروى عن جابر بن عبد الله ان قوما من اهل الكتاب جاؤا النبي في قصة فيها طول
وفيها انهم سالوه عن خزنة جهنم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده هكذا وهكذا في مرة
عشر وفي مرة تسعة فقالوا بارك الله عليك يا ابا القسم سالهم ما تربة الجنة قال فسكتوا هنيهة
ثم قالوا احرى يا ابا القسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدرمك واما نفى الارتياب عن
الذين امنوا ومزيد الايمان لاخرين منهم فالذى تقدم من ان جنود الله لا يحصى ولو اخر
لم يكونوا الا تسعة عشر او ملكا واحدا ثم اراد رب العزة جل جلاله وتعالى علاؤه و
ما شاء لكان ما شاءه منهم لانهم من امره وبامره يعملون بل لو لم تكن الملائكة والنار
في الوجود لعذبهم بانفسهم وانفاسهم وسوءهم واكلهم وشربهم اذا شاء ربك

اشد عذاب النار ثم اقسم جل وعز كلا والقمر والليل اذ ادبر قرئ بالمد وبالقصر
اذ ادبر واذا دبر انها يعنى جهنم لاحدى الكبر اثبت وجودها في معنى التذكار لئلا يتوهم
متوهم عدمها في الحقيقة بل هي احدى الكبر اى لهذه الدار كيف لا وانما تناسبت نعيمها
واسد على سمها وبردها فتح رحمة عن جنبه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده نذيرا للبشر اى جعلنا ذلك نذيرا للبشر ولكم بالنذارة
بالرسول والرسالة لمن شاء منكم ان يتقدم الى نيل رحمته والصعود الى الجنة التى فتح هذه الرحمة
عنها او يتاخر الى البعد عن الله تعالى والنار الكبرى التى بردها هنا وحرها موجود عنها
كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين ليسوا مرتهنين باعمالهم بل هم المكرمون بها قوله
تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة هو الاسد ويقال
القسورة صيح الناس وكثرتهم نظم بذلك قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة هو كما قال غيرهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله كلا بل لا يخافون الاخرة
كلا انه تذكرة امارة الاخرة في الدنيا ويكون المراد ايضا بالتذكرة السورة ينتظم بقوله
انه هذا الا قول البشر فمن شاء ذكره القران هو اهل التقوى واهل المغفرة روى انس عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قرا هذه الاية ثم قال يقول الله يا اهل ان ابقى فمن ابقانى فلم يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له

سورة القيمة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم العرض في هذه السورة اثبات الاعادة بعد البداية واثبات الكسب للعبد
وتصحيح اضافة الفعل اليه مع احراز العلم بتحقيق القدر وان لا حول ولا قوة الا بالله وانه
لا شئ الا بمشية الله ولذلك وهو اعلم اقسم بقسمين احدهما يوم القيمة اذ كانت الاعادة محل
اجلها وبالنفس اللوامة اذ المؤمن يلوم نفسه على اتيان المعاصى جنايات الولات وعمدا
في تقديره ذلك عليه يستغفره من ذنبه والكافر يجد نفسه ويلوم دبره ويصر على ذنبه ويتم
على فعله فاقسم الله جل ذكره بخيرها وافضلهما وعرض ثالث هو الاعلام بان القران منزل
من عند الله جل ذكره قولا ومعنى لا كسب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم الا الاستماع لما يوحى والتبليغ
ولما كان القران ككل سورة واحدة ويقدم فيما تلاه علينا انكار المنكرين للايمان ما بعدوا
ان يصفوا الله تعالى بالقدرة على احيائهم في حال كونهم رميما وترابا كان معنى استفتاح السورة
بلا في القسمين نفيا لما زعموه وتكذيبا لظنهم الذى ظنوه ثم اظهر ذلك بقوله ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه ثم قال بلى قادرين على ان نسوى بنانه البنان هى اصابع اليدين والبنان
اعضاء الانسان يقول الله عز من قائل اعظمتم جمعنا عظامكم البعض منها الى البعض وطلب
مواد الخلقة اليها التى انتزعناها عنها حال البلاء منه فنايها بل ونحن قادرون على تسوية بنيته
خلقا سويا بالحكمة التى اوجدناها عليه والقدرة التى قدرناها على الخلق اولا نظم بذلك
قوله بل يريد الانسان ليفجر امامه ان كان الضمير الذى في قوله امامه راجعا الى الانسان فمعناه تقديم
المعصية وتاخيره التوبة من قولهم مضى فلان على وجهه اى على غير مقصد ولا الى مبلغ وان
كانت راجعة الى الله جل ذكره فمعناه بل يريد الانسان ليفجر امامه اى بين يدى الله ومشاهد
منه وحذف هنا كلاما معناه ما عبر عنه ويطمع الانسان باخذه به او بجازيه بفجوره وكان

هذا معناه فاذا ذكر التذكير بعقاب الله قال ايان يوم القيمة اتبع ذلك ما هو منتظم
بقوله جل وعز فاذا برق البصر يعني حين الموت وخسف القمر وجمع الشمس والقمر طلوع
الشمس من مغربها يقول الانسان يومئذ اين المفر يقول الله جل ذكره كلا لا وزر الى ربك
يومئذ المستقر كقوله وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا منجا ولا ملجا منك الا اليك يقول الله جل من قائل ينبأ الانسان يومئذ بما قدم
واخر كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله انت المقدم وانت المؤخر
فالانسان منوط به فعله مضاف اليه خيره او شره ان كان خيرا فمن الله وان كان شرا فمن
نفسه فمن عقد على نفسه للعزيز الرحيم هذا العقد واقر به وامكن رقبته من ربقة العبودية
وجد في اسباب الخلاص واجهد نفسه في مرضات ربه رحمه والا اخذه بعلمه فيه نظم بذلك
قول الحق عز وجل بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره كقولهم لو شاء الله ما
اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء يقول الله عز وجل هذا وهو على كفره مقيم على اطراحه
حاسة انه ليعلم حين اتيانه الذنب انه مختار له قاصد اليه وان قال في ذلك انه على مقدر وانا لا حول
ولا قوة الا بالله فانه يجد نفسه مطيعة لذاتها مخالفة لربها معسطة بما هو عليه فرحه به فمن لام
نفسه وعصاها وحمد فعله به واطاعه واستغفر لذنبه فهو المحمود المثاب ومتى حمد نفسه واطاعها
ولام ربه في عصاه واصر على ذنوبه فهو المذموم الملعون المعاقب **قوله** تعالى لا تحرك به
لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه اعلم الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ان القرآن
منزل على الرسول قولا ومعنى لا كسب له فيه ولا عبارة عنه بل انما سكونه لتلقاه فيخرجه الله
على لسانه قرآنا عربيا ليبلغه الى الناس بقوله جل وعز فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا
بيانه اي على لسانك والسنة العلماء من امتك بعدك اتبع ذلك قوله تعالى كلا بل تحبون العاجلة
وتذرون الاخرة انتظم هذا الكلام بما عبر عن تكذيبهم بالرجعة واصرارهم على الكفر
وترك التوبة نظم بذلك ما هو في معناه قوله جل جلاله وجوه يومئذ يعني اليوم الاخر ناضرة
الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة الظن هنا بمعنى اليقين
والفاقرة المهلكة لانها تقطع فقار الظهر يقول قد ايقنت بالفاقرة تصيبها **فصل**
اعلم الله جل جلاله بصدق قيله ان النظر في الحيوة الاخرة بقوله وجوه يومئذ ناضرة اي
ناعمة الى ربها ناظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون ربكم عيانا كما ترون
الشمس صحو ليس دونها سحاب وكما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رويتهما ولا
تضارون وقال الله عز من قائل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق ثم قال يفصل الايات لقوم يعلمون
ان الذين لا يرجون لقاءنا قال نوح عليه السلام لقومه ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد
خلقكم اطوارا الى اخر المعنى وقد تقدم انه كما جعل في هذه الدار منافع ما ههنا مقتضية
على مطالع الشمس والقمر وسفيه ما سخرهما له باذن الله بواسطة الملائكة انشاء تعالى في ذلك
القائمين له فيها بامره فاذا فوض السماء وبدلت الارض والسماء وكورت الشمس وخسف القمر وانكدرت
النجوم وانجز لعباده ما وعدهم به من كريم الجوار كان فيما هو به موجود في على المكان ما هو

الشمس والقمر آيتان في هذه الدار وما هو هنا الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما
ايته عليه فيما هنالك وذلك فيما هنالك هو الحق المبين واية النهار ضياء واية الليل نور
وهو المتجلي لهم بذلك الضياء وذلك النور كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترون
ربكم كما ترون الشمس والقمر صحوا وكما ترون القمر فذكر القمر بدولته وعمومه مدة الليل
والشمس لشمولها على مدة النهار لكن ذلك التجلي لا افول ولا غروب ولا انتقال ولا اضمحلال
ولاجل ذلك تبرأ ابراهيم عليه السلام من ان تعبد الشمس والقمر والكوكب لانه لما راى
فيهن من مخايل الحدث واذان النقص وعلامات الافتقار **فصل** ولتعلم انه جل جلاله
لا يتجلى لعباده بمتجلى قد تقدم ضياء ونورا انما هو تجلي مجدد ابد الابدين كما لا يحرم صورة
يخلق عنها كذلك لا يحدد ظهورا قد كان اية ذلك الشمس والقمر والكوكب لا يطلع الطالع
عنها حيث طلع بالامس قال الله عز وجل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
ثم قال يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شان فكان الشمس والقمر والكوكب كل
يوم في مطلع كذلك له ظهور غير ظهور قد كان لذلك قال عز من قائل ما خلق الله ذلك الا بالحق
الى قوله ان في اختلاف الليل والنهار لايات لقوم يتقون الى قوله ان الذين امنوا وعملوا
الصلحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام كما قال سلام قولا من رب رحيم وقال عز قوله واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقال نوح عليه السلام ما لكم لا ترجون لله وقارا وهو
وصف الجلال والكبرياء والجمال والبهاء والسناء ونحو هذا وتجديد ظهور التجلي قال
ابراهيم عليه السلام لما راى السبب نزل به ما هذا يا رب قال وقارا يا ابراهيم ان هذا تجديد
ظهور لك او نحو هذا فقال رب زدني وقارا **قوله** تعالى كلا اذا بلغت التراقي يعني
النفس وطلب الاساة والرقى وايقن بالفراق والتفت الساق بالساق وشدة ما هو فيه
من علز الموت وحسرة الفوت ومرارة الفراق لهول ما يعاين من هول المطلع فيلقى الله جل
ثناؤه فلا صدق ولا صلى اي وجد لا مصليا ولا مزكيا ولا مصدقا بل كان مكذبا بلقاء
الله والدار الاخرة ثم ذهب الى اهله يتمطى يمشي متمطيا وهي مشية المتجبر ماخوذ من
المطا وهو الظهر اذا مشى لوى ظهره ويقال انها نزلت في ابي جهل وهي عامة فيمن عمل بعمله
واستن بسنته نظم بذلك قوله عز من قائل اولى لك فاولى كلمة وعيد وتهديد اولى لك
ان تترك ما انت عليه وتقبل الى ربك وقد يكون بمعنى النصيحة للرسول والمراد بذلك كل
المؤمنين اولى لك ان تقدم لذلك اليوم فاولى لك ان تاخذ حذرك ثم اولى لك فاولى
فهذه لمن كذب بالاعادة والاولى لمن قلب مراقبته ربه واصر على دينه واعسط بحرمه نظم
بذلك قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا الم يك نطفة من مني يمنى فوصف بالياء والتاء
فالتاء من وصف النطفة والياء من وصف المني يقول عز من قائل هل رايتم النطفة تركت على حالها
حتى جعلت علقة وكذلك العلقة لم تزل حتى خلقت مضغة وكذلك المضغة الى اخر درجات
النطفة والانبا كذلك لستم بمتروكين امواتا حتى يخلقكم ثانية ليجزيكم بما عملتم وكما صح بناء الفعل
الاول كذلك في الاخرة ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي

الموتى انتظم هذا بقوله جل الانسان ان لن نجمع عظامه بلى والله صدق الله وانا على ذلك من الشاهدين

سورة الانسان مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا معنى هل هنا بمعنى ليس وهو لغة والمقصود التقرير من قولهم الست اخي الست
صاحبي قال الله عز وجل الست بربكم ولما تقدم ذكر الاعادة واثباتها وانكارهم بها انتظم
اول هذه السورة بما يجري في التي قبلها قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى اليس قد اتى
على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا يقول اوجدناه من عدم وصورناه على غير مثال
فكيف ينكرون اعادته بعد هذا ثم جعل يخبر بصدق قيل من خلقه بقوله انا خلقنا الانسان
من نطفة امشاج جمع مشيج كخلط واخلاط نبتليه اي نبتليه غدا اخبار منه عن خلق آدم عليه السلام
ثم عن خلقه بنيه من بعده بالتبعية يقول مشيج الامشاج بحكمته واثار الكون اي التصوير
والتخطيط والتقدير واصار الامشاج الى مقصود الخلقة من العدم من حيث التعبد
والامشاج هنا ممزوج الفيحين مع الفتح مع المقصود بالمشيئة معا اشمال جمع ذلك كله
صنع الصانع وخلق الخالق وهذا المعنى بقوله نبتليه قال فجعلناه سميعا بصيرا لما كان في ممزج
الامشاج مقتضيا الحق المخلوق بالسموات والارض وما بينهما وكان ثمة في امشاج ذلك جعله
سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا ثم الى انهى الاسماء والصفات وكان ايضا جاهلا ابكم اصم اعمى
غائبا قاسيا ثم ابتلاه بالامر والنهي في المامور والمنهي وكان معنى الكفر والايمان جميع المامور
والمنهي عنه في امشاج ما خلقه منه كما انه لما مشج بامشاج ابيه وامشاج امه اشبههما وكان
شبها الى من غلب عليه منهما كذلك اشبه ما يكون عنه من فيح وفتح والى ايهما مالت به المشيئة
العالية كان اقرب شبها ثم اليه الامر من قبل ومن بعد في تقليب المشيئة بالهداية والاضلال لذلك
يقول عز من قائل انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا يقول الله جل من قائل هو اعلم بكم اذ انشأكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى في اول الامر يوم قال
هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون وهؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وانما الاسلام بالامر
والنهي لعموم الحجة له وعليه انا هديناه السبيل يعني سبيل الهداية والضلالة اما شاكرا واما كفورا
ثم اخذ في وصف ما اعده للكافرين والشكور بقوله انا اعتدنا للكافرين الى اخر المعنى وكانت السورة
اميل الى البشارة فامعن في وصف ذلك لقدمه لكن قدمه قبل الخلق ان رحمتي تغلب غضبي وكان
آدم عليه السلام اولا فيما هذا سبيله فغلب رحمته على غضبه والحمد لله رب العالمين **قوله**
تعالى ان الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا لا يقال كاس الا لما فيه الشراب يقول كان مزاج
الكاس كافورا وهي عين من عين الزنجبيل والابرار الذين بروا الله جل جلاله وتعالى علاؤه
وشانه واطاعوه وصدقوه في اقوالهم وافعالهم ووصفهم بانهم يوفون بالنذر ويخافون
اليوم الاخر وهو ما حذر منه لا فيقوله ولكنه فاولى ثم اولى لك فاولى وباطعام الطعام المسكين
واليتيم والاسير ولم يكن يومئذ اسيرا الا كافرا وما اراه الا مخبرا عما يكون بعد ذلك من حبس
اسير ووصفهم بالاخلاص في قوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ووصف
اليوم بالعبوس لكثرة من يعبس فيه والقمطرير الممتزج البشر المقطر الكثر اي اجتمع واشتد ومنها

اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطرتها ورمت بانفها والمسطر القاشي المنتشر
والنضرة النعمة وجوه يومئذ ناضرة اي ناعمة تعرف في وجوههم نضرة النعيم
والنظرة بالطاء ساكنة الطاء نظرة العين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل
الجنة لمن ينظر الى ازواجه وخدمه مسيرة الف سنة واكرمهم على الله لمن ينظر الى وجهه غدوة
وعشية ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة **قوله** تعالى لا يرون
فيها شمسا ولا زمهريرا لما كان الحر في الدنيا عن وجود جهنم بواسطة الشمس ونحو الحر
والزمهرير بامرة في انتقالها صاعدة وسافلة في مشارقها ومغاربها اجتزا بذكرها عن ذكر
الحر واعتمد في مقابلتها على ذكر الزمهرير انما هو فيما هنالك نور تاق وضياء على منير ونضيق
اللغة عن عبارة وصف ما هنا لك كفى بالله حسيبا هو الحق المبين انه ما هنا من حق مخلوق
السموات والارض وما فيهن واما ظلال اشجارها فهو روح ازاله يجدونه ووجد نعيم يجدونه
واما قوله جل جلاله ويدخلهم ظلا ظليلا فهو ظل جوار الملك الاعلى عز مجد ونزواهن
معهود ورضوان مستصحب وذللت قطوفها تذليلا يطيعهم بعيدها وقريبها دنوا
ذلك وسواح هذا **قوله** تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت قواريرا اي هي
من قوارير وكل شفاف يصف ما فيه وما وراءه فهو قارورة وكانما قيل له ذلك لان الذي
يجعل فيه يقر وقد كان في مراى العين لصفاء الاناء حما سل قوارير من فضة يقول
جل قوله وهذه القوارير من فضة واصل القوارير فيما ههنا رمل وجندل وهو على
ذلك شفاف يرى باطنه من ظاهره وفضة ما هنالك ليست كهذه انما يناسبها هذه تسمية لا
بها وصنعتها الملائكة عليهم السلام يقول الله جل قوله قدروها تقديرا اي الملائكة قدروها
وصنعه قوارير ما ههنا آدميون فاقدروا اقدر ما بين الصناع واصنع المصنوع
منه ارض من فضة وارض من ذهب وارض من نور ان هذا لهو الفضل المبين **قوله** عز
وجل ويطوف عليهم ولدان مخلدون يلحق صغيرهم بكبيرهم ويتوقف كبيرهم على قد
الصبيان يخلدون على ذلك السن وهم الولدان الذين ماتوا قبل وجود التكليف عليهم فانهم
ماتوا على الفطرة واري والله اعلم انهم اولاد الكفار فنصيرهم الله خدما لاهل الجنة
كما كانوا لهم في الدنيا سبيا وخدما واما اولاد المؤمنين فهم مع ابائهم وحكمهم والله اعلم
في الجنة غير هذا واري انهم ينشؤون ويملكون وهو من قوله عز من قائل الحقنا بهم ذرياتهم
وبذلك يتم سرور الاباء بهم سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من مات صغيرا قبل بلوغ
السعي ووجوب التكليف فقال الله اعلم بما كانوا عاملين اذاه والله اعلم بما ينزل انما اراد بقوله هذا
فسر قوله والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اي الحقناهم بابائهم سنا
وملكا على ما قد كان سبقهم في علمه تعالى انهم عاملون ولو بلغ بهم فانه العالم بما لا يكون كيف كان
يكون لو كان على هذا التاويل يجمع الروايات وبهذا يتم السرور للاباء والابناء وقد قال صلى الله
عليه وسلم في ابنه ابراهيم يوم مات ان لابراهيم لظئرين يتمان رضاعه في الجنة فاسا يستقبال شبابا
فيما هنالك يقول عز من قائل وما التناهم من عملهم من شيء اي من عمل كنا قدرناهم ان يعملوا
لو ادركوا فعلى هذا الخطاب لم ينقصهم من مقدار غير المعهود لسنا ليس كذلك اولاد الكبار فانهم على

يكونون فيما هنالك علما انا مخلدون لا يعذبون بما لم يعملوه فضلا من الله ونعمة وعيدا
هؤلاء كل نفس بما كسبت رهينة اتبع هذا قوله عز وجل اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا
يعني صفاء وبياضا واذا رايت ثم استحسنوا الذ نعمه الكفاري على قوله ثم دمعة تبين
لنا المراد قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر وقراها مجاهد عليهم ثياب بغير الفوارى
عن عايشة انها قرات عليهم ثياب سندس قرا محمد بن حبنا عليهم ثيابا سندس خضر واستبرق
محيصن واستبرق مفتوحة القاف موصولة وقال هو اسم اعجمي فارسي لا ينصرف ومااراه الا
ماخوذا من البريق بريق النور وعلى ذلك يتم معه قراءة ابن محيصن يقول عاليهم ثياب خضر
واستبرق فاستفعل من البريق فهو فعل ماض وهي قراءة عالية وبخلف في الرواية كانه بانه
نعران بحدود وخلوا اساور من فضة قيل ان هذه الحلية والثياب هي للولدان ثم قال عز
من قائل وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني الاولياء عليهم السلام فلا يبقى في بواطنهم غش
ولا غل ولا وسواس طبع ولا تشتهون الا ما يرضي ما يكيهم ولا يريدون الا ما يريدهم ولا
الايمان رضا ولا يرضيهم الا ما يرضيه وفاق كاملا وسمحا با مطهرة واخلاق مصطفاة
لا عوج فيها ولا تبديل عن ذلك لما اطاعوه في الدنيا وجاهدوا الانفس عن مرادها الى ما
يرضيه اثابهم على ذلك اذ دفع ما جاهدوا انفسهم عليه بقوله الله عز وجل ان هذا كان لكم جزاء
اي لمجاهدتكم انفسكم عن هواها الى ما يرضي وكان سعيكم مشكورا وفيما هنالك يتم لهم
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الى قوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون قوله
تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا انتظام هذا الخطاب يعني ما تقدم ذكره من طعنهم على الرسالة
وقولهم في القران فامره بالصبر على ذلك حتى ياتي نصر الله ثم قال ولا تطع منهم آثما او كفورا
هو العامل بالا يرضي الله وقد قيل او هنا بمعنى العطف وليس ذلك بمنكر وتاويله على
وجهها احسن كما قال ولا تطع الكافرين والمنافقين فيكون المعنى فلا تطع عاصيا عصيا
ولا كفورا انظم ذلك بما على السبيل وكيفية التوصل الى رضا بقوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا يعني
وهو اعلم عامر لصلوة الفريضة ثم قال ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا يعني التولي
والعمل بالطاعة وقد قدم الدراسة والصبر على وحشة الوحدة وان حسن السلك اتبع ذلك
قوله عز من قائل ان هولاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا انتظم هذا التوكلا
بل يحبون العاجلة وتذرون الاخرة وتقوله يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
قوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي شددنا خلقهم
وقواهم تقول العرب ما احسن اسر فلان منه ثم قال واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي
نذهبهم فيذهب بذلك اشد ما اسر منهم ونقدمهم ظاهرا وبدلنا امثالهم لاهل الاخرة
سبيلا حقيقيا وتلك المثالات هي غيرهم انما الحكم في ذلك انه اظهرهم في الدنيا ما شاء ثم يقدمهم
منها بالحق ويظهرهم لاهل الاخرة فيكون بذلك قد اظهر ما ابطن ثم هو بعد يبطن ما اظهر في
الدنيا اعني الاجساد يصيرها الى التراب ثم يحيي ذلك في يوم الجمع فيظهرها لاهل الدنيا واهل
الاخرة وليس يومئذ الا الاخرة وهو الحكيم العليم هذا منتظم بما بدات السورة من قوله هل
اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ظاهر هذا منتظم كالقادر من معنى ذلك

القيمة

القيمة نظم بذلك قوله تعالى ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا كما تقدم يوم كبر
ووعظ ليستيقظ من سبق من الله ذلك فيتخذ سبيلا الى ربه وهو الايمان والعمل الصالح
سبيل التذكرة في هذا المطلوب المسوض المتذكر معنى ما تقدم من استبعاد الكفار الانشاء
والاعادة بعد ان كانوا عظاما او رفاتا وبعد ان ضلت اجسامهم في الارض فصاروا ترابا
واديع طوارهم سواء لا في اصوطها وتذكر قوله جل ذكره ردا عليهم بحكمته البالغة ان تدبر هذه
الى اخر السورة ثم ما وصل بذلك قوله الحق هل اتى على الانسان حين من الدهر اي في الازل في
البدء الاول لم يكن شيئا مذكورا لغير الله جل ذكره حيث لا يوصف بموت ولا بحيوة
بل في علم الله العلي وقدرته ومشية وتقديره وكتبهم في اللوح بالقلم فصاروا الى ذلك
من مذكور العلم واللوح موجودين كتبا وعلما ثم اوجدهم للمعرفة واحضرهم لقضاء الحقيقة
واخذ العهد والميثاق فكانوا بذلك يومئذ معلومين لا نفسهم شاهدين لها وعليها
موجودين موصوفين بانهم احياء غير اموات ثم اماتهم عن تلك الحيوة قال الله عز وجل
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي هذه الحيوة التي نسميها الدنيا وعلى ما تقدم
ذكره في صدر الكتاب من وصف الخلقة الى جعله سميعا بصيرا ثم هداه سبيل الهدى والضلالة
تمام قوله انا خلقناهم الا ان في هذا الحيوة وشددنا اسرهم ثم قال وقوله الحق واذا شئنا
بدلنا امثالهم تبديلا الموت وامثالهم هذه هي التي كانت موجودة في علم الخالق ثم وجدها
ذواتا لاخذ الميثاق ثم اصارها في خزائن السموات والارض ثم اوجدها لهذه الحيوة وهو الان
بدل امثالهم بعد هذه الحيوة عود بعد ذلك البدء المتقدم ثم اذا شاء جل وعز بدل اجسامهم
التي ضلت في الارض وفي انسامها منا لانها تبدلا بحياتهم هذه ورجعهم الى حياتهم يوم
الاقرار واخذ المواثيق ومثالاتهم حال موتهم عن حياتهم حال الاقرار والاشهاد
وحياتهم الاخرة من حال موتهم عن هذه الحيوة رجعة الى ربهم في الوجود العلي المعبر عنه بقوله
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا هذا وهو اعلم قال ان هذه اي السورة
تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتخلق عن الفحص والتفحص مترددين بين الجنة والنار
ومن اوجب الالتزام انه من خلق من شيء فمصيره الذي رجوعه الى حقيقة ما خلق منه وانما يخرج من النار
ويدخل الجنة ايمانه بالله ورسله وكتبه وطاعته ربه كما انه يخرجه من الجنة ويدخله النار كفره
وتكبيره وشروره عن طاعة ربه وانما رب راجع لذلك هولا بوب عصمنا الله
والعامل قد سبق به سبق الاسماء والتسمية لذلك قسم حال الرجوع قسمين فريق في الجنة
وفريق في السعير اعاذنا الله الرحيم برحمته منها والرجوع الاعلى يحيون فيه ولا يموتون
والقسم الذي في الرجوع الادنى لا يحيون فيها ولا يموتون وخاطب ولا يخاطب الا السعداء
في قوله فمن شاء اتخذ وهو ظاهر او يوجد وعلى ما سبق ثم قبض الخطاب وحقق التوحيد بقوله
وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما اي عن لا يستحيل بداعي وهو لا يسمع المنادي
ومن لو يسمع ابصارهم ولو قيل ارجع ولو استجاب لم يبصر ولا يعاسر ونتشاغل عن التقدم
وعليه هداه على وظنه على يقينه فهو جاهله ويتركه حيث ترك عليما حكيما في حكمه وفصل
منتظم بهذا قوله عز وجل يدخل من يشاء في رحمته وان هذا ويمنع من يشاء

فى رحمته فيجعل من الظالمين وهم الذين اعد لهم عذابا اليما وقرأ عبد الله وما يشاؤن
الا ان يشاء الله بالله حرفا وهو اسم فى موضع مفعول فعلى هذا فهو يصح من شاء الى الاية تقاه
ويحرف من شاء عنها بواسطة مشيته كل واحد منهما المقوم ثم ما تقدم من التاويل فى قوله ان الله كان عليما حكيما

سورة المرسلات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله والمرسلات عرفا هى الرياح يرسلها الملائكة الموكلون بها
رياح رحمته وقيل العرف الجملة المتتابعة من قولهم جاء الناس عرفا واحدا والناشرات
نشرا الملائكة تنشر السحاب وتنشر رحمة الله فى كل امر باذن ربهم فالفارقات فرقا الملائكة
تفصل الجلالات وتفرق ذوات الاشيا من اعذبه نقيها او صور بصرفها واعرقها لكل موجود
من جماد ونبات وحيوان وجوده الذين اذن لهم فيه فيكون فى ذلك فعلهم بامره لا
يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فالملقيات ذكرا وقراها ابن عباس فالملقيات
ذكرا بتشديد القاف وفتح اللام فيكون معنى ذلك انهم يتلقون الذكر من رب العالمين
ويتلقون ايضا من الملائكة الرسل منهم اليهم ويتلقون الوحى اى يعلمون العباد تلاوة الوحى
ومعانيه ويكون معنى قوله فالملقيات انهم يلقون الوحى الى الانبياء والرسل والاولياء
والمؤمنين كل فى درجته ومرتبته يقولون لهم عند الموت اعنى الاولياء نحن اولياؤكم
فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة عذرا او نذرا والذكر اما ابعاد وتذكير وتخويف وانذار
واما اعذار وعذرا من لا عناد وقراه الحسن عذرا بالتثقيل اتبع ذلك قوله الحق
انما توعدون لواقع اتبع ذلك معلما متى يكون ذلك بقوله واذا النجوم طمست واذا السماء
فرجت واذا الجبال نسفت هذا اليوم قبل الذى قبله واذا الرسل اقتت الهمزة هنا مبدلة
من واو لان الاصل وقتت من الوقت اى الجزء للرسل ما وعدوا به وانما وعدوا اساويل ما اندرو
وبشروا اليوم الذى اجل لهم هو اليوم وهو يوم الفصل ثم عظم شانه لعظيم هول مطلعه
لقوله وما ادريك ما يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين اتبع ذلك قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين
فجعلناه فى قرار مكين يقول الم نخلقكم من منى والمنى على التراب والماء فى قرار مكين هو الرحم بما
اوجد فيه من امساكه باذنه وبنا فيه من انشاء خلقا من بعد خلق الى قدر معلوم من اجل ومقادير
خلق بلغها اياها وسمى الرحم قرارا كما سمى الارض لنا مستقرا وجعل لذلك المنى المخلوق منه اجلا
معلوما كما قال لنا ولكم فيها مستقر ومتاع الى حين فليست هذه ذا دارنا كما ليس الرحم بدارنا وانما
دار القرار هى الدار الاخرة فقدرنا بالتشديد يعنى اعمالهم وارزاقهم واجالهم وسعادتهم وشقاوتهم
فنعم القادرون اى على اخراج المقدر على ما الكم من غيب الى وجود ظاهر استاق الذوات
بمشيتها الى اخراج اعمالها وشقاوتها او سعادتها بالجرى فى اسباب ذلك وقرى بالتخفيف
فقدرنا اى على جميع مواد خلقهم من خزائن السموات والارض حين سواهم فنعم القادرون
نحن اذ على اعادتهم تاسا قول حق وحكم وفصل وبرهان بايح يضطر العقول السليمة الى وجوب
وجوده لا بد ولا محالة ويل يومئذ للمكذبين وقرأ عكرمة ملكناهم فنعم المالكون اى ابى عبلة
فقدرنا فنعم القادرون اى انه قدر على ما مضى وكذلك فى المستقبل والمقدرون من اقدر بقدر
اى انه قدر الملائكة عليهم السلام على جميع مواد الخلقة من خزائن السموات والارض وكذلك

قوله تعالى فملكنا فنعم المالكون اى اجدنا ذلك واجدنا ما يسكه من ملكت العجين املكه
وقد تقدم ان نون الجميع عبارة فى القران عن ملك الملائكة الملكوت على جميعهم السلام
لما كانوا بامره يعملون وباذنه يتقدمون ويتاخرون وباقدارهم اياهم يقدرون ادخلهم
فى ضمير ذكره جل ذكره ولعله الابتلاء وليحد المفتونون سبيلا الى فتنتهم اتبع ذلك قوله
تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا الاية هذا كله تقدير منه لعبادة على الاية واياته
الكفات الضم كفته ضممته احياء وامواتا يقول منها خلقناكم ومنها رزقناكم بواسطة
ما عناه بقوله واسقيناكم ماء اى من السماء فراتا اى عذبا وقد كان بصدد ان يكون اجاجا ملحا
وجعلنا الارض لكم قرارا مهادا وفراشا وقد كانت مباده فارسينا عليها الجبال الشامخات
فاستقرت لكم ثم صيرناكم اليها فى الارض امواتا نضمكم اليها فنكونونا اياها كما كنتم
اول مرة فخلقناكم من ترابها وماء السماء كذلك نخلقكم باستخرجكم باعمالكم فى دار قراركم
يوم البعث والفصل فى الحكم ويل يومئذ للمكذبين اى اليوم الذى اجلت اليه الرسل يوم الجمع والفصل
للمكذبين بالاعادة قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون هو عذاب الاخرة وقراها
يعقوب فى رواية ورش انطلقوا الى ظل على حكاية الوصف لما انطلقوا اليه الى ظل ذى ثلث شعب
قيل ان دخان جهنم يتشعب منه شعبة الى المحشر فيظلل الكفار باخذ بانفاسهم ولا يكنهم من حر
الشمس ويكون وصفه فى جهنم ما ذكره لا ظليل ولا يغنى من اللهب كما قال وظل من يحموم هو
الدخان لا بارد ولا كريم انها ترمى بشرر كالقصر بالفتح اى الشرر المرمى منها كقصر النخل
يقال قصر الشجر لاصولها واحدها قصر قال ابن عباس حزم الحطب بلوح حالم وردها
كانه جمالات صفر وذلك من ابدع شى تشبيها وقرى كالقصر وروى ذلك عن ابن جبير بكسر القاف
وفتح الصاد قال اصول الشجر وروى عن الحسن ايضا عن ابن عباس جمل وروى عن الحسن صفر
والجمع من هذه القراات والله الموفق للرشاد ان هذه الشرر كالقصر عظما بلوح فى مرها
استداد كاصول الشجر وكاعناق الجمالات الصفر سايرة والمعروف عند العرب ان الجمال السود
يقال لها صفر لان سوادها ابدا مشوب بصفرة ونار جهنم اعاذنا الله برحمته منها سوداء غير
منفصلة فاذا انفصلت شررها شابها اصفرار رجوعا بها الى لونها الاول وليكون ذلك زائدا
فى جزع المرمى بها وهى صواعق تلك الدار نعوذ بالله من عذابه وتضير من قرا كالجمالات وانها
جمالات السفن بضم بعضها الى بعض فذلك تشبيه حال هى لها الى المقصى بها وقد يكون معنى قوله
جل من قائل انطلقوا الى ظل ذى ثلث شعب ان جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها ذات ثلث
صفات عليها ابنيت وتاسست وهى الحرارة واليبوسة وهذه هى النار ثم البرودة واليبوسة
وهذه هى الزمهرير وهذه ثلث صفات عنها تفصلت شعبها كلها وما كان فيها من حميم وغساق
وغسلين ونحوها من المايعات فى مثل الحميم المنزل عليهم من علوها بدلا من الماء المنزل علينا
فى دار الدنيا قال عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود وهذا
كله قد غلب عليه فيما هنالك الحر واليبس ليس فيما هنالك ما يمطرون به فتحا عن رحمته لو
لغلب على الظن ان كل ما تصب عليهم من علوها محض فيما وجدت له جهنم واعظمه نكالا من حيث
هو عن امر زائد على ما هى جهنم ذكر جهنم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما فى اصحابه

ومطرت السماء فظل يتوكف بيديه ويحسر عن راسه حتى يصيبه الماء فقيل له في ذلك فقال
انه حديث عهد بربه فوحا عليه السلام رحمة ربه في السماء لقربه منها للملوين فكذلك يكون له
وصف زائد من العصب لحدثانه ايضا بربه نعوذ بالله من ذلك الدارين قال ويل يومئذ للمكذبين
بعذاب الاخرة وبيوم الفصل نطق بذلك قوله الحق جل قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون دونهي مواطن ولتمام احكامها سميت اياما وياتي مواطن يطلق لهم النطق
ولا عذار ثم لا ينفعهم كما قد كانوا في الحيوة الدنيا لا ينطقون بالتوحيد ولا يدينون
بالتصديق الكتب والرسل ثم حين حضور الموت لا بد لهم من الندامة فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب وعند مسائلة الحضرة منطق وشهد ولا ينفعه ذلك ان المتقين في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون لما امنوا بالجنة ادخلوها و
عملوا لها رزقوا وصف ما اكتسبوه ولما عملوا لله جل ذكره قربهم واكرمهم لعما هم وحياهم
بالسلام ولما كذب المكذبون بالنار دخلوها ولما عملوا اعمالا هي لها عذبوا فوصف ما عملوا
جزاء بما كانوا يكسبون كذلك لما كذبوا بالجنة ولما لم يعملوا لله اعمالا يؤكدا ليها حرموها **فصل**
واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فباي حديث بعده يؤمنون **قوله**
جاء في القرآن الكريم لويل للمكذبين وللمجرمين ويل لهم من يومهم الذي يوعدون وقال
كثير من المفسرين هو واد في جهنم كذلك قالوا ايضا في قوله فسوف يلقون غيا وفي قوله
ومن يفعل ذلك يلق اثاما ونحو هذا وانكر بعضهم ان يكون هذه المسميات اودية في جهنم
اذ لم يرد بهذا نص جلي ولا خبر صحيح يثبت ان يكون لها هناك وجود قالوا وانما هي معان
يتعارفها الناس من مذموم وممدوح يعبر عنها اهل كل لسان بما استقرت عليه السنتهم و
استمرت عليه في ذلك عادتهم ثم استمر هؤلاء القائلون على نحو هذا من كلام غير محصل
ولا مفيد ومثل هذه المسميات فليس بمنكر ان يكون لها وجود هي لما ههنا من معانيها اصول
انتزعت عنها وانما تعرف العرب واهل الالسنة من حيث اخذت والاصل الذي عنه انتزعت جهنم
اصل لكل شر هو في هذه الدار موجود ومخوف عنها انتزع كما الجنة هي في هذه الدار اصل لكل
خير موجود ومرجى عنها انتزع وعن اثارها وجد ماههنا لمن عقل سر المراد ووقف قدمه على
حقيقة الوجود وهذه معان يسدد ذوي النهى على ما انتزعت عنه هنالك فافهم وبينه لتدبر هذه
الجملة واستقرو هكذا امثالها في هذه وهذه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى والله المستعان

سورة عم يتساءلون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قرأ الضحاك عم ولا يكون هذا الا مع الوقف عليها وقرأ عكرمة
عما يتساءلون بالالف عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون وقال في سورة ص قل هو نبأ عظيم
انتم عنه معرضون وقد كان قدم ذكر الجنة واهلها وذكر النار واهلها واما ههنا والله اعلم
بما ينزل فانه نبه على الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما فهو النبأ العظيم والذي اختلفوا فيه
هو الاعادة واليوم الاخر ووجود الجزائين الجنة والنار واما الحق المذكور فلم يكن لهم بمعلوم
فيختلفون فيه لذلك قال وهو اعلم كلا سيعلمون بذلك اذا هم عاينوا ذلك عند الموت وبعده
ثم كلا سيعلمون يوم البعث اذا اصلوها تعلى الله جل من قائل الم نجعل الارض مهادا الى قوله

وانزلنا

وانزلنا من المعصرات وهي السحاب ماء ثجاجا وقيل هي الرياح ولذلك قرأ ابن عباس وانزلنا
بالمعصرات يعني الرياح ومن قرأ من المعصرات فهي السحاب لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا ثم
قال ان يوم الفصل كان ميقاتا فهذا من النبأ العظيم الذي دلت عليه شواهده التي ذكر بعضها
لتدل على وجود الجنة الى قوله ان جهنم كانت مرصادا وقرأها ابو معمر ان جهنم كانت مرصادا
الى قوله غساقا قال والمعنى شراب اهل جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها طول دوام الزمهرير
وذلك ما يخرج منهم من دماء وصديد وغير ذلك غساق يعني خرج والحميم شرابهم طول
دوام السعير يقول جل وعز جزاء وفاقا يقول وهو اعلم بما ينزل وافق جزاؤنا هذا
اياهم تكذيبهم باياتنا على ما هو للحق المخلوق به السموات والارض كما وافق جزاؤنا المتقين الجنة
ما صدقوا به من اياتنا وعملوا به يقول الله جل من قائل انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا
باياتنا كذابا الى قوله ان للمتقين مفازا حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا
هذه موجودات هنالك دلت عليها موجودات ما هنا لمن له عقل حاضر فلت سبقت الى قوله
عطاء حسابا اي ان ذلك الجزاء كفاء الايمان بما ههنا من ايات عليه وعمل له وقرأ ابو السمال
عطاء حسابا وقال ابن عباس عطاء حسبا ويقال للرجل اذا اكثر العطية عطاء حسابا
رب السموات والارض وما بينهما فعرض بذكر الحق المخلوق به السموات والارض ثم قال يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق هذا كلها ايات
فيما ههنا شاهدات الصوات من الكلم شهادة التوحيد ثم ما كان من شانها ثم قال فمن شاء
اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا يرجع اليه **قوله** تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا كما قال عز من
قائل انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقال عز من قائل ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين وقال ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين ثم قال وما هم
عنها بغائبين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة اقرب الى احدكم من شسع نعله والنار
كذلك ثم قال عز من قائل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ووقف على ما عمل من خير وشر ويقول الكافر
يا ليتني كنت ترابا اي ولم احدث كما قال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى
بهم الارض اي لو يكونون سواء مع التراب وليس بمصيب من قال ان الوحوش والهوام وسائر
الارض والطير وغير ذلك من الموجودات غير المكلفين يقال لهم يوم القيامة كوني ترابا لم يخلق الله
شيئا باطلا كيف وهو القائل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فويل للذين كفروا من النار والذين امنوا وعملوا الصالحات من المكلفين وغيرهم يدخلون
الجنة والمفسدون يجعلون في جهنم فانهم كما قال الله جل من قائل ليميز الخبيث من الطيب ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم غير ان الفرق بين من هو مكلف وما ليس
بمكلف ان المكلف ينعم ههنا ويعذب ههنا وغير المكلف لا عذاب عليه وانما جعل ما جعل
من خبيثات ما ههنا ومفسداته ايات على ما هنالك حيث انفصلت دلائل على قدرته وحياته
وارادته وعلمه وكلامه بوجوده العلي سبحانه وله الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه يرجع الامر
كله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى لنا ريحانا فلا يرده فانه خرج من الجنة خلقنا من الارض
فهو مرجعنا اليها وابدانا عن وجوده العلي فرجوعنا اليه واجب كائن لا محالة ولا ريب

وخلقنا من فيح جهنم و فيح رحمته فنحن لا محالة راجعون اليهما لكنه حتم على نفسه ان
من امن به وبرسله واياته واطاعه ان يعفيه من جهنم ويدخله في رحمته وانه من كفر به وبرسله
واياته ان يدخله جهنم خالدا فيها يا ليت شعري الذين اقطعهم الايمان والعمل الصالح
في ازله هل خلقهم من الجنة نعم فلذلك يرجعهم اليها وقال فيهم هؤلاء للجنة وبعمل اهل
الجنة يعملون وبالضد فيمن قال فيهم هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقد راعى
هؤلاء وهؤلاء مصطفة من حيث خلقهم واما بعدا ظاهرهم فقد تبين انه خلقهم من
القرارين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار
وخلق لها اهلا ربنا علمنا من علمك قال الله عز وجل والسموات مطويات بيمينه والارض جميعا
قبضته يوم القيمة فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال هم اهل النار قال ثم خلط بينهم هم المخلوقون من موضع ممتزج كقولهم

سورة النازعات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا هم الملائكة عليهم السلام يخرجون
انفس الكفار يقال قد غرق في النزع اذا كان في حال الموت ويخرج انفس المؤمنين بنشطها
كما ينشط البعير من عقاله والانشوطة عقدة في العقال يخرج من عروة ادخلت فيها
فينشط البعير وغيره هذا في هذا الصنف الذين هم ملائكة الموت ثم كذلك ملائكة النبات
والانشاء والانبات والانماء وجمع مواد الخلقة للزيادة في المقصود بذلك والنقصان منه
والفرق هو ان يكثر المواد والمعاني غير المواد لذلك المراد فسرعة النازعات من الملائكة اي يزيله
عما لا يصلح به وكما زاد على المراد المقدر او نقص عنه فهو على الموجود الموجود عن المراد به
فالحاقه لمقداره او تحقيقه عما زاد عنه نشط من عقله ذلك والسابحات سبحا النجوم والشمس
والقمر تسبح في افلاكها والملائكة عليهم تدبرها باذن ربها وتدبر امرها كذلك الملائكة عليهم السلام
بانفسهم يسبحون نازلين من علو وصاعدين من سفل والنباتات تسبح في الهواء والملائكة
تدبر كل ذلك باذن خالقها وبعونه فالسابقات سبقا الرياح ترسل من مهابها والملائكة
من عند الله جل جلاله تسوقها الى حيث امرت به وقد قيل هي الخيل المعسة بقوله والسابقات سبقا
وكل ذلك بيد الله وبامره قد وكل بذلك ملائكته الذين يكونون الملكوت وهو الوكيل على كل وكيل
والوكيل على ما وكله به هو الاول وفي ذلك كله هو الاخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو بكل شيء
عليم **قوله** تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ليس هذا الجواب القسم بل هو محذوف والله
اعلم بما نزل تقديره انكم لمبعوثون من بعد الموت ثم مجازون بما عملتم ونحو هذا نظم بذلك
المحذوف المقدر قوله عز وجل قلوب يومئذ يعني اليوم المحذوف ذكره واجفة الوجيف شدة
الاضطراب والحركة تجف القلوب من عظيم هول ذلك اليوم ابصارها خاشعة اي ذليلة
يقولون ائنا لمردودون في الحافرة اي الى ما كنا فيه من الحيوة بعد ما كنا عظاما نخرة اي
بالية وبعرا باخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة ويقولون ولدنا لا مال لنا ولا اهل
ولا ماوى فاتخذنا ذلك وتوارثناه فنرد على اصلنا من فاقة وعدم تلك اذا كرة
خاسرة فاضرب ربك جل جلاله عن جوابهم على هذا وقال فانما هي زجرة واحدة فاذا
هم بالساهرة كما قال ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون وقراءة

عبد الله وانما هي دهمة واحدة الساهرة الارض المبدلة من هذه سميت بذلك والله
اعلم لاجل الدوام الذي وجدت له اذ الساهر هو الساهر ويكنى عن الدوام والديمومة بقال
هذا امر ساهر اي دائم ومنها الساهر لانه دائم المراقبة لو عد وعده وهو تعريض بامر
الله جل ذكره في الدجال لعنه الله **قوله** تعالى هل اتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد
المقدس طوى لما اقسم على الاعادة بعد هذه البداية وعلى وجود اليوم الاخر اخذ في الوعيد
والتهديد ليعتبر من له قلب ويعي عنه اذن واعية **قوله** تعالى ءانتم اشد خلقا ام
السماء بناها رفع سمكها فسواها وخلق الارض ودحاها وانبت فيها ما انبت واخرج منها
اخرج بعجزه خلقكم مرة اخرى وقد خلقكم اول مرة وعنده خزائن السموات والارض وكل في قبضته
وملكه **قوله** تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اكبر الطوام دفع الزبانية اياهم في الجحيم
ويمكن ان يكون النفخ في الصور وبعثرة القبور والمصير الى العرض وهذا هو الاولى القول
يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى وقرات عائشة وعكرمة ومالك بن دينار
وبرزت الجحيم لمن ترى بفتح الياء والراء وبالتاء لمن ترى وفي قراءة عبد الله لمن راى **قوله**
تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها اي متى يكون نظم بذلك قوله فيم انت من ذكراها الى
منتهاها تعولها الك ولذكراها بالتحديد وما يدريك ذلك الى ربك كقوله قل انما علمها عند
ربي نظم بذلك قوله انما انت منذر من يخشاها يعني هذا ان السائلين عنها هم مشغولون
بما لا يجدي نفعا من مات فقد قامت قيامته الخاصة به وكسؤال عنها شغل عن توليد الخشية والاخذ
بالاهبة لمحيطها انما ينذر الذين يخشون ربهم بالغيب وخشيتها ان يتعرف العبد انها ابدا لا محالة
وكائنة ضرورة باثبات ذلك اختلاف الالوان وتعاقب الحصران واستدارت الافلاك ومهما
في قربها فتستعد لها فاليقين حاصل بقرب الموت وانه لا يتصور في اقبال التعديل الكسل منتظر له
مع اختلاف انفاسه لذلك قال عز من قائل كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها متى
تذكرت ما مضى فليس بيدك منه الا انه مذكور عندك حسب وطول الامد وقصره فيفضي وهو الان
ينعدم لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه متى سالوه عنها من مات قامت قيامته وقال لهم
وقد سالته عنها فقال متى الساعة يا رسول الله فاشار الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا لم يدركه الهرم
حتى تقوم عليكم قيامتكم كما قال ليلة وقد صلى العشاء الاخرة ثم اقبل عليهم فقال ارايتكم
ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الارض احد يريد الامر وبزهدهم في الدنيا ويصرهم سرعة انقضائها

سورة عبس مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى عتاب من الله جل ذكره لرسوله
عليه السلام من اجل ان جاءه الاعمى فيه تقديم وتاخير تقديره الكلام ان جاءه عبس وتولى وكان
صلى الله عليه وسلم قد اقبل على رجل من عظماء المشركين طمعا في اسلامه ليدخل معه بدخوله
اتباعه فجاءه ابن ام مكتوم وكان محبة ذلك حال ما كان يعرض نفسه وما جاءه به على ذلك
فجعل يقول ابن ام مكتوم ارشدني يا رسول الله ارشدني فنزلت عبس وتولى ان جاءه
الاعمى يعني ابن ام مكتوم وما يدريك لعله يزكى فيصعد الى على الايمان او يذكر فتنفعه
الذكرى يزداد ايمانا الى ايمانه اما من استغنى يقول عما جئت به فانت له تصدى قرئت بالتشديد

والتخفيف نظم بذلك جل ذكره كلا اى ليس الامر كما ظننت ولا تجار على سنن حرصك انها تذكرة
يعنى الرسالة والسورة والايات التى كان يقرؤها عليه فيقول له صلى الله عليه وسلم اثر
بما اقول لنا مسا فنقول له لا والدما لمن شاء ذكره يعنى القران فى صحف مكرمة الصحف التى
تكتبها الملائكة عليهم السلام من الكتاب المبين مرفوعة اى عن قلوب الكافرين كما قال عز من قائل
وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم مطهرة اى من افتراء المفترين واقوال المكذبين وقولهم
شعر وسحر وكهانة ونحو هذا بايدى سفرة الكتبة الملائكة الرسل الله يصطفى من الملائكة رسلا
ومن الناس الكبرة القائلون بالحق العاملون به صلوات الله وسلامه على جميعهم اتبع ذلك
بما هو وصف لذكر المشرك وامثاله قوله جل من قائل قتل الانسان ما اكفره اى لعن يكون
دعاء عليه بالقتل واللعن لم ينكر الاعادة بعد الموت من اى شئ خلقه ربه لذى انشاه ورباه
وعلمه البيان ورزقه ومولمه وجعله معظما فى قومه مسودا فى عشيرته من نطفة خلقه فقدره
ثم السبيل يسره اما سبيل هداية واما سبيل ضلالة ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره هو الذى
خلقه من نطفة وقدره الى ما منه كونه وهداه السبيلين ثم اماته فاقبره يقول عز وجل كلا لما
يقض ما امره اى من الايمان والعمل واجتناب المناهى يقول عز من قائل فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا الحب كل ما حصد كالحنطة والشعير وما يتغذى به والقضب التين كذلك
يسمونه اهل مكة وليس هذا مما خلق للانسان الا ان يكون التين طعاما للانعام ثم ياكلها الانسان
فيكون عن البانها ولحومها ويقال القضب الرطبة واشبه ما يكون به ان يقال فيه انه من طعام الانعام
ثم التين او ما يكون من انواع المراعى رطبها ويابسها كما قال الشاعر • واجدها قضبا وقبا
وعصفرا • تصف لديها كل عيشه وسارق • والحدائق الغلب البساتين والغلب الفلاح من النخل
وسائر الاشجار الفاكهة ما يتفكه به ويتنوع فى اكله بعد الحاجة من الطعام يصف صلاحها
وسعته والاب ما ياكله الانعام والدواب من نبات الارض وهذا يؤيد ما تقدم ذكره بان ما كان
للانعام فهو ماكول للانسان لكن تاخره ما اكلته الدواب فهو حموله كذلك قال عز من قائل
متاعا لكم ولانعامكم وانما وصف جل جلاله فعله بما ينفصل به من فتح رحمته يعرض له
وجود الجنة وخلق الله ادم فى الجنة وقال له اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث
شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فكان منهما ما قصه علينا وصدق قوله
وكان ذلك سبب اخراجهما منها فسجنهما فى هذه الدار ليست الجنة ولا هى جهنم ولا غيرهما
بل هى من ممتزج الدارين فهى مثال الدار الاخرة انتزعها من تلك وكالبرزخ بين البحرين وكان
الدنيا موجودة حتى ان الاكبرين لم يبعدهما ايمانهم الى ما قبلها وما بعدها كذلك مثال الاخرة
الموجودات بعد فنائها وموت ما مات منها فافهم فانها العجب العجيب وعلت رحمته فجعل ما خلق
عند الانسان مما خرج من الارض بواسطة ما يفتحه برحمته من الجنة حتى اذا بلغ الاشد
لاول امره ونهاه وكما فعل بابويه عليهما السلام فمن كانت له اذن سامعة فليستمع ومن كان
له قلب حاضر فليفهم الا ترى ان المحسنين فى دار الدنيا عدا وهم انما هو من الدار الدنية حبسوا عنها واذا
يئس براثيم طلقوا من سجنهم ذلك يرجعوا اليها وان استحقوا تمام العقوبة والهلاك

انفذ

انفد عليهم ذلك بحكم الحق فافهم من انت وعبد من انت ومن اين خرجت وحيث انت ومن
اين تاكل ومم تحوا ان تجوت والى اين تصير انت تتثبت برانك فاطلعت والظهور
هذا البيان فيه قال فيه قتل الانسان ما اكفره نظم بذلك جل ذكره فاذا جاءت الصاخة
هى من اسماء القيامة تصخ الاذان سماع زلزلتها صخا كانها قطعن فيها شدة وقعها
وطلبه وحدتها وهى ايضا يضطر الاذان الى ان تصيخ اليها يقال اصخ الى سمعك اى القى
سمعك لما اقول لك يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه يفر منهم لاجل
الملابسات التى تقدمت منهم فى الدنيا خوف المطالبة بحقوق لازمة فى الدين والدنيا
هذا وجه وبوجه اخر قال الله عز وجل يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات
حمل حملها وانما ذلك مع ما تقدم ان الله خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق السموات والارض
انزل منها واحدة الى الارض فيها تتعاطف انواع الحيوانات بعضها على بعض حتى ان الفرس لترفع
حافرها على ولدها فرقا رحمة منها به فاذا كان يوم القيامة قبض هذه الى ما امسك عنده منها
فرحم بها عباده المؤمنين فاذا كانت هذه الرحمة التى قد وضعها بين العباد قد قبضها
ورحم بها عباده المؤمنين فيم يتعاطف الانس والجن يومئذ الا المؤمنون قال الله عز وجل
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فهم الذين ينفع بعضهم بعضا ويسع
بعضهم لبعض ذلك اليوم سبحانه وله الحمد انا هم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة سالت عائشة
رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرأ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون
ثم قال ايها الناس انكم ملاقوا الله حفاة عراة مشاة كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
فقالت عائشة يا رسول الله ينظر بعضهم الى بعض فقال لها عن اى شئ تسالين انه قد نزلت على اية لا يضرك
كانت عليك ساب او لم تكن قالت اى اية يا رسول الله قال لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه نظم بذكر ذلك اليوم قوله الحق جل جلاله وجوه يومئذ مسفرة اى مضيئة من اسفر الفجر
اذا اضاء وانما اسفر عن تلك الوجوه كدرة الغموم فاضاءت بالامن ونور الايمان والغبرة التى تغشى وجوه
المجرمين والقترة التى ترهقها من ذلك وسفرت المراة نقابها اذا ازالته وظهر وجهها وكل ما اضاء فقد اسفر

سورة التكوير مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تكوير الشمس يومئذ ذهاب ضوءها كما تطوى السماء والارض تطوى الشمس
والقمر وتكدر النجوم ترمى بها من سبيل مجاريها فيتسفل هويها وانتثارها ازالة انتظامها فتسقط بعضها
اثر بعض وتسير الجبال نسفها لتعدل بها الارض فتكون لذلك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا والعشار النوق الحوامل اذا تم حملها عشرة اشهر سميت عشارا واحدتها عشراء
وهى يومئذ عزيزة مغتبط بها تعطل على ذلك يقول كرائم الاموال تسد لعطيع الاموال واذا
الوحوش حشرت قضا قضاءه الله ان يعيد الخلق كما بداهم وحشرها جميعها من نواحى الارض
بعد احاطتها فيقتص ضعيفها من قويها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتص الجماء من القرناء
والصغير من الكبير وسال العود لم خدش العود وانه لا يترك شيئا خلقه وكونه من اصول الموجودات
وعوارضها كونها وحبسها الاعادة فى الدار الاخرة وعدا علينا انا كنا فاعلين فهوم هذا
ان كل ما فعله واظهره فى هذه يحضره فى تلك ثم يميز الله الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث

بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم وبالضد في كريم الوجود تميزه من سواه
ويجعله في الجنة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها كل في كتاب مبين فالدنيا كلها
وموجوداتها محضرة في الدار الاخرة زائدا على ما هي الدار الاخرة وموجوداتها فاعلم ذلك
ثم يفترق الجمع كله والمجموع فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير وقد تقدم الكلام في هذه
المسئلة واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت وقرئ سالت باي ذنب قتلت والموؤدة
كانت العرب اذا ولدت لاحدهم ابنة دفنها حية وكانت تقول بان الملائكة بنات الله تعالى
الله عن قبيح افترائهم وكان معتقدهم في دفنها حية انهم يصيرونها الى الله هو اولى بها قبل
ان تكسب بوها عارا وقد تقدم تفسير قول الله جل جلاله في ذلك وقبيح ما زعموه وكذبهما
ادعوه يقول الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ويجعلون لله ما يكرهون اي البنات وتصف
السنتهم الكذب ان لهم الحسنى الذكران والحسنى ايضا العاقبة الحسنى عند الله لاجل ذلك كانوا
يرون ذلك تقربا منهم للملائكة الذين كانوا يعبدون يقول الله جل قوله لا جرم ان لهم النار
وانهم مفرطون اي في الكفر بالله وبالملائكة وبالحق واذا السماء كشطت اي جذبت فانتزعت
وطويت واذا الجحيم سعرت قرئ بالتشديد والتخفيف شعارها شدة التهابها واذا الجنة
ازلفت قربت ذكر الله جل ذكره هذه الاوصاف كلها وهن نعوت الساعة ومحال يوم القيمة
ومقاماتها وشدائد واهوالها ثم قال عز من قائل علمت نفس ما احضرت من قول ومن عمل خير
او شر وهو جواب قوله جل قوله اذا الشمس كورت الى اخر الاوصاف **قوله** تعالى فلا اقسم رد
لقولهم في القران وفي الرسل عليهم السلام واقسم بالخنس الجوار الكنس هي الخنس التي تسمى الكواكب هنا هي
جار به تخنس يعني تقهقر حتى تكنس كما يقال كنست الظباء في كناسها اي في موضع سترها
والليل اذا عسعس اظلم واطبق ظلامه والصبح اذا تنفس اسفاره وتراءى على ذلك انه لقول رسول
كريم يعني جبريل عليه السلام ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين يعني في الافق المبين والله
اعلم هذا وصف لجبريل عليه السلام وهو ما يقول شاعر لو امنتم وتذكرتم لعلمتم ما هو ومن حيث
هو يعني القران تنزيل من رب العالمين وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا عليه السلام ولقد راه
بالافق المبين يعني جبريل اي على صورته التي خلقه الله عليها وما هو يعني جبريل عليه السلام
على الغيب بظنين اي متهم بالظاء مرفوعة وقرئ بضاد غير مرفوعة يعني محمدا عليه السلام
اي ببخيل على غيب يطلع عليه وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم صدر عن مجنون فاين
تذهبون في ضلالتكم ان هو الا ذكر للعالمين يعني الرسول والقران وما جاء به لمن شاء منكم
ان يستقيم على الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض هذا اعلام منه
جل ذكره انه من استقام يذكر بالقران والرسل وبما جاء به واما من لم يستقم فليس له في
الوعظ حظ والمشية لله جل وعز وحده وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فادعوا الله مخلصين له الدين

سورة الانفطار مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الانفطار الانشقاق والفجار السحين افضى بعضها الى بعض وبعثرت
كقبور اثارتها للنشور وقوله علمت نفس ما قدمت واخرت جواب قوله اذا السماء انفطرت
وما بعده ثم اعلم انه شبه الانسان بالعالم وشبه الموت بالقيامة جملة عامة قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته لما في خلقة الانسان من موجودات الارض والسماء
من ارض وجبال ونجوم وسماء وشمس وقمر الى غير ذلك من موجودات الجسم فكان موجودات
الجسم تقوم في قوام جملة الانسان مقام موجودات العالم اشبهت قيامة الميت قيامة
العالم فتعلم فيها الانسان عند حضور الموت ايضا بما قدم واخر كما يعلم يوم القيمة فكل
يعلم بما احضره من عمل نطق بذلك قوله جل من قائل يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم وقرأها ابن جبير والاعمش ما اغرك بربك الكريم بالمد والهمزة فهذا على
التعجب والاولى على معنى التقرير الذي خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك
كيف تنكر على هذا ان يعيدك حيا كما كنت كيف اجترات على معصيته ومخالفة امره
وهو معك يراك ويشاهدك وله عليك رقيبان كاتبان صادقان كريمان يعلمان
ما تفعله يكتبانه عليك ويحصلانه ويعدان عليك انفاسك وانفاسك بل كيف اجترات
على كفرانه وساعدتك نفسك على تكذيبه ونازعت عقلك وجحدت فطرتك تعبدت
معه غيره واشركت في نفسك ومالك الذي رزقك سواه كلا بل تكذبون بالدين وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فاخبر عز جلاله انه يجعلهم من العلم باعمالنا
ما منبعها المصدح من خزاين الغيب الى ظاهرها واما ما كان منها لم يصدح في القلب ولا جرى
ذكره على النفس فلم يثبتا وله الخبر لانه قال يعلمون ما تفعلون بلفظ المستقبل قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا هم العبد بان يعمل سيئة واحدة لم يعملها فاكتبوها له حسنة فانما تركها
من جراي وموضع الخوف من العبد غيب وقال الله جل من قائل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول وهذا رسل من عنده موكلون بهذا الشان من العباد فلا بد
ان يعلمهم بما قد جعل اليهم من علمهم **قوله** عز وجل ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
يصلونها يوم الدين هذا حق يقين وانما موضع البرزخ حيث متنجح للخير بالشر والطاعة
بالمعصية والفاسق بالصالح ثم يصلونها يعني الجحيم يوم الدين الجزاء ثم قال وما هم عنها
بغائبين يعني وهو اعلم بما ينزل اليوم وما هم عنها بغائبين لو عقلوا منبعث الفجين سعيرها
وزمهريرها **قوله** تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله الامر كله لله وحده
لا شريك له في الدنيا وفي الاخرة لكن ذلك اليوم له خاصة حكم لا كسب لاحد فيه ولا ارادة
عنه لقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله هو غيب اليوم وهو يومئذ ظاهر عليه تجري الاحكام

سورة المطففين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل للمطففين قد تقدم ان كل اسم موجود في هذه الدار فاصل
وجوده في جهنم وعنها انبعث الشر كله واستطار وتغشى كذلك كل اسم خير موجود هنا
فان اصله ومنبعثه من الجنة والى نهاية يرجع ما هو موجود عن كل واحدة منهما كما ورد الحية الى جحرها
خلا ما احال حكم التكليف من ذلك فان ذلك له حكم قد بينه الشرع واصاد من موجودات هذه
الى هذه ويجمع ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الجنة ثم قال لجبريل عليه السلام
ادخلها فانظر اليها ففعل ثم قال وعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فحفها بالصبر
ثم قال له ادخلها فانظر اليها ففعل ثم قال وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها احد خلق

النار ثم قال لجبريل عليه السلام ادخلها فانظر اليها ففعل ثم قال وعزتك لقد
خشيت ان لا يسمع بها احد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال ادخلها فانظر اليها ففعل
فقال وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها والمطفف الذي لا يعطي الحق بالميزان
والمكيال وطفاف الشيء جانبه والشيء الطفيف هو النزر اليسير كالقليل وقيل المطفف
لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا اليسير الخفي يقال اكتلت عليه حقي واكتلت منه
ومن عنده قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك الى اخره انتظم
هذا بقوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين
فمعنى كلا هنا معنى نعم ويكون بمعنى التكذيب لهذا المطفف يقول عز وجل كلا ليس الامر
على ما ظنه وعلى ما تهاون به وتغافل عنه وعلى الوجه الاخر كانه نعم ان كتاب الفجار
لفي سجين ومن ظن انه غير مبعوث لذلك اليوم فهو فاجر كافر وكذب ومن علم ذلك وفعل
فهو صغير الكافر المكذب الفاجر ويمكن ان يكون معنى كلا ليس كما ظن انه مبعوث ان كتاب
الفجار لفي سجين قيل هي صخرة تحت الارض السابعة سوداء مكتوب فيها اعمال الفجار
ويمكن ان يكون سجين فعيل من السجن اعمالهم فيها مكتوبة اي مثبتة فاذا ماتوا
لم تفتح لهم ابواب السماء فاسفل بهم الى اعمالهم كذلك كتاب الابرار في عليين قوله عز وجل
هو اسم للجنة وعمل اهل الجنة يعملون فاثبتها معلومة له في عليين ثم اوجدهم بعد فعملوا له
بما سبق علمه فوقع اعمالهم معلومة الى معلومة منهم حتى يرفعون اليها كذلك الفجار في النار الاخر
نظم بذلك قوله الحق عز من قائل ويل يومئذ للمكذبين يشير الى اليوم العظيم يوم يقوم الناس
لرب العالمين الذين يكذبون بيوم الدين اي الجزاء وما يكذب به الا كل معتد اثيم يحدو دابته
عامل بالاثام واذا ذكر ايات الله كذب بها وقال اساطير الاولين يقول عز من قائل كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الرين الطبع يكون عن تراكم اعمال السوء وتتابع اعمال
الايام حتى يعلو القلب ثم يؤل الى الطبع ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا اخطأ الخطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فاذا نزع واستغفر وتاب صقل قلبه
وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله كلا الران والرين السمة
والغان من غان يغين غينا والغان كالغيم الرقيق والرين كالصدأ يغطي القلب
فيذهب نوره يقال من ذلك رين فلان اي مات فذهب به اتبع ذلك قوله كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كل ما قال فيه وما ادراك فقد ادراه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل فذكر مسيره
الى بيت المقدس ثم عروجه الى السماء الدنيا ثم الى السموات سماء سماء الى السابعة وذكر انه
راى فيها الانبياء وان اختلفت الروايات في محالهم فان ادم عليه السلام في السماء الدنيا
وابراهيم في السماء السابعة والله اعلم عليون قيل هو ذلك بالاضافة الى السماء
الدنيا سموات الافلاك وكتاب الابرار في عليين يشهده المقربون الانبياء والرسل والملائكة
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ثم قال عز من قائل ان الابرار لفي نعيم هذا والله اعلم
بما نزل في مقابلة وصف اولئك كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم

نظم بذلك قوله عز وجل على الارائك ينظرون الى ربهم عز جلاله كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس صحوا
ليس دونها سحاب ورؤيتنا الشمس والقمر عيانا كما قال وعلى الدوام كالشمس نهارا والقمر
ليلا وليس هناك ليل ولا نهار وقد تقدم ذكر ما به نعرف الايام يعني الليل والنهار فيما هنالك
فصل النظر فيما ههنا ينقسم الى ستة معالم احدها نظر عموم المؤمنين ممن لا يمكن
ان ينسب الى نظر لكنه لما حصل عنه الثبات في الامر والعزيمة على الرشد سمي بفضل الله
نظرا وهو حال عامة المؤمنين من النساء والرجال الذين شهدوا شهادة الحق وعملوا عليها ثم
نظر اهل الكلام الذين احكموا الجدال ونصب الدلائل وتبيين البراهين وهؤلاء الائمة
من المسلمين الذابين عن حملة الحق ثم نظر اهل الورع والتوبة واعمال القلوب ومحاسبة النفوس في
معرفة التوكل ونحو هذا كعلم الخوف وعلم الرجاء واليقين وبهذا يتقوى على كل نظر
وبه يتوصل الى كل ملكوت ثم الائمة المتقين نظر في ايات الله الدالة عليه لمعرفته وشواهده
وتبيينها على صدق وصدق رسله وكتبه الى ترتيبهم الاخرة بالعلم واليقين عيانا فيشهدون
بها ما غاب من وعد الاخرة ووعيدها وهو معرفة الحق المخلوق في السموات والارض وما بينهما ثم نظر
لاهل الخلة منهم في معرفة ما تقدم ذكره باستقراء الاسماء الحسنى والصفات العلى وما لكمها في العالم
ومقتضياتها من الحق المخلوق بالسموات والارض ونسبته الى الاسماء والصفات ثم يعرف
ذلك في الدار الاخرة واضافته الى الحق المبين فيما هنالك وفي هذا النظر وصلوا الى النور
العلي وهو عين اليقين وهو النعيم في الدنيا وهي المعاينة التي نسب الى المشاهدة وعندها
تصغر العطايا بالشاهد قدرها ويستغرق كل سبب حتى تغيب شواهد رؤيا العلم فيها
فيها والعلوم كلها مجموعة فيها لانها ينبوع العلم منها بدا واليها يعود فافهم ثم الرابع
هو موضع الحجر المحجور والسد الممدود وحيث ينقطع سير العقول ويحبس عنده النفوس
وبهذا حركات الوهم ويسد ابواب الفطن واذا بلغت الالباب الى ما هنالك سجدت و
حيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفكروا في المخلوق ودعوا قال الخلق ولا تتفكروا في
الخالق واذا دخلوا الجنة وهربوا وطهروا وطيبوا شاهدوا الحق المبين عيانا وكلمهم
كفاحا فهم على الارائك ينظرون اليه لا يبيد والهم ابدا غمرا اي واحد من تين ولا يكلمهم
في معنى واحد بكلمتين بل لكل كلام افهام ومعنى لم لا اقول ولا يتجلى اذا شاء
في ضيائه واذا شاء في نوره سبحانه وله الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه يرجع الامر
كله فاعبده وتوكل عليه ثم اذا اسرار ربهم جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه وسقاهم
شرابا طهورا ليطهرهم به من ملابسة الاغيار الموجودات في الجنة فيرونه جل ذكره
دون سلو عنه ولا ذهول عن ذكره فقوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم على الارائك
ينظرون هذا هو نظرهم ويتفاضلون في الرؤية غيبها ودائمها على مقادير علومهم
انفسهم وسلوكهم سبيل الاستقامة ويتفاضلون ايضا في دوام النظر اليه كما كانوا ينفقوا
في سبيل نيادهم فقوم عبدوه مخافة عذابه فاجارهم من عذابه وادخلهم الجنة وقوم
عبدوه رجاء لثوابه فرفعهم في الثواب الحسن بلغتهم اعمالهم فهؤلاء ربما شغلوا

بالاكل والشرب في النعيم قال الله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون في هذا
معنيان لهم فيها ما يدعون اليوم كما قال ان هذا ما كنتم تدعون والمعنى الاخر بمعنى قولهم
فيها ما يشاؤن وهذا والله اعلم لاهل العلية منهم وهؤلاء هم المعنيون بقوله على الارائك
ينظرون لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما يسلم عليهم ويحيهم الحق المبين بكل معنى وبكل وجه
فيما هنالك وكما سخر لنا الشمس والقمر والنجوم والرياح والامطار والافلاك والليل والنهار
وما في الارض جميعا منه فبالمعنى الذي سخر لهم هذه الموجودات في الدنيا يحييهم كل شيء ويفصح
يومئذ كل شيء بالتحية لهم والسلام كما اكرمهم في الدنيا بالتسخير يحييهم الحق المبين عز جلاله
قال الله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فهم لا يرون فيها ابدا الا ما يحييهم دعواهم
فيها لاجل ذلك سبحانك اللهم سبحانك اللهم اكد ولم واخر دعواهم ما هو معناه الحمد لله
رب العالمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وربما ادخلهم الى نعيم
وازواجهم وما لكهم فنظروا اليها وقالوا هذا مقام منتسب الى الصديقين الاولين من الابرار لانه اكرامهم كما قال

وكانهم لم يلبسوا اطمارهم	لما القوا بالعبقري الاخضر
ما احسنهم بمجالس من لؤلؤ	يتطلعون من العلى الكوثر
لبس السرور قلوبهم فكانهم	لم يعرفوا غير النعيم الاكبر

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وممالكه
مسيرة الف سنة وان اعلاهم لمن ينظر الى ربه بكرة وعشية قوله عز وجل تعرف في وجوههم
نضرة النعيم النضرة النعمة روض ناضر اي ناعم وقرأها ابو جعفر يعرف في وجوههم
على مفعول ما لم يسم فاعله اتبع ذلك قوله يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك الرحيق
من اسماء الخمر ختامه مسك وقرئ جماعة يمكن ان يكون المعنى بهذا ما سقى في انفاسهم
وافواههم من رائحة كالمسك وقد يكون الختام ما يجري عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الكوثر وانه مشى فيه قال فضربت بيدي فاذا حاله المسك والحال الطين ثم امر جل
جلاله بالتنافس في هذه الكرامات والمكانات والمراتب كما امر بالمسارعة والمسابقة وفي هذا
يعني الرحيق المختوم مزاجه من تسنيم وهو خمر يسنم عليهم من علو وهي عين يشرب بها المقربون
صرفا قال الله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا العكس المعجب تعالى
ان الذين اجرموا جعلوا المؤمنين ضحكة بينهم يهزؤن منهم فاذا انقلبوا فكهين
معجبين بما فعلوه واذا راوا المؤمنين قالوا ان هؤلاء لضالون كذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر ما يؤول اليه الاسلام من حال الغربة يكون القابض يومئذ على دينه كالقابض
على الجمر وفي اخرى يكون المؤمن فيهم اذل من الامة وفي اخرى يكون العالم فيهم انتن من جيفة
حمار فالله المستعان نظم بذلك قوله عز من قائل فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون في حال
كونهم على الارائك ينظرون الى اخرى اولئك وبكاهم وسوء عذابهم هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

سورة الانشقاق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السماء انشقت كما قال عز من قائل اذا السماء
انفطرت وقال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام اي الذي ينزل الله جل جلاله
وتعالى علاؤه وشانه فيه واذنت سمعت واطاعت دعاها فسارت اليه كما قال
في الظل ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وحقت اذ ذلك لانها بدلها بما هي اوسع اكنافا
وابعد اقطارا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الدنيا في الاخرة الا كما يضع احدكم اصبعه
في اليم فانظر بم يخرج منها واذا الارض مدت هذه نسفت عليها الجبال نسفا فمدت
بها فلا ترى فيها عوجا ولا امتا والقت فيها ما استودع فيها من الاموات والنبات
وغير ذلك وتخلت من ذلك واذنت لربها دعاها فاجابت وقبضها فاطاعت
وحقت بدلها بما هي اوسع اكنافا وابعد اقطارا بارض بيضاء كالنقي درمكة بيضاء
نزلا لاهل الجنة ولم يات في هذه السورة جواب لمبتدئها وارى ان هذه المذكورات من انشقاق
السماء ومد الارض وتخليها مما استودع فيها توفيه لما جاء من وعد ووعيد في سورة
المطففين او يكون غير ذلك والله اعلم بما ينزل وربما كان الجواب ذلك محذوفا وربما كان
مع ذلك لو ظهر لكان على وصف ما تبدل به الارض والسموات فيكون تقدير الكلام اذا السماء
انشقت الى قوله والقت ما فيها وتخلت بدلنا ذلك كله بما هو اوسع واكرم هذا ما هو
في وصف من هذه الارض الى ما علا وبما هو من وصف الارض فيما يكون وصفا عنهم قوله تعالى
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه لا يؤمن الانسان به كفره ومتى لم
يعمل بطاعة عمل بمعصية لا بد ولا محالة واي ذلك كان فهو المراد به ومنه لذلك قال
جل قوله انك كادح الى ربك كدحا يقول وهو اعلم انك عامل الى ربك عملا فملاقيه
انظر ثم تعمل وربما انتظم به قوله اذا السماء انشقت فكان جوابا لما قبله قوله تعالى
واما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره وهو بمعنى قوله واما من اوتي
كتابه بشماله الشمال جنبة الظهر وهو الخلف والاسفل والجنبة الموجودة عن اليمين هي الامام
والاعلى والثبور الهلاك وذم الله جل ذكره العبد ان يكون شانه السرور في اهله وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وادى ذلك والله اعلم تقويهم على عبادة
ربهم وربما ارخص له في بعض شانه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهزل ولا يقول
الا حقا ظن ان لن يحور اي لن يرجع الحور الرجوع وهو الاحياء بعد الموت
قوله تعالى بلى ردا لما ظنه الانسان من ذلك ثم اقسم بالشفق لما كان الشفق عند غروب الشمس
وعند طلوعها وهو وقت حور الليل وحور النهار في تكويرها والليل وما وسق من
ظلام وفضاء وقد حار بعد الليل المتقدم والقمر اذا اتسق اي استوى امتلاء وذلك
بانضمام بعضه الى بعض وهو ايضا حائر بعد انشقاق تقدم له في منازله اقسم جل جلاله
الاقسام لما فيها من المعنى المقسم من اجله ثم استاق من القدرة معنى ذلك بقوله لتركبن
طبقا عن طبق اي موت ولد قبل هذه الحيوة الاخرة بعد الحيوة الله جل من قائل فما لهم لا يؤمنون اشارة
منه الى ما اقسم به من حور بعد كور واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون اي لا يخضعون ذلا
ايمانا به فلا يرون انهم يتقلبون في الاحوال طبقا بعد طبق فكيف لا يؤمنون بالحيوة الاخرة

وانما هو واحد من الحالات المنتقل فيهن فلو انهم امنوا استدلالا بالموجودات لابصروا فكانوا يسجدون عند ما يقراء عليهم القران لانه تسمع يقول جل من قائل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون اي فلذلك لا يسمعون القران فهما ولا علما ولا يبصرون شواهد الموجودات عقلا وايانا ولا يرون سجودها فقها واستنباطا والله اعلم بما يوعى قلوبهم وبما يسبق الى نفوسهم من انواع الضلالات فبشرهم بعذاب اليم اي وليس كذلك الذين امنوا وعملوا الصالحات وان لهم اجر غير ممنون

سورة البروج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم البروج اثنا عشر برجا وقد تقدم ذكرها واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد هو الله جل ذكره ومشهود كما شوهد يومئذ وبحكم العموم في الدنيا من الايات والبينات وفي الاخرة من الحق المعتبر اليه من شاهد ما ههنا والمشهود ايضا هو اليوم الاخر هو المجموع له الناس وهو اليوم المشهود وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اليوم الموعود يوم القيمة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة وما طلعت الشمس ولا غربت على افضل منه اقسم الله جل جلاله بهذا القسم وجواب القسم ان بطش ربك لشديد ثم وصف نفسه جل جلاله بانه يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد وقرئ ذي العرش نعتا لربك قراه عبد الحميد بن بكار باسناد عن ابن عامر وفضل بين القسم وجوابه بقوله قتل اصحاب الاخدود ذي لعن وهو دعاء عليهم محابان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا من ذلك ولا يرعوا عنه ويمكن ان يكون قوله قتل اصحاب الاخدود اخبارا عن المقتولين يومئذ ولهم قصة تقدم ذكرها فيها ذكر ملك من الملوك كان يدعوا الناس الى عبادة نفسه وان ساحرا كان قد كبر وضعف قال له ابغني غلاما فطنا اعلمه علمي فاني اخشى ان يذهب علمي فبعث له غلاما الى اخر القصة ثم قال عز من قائل هل اتيك حديث الجنود المهلكين اصحاب فرعون وثمود ذكرهم بعد ما عرض بهم تهديدا لغيرهم ثم ذكر العرب الذين كفروا وانهم في تكذيب والله من ورائهم محيط اي قدرته وعلما بل هو قران مجيد اي كريم في لوح محفوظ نعتا للوح ومحفوظ نعتا للقران وبقرا محفوظ بالرفع والخفض

سورة الطارق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق فسر جل جلاله الطارق بقوله النجم الثاقب المضيء وسماه طارقا لانه يطرق ليلا ليطلع من مشرقه وهي الشمس في كرها لما سماها نجما ولا يكون هذا النجم الا طارقا بالاضافة الى قوم وهو في حال الليل طارق وفي النهار طالع مستو وجانح الى الغروب وغارب ثم طارق وهكذا تقدير من عزيز عليم وجواب القسم قوله ان كل نفس لما عليها حافظ قرئ بالتخفيف والتشديد اعني لما وهو اسم بمعنى الا هي لغة قوم من العرب يجعلون الا مع ان الخفيفة كانه قال ما كل نفس الا عليها حافظ ومعنى ان كل نفس ما كل نفس وقد يحتمل ان تكون لما مخففة بمعنى الا كقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون وبمعنى الا وكقوله وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم معناه الا ليوفينهم وقد تقدم الكلام في هذا في موضعه والحافظ الملك يحفظ عمله يكتبه والحافظ ايضا ملك يحفظ الذوات والموجودات كلها مما لم يقدر ان يصيبه **قوله** تعالى فلينظر الانسان مم خلق هذا تنبيه على النظر والاعتبار من النشاة الاولى الى النشاة الاخرة خلق من ماء دافق يخرج من موضعه

ومستودع

ومستودع الى مستقره من الرحم ودافق بمعنى مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله ليل نائم وهم ناصب وسركاتم يخرج من بين الصلب والترائب صلب الرجل وترائب المراة والترائب منها ما اكتنف لبانها وهي موضع منغلق حلى القلائد هنا ما الرجل في ظهره ووراثه وما المراة في قبلها انه على رجعه لقادر كما وزحال الموت والعمل الوجود في وجود الانسان ثم نبه على قدرته على ارجاعه حيا يوم القيمة ومالهم يومئذ من قوة ينتصر بها ولا ناصر ينصره من عذاب الله عز وجل والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع الرجع المطر يرجع من عام الى عام فذكر الرجع تنبيه على الارجاع وقد يكون الرجع الرعد والارض ذات الصدع ينصدع بالمطر للنبات نبه العقول بهذا على انهم يخرجون من الارض بان ينزل الله الماء من السماء كمني الرجال فينصدع له الارض عن نبات باجسام الموتى يوم ينفخ في الصور نفخة البعث والنشور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون انه لقول فصل وما هو بالهزل يفصل بين حقه وباطلهم وهو الهزل انهم يكيدون كيدا بكفرهم وتكذيبهم واكيد عليهم كيدا بالاستدراج اياهم بتصديق كلمتي فيهم وامهالهم لاخذهم على ما فردوبهم في الاجل المسمى فمهل الكافرين امهلهم رويدا اي قليلا وهي كلمة تعطي الرفق كانه قال قبل ذلك ولا ابتداء والامر بالقتال

سورة الاعلى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوه في سجودكم وامر ان يجعل قوله فسبح باسم ربك العظيم في الركوع فكان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي السجود سبحان ربي الاعلى وكان ابو موسى الاشعري رضي الله عنه يقول سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى وهي قراءة ابي وعلي وابن الزبير وملك بن دينار قوله تعالى الذي خلق فسوى خلق فاتم ما خلقه كما قال احسن كل شيء خلقه والذي قدر فهدى يقول وهو اعلم قول الحق قدر ثم هدى الى ما قدر سبحانه بذلك بان الامر قد فرغ منه فيما قبل وانه ينقل من صغر الى كبر ومن نقص الى كمال والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى انبأ في هذا الخطاب بالاعادة بعد البداية يقول جل من قائل اخرج المرعى فجعله غثاء اي جميلا للسيول وهشيما تذروه الرياح ثم سماه مرة اخرى نعما احوى شديد الخضرة يصير من نعمته الى السواد سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله لما كرر عليه النشأة الاخرة وسواها من التعاليم بعبارات مختلفة في مواضع شتى قال له سنقرئك مرارا مكررة فلا تنسى يخبره بانه لا ينسى وتكراره ذلك مع ما ازاده الله به من الذكر داعية لعدم النسيان واكثر المراد به غيره من سائر امته يقول الله جل من قائل ولقد صرفنا للناس في هذا القران من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا الا ما شاء الله ما هنا بمعنى الذي يقول وهو اعلم الا الذي شاء الله ان ينساه وهو الكافر والعاصي قال الله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وقال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي تركتها وكذلك اليوم تنسى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وقد خرج جماعة من اهل العلم على انه جل ذكره ينسيه ما شاء ان ينسيه وجاءت على هذا احاديث من طريق احاد فالله اعلم وقد قال جل من قائل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والقران اعظم حجة واقوم فيما جاء

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في سورة جل يقرأ في المسجد قال يرحمه الله لقد اذكرني
اية كنت نسيتها فان صح هذا الحديث فليحق بصحته مرتبة التواتر فهذا من الحفظ الذي شرطه
بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والا فما المراد بالنسيان الا سواه من امته ونبيه
كقوله جل من قائل لموسى عليه السلام يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فهذا هو في حظ غيره من امته بالنسيان في هذا الخطاب الا بمعنى الترك على
ذلك ما بعدها من قوله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى وقد اخبره بالعصمة له من هذا
النسيان اعني الذكر بقوله ونيسرك لليسرى ثم قال له فذكر ان نفعت الذكرى **قوله** عز وجل
فذكر ان نفعت الذكرى يقول والله اعلم بما ينزل اذا بلغت فذكر فانما عليك البلاغ ثم ذكر
المؤمنين فهم الذين ينفعهم الذكرى وهم المعنيون بقوله سيذكر من يخشى ثم قال ويتجنبها
الاشقى الذي كذب وتولى الذي يصلى النار الكبرى هي نار جهنم اعاذنا الله منها برحمته
بحسب الله الذكر ليحقق فيه كلمته التي سبقت له بها كما قال عز من قائل اتتك اياتنا فنسيتها
فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ثم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح
ولا يحيى بالرضاء والعافية ووجود العز والغنى والخلق الحسن والتواصل فهو لا يحيى حيوة
طيبة قد افلح من تزكى يعني امن وانما يتزكى العبد بالتوحيد والايمان فحينئذ يقبل عمله صدقته و
صلاته وشهادته وعبوديته ثم كل ما يزكي به العبد من العمل فهو زكوة له وذكر اسم ربه فصلى
وقد يحمل هذا على انه تكبيرة الاحرام والسر بل تؤثرون الحيوة الدنيا اعلم جل ذكره ان مؤثر
الحيوة الدنيا على الكمال هو الكافر كما ان مؤثر الاخرة على الدنيا هو المؤمن وما بين ذلك درجات
والله عليم ثم اعلم ايضا انما تقدم ذكره في السورة الى اخرها هو في الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

سورة الغاشية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الغاشية اسم من اسماء القيمة والخشوع الذل والنصب التعب
قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة اشارة الى وجوه مخصوصة وهم عباد اليهود
والنصارى والمجوس العاكفون على عبادة الاصنام والنيران وسائر العبدة الضلال
واتباع الشياطين بقوله عز من قائل بل هي تعمل في الحيوة الدنيا في غير معتمل وتنصب في الدنيا
في الذي هو هلاكها عاكفة على ما لا يضر ولا ينفع وهو في عرصة القيمة خاشعة خائفة
من هول المطلع قد انفت بالعذاب والخزي وعند المنقلب تصلى نارا حامية تسقى من عين
انية شديد حرها وهو الحميم طعامهم الضريع والزقوم وجا بالنفي بليس اذ ليس طعامهم
هو الضريع والزقوم بطعام يغني من جوع او يسمن من هزال كطعام الدنيا ولذلك اوجب الله
جل جلاله علينا التسمية عند الشروع في الاكل والشرب فان اهل النار لا يغنيهم
طعامهم عن طعام ولا شرابهم عن شراب ولا يقوى ولا يحسن حالا واما طعام الجنة فلا
بالا ما لا امتداد الى ذكره عند ذكر ذلك الطعام بل انه يتذكر ذلك عند طعامنا هذا وشرابنا
لما يرى منهما من الغنى ولكن اتبع ذلك بوصف منقلب الساعين في طلب مرضات الله بقوله جل
من قائل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية المعنى الى اخره اتبع ذلك قوله افلا
ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض

كيف سطحت لما كان الذي حتا عليهم الكفر والتكذيب والضلال الذي اورثهم النار
والذي اورث المتقين شرف المنازل وكريم المآب التيقظ والنظر والاعتبار الهادي
الى الايمان والتصديق ثم العمل بطاعة الصادق المصدوق جل جلاله وعرض ذكر
الموجودات وانهم على تضييع النظر في كيف خلق الخالق العلي الاعلى الابل التي هي جل اموالهم
وهي مراكبهم وحمولتهم عليها منقلبهم وبها مثواهم ومنها جل شرابهم وطعامهم
فيكون النظر فيهن نظرا في خلقة انفسهم في كيف جمع مواد خلقهن من خزاين
بركات السموات والارض فارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته والف السحاب بالحق من امره
وانزل الماء من السماء الى الارض بقدرته على وزن معلوم بحكمته وانبت النبات
كيف شاء بلطف تدبيره فجعل من ذلك كل شيء حي وكذلك السماء رفعها على هواء
رقيق من صنعه دون دعائم من تحتها تقلها ولا علائق من فوقها تمسكها وهي على
ذلك لا تزول ولا تمور الا ان باذن الله لها في ذلك ثم الى السموات كيف طلع شمسها
وقمرها ونجومها وكور ليلها ونهارها ولو كانت الارض كروية كما زعموا لم يكن للعباد
فيها كثير مرفق ولا تمكنوا من تناول بركاتها كل التمكن ولكانت هي ايضا بحالة
لا يوصف عليه بانها ساكنة اذ ليس لها اصل قد دنى على ما هو موصوف بالسكون فتكون
هي بسكونه ولا عليها صابور يثقلها فتثبت على الما ساكنة وهي لو كانت سطحية لكانت الكواكب
تطلع على الارض طلوعا واحدا او تبسط عليها الليل والنهار انبساطا سواء وقد قال عز
من قائل وجعلنا الليل والنهار ايتين لكنه جل ذكره وتعالى علاؤه وشانه لما بسط الارض
ودحاها انعاما منه على عباده ومرفقا لخليقته خلق الجبال فارساها على ظهرها فاستقرت
الارض بعد ميدها بقدرته وسكنت بعد حركتها بامره ونصب من الجبال الراسيات بالوزن
شكلا على وزن الكرة او نخلقها فكانت المطالع والمغارب على وجه مطرد ونظام محكم
غير منخرم وجعل كواكبها مقدارا من الجري عدلا وسطا يكون منه تكوير الليل على النهار
وتكوير النهار على الليل وبمقادير من التقسيم يكون عنه الطول والقصر منهما وحكم بالحد فيهما
في الاخر فيهما ابدا جاريات بجري محكم لتدبير تفصيل الازمنة وموقتة ساعاتها واياما و
شهورها وسنيها وفي اختلاف فصولها من ربيعها ومصيفها وشتائها وخريفها
وحرورها وزمهريرها بحكم مبرم وامر معجب محكم وكذلك تسيار كواكبها طالعة وغاربة
وكافة واسعالها في منازلها وحلولها في محالها كل بامره يعمل وبا قراره اياه يسير ويكر ويحل
ويتنقل على ذلك كله ملائكة بامره يعملون لا يسبقونه بالقول وهم من خشيته مشفقون
فعلم كل ذي عقل سليم ان حسن هذا النظام وبديع هذا الاحكام واطراد هذا الترتيب
وقوة هذا الضغط وشدة هذا الذم وشمول هذا القهر واتقان هذا الصنع من سائر
نوع وبسط مدحو منثور وجعل فنن شامخات على وزن محكم وارساء اصولهن في الارض
لا يعد بصنع متقن ولا مرصد وامر موقت محكم في مطالع او مغارب لا يكون الا عن تدبير
واخراج من مدبر وتقدير من حكيم عزيز عليم كما قد لقن اولوا الالباب من دلائل هذا الصنع
المذكور ان يدوا رده وائره باختلاف طوالعه وغواربه من كواكب وبروج ومنازل ونجوم

ومواقع نجوم واختلاف الزمان وتعاقب ليل ونهار وبان كل يوم هو في شان من جرور
وصرود وانزال الماء من السماء وتفصيل الى ما اليه يفصله انه منزله هو تعالى الاعلى
باحره الحكيم عن منبعث الفحيين من سعير ودخص يرو وفتح الفتاح العليم بالفصين الماء
المبارك منزلا من السماء وجعلت رحمته على غضبه كما شاء وانها دلائل ايات على الاحيا
بعد الممات وعلى الخراث في دار المصير وان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها مع تحقق
اللقاء المكريم وتجلى تعالى العظيم في جنات النعيم نظم بذلك قوله جل قوله فذكر انما انت مذكر
كما قال عز من قائل في غير هذا الموضع وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين المسيطر الجبار المسلط
وقد يكون بمعنى الحفيظ الرقيب كما قال ان عليك الا البلاغ يقر المصيطر بالصاد والسين
نظم بذلك قوله الحق عن قوله الا من تولى وكفر التكذيب واحد والمذكرون على منازل شتى
متباينة فمن ولها على مقادير حظوظهم من الهداية وصدق الاجابة ونصيحة الانفس واعمالها
بالمثابرة مع التيقظ والنظر والتذكر وتصحيح العبرة والتبرى اليه من الحول والقوة وادنى
منازلهم منزلة من ذكر فتذكر ولما تبين له الهدى اعرض وتولى فكان تقدير الكلام فذكر انما انت مذكر
من تذكر فبحر بايمانه وسعيه الا من تولى اى عما ابصره بتذكره وكفره بما هدى اليه وبانه من الحق
فيعذبه الله العذاب الاكبر والعذاب الاكبر عذاب الكماد وقراها زيد بن اسلم وعبد الله بن اسحق الا من تولى
وكفر بفتح الهمزة وتخفيف اللام وقراها عبد الله بن مسعود فانه يعذبه الله العذاب الاكبر بزيادة فانه

سورة الفجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر وليال عشر المعنى الا فهما قسم جل ذكره
بالفجر اذ هو من صنعه والله يقسم بما شاء من مخلوقاته وافاعيله اذ هى كائنة على قدرته ومشيته
وعلمه وعلى هذا فليس قسما اذا الا به عز جلاله وقد قيل ان المراد به في هذا الموضع فجر يوم النحر
والله اعلم وليال العشر هى قيل هى عشر ذى الحجة لفضلهن وربما كان المعنى بهن هنا العشر
الاواخر من رمضان لما كانت ليلة القدر فيهن جملة والشفع والوتر كل المخلوقات اذ كل شئ
فلا يخلو اما ان يكون شفعا واما وترا وقد يكون الشفع شفعا في نفسه بوجه ما وترا لغيره
بوجه ما واكثر ما ياتى ذلك في العدد وجاء عن رسول صلى الله عليه وسلم ان علم رجلا ان يقول لا اله
الا الله عدد الشفع والوتر وكلمات ربى الطيبات المباركات والله اكبر عدد الشفع والوتر مثل
ذلك والحمد لله مثل ذلك ثلث مرات والوتر الحق هو الله جل وعز والليل اذا يسر فاذا كان الليل
يسرى فهو سار كما سمى الشمس النجم الطارق والحجر العقل واذا بلغ هذه الصفة بان يحجر صاحبه
عن الماء ثم سمى حجرا وجواب القسم في قوله جل ذكره ان ربك لبالمرصاد ولما كان معنى القسم الوعيد
والتهديد وطنا من قبل ما انبابه كيف فعل بعاد ارم وانتظم بما في قوله هل في ذلك قسم
لذى حجر من معنى التهجم ومفهوم الابعاد ثم انتظم بما اتسا قايضا من ذكر اهلاك عاد وثمود وفرعون
وما حال عليه بقوله الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب
ان ربك لبالمرصاد فهو خبر اخبر به من جهة النظم وجواب قسم به في صدر السورة ذكر ان ارم
اسم ارض بعينها وقيل اسم لقبيلة وقيل انه ابو عاد الاول وقراها الوليد والحسن عاد ارم
ذات العماد وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها بالنون مفتوحة ونصب اللام من مثلها وقرا

الضحاك بعاد ارم بفتح الدال والهمزة والراء والميم ويمكن ان يكون مدينة ذات عماد
وعمود وربما كان المراد بها الاحياء لان العرب تقول للقوم شانهم ان تنزلوا الاخبية والبيوت
سوا هاهم اهل عماد وعمد وقوله تعالى في ثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا الصخر
يعنى الجبال واجروا فيها الاودية بصف قوتهم وبطشهم قوله تعالى واما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه
فيقول ربى اهانن هو جل ذكره يبتلى بالغنى وبالفقر وبالصحة وبالسقم وبالسعة
والضيق وبالعافية والبلاء والمراد من العبد في ذلك الرضى عن الله جل ذكره في جميع
الاحوال وفى اى حال اجله فيها شكر على النعماء وصبر على البلاء حتى ياتى امر الله ووصف
الله الانسان بانه مع النعمة والعافية فرح فخور وعند البلاء جزوع كفور وانبا الله
جل جلاله في خطابه ذلك ان الداعى الى ذلك هو حب الدنيا والبخل بها والشح عليها واتيانه
اياها بقوله دالا على الصنفين كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين
وتاكلون التراث اكلا لما يعنى شديدا واللم هو جمع الحلال الى الحرام والحرام الى الحلال
يلم بعضه الى بعض وبالكلية يقال لممت ذلك لما ممت الشئ بعضه الى بعض اذا جمعته حبا
جما يعنى كثيرا اعلم الله جل جلاله ان عباده قد جبلهم على حب المال وكان مقصود التكليف
ان يصرفوا وجوه قلوبهم عن ما جبلهم على حبه ومع المجاهدة لا بد من التغليب والغلبة فرضى
منهم بفضل رحمته لا بحسوم الحب كله وعبر عن هذه اللطيفة بقوله وتحبون المال
حبا جما اى الحب كله واخبر بصدق قيله جل من قائل انهما معا يوم القيمة عند معاينة
ثواب الشاكرين واكرام الصابرين يقع لهما اليقين بما اريد منهما فيقول الصنفان بمسانهما
ياليتنى قدمت لحياتى اى لحياة لا موت بعدها فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه
احد يمكن ان يكون معنى هذا فيومئذ لا يعذب كعذابه احد ولا يوثق كوثاقه احد ويمكن
ان يكون في ذلك اليوم خاصة انهم يوثقون ويعذبون بامر كون دون ان يباشر ذلك منهم
ملك ولا غيره سوى انه امر من امر الله جل امره وقد تقدم ايماء الى ذلك في سورة المدثر قوله
تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا صافون من خوف الخلايق ملائكة الارض ثم ملائكة
السماء الدنيا من ورائهم صف على ضعفى اهل الارض ثم ملائكة السماء الثانية ورائهم اهل
السماء الدنيا صف على ضعفى اهل الارض وكسماء الدنيا من التضعيف اهل كل سماء
صف فهم ثمانية صفوف اهل السماء التى تعلو على تضعيف ما دونها فصل كثر الاختلاف
بين علماء الامة رضوان الله على جميعهم في وصفه جل جلاله بالمجئ والنزول والاتيان
ونحو هذا كثير لكن الله جل ذكره لم يخرج جملة الامة من اعتقاد الحق وان كان قد فرق
بينهم على كل المقدار الذى اتاه من الهدى والعلم فمنهم من تاول المجئ بانه يجئ امره ومنهم
من قال امره نازل وصاعد اليه ابدا فما معنى تخصيص هذا الخطاب بالمجئ في هذا الوقت
ومنهم من قال لكنى اقول انه يجئ وانه ياتى وينزل ولا اكيف ولا اصفه بانتقال ولا زوال
او من بالخبر ولا اكيف ولا اشبه وفصل الخطاب بالايمان بذلك ومعتقده والله الموفق للصواب
وانه تعالى يجئ وينزل حقيقة ليس كالنزول المعهود ولا المجئ المعلوم منا لكن كما قال

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا فاخبر ان السماء تشقق بالغمام
الذي ياتي الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه فيه يقول عز من قائل هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والغمام من امره وتقدم ظهوره العلي للخليقة كذلك
نوره العلي من امره ومقدمه اية ذلك الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وضياؤهن
ونورهن يتقدمهن فالاتيان والمجي يقعان على امره بين يدي تجليه واما هو جل
ذكره وتعالى جده بعد تصديق الخبر الحق بالاتيان والمجي فلا يتصور منه انتقال ولا حركة
انما هو تجليه وظهوره حسب ما شاء وكيف شاء واين شاء وهو القريب المجيب كيف
يتصور مجي ممن لا يوصف بغيبة كيف يتحقق اتيان ممن لم يكن منه ذهاب يقول
الله جل من قائل ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا
ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وما يكون في شان وما يتلوا منه من قران
ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وقد تقدم الكلام في شان
معنى التنزيل والاستدلال ايضا على ان مجيئه بمعنى الظهور بقوله جل من قائل
فلما جاء امرنا اي ظهر لا انه زال وانتقل وقوله فاذا جاءت الطامة وجاءت الصاخة
المعنى اذا ظهرت لا انها تنتقل وتزول وانما معنى ذلك انها تتجلى لوقتها انما
مجي الحاضر واتيان الشاهد الظهور والتجلي عن حضور الاجل واذن المنية العالية قوله تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة اي الراضية ولانها راضية عنه رضيها هو سكنت سرها السكينة
انزلها ربها عليها وركت محامدها وعلت مبانيها ثم قال لها ارجعي الى ربك راضية
مرضية ورجوعها من هذه الحيوة اليه بالموت كما قال وما نحن بمسبوقين على ان نبدل
امثالكم قال ههنا فادخلي في عبادي اي كوني معهم حيث حلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجدت ادم عليه السلام في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السابعة ويمكن ان يكون محل صالحي
الامة ومؤمنيها في السموات الدنيا على مراتبهم ومنازلهم ثم قال وادخلي جنتي يعني
البرزخ كما قال فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ثم ادخلي جنتي
يعني دار الخلود منها وقرأ مجاهد وعكرمة والضحاك وابو جعفر ومحمد اليماني والكلبي
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبدي على توحيد العبد والعبد هو الذي يخلف الجسد
حال الموت والعبد ايضا هو الجسد فبهذا يدخل الجنة في الدار الوسطى والجسد الذي بلي
فالعبد باسمه يدخل جنة دار الخلود وعلى هذا فانا لا نقول ان الجسد الذي بلي غير
الذي خلقه المسمى المثل وانما هو بلي ظهره سواء بطن عنا كما كان قبل الموت استوى
ظهره والبطن وقرا هرون في حرف الحق يا ايتها النفس المطمئنة الى ربك راضية مرضية
فارجعي في عبدك وادخلي جنتي فهذا الاظهر فيه انه الجسد يقول لنا ارجعي في عبدي وكذلك قولها
معهم الى ربك وروي عن سالم بن عبد الله انه قرا فلجي بعبادي ولجي جنتي فقيل له انه ادخلي فقال سواء
ادخلي ولجي او وصفه جل جلاله النفس المطمئنة هنا في مقابلة وصفه نفس الانسان بما هو لها بما هو مؤمن
ذا تقوى ورضى عن ربه ذكرنا هذا اسال الله خير ما يسال واجزل ما يعطي بمنه وفضله العظيم

سورة البلد مكية

بسم الله الرحمن الرحيم البلد مكة اقسم الله جل جلاله بالبلد الحرام ثم بشر رسوله
صلى الله عليه وسلم بانه حلال بهذا البلد معنى هذا انه سيحله يوما من الايام وساعة من
اليوم وكانت تلك بشارة بفتح الله عليه البلد الحرام عنوة بحيل الله وجيوش المسلمين
بشر بذلك قبل وقوعه فكان كما وعد ثم نظم بذلك قوله الحق ووالد وما ولد يعني
ابراهيم عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته المشهورة ان الله حرم
مكة ولم يحرمها الناس فهي حرام بحرمة الله الحديث وقال عليه السلام ان ابراهيم حرم
مكة يعني انا حرمت مكة على لسان ابراهيم وانا احرم ما بين لابتي المدينة فمكة حرام
بحرمة الله وتحريمه اياها يوم خلق السموات والارض ولما اظهرها على يدي خليله ابرهيم
عليه السلام حرمها على لسانه كذلك كانت حرمها بحرمة الله وتحريمه ثم تحريم ابراهيم عن الله
جل ذكره ولما احلها لرسوله عليه السلام حرمها ايضا على لسان رسوله في تلك الخطبة بقوله
وانما احلت لي ساعة من نهار ثم استرخص لقتاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا
ان الله احلها لرسوله ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس ثم قال الا
ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى من سامع ورب حامل فقه ليس بفقيه علم جل جلاله
رسوله صلى الله عليه وسلم بما يكون بعده من قتالها وخرابها ونذر في هذا المقام بما يكون
من ذلك والله المستعان فاشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم والده ابراهيم صلوات الله
وسلامه عليهما خلقا وخلقا وملة وشرعا وتحريما للبلد الحرام وتحليلا له باذن الله كما قال
الله جل ذكره بعلم الغيب وتقديره السابق في ذلك على اظهار الاكوان على سواء التقدير كما قال
رسول صلى الله عليه وسلم انا اشبه ولد ابراهيم به والعرب تقول منى بات شبهها سنا من ابيه ووالد
وما ولد تقول من اشبه اباه فما ظلم وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم قدامه ربه بتطهير البيت بعد
بنائه اياه واستوائه على قواعده فقال واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل
فج عميق المعنى الاخر فكان المستجيب له محمد صلى الله عليه وسلم ثم امته من بعده وهم الطائفون
والعاكفون والركع السجود فطهره ابراهيم واذوحهم على ما امر به ثم طهره محمد عليه السلام واطهره
من الانصاب والازلام والاصنام وجميع الارجاس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابراهيم
وقد تقدم الكلام عليه لكنا ننبه على حكمة الله جل ذكره اذ ياتي بخطابه متنوعا لمزيد علم وموجود
فهم لمن يدنا من اياته نظم بذلك قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد هذا جواب القسم الكبد
المشقة ومكابدة ايات الزمان والخصوم يكابد بعضهم بعضا اي يشاق بعضهم ويقاسي بعضهم
من بعض مشقة والى هذا فان معنى الكبد المشقة ومقاساة الانسان ما يكابده طول حياته من
بلاء ورخاء وشدة ودعة وصحة وسقم ثم بعد هذا كله الموت ثم مقاساة ما هو بعد الموت
طول البرزخ ثم بعده الحيوة الاخرة ثم بعد ذلك بالمقصود فان الانسان لم يخلق لحال
واحد يكون عنها ابدا بل يكون محصورا في خزائن السموات والارض ثم في الماء ثم في النبات
ثم في الحيوان ثم في المني ثم في البطن ثم مولودا ورضيعا وصغيرا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا
ثم هرما ان لم يعاجله المنايا وهو حي في هذه الاحوال كلها ثم يحول عليه حال اخر بالموت
وبعده ثم بالاحياء والنشور والحشر والوقوف وما بعد ذلك فهذا اول وليس بمدافع

لما تقدم بل منهم لذلك وهو اعلم اتبع ذلك ايحسب ان لن نقدر عليه احد فلا نعيده بعد
موته نظم بذلك قوله يقول اهلكت مالا لبدا قيل انها نزلت والتي قبلها في رجل من بني
جمح كان يقول اهلكت في عداوة محمد مالا كثيرا ولا يترك معنى كتاب الله جل وعز وسرد
حكمته لحكايات لعلها لا يصح لها وجود ولو صححنا وجودها لم يصح ان الله انزل هذا الكتاب
في شانها الا ان نوافقها على ذلك كتاب الله وسنة رسول الله والمعهود من خلق الانسان
بما هو انشاء الدعوى فهو ينفق في شهواته وانفاذ لذاته فاذا ذكر بلقاء الله سلم تسليم
جدل واظهر الفرح الى ما انفقه من مال او ما عمله من عمل يشبه سنن الصلاح كاطعام
الطعام واقراء الضيفان وصلة ارحام واصلاح فساد وحمل حمالة واحمال اذى ونصر
مظلوم ووفاء بعهد وكان من امثال هذا في رجال كثيرة من الجاهلية لكنها كانت اعمالا ضائعة
اذ لم يكن على ايمان وتوحيد لله جل ذكره على تصحيح نية وسنن سنة رسول الله باديهم عن الله و
بيناهم فكان احدهم يفزع الى مثل هذه الاعمال وربما عملها ابتغاء الثنا والاستكبار من حظوظ
المجازاة من الناس ومن عرض الدنيا فبعد ذلك ويدعي انه فعلها لله بجهله بمراد ربه
وقلة علمه بحدوده فاحتج عليه فقال لمخاطبه ان كان ثم ارجاع كما يقول سارجع اذا الى ما
قد انفقه وبيّن قد فقد بهم يقول الله جل من قائل ايحسب ان لم يره احد كما قال الم يعلم
بان الله يرى فقد علم الله مبلغ علمه ومراده بعلمه وتوجه نيته وما اسر في ذلك كله وجهر
نظم بذلك قوله الم نجعل له عينين فنظر بهما الى ايات ربه في السموات والارض وتفكر
فيها ليذكر فيبصر بنور الايمان وعين اليقين ولسانا وشفتين فينطق بالحق ويشهد
بالصدق وهديناه النجدين اي الطريقين سبيلي الخير والشر والهدى والضلال النجد
الطريق والمراد بيناه والله اعلم بما بينا الم نجعل له عينين فيرى مصانع الله وافاعيله
منطوية بالحكمة على الاسلام مفطورة بالحق مخلوقة فيعمل هو على ذلك ويخرج عباداته
استسلاما لربه ويوجه خالص النية لعداله وشكرا ويشهد بالتوحيد ويعلن باعلاء
التوحيد فان الحكمة في الموجودات عنوان الثبات لذلك قال لا يستقبل منا عمل الانس نظم بذلك
قوله فلا اقتحم العقبة ويمكن ان يكون معنى فلا فهلا اقتحم العقبة وهي هنا التوبة ثم العمل
بها وما يتحقق بان يكون المعنى في ذلك فلم يقتحم العقبة كقوله فلا صدق ولا صلى والمعنيان
قريب بعضهما من بعض يقول عز من قائل فعلنا به ذلك فما اهتدى وعلى ان يكون بمعنى فهلا واوه
كان قد فضل السبيل هلا ثاب واقتحم العقبة وسمي التوبة عقبة لمخالفتها هوى النفس من صبر
وانفاق وغير ذلك اتبع ذلك قوله عز وجل وما ادريك ما العقبة عظم قدر التوبة
بحسن اثرها انها تبدل من الغضب الرضى ومن الشقاوة السعادة ومن العداوة الولاية
ثم قال عز من قائل فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة اعتق الله عنه بكل عضو منها
عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج فلهذا ما دل النصح عليها عند التوبة حتى لما كان
اطعام الطعام يحيي لرسوق وهو الغذاء واستنشاء الحيوة يكون باذن الله كان كفا
في اكتساب الحيوة من الاخرة وكان الاطعام في المحتاج القريب في اهل الخاصة من المسكين

كان

كان اكثر في جعل الحاجة مكانها دل عليه جل جلاله المتربة شدة الفقر المدقع اللاصق بالتراب
من شدة به **فصل** جعل الله العقبة التي في الدنيا دون الجنة التوبة على شروطها
من ندم على ما مضى وفات وتوجيه نية وتصحيح عقد واخلاص بوجهه واعلان بنيته
على نفسه واقرار بتقصير وسؤال غفران واصلاح لما قد فات من الاستقامة
اصل ذلك ومنبعث وجود معرفته بما حكاه من قصة ادم عليه السلام وابليس الملعون
هذا تاب فتاب عليه وهذا اصر وابى فلعنه وطرده عن جواره وعزله عن ولايته فعقبة
التوبة والعمل الصالح في الايمان والاسلام هي العقبة دون الجنة فاذا جاوزها العبد فهو
على مجاوزة عقاب الاخرة اقدر ان شاء الله تعالى ومن كان على ايمان واسلام ولم يعلم
عقبة التوبة صعد على الصراط عقبة كؤدا قبل صعودها الفعام وهبوطها الفعام
ومن جاءت من الايمان والاسلام ولم يجاوز العقبة حرم الجنة ولاجل النار وكلف ان يصعد
ثم يهوي منه هكذا ما شاء الله في هذا النوع من العذاب قبل مصعده مسيرة سبعين سنة
وان عذابا يرهقه ويضطره الى صعود لهواء مراشد ومن تكلف ذلك قال الله عز وجل
سارهقه صعودا نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا والاخرة اتبع ذلك قوله عز
من قائل ثم كان من الذين امنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة يقول عز من قائل فلا
اقتحم العقبة فاعتق ان كان معرا واطعم ان استطاع ولا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فعليه ان
يلازم التقوى والايمان والتواصي على الصبر على طاعة الله وعن معاصي الله والتواصي
ايضا بالرحمى فانه من رحم يرحم ومن غفر يغفر له ثم كذلك الى الممات نظم بذلك قوله عز وجل
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة يقول من لم يكن كما ذكرنا فهو من اصحاب
المشأمة اي من اصحاب الشمال وهو لشؤمه كله والموصدة المغلق المطبق نعوذ بالله من ذلك

سورة والشمس وضحيها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الضحى بضم الضاد والقصر صدر النهار حين ارتفاع وضحاء
بفتح الضاد والمدة شدة الحر بعد امتداد النهار ضحي الرجل اذا اصابه الحر وهي صلاح اذا
ظهر الشمس والحر والقمر اذا تلاها يعني الشمس تبعها وكذلك طلوع الفجر حين امتداد
عند غروب الشمس هو دونها والنهار اذا جلاها المعهود في راي العين ان النهار عن انارة
الشمس والصبح عن تقدم ضيائها حتى اذا طلعت فهو النهار واما في حكم الغيب
فالنهار هو الذي يجليها لا تطلع الشمس الا لان النهار الحق الذي هو هذا النهار
عنه بطهرها والليل هنا لا زمردات والنهار الذي يجلي الشمس بسماه اي يعطيه فيكون
النهار وذلك بمقادير معلومة وموازين قسط يعني الليل النهار يطلبه حثيثا قال الله
عز وجل واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ثم قال والشمس تجري لمستقر لها تجرت
ما جرت واين سكنت كان نهارها وحيث لم يسلك سلطانها فهو الليل الذي يكون عن
يكون الليل على النهار ويكون النهار على الليل والليل اذا يغشاها يغشيها الظلام والليل
لا يسبق النهار والنهار الطالب الليل وهو يذكر لكن بمقادير مقدرة واجال محدودة
تقدير من عزيز عليم غلب جل ذكره النهار وفعله على الليل لما فيه من الاضلال والاظلام والاكدار

وماليس من معاني الاسماء الحسنى فافهم منبه بذلك على ان الله جل ذكره له المثل الاعلى **قوله**
تعالى والسماء وما بنيها والارض وما طحيها الطحو مثل الدحو وهو البسط وقد يكون الطحو
الذهاب والرمي يقال ما طحا بك وماذهب بك قال الشاعر ، طحى بك قلب في الحسان طروب ،
بعيد الشباب عصر حان مشيب ، وليس وما سواها يمكن ان يكون معنى ما ههنا معنى الذي
فيكون القسم بالله جل ذكره ويمكن ان يكون بمعنى الامر الذي بنيت السماء والارض به ومن اجله
وكل شيء فعلى هذا يكون ما على معهودها ويكون ايضا بمعنى التعجب والافتخار والتعظيم
كما قال عز من قائل الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة ونحو هذا وكقول المراة زوجي
مالك وما مالك مالك خير من ذلك وكقول الاخرى زوجي ابو زرع وما ابو زرع وسوى
النفس هو اكمال خلقها حيوة وصفات وهي اذا بلغها هذه الغاية الهمها فجورها وتقويها
يعني وهو اعلم لعبها وفهمها وهي معرفة الفطرة كما قال عز من قائل وهدينا النجدين
وكقوله قدر فهدى **قوله** تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها هذا جواب القسم
والله اعلم زكيها ونفعها بالطاعة لله تعالى واعلى قدرها بالايمان واصل الزكاء النماء قد يكون
كمد بد مجبولا على مروة وكرم سجية وعمل بما يقتضيه العقل الانساني وهو المراد الاعلى فقوله
قد خاب اي غير محرم من النار ولا مركبة ولا موجب له الجنة بالايمان بالله وما يجب الايمان به والاذعان
والعمل بما امره واجتناب ما نهى عنه بعلم وتعبد لمن اسلم والى من توجه بوجهته وبينه ليس في ذلك
وتعلق وهذا هو المراد الاعلى بقوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وهو من الدس
في التراب يريد وهو اعلم اسفلها اشقاها وهو عاقر الناقة **قوله** تعالى فقال لهم رسول الله
ناقة الله وسقياها بمعنى احذروا ناقة الله ان يعقروها واحذروا سقياها ان
تعدوا عليه وان يرزوا منه شيئا يقول الله جل من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم الدمدمة
الاهلاك ولا استيطان فسويها يعني سوى بينهم في الاهلاك اشقى القوم من اهلك قومه من اجله

سورة والليل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم جواب القسم ان سعيكم لشتى ثم فسر ذلك بقوله الحق فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الحسنى هنا هو الايمان بالله وباسمائه وصفاته
وبما يجوز عليه وما يستحيل الدين وبانبيائه وكتبه ورسله وملائكته واليوم الاخر وما فيه
وما فاد الى ذلك من قول او من عمل كل ذلك من الذي هو احسن فان الحسنى تانيث الاحسن
واليسرى اي نيسر عليه ذلك ونحببه اليه قولا وعملا ثم نيسره الى ثواب ذلك مصيرا ومابا
واما من بخل اي بما عونه وبماله والماعون كل ما نفع الغير ولم يكن عليه في بذله كثير مؤنة
ثم بعد هذا ما يجشم المؤنة فهو افضل وحرم مال المسلم على المسلم واستغنى الان بطيب
بذلك نفسا ثم تذهب هذا بنا بزاحم الايجاب الى يسارع في الخيرات ويعين اخاه المسلم بنفسه وماله
وما امكنه وليسخن الى من ال ذلك مسعه والصبر على نفسه ثم قال واستغنى اعظم الكفر
ضررا واكبره حوبا الاستغناء عن الله كما التوكل على الله والتفويض اليه اكبر العبادات
وافضل ما تقرب به ثم الاستغناء بما عنده من العلم عن طلبه وينبغي عن بذل المودة للمؤمنين و
اليهم ما نعرية من ندبه وكذب بالحسنى وقد تقدم فسنيسره للعسرى اي لمضادة ما منه فيكون

من اصحاب

من اصحاب الشمال واذا كان كذلك عسر عليه فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ورد
السائلين وسنن العبادة والعمل بطاعة الله وضيق صدره بذلك والبعد عن الايمان و
الاسلام والعمل بطاعته نسال الله معافاة ومغفرة **فصل** ثم امرهم بطاعته ووعدهم
على ذلك خير الدنيا وخير الاخرة هذا هو الاصل المرجوع اليه ثم انهم لم يستجيبوا لربهم
ولا اقبلوا الى حظهم الذي دعاهم اليه انذرهم عذابه واحاق بهم وعيده وما يغني عنه ماله
اذا تردى هذا بيانا لذكره البخل يقول وما يغني عنه ماله اذا تردى اذا مات ماخوذ من الردى
ذهب ماله ويثبت موته ويتوجه ايضا قوله اذا تردى في النار نظم بذلك قوله عز وجل
ان علينا للهدى ذكر الهدى ياتي على وجهين بمعنى الاعلام والارشاد كقوله واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ويأتي باتمام النعمة بالاعلام والارشاد والتوفيق
والمعونة والقبول وايضا لذلك بالنهاية كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون يقول عز من قائل وان لنا للاخرة
والاولى نعرض بانه يعطي من اطاعه خير الدنيا والاخرة ومن تولى عن الذكر وبخل واستغنى اذاقه
نكال الاخرة والاولى كما قال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى
نظم بذلك قوله جل من قائل وانذرتكم نارا تلظى التلظي شدة وهيج النار وشدة اشتعالها
وهو اشده التهابا بالاتصال على الخلود الا الاشقى هو الكافر بالاضافة الى الموجود في يصليها
ذلك الموضع منها الا الكافر والله اعلم بما ينزل فيه وسيجنبها الاتقى وهولاء هم اهل الغلبة في التقوى
اهل البراءة من كبائر ثم وصفهم بانه وصف جود واخلاص وسكت القران عن الصنف الوسط وهو اهل التقوى واهل المغفرة

سورة والضحى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم سجا الليل اذا سكن وليلة ساجية اذا كانت ساكنة الريح وطرف ساج
اذا كان فاترا وبحر ساج اذا سكنت امواجه ودعك ربك فارقك وما قلى ما ابغضك ومن
قراما ودعك بالتخفيف فمعناه ما تركك وللاخرة خير لك من الاولى وكان صلوات الله وسلامه
عليه مرض ليال فلم يقم لحزبه من اجل ذلك اذ كان بمكة فقالت له عجوز كانت مجاورة له يا محمد ما ارى
شيطانك الا قد ودعك فانزل الله هذه السورة نظم بذلك قوله عز من قائل وللاخرة خير لك من
الاولى لعزته في مرضه وعسى كان معاسبه من تخلف قومه وقوله عز من قائل ولسوف يعطيك ربك فترضى
يسره بما يفتح عليه في الدنيا وباتمام نعمته عليه في الدنيا والاخرة وقد تقدم معنى هذا مجملا في قوله
وللاخرة خير لك من الاولى ثم قال عز من قائل الم يجدك يتيما فاوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك
عائلا فاغنى الى اخر السورة عدد عليه نعمه في الدنيا لتدل ذلك مع ما وعده به واخبره على خير ما
يستقبله من خير الدنيا والاخرة ولترحم اليتيم ولتعطي السائل وتحدث بنعمة ربه عليه واعظم نعمه
قبله ما خصه الله به من السورة والرسالة والقران والحكمة وامره اياه بالتبليغ ومعونته اياه

سورة الم نشرح مكية

بسم الله الرحمن الرحيم شرح الصدر توسعته للاسلام والايمان ونور العلم والايقان وقد طهر
الله له ذلك مرتين يوم نزل عليه جبريل عليه السلام وهو عند ظئره في بني بكر وليلة جاءه ملكان احدهما
جبريل عليهما السلام فقال احدهما للاخر اهو هو الثالثة بين الرجلين فشرح صدره للسد ثم ازكيه

على البراق الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات والى السدرة المنتهى والى الجنة والنار ثم رفع
الى المستوى حيث سمع صريف الاقلام ثم اوحى الله جل جلاله وتعالى علاوه وشانه الى عبده
ما اوحى قال الله جل قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء فانشرح على القدر الذي شرح وانتهى الى حيث
انتهى به الشرح والغسل والتطهير وعلى قدر ذلك يصعد في السماء بوهمه وفهمه ومن خاب ذلك
لم يصعد به ومن اراد الله اضلاله ضيق صدره وتركه ضيقا حرجا لا يسع لانوار الهداية
ولا ينشرح لحقايق الوحي لا يسعه بقوله كانما يصعد في السماء قرئ بالتخفيف والتثقيل يقول
والله اعلم بما ينزل كما يستطيع ان يصعد اليها بالايمان واليقين وقبول النصايح ففرق ما بين النبي
والولي ومن ذلك ان النبي شرح صدره ظاهرا واعلى به ظاهرا والولي شرح ذلك منه باطنا
واعلى به باطنا والكافر ضيق ذلك منه وابقى ظلمته وحظوظ الشيطان منه وفيه فهو لا يستطيع
قبول الهداية ولا الصعود في معارج العبرة الا على مقدار ما يستطيع الصعود في السماء كذلك يجعل
الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الايات لقوم يذكرون لهم
دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القلب اذا دخله
النور انشرح له واتسع قوله جل من قائل الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك قدم له البشارة بالمغفرة قبل انزال الاعلام بالمغفرة في سورة الفتح انقض
ظهرك كناية عن الثقيل والوزن بثقله ورفعنا لك ذكرك ان جعل ذكره متصلا بذكره لا يتم شهادة
عبد ولا ايمانه ما لم يقرن الشهادة له بالنبوة والرسالة بشهادة التوحيد لله جل ذكره و
رفع ذلك منه في ارفع اصوات المسلمين اعلاما باوقات الصلوات والتجمع اليها وهذا منتظم بما تقدم
ذكره في سورة والضحى من تعداد نعمه قبله وجعل لنا قرانا يقرؤه ووحيا انزل الينا معشر
هذه الامة نتلوه رحمة منه بنا ومنة علينا اذ نعمه قبله متصلة بنعمته علينا واعلاء قدره
في الدنيا والاخرة من اعلائه اقدارنا فلله الحمد رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم اللهم زده من نعمائك وبركاتك وصلواتك وسلامك عدد ما خلقت وما انت خالق
واخلفه في الغابرين من امته يا ارحم الراحمين نظم بذلك قوله جل من قائل ان مع العسر يسرا ذكره بانه كان
يتيما فآواه وعائلا فاغناه وضالا فهداه وبانه شرح صدره ولم يتركه حرجا عن ضيق ورفع له
ذكره بعد ضعف وخمول ووضع وزره بعد ان كان ثم اعلمه ان لهذا نظراء فقد جعل الله له بعد
يسرين في دين ودنيا ذكره به وقد قضاه وفرغ منه هبة اياه وعطية ثم بشره بان العسر الذي
هو فيه من تخلف الناس عنه وعتوهم عليه يجعل له من بعده يسرا فقد كان من الفتح عليه في دخول
الناس في دين الله افواجا ووفود العرب ترد عليه والناس اليه سراع ثم بعد وفاته الى حد معلوم قدره
الله ثم كرر العسر كرة بعد كرة كانت منه فبشره بانه يجعل له من بعد هذا يسرا هكذا ارادة الله جل ذكره
بعد وارد وارثا لتقدير عسر لعسر وبعد عسر يقول الله عز وجل سيجعل الله بعد عسر يسرا انه قال ذلك
امر الله انزله اليكم فكانه قال له جل من قائل ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وحسبك من وجودك اياه
برحمتنا اياك كذلك فيما انبأناك به عن ظهور الدين على يديك واعلاء الكلمة نظم بذلك قوله فاذا
فرغت فانصب يقول فاذا برعليك امرك فانصب في عبادة ربك واذا عرض عليك بعض شانك فالى ربك فارغب

اليه واضع

اليه واضرع وذكر النصب مع الفراغ وذكر الرغب مفردا لان المصر عليه يجب عليه
الرغب في التوفيق والهداية واستعمال الشكر والمعسر عليه يجب عليه الرغب في الثبات
وجميل الصبر وكشف الضر فالرغب الى الله شعار العبد على كل حال وهو بساط العبودية

سورة والتين والزيتون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم التين والزيتون جبلان بارض الشام وقيل التين جبل بدمشق والزيتون جبل
ببيت المقدس وهو موضع ظهور عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه والتين الذي بدمشق
موضع نزوله ان شاء الله وطور سينين وقرا عمر بن الخطاب وطور سينا وكذلك في
حرف ابن مسعود عنده تكلم موسى صلى الله عليه وسلم وناجاه واعده ربه عز وجل وبذلك سماه
في غير هذا الموضع في قوله وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن يعني شجرة الزيتون
والبلد الامين مكة امين بمعنى مامون كقتيل بمعنى مقتول وقد يجوز ان يكون بمعنى آمن
بمعنى سالم واثيم بمعنى آثم منه كان ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميعهم وجاء في بعض الكتب
المتقدمة اقبل الله من سيناء وتجلى من ساعير واستعلن من جبال فاران فاقباله من سيناء
اي موسى واقباله من ساعير اقباله لعيسى واستعلانه من جبال فاران محمد صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم اجمعين وسلم نظم بذلك قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم
هذا جواب القسم يقول خلق الانسان مفطورا على فطرة الاسلام الدين القيم على الصراط
المستقيم لذلك وصف خلقته بقوله في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين اما في طريق
الديانة فالكفر والتكذيب واما فيما سبيله الجزاء فالمسخ في دار البرزخ وتحويل صورته
الى ما غلب عليه خلقه وعلمه في الدنيا من الذئاب والهوام والبهائم وفي الاخرة سواد
وجهه وتزرق عيناه وسوء خلقه وقد قيل في قوله عز وجل لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم اي في احسن صورة ذو روح وذلك موجود في خلقة العالم الاكبر قال الله عز وجل
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الى قوله
جل ثناؤه ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين الى قوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق
الى قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض الى قوله وان لكم في الانعام لعبرة الى آخر الكلام
والحمد لله هو احسن الخالقين صورة احسن صورة واتقن بحكمته احسن خلقة جاء في الكتاب الذي نزل
التوراة ان الله عز وجل قال اني خلقت آدم ركبت جسده من رطب ويابس وسخن وبارد خلقته من
تراب وماء ثم جعلت فيه نفسا وروحا فيبوسة كل جسد خلقته من التراب ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس
وبرودته من قبل الروح ومن النفس حدته وخفته وشهوته ولهوه ولعبه وضحكه وخداعه وعنفه وخوفه ومن
الروح حلمه ووقاره وعفافه وفهمه وحياؤه وتكرمه وصدقه وصبره جمعه من معرفة
ممتزج للحق في ذلك من فتح رحمته وفيحى عذابه على نده وار الافلاك واختلاف الليل والنهار وكيفيات والدقايق وعدد الشهور والايام
السنين ومعاني موجودات آثاره الاسماء والصفات في العالم ثم ركبه عظاما وعصبا وعروقا وعضلا
وجبا ودما ولحما فالعروق في العظام والعظام تمسكها العصب والدم في اللحم واللحم يمسكه الجلد ثم جعل له
اثني عشر وصلا على عدد الاثني عشر برجا ومائتين وثماني واربعين عظما وثلاثمائة وستين مفصلا وثلاثمائة وستين
عرقا فتم ذلك كله بتقسيم حكم وعلم في الراس والدماغ والاذان والعنق والفقار والمرفق والاصلاع وفي البدن

والرجلين والذراعين والساقين والكتفين والوركين والجنبين وجعل اصل العروق التي تمدها
بمنافعها المؤلفة واللحم المكتنز والعصب والرباطات كلها عرقا واحدا يقال له الوتين مستبطن الصلب هو نهر
الجسد الاعظم يسقيه الكبد وهو بيت الدم باخر من الوتين ستون عرقا هي انهار الجسد منها يأخذ العروق كلها
منها ثمانية عشر تسقي الصدر وسبعة تسقي العنق واربعة تسقي الدماغ وعشرون ضلعا من العظام منها في جنبه الايمن
تسعة اضلاع وفي جنبه الايسر ثمانية وجميعها مركبة في تسع فقارات الظهر لكل عرق ضلع يأخذ من الوتين الى
البصر في كل جانب يسقي الصلب الدماغ والنخاع وهو العرق الذي في جوف الفقارات الى الدماغ فاذا بلغ الوتين
مستبطنا للصلب الى الوركين تفرق خمسة عروق في الرجلين لكل رجل عرق خمسة عروق تسقي الجانبين ثم
تفرق الوتين من مجمع الوركين ثم يجتمع المتن في الصلب ثم اذا بلغ الوتين مستبطنا الصلب الى القلب تفرق باثنين
فصار احدهما الى القلب وتفرق الاخر الى ستة عروق من مجمع الصدر الى الرئتين وهما الاكحل فيتفرق فيهما عشرون
ثم تشعب من كل واحد من تلك الخمسة اربعة عروق وعرقان يسقيان المثانة وعرقان يسقيان الاضراس وعرقان يسقيان الصدر
وعرقان ينزلان بالحر من الدماغ الى الكليتين وعرقان يصعدان بالبرد من الكليتين الى الدماغ وعرقان ينزلان من الدماغ
الى الكبد ويصعدان الى الدماغ والقلب معلق الظهر في الجانب الايسر وبحياله الطحال
وفي الشق الايمن الكبد ومعها المرارة واما المعدة في البطن في الشق الايمن مع الكبد وفي
الشق الايسر الطحال ودون المعدة المصران والحجب والمثانة والرئة كالمروحة على القلب
يخرج من حرارات النفس ويدخل من روح الهواء وهو عيشها وبيت الروح القلب وفي القلب
طبقات ثلث في وسطها مضغة بيضاء هي حبة الفؤاد وهي التي اذا صلحت صلح
سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد على الهداية والضلالة والعبد الباطن هو المحرك
المتحرك المحرك شيء واحد مشتمل على اربع صفات عالية هي النفس والروح والعقل والهوى واربعة
رياح سميت بذلك من حيث هي قوى وربما سميت ارواحا مجازا واتساعا من حيث
كانت هي المعينة الناظرة اليها ومن حيث هي مدبرة تدبرها المدبرة للامر فهن ارواح سفل
مما يلي الجسم وهي الجاذبة والممسكة والطاحنة والدافعة ثم يسبع هذه غيرهن هن لهذه معان منها
كالمعديات والقسمات والنازعات والناشطات والمنشئات والمنميات يجري من هذه في كل مفصل وعضو
وعرق وشعر وبشر كذلك يكتنف العليا صفات هي الحيوة والعلم والقدرة والارادة ثم يكتنف هذه
صفات هي لها معان هي منها يتصف به من هذا العبد الباطن المقصود بهذا الوجود منها التعاظم والتكبر والتعالي
والحكم والحكمة والعزة والرحمة والطول والتوسع واللطف والخبر وكشهود والقرب والبعد والحفظ
والاجابة والمراقبة والحق والبنيان والرأفة والمغفرة والعفو والكرم والبر والصبر والايمان والاسلام الى غير
ذلك من الاسماء كما يتصف بالضعف والذل والمهانة والقسوة والجرح والخرق والصغر والذلة
والكذب والكفر والنفاق الى غير ذلك من صفاته ذلك انه خلقه من ممتزج امشاج ما تقدم ذكره موجود في
العالم لكنه سبق رحمته قبل غضبه لخلقه احسن خلقة وصورة احسن تصوير وفطرة احسن فطرة
فان امشاه على الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم فقد غلبت رحمته على غضبه وان اسفله فقد امضى فيه مشيته
ولا معقب لحكمه وهو احكم الحاكمين يقول جل من قائل ايها الانسان ما يكذبك بعد ما اراك من حكمة هذا
في بني جنسك الذي الله هو الذي ابدع هذا المبدع وصور هذا التصوير باحكم الحاكمين ثم اعلم
انه ينبعث من هذا الوجود عروة الى معرفة نسبة خلق هذا الانسان من خلق السموات والارض وخلقه

العالم الاكبر ثم الى علم على بلغ الحكمة فيوقظ من السنة ويهدي من الحيرة وعلى الله قصد
السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين سبحانه وله الحمد وتبارك الله احسن الخالقين ابعد ان خلقه
على حسن هذه الخلقة وجعل لهذه الصورة متصلا واصلا اسفل به الى اسفل الدركات وسلب حلي
حسن الاسماء والصفات اتبع ذلك قوله عز من قائل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم
فلم يتركهم على خلقتهم حتى استعملهم بطاعته كما استعمل ملائكته وسمواته وارضيه وما بين ذلك
ثم اعلاهم الى عليين وصور رفيعا هنالك صورهم على مقادير علومهم واعمالهم ومعرفتهم جميع
ذلك قوله فلهم اجر غير ممنون نظم بذلك قوله عز جلاله فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين
اي بالجزاء على مراتبه ومقاديره علوا وسفلا خيرا وشرا اليس من الحق المفهوم والواجب الوجود ان من صور
هذه الصورة ومزجها بهذه الامشاج ووصلها بهذا الوصل بلوغها هذا المبلغ يقادر ان يجزي
كلا بعمله فيرفع هذا قدرا وصورة ومحلا الى حيث شاء من رحمته وولايته ويسفل بهذا قدرا وصورة
ومحلا الى حيث شاء من نقمته وابعاده ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
والتين والزيتون فقرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين فاعلم وفقنا الله
واياك كيف نشهد عند ربك فان حقيقة الشهادة هي ما صدرت على علم ويقين وقرأ عبد الله اسفل السافلين

سورة العلق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
الى قوله علم الانسان ما لم يعلم هذه الجملة على تاويل بسم الله الرحمن الرحيم وكما يقال في الباء
الزائدة بسم الله ابدأ وابدأ واقرأ بسم الله وهذا اولى الوجهين وكذلك قوله اقرأ باسم ربك
الذي خلق واسم الخالق وضمن اسم الرحمن جل جلاله وتقدست اسماؤه وكانت هذه اول سورة نزلت
من القرآن فكانت التسمية متضمنة فيها كالامر بالتسمية والاستعاذة عند ابتداء القراءة
والعلق الدم وكل انسان من علق والعلق كائن عن النطفة ثم ينتقل المخلوق في طبقات الخلقة الى
ان ينشأ خلقا اخر فكان معنى الكلام الى قوله خلق الانسان من علق معنى قوله بسم الله الرحمن الرحيم
اتبع ذلك ما تاويله بسم الرحيم جل ذكره قوله اقرأ وربك الاكرم الى قوله ما لم يعلم والاية الاولى
دالة على وجوده العلي وعلى قدرته وعلمه وارادته ولطفه وحكمته وتقديره وتقدمه في الانشاء وقبل كونها
وفطرته الموجودات على دينه الذي هو الاسلام والاية الثانية دالة على ما تقدم ثم على رحمته بعبده
ووليه ونعمته عليه المفضية به الى رحمته العليا في الدار الاخرة قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى
ان راه استغنى اخبر جل ذكره فعله في الانسان وانه لم يبصره ويهده ويعصمه هالك لا محالة كما شبه
قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا اقل من ذلك ولا اكثر وقوله لا تكلني
الى نفسي فاهلك ولا الى الناس فاضيع نظم بذلك قوله جل من قائل ان الى ربك الرجعى وهو اسم للرجعة
كقوله واليه تقلبون واليه ترجعون قوله تعالى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل
قال لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن رقبته وفي اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي فجاء ابو جهل
فقال الم انهك عن هذا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم
ما بها ناد اكثر النادي هو المجلس اذا كان اهلا باهله فانزل الله فليدع ناديه سندع الزبانية
قال ابن عباس لو دعا ناديه لاخذته الزبانية وفي اخرى لما هم ان يدنو منه نكص على عقبيه فقال

اصحابه عن نكوصه فقال اني رايت بيني وبينه خندقا من نار وهولا عظيما وقيل انه تمثل له فحل من الابل فاغرفاه لياكله فانزل الله جل ذكره في ذلك منه ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت يعني النبي عليه السلام ان كان على الهدى وامر بالتقوى هنا محذوف نهاه عن الهدى توذيه لانه يامر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى يعني ابا جهل الم يعلم بان الله يرى فيبصر يعلم ويظهر دينه كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية السفع هو الاخذ العنيف الشديد يسفعت بالشيء قبضت عليه وجذبه جذبا وغبطا فوصف جل ذكره ما يؤول اليه في الاخرة ملائكة العذاب بناصيته كقوله عز من قائل يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ويجوز ان يكون المعنى مع زائدا الى ذلك الامتلاء بانه يفعل ويؤخذ بناصيته كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه ان ابا جهل اذاه بمكة يوما فسقط ابن مسعود وقال ابن هشام اني والله لقد رايتك في المنام كاني اضرب بين كتفيك فخرجت واخذت بناصيتك ولئن صدق رؤياي لاطان رقبتك ولاحزن راسك فلما كان يوم بدر ضرب بسا عفراء الا بفضا بان يسقيها حتى سكن فجاءه ابن مسعود في مضجعه ذلك وبه رمق فقال اي عدو الله قد رمانك الله فقال لمن الدائرة اليوم قال الله ولرسوله ثم جعل رجله على رقبته فقال له يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقا صعبا ثم اخذ بناصيته وحز راسه وقرا ابو حيوة ناصية كاذبة خاطئة نصب على الذم وفي قراءة ابن مسعود لنسفعن بالناصية وقرا ايضا سادعوا الزبانية وقرا ابن ابي عبلة سندعي الزبانية وهذا وان كان قد نزل في ابي جهل فهو متوجه لمن عمل بعمله الى يوم القيمة نظم بذلك قوله كلا لا تطعه واسجد واقترب يعني اذا رايت مثل ذلك ولا تطع منهم اثما او كفورا ولا تعبا بهم انا ناصرك واسعى لعبادة الله وتحمل بطاعته حتى ياتيك اليقين

سورة القدر مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم القدر مخفف من القدر فهي ليلة القدر يفصل فيها من ام الكتاب حكم ما يكون الى مثلها من العام الى ما يكون الى ما قد شاء الله كونه من الاجال ما هو قريب وبعيد فالقريب منها هو ما يجري فيما بين هذه الليلة المباركة الى مثلها من العام القابل والبعيد الى اجله المسمى واذا كان في الليلة القابلة اثبت ما قد يقضي في الكائن الماضي والباقي المستقبل على حاله هكذا الى ما شاء الله كونه فاخبر الله جل جلاله بصدق قيلنا ان فيها يفرق كل امر حكيم اي محكم امرا من عندنا وانبانا بانها خير من الف شهر والف شهر هي ثلث وثمانون سنة وثلث سنة اربعة اشهر ووجدنا الايام سبعة ايام فاذا فرغ عددها واستتم دورها ابتدات من اولها وكذلك اكثر موجودات العالم على سبعة وحكمها على الاسبوعات بسبعة في سبعة او سبعة في اسبوعات وقد تقدم ان انها العدد ستة وهي سابع وبعدها ولما انزل الله تعالى القران في ليلة القدر واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيكثر عليه الفتح من المصار ويسمه ومن الخلق حفظ نعوذ بالله من درك ذلك اليوم المصابعة ايام الفتن لا محالة ومدتها خمسمائة سنة واثنتان وسبعون سنة وثلث سنة وبقي علينا لو علمنا في اي عام كانت ليلة القدر التي انزل فيها القران اولا من زمان النبوة وكم كان من في ذلك العام والمحرم التي جعلت اول التاريخ وقد قال الله جل قوله انها خير من الف شهر ولعله هذا الفصل بيننا وزمن هذا الخطا هذا الوجه فلا يكد ما هو مده هذا الخير وما بيننا وكم

الخير فلا يكون ايضا هو الموقع ومن هذا استاثر الله بعلمه لا يعلم ما هو مقدار الخير المذكور والله عليم حكيم وقد تقدم الكلام في سورة الدخان والله اعلم واحكم تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر عم عز جلاله بقوله والروح فيها باذن ربهم من كل امر قال قل الروح من امر ربي وقرا ابن عباس وعكرمة من كل امرئ يعني من كل رجل قال ابن عباس من الملائكة سلام قيل ان الملائكة تسلم على القائمين منهم وقيل انها سلمة من كل اذى والله اعلم انه هذه هكذى فهي سالمة في حق اهل الايمان من الفتن والاضلال فان الشياطين وان كانوا في سائر ايامهم مصفدين فانهم منها اشد اساما وسعيا عن نفاذ ارادتهم في عباد الله المؤمنين وقد قال الله سبحانه وله الحمد في اهل الجنة انهم لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما فالملائكة تسلم على اهل السابقة في اعمال الطاعات فهي في حقهم لا تاثيم فيها ولا لغو الا قيلا سلاما سلاما بالغيب انما هي في حق هؤلاء صلوة وتسبيح وصيام وتلاوة قران وذكرا واستغفارا ويوم سالم يعرب حال المؤمنين فيها من احوالهم في الجنة ان الملائكة تسلم عليهم فهي سالمة في حقهم من ارادة الاضلال والافتتان وهو فيها سالم المؤمنون وقرئ حتى مطلع الفجر بالكسر والفتح اكثر وهو وقت طلوع الفجر والكسر موضع طلوعها فهو اليوم مثله في العالم المقبل في تنفيذ ما فصل فيها محكما باق الى مثلها من العام فان الشمس لا تعود الى مطلعها الا الى مثلها وكذلك الحكم فيما تقدم ذكره في اول السورة لمن وقف على حقيقة اليوم

سورة لم يكن مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة المعنى لم يزالوا ولم يكونوا بناجين منا ولم يكونوا بارحين حتى يبلغ اليهم البشر رسولا وينزل عليهم كتابا ليقوم الحجة بذلك لنا عليهم باسمهم البينة قوله عام في الرسول والكتاب والايات في الوجود والوجه الصحف هي السور فيها كتب قيمة اي قائمة بالعدل مستقيمة والحنيف المؤمن المسلم والدين القيم دين الاسلام والقيمة هو الملائكة على جميعهم السلام وجميع الخليقة كما قال عز من قائل وان من شيء الا يسبح بحمده وكل له قانتون قوله تعالى اولئك هم خير البرية من قراها بالياء فهو من البراء وهو التراب فالمؤمنون هم افضل من جميع الانس لانهم المخلوقون من التراب والاوجه قراءته بالهمز فهو جمع من براءة الله يبين ذلك والله اعلم بما ينزل في قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم اولئك هم شر البرية وقع الاتفاق على انهم شر من الانس وشر من البهائم وغيرهم فالمؤمنون ليسوا بخير من كثير من الملائكة على جميعهم السلام والكافرون ليسوا بشر من كثير من الجن والشياطين ولذلك جاءت القراءتان والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

سورة اذا زلزلت مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم زلزالها هو ان يتحرك من اسفلها فيمور مورا ثم يرمي بما فيها من كنوز واثقالها اموات وغير ذلك يقول الكافر يومئذ ما لها يقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وتحدثها باخبارها هو ان تشهد بما عمل على ظهرها روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اوحى الله بذلك اي امرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد للمؤمن بما صلى من شجر ومدر وفي اخره من رطب

وبابس وكل شيء ثم قد يعتبر من هذا الى الزلزلة الخاصة فتخص شخصا فارضه الارض بدن
جسمه وعظامه جبالها ورواسيها وثقالها وانقال الارض موجود ما عدم المحض من خير الانسان
وثقل الاعضاء عن الحقوق وحين تشخص البصير الذي هو مع الشيخ والحواس كهو اكبر يومئذ تحدث
اخبارها تبدو امواد الاخرة وينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر وهل نكر لشهد بذخرة
واركانه كذلك في يوم العرض الاكبر وبالحقيقة هذه الزلزلة الخاصة باحدنا وكلنا واخرها الاجماع
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات قامت قيامته والزلزلة الكبرى هي العامة والخاصة ايضا كبرى
في حق من حلت به **قوله** تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا اي من قبورهم ومن عند الله عز
وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا
عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم ثم من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره في الخاصة والعامة ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك
احدا في هذه وفي هذه فاعلم ذلك ولا تكن من الممترين واعاد واثر حكم الله جل جلاله تدور بحكمته
بما فيها فدوائر يوم التقدير بتقدير الاعمال علما وكتبا ودوائر يوم الدنيا بالكون فعلا
وعملا وكسبا وايجادا ويوم العرض تدور دوائره بها عرضا وتوبيخا وخزيا وجزاء وندامة
وغبطة ودفعة بها واكراما من اهلها وبين يوم الدنيا وبين يوم العرض يوم يحيى فيه الموتى ويجازون
بما قدموا في دار الدنيا من اعمال واثار ثم اليوم الاخر هو يوم الجزاء الحق وهو يوم الخلود
تدور ايضا دوائره ثوابا وعقابا ومن الدوائر صغار ومنها كبار فدوائر اليوم
الاول دائرة علما دون زمان بل دوائر الدهر ثم دوائر يوم الدنيا دارت اعمالها في ابعاد
زمانها وسنينها وشهورها وايامها ثم دوائر العرض تكون على قدر منازل العاملين
فمنهم من يدور ذلك اليوم عليه في مقدار خمسين الف سنة ومنهم من تدور عليه دائرة او
في مقدار قصير لا يوصف بالطول بالاضافة الى اعظمها وما بين ذلك اليوم واهل
ذلك المطلع وعلى التدريج بين ذلك وقد جاء ان منهم من يعرض عليه ذنبه فيقول الله عز وجل
للملائكة اعرضوا عليه صغار ذنوبه وعسوا عنه كبارها ويقال له عملت يوم كذا وكذا كذلك حتى
وعيد اما سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ودوائر الاعمال الابدان بعود
بعد بدءها كتدوار دوائر الليل والنهار في هذه الدار صدقا وعدلا والفضل في اذلال بشيء
منها الا بما شاء ان يشعر به ويوقفه عليه اكراما وتيسيرا عليه وان من عباد الله لمن يدخل
الجنة بغير حساب كما في الكفار من يدخل النار بغير حساب لكنهم يرون ذلك مستوعبا
في دار الخلود لهؤلاء وهؤلاء فقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره لا بد من ذلك اما المؤمنون فيكرمون وربما مرت عليهم كخطف البرق انما هو
اسرع ولا يتشكله وربما راى الكافر عملا صالحا قد عمله وقد علم بانه محبوط فهؤلاء مسمع
اذ لم يؤمن بالرجعة والعرض على الله جل ثناؤه والثواب فيعمل له وان كان في الكفار من قيل فيه
ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون فانه والله اعلم لا بد من ان يراها خيرها وشرها الينا كما سيأتي وندم
ثم دوائر الخلود تدور ابدا سرمدا عودا بعد بدء ابد الاباد بما يعجبهم كما تقدم في قوله كل يوم هو في شان

سورة العاديات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل والعاديات ضبحا اقسم الله جل جلاله بالخيل تعدو
في سبيل الله والضبح صوت في اجوافها عند ربها تحرك فالموريات قدحا توري النار بحوافرها عند
ما تصك الحجارة في العدو والنقع الغبار والكنود الكفور وانه على ذلك لشهيد نفسه يشهد بكفره
يظهر الله ذلك منه في العاقبة ضمه والبلاء والامر الجليل ينزل به فيرجع عند ذلك الى التضرع
لله وحده يقول الله عز وجل ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون المعنى الى الاخرة حيث وقع
قوله تعالى وانه لحب الخير لشديد قد يكون المال ويكون الجاه والحظوة والتقدم على الاقران
وظهور الامر لقول الله جل قوله وهو على شهادة نفسه بالكفر لا يرجع الى التوحيد ليسكن في نفسه
وهو على حب المال والجاه والعلو والظهور والاكرام لا يرغب في خير الاخرة الذي هو جماع من خير
وعلى ما هو له وهو خير وابقى تبع ذلك قوله جل وعلا افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور
وهنا محذوف وتقدير والله اعلم ان كل انسان مجازى ان خيرا فخير وان شرا فشر
بذلك وهو اعلم اعقب بقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير وقرأ الحجاج انه ربهم بهم يومئذ خبير

سورة القارعة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة اسم من اسماء القيامة عظم ذكرها وعجب بها لعظم هولها
وشدة بلائها جعلنا الله من هولها من الامنين برحمته **قوله** تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وهو حيوان يطير لا دم له يجتمع للسراج واضواء النار يتهافت فيها وقوعا شبه الناس يومئذ به
الحيارى لكثرة سقوطهم في النار كما شبههم في فتنها فتنهم في الكهف في سورة البقرة وتكون الجبال كالعهن
المنفوش العهن الصوف المصبوغ منه ولما كانت الجبال على الوان شتى كما قال الله عز وجل ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود كانت لذلك في حرف ابن مسعود في القارعة
وتكون الجبال كالصوف المنفوش وروى عيسى بن الوليد عن محمد بن نهار قال ادركت السلف
وهم يقرؤون هذا الحرف في القارعة وتكون الجبال كالصوف المنفوش **قوله** تعالى واما من
خفت موازينه فامه هاوية اسم من اسماء جهنم اعاذنا الله برحمته منها ومنه على هذا
التاويل مأواه قال الله عز وجل ماواكم النار هي مولاكم وانه ايضا راسه وهو اعلاه يهوي من ذلك
في الهاوية وخاتمة السورة قد اعلمت بتصحيح التاويل الاول والثاني كائن لا بد ولا محالة لمن دخلها نسال الله تعالى فانه ورحمته

سورة التكاثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قال علي رضي الله عنه ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهاكم التكاثر
وقال ابو هريرة لما نزلت هذه الاية من هذه السورة ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول
الله عن اي النعيم نسال وانما هو الاسودان وعدونا حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان
ذلك سيكون وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما يسال عنه العبد يوم القيامة يعني
من النعيم ان يقال له الم نصح جسمك ونروك من الماء البارد التكاثر هو كل ما الهى عن الاستعداد
للموت من مال او ولد او خول واعوان وابناء من غير ضرورة يقول الله جل من قائل الهيكم التكاثر
عن الاستعداد للموت واللقاء لله حتى جاءكم الموت دون عمل كلا سوف تعلمون اذا متم ودعيتم
على اعمالكم سيئها وحسنها وعيد من الله شديد لما يصيرون اليه طول مدة البرزخ ثم كلا سوف

تعلمون اذا حشرتم الى الله فرادى عراة حفاة وجزيتم باعمالكم بامر الحكم العدل لا تجور كلا لو تعلمون
علم اليقين بما تفعلون عليه بعد الموت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا لترون الجحيم كما قال واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية
جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم فقوله كلا لو تعلمون علم اليقين لم تشغلوا انفسكم
بعد ما خلقتم له ثم لترونها عين اليقين يعني يوم القيمة اذا ازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم هذا خطاب ظاهره الوعد وان المراد به الكفار بقوله لترون الجحيم و
ايضا تعريض بان المواجه به اهل الغفلة من المؤمنين فهو به عن تخليصه للمؤمنين الهيكم التكاثر
انها المؤمنون عن التنافس في علو الدرجات والمبتغى الى الله تعالى بالاعمال الصالحات كلا سوف تعلمون عما
بعد الموت ثم كلا سوف تعلمون بعد البعث انتم عاينتم السابقين والمقربين وما لهم وما اتاهم
الله تعالى من اجل جدهم واجتهادهم من اكرام وتقريب ووقفتم بالعلم على غبنة التخلف كلا
لو تعلمون اليوم من ثواب السابقين والمتخلفين المسطين لامرهم ولما اشغلتكم الشواغل
عما ادخر لكم لترون جنات النعيم في دار البرزخ ثم لترونها عين اليقين يوم العرض على
الله عز وجل يوم تزلف الجنة للمتقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الشاغل لكم الان
في هذه ثم لتدخلنها بما كنتم تعلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه وقد اكلوا خبزا
وتمرا وشربوا ماء باردا على حاجة مستهم لذلك لتسألن عن نعيم هذا اليوم ويعافل الغفلة
السعفظ ثم الذكر ثم الاستعداد والانكماش وقطع العلايق ونبذ الشواغل الا ما لا بد منه
ثم الجد والاجتهاد والتحبب الى الله عز وجل بحب لقائه والخروج اليه من سجن ما هو فيه الى راحة من دار
المحنة والعداء ويشقى من علة تباعات النعيم اعمال النفس في الشكر قال الله عز وجل فاشكروا
نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون كما الشقاء من علة تباعات الناس رد المظالم الى اهلها والاستغفار
من الذنوب والاستغفار والدعاء لمن تخاف تباعته اذا لم يجده او بوديه اليه او الى من يجب ذلك من بعده

سورة العصر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم العصر الدهر المقصود منه الزمان والله اعلم قال الله عز وجل وربما كان قسما بمدة امة محمد صلى الله عليه
وسلم بيوم الدهر فان مدتها يوم من ايام الدهر عقدا ووقت العصر من هذه الايام الى الليل يقول الله جل ثناؤه ان الانسان
لفي خسر ما لم يعمل بطاعة الله وفي طلب رضوانه بالايمان والاسلام والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وقد تقدم هذا في سورة

سورة الهمزة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الهمز يكون بالغيب واللمز بالمواجهة وقد قيل ان اللمز بالغيب والهمز بالمواجهة
اخبر الله جل ذكره عن جهل الانسان حيث يجمع المال بعضه الى بعض ونسي ان يستعد للموت
وان يجمع ما بعده ليوم اللقاء يحسب ان ماله اخلده واستاق ذكر الخلود على بناء الماضي وهو جائز
شايع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه وقد دخل الجنة وان
استعداده الان للقاء الله اخلده في جواره يقول الله جل ثناؤه فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى او قد يسره ربه لهذا فقد وقع له العلم بالجار وعد الله جل ذكره
ولم يبق عليه الا خوف الخاتمة فعليه يدور قطب التيسير فانهم يحسب ان ماله اخلده بزيادة همزه
يقول الله جل جلاله كلا اي ليس كما ظن لينبذن في الحطمة النبذ الترك الحطمة قذفها

وقرأ الحسن كلا لينبذان في الحطمة اي الرجل وماله والرجل وما عدده وقرأ الاسهب
لينبذن اي هو وقرينه وقرأ الحسن الحاطمة واراد ان الحطمة والحاطمة هو في جهنم حيث يزدحم
انواع العذاب وتداخل الاهوال والالام نعوذ بالله من عذابه ما قل منه وما كثر يقول الله جل من
قائل وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة وقال ان وقودها الناس والحجارة وانما وصفها
بانها نار الموقدة واضافها اليه لعظيم خطرها هنالك بالاضافة الى غيرها منها وهو ايضا حيث
يكثر الوقود وهم الناس ولذلك ما وصفها بانها موقوفة وقال عز من قائل انها تطلع على الافئدة
ربما كان من حكم اشفيهم وبهم الا تاكل النار قلوبهم وهو المكنى عنها بالافئدة لان ذلك من العبد
موضع مغفر الفطرة وفي القلوب سطر الملائكة والمؤمنون على جميعهم السلام في النار ما بقي
فيهم من خير وايمان يقول الله جل قوله اخرجوا من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه من
الايمان ما يزن كذا ومن الخير كذا فهي على مفهوم هذا الخطاب نعوذ بالله من حال اهل النار
في الدنيا والاخرة تحرق اللحوم والعظام الى ان يطلع على الافئدة ثم يجدد لهم جلود ولحوم
غيرها ليذوقوا العذاب ويكون حسب القلوب وجدا نواع الالام والخزي والعذاب
وبالقلوب يجدون ما يعقلونه من عظيم ما هم فيه وفظيع ما احاط بهم ومقدار ما
فاتهم من رضوان الله وجزيل ثوابه وكريم جواره فربما كان حسب الافئدة والقلوب ما يجد
من ذلك من احراق اجسامها وانفاذها في النيران حتى تطلع النار على الافئدة ثم يعاد
الى اولهم ثم تاكلهم النار هكذا ابدا والله عليم حكيم اتبع ذلك قوله انها عليهم مؤصدة
في عمد ممددة اي معلقة في عمد ممددة قيل تلك العمد هي طرقات خزنتها او تكون صفة
لعلو ابوابها والله اعلم قيل ان جهنم اعاذنا الله الرحيم برحمته منها بما هي لها عمد ممددة
من اقطارها قد يحملها ذلك وملائكة العذاب على جميعهم صلوات الله وسلامه يمرون على تلك العمد
انها تقوم فيما هنالك مقام الحقوى هنا للاجرام ومقام مالك الحق المبثوث في العالم ومالك
خازنها الاكبر لكل نفس من اهلها يد باطشة وعين ناظرة ما ضحك يوما قط انما هو خالق كر
غاضب على من وكل بعذابه وربما صاح صيحة على جهنم وما فيها فيموج اهوالها ويدخل بعضها في بعض
وتتضاغط واقرأ هرون في حرف ابي انها عليهم مطبقة بعمد ممدودة وروي عن الاعمش انها عليهم مؤصدة بعمد ممددة

سورة الفيل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل هذا منتظم المعنى والله اعلم بقوله
تعالى وانت حل بهذا البلد كان تقدير الكلام وانت حل بهذا البلد بفتح عليك يدخله بالبلاغ غير محرم الم تر كيف
فعل ربك باصحاب الفيل وقصة اصحاب الفيل مشهورة كان ملكهم بالي مكسوم حين قصد البيت
ليهدمه بالحبشة فارسل الله عليهم طيرا من طيرات من قبل البحر مع كل طائر ثلاثة احجار قيل في حجم العدس فما
بقي احد من العسكر حتى اصابه منها حجر يقع في اعلاه وينفذ من الجانب الاخر واهلك الله على ذلك جميعهم
والابابيل العصائب يتبع بعضها بعضا والعصف التبن وقيل ورق الزروع المجبور وقيل هو كسنة الدواب

سورة قريش مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش هذا منتظم بسورة الفيل وقيل انها كانت موصولة بها ذكر
بنعمته عليهم بصرف الحبشة عنهم يقول فعلنا ذلك لايلاف قريش وقرأها عكرمة لتالف

قريش المفهم بكسر الفاء وروييت عنه المفهم بفتحها والهاء مرفوعة بالياء وقرئ الوجهان
جميعا عن ابن كثير اذ كانوا ما يلقون في كل عام على رحلتين رحلة في الشتاء ورحلة
في الصيف احداهما الى اليمن والاخرى الى الشام ينظم بذلك قوله عز من قائل فليعبدوا
رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع بالرحلتين وجعل كل اسفارهم امنين لانها حرم تعظيما
من الناس لهم لسكناهم في حرم الله تعالى يقال هذا حرمي فيسلم في نفسه وماله ولو اخذ غيره وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها ويل امكم قريش المفهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم
يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمكم من جوع وامنكم من خوف وروي
عنه انه قراها ويل امكم قريشا وروي عنه انه قرا الايلاف قريش قيل الالف قريش ايلافهم وقرا جوع الاخم بتشديد اللام

سورة ارايت مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم في قراءة ابن مسعود ارايتك الذي وقراها الاعمش كذلك يكذب
بالدين اي الجزاء يدع اليتيم اي يدفع فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
ليس هذا بالسهو الذي هو الذهول بل هو الذي يلهى عن صلاته حتى يذهب وقتها او يتلهى
عنها في حال الصلوة وقراها ابن مسعود الذين هم عن صلاتهم لاهون الذين هم يراءون
وقراها ابو رجا يدع اليتيم بفتح الدال وتخفيف العين اي يدعه فلا يطعمه ولا يعطيه
قوله تعالى ويمنعون الماعون كل ما اعان على المرفق فهو ماعون وكل ما نفع ماله
مما ليس عليه بواجب فليس يستحق الويل وان كان ذلك بعض منه الا ان من الناس من يكون
تلك بحيث فيمنع رفده وماعونه ويكثر ذلك فيسقط بذلك عن صفة الكرم الى صفة البخل
والشح بما اتاه الله من فضله فيستحق لذلك بان يعامل في الحساب باي يمنعه الله من فضله
ويشدد عليه ويناقش الحساب ولا يكون محبوبا عند الله وعند ملائكته والمؤمنين ومن لم يكن
محبوبا نوقش الحساب ومن نوقش هلك ويقال له يوم كقيمة اليوم امنعك فضلي
كما منعت عبادي فضلك وصغار الذنوب متى كانت حلقة جرت مع المدا ومن عليها الى
كبارها وكبارها على ذلك تجر الى الكفر نعوذ بالله العظيم من السقوط من عين الله تعالى
فهكذا يتطرق اليه الويل فافهم وقد جعل الله جل ذكره دع اليتيم دلالة على التكذيب
بيوم الدين والرفق باليتيم مما يعد في الاحسان ولما كان هذا قد رغب في جزيل الثواب
فاعرض عنه ولم يرغب فيه ولا عمل له فجعله مكذبا بيوم الدين من اجل ذلك فكذلك منع
الماعون وان كان ذلك من الممنوع بعينه ليس مفروضا بذله وهذا معهود في فرض الكفاية
وذلك في قرض الاغنياء والمترسل في منع ما ليس عليه بواجب على الولاء مضيع فرضا واجبا
ومع استصحاب ذلك معدود في التكذيب كذلك المصلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهي منزلة رفيعة توجب
محبة الله جل ذكره فالمصلي اذا كان في حال صلاته مستشعرا ان الله تبارك وتعالى مناجيه
حركاته فيها مصاحبة بنيته وحسن توجهه وخشوع جوارحه واستصحاب رضات ربه في اخراج
الفاظه وحركاته بحضور وهو رب كان محسنا وهذا هو المراد من العبد وما عدا ذلك وقصر
عنه فهو عفو مع استصحاب المجاهدة يكتب له نصف صلاته ربعها سدسها الى عشرها وما بعد

هذا العشر والله اعلم هو حال المرائين كما قال جل قوله يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا
قال الرجال والاصحاب انهم درجات في التقدم والتاخر عن المنزلة العليا التي تمام
له من صلاته العشر مع وجود اهمال النفوس ذلك قوله والله اعلم فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون

سورة الكوثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قراها الحسن انا انطيناك الكوثر وروي ذلك ام سلمة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي ذلك حماد بن سلمة انه قراها في مصحف ابي الكوثر على وزن فعلل
من الكثير فهذا ذا الخير الكثير سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو نهر في الجنة
اعطانيه ربي عليه خير كثير فهو نهر في الجنة بعينه معلوم فيما هنالك ولا كثير اكثر من كثير
الجنة وما اعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلامته منه قسم بحكم السعة الا ترى انه حوض
في عرصة المحشر من فيض الكوثر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعث فيه ميزابان من الكوثر
وفي اخرى من الجنة انيته عدد نجوم السماء وقد تقدم ذكره وذكرنا وبله في الوجود وفي
هذه الدار وان الحوض مثاله في الدنيا سنته فمن عمل بها لم يظما ابدا لانه يشرب يوم العطش
من الحوض وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم مقرونا بسنته وبالعلماء امته المتلقين
عنه المبلغين مراده عن ربه عز جلاله العاملين بعلمه وكان المشركون يقعون في رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويتربصون به فيقولون انه صنبور كما قال جل من قائل ام يقولون شاعر نتربص به ريب
المنون والصنبور النخلة المفردة الضعيفة الاصل ويقولون انه ابتر اي لا عقب له تنطمس بموته
احوالهم كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين فانزل
الله جل ذكره عليه السورة في معنى ما كانوا يقولون انا اعطيناك الكوثر في مقابلة قولهم صنبور
وابتر يقول جل جلاله قد اعطيناك في الدنيا الجمع الكثير والجم الغفير يدينون دينك
ويتسنون بسنتك الى يوم القيمة ووصلنا ذلك بالحوض في القيمة وبمتبعتك في دار القرار
عز وجل فصل لربك وانحر اي اعبده وتوكل عليه ان شانئك اي مبغضك القائل
فيك هو الابتر لا يعقبه من يقوم باحره وبدين بدينه قيل ان قائل ذلك كان العاص بن وائل
السهمي واسلم ولده وعقبه وكانوا فيمن قام امر الله ودينه والحمد لله رب العالمين وكان هو الابتر
واما النحر فجاء انه وضع اليمين على الشمال في الصلوة تحت النحر وقيل هو رفع اليدين في تكبيرة
الاحرام وعند الركوع وعند الانحطاط من القيام بعد الركوع الى السجود جاء عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال حين نزول هذه السورة عليه يا جبريل ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي قال
وضع اليمنى على اليسرى في الصلوة قالوا ولكل نبي زين وزين الصلوة وضع الايمان على الشمائل وهذه
صلاتنا معشر الملائكة ما رفع اليدين مع التكبير فدلالة على الاستسلام وظاهر التبري عن الحول
والقوة والادفاع عند فاعل ذلك ولا انتصار واما وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى حال القيام
فهو ظاهر صورة الذل بين يدي غريم يشعر بذلك نفسه انه قائم ذله وفقره بين يدي جبار الجبابرة
وقيوم الدنيا والاخرة واما كون اليدين كذلك دفعا وامساكا لهما على النحر وتسمية هذين الفعلين
بالنحر فهو ظاهر لشاد اليه واحب كونه في الباطن وهو احضار السر على ما تقدم ذكره ومداومة
ذلك وساكن النحر منه هو قلبه وفؤاده وعقله ونفسه ما عبر عنه قوله صلى الله عليه وسلم للطوف

فهو ان المصلي يناجي ربه فلينظر احدكم بما يناجي ربه وكيف يناجيه وقوله اذا صلى احدكم فان الله
قبل وجهه اذا صلى وان الله بوجهه فهذا كله اشارة بالظاهر الى ما هو المطلوب الاعلى بالباطن كما جاء
في الرجل التائب الذي قتل مائة نفس فامر ان يخرج من قريته الفاسدة الى القرية الصالحة الصالحي اهلها
ففعل فلما كان في الطريق جاءه الموت فقيس ما بين القريتين لاجل تخاصم الملائكة فيه ملائكة الرحمة
وملائكة العذاب فوجدوه اقرب الى القرية الصالحة بشبر فقيل انه نا بصدره وهو عبارة عن فعله
بنيته مع حركة منه بصدره الى جهة المطلوب وجاء في حديث حتضر ان موسى عليه السلام دعا
به عز وجل لما رضاه بالموت ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر فمعنى هذا هو ان يعمل
ظاهره جهده وسوء بصلاح وبنيات صدره ويخرم الى ما عجز عنه ودب هذا المصلي
مواجره فليصح ظاهره وليعمل بيات صدره عز شاهده مراقبته وتحسين مواجهته اياه
والحرص على لقائه والسير اليه بقوله فبذلك سال انا اعطيناك الذي هو الكوثر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ ومجراه على الدر
والياقوت ترابه اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل واشد بياضا من الثلج و
بالجملة فمعنى الكلام صل لربك واعبده واذكره بلسانك وقلبك ونفسك واحرص على لقائه
وتولوا فانه وليك وعلى ذلك فليتصبر ولا ابتر كما يقولون الله معك والملائكة وصالح المؤمنين انما
الابتر مبغضك والشانئ هو تعالى يعني من ذلك سوء فلا شانئ منا لهم اي يتقابل والمتنابل المقابل

سورة الكافرون مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قيل ان قريشا راموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوسط معهم امرا
بين امرين فيعبد هو ما يعبدون زمانا ويعبدون هم ما يعبد هو تارة فانزل الله جل ذكره قل يا محمد يا ايها الكافرون
لا اعبد اي لانا لا تعبدون ولا انتم في حال كفرهم ولا انا عابد هذا بشارة من الله جل ذكره بانه لا يضله
بعد الهداية وكذلك قوله ولا انا عابد ما عبدتم اي في المستقبل ولا انتم عابدون ما اعبد اعلامهم ان الله جل
ذكره من ان يعبد رسوله عليه السلام والمؤمنون في الحال والمستقبل والحال هذا شيء سبق في علم الله انه
لا يبقى عليه منهم وهذه براءة صحيحة قبلية من الكافرين ومن كفرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكافرين عدلت له بربع القران ذلك والله اعلم ان البراءة من الكفر شطر ومجانبته بالكلية
والاعمال شطر كذلك الايمان شطران ايضا ولاية وبراءة وهذه السورة براءة من الكفر
فعدلت بربع القران كذلك من قرأ سورة اذا زلزلت عدلت له بنصف القران ذلك والله اعلم
ان عنها وعد ووعيد فالايمان بيوم القيمة وما فيه والموازين نصف والايمان بالله جل
ذكره والدار الاخرة دار القرار والرسل والكتب والملائكة شطر قال الله عز وجل الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ثم قال والذين يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون فهذان شطران كذلك قال طس تلك ايات القران وكتاب مبين
هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ثم قال وبالاخرة هم يوقنون ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب فمعنى هذا من هذا
ان الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله شطر والايمان بالبعث والنشور واليوم الاخر وبما فيه شطر

سورة النصر والفتح مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم لما نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اجله قد
اقترب فكان يا تمر للامر لا يخلو ركوعه وسجوده ان يقول فيهما سبحانك اللهم وبحمدك
استغفرك واتوب اليك وفي اخرى سبحانك اللهم وبحمدك اللهم رب اغفر لي وتب علي انك
انت التواب الرحيم بنا وهذا القران فقيل له في ذلك فقال علامة جعلت لي في امتي اذا رايتها قلتها
كذلك اعلمنا ايضا صلوات الله وسلامه عليه بتغير هذه الامة بانا اذا رايناها ايضا علمنا
ان الانقراض قد اقترب اذا جاء نصر الله لدينه كرة بعد مرة يكون منه والفتح فتح اكثره فسبح
بحمد ربك واستغفره اي سبحانها الامة واستغفري لذنوبك انه كان توابا يتوب على عبده اي
يرجعه كذلك يرجع هذه الامة بالنصر بعد الدرك والادالة عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف
ما اخاف على امتي ائمة مضلين وقال اخوف ما اخاف على امتي مضلات الفتن بعد المعرفة ومضلات
العين وشهوة البطن والفرج وقال صلى الله عليه وسلم يكون في امتي خسف وقذف قالوا متى يكون ذلك
يا رسول الله قال اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وما هي يا رسول الله قال اذا
كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكوة مغرما واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر
صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل
مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن اخر هذه الامة
اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء او مسخا وخسفا وفي اخرى وزلزلة وقذفا وايات
تتابع كنظام لالي قطع سلكه فتتابع وقال حذيفة رحمه الله لينقضن عرى الاسلام عروة
عروة وليركبن سنن الامم قبلكم لا تخطئون طريقهم ولا يخطئ بكم حتى يكون اول نقضكم
من عرى الاسلام الامانة واخرها الصلوة وحتى يكون في هذه الامة اقوام يقولون والله
ما اصبح فينا منافق ولا كافر انا لاولياء الله حقا وذلك عند خروج الدجال حق
على الله ان يلحقهم به وكثير جاء من هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه مرة من الدين
بعد الكرة التي كانت منه قبل لم يكن بعد ذلك عود بعد بدء فاذا كان ذلك كذلك فليؤمن
باقتراب الامر **فصل** ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب
هذه الامة بلاء شديد حتى لا يجد الرجل ملجا فيبعث الله رجلا من عترتي اهل بيتي ملأ الارض
قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا المذكور
واصحابه وبنزول عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه جاء ذلك عنه من طرق شتى قامت بكثرتها وعرفنا
مقام التواتر مع ما في القران من التعريض بذلك فهذا يقوم لهذه الامة بجملته في العلم على الانقراض
مقام العلامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا على اقتراب
اجله **فصل** قال الله جل من قائل لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة
في فتنة كهجرة الي وروى جرير بن عبد الله البجلي قال غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلي حلة فاشار الي فتدوب فقال اعجبتك حلتك قلت نعم قال اما والله لو رايت منازل
الشهداء في الجنة انها ليست مثل حلتك هذه قلت يا رسول الله الشهداء بدر ام غيرهم
قال من يجري بهم العيم على ظهر البحر بعد شهيد هم يومئذ سبعين شهيدا من شهداء بدر

وسبعين من غير شهداء بدر لا يخرج احدهم منهم من الدنيا حتى ارى صورته فاعرفهم
ويعرفونني هم اهل السنة والقران من امتي القران ادسخ في قلوبهم من الجبال الراسيات وان الجنة
لتشتاق اليهم كما تشتاق الباقية الى ولدها ولانا اعرف باسمائهم واسماء عشائرهم من الوالد
بولده قال قلت يا رسول الله ادرك ذلك الزمان قال لا قلت لا استطيع اعمل عملا ادرك
به فضل ذلك قال لو نويت الى الله باعمال العابدين الاولين والاخرين كنت عسى يدرك فضل
فالمهم في رباط عشا وقال في حديث اخر وقد سال اصحابه من افضل اهل الايمان ايمانا فقالوا
الانبياء وفيه انه قال افضل اهل الايمان ايمانا قوم ياتون بعدكم لم يروني ولم يسمعوا مني
يجدون ذكري مكتوبا في ورق يؤمنون وبما جئت به وقال الله عز من قائل وكما بتوذا اسا بعون
فليغتنم العبد المؤمن في هذه الايام العمل بطاعة ربه فهو العامل في الغابرين من هذا الوجه
وهو المصلح عند فساد الناس وهو الغريب فطوبى للغرباء وليصبر على خشونة ووحشة المحل
وقلة الابصار وفي ذلك اكرم العوض من كل فائت ولا قوة الا بالله العلي العظيم

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب الخسران وقرى تبت يدا ابي لهب وقد تب وهو قريب من قراءة
الجماعة وهو دعاء عليه بالخسران واخبار باحاطة ذلك به نعوذ بالله من احوال اهل النار في الدنيا
وفي الاخرة **قوله** عز وجل حمالة الحطب هي امرأة ابي لهب لعنة الله في الدار الاخرة بمعنى ما
يكتسبه وكانت هذه امرأته فيما ذكروا تطرح الشوك على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا انه يجي تعريضا بانها كانت لحديث وتوقد شعلة البغضاء والا فهو مثل ضربه
الله عز وجل لحالها في الدنيا من كسبها الذنوب وما يحترق به غدا في نار جهنم يقوم لها ذلك
مقام احتطاب الحطب وحملها لذلك وقد كانت هذه ام جميل عزيزة في قومها فالحطب
اذا هي الاوزار يجملها بعد اذاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين روت اسماء بنت
ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب اقبلت العوراء ام جميل بنت
حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس عند الكعبة ومعه ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف
ان تراك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرانا اعتصم به كما قال وقرأ
واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا واقبلت حتى وقفت
على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال
لها لا ورب الكعبة ما هجاك قال فولت وهي تقول قد علمت قريش اني بنت سيدها **قوله** عز وجل
في جيدها حبل من مسد الحبل السلسلة الممسود المفتول المحكم الفتل قوائي ومرشته حمالة الحطب

سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم ابي بن كعب رضي الله عنه قال ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم انسب لنا ربك وفي اخرى انهم قالوا ما ربك فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد هو
الله احد الله الصمد الى اخرها يقول هو الله الاحد الذات الواحد الاسماء والصفات الصمد
اي الذي لم يلد ولم يولد ليس شيء يولد الا سيموت وليس شيء يموت الا يورث وان الله لا يموت ولا يورث

ولم يكن له كفوا احد يقول لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شيء الله جل ذكره فسر
قوله الصمد بقوله الحق لم يلد ولم يولد وفسر قوله احد بقوله ولم يكن له كفوا احد وفي قراءة
عبد الله قل هو الله احد الله الواحد الصمد وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي عمرو بن ميمون عن ابن مسعود انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كذا كررها
ثلث مرات وقد تقدم الكلام في صدر الكتاب على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جزأ القران
ثلثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزأ وسورة يس جزأ وسائر القران جزأ وان ذلك لان القران
احتوى على ثلثة علوم احدها العلم بالله وهو المنتظم المحتوى لسائرها والسبيل الى ذلك ان
قوله والله اعلم هو اشارة الى كل غيب او شهادة فالله واحد وحده لا شريك له وهو
الاول والاخر والظاهر والباطن الله احد وصفه باحديته في علي وجوده حيث
لم يكن شيء سواه مذكورا ولا موجودا ثم كتب في الذكر كل شيء ثم اوجد ما كتبه وقوله الله الواحد
اعلام بان الله الاول والاخر الواحد هو موحد الاحاد وحد الواحد وبما هو الواحد قام
العدد وظهرت الخليقة وعلى هذا هو من اسماء الافعال الصمد عبارة عن ايصال الوجود
العلي الاولي قبل القبل بما هو على ما لا يزال بعد ايجاده المكنون كله العرش ولا مستولد وما في ذلك
الى منتهى الايجاد ولا منتهى لوجود فهو كما يصله بما قبل القبل فصمد له كل شيء لاجل افتقاره اليه
وعدم غناه عنه لايجاده اياه وابقائه واحاطته به حلما وامرا ولم يكن له كفوا احد في الاولية والاخرية و
والوجود العلي ظاهرا وباطنا هو الله على ما لم يزل ولا يزال ابدا وامدا ان يكون له ولد ولم يكن له
صاحبة واني يكون له صاحبة ولم يكن له كفوا احد ولم يكن لوجود ذي وجود سواه ان يجتمع له بكل الوجوه
واحاطته بما عبر عنه قوله الاول والاخر والظاهر والباطن عبر عن ذلك بقوله الصمد لم يلد ولم يولد
ومن هو هكذا من لا كفو له ولا مثل ولا شبه ولا شريك ولا يقوم له شيء ولا يعجزه معجز ولا يعوزه
فائت رد الفوائت عنده كمضائها والاعادة للايجاد لديه كالحدا له الملك كله وله الحمد كله وهو على كل
شيء قدير وهو هكذا ملك على الحقيقة لسواه كذلك لا شبه ولا قدرة ولا صفة ولا وصف وجود لغيره
الا بايجاد منه وهبة من لدنه فكيف يشفع شافع عنده في مشفوع الا باذنه ورضاه للمشفوع فيه ان يكون
على ما شاء بذلك انعقد الوجود كله وقام الامر كله في السموات والارض وما علا وما سفل الى
المنتهى اتسق على ذلك النظام وتناسق الاحكام وظهر الموجود اعني العبد الكلي في احسن تقويم
ذلك قوله جل من قائل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات
والارض الا اتي الرحمن عبدا لا يجتمع السود والعبودية ابدا قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا
لا يؤم لقومه ولا يقرأ بعد سورة ام القران الا قل هو الله احد وهو اذا فرغ منها قرأها بعد السورة التي
التي يقرؤها فقال ما له سلوه لم يفعل ذلك فقالوا لم يفعل ذلك اما ان يقتصر على سورة قل هو الله
احد واما ان يقرأ بغيرها ويقتصر عليها فقال لهم اني احبها لانها صفة الرحمن فاخبروا بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اخبروه بان الله يحبه وفي اخرى اخبروه بان الرحمن يحبه كيف لا وقد جمعت
وصف وجوده الاول والاخر والظاهر والباطن ووصف الملك والحمد والامر مجمل ذلك كله
في اسماء وصفات ولما كانت العلوم كلها مكنة علم المعرفة بالله جل ذكره بما حواه ثم علم النبوة والرسالة

وماحواه وما جادت به ثم علم الحبرة وماحواه وفيه معرفة العالم والاسماء والصفات
والصمام والمطعوم به وفي القران علم هذا كله قال الله جل من قائل ما فرطنا في الكتاب
من شئ والكتاب مردد عرف بين الكتابين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل هو الله احد ثلث القران ذلك والله اعلم مع ما تقدم ذكره لعمرها على الناس
وانها القران العظيم وان كان ذلك معمورا في جملة القران فليسرها قال الله جل
من قائل ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر ولا في القران كله مجملا محكما فيها
مفصلا عنها الى سواها وانما هو الله جل جلاله وحلمه وعلمه ووحيه ولا يدخل
الجنة الا نفس مؤمنة وفي اخرى مسلمة لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
سمع قارئا يقرؤها وجبت قيل يا رسول الله ما ذا قال الجنة والذي نفسي بيده
انها لتعدل ثلث القران يعني لقارئها في الثواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتيت
بالجوامع الكلم وقال يا عائشة عليك بالكلمات من الدعاء وقال عليه السلام يسر الزبور على
داود عليه السلام فكان يقرأ القران ما دامت تسرج دابته ولا يجوز هذا عني الاخر
على الذكر بالكليات الا بعد تحصيل تكثير الذكر وطول البلادة فافهم

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم الفلق الصبح بوجه ما وعلى هذا يكون قارئها متعوذا
من شر ما ياتي به الليل والنهار ويكون الفلق بوجه غطاء جهنم فالمتعوذ بها متعوذ من كل ما
خلقه الله ومن شر ما لم يخلقه بعد اذ جهنم اعاذنا الله منها منبعث كل شر واخبر الله
عز وجل انه خلق الشر كما خلق الخير وقرأ عمرو بن عبيد من شر ما خلق بالتنوين للشر
ويجعل ما نافية وكان هذا اصلا للمعتزلة وبه سموا معتزلة اعتزل مجلس الحسن البصري
وتبعه على هذه القراءة المعتزلة تعالى الله عن قبيح افكهم في قولهم ان الله لم يخلق الشر كله
محو سيئة الله خالق كل شئ وهو كلو لحد القهار والله خلقكم وما تعملون ومن اعمالنا الخير
والشر نستغفر الله من فعلنا الشر ونحمده ونشكره على فعلنا الخير والغاسق الخارج عن
الليل اقباله حتى ينسلخ منه النهار وقوله اذا وقب يعني اذا دخل ويقال امتلا وانما يكون ذلك بعد
مغيب الشفق وامر الله تعالى ان نتعوذ من شر الغاسق وهو الليل وظلمته يقال وقب الشمس اذا
غابت اي دخلت في موضع مغيبها كما قال جل من قائل حتى توارت بالحجاب وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخلت فحمة العشاء فكفوا اصبيانكم وفي اخرى مواشيكم فان الشيطان
حينئذ انتشار واذا كان الغاسق هو الداخل بوجه وهو ايضا الخارج بوجه فالمتعوذ منه
متعوذ من شر ما سكن او تحرك في الليل والنهار وقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد وقرئت النافثات
يعني وهو علم الانفس السواحر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر هلاك امتي من النفس والعين والعين
من الانفس منبعثة عن الجن الممتزج بخلقه الانس ويقال ان النفس من الجن والعين من الانس

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم الجنة هم الجن قوله تعالى الوسواس الخناس هما صفتا فعل الشيطان
ذلك لانه ينبسط على نفس ابن ادم يوسوس له بالكفر والمعاصي والامال كل على منزلة

فانه

فان ذكر الله ابن ادم خنس الشيطان اي انقبض وقوله من الجنة والناس اخبر الله
جل ذكره ان من الناس شياطين كما هم من الجن قال الله تعالى شياطين الانس والجن فوسوسة
شياطين الجن غيب ووسوسة شياطين الانس بالمواجهة والعيان بواسطة المجادلة
والمواتاة وبذل النصح وهي اشدهما واكثرها قال الله جل ذكره ان كيد الشيطان كان ضعيفا
وقال للنساء ان كيدكن عظيم **فصل** روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سحر وهذه رواية ابن عباس قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرا شديدا
واشتكى لذلك شكوى شديدة فبينا هو بين النائم واليقظان اذ اتاه ملكان فقعد
احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند راسه ما شكيته قال طب كال
ومن فعله قال لبيد بن الاعصم اليهودي قال فاين صنع سحره قال في بئر كملي وهو بئر
ذروان قال فما دواؤه بعث الى تلك البئر فينزح ماؤها وانه ملهى الى صخرة فاذا
راها فليقلعها وفيها كربة وفي الكربة وتر فيه اثنا عشر عقدة فيحرقها في النار فبرا
ان شاء الله تعالى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر الى تلك البئر في رهط
من اصحابه ففعل بها ذلك وقد تغير ماؤها من السحر فصار كانه نقاعة الحنا واقتلع الصخرة
فاذا هو بكربة وفي الكربة وتر فيه اثنا عشر عقدة فجاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبرئ النبي صلى الله عليه وسلم من وجعه وقام كانه نشط من عقال وفي رواية عائشة رضي الله
عنها انه دفنه ولم يحرقه فقيل له يا رسول الله لم تحرقه قال اما انا فقد عافاني الله وكرهت
ان اثير على الناس شرا قال ونزلت المعوذتان اثنتا عشرة اية كل اية لعقدة وامره الله
عليه السلام ان يتعوذ بهما وروي عقبة بن عامر الجهني قال تعلقت بعدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله اني اقرأ سورة هود وسورة يوسف فقال لي يا عقبة انك لن تقرأ
سورة احب الى الله ولا ابلغ عنده من قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق وعنه قال بينا انا
اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال لي قل فقلت ما ذا اقول فقال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ
برب الناس وقل هو الله احد تعوذ بهن فانه لم يتعوذ بمثلهن قط **فصل** قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر لن تقرأ سورة احب الى الله ولا ابلغ عنده من المعوذتين فذكر
والله اعلم بما فيهما من الكفاية والوقاية وهو يحب المحسنين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله فسلوه العافية فانكم لن تسالوه احب اليه من العافية
في الدنيا والاخرة وقد كان الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ولم يكن شئ قبله فيما لم يزل على ما
لا يزال لا وجود سوى وجوده الاعلى وهو الرحيم الودود الولي المجيد ولما اوجد الموجودات
وفطر الارضين والسموات وخلق المحدثات انهى النهايات وحد الحدود فاوجب على ذلك
في موجود الحكمة ايجاد المضادات والمخالفات والاعيان في المغايرات لتمايز الوجود وتبين
الرجحان في الموجودات فاوجد على ذلك الظلام في مقابلة النور والسقم في مقابلة الصحة والبلاء
في مقابلة العافية والشر في مقابلة الخير على وجوه ذلك كله وضروبه وكان مفهوم العقل
الصائب هو العلم الايمان من ذلك ان الخير كله موجود له جل ذكره محبوب عنده مرضي عنه
وان الشر كله وجوده بايجاده منه لحكمة وعلة هي الابتلاء وتبصرة للعقول لما في العبرة

بان خلق خلقا هو الجنة اخبار اهلها الخير كله بحذافيره وخلق خلقا هو جهنم اعاذنا الله الكريم
برحمته منها اصاد لهما الشر كله بحذافيره وجعل ظهور هذين الوجودين بالاضافة الى التعلق
في الدار الاخرة في اليوم الاخر وخلق هذا الدار وفتح اليها برحمته فيها من الجنة كما فتح
عليها من جهنم فيها فجميع ما هنا من شر على ضروبه واختلاف وجوده فمن جهنم
اعاذنا الله منها بالصد وكرمه ورحمته كما ان جميع ما هنا من خير ونعمة يجب الشكر عليها
على اختلاف وجود ذلك فمن الجنة تذكرة وتبصرة لاولي الالباب يقلب الله ذلك بمشيته
بان يجوز هذا على هذا وهذا على هذا ويغشي هذا هذا وهذا هذا على مقتضى سابق
كتابه الكريم يوم استوى على العرش وفي ذلك الكتاب ان رحمتي تغلب غضبي وان رحمتي تسبق غضبي فنعوذ
برب الفلق من شر ما خلق فقد نعوذ من جميع الشر كله ثم ما بعد ذلك تخصيص من عموم لذكر
خصوص الحوايج وعلى مقادير مس الحاجات في مواطن الضرورات للمحتاجين كما للمتعوذين

فصل

والشياطين سوى الشيطان الاكبر ابليس الملعون مخلوقون من مارج النار من جهنم اعاذنا الله برحمته منها بالنعيم
المذكور وهم من ابليس لعنه الله كما ان قد خلقه خالقه جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه قبل من ان يخلق وابو الناس
صلوات الله وسلامه عليه مخلوق جده من التراب والماء مجموعهما الطين وباطنه نفس وروح وزاده
برحمته وفضله وكرمه ان خلقه بيديه وكرمه وعلمه من علمه ونفخ فيه من روحه فالنفس منه لباطن التراب
والروح الحكمي منه لباطن الماء وروح الايمان منه وعمله عن الروح العلي المنفوخ فيه بقوله الله
سبحانه وله الحمد فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ثم سائر صفاته منقسمة على هذين
القسمين فما في التراب من يبوسة وبرودة قرنت خلقته من خلقة جهنم زمهريرها في سعيرها مع ما من ذلك
من فيح جهنم اعاذنا الله منها وما هو كذلك قارنت خلقته خلقة الشياطين كما بما في الماء من رطوبة
وبرودة ولدومه محمود ذلك كله قارنت خلقته خلقة الملائكة على جميعهم السلام وبما اساءه وعداه
من وجود الفيح والنعيم كانا معا الراما له فجعل له الامر فارتد الى ما هو النعيم برحمته منها موجود عنها
كما جعل له ربه تعالى النهي فارتد الى ما هو النعيم موجود عنها فامر عز جلاله عنده بالتعوذ برب الناس الذي
هو خلقهم ورباهم وغذاهم ولعلهم ملك الناس الذي يملك حوائجهم ويملك نفوسهم ويقوى الكل سرهم
يقلب الكل كيف يشاء بقدرته اله الناس الذي يعبدوا له وخضعوا لعزته ودانوا له بطاعته من شر الوسواس
الخناس وسوسة مما يحدث به النفس بواسطة شيطان الطبع الممزوج بالخلقة من هيئاته وغروره وامانيه و
واضلاله ودواعيه الى غير ذلك وقد يتعين الشيطان المنفصل بالقرين منهم ثم بالممتزج بالخلقة لم يتق
شيطان الانس ذكر كان ام انثى المذكور في قوله جل قوله من الجنة والناس وكل شر كله فيما هنا هو
من فيح جهنم اعاذنا الله بعونه ولطفه منها ومما يدعوا اليها ويحل لها ويوجب الكون فيها وهو
المكروه كله كما الخير كله فيما هنا هو من فيح الله من رحمته من الجنة ولمشيئته وعليه المعول
وعليه التكلان واليه يرجع الامر كله بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار
عليه نفعنا الله بما علمنا من كتابه الحكيم وهدانا الصراط
المستقيم وعصمنا من اعاديه وهدانا الى محابه
وطلب مرضاته انه على كل شيء
قدير